١٧٢٩

٧٤٩

٥١٩

٤٥

١٥٥

١٧٢

١١٧

٣٢

تفسير القرآن العظيم للإمام ال...

ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
٨١

تفسير أسماء القرآن وبسمله
٥ ٦

سورة أنعام
٢٠٧

سورة أعراف
٢٤٣

آية الكرسي
٧٥

سورة أنفال
٢٨٤

سورة آل عمران
٨٩

سورة ...
٩

سورة النساء
١٣٧

سورة مائده
١٧١

İSTANBUL GENEL KÜTÜPHANESİ
٥١٩
تفسير ابن عطية

السيد عبد الرحمن راتب
كان الله تعالى له
١٢٤٤

İSTANBUL ÜNİVERSİTESİ KÜTÜPHANESİ

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

قال الفقيه الحافظ القاضي ابو محمد عبد الحق بن الفقيه الحافظ ابي بكر بن عطية رضي الله عنهما اجمعين الحمد لله الذي بر النسم
وافاض النعم وسبغ القسم وسنى من توحيده وعبادته العصم ذي العزة القاهرة والقدرة الباهرة و المتظاهرة الذي
اوجدنا بعد العدم وجعلنا الجبار الوسطى في الامم وخولنا عوارف لا تحصى وهدانا شرعة دنت بنا من رضوانه الى الغرض
الاقصى انزل الينا القرآن العزيز وعدّ فيه وبشر واوعد وحذّره ونهى وامر واكمل فيه وجعله الوسيلة الناجحة
والحبل المتين ويسره للذكر غابر الدهر عصمة للمعتصمين ونورا ساطعا في مشكلات المختصمين وحجة قائمة على
العالم ودعوة شاملة لفرق بني آدم كلامه الذي اعجز الفصحاء واخرس البلغاء وشرف العلماء له الحمد دائبا والشكر
واصبا لا اله الا هو رب العرش العظيم سبحانه وافضل الصلاة والتسليم على محمد رسوله الكريم صفوته من العبادة و
وشفيع الخلائق في المعاد صاحب المقام المحمود والحوض المورود الناهض باعباء الرسالة والتبليغ الاعصم والمخصوص بشرف السعاية
في الصلاح الاعظم صلى الله عليه وعلى آله صلاة مستمرة الدوام جديدة على مر الليالي والايام وبعد ارشدني الله واياك
فاني لما رايت العلوم فنونا وحديث المعارف شجونا وسلكت فاذا هي اودية وفي كل للسلف مقامات حسان واندية رايت ان الوجه
لمن تشوف للتحصيل وعزم على الوصول ان ياخذ من كل علم طرفا خيارا ولن يذوق النوم مع ذلك الا غرارا ولن يرتقي هذا النجد ويبلغ
هذا المجد حتى ينضي مطايا الاجتهاد ويصل التاويب بالاسآد ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد فجريت في هذا المضمار صدد
الثمر مطلقا وادميت حتى تفسخت اثناء ونصبت عرقا الى ان ابتهج بفضل الله عملي واخذت من ذلك ما قسم لي ثم رايت ان من الواجب
على من ا وتخير في العلوم واجتبى ان يعتمد على علم من علوم الشرع يستنفد فيه غاية الوسع يجوب آفاقه ويتتبع اعماقه ويضبط
اصوله ويحكم فصوله ويلخص ما هو منه او يؤول اليه ويعنى بدفع الاعتراضات عليه حتى يكون لاهل ذلك العلم كالحصن المشيد
والذخر العتيد يستندون فيه الى اقواله ويحتذون على مثاله فلما اردت ان اختار لنفسي وانظر في علم اعد انوار
لظلم رمسي سبرتها بالتنويع والتقسيم وعلمت ان شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت امتنها حبالا وارسخها جبالا و
واجملها آثارا واسطعها انوارا علم كتاب الله جلت قدرته وتقدست اسماؤه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد الذي استقل بالسنة والفرض ونزل فيه امين السماء الى امين الارض هو العلم الذي جعل للشرع قواما
واستعمل سائر المعارف خداما منه ياخذ مبادئها وبه تعتبر نواشئها فما وافقه منها نصع وما خالفه رفض ودفع
فهو عنصرها النمير وسراجها الوهاج وقمرها المنير وايقنت انه اعظم العلوم تقريبا الى الله تعالى وتخليصا للنيات ونهيا
عن الباطل وحضا على الصالحات اذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا ويمشي في التلطف لها رويدا
ورجوت ان الله تعالى يحرم على النار فكرا عمر به اكثر عمره في معانيه ولسانا مرن على آياته ومبانيه ونفسا ميزت
براعة رصفه ومبانيه وجالت في ميادينه ومعانيه فثنيت اليه عنان النظر واقطعته جانب الفكر
وجعلته فائدة العمر وما ونيت عليه الا عن ضرورة بحسب ما علم في هذه الدار من شغوب وغير من لغوب
او بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف فلما سلكت سبيله بفضل الله لا وبلغت من اطراد الفهم فيه
املا رايت ان نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتقدح وتنسخ لمن يدوم تقييدها في فكره وتبرح وانها قد
اهلت تحفظها من النقل فهي تتفصى من الصدر تفصي الابل من العقل قال الله سبحانه انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا وقال المفسرون اي علم معانيه والعمل بها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب
ففزعت الى تعليق ما يتنخل لي في المناظرة ومن علم التفسير وترتيب المعاني وقصدت فيه ان يكون جامعا وجيزا
محررا لا اذكر من القصص الا ما لا تنفك الآية الا به واثبت اقوال العلماء في المعاني منسوبة اليهم على ما تلقى السلف
الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة من الحاد اهل القول بالرموز واللغز واهل القول
بعلم الباطن وغيرهم فمتى وقع لاحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو الى شيء من اغراض الملحدين

نبهت

نبهت عليه وسردت التفسير في هذا التعليق بحسب رتبة الفاظ الآية من حكم او نحو او لغة او معنى او قراءة وقصدت تتبع الالفاظ
حتى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين ورايت ان تفسير المهدوي رحمه الله مفرق للنظر مستغرب للفكر
وقصدت ايراد جميع القراءات مستعملها وشاذها واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الالفاظ كل ذلك بحسب جهدي وما
انتهى اليه علمي وعلى غاية من الايجاز وحذف فضول القول وانا اسأل الله جلت قدرته ان يجعل ذلك كله لوجهه وان يبارك فيه وينفع به وانا ان
كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير وحملت خواطري فيه على التعب الخطير وعمرت به زمني واستفرغت
فيه منتي اذ كتاب الله تعالى لا يتفسر الا بتصريف جميع العلوم فيه وجعلته ثمرة وجودي ونخبة مجهودي فليستحسن المرء اجتهاده وليعذر
في تقصيره وخطابه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنقدم بين يدي القول في التفسير اشياء قد قدم اكثرها المفسرون واشياء ينبغي ان تكون راسخة
لحفظ الناظر في هذا العلم مجتمعة لمذهبه باب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه ونبهاء العلماء في فضائل القرآن المجيد
وصورة الاعتصام به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن كقطع الليل المظلم قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله
تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره
اضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تتشعب معه الآراء
ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء من علم علمه سبق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدي الى صراط
مستقيم وقال انس بن مالك في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى قال هي القرآن وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اراد علم الاولين والآخرين فليقرأ القرآن وقال عليه السلام اتلوا هذا القرآن فان الله ياجركم بالحرف منه عشر
حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف وروي عنه عليه السلام انه قال في آخر خطبة
خطبها وهو مريض ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين انه لن تعمى ابصاركم ولن تضل قلوبكم ولن تزل اقدامكم ولن تقصر
ايديكم كتاب الله سبب بينكم وبينه طرفه بيده وطرفه بايديكم فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واحلوا حلاله وحرموا
حرامه الا وعترتي واهل بيتي هو الثقل الآخر فلا تسبقوهم فتهلكوا وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم صار الشعر
والخطب يمل ما اعيد منها والقرآن لا يمل فقال لان القرآن حجة على اهل الدهر الثاني كما انه حجة على اهل الدهر الاول
فكل طائفة تتلقاه غضا جديدا ولان كل امرئ في نفسه متى اعاده وفكر فيه تلقى في كل مرة علوما غضة وليس هذا كله
في الشعر والخطب وقيل لمحمد بن سعيد ما هذا الترديد للقصص في القرآن فقال ليكون لمن قرأ ما تيسر منه حظ
في الاعتبار وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي
فقد استصغر ما عظم الله وقال عليه السلام ما من شفيع افضل عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك وقال عليه
السلام افضل عبادة امتي القرآن وقال عبد الله بن عمرو بن العاص من قرأ القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه
الا انه لا يوحى اليه وحدث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ مائة آية كتب من القانتين
ومن قرأ مائتي آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ ثلاث مائة آية لم يحاجه القرآن وروى ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشراف امتي حملة القرآن وروي عن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الآية ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى آخر الآية فقال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصفر البيوت بيت صفر من كتاب الله وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال القرآن شافع مشفع وماحل مصدق من شفع له القرآن نجا ومن محل به القرآن يوم القيامة كبه الله
لوجهه في النار واحق من شفع له القرآن اهله وحملته واولى من محل به من عدل عنه وضيعه وقال صلى الله عليه وسلم
ان الذي يتعاهد القرآن ويشتد عليه له اجران والذي يقرؤه وهو خفيف عليه مع السفرة الكرام البررة و
قال ابن مسعود مل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا فانزل الله تعالى الله نزل
احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الآية ثم ملوا ملة اخرى فقالوا اقصص علينا
يا رسول الله فانزل الله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وروى عثمان بن عفان رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضلكم من تعلم القرآن وعلمه وقال عبد الله بن مسعود ان كل مؤدب
يحب ان يؤتى ادبه وان ادب الله القرآن ومر اعرابي على عبد الله بن مسعود وعنده قوم يقرؤون القرآن فقال ما يصنع هؤ
لاء فقال له ابن مسعود يقتسمون ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ومرت امرأة على عيسى ابن مريم عليه السلام فقالت طوبى
لبطن حملك ولثدي رضعت منهما فقال عيسى طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبع ما فيه وقال محمد بن كعب القرظي في قوله
تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال هو القرآن ليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء
في تفسير قول الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته قال الاسلام والقرآن وقيل لعبد الله بن مسعود انك لتقل الصوم فقال
انه يشغلني عن قراءة القرآن وقراءة القرآن احب الي منه وقال قوم من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم الم تر يا رسول الله ثابت
بن قيس لم تزل داره البارحة يزهر فيها وحولها امثال المصابيح فقال لهم فلعله قرأ سورة البقرة فسئل ثابت بن قيس
فقال نعم قرأت سورة البقرة وفي هذا المعنى حديث صحيح عن اسيد بن حضير في تنزل الملائكة في الظلة لصوته بقراءة البقرة خرجه البخاري
وذكر ابو عمرو الداني عن علي الآدمي قال كنت اتكلم في الكسائي واقع فيه فرايته في النوم وعليه ثياب بيض ووجهه كالقمر
فقلت يا ابا الحسن ما فعل الله بك فقال غفر لي بالقرآن وقال عقبة بن عامر عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع فقال عليكم بالقرآن وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ان من اشراط الساعة ان يبسط القول ويخزن الفعل

ويرفع الاشرار وتوضع الاخيار وان تقوم الساعة على رؤس الناس لا تعبر قيل وما المساه قال ما استكتب من غير كتاب الله قيل
قيل له فكيف بما جاء من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما اخذتموه عمن تأمنونه على نفسه ودينه فاعقلوه وعليكم
بالقرآن فتعلموه وعلموه ابناءكم فانكم عنه تسئلون وبه تجازون وكفى به واعظا لمن عقل و قال وقيل لابي الدرداء ان اخوانا
لك من اهل الكوفة يقرؤنك السلام ويأمرونك ان توصيهم فقال اقراهم السلام ومرهم فليعطوا القرآن عزائمهم فانه
يحملهم على القصد والسهولة ويجنبهم الجور والحزونة وقال رجل لعبد الله بن مسعود اوصني فقال اذا سمعت الله تعالى يا ايها
يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه خير يأمر به او شر ينهى عنه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل عن احسن الناس قراءة او صوتا بالقرآن فقال الذي اذا سمعته رايته يخشى الله تعالى وقال عليه
السلام اقرأوا القرآن قبل ان يجي قوم يقيمونه كما يقام القدح ويضيعون معانيه يتعجلون اجره ولا يتأجلونه و
يروى ان اهل اليمن لما قدموا امام ابي بكر الصديق سمعوا القرآن فجعلوا يبكون فقال ابو بكر رضي الله عنه هكذا
كنا ثم قست القلوب وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع
فان انه عيد منها عشرين يوما وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا تركبونه
فتقطعون به المراحل وان كان من قبلكم راوه رسائل اليهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها
بالنهار وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول انزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا درسه عملا ان احدهم ليقرأ
القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد اسقط العمل به قال الفقيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر وقال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي علم معانيه والعمل به والقيام بحقوقه ثقيل فمال
الناس الى الميسور وتركوا الثقيل وهو المطلوب منهم وقيل ليوسف بن اسباط باي شيء تدعو اذا ختمت القرآن
فقال استغفر الله من تلاوتي اذا ختمته ثم تذكرون ما فيه من الاعمال خشيت المقت فاعدل الى الاستغفار
والتسبيح وقرأ رجل القرآن على بعض العلماء قال فلما ختمته اردت الرجوع من اوله فقال اتخذت القرآن على عمل
اذهب فاقرأه على الله تعالى في ليلك وانظر ماذا يفهمك منه فاعمل به باب فضل تفسير القرآن والكلام
على لغته والنظر في اعرابه ودقائق معانيه روى ابن عباس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اي علم القرآن افضل فقال النبي صلى الله عليه وسلم عربيته فالتمسوها في الشعر وقال ايضا صلى الله عليه
اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه فان الله تعالى يحب ان يعرب قال الفقيه اعراب القرآن اصل في الشريعة
لان بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع وقال ابو العالية في تفسير قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا قال الحكمة الفهم في القرآن وقال قتادة الحكمة في القرآن الفهم فيه وقال غيره الحكمة تفسير القرآن وذكر
علي بن ابي طالب رضي الله عنه جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم فقال له رجل جعلت فداك تصف جابرا بالعلم وانت
انت فقال انه كان يعرف تفسير قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وقال الشعبي رحل
مسروق الى البصرة في تفسير اية فقيل له ان الذي يفسرها رجل الى الشام فتجهز ورحل اليه حتى علم تفسيرها
وقال اياس بن معاوية مثل الذين يقرؤن القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم
ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة لا يدرون ما في الكتاب وقال ابن عباس الذي يقرأ ولا يفسر
كالاعرابي الذي يهذ الشعر وقال مجاهد احب الخلق الى الله تعالى اعلمهم بما انزل وقال الحسن والله ما انزل الله
اية الا احب ان يعلم فيمن انزلت وما يعني بها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى
للقرآن وجوها كثيرة وقال الحسن اهلكتهم العجمة يقرأ احدهم الاية فيعنى بوجوهها حتى يفتري على الله تعالى فيها وكان
ابن عباس يبتدئ في مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما من شيء الا وعلمه في القرآن
ولكن راي الرجل يعجز عنه باب ما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسرين روى عن عائشة رضي الله
عنها انها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الا ايات بعدد علمه اياهن جبريل عليه السلام
وقال الفقيه ومعنى هذا الحديث في مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونحو هذا مما لا سبيل اليه الا بتوفيق من الله تعالى
ومن جملة مغيباته ما لم يعلمه الا لوقته قيام الساعة ونحوه ومنها ما يستقرأ من الفاظه كعدد النفخات في
الصور وكرتبة خلق السموات والارض ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تكلم في القرآن
برأيه فاصاب فقد اخطأ قال الفقيه ومعنى هذا ان يسئل الرجل عن معنى في كتاب الله فيتسور عليه برايه
دون نظر فيما قال العلماء او اقتضته قوانين العلوم كالنحو والاصول وليس يدخل في هذا الحديث ان يفسر اللغويون
لغته والنحاة نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر فان هذا القائل على هذه الصفة ليس
قائلا بمجرد رايه وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعا
تورعا واحتياطا لانفسهم مع ادراكهم وتقدمهم وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه وهم ابقوا على المسلمين
في ذلك رضي الله عن جميعهم فاما صدر السلف من المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ويتلوه عبد
الله بن عباس رضي الله عنه وهو تجرد للامر وكمله وتتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما والمحفوظ عنه
في ذلك اكثر من المحفوظ عن علي بن ابي طالب وقال ابن عباس ما اخذت من تفسير القرآن فمن علي بن ابي طالب وكان علي بن
ابي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحض على الاخذ عنه وكان عبد الله بن مسعود يقول نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس

وهو الذي

وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وحسبك بهذه الدعوة وقال عنه علي بن ابي
طالب رضي الله عنه من نظر الى ابن عباس كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ويتلوه عبد الله بن مسعود وابي كعب
وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص وكلما اخذ عن الصحابة فحسن متقدم ومن المبرزين في التابعين
الحسن بن ابي الحسن والمجاهد وسعيد بن جبير قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل اية وتلوهم
عكرمة والضحاك بن مزاحم وان كان لم يلق ابن عباس وانما اخذ عن ابن جبير واما السدي رحمه الله فكان عامر
الشعبي يطعن عليه وعلى ابي صالح لانه كان يراهما مقصرين في النظر ثم حمل تفسير كتاب الله على عدول كل
خلف والف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعلي بن ابي طلحة والبخاري وغيرهم ثم ان محمد بن جرير الطبري
رحمه الله جمع على الناس اشتات التفسير وقرب البعيد وشفى في الاسناد ومن المبرزين في المتأخرين ابو
اسحاق الزجاج وابو علي الفارسي فان كلاهما منحولوا واما ابو بكر النقاش وابو جعفر النحاس فكثيرا ما استدرك
الناس عليهما وعلى سننهما مكي بن ابي طالب رحمه الله وابو العباس المهدوي متقن التاليف وكلهم
مجتهد مأجور رحمهم الله ونضر وجوههم باب معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن
انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه اختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافا شديدا فذهب
فريق من العلماء الى تلك الحروف السبعة هي فيما يتفق ان يقال على سبعة اوجه فما دونها كتعال واقبل والي
ونحوي وقصدي واقرب وجئ وكاللغات التي في اف وكالحروف التي في كتاب الله فيها قراءات كثيرة وهذا قول
ضعيف قال ابن شهاب في كتاب مسلم بلغني ان تلك السبعة الاحرف انما هي في الامر الذي يكون واحدا
لا يختلف في حلال ولا حرام قال الفقيه وهذا كلام محتمل وقال فريق من العلماء ان المراد بالسبعة
الاحرف معاني كتاب الله وهي امر ونهي ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وامثال وهذا ايضا
ضعيف لان هذه لا تسمى احرفا ايضا فالاجماع ان التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام
ولا تغيير شيء من المعاني المذكورة وحكى صاحب الدلائل عن بعض العلماء وقد حكى نحوه القاضي ابو بكر
ابن الطيب قال تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة منها ما تتغير حركته ولا تزول معناه
ولا صورته مثل هن اطهر واطهر ومنها ما لا تتغير صورته وتتغير معناه بالاعراب مثل ربنا بعد
وباعد ومنها ما تبقى صورته وتتغير معناه باختلاف الحروف مثل ننشزها وننشرها ومنها ما تتغير
صورته وتبقى معناه كقوله كالعهن المنفوش وكالصوف المنفوش ومنها ما تتغير صورته ومعناه
مثل طلح منضود وطلع منضود ومنها بالتقديم والتأخير كقوله وجاءت سكرة الموت بالحق ومنها
بالزيادة والنقصان كقوله تسع وتسعون نعجة انثى وذكر القاضي ابن الطيب في معنى هذه السبعة
الاحرف حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن من سبعة ابواب على سبعة احرف
نهي وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وائتمروا وانتهوا
واعتبروا بمحكمه وامنوا بمتشابهه قال القاضي ابو بكر فهذا تفسير منه صلى الله عليه وسلم
للاحرف السبعة ولكن ليست هذه التي اجاز لهم القراءة بها على اختلافها وانما الحرف في هذه بمعنى
الجهة والطريقة ومنه قول الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على وجه وطريقة هي شك
وريب وكذلك معنى الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك وذكر القاضي ايضا ان ابيا رضي الله عنه
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ابي اقرأت القرآن على حرف او حرفين ثم زادني الملك حتى بلغ
سبعة احرف ليس منها الا كاف شاف ان قلت غفور رحيم سميع عليم او عليم حكيم وكذلك ما لم تختم عذابا برحمة
او رحمة بعذاب قال الفقيه وقد اسند قاسم بن ثابت نحو هذا الحديث عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر من كلام ابن مسعود نحوه قال القاضي ابن الطيب وهذه ايضا سبعة غير السبعة التي هي وجوه وطرق وغير
السبعة التي هي قراءات ووسع فيها وانما هي سبعة اوجه من اسماء الله تعالى واذا ثبتت هذه الرواية حمل على ان هذا
كان مطلقا ثم نسخ ولا يجوز للناس ان يبدلوا اسماء الله تعالى واذا ثبتت هذه الرواية في موضع بغيره مما يوافق معناه
او يخالفه قال القاضي وزعم قوم ان كل كلمة تختلف القراءة فيها فانما هي على سبعة احرف والا بطل معنى الحديث
قالوا ونعرف بعض الوجوه لمجيء الخبر به ولا نعرف بعضها اذ لم يأت به خبر قال وقال قوم ظاهر الحديث يوجب ان يوجد
منه في القرآن كلمة او كلمتان يقرآن على سبعة اوجه فاذا حصل ذلك تم معنى الحديث قال القاضي ابو بكر بن الطيب
وقد زعم قوم ان معنى هذا الحديث انه انزل على سبع لغات مختلفات وهذا باطل الا ان يريد الوجوه المختلفة التي
تستعمل في القصة الواحدة والدليل على ذلك ان لغة عمر بن الخطاب وابي بن كعب وهشام بن حكيم وابن مسعود
واحدة وقراءاتهم مختلفة وخرجوا فيها الى المناكرة فاما الاحرف السبعة التي صوب الرسول صلى الله عليه وسلم
القراءة جميعها وهي التي راجع فيها فزاده وسهل عليه بعلمه تعالى بما هم عليه من اختلافهم في اللغات فانها
سبعة اوجه او سبع قراءات مختلفات وطرائق يقرأ بها على اختلافها في جميع القرآن ومعظمه حسب ما
تقتضيه العبارة في قوله انزل القرآن فانما يريد به الجميع او المعظم فجائز ان يقرأ بهذه الوجوه على اختلافها
ويدل على ذلك قول الناس حرف ابي وحرف ابن مسعود ونقول في الجملة ان القرآن منزل على سبعة احرف

من اللغات والاعراب وتغيير الاسماء والصور وان ذلك مفترق في كتاب الله ليس بموجود في حرف واحد وسورة واحدة
يقطع على اجتماع ذلك فيها قال الفقيه انتهى ما جمعت من كلام القاضي ابي بكر رضي الله عنه واطلاقه البطلان على القول الذي
حكاه فيه نظر لان المذهب الصحيح الذي قرره اخرا من قوله ونقول في الجملة ان ما صح وترتب من جهة اختلاف لغات
العرب الذي نزل القران بلسانهم وهو اختلاف ليس بشديد التباين حتى يجهل بعضهم ما عند بعض في ذلك
الاكثر وانما هو ان قريشا استعملت في عبارتها شيئا واستعملت هذيل في ذلك المعنى شيئا غيره وسعد
ابن بكر والجميع كلامهم في الجملة ولغتهم واستدلال القاضي رضي الله عنه بان لغة عمر وابي وهشام
وابن مسعود واحدة فيه نظر لان ما استعملته قريش في عبارتها ومنهم عمر وهشام وما استعملته
الانصار ومنهم ابي وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود قد يختلف ومن ذلك النحو من الاختلاف
هو الاختلاف في كتاب الله فليست لغتهم واحدة في كل شيء وايضا فلو كانت لغتهم واحدة بان تفرضهم
جميعا من قبيلة واحدة لما كان اختلافهم حجة على من قال ان القران انزل على سبع لغات لان مناكرتهم لم
تكن لان المنكر سمع ما ليس في لغته فانكره وانما كانت لانه سمع خلاف ما اقراه النبي صلى الله عليه وسلم
وعساه قد اقراه ما ليس من لغته واستعمالات قبيلته فكان القاضي رحمه الله انما ابطل ان يكون
النبي صلى الله عليه وسلم قصد في قوله على سبعة احرف عدد اللغات التي تختلف بجملتها وان تكون
سبعا متباينة بسبع قبايل تقرا كل قبيلة القران كله بحرفها ولا يدخل عليها لغة غيرها بل قصد النبي
صلى الله عليه وسلم عند عدد الوجوه والطرائق المختلفة في كتاب الله مرة من جهة لغة ومرة من
جهة اعراب وغير ذلك ولا مرية ان هذه الوجوه والطرائق اختلاف لغات وصحيح ان يقصد عليه
السلام عدد الانحاء والوجوه التي اختلفت في القران بسبب اختلاف عبارات اللغات وصحيح ات
يقصد عليه السلام عدد الجماهير والروس من الجملة التي نزل القران بلسانها وهي قبايل مضر فجعلها
سبعة وهذا القول اتم توسعة للنبي صلى الله عليه وسلم لان الانحاء غير محصورة فعسى ان الملك
اقرا قراءة باكثر من سبع طرائق ووجوه قال القاضي رضي الله عنه في كلام المتقدم مجازا ان يقرا
بهذه الوجوه على اختلافها والشرط الذي يصح به هذا القول هو ان يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال كثير من اهل العلم كابي عبيدة وغيره الى ان معنى الحديث المذكور انه المتقرر على سبع لغات لسبع
قبايل انبث فيه من كل لغة منها وهذا القول هو المتقرر من كلام القاضي رضي الله عنه وقد ذكر
بعضهم قبايل من العرب روما منهم ان يعينوا السبع التي تحسن ان تكون مراده عليه السلام
نظروا في ذلك بحسب النظر من جاور منشا النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا في التسمية واكثروا
وانا الخص صحيح الغرض جهدي بحول الله فاصل ذلك وقاعدته قريش ثم بنو سعد ثم بكر لان النبي صلى الله
عليه وسلم قريشي واسترضع في بني سعد ونشا فيهم ثم ترعرع وعقب تماما وهو يخالط في اللسان
كنانة وهذيلا وثقيفا وخزاعة واسدا وضبة والفافها لقربهم من مكة وتكرارهم عليها
ثم بعد هذه تميما وقيسا ومن اصاب اليهم وسط جزيرة العرب فلما بعثه الله تعالى ويسر عليه
امر الاحرف انزل عليه القران بلغة هذه الجملة المذكورة وهي التي فسرتها على سبعة لها السبعة
الاحرف وهي اختلافاتها في العبارات حسبما تقدم قال ثابت بن قاسم لو قلنا من هذه الاحرف لقريش
ومنها لكنانة ومنها لاسد ومنها لهذيل ومنها لتميم ومنها لضبة والفافها ومنها لقيس لكان قد اتى
على قبايل مضر في مراتب سبعة تستوعب اللغات التي نزل بها القران قال الفقيه وهذا نحو ما ذكرناه وهذه
الجملة هي التي انتهت اليها الفصاحة وسلمت لغاتها من الدخل ويسرها الله لذلك ليظهر اية
نبيه بعجزها عن معارضة ما انزل عليه وسبب سلامتها انها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة
فلم تطرقها الامم فاما اليمن وهو جنوبي الجزيرة فافسدت كلام عربه خلطة الحبشة والهنود على ان
ابا عبيد القاسم بن سلام وابا العباس المبرد قد ذكرا ان عرب اليمن من القبايل التي نزل القران بلغتها قال الفقيه
وذلك عندي انما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن كالعرم والفتاح فاما ما انفردوا به كالزخيم
والقلوب ونحوه وليس في كتاب الله منه شيء واما ما والى العراق من جزيرة العرب وهي بلاد ربيعة وشرقي الجزيرة
فافسدت لغتها مخالطة الفرس والنبط ونصارى الحيرة وغير ذلك واما الذي يلي الشام وهو شمالي الجزيرة
وهي بلاد الحصه وابن الداقل وغيرهم فافسدها مخالطة الروم وكثير من بني اسرائيل واما غربي الجزيرة
فهي جبال يسكن بعضها هذيل وغيرهم واكثرها غير معمور فبقيت القبايل المذكورة سليمة اللغات
لم تكدر صفو كلامها امة من العجم ويقوي هذا المنزع انه لما اتسع نطاق الاسلام وداخلت الامم
العرب وتجرد اهل المصرين البصرة والكوفة لحفظ لسان العرب وكتب لغتها لم ياخذوا الا عن هذه
القبايل الوسيطة المذكورة ومن كان معها وتجنبوا اليمن والعراق والشام فلم يكتب عنهم حرف
واحد وكذلك تجنبوا حواضر الحجاز مكة والمدينة والطايف لان السبي والتجار من الامم كثروا فيها
فافسدوا اللغة وكانت هذه الحواضر في مدة النبي صلى الله عليه وسلم سليمة لعلة المخالطة فمعنى قول

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم انزل القران على سبعة احرف اي فيه عبارة سبع قبايل بلغة جملتها نزل القران
فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش ومرة بعبارة هذيل ومرة بغير ذلك بحسب الافصح والاوجز في اللفظة
الا ترى ان فطر معناها عند غير قريش ابتدا خلق الشيء وعمله فجاءت في القران فلم تتجه لابن عباس حتى
اختصم اليه اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها قال ابن عباس ففهمت حينئذ موقع قوله فاطر السموات
والارض وقال ايضا ما كنت لادري معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت بنت ذي جدن تقول
لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله او ياخذهم
على تخوف فوقف به فتى فقال ان ابي يتخوفني حقي فقال عمر الله اكبر او ياخذهم على تخوف اي على تنقص لهم
وكذلك اتفق لقطبة بن مالك اذ سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الصلاة والنخل باسقات
ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر الى غير هذا من الامثلة فاباح الله تعالى لنبيه هذه الحروف
السبعة وعارضه بها جبريل في عرضاته على الوجه الذي فيه الاعجاز وجودة الوصف ولم يقع الاباحة
في قوله عليه السلام فاقروا ما تيسر منه بان يكون كل واحد من الصحابة اذا اراد ان يبدل اللفظة من
هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه ولو كان هذا لذهب اعجاز القران وكان معرضا ان يبدل هذا وهذا
حتى يكون غير الذي نزل من عند الله وانما وقعت الاباحة في الحروف السبعة للنبي صلى الله عليه وسلم ليوسع
بها على امته فقرا مرة لابي بما عارضه به جبريل ومرة لابن مسعود بما عارضه به ايضا وفي صحيح البخاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني
حتى انتهى الى سبعة احرف وعلى هذا تحمل قراءة عمر بن الخطاب سورة الفرقان وقراءة هشام بن
حكيم لها والا فكيف يستقيم ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم في كل قراءة منها وقد اختلفتا هكذا
اقراني جبريل هل ذلك الا لانه اقراه بهذه مرة وبهذه مرة وعلى هذا يحمل قول انس بن مالك حين قرا ان
ناشئة الليل هي اشد وطا واصوب قيلا فقيل له انما تقرا واقوم فقال انس واصوب واقوم واهيا
واحد فانما معنى هذا انها مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم والا فلو كان هذا لاحد من الناس ان
يضعه لبطل معنى قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ثم ان هذه الروايات الكثيرة لما
انتشرت عن النبي صلى الله عليه وسلم وافترق الصحابة في البلدان وجاء الخلف وقرا القران كثير من
كثير من غير العرب وقع بين اهل الشام واهل العراق ما ذكر حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وذكر انهم
اجتمعوا في غزوة ارمينية فقرات كل طائفة بما روي لها واختلفوا وتنازعوا حتى قال بعضهم لبعض
انا كافر بما يقرا به فاشفق حذيفة مما راى منهم فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري وغيره دخل
الى عثمان بن عفان قبل ان يدخل الى بيته فقال ادرك هذه الامة قبل ان تهلك قال فيماذا قال في كتاب الله اني
حضرت هذه الغزوة وجمعت ناسا من العراق ومن الشام ومن الحجاز فوصف له ما تقدم فقال اني اخشى عليهم ان
يختلفوا في كتابهم كما اختلفت اليهود والنصارى قال عثمان رضي الله عنه افعل فتجرد للامر واستناب الكفاة
العلماء والفصحاء في ان يكتبوا القران ويجعلوا ما اختلفت القراء فيه على اشهر الروايات عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وافصح اللغات فقال لهم اذا اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش فمعنى هذا اذا اختلفتم فيما روي
والا فمحال ان يحيلهم على اختلاف من قبلهم لانه وضع قراءة وكتبوا القران من كل اللغات السبع مرة من هذه
ومرة من هذه وذلك بعيد بان الجميع مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ عليه واستمر الناس على هذا المصحف
على هذا المصحف المتخير وترك ما سواه مما كان كتب كقراءة عمر بن الخطاب فامضوا الى ذكر الله ونحوها سد
اللروبعد وتعلسا المصلحة الالهة وهي المصاحف التي امر عثمان رضي الله عنه بها ان يحرق او يخرق
فاما ابن مسعود فابى ان يزال مصحفه فترك ولكن ابى العلماء قراءته سدا للذريعة ولانه روي انه كتب فيه
اشياء على جهة التفسير فظنها قوم من التلاوة فتخلط الامر فيه ولم يسقط فيما ترك معنى من معاني القران
لان المعنى جزء من الشريعة وانما تركت الفاظ معانيها موجودة في الذي اثبت ثم ان القراء في الامصار تتبعوا
ما روي لهم من اختلاف لا يخالف خط المصحف فقرؤوا بذلك حسب اجتهاداتهم فلذلك
ترتب امر القراء السبعة وغيرهم رحمهم الله ومضت الاعصار والامصار على قراءة السبعة وبها يصلى
لانها ثبتت بالاجماع واما شاذ القراءات ولا يصلى به وذلك انه لم يجمع الناس عليه اما ان المروي منه عن الصحابة رضي الله
عنهم وعن علماء التابعين لا يعتقد فيه الا انهم رووه واما ما يوثر عن ابي السمال ومن قاربه ولا يوثق به وانما
اذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل والله المستعان وكان المصحف غير مشكول ولا منقوط وقد وقع لبعض الناس
خلاف في بعض ما ذكرته في هذا الباب ومنازعات اختصرت ذلك كراهية التطويل وعولت على الاسلوب الواضح والله المرشد
للصواب برحمته باب ذكر جمع القران وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره كان القران في مدة رسول الله صلى الله عليه
وسلم متفرقا في صدور الرجال وقد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وفي لخاف وظرر وفي خزف وغير ذلك فلما
استحر القتل بالقراء يوم اليمامة اشار عمر بن الخطاب على ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القران مخافة
ان يموت اشياخ القراء كابي وزيد وابن مسعود فيذهب فندبا الى ذلك زيد بن ثابت فجمعه غير مرتب السور

بعد تعب شديد منه رضي الله عنه وروي ان في هذا الجمع سقطت الاية من آخر براة حتى وجدها عند خزيمة بن ثابت وحكى
الطبري انها انما سقطت له في الجمع الاخير والاول اصح وهو الذي حكى البخاري الا انه قال فيه مع ابي خزيمة الانصاري وقال
ان في الجمع الثاني فقد زيد انه من سورة الاحزاب من المؤمنين رجال صدقوا فوجدها مع خزيمة بن ثابت وبقيت
الصحف عند ابي بكر ثم عند عمر بن الخطاب بعده ثم عند حفصة في خلافة عثمان وانتشرت في خلال ذلك صحف
في الافاق كتبت عن الصحابة كمصحف ابن مسعود وما كتب عن الصحابة بالشام ومصحف ابي وغير ذلك وكان
في ذلك اختلاف السبعة الاحرف التي نزل القرآن عليها فلما قدم حذيفة من غزوة ارمينية حسب ما قد
ذكرناه اسند عثمان بجمع المصحف فامر زيد بن ثابت بجمعه وقرن به فيما ذكر البخاري ثلاثة
من قريش سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن الزبير وكذلك ذكر الترمذي
وغيرهما وقال الطبري فيما روى انه قرن بزيد ابان بن سعيد بن العاص وحده وهذا ضعيف وقال
الطبري ايضا ان المصحف التي كانت عند حفصة جعلت اماما في هذا الجمع الاخير وروي ان عثمان
رضي الله عنه قال لهم اذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش فاختلفوا في التابوة والتابوت قرأه
زيد بن ثابت بالها والقرشيون بالتا فاثبت بالتا وكتب المصحف على ما هو عليه اليوم الدهر ونسخ
عثمان منه نسخا ووجه بها الى الافاق وامر بما سواها من المصاحف ان يحرق او يخرق يروى بالحاء غير
منقوطة وتروى بالخاء على معنى ثم يدفن ورواية الحاء غير منقوطة احسن **قال** القاضي ابو بكر بن الطيب
وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه مع مشاركة من عثمان رضي الله عنه في ذلك
وقد ذكر ذلك مكي رحمه الله في تفسير سورة براة وذكر ان ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة
في الاوائل هو من النبي صلى الله عليه وسلم ولما لم يأمر بذلك في اول براة تركت بلا بسملة هذا احد ما
قيل في براة وذلك نستقصي في موضعه ان شاء الله وظاهر الآثار ان السبع الطول والحواميم والمفصل
كان مرتبا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان في السور ما لم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت الكتب
واما شكل المصحف ونقطه فروي ان عبد الملك بن مروان امر به وعمله فتجرد لذلك الحجاج بواسط
وجد فيه وزاد تحزيبه وامر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك والف اثر ذلك بواسط كتابا في القراءات
جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط ومشى الناس على ذلك زمانا طويلا الى ان الف ابن مجاهد
كتابه في القراءات واسند الزبيدي في كتاب الطبقات الى المبرد ان اول من نقط المصحف ابو الاسود
الدؤلي وذكر ايضا ان ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر وذكر ابو الفرج ان زياد بن ابي
سفيان امر ابا الاسود بنقط المصاحف وذكر الجاحظ في كتاب الامصار ان نصر بن عاصم اول من
نقط المصاحف وكان يقال له نصر الحروف واما وضع الاعشار فيه فرايت في بعض التواريخ ان المأمون
العباسي امر بذلك وقيل ان الحجاج فعل ذلك وذكر ابو عمرو الداني عن قتادة انه قال بدأوا فنقطوا ثم
خمسوا ثم عشروا وهذا كالانكار **باب في ذكر الالفاظ التي في كتاب الله تعالى** واللغات المعجم يعلق بها
اختلف الناس في هذه المسألة فقال ابو عبيدة وغيره ان في كتاب الله تعالى من كل لغة وذهب الطبري
وغيره الى ان القرآن ليس فيه لفظة الا وهي عربية صريحة وان الامثلة والحروف التي تنسب الى سائر
اللغات انما اتفق فيها ان توارد اللغتان فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد و
ذلك مثل قوله تعالى ان ناشئة الليل قال ابن عباس نشا بلغة الحبشة قام من الليل ومنه قوله تعالى
يؤتكم كفلين من رحمته قال ابو موسى الاشعري كفلان ضعفان من الاجر بلسان الحبشة وكذلك قال ابن عباس
في القسورة انه الاسد بلغة الحبشة الى غير هذا من الامثلة **قال** الفقيه والذي اقوله ان القاعدة والعقيدة
هي ان القرآن بلسان عربي مبين فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها الا من لسان آخر فاما هذه
الالفاظ وما جرى مجراها فانه قد كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الالسنة
بتجارات وبرحلتي قريش وكسفر مسافر بن ابي عمرو الى الشام وسفر عمر بن الخطاب وكسفر عمرو بن العاص وعمارة
بن الوليد الى ارض الحبشة وكسفر الاعشى الى الحيرة وصحبته ايضا لاهلها مع كونه حجة في اللغة فعلقت العرب
بهذا كله الفاظا اعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت الى تخفيف ثقل العجمة واستعملتها في اشعارها
ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح ووقع البيان وعلى هذا الحد نزل بها القرآن فان جهلها عربي ما
فكجهله الصريح بما في لغة غيره كما لم يعرف ابن عباس معنى فاطر الى غير ذلك فحقيقة العبارة عن هذه الا
لفاظ انها في الاصل اعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه وما ذهب اليه
الطبري من ان اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة فذلك بعيد بل احدهما اصل والاخرى فرع في الاكثر
لانا لا ندفع ايضا جواز الاتفاق قليلا شاذا **باب ما قال العلماء في اعجاز القرآن** اختلف الناس في
اعجاز القرآن بم هو فقال قوم ان التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات وان العرب كلفت في
ذلك ما لا يطاق وفيه وقع عجزها وقال قوم ان التحدي وقع بما في كتاب الله من الانباء الصادقة و
الغيوب المسرودة وهذان القولان انما يرى العجز فيهما من قد تقررت الشريعة ونبوة محمد صلى الله

عليه

عليه وسلم في نفسه واما من هو في ظلمة الكفر فانما يتحدى بما يبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه وان البشر
لا ياتي بمثله ويتحدى من قبل المتحدي فكفار العرب لم يمكنهم قط ان ينكروا ان رصف القرآن ونظمه
وفصاحته متلقى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم فاذا تحديت الى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة
ان هذا نبي ياتي بما ليس في قدرة البشر الاتيان به الا ان يخص الله تعالى من يشاء من عباده وهذا هو
القول الذي عليه الجمهور والحذاق وهو الصحيح في نفسه ان التحدي انما وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي
فصاحة الفاظه ووجه اعجازه ان الله قد احاط بكل شيء علما واحاط بالكلام كله علما فاذا ترتبت اللفظة من
القرآن علم باحاطته اي لفظة تصلح ان تلي الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من اول القرآن الى آخره والبشر
معهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان بشرا لم يكن قط محيطا فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية
القصوى من الفصاحة وبهذا النظر يبطل قول من قال ان العرب كان في قدرتها ان ياتي بمثل هذا القرآن فلما جاء محمد
صلى الله عليه وسلم صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه والصحيح ان الاتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة احد من
المخلوقين ويظهر لك قصور البشر في ان الفصيح منهم يصنع خطبة او قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال
ينقحها حولا كاملا ثم يعطى لآخر نظيره فياخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا يزال كذلك فيها مواضع للنظر
والبدل وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم اديرت لسان العرب في ان يوجد احسن منها لم يوجد ونحن تبين لنا
البراعة في اكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة
وميز الكلام الا ترى ميز الحارث بن حلزة في شعر الاعشى وميز الفرزدق نفوس جرير من نفوس ذي الرمة ونظر الاعرابي
في قوله عزيز حكيم فقطع الى كثير من الامثلة اكتفيت بالاشارة اليها اختصارا فصورة قيام الحجة بالقرآن على العرب
انه لما جاء محمد صلى الله عليه وسلم وقال فأتوا بسورة من مثله قال كل فصيح في نفسه وما بال هذا الكلام حتى
لا آتي بمثله فلما تأمله وتدبره تبين منه ما تبين الوليد بن المغيرة حين قال والله ما هو بالشعر ولا هو بالكهانة
ولا بالجنون وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه انه لا يقدر بشر على مثله وصح عنده انه من عند الله تعالى
فمنهم من آمن واذعن ومنهم من حسد كابي جهل وغيره ففر الى القتال ورضي بسفك الدم عجزا عن المعارضة
حتى اظهر الله دينه ودخل جميعهم فيه ولم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الارض رجل من العرب
يعلن كفره وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة كما قامت الحجة في
معجزة عيسى عليه السلام بالاطباء وفي معجزة موسى عليه السلام بالسحرة فان الله تعالى انما جعل معجزات
الانبياء بالوجه الشهير ابدع ما يكون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم الذي اراد اظهاره فكان السحر
في مدة موسى قد انتهى الى غايته وكذلك الطب في زمن عيسى والفصاحة في زمن محمد صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين **باب في الالفاظ التي تقتضي الايجاز في كتاب الله تعالى** اعلم ان المقصد الى ايجاز
العبارة قد يسوق المتكلم في التفسير الى ان يقول خاطب الله بهذه الآية المؤمنين وشرف الله ما ذكر
الرجل المؤمن من آل فرعون وحكى الله تعالى عن ام موسى انها قالت قصيه ووقف الله ذرية آدم
على ربوبيته بقوله الست بربكم ونحو هذا من اسناد افعال الى الله تعالى لم يأت اسنادها
بتوقيف من الشرع وقد استعمل هذه الطريقة المفسرون والمحدثون والفقهاء واستعملها
ابو المعالي في الارشاد وذكر بعض الاصوليين انه لا يجوز ان يقال حكى الله ولا ما جرى مجراه
قال الفقيه وهذا على تقدير هذه الصفة له وثبوتها مستعملة كسائر اوصافه تبارك
وتعالى واما اذا استعمل ذلك في سياق الكلام والمراد منه حكت الآية او اللفظ فذلك استعمال
عربي شائع وعليه مشى الناس وانا اتحفظ منه في هذا التعليق جهدي لكني قدمت هذا الباب
لما عسى ان اقع فيه نادرا واعتذارا عما وقع فيه المفسرون من ذلك وقد استعملت العرب في ذكر
الله تعالى ما يحمل على مجاز كلامها فمن ذلك قول ابي عامر بن تحر بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغفر
فدا لك ما اقتفينا وقول ام سلمة فعزم الله لي في الحديث في موت ابي سلمة وابدلني الله بها منه
رسول الله ومن ذلك قولهم الله يدري كذا وكذا والدراية انما هي في المعاني للعلم بالشيء حتى
يتفرد ذلك قال ابو علي واحتج بعض اهل النظر على جواز هذا الاطلاق بقول الشاعر لاهم لا ادري
وانت الداري قال ابو علي وهذا لا حجة فيه لانه يجوز ان يكون من غلط الاعرابي **قال** الفقيه وكذلك
اقول ان الطريقة كلها عربية لا يثبت للنظر المتحول شيء منها وقد انشد بعض البغداديين لا هم
ان كنت الذي بعهدي ولم تغيرك الامور بعدي **وقال** العجاج قد رباح ربي وارادا رحمي **وقال**
الآخر قد يصبح الله امام الساري **وقال** الآخر يا قعيسي لم اكلته لمه لو خافك الله عليه حرمه
وقال اوسي آتي لسني لا احكم وحدا لا اله بكما احد **وقال** الآخر وان الله ذاق حلوم قيس فلما راى
خفتها قلاها ومن هذا الاستعمال الذي سمي الباب عليه قول سعد بن معاذ عرق الله
وجهك في النار يقول هذا للرامي الذي رماه وقال خذها وانا ابن العرقة وفي هذه الامثلة
كفاية فيما نحوناه اذ النظير لذلك كثير موجود وان تخرج شيء من هذه على حذف مضاف فذلك متوجه

في الاستعمال الذي قصد بالاعتدار عنه والله المستعان

باب تفسير اسماء القرآن وذكر السورة والاية

هو القرآن وهو الكتاب وهو الفرقان وهو الذكر فالقرآن مصدر من قولك قرا الرجل اذا تلى يقرا قرانا وقراه
حكى ابو زيد الانصاري وقرا وقال قتادة القرآن معناه التاليف قرا الرجل اذا جمع والف قولا وبهذا
فسر قتادة قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه اي تاليفه وهذا نحو قول الشاعر دراعى بكره
ادما بكر هجان اللون لم تقرا جنينا اي لم تجمع في بطنها ولدا وهداقوه لها والقول الاول اقوى ان القرآن مصدر
من قرا اذا تلى ومنه قول حسان بن ثابت في عثمن رضي الله عنهما ضحوا باشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا
وقرانا اي قراه واما الكتاب فهو مصدر من كتب اذا جمع ومنه قيل كتيبة لاجتماعها ومنه قول الشاعر واكتبها
باسيار اي اجمعها واما الفرقان فهو ايضا مصدر لانه فرق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر فرقا وفرقانا و
اما الذكر فسمي به لانه ذكر به الناس اخرتهم والههم وما كانوا في غفلة عنه فهو ذكر لهم وقيل سمي بذلك لانه
فيه ذكر الامم الماضية والانبيا وقيل سمي بذلك ذكر وشرف لمحمد وقومه وساير العلماء به واما السورة فان قريشا
كلها ومن جاورها من قبائل العرب لهذيل وسعد بن بكر وكنانه يقولون سورة بغير همز وبنو تميم كلها وغيرهم
ايضا يهمزون فيقولون سؤرة فاما من همز فهي عنده كالبقية من الشيء والقطعة منه التي هي سورة وسؤرة
من اسار اذا ابقى ومنه سور الشراب ومنه قول الاعشى وهو ميمون بن قيس فبانت وقد اسارت في الفواد
صدعا على فاتها مستطيرا اي ابقت فيه واما من لا يهمز فمنهم من يراها من المعنى المتقدم الا انها سهلت همزتها
ومنهم من يراها مبهمة كسورة البنا اي العظمة منه لان كل بنا فانما يبنى قطعة بعد قطعة وكل قطعة منه سورة
وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو وجمع سورة البنا سور بسكونها قال ابو عبيده انما اختلفا في هذا
فكان سور القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن ويقال ايضا الرتبة الرفيعة من المجد والملك
سورة ومنه قول النابغة الذبياني للنعمن بن المنذر الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فكان الرتبة انبنت حتى كملت واما الاية فهي العلامة في كلام العرب ومنه قول الاسير الموصي لحقومه ما للعمى
بالعمر باية ما اكلت معكم كبيسا فلما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الاتي بها وعلى
عجز المتحدي بها سميت اية هذا قول بعضهم وقيل سميت اية لما كانت جملة وجماعة كلام كما تقول العرب
كنا باسا ايجماعتنا وقيل لما كانت علامة للفصل بين ما قبلها وما بعدها سميت اية ووزن اية عند
سيبويه فعلة بفتح العين اصلها اييه تحركت اليا الاولى وما قبلها مفتوح فجاءت اية وقال الكسائي
اصل اية اييه على وزن فاعلة حذفت اليا الاولى مخافة ان يلتزم فيها من الادغام ما لزم في دابة
وقال مكي في تعليقه هذا الوجه سلبت الاولى وادغمت فجاءت اية على وزن دابة ثم سهلت اليا المثقلة
وقيل اصلها اية على وزن فعلة بسكون العين ابدلت الياء الساكنة الفا استثقالا للتضعيف قاله
الفرا وحكاه ابو علي عن سيبويه في ترجمة وكاين من نبي وقال بعض الكوفيين اصلها ايية على وزن
فعلة بكسر العين ابدلت الياء الاولى الفا لتنقل الكسر عليها وانفتاح ما قبلها

باب القول في الاستعاذة

قال الله عز وجل فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم معناه اذا اردت ان تقرا
وشرعت ثم اوقع الماضي موضع المستقبل لثبوته واجمع العلما على ان قول القارئ اعوذ بالله من
الشيطان الرجيم ليس باية من كتاب الله واجمعوا على استحسان ذلك والتزامه في كل قراة في غير
صلوة واختلفوا في التعوذ في الصلوة فابن سيرين وابراهيم النخعي وقوم يتعوذون في الصلوة في كل
ركعة ويمسكون امر الله بالاستعاذة على العموم في كل قراة وابو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الاولى
من الصلوة ويريان قراة الصلوة كلها تقرا واحدة ومالك لا يرى التعوذ في الصلوة المفروضة ويراه في قيام
رمضان ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تعوذ في صلوة وحكى الزهري وراوي عن الحسن انه قال
نزلت الاية في الصلوة وندبنا الى الاستعاذة في غير الصلوة وليس بفرض قال غيره كانت فرضا على النبي
صلى الله عليه وسلم وحده ثم تاسينا به واما لفظ الاستعاذة فالذي عليه جمهور الناس هو لفظ
كتاب الله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى عن ابن عباس انه قال اول ما نزل جبرئل على محمد صلى الله
عليه وسلم قال له قل يا محمد استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم
وروى سليمان ابن سالم عن ابن القاسم ان الاستعاذة اعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ان الله هو
السميع العليم بسم الله واما المقدمون فاكثروا اخذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة
الاخرى لقول بعضهم اعوذ بالله المجيد من الشيطان المريد ونحو هذا مما لا اقول فيه نعمت البدعة ولا
اقول انه لا يجوز ومعنى الاستعاذة الاستجارة والتحرز الشي على معنى الامتناع به من المكروه والكلام
على المكتوبة يجي في بسم الله فذلك الموضع اولى به واما الشيطان فاختلف الناس في اشتقاقه فقال الحراق
هو فيعال من شطن اذا بعد لانه بعد عن الخير ورحمة الله ومن اللفظة قولهم نوى شطون اي بعيده
قال الاعشى نات يستعاذ عنك نوى شطون فبات والفواد بها رهين ومنه قيل للحبل شطن لبعد
طرفيه وامتداده وقال قوم ان شيطانا ماخوذ من شاط يشيط اذا هاج واحترق ونحوه اذ هذه افعاله

فهو

فهو فعلان قال الفقيه ويرد على هذه الفرقة ان سيبويه حكى ان العرب يقول تشيطن فلان اذا فعل افاعيل
الشياطين فهذا بين انه تفيعل من تشيطن ولو كان على شاط لقالوا تشيط ويرد ايضا عليهم بيت امية بن
ابي الصلت ايما شاطن ولو كان على شاط عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاكبال فهذا شاطن من شطن لا مثل
فيه واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح ونحوه ومعناه انه رجم باللعنة والمقت وعدم الرحمة
قال المهدوي اجمع القرا على اظهار الاستعاذة في اول قراة سورة الحمد الا حمزة فانه اسرها وروى المسيبي
عن اهل المدينة انهم كانوا يفتتحون القراة بالبسملة

القول في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

روى عن
جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه انه قال البسملة تيجان السور وروي ان رجلا قال بحضرة النبي صلى الله
عليه وسلم تعس الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل
بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اول من ذباب وقال علي بن الحسين رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى واذا
ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال معناه اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم وروى عن جابر بن
عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له كيف تستفتح الصلوة يا جابر قلت بالحمد لله رب العالمين
قال قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئل فعلمني
الصلوة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم يجهر بها قال الفقيه وهذان الحديثان يقتضيان انها اية من الحمد
ويرد ذلك حديث ابي بن كعب الصحيح اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل لك الا تخرج من المسجد حتى
تعلم سورة ما انزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها قال فجعلت ابطي في المشي رجا ذلك فقال لي كيف
تقول اذا افتتحت الصلوة قال فقرات الحمد لله رب العالمين ويرده انه لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا عن ابي بكر ولا عن عمر ولا عثمان انهم قراوا قط في صلوتهم بسم الله الرحمن الرحيم ويرده عدد ايات السورة
لان الاجماع انها سبع ايات الا ما روي عن حسين الجعفي انها ست ايات وهذا اسناد لا يعول عليه وكذلك
روي عن عمرو بن عبيد انه جعل اياك نعبد اية فهي على عده ثماني ايات وهذا ايضا شاذ وقول الله تعالى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم هو الفصل في ذلك والشافعي رحمه الله يعد بسم الله اية من الحمد
وكثير من قرا مكة والكوفة ولا يعدون انعمت عليهم ومالك رحمه الله وابو حنيفة وجمهور الفقها
والقرا لا يعدون البسملة اية والذي يحتمله عندي حديث جابر وابي هريرة اذا صحا ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى قراة جابر وحكايته امر الصلوة قراه في غير الصلوة على جهة التعلم فامره بالبسملة لقرا
لا انها اية وكذلك في حديث ابي هريرة راها قراة تعليم ولم يفعل ذلك مع ابي لانه قصد تخصيص السورة
ووسمها من الفصل بما لها فلم يدخل معها ما ليس منها وليس هذا القصد في حديث جابر وابي هريرة
والله اعلم وقال ابن المبارك ان البسملة اية في كل سورة وهذا قول شاذ رده الناس عليه وروى الشعبي
والاعمش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى امر ان يكتب بسم الله فكتبها
فلما نزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها وروى
عمرو بن شرحبيل ان جبرئل اول ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قال له قل بسم الله الرحمن الرحيم وروى عن ابن عباس ان اول
ما نزل به جبرئل بسم الله الرحمن الرحيم وفي بعض طرق حديث خديجة وحملها رسول الله الى ورقة بن نوفل قال للنبي صلى الله
عليه وسلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها فقال اقرا قال ما انا بقاري الحديث والبسملة تسعة عشر حرفا فقال بعض
الناس ان رواية بلغتهم ان ملئكة النار الذين قال الله فيهم عليها تسعة عشر انما ترتب عددهم على
حروف بسم الله الرحمن الرحيم لكل حرف ملك وهم يقولون في كل افعالهم بسم الله الرحمن الرحيم فمن هنالك
هي قوتهم وباسم الله استضلعوا قال الفقيه وهذه من ملح التفسير وليست من متين العلم وهي
نظير قولهم في ليلة القدر انها ليلة سبع وعشرين مراعاة للفظة هي من كلمات سورة انا انزلناه ونظير
قولهم في عدد الملئكة الذين ابتدروا قول القائل ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فانها بضعة
وثلثون حرفا قالوا فكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم
يكتبها اول والبا في بسم الله متعلقة عند نحاة البصرة باسم تقديره ابتدائي مستقر او ثابت بسم الله وعند
نحاة الكوفة بفعل تقديره ابتدات بسم الله وبسم الله في موضع رفع على مذهب البصريين وفي موضع نصب على
مذهب الكوفيين كذا اطلق القول قوم والظاهر من مذهب سيبويه ان اليا متعلقة باسم كما تقدم
وباسم الله في موضع نصب تعلقا بثابت او مستقر بمنزلة في الدار من قولك زيد في الدار وكسرت
بالجر لتناسب لفظها عملها او لكونها لا تدخل الا على الاسما خصت بالخفض الذي لا يكون الا في الاسما
او لتفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسما نحو الكاف في قول الاعشى اتنتهون ولا ينهى ذوي
شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل وحذفت الالف من بسم الله في الخط اختصارا وتخفيفا
لكثرة الاستعمال واختلف النحاة اذا كتبت بسم الله الرحمن وبسم القاهر فقال الكسائي وسعيد الاخفش
تحذف الالف وقال يحيى بن زياد لا تحذف الا مع بسم الله فقط لان الاستعمال انما كثر فيه قال الفقيه
فاما في غير اسم الله تعالى فلا خلاف في ثبوت الالف واسم اصله سمو بكسر السين او سمو بضمها

وهو عند البصريين مشتق من السمو يقال سمى يسمو افعل هذا بضم السين في قولك سمو ويقال سمي يسمي فعلى هذا
تكسر وحذفت الواو من سمو وكسرت السين من سم كما قال الشاعر بسم الذي في كل سورة سمه وسكنت السين
من اسم اعتلالا على غير قياس وانما استدل على هذا الاصل الذي ذكرناه لقولهم في التصغير سمي وفي
الجمع اسماء وفي جمع الجمع اسامي وقال الكوفيون اصل اسم وسم من السمة وهي العلامة لان الاسم علامة لشيء
اي لمن وضع له وحذفت فاؤه اعتلالا على غير قياس والتصغير والجمع المذكورات ترد ان هذا المذهب الكوفي
واما المعنى فيه فحينئذ لولا ما يلزمهم من ان يقال في التصغير وسيم وفي الجمع اوسام لان التصغير والجمع
تردان الاشيا الى اصولها وقد ذكر بعض المفسرين في هذا الموضع الاسم والمسمى هل هما واحد وقال
الطبري انه ليس بموضع المسئلة والخائض في خطبته على المتكلمين في هذه المسئلة ونحوها ولكن بحسب
ما قد تؤول القول فيها فلتقل ان الاسم كزيد واسد وفرس قد يرد في الكلام يراد به الذات كقولك زيد
قائم والاسد شجاع وقد يرد يراد به التسمية ذاتها كقولك اسد ثلثة احرف ففي الاول يقال الاسم هو المسمى
بمعنى يراد به المسمى وفي الثاني لا يراد به المسمى ومن الورود الاول قولك يا رحمن اغفر لي وقوله تعالى الرحمن
علم القران ومن الورود الثاني قولك الرحمن وصف لله تعالى واما اسم الذي هو الف وسين وميم فقد
يجري في لغة العرب مجرى الذات يقال ذات قيس واسم قيس بمعنى وعلى هذا حمل اكثر اهل العلم قوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا
اسماء سميتموها انتم واباؤكم وعضدوا ذلك بقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك
حولا كاملا فقد اعتذر وقالوا ان لبيدا اراد التحية وقد يجري اسم في اللغة مجرى ذات العبادة
وهو الاكثر من استعمالها ومنه قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها على اشهر التاويلات فيه ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها دخل الجنة وعلى هذا
النحو استعمل النحويون الاسم في تصاريف اقوالهم والذي يتحصل من هذا ان الاسما قد يجيء يراد بها ذوات
المسميات وفي هذا يقال الاسم هو المسمى وقد يجيء يراد بها ذواتها نفسها لا مسمياتها ومرني ان
مالكا رحمه الله سئل عن الاسم اهو المسمى فقال ليس به ولا هو غيره يريد دائما في كل موضع وهذا موافق
لما قلناه وللمكتوبة التي لفظها الله ابهر اسماء الله واكثرها استعمالا فقالت فرقة من اهل العلم هو اسم
مرتجل لا اشتقاق له من فعل وانما هو اسم موضوع له تبارك وتعالى والالف واللام لازمة لا
لتعريف ولا لغيره بل هكذا وضع الاسم وذهب كثير من اهل العلم انه مشتق من اله الرجل اذا عبد
وتنسك ومن ذلك قول رؤبة بن العجاج لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي ومن ذلك قوله
تعالى ويذرك والهتك على هذه القراءة فان ابن عباس وغيره قال وعبادتك قالوا فاسم الله مشتق من هذا
الفعل لانه الذي يأله كل خلق ويعبده حكاه النحاس في صدر سورة ال عمران قال فقال من هذا واختلف كيف
تعلل حتى جاء الله فقيل حذفت الهمزة حذفا على غير قياس ودخلت الالف واللام للتعظيم على لاه وقيل بل دخلت
على الاه ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فجاء الله ثم ادغمت اللام في اللام وقيل ان اصل الكلمة لاه وعليه دخلت
الالف واللام والاول اقوى وروى عن الخليل ان اصل الاه ولاه وان الهمزة مبدلة من واو كما هي في اشاح
وشاح واسادة ووسادة وقيل ان اصل الكلمة ولاه كما قال الخليل الا انها ماخوذة من وله الرجل اذا تحير
لانه تعالى تتحير الالباب في حقايق صفاته والفكر في المعرفة به وحذفت الالف الاخيرة من الله لئلا يشكل بخط اللات
وقيل طولت تخفيفا وقيل هي لغة فاستعملت في الخط ومنها قول الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة
المغلة والرحمن صفة مبالغة من الرحمة معناها انه انتهى الى غاية الرحمة كما يدل على الانتها سكران وغضبان وهي
وهي صفة تختص بالله ولا يطلق على البشر وهي ابلغ من فعيل وفعيل ابلغ من فاعل لان راحما يقال لمن رحم ولو مرة
واحدة ورحيما يقال لمن كثر ذلك منه والرحمن النهاية في الرحمة وقال بعض الناس الرحمن الرحيم بمعنى واحد كالندمان
والنديم ويعم انهما من فعل واحد ولكن احدهما ابلغ من الاخر واما المفسرون فعبروا عن الرحمن الرحيم بعبارات منها
ان العزرمي قال معناه الرحمن بجميع خلقه في الامطار ونعم الحواس والنعم العامة الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم
واللطف بهم ومنها ان ابا سعيد الخدري وابن مسعود رويا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الرحمن رحمن الدنيا والاخرة والرحيم رحيم الاخرة وقال ابو علي الفارسي الرحمن اسم عام في جميع انواع الرحمة
تختص به الله تعالى والرحيم انما هو في جهة المؤمنين كما قال تعالى وكان بالمؤمنين رحيما قال الفقيه وهذه
كلها اقوال متعاضدة وقال عطا الخراساني كان الرحمن فلما اختزل وسمي به مسيلمة الكذاب قال الله
لنفسه الرحمن الرحيم بهذا الاقتران بين الصفتين ليس لاحد الا لله تعالى وهذا قول ضعيف لان بسم الله
الرحمن الرحيم كان قبل ان ينجم امر مسيلمة وايضا فتسمي مسيلمة بهذا لم يكن مما تاصل وثبت وقال قوم
ان العرب كانت لا تعرف لفظة الرحمن ولا كانت في لغتها واستدلوا على ذلك بقول العرب وما الرحمن
انسجد لما تامرنا وهذا القول ضعيف وانما وقفت العرب على تعيين الاله الذي امروا بالسجود له لا على
نفس اللفظ واختلف في فصل الرحيم بالحمد فروى عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم الرحيم

الحمد

الحمد يسكن الميم ويوقف عليها ويبتدأ بالف مقطوعة وقرأ به قوم من الكوفيين وقرأ جمهور الناس
الرحيم الحمد يعرب الرحيم بالخفض وتوصل الالف من الحمد ومن يشاء ان يقدر انه اسكن الميم ثم لما وصلها حركها
لالتقاء ولم تعد بالف الوصل فذلك سائغ والاول احصر وحكى الكسائي عن بعض العرب انها يقرأ الرحيم
الحمد بفتح الميم وصلة الالف كانه سكنت الميم وقطعت الالف ثم القيت حركتها على الميم وحذفت ولم يرو
وهذه قراءة عن احد فيما علمت وهذا نظير يحيى بن زياد في قوله تعالى الم الله باب في تفسير سورة
فاتحة الكتاب قال ابن عباس وموسى بن جعفر عن ابيه وعلي بن الحسين وقتادة وابو
العالية ومحمد بن يحيى بن حبان انها مكية ويؤيد هذا ان في سورة الحجر ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والحجر مكية باجماع وفي حديث ابي بن كعب انها السبع المثاني والسبع الطول نزلت
بعد الحجر بمدد ولا خلاف ان فرض الصلوة كان بمكة وما حفظ انه كانت قط في الاسلام صلوة
بغير الحمد لله رب العالمين وروى عن عطا بن يسار وسواد بن زياد والزهري محمد بن مسلم
وعبد الله بن عبيد بن عمير ان سورة الحمد مدنية واما اسماؤها فلا خلاف انها يقال لها فاتحة الكتاب
لان موضعها يعطي ذلك واختلف هل يقال لها ام الكتاب وكره الحسن ذلك وقال ام الكتاب
الحلال والحرام قال الله تعالى ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وقال ابن عباس
وغيره يقال لها ام الكتاب وقال البخاري سميت ام الكتاب لانها يبتدأ بكتابتها في المصحف
ويقرأ بها في الصلوة وفي تسميتها بام الكتاب حديث رواه ابو هريرة واختلف هل يقال لها
ام القران وكره ذلك ابن سيرين وجمهور العلماء قال يحيى بن يعمر ام القرى مكة وام خراسان
مرو وام العراق الحمد وقال ليس اسمها ام القران واما المثاني فقيل سميت بذلك لانها تثنى في
كل ركعة وقيل سميت بذلك لانها استثنيت لهذه الامة فلم ينزل على احد قبلها وكذا لها واما
فضل هذه السورة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي بن كعب انها لم
ينزل في التورية ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها وروى انها تعدل ثلثي القران وهذا
القول اما ان يكون في المعاني واما ان يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلل وكذلك يجيء عدل قل
هو الله احد وعدل اذا زلزلت ونحوه وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحمد لله رب العالمين فضل ثلاثين حسنة على سائر الكلام وورد حديث اخر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله كتب له عشرون حسنة ومن قال الحمد لله رب العالمين
كتب له ثلاثون حسنة وهذا الحديث هو الذي يقولها من المؤمنين موجبا طالب ثواب
لان قوله الحمد لله في ضمنها التوحيد الذي هو معنى لا اله الا الله ففي قوله توحيد وحمد وفي قوله
لا اله الا الله توحيد فقط فاما اذا اخذ موضعهما من شرع الملة ومحلهما من دفع الكفر والا
والاشراك فلا اله الا الله افضل والحاكم بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته
انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله الحمد معناه الثناء الكامل والالف واللام فيه لاستغراق الجنس
من المحامد وهو اعم من الشكر لان الشكر انما يكون على فعل جميل يسدى الى الشاكر وشكره حمد ما والحمد
المجرد هو ثناء بصفات المحمود من غير ان يسدى شيئا فالحامد من الناس قسمان الشاكر والمثني بالصفات
الصفات وذهب الطبري الى ان الشكر والحمد بمعنى واحد وذلك غير مرضي وحكى عن بعض الناس
انه الشكر ثناء على الله بافعاله وانعامه والحمد ثناؤه باوصافه قال الفقيه وهذا اصح معنى من
انهما بمعنى واحد واستدل الطبري على انهما بمعنى واحد بصحة قولك الحمد لله شكرا وهو في الحقيقة
دليل على خلاف ما ذهب اليه لان قولك شكرا انما خصصت به الحمد انه على نعمة من النعم واجمع السبعة
وجمهور الناس على رفع الدال من الحمد لله وروى عن سفين بن عيينة ورؤبة بن العجاج الحمد لله
بفتح الدال وهذا على اضمار فعل وروى عن الحسن وزيد بن علي الحمد لله بكسر الدال على اتباع الاول
الثاني وروى عن ابن ابي عبلة الحمد لله بضم الدال واللام على اتباع الثاني الاول قال الطبري الحمد
لله ثناء اثنى به على نفسه وفي ضمنه امر عباده ان يثنوا عليه فكانه قال قولوا الحمد لله وعلى هذا يجيء
قولوا اياك نعبد قال وهذا من حذف العرب ما يدل ظاهر الكلام عليه كما قال الشاعر

واعلم انني ساكون رمسا اذا سار النواعج لا يسير
فقال السائلون لمن حفرتم فقال القائلون لهم وزير

المعنى المحفور له وزير فحذف لدلالة ظاهر الكلام عليه وهذا كثير
وقرأت طائفة رب بالنصب فقال بعضهم هو نصب على المدح وقال بعضهم هو على النداء وعليه يجيء اياك
والرب في اللغة المعبود والسيد المالك القائم بالامور المصلح لما يفسد منها والملك بالحق لفظه
لهذه المعاني فما جاء بمعنى المعبود قول الشاعر ارب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من
بالت عليه الثعالب ومما جاء بمعنى السيد المالك قولهم رب العبيد والمماليك ومما جاء بمعنى
القائم بالامور الرئيس فيها قول لبيد واهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت

وعزبر وما جاء بمعنى الملك قول النابغة تخب الى النعمان حتى تناله فدى لك من رب طريفى وتالد
ومن معنى الاصلاح قولهم اديم مربوب اى مصلح قال الشاعر كانوا كسالئة حمقا اذ كفيت سلاها
فاديم غير مربوب ومن معنى الملك قول صفوان بن امية يوم حنين لاخيه لان يربنى رجل من قريش
احب من ان يربنى رجل من هوازن ومنه قول ابن عباس فى شان عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن
مروان وان كان لا بد لان يربنى رجل من بنى عمى احب الى من ان يربنى غيره ذكره البخارى فى تفسير سورة
براة ومن ذلك قول الشاعر وكنت امرا افضت اليك ربابتى وقبلك ربتنى فضعت ربوب وهذه
الاستعمالات قد تتداخل فالرب على الاطلاق هو رب الارباب على كل جهة هو الله تعالى والعالمون
جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى يقال لجملته عالم ولاجزائه من الجن والانس وغير ذلك عالم
عالم وبحسب ذلك يجمع على العالمين ومن حيث عالم الزمان متبدل فى زمان اخر حسن جمعها ولفظة
العالم جمع لا واحد له من لفظه وهو ماخوذ من العلم والعلامة لانه يدل على موجده كذا قال الزجاج وقد
تقدم القول فى الرحمن الرحيم واختلف القرا فى قوله تعالى ملك يوم الدين فقرا عاصم والكسائى مالك
يوم الدين قال الفارسى وكذلك قراها قتادة والاعمش قال مكى وروى الزهرى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قراها كذلك بالالف وكذلك قراها ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وابى بن كعب و
معاذ بن جبل وطلحة والزبير وقرا بقية السبعة ملك يوم الدين وابو عمرو منهم يسكن اللام فيقول
ملك هذه رواية عبد الوارث عنه وروى عن نافع اشباع الكسرة من الكاف فى ملك فيقرا ملكى
يوم الدين وهى لغة للعرب ذكرها المهدوى وقرا ابو حيوة ملك بفتح الكاف وكسر اللام وقرا ابن السميفع وعمر
ابن عبد العزيز والاعمش وابو صالح السمان وابو عبد الله الشامى مالك بفتح الكاف وهذان على النداء ليكون ذلك
توطية لقوله اياك ورد الطبرى على هذا وقال ان معنى السورة قولوا الحمد لله وعلى ذلك يجى اياك واهدنا وذ
ايضا ان من فصيح الكلام العرب الخروج من الغيبة الى الخطاب وبالعكس كقول ابى كبير الهذلى يا لهف نفسى كان
جلدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر وكما قال لبيد باتت تشكى الى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد
سبعينا وكقول الله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم وقرا يحيى بن يعمر والحسن وعلى بن ابى طالب ملك
يوم الدين على انه فعل ماض وقرا ابو هريرة مليك بالياء وكسر الكاف قال ابو على ولم يمل احد من القرا الف مالك
وذلك جائز الا انه لا يقرا بما يجوز الا ان ياتى بذلك اثر مستفيض والملك والملك بضم الميم وكسرها وما يتصرف
منها راجع كله الى ملك بمعنى شد وضبط ثم يختص كل تصريف من اللفظة بنوع من المعنى يدلك على الاصل فى ملك
قال الشاعر ملكت بها كفى فانهرت فتقها وهذا نصف طعنه فاراد شددت ومن ذلك قول اوس بن حجر فملك
باللبط الذى تحت قشرها كغرقئ بيض كنه القيض من عل اراد شدد وهذا يصف مابع قوس ترك من قشرها ما
يحفظ قلب القوس والذى مفعول وليس بصفة للبط ومن ذلك قولهم املاك المراه وملاك فلان انما هو ربط
النكاح كما قالوا عقده النكاح اذ النكاح موضع شد وربط فالمالك للشى شاد عليه ضابط له وكذلك الملك
واحتج من قرا ملك بان لفظه ملك اعم من لفظه مالك اذ كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا والملك يدبر المالك
فى ملكه حتى لا يتصرف الا عن تدبير الملك وتتابع المفسرون على سرد هذه الحجة وهى عندى غير لازمة لانهم
اخذوا اللفظتين مطلقتين لا بنسبة الى ما هو مملوك وفيه الملك فاما اذا كانت بنسبة الملك هى من نسبة
المالك فالمالك ابلغ مثال ذلك ان نقدر مدينة اهله عظيمة ثم نقدر لها رجلا يملكها اجمع ورجلا هو
ملكها فقط انما يملك التدبير والاحكام فلا شك ان المالك اعظم بلغ تصرفا واعظم اذ اليه اجرا قوانين
الشرع فيها كما لكل احد فى ماله ثم عبده زيادة التملك وملك الله تعالى ليوم الدين هو على هذا الحد فهو
مالكه وملكه والقراتان حسنتان وحكى ابو على فى حجه من قرا مالك يوم الدين ان اول من قرا
ملك يوم الدين مروان بن الحكم وانه قد يدخل فى المالك ما لا يدخل فى الملك فيقال الدنانير والدراهم
والطير والبهائم ولا يقال ملكها ومالك فى صفة الله تعالى يعم ملك اعيان الاشيا وملك الحكم فيها
وقد قال الله تعالى قل اللهم مالك الملك قال ابو بكر الاخبار الوارده تبطل ان اول من قرا ملك يوم
الدين مروان بن الحكم بل القراة بذلك اوسع ولعل قائل ذلك اراد انه اول من قرا فى ذلك العصر
والبلد ونحوه قال الفقيه وقال الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر قروا ملك يوم
الدين بغير الف وفيه ايضا انهم قروا مالك يوم الدين بالف قال ابو بكر والاختيار عندى
ملك يوم الدين لان الملك والملك يجمعهما معنى واحد وهو الشد والربط كما قالوا ملكت
العجين اى شددته الى غير ذلك من الامثلة والملك افخم وادخل فى المدح والاية انما نزلت
بالثنا والمدح لله تعالى فالمعنى انه ملك الملوك فى ذلك اليوم لا ملك غيره قال والوجه لمن قرا
مالك ان يقول ان المعنى ان الله تعالى يملك ذلك اليوم اى يملك ياتى به كما يملك سائر الايام لكن
خصصه بالذكر لعظمه فى جمعه وحوادثه قال ابو الحسن الاخفش يقال ملك بين الملك بضم
الميم ومالك بين الملك والملك بفتح الميم وكسرها وزعموا ان ضم الميم لغة فى هذا المعنى وروى

بعض

بعض البغداديين ان فى هذا الوادى ملك وملك وملك بمعنى واحد قال ابو على حكى ابو بكر بن السراج
عن بعض من اختار القراة بملك ان الله تعالى قد وصف نفسه بانه مالك كل شى بقوله رب
العالمين فلا فائدة فى من قرا مالك لانها تكرير قال ابو على ولا حجة فى هذا لان فى التنزيل اسما
على هذه الصورة تقدم العام بها ثم ذكر الخاص كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور فالخالق يعم
وذكر المصور لما فى ذلك من التنبيه على الصنعة ووجوه الحكمة وكما قال تعالى وبالاخرة هم يوقنون
بعد قوله الذين يؤمنون بالغيب والغيب يعم الاخرة وغيرها ولكن ذكرها لعظمها والتنبيه على وجوب
اعتقادها والرد على الكفرة الجاحدين لها وكما قال تعالى الرحمن الرحيم وذكر الرحمن الذى هو عام وذكر الرحيم
بعده لتخصيص المومنين به فى قوله تعالى وكان بالمومنين رحيما قال الفقيه وايضا فان الرب يتصرف فى كلام
العرب بمعنى الملك كقوله ومن قوله ربتنى وضعت ربوب وغير ذلك من الشواهد فينعكس الحجة على من
قرا ملك يوم الدين والجر فى ملك او مالك على كلتى القراتين هو على الصفة للاسم المجرور قبله والصفات
تجرى على موصوفها اذا لم تقطع عنهم لذم او مدح والاضافة الى يوم الدين فى كلتى القراتين من باب
يا سارق الليلة اهل الدار اتسع فى الظرف فنصب نصب المفعول له ثم وقعت الاضافة اليه على هذا
الحد وليس هذا كاضافة قوله وعنده علم الساعة لان الساعة مفعول بها على الحقيقة اى انه يعلم
الساعة وحقيقتها فليس امرها على ما الكفار عليه من انكارها قال الفقيه واما على المعنى الذى
قاله ابن السراج ان معنى ملك يوم الدين انه يملك مجيئه ووقوعه فان الاضافة الى اليوم كاضافة المصدر
الى الساعة لان اليوم على قوله مفعول به على الحقيقة وليس ظرفا اتسع فيه قال ابو على ومن قرا مالك يوم
الدين فاضاف اسم الفاعل الى الظرف المتسع فيه فانه حذف المفعول من الكلام للدلالة عليه تقديره
مالك يوم الدين الاحكام فاضاف اسم الاحكام ومثل هذه الاية فى حذف المفعول به مع الظرف قوله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه فنصب الشهر على انه ظرف والتقدير فمن شهد منكم المصر فى الشهر ولو كان الشهر مفعولا
للزم الصوم للمسافر لان شهادته للشهر كشهادة المقيم وشهد يتعدى الى مفعول يدلك على ذلك قول الشاعر
ويوما شهدناه سليما وعامرا والدين لفظ يجى فى كلام العرب على انحا منها الملة قال الله تعالى ان الدين عند الله
الاسلام الى كثير من الشواهد فى هذا المعنى وسمى حظ الرجل منها فى اقواله وافعاله واعتقاداته دينا فيقال فلان حسن
الدين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى رؤياه فى قميص عمر الذى رآه يجره فقيل له فما اولته يا رسول الله قال
الدين وقال على بن ابى طالب محبة العلما دين يدان به ومن انحا اللفظة الدين بمعنى العادة فمنه قول العرب
فى الريح عادت هيف لاديانها ومنه قول امرى القيس كدينك من ام الحويرث قبلها ومنه قول الشاعر
اهذا دينه ابدا ودينى الى غير ذلك من الشواهد يقال دين ودينة اى عادة ومن انحا اللفظة الدين سيرة
الملك وملكته ومنه قول زهير لئن حللت بجو فى بنى اسد فى دين عمرو وحالت بيننا فدك اراد فى موضع طاعة
عمرو وسيرته وهذه الانحا الثلاثة لا يفسر بها قوله ملك يوم الدين ومن انحا اللفظة الدين الجزا
فمن ذلك قول الفند الزمانى ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا ثم اعجا ديناهم ومنه قول كعب
ابن جعيل اذا ما رمونا رميناهم ودناهم مثل ما يقرضونا ومنه قول الاخر واعلم يقينا ان ملكك زائل
واعلم بانك كما تدين تدان وهذا النحو من هذا المعنى هو الذى يصلح لتفسير قوله تعالى ملك يوم الدين
اى يوم الجزا على الاعمال والحسنات بها كذلك قال ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وقتاده و
غيرهم قال ابو على ويدل على ذلك قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون
وحكى اهل اللغة دينته بفعله دينا بفتح الدال ودينا بكسرها كجزيته وقيل الدين المصدر والدين بكسر الدال
الاسم وقال مجاهد ملك يوم الدين اى يوم الحساب مدينين محاسبين قال الفقيه وهذا عندى يرجع الى معنى الجزا
ومن انحا اللفظة الدين الذل والمدين العبد والمدينه الامة ومنه قول الاخطل ربت وربا فى حجرها
ابن مدينة تراه على مسحاته يتركل اى ابن امه وقيل بل اراد ابن مدينة من المدن الميم اصلية ونسبته اليها
كما يقال ابن ماء وغيره وهذا البيت فى صفة كرمة فاراد ان اهل المدن اعلم بفلاحة الكرم من اهل بادية
العرب ومن انحا اللفظة الدين السياسة والديان السائس ومنه قول ذى الاصبع لاه ابن عمك لا
افضلت فى حسب يوما ولا انت ديانى فتخزونى ومن انحا اللفظة الدين الحال قال النضر بن شميل سالت
اعرابيا عن شى فقال لى لو كنت على دين غير هذه لاخبرتك ومن انحا اللفظة الدين الداء عن اللحيانى وانشد
يا دين قلبك من سلمى وقد دينا قال الفقيه اما هذا الشاهد فقد يتاول على غير هذا النحو فلم يبق الا قول اللحيانى
وقوله فقال اياك نعبد نطق المومن به اقرارا بالربوبية وبذلك وتحقيقا لعبادة الله اذ سائر الناس
يعبدون سواه من اصنام وغير ذلك وقدم المفعول على الفاعل اهتماما وشان العرب تقديم الاهم
ويذكر ان اعرابيا سب اخر فاعرض المسبوب عنه فقال له الساب اياك اعنى فقال له الاخر وعنك اعرض
فقدم الاهم وقرا الفضل الرقاشى اياك بفتح الهمزة وهى لغة مشهورة وقرا ابو عمرو بن فايد اياك
بكسر الهمزة وتخفيف اليا وذلك انه كره تضعيف اليا لثقلها وكون الكسرة قبلها وهذا التخفيف رديء

وان وقرا ابو السوار العنوي هناك نعبد وهناك نستعين بالها وهي لغة واختلف النحويون في اياك
فقال الخليل ايا اسم مضمر لضيف الى ما بعده للبيان لا للتعريف وحكى عن العرب اذا بلغ الرجل الستين
فاياه واياالشواب وقال المبرد ايا اسم مبهم للتخصيص لا للتعريف وحكى ابن كيسان
عن بعض الكوفيين ان اياك بكماله اسم مضمر ولا يعرف اسم مضمر بغير اخره غيره وحكي عن بعضهم
انه الكاف واليا والها هي الاسم المضمر لكنها لا تقوم بانفسها ولا يكون الا متصلات فاذا تقدمت قال
الافعال جعل ايا عمادا لها فيقال اياك واياه واياي واذا تاخرت اتصلت بالافعال واستغني
عن ايا وحكي عن بعضهم ان ايا اسم مبهم يكنى به عن المنصوب وزيدت الكاف والها والياء
تعرفه بين المخاطب والغائب والمتكلم ولا موضع لها من الاعراب فهي كالكاف في ذلك وفي ان
ايتك زيدا ما فعل ونعبد معناه نعمل الشرع والاوامر مع بذلك واسكلة والطريق المعالل
يقال له معبد ولذلك للتعبير وقال طرفه ساري عتاق الناجيات واتبعت وطيفا وظيفا فوق
مور معبد وتكررت اياك بحسب اختلاف الفعلين فاحتاج كل واحد منهما الى تاكيد واهتمام
ونستعين معناه بطلب العون منك في جميع وهذا كله من الاصنام وقرا الاعمش وابن
وثاب والنخعي نستعين بكسر النون وهي لغة لبعض قريش في النون واليا والهمزة ولا يقولونها في تاء
الغائب وانما ذلك في كل فعل سمي فاعله فيه زوايد او فيما ياتي من الفعل على فعل يفعل بكسر العين في
الماضي وفتحها في المستقبل نحو علم وشرب وكذلك ما جاء معتل العين نحو خال يخال فانهم يقولون
تخال واخال ونستعين اصله نستعون نقلت حركت الواو الى العين وقلبت ياء لانكسار ما قبلها
والمصدر استعانة اصلها استعوانا نقلت حركت الواو الى العين فلما انفتح ما قبلها وهي في نيه
الحركة انقلبت الفا فوجب حذف احد الالفين الساكنين فقيل حذفت الاولى لان الثانية
مجلوبة لمعنى فهي اولى بالبقا وقيل حذفت الثانية لان الاولى اصلية فهي اولى بالبقا ثم لزمت
الها عوضا من المحذوف قوله تعالى رغبه لانها من المربوب الى الرب وهكذا صيغة الامر كلها
فاذا كانت من الاعلى فهي امر والهداية في اللغة الارشاد لكنها تنصرف على وجوه يعبر عنها
المفسرون بغير لفظ الارشاد وكلها اذا تاملت رجعت الى الارشاد فالهدى يجي بمعنى
خلق الايمان في القلب ومنه قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم وقوله تعالى والله يدعوا الى دار الاسلام ويهدي
من يشا الى صراط مستقيم وقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام قال ابو المعالي فهذه ايات لا تصح حملها الا على خلق الايمان في القلب
وهو محض الارشاد قال الفقيه وقد جاء الهدى بمعنى الدعا من ذلك قوله تعالى ولكل قوم هاد اي داع
وقوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم وهذا ايضا بين فيه الارشاد لانه ابتدا الارشاد اجاب
المدعو ولم يجبه وقد جا الهدى بمعنى الالهام من ذلك قوله تعالى اعطى كل شي خلقه ثم هدى قال المفسرون معناه
الهم الحيوانات كلها الى منافعها وهذا ايضا فيمن فيه معنى الارشاد وقد جاء الهدى بمعنى البيان
من ذلك قوله تعالى واما ثمود فهديناهم قال المفسرون معناه بينا لهم قال ابو المعالي معناه دعوناهم
ومن ذلك قوله تعالى ان علينا للهدى اي ان علينا ان نبين وفي هذا كله معنى الارشاد قال ابو
المعالي وقد يرد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك الجنان والطرق المفضية اليها ومن
ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومنه قوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها قال الفقيه وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق
الدنيا وهي ضد الضلال وهي الواقعة في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم على صحيح التاويل وذلك بين
لفظ الصراط والهدى لفظ مؤنث وقال اللحياني هو مذكر قال ابن سيده والهدى اسم من اسماء النهار
قال ابن مقبل حتى استبنت الهدى والبيد هاجمة يخشعن في الال علها او نصلينا والصراط في اللغة الطريق
الواضح فمن ذلك قوله جرير امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم ومنه قول الاخر فصد عن نهج
الصراط الواضح وحكى النقاش الصراط الطريق بلغة الروم قال الفقيه وهذا ضعيف جدا واختلف القراء
في الصراط فقرا ابن كثير وجماعة من العلماء السراط بالسين وهذا هو اصل اللفظ قال الفارسي وروى
عن ابن كثير بالصاد وقرا الباقون في السبعة غير حمزه بصاد خالصة وهذا بدل السين بالصاد لتناسبها
مع الطا في الاطباق فيحسنان في السمع وحكاها سيبويه لغة قال ابو علي وروى عن ابن عمرو السين والصاد
والمضارعة بين الزاي والصاد رواه عنه العريان بن ابي سفيان وروى الاصمعي عن ابي عمرو انه قراها
بزاي خالصة قال بعض اللغويين ما حكاه الاصمعي من هذه القراة خطا منه انما سمع ابا عمرو يقرا
بالمضارعة فتوهمها زايا ولم يكن الاصمعي نحويا فيومن على هذا قال الفقيه وحكى هذا الكلام ابو
علي عن ابي بكر بن مجاهد وقرا حمزة بين الصاد والزاي وروى عنه ايضا انه انما يلزم ذلك في المعرفة
دون النكرة قال ابن مجاهد وهذه القراة تكلف حرف بين حرفين وذلك اصعب على اللسان وليس بحرف

مبني عليه

يبني عليه الكلام ولا هو من حروف المعجم ولست ادفع انه من كلام فصحاء العرب الا ان الصاد افصح و
اوسع وقرا الحسن والضحاك اهدنا صراطا مستقيما دون تعريف وقرا جعفر بن محمد الصادق اهدنا
صراط المستقيم بالاضافة وقرا ثابت البناني بصرنا الصراط واختلف المفسرون في المعنى الذي استعير
له الصراط في هذا الموضع وما المراد به فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الصراط المستقيم هنا
القران وقال جابر هو الاسلام يعني الحنيفية وقال شعبة ما بين السما والارض وقال محمد بن الحنفية
هو دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره وقال ابو العالية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصاحباه ابو بكر وعمر وذكر ذلك للحسن فقال صدق ابو العالية ونصح قال الفقيه ويجتمع من هذا
الاقوال كلها ان الدعوة انما هي ان يكون الداعي على سنن المنعم عليهم من النبيين والصديقين وذلك
والشهداء والصالحين في معتقداته وفي التزامه لاحكام شرعه وذلك مقتضى القران والاسلام
وهو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وهو الدعا انما هو امر به المومنون وعندهم
المعتقدات وعند كل واحد بعض الاعمال فمعنى قوله اهدنا فيما هو حاصل عندهم طلب التثبيت و
الدوام وفيما ليس بحاصل اما من جهة به او التقصير في المحافظة عليه طلب الارشاد واقول ان كل
داع به فانما يريد الصراط بكماله في اقواله وافعاله ومعتقداته فيحسن على هذا ان يدعوا في الصراط على الكمال
من عنده بعضه ولا يتجه ان يراد باهدنا في هذه الاية اخلق الايمان في قلوبنا لانها هداية مقيدة الى صراط
ولا ان يراد بها ادعنا وسائر وجوه الهداية يتجه والصراط نصب على المفعول الثاني والمستقيم الذي
لا عوج فيه ولا انحراف والمراد به استقام على الحق والى غاية العلاج ودخول الجنة واعلال مستقيم ان اصله
مستقوم نقلت الحركة الى القاف وانقلبت الواو يا لانكسار ما قبلها وصراط الذين بدل من الاول وقرا عمر بن
الخطاب وابن الزبير صراط من انعمت عليهم والذين جمع الذي واصله لذ حذفت منه اليا للسوين كما
يحذف من عم وقاض فلما دخلت الالف واللام ثبتت اليا والذي اسم مبهم ناقص يحتاج الى صلة وعائد
وهو مبني في الافراد وجمعه معرب في تثنيته ومن العرب من يعرب جمعه فيقول في الرفع الذون وكتب الذي
بلام واحدة في الافراد والجمع تخفيفا لكثرة الاستعمال واختلف الناس في المشار اليهم بانه انعم عليهم
فقال ابن عباس وجمهور المفسرين انه اراد صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
ذلك من قوله تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا الى وحسن اولئك
رفيقا فمعنى ان هولاء على صراط مستقيم هو المطلوب في اية الحمد وقال ابن عباس ايضا المنعم عليهم
هو المومنون وقال الحسن المنعم عليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحكى مكي وغيره عن فرقة من المفسرين
ان المنعم عليهم مومنوا بني اسرائيل بدليل قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قال
ابن عباس المنعم عليهم اصحاب موسى قبل ان يبدلوا قال الفقيه وهذا والذي قبله سوا وقال قتادة
المنعم عليهم الانبياء خاصة وحكى مكي عن ابي العالية انه قال المنعم عليهم محمد صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر قال الفقيه وقد تقدم ما حكاه عنه الطبري من انه فسر الصراط المستقيم بذلك وعلى ما حكى
مكي ينتقض الاول ويكون الصراط المستقيم طريق محمد صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وهذا اقوم في
المعنى لان تسمية اشخاصهم طريقا تجوز واختلف القراء في الها عليهم فقرا حمزه عليهم بضم الها
واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرا الباقون في جميعها بكسر الها واختلفوا في الميم فروى عن نافع
التخيير بين ضمها وسكونها وروى عنه انه كان لا يعرف ضم الميم فدل ذلك على ان قراته كانت بالاسكان
وكان عبد الله بن كثير يصل الميم بواو وانضمت الها قبلها او انكسرت فيقرا عليهمو وقلوبهمو وسمعهمو
وابصارهم وقرا ورش الها مكسورة والميم موقوفة الا ان تلقى الميم الفا اصلية فيلحق في اللفظ واوا مثل
قوله تعالى سواء عليهمو انذرتهم وكان ابو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائي يكسرون الها ويسكنون
الميم فاذا لقي الميم حرف ساكن اختلفوا فكان عاصم وابن كثير ونافع يمضون على كسر الها وضم الميم مثل قوله
تعالى عليهم الذلة ومن دونهم امراتين وما اشبه ذلك وكان ابو عمرو يكسر الها والميم فيقول عليهم
الذلة واليهم اثنين وما اشبهه وكان الكسائي يضم الميم والها معا فيقرا عليهم الذلة ومن دو
ومن دونهم امراتين قال ابو بكر احمد بن موسى وكل هذا الاختلاف في ضم الها وكسرها انما هو في الهاء
التي قبلها كسرة او يا ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن في الها الا الضم فاذا لم يكن قبل الميم ها قبلها
كسرة او يا ساكنة لم يجز في الميم الا الضم والتسكين في مثل قوله منكم وانتم قال الفقيه وحكى صاحب الدلائل
قال قرا بعضهم عليهمو بواو وضمتين وبعضهم بضمتين والقى الواو وبعضهم بكسرتين والقى اليا وبعضهم
بكسر الها وضم الميم قال وذلك كله مروي عن الايمة ووجوه في اللغة قال ابن جني حكى احمد بن موسى عليهمو
وعليهم بضم الميم من غير اشباع الى الواو وعليهم بسكون الميم وقرا الحسن وعمرو بن فايد عليهمي وقرا عليهم
بكسر الميم دون اشباع الى اليا وقرا الاعرج عليهم بكسر الها وضم الميم من غير اشباع وهذه القراات كلها
بضم الها الا الاخيرة وبازا كل واحدة منها قراة بكسر الها فيجي في الجميع عشر قراات وقوله تعالى غير المغضوب

عليهم ولا الضالين اختلف القرا في الرا من غير فقرا نافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكساى بخفض الرا
وقرا ابن كثير بالنصب وروى عنه الخفض على ضربين على البدل من الذين او على الصفة للنكرة كما تقول مررت برجل
غيرك وانما وقع هنا صفة للذين لان الذين هنا ليس بمقصود قصدهم فالكلام بمنزلة قولك اني لامر بالرجل
مثلك فاكرمه قال والنصب في الرا على ضربين على الحال كانك قلت لا المغضوب عليهم ويجوز النصب على
اعني وحكي نحو هذا عن الخليل ومما يحتج به لمن نصب ان غير نكرة فكره ان يوصف بها المعرفة والاختيار
والاختيار الذي لا خفا به الكسر وقد روى عن ابن كثير فاولى القولين ما لم يخرج عن اجماع قرا الامصار قال
ابو بكر بن السراج والذي عندي ان غير في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة وهذا يبني فيه نظر وليس
فلنفهم عني ما اقول اعلم ان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتها الى المعارف
من اجل معناهما وذلك اذا قلت رايت غيرك فكل شي سوى المخاطب فهو غيره وكذلك ان قلت رايت مثلك فما
هو مثله لا يحصى لكثرة وجوه المماثلة فانما صارا نكرتين من اجل المعنى فاما اذا كان شي معرفة له ضد واحد
واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك السامع فوصفته بغير واصفت غير الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك
عليك بالحركة غير السكون وكذلك قولك غير المغضوب لان من انعم عليه لا يعاقبه الا من غضب عليه ومن
لم يغضب عليه فهو الذي انعم عليه فمتى كان على غير هذه الصفة وقصدته هذا القصد فهي معرفة قال الفقيه
اتى ابو بكر الذين على حد التعريف وجود نعتها بغير لما بينه من تعريف غير في هذا الموضع وغير اتى بكر وقف على
سكو غير وذهب الى تعريف الذين من النكرة اذ هو اسم شايع لا يختص به معين وعلى هذا جوز نعته بالنكرة
والمغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى هكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد و
والسدي وبن زيد وروى ذلك عدى ابن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك بين من كتاب الله
تعالى لان ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله وباوا بغضب من الله وكقوله تعالى قل انبيكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير فهولا اليهود
بدلالة قوله بعد ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين والغضب عليهم
هو من الله تعالى وغضب الله تعالى عبارة عن اظهاره عليهم محنا وعقوبات وذلة ونحو ذلك مما يدل على
انه قد ابعدهم عن رحمته بعدا موكدا مبالغا فيه والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع
محمد صلى الله عليه وسلم فلما ورد ضلوا واما غير محققيهم فضلالهم متقرر مذ تفرقت اقوالهم في عيسى
عليه السلام وقد قال الله تعالى فيهم ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن
سواء السبيل وقال مكي حكاية دخلت لا في قوله ولا الضالين لئلا يتوهم ان الضالين عطف على الذين
قال وقيل هي مؤكدة معنى غير وحكى الطبري ان لا زائدة فقال هي هنا على نحو ما هي عليه في قول الراجز
فما الوم البيض الا تسخرا اراد ان تسخر وفي قول الاحوص ويلحيني في اللهو الا احبه وللهو داع
دائب غير غافل قال الطبري يريد ويلحيني في اللهو ان احبه قال الفقيه وبيت الاحوص انما
معناه ارادة الا احبه فلا فيه متمكنة قال الطبري ومنه قوله تعالى ما منعك الا تسجد وانما
جاز ان يكون لا بمعنى الحذف لانها تقدمها الجحد فصدر الكلام فسيق الكلام الاخر مناسبا للاول
كما قال الشاعر ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر وقرا عمر بن الخطاب
وابي بن كعب غير المغضوب عليهم وغير الضالين وروى عنهما في الرا النصب والخفض في الحرفين
قال الطبري فان قال قائل اليس الضلال من صفة اليهود كما ان النصارى عليهم غضب فلم خص
كل فريق بذكر شي مفرد قيل هم كذلك ولكن وسم الله لعباده كل فريق بما قد تكررت العبارة عنه به
وفهم به امره قال الفقيه وهذا غير شاف والقول في ذلك ان افاعيل اليهود من اعتدائهم وتعنتهم
وكفرهم مع رؤيتهم الايات وقتلهم الانبياء امور توجب الغضب في عرفنا فسمى الله تعالى ما حل بهم
غضبا والنصارى لم يقع لهم شي من ذلك انما ضلوا من اول كفرهم دون ان يقع منهم ما يوجب غضبا
خاصا بافاعيلهم بل هو الذي يعم كل كافر وان اجتهد فلهذا تقررت العبارة على ان طائفتين بما ذكر و
ليس في العبارة بالضالين تعلق للقدرية في انهم اضلوا انفسهم لان هذا انما هو كقولك انهدم الجدار
وتحركت الشجر والهادم والمحرك غيره وكذلك النصارى خلق الله الضلال فيهم وضلوا بتكسبهم وقرا
ايوب السختياني الضالين بهمزة غير ممدودة كانه فر من التقاء الساكنين وهي لغة حكى ابو زيد قال
سمعت عمرو بن عبيد يقرا فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب
دابة وشابة وقال ابو الفتح وعلى هذه اللغة قول كثير اذا ما العوالي بالقسط احمارت وقول الاخر
وللارض اما سودها فتجللت ساصلا واما بيضها فادهامت واجمع الناس على ان عدد آي
سورة الحمد سبع ايات العالمين اية الرحيم اية الدين اية نستعين اية المستقيم اية انعمت عليهم
اية ولا الضالين اية وقد ذكر باني بسم الله الرحمن الرحيم مما ورد من خلاف ضعيف في ذلك
القول في امين روى ابو هريرة وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا

الضالين

الضالين فقولوا آمين فان الملائكة في السما تقول آمين فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وروى
ان جبريل عليه السلام لما علم النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب وقت نزولها فقراها قال له قل آمين وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين يختم به دعاء عبده المؤمن وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يدعو فقال اوجب ان ختم فقال له رجل باي شي يختم يا رسول الله قال بآمين ومعنى امين عند اكثر اهل
العلم اللهم استجب او اجب يا رب ونحو هذا قاله الحسن وغيره ونص عليه احمد بن يحيى بن ثعلب وغيره وقال
قوم هو اسم من اسماء الله تعالى روى ذلك عن جعفر بن محمد ومجاهد وهلال بن يساف وقد روى ان آمين اسم خاتم
يطبع به كتب اهل الجنة التي توجد بالايمان قال الفقيه فمقتضى هذه الاثار ان كل داع ينبغي له في اخر دعائه
ان يقول امين وكذلك كل قارئ للحمد في غير صلوة لكن ليس بجهر الترسل واما في الصلوة فقال بعض العلما يقولها
كل مصل من امام وفذ وماموم قراها او سمعها وقال مالك في المدونة لا يقول الامام امين ولكن يقولها من
خلفه ويخفون ويقولها الفذ وقد روى عن مالك ان الامام يقولها اسرارا جهرا وروى عنه ان الامام لا يؤمن
في الجهر وقال ابن حبيب يؤمن وقال ابن بكير هو مخير قال الفقيه فهذا الخلاف انما هو في الامام ولم يختلف
في الفذ ولا في الماموم الا ان ابن نافع قال في كتاب ابن حنف لا يقولها الماموم ولكن ان سمع الامام يقول
ولا الضالين واذا كان بعد لا يسمعه ولا يفعل وقال ابن عبدوس يتحرى قدر القراة ويقول امين
وهي لفظة مبنية على الفتح لالتقا الساكنين وكان الفتح مع اليا اخف من سائر الحركات ومن العرب
من يقول امين فيمده قال الشاعر امين امين لا ارضى بواحدة حتى ابلغها الفين آمينا ومن العرب من
يقول امين بالقصر ومنه قول الشاعر تباعد مني فطحل اذ رايته امين فزاد الله ما بيننا بعدا و
اختلف الناس في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فمن وافق تامينه تامين الملائكة فقيل بالاجابة
وقيل في خلوص النية وقيل في الوقت والذي يترجح ان المعنى فمن وافق في الوقت مع خلوص النية والاقبال
على الرغبة الى الله بقلب سليم والاجابة تتبع حينئذ لان من هذه حاله فهو على الصراط المستقيم
سورة البقرة هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها آخر اية نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهي واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ويقال لسورة البقرة فسطاط القران وذلك
لعظمها وبهائها وما تضمنت من الاحكام والمواعظ وتعلمها عبد الله بن عمر وفقهها وجميع
ما يحتوي عليه من العلوم في ثمانية اعوام وفيها خمس ماية حكم وخمسة عشر مثلا وروى الحسن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي القران افضل قالوا الله ورسوله اعلم قال البقرة ثم قال وايها
افضل قالوا الله ورسوله اعلم قال اية الكرسي ويقال ان معنى اية الرحمة والرجا والعذاب ينتهي فيها ثلاث
مائة وستين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه
من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يجي البقرة وال عمران يوم القيمة كانهما غمامتان بينهما شرق او غيايتان سوداوان او كانهما
ظلة من طير صواف يجادلان عن صاحبهما وفي البخاري انه عليه السلام قال من قرا بالايتين من اخر
سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البيت الذي
يقرا فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان وروى ابو هريرة عنه عليه السلام انه قال لكل شي سنام
وسنام القران سورة البقرة فيها اية وهي سيدة اي القران هي اية الكرسي وعدد آي سورة البقرة
مائتان وخمس وثمانون اية وقيل وست وثمانون وقيل وسبع وثمانون اية قوله تعالى الم اختلف في
الحروف التي في اوائل السور على قولين قال الشعبي عامر بن شراحيل وسفين الثوري وجماعة من
المحدثين هي سر الله في القران وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه فلا يجب ان يتكلم فيها ولكن
يؤمن بها وتمر كما جاءت وقال الجمهور من العلما بل يجب ان يتكلم فيها ويلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي
تتخرج عليها واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولا فقال علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهما الحروف
المقطعة في القران هي اسم الله الاعظم الا انا لا نعرف تاليفه منها وقال ابن عباس ايضا في اسما الله
اقسم بها وقال زيد بن اسلم هي اسما للسور وقال قتادة هي اسما للقران كالفرقان والذكر
وقال مجاهد هي فواتح السور قال الفقيه كما يقولون في اول الانشاد لشهير القصايد بل ولا
بل قال مجاهد النحو ابو عبيده والاخفش وقال قوم هي حساب ابجد لتدل على مدة ملة محمد صلى
الله عليه وسلم كما ورد في حديث حيي بن اخطب وهو قول ابي العالية رفيع وغيره وقال قطرب
وغيره هي اشارة الى حروف المعجم كانه يقول للعرب انما تحديتكم بنظم من هذه الحروف التي عرفتم
فقوله الم بمنزلة قولك اب ت ث لتدل بها على التسعة والعشرين حرفا وقال قوم هي امارة قد
كان الله جعلها لاهل الكتاب انه سينزل على محمد صلى الله عليه وسلم كتابا في اول سورة منه
حروف مقطعة وقال ابن عباس هي حروف تدل على انا الله اعلم انا الله ارى انا الله افضل وقال
ابن جبير عن ابن عباس هي حروف كل واحد منها اما ان يكون من اسم من اسما الله تعالى واما

واما نغمه من نغمه واما من اسم ملك من ملائكته او نبي من انبيائه وقال قوم هي بسمه كيا في الندا وقال قوم
روىات المشركين لما اعرضوا عن سماع القران بمكة نزلت اسمعوبوها فيفهمون مقام استماعهم
فيسمعون القران بعدها فتجت عليهم الحجة قال الفقيه والصواب ما قاله الجمهور ان تفسر هذه الحروف
ويلتمس لها التاويل لانا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظما لها ووضعا بدل الكلمات التي الحروف
منها كقول الشاعر قلت لها قفي فقالت قاف اراد قالت وقفت وكقول القائل بالخير خيرات وان شرا فا ولا
اريد الشر الا ان تا اراد وان شرا فشرا واراد الا ان تشا والشواهد في هذا كثيرة فليس كونها في القران
مما تلوه العرب في لغتها فلما كان من معهود كلام العرب ان يطلب تاويله ويلتمس وجهه والوقف على هذه
الحروف على السكون ليفصلها الا اذا اخبرت عنها او عطفتها فانك تعربها وموضع الم من الاعراب رفع على انه
خبر ابتداء مضمر او على انه ابتداء ونصب باضمار فعل وخفض بالقسم وهذا الاعراب يتجه الرفع منه
في بعض الاقوال المتقدمة في الحروف والنصب في بعضها والخفض في قول ابن عباس انها اسماء الله اقسم بها قوله
تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الاسم من ذلك الذال والالف وقيل الذال وحدها
والالف تقوية واللام لبعد المشار اليه وللتاكيد والكاف للخطاب وموضع ذلك رفع كانه خبر ابتداء او
ابتداء وخبره بعده واختلف في ذلك هنا فقيل هو بمعنى هذا ويكون الاشارة الى هذه الحروف من القران
قال الفقيه وذلك انه قد يشار بذلك الى حاضر تعلق به بعض الغيبة وبهذا الى غائب فهو من السوف
والحضور بمنزلة وقرب وقيل هو على انه اشارة الى غائب واختلف في ذلك الغائب فقيل ما قد كان من
القران وقيل التوراة والانجيل وقيل اللوح المحفوظ اى الكتاب الذى هو العدد وقيل ان الله تعالى قد كان وعد
نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء فاشار الى ذلك الوعد وقال الكسائي ذلك اشارة الى القران الذى في السما
لم ينزل بعد وقيل ان الله تعالى قد كان وعد اهل الكتاب ان ينزل على محمد كتابا فالاشارة الى ذلك الوعد وقيل
ان الاشارة الى حروف المعجم في قول من قال الم حروف المعجم التى تحديتكم بالنظم منها ولفظ الكتاب ماخوذ من كتب
الشى اذا جمعته وضممت بعضه الى بعض ككتب الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب الناقة ورفع الكتاب يتوجه على
البدل وعلى خبر الابتداء او على عطف البيان ولا ريب فيه معناه لا شك فيه ولا ارتياب به والمعنى انه
في ذاته لا ريب فيه وان وقع ريب للكفار وقال قوم لفظ قوله لا ريب فيه لفظ الخبر ومعناه النهي وقال قوم هو
عموم يراد به الخصوص اى عند المؤمنين قال الفقيه وهذا ضعيف وقرا الزهرى وابن محيصن ومسلم بن
جندب وعبيد بن عمير فيه بضم الهاء وكذلك اليه وعليه وبه ونصله ونوله وما اشبه ذلك حيث وقع
على الاصل وقرا ابن ابي اسحق فيهو بضم الهاء ووصلها بواو وهدى معناه رشاد وبيان وموضعه من
الاعراب رفع على انه خبر ذلك او خبر ابتداء مضمر او ابتداء وخبره في المجرور قبله ويصح ان يكون موضعه نصبا
على الحال من ذلك او من الكتاب ويكون العامل فيه معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل معنى
الاستقرار وفي هذا القول ضعف وقوله للمتقين اللفظ ماخوذ من وقا وفعله اتقى على وزن افتعل
واصله للموتقيين استثقلت الكسرة على الياء فسكنت وحذفت لالتقاء الساكنين وابدلت الواو تاء على اصلهم
في اجتماع الواو والتاء وادغمت التاء في التاء فصار للمتقين والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتثال اوامره
واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم وبين عذاب الله تعالى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ٥ يؤمنون معناه يصدقون ويتعدى بالباء وقد يتعدى باللام
كما قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وكما قال فما امن لموسى وبين التعديتين فرق وذلك ان التعدية
باللام في ضمنها تعرية بفهم من المعنى واختلف القراء في همز يؤمنون فكان ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم
وحمزة والكسائي يهمزون يؤمنون وما اشبهه مثل ياكلون وياسرون ويؤثرون وكذلك مع تحرك الهمزة
مثل يؤخركم ويؤده الا ان حمزة كان يستحب ترك الهمز اذا وقف والباقون يقفون بالهمز وروى
ورش عن نافع ترك الهمز في جميع ذلك وقد روى عن عاصم انه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة وكان ابو عمرو
اذا ادرج القراءة او قرا في الصلوة لم يهمز كل همزة ساكنة الا انه كان يهمز حروفا من السواكن باعيانها ستذكر
في مواضعها ان شاء الله واذا كان سكون الهمزة علامة للجزم لم يترك همزها مثل ينبأها وهيئ لنا وما اشبهه
وقوله بالغيب قالت طائفة معناه يصدقون اذا غابوا وخلوا لا كالمنافقين الذين يؤمنون اذا حضروا و
يكفرون اذا غابوا وقال اخرون معناه يصدقون بما غاب عنهم مما اخبرت به الشرائع واختلف عبارة
المفسرين في مثل ذلك فقالت فرقة الغيب في هذه الاية الله عز وجل وقال اخرون القضاء والقدر وقال اخرون
القران وما فيه من الغيوب وقال اخرون الحشر والصراط والميزان والجنة والنار قال الفقيه وهذه اقوال
لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها والغيب في اللغة ما غاب عليك من امر ومن مطمئن الارض الذى
يغيب فيه داخله وقوله يقيمون معناه يظهرونها ويثبتونها كما يقال اقيمت السوق وهذا تشبيه با
لقيام من حالة خفاء قعود او غيره ومنه قول الشاعر اقمنا لاهل العراقين سوق الطعان فخابوا و
ولوا جميعا واصل يقيمون يقومون نقلت حركة الواو الى القاف فانقلبت ياء لكون الكسرة قبلها والصلوة

ماخوذة من صلى يصلي اذا دعا كما قال الشاعر عليك مثل الذى صليت فاعتصمي نوما فان لجنب المرء مضطجعا ومنه
قول الاخر لها حارس لا يبرح الدهر بيتها وان ذبحت صلى عليها وزمزما فلما كانت الصلوة في الشرع دعاء انضاف
اليها هيئات وقراءة سمي جميع ذلك باسم الدعاء وقال قوم هي ماخوذة من الصلا وهو عرق في وسط الظهر ويفترق
عند العجب فيكتنفه ومنه اخذ المصلي في سبق الخيل لانه ياتي مع صلا السابق فاشتقت الصلوة منه اما لانها
جاءت ثانية للايمان فشبهت بالمصلي من الخيل واما لان الراكع والساجد ينثني صلواه قال الفقيه والقول انها
من الدعاء احسن وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون كتبت مما متصلة وما بمعنى الذى فحقها ان يكون منفصلة لان
الجار والمجرور كشيء واحد وايضا فلما خففت نون من اللفظ حذفت في الخط والرزق عند اهل السنة ما صح
الانتفاع به حلالا كان او حراما بخلاف قول المعتزلة ان الحرام ليس برزق وينفقون معناه هنا يؤتون
ما الزمهم الشرع من زكاة وما ندبهم اليه من غير ذلك قال ابن عباس ينفقون يؤتون الزكاة
احتسابا لها قال غيره الاية في النفقة في الجهاد وقال الضحاك هي نفقات كانوا يتقربون بها الى الله عز
وجل على قدر يسرهم قال ابن مسعود وابن عباس ايضا هي نفقة الرجل على اهله قال الفقيه والاية
تعم الجميع وهذه الاقوال تمثيل لا خلاف قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ٥ اختلف المتاولون فمن
المراد بهذه الاية وبالتي قبلها فقال قوم الايتان جميعا في جميع المؤمنين وقال اخرون هما
في مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وفيه نزلت قال الفقيه فمن جعل الايتين في صنف واحد فاعراب
الذين خفض على العطف ويصح ان يكون رفعا على الاستيناف اى وهم الذين ومن جعل الايتين في صنفين
فاعراب والذين رفع على الابتداء وخبره اولئك على هدى ويحتمل الخفض عطفا وقوله بما انزل اليك يعني
القران وما انزل من قبلك يعني الكتب السالفة وقرا ابو حيوة ويزيد بن قطيب بما انزل وما انزل
بفتح الهمزة فيهما خاصة والفعل على هذا يحتمل ان يستند الى الله تعالى ويحتمل الى جبريل والاول اظهر
والزم وبالاخرة قيل معناه بالدار الاخرة وقيل بالنشاة الاخرة ويوقنون معناه يعلمون علما متمكنا
في نفوسهم واليقين اعلى درجات العلم وهو الذى لا يمكن ان يدخله شك بوجه وقول ملك فيحلف
على نفسه ثم يخرج الامر على خلاف ذلك يجوز في العبارة على عرف يجوز العرف ولم يقصد تحرير الكلام
في اليقين وقوله تعالى اولئك اشارة الى المذكورين واولاء جمع ذا وهو مبني على الكسر لانه ضعف
لابهامه عن قوة الاسماء وكان اصل البني السكون فحرك لالتقاء الساكنين والكاف للخطاب والهدى
هنا الارشاد واولئك الثاني ابتداء والمفلحون خبره وهم فصل لانه وقع بين معرفتين ويصح ان
يكون هم ابتداء والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والفلاح الظفر بالبغية وادراك الامل ومنه قول لبيد
اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من كان عقل وقد رددت العرب استعار فيها الفلاح بمعنى البقا كقوله و
يرجو الفلاح بعد عاد وحمير وكقول الاضبط لكل هم من الهموم سعة والصبح والمسى لا فلاح معه والبقا النعمة
ادراك الامل والظفر بالبغية اذ هو داعية ذلك وسلامه وحكى الخليل الفلاح على المعنيين قوله تعالى ان
الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة ولهم عذاب عظيم ٥ معنى الكفر ماخوذ من قولهم كفر اذا غطى وستر ومنه قول الشاعر في ليلة كفر
النجوم غمامها اى سترها ومنه سمي الليل كافرا لانه يغطي كل شيء بسواده قال الشاعر فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما
القت ذكاء يمينها في كافر ومنه قيل للزراع كفار لانهم يغطون الحب فكفر الذين معناه غطا قلبه
بالكل بالدين عن الايمان او غطا الحق باقواله وافعاله واختلف فيمن نزلت هذه الاية بعد الاتفاق على انها
غير عامة لوجود الكفار قد اسلموا بعدها فقال قوم هي فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن اراد الله تعالى ان يعلم
ان في الناس من هذه حالة دون ان يعين احدا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في حيي بن اخطب وابي ياسر
وابن الاشرف ونظرائهم وقال الربيع ابن انس نزلت في قادة الاحزاب وهم اهل القليب ببدر قال
الفقيه هكذا حكى هذا القول وهو خطا لا قادة الاحزاب قد اسلم كثير منهم وليسوا اهل القليب وانما
ترتب الاية في اصحاب القليب والقول الاول مما حكيناه هو المعتمد عليه وكل من عين احدا فانما مثل بمن
كشف الغيب بموته على الكفر انه في ضمن الاية وقوله تعالى سواء عليهم معناه معتدل عندهم ومنه
قول الشاعر وليل يقول الناس من ظلماته سواء صحيحات العيون وعورها قال ابو علي في اللفظة اربع
لغات سوى بكسر السين وسوا بفتحها والمد وهاتان لغتان معروفتان ومن العرب من يكسر السين
ويمد ومنهم من يضم اوله ويقصره وهاتان اللغتان اقل من تلك ويقال متى بمعنى سوا كما يقال قوم في قوا
وسواء رفع على خبر ان او رفع على الابتداء وخبره فيما بعده والجملة خبر ان ويصح ان يكون خبر ان لا يؤمنون
وقرا ابو عمرو وابن كثير ونافع اانذرتهم بهمزة مطولة وكذلك ما اشبه ذلك في جميع القران وكذلك
كانت قراءة الكسائي اذا خفف غير ان مد ابي عمرو اطول من مد ابن كثير لانه يدخل بين الهمزتين الفا
وابن كثير لا يفعل ذلك وروى قالون واسمعيل بن جعفر عن نافع ادخال الالف بين الهمزتين

مع تخفيف الثانية وروى عنه ورش تخفيف الثانية بين بين دون ادخال الف فاما عاصم وحمزة والكساى
اذا حققوا وابن عامر فبالهمزتين أأنذرتهم وما كان مثله في كل القرآن وقرا ابن عباس وابن ابي اسحاق
بتخفيف الهمزتين وادخال الف بينهما وقرا الزهري وابن محيصن انذرتهم بحذف الهمزة الاولى ويدل ام
على الالف المحذوفة وكثر مكي في هذه الاية بذكر جايزات لم تقرا بها وحكاية مثل ذلك في كتب التفسير
عنا والانذار اعلام بتخويف هذا حده وانذرت فعل يتعدى الى مفعولين قال الله عز وجل فقل
انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقال انا انذرناكم عذابا قريبا واحد المفعولين في هذه
الاية محذوف لدلالة المعنى عليه وقوله تعالى انذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه
الخبر وانما جرى عليه لفظ الاستفهام لان فيه التسوية التي هي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت مخبرا
سوا علي اقعدت ام ذهبت واذا قلت مستفهما اخرج زيد ام قام فقد استوى الامران عندك هذا
في الخبر وهذان في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام
لمشاركته اياه في الابهام وكان استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقوله تعالى ختم ماخوذ من
الختم وهو الطبع والخاتم الطابع وذهبت طائفة من المتاولين الى ان ذلك على الحقيقة وان القلب على هيئة
الكف ينقبض مع زيادة الضلال والاعراض اصبعا اصبعا وقال اخرون ان ذلك على المجاز وان ما خلق الله
في قلوبهم من الكفر والضلال والاعراض عن الايمان سماه ختما وقال اخرون ممن حمله على المجاز ان الختم هنا
اسند الى الله تعالى لما كفر الكافرون به واعرضوا عن عبادته وتوحيده كما يقال اهلك المال فلانا وانما
اهلكه سوء تصرفه فيه وقرا الجمهور وعلى سمعهم وقرا ابن عبلة وعلى اسماعهم وهو في قراءة الجمهور
مصدر يقع للقليل والكثير وايضا فلما اضيف الى ضمير جماعة دل المضاف اليه على المراد ويحتمل ان
يريد على مواضع سمعهم فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والغشاوة الغطا المغشي للشي
ومنه قول النابغة هلا سالت بني ذبيان ما حسبي اذا الدخان تغشى الاشمط البرما وقال اخر
صحبتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي الومها ورفع غشاوة على الابتداء وما قبله خبره
وقرا عاصم فيما روى المفضل الضبي عنه غشاوة بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة والختم
على هذا التقدير في القلوب والاسماع والغشاوة على الابصار والوقف على قوله وعلى سمعهم وقرا
الباقون غشاوة بالرفع قال ابو علي وقراءة الرفع اولى لان النصب اما ان يحمله على ختم الظاهر فيعرض
في ذلك انك حلت بين حرف العطف والمعطوف به وهذا عندنا انما يجوز في الشعر واما ان يحمله على
فعل يدل عليه ختم تقديره وجعل على ابصارهم فيجي الكلام من باب متقلدا سيفا ورمحا وقول الاخر علفتها تبنا
وماء باردا ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حال سعة واختيار فقراءة الرفع احسن ويكون الواو عاطفة
جملة على جملة قال ولم اسمع من الغشاوة فعلا مصرفا بالواو فاذا لم يوجد ذلك وكان معناها معنى ما
الكلام منه السامر غشي يغشي بدلالة قولهم الغشيان فالغشاوة من غشي كالجباوة من جبيت ان الواو كانها
بدل من اليا اذ لم يصرف منه فعل كما لم يصرف من الجباوة وقال بعض المفسرين الغشاوة على الاسماع والا
والابصار والوقف في قوله على قلوبهم وقال اخرون الختم في الجميع والغشاوة هي الختم قال الفقيه وقد ذكرنا
اعتراض ابي علي هذا القول وقال ابو حيوة غشوة بفتح الغين والرفع وهي قراءة الاعمش وقال الثوري كان
اصحاب عبد الله يقرؤنها غشية بفتح الغين واصوب هذه القرات المقروبها ما عليه السبعة من كسر الغين
على وزن عمامة والاشيا التي هي ابدا مشتملة وكذلك يجي وزنها كالصمامة والعمامة والكنانة والعصابة
والربابة وغير ذلك وقوله تعالى ولهم عذاب عظيم معناه لمخالفتك يا محمد وكفرهم بالله استوجبوا ذلك وعظيم
معناه بالاضافة الى عذاب دونه يتخلله فتور وبهذا التخلل المتصور يصح ان يتفاضل العرضان
كسوادين احدهما اسبغ من الاخر اذ تخلل الاخر ما ليس بسواد قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون ن
كان اصل النون ان يكسر لالتقاء لكنها تفتح مع الالف واللام ومن قال استثقلت كسرتان يتوالى في كلمة
على حرفين فمعترضين بقولهم من ابنك ومن اسمك وما اشبهه واختلف النحويون في لفظة الناس فقال
قوم هي من نسي فاصل ناس نسي قلب فجاء نسي تحركت اليا وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا فقيل ناس ثم دخلت
الالف واللام وقال اخرون ناس اسم من اسماء الجموع دون هذا التعليل دخلت عليه الالف واللام وقال اخرون
اصل ناس اناس دخلت الالف واللام فجاء الاناس حذفت الهمزة فجاء الناس ادغمت اللام في النون لتقارب المخارج
وهذه الاية نزلت في المنافقين وقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله رجع من لفظ الواحد الى لفظ الجمع
بحسب لفظ من ومعناها وحسن ذلك لان الواحد قبل الجمع في الرتبة ولا يجوز ان يرجع متكلم من لفظ جمع
الى توحيد لو قلت ومن الناس من يقولون ويتكلم لم يجز وسمى الله تعالى يوم القيمة الاخر لانه لا ليل بعده
ولا يقال يوم الا لما تقدمه ليل ثم نفى تعالى الايمان عن المنافقين وفي ذلك رد على الكرامية في قولهم ان الايمان
قول باللسان وان لم يعتقد بالقلب واختلف المتاولون في قوله تعالى يخادعون الله فقال الحسن المعنى

يخادعون رسول الله

يخادعون رسول الله فاضاف الامر الى الله تجوزا لتعلق رسوله به ومخادعتهم هي تحيلهم في ان يفشي رسول الله والمؤمنون
اليهم اسرارهم فيتحفظون مما يكرهونه ويتنبهون من ضرر المؤمنين على ما يحبونه وقال جماعة من المتاولين بل يخادعون
الله والمؤمنين وذلك بان يظهروا من الايمان خلاف ما ابطنوا من الكفر لتحقيق دمائهم ويحرزوا اموالهم ويظنون
انهم قد نجوا وخدعوا وفازوا وانما خدعوا انفسهم لحصولهم في العذاب وما شعروا لذلك واختلف القرا في
يخادعون الثاني فقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو يخادعون وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكساى وما يخدعون
وقرا ابو طالب عبد السلام ابن شداد والجارود بن ابي سبرة يخدعون بضم اليا وقراها قتادة ومورق العجلي
يخدعون بضم اليا وفتح الخا وكسر الدال وشدها ووجه قراءة ابن كثير ومن ذكر احراز تناسب اللفظ وان
يسمى الفعل الثاني باسم الفعل الاول المسبب له ويجي ذلك كما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق
جهل الجاهلينا فجعل انتصاره جهلا ويؤيد هذا النوع في هذه الاية ان فاعل قد يجي من واحد كعاقبت اللص
وطارقت النعل ويتجه ايضا هذه القراءة بان يترك ما يخطر ببالهم ويهجس في خواطرهم من الدخول في الدين
والنفاق فيه والفكر في الامر وضده في هذا المعنى بمنزلة مجاوره اجنبيين فيكون الفعل كانه من اثنين
فقد قال الشاعر يذكر من انا ومن اين شربه يؤامر نفسيه لذي الهجمة الابل وانشد ابن الاعرابي لم تدر
ما لا ولست قائلها عمرك ما عشت اخذ الابل ولم تؤامر نفسك عمرا فيها وفي احسها ولم يلد وقال
الاخر يؤامر نفسيه وفي العيش فسحة اسرتبع الذود ام لا يطورها وانشد حلب عن ابن الاعرابي
وكنت كذات الضيع لم تدر اذ بغت تؤامر نفسيها اتسرق ام تزني ووجه قراءة عاصم ومن ذكر ان
ذلك الفعل هو خدع لا نفسهم يمضي عليها يقول خادعت الرجل بمعنى اعملت التحيل عليه فخدعته
بمعنى تمت عليه الحيلة ونفذ فيه المراد والمصدر خدع بكسر الخا خديعة حكى ذلك ابو زيد فمعنى الاية
وما يخدعون السوء الا على انفسهم وفيها ووجه قراءة ابي طالوت احد امرين اما ان يقدر الكلام
وما يخدعون الا عن انفسهم فحذف حرف الجر ووصل الفعل كما قال تعالى واختار موسى قومه
اي من قومه واما ان يكون يخدعون اعمل عمل ينقصون لما كان المعنى وما ينقصون ويسلبون
الا انفسهم ونحوه قوله تعالى ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ولا يقول رفثت الى المراة لكن لما
كان بمعنى الافضا ساغ ذلك منه قوله تعالى هل لك الى ان تزكى وانما يقال هل لك في كذا و
لكن لما كان المعنى اجذبك الى ان تزكى ساغ ذلك وحسن وهذا باب سني من فصاحة الكلام ومنه
قول الفرزدق كيف تراني قالبا مجني قد قتل الله زيادا عني لما كانت تثل قد دخلها معنى صرف ومنه
قول الاخر اذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله اعجبني رضاها لما كانت رضيت قد تضمنت معنى
اقبلت علي واما الكساي فقال في هذا البيت وصل رضي بعلى كما يوصل بنقيضه وهو سخط وقد
يجري امور في اللسان مجرى نقائضها ووجه قراءة قتادة المبالغة في الخدع اذ هو مصير الى عذاب
الله قال الخليل يقال الخادع من واحد لان في المخادعة مهلة كما يقال عالجت المريض لمكان المهلة
قال الفقيه وهذا مرد قيق نظره وكانه يرد فاعل الى اثنين ولابد من حيث ما فيه مهلة ومدافعة ومما
ماطلة فكانه يقاوم في المعنى الذي يجي فيه فاعل وقوله تعالى وما يشعرون معناه وما يعلمون علم
تفطن وتنبه والشعار وهي لفظة ماخوذة من الشعار كان الشي المتفطن له شعار للنفس
والثوب الذي يلي جسد الانسان وهو ماخوذ من الشعر والشاعر المتفطن لغريب المعاني وقولهم
ليت شعري معناه ليت فطنتي يدرك من هذا المعنى قول الشاعر عفوا بسهم فلم يشعر به احد ثم
استفاؤوا وقالوا حبذا الوضح واختلف الذي نفى الله عنهم ان يشعروا له فقالت طائفة
وما يشعرون ان ضرر تلك المخادعة راجع عليهم لخلودهم في النار وقال اخرون وما يشعرون
ان الله تعالى يكشف لك سرهم ومخادعتهم في قولهم امنا قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن
مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ن المرض عبارة مستعارة للفساد الذي
في عقايد هؤلاء المنافقين وذلك اما ان يكون شكا واما جحدا بسبب حسدهم مع علمهم بصحة
ما يجحدون وبنحو هذا فسر المتاولون وقال قوم المرض غمهم بظهور امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقرا الاصمعي عن ابي عمرو مرض بسكون الرا وهي لغة في المصدر قال ابو الفتح وكسر
بتخفيف واختلف المتاولون في معنى قوله تعالى فزادهم الله مرضا فقيل هو دعا عليهم وقيل
هو خبر ان ذلك قد نعل بهم وهذه الزيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين فهي
على هؤلاء المنافقين عمى وكلما كذبوا ازدادوا المرض وقرا حمزة فزادهم بكسر الزاي وكذلك
ابن عامر وكان ما وقع يميل الراي الى الكسر وفتح الباقون واليم معناه مولم كما قال عمرو بن معدي
امن ريحانة الداعي السميع بمعنى مسمع وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر يكذبون بضم اليا

وتشديد الذال وقرا الباقون بفتح اليا وتخفيف الذال فالقراة بالتثقيل يويدها قوله تعالى وما هم
بمؤمنين فهذا اخبار بانهم يكذبون والقراة بالتخفيف يؤيدها ان سياق الايات قيل انما هي اخبار
بكذبهم والتوعد بالعذاب الاليم متوجه على التكذيب وعلى الكذب في مثل هذه النازلة هو منطق
على الكفر وقراة التثقيل ارجح واذا ظرف زمان وحكي عن المبرد انها في قولك في المفاجاة خرجت
فاذا حضور زيد فانما تضمنت المصدر كما يقتضيه سائر ظروف الزمان ومنه قولهم اليوم خمر
وغدا امر فمعناه وجود خمر ووقوع امر والعامل في اذا في هذه الاية قالوا واصل قيل قول نقلت حركت الواو الى
القاف فقلبت يا لانكسار ما قبلها وقرا الكسائي قيل وغيض وسي وسيت وحيل وسيق وجي بضم اوائل ذلك
كله واوي مثل هذا عن ابن عامر وروي ايضا عنه كسر غيض وقيل وجي الغين والقاف والجيم حيث وقع من القران
وضم نافع من ذلك كله حرفين سي وسيت وكسر ما بقي وكان ابن كثير وعاصم وابو عمرو وحمزه يكسرون اوائل هذه
الحروف كلها والضمير في لهم هو عايد الى المنافقين المشار اليهم قبل فقال بعض الناس الاشارة هنا الى منافقي
اليهود وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه في تفسير هذه الاية لم يجي هؤلاء بعد ومعنى قوله لم يسفروا بل هم يجيون
في كل زمان ولا تفسدوا معناه بالكفر وموالاة الكفرة ونحن اسم من ضمائر المرفوع مبني على الضم اذ كان اسما
قويا يقع للواحد المعظم والاثنين والجماعة فاعطي اسنى الحركات وايضا فلما كان في الاغلب ضمير جماعة
وضمير الجماعة في الاسماء الظاهرة الواو اعطي الضمة اذ هي اخت الواو ولقول المنافقين انما نحن
مصلحون ثلاث تاويلات احدها جحدا انهم يفسدون وهذا استمرار منهم على النفاق والثاني انهم يقرون
بموالات الكفار ويدعون انها اصلاح من جهة قرابة يوصل والثالث انهم مصلحون بين الكفار والمؤ
والمؤمنين وكذلك يداخلون الكفار والا استفتاح كلام وان تكسر الالف استينافا وهم الثاني
رفع بالابتداء والمفسدون خبره والجملة خبران ويحتمل ان يكون فصلا ويسميه الكوفيون
العماد ويكون المفسدون خبران فعلى هذا لا موضع لهم من الاعراب ويحتمل ان يكون تاكيدا
للضمير في انهم فموضعه نصب ودخلت الالف واللام في قوله المفسدون لما تقدم ذكر اللفظة
في قوله لا تفسدوا فكانه ضرب من العهد ولو جاء الخبر عنهم ولم يتقدم من اللفظة الا انهم
مفسدون قاله الجرجاني قال الفقيه وهذه الالف واللام يتضمن المبالغة كما يقول زيد هو
الرجل اي حق الرجل فقد يستغني عن مقدمة يقتضي عهدا ولكن بجملته حرف استدراك ويحتمل
ان يراد هنا لا يشعرون انهم مفسدون ويحتمل ان يراد لا يشعرون ان الله يفضحهم وهذا
مع ان يكون قولهم انما نحن مصلحون جحدا محضا للافساد وللاحتمال هو بان يكون قولهم انما نحن مصلحون
اعتقادا منهم انه صلاح في صلة القرابة او اصلاح بين المؤمنين والكافرين وقوله تعالى واذا
قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن
مستهزءون ن المعنى محمد وشرعه على ما صدق المهاجرون والمحققون من اهل يثرب قالوا الكو
كالذين خفت عقولهم والسفه الخفة والرقة الداعية الى الخفة يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا
هلهل النسج ومنه قول ذي الرمة مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح
النواسم وهذا القول انما كانوا يقولونه خفيا فاطلع الله عليه نبيه والمؤمنين وقرن
ان السفه ورد الحلوم وفساد البصائر انما هو في خبرهم وصفة لهم واخبرانهم لا يعلمون
انهم هم السفهاء للرين الذي في قلوبهم وقال قوم الاية نزلت في منافقي اليهود والمراد بالناس
عبد الله بن السلام ومن اسلم من بني اسرائيل قال الفقيه وهذا تخصيص لا دليل عليه ولقوا اصله
لقيوا استثقلت الضمة على اليا فسكنت فاجتمع الساكنان فحذفت اليا وقرا ابن السميقع لاقوا
الذين وهذه كانت حال المنافقين اظهار الايمان للمؤمنين واظهار الكفر في خلواتهم بعضهم مع
بعض وكان المؤمنون يلدسونهم على ذلك بل مع القرابة فلم يلتمس عليهم الشهادة ولا اكثر
شهرتهم في النفاق ظهورا يوجب لوضوحه الحكم بقتلهم وكل بما يظهرونه من الايمان يحقن دماءهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم ويدعهم في غمرة الاشتباه مخافة ان يتحدث عنه انه
يقتل اصحابه فيسفر الناس حسب ما قال عليه السلام لعمر بن الخطاب حين قال له في وقت
قول عبد الله بن ابي سلول ليخرجن الاعز منها الاذل القصة دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا
المنافق فقال دعه لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فهذه طريقة اصحاب مالك رحمه الله في معنى
كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين مع علمه بكفرهم في الجملة نص على هذا محمد بن الجهم
واسمعيل القاضي والابهري وابن الماجشون واحتج بقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما

نقفوا

١٣

ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال قتاده معناه اذا هم اعلنوا النفاق قال مالك رحمه الله النفاق في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الزندقة فينا اليوم فيقتل الزنديق اذا شهد عليه بها دون استتابة
لانه لا يظهر ما يستتاب منه وانما كف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين ليبين لامته ان
الحاكم لا يحكم بعلمه اذ لم يشهد على المنافقين قال القاضي اسمعيل لم يشهد على عبد الله بن ابي الا
زيد بن ارقم وحده ولا على الجلاس بن سويد الا عمير بن سعد ربيبه وحده ولو شهد على احد منهم رجلان
بكفره ونفاقه قتل قال الفقيه اقوى من انفراد زيد وغيره ان اللفظ ليس بتصريح كفر وانما يفهم من قوته الكفر
قال الشافعي رحمه الله عليه السنه فيمن شهد عليه بالزندقة فجحد واعلن الايمان وتبرا من كل دين سوى
الاسلام ان ذلك يمنع من اراقة دمه وبه قال اصحاب الراي والطبري وغيرهم قال الشافعي واصحابه وانما منع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الاسلام بالسنتهم مع العلم بنفاقهم
لان ما يظهرونه يجب ما قبله فمن قال ان عقوبة الزنادقة اشد من عقوبة الكفار فقد خالف
معنى الكتاب والسنة وجعل شهادة الشهود على الزنديق فوق شهادة الله على المنافقين قال الله تعالى
اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون قال الشافعي وابو حنيفه وابن حنبل واهل الحديث فالمعنى الموجب لكف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قتل المنافقين مع العلم بهم ان الله نهاه عن قتلهم اذا اظهروا الايمان وصلوا فكذلك هو
الزنديق واحتج ابن حنبل لحديث عبيد الله بن عدي بن الخيار عن رجل من الانصار في الذي شهد عليه عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفاق فقال اليس يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قالوا بلى ولا
شهادة له قال اليس يصلي قالوا بلى ولا صلوة له قال اولئك الذين نهاني الله عنهم وذكر ايضا اهل الحديث
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فيهم لعل الله سيخرج من اصلابهم من يؤمن بالله وحده
ويصدق المرسلين ويخلص العبادة لرب العالمين قال ابو جعفر الطبري في كتاب اللطيف في باب المرتد
ان الله تعالى قد جعل الاحكام بين عباده على الظاهر وتولى الحكم في سرائرهم دون احد من خلقه
فليس لاحد ان يحكم بخلاف ما ظهر لانه حكم بالظنون ولو كان ذلك لاحد كان اولى الناس به رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد حكم للمنافقين بحكم المسلمين بما اظهروا ووكل سرائرهم الى الله وقد كذب
الله ظاهرهم في قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال الفقيه ينفصل المالكيون عما لزموه من
هذه الاية بانها لم يعين اشخاصهم وانما جاء فيها توبيخ لكل مغموص عليه بالنفاق وبقي لكل واحد منهم ان يقول لم ارد بها
ولا انا الا مومن ولو عين احد لما جب كذبه شيا وقوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم وصلت خلوا بالى
وعرفها ان يصل بالبا فيقول خلوت بفلان من حيث نزلت خلوا في هذا الموضع منزلة ذهبوا وانصرفوا اذ هو
فعل معادل لقوله لقوا وهذا مثل ما تقدم من قول الفرزدق قد قتل الله زيادا عني لما انزلها منزلة صرف
ورد وقال مكي يقال خلوت بفلان بمعنى سخرت به فجاء الى في الاية دوا لا عن الاشتراك في البا وقال
قوم الى بمعنى مع وفي هذا ضعف ويأتي بيانه ان شا الله تعالى في تفسير قوله من انصاري الى الله وقال قوم
الى بمعنى البا اذ حروف المعاني يبدل بعضها من بعض وهذا ضعيف باباه الخليل وسيبويه وغيرهما
واختلف المفسرون في المراد بالشياطين فقال ابن عباس رضي الله عنه هم رؤسا الكفره وقال ابن الكلبي
وغيرهم شياطين الجن قال الفقيه وهذا في الموضع بعيد وقال جمع من المفسدين هم الكهان ولفظ الشيطنة
الذي معناه البعد عن الايمان والخير تعم جميع من ذكر والمنافقين حتى يقدر كل واحد شيطان غيره فمنهم
الخالون ومنهم الشياطين ومستهزءون معناه يتخذ هؤلاء الذين تابعوهم باظهار الايمان هزؤا ويسخ
هروا ويسخف بهم ومذهب سيبويه رحمه الله ان يكون الهمزة مضمومة على الواو في مستهزءون
وحكى عنه ابو علي انها تخفف بين بين ومذهب ابي الحسن الاخفش ان يقلبوا الهمزة يا قلبا صحيحا
فيقرا مستهزيون قال انه حمل البا الضمة يذكر لحال الهمزة المضمومة والعرب تعاريا مضمومة
قبلها كسره واكثر القرا على ما ذهب اليه سيبويه ويقال هزي واستهزا بمعنى فهو كعجب واستعجب
ومنه قول الشاعر ومستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم قوله تعالى الله يستهزئ
بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين ن اختلف المفسرون في هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هي تسمية العقوبة
باسم الذنب والعرب يستعمل ذلك كثيرا ومنه قول الشاعر الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل
الجاهلينا وقال قوم ان الله تعالى يفعل بهم افعالا هي في تامل البشر هزو بحسب ما يروى ان النار
تجمد كما تجمد الاهالة فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم وما يروى ان ابواب النار تفتح
لهم فيذهبون الى الخروج نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن وقال قوم استهزاؤه هو استدراجهم من حيث
لا يعلمون وذلك انهم بدرور نعم الله الدنيا اية عليهم يظنون انه راض عنهم وهو تعالى
قد حتم عذابهم فهذا على تامل البشر كانه استهزا وعدهم في الشر وامدهم في الخير وقال غيره يقال

مد الشي ومده ما كان منه ومن جنسه وامره ما كان مغايرا له تقول مد النهر ومد نهر اخر ويقال امده
قال اللحياني يقال لكل شي دخل فيه مثله فكثره مده يمده مدا وفي التنزيل والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ومادة
الشي ما يمده دخلت فيه الها للمبالغة قال ابن فسه وغيره مددت الدواة وامددتها بمعنى قال الفقيه
وسعه ان يكون مددتها جعلت الى مدادها اخر وامددتها جعلتها ذات مداد مثل فروا فروحصروا
حصر ومددنا القوم صرنا لهم انصارا وامددناهم بغيرنا وحكى اللحياني ايضا امدا الامير جنده بالخيل
وفي التنزيل وامددناكم باموال وبنين قال بعض اللغويين ويمدهم في طغيانهم يعمهون اي يمهلهم ويلجئهم
قال الفقيه فيحتمل اللفظة ان يكون من المد الذي هو المطل والتطويل كما فسر في عمد ممددة ويحتمل
ان يكون من معنى الزيادة في نفس الطغيان والطغيان العلو وتعدي الحد كما يقال طغى الماء وطغت النار
وروى عن الكسائي اماله طغيانهم ويعمهون معناه يترددون حيرة والعمه الحيرة من جهة النطق و
الغامه الذي كان لا يبصر من البحر في كلام او فلاة اوهم وقوله تعالى اولئك اشارة الى المتقدم ذكرهم وهو
رفع بالابتداء والذين خبره واشتروا صلة للذين واصله اشتريوا تحركت اليا وانفتح ما قبلها فقلبت الفا
فحذفت لالتقاء الساكنين وقيل استثقلت الضمة على اليا وحذفت لالتقاء الساكنين وحركت الواو
بعد ذلك لالتقائها بالساكن بعدها وخصت بالضم لوجوه منها ان الضمة اخت الواو واخف الحركات
عليها ومنها انها لما كانت واو جماعة ضمت كما فعل بالنون في نحن ومنها انها ضمت اتباعا لحركة
الياء المحذوفة قبلها قال ابو علي صار الضم فيها اولى لتفصل بينها وبين واو او ولو اذ هذان حركتا
بالكسر وقرا ابو السمال قعنب العدوي بفتح في اشتروا الضلالة وقراها يحيى بن يعمر بكسر الواو
والضلالة والضلال التلف نقيض الهدى الذي هو الرشاد الى المقصد واختلف عبارة المفسرين
على معنى قوله اشتروا الضلالة بالهدى فقال قوم اخذوا الضلالة وتركوا الهدى وقال آخرون
استحبوا الضلالة ويجتنبوا الهدى كما قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى وقال اخرون الشرا
استعارة وتشبيه لما تركوا الهدى وهو معرض لهم ووقعوا بدله في الضلالة واختاروها
سموا بما اشتري فكانهم دفعوا في الضلالة هداهم اذ كان لهم اتخاذه وبهذا المعنى
تعلق مالك رحمه الله في منع ان يشتري الرجل على ان يتخذ في كل ما يختلف احاد جنسه ولا يجدد
فيه التفاصيل وقال قوم الاية ضمن كان امن من المنافقين ثم ارتد في باطنه وعقله ويقرب
الشرا من الحقيقة على هذا وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم جعل للمثل بما يشبهه سداه من
لفظة الشرا واسند الربح الى التجارة كما قالوا ليل نائم ونهار صائم والمعنى فما ربحوا في تجارتهم
وقرا ابراهيم بن ابي عبلة فما ربحت تجاراتهم بالجمع وقوله تعالى وما كانوا مهتدين قيل المعنى
في شرائهم هذا وقيل على الاطلاق وقيل في سابق علم الله وكل هذا يحتمله اللفظ قوله تعالى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ن المثل والمثل والمثيل واحد ومعناه التشبيه هكذا نص
اهل اللغة والمثل ثلاث المتشابهات وقد يكون مثل الشي جرما مثله وقد يكون ما يعقل النفس
وتتوهمه من الشي مثالا له فقوله تعالى مثلهم كمثل معناه ان الذي يحصل في نفس الناظر في امرهم
كالذي يحصل في نفس الناظر في امر المستوقد وبهذا يزول الاشكال الذي في تفسير قوله تعالى مثل
الجنة وفي تفسير قوله تعالى ليس كمثله شي لان ما يحصل للعقل من وحدانيته وازليته ونفي ما لا
يجوز عليه ليس يماثله فيه شي وذلك المتحصل هو المثل الاعلى الذي في قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقد جاء
في تفسيره انه لا اله الا الله ففسر بجهة الوحدانية وقوله مثلهم رفع بالابتداء والخبر في الكاف وهي
على هذا اسم كما هي في قول الاعشى اتنتهون ولا ينهى ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل
ويجوز ان يكون الخبر محذوفا تقديره مثلهم مستقر كمثل فالكاف على هذا حرف ولا يجوز ذلك في بيت
الاعشى لان المحذوف فاعل تقديره شي كالطعن والفاعل لا يجوز حذفه عند جمهور البصريين ويجوز
حذف خبر الابتداء اذا كان الكلام دالا عليه وجوز الاخفش حذف الفاعل وان تكون الكاف
في بيت الاعشى حرفا ووحد الذي لانه لم يقصد تشبيه الجماعة بالجماعة وانما المقصد ان كل واحد
من المنافقين مثله كمثل المستوقد والذي ايضا ليس باشارة الى واحد ولا بد ان يكون هذا الفعل
وقع من واحد او من جماعة قال النحويون الذي اسم مبهم يقع للواحد والجمع والمستوقد قيل معناه
اوقد فذلك بمنزلة تعجب واستعجب بمعنى قال ابو علي وغيره هوى واستهوى وسخر واستسخر
وعلا وقر واستعلاه وقد جاء استفعل بمعنى افعل اجاب واستجاب ومنه قول الشاعر وداع دعا
يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب واخلف لاهله واستخلف اذا احلب لهم الماء ومنه
قول الشاعر ومستخلفات من بلاد تنوفة لمصفرة الاشداق حمر الحواصل ومنه قول الاخر سقاها ورواها
من الماء مخلف ومنه اوقد واستوقد قاله ابو زيد وقيل استوقد يراد به طلب من غيره ان يوقد له

على

على المشهور من باب استفعل وذلك يقتضي حاجته الى النار وانطفاؤها مع حاجته اليها انكى له واختلف في
اضاءت فقيل يتعدى لانه نقل بالهمزة من ضاء ومنه قول العباس بن عبد المطلب في النبي عليه السلام وانت لما
ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الطرق وعلى هذا فما في قوله ما حوله مفعوله وقيل اضاءت لا يتعدى
لانه يقال ضاء واضاء بمعنى فما زائدة وحوله ظرف واختلف المتاولون في فعل المنافقين الذي يشبه
فعل الذي استوقد نارا فقالت طائفة هي فيمن كان آمن ثم كفر بالنفاق فايمانه بمنزلة النار اضاءت
وكفره بمنزلة انطفائها وذهاب النور وقال الحسن وغيره ان ما يظهر المنافق في الدنيا من الايمان فيحصن
دمه وحرم ماله وسالح والحالط كالنار التي اضاءت ما حوله فاذا مات صار الى العذاب الاليم فذلك
بمنزلة انطفائها وبعده في الظلمات وقالت فرقة ان اقبال المنافقين الى المسلمين وكلامهم معهم
كالنار وانصرافهم الى مردتهم وارتكاسهم عندهم كذهابها وقالت فرقة ان المنافقين كانوا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمنزلة بما اظهروا فلما افضحهم الله واعلم بعلامتهم سقطت المنزلة فكان
ذلك كله بمنزلة النار وانطفائها وقالت فرقة منهم قد لا نطقهم بلا اله الا الله والقران كاضاءة
النار واعتقادهم للكفر بقلوبهم كانطفائها وقال جمهور النحاة جواب لما ذهب ويعود الضمير من
نورهم في هذا القول على الذي ويصح شبه الاية بقول الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم
كل القوم يا ام خالد وعلى هذا القول يتم تمثيل المنافق بالمستوقد لان بقاء المستوقد في ظلمات
لا يبصر كبقاء الكافر على الاختلاف المتقدم وقال قوم جواب لما مضمر وهو طفئت والضمير في نورهم
على هذا المنافقين والاخبار بهذا هو عن حال يكون في الاخرة وهو قوله تعالى فضرب بينهم بسور له
باب قال الفقيه وهذا القول عندي قوي وقرا الحسن وابو السمال في ظلمات بسكون اللام وقرا
قوم ظلمات بفتح اللام قال ابو الفتح في ظلمات وكسرات ثلاث لغات اتباع الضم الضم والكسر الكسر
او التخفيف بان يعدل الى الفتح في الثاني او التخفيف بان يسكن الثاني وذلك جائز حسن فاما فعلة بالفتح
فلا بد فيه من التعدل اتباعا فيقول ثمرة وثمرات قال الفقيه وذهب قوم في ظلمات بفتح اللام الى انه
جمع ظلم فهو جمع جمع والاصم الذي لا يسمع والابكم الذي لا ينطق ولا يفهم فاذا فهم فهو الاخرس وقيل
الاصم والاخرس واحد ووصفهم بهذه الصفات اذ اعمالهم من الخطا وقلة من الاجابة كاعمال من هذه
صفته وصم رفع على خبر ابتداء فاما ان يكون ذلك على تقدير تكرار اولئك واما على اضمارهم وقرا عبد الله
ابن مسعود وحفصة ام المؤمنين صما وبكما وعميا بالنصب ونصبه على الحال من الضمير في مهتدين
وقيل نصبه على الذم وفيه ضعف واما من جعل الضمير في نورهم للمنافقين لا للمستوقدين فنصب
هذه الصفات على الحال من الضمير في تركهم قال بعض المفسرين قوله تعالى فهم لا يرجعون اخبار منه تعالى
انهم لا يؤمنون بوجه وانما كان يصح هذا ان لو كانت الاية في معينين وقال غيره معناه فهم لا يرجعون
ما داموا على الحال التي وصفهم بها وهذا هو الصحيح لان الاية لم تعين وكلهم معرض للرجوع مدعو اليه قوله
تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله
محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شي قدير ن او للتخيير معناه مثلوهم بهذا او بهذا لا على الاقتصار
على احد الامرين وقوله كصيب معطوف على كمثل الذي وقال الطبري او بمعنى الواو وقال الفقيه وهذه عجمة والصيب
المطر من صاب يصوب اذا انحط من علو الى سفل ومنه قول علقمة بن عبدة كانهم صابت عليهم سحابة صواعقها
لطيرهن دبيب وقول الاخر فليست لانسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصوب واصل صيب صيوب اجتمعت
اليا والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت كما فعل في سيد وميت وقال بعض
الكوفيين اصل صيب صويب على مثال فعيل وكان يلزمه ان لا يعل كما لم يعل طويل فبهذا يضعف هذا القول
وقوله تعالى ظلمات بالجمع اشارة الى ظلمة الليل وظلمة الدجن من حيث يتراكب ويتزيد وجمعت وكون الدجن
مظلما هو وغمة النفس بخلاف السحاب والمطر اذا انجلى دجنه فانه سار جميل ومنه قول قيس بن الحطيم
فما روضة من رياض القطا كان المصابيح حوذانها باحسن منها ولا مزنة دلوح يكشف ادجانها
فقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما
خالفت سحابة صاح بها فاذا اشتد غضبه طار النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد
وقيل الرعد ملك وهذا الصوت تسبيحه وقيل الرعد اسم الصوت المسموع قاله علي بن ابي طالب وهذا
هو المعلوم في لغة العرب وقد قال لبيد في جاهليته فجعني الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة
النجد وروي عن ابن عباس انه قال الرعد ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت وقيل الرعد
اصطكاك اجرام السحاب واكثر العلماء ان الرعد اسم ملك وذلك صوته تسبيح ويزجر السحاب واختلفوا
في البرق فقال علي بن ابي طالب رضي الله هو مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب وقال ابن عباس
هو سوط نور بيد الملك يزجي به السحاب وروي عن ابن عباس ان البرق ملك يتراءى وقال قوم البرق

ما وهذا قول ضعيف والصاعقة قال الخليل هي الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون احيانا معها
قطعة نار يقال انها من المخراق الذي بيد الملك وقيل في قطعة النار انها ما يخرج من فم الملك عند غضبه
وحكى الخليل عن قوم من العرب الساعقة بالسين وقال النقاش يقال صاعقة وصعقة وصاقعة
بمعنى واحد وقرا الحسن من الصواقع بتقديم القاف وقال ابو عمرو وهذه لغة تميم وقرا الضحاك بن مزاحم
حذار الموت بكسر الحاء وبالف واختلف المتاولون في المقصد بهذا المثل وكيف تترتب احوال المنافقين
الموازنة بلا في المثل من الظلمات والرعد والبرق والصواعق فقال جمهور المفسرين مثل الله تعالى
القران بالصيب وما فيه من الاشكال عليهم والعمى هو الظلمات وما فيه من الوعد والزجر هو الرعد
وما فيه من النور والحجج الباهرة التي يكاد احيانا ان تبهرهم هو البرق وتخوفهم وروعهم وحذرهم
هو جعل اصابعهم في اذانهم وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التي يكرهونها
من الجهاد والزكوة ونحوه من الصواعق قال الفقيه وهذا كله صحيح بين وروى عن ابن مسعود
انه قال ان رجلين من المنافقين هربا من النبي صلى الله عليه وسلم الى المشركين واصابهما هذا
المطر الذي ذكر الله وايقنا بالهلاك فقالا ليتنا اصبحنا وناتي محمدا ونضع ايدينا في يده فاصبحا
فاتياه وحسن اسلامهما فضرب الله ما نزل بهما مثلا للمنافقين وقال ايضا ابن مسعود ان المنافقين
في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا القران وضرب الله
المثل بهم قال الفقيه وهذا وفاق القول الجمهور الذي ذكرناه وقال قوم الرعد والبرق هما بمنزلة زجر القران
ووعيده ومحيط بالكافرين معناه بعقابه واخذه يقال احاط السلطان بفلان اذا اخذه اخذا حاصرا من كل جهة
ومنه قوله تعالى واحيط بثمره في الكلام حذف مضاف يكاد فعل سعى للمعنى مع ايجابه وتوجبه مع النفي فهنا
لم يخطف البرق الابصار والخطف الانتزاع بسرعة واختلف القرا في هذه اللفظة فقرا جمهور الناس يخطف
ابصارهم بفتح اليا والطا وسكون الخا على قولهم في الماضي خطف بكسر الطا وهي افصح لغات العرب وهي القرشية
وقرا علي بن الحسين ويحيى بن وثاب يخطف بفتح اليا وسكون الخا وكسر الطا على قول بعض العرب في الماضي خطف
بفتح الطا ونسب المهدوي هذه القراءة الى الحسن والى رجا وذلك وهم وقرا الحسن وابو رجا وعاصم
الجحدري وقتادة يخطف بفتح اليا وكسر الخا والطا وتشديد الطا وهذه اصلها يختطف ادغمت التاء
في الطا وكسرت الخا لالتقا الساكنين وعلي بن مجاهد قراه لم ينسبها الى احد يخطف بفتح اليا والخا وتشديد
الطاء المكسورة قال ابو الفتح اصلها يختطف نقلت حركة التا الى الخا وادغمت التاء في الطاء وحكى ابو
عمرو الداني عن الحسن ايضا انه قرا يخطف بفتح اليا والخا والطا وشددها وروى ايضا عن الحسن والاعمش
يخطف بكسر الثلاثة وشد الطا منها وهذه ايضا اصلها يختطف ادغم وكسرت الخا لالتقا وكسرت
اليا اتباعا وقال عبد الوارث رايتها في مصحف ابي بن كعب يتخطف بالتا بين اليا والخا وقال ابو الفتح
انما هو اختلاس واخفاف لطف عندهم فيرون انه ادغام وذلك لا يجوز لانه جمع بين ساكنين دون
عذر وحكى الفرا قراة عن بعض الناس بضم اليا وفتح الخا وشد الطا مكسورة قال الفقيه كانه تشديد
مبالغة لا تشديد تعدية ومعنى يكاد البرق يخطف ابصارهم يكاد حجج القران وبراهينه واياته
الساطعة تبهرهم ومن جعل البرق في المثل الزجر والوعيد قال يكاد ذلك يصيبهم وكلما ظرف والعامل
فيه مشوا وهو ايضا جواب كلما واصله ما ومن جعل اضا متعدى قدر له مفعولا ومن جعله
بمنزلة ضا استغنى عن ذلك وقرا ابن ابي عبلة اضا لهم بغير همز وهي لغة وفي مصحف ابي بن كعب
من واضه وفي قراءة ابن مسعود مضوا فيه والضحاك واذا اظلم بضم الهمزة وكسر اللام وقاموا
معناه ثبتوا لانهم كانوا قياما ومنه قول الاعرابي وما اقام الدهر معدى معران اي ثبت صغره
يريد اثبت الدهر ومعنى الاية فيما روى عن ابن عباس وغيره كلما سمع المنافقون القران وظهرت
لهم الحجج امنوا ومشوا معه فاذا نزل من القران ما يعمون فيه ويضلون به او تكلفوا به قاموا اي ثبتوا
على نفاقهم وروى عن ابن مسعود ان معنى الاية كلما صلحت احوالهم في زروعهم ومواشيهم
وتوالت عليهم النعم قالوا دين محمد دين مبارك واذا نزلت بهم مصيبة او اصابتهم شدة
سخطوا وثبتوا في نفاقهم وقال قوم معنى الاية كلما خفي عليكم نفاقهم وظهر لكم منهم الايمان مشوا فيه فاذا
افتضحوا عندكم قاموا ووحد السمع لانه مصدر يقع للواحد والجمع وحكى النقاش ان من العلماء من قرا
باسماعهم وقرا ابراهيم بن ابي عبلة ولو شا الله لاذهب اسماعهم وابصارهم وخص الاسماع والابصار
لتقدم ذكرها في الاية وتشبه هذا المعنى في المنافقين ان لا وقع بهم ما يتخوفونه من الزجر والوعيد او
ولفضحهم عند المؤمنين وسلط المؤمنين عليهم وبكل مذهب من هذين قال قوم وقوله تعالى
على كل شي قدير لفظه العموم ومعناه عند المتكلمين فيما يجوز تعالى وصفه بالقدرة عليه وقدير بمعنى
قادر وفيه مبالغة وخص هنا صفته التي هي القدرة بالذكر لانه قد تقدم ذكر فعل مضمنه الوعيد
والاخافة فكان ذكر القدرة مناسبا لذلك قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم

والذين

والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ن يا حرف نداء وفيه ستة واي هو المنادى قال
ابو علي اجتلبت اي بعد حرف النداء فيما فيه الالف واللام لان في حرف النداء تعريفا فكان يجتمع تعريفان وهنا
تنبيه واشارة الى المقصود وهي بمنزلة ذا في الواحد والناس نعت لازم لاي وقال مجاهد يا ايها الناس حيث
وقع في القران مكي ويا ايها الذين امنوا مدني قال الفقيه وقد تقدم في اول السورة انها كلها مدنية وقد يجي
في المدني يا ايها الناس واما في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا فصحيح وقوله تعالى اعبدوا ربكم معناه واحدوه
وخصوه بالعبادة وذكر تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته اذ كانت العرب مقرة بان الله خلقها فذكر ذلك
حجة عليهم ولعل في هذه الاية قال فيها كثير من المفسرين هي بمعنى ايجاب التقوى وليست من الله تعالى بمعنى
ترج وتوقع وقال سيبويه ورؤسا اللسان هي على بابها والترجي والتوقع انما هو في حيز البشر اي اذا تاملتم حالكم
مع عبادة ربكم رجوتم لانفسكم التقوى ولعل متعلقة بقوله اعبدوا ويتجه تعلقها بخلقكم اي لما
ولد كل مولود على الفطرة فهو ان تامله متامل توقع له ورجا ان يكون متقيا وتتقون ماخوذ من الوقاية
واصله توتقيون نقلت حركة اليا الى القاف وحذفت لالتقائها مع اليا الساكنة وادغمت الواو الاولى في التا وقوله
الذي جعل نصب على اتباع الذي المتقدم ويصح ان يكون مرفوعا على القطع وما ذكر مكي من اضمار اعني او مفعول
تتقون فضعيف وجعل بمعنى صير في هذه الاية لتعديها الى مفعولين وفراشا معناه يفترشونها ويستقرون
عليها وما في الارض مما ليس بفراش كالجبال والبحار فهو من مصالح ما يفترش منها لان الجبال كالاوتاد والبحار
تركب فيها الى سائر منافعها والسماء قيل هو اسم مفرد جمعه سموات وقيل هو جمع واحده سماوة وكل ما ارتفع
عليك في الهوا فهو سما والهوا نفسه علوا يقال له سما ومنه الحديث خلق الله ادم طوله في السماء ستون ذراعا واللفظة
من السمو ورصادبعه وقوله تعالى بناء معناه مما بعدهم كما قال تعالى والسما بنيناها بايد وقال بعض الصحابة بناها على
الارض كالقبة وقوله تعالى وانزل من السما ماء يريد السحاب سمي بذلك تجوزا لما كان يلي السما ويقاربها
وقد سموا المطر سماء للمجاورة ومنه قول الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا فيجوز
ايضا في رعيناه فيتوسط المطر جعل السما عشبيا واصل ماء موه يدل على ذلك قولهم في الجمع مياه وامواه
وفي التصغير مويه واطلق اسم الرزق على ما يخرج من الثمرات قبل التملك اي هي معدة ان يصح الانتفاع بها
فهي رزق ورد بهذه الاية بعض الناس قول المعتزلة ان الرزق ما يصح تملكه وليس الحرام برزق و
واحد الانداد ند وهو المقاوم والمضاهي كان مثلا او خلافا او ضدا ومن حيث قاوم وضاهى فقد
حصلت مماثلة ما وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى والمفضل الند الضد وهو التخصيص منها تمثيل
لا حصر واختلف المتاولون من المخاطب بهذه الاية فقالت جماعة من المفسرين المخاطب جميع المشركين
فقوله على هذا وانتم تعلمون يريد علم الخاص في انه تعالى خلق وانزل الماء واخرج الرزق ولم يسف الامة
الجهالة عن الكفار وقيل المراد كفار بني اسرائيل فالمعنى تعلمون من الكتب التي عندهم ان الله لا
ند له وقال ابن فورك يحتمل ان يتناول الاية المؤمنين فالمعنى لا ترتدوا ايها المؤمنون وتجعلوا لله
اندادا بعد علمكم الذي هو نفي الجهل بان الله واحد وهذه الاية يعطي ان الله تعالى اغنى الانسان
بنعمته هذه عن كل مخلوق فمن احوج نفسه الى بشر مثله بسبب الحرص والامل والرغبة في زخرف
الدنيا فقد اخذ بطرف من جعل لله عصمنا الله بفضله وقصر املنا عليه ن قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم
صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
ن الريب الشك وهذه الاية يقتضي ان الخطاب المقدم انما هو لجماعة المشركين الذين تحدوا
وتقدم تفسير لفظ سورة في صدر هذا التعليق وقرا يزيد بن قطيب انزلنا بالف واختلف
المتاولون على من يعود الضمير في قوله من مثله فقال جمهور العلماء هو عائد على القران ثم
اختلفوا فقال الاكثر من مثله نظمه ووصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ولا يعجزهم
الا التاليف الذي خص به القران وبه وقع الاعجاز على قول حذاق اهل النظر وقال بعضهم
من مثله في غيوبه وصدقه وقدمه فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم والاول ابين ومن على هذا
القول زائدة او لبيان الجنس وعلى القول الاول للتبعيض او لبيان الجنس وقالت فرقة الضمير في قوله
من مثله عائد على محمد صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقالت طائفة من امي صادق مثله وقالت
طائفة من ساحر او كاهن او شاعر مثله على زعمكم ايها المشركون وقالت طائفة الضمير عائد الى
الكتب القديمة التورية والانجيل والزبور وقوله تعالى وادعوا شهداءكم معناه دعا استصراخ
والشهداء من يشهدهم ويحضرهم من عون ونصير قال ابن عباس وقيل عن مجاهد ان المعنى دعا
استحسان والشهداء جمع شاهد اي من يشهد لكم انكم عارضتم وهذا قول ضعيف وقال الفرا
شهداءكم يراد به الهتهم وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي فيما قلتم من الريب هذا قول بعض المفسرين

وقال غيره فيما قلتم من انكم تقدرون على المعارضة ويؤيد هذا القول انه قد حكي عنهم في انه
احدى لو نشاء لقلنا مثل هذا وقوله تعالى فان لم تفعلوا دخلت ان على لم لان لم تفعلوا
معناه تركتم الفعل فان لا يؤثر كما لا تؤثر في الماضي من الافعال وتفعلوا جزم بلم وجزمت
لم لانها اشبهت لا في النهي فانهما ينقصان فكما تحذف لا سوى الاسم وكذلك تحذف لم
الحركة او الف لامه من الفعل وقوله ولن تفعلوا نصب لن ومن العرب من يجزم بها ذكره
ابو عبيدة ومنه بيت النابغة على بعض الروايات فلن اعرض ابيت اللعن بالصفد وفي الحديث
في منامه عبد الله بن عمر فقيل لي لن ترع هذا على تلك اللغة وفي قوله لن تفعلوا اثارة
لهممهم وتحريك لنفوسهم ليكون عجزهم بعد ذلك ابدع وهو ايضا من الغيوب التي
اخبر بها القرآن قبل وقوعها وقوله تعالى فاتقوا النار امر بالايمان وطاعة الله يخرج
في هذه الآية الحجدة وقرأ الجمهور وقودها بفتح الواو وقرأ الحسن ومجاهد وطلحة
ابن مصرف وابو حيوة وقودها بضم الواو في كل القرآن الا ان طلحة استثنى الحرف الذي
في البروج والوقود بفتح الواو هو الحطب وبضمها هو المصدر وقد حكيا جميعا في الحطب
وقد حكيا في المصدر قال ابن جني من قرأ بضم الواو فهو على حذف مضاف تقديره ذوو وقودها
لان الوقود بالضم مصدر وليس بالناس والكبار الضم وقوله الناس عموم معناه الخصوص
فيمن سبق عليه القضاء بدخولها وروى ابن مسعود في الحجارة انها حجارة الكبريت وخصت بذلك
لانها تزيد على جميع الاحجار بخمسة انواع من العذاب سرعة الانقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان
وشدة الالتصاق بالابدان وقوة حرها اذا حميت وفي قوله تعالى اعدت رد على من قال ان النار
لم تخلق حتى الان وهو القول الذي سقط فيه منذر بن سعيد وذهب بعض المتأولين الى ان هذه النار
المخصصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة وان غيرها هي للعصاة وقال الجمهور بل الاشارة الى جميع
النار لا الى نار مخصوصة وانما ذكر الكافرين لفضل المخاطبين في الوعيد اذ فعلهم كفر فكانه قال اعدت
لمن نعل فعلكم وليس يقتضي ذلك ان لا يدخلها غيرهم وقرأ ابن ابي عبلة اعدها الله للكافرين ن
قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم
فيها خالدون ن بشر مأخوذ من البشرة لان ما يبشر به الانسان من خير او شر يظهر عنه اثر في بشرة الوجه
والاغلب استعمال البشارة في الخير وقد يستعمل في الشر مقيدا به منصوصا على الشر المبشر به كما قال تعالى فبشرهم
بعذاب اليم ومتى اطلق لفظ البشارة فانما يحمل على الخير وفي قوله تعالى وعملوا الصالحات رد على من يقول
ان لفظة الايمان بمجردها يقتضي الطاعات لانه لو كان ذلك ما اعادها وان في موضع نصب ببشر و
قيل في موضع خفض على تقدير بالجر وجنات جمع جنة وهي بستان الشجر والنخل وبستان الكرم يقال له
الفردوس وسميت جنة لانها تجن من يدخلها اي تستره ومنه المجن والجنن وجن الليل ومن تحتها معناه
من تحت اشجارها التي يتضمنها ذكر الجنة وقيل قوله من تحتها معناه بناديها كما تقول داري تحتها دار فلان
وهذا ضعيف والانهار المياه في مجاريها المتطاولة الواسعة لانها لفظة ماخوذة من انهرت اي وسعت
ومنه قول قيس بن الحطيم ملكت بها كفي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه معناه ما وسع الذبح حتى جرى الدم كالنهر ونسبة الجري
الى النهر انما هي مجاز وانما يجري الماء وحده تجوزا كما قال واسأل القرية وكما قال الشاعر نبئت ان النار بعدك اوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس وروي ان انهار الجنة ليست في اخاديد انما تجري على سطح ارض الجنة
منضبطة وقوله كلما ظرف يقتضي الحصر وفي هذه الآية رد على من يقول ان الرزق من شروطه التملك قال
ذكر هذا بعض الاصوليين وليس عندي بين وقولهم هذا اشارة الى الجنس اي هذا من الجنس الذي رزقنا منه
من قبل والكلام يحتمل ان يكون تعجبا وهو قول ابن عباس ويحتمل ان يكون خبرا من بعضهم الى بعض قاله جماعة من
المفسرين وقال الحسن ومجاهد يرزقون الثمرة ثم يرزقون بعدها مثل صورتها والطعم مختلف فيتعجبون لذلك
ويخبر بعضهم بعضا وقال ابن عباس ليس في الجنة شيء مما في الدنيا سوى الاسماء واما الذوات فمتباينة وقال
بعض المتأولين المعنى انهم يرون الثمر فيميزون اجناسه حين اشبه منظره ما كان في الدنيا فيقولون هذا
الذي رزقنا من قبل في الدنيا قال الفقيه وقول ابن عباس الذي قبل هذا يرد على هذا القول بعض الرد وقال
بعض المفسرين المعنى هذا الذي وعدنا به في الدنيا فكانهم قد رزقوه في الدنيا اذ وعدهم الله به وقال قوم ان
ثمر الجنة اذا اقتطف منه شيء خرج في الحين في موضعه مثله فهذا اشارة الى الخارج في موضع المجني وقرأ جمهور الناس
واتوا بضم الهمزة وبضم التاء وقرأ هرون الاعور واتوا بفتح الهمزة والتاء والفاعل في هذه القراءة الولدان
والخدام واتوا على قراءة الجماعة اصله ايتوا نقلت حركة الياء الى ما قبله معناه تشبه بعضه بعضا في المنظر
ويختلف في المطعم وقال عكرمة نسبة ثمر الدنيا في المنظر ويناسبه في سائر الصفات وقال قتادة متشابها

معناه خيار الارذل فيه كقوله تعالى كتابا متشابها قال الفقيه كانه يريد متناسبا في ان كل صنف هو اعلى
جنسه فهذا شابه ما وقيل متشابها اي يشبه ثمر الدنيا في الاسماء لا في غير ذلك من هيئته وطعمه وازواج جمع زوج و
المرأة زوج الرجل والرجل زوج المرأة ويقال في المرأة زوجة ومنه قول الفرزدق وان الذي يسعى ليفسد زوجتي
كساع الى اسد الشرى يستبيلها وقال عمار بن ياسر في شان عايشة ام المؤمنين والله اني لاعلم انها زوجته
في الدنيا والاخرة ولكن الله ابتلاكم ذكره البخاري وغيره الحديث بطوله ومطهرة ابلغ من طاهرة ومعنى هذه
الطهارة من الحيض والبزاق وسائر اقذار الادميات وقيل من الاثام والخلود الدوام في الحياة
او الملك ونحوه وخلد بالمكان اذا استمرت اقامته فيه وقد يستعمل الخلود مجازا فيما يطول
واما هذا الذي في الآية فهو ابدي حقيقة قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد
الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ن ذكر المفسرون
انه لما ضرب الله تعالى المثلين المتقدمين في هذه السورة قال الكفار ما هذه الامثال الله
اجل من ان يضرب هذه امثالا فنزلت الآية وقال ابن قتيبة انما نزلت لان الكفار انكروا ضرب
الامثال في غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت وقال قوم هذه الآية مثل للدنيا قال
الفقيه وهذا ضعيف يأباه رصف الكلام واتساق المعنى ويستحيي اصله يستحيي عينه ولامه
حرفا علة اعلت اللام فيه بان استثقلت الكسرة على الياء فسلبت وقرأ ابن كثير في بعض الطرق
عنه وابن محيصن وغيرهما يستحي بكسر الحاء وهي لغة لتميم نقلت فيها حركة الياء الاولى الى الحاء
فسلبتها ثم استثقلت الضمة على الياء الثانية فسكنت فحذفت احداهما للالتقاء واختلف
المتأولون في معنى يستحي في هذه الآية فرجح الطبري ان معناه يخشى وقال غيره معناه يترك
وهذا هو الاولى ومن قال يمتنع او يمنعه الحياء فهو يترك او قريب منه ولما كان الجليل القدر في
الشاهد لا يمنعه من الخوض في نازل القول الا الحياء من ذلك رد الله بقوله ان الله لا يستحيي
على القائلين كيف يضرب الله مستقلا بالذباب ونحوه اي ان هذه الاشياء ليست من نازل القول
اذ هي من الفصيح في المعنى المبلغ اغراض المتكلم الى نفس السامع فليست مما يستحيا منه وحكى المهدوي
ان الاستحياء في هذه الآية راجع الى الناس وهذا غير مرضي وقوله تعالى ان يضرب ان مع الفعل في موضع
نصب كانها مصدر في موضع المفعول ومعنى يضرب مثلا يبين ضربا من الامثال اي نوعا كما يقول
هذا من ضرب هذا والضرب المثل ويحتمل ان يكون مثل ضرب البعث وضرب الذلة فيجيء المعنى
ان تلزم الحجة بمثل ومثلا مفعول فقيل هو الاول وقيل هو الثاني قدم وهو في نية التاخير لان ضرب
في هذا المعنى يتعدى الى مفعولين واختلفوا في قوله ما بعوضة فقال قوم ما صلة زائدة لا تفيد الا
شيئا من تاكيد وقيل ما نكرة في موضع نصب على البدل من قوله مثلا وبعوضة نعت لما وصفت ما
بالجنس المنكر لابهامها حكى المهدوي هذا القول عن الزجاج والفراء وثعلب قال الفقيه وقيل
غير هذا مما هو تخليط دعا اليه الظن ان يضرب انما يتعدى لمفعول واحد وقال بعض الكوفيين نصب بعوضة
على تقدير اسقاط حرف الجر والمعنى ان يضرب مثلا ما بين بعوضة وحكي عن العرب له عشرون ما ناقة فجملا
وانكر ابو العباس هذا الوجه قال الفقيه والذي يترجح ان ما صلة مخصصة كما يقول حسبك في اسر ما
فيفيد النكرة تخصيصا وتقريبا ومنه قول امية بن ابي سمع ما ومثله عشت ما عاش ما وعالت البهوا
وبعوضة على هذا مفعول ثان وقال قوم ما نكرة كانه قال شيئا والآية في هذا تشبهها قال حسان
فكفى بنا فضلا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا قال الفقيه وقد تقدم بطر هذا القول والتسمية
بالسنة غير صحيح عندي والبعوضة فعولة من بعض اذا قطع اللحم يقال بضع وبعض بمعنى على هذا حملوا
قول الشاعر ليعم البيت بيت ابي دثار اذا ما خاف بعض القوم بعضا وقرأ الضحاك وابراهيم بن ابي عبلة
ورؤبة بن العجاج بعوضة بالرفع قال ابو الفتح وجه ذلك ان ما اسم بمنزلة الذي اي لا يستحيي ان يضرب الذي
هو بعوضة مثلا فحذف العائد على الموصول وهو مبتدأ ومثله قراءة بعضهم تماما على الذي احسن
اي على الذي هو احسن وحكى سيبويه ما انا بالذي قائل لك شيئا اي هو قائل وقوله تعالى فما فوقها من جعل ما
الاولى صلة زائدة فما الثانية عطفا على بعوضة ومن جعل ما اسما فما الثانية عطفا عليها وقال
الكسائي وابو عبيدة وغيرهما المعنى فما فوقها في الصغر وقال قتادة وابن جريج وغيرهما المعنى في الكبر
قال الفقيه والكل محتمل والضمير في انه عائد على المثل واختلف النحويون في ماذا فقيل اسم واحد
بمعنى اي شيء اراد الله وقيل ما اسم وذا اسم آخر بمعنى الذي فما في موضع رفع بالابتداء وذا خبره
ومعنى كلامهم بهذا الانكار بلفظ الاستفهام وقوله مثلا نصب على التمييز وقيل على الحال من ذا
في هذا والعامل فيه الاشارة والتنبيه واختلف المتأولون في قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا فقيل هو من قول الكافرين اي ما مراد الله بهذا المثل الذي يفرق به الناس الى ضلالة والى

هدى بل هو خبر من الله تعالى انه يضل بالمثل الكفار الذين يعمون به ويهدى به المؤمنين الذين يعلمون انه
الحق وفى هذا رد على المعتزلة فى قولهم ان الله لا يخلق الضلال ولا خلاف ان قوله تعالى وما يضل به
الا الفاسقين من قول الله تعالى قال الامام ويحتمل ان يكون قوله تعالى ويهدى به كثيرا الى آخر الاية
ردا من الله تعالى على قول الكفار يضل به كثيرا والفسق الخروج عن الشى يقال فسقت الفارة اذا خرجت
من جحرها والرطبه اذا خرجت من قشرها والفسق فى عرف الاستعمال الشرع الخروج من طاعة الله عز
وجل فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان وقراه جمهور الامة فى هذه الاية يضل بضم اليا فيهما
وروى عن ابن ابى عبله انه قرأ يضل بفتح اليا كثير بالرفع ويهدى به كثير وما يضل بفتح اليا الا الفاسقون
بالرفع قال ابو عمرو الدانى وهذه قراءة القدرية وابن ابى عبلة من ثقات الشاميين ومن اهل السنة لا يصح
هذه القراءة عنه مع انها مخالفة خط المصحف وروى عن ابن مسعود انه قرأ فى الاولى يضل بضم اليا وفى
الثانية وما يضل بفتح اليا الا الفاسقون قال الفقيه وهذه قراءة متجهة لولا مخالفتها خط المصحف
المجمع عليه ن قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السما فسويهن
سبع سموات وهو بكل شىء عليم ن النقض رد ما ابرم على اوله غير مبرم والعهد فى هذه الاية
التقدم فى الشىء والوصاة به واختلف فى تعيين هذا العهد فقال بعض المتأولين هو الذى اخذ الله
على بنى ادم حين استخرجهم من ظهر ابيهم آدم كالذر وقال آخرون بل نصب الادلة على وحدانية
الله بالسموات والارض وسائر الصنعة هو بمنزلة العهد وقال آخرون بل هذا العهد هو الذى
اخذ الله عن عباده بواسطة رسله ان يوحدوه وان لا يعبدوا غيره وقال آخرون بل هذا العهد
هو الذى اخذه الله تعالى على اتباع الرسل والكتب المنزلة ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وان لا يكتموا امره قال الفقيه والاية على هذا فى اهل الكتاب وظاهر ما قبل وبعد انه فى
جميع الكفار وقال قتاده هذه الاية فيمن كان كفر بالنبى صلى الله عليه وسلم ثم كفر به ونقض العهد
قال الفقيه لم ينسب الطبرى شيئا من هذه الاقوال وكل عهد جائز بين المسلمين فنقضه
لا يحل بهذه الاية والضمير فى ميثاقه يحتمل العود على العهد او على اسم الله وميثاق مفعال
من الوثاقة وهو الشد فى العهد والربط ونحوه وهو فى هذه الاية اسم فى موضع المصدر كما قال
عمرو بن شييم اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة الرتاعا اراد بعد عطائك وقوله تعالى ما
امر الله به ان يوصل ما فى موضع نصب بيقطعون واختلف ما الشى الذى امر بوصله فقال قتاده
الارحام عامة فى الناس وقال غيره خاصة فيمن امن بمحمد كان الكفار يقطعون ارحامهم
وقال جمهور اهل العلم الاشارة فى هذه الى دين الله وعبادته فى الارض واقامة شرايعه
وحفظ حدوده قال الفقيه وهذا هو الحق والرحم جزء من هذا وان فى موضع نصب بدل من ما
او مفعول من اجله وقيل ان فى موضع خفض بدل من الضمير فى به وهذا متجه ويفسدون فى الارض
يعبدون غير الله ويجورون فى الافعال اذ هى بحسب شهواتهم والخاسر الذى بغض نفسه
حظها من الفلاح والوضوء والخسران النقص كان فى الميزان او غيره وقوله تعالى كيف
تكفرون لفظه لفظ الاستفهام وليس به بل هو تقرير وتوبيخ اى كيف تكفرون ونعمة الله عليكم
وقدرته هذه وكيف فى موضع نصب على الحال والعامل فيها تكفرون وتقديرها اجاحدين تكفرون
امنكرين تكفرون وكيف مسئه وحصب بالفتح لخفته ومن قال ان كيف تقرير وتعجب فمعناه
ان هذا الامر اذ عن تحقه ان يتعجب منه لغرابته وبعده عن المالوف من شكر المنعم والواو
فى قوله وكنتم واو الحال واختلف فى ترتيب هاتين الحالتين والموتين فقال ابن عباس وابن
مسعود ومجاهد المعنى كنتم امواتا معدومين قبل ان تخلقوا دارسين كما يقال للشى
الدارس ميت ثم خلقهم واخرجتم الى الدنيا فاحياكم ثم اماتكم الموت المعهود ثم يحييكم
للبعث يوم القيامة وقال آخرون كنتم امواتا بكون آدم من طين قبل ان يحيى ثم نفخ فيه
الروح فاحياكم بحياة آدم ثم يميتكم على ما تقدم وقال قتاده كنتم امواتا فى اصلاب ابائكم
فاخرجتم الى الدنيا كما تقدم وقال غيره كنتم امواتا فى الارحام قبل نفخ الارواح ثم احياكم
بالخروج الى الدنيا ثم كما تقدم وقال ابن زيد ان الله تعالى اخرج نسم بنى ادم امثال الذر ثم
اماتهم بعد ذلك فهو قوله وكنتم امواتا ثم احياكم بالاخراج الى الدنيا ثم كما تقدم وقال ابن عباس
وابو صالح كنتم امواتا بالموت المعهود ثم احياكم للسؤال فى القبور ثم اماتكم فيها ثم احياكم للبعث
وروى عن ابن عباس ايضا انه قال وكنتم امواتا بالخمول فاحياكم بان ذكركم وشرفكم بهذا
الدين والنبى الذى جاءكم قال الفقيه والقول الاول هو اولى هذه الاقوال لانه الذى لا محيد للكفار

وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم

عن الاقرار به فاول ترتيبه ثم ان قوله اولا وكنتم امواتا واسناده آخرا الاماتة اليه تبارك وتعالى مما تقوى
ذلك القول واذا ادعنت نفوس الكفار لكونهم امواتا معدومين ثم للاحيا فى الدنيا ثم للاماتة
فيها قوى عليهم لزوم الاحيا الاخر وجاء جحدهم له دعوى لا حجة لهم عليها والضمير فى اليه عايد على الله تعالى
اى الى ثوابه او عقابه وقيل هو عايد على الاحيا والاول اظهر وقرا جمهور الناس يرجعون بضم اليا وفتح الجيم وقرا
ابن ابى اسحق وابن محيصن وابن يعمر وسلام والقاص بن عدوان ويعقوب الحضرمى يرجع ويرجعون وترجعون
بفتح اليا والتاحيث وقع وخلق معناه اخترع واوجد بعد العدم وقد يقال للانسان خلق عند انشائه شيا و
منه قول الشاعر ولانت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى ومنه قول الاخر من كان يخلق ما يقول
فحيلتى فيه قليله ولكم معناه للاعتبار ويدل على ذلك ما قبله وما بعده من نصب العبر للاحيا والاماتة
والخلق والاستوا الى السما وتسويتها وقال قوم بل معنى لكم اباحة الاشيا وتمليكها وهذا قول من يقول
ان الاشيا قبل ورود السمع على الاباحة فيثبته هذه الاية وخالفهم فى هذا التاويل القائلون
بالحظر والقائلون بالوقف واكثر القائلين بالحظر استثنوا اشيا اقتضت حالها مع وجود الانسان
اباحة كالتنفس والحركة ويرد على القائلين بالحظر كل حظر فى القرآن وعلى القائلين بالاباحة كل تحليل فى القرآن واباحة
ويترجح الوقف اذا قدرنا نازلة لا يوجد فيها سمع ولا يتعلق به ومعنى الوقف انه الى استفاد جهد
الناظر فيما يحرى من النوازل وحكى ابن فورك عن ابن الصايغ انه قال لم يخل العقل قط من السمع ولا نازلة
الا وفيها سمع او لها تعلق به او لها حال تستصحب قال فينبغى ان يعتمد على هذا ويغنى عن النظر فى حظر واباحة و
وقف وجميعا نصب على الحال وقوله تعالى ثم استوى ثم هنا هى لترتيب الاخبار لا لترتيب الامر فى نفسه واستوى
قال قوم معناه علا دون تكيف ولا تحديد هذا اختيار الطبرى والتقدير علا امره وقدرته وسلطانه وقال ابن
كيسان معناه قصد الى السما قال الفقيه اى بخلقه واختراعه وقيل معناه كمل صنعه فيها كما تقول استوى الامر
قال الفقيه وهذا قلق وحكى الطبرى عن قوم ان المعنى اقبل وضعفه وحكى عن قوم ان المستوى هو الدخان وهذا
ايضا يأباه وصف الكلام وقيل معناه استولى كما قال الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم
مهراق وهذا انما يجى فى قوله تعالى على العرش استوى والقاعده فى هذه الاية ونحوها منع النقلة وحلول
الحوادث وسوى استوى العدره والسلطان وسواهن قيل المعنى جعلهن سوا وقيل سوى سطوحها بالاملاس
وسبع نصب على البدل من الضمير او على المفعول بسوى بتقدير حذف الجار من الضمير كانه قال فسوى منهن سبعا وقيل
نصب على الحال وقال سواهن اما على ان السما جمع واما على انه مفرد اسم جنس فهو على الحال وقال سواهن وهو بكل شى
عليم معناه بالموجودات وتحقق علمه بالمعدومات من ايات اخر وهذه الاية يقتضى ان الارض وما فيها خلق قبل
السما وذلك صحيح ثم دحيت الارض بعد السما وبهذا يتفق معانى الايات هذه والتى فى سورة المؤمن
وفى النازعات ن واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون وعلم ادم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ن قال معمر بن المثنى اذ زائدة والتقدير وقال ربك قال ابو
اسحق الزجاج هذا اجتراء من ابى عبيده قال الفقيه وكذلك رد عليه جميع المفسرين وقال الجمهور
ليست بزائدة وانما هى متعلقة بفعل مقدر تقديره واذكر اذ قال وايضا فقوله خلق لكم ما فى
الارض جميعا يقتضى ان يكون التقدير وابتداء خلقكم اذ قال ربك للملائكة واضافة رب الى محمد
عليه السلام ومخاطبته بالكاف تشريف منه له واظهار للاختصاص والملائكة واحدها ملك
اصله ملاك على وزن مفعل من لاك اذا ارسل وجمعه ملائكة على وزن مفاعله وقال قوم اصله
ملك مالك من الك اذا ارسل ومنه قول عدى بن زيد ابلغ النعمان عنى مالكا انه قد طال حبسى وانتظارى واللغتان
مسموعتان لاك والك قلبت فيه الهمزة بعد اللام فجا وزنه مفعل وجمعه ملائكه وزنه مفاعله وقال ابن كيسان
هو من ملك يملك والهمزة فيه زائدة كما زيدت فى شمال من شمل فوزنه فعال ووزن جمعه فعائلة وقد ياتى
فى الشعر على اصله كما قال فلست لانسى ولكن لملاك تنزل من جو السما يصوب واما فى الكلام فسهلت الهمزة
والقيت حركتها على اللام وعلى العين فى قول ابن كيسان وجاعل فى هذه الاية بمعنى خالق ذكره الطبرى عن ابى روق
ويقضى بذلك تعديها الى مفعول واحد وقال الحسن وقتاده جاعل بمعنى فاعل وقال ابن سابط عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الارض هنا يعنى بها مكة لان الارض دحيت من تحتها ولانها مقر من هلك قومه من الانبيا وان
قبر نوح وهود وصالح بين المقام والركن وخليفة معناه من يخلف قال ابن عباس كانت الجن قبل بنى ادم
فى الارض فافسدوا وسفكوا الدما فبعث الله اليهم قبيلا من الملائكة فقتلهم والحق فلهم بجزائر البحار ورؤس
الجبال وجعل ادم وذريته خليفة وقال الحسن انما سمى الله بنى ادم خليفة لان كل قرن منهم يخلف الذى
قبله الجيل بعد الجيل قال الفقيه ففى هذا القول يحتمل ان يكون بمعنى خالفة وبمعنى مخلوفة وقال ابن مسعود انما
معناه خليفة منى فى الحكم بين عبادى بالحق وباوامرى يعنى بذلك ادم عليه السلام ومن قام مقامه بعده

من ذريته وقرأ زيد بن علي خليقة بالقاف وقوله تعالى قالوا أتجعل فيها الآية قد علمنا قطعا أن الملائكة لا تعلم
الغيب ولا تسبق بالقول وذلك عام في جميع الملائكة لأن قوله تعالى لا يسبقونه بالقول خرج على جهة المدح لهم قال
القاضي ابن الطيب فهذه قرينة العموم فلا يصح مع هذين الشرطين إلا أن يكون عندهم من إفساد الخليفة
في الأرض نبأ ومقدمة قال ابن زيد وغيره إن الله تعالى أعلمهم أن الخليفة سيكون من ذريته قوم يفسدون
ويسفكون الدماء فقالوا لذلك هذه المقالة قال الفقيه فهذا إما على طريق التعجب من استخلاف الله من يعصيه
أو من أن يعصي الله من يستخلفه في أرضه وينعم عليه بذلك وإما على طريق الاستعظام والإكبار للفصلين
جميعا الاستخلاف والعصيان وقال أحمد بن يحيى بن ثعلب وغيره إنما كانت الملائكة قد رأت وعلمت ما كان
من إفساد الجن وسفكهم الدماء في الأرض فجاء قولهم أتجعل فيها الآية على جهة الاستفهام المحض هل هذا
الخليفة على طريقة من تقدم من الجن أم لا وقال آخرون كان الله تعالى قد أعلم الملائكة أنه يخلق في الأرض خلقا يفسدون
ويسفكون الدماء فلما قال لهم بعد ذلك إني جاعل قالوا أتجعل فيها الآية على جهة الاسترشاد والاستعلام هل
هذا الخليفة هو الذي كان أعلمهم به قبل أو غيره والسفك صب الدم هذا عرفه وقد يقال سفك كلامه في كذا
إذا سرده وقرأ الجمهور بكسر الفاء وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة ويسفك بضم الفاء وقرأ ابن هرمز ويسفك
بالنصب بواو الصرف كأنه قال من يجمع أن يفسد وأن يسفك وقال المهدوي هو نصب في جواب الاستفهام
قال الفقيه والأول أحسن وقولهم ونحن نسبح بحمدك قال بعض المتأولين هو على جهة الاستفهام كأنهم
أرادوا ونحن نسبح بحمدك الآية أم نتغير عن هذه الحال قال الفقيه وهذا يحسن مع القول بالاستفهام
المحض في قولهم أتجعل وقال آخرون معناه التمدح ووصف حالهم وذلك جائز كما قال يوسف عليه السلام
إني حفيظ عليم قال الفقيه وهذا يحسن مع التعجب والاستعظام لأن يستخلف الله من يعصيه في قولهم
أتجعل وعلى هذا أدبهم بقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون وقال قوم معنى الآية ونحن لو جعلتنا في الأرض
واستخلفتنا نسبح بحمدك وهذا أيضا حسن مع التعجب والاستعظام وقولهم أتجعل ومعنى نسبح بحمدك
ننزهك عما لا يليق بصفاتك وقال ابن عباس وابن مسعود تسبيح الملائكة صلاتهم لله وقال
قتادة تسبيح الملائكة سبحي على عرفه في اللغة وبحمدك معناه نخلط التسبيح بالحمد ونصله به
ويحتمل أن يكون قولهم بحمدك اعتراضا بين الكلامين كأنهم قالوا ونحن نسبح ونقدس ثم اعترضوا على
جهة التسليم أي وأنت المحمود في الهداية إلى ذلك ونقدس لك قال الضحاك وغيره معناه نطهر أنفسنا
لك ابتغاء مرضاتك والتقديس التطهير بلا خلاف ومنه الأرض المقدسة أي المطهرة ومنه بيت
المقدس ومنه القدس الذي يتطهر به وقال آخرون ونقدس لك معناه ونقدسك أي نعظمك
ونذكرك بما لا يليق بك قاله مجاهد وأبو صالح وغيرهما وقال قوم نقدس لك معناه نصلي لك قال الفقيه وهذا
ضعيف وقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون أعلم فعل مستقبل وما في موضع نصب به وقيل أعلم
اسم وما في موضع خفض بالإضافة ولا يصح الصرف فيه بإجماع من النحاة وإنما الخلاف في أفعل
إذا سمي به وكان نكرة فسيبويه والخليل لا يصرفانه والأخفش يصرفه واختلف أهل التأويل في
المراد بقوله ما لا تعلمون فقال ابن عباس كان إبليس لعنه الله قد أعجب ودخله الكبر لما جعله الله خازن
السماء الدنيا وشرفه وقيل بل لما بعثه الله إلى قتال الجن الذين كانوا أفسدوا في الأرض فهزمهم وقتلهم بجنده
قاله ابن عباس أيضا واعتقد أن ذلك لمزية له واستحق الكفر والعصيان في جانب آدم عليه السلام قال
فلما قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهي لا تعلم أن في نفس إبليس خلاف ذلك قال الله لهم
إني أعلم ما لا تعلمون يعني ما في نفس إبليس وقال قتادة لما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وقد علم الله
أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياء وفضلاء وأهل طاعة قال لهم إني أعلم ما لا تعلمون يعني أفعال الفضلاء من بني
آدم وقوله تعالى وعلم معناه عرف وتعليم آدم هنا عند قوم إلهام علمه ضرورة وقال قوم بل تعليم بقول فإما
بواسطة ملك أو بتكليم قبل هبوطه الأرض فلا يشارك موسى عليه السلام في خاصته وقرأ اليماني وعلم بضم العين
على بناء الفعل للمفعول آدم مرفوعا قال أبو الفتح وهذه قراءة يزيد البربري وآدم اسم مشتق من الأدمة وهي
حمرة تميل إلى السواد وجمعه أدم وآدم بحمر وأحامر ولا ينصرف بوجه وقيل آدم وزنه فاعل مشتق من
أديم الأرض كأن الملك أدمها وجمعه آدمون وأوادم ويلزم قائل هذه المقالة صرفه وقال الطبري آدم
فعل رباعي سمي به وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فخرجت
ذريته على نحو ذلك منهم الأبيض والأسود والأحمر والسهل والحزن والطيب والخبيث واختلف
المتأولون في قوله الأسماء فقال جمهور الأمة علمه التسميات وقال قوم عرض عليه الأشخاص قال
الفقيه والأول أبين ولفظة علمه تعطي ذلك ثم اختلف الجمهور في أي الأسماء علمه فقال ابن عباس وقتادة
ومجاهد علمه اسم كل شيء من جميع المخلوقات دقيقها وجليلها وقال حميد الشامي علمه أسماء النجوم فقط
وقال الربيع بن خثيم علمه أسماء الملائكة فقط وقال ابن زيد علمه أسماء ذريته فقط وقال الطبري علمه
أسماء ذريته والملائكة واختار هذا ورجحه بقوله ثم عرضهم على الملائكة وحكى النقاش عن ابن عباس

أنه تعالى علمه كلمة واحدة عرف بها جميع الأشياء وقال آخرون علمه أسماء الأجناس كالجبل والخيل والأدوية والأودية
ونحو ذلك دون أن تعين ما سمته ذريته منها وقال ابن قتيبة علمه أسماء ما خلق في الأرض وقال قوم علمه الأسماء
بلغة واحدة ثم وقع الاصطلاح من ذريته في سواها وقال بعضهم بل علمه الأسماء بكل لغة تكلمت بها ذريته
وقد غلا قوم في هذا المعنى حتى حكى ابن جني عن أبي علي الفارسي أنه قال علم الله آدم كل شيء حتى أنه كان يحسن من النحو مثل
ما أحسن سيبويه ونحو هذا من القول الذي هو بين الخطأ من جهات وقال أكثر العلماء علمه الله تعالى منافع كل
شيء ولما يصلح وقال قوم عرض عليه الأشخاص عند التعليم وقال قوم بل وصفها له دون عرض أشخاص قال الفقيه وهذه
كلها احتمالات قال الناس بها وقرأ أبي بن كعب ثم عرضها وقرأ ابن مسعود ثم عرضهن واختلف المتأولون
هل عرض على الملائكة أشخاص الأسماء أو الأسماء دون الأشخاص فقال ابن مسعود وغيره عرض الأشخاص وقال ابن
عباس وغيره عرض الأسماء فمن قال في الأسماء بعموم كل شيء قال عرضهم أمة أمة ونوعا نوعا ومن قال في الأسماء
إنها التسميات استقام على قراءة أبي عرضها ونقول في قراءة من قرأ عرضهم إن لفظ الأسماء يدل على الأشخاص فلذلك
ساغ أن يقول للأسماء عرضهم وأنبئوني معناه أخبروني والنبأ الخبر ومنه النبي فقال قوم يخرج من هذا الأمر بالإنباء تكليف
ما لا يطاق ويتقرر جوازه لأنه علم أنهم لا يعلمون وقال المحققون من أهل التأويل ليس هذا على جهة التكليف وإنما
هو على جهة التقرير والتوقيف وقوله تعالى هؤلاء ظاهره حضور أشخاص وذلك عند العرض على الملائكة وليس
في هذه الآية ما يوجب أن الاسم أريد به المسمى كما ذهب إليه مكي والمهدوي فمن قال إنه تعالى عرض على
الملائكة أشخاصا استقام له لفظ هؤلاء ومن قال إنما عرض أسماء فقط جعل الإشارة بهؤلاء إلى أشخاص
الأسماء وهي غائبة إذ قد حضر ما هو منها بسبب وذلك أسماؤها وكأنه قال لهم في كل اسم لأي شخص هذا قال
الفقيه والذي يظهر أن الله تعالى علم آدم الأسماء وعرض مع ذلك عليه الأجناس أشخاصا ثم عرض تلك على الملائكة
وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها آدم ثم إن آدم قال لهم هذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وهؤلاء
لفظ مبني على الكسر والقصر فيه لغة تميم وبعض قيس وأسد قال الأعشى هؤلاء ثم هؤلاء كلا أعطيت
نعالا محذوة بمثال وكنتم في موضع الجزم بالشرط والجواب عند سيبويه فيما قبله وعند المبرد محذوف والتقدير
إن كنتم صادقين فأنبئوني وقال ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معنى الآية
إن كنتم صادقين في أن الخليفة يفسد ويسفك وقال آخر صادقين في أني إن استخلفتكم سبحتم بحمدي وقد
ستم لي قال الحسن وقتادة روي أن الملائكة قالت حين خلق الله آدم ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا أعلم منا
ولا أكرم عليه فأراد الله تعالى أن يريهم من علم آدم وكرامته خلاف ما ظنوا فالمعنى إن كنتم صادقين في
دعواكم العلم وقال قوم معنى الآية إن كنتم صادقين في جواب السؤال عالمين بالأسماء قالوا وكذلك لم يسع
الملائكة الاجتهاد وقالوا سبحانك حكاه النقاش قال ولو لم يشترط عليهم الصدق في الآية لجاز
لهم الاجتهاد كما جاز للذي أماته الله مائة عام حين قال له كم لبثت ولم يشترط عليه الإصابة فقال
ولم يصب ولم يعنف قال الفقيه وهذا كله محتمل وحكى الطبري أن بعض المفسرين قال إن معنى إن كنتم
إذ كنتم قال الطبري وهذا خطأ وإن قال قائل ما الحكمة في قوله تعالى للملائكة إني جاعل الآية قيل هذا منه امتحان
لهم واختبار ليقع منهم ما وقع ويؤدبهم تعالى من تعليم آدم وتكريمه بما أدب وسبحانك معناه تنزيها
لك وتبرئة أن يعلم أحد من علمك إلا ما علمته وسبحان نصب على المصدر وقال الكسائي نصبه على أنه منادى
مضاف قال الزهراوي موضع ما من قوله ما علمتنا نصب بعلمتنا وخبر التبرئة في لنا ويصح أن يكون موضع ما رفعا
على أنه بدل من خبر التبرئة كما تقول لا إله إلا الله أي لا إله في الوجود إلا الله وأنت في موضع نصب تأكيد للضمير
في إنك أو في موضع رفع على الابتداء والعليم خبره والجملة خبر إن أو فاصلة لا موضع لها من الإعراب والعليم معناه
العالم ويزيد عليه معنى من المبالغة والتكثير في المعلومات في حق الله عز وجل والحكيم معناه الحاكم وبينهما مزية
المبالغة وقيل معناه المحكم كما قال عمرو بن معدي كرب أمن ريحانة الداعي السميع أي المسمع ويجيء الحكيم على هذا من
صفات الفعل وقال قوم الحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة الفرس مانعه ومنه قول جرير أبني حنيفة
أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا قوله تعالى قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم
قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وإذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين أنبئهم معناه أخبرهم وهو فعل يتعدى إلى
مفعولين أحدهما بحرف الجر وقد يحذف حرف الجر أحيانا تقول نبئ زيدا قال سيبويه معناه نبئ عن زيد و
الضمير في أنبئهم عائد على الملائكة بإجماع والضمير في أسمائهم مختلف فيه بحسب الاختلاف في الأسماء التي
علمها آدم قال أبو علي كلهم قرأ أنبئهم بالهمز وضم الهاء إلا ما روي عن ابن عامر أنبئهم بالهمز وكسر الهاء وكذلك
روى بعض المكيين عن ابن كثير وذلك على اتباع كسرة الهاء لكسرة الباء وإن حجز الساكن فحجزه لا يعتد به قال أبو
عمرو الداني وقرأ الحسن والأعرج أنبيهم بغير همز قال ابن جني وقرأ الحسن أنبهم على وزن أعطهم وقد روي عنه
أنبيهم بغير همز قال أبو عمرو وقد روي مثل ذلك عن ابن كثير من طريق القواس قال أبو الفتح أما قراءة الحسن
أنبهم كأعطهم فعلى إبدال الهمزة ياء على أنك تقول أنبيت كأعطيت وهذا ضعيف في اللغة لأنه بدل لا تخفيف

لا تخفيف والبدل عندنا لا يجوز الا في ضرورة شعر قال بعض العلما ان في قوله فلما انباهم بنوه لادم عليه السلام ادام
الله انسى الملائكة بما ليس عندهم من علم الله عز وجل ويجوز فتح الثامن اني وتسكينها قال الكسائي رايت العرب
اذا الف عندهم اليا همزة فتحوها قال ابو علي كان ابو عمر يفتح بالاضافة المكسورة ما قبلها عند الهمزة المفتوحة و
المكسورة اذا كانت متصلة باسم او بفعل ما لم يطل الحرف فانه ينقل فتحها مثل قوله تعالى ولا تفتني الا وقوله تعالى
فاذكروني اذكركم والذي يخف اني ارى واجري الا على الله ونحوه وقوله تعالى اعلم غيب السموات والارض معناه
ما غاب عنكم لان الله لا يغيب عنه شي الكل معلوم له وما في موضع نصب باعلم قال المهدوي ويجوز ان يكون قوله
اسما بمعنى المفصل في العلم فيكون ما في موضع خفض بالاضافة قال الفقيه فاذا قدر الاول اسما فلا بد بعده
من اضمار فعل ينصب تقديره اي اعلم من كل اعلم غيب وكونها في الموضعين فعلا مضارعا احصر وابلغ
واختلف المفسرون في قوله تعالى ما تبدون وما كنتم تكتمون فقالت طائفة ذلك على معنى العموم في معرفة
اسرارهم وظواهرهم وبواطنهم اجمع وحكى مكي ان المراد بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فيها الاية وحكى
المهدوي ان ما تبدون قولهم ليخلق ربنا ما شا فلن نخلق اعلم منا ولا اكرم عليه فجعل هذا مما ابدوه لما قالوه
وقال الزهراوي ما ابدوه هو بدارهم بالسجود لادم واختلف في المكتوم فقال ابن عباس وابن مسعود المراد
ما كتمه ابليس في نفسه من الكيد والكفر ووجه قوله يكتمون الجماعة والكاتم واحد في هذا القول على تجوز العرب
واتساعها كما يقال القوم قد حي سيفه منهم انتم فعلتم كذا اي منكم فاعله قال وهذا مع قصد تعنيفه ومنه
قوله تعالى ان الذين ينادونك من ورا الحجرات اكثرهم لا يعقلون وانما ناداه منهم عيينة وقيل الاقرع وقال قتاده
المكتوم هو ما اسره بعضهم الى بعض من قولهم ليخلق ربنا ما شا فجعل هذا فيما كتموه لما اسروه وادنى قوله
واذ قلنا معطوفة على اذ المتقدمة وقول الله تعالى وخطابه للملائكة متقرر قديم في الازل بشرط وجودهم وفهمهم
وهذا هو الباب كله في اوامر الله تعالى ونواهيه ومخاطباته وقلنا كنايه العظيم عن نفسه بلفظ الجمع وقوله تعالى
للملائكة عموم فيهم وقرا ابو جعفر بن القعقاع للملائكة اسجدوا برفع التا للعلامة اتباعا بضمة التا المستقبل
قال ابو علي هذا خطا وقال الزجاج ابو جعفر من روسا القرا ولكنه غلط في هذا قال ابو الفتح
لان الملائكة في موضع الجر فالتا مكسورة كسرة اعراب وهذا الذي ذهب اليه ابو جعفر انما يجوز اذا كان
كان ما قبل الهمزة حرفا ساكنا صحيحا نحو قوله تعالى قالت اخرج عليهن والسجود في كلام العرب الخضوع و
التذلل ومنه قول الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وغايته وضع الوجه بالارض والجمهور
على ان سجود الملائكة لادم ايماء وخضوع ذكره النقاش وغيره ولا تدفع الاية ان يكونوا بلغوا غاية السجود
قوله تعالى فقعوا له ساجدين لا دليل فيه لان الجاثي على ركبتيه واقع واختلف في حال السجود لادم
فقال ابن عباس تعبدهم الله بالسجود لادم والعباده في ذلك لله وقال علي ابن ابي طالب وابن مسعود وابن
عباس ايضا كان سجود تحية كسجود ابوي يوسف عليه السلام لا سجود عبادة وقال الشعبي انما
كان ادم كالقبلة ومعنى لادم الى ادم قال الفقيه وفي هذه الوجوه كلها كرامة ادم عليه السلام
وحكى النقاش ومقاتل ان الله انما امر الملائكة بالسجود لادم قبل ان يخلقه قال والقران يرد
على هذا القول وقال قوم سجود الملائكة كان مرتين والاجماع يرد هذا وقوله تعالى الا ابليس نصب
على الاستثناء المتصل لانه من الملائكة على قول الجمهور وهو ظاهر الاية وكان خازنا وملكا
على سماء الدنيا والارض واسمه عزازيل قاله ابن عباس وقال ابن زيد والحسن هو ابو الجن
كما ادم ابو البشر ولم يكن قط ملكا وقد روي نحوه عن ابن عباس ايضا قال واسمه الحرث وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين كانوا في الارض وقاتلتهم الملائكة فسبوه صغيرا وتعبد مع
الملائكة وخوطب معها وحكاه الطبري عن ابن مسعود والاستثناء على هذه الاقوال منقطع و
احتج بعض اصحاب هذا القول بان الله تعالى قال في وصف الملائكة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ورجح الطبري قول من قال ان ابليس كان من الملائكة وقال ليس في خلقه نار ولا في تركيب الشهوة
والنسل فيه حين غضب عليه ما يدفع انه كان من الملائكة ومن قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر
ربه يخرج على انه عمل عملهم فكان منهم في هذا او على ان الملائكة قد تسمى جنا لاستتارها قال الله
تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقال الاعشى في ذكر سليمان عليه السلام وسخر من جن الملائك
تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر وعلى ان يكون نسبه الى الجنة كما ينسب الى البصرة بصري لما كان خازنا
عليها وابليس لا ينصرف لانه اسم اعجمي معرف قال الزجاج ووزنه فعليل وقال ابن عباس والسدي وابن
عبيده وغيرهم مشتق من ابليس اذا بعد عن الخير ووزنه على هذا افعيل فلم يصرف في هذه الفرقة لشذوذه
واجروه مجرى اسحق من اسحقه الله وايوب من اب يؤوب مثل قيوم من قام يقوم فلما لم يصرف هذه ولها
وجه من الاشتقاق كذلك لم يصرف هذا وان توجه اشتقاقه لقلته وشذوذه ومن هذا المعنى
قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه قد ابلسا اي تغير وبعد عن العمارة والانس
ومنه قول الاخر وفي الوجوه صفرة وابلاس ومنه قول الله تعالى فاذا هم مبلسون اي يايسون عن الخير مبعدون

منه

منه فيما يروى وابى معناه امتنع من فعل ما امر به واستكبر دخل في الكبريا والابايه مقدمة على الاستكبار
في ظهورها عليه والاستكبار والابعد مقدمة في معتقدة وروى ابن القاسم عن مالك انه قال بلغني ان اول
معصية كانت الحسد والكبر والشح حسد ابليس ادم وتكبر وشح ادم في اكله من شجرة قد نهي عن قربها وحكى
المهدوي عن فرقة ان كان معنى وكان من الكافرين وصار من الكافرين قال ابن فورك وهذا خطا ترده الاصول
وقالت فرقة قد كان تقدم قبل الجن من كفر فشبهه الله بهم وجعله منهم لما فعل في الكفر فعلهم وذكر الطبري
عن ابي العاليه انه كان يقول وكان من الكافرين معناه من العاصين قال الفقيه وتلك معصية كفر لانها
عن معتقد فاسد صدرت وروي ان الله تعالى خلق خلقا وامرهم بالسجود لادم فعصوا فاحرقهم بالنار
ثم خلق اخرين وامرهم بذلك فعصوا فاحرقهم ثم خلق الملائكة فامرهم بذلك فسجدوا قال الفقيه والاسناد
في مثل هذا غير وثيق وقال الجمهور المتاولين معنى وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى انه سيكفر لان الكافر
حقيقة والمومن حقيقة هو الذي قد علم منه الموافاه وذهب الطبري الى ان الله تعالى اراد بقصة ابليس تقريع
اشباهه من بني ادم وهم اليهود الذين كفروا بمحمد مع علمهم بنبوته ومع تقدم نعم الله عليهم وعلى اسلافهم
اختلف هل كفر ابليس جهلا او عنادا على قولين بين اهل السنة ولا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره فمن قال
انه كفر جهلا قال انه سلب العلم عند كفره ومن قال كفر عنادا قال كفر ومعه علمه قال والكفر عنادا مع بقا العلم
مستبعد الا انه عندي جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن شاء ولا خلاف ان الله تعالى اخرج ابليس عند كفره
وابعده عن الجنة وبعد اخراجه قال لادم اسكن قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا
منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا
فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ن اسكن معناه لادم الاقامة
ولفظه لفظ الامر ومعناه الاذن وانت تاكيد للضمير الذي في اسكن وزوجك عطف عليه والزوج امراة الرجل
وهذا اشهر من زوجه وقد تقدم والجنة البستان عليه حصير واختلف في الجنة التي اسكنها ادم هل هي
جنة الخلد او جنة اعدت لهما وذهب من لم يجعلها جنة الخلد الى ان من دخل الجنة لا يخرج منها وهذا
لا يمتنع الا ان السمع ورد ان من دخلها مثابا لا يخرج منها واما من دخلها ابتداء كادم فغير مستحيل ولا
ورد سمع بانه لا يخرج منها واختلف متى خلقت حوا من ضلع ادم عليه السلام فقال ابن عباس حين انبا
الملائكة بالاسما واسجدوا له والقيت عليه السنة وخلقت حوا فاستيقظ وهي الى جانبه فقال فيما يزعمون لحمي
ودمي وسكن اليها فذهبت الملائكة لتجرب علمه فقالوا له يا ادم ما اسمها قال حوا قالوا ولم قال لانها خلقت
من شي حي ثم قال الله له اسكن انت وزوجك الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس ايضا لما اسكن ادم الجنة
مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت حوا من ضلعه القصرى لتسكن اليها ويانس بها فلما انتبه راها
فقال من انت قالت امراة خلقت من ضلعك لتسكن الي حذفت النون من كلا للامر والالف واللام
لحركة الكاف حين حذفت الثانية لاجتماع المثلين وهو حذف شاذ ولفظ هذا الامر بكلا ومعناه
للاباحة بقرينة قوله حيث شئتما والضمير في منها عايد على الجنة وقرا ابن وثاب والنخعي رغدا بسكون
الغين والجمهور على فتحها والرغد العيش الدار الهني الذي لا عناء فيه ومنه قول امري القيس بينما
المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد ورغدا منصوب على الصفة لمصدر محذوف وقيل هو نصب
على المصدر في موضع وحيث مبنية على الضم ومن العرب من بناها على الفتح ومن العرب من يعربها حسب موضعها
من الرفع او النصب او الخفض كقوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ومن العرب من يقول
حوث وشئتما اصله شيئتما تحولت الحركة الى الفعلتما تحركت الياء وانفتح ما قبلها جا شاتما حذفت الالف
الساكنة الممدودة لالتقا وكسرت الشين لتدل على اليا فجا شئتما قال الفقيه هذا تعليل المبرد
واما سيبويه فالاصل عنده شيئتما بكسر الياء نقلت حركت اليا الى الشين وحذفت اليا بعد وقوله
تعالى ولا تقربا هذه الشجرة معناه ولا تقرباها باكل لان الاباحة فيه وقعت قال بعض الحذاق ان الله لما
اراد النهي عن اكل الشجرة نهى عنه بلفظه يقتضي الاكل وما يدعوا اليه وهو القرب قال الفقيه وهذا مثال
بين في سد الذرايع وقرا ابن محيصن هذي على الاصل والها في هذه بدل من اليا وليس في الكلام ها ما ينس
مكسور ما قبلها غير هذه ويحتمل هذه الاشارة ان يكون شجرة معينة واحده والجنس وحكى هرون
الاعور عن بعض العلما قراه الشجرة بكسر الشين والشجر كلما قام من النبات على ساق واختلف في هذه الشجرة
الشجرة التي نهي عنها ما هي فقال ابن مسعود وابن عباس هي الكرم وكذلك حرمت علينا الخمر وقال ابن جريج
عن بعض الصحابه هي شجرة التين وقال ابن عباس ايضا وابو مالك وعطية وقتاده هي السنبلة وحبها
ككلى البقر احلى من العسل والين من الزبد وروي عن ابن عباس ايضا انها شجرة العلم فيها ثمر كل شي
قال الفقيه وهذا ضعيف لا يصح عن ابن عباس وحكى الطبري عن يعقوب بن عتبه انها الشجرة التي
كانت الملائكة تحتك بها للخلد قال الفقيه وهذا ايضا ضعيف قال واليهود تزعم انها الحنظله
وتقول كانت حلوة ومرت من حسد قال الفقيه وليس في شي من هذا التعيين ما يعضده خبر وانما الصواب

ان يعتقد ان الله نهى ادم عن شجرة فخالفه اليها وعصى في الاكل منها وفي حظره تعالى على ادم الشجرة ما يدل ان سكناه في الجنة لا يدوم لان المخلد لا يحظر عليه شيء ولا يؤمر ولا ينهى وقيل ان هذه الشجرة كانت خصت بان يخرج اكلها الى البراز وكذلك نهي عنها فلما اكلها ولم يكن للجنة موضع براز اهبط الى الارض وقوله تعالى فتكونا في موضع جزم على العطف على لا تقربا ويجوز فيه النصب على الجواب والناصب عند الخليل وسيبويه ان المضمرة وعند الجرمي الفاء والظلم في اللغة الذي يضع الشيء غير موضعه ومنه قولهم من اشبه اباه فما ظلم ومنه المظلومة الجلد لان المظلوم نابها في وقته ومنه قول عمرو بن قميئة ظلم البطاح بها انهلال حريصة فصفا النطاف له بعد المقلع والظلم في احكام الشرع على مراتب اعلاها الشرك ثم ظلم المعاصي وهي مراتب وهو في هذه الاية يدل على ان قوله لا تقربا على جهة الوجوب لا على الندب لان من ترك المندوب لا يسمى ظالما فاقتضت لفظ الظلم قوة النهي وازلهما ماخوذ من الزلل وهو في الاية مجاز لانه في الراي والنظر وانما حقيقة الزلل في القدم قال ابو علي ازلهما يحتمل تاويلين احدهما كسبهما الزلة والاخر ان يكون من زل اذا غيره وقرا حمزة فازالهما ماخوذ من الزوال كانه المزيل لما كان اغواه مؤديا الى الزوال وهي قراءة الحسن وابي رجا ولا خلاف بين العلما ان ابليس هو المتولي اغوا ادم واختلف في الكيفية فقال ابن عباس وابن مسعود وجمهور العلما اغواهما مشافهة ودليل ذلك قوله تعالى وقاسمهما والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقال بعضهم ان ابليس لما دخل الى ادم كلمه في حاله فقال ادم ما احسن هذا لو ان خلدا كان فوجد ابليس السبيل الى اغوائه فقال هل ادلك على شجرة الخلد وقال بعضهم دخل الجنة في فم الحية وهي ذات اربع كالبختية بعد ان عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم يدخله الا الحية فخرج الى حوا واخذ شيا من الشجرة وقال انظري ما احسن هذا او ... فاغواها حتى اكلت ثم اغوى ادم وقالت له حوا كل فاني قد اكلت فلم يضرني فاكل فبدت لهما سوآتهما وحصلا في حكم الذنب ولعنت الحية وردت قوائمها في جوفها وجعلت العداوة بينها وبين ادم وقيل لحوا كما ادميت الشجرة كذلك يصيبك الدم في كل شهر وكذلك تحملين كرها وتضعين كرها تشرفين به على الموت مرارا زاد الطبري والنقاش وتكونين سفيهة وقد كنت حليمة وقالت طائفة ان ابليس لم يدخل الجنة الى ادم بعد ان اخرج منها وانما اغوى ادم بشيطانه وسلطانه ووساوسه التي اعطاه الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم والضمير في عنها عايد على الشجرة في قراة من قراه ويحتمل ان يعود الى الجنة فاما من قرا ازالهما فانه يعود الى الجنة فقط وهنا محذوف يدل عليه الظاهر تقديره فاكلا من الشجرة وقال قوم اكلا من غير التي اشير اليها فلم يتاولا النهي واقعا على جميع جنسها وقال اخرون تاولا النهي على الندب وقال ابن المسيب انما اكل ادم بعد ان سقته حوا الخمر فكان في غير عقله وقوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه يحتمل وجوها فقيل اخرجهما من الطاعة الى المعصية وقيل من نعمة الجنة الى شقا الدنيا وقيل من رفعة المنزلة الى سفل مكانة الذنب قال الفقيه وهذا كله يتقارب وقرا ابو حيوة اهبطوا بضم الباء وهو فعل كثير في غير المتعدي وهبط غير متعد والهبوط النزول من علو الى سفل واختلف من المخاطب بالهبوط فقال السدي وغيره ادم وحوا وابليس والحية وقال الحسن ادم وحوا والوسوسة قال غيره والحية لان ابليس قد كان هبط قبل عند معصيته وبعضكم لبعض عدو جملة في موضع الحال وافرد لفظ عدو من حيث لفظة بعض وكل يجري مجرى الواحد ومن حيث لفظة عدو يقع للواحد والجمع قال الله تعالى هم العدو فاحذرهم ولكم في الارض مستقر اي موضع استقرار قاله ابو العالية وابن زيد وقال السدي المراد الاستقرار في القبور والمتاع ما يستمتع به من اكل ولبس وحياة وحديث وانس وغير ذلك وانشد سليمان بن عبد الملك حين وقف على قبر ابنه اثر دفنه وقد وقف على قبر غريب بفقدة متاع قليل من حبيب مفارق واختلف المتاولون في الحين هاهنا فقالت فرقة الى الموت وهذا قول من يقول المستقر هو المقام في الدنيا وقالت فرقة الحين يوم القيامة وهذا قول من يقول المستقر هو في القبور ويترتب ايضا على ان المستقر في الدنيا ان يراد بقوله ولكم اي لانواعكم في الدنيا استقرار ومتاع قرنا بعد قرن الى يوم القيامة والحين المدة الطويلة من الدهر اقصرها في الايمان والالتزامات سنة قال الله تعالى تؤتي اكلها كل حين باذن ربها وقد قيل اقصرها ستة اشهر لان من النخل ما يثمر في كل ستة اشهر وقد يستعمل الحين في المحاورات في القليل من الزمن وفي قوله تعالى الى حين فايدة لادم عليه السلام ليعلم انه غير باق فيها ومنتقل الى الجنة التي وعد بالرجوع اليها وهي لغير ادم دالة على المعاد وروي ان ادم نزل على جبل من جبال سرنديب وان حوا نزلت بجدة وان الحية نزلت باصفهان وقيل بميسان وان ابليس نزل على الابلة على الابلة قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ن المعنى فقال الكلمات فتاب الله عليه عند ذلك وادم رفع بتلقى وكلمات نصب بها والمتلقي من ادم هو الاقبال عليها والسوال لها والفهم وحكى مكي قولا انه الهمها فانتفع بها وقرا ابن كثير ادم

بالنصب كلمات بالرفع فالتلقي من الكلمات هو نيل ادم بسببها رحمة الله وتوبته واختلف المتاولون في الكلمات فقال الحسن هي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال مجاهد هي ان ادم قال سبحانك اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انك انت التواب الرحيم وقال ابن عباس هي ان ادم قال اي رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال اي رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال اي رب الم تسكني جنتك قال بلى قال ارايت ان تبت واطعت ارجعني انت الى الجنة قال نعم وقال عبيد بن عمير ان ادم قال اي رب ارايت ما عصيتك به اشي كتبته علي ام شي ابتدعته قال بلى شي كتبته عليك قال اي رب كما كتبته علي فاغفر لي وقال قتادة الكلمات هي ان ادم قال اي رب ارايت ان انا تبت واصلحت قال اذا ادخلك الجنة وقالت طائفة ان ادم راى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع بذلك فهي الكلمات وقالت طائفة ان المراد بالكلمات ندمه واستغفاره وحزنه وسماها كلمات مجازا لما هي في خلقه صادرة عن كلمات وهي كن في كل واحدة منهن وهذا قول يقتضي ان ادم لم يقل شيا الا الاستغفار المعهود وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي ان يقوله المذنب فقال يقول ما قال ابواه ربنا ظلمنا انفسنا وما قال موسى اني ظلمت نفسي فاغفر لي وما قال يونس لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وتاب عليه معناه رجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستانف وانما خص الله تعالى ادم بالذكر هنا في التلقي والتوبة وحوا مشاركة له في ذلك باجماع لانه المخاطب في اول القصة بقوله اسكن انت وزوجك الجنة فلذلك كملت القصة بذكره وحده وايضا فان المراة حرمة ومستورة فاراد الله تعالى الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله وعصى ادم ربه وروي ان الله تعالى تاب على ادم في يوم عاشورا وكنية ادم ابو محمد وقيل ابو البشر وقرا الجمهور انه هو بكسر الالف على القطع وقرا ابن ابي عبلة انه بفتح الهمزة على معنى لانه وبنية التواب المبالغة والتكثير وفي قوله تعالى انه هو التواب تاكيد فايدته ان التوبة على العبد انما هي نعمة من الله لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه وكرر الامر بالهبوط لما علق بكل امر منهما حكما غير حكم الاخر فعلق بالاول العداوة وعلق بالثاني اتيان الهدى وقيل كرر الامر بالهبوط على جهة تغليظ الامر وتاكيده كما تقول لرجل قم قم وحكى النقاش ان الهبوط الثاني انما هو من الجنة الى السما والاول في ترتيب الاية انما هو الى الارض وهو الاخر في الوقوع فليس في الامر تكرار على هذا وجميعا حال من الضمير في اهبطوا وليس بمصدر ولا اسم فاعل ولكنه عوض منهما دال عليهما كانه قال هبوطا جميعا او هابطين جميعا واختلف في المقصود بهذا الخطاب فقيل ادم وحوا وابليس وذريتهم وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في ادم وحوا لان ابليس لا ياتيه هدى وخوطبا بلفظ الجمع تشريفا لهما والاول اصح لان ابليس مخاطب بالايمان باجماع وان في قوله فاما هي للشرط دخلت عليها ما موكدة ليصح دخول النون المشددة فهي بمثابة لام القسم التي يجي لمجي النون وفي قوله تعالى مني اشارة الى ان افعال العباد بخلق الله تعالى واختلف في معنى قوله هدى فقيل بيان وارشاد قال الفقيه والصواب ان يقال ارشاد ودعاء وقالت فرقة الهدى الرسل وهي الى ادم من الملائكة والى بنيه من البشر هو فمن بعده وقوله تعالى فمن تبع هداي شرط جوابه فلا خوف عليهم قال سيبويه الشرط الثاني وجوابه هما جواب الاول في قوله فاما ياتينكم وحكي عن الكسائي ان قوله فلا خوف عليهم جواب الشرطين جميعا قال الفقيه وحكي هذا وفيه نظر ولا يتوجه ان يخالف سيبويه هنا وانما الخلاف في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فيقول سيبويه جواب احد الشرطين محذوف لدلالة قوله فروح عليه ويقول الكوفيون فروح جواب الشرطين قال الفقيه واما في هذه الاية فالمعنى يمنع ان يكون فلا خوف جوابا للشرطين وقرا الجحدري وابن ابي اسحاق هدي وهي لغة هذيل قال ابو ذويب يرثي بنيه سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع وكذلك يقولون عصي وما اشبهه وعلة هذه اللغة ان ياء الاضافة من شانها ان يكسر ما قبلها فلما لم يصح هذا في الوزن كسر الالف الساكنة ابدلت ياء وادغمت وقرا الزهري ويعقوب وعيسى الثقفي لا خوف عليهم نصب بالتبرية ووجهه انه اعم وابلغ في دفع الخوف ووجه الرفع انه اعدل في اللفظ ليعطف المرفوع من قوله هم يحزنون على مرفوع ولا في قوله في قراة الرفع عاملة عمل ليس وقرا ابن محيصن باختلاف عنه ولا خوف بالرفع وترك التنوين وهي على ان يعمل لا عمل ليس لكنه حذف التنوين تخفيفا لكثرة الاستعمال ويحتمل قوله تعالى ولا خوف عليهم اي فيما بين ايديهم من الدنيا ولا هم يحزنون على ما فاتهم منها ويحتمل الا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه ويحتمل ان يريد انه يدخلهم الجنة حيث

لاخوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى والذين كفروا الاية عطف جملة مرفوعة على جملة مرفوعة وقال
وكذبوا وكان في الكفر كفاية لان لفظة كفروا يشترك فيها كفر النعم وكفر المعاصي ولا يجب بهذا
خلود فبين ان الكفر هنا هو الشرك بقوله وكذبوا باياتنا والاية هنا يحتمل ان يريد المتلوه ويحتمل ان
يريد العلامة المنصوبة وقد تقدم في صدر هذا الكتاب القول على لفظ اية واولئك رفع بالابتداء و
اصحاب خبره والصحبة الاقتران بالشي في حاله ما في زمن ما فان كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة
وهكذا هي صحبة اهل النار لها وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم اذ مراتبهم
متباينة اقلها الاقتران في الاسلام والزمن واكثرها الخلطة والملازمة وهم فيها خالدون ابتداء
وخبر في موضع الحال قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا
واياي فاتقون ن يا حرف ندا مضمن معنى التنبيه قال الخليل والعامل في المنادى فعل مضمر كانه تقول
اريد او ادعوا وقال ابو علي الفارسي العامل حرف النداء عيب معنى الفعل المضمر فهو وعمل ويدل على
ذلك انه ليس في حروف المعاني ما يلتئم بانفراده مع الاسماء غير حرف النداء وبني منادى مضاف واسرائيل
هو يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم عليه السلام وهو اسم عجمي يقال فيه اسرال واسرائيل وتميم تقول اسرائين
واسرا هو بالعبرانية عبد وايل اسم الله تعالى فمعناه عبد الله وحكى المهدوي ان اسرا ماخوذ من الشدة
في الامر كانه الذي يشد الله اسرة وقوى خلقه وروي عن نافع ترك همز اسرائيل وعن الحسن والزهري
وابن ابي اسحق والذكر في كلام العرب على ضربين وهذا منهما ذكر القلب الذي هو ضد النسيان والنعمة هنا اسم
الجنس فهي مفردة بمعنى الجمع وحركت الياء من نعمتي لانها لقيت الالف واللام ويجوز تسكينها واذا اسكنت
حذفت للالتقا وفتحها احسن لزيادة حرف في كتاب الله وخصص بعض العلما النعمة في هذه الاية فقال
الطبري بعثه للرسل منهم وانزال المن والسلوى وانقاذهم من تعذيب ال فرعون وتفجير الحجر وقال غيره
النعمة هنا ان دركهم مدة محمد صلى الله عليه وسلم وقال اخرون هي ان منحهم علم التوراة وجعلهم اهله
وحملته قال الفقيه وهذا اقوال على جهة المثال والعموم في اللفظة هو الحسن وحكى مكي ان المخاطب من
بني اسرائيل بهذا الخطاب هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم لان الكافر لا نعمة لله عليه وقال ابن عباس
وجمهور العلما بل الخطاب لجميع بني اسرائيل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنهم وكافرهم والضمير
في عليكم يراد به على ابائكم كما تقول العرب الم نهزمكم يوم كذا لوقعة كانت بين الابا والاجداد و
من قال انما خوطب المؤمنون بمحمد استقام الضمير في عليكم ويجي كل ما توالى من الاوامر على جهة الاستد
الاستدامة وقوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم امر وجوابه فقال الخليل جزم الجواب ما في الامر
من معنى الشرط والوفا بالعهد هو التزام ما تضمن من فعل وقرا الزهري اوف بفتح الواو وشد
الفا للتكثير واختلف المتاولون في هذا العهد اليهم فقال الجمهور ذلك عام في جميع اوامره ونواهيه
ووصاياه فيدخل في ذلك ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الذي في التوراة وقيل العهد قوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الاية وعهدهم هو ان يدخلهم الجنة ووفاهم بعهد الله امارة
لوفا الله تعالى لهم لا علة له لان العلة لا يتقدم المعلول وقوله واياي فارهبون الاسم ايا والياء
ضمير ككاف الخطاب وقيل اياي بجملته هو الاسم وهو منصوب باضمار فعل موخر تقديره واياي
ارهبوا فارهبون وامتنع ان يتقدم سعد ما لان الفعل اذا تقدم لم يحسن ان يتصل به الا ضمير خفيف
فكان يجي وارهبون والرهبة يتضمن الامر بها معنى التهديد وسقطت الياء بعد النون لانها راس اية
وقرا ابن ابي اسحق بالياء وامنوا معناه صدقوا ومصدقا حال من الضمير في انزلت وقيل من ما والعامل
فيه امنوا وما انزلت كناية عن القران ولما معكم يعني من التوراة وقوله ولا تكونوا اول كافر به
مفهوم الخطاب الذي المذكور فيه والمسكوت عنه حكمهما واحد الاول والثاني وغيرهما داخل
في النهي ولكن حذر البدار الى الكفر اذ على الاول كفل من فعل المقتدى به ونصب اول على خبر كان قال
سيبويه اول افعل لا فعل له لاعتلال فائه وعينه قال غير سيبويه هو اول من وال اذا نجا خفيف
حفف الهمزة وابدلت واوا وادغمت وقيل انه من وال يئول فاصله اوول وزنه افعل وسهل
وابدل وادغم ووحد كافر وهو بنية الجمع لان افعل اذا اضيف الى اسم منصرف من فعل جاز افراد
افراد ذلك الاسم والمراد به الجماعة قال الشاعر واذا هم طعموا فالام طاعم واذا هم جاعوا
فشر جياع وسيبويه يرى انها نكرة مخصصة من معرفة كانه قال ولا تكونوا اول كافر به
وقيل معناه لا تكونوا اول فريق كافر به قال الفقيه وقد كان كفر قبلهم كفار قريش فانما معناه
من اهل الكتاب اذ هم منظور اليهم في مثل هذا لانهم حجة مظنون بهم علم واختلف في الضمير في به
على من يعود فقيل على محمد وقيل على التوراة اذ تضمنها قوله لما معكم قال الفقيه وعلى هذا
القول يجي اول كافر به مستقيما على ظاهره في الاولية وقيل الضمير في به عائد على القران اذ

تضمنه

تضمنه قوله بما انزلت واختلف المتاولون في الثمن الذي نهوا ان يشتروه بالايات فقالت طائفة
ان الاحبار كانوا يعلمون دينهم بالاجرة فنهوا عن ذلك وفي كتبهم علم مجانا كما علمت مجانا اي
باطلا بغير اجرة وقال قوم كانت للاحبار ماكل يأكلونها على العلم كالراتب فنهوا عن ذلك
وقال قوم ان الاحبار اخذوا رشا على تغيير قصة محمد في التوراة ففي ذلك قال تعالى ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا وقال قوم معنى الاية ولا تشتروا باوامري ونواهي واياتي ثمنا قليلا يعني الدنيا
ومدتها والعيش الذي هو نزر لا خطر له وقد تقدم نظير قوله واياي فاتقون وبين اتقون
وارهبون فرق ان الرهبة مقرون بها وعيد بالغ قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل و
تكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون ن المعنى
ولا تخلطوا يقال لبست الامر بفتح البا البسه اذا خلطته ومزجت بينه بمشكله وحقه
بباطله واما قول الشاعر وكسبه لبسها ملبسه قال الظاهر انه من هذا المعنى ويحتمل ان
يكون من الكسا واختلف اهل التاويل في المراد بقوله الحق بالباطل فقال ابو العالية قالت
اليهود محمد نبي مبعوث ولكن الى غيرنا واقرارهم ببعثه حق وجحدهم انه بعث اليهم باطل
وقال الطبري كان من اليهود منافقون فما اظهروا من الايمان حق وما ابطنوا من الكفر باطل
قال مجاهد معناه لا تخلطوا اليهودية والنصرانية بالاسلام وقال ابن زيد المراد بالحق التوراة
والباطل ما بدلوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وتلبسوا جزم بالنهي وتكتموا عطف عليه
في موضع جزم ويجوز ان يكون في موضع نصب باضمار ان واذا قدرت ان كانت مع تكتموا بتاويل
المصدر وكانت الواو عاطفة على مصدر مقدر من تلبسوا كان الكلام ولا يكن لبسكم الحق
بالباطل وكتمانكم الحق وقال الكوفيون تكتموا نصب بواو الصرف والحق يعني به امر محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى وانتم تعلمون جملة في موضع الحال ولم يشهد لهم تعالى بعلم وانما نهاهم عن كتمان ما علموا
ويحتمل ان يكون شهادة عليهم بعلم حق مخصوص في امر محمد صلى الله عليه وسلم ولم يشهد لهم
بالعلم على الاطلاق ولا تكون الجملة على هذا في موضع الحال وفي هذه الالفاظ دليل على تغليظ
الذنب على من واقعه على علم وانه اعصى من الجاهل واقيموا معناه اظهروا هيئتها وادوها
بشروطها وذلك تشبيه باقامة القاعد الى حال ظهور ومنه قول الشاعر واذا بعا التيتم
لم يرحوا حتى يقيم الخيل سوق طعان وقد تقدم القول في الصلوة والزكوة في هذه الاية هي
المفروضة بقرينة اجماع الامة على وجوب الامر بها والزكاة ماخوذة من زكا الشي اذا نما وزاد وسمي
الاخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة او بالاجر الذي يثيب الله به المزكي وقيل الزكوة
ماخوذة من التطهير كما يقال زكى فلان اي طهر من دنس الجرحة والاغفال فكان الخارج من المال يطهره
من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى ما يخرج في الزكوة اوساخ
الناس وقوله تعالى واركعوا مع الراكعين قال قوم جعل الركوع لما كان من اركان الصلوة عبارة عن الصلوة
كلها وقال قوم انما خص الركوع بالذكر لان بني اسرائيل لم يكن في صلوتهم ركوع وقالت فرقة انما قال مع لان
الامر بالصلوة اولا لم يقتضي شهود الجماعة فامرهم بقوله مع بشهود الجماعة والركوع في اللغة الانحنا
بالشخص قال لبيد اخبر اخبار القرون التي مضت ادب كاني كلما قمت راكع ويستعار ايضا في الانحطاط
في المنزلة قال الاضبط بن قريع فلا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه وقوله تعالى
اتامرون الناس خرج مخرج الاستفهام ومعناه التوبيخ والبر يجمع وجوه الخير والطاعات ويقع على
كل واحد منها اسم بر وتنسون بمعنى تتركون كما قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم واختلف المتاولون
في المقصود بهذه الاية فقال ابن عباس كان الاحبار يامرون اتباعهم ومقلديهم باتباع التوراة
وكانوا هم يخالفونها في جحدهم منها صفة محمد وقالت فرقة كان الاحبار اذا استرشدهم احد من العرب
في اتباع محمد دلوه على ذلك وهم لا يفعلونه وقال ابن جريج كان الاحبار يحضون الناس على طاعة الله و
كانوا هم يواقعون وقالت فرقة كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون وقوله وانتم تتلون الكتاب معناه
تدرسون وتقرون ويحتمل ان يكون المعنى تتبعون اي في الاقتدا بها والكتاب التوراة وهي تنهاهم عما هم
عليه من هذه الصفات الذميمة وقوله افلا تعقلون معناه افلا تمنعون انفسكم من مواقعة هذه الحال
المردية لكم والعقل الادراك المانع من الخطا ماخوذ منه عقال البعير اي يمنعه من التصرف ومنه
المعقل اي موضع الامتناع وقوله واستعينوا بالصبر والصلوة قال مقاتل معناه على طلب الاخرة
قال غيره المعنى استعينوا بالصبر على الطاعات وعن الشهوات على نيل رضوان الله وبالصلوة
على نيل الرضوان وحط الذنوب وعلى مصائب الدهر ايضا ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ومنه ما روى ان عبد الله بن عباس نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع
وتنحى عن الطريق وصلى ثم انصرف الى راحلته وهو يقرا واستعينوا بالصبر والصلوة وقال مجاهد الصبر في هذه
الاية الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وخص الصوم والصلوة على هذا القول بالذكر لتناسبهما في
ان الصيام يمنع الشهوات ويزهد في الدنيا والصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويخشع ويقرا فيها
القران الذي يذكر الاخرة وقال قوم الصبر على بابه والصلوة الدعا وتجي هذه الاية على هذا القول مشبهه
لقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله لان الثبات هو الصبر وذكر الله هو الدعا واختلف المتاولون
في قوله وانها لكبيرة على اي شي يعود الضمير فقيل على الصلوة وقيل على الاستعانة التي يقتضيها قوله استعينوا
وقيل على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلوة وقالت فرقة على اجابة محمد عليه السلام قال
الفقيه وفي هذا ضعف لانه لا دليل من الاية عليه وقيل يعود الضمير على الكعبة لان الامر بالصلوة
انما كان اليها قال الفقيه وهذا اضعف من الذي قبله وكبيرة معناه ثقيلة شاقة والخاشعون
المتواضعون الخاضعون المخبتون والخشوع هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون
وتواضع ويظنون في هذه الاية قال الجمهور معناه يوقنون وحكى المهدوي وغيره ان
الظن هنا يصح ان يكون على بابه ويضمر في الكلام بذنوبهم فكانهم يتوقعون لقاءه مذنبين
قال الفقيه وهذا تعسف والظن في كلام العرب قاعدته الشك مع ميل الى احد معتقديه
وقد يوقع الظن موقع اليقين في الامور المحققة لكنه لا يوقع فيما قد خرج الى الحس لا تقول العرب
في رجل مرئي حاضر اظن هذا انسانا فانما يجي الاستعمال فيما لم يخرج الى الحس بعد كهذه الاية
فقوله تعالى فظنوا انهم مواقعوها وكقول دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج
سراتهم بالفارسي المسرد وقوله تعالى انهم ملاقوا ربهم ان جعلتها سد مسد مفعولي
ظننت والملاقات هي العقاب او الثواب ففي الكلام حذف مضاف ويصح ان يكون الملاقات
ههنا بالرؤية التي عليها اهل السنة وردتها متواتر الحديث وحكى المهدوي ان الملاقات
مفاعلة من واحد مثل عافاك الله قال الفقيه وهذا ضعيف لان لقي يتضمن معنى لاقى وليست
كذلك الافعال كلها بل فعل خلاف في المعنى لفاعل وملاقوا اصله ملاقون لانه بمعنى
الاستقبال فحذفت النون تخفيفا فلما حذفت ملك الاضافة مناسبتها للاسما فهي
اضافة غير محضة لانها لا تعرف وقال الكوفيون ما في اسم الفاعل الذي بمعنى المجي من معنى
الفعل يقتضي اثبات النون واعماله وكونه وما بعده اسمين يقتضي حذف النون والاضافة
وراجعون قيل معناه بالموت وقيل بالحشر والخروج الى الحساب والعرض ويقوي هذا القول
الاية المتقدمة قوله تعالى ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون والضمير في اليه عائد على الرب
تعالى وقيل على اللقا الذي تضمنه ملاقوا وان قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ن وقد تقرر هذا
النداء والتذكير بالنعمة وفائدة ذلك الخطاب الاول يصح ان يكون للمؤمنين ويصح ان يكون للكافرين
منهم وهذا التكرار انما هو للكافرين بدلالة ما بعده وايضا فان فيه تقوية التوقيف وبالنداء
لحض على ذكر ايادي الله وحسن خطابهم بقوله فضلتكم على العالمين لان تفضيل اباءهم واسلا
واسلافهم تفضيل لهم وفي الكلام اتساع قال قتاده وابن زيد وابن جريج وغيرهم المعنى
على عالم زمانهم الذي كانت فيهم النبوة المتكررة والملك لان الله تعالى يقول لامة محمد
صلى الله عليه وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس وقوله تعالى واتقوا يوما نصب يوما باتقوا
على السعة والتقدير عذاب يوم او هول يوم ثم حذف ذلك واقام اليوم مقامه ويصح ان
يكون نصبه على الظرف لا للتقوى لان يوم القيامة ليس بيوم عمل ولكن معناه حوا متقين
يوما ولا تجزي معناه لا تغني وقال السدي معناه لا تقضي ونعوته قوله تعالى شيئا قيل المعنى
لا يكافي ويقال جزي واجزى بمعنى واحد وقد فرق بينهما قوم فقالوا جزى بمعنى قضى وكافا و
اجزى بمعنى اغنا وكفى وقرا ابو السمال لا تجزي بضم التا والهمز وفي الكلام حذف قال
البصريون التقدير لا تجزي فيه ثم حذف فيه وقال غيرهم حذف ضمير متصل بتجزي تقديره لا تجزيه
على انه نعت حذف هذا الضمير في الخبر وانما يحسن في الصلة وقال بعض البصريين التقدير لا تجزي
فيه فحذف حرف الجر واتصل الضمير ثم حذف الضمير بتدريج وقوله تعالى ولا يقبل منها
شفاعة قرا ابن كثير وابو عمرو بالتاء وقرا الباقون بالياء نحو على المعنى اذ ما بين الشفاعة
ليس بحقيقي والشفاعة ماخوذة من الشفع وهما الاثنان لان الشافع والمشفوع له شفع

وكذلك

وكذلك التشفيع فيما لم يقسم وسبب هذه الاية ان بني اسرائيل قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وابناء انبيائه
وسيشفع لنا اباؤنا فاعلمهم الله تعالى عن يوم الشفاعات ولا تجزي نفس عن نفس وهذا انما
هو في الكافرين بالاجماع وتواتر الحديث بالشفاعة في المؤمنين وقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل قال
ابو العالية العدل الفدية قال الفقيه وعدل الشي هو الذي يساويه قيمة وقدرا وان لم يكن من جنسه
والعدل بكسر العين هو الذي يساوي الشي من جنسه وفي جرمه وحكى الطبري ان من العرب من يكسر
العين من معنى الفدية فاما واحد الاعدال فالكسر لا غير والضمير في قوله ولا هم عايد على الكافرين الذين
اقتضتهم الاية ويحتمل ان يعود على النفسين المتقدم ذكرهما لان الاثنين جمع او لان النفس للجنس
وهو جمع وحصرت هذه الاية المعاني التي اعتادها بنو ادم في الدنيا فان الواقع في شدة مع ادم لا
يتخلص الا بان يشفع له او ينصر او يفتدي وقوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون اي خلصناكم
وال اصله اهل قلبت الهاء الفا كما عمل في ما وكذلك ردها التصغير الى الاصل فقيل اهيل
وقيل في ال انه اسم غير اهل اصله اول وتصغيره اويل وانما نسب الفعل الى ال فرعون وهم انما كانوا
يفعلونه بامره وسلطانه لتوليهم ذلك بانفسهم قال الطبري ويقتضي هذا ان من امره ظالم بقتل احد
فقتله مامورا فهو الماخوذ به وال الرجل قرابته وشيعته واتباعه ومنه قول اراكة الثقفي ولا تبك
ميتا بعد ميت احبه علي وعباس وال ابي بكر يعني اكرمين الذين قبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاشهر في ال ان يضاف الى الاسما لا الى البقاع والبلاد وقد يقال ال مكة وال المدينة وفرعون اسم
لكل من ملك من العمالقة بمصر وفرعون موسى قيل اسمه مصعب بن الريان وقال ابو اسحق الوليد بن مصعب
وروى انه كان من اهل اصطخر ورد مصرا فولي فيها الملك وكان اصل كون بني اسرائيل بمصر
نزول اسرائيل بها زمن ابنه يوسف عليهما السلام ويسومونكم معناه ياخذونكم به ويلزمونكم
اياه ومنه المساومة بالسلعة وسامه خطة خسف ويسومونكم اعرابه رفع على الاستيناف والجملة
في موضع نصب على الحال اي سائمين لكم سوء العذاب ويجوز ان لا يقدر فيها الحال ويكون وصف
حال ماضية وسوء العذاب اشده واصعبه قال السدي كان يصرفهم في الاعمال القذرة و
يذبح الابناء ويستحيي النساء وقال غيره صرفهم على الاعمال الحرث والزراعة والبناء وغير ذلك
وكان قومه جندا ملوكا وقرا الجمهور يذبحون بشد الباء المكسورة على المبالغة وقرا ابن محيصن
يذبحون بالتخفيف والاول ارجح اذ الذبح متكرر وكان فرعون على ما يروى قد راى في منامه نارا
خرجت من بيت المقدس فاحرقت بيوت مصر فاولت له رؤياه ان مولودا من بني اسرائيل ينشا
فيخرب ملك فرعون على يديه وقال ابن اسحق وابن عباس وغيرهما ان الكهنة والمنجمين قالوا لفرعون
قد اظلك زمن مولود من بني اسرائيل يخرب ملكك وقال ابن عباس ايضا ان فرعون وقومه
تذاكروا وعد الله لابراهيم ان يجعل من ذريته انبياء وملوكا فامر عند ذلك بذبح الذكور من
المولودين في بني اسرائيل ووكل بكل عشر نساء رجلا يحفظ من تحمل منهن وقيل وكل بذلك القوابل
وقالت طائفة ومعنى يذبحون ابناءكم يذبحون الرجال ويسمون ابناء لما كانوا كذلك واستدل
هذا القائل بقوله تعالى نساءكم قال الفقيه والصحيح من التاويل ان الابناء هم الاطفال الذكور
والنساء هم الاطفال الاناث وعبر عنهن باسم النساء بالمال وليذكرهن بالاسم الذي في
وقته يستخدمن ويمتهن ونفس الاستحياء ليس بعذاب لكن العذاب بسببه وقع الاستحياء ويذبحون
بدل من يسومون وقوله تعالى وفي ذلكم اشارة الى جملة الامر اذ هو جنس فهو كفرد حاضر
وبلاء معناه امتحان واختبار ويكون البلاء في الخير والشر وقال قوم الاشارة بذلكم الى
التنجية من بني اسرائيل فيكون البلاء على هذا في الخير اي في تنجيتكم نعمة من الله عليكم
وقال الجمهور الاشارة الى الذبح ونحوه والبلاء هنا في الشر والمعنى وفي الذبح مكروه
وامتحان وحكى الطبري وغيره في كيفية نجاتهم ان موسى عليه السلام اوحي اليه ان يسري
من مصر ببني اسرائيل فامرهم موسى ان يستعيروا الحلي والمتاع من القبط واحل الله ذلك لبني
اسرائيل فسرى بهم موسى من اول الليل واعلم فرعون فقال لا يتبعهم احد حتى يصيح الديكة
فلم يصح تلك الليلة بمصر ديك حتى اصبح وامات الله تلك الليلة كثيرا من ابناء القبط فاشتغلوا
في الدفن وخرجوا في الاتباع مشرقين وذهب موسى الى ناحية البحر حتى بلغه وكانت عدة بني اسرائيل
نيفا على ست مائة الف وكانت عدة فرعون الف الف ومائتي الف وحكي غير هذا مما اختصرته
لقلة ثبوته فلما لحق فرعون موسى ظن بنو اسرائيل انهم غير ناجين فقال يوشع بن نون لموسى
اين امرت فقال هكذا واشار الى البحر فركض يوشع فرسه فيه حتى بلغ الغمر ثم رجع فقال لموسى
اين امرت فوالله ما كذبت ولا كذبت فاشار الى البحر واوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك
البحر واوحى الى البحر ان انفرق لموسى اذا ضربك فبات البحر تلك الليلة يضطرب فحين اصبح

ضرب موسى البحر وكناه اباخالد فانفرق وكان ذلك في يوم عاشورا قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم
واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم
ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
تهتدون ن فرقنا معناه جعلناه فرقا وقرا الزهري فرّقنا بتشديد الراء ومعنى بكم بسببكم وقيل
لما كانوا بين الفرق وتتجاوزهم فكانه بهم فرق وقيل معناه لكم والبا عوض عن اللام وهذا ضعيف
والبحر هو بحر القلزم ولم يفرق البحر عرضا جزعا من صفة الى صفة وانما فرق من موضع الى موضع
اخر في صفة واحدة وكان ذلك الفرق بقرب موضع النجاة ولا يلحق في البر الا في ايام كثيرة بسبب
جبال وا وعار حال الله وذكر العامري ان موضع خروجهم من البحر كان قريبا من برية فلسطين
وهي كانت طريقهم وقيل انفرق البحر عرضا وانفرق البحر على اثني عشر طريقا طريق لكل سبط فلما
فلما دخلوها قالت كل طائفة غرق اصحابنا وجزعوا فقال موسى اللهم اعني على اخلاقهم السيئة
فاوحى الله اليه ان ادر عصاك على البحر فادارها فصارت في الماء فتوح كالطاق يرى بعضهم بعضا
وجاروا وجبريل في ساقتهم على ماديانه يحث بني اسرائيل ويقول الحقوا باخوانكم الحقوا
احرّكم اولكم فلما وصل فرعون الى البحر اراد الدخول فهمّ فرسه فتعرض جبريل بالرمكة فاتبعها
الفرس وعجل الى فرعون وميكائيل يحثهم فلما لم يبق الا ميكائيل في ساقتهم على الصفة وخلوه
انطبق البحر عليهم فغرقوا ينظرون قيل معناه بابصاركم كقرب بعضهم من بعض وقيل معناه
ببصائركم لا عتبار لانهم كانوا في شغل عن الوقوف والنظر بالابصار وقيل ان آل فرعون
طفوا على الماء فنظروا اليهم وقيل المعنى وانتم بحال من ينظر لو نظر كما يقول هذا المر بمرأى و
مستمع اي بحال يراه ويسمعه اي شيت قال الطبري وفي اخبار القران على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
بهذه المغيبات التي لم تكن من علم العرب ولا وقعت الا في علم بني اسرائيل دليل واضح عند بني اسرائيل
وقائم عليهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرا الجمهور واعدنا وقرا ابو عمرو وعدنا ورجحه
ابو عبيد وقال ان المواعدة لا تكون الا من البشر قال الفقيه وليس هذا بصحيح لان قبول موسى لوعد الله
والتزامه وارتقابه يشبه المواعدة وموسى اسم اعجمي لا ينصرف للعجمة والتعريف والقبط على ما يروى
يقولون للماء مو وللشجر سى فلما وجد موسى في التابوت عند ما وشجر سمي موسى قال ابن اسحق هو
موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل ونصب اربعين
على المفعول الثاني ولا يجوز نصبها على الظرف في هذا الموضع وهي فيما يروى ذو القعدة وعشر ذي الحجة
وخص الليالي دون الايام بالذكر اذ الليلة اقدم من اليوم وقبله في الرتبة وكذلك وقع بها التاريخ
قال النقاش وفي ذلك اشارة الى صلة الصوم لانه لو ذكر الايام لامكن ان يعتقد انه كان يفطر بالليل
فلما نص على الليالي اقتضت قوة الكلام انه عليه السلام واصل اربعين ليلة بايامها قال الفقيه حدثني
ابي رحمه الله قال سمعت الشيخ الزاهد الامام الواعظ ابا الفضل بن الجوهري رحمه الله يعظ الناس
بهذا المعنى في الخلوة بالله والدنو منه في الصلوة ونحوه وان ذلك يشغل عن كل طعام وشراب ويقول
ابن حال موسى في القرب من الله ووصال ثمانين من الدهر من قوله حين سار الى المعناه لمعناه في بعض يوم
آتنا غداءنا وكل المفسرين على ان الاربعين كلها ميعاد وقال البصريين وعده راس اربعين ليلة
قال الفقيه وهذا ضعيف وقوله ثم اتخذتم قرا اكثر السبعة بالادغام وقرا ابن كثير وعاصم في رواية
حفص عنه بالاظهار الدال وثم للمهلة ولتدل على ان الاتخاذ بعد المواعدة واتخذ وزنه افتعل من
الاخذ قال ابو علي هو من تخذ لا من اخذ واسد ... ويحدف ... على الحسب عدد رجاسيفا كالوس
العطاه المطوق ونصب العجل باتخذتم والمفعول الثاني محذوف تقديره اتخذتم العجل الاها واتخذ قد
يتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا وقد يتعدى الى مفعولين احدهما هو
الاخر في المعنى كقوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة وكهذه الاية وغيرها والضمير في بعده يعود على موسى
وقيل على انطلاقه للتكلم اذ المواعدة تقتضيه وقيل على الوعد وقصص هذه الاية ان موسى عليه السلام
لما خرج ببني اسرائيل من مصر قال لهم ان الله تعالى سينجيكم من آل فرعون وينفلكم حليهم ومتاعهم
الذي كان امرهم باستعارته وروي انهم استعاروه برايهم فنفلهم الله ذلك بعد خروجهم وقال لهم موسى
عن الله تعالى انه ينزل علي كتابا فيه التحليل والتحريم والهدى لكم فلما جازوا البحر طالبوا موسى بما قال لهم من امر
الكتاب وخرج الى ميعاد ربه وحده وقد اعلمهم بالاربعين ليلة فعدوا عشرين يوما بعشرين ليلة ثم
قالوا هذه اربعون من الدهر وقد اخلفنا الوعد وبدا بعينهم وخلافهم وكان السامري رجلا من بني اسرائيل
يسمى موسى بن ظفر وقيل لم يكن من بني اسرائيل كان غريبا فيهم وكان قد عرف جبريل عليه السلام وقت
عبرهم البحر فقالت طائفة انكر هيئته فعرف انه ملك وقالت طائفة كانت ام السامري ولدته عام الذبح
فجعلته في غار واطعمه عليه كان جبريل عليه السلام يغذوه باصابع نفسه فيجد في اصبع لبنا وفي اصبع

وفي اصبع سمنا فلما رآه وقت جواز البحر عرفه فاخذ من تحت الاكان حافر فرسه قبضة تراب والقي في
روعه انه لن يلقيها على شي ويقول له كن كذا الا كان فلما خرج موسى لميعاده قال هرون لبني
اسرائيل ان ذلك الحلي والمتاع الذي استعرتم من القبط لا يحل لكم فجيئوا به حتى تاكله النار
التي كانت العادة ان تنزل على القرابين ... وقد لهم نارا وامرهم بطرح جميع ذلك فيها فجعلوا
يطرحون وقيل بل امرهم ان يضعوه في حفرة دون نار حتى يجي موسى وجاء السامري فطرح
القبضة وقال كن عجلا وقيل ان السامري كان في اصله من قوم يعبدون البقر وكان يحبه
ذلك وقيل بل كانت بنو اسرائيل قد مرت مع موسى على قوم يعبدون البقر فقالوا يا موسى اجعل
لنا الها كما لهم آلهة فدعاها السامري وعلم ان من تلك الجهة يفتنون ففتنت بنو اسرائيل
بالعجل وطلب منهم طائفة يعبدونه فاعتزلهم هرون عن معه فجاء موسى من ميعاده فغضب
حسب ما ياتي قصصه في مواضعه من القران ان شا الله ثم اوحى الله اليه ان سوف على بني
اسرائيل حتى يقتلوا انفسهم ففعل بنو اسرائيل ذلك فروي انهم لبسوا السلاح من عبد منهم ومن
لم يعبدوا القى الله عليهم الظلام فقتل بعضهم بعضا يقتل الاب ابنه والاخ اخاه فلما
استحر فيهم القتل وبلغ سبعين عفا الله عنهم وجعل من مات شهيدا وتاب على البقية فذلك
قوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك وقال بعض المفسرين وقف الذين عبدوا العجل صفا
ودخل الذين لم يعبدوه عليهم بالسلاح فقتلوهم وقالت طائفة جلس الذين عبدوه بالافنية
وخرج يوشع بن نون ينادي ملعون من حل حبوته وجعل الذين لم يعبدوا يقتلونهم وموسى
في خلال ذلك يدعو لقومه فيرغب في العفو عنهم وانما عوقب الذين لم يعبدوا بقتل
انفسهم على احد الاقوال ويقتلهم قرابتهم على الاقوال الاخر لانهم لم تغيروا المنكر
حين عبدوا العجل وانما اعتزلوا فكان الواجب عليهم ان يقاتلوا من عبده وانتم ظالمون ابتدا
وخبره في موضع الحال وقد تقدم تفسير الظلم والعفو تغطية الاثر وازالة الحال الاولى من الذنب
او غيره ولا يستعمل العفو بمعنى الصلح الا في الذنب وعفا عنهم عز وجل لانه كان يعلم ما
يكون منهم وقوله تعالى واذ آتينا موسى الكتاب الاية اذ عطف على ما ذكر ان النعم والكتاب
هو التوراة باجماع من المتاولين واختلفوا في الفرقان هنا فقال الزجاج وغيره هو التوراة
ايضا كرر المعنى لاختلاف اللفظ ولانه زاد معنى التفرقة بين الحق والباطل ولفظة الكتاب
لا يعطي ذلك وقال اخرون الكتاب التوراة والفرقان سائر الايات التي اوتي موسى عليه السلام
لانها فرقت بين الحق والباطل وقال اخرون الفرقان النصر الذي فرق بين حالهم وحال آل فرعون
بالنجاة والغرق وقال ابن زيد الفرقان انفراق البحر له حتى صار فرقا وقال الفرا وقطرب معنى
هذه الاية آتينا موسى الكتاب ومحمد الفرقان قال الفقيه وهذا ضعيف ولعلكم تهتدون
ترج وتوقع مثل الاول قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ن هذا القول
من موسى عليه السلام وكان بامر من الله تعالى وحذف اليا من يا قومي لان النداء موضع حذف وتخفيف
والضمير في اتخاذكم في موضع خفض على اللفظ وفي موضع رفع بالمعنى والعجل لفظة عربية اسم كولد
البقرة وقال قوم سمي عجلا لانه استعجل قبل مجي موسى قال الفقيه وليس هذا القول بشي والخلف
هل بقي العجل من ذهب فقال ذلك الجمهور وقال الحسن صار لحما ودما والاول اصح وتوبوا معناه
ارجعوا عن المعصية الى الطاعة وقرا الجمهور بارئكم باظهار الهمزة وكسرها وقرا ابو عمرو بارئكم
باسكان الحركات وقال المبرد لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الاعراب وقراءة ابي عمرو بارئكم
لحن قال الفقيه وقد روي عن العرب التسكين في حرف الاعراب قال الشاعر اذا اعوججن قلت صاحب قوم
وقال امرؤ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقال الاخر قالت سليمى اشتر لنا
سويقا وقال الاخر وقد بدا هنك من المئزر وقال جرير ونهر تيرى فما تعرفكم العرب وقال صاحب اليمن
انما تعدى شهد قد خلط بجلجلان ومن انكر التسكين في حرف الاعراب فحجته ان ذلك لا يجوز من حيث
كان علما للاعراب قال ابو علي واما حركة البنا فلم تختلف النحاة في جواز تسكينها مع توالي الحركات وقرا
الزهري بارئكم بكسر اليا من غير همز وروي عن نافع وقرا قتادة فاقتلوا انفسكم وقال هي من الاستقالة
وقال ابو الفتح اقتال هذه افتعل ويحتمل ان يكون عينها واوا كاقتادوا ويحتمل ان يكون ياء كاقتاس
والتصريف يضعف ان يكون من الاستقالة لكن قتادة رحمه الله ينبغي ان يحسن الظن به
فانه لم يورد ذلك الا بحجة عنده وقوله تعالى فتاب عليكم قبله محذوف تقديره ففعلتم وقوله
عليكم معناه على الباقين وجعل الله القتل لمن قتل شهادة وتاب على الباقين وعفا عنهم

وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى يريد السبعين الذى اختارهم موسى واختلف فى وقت اختيارهم فحكى اكثر
المفسرين ان ذلك بعد عبادة العجل اختارهم ليستغفروا لبنى اسرائيل وحكى النقاش وغيره انه
اختارهم حين خرج من البحر وطلب بالميعاد والاول اصح وقصة السبعين ان موسى عليه السلام لما رجع
من تكلم الله ووجد العجل قد عبد قالت طائفة ممن لم يعبدوا العجل نحن لم نكفر ونحن اصحابك
ولكن اسمعنا كلام ربك فاوحى الله اليه ان اختر منهم سبعين ولم يجد الا ستين فاوحى الله
اليه ان اختر من الشباب عشرة ففعل فاصبحوا شيوخا وكان قد اختار ستة من كل سبط فزادوا اثنين
على السبعين فتشاحوا فيمن يتاخر فاوحى الله انه من تاخر له اجر من مضى فتاخر يوشع بن نون وكالوث
بن يوقنا وذهب موسى عليه السلام بالسبعين بعد ان امرهم ان يتجنبوا النساء ثلاثا ويغتسلوا فى اليوم
الثالث واستخلف هرون على قومه ومضى حتى اتى الجبل فالقى عليهم الغمام قال النقاش غشيتهم سحابة
وحيل بينهم وبين موسى بالنور فوقعوا سجودا قال السدى وغيره وسمعوا كلام الله يامر وينهى فلم يطيقوا
سماعه واختلطت اذهانهم ورغبوا ان يكون موسى يسمع ويعبر لهم ففعل فلما فرغوا وخرجوا
بدلت منهم طائفة ما سمعت من كلام الله فذلك قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه واضطرب ايمانهم وامتحنهم الله بذلك فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم
يطلبوا من الرؤية محالا اما انه عند اهل السنة ممتنع من طريق السمع فى الدنيا فاخذتهم حينئذ
الصاعقة فاحترقوا وماتوا موت همود يعتبر به الغير وقال قتادة ماتوا وذهبت ارواحهم ثم
ردوا لاستيفاء اجالهم فحين حصلوا فى ذلك الهمود جعل موسى يناشد ربه فيهم ويقول اى
اى رب كيف ارجع الى بنى اسرائيل دونهم فيهلكون ولا يؤمنون لى ابدا وقد خرجوا معى وهم الاخيار قال
الفقيه يعنى بحال الخروج وقال قوم بل ظن موسى ان السبعين انما عوقبوا بسبب عبادة العجل
فذلك قوله اتهلكنا يعنى السبعين بما فعل السفهاء منا يعنى عبدة العجل وقال ابن فورك يحتمل ان يكون
معاقبة السبعين لاخراجهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ارنا وليس ذلك من مقدور موسى
عليه السلام وجهرة مصدر فى موضع الحال والاظهر انها من الضمير فى نرى وقيل من الضمير فى نؤمن
وقيل من الضمير فى قلتم والجهر العلانية ومنه الجهر ضد السر وجهر الرجل الامر كشفه وقد اسهلت
شعيب وحميد بن قيس جهرة بفتح الهاء وهى لغة مسموعة عند البصريين فيما فيه حرف الحلق ساكنا قد
انفتح ما قبله والكوفيون يجيزون الفتح وان لم يسمعوه قال الفقيه ويحتمل ان يكون جهرة جمع جاهر
اى نرى الله كاشفين هذا الامر وقرا عمر وعلى رضى الله عنهما فاخذتكم الصعقة ومضى فى صدر السورة
معنى الصاعقة والصعقة ما يحدث بالانسان من الصاعقة وينظرون معناه الحال كم قال الفقيه
حتى حالهم العذاب وازال نظرهم قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم
الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم
يظلمون واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ن اجاب تعالى فيهم رغبة موسى عليه السلام واحياهم
من ذلك الهمود او الموت ليستوفوا اجالهم وتاب عليهم والبعث هنا الاثارة كما قال من بعثنا
من مرقدنا وقال قوم انهم لما احيوا وانعم عليهم بالتوبة سالوا موسى ان يجعلهم الله انبياء فذلك
قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم اى انبياء لعلكم تشكرون اى على هذه النعمة والترجى انما هو فى حق البشر
ونزلت الالواح بالتوراة على موسى فى تلك المدة هذا قول جماعة وقال اخرون ان الالواح نزلت قبل ذهابه
الاول وحده وذكر المفسرون فى تظليل الغمام ان بنى اسرائيل لما كان من امرهم ما كان من القتل
وبقى منهم من بقى حصلوا فى فحص التيه بين مصر والشام فامروا بقتال الجبارين فعصوا وقالوا
اذهب انت وربك فقاتلا فدعا موسى عليهم فعوقبوا بالبقاء فى ذلك الفحص اربعين سنة يتيهون
فى مقدار خمسة فراسخ او ستة يروى انهم كانوا يمشون النهار كله ويتركون للمبيت فيصبحون
حيث كانوا بكرة الامس فندم موسى على دعائه عليهم فقيل له لا تاس على القوم الفاسقين
وروى انهم ماتوا باجمعهم فى فحص التيه ونشا بنوهم على خير طاعة فهم الذين خرجوا من
فحص التيه وقاتلوا الجبارين واذ كان جميعهم فى التيه قالوا لموسى من لنا بالطعام
قال فانزل الله عليهم المن والسلوى قالوا من لنا من حر الشمس فظلل عليهم الغمام قالوا
ثم نستصبح بالليل فضرب لهم عمود نور فى وسط محلتهم وذكر مكى عمود نار قالوا من لنا
بالماء يا موسى فضرب الحجر قالوا من لنا باللباس فاعطوا ان لا يبلى لهم ثوب ولا يخلق ولا
يدرن وان ينمو صغارها حسب نمو الصبيان ومعنا ظللنا جعلنا ظللا والغمام
السحاب لانه يغم وجه السماء اى يستره وقال مجاهد هو ابرد من السحاب وارق واصفى
وهو الذى ياتى الله فيه يوم القيامة قال الفقيه ياتى امره وسلطانه وقضاؤه وقيل

الغمام ما ابيض من السحاب والمن صمغة حلوة هذا قول فرقة وقيل هو عسل وقيل شراب حلو
وقيل الذى ينزل اليوم على الشجر وقيل المن خبز الرقاق مثل النقى وقيل هو الترنجبين وقيل الزنجبيل
وفى بعض الاقاويل نعدد وقيل المن مصدر يعنى به جميع ما من الله به مجملا وقال النبى صلى الله
عليه وسلم فى كتاب مسلم الكماة مما من الله به على بنى اسرائيل وماؤها شفاء للعين فقيل
اراد عليه السلام ان الكماة نفسها مما انزل نوعها على بنى اسرائيل وقيل اراد انه لا تعب
فى الكماة ولا جداد ولا حصاد فهى منة دون تكلف من جنس من بنى اسرائيل فى انه كان دون
تكلف وروى ان المن كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس كالثلج فياخذ منه الرجل
ما يكفيه ليومه فان ادخر منه فسد عليه الا فى يوم الجمعة فانهم كانوا يدخرون ليوم السبت
ولا يفسد عليهم لان يوم السبت عبادة والمن هنا اسم جمع لا واحد له من لفظه و
السلوى طير باجماع من المفسرين قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع بن انس وغيرهم
قيل هو السمانى اى بعينه وقيل طائر الى الحمرة مثل السمانى وقيل طائر مثل الحمام تحشره
عليهم الجنوب قال الاخفش جمع وواحده بلفظ واحد وقال الخليل السلوى جمع واحده
سلواة قال الكسائى السلوى واحدة جمعها سلاوى والسلوى اسم مقصور لا يظهر
فيه اعراب لان اخره الف والالف حرف هوائى اشبه الحركة فاستحالت حركته ولو حرك لرجع
حرفا اخر وقد غلط الهذلى قال الدسن السلوى اذ اما نشورها ظن السلوى العسل وقوله
تعالى كلوا الاية معناه وقلنا كلوا فحذف اختصارا لدلالة الظاهر عليه والطيبات هنا
قد جمعت الحلال واللذيذ وقوله تعالى وما ظلمونا يقدر قبله فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر
والمعنى ما وضعوا فعلهم فى موضع مضرة لنا ولكن وضعوه فى موضع مضرة لهم حيث لا يجب
وقال بعض المفسرين ما ظلمونا ما نقصونا والمعنى يرجع الى ما لخصناه والقرية المدينة تسمى
بذلك لانها تقرت اى اجتمعت ومنه قريت الماء فى الحوض اذا جمعته والاشارة بهذه الى بيت
المقدس فى قول الجمهور وقيل الى اريحا وهى قريب من بيت المقدس قال عمرو بن شبة كانت قاعدة
ومسكن ملوك ولما خرج ذرية بنى اسرائيل من التيه امروا بدخول القرية المشار اليها
واما الشيوخ فماتوا فيه وروى ان موسى عليه السلام مات فى التيه وكذلك هرون عليه
السلام وحكى الزجاج عن بعضهم ان موسى وهرون لم يكونا فى التيه لانه عقاب والاول
اكثر وكلوا اباحة وتقدم معنى الرغد وهى ارض مباركة عظيمة الغلة فلذلك قال رغدا
والباب قال مجاهد هو باب فى مدينة بيت المقدس يعرف الى اليوم بباب حطة وقيل هو باب
القبة التى كان يصلى اليها موسى وروى عن مجاهد ايضا انه باب فى الجبل الذى كلم عليه
موسى كالفرضة لا على حد معينة والسجود يعم هذا كله لانه التواضع ومنه قول الشاعر
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وروى ان الباب جعل ليقصر ويدخلوا عليه متوا
متواضعين وحطة فعلة من حط يحط ورفعه على خبر ابتداء كانهم قالوا سؤالنا
حطة لذنوبنا هذا تقدير الحسن وقال الطبرى التقدير دخولنا الباب كما امرنا حطة
وقيل امروا ان يقولوها مرفوعة على هذا اللفظ وقال عكرمة وغيره امروا ان يقولوا لا اله الا
الله لتحط بها ذنوبهم وقال ابن عباس قيل لهم استغفروا وقولوا ما يحط ذنوبكم وقال
اخرون قيل لهم ان يقولوا هذا الامر حق كما اعلمنا قال الفقيه وهذه الاقوال الثلاثة
تقتضى النصب وقرا ابراهيم بن ابى عبلة حطة بالنصب وحكى عن ابن مسعود وغيره انهم
امروا بالسجود وان يقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم ويقولون حنطة حبة
حمراء فى شعرة ويروى غير هذا من الالفاظ وقرا نافع يغفر بالياء من تحت مضمومة
وقرا ابن عامر تغفر بالتاء من فوق مضمومة وقرا ابو بكر عن عاصم يغفر بفتح الياء على معنى
يغفر الله وقرا الباقون نغفر بالنون وقرا طائفة كان الحطة تكون سبب الغفران
والقراء السبعة على خطاياكم غير ان الكسائى كان يميلها وقرا الجحدرى تغفر لكم
خطيئتكم بضم التاء من فوق وبرفع الخطيئة وقرا الاعمش يغفر بالياء من اسفل مفتوحة
خطيئتكم بضم التاء من فوق وبرفع نصبا وقرا قتادة مثل الجحدرى وروى عنه انه قرا بالياء
من اسفل مضمومة خطيئتكم رفعا وقرا الحسن البصرى نغفر لكم خطيئاتكم وقرا ابو حيوة
تغفر بالتاء من فوق مرفوعة خطيئاتكم بالجمع ورفع التاء وحكى الاهوازى انه قرا خطاياكم
بهمز الالف وسكون الاخرة وحكى ايضا انه قرا بسكون الاولى وهمز الاخرة قال الفراء خطايا
جمع خطيئة بلا همز كهدية وهدايا وركية وركايا وقال الخليل هو جمع خطيئة بالهمز و
اصله خطائى قدمت الهمزة على الياء فجاء خطاءى ابدلت الياء الفا بدلا لازما فانفتحت

الهمزة التي قبلها فجاء حطاهمزة بين العين وهي من قبيلها فكانهما ملاب العا فقلبت الهمزة ياء فجاء
حطايا قال سيبويه اصله حطائي همزت اليا كما تفعل في مداين وكاس فاجتمعت همزتان فقلبت
الثانية ياء ثم اعلت على ما تقدم وقوله تعالى وسنزيد المحسنين عدة المعنى اذا غفرت
الخطايا بدخولكم وقولكم زيد بعد ذلك لمن احسن وكان من بني اسرائيل من دخل كما امر وقال
لا اله الا الله فقيل هم المراد بالمحسنين هنا قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا
على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب
بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق
الله ولا تعثوا في الارض مفسدين ن روى انهم لما جاوا الباب دخلوا من قبل ادبارهم القهقرى
وفي الحديث انهم دخلوا يزحفون على استاههم وبدلوا فقالوا حبه في شعره وقيل قالوا الحنطة
حمرا فيها شعره وقيل سعره وحكى الطبري انهم قالوا هطي شقفا ازبه وتفسيره ما تقدم والرجز
العذاب وقال ابن زيد ومقاتل وغيرهما ان الله تعالى بعث على الذين بدلوا ودخلوا على غير
ما امروا الطاعون فاذهب منهم سبعين الفا وقال ابن عباس امات الله منهم في ساعة
واحدة نيفا وعشرين الفا وقرا ابن محيصن رجزا بضم الرا وهي لغة في العذاب والرجز ايضا
اسم صنم مشهور والباء في قوله بما متعلقة بانزلنا وهي بالسبب ويفسقون معناه يخرجون عن طاعة
الله وقرا النخعي وابن وثاب يفسقون بكسر السين يقال فسق يفسق ويفسق بضم السين وكسرها
واذ متعلقة بفعل مضمر تقديره اذكروا استسقى معناه السقي وعرف استفعل طلب الشي وقد جاء
في غير ذلك كقوله واستغنى الله بمعنى غني وقولهم استعجب بمعنى عجب ومثل بعض الناس في هذا بقولهم
استنسر البغاث واستنوق الجمل اذ هي بمعنى انتقل من حال الى حال وكان هذا الاستسقاء في محصلة
فامره الله تعالى بضرب الحجر اية منه وكان الحجر من جبل الطور على قدر راس الشاة يلقى في كسر جوالق و
يرحل به فاذا نزلوا وضع في وسط محلتهم وصوبه موسى وذكروا انهم لم يكونوا يحملون الحجر لكنهم كانوا
يجدونه في كل مرحلة في منزلته من المرحلة الاولى وهذا اعظم في الاية ولا خلاف انه كان حجرا منفصلا
مربعا تطرد من كل جهة ثلاث عيون اذا ضربه موسى واذا استغنوا عن الماء ودخلوا جفت العيون
وفي الكلام حذف تقديره وضربه فانفجرت والانفجار انصداع الشي عن شي ومنه الفجر والانبجاس
في الماء اقل من الانفجار واثنا عشرة دون اخواتها لصحة المعنى الاسم وانما بني واحد مع واحد
فلو بنيت لوجد ثلاثة واحدا وجاز اجتماع علامتي التانيث في قوله اثنتا عشرة لبعد العلامة من
العلامة ولانهما في شيئين وانما منع ذلك في شي واحد نحو مسلمات وغيره وقرا ابن وثاب وابن ابي
ليلى وغيرهما عشرة بكسر الشين وروى ذلك عن ابي عمرو والاشهر عنه الاسكان وهي لغة
تميم وهو نادر لانهم يخففون كثيرا ويثقلوا في هذه وقرا الاعمش وغيره عشرة بفتح الشين
وهي لغة ضعيفة واروى عنه كسرها وتسكينها والاسكان لغة الحجاز وعينا نصب
على التمييز والعين اسم مشترك وهو هنا منبع الما واناس اسم جمع لا واحد له من لفظه
ومعناه هنا كل سبط لان الاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب وهم ذريه
الاثني عشرة اولاد يعقوب عليه السلام والمشرب المفعل موضع الشرب كالمشرع
موضع الشروع في الما وكان لكل سبط عين من تلك العيون لا يتعداها وفي الكلام
محذوف تقديره وقلنا لهم كلوا المن والسلوى واشربوا الماء المتفجر من الحجر
المنفصل وبهذه الاحوال حسنت اضافة الرزق الى الله والا فجميع رزقه وان
كان فيه تلسب للعبد ولا تعثوا معناه ولا تفرطوا في الفساد يقال عثى الرجل يعثي
وعثا يعثي عيثا اذا افسد اشد الفساد والاولى هي لغة القران والثانية شاذة
ويقول العرب عثا يعثو عثوا ولم يقرا بهذه اللغة لانها توجب ضم الثا ومنه
عثة الصوف وهي السوسة التي تلحسه ومفسدين حال وتكرار المعنى لاختلاف
اللفظ وفي هذه الكلمات اباحة النعم وتعدادها والتقدم في المعاصي والنهي عنها
قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج
لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة و
المسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ن كان هذا القول منهم
في التيه حين ملوا المن والسلوى وتذكروا عيشهم الاول بمصر وكنى عن المن
والسلوى بطعام واحد وهما طعامان لانهما كانا يؤكلان في واحد ولتكرارهما

سواء ايدا فيل لهما طعام واحد ولغة بني عامر فادع بكسر العين ويخرج جزم بما تضمنه الامر
من معنى الجزاء او بنفس الامر على مذهب الجرمي والمعول على مذهب سيبويه مضمر تقديره سالو
لا مما تنبت الارض وقال الاخفش من قوله مما زائدة وما مفعول وابا سيبويه ان يكون من
ملغاه في غير النفي كقولهم ما رايت من احده ومن في قوله من بقلها لبيان الجنس وبقلها
بدل منه باعادة الجر والبقل كل ما تنبته الارض من النجم والقثاء جمع قثاة وقرا طلحة بن
مصرف ويحيى بن وثاب قثائها بضم القاف وابن عباس واكثر المفسرين الفوم الحنطة
وقال مجاهد الفوم الخبز وقال عطا وقتادة الفوم جمع الحب التي يمكن ان تخبز الحنطة
والفول والعدس ونحوه وقال الضحاك الفوم الثوم وهي قراءة عبد الله بن مسعود بالثا
وروى ذلك عن ابن عباس والثا تبدل من الفا كما قالوا مغافير ومغاثير وجدف
وجدث ووقعوا في عاثور شر وفي عافور شر على ان البدل لا ينقاس عليه والاول
اصح انها الحنطة وانشد ابن عباس قال احيحة ابن الجلاح قد كنت اغنى الناس شخصا
واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم يعني حنطة قال ابن دريد الفوم الزرع او الحنطة
وازد الشواه يسمون السنبل فوما والاستبدال طلب وضع الشي موضع الاخر
وادنى ماخوذ عند ابي اسحق الزجاج من الدنو اي القرب في القيمة وقال علي بن سليمان هو
مهموز من الدنئ البين الدناءة بمعنى الاخس الا انه خففت همزته وقال غيره هو ماخوذ
من الدون اي الاحط فاصله ادون افعل قلبت فجاء اولع وقلبت الواو الفا لتطرفها
وقرا زهير الكسائي ادناه ومعنى الاية اتستبدلون البقل والقثاء والفوم والعدس
والبصل التي هي ادنى بالمن والسلوى الذي هو خير والوجه الذي يوجب فضل المن والسلوى
عن الشي الذي طلبوه يحتمل ان يكون تفاضلهما في القيمة لان هذه البقول لا خطر لها و
هذا قول الزجاج ويحتمل ان تفضل المن والسلوى لانه الطعام الذي من الله به وامرهم
باكله وفي استدامة امر الله وشكر نعمته اجر وذخر في الاخرة والذي طلبوا عار من هذه
الخصال فكان ادنى في هذا الوجه ويحتمل ان تفضل في الطلب واللذة به فالبقول لا محالة ادنى
من هذا الوجه ويحتمل ان يفضل في حسن الغذاء ونفعه والمن والسلوى خير لا محالة في هذا
الوجه ويحتمل ان تفضل من جهة انه لا كلفة فيه ولا تعب والذي طلبوه لا يجيء الا بالحرث
والزراعة والتعب وهو ادنى في هذا الوجه ويحتمل ان يفضل في انه لا مرية في حله وخلوصه
لنزوله من عند الله والحبوب والارض يتخللها البيوع والغصوب وتدخلها الشبه فهو ادنى في
هذا الوجه قال الفقيه ويترتب الفضل بالمن والسلوى بهذه الوجوه كلها وفي الكلام حذف
تقديره فدعا موسى ربه فاجابه فقال لهم اهبطوا وتقدم ذكر معنى الهبوط وجمهور الناس يقرؤن
مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف الا ما روي عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه وقال
مجاهد وغيره عن صرفها اراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القران
من امرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الرواية انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة
ممن صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في القران من الله اورث بني اسرائيل ديار
ال فرعون واثارهم واجازوا صرفها قال الاخفش لخفتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه
لا يجيز هذا وقال غير الاخفش اراد المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن تغلب وغيرهما اهبطوا
مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف ابي بن كعب وقالوا هي مصر فرعون قال الاعمش هي
مصر التي عليها صالح بن علي وقال اشهب قال لي مالك هي عندي مصر قريتك مسكن فرعون
وقوله تعالى فان لكم ما سالتم يقتضي انه وكلهم الى انفسهم وقرا النخعي وابن وثاب سالتم
بكسر السين وهي لغة وضربت عليهم الذلة والمسكنة معناه الزموها وقضي عليهم بها كما يقول
ضرب الامير البعث وكما قالت العرب ضربة لازم اي الزام ملزم او لازم فيضاف المصدر الى
المفعول بالمعنى وكما يقال ضرب الحاكم على اليد الحجر والزم ومنه ضرب الدرهم ضربا نه اي الزم
الرامانة والذلة فعلة من الذل كانها الهيئة والحال والمسكنة من السكين قال الزجاج هي
ماخوذة من السكون وهي هنا زي الفقر وخضوعه وان وجد يهودي غني فلا يخلو من زي
الفقر ومهانته قال الحسن وقتادة المسكنة الخراج اي الجزية وقال ابو العالية المسكنة الفاقة
والحاجة وباؤا بغضب من الله معناه مروا متحملين له تقول بؤت بكذا اذا احتملته ومنه
قول مهلهل بحيربن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب والغضب بمعنى الارادة صفة
ذات وبمعنى اظهاره على العبد بالمعاقبة صفة فعل والاشارة بذلك الى ضرب الذلة وما بعده
والباء في بانهم بالسبب وقال المهدوي ان الباء بمعنى اللام والمعنى لانهم والايات هنا

يحتمل ان يراد بها الشيع وغيرها مما عرف العادة وهو علامة يصدق الاتي به ويحتمل ان يراد ايات
التوراة التي هي ايات القران وقرا الحسن ويقتلون بالشا على الرجوع الى خطابهم وروى عنه ايضا
بالساء وقرا نافع بهمز السين وكذلك حيث وقع في القران الا في موضعين في سورة الاحزاب ان
وهبت نفسها للنبي ان اراد بلا مد ولا همز ولا تدخلوا بيوت النبي الا وانما ترك همز هذين
الموضعين لاجتماع همزتين مكسورتين من جنس واحد وترك الهمز في جميع ذلك الباقون فاما
من همز فهو عنده من انبا اذا اخبر واسم فاعله منبي فقيل نبي بمعنى منبي كما قيل سميع بمعنى
مسمع واستدلوا بما جاء من جمعه على نبا قال الشاعر يا خاتم النبا انك مرسل بالحق كل هدا
الاله هدا كما فهذا كما جمع فقيل في الصحيح لطريف وطرفا وشبهة قال ابو علي زعم سيبويه انهم
يقولون في تحقير النبوة كان مسيلمة نبوته نبيه سوء وكلهم يقولون تنبا مسيلمة فاتفاقهم
على ذلك دليل على ان اللام همزة واختلف القائلون بترك الهمز في نبي فمنهم من اشتق اشتقاق من
همز ثم سهل الهمز ومنهم من قال هو مشتق من نبا ينبو اذا ظهر فالنبي الطريق الظاهر وكان
النبي من عند الله طريق الهدى والنجاة وقال الشاعر لما وردن نبيا واستتب بنا مسحنفر كخطوط
السيح مسحل واستدلوا بان الاغلب في جمعه انبيا كفعيل في المعتل نحو وليا اولياء وصفي و
اصفيا وحكى الزهراوي انه يقال نبا اذا ظهر فهو نبي والطريق الظاهر نبي بالهمز وروى ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم السلام عليك يا نبي الله وهمز فقال النبي عليه السلام
لست بنبي الله وهمز ولكن نبي الله ولم يهمز قال ابو علي ضعف سند هذا الحديث ومما يقوي
يقوي ضعفه انه عليه السلام قد انشد وما دحه يا خاتم النبا ولم يؤثر في ذلك انكار
والجمع كالواحد وقوله تعالى بغير الحق تعظيم للشنعة والذنب الذي اتوه ومعلوم انه
لا يقتل نبي بحق ولكن ذلك من حيث قد يتخيل متخيل كذلك وجها فصرح قوله بغير الحق
عن شنعة المذنب ووضوحه ولم يجتري قط نبي ما يوجب قتله وانما اباح الله تعالى
من اباح منهم وسلط كرامة له وزيادة في منازلهم كمثل من يقتل في سبيل الله من
المؤمنين قال ابن عباس وغيره لم يقتل نبي قط من الانبيا الا من لم يؤمر بقتال وكل
من امر بقتال نصر وقوله تعالى ذلك رد على الاول وذلك تاكيد الاشارة اليه والثاني
بما بالسبب ويعتدون معناه يتجاوزون الحدود والاعتدا تجاوز الحد في كل شي
وعرفه في الظلم والمعاصي قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته
لكنتم من الخاسرين ن اختلف المتاولون في المراد بالذين امنوا في هذه الاية فقال سفيان
الثوري هم المنافقون في امة محمد كانه قال ان الذين امنوا في ظاهر امرهم وقرنهم باليهود
والنصارى والصابئين ثم بين حكم من امن بالله واليوم الاخر من جميعهم فمعنى قوله
من امن في المؤمنين المذكورين من حقق واخلص وفي سائر الفرق المذكورة من دخل في
الايمان وقالت فرقة الذين امنوا هم المؤمنون حقا بمحمد وقوله من امن بالله يكون فيهم
بمعنى من ثبت ودام وفي سائر الفرق بمعنى من دخل فيه وقال السدي هم اهل الحنيفية ممن
لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقيس بن ساعدة وورقة بن نوفل
والذين هادوا كذلك ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم الا من كفر بعيسى عليه السلام
بعيسى عليه السلام والنصارى كذلك ممن لم يلحق محمدا صلى الله عليه وسلم والصابئين
كذلك وقال انها نزلت في اصحاب سلمان الفارسي وذكر له الطبري قصة طويلة
وحكاها ايضا ابن اسحق في السير مقتضاها انه صحب عبادا من النصارى
فقال احدهم ان زمان نبي قد اظل فان لحقته فامن به ورأى منهم عبادة عظيمة
فلما جاء الى النبي واسلم ذكر له خبرهم وساله عنهم فنزلت هذه الاية وروى عن ابن
عباس ان هذه الاية نزلت في اول الاسلام وقرر الله بها ان من امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم ومن بقي على يهوديته ونصرانيته وصابئيته وهو مؤمن بالله واليوم الاخر
فله اجره عند ربه ولا ثم نسخ ما قدر من ذلك بقوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام دينا
ورد الشرايع كلها الى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم والذين هادوا هم اليهود
وسموا بذلك لقولهم هدنا اليك اي تبنا سمهم على هذا من هاد يهود وقال الشاعر
اني امرؤ من مدحتي هايد اي تايب وقيل نسبوا الى يهود بن يعقوب فلما عرف الاسم

لحقه التغيير كما تغير العرب في بعض ما عربت من لغة غيرها وحكى الزهراوي ان التهود النطق
في سكون ووقار ولين والنشد وجود من الاتي يسمعون بالضحى فريض المرد الى ما لعبا المهود
قال ومن هذا سميت اليهود وقرا ابو السماك هادوا بفتح الدال والنصارى لفظة
مشتقة من النصر اما لان فرسهم يسمي ناصرة ويقال نصرنا ويقال نصرنا واما لانهم
تناصروا واما لقول عيسى عليه السلام من انصاري الى الله قال سيبويه واحدهم
نصران ونصرانة كندمان وندمانة وانشد وكلتاهما خرت واسجد راسها كما سجدت
نصرانة لم تحنف وانشد الطبري تصل اذا دار العشي محنفا وتضحي لديه وهو نصران
شامس قال سيبويه الا انه لا يستعمل في الكلام الا بياء نسب قال الخليل واحد النصارى
نصري كمهدي ومهادي والصابي في اللغة من خرج من دين الى دين ولهذا كانت العرب
يقول لمن اسلم قد صبا وقيل انما سمتهم بذلك لما انكروا الالهة تسمها بالصابئين
الموصل الذين لم يكن لهم يد الا قولهم لا اله الا الله وطائفة همزت وجعلته من صبات النجوم
اذا طلعت وصبات ثنية الغلام اذا خرجت قال ابو علي يقال صبات على القوم بمعنى طرات
فالصابي التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابي على القوم تارك لارضه
ومنتقل الى سواها وبالهمز قرا القرا غير نافع فانه لم يهمز ومن لم يهمز جعله من صبا
يصبو اذا مال ويجعله على قلب الهمز يا وسيبويه لا يجيزه الا في الشعر واما المشار
اليهم في قوله تعالى والصابئين فقال السدي هم فرقة من اهل الكتاب وقال
مجاهد هم قوم لا دين لهم ليسوا بيهود ولا نصارى وقال ابن ابي نجيح هم قوم تركت دينهم
بين اليهودية والمجوسية لا تؤكل ذبايحهم وقال ابن زيد هم قوم يقولون لا اله الا الله وليس
وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بجزيرة الموصل وقال الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة و
يصلون الى القبلة ويصلون الخمس ويقرؤون الزبور رآهم زياد بن ابي سفيان فاراد وضع
الجزية عنهم حتى عرف انهم يعبدون الملائكة ومن في قوله من امن بالله في موضع نصب بدل
من الذين والفا في قوله تعالى فلهم داخلة بسبب الابهام الذي في من وهم اجرهم ابتدا
وخبر في موضع خبر ان ويحتمل ويحسن ان يكون في موضع رفع بالابتدا ومعناها الشرط والفا في قوله
تعالى فلهم موطيه اذ يكون الجملة جوابها ولهم اجرهم خبر من والجملة كلها خبر ان والعايد على الذين
محذوف ولا بد من تقديره وتقديره من امن منهم بالله وفي الايمان باليوم الاخر اندرج
الايمان بالرسل والكتب ومنه سهم لان البعث لم يعلم الا باخبار رسل الله عنه تبارك وتعالى
وجمع الضمير في قوله تعالى لهم اجرهم بعد ان وحد في امن لان من يقع على الواحد والتثنية والجمع
فجايز ان يخرج ما بعدها مفردا على لفظها ومثنى ومجموعا على معناه كما قال عز وجل ومنهم من
يستمعون فجمع على المعنى وكقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات ثم قال خالدين فيها
فجمع على المعنى وقال الفرزدق يقال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذيب يصطحبان
فثنى على المعنى واذا جرى ما بعد من على اللفظ فجايز ان يخالف به بعد على المعنى واذا جرى
ما بعدها على المعنى فلم يستعمل ان يخالف به بعد على اللفظ لان الالباس يدخل في الكلام وقرا
الحسن ولا خوف نصب على التبرية واما الرفع فعلى الابتداء وقد تقدم القول في مثل هذه الاية
وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم اذ معطوفة على التي قبلها والميثاق مفعال من وثق يثق مثل
ميزان من وزن يزن والطور اسم الجبل الذي نودي موسى عليه قاله ابن عباس وقال
مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم اسم لكل جبل ويستدل على ذلك بقول العجاج دانا صاحبه من
الطور فري يقتضي البادي اذا البادي كسر وقال ابن عباس ايضا الطور كل جبل ينبت وكل جبل لا ينبت
فليس بطور قال الفقيه وهذا كله على ان اللفظة عربية وقال ابو العالية ومجاهد هي سريانية
اسم لكل جبل وقصص هذه الاية ان موسى عليه السلام لما جاء الى بني اسرايل من عند الله تعالى
بالالواح فيها التوراة قال لهم خذوها والتزموها فقالوا لا الا ان يكلمنا الله بها كما كلمك
فصعقوا ثم احيوا فقال لهم خذوها فقالوا لا فامر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين
طوله فرسخ في مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة واخرج الله تعالى البحر من ورائهم
واضرم نارا بين ايديهم فاحاط بهم غضبه وقيل لهم خذوها وعليكم الميثاق الا تضيعوها
والا سقط عليكم الجبل واغرقكم البحر واحرقتكم النار فسجدوا توبة واخذوا التوراة بالميثاق
قال الطبري عن بعض العلماء لو اخذوها اول مرة لم يكن عليهم ميثاق وكانت سجدتهم
على شق لانهم كانوا يرقبون الجبل خوفا فلما رحمهم الله قالوا لا سجدة افضل من سجدة
تقبلها الله ورحم بها فامروا سجودهم على شق واحد قال الفقيه والذي لا يصح سواه ان الله

تعالى احترع وتت سجودهم للايمان فى قلوبهم الا انهم امنوا كرها وقلوبهم غير مطمئنة وقد اختصرت ما سرد
فى قصص الاية وقصدت الصحة التى يقتضيه الفاظ الاية وخلط بعض الناس ضعفه هذه الصفة بضعفه
السبعين وقوله تعالى خذوا ما اتيناكم بقوة فى الكلام حذف تقديره فقلنا خذوا ما اتيناكم معناه ما
اعطيناكم وبقوة قال ابن عباس معناه بجد واجتهاد وقيل بكثرة درس وقال ابن زيد معناه
بتصديق وتحقيق وقال الربيع معناه بطاعة الله واذكروا ما فيه اى تدبروه واحفظوا اوامره
ووعيده ولا تنسوه ولا تضيعوه والضمير عايد على ما اتيناكم ويعنى التوراة وتقدير صلة ما
واذكروا ما استقر فيه ولعلكم تتقون ترج فى حق البشر وقوله تعالى ثم توليتم من بعد ذلك
الاية تولى تفعل واصله الاعراض والادبار عن الشئ بالجسم ثم استعمل فى الاعراض عن الامور
والاديان والمعتقدات اتساعا ومجازا وفضل الله رفع بالابتداء والخبر مضمر عند سيبويه
لا يجوز اظهاره للاستغناء عنه تقديره فلولا فضل الله عليكم تداركم ورحمته عطف
على فضل قال قتادة فضل الله الاسلام ورحمته القران قال الفقيه وهذا على ان المخاطب
بقوله عليكم لفظا ومعنى من كان لحين محمد صلى الله عليه وسلم والجمهور على ان المراد بالمعنى
من سلف ولكنتم جواب لولا ومن الخاسرين خبر كان والخسران النقصان ولو توليتم من بعد
ذلك اما بالمعاصى فكان فضل الله بالتوبة والامهال اليها واما ان يكون توليتم بالكفر
فكان فضل الله بان لم يعاجلهم بالاهلاك ليكون من ذريتهم من يؤمن او يكون المراد
من لحق محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال ذلك قوم وعليه يتجه قول قتادة ان الفضل الاسلام
والرحمة القران ويتجه ايضا ان يراد بالفضل والرحمة ادراكهم مدة محمد صلى الله عليه وسلم
ن قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين ن علمتم معناه عرفتم كما تقول علمت زيدا بمعنى عرفته فلا يتعدى العلم
الا الى مفعول واحد واعتدوا معناه تجاوزوا الحد مصرف من الاعتداء وفى السبت
معناه فى يوم السبت ويحتمل ان يريد فى حكم السبت والسبت ماخوذ من السبوت الذى
هو الراحة والدعة واما من السبت وهو القطع لان الاشيا فيه سبت وتمت خلقها
وقصة اعتدائهم ان الله عز وجل امر موسى بيوم الجمعة وعرفه فضله كما امر به
سائر الانبياء فذكر موسى ذلك لبنى اسرائيل عن الله وامرهم بالتضرع فيه فابوا
وتعدوه الى يوم السبت فاوحى الله تعالى الى موسى ان دعهم وما اختاروا من ذلك
وامتحنهم فيه بان امرهم بترك العمل وحرم عليهم صيد الحيتان وشدد عليهم
المحنة بان كانت الحيتان تاتى يوم السبت حتى تخرج الى الافنية قاله الحسن وقيل حتى
تخرج خراطيمها من الماء وذلك امانا لها من الله تعالى او بامر لا يعلك واما بان فهمها
معنى الامنة التى فى اليوم مع تكراره حتى فهمت ذلك الا ترى ان الله تعالى فهم الدواب
معنى الخوف الذى فى يوم الجمعة من امر القيامة يقضى بذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم
وما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة فرقا من الساعة وحمام مكة قد فهم الامنة
اما انها متصلة تغرب فهمها وكان امر بنى اسرائيل بايلة على البحر فاذا ذهب
السبت ذهبت الحيتان فلم تظهر الى السبت الاخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا
الحوت فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمه وضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب
السبت جاء فاخذه فسمع قوم بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل بل حفر رجل فى غير
السبت حفيرا يخرج اليه البحر فاذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل فى الحفير فاذا
جزر البحر ذهب الماء من طريق الحفير وبقى الحوت فجاء بعد السبت فاخذه ففعل قوم
مثل فعله وكثر ذلك حتى صادوه يوم السبت علانية وباعوه فى الاسواق فكان هذا
من اعظم الاعتداء وكانت من بنى اسرائيل فرقة نهت عن ذلك فنجت من العقوبة
وكانت منهم فرقة لم يعص ولم تنه فقيل نجت مع الناهين وقيل هلكت مع
العاصين وكونوا لفظه امر وهو امر التكوين كقوله تعالى لكل شئ كن فيكون ولم
يؤمروا والمصير الى حال المسخ بشئ يفعلونه ولا لهم فيه تكسب وخاسئين
معناه مبعدين اذلاء صاغرين كما يقول للكلب وللمطرود اخسأ تقول خسأته فخسأ
وموضعه من الاعراب النصب على الحال او على خبر بعد خبر وروى فى قصصهم ان الله
تعالى مسخ العاصين قردة بالليل فاصبح الناجون الى مساجدهم ومجتمعاتهم فلم

يروا

يروا احدا من الهالكين فقالوا ان للناس لشأنا ففتحوا عليهم الابواب كما كانت مغلقة بالليل
فوجدوهم قردة يعرفون الرجل والمرأة وقيل ان الناجين كانوا قد قسموا بينهم وبين العاصين
القرية بجدار تبريا منهم فاصبحوا ولم يفتح المدينة الهالكين فتسوروا عليهم الجدار
فاذاهم قردة يثب بعضهم على بعض وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وثبت ان
الممسوخ لا يتناسل ولا ياكل ولا يشرب ولا يعيش اكثر من ثلاثة ايام ووقع فى كتاب مسلم
عنه عليه السلام ان امة من الامم فقدت واراها الفار وظاهر هذا ان الممسوخ يتناسل
فان كان اراد هذا فهو ظن منه عليه السلام فى امر لا مدخل له فى التبليغ ثم اوحى الله اليه
بعد ذلك ان الممسوخ لا يتناسل ونظير ما قلناه نزوله عليه السلام على مياه بدر وامره باطراح
تذكير النخل وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا اخبرتكم برايى فى امور الدنيا فانما
انا بشر وروى عن مجاهد فى تفسير هذه الاية انه انما مسخت قلوبهم فقط وردت افهامهم
كافهام القردة قال الفقيه والاول اقوى والضمير فجعلناها يحتمل العود على المسخة
والعقوبة ويحتمل على الامة التى مسخت ويحتمل على القرية اذ معنى الكلام يقتضيها وقيل
يعود على الحيتان وفى هذا القول بعد والنكال الزجر بالعقاب والنكلة والانكال القيود الحديد فالنكال
عقاب ينكل بسببه غير المعاقب عن ان يفعل ذلك الفعل قال السدى ما بين يدى المسخة ما قبلها
من ذنوب القوم وما خلفها لمن يذنب بعدها مثل تلك الذنوب قال الفقيه وهذا قول جيد
وقال غيره ما بين يديها اى من حضرها من الناجين وما خلفها لمن يجى بعدها وقال ابن عباس
لما بين يديها اى من بعدهم من الناس ليحذروا ويتقوا وما خلفها لمن بقى منهم قال الفقيه وما
اراه يصح عن ابن عباس رضى الله عنه لان دلالة ما بين اليد ليست كما فى القول وقال ابن
عباس ايضا لما بين يديها وما خلفها اى من القرى قال الفقيه فهذا ترتيب اجرام لا ترتيب
فى الزمان وموعظة مفعلة من الاتعاظ والازدجار وللمتقين معناه للذين نهوا
ونجوا وقالت فرقة معناه لامة محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ يعم كل متق من امة محمد صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى واذ قال موسى الاية اذ عطف على ما تقدم والمراد تذكيرهم بنقض
سلفهم للميثاق وقرا ابو عمرو يامركم باسكان الراء وروى عنه اختلاس الحركة وقد تقدم
القول فى مثله فى بارئكم وسبب هذه الاية على ما روى ان رجلا من بنى اسرائيل اسن
وكان له مال فاستبطا ابن اخيه موته وقيل اخوه وقيل ابنا عمه وقيل ورثة كثير غير معينين
فقتله ليرثه والقاه فى سبط اخر غير سبطه لياخذ ديته ويلطخهم بدمه وقيل كانت بنو اسرائيل
فى قريتين متجاورتين فالقاه الى باب احدى المدينتين وهى التى لم يقتل فيها ثم جعل يطلبه هو
وسبطه حتى وجدوه قتيلا فتعلق بالسبط او بسكان المدينة التى وجد القتيل عندها فانكروا
قتله فوقع بين بنى اسرائيل فى ذلك لجاج حتى دخلوا فى السلاح فقال اهل النهى منهم انقتل ور
رسول الله معنا فذهبوا الى موسى عليه السلام فقصوا عليه القصة وسالوه البيان فاوحى الله
اليه ان يذبحوا بقرة فيضرب القتيل ببعضها فيحيى ويخبر بقاتله فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
فكان جوابهم ان قالوا اتتخذنا هزوا وقرى الجحدرى ايتخذنا بالياء على معنى ايتخذنا الله وقرا حمزة
هزوا باسكان الزاى والهمزة وهى لغة وقرا عاصم بضم الزاى والهاء والهمزة وقرا ايضا دون همز
هزوا وحكاه ابو على وقرات طائفة من القراء بضم الهاء والزاى والهمزة بين بين وروى عن ابى جعفر
وشيبة بضم الهاء وتشديد الزاى هزا وهذا القول من بنى اسرائيل ظاهره فساد الاعتقاد ممن
قاله ولا يصح الايمان ممن يقول لنبى قد ظهرت معجزته وقال ان الله يامرك بكذا اتتخذنا هزوا ولو قال
ذلك اليوم احد عن بعض اقوال النبى صلى الله عليه وسلم لوجب تكفيره وذهب قوم الى ان القائل للنبى صلى
الله عليه وسلم فى قسمة غنائم حنين ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وكما قال له الاخر اعدل
وكل محتمل والله اعلم وقول موسى عليه السلام اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يحتمل معنيين احدهما
الاستعاذة من الجهل فى ان يخبر عن الله مستهزئا والاخر من الجهل كما جهلوا فى قولهم اتتخذنا هزوا
لمن يخبر عن الله تعالى قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان
شاء الله لمهتدون هذا تعنت منهم وقلة طواعية ولو امتثلوا الامر فاستعرضوا بقرة فذبحوها
لقضوا ما امروا به ولكن شددوا فشدد الله عليهم قاله ابن عباس وابو العالية وغيرهما ولغة بنى اسرائيل
ادع بكسر العين وما استفهام رفع بالابتداء وهى خبره ورفع فارض على النعت للبقرة
على مذهب الاخفش او على خبر ابتداء مضمر تقديره لا هى فارض والفارض المسنة الهرمة التى

لا تلد قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم يقول فرضت تفرض بفتح العين في الماضي فروضا ويقال
فرضت بضم العين ويقال لكل ما قدم وطال امرأة فارض قال الشاعر يا رب ذي ضغن علي فارض له
قرو ككرو الحائض والبكر من البقر التي لم تلد من الصغر وحكى ابن قتيبة انها التي ولدت ولدا واحدا
والبكر من النساء التي لم يمسها الرجل والبكر من الاولاد الاول ومن الحاجات الاولى والعوان التي
قد ولدت مرة بعد مرة قاله مجاهد وحكاه اهل اللغة ومنه قول العرب العوان لا تعلم الخمرة وحرب
عوان قد قوتل فيها مرتين فما زاد ورفعت عوان على خبر ابتداء مضمر تقديره هي عوان وجمعه
عون بسكون الواو وسمع عون بتحريكها بالضم ومن شانها ان يضاف الى اثنين فاضيفت هنا الى
ذلك اذ ذلك يشار به الى المجملات فذلك بادل عند سيبويه منزلة ما ذكرت فهي اشارة المفرد على بابه
وقد ذكر اثنان فجاءت ايضا بين على بابها وقوله تعالى فافعلوا ما تؤمرون تجديد للامر وتاكيد وتنبيه
على ترك التعنت فما تركوه وما رفع بالابتدا ولونها خبره وقال ابن زيد وجمهور الناس في قوله
صفراء انها كانت كلها صفراء وقال مكي عن بعضهم حتى القرن والظلف وقال الحسن
وسعيد بن جبير كانت صفراء القرن والظلف فقط وقال الحسن ايضا صفراء معناه سوداء
قال الفقيه وهذا شاذ لا يستعمل الا في الابل مجازا وبه فسر قول الاعشى ميمون بن
قيس تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب والفقوع نعت مخصوص
بالصفرة كما خص احمر بقانئ واسود بحالك وابيض بناصع واخضر بناضر ولونها
على بفاقع وتسر الناظرين قال وهب بن منبه كانت كان شعاع الشمس يخرج من جلدها
معناه تعجب الناظرين ولهذا قال ابن عباس وغيره الصفرة تسر النفس وحض ابن عباس
على لباس النعال الصفر حكاه عنه النقاش وحكى مكي الوبر ويحيى بن كثير عن الناس النعال
عن لباس النعال السود لانها تهم وقال ابو العالية والسدي تسر الناظرين معناه
في سمنها وتنظرها كله وسالوا بعد هذا كله عما هي سؤال متحيرين قد احيوا امنت القضية
والبقر جمع بقرة ويجمع ايضا على باقر وبه قرا ابن يعمر وعكرمة ويجمع على بقير وبيقور ولم
يقرا بهما فيما علمت وقرا السبعة تشابه فعلا ماضيا وقرا الحسن تشابه بتشديد الشين
اصله تتشابه وهي قراءة يحيى بن يعمر فادغم وقرا ايضا تشابه بتخفيف الشين اصله تتشابه
على حذف التاء الثانية وقرا ابن مسعود يشابه بالياء وادغم التاء وحكى المهدوي
عن المعيطي تشبه بتشديد الشين والباء دون الف وحكى ابو عمرو الداني قراءة اسم فاعل
متشبه وحكى ايضا تتشابه وفي استثنائهم في هذا السؤال الاخير انابة وانقياد ودليل ندم
وحرص على موافقة الامر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا ما استثنوا لما
اهتدوا اليها ابدا والضمير في انا هو اسم ان ومهتدون الخبر واللام للتاكيد والا
والاستثناء اعتراض قدم على ذكر الاهتداء تهمما به قوله تعالى قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت
بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم
تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم اياته لعلكم تعقلون ن
ذلول مذللة بالعمل والرياضة يقول بقرة مذللة بينة الذل بكسر الذال ورجل ذليل
بين الذل بضم الذال وذلول نعت لبقرة او على اضمار هي وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول
بنصب اللام وتثير الارض معناه بالحراثة وهي عند قوم جملة في موضع رفع على صفة البقرة
اي لا ذلول مثيرة وقال قوم تثير فعل مستانف والمعنى ايجاب الحرث وانها كانت تحرث
ولا تسقي ولا يجوز ان يكون هذه الجملة في موضع الحال لانها نكرة وتسقي الحرث معناه
بالسانية او غيرها من الالات والحرث ما حرث وزرع ومسلمة بناء مبالغة من
السلامة قال ابن عباس وقتادة وابو العالية معناه من العيوب لا شية فيها اي
لا خلاف في لونها صفراء كلها لا بياض فيها ولا حمرة ولا سواد قاله ابن زيد وغيره
والوشي الخلط الالوان ومنه وشي الثوب تزيينه بالالوان والواشي لانه يزين
كذبه بالوان من القول والثور الاشية الذي فيه بلقة يقال فرس ابلق وتيس احرح
وتيس ابرق وكلب ابقع وثور اشيه كل ذلك بمعنى البلقة وهذه الاوصاف في البقرة
سببها انهم شددوا فشدد الله عليهم ودين الله يسر والتعمق في سؤال الانبياء
مذموم وقصة وجود هذه البقرة على ما روي ان رجلا من بني اسرائيل ولد له
ابن وكانت له عجلة فارسلها في غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه
العجلة لهذا الصبي ومات الرجل فلما كبر الصبي قالت له امه ان اباك كان قد استودع

قد استودع الله

قد استودع الله عجلة لك فاذهب فخذها فذهب فلما راته البقرة جاءت اليه حتى اخذ
بقرنيها وكانت مستوحشة فجعل يقودها نحو امه فلقيه بنو اسرائيل ووجدوا بقرته على
الصفة التي امروا بها وروت طائفة انه كان رجل من بني اسرائيل برا بابيه فنام ابوه يوما
وتحت راسه مفاتيح مسكنه فمر به بايع جوهر فسامه فيه ستين الفا فقال له ابن النائم اصبر
حتى ينتبه ابي وانا اخذ منك بسبعين الفا قال صاحب الجوهر ايقظ اباك وانا اعطيك بخمسين الفا
فداما لذلك حتى بلغه مائة الف وانحط صاحب الجوهر الى ثلاثين الفا فقال له ابن النائم والله
لا اشتريه منك بشيء برا بابيه فعوضه الله منه ان وجدت البقرة عنده وقال قوم وجدت عند
عجوز تعول يتامى كانت البقرة لهم قال الفقيه الى غير ذلك من اختلاف في قصتها هذا معناه فلما و
جدت البقرة ساموا صاحبها فاشتط عليهم وكانت قيمتها على ما روي عن عكرمة ثلاثة
دنانير فاتوا به موسى عليه السلام وقالوا ان هذا اشتط علينا فقال لهم ارضوه في ملكه فاشتروها
منه بوزنها مرة قاله عبيدة السلماني وقيل بوزنها مرتين وقال السدي بوزنها عشر مرات
وقال مجاهد كانت لرجل يبر امه واخذت منه على جلدها دنانير وحكى مكي ان هذه البقرة نزلت
من السماء فلم تكن من بقر الارض وحكى الطبري عن الحسن انها كانت وحشية والان مبني على الفتح
ولم يتعرف بهذه الالف واللام الا ترى انها لا تفارقه في الاستعمال وانما بني لانه ضمن معنى حرف
التعريف ولانه واقع موقع المبهم اذ معناه هذا الوقت وهو عبارة عما بين الماضي والمستقبل
وقري قالوا اللان بسكون اللام وهمزة بعدها وقالوا الان بمدة على الواو وفتح اللام دون همز وقالوا
الان بحذف الواو من اللفظ دون همز وقالوا الان بقطع الالف الاولى وان كانت الف وصل
كما يقول يا الله وجئت بالحق معناه عند من جعلهم عصاة بينت لنا غاية البيان وجئت بالحق الذي
طلبناه لانه كان يجيء قبل ذلك بغير حق ومعناه عند ابن زيد الذي حمل محاورتهم على الكفر الان
صدقت واذعنوا في هذه الحال حين بين لهم انها سابقة فقتل انهم عينوها مع هذه الاوصاف
وقالوا هذه بقرة فلان وهذا لانه يعطي ان الذبح اصل في البقر وان نحرت اجزات قوله تعالى وما كادوا
يفعلون عبارة عن تثبطهم في ذبحها وقلة مبادرتهم الى امر الله تعالى وقال محمد بن كعب القرظي
كان ذلك منهم لغلاء البقرة وكثرة ثمنها وقال غيره كان ذلك خوف الفضيحة في امر القاتل و
قيل كان ذلك للمعهود من قلة انقيادهم وتعنتهم على الانبياء وقد تقدم قصص القتل الذي
يراد بقوله تعالى واذ قتلتم نفسا والمعنى قلنا لهم اذكروا اذ قتلتم واذا راتم اصله تدارأتم
ادغمت التاء في الدال فتعذر الابتداء بمدغم فجلبت الف الوصل ومعناه تدافعتم اي دفع
بعضهم قتل القتيل الى بعض قال الشاعر صادف درء السيل درءا يدفعه وقال الاخر
فدرا بدرء الخصوم يقول شل حد الصمصامة الهندواني والضمير في قوله فيها عائد على النفس
وقيل على القتلة وقرا ابو حيوة وابو السوار الغنوي واذ قتلتم نسمة فادارأتم فيها وقرات
فرقة فتدارأتم على الاصل وموضع ما نصب بمخرج والمكتوم هو امر القتيل وقوله تعالى واضربوه
ببعضها الاية امر الله تعالى على يدي موسى عليه السلام ان امرهم ان يضربوا ببعض البقرة القتيل
فيحيى ويخبر بقاتله فقيل ضربوه وقيل ضربوا قبره لان ابن عباس ذكر ان امر القتيل وقع قبل
جواز البحر وانهم داموا في طلب البقرة اربعين سنة وقال القرظي لقد امروا بطلبها وما هي في
صلب ولا رحم بعد وقال السدي ضرب بالبضعة التي بين الكتفين وقال مجاهد وقتادة وعبيدة السلماني
ضرب بالفخذ وقيل ضرب باللسان وقال بالذنب وقال ابو العالية بعظم من عظامها قوله تعالى كذلك
يحيي الله الموتى الاية الاشارة بكذلك الى الاحياء الذي تضمنه قصص الاية اذ في الكلام حذف تقديره
فضربوه فحيي وفي هذه الاية حض على العبرة ودلالة على البعث في الاخرة وظاهرها انه خطاب لبني
اسرائيل حينئذ حكي لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر بها الى يوم القيامة وذهب الطبري الى انها
خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم وانها مقطوعة من قوله اضربوه ببعضها وروي ان
هذا القتيل لما حيي واخبر بقاتله عاد ميتا كما كان واستدل مالك بهذه النازلة على تجويز قول
القتيل وان يقع معه القسامة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد
قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما
يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ن قست اي صلبت وجفت
وهي عبارة عن خلوها من الانابة والاذعان لايات الله تعالى وقال ابن عباس المراد قلوب
ورثة القتيل لانهم حين حيي وقال انهم قتلوه وعادوا الحال موته انكروا قتله وقالوا
كذب بعد ما راوا هذه الاية العظمى لكن نفذ حكم الله تعالى بقتلهم قال عبيدة السلماني ولم يرث

قاتل من حينئذ قال الفقيه وبمثله جاء شرعنا وحكى مالك رحمه في الموطا ان قصه احتجه ابن الحلاج في
عمه التي كانت بسبب الايوث قاتل ثم ثبت ذلك للاسلام كما ثبت كثيرا من نوازل الجاهلية و
قال ابو العالية وقتاده وغيرهما انما اراد الله قلوب بني اسرائيل جميعا في معاصيهم وما
ركبوه من بعد ذلك وقوله تعالى فهي كالحجارة الاية الكاف في موضع رفع خبر لهي تقديره
فهي مثل الحجارة واشد يرفع بالعطف على الكاف او على خبر ابتداء تقديره تكرار هي وقسوة
نصب على التميز والعرف في او انها للشك وذلك لا يصح في هذه الاية واختلف في معنى
او هنا فقالت طائفة هي بمعنى الواو كما قال تعالى اثما او كفورا اي وكفورا وكما قال الشاعر نال
الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر اي وكانت له وقالت طائفة معناها التخيير
اي شبهوها بالحجارة تصيبوا او باشد من الحجارة تصيبوا وقالت فرقة هي على بابها في الشك ومعناه
عندهم انها المخاطبون وفي نظركم ان لو شاهدتم قسوتها لشككتم اهي كالحجارة او اشد
من الحجارة وقالت فرقة هي على الابهام على المخاطب ومنه قول ابي الاسود احب محمدا حبا
شديدا وعباسا وحمزة او عليا ولم يشك ابو الاسود وانما قصد الابهام
وقد عورض ابو الاسود في هذا فاحتج بقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
قال الفقيه وهذه الاية مفارقة لبيت ابي الاسود ولا هم بمعنى الاله الا اما وقالت فرقة انما اراد
الله تعالى ان فيهم من قلبه كالحجر وفيهم من قلبه اشد من الحجر فالمعنى فهي فرقتان كالحجارة او
اشد ومثل هذا قولك اطعمتك الحلو او الحامض يريد انه لم يخرج ما اطعمته عن هذين و
قالت فرقة انما اراد عز وجل انها كانت كالحجارة يرجى لها الرجوع والانابة كما تتفجر الانهار و
يخرج الماء من الحجر ثم زادت قلوبهم بعد ذلك قسوة بان صارت في حد من لا يرجى انابته فصارت
اشد من الحجارة فلم تخل ان كانت كالحجارة طورا او اشد طورا وقرا ابو حيوة قساوة والمعنى واحد
وقوله تعالى وان من الحجارة الاية معذرة للحجارة وتفضيل لها على قلوبهم في معنى قلة القسوة وقال
قتادة عذر الله الحجارة ولم يعذر شقي بني ادم وقرا قتاده وان مخففة من الثقيلة وكذلك
في الثانية والثالثة وفرق بينها وبين النافية لام التاكيد في لما وما في موضع نصب اسم لان
ودخل اللام على اسم ان لما حال بينهما المجرور ولو اتصل الاسم بان لم يصح دخول اللام لثقل اجتماع
تاكيدين وقرا مالك بن دينار ينفجر بالنون ويا من بحث قبلها وكسر الجيم ووحد الضمير في منه
حملا على لفظ ما وقرا ابي بن كعب والضحاك منها للانها حملا على الحجارة والانهار جمع نهر
وهو ما كثر ماؤه جريا من الاخاديد مصرف لما بتشديد الميم في الموضعين وهي قراءة غير متجه
ويشقق اصله يتشقق ادغمت التاء في الشين وهذه عبارة عن العيون التي لم تعظم حتى
تكون انهارا او على الحجارة التي تشقق وان لم يجر ماء منفسح وقرا ابن مصرف ينشقق بالنون
وقيل في هبوط الحجارة تفيؤ ظلالها وقيل المراد الجبل الذي جعله الله دكا وقيل ان الله
يخلق في بعض الاحجار خشية وحياة تهبط بها من علو مواضعها ونظير هذه الحياة
حياة الحجر المسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وحياة الجذع الذي ان افتقد النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل لفظ الهبوط مجاز لما كانت الحجارة تعتبر بخلقها ويخشع بعض مناظرها
اضيف تواضع الناظر اليها كما قالت العرب ناقة تاجرة اي تبعث من يراها على
شرائها وقال مجاهد ما تردى حجر من راس جبل ولا تفجر نهر من حجر ولا خرج ماء منه
الا من خشية الله نزل بذلك القران وقال مثله ابن جريج وحكى الطبري عن فرقة ان الخشية
كالحجارة مستعارة كما استعيرت الارادة للجدار في قوله تعالى جدارا يريد ان
ينقض وكما زيد الخيل تجمع نصل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر
وكما قال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع قال الفقيه وهذا قول ضعيف لان براعة معنى الاية
تحمل به بل القوي ان الله تعالى يخلق للحجارة قدرا ما من الادراك يقع به الخشية
والخوف وبما قل في موضع نصب خبر ما لانها الحجازية تقوى ذلك دخول الباء في الخبر
وان كانت الباء قد تجيء ساتره مع التميمية وقرا ابن كثير تعملون بالتاء والمخاطبة على
هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم الاية الخطاب
للمؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان الانصار ان لهم حرص على
اسلام اليهود للحلف والجوار الذي كان بينهم ومعنى هذا الخطاب التقرير
على امر فيه بعد اذ قد سلف لاسلاف هؤلاء اليهود افاعيل سوء وهؤلاء على ذلك
السنن والفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالحزب وقال مجاهد والسدي عني بالفريق
هنا الاحبار الذين حرفوا التوراة في صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد كل من حرف

في التوراة

في التوراة سمعا حكما وغيره لفعلهم في اية الرجم ونحوها وقال ابن اسحق والربيع
عن السبعون الذين سمعوا مع موسى ثم بدلوا بعد ذلك قال الفقيه وفي هذا القول
ضعف ومن قال ان السبعين سمعوا ما سمع موسى فقد اخطا واذهب فضيلة موسى
واختصاصه بالتكليم وقراءة الاعمش كلم الله وتحريف الشي اماله من حال الى حال وذهب ابن
عباس رضي الله عنه الى ان تحريفهم وتبديلهم انما هو بالتاويل ولفظ التوراة باق وذهب
جماعة من العلماء الى انهم بدلوا الفاظا من تلقاءهم وان ذلك ممكن في التوراة لانهم
استحفظوها وغير ممكن في القران لان الله تعالى تضمن حفظه وقوله تعالى واذا لقوا الذين
امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به
عند ربكم افلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون
لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون المعنى وهم ايضا اذا لقوا يفعلون هذا فكيف
نطمع في ايمانهم ويحتمل ان يكون الكلام مستانفا مقطوعا من معنى الطمع فيه كشف اسرارهم
ورد في التفسير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخلن علينا قصبة المدينة الا مؤمن
فقال كعب بن الاشرف ووهب بن يهوذا واشباههما اذهبوا وتجسسوا اخبار من
امن بمحمد وقولوا لهم امنا واكفروا اذا رجعتم فنزلت هذه الاية وقال ابن عباس نزلت في منافقين
من اليهود وروي عنه ايضا انها نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين نحن نؤمن انه
نبي لكن ليس الينا وانما هو اليكم خاصة فلما خلوا قال بعضهم لم تقرون بنبوته وقد كنا قبل
نستفتح به فهذا هو الذي فتح الله عليهم من علمه واصل خلا خلو تحركت الواو وانفتح ما قبلها
قلبت الفا وقال ابو العالية وقتاده ان بعض اليهود تكلم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه
وسلم فقال لهم كفرة الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اي عرفكم من صفة محمد فيحتجون عليكم اذ
تقرون به ولا تؤمنون به وقال السدي ان بعض اليهود حكى لبعض المسلمين ما عذبت به اسلافهم
فقال بعض الاحبار اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب فيحتجون عليكم ويقولون نحن اكرم
على الله حين لم يفعل بنا مثل هذا وفتح على هذا التاويل بمعنى حكم وقال مجاهد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لبني قريظة يا اخوة الخنازير والقردة فقال الاحبار لاتباعهم ما عرف
هذا الامر الا من عندكم اتحدثونهم وقال ابن زيد كانوا اذا سئلوا عن شيء قالوا في التوراة كذا وكذا
فكرهت الاحبار ذلك فهو في الخلوة عنه ففيه نزلت الاية والفتح في اللغة ينقسم اقساما يجمعها معنى
التوسعة وازالة الابهام والى هذا يرجع الحكم وغيره والفتاح هو القاضي بلغة اليمن ويحاجوكم من
الحجة واصله من حج اذا قصد لان المتحاجين كل واحد منهما يقصد غلبة الاخر وعند ربكم معناه في الاخرة وقيل
عند بمعنى في ربكم اي فيكونون احق به وقيل المعنى عند ذكر ربكم وقوله افلا تعقلون قيل هو من قول الاحبار للاتباع
وقيل هو خطاب من الله للمؤمنين اي افلا تعقلون ان بني اسرائيل لا يؤمنون وهم بهذه الاحوال والعقل
علوم ضرورية وقرا الجمهور اولا يعلمون بالياء من اسفل وقرا ابن محيصن ولا تعلمون بالتاء خطابا للمؤمنين
والذي اسروه كفرهم والذي اعلنوه قولهم امنا هذا في سائر اليهود والذي اسروه للاحبار صفة محمد
صلى الله عليه وسلم والمعرفة به والذي اعلنوه الجحد به ولفظ الاية يعم الجميع واميون هنا عبارة عن جملة
بالتوراة قال ابو العالية ومجاهد وغيرهما المعنى ومن هؤلاء اليهود المذكورين فالاية منبهة على
عامتهم واتباعهم اي انهم لا يطمع في ايمانهم لما غمرهم من الضلال وقيل المراد بالاميين هنا قوم
ذهب كتابهم لذنوب ركبوها فبقوا اميين وقال عكرمة والضحاك في الاية نصارى العرب وقيل
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هم المجوس والضمير في منهم على هذه الاقوال للكفار اجمعين
وقول ابي العالية ومجاهد وجه هذه الاقوال وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة اميون بتخفيف الميم و
الامي في اللغة الذي لا يكتب ولا يقرا في كتاب نسب الى الام اما لانه بحال امه من عدم الكتاب
لا بحال ابيه اذ النساء ليس من شغلهن الكتاب قاله الطبري واما لانه بحال ولدته امه فيها
لم ينتقل عنها وقيل نسب الى الامة وهي العامة والخلقة كانه ليس له من الادميين الا ذلك
وقيل نسب الى الامة على سذاجتها قبل ان تعرف المعارف فانها لا تقرا ولا تكتب وكذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم في العرب انا امة امية لا نحسب ولا نكتب الحديث والالف واللام في الكتاب
للعهد ويعني به التوراة في قول ابي العالية ومجاهد والاماني جمع امنية وقرا ابو جعفر
وشيبه ونافع في بعض ما روي عنه اماني بتخفيف الياء واصل امنية امنوية على وزن افعولة
ويجمع هذا الوزن على افاعيل وعلى هذا يجيء بتخفيف الياء ويجمع على افاعيل فعلى هذا
يجيء اماني ادغمت الياء في الياء فجاء اماني واحد واختلف في معنى اماني فقالت
طائفة هي هنا من تمنى الرجل اذا ترجى فمعناه ان منهم من لا يكتب ولا يقرا وانما يقول

نظنه شيئا سمعه فيتمنى انه من الكتاب وقال اخرون هو من تمنى اذا تلى ومنه قوله تعالى الا اذا
تمنى القى الشيطان فى امنيته ومنه قول الشاعر تمنى كتاب الله اول ليلة واخره لاقى حمام
المقادر فمعنى الاية انهم لا يعلمون الكتاب الا سماع شى يتلى لا علم لهم بصحته وقال الطبرى
هى من تمنى الرجل اذا احدث بحديث مختلق كذب وذكر اهل اللغة ان العرب تقول تمنى الرجل
اذا كذب واختلق الحديث ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت ولا تغنيت منذ اسلمت
فمعنى الاية ان منهم اميين لا يعلمون الكتاب الا امانى انهم يسمعون من الاحبار اشياء
مختلفة تظنونها من الكتاب وان نافية بمعنى ما والظن هنا على بابه فى الميل الى احد الجانبين
قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا
فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى من كسب
سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ن الذين فى هذه الاية يراد بهم
الاحبار والروسا قال الخليل الويل شدة الشر وقال الاصمعى الويل الهوح وهو مصدر لا فعل
له ويجمع على ويلات والاحسن فيه اذا انفصل الرفع لانه يقتضى الوقوع ويصح النصب على معنى الدعا
اى الزمه الله ويلا وويل وويح وويس وويب متقارب فى المعنى وقد فرق بينها قوم وروى
سفين وعطا بن يسار ان الويل فى هذه الاية واد يجرى فى فنا جهنم من صديد اهل النار وروى
ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه واد فى جهنم بين جبلين يهوى فيه الهاوى
اربعين خريفا وقال ابو عياض انه صهريج فى جهنم وروى اخر انه باب من ابواب جهنم والذين
يكتبون هم الاحبار الذين بدلوا التوراة وقوله تعالى بايديهم بيان لجرمهم واثبات لمجاهرتهم
الله وفرق بين من كتب وبين من امر اذ المتولى للفعل اشد مواقعة ممن لم يتوله وان كان
رايا له وقال ابن السراج هى كناية عن انه من تلقائهم دون ان ينزل عليهم وان لم تكن حقيقة فى كتب
ايديهم والذى بدلوا هو صفة النبى صلى الله عليه وسلم ليستديموا رياستهم ومكاسبهم
وقال ابن اسحق كانت صفته فى التوراة اسمر ربعة فردوه ادم طويلا وذكر السدى انهم كانوا
يكتبون كتبا يبدلون فيها صفة النبى صلى الله عليه وسلم ويبيعونها من الاعراب ويبثونها
فى اتباعهم ويقولون هو من عند الله قال الفقيه وما نسق هذه الاية على التى قبلها يعطى ان هذا
الكتب والتبديل انما هو للاتباع الاميين الذين لا يعلمون الا ما قرى لهم والثمن قيل عرض الدنيا
وقيل الرشا والماكل التى كانت لهم ووصفه بالقلة لفنايه واما لكونه حراما وكرر الويل لتكرر الحالات
التى استحقوه بها ويكسبون معناه من المعاصى والخطايا وقيل من المال الذى تضمنه ذكر الثمن وقوله
تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما الاية روى ابن زيد وغيره ان سببها ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لليهود من اهل النار قالوا نحن ثم تخلفونا انتم فقال لهم كذبتم لقد علمتم انا لا نخلفكم فنزلت هذه
الاية ويقال ان السبب ان اليهود قالت ان الله تعالى اقسم ان يدخلهم النار اربعين يوما عدد عبادتهم
العجل قاله ابن عباس وقتاده وقالت طائفة قالت اليهود ان فى التوراة ان طول جهنم مسيرة اربعين
سنه وانهم يقطعون فى كل يوم سنة حتى يكملونها وتذهب جهنم وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وابن
جريج انهم قالوا ان هذه الدنيا سبعة الاف سنة وان الله تعالى يعذبهم بكل الف سنة يوما واتخذتم
اصله اتخذتم وزنه افتعلتم افتعلتم من الاخذ سهلت الهمزة الثانية لامتناع جمع همزتين فجاء
ائتخذتم فاضطربت اليا فى التصريف جاءت الفا فى ياتخذ وواوا فى موتخذ فبدلت بحرف جلد
ثابت وهو التا وادغمت فلما دخلت فى هذه الاية الف التقرير استغنى عن الف الوصل ومذهب
ابى على ان اتخذتم من تخذ لا من اخذ وقد تقدم ذكر ذلك وقال اهل التفسير العهد من الله فى هذه
الاية الميثاق والموعد وقال ابن عباس وغيره معناه هل قلتم لا اله الا الله وامنتم واطعتم فتدلون
بذلك وتعلمون انكم خارجون من النار قال الفقيه فعلى هذا التاويل الاول يجى المعنى هل عاهدكم الله على
هذا الذى تدعون وعلى التاويل الثانى يجى هل اسلفتم عند الله اعمالا توجب ما تدعون وقوله تعالى
فلن يخلف الله عهده اعتراض اثنا الكلام وبلى ورد بعد النفى بمنزلة نعم بعد الايجاب قال الكوفيون
اصلها بل التى هى للاضراب عن الاول وزيدت عليها اليا ليحسن الوقف عليها وضمنت اليا معنى الايجاب
والانعام بما ياتى بعدها فقال سيبويه هى حرف مثل بل وغيره وهى فى هذه الاية رد لقول بنى اسرائيل
لن تمسنا النار فرد الله عليهم وبين الخلود فى النار والجنة بحسب الكفر والايمان ومن شرط
فى موضع رفع بالابتداء واولئك ابتداء ثان واصحاب خبره والجملة خبر الاول والفا موطية ان يكون
الجملة جواب الشرط وقالت طائفة السيئة الشرك لقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت قلبت
وجوههم فى النار والخطيات كبائر الذنوب وقرا قوم خطيئته بالافراد وقال قوم السيئة

الكبائر وافردها وهى بمعنى الجمع لما كانت تدل على الجنس كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله والخطيئة
الكفر قال الفقيه ولفظة الاحاطة تقوى هذا القول وهى ماخوذة من الحائط المحدق بالشى وقال
الربيع بن خيثم والاعمش والسدى وغيرهم معنى الاية مات بذنوب لم يتب منها وقال الربيع ايضا
المعنى مات على كفره وقال الحسن والسدى كل ما توعد الله عليه بالنار فهى الخطيئة المحيطة والخلود
فى هذه الاية على الاطلاق والتابيد فى المشركين ومستعار بمعنى الطول والدوام فى العصاة وان
علم انقطاعه كما يقال ملك خالد ويدعى للملك بالخلد وقوله تعالى والذين امنوا الاية تدل هذه
التقسيم على ان قوله من كسب سيئة الاية فى الكفار لا فى العصاة ويدل على ذلك ايضا قوله
واحاطت لان العاصى مؤمن ولم تحط به خطيئته وتدل على ذلك ايضا ان الرد كان على الكفار
ادعوا ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة فهم المراد بالخلود والله اعلم قوله تعالى
واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى
والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم
معرضون واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم
وانتم تشهدون ن المعنى اذكروا اذ اخذنا وقال مكى هذا هو الميثاق الذى اخذه الله عليهم
حين اخرجوا من صلب ادم كالذر قال الفقيه وهذا ضعيف وانما هو ميثاق اخذ عليهم
عقلا وفرضا بهم على لسان موسى عليه السلام وغيره من انبيائهم عليهم السلام واخذ
الميثاق قول فالمعنى قلنا لهم لا تعبدون وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى لا يعبدون باليا من اسفل
وقرا الباقون بالتاء من فوق حكاية ما قيل لهم وقرا ابى ابن كعب وابن مسعود لا تعبدوا على
النهى قال سيبويه لا تعبدون متلق لقسم والمعنى واذ استحلفناكم والله لا تعبدون
وقالت طائفة تقدير الكلام بان لا تعبدوا الا الله ثم حذف الباء ثم حذفت ان فارتفع الفعل
لزوالها ولا تعبدون على هذا معمول بحرف نصب وحكى عن قطرب ان لا تعبدون الا الله
فى موضع الحال اى اخذنا ميثاقهم موحدين قال الفقيه وهذا انما يتجه على قراءة ابن كثير
ونظام الاية يدفعه مع كل قراءة وقال قوم لا تعبدون الا الله نهى فى صيغة خبر ويدل
على ذلك ان فى قراءة ابى لا تعبدوا والباء فى قوله وبالوالدين قيل هى متعلقة بالميثاق عطفا
على الباء المقدرة اولا على قول من قال التقدير بان لا تعبدوا وقيل تتعلق بقوله احسانا
والتقدير قلنا لهم لا تعبدون الا الله واحسنوا احسانا بالوالدين ويعترض هذا القول
بان المصدر قد يقدم عليه ما هو معمول له وقيل تتعلق الباء باحسنوا المقدر والمعنى
واحسنوا بالوالدين احسانا وهذا قول الحسن وقدم اللفظ بالوالدين تهمما فهو نحو قوله
نحو قوله تعالى اياك نعبد وفى الاحسان يدخل انواع بر الوالدين كلها عطف على الوالدين
والقربى بمعنى القرابة وهو مصدر كالرجعى والعقبى وهذا يتضمن الامر بصلة الرحم واليتامى جمع
يتيم كنديم وندامى واليتيم فى بنى ادم فقد الاب وفى البهائم فقد الام وقال عليه السلام لا يتم
بعد بلوغ وحكى الماوردى ان اليتيم يقال فى بنى ادم من فقد الام وهذا يتضمن الرافة باليتامى
وحيطة اموالهم والمساكين جمع مسكين وهو الذى لا شى له لانه مشتق من السكون وقيل ان المسكين
هو الذى له بلغة من العيش وهو على هذا مشتق من السكن وهذا يتضمن الحض على الصدقة والمواساة
وتفقد احوال المساكين وقوله تعالى وقولوا للناس امر عطف على ما تضمنه لا تعبدون الا الله وما بعده
من معنى الامر والنهى وعلى احسنوا المقدر فى قوله وبالوالدين احسانا وقرا الحسن والكسائى حسنا
بفتح الحاء والسين قال الاخفش قولا حسنا بفتح السين او قولا ذا حسن بضم الحاء وقرا قوم حسنى
مثل فعلى ورده سيبويه لان افعل وفعلى لا يجى الا معرفة الا ان يزال عنه معنى التفضيل ويبقى
مصدرا كالعقبى فذلك جائز وهو وجه القراءة بها وقرا عيسى بن عمر وعطا بن ابى رباح حسنا بضم
الحاء والسين وقال ابن عباس معنى الكلام قولوا لهم لا اله الا الله ومروهم بها وقال ابن جريج قولوا
لهم حسنا فى الاعلام بما فى كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقال سفيان الثورى معناه
مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقال ابو العالية معناه قولوا لهم الطيب من القول وحاوروهم
باحسن ما تحبون ان تحاوروا به وهذا حض على مكارم الاخلاق وحكى المهدوى عن قتادة
ان قوله تعالى وقولوا للناس حسنا منسوخ باية السيف قال الفقيه وهذا على ان هذه الامة
خوطبت بمثل هذا اللفظ فى صدر الاسلام واما الخبر عن بنى اسرائيل وما امروا به فلا نسخ
فيه وقد تقدم القول فى اقامة الصلوة وزكاتهم هى التى كانوا يضعونها وتنزل النار على ما
تقبل ولا تنزل على ما لم يتقبل ولم يكن كزكاة امة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس
انه قال الزكاة التى امروا بها طاعة الله والاخلاص وقوله تعالى ثم توليتم الاية خطاب لمعاصرى محمد صلى

صلى الله عليه وسلم اسند اليهم تولى اسلافهم اذ هم كلهم سلك السبيل قال نحوه ابن عباس وغيره وثم
مبنية على الفتح ولم يجر مجرى زد وشد لانها لا تنصرف وضمت التاء الاخيرة من توليتم لانها المعد داخذ
الفتح وزنا المؤنث احدث الكسر فلم يبق الا الضم والجمع الا الضم وقليلا نصب على الاستثنا قال
سيبويه المستثنى منصوب على التشبيه بالمفعول قال المبرد هو مفعول حقيقة لان تقديره
استثنت كذا والمراد بالقليل جميع مؤمنيهم قديما من اسلافهم وحديثا كابن سلام وغيره
والقلة على هذا هي في عدد الاشخاص ويحتمل ان يكون القلة في الايمان اي لم يبق حين عصوا
وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم الايمان قليل لا ينفعهم والاول اقوى وقرا قوم الا قليل برفع
القليل وروي عن ابي عمرو وهذا على بدل قليل من الضمير في توليتم وجاز ذلك مع ان الكلام
لم يتقدم فيه نفي لان توليتم معناه النفي كانه قال لم يفوا بالميثاق الا قليل والسفك صب
الدم وسرى الكلام وقرا طلحة بن مصرف وشعيب بن ابي حمزة ولا تسفكون بضم الفاء و
قرا ابو نهيك تسفكون بضم التاء وكسر الفاء وتضعيفها واعراب لا تسفكون كما تقدم
في لا تعبدون ودماءكم جمع دم وهو اسم منقوص اصله دمي وتثنيته دميان فقيل
اصله دمي بسكون الميم وحركت في التثنية لتدل الحركة على التغيير الذي في الواحد و
قوله تعالى ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه ولا ينفي بعضكم بعضا بالفساد والسعي
ولما كان ملتهم واحدة وامرهم واحد وكانوا في الامم كالشخص الواحد جعل قتل بعضهم
لبعض ونفي بعضهم قتلا لانفسهم ونفيا لها وكذلك حكم كل جماعة تخاطب بهذا اللفظ
في القول وقيل في لا تسفكون دماءكم اي لا يقتل احد فيقتل قصاصا فكانه سفك دم
نفسه لما سبب ذلك ولا تفسد في الارض فتنفى فيكون قد اخرج نفسه من دياره وهذا تا
ويل فيه تكلف فانما كان الامر ان الله تعالى قد اخذ على بني اسرائيل في التوراة ميثاقا
لا تقتل بعضهم بعضا ولا ينفيه ولا يسترقه ولا تدعه تسترق الى غير ذلك من الطاعات
وقوله تعالى ثم اقررتم اي خلفا بعد سلف ان هذا الميثاق اخذ عليكم والزمتموه فيتجه
في هذه اللفظة ان تكون من الاقرار الذي هو ضد الجحد ويتعدى بالباء وان تكون من الاقرار
الذي هو ابقا الامر على حاله اي اقررتم هذا الميثاق ملتزما وقوله تعالى وانتم تشهدون
قيل الخطاب يراد به من سلف منهم والمعنى وانتم شهود اي حضور اخذ الميثاق والاقرار
وقيل ان المراد من كان في مدة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وانتم تشهدون اي تتبينه ان
هذا الميثاق اخذ على سلافكم فمن بعده منكم قوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم
اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون
الى اشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون ن هؤلاء دالة على ان المخاطبة للحاضرين
لا يحتمل ردا الى الاسلاف قيل تقدير الكلام يا هؤلاء فحذف حرف النداء ولا يحسن
حذفه عند سيبويه مع المبهمات ولا تقول هذا اقبل وقيل تقديره اعني هؤلاء وقيل بمعنى
الذين فالتقدير ثم انتم الذين تقتلون فتقتلون اصله لهؤلاء ونحوه قول زيد بن مفرغ
الحميري عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق وقال الاستاذ الاجل
ابو الحسن بن احمد شيخنا هؤلاء رفع بالابتداء وانتم خبر مقدم وتقتلون حال بها
تم المعنى وهي كانت المقصود فهي غير مستغنى عنها وانما جاءت بعد ان تم الكلام في المسند
والمسند اليه كما تقول هذا زيد منطلقا وانت قد قصدت الاخبار بانطلاقه لا ان هذا
هو زيد وهذه الاية خطاب لقريظة والنضير وبني قينقاع وذلك ان النضير وقريظة
حالفت الاوس وبني قينقاع مع حلفائها فقتل بعضهم بعضا واخرج بعضهم بعضا
من ديارهم وكانوا مع ذلك تفدي بعضهم اسرى بعض اتباعا لحكم التوراة وهم
قد خالفوها بالقتال والاخراج وقرا الحسن يقتلون بضم الياء الاولى وكسر الثانية وشدها
على المبالغة والديار مباني الاقامة وقال الخليل محلة القوم دارهم وقرا عاصم وحمزة
والكسائي تظاهرون بتخفيف الظاء وهذا على حذف التاء الثانية من تتظاهرون وقرا
بقية السبعة تظاهرون بتشديد الظاء على ادغام التاء في الظاء وقرا ابو حيوة تظاهرون
بضم التاء وكسر الهاء وقرا مجاهد وقتادة تظهرون بفتح التاء وشد الظاء والهاء
مفتوحة دون الف وروت هذه عن ابي عمرو ومعنى ذلك على كل قراءة تتعاونون وهو
ماخوذ من الظهر كان المتظاهرين يسند كل واحد منهما ظهره الى صاحبه والا

ثم

الاثم العهد الزايد على العبد من المعاصي والمعنى بمكسبات الاثم والعدوان تجاوز الحدود والظلم
وحسن لفظ الاثبات من حيث هو في مقابلة الاخراج فتظهر التضاد المقبح لفعلهم في الاخراج وقرا
حمزة اسرى تفدوهم وقرا نافع وعاصم والكسائي اسارى تفادوهم وقرا ابو عمرو وابن عباس
وابن عامر وابن كثير اسارى تفدوهم وقرا قوم اسرى تفادوهم واسارى جمع اسير والاسير
ماخوذ من الاسر وهو الشد سمي بذلك لانه يوسر اي يشد وثاقا ثم كثر استعماله حتى لزم وان لم
يكن ثم ربط ولا شد واسير فعيل بمعنى مفعول ولا يجمع بواو ونون وانما يكسر على اسرى واسارى
والاقيس فيه اسرى لان فعيلا بمعنى مفعول الاصل فيه ان يجمع على فعلى كقتلى وجرحى والاصل
في فعلان ان يجمع على فعالى بكسر الفاء وفعالى بضم الفاء كسكران وكسلان وسكارى وكسالى
قال سيبويه فقالوا في جمع كسلان كسلى شبهوه باسرى كما قالوا اسارى شبهوه بكسالى
ووجه الشبه ان الاسر يدخل على المرء مكرها كما يدخل الكسل وفعالى انما يجي فيما كان افة
تدخل المرء وتفادوهم معناه في اللغة تطلقونهم بعد ان تاخذوا عليهم شيئا قاله ابو علي
قال الفقيه وفاديت النفس اذا اطلقتها بعد ان دفعت شيئا فعلى هذا قد يجي بمعنى فديت
اي دفعت فيها مال نفسي ومنه قول العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اعطني فاني فاديت نفسي
وفاديت عقيلا وهما فعلان متعديان الى مفعولين الثاني منهما بحرف جر تقول فديت
زيدا بمال وفاديته بمال وقال قوم هي في قراءة تفادوهم مفاعلة في اسرى باسرى قال ابو
علي كل واحد من الفريقين فعل الاسر دفع الاسير والماسور منه دفع ايضا اما اسيرا
واما غيره والمفعول الثاني محذوف وقوله تعالى وهو محرم قيل فهو انه ضمير الامر
تقديره والامر محرم عليكم واخراجهم في هذا القول بدل من هو وقيل هو فاصلة وهو
مذهب الكوفيين وليست هنا بالتي هي عماد ومحرم على هذا ابتدا واخراجهم خبره وقيل
هو الضمير المقدر في محرم قدم واظهر وقيل هو ضمير للاخراج تقديره واخراجهم محرم عليكم وقوله
تعالى افتؤمنون ببعض الكتاب يعني التوراة والذي امنوا به فدا الاسرى والذي كفروا به قتل
بعضهم بعضا واخراجهم من ديارهم وهذا توبيخ لهم وبيان لقبح فعلهم وروي ان عبد الله بن
سلام مر على راس الجالوت بالكوفة وهو يفادي من النساء من لم يقع عليه العرب ولا يفادي
من وقع عليه فقال له ابن سلام اما انه مكتوب عندك في كتابك ان تفاديهن كلهن عن توعدهم
عز وجل والخزي الفضيحة والعقوبة يقال خزي الرجل يخزى خزيا اذا ذل من الفضيحة وخزي يخزى
خزاية اذا استحيى واختلف ما المراد بالخزي ها هنا فقيل القصاص فيمن قتل وقيل ضرب
الجزية عليهم غابر الدهر وقيل قتل قريظة واجلاء النضير وقيل الخزي الذي توعدهم الله به من
الناس هو غلبة العدو والدنيا ماخوذة من دنا يدنو واصلها دنيوا ولكن ابدلت فرقا بين
الاسماء والصفات واشد العذاب الخلود في جهنم وقرا الحسن وابن هرمز يردون بالياء وقوله تعالى وما الله
بغافل الاية قرا نافع وابن كثير يعملون بناء على ذكر الغائب فالخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والاية
واعظة لهم بالمعنى اذ الله تعالى بالمرصاد لكل كافر وعاص وقرا الباقون بناء على الخطاب المحتمل
ان يكون في سرد الاية وهو الاظهر ويحتمل ان يكون لامة محمد صلى الله عليه وسلم فقد روي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال ان بني اسرائيل قد مضوا وانتم الذين تعنون بهذا يا امة محمد يريد وما جرى مجراه
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف
بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ن جعل الله تعالى بدل الاخرة واخذ الدنيا مع قدرتهم
على التمسك بالاخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا وهذه النزعة صرفها مالك رحمه الله في فقه
البيوع اذ لا يجوز الشرا على ان يختار المشتري في كل ما يختلف صفة احاده ولا يجوز فيه التفاضل
كالحمل المزبوحه وغيرها ولا يخفف العذاب في الاخرة ولا ينصرون في الدنيا ولا في الاخرة والكتاب
التوراة ونصبه على المفعول الثاني لاتينا وقفينا ماخوذة من القفا تقول قفيت فلانا بفلان
اذا جئت به من قبل قفاه ومنه قفا يقفو اذا اتبع وهذه مثل قوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى
وكل رسول جاء بعده موسى فانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها الى عيسى عليه السلام وقرا
الحسن ويحيى بن يعمر بالرسل ساكنة السين ووافقهما ابو عمرو واذا اضاف ذلك الى مضمر نحو رسلنا و
رسلهم والبينات الحجج التي اعطاها الله عيسى وقيل هي اياته من احياء وابراء وخلق طير وقيل هي
الانجيل والاية تعم جميع ذلك وايدناه معناه قويناه والايد القوة وقرا ابن محيصن والاعرج وحميد
ايدناه وقرا ابن كثير ومجاهد القدس بسكون الدال وقرا الجمهور بضم القاف والدال وفيه لغة

فتحها وقرأ ابو حيوة بروح القدس بواو وقال ابن عباس روح القدس هو الاسم الذي كان
يحيى به الموتى وقال ابن زيد هو الانجيل كما سمى الله تعالى القران روحا وقال السدي والضحاك
والربيع وقتادة روح القدس جبريل عليه السلام وهذا اصح الاقوال وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم لحسان بن ثابت اهج قريشا وروح القدس معك ومرة قال له وجبريل معك
وقال الربيع ومجاهد القدس اسم من اسماء الله تعالى كالقدوس والاضافة على هذا اضافة الملك الى
المالك وتوجهت لما كان جبريل عليه السلام من عباد الله تعالى وقيل القدس الطهارة وقيل القدس
البركة وكلما ظرف والعامل فيه استكبرتم وظاهر الكلام الاستفهام ومعناه التوبيخ والتقريع
والتقرير ويتضمن ايضا الخبر عنهم والمراد بهذه الاية بنو اسرائيل وروي ان بني اسرائيل
كانوا يقتلون في اليوم ثلث مائة نبي ثم تقوم سوقهم اخر النهار وتهوى ضمير حذف
من صلة ما لطول الكلام والهوى اكثر ما يستعمل فيما ليس بحق وهذه الاية من ذلك لانهم
انما كانوا يهوون الشهوات وقد يستعمل في الحق ومنه قول عمر رضي الله عنه في قصة اسرى
بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم تهو ما قلت واستكبرتم من الكبر
وفريقا مفعول مقدم وقرأ جمهور القراء غلف باسكان اللام على انه جمع اغلف مثل
حمر وصفر والمعنى قلوبنا عليها غلف وغشاوات فهي لا تفقه قاله ابن عباس وقال قتادة
المعنى عليها طابع وقالت طائفة غلف بسكون اللام جمع غلاف اصله غلف بتثقيل
اللام فخفف قال الفقيه وهذا قلما يستعمل الا في الشعر وقرأ ابن عباس والاعرج
وابن محيصن غلف بتثقيل اللام جمع غلاف ورويت عن ابن عمرو فالمعنى هي اوعية للعلم
والمعارف بزعمهم وهي لا تحتاج الى علم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى فكيف يعزب عنها
علم محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم بقوله بل لعنهم الله وبل في هذه الاية للنقض
الاول واضراب عنه ثم بين تعالى ان السبب في نفورهم عن الايمان انما هو انهم لعنوا بما تقدم
من كفرهم واجترامهم وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب اعظم منه واللعن الابعاد
والطرد وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره فايمانا قليلا ما تؤمنون والضمير في تؤمنون
لحاضري محمد صلى الله عليه وسلم ويحمل هذا الايمان اما لان من امن بمحمد صلى الله عليه
وسلم منهم قليل فيقل لقلة الرجال قال هذا المعنى قتادة واما لان وقت ايمانهم عندما
كانوا يستفتحون به قبل مبعثه قليل اذ كفروا بعد ذلك واما لانهم لم يبق لهم بعد كفرهم
غير التوحيد على غير وجهه اذ هم مجسمون فقد قللوه بجحدهم الرسول وتكذيبهم التوراة فانما
يقل من حيث لا ينفعهم كذلك وعلى هذا التاويل يجيء التقدير فايمانا قليلا وعلى هذا الذي
قبله فوقتا قليلا وعلى الذي قبله فعددا من الرجال قليلا وما في قوله ما تؤمنون زائدة مؤكدة
وقليلا نصب بتؤمنون وقوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما
اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن
بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله
من قبل ان كنتم مؤمنين ن الكتاب القران ومصدقا لما معهم يعني التوراة وروي
ان مصحف ابي بن كعب مصدقا بالنصب ويستفتحون معناه ان بني اسرائيل كانوا قبل
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قد علموا خروجه بما عندهم من صفته وذكروا فيه وظنوا
انه منهم فكانوا اذا حاربوا الاوس والخزرج فغلبتهم العرب قالوا لهم لو قد خرج النبي صلى الله
عليه وسلم الذي قد اظل وقته لقاتلناكم معه واستنصرنا عليكم به ويستفتحون معناه
يستنصرون وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين
وروي ان قريظة والنضير وجميع يهود الحجاز في ذلك الوقت كانوا يستفتحون على
سائر العرب وبسبب خروج النبي صلى الله عليه وسلم المنتظر كانت نقلتهم الى الحجاز وسكناهم به
فانهم كانوا علموا صقع المبعث وما عرفوا هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه ويظهر من هذه الايات
العناد منهم وان كفرهم كان مع معرفة ومعاندة ولعنة الله معناه ابعاده لهم وخزيهم كذلك
واختلف النحاة في جواب لما ولما الثانية في هذه الاية فقال ابو العباس المبرد جوابهما في قوله كفروا
واعيدت لما الثانية لطول الكلام ويعتد ذلك بعود الدرس وتاكيدا له وقال الزجاج لما الاولى
لا جواب لها للاستغناء عن ذلك بدلالة الظاهر من الكلام عليه قال الفقيه فكانه محذوف وقال
الفراء جواب لما الاولى في الفا وما بعدها وجواب لما الثانية كفروا وبئس اصلها بئس سهلت الهمزة

ونقلت

ونقلت الى الساكن كسرتها ويقال في بئس بئس اتباعا للكسرة وهي مستوفية للذم كما نعم مستوفية للمدح واختلف
النحويون في بئسما في هذا الموضع فمذهب سيبويه ان ما فاعلة بئس ودخلت عليها بئس كما تدخل على اسماء
الاجناس والنكرات لما اشبهها ما في الابهام فالتقدير على هذا القول بئس الذي اشتروا به انفسهم
ان يكفروا كقولك بئس الرجل زيد وما في هذا القول مثلها وقال الاخفش ما في موضع نصب على التمييز
كقولك بئس رجلا زيد فالتقدير بئس شيئا ان يكفروا اشتروا به انفسهم في هذا القول صفة ما وقال
الفراء بئسما بجملته شيء واحد ركبت كحبذا وفي هذا القول اعتراض لانه فعل يبقى بلا فاعل وما انما
يكف ابدا حروفا وقال الكسائي ما واشتروا بمنزلة اسم واحد قائم بنفسه فالتقدير بئس اشتراؤهم
انفسهم ان يكفروا وهذا ايضا معترض لان بئس لا تدخل على اسم معين متعرف بالاضافة
بالاضافة الى الضمير وقال الكسائي ايضا ان ما في موضع نصب على التفسير وثم ما اخرى مضمرة
فالتقدير بئس شيئا ما اشتروا به انفسهم وان يكفروا في هذا في هذا القول بدل من الضمير في به
واما في القولين الاولين فان يكفروا ابتداء وخبره فيما قبله واشتروا بمعنى باعوا يقال شرى
واشترى بمعنى باع وبمعنى ابتاع وما انزل الله يعني به القران ويحتمل ان يراد به التوراة لانهم
اذ كفروا بعيسى ومحمد عليهما السلام فقد كفروا بالتوراة والانجيل ويحتمل ان يراد بها الجميع
من توراة وانجيل وقران لان الكفر بالبعض يلزم الكفر بالكل وبغيا مفعول من اجله وقيل نصب
على المصدر وان ينزل نصب على المفعول من اجله او في موضع خفض بتقدير بان ينزل وقرأ ابو
عمرو وابن كثير ان ينزل بالتخفيف في النون والزاي ومن فضله من النبوة والرسالة ومن يشاء
يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم لانهم حسدوه لما لم يكن منهم وكان من العرب فيدخل
في المعنى عيسى صلى الله عليه وسلم لانهم كفروا به بغيا والله قد تفضل عليه وباؤوا معناه مضوا
متحملين لما يذكر انهم باؤوا به وبغضب معناه من الله تعالى بكفرهم محمد صلى الله عليه وسلم
على غضب متقدم من الله تعالى عليهم قيل لعبادتهم العجل وقيل لقولهم عزير ابن الله وقيل
لكفرهم بعيسى عليه السلام قال الفقيه فالمعنى على غضب قد باء به اسلافهم حظ هؤلاء
منه وافر بسبب رضاهم تلك الافعال وتصويبهم لها وقال قوم المراد بقوله بغضب على غضب
التاكيد وتشديد الحال عليهم لا انه اراد غضبين معللين بمعصيتين ومهين ماخوذ من
الهوان وهو ما اقتضى الخلود في النار لان من لا يخلد من عصاة المسلمين انما عذابه كعذاب
الذي يقام عليه الحد لا هوان فيه بل هو تطهير له وقوله تعالى واذا قيل لهم يعني اليهود انهم اذا قيل لهم
امنوا بالقران الذي انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التوراة
وما وراءه قال قتادة ما بعده قال الفراء اي ما سواه ويعني به القران واذا تكلم رجل او فعل فعلا
فاجاد يقال له ما وراء ما اتيت به شيء اي ليس ياتي بعده ووصف تعالى القران بانه الحق ومصدقا
حال مؤكدة عند سيبويه وهي غير منتقلة وقد تقدم معناها في الكلام ولم يسقها الا بمعنى التاكيد واسند
سيبويه على الحال المؤكدة انا ابن دارة معروفا بها نسبي وهل بدارة يا للناس من عار ولما معهم
يراد به التوراة وقوله تعالى قل فلم تقتلون الاية رد من الله تعالى عليهم في انهم امنوا بما انزل
عليهم وتكذيب منه لهم في ذلك واحتجاج عليهم ولا يجوز الوقف على فلم لنقصان الحرف الواحد
الا ان اليزيدي وقف عليه بالهاء وسائر القراء بسكون الميم ووحد الله تعالى من حضر محمدا من بني
اسرائيل بانهم قتلوا الانبياء لما كان ذلك من فعل اسلافهم وجاء يقتلون بلفظ الاستقبال وهو
بمعنى الماضي لما ارتفع الاشكال بقوله من قبل واذا لم يشكل فجائز سوق الماضي المستقبل وسوق
المستقبل بمعنى الماضي قال الحطيئة شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ان الوليد احق بالعذر وفائدة سوق
الماضي في موضع المستقبل الاشارة الى انه في الثبوت كالماضي الذي قد وقع وفائدة سوق المستقبل
في معنى الماضي الاعلام بان الامر مستمر الا ترى ان حاضري محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا راضين بفعل
اسلافهم بقي لهم من قتل الانبياء جزء وان كنتم شرط والجواب متقدم وقالت فرقة ان نافية بمعنى ما قوله
تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم
قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس
فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ن البينات
التوراة والعصى وفرق البحر وغير ذلك من ايات موسى عليه السلام وقوله ثم اتخذتم العجل يدل ثم
على انهم فعلوا ذلك بعد مهلة من المنظر في الايات وذلك اعظم من ذنبهم وقد تقدمت قصة
اتخاذهم العجل والضمير في قوله من بعده عايد على موسى عليه السلام اي من بعد حين غاب عنكم في
المناجاة ويحتمل ان يعود الضمير في بعده على المجيء وهذه الاية رد عليهم في ان من امن بما نزل

عليه لا يتخذ العجل وقد تقدم اخذ الميثاق ورفع الطور وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة يعني التوراة
والشرع وبقوة اي بعدم ونشاط وخذوا اسمعوا معناه هنا واطيعوا وليس معناه الامر
بادراك القول فقط وقالت طائفة من المفسرين انهم قالوا سمعنا وعصينا ونطقوا بهذه
الالفاظ مبالغة في التعب والمعصية وقالت طائفة ذلك مجاز ولم ينطقوا بسمعنا وعصينا
ولكن فعلهم اقتضاه كما قال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني وهذا ايضا احتجاج عليهم
في كذب قولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل التقدير حب العجل والمعنى
جعلت قلوبهم تشربه وهذا التشبيه ومجاز عبارة عن تمكن امر العجل في قلوبهم وقال قوم ان
معنى واشربوا في قلوبهم العجل شربهم الماء الذي القى فيه موسى برادة العجل وذلك انه برده
المبرد ورماه في الماء وقيل لبني اسرائيل اشربوا من ذلك الماء فشرب جميعهم فمن كان يحب
العجل خرجت برادة الذهب على شفتيه قال الفقيه وهذا قول يرده قوله تعالى في قلوبهم
وروي ان الذي سلب فيهم حب العجل اصابهم من ذلك الماء الجبن وقوله تعالى بكفرهم
يحتمل ان يكون باء السبب ويحتمل ان يكون بمعنى وقوله تعالى قل بئسما الاية امر لمحمد صلى الله عليه
وسلم ان يوبخهم بانه بئس هذه الاشيا التي فعلتم وامركم بها ايمانكم الذي زعمتم في قولكم
نؤمن بما انزل علينا وما في موضع رفع والتقدير بئس الشيء قتل واتخاذ عجل وقول سمعنا وعصينا و
يجوز ان يكون ما في موضع نصب وان كنتم شرط والشارط يعلم ان الامر على احد الجهتين كما قال الله
تعالى عن عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته وقد علم عيسى عليه السلام انه لم يقله
وكذلك ان كنتم مؤمنين والقائل يعلم انهم غير مؤمنين لكنه اقام حجة بقياس بين وقال قوم
ان هنا نافية بمنزلة ما كالتي تقدمت وقرا الحسن ومسلم بن جندب يامركم بها ايمانكم برفع
الهاء وقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة الاية امر لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يوبخهم والمعنى
ان كان لكم نعيمها وحظوتها وخيرها فذلك يقتضي حرصكم على الوصول اليها فتمنوا الموت والدار اسم
كانت وخالصة خبرها ويجوز ان يكون نصب خالصة على الحال وعند الله خبر كان ومن دون الناس يحتمل
ان يراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه ويحتمل ان يراد العموم التام وهو قول اليهود فيما
حفظ عنهم وقرا ابن ابي اسحق بكسر الواو من تمنوا الموت وحكى الاهوازي عن ابي عمرو انه قرا تمنوا
الموت بفتح الواو وحكى عن غيره اختلاس الحركة في الرفع وقراه الجماعة بضم الواو وهذه اية بينة
اعطاها الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لان اليهود قالت نحن ابناء الله واحباؤه وشبه
ذلك من القول فامر الله نبيه ان يدعوهم الى تمني الموت وان يعلمهم انه من تمناه منهم مات ففعل النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك فعلم اليهود صدقه فاحجموا عن تمنيه فرقا من الله لقبح اعمالهم ومعرفتهم بكذبهم
في قولهم نحن ابناء الله وحرصا منهم على الحياة وقيل ان الله تعالى منعهم من التمني وقصرهم عن
عن الامساك عنه لتظهر الاية لنبيه والمراد بقوله تمنوا اريدوه بقلوبكم واسالوه هذا قول جماعة من
المفسرين وقال ابن عباس المراد فيه السؤال فقط وان لم يكن بالقلب وقال ايضا هو وغيره انما امروا
بالدعاء بالموت على اردى الحزبين من المؤمنين ومنهم وذكر المهدوي وغيره ان هذه الاية كانت
مدة النبي صلى الله عليه وسلم وارتفعت بموته والصحيح ان هذه الاية النازلة من سوت من تمني الموت
انما كانت اياما كثيرة عند نزول الاية وهي بمنزلة دعاية النصارى من اهل نجران الى المباهلة وقالت
فرقة ان سبب هذا الدعاء الى تمني الموت ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد به هلاك الفريق المكذب
او قطع حجتهم لا ان عليه قولهم نحن ابناء الله ثم اخبر تعالى عنهم بعجزهم وانهم لا يتمنونه ابدا ظرف
زمان واذا كانت ما بمعنى الذي فيحتاج الى عائد تقديره قدمته واذا كانت مع قدمت بمثابة المصدر
مستغن عن الضمير هذا قول سيبويه والاخفش يرى الضمير في المصدرية واضاف ذنوبهم واجرامهم
الى الايدي واسند تقدمها اليها اذ الاكثر من كسب العبد الخير والشر انما هو بيديه فحمل جميع الاشياء على ذلك
وقوله تعالى والله عليم بالظالمين ظاهرها الخبر ومضمنها الوعيد لان الله عليم بالظالمين وغيرهم
ففائدة تخصيصهم حصول الوعيد قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين
اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون قل من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد انزلنا اليك
ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون ن وجد في هذا المعنى يتعدى الى مفعولين لانها من افعال
النفس فلذلك صلح تعديها الى الضمير المتكلم في قول الشاعر بلبث نحو الحي حتى وجدتني وجعت من
الاصغاء ليتا واخدعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في العب انه لم يكن بارض قومي فاجدني
اعافه وحرصهم على الدنيا لعلمهم بذنوبهم والاجر هم عند الله تعالى وقوله لا يعرفون الا هذه الحياة

الدنيا

الدنيا الا ترى الى قول امرئ القيس تمتع من الدنيا فانك فاني والضمير في احدهم يعود في هذا القول على اليهود
وقيل ان الكلام تم في حياة ثم استونف الاخبار عن طائفة من المشركين انهم يود احدهم وهي المجوس
لان تشميتهم للعاطس لفظ بلغتهم معناه عش الف سنة فكان الكلام ومن المشركين قوم يود
احدهم وفي هذا القول تسمية بني اسرائيل بهذه الفرقة من المشركين وقصد الالف بالذكر لانه
نهاية العقد في الحساب وقوله تعالى وما هو بمزحزحه اختلف النحاة في هو فقيل هو ضمير
الاحد المتقدم والتقدير وما احدهم بمزحزحه وخبر الابتداء في المجرور وان يعمر فاعل بمزحزحه
وقالت فرقة هو ضمير التعمير والتقدير وما التعمير بمزحزحه والخبر في المجرور وان يعمر بدل من التعمير
في هذا القول وقالت فرقة هو ضمير الامر والشان وقد رد هذا القول بما حفظ عن النحاة من ان
الامر والشان انما يفسر بجملة سالمة من حرف جر وقد جوز ابو علي ذلك في بعض مسائله الحلبيات
وحكى الطبري عن فرقة انها قالت هو عماد وقيل ما عاملة حجازية وهو اسمها والخبر في بمزحزحه
والزحزحة الابعاد والتنحية وفي قوله والله بصير بما يعملون وعيد والجمهور على قراءة يعملون
بالياء من اسفله وقرا قتادة والاعرج ويعقوب تعملون بالتاء من فوق وهذا الرجوع الى الخطاب المتوعدين
من بني اسرائيل وقوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الاية نزلت على سبب لم يتقدم له ذكر فيما مضى
من الايات ولكن اجمع اهل التفسير ان اليهود قالت جبريل عدونا واختلف في كيفية ذلك فقيل ان
يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نسالك عن اربعة اشيا فان عرفتها اتبعناك فسالوه
عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لحوم الابل والبانها وسالوه عن الشبه في الولد فقال اي ما علا
كان الشبه له وسالوه عن نومه فقال تنام عيناي ولا ينام قلبي وسالوه عمن يجيئه من الملائكة
فقال جبريل فلما ذكره قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والحرب ولو كان الذي يجيئك
ميكائيل ملك الرحمة والخصب والامطار لاتبعناك وقيل ان عمر بن الخطاب كان يتكرر الى بيت
المدراس فاستحلفهم يوما بالذي انزل التوراة على موسى بطور سينا اتعلمون ان محمدا نبي
قالوا نعم قالوا فلم تهلكون في تكذيبه قالوا صاحبه جبريل وهو عدونا وذكروا انهم قالوا سبب
عداوتهم له انه حمى بخت نصر حين بعثوا اليه قبل ان يملك من يقتله فنزلت هذه الاية لقولهم
وفي جبريل لغات جبريل بكسر الجيم والراء من غير همز وبها قرا نافع وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء
من غير همز وبها قرا ابن كثير وروي عنه انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقرا جبريل وميكائيل
فلا ازال اقراهما ابدا كذلك وجبرئيل بفتح الجيم والراء وهمزة بين الراء واللام وبها قرا عاصم وجبرئل
بفتح الجيم والراء وهمزة بالف بعد الراء ثم همزة وبها قرا عكرمة وجبرائيل بزيادة ياء بعد الهمزة وجبرائيل
بيائين وبها قرا الاعمش وجبرئل بفتح الجيم والراء وهمزة ولام مشددة وبها قرا ابن همز وجبرال لغة
فيه وجبريل بكسر الجيم والراء وياء ونون قال الطبري هي لغة بني اسد ولم يقرا بها وجبريل اسم عجمي عربته
العرب فلها فيه هذه اللغات فبعضها هي موجود في السنة العرب فذلك كمثل ما عربته العرب ولم
تدخله في ساكنة مسم وفرند واحد ونحوه وذكر ابن عباس رضي الله عنه وغيره ان جبر
وميك وسراف كلها بالاعجمية بمعنى عبد ومملوك وايل اسم الله تعالى ويقال فيه ال ومنه قول
ابي بكر الصديق رضي الله عنه سمع سجع مسيلمة بهذا كلام لم يخرج من ال وقوله تعالى فانه نزله
على قلبك الضمير في فانه عائد على الله عز وجل والضمير في نزله عائد على جبريل والمعنى القران وسائر الوحي وقيل
الضمير في انه عائد على جبريل وفي نزله على القران وخص القلب بالذكر لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف
وجاءت المخاطبة بالكاف في قلبك اتساعا في العبارة اذ ليس ثم من مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بهذه
الكاف وانما يجيء قوله فانه نزله على قلبي لكن حسن هذا اذ يحسن في كلام العرب ان يجوز اللفظ الذي يقوله
المامور بالقول ويحسن ان يقصد المعنى الذي يقوله فيسرد مخاطبة له كما يقول لرجل قل لقومك لا يهينوك
ولذلك هي الاية ونحو من هذا قول الفرزدق الم تراني يوم جو سويقة بكيت فنادتني هنيدة ماليا
فاحرز المعنى ونكب عن يد اهنيدة مالك وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه اياه من هذه المنزلة
ومصدقا حال من ضمير القران في نزله وما بين يديه ما تقدمه من كتب الله تعالى وهذا ارشاد والبشرى
اكثر استعمالها في الخير ولا تجيء في الشر الا مقيدة به ومقصود هذه الاية تشريف جبريل عليه السلام
وذم معاديه وقوله تعالى من كان عدوا لله الاية وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام واعلام
ان عداوة البعض يقتضي عداوة الله لهم وعداوة العبد لله هي معصيته واجتناب طاعته ومعاداة
اوليائه وعداوة الله لعبده تعذيبه واظهار اثر العداوة عليه وذكر جبريل وميكائيل وقد كان ذكر
الملائكة عمهما تشريفا لهما وقيل خصا لان اليهود ذكروهما ونزلت الاية بسببهما فذكرهما واجب
لئلا تقول اليهود انا لم نعاد الله وجميع ملائكته وقرا نافع ميكائيل بهمز دون ياء وقرا بها ابن كثير
في بعض ما روي عنه وقرا ابن عامر وابن كثير ايضا وحمزة والكسائي ميكائيل بياء بعد الهمزة وقرا ابو

عمرو وعاصم ميكال وروبت عن ابن كثير مسد راها في النوم كما ذكرنا وقرا ابن محيصن ميكئل بهمزة دون
الف وقرا الاعمش ميكائيل بيائين وظهر الاسم في قوله تعالى فان الله لسلا يشكل عود الضمير وجاءت
العبارة بعموم الكافرين لان عود الضمير على من يشكل سوا افردته او جمعته ولو لم يبال بالاشكال وقلنا
المعنى يدل السامع على القصد للزم تعيين قوم بعداوة الله لهم ويحتمل ان الله قد علم ان بعضهم
نؤمن ولا سعى ان يطلق عليه عداوة الله لمال وروى ان رجلا من اليهود لقي عمر بن الخطاب فقال له
ارايت جبريل الذي يزعم صاحبك انه محبه ذاك عدونا فقال له عمر من كان عدوا لله الى اخر الاية
فنزلت على لسان عمر قال الفقيه وهذا الخبر يضعف من جهة معناه وقوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات
بينات ذكر الطبري ان ابن صوريا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئت باية بينة فنزلت
هذه الاية والفاسقون هنا الخارجون عن الايمان فهو بو ربما يكفر بها اخذ الفاسقون
لان الايجاب لا ياتي لا بعد تمام جملة النفي ن قوله تعالى وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم
لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر
سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ت
قال سيبويه الواو واو العطف دخلت عليها الف الاستفهام وقال الاخفش هي زايدة وقال الكسائي
هي او وفتحت تسهيلا وقراها قوم اوْ ساكنة الواو فتجي بمعنى بل كما يقول القائل لاضربنك فيقول
المجيب او يكفي الله قال الفقيه وهذا كله متكلف واو في هذا المثال متمكنة في التقسيم والصحيح قول
سيبويه وقرى عُهِدوا عهدا وقرا الحسن وابو رجاء عوهدوا عهدا وعهد مصدر وقيل مفعول
بمعنى اعطوا عهدا والنبذ الطرح والالقا ومنه النبيذ والمنبوذ والفريق اسم جمع لا واحد له
من لفظه ويقع على اليسير والكثير من الجمع وكذلك فسرت كثيره الساندين بقوله بل اكثرهم لما الفريق
ان يكون الاقل ولا يؤمنون في هذا التاويل حال من الضمير في اكثرهم ويحتمل الضمير العود على الفريق
ويحتمل العود على جميع بني اسرائيل وهو ادم لهم والعهد الذي نبذوه هو ما اخذ عليهم في التوراة
من امر محمد صلى الله عليه وسلم وفي مصحف ابن مسعود بقصة فريق وقوله تعالى ولما جاءهم
رسول يعني به محمدا صلى الله عليه وسلم وما معهم هو التوراة ومصدق نعت لرسول وقرا ابن
ابي عيلة مصدقا بالنصب ولما يجب بها الشي لوجوب غيره وهي ظرف زمان وجوابها في نبذ
الذي يجيء والكتاب الذي اوتوا التوراة وكتاب الله مفعول نبذ والمراد القران لان التكذيب
به نبذ وقيل المراد التوراة لان مخالفتها والكفر بما اخذ عليهم فيها نبذ ووراء ظهورهم
مثل لان ما يجعل ظهريا فقد زال النظر اليه جملة والعرب تقول جعل هذا الامر وراء ظهره
ودبر اذنه وقال الفرزدق تميم بن مر لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيى علي جوابها
وكانهم لا يعلمون تشبيه بمن لا يعلم اذ فعلوا فعل الجاهل فيجي من اللفظ انهم كفروا على
علم وقوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية يعني اليهود قال ابن زيد والسدي
المراد من كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الجميع وتتلوا قال عطا معناه نقرأ
من التلاوة وقال ابن عباس تتلوا يتبع كما تقول جاء القوم تتلوا بعضهم بعضا وتتلوا
يعني تلت فالمستقبل وضع موضع الماضي وقال الكوفيون المعنى ما كانت تتلو وقرا الحسن
والضحاك الشياطون بالواو وقوله تعالى على ملك سليمان اي على عهد سليمان وقيل
المعنى في ملك سليمان اي على شرعه ونبوته وحاله والذي تلته الشياطين قيل انهم
كانوا الى الكهنة الكلمة من الحق معها المائة من الباطل حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان عليه السلام
ودفنه تحت كرسيه فلما مات قالت الشياطين ان ذلك كان علم سليمان وقيل بل كان الذي تلته الشياطين
سحرا وتعليمه فجمعه سليمان عليه السلام مما تقدم وقيل ان سليمان عليه السلام كان يملي على كاتبه اصف
ابن برخيا علمه ويخزنه فلما مات اخرجته الجن وكتبت بين كل سطرين سطرا من سحر ثم نسبت ذلك الى
سليمان وقيل ان اصف هو اطامع شياطين على ان تكتبوا سحرا وينسبوه الى سليمان بعد موته وقيل
ان الجن كتب ذلك بعد موت سليمان واختلقته ونسبته اليه وقيل ان الجن والانس حين زال ملك
سليمان عنه اتخذ بعضهم السحر والكهانة علما فلما رجع سليمان الى ملكه تتبع كتبهم في الافاق ودفنها
فلما مات قال شيطان لبني اسرائيل هل ادلكم على كنز سليمان الذي به سخرت له الجن والريح وهو
هذا السحر فاستخرجته بنو اسرائيل واثبت فيهم ونسبوا سليمان الى السحر وكفروا في ذلك
حتى برأه الله على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما ذكر سليمان في الانبيا قال بعض اليهود انظروا الى محمد يذكر سليمان في الانبياء وما كان
الا ساحرا وقوله تعالى وما كفر سليمان تنزيه من الله تعالى لسليمان ولم يتقدم في الايات

ان احدا

احدا نسبه الى الكفر ولكنها انه نزلت في السبب المتقدم ان اليهود نسبته الى السحر والسحر والعمل به
كفر ويقتل الساحر عند مالك كفرا ولا يستتاب كالزنديق وقال الشافعي يسئل عن سحره فان كان كفرا استتيب
منه فان تاب والا قتل وقال مالك فيمن يعقد الرجال عن النساء يعاقب ولا يقتل واختلف في ساحر
الذمة فقيل يقتل وقال مالك لا يقتل الا ان قتل بسحره ويضمن ما جنا ويقتل ان جاء منه ما لم
يعاهد عليه وقرا نافع وعاصم وابن كثير وابو عمرو بتشديد النون من لكن ونصب الشياطين وقرا
حمزة والكسائي وابن عامر بتخفيف النون ورفع الشياطين قال بعض الكوفيين التشديد احب الي اذا
دخلت عليها الواو ولان المخففة بمنزلة بل وبل لا تدخل عليها الواو وقال ابو علي ليس دخول الواو عليها
معنى يوجب التشديد وهي مثقلة ومخففة بمعنى واحد الا انها لا تعمل الا اذا خففت وكفر الشياطين
اما بتعليمهم السحر واما بعلمهم به واما بتكفيرهم سليمان به وكل ذلك كان والناس يعلمون
اتباع الشياطين من بني اسرائيل والسحر مفعول ثان يتعلمون وموضع يعلمون نصب على الحال
او رفع على خبر ثان وقوله تعالى وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ما عطف
على السحر فهي مفعوله وهذا على القول بان الله تعالى انزل السحر على الملكين فتنة للناس ليكفر
به من اتبعه ويؤمن به من تركه وعلى قول مجاهد وغيره ان الله تعالى انزل على الملكين الشي
الذي يفرق به بين المرء وزوجه دون السحر او على القول انه تعالى انزل السحر عليهما ليعلم على جهة
التحذير منه والنهي عنه قال الفقيه والتعليم على هذا القول انما هو تعريف
يسير بما به وقيل ان ما عطف على ما في قوله ما تتلوا وقيل ما نافية رد على قوله وما كفر
سليمان وذلك ان اليهود قالوا ان الله انزل جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك وقرا ابن
عباس والحسن والضحاك وابن ابزى الملكين بكسر اللام وقال ابن ابزى هما داود وسليمان
وعلى هذا القول ايضا فما نافية وقال الحسن هما علجان كانا ببابل ملكين فما على هذا القول غير
نافية وقراها كذلك ابو الاسود الدؤلي وقال هما هاروت وماروت وهذا القول الحسن وبابل
لا ينصرف للتانيث والتعريف وهي قطر من الارض واختلف اين هي فقال قوم في العراق وما والاه
وقال ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقال قتادة هي من نصيبين الى راس العين
وقال قوم بالمغرب قال الفقيه وهذا ضعيف وقال قوم هي جبل دماوند وهاروت وماروت
بدل من الملكين على قول من قال هما ملكان ومن قرا ملكين بكسر اللام وجعلهما داود وسليمان او جعل
الملكين جبريل وميكائيل جعل هاروت وماروت بدلا من الشياطين في قوله ولكن الشياطين كفروا
وقال هما شيطانان ويجي يعلمون اما على الاثنين جمع واما على تقدير اتباع لهذين الشيطانين
الذين هما الراس ومن قال كانا علجين قال هاروت وماروت بدل من قوله الملكين وقيل هما
بدل من الناس في قوله يعلمون الناس وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع ووجه البدل
من الشياطين في قوله تتلوا الشياطين او من الشياطين الثاني على قراءة من خفف لكن ورفع
او على خبر ابتداء مضمر تقديره هما هاروت وماروت وروى من قال انهما ملكين ان الملائكة
وروى من قال انهما ملكين لكن الملائكة معصية بني ادم وزعمت انها لو كانت بمثابتهم
من البعد عن الله لاطاعت حق الطاعة فقال الله لهم اختاروا ملكين يحكمان بين الناس
فاختاروا هاروت وماروت فكانا يحكمان فاختصمت اليهما امراة فعشقاها فراوداها
فابت حتى يشربا الخمر ويقتلا ففعلا وسالتهما عن الاسم الذي يصعدان به الى السماء فيعلماها اياه فتكلمت
فعرجت فمسخت كوكبا فهي الزهرة وكان ابن عمر يلعنها قال الفقيه وهذا كله ضعيف ويبعد على ابن عمر
رضي الله عنه وروى ان الزهرة نزلت اليهما في زي امراة من فارس فجرى لهما ما ذكر فاطلع الله الملائكة
على ما كان من هاروت وماروت فعجبوا وبعثا في الارض لانهما خيرا بين عذاب الاخرة او عذاب الدنيا
فاختارا عذاب الدنيا فهما في سرب في الارض معلقين يصفقان باجنحتهما وروت طائفة انهما يعلمان السحر
في موضعهما ذلك واخذ عليهما ان لا يعلما احدا حتى يقولا له انما نحن فتنة فلا تكفر وهذا القصص تزيد
في بعض الروايات وبعض ولا يقطع منه بشي فلذلك اختصرته ن قوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به
انفسهم لو كانوا يعلمون ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم ن ذكر الاعرابي في الياقوتة
ان يعلمان بمعنى يعلمان ويشعران كما قال كعب بن زهير يعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا
منك كالاخذ باليد وحمل هذه الاية على ان الملكين انما نزلا يعلمان الناس بالسحر وينهيان
وينهيان عنه وقال الجمهور بل التعليم على عرفه ولا تكفر قالت فرقة يتعلم السحر وقالت فرقة تاسم

باستكماله وحكى المهدوى ان قولهما انما نحن فتنة ولا تكفر استهزاء لانهما انما يقولانه لمن قد تحقق ضلاله وس
فى قوله من احد زائدة بعد النفى قوله تعالى فيتعلمون قال سيبويه التقدير فهم يتعلمون وقيل هو معطوف
على قوله يعلمون الناس ومنعه الزجاج وقيل هو معطوف على موضع ما يعلمان لان قوله وما يعلمان
وان دخلت عليه ما النافيه فيضمنه الايجاب فى التعليم وقيل التقدير فيأتون فيتعلمون واختاره الزجاج
والضمير فى يعلمان هو هاروت وماروت الملكين او الملكين المجليين على ما تقدم والضمير فى منهما قيل
هو عايد عليهما وقيل على السحر وعلى الذى انزل على الملكين ويعرفون معناه فرقة العصمه وقيل
معناه يوجدون الرجل على المراه على لا بعد على وطنها فهى ايضا فرقة وقال الحسن والزهرى وقتاده
المراء براء مكسورة خفيفه وروى عن الزهرى تشديد الراء وقرا ابن ابى اسحق المرء بضم الميم
وهمزة وهى لغة هذيل وقرا الاشهب العقيلى المرء بكسر الميم وهمزة وروية عن الحسن وقرا جمهور
الناس المرء بفتح الميم وهمزه والزوج هنا المراة الرجل وكل واحد منهما زوج الاخر ويقال للمراة
زوجة وقال الفرزدق وان الذى يسعى ليفسد زوجتى كساع الى اسد الشرى يستبيلها وقرا
الجمهور بضارين وقرا الاعمش بضارى به من احد فقيل حذفت النون تخفيفا وقيل حذفت للاضافة
الى احد وحيل بين المضاف والمضاف اليه بالمجرور وباذن الله معناه بعلمه وتمكينه ونصر بهم
معناه فى الاخرة ولا ينفعهم فيها ايضا وان نفع فى الدنيا بالمكاسب فالمراعا انما هو امر الاخرة
والضمير فى تعلموا عائد على بنى اسرائيل حسب الضمائر المتقدمه وقيل على الشياطين وقيل على الملكين
وهما جمع وقال اشتراه لانهم كانوا يعطون الاجرة على ان تعلموا والخلاق النصيب والحظ وهو هنا
بمعنى الجاه والقدر واللام فى قوله لمن اشتراه للقسم المؤذنه بان الكلام قسم لا شرط وتقدم القول
فى بئسما وشروا به معناه باعوا وقد تقدم مثله والضمير فى تعلمون عايد على بنى اسرائيل باتفاق
ومن قال ان الضمير فى علموا عايد عليهم خرج هذا السالى على المجاز اى لما عملوا عمل من لا يعلم
كانوا كانهم لا يعلمون ومن قال ان الضمير فى علموا عايد على الشياطين او الملكين قال ان
اولئك علموا ان لا خلاق لمن اشتراه وهؤلاء لم تعلموا فهو على الحقيقة وقال مكى الضمير
فى علموا الحلماء اهل الكتاب وفى قوله لو كانوا يعلمون المتعلمين منهم وقوله تعالى
ولو انهم امنوا موضع ان رفع المعنى لو وقع ايمانهم يعنى الذين اشتروا السحر ولو يقتضى
جوابا فقالت فرقة جوابها لمثوبة لانها مصدر يقع للماضى وللاستقبال وجواب لو
لا يكون الا ماضيا او بمعناه وقال الاخفش لا جواب للو فى هذه الاية مظهرا ولكنه
مقدر اى لو امنوا لاثيبوا وقرا قتاده وابو السماك وابن بريده لمثوبة بسكون
الثاء وفتح الواو وهو مصدر ايضا لمثوبه ومشورة ومثوبة رفع بالابتداء وخبره
خير والجملة خبر ان والمثوبة عند جمهور الناس معنى الثواب والاجر وهذا هو الصحيح
وقال قوم معناه لرجعة الى الله من ثاب يثوب اذا رجع واللام فيها لام القسم
لان لام الابتداء مستغنى عنها وهذه لاغنا عنها وقوله تعالى لو كانوا يعلمون يحتمل
من العلم عنهم ويحتمل ان يراد لو كانوا يعلمون علما ينفع وقرا جمهور الناس راعنا
من المراعاة معنى فاعلنا اى ارعنا نرعك وفى هذا جفا ان يخاطب به احد نبيه وقد
حض الله تعالى على خفض الصوت عنده وتعزيره وتوقيره فقال من ذهب الى هذا
المعنى ان الله تعالى نهى المؤمنين عنه هذه العلة ولا مدخل لليهود فى هذه الاية على
هذا التاويل بل هو نهى عن كل مخاطبة فيها استواء مع النبى صلى الله عليه وسلم وقالت
طائفة هى لغة كانت الانصار تقولها فقالها رفاعة بن زيد بن التابوت للنبى
صلى الله عليه وسلم ليا بلسانه وطعنا كما كان يقول اسمع غير مسمع نهى المؤمنين ان يقال
هذه اللفظة قال ابن عطية ووقف هذه اللغة على الانصار تقصير بل هى لغة جميع
العرب فاعل من المراعاة ويسطون انهم يريدون الرعونة التى هى الجهل وحكى المهدوى
عن قوم ان هذه الاية على هذا التاويل ناسخة لفعل قد كان مباحا وليس فى
هذه الاية شروط النسخ لان الاول لم يكن شرعا متقررا وقرا الحسن وابن ابى ليلى وابن
محيصن وابو حيوة راعنا بالتنوين وهذه من معنى الجهل وهذا محمول على ان اليهود
كانت تقوله فنهى الله تعالى المؤمنين عن القول المباح سدد ذريعة لئلا يتطرق منه
اليهود الى المحظور اذ المؤمنون انما كانوا يقولون راعنا دون تنوين وفى مصحف ابن
مسعود راعونا وهى شاذة ووجهها انهم كانوا يخاطبون النبى كما يخاطبون الجماعة
يظهرون بذلك اكباره وهم يريدون بذلك فى الباطن فاعولا من الرعونة وانظرنا مضمومة
الالف والظاء معناها انتظرنا وامهل علينا ويحتمل ان يكون المعنى تفقدنا من النظر

وهذه

وهذه لفظة مخلصة لتعظيم النبى صلى الله عليه وسلم على المعنيين والظاهر عندى استدعاء نظر العين
المقترن بتدبر الحال وهذا هو معنى راعنا فبدلت للمؤمنين اللفظة لتزول تعلق اليهود وقرا
الاعمش وغيره انظرنا بقطع الالف وكسر الظاء بمعنى اخرنا وامهلنا حتى نفهم عنك ونتلقى منك
ولما نهى الله تعالى فى هذه الاية وامر حض بعد على السمع الذى فى ضمنه الطاعة واعلم ان لمن خالف امره وكفر
عذابا اليما وهو المؤلم واسمعوا معطوف على قولوا لا على معمولها قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شىء قدير ن التقدير ولا من المشركين
وعم الذين كفروا ثم بين اجناسهم من اليهود والنصارى وعبدة الاوثان لتبين فى الالف واللام
فى الذين انها ليست للعهد يراد بها معين ومعنى الاية ان ما امرناكم به من ان تعظموا نبيكم خير من الله
منحكم اياه وذلك لا يوده الكفار ثم يتناول اللفظ كل خير غير هذا وان مع الفعل بتاويل المصدر
ومن زائدة فى قول بعضهم ولما كان ود نزول الخير منفيا قام ذلك مقام الجحد الذى يلزم ان يتقدم
من الزائدة على قول سيبويه والخليل واما الاخفش فيجيز زيادتها فى الواجب وقال قوم من للتبعيض
لانهم يريدون ان لا ينزل على المؤمنين من الخير قليل ولا كثير ولو زال معنى التبعيض لساغ لقائل ان
يقول يريد ان لا ينزل خير كامل ولا نكره ان ينزل بعض فاذا نفى ود نزول البعض فذلك احرى فى
نزول خير كامل والرحمة فى هذه الاية عامة فى جميع انواعها التى منحها الله عباده قديما وحديثا
وقال قوم الرحمة هى القران وقال قوم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اجزاء الرحمة العامة التى فى
لفظ الاية وقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها الاية النسخ فى كلام العرب على وجهين احدهما
النقل كنقل كتاب من اخر والثانى الازالة فاما الاول فلا مدخل له فى هذه الاية وورد فى كتاب الله فى قوله
تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون واما الثانى هو الازالة هو الذى فى هذه الاية وهو منقسم فى اللغة على
ضربين احدهما يثبت الناسخ بعد المنسوخ كقولهم نسخت الشمس الظل والاخر لا يثبت كقولهم نسخت الريح
الاثر وورد النسخ فى الشرع حسب هذين الضربين والناسخ حقيقة هو الله تعالى ويسمى الخطاب الشرعى
ناسخا اذ به يقع النسخ وحد الناسخ عند حذاق اهل السنة الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت
بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا مع تراخيه عنه والنسخ جايز على الله تعالى عقلا لانه ليس
يلزم عنه محال ولا تغير صفة من صفاته تعالى وليست الاوامر متعلقة بالارادة فيلزم من النسخ
ان الارادة تغيرت ولا النسخ لطرو علم بل الله تعالى يعلم الى اى وقت ينتهى امره بالحكم الاول ويعلم
نسخه له بالثانى والبدا لا يجوز على الله تعالى لانه لا يكون الا لطرو علم او لتغير ارادة وذلك محال
فى جهة الله تعالى وجعلت اليهود النسخ والبدا واحدا ولذلك لم يجوزوه فضلوا والمنسوخ عند ائمتنا
الحكم الثابت نفسه لا ما ذهبت اليه المعتزلة من انه مثل الحكم الثابت فيما يستقبل والذى قادهم
الى ذلك مذهبهم فى ان الاوامر مرادة وان الحسن صفة نفسية للحسن ومراد الله تعالى حسن
وقد قامت الادلة على ان الاوامر لا ترتبط بالارادة وعلى ان الحسن والقبح فى الاحكام انما هو من جهة
الشرع لا بصفة نفسية والتخصيص من العموم يوهم انه نسخ وليس به لان المخصص لم يتناوله العموم
قط ولو ثبت قطعا تناول العموم لشىء ما ثم اخرج ذلك الشىء عن العموم لكان نسخا لا تخصيصا والنسخ
لا يجوز فى الاخبار وانما هو مختص بالاوامر والنواهى ورد بعض المعترضين الامر خبرا بان قال اليس معناه
واجب عليكم ان تفعلوا كذا فهذا خبر والجواب ان يقال ان فى ضمن المعنى الا ان انسخه عنكم وارفعه
فكما يضمن لفظ الامر ذلك الاخبار كذلك يضمن هذا الاستثناء وصور النسخ تختلف فقد ينسخ
الاثقل الى الاخف كنسخ الثبوت للعشرة بالثبوت للاثنين وقد ينسخ الاخف الى الاثقل كنسخ يوم
عاشورا والايام المعدودة برمضان وقد ينسخ المثل بمثله ثقلا وخفة كالقبلة وقد ينسخ
الشىء لا الى بدل كصدقة النجوى والنسخ التام ان ينسخ التلاوة والحكم وذلك كثير ومنه قول
ابى بكر الصديق رضى الله عنه كنا نقرا لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر وقد ينسخ التلاوة دون الحكم
كاية الرجم وقد ينسخ الحكم دون التلاوة كصدقة النجوى وكقوله تعالى وان فاتكم شىء من ازواجكم الى الكفار
فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا والتلاوة والحكم حكمان فجائز نسخ احدهما دون
الاخر وتنسخ القران بالقران والسنة بالسنة وهذه العبارة يراد بها الخبر المتواتر القطعى وينسخ
خبر الواحد بخبر الواحد وهذا كله متفق عليه وحذاق الائمة على ان القران ينسخ بالسنة وذلك
موجود فى قوله عليه السلام لا وصية لوارث كذلك وهو ظاهر مسائل مالك واباه ذلك الشافعى
والحجة عليه من قوله اسقاطه الجلد فى حد الزنا عن المثيب الذى يرجم فانه لا يسقط لذلك الا السنة
فعل النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك حذاق الائمة على ان السنة تنسخ بالقران وذلك موجود فى القبلة
فان الصلوة الى الشام لم تكن قط فى كتاب الله وفى قوله تعالى ولا ترجعوهن الى الكفار فان رجوعهن

انما كان بصلح النبي صلى الله عليه وسلم القريش والحذاق على تجويز نسخ القرآن بخبر الواحد عقلا واختلفوا هل
وقع شرعا فذهب ابو المعالي وغيره الى وقوعه في نازلة مسجد قبا في التحول الى القبلة وابا ذلك قوم
ولا يصح نسخ بقياس اذ من شروط القياس ان لا يخالف نصا وهذا كله في مدة النبي صلى الله
عليه وسلم واما بعد موته واستقرار الشرع فاجمعت الامة على انه لا نسخ وهذا كان
الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ لانه انما ينعقد بعد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا وجدنا اجماعا
اجماعا يخالف نصا فيعلم ان الاجماع استند الى نص نسخ لا نعلمه نحن وقال بعض المتكلمين
النسخ الثابت متصد في جملة كل احد علم الناسخ اولم يعلمه والذي عليه الحذاق انه من
لم يبلغه الناسخ فهو متعبد بالحكم الاول فاذا بلغه الناسخ طرا عليه حكم النسخ والحذاق
على جواز نسخ الحكم قبل فعله وهو موجود في كتاب الله تعالى في قصة الذبيح وقرا جمهور
الناس ما ننسخ بفتح النون من نسخ وقرات طائفة ننسخ بضم النون من النسخ وبها قرا ابن عامر
وبها قرا ابن عباس وحده من السبعة قال ابو علي الفارسي ليست لغة لانه لا يقال نسخ والنسخ
بمعنى ولا هو للتعدية لان المعنى يجي ما كتب من اية اي ما نزل فيجي القرآن كله على هذا منسوخا
وليس الامر كذلك فلم يبق الا ان يكون المعنى ما نجده منسوخا كما تقول احمدت الرجل وابخلته
بمعنى وجدته محمودا او بخيلا قال ابو علي وليس نجده منسوخا الا بان ننسخه فيتفق القراتان في
المعنى وان اختلفتا في اللفظ قال الفقيه وتتخرج قراءة هذه القراة المعنى على وجهين
احدهما ان يكون المعنى ما يكتب وينزل من اللوح المحفوظ وما يوجد فيه ونترك ولا ننزله اي
ذلك فعلنا فانا ناتي بخير من المؤخر المتروك او بمثله فيجي الضميران في منها ومثلها عائدين
على الضمير في ننساها والمعنى الاخر ان يكون ننسخ من النسخ بمعنى الازالة ويكون التقدير
ما ننسخك اي ما ننسخ لك ننسخه كانه ما ننسخه الله اباح لنبيه تركها بدل ذلك النسخ فسمى
تلك الاباحة نسخا وما شرطية وهي مفعولة بننسخ وننسخ جزم بالشرط واختلف القرا
في قراة قوله ننسها فقرا نافع وحمزه والكسائي وعاصم وابن عامر وجمهور من الناس ننسها بضم النون الاولى
وسكون الثانية وكسر السين وترك الهمزه وهذه من النسي المنقول من نسي وقرات ذلك فرقة كما تقدم
الا انها همزت بعد السين فهذه بمعنى التاخير يقول العرب انسات الدين وغيره انسيه
انسا اذا اخرته وقرات طائفة ونسها بفتح النون الاولى وسكون الثانية وفتح السين وهذه
بمعنى الترك ذكرها مكي ولم ينسبها وذكرها ابو عبيد البكري في كتاب اللالي عن سعيد بن ابي وقاص
واراه وهم وقرا سعد بن ابي وقاص او تنسها بتاء على المخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ونون
بعدها ساكنة وفتح السين هكذا قال ابو الفتح وابو عمرو الداني فقيل لسعد بن سعيد ابن
المسيب يقراها بنون اولى مضمومة وسين مكسورة فقال ان القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل
المسيب وتلى سنقرئك ولا تنسى واذكر ربك اذا نسيت وقرا سعد بن المسيب فيما ذكر عنه
ايضا او تنسها بضم التا اولا وفتح السين وسكون النون بينهما وهذه من النسيان وقرا
الضحاك ابن مزاحم ننسها بضم النون الاولى وفتح الثانية وسين مكسورة مشددة وهذه ايضا
من النسيان وقرا عمر بن الخطاب وابن عباس وابراهيم النخعي وعطا بن ابي رباح ومجاهد وعبيد
ابن عمير وابو عمرو وابن كثير ننساها بنون مفتوحة واخرى بعدها ساكنة وسين مفتوحة والف
بعدها مهموزه وهذه من التاخير يقول العرب نسات الابل عن الحوض انساها نساء اذا اخرتها
وكذلك يقال للنسا الابل اذا زاد في ظمئها يوما او يومين او اكثر من ذلك يعني اخرها عن الورد
وقرات فرقة مثل هذه القراة الا انها بتاء مفتوحة اولا على المخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
واسناد الفعل اليه وقرا ابو حيوه مثل ذلك الا انه ضم التاء وقرا ابي ابن كعب او ننسك بضم
النون الاولى وسكون الثانية وسين مكسورة وكاف المخاطبة وفي مصحف سالم مولى ابي حذيفه
او ننسكها مثل قراة ابي الا انه زاد ضمير الايه وقرا الاعمش ما ننسك من اية او ننسخها
نجئ بمثلها وهكذا ثبت في مصحف عبد الله بن مسعود قال الفقيه وهذه القرات لا تخلو كل
لا تخلو كل واحد منها من النسي او الانسا بمعنى التاخير او يكون من النسيان والنسيان في كلام العرب
يجي في الاغلب ضد الذكر وقد يجي بمعنى الترك فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القرات فما كان
منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر فمعنى الاية به ما ننسخ من اية او نقدر
نسيانك لها فتنساها حتى يرتفع حمله وتذهب فانا ناتي بما هو خير منها لكم او مثله في المنفعة
وما كان من هذه القرات يحمل على معنى الترك فان الاية معه يترتب فيها اربعة معان
احدها ما ننسخ ما على وجوه النسخ او نترك غير منزل عليك فانا لا بد ان ننزل رفعا بكم خيرا
من ذلك او مثله حتى لا ينقص الدين عن حد كماله والمعنى الثاني او نترك تلاوته وان رفعنا

حكمه

حكمه فيجي النسخ على هذا رفع التلاوة والحكم والمعنى الثالث ان نترك حكمه وان رفعنا تلاوته فالنسخ ايضا
على هذا رفع التلاوة والحكم والمعنى الرابع ان نتركها غير منسوخة الحكم ولا التلاوة فالنسخ على هذا المعنى
هو على جميع وجوهه ويجي الضميران في منها او مثلها عائدين على المنسوخة فقط وكان الكلام ان ننسخ
او نبقيا فانا ناتي بخير من المنسوخة او مثلها وما كان من هذه القرات يحمل على معنى التاخير فان الاية
معه يترتب فيها المعاني الاربعة التي في الترك اولها ما ننسخ او نوخر انزاله والثاني ما ننسخ النسخ
الاكمل او نوخر حكمه وان انسا تلاوته والثالث ما ننسخ الاكمل او نوخر تلاوته وان انسا حكمه والرابع
ما ننسخ او نوخره مثبتا لا ننسخه ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك وبعض هذه المعاني اقوى من
بعض لكن ذكرنا جميعها لانها تحتمل وقد قال جميعها العلما اما نصا واما اشارة فكملناها وقال
الزجاج ان القراة ننسها بضم النون وسكون الثانية وكسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك لانه لا يقال
انسا بمعنى ترك قال ابو علي وغيره ذلك متجه لانه بمعنى نجعلك تتركها وكذلك ضعف الزجاج ان تحمل
الاية على النسيان الذي هو ضد الذكر وقال ان هذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ولا نسي قرانا وقال
ابو علي وغيره ذلك جائز وقد وقع ولا فرق بين ان ترفع الاية بنسخ او بنسيه واحتج الزجاج بقوله
تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اي لم نفعل قال ابو علي لم يذهب بالجميع قال الفقيه
على معنى ازالة النعمة كما توعد وقد حكى الطبري القول عن اقدام من الزجاج ورد عليه والصحيح في هذا
ان نسيان النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد الله ان ينساه ولم يرد ان يثبت قرانا جائز فاما النسيان
الذي هو آفة في البشر فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه قبل التبليغ به وبعد التبليغ ما لم
يحفظه احد من اصحابه واما بعد ان يحفظ عنه فجائز عليه ما يجوز على البشر لانه قد بلغ
وادى الامانة ومنه الحديث حين اسقط اية فلما فرغ من الصلوة قال افي القوم ابي قالوا
نعم يا رسول الله قال فلم تذكرني قال حسبت انها رفعت فقال لم ترفع ولكني نسيتها ولفظه
خير في هذه الاية صفة تفضيل والمعنى نافع لكم ايها الناس في عاجل ان كانت الناسخة
اخف وفي اجل ان كانت اثقل وبمثلها ان كانت مستوية وقال قوم خير في الاية مصدر ومن
لابتداء الغاية قال الفقيه ويعلق هذا القول كقوله تعالى ومثلها الا ان يعطف المثل
على الضمير في منها دون اعادة حرف جر وذلك معترض وقوله تعالى الم تعلم ظاهره الاستفهام
ومعناه التقرير والتقرير يحتاج المعادل الاستفهام المحض فالمعادل هنا على قول جماعة
ام تريدون وقال قوم ام هنا منقطعة فالمعادل على قولهم محذوف تقديره ام علمتم وهذا
كله على ان القصد بمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة امته واما ان كان هو المخاطب
وحده فالمعادل محذوف لا غير وكلا القولين مروي ومعنى الاية ان الله تعالى ينسخ ما شاء
ويثبت ما شاء ويفعل في احكامه ما شاء هو قدير على ذلك وهو على كل شي قدير وهذا
الانكار اليهود النسخ وقوله على كل شي عموم والشي في كلام العرب الموجود وقدير اسم فاعل
على المبالغة من قدر بفتح العين يقدر بكسرها ومن العرب من يقول قدر بكسر العين يقدر
بفتحها قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان
فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا
من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله
على كل شي قدير ن الملك السلطان ونفوذ الامر والارادة وجمع الضمير في لكم دال على ان
المراد خطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب امته والولي فعيل من ولي اذا جاور ولصق
والناصر المعين القائم بالامر والحافظ له كانهم يجاور بوجه ما والنصير فعيل من
النصر وهو اشد مبالغة من الناصر وقوله تعالى ام تريدون قالت فرقة ام رد على
الاستفهام الاول فهي معادلته وقالت فرقة ام استفهام مقطوع من الاول كانه قال اتريدون
وهذا موجود في كلام العرب وقالت فرقة ام هنا بمعنى بل والف الاستفهام قال مكي و
غيره وهذا يضعف لان ام لا تقع بمعنى بل الا اذا اعترض المتكلم شك فيما يورده قال
الفقيه وليس كما قال مكي لان بل قد يكون للاضراب عن اللفظ الاول لا عن معناه وانما
يلزم ما قال على احد معنيي بل وهو الاضراب عن اللفظ والمعنى ولعم ما قال سيبويه
بل للترك كلام واحد في غيره قال ابو العاليه ان هذه الاية نزلت حين قال بعض الصحابة
للنبي صلى الله عليه وسلم ليت ذنوبنا جرت مجرى ذنوب بني اسرائيل في تعجيل العقوبة
في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اعطاكم الله خيرا مما اعطى بنو اسرائيل
وتلى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما قال الفقيه

فيجي اضافة الرسول الى الامة على هذا حسب الامر فى نفسه وحسب اقرادهم وقال ابن عباس ان رافع بن
حرملة اليهودى سال النبى صلى الله عليه وسلم بتفجير عيون وغير ذلك وقيل ان كفار بنى قريش
سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم الله جهرة وقيل سألوه ان ياتى بالله والملائكة قبيلا وقال
مجاهد سألوه ان يرد الصفا ذهبا فقال لهم خذوا ذلك كالمائدة لبنى اسرائيل فابوا ونكصوا
قال الفقيه فيجي على هذه الاقوال اضافة الرسول اليهم حسب الامر فى نفسه لا على اقرارهم وما
سئل موسى عليه السلام هو ان نرى الله جهرة وقرا الحسن وغيره سيل بكسر السين وياء وهى لغة فقال
سلت اسال ويحتمل ان من همز ابدل الهمزة ياء على غير قياس ثم كسر السين من اجل الياء وقرا بعض
القرا سهل الهمزة بين الهمزة والياء مع ضم السين وكنى عن الاعراض عن الايمان والاقبال على
الكفر بالتبديل وقال ابو العالية الكفر هنا الشدة وللايمان الرخا قال الفقيه وهذا ضعيف الا
ان يريدهما مستعارين اى الشدة على نفسه والرخا عليها عبارة عن العذاب والنعيم واما المتعارف
من شدة امور الدنيا ورخائها فلا يفسر الاية به وضل اخطا الطريق والسواء من كل شى الوسط
والمعظم ومنه قول الله تعالى فى سواء الجحيم وقال عيسى بن عمر كتب حتى انقطع سواى وقال حسان فى
رثا النبى صلى الله عليه وسلم على ما ذكر ابن اسحق وغيره معا ويح انصار النبى ورهطه بعد المغيب
فى سواء الملحد وقال ابو عبيدة هو فى عثمان بن عفان وهو عندى وهم منه والسبيل عبارة عن الشريعة
التى انزلها الله لعباده لما كانت كالسبيل اليها وقوله تعالى ود كثير
من اهل الكتاب كثير مرفوع بود وهو نعت لنكرة وحذف موصوف النكرة قلق ولكنه جاز هنا
لانها صفة متمكنة ترفع الاشكال بمنزلة فريق قال الزهرى بكثير واحد وهو كعب بن الاشرف
وهذا تحامل وقوله يردونكم يرد عليه وقال ابن عباس المراد ابنا اخطب حيى وابو ياسر قال
الفقيه وفى الضمن الاتباع فيجي العبارة متمكنة والكتاب هنا التوراة ولو هنا بمنزلة ان لا تحتاج
الجواب وقيل سد مسد جوابها فى ود التقدير لو يردونكم لودوا ذلك قال الفقيه فود دالة على الجواب
لان من شرطه ان يكون متاخرا عن لو وكفارا مفعول ثان ويحتمل ان يكون حالا وحسدا مفعول له و
قيل هو مصدر فى موضع الحال واختلف فى تعلق قوله من عند انفسهم فقيل يتعلق بود بمعنى ودوا
ودوا وقيل يتعلق بقوله حسدا فالوقف على قوله كفارا والمعنى على هذين القولين انهم لم يجدوا ذلك
فى كتاب ولا امروا به فهو من تلقائهم ولفظة الحسد يعطى هذا فجاء من عند انفسهم تاكيدا والزاما
كما قال تعالى يقولون بافواههم ويكتبون الكتاب بايديهم ولا طائر يطير بجناحيه وقيل يتعلق بقوله
يردونكم فالمعنى انهم ودوا الرد زيادة ان يكون من تلقائهم اى باغوائهم وبلا قسمهم واختلف
فى سبب هذه الاية فقيل ان حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر اتيا بيت المدارس فاراد اليهود صرفهم
عن دينهم فثبتا عليه ونزلت الاية وقيل انما هذه الاية تابعة فى المعنى لما تقدم من نهى الله تعالى عن
سابقة اقوال اليهود فى راعنا وغيره وانهم لا يودون ان ينزل خير ويودون ان يردوا المؤمنين
كفارا والحق المراد فى هذه الاية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما المسلمون عليه وهذه الاية
من الظواهر فى صحة الكفر عنادا واختلف اهل السنة فى جواز ذلك والصحيح عندى جوازه عقلا
وبعده وقوعا ويترتب فى كل اية يقتضيه ان المعرفة تسلب فى حال من العناد والعفو ترك
العقوبة وهو من عفت الاثار والصفح الاعراض عن المذنب كانه تولى صفحة العنق وقال ابن عباس
هذه الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون الى قوله صاغرون وقيل بقوله اقتلوا المشركين
وقال قوم ليس هذا حد المنسوخ لان هذا فى نفس الامر كان التوقيف على مدته قال الفقيه وهذا على
من يجعل الامر المنتظر امر الشرع او قتل قريظة والنضير واما من يجعله الاسلام فى تترتب
النسخ فى هذه الاية بعينها لانه لا يختلف ان ايات الموادعة المطلقة قد نسخت كلها والنسخ هو
نهى الامر فى هذه المقيدة وقيل نهى الامر هو فرض القتال وقيل قتل قريظة واجلاء النضير
وقال ابو عبيدة فى هذه الاية انها منسوخة بالقتال لان كل اية فيها ترك القتال فهى
مكية منسوخة قال الفقيه وحكمه بان هذه الاية مكية ضعيف لان معاندات اليهود
انما كانت بالمدينة وقوله تعالى ان الله على كل شى قدير مقتضاه فى هذا الموضع وعد
للمؤمنين ن قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله
وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست
النصارى على شى وقالت النصارى ليست اليهود على شى وهم يتلون الكتاب ن
قالت فرقة من الفقهاء ان قوله تعالى واقيموا الصلوة عموم وقالت فرقة فيؤمن بجمل القرآن

والمرجح

والمرجح ان ذلك مجمل من وجه والمجمل من وجه فعموم من حيث الصلوة الدعاء مجملة على مقتضاه
ممكن وخصصه الشرع بهيئات وافعال واقوال ومجمل من حيث الاوقات وعدد الركعات لا يفهم
من اللفظ بل السامع مفتقر فيه الى التفسير وهذا كله فى واقيموا الصلوة واما الزكاة فمجملة لا غير
قال الطبرى انما امر الله هنا بالصلوة والزكوة ليحط ما تقدم من ميلهم الى قول اليهود راعنا
لان ذلك نهى عن نوعه ثم امر المؤمنين بما يحطه والخير المقدم منقض لانه فعل فمعنى تجدوه
تجدوا ثوابه وجزاءه وذلك بمنزلة وجوده وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر فى اللفظ
معناه قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فجمع قولهم ودل الفريقين وعهم
على تفريق قولهم وهذا هو الايجاز واللف وهود جمع هائد مثل عائد وعود وهو معناه
التائب الراجع ومثله فى الجمع بارك وبرك وحائل وحول وبائر وبور وقيل هو مصدر
يوصف به الواحد والجميع كفطر وعدل ورضى وقال الفرا اصله يهودى حذفت ياؤه
على غير قياس وقرا ابى بن كعب الا من كان يهوديا وكذبهم الله تعالى وجعل قولهم امنيه وقد
قطعوا قبل بقوله فتمنوا الموت وامر محمد صلى الله عليه وسلم بدعائهم الى اظهار البرهان وقيل
ان الهاء فى هاتوا اصلية من هاتى يهاتى وامتيت تصريف هذه اللفظة كلها الا الامر منه وقيل هى عوض
من همزة اتى وقيل ها تنبيه والزمت همزة اتى الحذف والبرهان الدليل الذى توضح اليقين قال
الطبرى طلب الدليل هنا يقتضى اثبات النظر ويرد على من يمنعه وقول اليهود لن نفى
حسبت بعده بلى اذ هى رد بالايجاب فى جواب النفى حرف من عند كذلك وقيل هى بل زيدت عليها الياء لكونها
لو بقيت على حد النسق الذى فى بل واسلم معناه استسلم وخضع ودل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل
واسلمت وجهى لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا وخص الوجه بالذكر لكونه اشرف ما يرى
من الانسان وموضع الحواس وفيه يظهر العز والذل وكذلك يقال وجه الامر اى معظمه
واشرفه وقال الاعشى واول الحكم على وجهه ليس قضاى بالهوى الجائر ويصح ان يكون الوجه
فى هذه الاية المقصد وهو محسن جملة فى موضع الحال وعاد الضمير فى له على لفظ من وكذلك فى قوله
اجره وعاد فى عليهم على المعنى وكذلك فى يحزنون وقرا ابن محيصن ولا خوف دون تنوين فى الفاء المرفوعة
وقيل ذلك تخفيف وقيل المراد فلا الخوف فحذفت الالف واللام والخوف هو لما يتوقع والحزن هو ما
قد وقع وقوله تعالى وقالت اليهود الاية ادعى كل فريق انه احق برحمة الله من الاخر وسبب الاية
ان نصارى نجران اجتمعوا مع يهود المدينة عند النبى صلى الله عليه وسلم فتسابوا وكفر اليهود
بعيسى وبملته وبالانجيل وكفر النصارى بموسى وبالتوراة وقال الفقيه وفى هذا من فعلهم كفر كل
طائفة بكتابها لان الانجيل يتضمن صدق موسى وتقرير التوراة والتوراة يتضمن التبشير بعيسى وصحة
نبوته وكلاهما تضمن صدق النبى صلى الله عليه وسلم فعنفهم الله تعالى على كذبهم وفى كتبهم خلاف ما
قالوه وفى قوله تعالى وهم يتلون الكتاب تنبيه لامة محمد على ملازمة القرآن والوقوف عند وجوده
كما قال الحديث فيه فى عمر بن الخطاب وكان وقافا عند كتاب الله والكتاب الذى يتلونه قيل التوراة
والانجيل فالالف واللام للجنس وقيل التوراة لان النصارى تمسكها فالالف واللام للعهد ن
قوله تعالى كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم
وجه الله ان الله واسع عليم ن اختلف من المراد بقوله لا يعلمون فقال الجمهور عنى به كفار العرب
لانهم لا كتاب لهم وقال عطا المراد امم كانت قبل اليهود والنصارى وقال قوم المراد اليهود وكانه
اعند قولهم قال الفقيه وهذا ضعيف واخبرهم تعالى بانه يحكم بينهم والمعنى بان يثيب من كان على شى
اى حق ويعاقب من كان على غير شى وقال الزجاج المعنى يريهم عيانا من يدخل الجنة ومن يدخل النار
ويوم القيمة سمى بقيام الناس من القبور اذ ذلك يشد الجميع ما فى اليوم وفى الاستمرار بعده وقوله
كانوا بصيغة الماضى حسن على من اعاد يوم الحكم وليس هذا من وضع الماضى موضع المستقبل
لان اختلافهم ليس فى ذلك اليوم بل فى الدنيا وقوله تعالى ومن اظلم الاية من رفع بالابتداء واظلم خبره
والمعنى لا احد اظلم واختلف فى المشار اليه من هذا الصنف الظالم فقال ابن عباس وغيره المراد
النصارى الذين كانوا يؤذون من يصلى ببيت المقدس ويطرحون فيه الاقذار وقال قتادة والسدى
المراد الروم الذين اعانوا بخت نصر على تخريب بيت المقدس حين قتلت بنو اسرائيل يحيى بن زكريا
عليه السلام وقيل المعنى بخت نصر وقال ابن زيد المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن المسجد الحرام وهذه الاية تتناول كل من منع من مسجد الى يوم القيمة او خرب مدينة
اسلام لانها مساجد وان لم تكن موقوفة اذ الارض كلها مسجد لهذه الامة والمشهور مسجد

بكسر الجيم ومن العرب من يقول مسجد بفتحها وان يذكر في موضع نصب اما على تقدير حذف من وتسلط الفعل
واما على البدل من المساجد وهو بدل الاشتمال الذى شان البدل فيه اى يتعلق بالمبدل عنه ويختص
به او يقوم به صفة ويجوز ان يكون مفعولا لاجله ويجوز ان يكون في موضع خفض على اسقاط حرف الجر
ذكره سيبويه ومن قال من المفسرين ان الاية بسبب بيت المقدس جعل الخراب الحقيقي الموجود ومن قال
هو بسبب المسجد الحرام جعل منع عمارته خرابا اذ هو داع اليه ومن جعل الاية في النصارى روى
انه مر زمن بعد ذلك لا يدخل نصراني بيت المقدس الا اوجع ضربا قاله قتادة والسدى ومن جعلها
في قريش قال كذلك نودى بامر النبي صلى الله عليه وسلم الا لا يحج مشرك وخائفين نصب على الحال
وهذه الاية ليست بامر لهم لكنها نطرق الى ذلك وبداه فيها وعد للمؤمنين ووعيد للكفار
ومن جعل الاية في النصارى قال الخزى قيل الجزية وقيل الفتوح الكاينة في الاسلام كعمورية
وهرقلة وغير ذلك ومن جعلها في قريش جعل الخزى عليهم في الفتح وقتلهم والعذاب في الاخرة لمن مات
منهم كافرا وخزى رفع بالابتداء وخبره في المجرور والمشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب
اى هما له ملك وما بينهما من الجهات والمخلوقات وخصهما بالذكر وان كانت جملة المخلوقات كذلك
لان سبب الاية اقتضى ذلك واينما شرط وتولوا جزم به والجواب في قوله فثم والمعنى فاينما تولوا
نحوه واليه لان ولى وان كان غالب استعمالها ادبر فانها يقتضى انه يقبل الى ناحية يقول وليت
عن كذا الى كذا وقرا الحسن تولوا بفتح التا واللام وثم مبنية على الفتح وهى في موضع نصب على الظرف
ووجه الله معناه الذى وجهنا اليه كما تقول سافرت في وجه كذا اى في جهة كذا واختلف
الناس في تاويل الوجه الذى جا مضافا الى الله تعالى في مواضع من القرآن فقال الحذاق ذلك
راجع الى الوجود والعبارة بالوجه من مجاز كلام العرب اذ كان الوجه اظهر الاعضا
في المشاهدة واجلها قدرا وقال بعض الايمة تلك صفة ثابتة بالسمع زايدة على ما توجبه
العقول من صفات القديم تعالى وضعف ابو المعالى هذا القول ويتجه في بعض المواضع
كهذه الاية ان يراد بالوجه الجهة التى فيها رضاه وعليها ثوابه كما يقول تصدقت لوجه
الله تعالى ويتجه في هذه الاية خاصة ان يراد بالوجه الجهة التى وجهنا اليها في القبلة
حسب ما ياتى في احد الاقوال وقال ابو منصور في المقنع يحتمل ان يراد بالوجه هنا الجاه
كما يقول فلان وجه القوم اى موضع شرفهم فالتقدير فثم جلال الله وعظمته و
اختلف المفسرون في سبب هذه الاية فقال قتادة اباح الله لنبيه عليه السلام بهذه
الاية ان يصلى المسلمون حيث شاوا فاختار النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس حينئذ
ثم نسخ ذلك كله بالتحول الى الكعبة وقال مجاهد والضحاك معناها اشارة الى الكعبة
اى حيث كنتم من المشرق والمغرب فانتم قادرون على التوجه الى الكعبة التى هى وجه الله
الذى وجهكم اليه قال الفقيه وعلى هذا فهى ناسخة لبيت المقدس وقال ابن زيد كانت
اليهود قد استحسنت صلوة النبي صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وقالوا ما اهتدى
الا بنا فلما حول الى الكعبة قالت اليهود ما ولاهم عن قبلتهم فنزلت ولله المشرق الاية
وقال ابن عمر نزلت هذه الاية في صلوة النافلة في السفر حيث توجهت بالانسان دابته
وقال النخعى الاية عامة اينما تولوا في مصر فانكم وساعيكم فثم وجه الله اى موضع رضاه
وثوابه وجهة رحمته التى توصل اليها بالطاعة وقال عبيد الله بن عامر بن ربيعة نزلت فيمن
اجتهد في القبلة فاخطا وورد في ذلك حديث رواه عامر بن ربيعة قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فتحرى قوم القبلة واعلموا علامات
فلما اصبحوا راوا انهم قد اخطوها فعرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت
هذه الاية وذكر قوم هذا الحديث على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مع القوم في
السفر وذلك خطا وقال ايضا قتادة نزلت هذه الاية في النجاشى وذلك انه لما مات دعا
النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين الى الصلوة عليه فقال قوم كيف نصلى على من لم يصل
الى القبلة قط فنزلت هذه الاية اى ان النجاشى كان يقصد وجه الله وان لم يبلغه التوجه
الى القبلة وقال ابن جبير نزلت هذه الاية في الدعا لما نزلت ادعونى استجب لكم قال المسلمون
الى اين ندعو فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وقال المهدوى وقيل هذه الاية متضمنة
في معنى التى قبلها اى لا يمنعكم تخريب مسجد من ادا العبادات فان المسجد المخصوص
للصلوة ان خرب فثم وجه الله موجود حيث توليتم وقال ايضا وقيل نزلت الاية
حين صد رسول الله صلى الله عليه وسلم و واسع معناه متسع الرحمة عليهم
ان يضعها وقيل واسع معناه هنا انه يوسع على عباده في الحكم دينه يسر عليهم

لنيات التى هى ملاك العمل وان اختلفت ظواهره في نفسه وما اشبهها ن قوله تعالى
وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون بديع السموات
والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او
تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم
يوقنون ن هذه الاية عامة القرا وقالوا بواو يربط الجملة بالجملة او تعطف على
سعى وقرا ابن عامر وغيره قالوا بغير واو وقال ابو على وكذلك هى في مصاحف اهل الشام
وحذف هذه الواو يتجه من وجهين احدهما ان هذه الجملة مرتبطة في المعنى بالتى قبلها
فذلك يغنى عن الواو والاخر ان يستانف هذه الجملة ولا يراعا ارتباطها بما تقدم واختلف
على من يعود الضمير في قالوا فقيل على النصارى لانهم قالوا المسيح ابن الله قال الفقيه وذكرهم
اشبه بسياق الاية وقيل على اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله وقيل على كفرة العرب لانهم قالوا
الملائكة بنات الله وسبحانه مصدر معناه تنزيها له وتنزيه مما قالوا وما رفع بالابتداء
والخبر في المجرور او بالاستقرار المقدر اى كل ذلك له ملك والذى قالوا ان الله اتخذه ولدا
داخل في جملة ما في السموات والارض ولا يكون الولد الا من جنس الوالد لا من المخلوقات
المملوكات والقنوت في اللغة الطاعة والقنوت طول القيام في عبادة ومنه القنوت في الصلوة
فمعنى الاية ان المخلوقات كلها تقنت لله اى تخشع وتطيع والكفار والجمادات قنوتهم في ظهور
الصنعة عليهم وفيهم وقيل الكافر يسجد ظله وهو كاره وبديع مصروف من مبدع كبصير
من مبصر ومنه قول عمرو بن معدى كرب امن ريحانة الداعى السميع بمعنى المسمع والمبدع المخترع
المنشى ومنه اصحاب البدع ومنه قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صلوة رمضان نعمت البدعة
هذه وخص السموات والارض بالذكر لانها اعظم ما يرى من مخلوقاته جل وعلا وقضى معناه قدر
وقد يجى بمعنى امضى ويتجه في هذه الايات المعنيان فعلى مذهب اهل السنة قدر في الازل وامضى
فيه وعلى مذهب المعتزلة امضى عند الخلق والايجاد والامر واحد الامور وليس هنا بمصدر
امر يامر ويكون رفع على الاستيناف قال سيبويه معناه فهو يكون قال غيره يكون عطف على يقول
واختاره الطبرى وقرره وهو خطا من جهة المعنى لانه يقتضى ان القول مع التكوين والوجود و
تكلم ابو على الفارسى في هذه المسئلة بما هو فاسد من جهة الاعتزال لا من جهة العربية وقرا ابن
عامر فيكون بالنصب وضعفه ابو على ووجهه مع ضعفه على ان يشفع له شبه اللفظ وقال
احمد بن موسى في قراءة ابن عامر هذا لحن قال الفقيه لان الفاء لا تعمل في جواب الامر الا اذا
كانا فعلين يطرد فيهما معنى الشرط تقول اكرم زيدا فيكرمك والمعنى ان تكرم زيدا يكرمك
وفي هذه الاية لا يتجه هذا اذ يجى تقديره ان تكن يكن ولا معنى لهذا والذى يطرد فيه معنى
الشرط هو ان يختلف الفاعلان او الفعلان فالاول اكرم زيدا فتسود وتلخيص المعتقد في
هذه الاية ان الله عز وجل لم يزل امرا للمعدومات بشرط وجودها قادرا مع تاخر المقدورات
عالما مع تاخر وقوع المعلومات فكل ما في الاية مما يقتضى الاستقبال فهو بحسب المامورات اذ
المحدثات تجى بعد ان لم تكن وكل ما يستند الى الله عز وجل من قدرة وعلم وامر فهو قديم لم يزل
ومن جعل من المفسرين قضى بمعنى امضى عند الخلق والايجاد فكانه اظهار المخترعات في اوقاتها
المؤجلة قول لها كن اذ التامل يقتضى ذلك على نحو قول الشاعر وقالت الاقراب للبطن الحق قال
الفقيه وهذا كله يجرى مع قول المعتزلة والمعنى الذى يقتضيه عبارة كن هو قديم بالذات والو
والوضوح التام في هذه المسئلة يحتاج اكثر من هذا البسط وقوله تعالى وقال الذين لا يعلمون
الاية قال الربيع والسدى هم كفار العرب قال الفقيه وقد طلب عبد الله بن ابى امية وغيره من
النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا فنفى عنهم العلم لانهم لا كتاب عندهم ولا اتباع نبوة و
قال مجاهد هم النصارى لانهم المذكورون في الاية اولا ورجحه الطبرى وقال ابن عباس المراد
من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود لان رافع بن حريملة قال للنبي صلى الله عليه وسلم
اسمعنا كلام الله وقيل الاشارة بقوله لا يعلمون الى جميع هذه الطوايف لان كلهم قال هذه المقالة
او نحوها ويكون الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم فلولا تحضيض بمعنى هلا كما قال
الاشهب بن رميلة تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا وليست هذه
لولا التى تعطى منع الشى لوجود غيره وفرق بينهما انها في التحضيض لا يليها الا الفعل مظهرا
او مقدرا وعلى بابها في المنع للوجوب يليها الابتداء وجرت العادة بحذف الخبر والاية هنا
العلامة الدالة وقد تقدم القول في لفظها والذين من قبلهم اليهود والنصارى في قول من
جعل الذين لا يعلمون كفار العرب وهم الامم السالفة في قول من جعل الذين لا يعلمون النصارى

والكاف الاولى من كذلك نعت لمقدر مصدر ومثل نعت لمصدر محذوف ويصح ان يعمل فيه قال وتشابه
القلوب هنا هو فطلب ما لا يصح او في الكفر وان اختلفت ظواهرهم وقرا ابن ابي اسحق وابو حيوه
تشابهت بتشديد الشين قال ابو عمرو الداني وذلك غير جائز لانه فعل ماض وقوله تعالى قد بينا
الايات لقوم يوقنون كما تقدم ذكر الذين اضلهم الله حتى كفروا باياتنا وطلبوا ما لا يجوز لهم
اتبع ذلك بذكر الذين من لهم ما سمع ويقوم به الحجة لكن البيان وقع وحصل للموقنين فكذلك
خصهم بالذكر ويحتمل ان يكون المعنى قد بينا البيان الذي هو خلق الهدى فكان الكلام قد هدينا
واليقين اذا اتصف به العلم خصصه وبلغ به نهاية الوثاقة وقوله تعالى بينا قرينة يقتضي ان اليقين
صفة لعلمهم وقرينة اخرى وهي ان الكلام مدح لهم واما اليقين في استعمال الفقهاء اذا لم يتصف
به العلم فانه احط من العلم لان العلم عندهم معرفة المعلوم على ما هو به واليقين معتقد يقع للموقنين
في حقه والشي على خلاف معتقده مثال ذلك يقين المقلد ثبوت الصانع وسند قول مالك رحمه الله
في الموطا في مسئلة الحالف على الشي يتيقنه والشي في نفسه على غير ذلك قال الفقيه واما حقيقة
الامر فاليقين هو الاخص وهو ما علم على الوجه الذي لا يمكن ان يكون الا عليه قوله تعالى انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله
من ولي ولا نصير الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك
هم الخاسرون ت المعنى بشيرا لمن امن ونذيرا لمن امن كفر وقرا نافع وحده ولا تسال بالجزم على النهي
وفي ذلك معنيان احدهما لا تسئل على جهة التعظيم لحالهم من العذاب كما تقول ولان لا تسل عنه
يعني انه في نهاية تسهره من خير او شر والمعنى الثاني روي فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليت
شعري ما فعل ابواي فنزلت ولا تسئل وحكى المهدوي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري
اي ابوي احدث موتا فنزلت قال الفقيه وهذا خطا ممن رواه او لا ظنه لان اباه مات وهو في
بطن امه وقيل وهو ابن شهر وقيل ابن شهرين وماتت امه بعد ذلك بخمس سنين منصرفة به من
المدينة من زيارة اخواله فهذا مما لا يتوهم انه خفي على النبي صلى الله عليه وسلم وقرا باقي السبعة
ولا تسال بضم التا واللام وقرا قوم ولا تسئل بفتح التا وضم اللام ويتجه في هاتين القراتين معنيان
احدهما الخبر انك لا تسئل عنهم او لا تسئل هو عنهم والاخر ان يراد معنى الحال كانه قال غير مسئول
او غير سائل عنهم عطفا على قوله بشيرا ونذيرا وقرا ابي ابن كعب وما تسئل وقرا ابن مسعود
ولن تسئل وهاتان القراتان يؤيدان معنى القطع والاستيناف في غيرهما والجحيم احدى طبقات
النار ويقال رضي يرضى رضا ورضا ورضوانا وحكى رضاء ممدودا وقال ملتهم وهما ملتان
مختلفتان بمعنى لن ترضى اليهود حتى تتبع ملتهم ولن ترضى النصارى حتى تتبع ملتهم فجمعهم
ايجازا لان ذلك مفهوم والملة الطريقة وقد اختصت اللفظة بالشريعة والدين وطريق ممل
اي قد اثر المشي فيه وروي ان سبب هذه الاية ان اليهود والنصارى طلبوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدنة ووعدوه ان يتبعوه بعد مده خداعا منهم
فاعلمه الله ان اعطا الهدنة لا ينفع عندهم واطلعه على سوء خداعهم وقوله تعالى قل
ان هدى الله هو الهدى اي ما انت عليه يا محمد من هدى الله الذي يضعه في قلب من
يشاء هو الهدى الحقيقي لا ما يدعيه هؤلاء ثم قال تعالى لنفيه ولئن اتبعت اهواءهم الاية
فهذا شرط خوطب به النبي وامته معه داخلة فيه والاهواء جمع هوا ولما كانت مختلفة
جمعت ولو حمل على افراد الملة لقيل هواهم الولي الذي يتولى للاصلاح والحياطة
والنصر والمعونة ونصير بناء مبالغة في اسم الفاعل من نصر وقوله تعالى الذين اتيناهم
الكتاب الاية الذين رفع بالابتداء واتيناهم الكتاب صلته وقال قتاده المراد بالذين
في هذا الموضع من اسلم من امة محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا التاويل القران
وقال ابن زيد المراد من اسلم من بني اسرائيل والكتاب على هذا التاويل التوراة
واتيناهم معناه اعطيناهم وقال قوم هذا مخصوص في الاربعين الذين وردوا
مع جعفر بن ابي طالب في السفينة فاثنى الله عليهم ويحتمل ان يراد
بالذين العموم في مؤمني بني اسرائيل والمؤمنين من العرب وقيل يتلونه يعرفونه حق قراته
وهذا ايضا يتضمن للاتباع وللامتثال ويتلونه اذا اريد بالذين الخصوص فيمن
اهتدى يصح ان يكون خبر الابتداء ويصح ان يكون يتلونه في موضع الحال والخبر اولئك فاذا
اذا اريد بالذين العموم لم يكن الخبر الا اولئك ويتلونه حال لا يستغنى عنها وفيها العائد
لانه لو كان الخبر فيتلونه لوجب ان يكون كل مؤمن يتلو الكتاب حق تلاوته جازت هنا لان

معرف

معرف التلاوة باضافتها الى الضمير ليس بتعرف محض وانما هو بمنزلة قولهم رجل واحد امه
ونسيج وحده والضمير في به عايد على الكتاب وقيل يعود على محمد صلى الله عليه وسلم لان
متبعي التوراة يجدونه فيها يؤمنون به قال الفقيه ويحتمل عندي ان يعود الضمير على
الهدى الذي تقدم وذلك انه ذكر ان كفار اليهود والنصارى في اول الاية وحذر رسول
الله من اتباع اهوائهم واعلمه بان هدى الله هو الهدى الذي اعطاه وبعثه به ثم ذكر له
ان المؤمنين التالين لكتاب الله هم المؤمنون بذلك الهدى المعتدون بانواره والضمير
في يكفر به يحتمل من العود ما ذكر في الاول هم الخاسرون ابتداء واعتماد وخبر او ابتدا وابتداء
وخبره والثاني خبر للاول والخسران نقصان الحظ ت قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن
قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ت قرا الحسن
وغيره نعمتي بتسكين اليا تخفيفا لان اصلها التحريك لتحريك الضمائر لك وبك ثم حذفها الحسن
للالتقا وفي السبعة من تحرك اليا ومنهم من يسكنها وان قدرنا فضيلة بني اسرائيل
مخصوصة في كثرة الانبيا وغير ذلك والعالمون عموم مطلق وان قدرنا بفضلهم على الاطلاق فالعالمون
عالموا زمانهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم افضل منهم بالنص متقدم وقد تقدم القول على
مثل هذه الاية الى قوله ينصرون معنى لا تنفعها شفاعة اي كسبت ثم ليس المعنى انه يشفع فيهم
احد فيرد وانما نفى ان يكون ثم شفاعة على حد ما هي في الدنيا واما الشفاعة التي في تعجيل الحساب
فليست شافعة لهؤلاء الكفرة في خاصتهم واما الاخيرة التي هي باذن الله في اهل المعاصي من المؤمنين
فهي بعد ان احد العرب حقه وليس لهؤلاء الكفار المتوعدين منها شي والعامل في اذ فعل تقديره
واذكر اذ وابتلى معناه اختبر وابراهيم يقال ان تفسيره بالعربية اب رحيم وقرا ابن عامر في جميع
سورة البقرة ابراهام قدم على الفاعل للاهتمام اذ كون الرب مبتليا معلوم فانما يهم السامع
بمن ابتلى وكون ضمير المفعول متصلا بالفاعل موجب تقدم المفعول فانما بني الكلام على هذا
الاهتمام واختلف اهل التاويل في الكلمات فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما هي الاسلام كله
لم يتمه احد كاملا الا ابراهيم عليه السلام عشرة منها في براة التائبون العابدون الاية
وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في سال سائل وقال ابن عباس ايضا وقتادة
الكلمات عشر خصال خمسة منها في الراس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك
وفرق الراس وقيل بدل فرق الراس اعفا اللحية وخمس منها في الجسد تقليم الظفر وحلق العانة
ونتف الابط والاستنجاء بالماء والاحسان وقال ابن عباس ايضا هي عشر خصال ست في البدن
واربع في الحج الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار وقص الشارب والغسل يوم الجمعة
والطواف بالبيت والسعي ورمي الجمار والافاضة وقال الحسن هي الخلال الست التي امتحن بها
الكوكب والشمس والقمر والنار والهجرة والختان وقيل بدل الهجرة الذبح وقالت طائفة هي مناسك
الحج خاصة وروي ان الله عز وجل اوحى اليه ان تطهر فتمضمض ثم ان تطهر فاستنشق
ثم ان تطهر فاستاك ثم ان تطهر فاخذ من شاربه ثم ان تطهر ففرق شعره ثم ان تطهر
فاستنجى ثم تطهر فحلق عانته ثم ان تطهر فنتف ابطه ثم ان تطهر فقلم اظفاره ثم ان تطهر
فاقبل على جسده ينظر ما يصنع فاختتن بعد عشرين ومائة سنة قال الفقيه وفي البخاري
انه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم قال الراوي فاوحى الله اليه اني جاعلك للناس
اماما ياتمون بك في هذه الخصال ويقتدي بك الصالحون قال الفقيه وهذا اقوى الاقوال في
تفسير هذه الاية وعلى هذه الاقوال كلها فابراهيم هو الذي اتم وقال مجاهد وغيره ان الكلمات
هي ان الله عز وجل قال لابراهيم اني مبتليك بامر فما هو قال تجعلني للناس اماما قال الله نعم قال
ابراهيم تجعل البيت مثابة قال نعم قال ابراهيم وامنا قال الله نعم قال ابراهيم وترينا مناسكنا وتتوب
علينا قال الله نعم قال ابراهيم تجعل هذا البلد امنا قال الله نعم قال ابراهيم وترزق اهله من
الثمرات قال الله نعم قال الفقيه فعلى هذا القول فالله تعالى هو الذي اتم وقد طول المفسرون
في هذا وذكروا اشياء فيها بعد فاختصرتها وانما سميت هذه الخصال كلمات لانها اقترنت بها
اوامر هي كلمات وروي ان ابراهيم لما اتم هذه الكلمات واتمها الله عليه كتب له البراة من النار
فذلك قوله تعالى وابراهيم الذي وفى والامام القدوة ومنه قيل لخيط البنا امام وهو هنا
اسم مفرد وفي غير هذا الموضع هو جمع ام وزنه فاعل اصله اامم نحو مثل قائم وقيام وجائع
وجياع ونائم ونيام وجعل الله تعالى ابراهيم اماما لاهل طاعته فكذلك اجمعت الامم على

على الدعوى فيه واعلم ان الله تعالى انه كان حنيفا وقول ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي هو على الدعا
الى الله تعالى اى ومن ذريتي يارب فاجعل وقيل هذا منه على جهة الاستفهام عنهم اى ومن
ذريتي يارب ما ذا يكون والذرية ماخوذة من ذرايذروا ومن ذرايذرى او من ذريذر او من
ذرأ يذرأ وهي افعال متقاربة معانيها وقد طول في تعاليلها ابو الفتح وشفى وقوله تعالى
قال لاينال عهدى اى قال الله والعهد فيما قال مجاهد الامامة والسدى النبوة وقال قتاده
الامان من عذاب الله وقال الربيع والضحاك والعهد الذى دين الله تعالى وقال ابن عباس
معنى الاية لا عهد عليك لظالم ان تطيعه ونصب الظالمين لان العهد ينال كما ينال وقرا قتاده
وابو رجا والاعمش الظالمون بالرفع واذا اولنا العهد الدين او الامان او لا طاعة لظالم فالظلم
فى الاية ظلم الكفر لان العاصى المؤمن ينال الدين والامان من عذاب الله ويكرم طاعته
اذا كان ذا امر واذا اولنا العهد النبوة او الامامة فى الدين فالظلم ظلم العاصى فما زاد
قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى و
عهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود و
اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله
واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير ن
قوله واذ عطف على اذ المتقدمة والبيت الكعبة ومثابة يحتمل ان يكون من ثاب اذا رجع
لان الناس يثوبون اليها اى ينصرفون ويحتمل ان يكون من الثواب اى يثابون هناك
قال الاخفش دخلت الها فيها للمبالغة لكثرة من يثوب اى يرجع لانه قل ما يعادى احد البيت الا
وهو يرى انه لم يقض منه وطرا فهى كنسابة وعلامة وقال غيره هى ها تانيث المصدر وهى
مفعلة اصلها مثوبة نقلت حركة الواو الى الثاء فانقلبت الواو الفا لانفتاح ما قبلها و
قيل هى هاء الجمع كما يقال مقام ومقامة وقرا الاعمش مثابات على الجمع وقال ورقة ابن
نوفل فى الكعبة مثاب لافناء القبائل كلها تخب اليها اليعملات الطلائح وامنا معناه ان الناس
يغيرون ويقتتلون حول مكة فهى امنة من ذلك تلقى الرجل بها قاتل ابيه فلا يهيجه لان الله
تعالى جعل لها فى النفوس حرمة وجعلها امنا للناس والطير والوحوش وخص الشرع من ذلك الخمس
الفواسق على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى
وجمهور الناس واتخذوا بكسر الخاء على جهة الامر فقال انس بن مالك وغيره معنى ذلك ما
روى عن عمر رضى الله عنه انه قال وافقت ربى فى ثلاث فى الحجاب وفى عسى ربه ان
طلقكن وقلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى قال الفقيه فهذا امر لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
المهدوى وقيل ذلك عطف على قوله اذكروا فهذا امر لبنى اسرائيل فقال الربيع
ابن انس ذلك امر لابراهيم ومتبعيه فهى من الكلمات كانه قال انى جاعلك للناس
اماما واتخذوا وذكر المهدوى ان ذلك عطف على الامر الذى يتضمنه قوله تعالى
جعلنا البيت مثابة لان المعنى توبوا وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء على جهة
الخبر عمن اتخذه من شيعة ابراهيم وذلك معطوف على قوله واذ جعلنا كانه قال واذ
اتخذوا وقيل هو معطوف على جعلنا دون تقدير اذ فهى جملة واحدة وعلى تقدير اذ
جملتان واختلف فى مقام ابراهيم فقال ابن عباس وقتاده وغيرهما وخرجه
البخارى انه الحجر الذى ارتفع عليه ابراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التى كان اسمعيل
يناوله اياها فى بناء البيت وعرفت قدماه فيه وقال الربيع بن انس هو حجر ناولته
امراته فاغتسل عليه وهو راكب جاءت به من شق ثم من شق فعرفت رجلاه فيه حين
اعتمد عليه وقال فريق من العلماء المقام المسجد الحرام وقال عطا بن ابى رباح المقام
عرفة والمزدلفة والجمار وقال ابن عباس مقامه مواقف الحج كلها وقال مجاهد
مقامه الحرم كله ومصلى موضع صلوة هذا قول من قال المقام الحجر ومن قال بغيره
قال مصلى مدعا على اصل الصلوة وقوله تعالى وعهدنا العهد فى اللغة على
اقسام منها الوصية بمعنى الامر وان فى موضع نصب على تقدير بان وحذف الخافض
وقال سيبويه انها بمعنى اى مفسرة فلا موضع لها من الاعراب وطهرا قيل معناه
ابنياه واسساه على طهارة ونية طهارة فيجئ مثل قوله اسس على التقوى وقال
مجاهد هو امر بالتطهير من عبادة الاوثان وقيل من الغرب والدم قال الفقيه
وهذا ضعيف لا تعصمه الاخبار وقيل من الشرك واضاف الله البيت الى نفسه

تشريفا

تشريفا للبيت وهى اضافة المخلوق الى الخالق ومملوك الى مالك والطائفين ظاهره اهل الطواف وقاله
عطا وغيره وقال ابن جبير معناه للغرباء الطارئين على مكة والعاكفين قال ابن جبير هم اهل البلد
وقال عطا هم المجاورون بمكة وقال ابن عباس المصلون وقال غيره المعتكفون قال الفقيه والعكوف
فى اللغة الملزوم للشئ والاقامة عليه كما قال الشاعر عكف النبيط يلعبون الفنزجا فمعناه
لملازمى البيت ارادة وجه الله والركع السجود المصلون وخص الركوع والسجود بالذكر لانهما اقرب
احوال المصلى الى الله تعالى وكل مقيم عند بيت الله ارادة ذات الله ولا يخلوا من احدى هذه الرتب
الثلاث اما ان يكون فى صلوة او فى طواف فان كان فى شغل من دنياه فحال العكوف على مجاورة
البيت لا يفارقه وقوله تعالى واذ قال ابراهيم الاية دعاء ابراهيم عليه السلام لذريته وغيرهم
بمكة بالامن ورغد العيش واجعل لفظة الامر وهو فى حق الله رغبة ودعا وامنا معناه من
الجبابرة والمسلطين والعدو المستاصل والمثلات التى تحل بالبلاد وكانت مكة وما يليها حين ذلك
قفرا لا ماء فيه ولا نبات فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيره وينبت فيها انواع الثمرات
وروى ان الله تعالى لما دعاه ابراهيم امر جبريل فاقتلع فلسطين وقيل بقعة من الاردن
فطاف بها حول البيت سبعا وانزلها بوج فسميت الطائف بسبب ذلك الطواف واختلف
فى تحريم مكة متى كان فقالت فرقة جعلها الله حراما يوم خلق السموات والارض وقالت فرقة
حرمها ابراهيم قال الفقيه والاول قاله النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ثانى يوم الفتح والثانى
قاله ايضا صلى الله عليه وسلم والصحيح عنه اللهم ان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة ما بين
لابتيها حرام ولا يعارض بين الحديثين لان الاول اخبار بسابق علم الله فيها وقضائه وكون الحرمة
مدة ادم واوقات عمارة القطر بايمان والثانى اخبار بتجديد ادم لحرمتها واظهاره ذلك
بعد الدثور وكل مقال من هذين الاخبارين حسن فى مقامه عظم الحرمة ثانى يوم الفتح على المؤمنين
باسناد التحريم الى الله تعالى وذكر ابراهيم عند تحريم المدينة مثالا لنفسه ولا محالة ان تحريم المدينة
هو ايضا من قبل الله تعالى ومن نافذ قضائه وسابق علمه ومن بدل قوله اهله وخص ابراهيم
المؤمنين بدعائه وقوله تعالى قال ومن كفر الاية قال ابى بن كعب وابن اسحق وغيرهما هذا القول
من الله عز وجل لابراهيم وقرؤا فامتعه بضم الهمزة وفتح الميم وتشديد التاء ثم اضطره بقطع
الالف وضم الراء وكذلك قرا السبعة حاشى ابن عامر فانه قرا فامتعه بضم الهمزة وسكون
الميم وتخفيف التاء ثم اضطره بقطع الالف وقرا يحيى بن وثاب فامتعه كما قرا ابن عامر ثم
اضطره بكسر الهمزة على لغة قريش فى قولهم لا اخال وقرا ابى بن كعب فنمتعه ثم نضطره
ومن شرط والجواب فى فامتعه وموضع من رفع على الابتداء والخبر ويصح ان يكون موضعها
نصبا على تقدير وارزق من كفر فلا يكون شرطا وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هذا القول
هو من ابراهيم عليه السلام وقرا وفامتعه بفتح الهمزة وسكون الميم ثم اضطره بوصل الالف وفتح
الراء وقريت بالكسر ويجوز فيها الضم وقرا ابن محيصن ثم اطره بادغام الضاد فى الطاء وقرا ابن
وقرا يزيد بن ابى حبيب ثم اضطره بضم الطاء قال الفقيه فكان ابراهيم عليه السلام دعا للمؤمنين
وعلى الكافرين وقليلا معناه مدة العمر لان متاع الدنيا قليل وهو نعت اما للمصدر كانه قال متاعا
قليلا واما للزمان فانه قال وقتا قليلا او زمانا قليلا والمصير مفعل كموضع من صار يصير و
بئس اصلها بئس وقد تقدمت فى بئسما وامتعه معناه اخوله الدنيا وابقيه فيها بقاء قليلا
لانه فان منقض واصل المتاع الزاد ثم استعمل فيما يكون احراسا للانسان او عطاء او افعاله
قال الشاعر وقفت على قبر غريب بقفرة متاع قليل من حبيب مفارق ومنه متع الزوجات
ويضطر الله الكافر الى النار جزاء على كفره قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ن
المعنى واذكر اذ والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس وقال الفرا هى الجدر قال الفقيه والذى
هذا يجوز والقواعد من النساء جمع قاعد وهى التى قعدت عن الولد وحذفت تاء التانيث
لانه لا دخول للمذكر فيه هذا بعض قول النحاة وقد شذ حذفها مع اشتراك المذكر كقولهم
ناقة ضامر ومذهب الخليل انه متى حذف تاء التانيث دال الجرى على الفعل وكان ذلك
على النسب والبيت هنا الكعبة باجماع واختلف بعض رواة القصص فقيل ان ادم
امر ببنائه فبناه ثم دثر ودرس حتى دل عليه ابراهيم فرفع قواعده وقيل ان ادم هبط معه
من الجنة وقيل انه لما استوحش فى غده فى كره حين حين بعض طوله وتعدا اصوات الملائكة

الملائكة اهبط اليه وهو كالدرة وقيل كاليا قوتة وقيل ان البيت كان ربوة حمرا وقيل بيضا ومن
تحته دحيت الارض وان ابراهيم ابتداء بناه بامر الله ورفع قواعده والذى يصح من هذا كله ان ابراهيم
امره الله برفع قواعد البيت وجايز قدمه وجائز ان يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شىء من ذلك كله الا
بسند يقطع العذر وقال عبيد بن عمير رفعها ابراهيم واسمعيل معاً وقال ابن عباس رفعها ابراهيم
واسمعيل يناوله الحجارة وقال على بن ابى طالب رفعها ابراهيم واسمعيل طفل صغير قال الفقيه
ولا يصح هذا عن على رضى الله عنه لان الاية والاثار ترده واسمعيل عطف على ابراهيم وقيل هو
مقطوع على الابتداء وخبره فيما بعده قال الناقد ذكر اسمعيل اصله اسمع يا ايل قال الفقيه وهذا
ضعيف وتقدير الكلام يقولان ربنا فقيل وهى قراءة ابى بن كعب وعبد الله بن مسعود كذلك
بثبوت يقولان وقالت فرقة يدل ان على اسمعيل لم يكن طفلا فى ذلك الوقت وخصا هاتين
الصفتين لتناسبهما مع حالهما اى السميع لدعائنا والعليم بنياتنا وقولهما اجعلنا بمعنى
صيرنا يتعدى الى مفعولين ومسلمين هو المفعول الثانى وكذلك كانا قائمين اراد التثبيت والد
والدوام والاسلام فى هذا الموضع للايمان والاعمال جميعا وقرا ابن عباس وعوف مسلمين على الجمع
ومن فى قوله ومن ذريتنا للتبعيض وخص من الذرية بعضا لان الله تعالى قد كان اعلمه ان منهم
ظالمين والامة الجماعة وحكى الطبرى انه اراد بذلك العرب خاصة وهو ضعيف لان دعوته
ظهرت فى العرب وفيمن امن غيرهم وقرا نافع وحمزة والكسائى ارنا بكسر الراء وقرا ابن كثير
ارنا باسكان الراء وقرا ابو عمرو بين الاسكان والكسر اختلاسا والاصل ارئينا حذفت الياء
للجزم ونقلت حركة الهمزة الى الراء وحذفت تخفيفا واستثقل بعضهم سكون الراء والكسرة
كما استثقلت فى فخذ وهنا من الاجحاف ما ليس فى فخذ وقالت طائفة ارنا من رؤية البصر
وقالت طائفة هى من رؤية القلب وهو الاصح ويلزم قائله ان يتعدى الفعل منه الى ثلاثة مفعولين
وينفصل بانه يوجد معدى بالهمزة من رؤية القلب كغير المعدى قال حطائط بن يعفر اخو
الاسود بن يعفر ارينى جوادا مات هزلا لاننى ارى ما ترين او بخيلا مخلدا وقال قتادة
المناسك معالم الحج وروى عن على رضى الله عنه انه قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت ودعا
ودعا بهذه الدعوة بعث الله اليه جبريل فحج به وقال ابن جريج المناسك المذابح اى مواضع
الذبح وقال فريق من العلماء المناسك العبادات كلها ومنه الناسك اى العابد وفى قراءة ابن
مسعود وارهم مناسكهم كانه يريد الذرية والتوبة والرجوع وعرفه شرعا من الشر الى الخير
توبة الله على العبد رجوعه به وهدايته لغة واختلف فى معنى طلبهم التوبة وهم انبيا معصومون
فقالت طائفة طلب التثبيت والدوام وقيل اراد من بعدهما من الذرية كما يقول برنى فلان
والرمى وكعب يريد فى ولدك وذريتك وقيل هو الاحسن عندى انهما لما عرفا المناسك وبناء
البيت واطاعا اراد ان يسنا للناس ان ذلك الموقف فتلك المواضع مكان التنصل
من الذنوب وطلب التوبة وقال الطبرى انه ليس احد من خلق الله الا بينه وبين الله معان
يجب ان يكون احسن مما هى واجمعت الامة على عصمة الانبياء فى معنى التبليغ ومن الكبائر
ومن الصغائر التى فيها رذيلة واختلف فى غير ذلك من الصغائر والذى اقوله به انهم
معصومون من الجميع وان قول النبى صلى الله عليه وسلم انى لاتوب الى الله فى اليوم واستغفره
سبعين مرة انما هو رجوعه من حالة الى ارفع منها لمزيد علومه واطلاعه على امر الله
فهو يتوب من المنزلة الاولى الى الاخرى والتوبة هنا لغوية وقوله تعالى ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم الاية هذا هو الذى اراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انا دعوة ابى
ابراهيم وبشرى عيسى ومعنى منهم ان يعرفوه ويتحققوا فضله ويشفقوا عليهم ويحرص
ويتلوا فى موضع نصب نعت لرسول اى تاليا عليهم ويصح ان يكون فى موضع الحال والايات
ايات القران والكتاب القران ونسب التعليم الى النبى من حيث هو يعطى الامور التى ينظر فيها
ويعلم طرق النظر بما يلقيه الله اليه ويوحيه وقال قتادة الحكمة السنة وبيان الشرايع
وروى ابن وهب عن مالك ان الحكمة المعرفة فى الدين والفهم الذى هو سجية ونور من الله
تعالى فى يزكيهم معناه ويطهرهم وينميهم بالخير ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير او
التنمية والعزيز الذى يغلب ولا يرد مراده والحكيم المصيب مواقع الفعل المحكم لها قوله
تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه
فى الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ن من استفهام
فى موضع رفع بالابتداء ويرغب خبره والمعنى يزهد فيها ويربا بنفسه عنها والملة

الشريعة

الله محمد

الشريعة والطريقة وسفه من السفه الذى معناه الرقة والخفة واختلف فى نصب نفسه فقال
الزجاج سفه بمعنى جهل وعداه بالمعنى وقال غيره سفه اهلك وحكى ثعلب والمبرد ان سفه بكسر
الفاء يتعدى كسفه بفتح الفاء وشدد وحكى عن ابى الخطاب انها لغة وقال الفراء نصبها
على التمييز قال الفقيه لان السفه يتعلق بالنفس والراى والخلق فكانه مفرقا بين هذه
وراى ان هذا التعريف ليس بمحض لان الضمير فيه الابهام الذى فى من كان الكلام الا من سفه
نفساً وقال البصريون لا يجوز التمييز مع هذا التعريف وانما النصب على تقدير حرف فلما الحذف
حرف الجر قوى الفعل وهذا يجرى على مذهب سيبويه فيما حكاه من قولهم ضرب فلان الظهر والبطن
اى فى الظهر والبطن وحكى مكى ان التقدير الا من سفه قوله نفسه على ان نفسه تاكيد حذف
المؤكد واقيم التوكيد مقامه قياسا على النعت والمنعوت قال الفقيه الامام وهذا قول
متحامل واصطفى افتعل من الصفوة معناه تخير الاصفى وابدلت التاء طاءً لتناسبها مع
الصاد فى الاطباق ومعنا هذا الاصطفى انه نباه واتخذه خليلاً وفى الاخرة متعلق باسم
فاعل على مقدر من الصلاح ولا يصلح تعلقه بالصالحين لان الصلة لا يتقدم الموصول
هذا على ان يكون الالف واللام بمعنى الذى وقال بعضهم الالف واللام هنا للتعريف و
تستقيم الكلام وقيل المعنى انه فى عمل الاخرة لمن الصالحين فالكلام على حذف مضاف وقوله
تعالى اذ قال له ربه اسلم العامل فى اذ اصطفيناه وكان هذا القول من الله حين ابتلاه
بالكوكب والقمر والشمس والاسلام هنا على اتم وجوهه وقرا نافع وابن عامر واوصى
وقرا الباقون ووصى والمعنى واحد الا ان وصى يقتضى التكثير والضمير فيها عايد على كلمته
التى هى اسلمت لرب العالمين وقيل على الملة المتقدمة والاول اصوب لانه اقرب مذكور
وقرا عمرو بن فايد الاسوارى ويعقوب بالنصب على ان يعقوب داخل فيمن اوصى واختلف
فى اعراب رفعه فقال قوم من النحاة التقدير ويعقوب اوصى بنيه ايضاً فهو عطف على ابراهيم
وقال بعضهم هو مقطوع منفرد بقوله يا بنى فتقدير الكلام ويعقوب قال يا بنى واصطفى
هنا معناه تخير صفوة الاديان والالف واللام فى الدين للعهد لانهم قد كانوا عرفوه
وكسرت ان بعد اوصى لانها بمعنى القول وكذلك سقطت ان التى يقتضيها اوصى فى قوله
ان يا بنى وقرا ابن مسعود والضحاك ان يا بنى بثبوت ان وقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ايجاز بليغ وذلك ان المقصود منه امرهم بالاسلام والدوام عليه فاتى ذلك بلفظ موجز يقتضى
المقصود ويتضمن وعظا وتذكيرا بالموت وذلك ان المرء يتحقق انه يموت ولا يدرى متى فاذا امر بامر
لا ياتيه الموت الا وهو عليه فقد توجه بوقت الامر دائبا لازما وحكى سيبويه فيما يشبه هذا
المعنى قولهم لا ارينك ها هنا وليس الى المامور ان يحجب ادراك الامر عنه وانما المقصود انه
زل عن ها هنا نجا بالمقصود بلفظ يريد معنى العصب والكراهية وانتم مسلمون ابتداء
وخبره فى موضع الحال قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا
او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن هذا الخطاب لليهود
والنصارى الذين انتحلوا الانبياء صلوات الله عليهم ونسبوهم الى اليهودية والنصرانية
فرد الله عليهم وكذبهم واعلمهم انهم كانوا على الحنيفية الاسلام وقال لهم على جهة
التقرير والتوبيخ اشهدتم يعقوب وعلمتم بما اوصى فيدعون عن علم اى لم تشهدوا بل انتم
مفترون وام تكون بمعنى الف الاستفهام فى صدر الكلام لغة يمانية وحكى الطبرى ان ام
يستفهم بها فى وسط كلام قد تقدم صدره وهذا منه ومنه ام يقولون افتراه وقال قوم
ام بمعنى بل والتقدير بل اشهد اسلافكم يعقوب وعلمتم منهم ما اوصى به ولكنكم كفرتم
جحدا ونسبتموهم الى غير الحنيفية عنادا والاظهر انها التى بمعنى بل والف الاستفهام معاً و
شهداء جمع شاهد اى حاضر ومعنى الاية حضر يعقوب مقدمات الموت والا فلو حضر الموت
ما امكن ان يقول شيئا وقدم يعقوب على جهة تقديم الاهم والعامل فى اذ شهداء واذ قلنا
بدل من اذ الاولى وعبر عن المعبود بما تجربة لهم ولم يقل من لئلا يظهرون الاهتداء وانما اراد
ان يختبرهم وايضا فالمعبودات المتعارفة من دون الله جمادات الاوثان والنار والشمس
والحجارة فاستفهمهم عما يعبدون من هذه ومن بعدى اى من بعد موتى وحكى ان يعقوب
حين خير كما يخير الانبياء اختار الموت وقال امهلونى حتى اوصى بنىّ واهلى فجمعهم وقال لهم
هذا فاهتدوا وقالوا نعبد الهك واله ابائك الاية فاروه ثبوتهم على الدين ومعرفتهم بالله

تعالى ودخل اسمعيل في الآبا لانه عم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في العباس ردوا على ابي اني اخاف
ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقال عنه في موضع اخر هذا بقية ابائي ومنه
قوله عليه السلام انا ابن الذبيحين على القول الشهير فان اسحق هو الذبيح وقرا الحسن وابن يعمر والجحدري
وابو رجا واله ابيك واختلف بعد فقيل هو اسم مفرد واراد به ابراهيم وحده وقال بعضهم
هو جمع سلامة وحكى سيبويه ابي وابون وابين قال الشاعر فلما تبين اصواتنا تلين وقد بيننا
بالابيا وقال ابن زيد يقال قدم اسمعيل لانه اسن من اسحق والاها هنا بدل من الاهل وكرره
لفائدة الصفة بالوحدانية وقيل هو حال وهو قول حسن لان الغرض اثبات حال الوحدانية
ونحن له مسلمون ابتداء وخبر اي كذلك كنا ونحن ونكون ويحتمل ان يكون في موضع الحال والعامل
نعبد والتاويل الاول امدح وقوله تعالى قد خلت في موضع رفع نعت لامة ومعناه ماتت وصارت
الى الخلا من الارض ونعني بالامة الانبيا المذكورون والمخاطب في هذه الاية اليهود والنصارى
اي انتم ايها المنتحلون اليهودية والنصرانية ذلك لا ينفعكم لان كل نفس لها ما كسبت من خير
وشر لخيرهم لا ينفعكم ان اكتسبتم شرا وفي هذه الاية رد على الحشوية القائلين لا اكتساب للعبد
ولا تسئلون عما كانوا يعملون فتحملوهم دينا وقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا نظير قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ونصب ملة باضمار فعل اي بل نتبع ملة وقيل نصب
على الاغرا وقرا الاعرج وابن ابي عبلة بل ملة بالرفع والتقدير بل الهدى ملة وحنيفا حال
وقيل نصب باضمار فعل لان الحال تتعلق من المضاف اليه والحنيف المائل الميل ومنه الاحنف لما مالت
احدى قدميه الى الاخرى والحنيف في الدين الذي مال عن الاديان المكروهة الى الحق وقال قوم
الحنف الاستقامة وسمي المعوج القدمين احنف تفاولا كما قيل سليم ومفازة ويجي الحنيف
في الدين المستقيم على جميع طاعات الله عز وجل وقد خصص بعض المفسرين فقال قوم الحنيف
الحاج وقال اخرون المختتن وهذه احوال الحنف وبقي عنده الاشراك فانتفت عبادة الاوثان واليهودية
كقولهم عزير ابن الله والنصرانية لقولهم المسيح ابن الله قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله
صبغة ونحن له عابدون ن هذا الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم علمهم الايمان وما
انزل الينا يعني القران وصحت اضافة الانزال اليهم من حيث هم المامورون المهتدون فيه
وابراهيم واسمعيل يجمعان براهم وسماعل هذا هو اختيار سيبويه والخليل وقال قوم ابراهيم
وقال الكوفيون براهمة وسماعلة وقال المبرد اباره واسامع واجاز تقلب ياه كما يقال
في التصغير بريهه والاسباط هم ولد يعقوب وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا
وربالون ويسحر ودنه وامهم ليا ثم خلف على اختها راحيل فولدت له يوسف
وابن يامين وولد له من سريتين دان ونفتالي وجاد واشر والسبط في بني اسرائيل
بمنزلة القبيلة في بني اسمعيل فسموا الاسباط لانه كان من كل واحد منهم سبط وما
اوتي موسى هو التوراة واياته وما اوتي عيسى هو الانجيل واياته فالمعنى انا نؤمن بجميع
الانبياء لان جميعهم جاء بالايمان بالله فدين الله واحد وان اختلفت احكام الشرايع
ولا نفرق بين احد منهم اي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما يفعلون وفي الكلام حذف تقديره
بين احد منهم وبين نظيره فاختصر لفهم السامع والضمير في له عايد على اسم الله عز وجل
وقوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به الاية خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ولامته
والمعنى ان صدقوا تصديقا مثل تصديقكم والمماثلة وقعت بين الايمانين هذا قول
بعض المتاولين وقيل البا زايدة مؤكدة والتقدير امنوا مثل والضمير في به عايد
كالضمير في له فكان الكلام فان امنوا بالله مثل ما امنتم به ويظهر عود الضمير
على ما وقيل مثل زايدة كما هي في قوله تعالى ليس كمثله شيء وقالت فرقة هذا من مجاز
الكلام تقول هذا امر لا يفعله مثلك اي لا يفعله انت فالمعنى فان امنوا بالذي
امنتم به هذا قول ابن عباس وقد حكاه عنه الطبري قراه ثم اسند اليه انه قال
لا تقولوا فان امنوا بمثل ما امنتم به فانه لا مثل لله تعالى ولكن قولوا فان امنوا
بالذي امنتم به او بما امنتم به قال الفقيه وهذا على وجه التفسير اي هكذا قلنا
فليتاول وحكاها ابو عمرو الداني قراتين عن ابن عباس والله اعلم وقوله تعالى وان
تولوا اي اعرضوا يعني به اليهود والنصارى والشقاق المشاقة والمحادة والمخالفة

اي في شقاق

اي في شقاق لله هم في شق وانت في شق وقيل شاق معناه شق كل واحد وصل ما بينه وبين
صاحبه ثم وعد الله تعالى انه سيكفيه اياهم ويغلبه عليهم فكان ذلك في قتل بني قينقاع
وبني قريظة واجلا بني النضير وهذا الوعد وانجازه من اعلام النبوة محمد صلى الله عليه وسلم
والسميع لقول كل قايل العليم بما يجب ان ينفذ في عباده وصبغة الله شريعته وسنته و
فطرته قال كثير من المفسرين وذلك ان النصارى لهم ما يصبغون فيه اولادهم فهذا ينظر الى
ذلك وقيل سمي الدين صبغة استعارة من حيث يظهر اعماله وسمته على المتدين كما يظهر
الصبغ في الثوب وغيره ونصب الصبغة على الاغرا وقيل بدل من ملة وقيل نصب
على المصدر المؤكد لان ما قبله من قوله فقد اهتدوا هو في معنى تلبسون اي يتحللون
صبغة الله وقيل التقدير ونحن له مسلمون صبغة الله فهي متصلة بالاية المتقدمة
وقال الطبري من قرأ برفع ملة قرأ برفع صبغة قال الفقيه وقد ذكر بها عن الاعرج وابن
ابي عبلة ونحن له عابدون ابتداء وخبر قوله تعالى قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم ونحن له مخلصون ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون
ن معنى الاية قل يا محمد لهولا اليهود والنصارى الذين زعموا انهم اولى بالله منكم لقدم اديانهم
وكتبهم اتحاجوننا في الله اي تجادلوننا بالحجة على دعواكم والرب واحد وكل مجازى بعمله واي تاثير
لقدم الدين ثم وبخوا بقوله ونحن له مخلصون اي ولم تخلصوا انتم فكيف يدعون ما نحن اولى به منكم
وقرا ابن محيصن اتحاجونا بادغام النون في النون وحذفه لجمع بين ساكنين لان الاول حرف مد ولين
والمد كالحركة ومن هذا الباب دابة وشابة وفي الله معناه في دينه والقرب منه والحظوة
لديه وقوله تعالى ام تقولون عطف على الف الاستفهام المتقدمة وهذه القرأة بالتا
من فوق قرأها ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابو
بكر عن عاصم ام يقولون بالياء من اسفل وام على هذه القرأة مقطوعة ذكره الطبري وحكى عن
بعض النحاة انها ليست مقطوعة لانك اذا قلت اتقوم ام يقوم عمرو فالمعنى ايكون هذا ام هذا
قال الفقيه وهذا المثال غير جيد لان القائل فيه واحد والمخاطب واحد والقول في الاية من
اثنين والمخاطب اثنان غيران وانما تتجه معادلة ان تلف على الحكم المعنوي كان معنى قل
اتحاجوننا يا محمد ام يقولون وقيل ان ام في هذا الموضع غير معادلة على القرائتين وحجة
ذلك اختلاف معنى الاثنين وانهما ليسا قسمين بل المحاجة موجودة في دعواهم الانبيا عليهم السلام
ووقفهم تعالى على موضع الانقطاع في الحجة لانهم ان قالوا ان الانبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية
كذبوا لانه قد علم ان هذين الدينين حدثا بعدهم وان قالوا لم يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم
هلموا الى دينهم اذ تقرون بالحق قوله تعالى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم لفظه لفظ الاستفهام
والمعنى لا احد اظلم منه واياهم اراد الله تعالى بكتمان الشهادة واختلفوا في الشهادة هنا
ما هي فقال مجاهد والحسن والربيع هي ما في كتبهم من ان الانبيا على الحنيفية لا على ما ادعوهم وقال قتاده
وابن زيد هي ما عندهم من الامر بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه والاول اشبه بسياق
معنى الاية واستودعهم الله تعالى هذه الشهادة وكذلك قال من الله فمن على هذا متعلقة
بعنده كان المعنى شهادة تحصلت له من الله ويحتمل ان يتعلق بكتم اي كتمها من الله وقوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون وعيد واعلام انه لا يترك امرهم سدى وان اعمالهم تحصل ويجازون
عليها والغافل الذي لا يفطن للامور اهمالا منه ماخوذ من الارض الغفل وهي التي لا علم لها وقوله تعالى
تلك امة الاية كررها عن قرب لانها تضمنت معنى التهديد والتخويف اي اذا كان اولئك الانبيا
على امامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فانتم احرى فوجب التاكيد فلذلك كررها
وليرداد ذكرهم ايضا في معنى غير الاول ن قوله تعالى سيقول السفهاء من الناس الى قوله
ان الله بالناس لرءوف رحيم اعلم الله تعالى في هذه الاية انهم سيقولون في شان تحول المؤمنين
من الشام الى الكعبة ما ولاهم والسفهاء هم الخفاف الاحلام والعقول والسفه الخفة
والهلهلة ثوب سفيه اي غير متفق النسج ومنه قول ذي الرمة مشين كما اهتزت رماح
تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم اي استخفها وخص بقوله من الناس لان السفه
يكون في جمادات وحيوانات والمراد من السفهاء هنا جميع من قال ما ولاهم وقائلها فرق
واختلف في تعيينهم فقال ابن عباس قالها الاحبار منهم وذلك انهم جاؤا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتنا ارجع اليها ونؤمن بك يريدون فتنته وقال
السدي قالها بعض اليهود والمنافقون استهزاء وذلك انهم قالوا اشتاق الرجل

الى وطنه وقالت طائفة قالها كفار قريش لانهم قالوا ما ولاه عن قبلته ما رجع الينا
الا لعلمه انا على الحق وبسترجع الى ديننا كله وولاهم معناه صرفهم والقبلة فعلة بمعنى
المقابل للشئ فهى كالقعدة والازرة وجعل المستقبل موضع الماضى فى قوله سيقول السفهاء
دلالة على استدامة ذلك وانهم يستمرون على ذلك القول ونص ابن عباس وغيره
ان الاية نزلت بعد قولهم وقوله تعالى قل لله المشرق والمغرب اقامة حجة اى له ملك
المشارق والمغارب وما بينهما ويهدى من يشاء اشارة الى هداية الله تعالى
هذه الامة الى قبلة ابراهيم والصراط الطريق واختلف العلماء هل كانت صلوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس بامر من الله فى القران او بوحى غير متلو
فذكر ابن فورك عن ابن عباس قال اول ما نسخ من القران القبلة وقال الجمهور بل كان
امر قبلة بيت المقدس بوحى غير متلو وقال الربيع خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى التخيير فاختار بيت المقدس لتألف اهل الكتاب ومن قال كان بوحى غير متلو
قال كان ذلك لتخيير الله منا من العرب لانهم كانوا يالفون الكعبة وبينا
قرون بيت المقدس وغيره واختلف كم صلى الى بيت المقدس ففى البخارى ستة عشر
او سبعة عشر شهرا وروى انس بن مالك سبعة او عشرة اشهر وروى عن غيره ثلثة
عشر شهرا وحكى مكى عن ابراهيم بن اسحق انه قال اول امر الصلوة انها فرضت بمكة
ركعتين فى اول النهار وركعتين فى اخره ثم كان الاسرى ليلة سبع عشرة من شهر
ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وفرضت الخمس وام فيها جبرئيل وكانت اول صلاة الظهر
وتوجه بالنبى الى بيت المقدس ثم هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فى ربيع الاول
وتمادى الى بيت المقدس الى رجب من سنة اثنين وقيل الى جمادى وقيل الى نصف شعبان
وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الكاف متعلقة بالمعنى الذى فى قوله يهدى من يشاء
الكما هديناكم الى قبلة ابراهيم وشريعته كذلك جعلناكم امة وامة مفعول ثان ووسطا
نعت لامة القرن من الناس ووسطا معناه عدلا وروى ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتظاهرت به عبارة المفسرين والوسط الخيار والاعلى من الشئ كما تقول
وسط البيت وواسطة القلادة اسنى محرفيها والامير وسط الجيش وكقوله
تعالى قال اوسطهم والوسط باسكان السين ظرف مبنى على الفتح وقد جا متمكنا
فى بعض الروايات فى بيت الفرزدق فجات بمحلوم كان جبينه صلاءة ووسط سطها
قد تعلقا بفتح الطاء والضمير عايد على الصلوة وروى بفتح الطاء والضمير عايد
على الجانبين فاذا قلت حفرت وسط الدار ووسط الدار فالمعنى مختلف قال بعض
العلماء امة محمد صلى الله عليه وسلم لم تغل فى الدين كما فعلت اليهود ولا افترت كا
النصارى فهى متوسطة فهى اعلاها وخيرها من هذه الجهة وقول النبى صلى الله عليه وسلم
خير الامور اوسطها اى خيارها وقد يكون العلو والخير فى الشئ اما بان الله اسنى
بصفته واما بان يكون بين الافراط والتقصير فهو خيار من هذه الجهة و
شهدا جمع شاهد فى هذا الموضع واختلف المفسرون فى المراد بالناس فى هذا
الموضع فقالت فرقة هم جميع الجنس وامة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يوم
القيمة كذا انبيا على اممهم بالتبليغ وذلك ان نوحا يتاكده قومه فى التبليغ فيقول
له امة محمد نحن نشهد لك فيشهدون فيقول الله لهم كيف شهدتم على ما لم تحضروا
فيقولون اى ربنا جاءنا رسولك ونزل الينا كتابك نحن نشهد بما عهدت الينا
واعلمتنا به فيقول الله تعالى صدقتم وروى فى هذا المعنى حديث صحيح عن النبى صلى
الله عليه وسلم وروى عنه ان امته تشهد لكل نبى ناكده قومه وقال مجاهد معنى الاية
يشهدون لمحمد انه قد بلغ الناس فى مدته من اليهود والنصارى والمجوس وقالت
طائفة معنى الاية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مرت به جنازة فاثنى عليها بالخير فقال وجبت ثم مر باخرى فاثنى عليها بشر
فقال وجبت يعنى الجنة والنار فسئل عن ذلك فقال انتم شهداء الله فى الارض
وفى بعض الطرق ولى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا قيل معناه
باعمالكم يوم القيمة وقيل عليكم بمعنى لكم اى يشهد لكم بالايمان وقيل اى يشهد عليكم
بالتبليغ وقوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الاية قال قتادة والسدى وعطا
وغيرهم القبلة هنا بيت المقدس والمعنى لم نجعلها حين امرناك بها الا فتنة ليعلم من

يتبعك

من نتبعك من العرب الذين انما يالفون مسجد مكة او من اليهود على ما قال الضحاك من ان الاحبار
قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان بيت المقدس هو قبلة الانبياء فان صليت اليه اتبعناك فامره الله بالصلوة
اليه امتحانا لهم فلم يؤمنوا او قال بعض من ذكر القبلة بيت المقدس والمعنى وما جعلنا صرف القبلة
التى كنت عليها وتحويلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقال ابن عباس القبلة فى
الاية الكعبة وكنت بمعنى انت كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس بمعنى انتم اى وما جعلناها
وصرفناها اليها الا فتنة وروى فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تحول الى الكعبة
اكثر فى ذلك اليهود والمنافقون وارتاب بعض المؤمنين حتى نزلت الاية وقال ابن جريج بلغنى
ان ناسا ممن كان اسلم رجعوا عن الاسلام ومعنى قوله تعالى لنعلم اى لنعلم رسولى والمؤمنون
به وجاء الاسناد بنون العظمة اذ هم حزبه وخالصته وهذا شائع فى كلام العرب كما يقول فتح
المعراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك جنده واتباعه فهذا وجه التجوز اذا ورد علم الله
تعالى بلفظ استقبال لانه قديم لم يزل ووجه آخر وهو ان الله قد علم فى الازل من يتبع
الرسول واستمر العلم حتى وقع حدوثهم واستمر فى حين الاتباع والانقلاب وليستمر بعد
ذلك والله تعالى متصف فى كل ذلك بانه يعلم واراد بقوله لنعلم ذكر علمه ووقت موافقتهم
بالطاعة والمعصية اذ بذلك الوقت يتعلق الثواب والعقاب فليس معنى لنعلم لنبتدى العلم
وانما المعنى لنعلم ذلك موجودا وحكى ابن فورك ان معنى لنعلم ليثبت فالمعنى لنعلم فى حال استحقوا
فيها الثواب وعلق العلم بافعالهم ليقوم الحجة ويقع السبب فيما علمه لا مدافعة لهم فيه وحكى ابن
فورك ايضا ان معنى لنعلم لنميز وذكره الطبرى عن ابن عباس وحكى الطبرى ايضا ان معنى لنعلم
لنرى قال الفقيه الامام وهذا كله متعارف والقاعدة نفى استفتاح العلم بعد ان لم يكن
وقرا الزهرى لنعلم على ما لم يسم فاعله وينقلب على عقبيه عبارة عن المرتد الراجع عما كان فيه من
ايمان او شغل وغير ذلك والرجوع على العقب اسوا حالات الراجع فى مشيه عن وجهته فلذلك
شبه المرتد فى الدين به وظاهر التشبيه انه بالمتمهر وهى مشية الحيوان الفارع من شئ قد قرب
منه ويحتمل ان يكون هذا التشبيه بالذى رد على ظهره ومسى ادراجه فانه عندنا نقلابه
انما ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وان كانت لكبيرة الاية الضمير فى كانت راجع الى القبلة او
الى بيت المقدس او الى التحويل الى الكعبة حسب ما ذكرناه من الاختلاف فى القبلة ابن زيد هو
راجع الى الصلوة التى صليت الى بيت المقدس وشهد الله تعالى فى هذه الاية للمتبعين بالهداية وكبيرة
هنا معناه شاقة صعبة تكبر فى الصدور وان هى الخفيفة من المثقلة ولذلك لزمتها اللام لتزيل
اللبس التى بينها وبين النافية واذا ظهر التثقيل فان فربما لزمت اللام وربما لم تلزم وقال الفرا
ان بمعنى ما واللام بمنزلة الا ولما حولت القبلة كان من قول اليهود يا محمد ان كانت الاولى حقا فانت
الان على باطل وان كانت هذه حقا فكنت فى الاولى على ضلال فوحشت نفوس بعض المؤمنين واشفقوا
على من مات قبل التحويل من صلاتهم السالفة فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم وخاطب الحاضرين
والمراد من حضر ومن مات لان الحاضر يغلب كما يقول العرب المراد بعسكم فى موضع كذا ومن خوطب
لم يقبل ولكنه غلب حضوره وقرا الضحاك ليضيع بفتح الضاد وتشديد اليا وقال ابن عباس والبرا
ابن عازب وقتادة والسدى والربيع وغيرهم الايمان هنا الصلوة وسمى الصلوة ايمانا لما كانت صادرة
عن الايمان والتصديق فى وقت بيت المقدس وفى وقت التحويل ولما كان الايمان قطبا عليه تدور الاعمال
وكان ثابتا فى حال التوجه هنا وهنا ذكره اذ هو الاصل الذى به يرجع فى الصلوة وغيرها الى الامر
والنهى ولئلا يندرج فى اسم الصلوة صلوة المنافقين الى بيت المقدس فذكر المعنى الذى هو ملاك
للامر وايضا فسميت ايمانا اذ هى من شعب الايمان والرافة اعلى منازل الرحمة وقرا قوم لرؤف
على وزن فعل ومنه قول الوليد بن عقبة وشر الطالبين فلا تكنه تقاتل عمه الرؤف الرحيم
تقول العرب روف ورؤف ورئف وحذر وراف وقرا ابو جعفر ابن القعقاع لرؤف بغير
همز وكذلك سهل كل همزة فى كتاب الله ساكنة كانت او متحركة قوله تعالى قد نرى تقلب و
جهك فى السما الى قوله لمن الظالمين المقصد تقلب البصر وذكر الوجه لانه اعم واشرف
وهو المستعمل فى طلب الرغائب تقول بذلت وجهى فى كذا وفعلت لوجه فلان ومنه قول
الشاعر رجعت بما ابغى ووجهى بمائه وايضا فالوجه يتقلب بتقلب البصر وقال قتادة
والسدى وغيرهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه فى الدعاء الى الله تعالى
ان يحوله الى قبلة مكة وقيل كان يقلب ليؤذن له فى الدعاء ومعنى التقلب نحو السماء ان السماء
جهة قد تعود العالم منها الرحمة كالمطر والانوار والوحى فهم يجعلون رغبتهم حيث
توالت النعم وترضاها معناه تحبها وتهويها عشك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحت الكعبة والتحول عن بيت المقدس لوجوه ثلاثة دويت فقال مجاهد لقول اليهود
ما علم محمد دينه حتى اتبعنا وقال ابن عباس ولبصب قبلة ابراهيم عليه السلام وقال
الربيع والسدي ولستالف العرب لمحبتها في الكعبة وقال عبد الله بن عمر انما وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وامته خيال ميزاب الكعبة وقال ابن عباس وغيره بل وجه
الى البيت كله قال القاضي ابو محمد والميزاب هو قبلة المدينة والشام وهنالك
قبله اهل الاندلس ولا خلاف ان الكعبة قبلة من كل افق وقوله تعالى فول وجهك الاية
امرا بالتحول ويسبح لقبلة الشام وقيل نزل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في
صلوة الظهر بعد ركعتين منها فتحول في الصلوة وذكر ابو الفرج ان عباد بن بشر كان
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الصلوة وقيل انما نزلت الاية في غير صلوة وكانت
اول صلوة الى الكعبة العصر وشطر نصب على الظرف وبسبه المفعول به لوقوع الفعل
عليه ومعناه وتلقاه قال ابن احمد نفذوا بنا شطر محد وهي قاعدة قد كارب العقد
من انقادها الحما وقال غيره اقول لام زنباع اقيمي صدور العيش شطر بني تميم وقال
لقيط وقد اظلم من شطر ثغركم هول له ظلم تغشاكم قطعا وقال غيره الا من مبلغ عمرا
رسولا وما تغني الرسالة شطر عمر وحيث ما كنتم فولوا ام الامة فاسح وقال داود بن
ابي هند ان في حرف ابن مسعود فول وجهك تلقاء المسجد الحرام وقال محمد بن طلحة
ان فيه فولوا وجوهكم قبله وقرا ابن ابي عبلة فولوا وجوهكم تلقاء والذين اوتوا الكتاب
اليهود والنصارى وقال السدي المراد اليهود قال القاضي ابو محمد والاول اظهر والمعنى
اليهود والنصارى يعلمون ان الكعبة هي قبلة ابراهيم امام الامم وان استقبالها هو الحق
الواجب على الجميع اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم والذي يجدونه في كتبهم وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي عما تعملون بناء على المخاطبة فاما على ارادة اهل الكتاب او امة محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى الوجهين فهو اعلام بان الله تعالى لا يهمل اعمال العباد ولا يغفل عنها و
ضمنه الوعيد وقرا الباقون بالياء من تحت وقوله تعالى ولئن اتيت الذين الاية اعلم الله تعالى
نبيه حين قالت اليهود راجع بيت المقدس ونؤمن بك مخادعة منهم لانهم لا يتبعون
له قبلة يعني جملتهم لان البعض قد اتبع كعبد الله بن سلام وغيره وانهم لا يدينون بدينه
اي فلا تصغ اليهم والاية هنا العلامة وجاء جواب لئن الجواب لو وهي ضدها فان لو يطلب
المعنى والوقوع وان تطلب للاستقبال لانهما جميعا يترتب قبلهما معنى القسم فالجواب انما هو
للقسم لان احد الحرفين يقع موقع الاخر هذا قول سيبويه وقوله جلت قدرته وما انت بتابع
قبلتهم لفظ خبر يتضمن الامر اي فلا تركن الى شيء من ذلك وقوله تعالى وما بعضهم الاية
قال السدي وابن زيد المعنى ليست اليهود متبعة قبلة النصارى ولا النصارى قبلة
اليهود فهو اعلام باختلافهم وتدابرهم وضلالهم وقال قوم معنى الاية وما من اسلم منهم
منهم بمتبع قبلة من لم يسلم ولا من لم يسلم بمتبع قبلة من اسلم قال الفقيه الامام والاول
اظهر في النقاض وقبلة النصارى مشرق الشمس وقبلة اليهود بيت المقدس وقوله تعالى
ولئن اتبعت الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وما ورد من هذا النوع
الذي توهم من النبي صلى الله عليه وسلم ظلما متوقعا فهو محمول على ارادة امته لعصمة النبي
عليه السلام وقطعنا ان ذلك لا يكون منه فانما المراد من يمكن ان يقع ذلك منه وخوطب
النبي عليه السلام تعظيما للامر والاهوا جمع هوى ولا يجمع على اهوية على انهم قد قالوا ابدية
واندية قال الشاعر في ليلة من جمادى ذات اندية لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا وهوى
النفس انما يستعمل في الاكثر فيما لا خير فيه وقد يستعمل في الخير معتدا به كما قال عمر بن الخطاب في
اسرى بدر فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر واد احرف معناه ان تفرد
ما ذكر قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون الذين في موضع رفع بالابتداء
والخبر يعرفونه ويصح ان يكون في موضع خفض نعتا للظالمين ويعرفونه في موضع الحال وخص الابناء دون
الانفس وهي الصق لان الانسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه ولا يمر عليه وقت
لا يعرف فيه ابنه والمراد هنا معرفة الوجه ومنه لا معرفة حقيقة النسب والعبد الله بن سلام
رضي الله في هذا الموضع كلام معترض ياتي موضعه ان شاء الله تعالى والضمير في يعرفونه عايد على الحق

في القبلة والتحول بامر الله الى الكعبة قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج والربيع وقال قتادة ايضا ومجاهد
وغيرهما هو عايد على محمد عليه السلام اي يعرفون صدقه ونبوته والفريق الجماعة وخص لان منهم من اسلم
ولم يكتم والاشارة بالحق الى ما تقدم من الخلق في ضمير يعرفونه فعم الحق مبالغة في ذمهم وهم يعلمون ظاهر
في صحة الكفر د قوله تعالى الحق من ربك رفع على اضمار الابتداء او التقدير هو الحق ويصح ان يكون ابتداء
والخبر مقدر بعده وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحق بالنصب على ان يعمل فيه يعلمون ويصح نصبه
على تقدير الزم الحق فلا تكونن من الممترين الخطاب للنبي عليه الصلوة والسلام والمراد امته وامترى في الشيء
اذا شك فيه ومنه المرا لان يشك هذا في قول هذا وانشد الطبري شاهدا على الممترين الشاكون قول
الاعشى يد ودعلى اسوق الممترين ركضا اذا ما السراب ارجحن ووهم في ذلك لان ابا عبيدة وغيره قالوا
الممترون في البيت هم الذين يمرون الخيل بارجلهم هموا لتجري كانهم يحتلبون الجري منها فليس في البيت
في البيت معنا من الشك كما قال الطبري وقوله تعالى ولكل وجهة الاية الوجهة فعلة من المواجهة
كالقبلة وقوله عايد على اللفظ المفرد في كل والمراد به الجماعات المعنى لكل صاحب ملة وجهة هو
موليها نفسه قاله الربيع وعطا وابن عباس وقرا ابن عباس وابن عامر وحده من السبعة هو مولاها
وقالت طائفة الضمير في هو عايد على الله تعالى والمعنى الله موليها اياهم وقالت فرقة المعنى في الاية
ان لكل دينا وشرعا وهو دين الله وملة محمد هو موليها اياهم اتبعها من اتبعها وتركها من تركها
وقال قتادة المراد بالاية ان الصلوة الى الشام ثم الصلوة الى الكعبة لكل واحدة منهما وجهة الله
موليها اياهم وحكى الطبري ان قوما قرأوا ولكل وجهة باضافة كل الى وجهة وخطاها الطبري قال الفقيه الامام
وهي متجهة اي فاستبقوا الخيرات لكل وجهة على الامر في قوله فاستبقوا الاهتمام والوجهة كما تقدم
المفعول وذكر ابو عمرو الداني هذه القراءة عن ابن عباس رضي الله عنه وسلمت الواو في وجهة
ولم تجر كعدة وزنة لان وجهة ظرف وتلك مصادر فسلمت للفرق وايضا فليعمل بن ها هنا كما
كالجلسة قال ابو علي ذهب قوم الى انه مصدر شذ عن القياس فسلم وقوم الى انه اسم ليس
بمصدر قال غير ابي علي واذا اردت المصدر قلت جهة قال الفقيه الامام وقد يقال الجهة
في الظرف وحكى الطبري عن منصور انه قال نحن نقرؤها ولكل جعلنا قبلة يرضونها ثم امر
الله تعالى عباده باستباق الخيرات والبدار الى سبيل النجاة ثم وعظهم بذكر الحشر موعظة
تتضمن وعيدا وتحذيرا وقوله تعالى يات بكم الله جميعا يعني به البعث من القبور ثم اتصف
الله تعالى بالقدرة على كل شيء لتناسب الصفة مع ما ذكر من الاتيان وقوله تعالى ومن حيث
خرجت معناه حيث كنت واين توجهت من مشارق الارض ومغاربها ثم تكررت هذه الاية تاكيدا
من الله تعالى لان موضع التحويل كان صعبا في نفوسهم جدا فاكد الامر ليرى الناس التهمم به فيخف
عليهم وسكن نفوسهم اليه قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما
كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره
هو فرض استقبال القبلة على المصلين وفرض المصلي ما دام يرى الكعبة ان يصادفها
باستقباله فاذا غابت عنه ففرضه الاجتهاد في مصادفتها فان اجتهد ثم كشف
الغيب انه اخطا فلا شيء عليه عند كثير من العلماء ورأى مالك رحمه الله ان يعيد
في الوقت احراز الفضيلة القبلة وقوله تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الاية قرا نافع
وحده بتسهيل الهمزة وقرا الباقون لئلا بالهمز والمعنى عرفتكم وجه الصواب في قبلتكم
والحجة كذلك لئلا وقوله للناس عموم في اليهود والعرب وغيرهم وقيل المراد بالناس اليهود
ثم استثنى كفار العرب قال الفقيه الامام وقوله تعالى منهم يرد هذا التاويل وقالت فرقة
الا الذين استثناء متصل وهذا مع عموم لفظ الناس والمعنى انه لا حجة لاحد عليكم الا
الحجة الداحضة للذين ظلموا يعني اليهود وغيرهم من كل من تكلم في النازلة في قولهم ما ولاهم
استهزاء وفي قولهم تحير محمد في دينه وغير ذلك من الاقوال التي لم تنبعث الا من عابد وثن او
من يهودي او من منافق وغير ذلك من الاقوال وسماها الله تعالى حجة وحكم بفسادها
حين كانت من ظلمة وقالت طائفة الا الذين استثناء منقطع وهذا مع كون الناس اليهود
فقط وقد ذكرنا ضعف القول والمعنى لكن الذين ظلموا يعني كفار قريش في قولهم رجع
محمد الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا كله ويدخل في ذلك كل من تكلم في النازلة من غير اليهود وقرا
ابن عباس وزيد بن علي الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام على معنى استفتاح الكلام فيكون الذين
ابتداء او على معنى الاغراء بهم فيكون الذين نصب بفعل مقدر وقوله تعالى ولا تخشوهم

والخشون في الاية تحقيق لشانهم وامر باطراح امرهم ومراعاة امره وقوله تعالى ولاتم عطف على قوله لئلا
وقيل هو مقطوع في موضع رفع بالابتداء والخبر مضمر بعد ذلك التقدير ولاتم نعمتي عليكم عرفتكم قبلتي
ونحوه ولعلكم تهتدون ترجي في حق التفسير والكاف في قوله كما رد على قوله لاتم اي اتماما كما وهذا احسن
الاقوال اي لاتم نعمتي عليكم في بيان سنة ابراهيم عليه السلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اجابة
لدعوته في قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية وقيل الكاف من كما رد على يهتدون اي اهتدا
كما وقيل هو في موضع نصب على الحال وقيل هو في معنى التاخير متعلق بقوله فاذكروني وهذه الاية
خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو المعني بقوله تعالى رسولا منكم ويتلوا في موضع نصب
على الصفة والايات القران ويزكيكم يطهركم من الكفر ويحييكم بالطاعة والكتاب والقران
والحكمة ما سلفي عنه عليه السلام من سنته وتفقه في دين وما لم تكونوا تعلمون قصص من سلف
وقصص ما ياتي من الغيوب ؛ قوله تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها
الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات بل احياء ولكن لا يشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ؛ قال سعيد بن جبير معنى اذكروني بالطاعة
اذكركم بالثواب والمغفرة قال القاضي ابو محمد اي اذكروني عند كل اموركم فيحملكم خوفي على الطاعة
فاذكركم حينئذ بالثواب وقال الربيع والسدي المعنى اذكروني بالدعاء والتسبيح ونحوه وفي
الحديث ان الله تعالى يقول يا بن ادم اذكرني في الرخاء اذكرك في الشدة وفي حديث آخر ان الله
تعالى يقول واذا ذكرني عبدي في ملا ذكرته في ملا خير منه وروي ان الكافر اذا ذكر الله
ذكره الله باللعنة والخلود في النار وكذلك العصاة ياخذون بحظ من هذا المعنى وروي ان الله
تعالى اوحى الى موسى عليه السلام قل للعاصين لا يذكروني واشكروا لي ولا تكفرون واشكروني
بمعنى واحد ولي افصح واشهر مع الشكر ومعناه نعمي وايادي وكذلك اذا قلت شكرتك
فالمعنى شكرت صنعك وذكرته فحذف المضاف اذ معنى الشكر ذكر اليد وذكر مسديها
معا فما حذف من ذلك فهو اختصار الدلالة ما بقي على ما حذف وتكفرون اي نعمي وايادي و
وان حذفت نون الجماعة للجزم وهذه نون المتكلم وحذفت اليا التي بعدها تخفيفا لانها راس اية
ولو كان نهيا عن الكفر الذي هو ضد الايمان لكان ولا تكفروا بغير النون ويا حرف نداء واي منادى
وها تنبيه ويجلب اي فيما فيه الالف لان في حرف الندا تعريفا ما ولو لم يجلب اي لاجتمع تعريفان
وقال قوم الصبر الصوم ومنه قيل لرمضان شهر الصبر وتقدم معنى الاستعانة بالصبر والصلوة
واختصاره انهما رادعتان عن المعاصي وقوله تعالى ان الله مع الصابرين معناه بمعونته وانجاده
فهو على حذف مضاف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت اهجهم وروح القدس
معك وكما قال ارموا وانا مع بني فلان الحديث وقوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
الاية سببها ان الناس قالوا فيمن قتل ببدر واحد مات فلان مات فلان فكره الله ان تحط
منزلة الشهداء الى منزلة غيرهم فنزلت هذه الاية وايضا فان المؤمنين صعب عليهم فراق اخوانهم
وقراباتهم فنزلت الاية مسلية لهم بعظم منزلة الشهداء واخبر حقيقة حالهم فصاروا مغبوطين
لا محزونا لهم وتبيين ذلك من حديث ام حارثة في السير والفرق بين الشهيد وغيره انما هو الرزق
وذلك ان الله تعالى فضلهم بدوام حالهم التي كانت في الدنيا فرزقهم وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر يعلق من ثمر الجنة وروي انهم
في خيمة خضراء وروي انهم في قناديل من ذهب الى كثير هذا ولا محالة انها احوال لطوائف
او للجميع في اوقات متغايرة وجمهور العلماء على انهم في الجنة ويؤيده قول النبي صلى الله عليه
وسلم لام حارثة انه في الفردوس وقال مجاهد هم خارج الجنة ويعلقون من ثمرها
واموات رفع باضمار الابتداء والتقدير هم اموات ولا يجوز اعمال القول فيه لانه ليس
بينه وبينه تناسب كما يصح في قولك قلت كلاما وقوله ولكن لا يشعرون اي قبل ان
يشعركم وقوله تعالى ولنبلونكم الاية امر تعالى بالاستعانة بالصبر والصلوة واخبر انه
مع الصابرين ثم اقتضت الاية بعدها من فضل الشهداء ما يقوي الصبر عليهم ويخفف
المصيبة ثم جاء بعد ذلك من هذه الامور التي لا يلقى الا بالصبر اشياء فعلم ان الدنيا
دار بلاء ومحن ولا يكرهوا فراق الاخوان والقرابة ثم وعد الصابرين اجرا وقال عطا
والجمهور ان الخطاب في هذه الاية لامة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لقريش وحكى
ذلك بهم هداية للنبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي الاول اظهر ولنبلونكم معناه لنمتحنكم

لتمحكم

لنمتحنكم وحركت الواو لالتقاء الساكنين وقيل الفعل مبني وهي مع النون الثقيلة منزلة
خمسة عشر والخوف من الاعدا في الحروب والجوع الجدب والسنة واما الحاجة الى الاكل فانما
اسمها الغرث وقد استعمل المحدثون الجوع اتساعا وبعض الاموال بالجوائح والمصايب
والانفس بالموت والقتل والثمرات بالفاهات ونزع البركة فالمراد بشيء من هذا وشيء من
هذا فاكتفى بالاول لايجاد اوكذلك وقد قرا الضحاك ثانيا على الجمع والمعنى قريب بعضه من بعض
وقال بعض العلماء انما المراد في هذه الاية مؤن الجهاد وكلفه والخوف من العدو والجوع به وبالا
بالاسفار اليه ونقص الاموال بالنفقات فيه والانفس بالقتل والثمرات باصابة العدو لها
او بالغفلة عنها بسبب الجهاد ثم وصف تعالى الصابرين الذين بشرهم بقوله الذين اذا
اصابتهم مصيبة الاية وجعل هذه الكلمات ملجا لذوي المصائب وعصمة لما جمعت من المعاني
المباركة وذلك توحيد الله والاقرار له بالعبودية والبعث من القبور واليقين فان رجوع الامر
كله اليه كما هو له وقال سعيد بن جبير لم يعط هذه الكلمات نبي قبل نبينا ولو عرفها يعقوب لما
قال يا اسفا على يوسف وروي ان مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفا ذات
ليلة فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي يا رسول الله قال نعم كل ما اذى المؤمن
هي مصيبة وقوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الاية نعم من الله على الصا
على الصابرين المسترجعين وصلوات الله على العبد عفوه ورحمته وبركته وتشريفه اياه في
الدنيا والاخرة وكرر الرحمة لما اختلف اللفظ تاكيدا وهي من اعظم اجزاء الصلوة منه تعالى
وشهد لهم بالاهتداء وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قرا هذه الاية نعم العدلان ونعم
العلاوة اراد بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الاهتداء قوله تعالى ان الصفا والمروة
من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله
شاكر عليم ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب
الرحيم ؛ الصفا والمروة جبلان بمكة والصفا جمع صفاة وقيل هو اسم مفرد جمعه صفي واصفاء وهي
الصخرة العظيمة قال الراجز مواقع الطير على الصفي وقيل من شروط الصفا البياض والصلابة والمروة
واحد المرو وهي الحجارة الصغار التي فيها لين ومنه قول الذي اصابته الموت من الصحابة بمدكنها
مروه ومنه قول الامين اخرجني الى اخي فان قبلتي فروة كسرت مروه وصمصامه قطعت صمصامة و
قد قيل في المرو الصلاب قال الشاعر وتولى الارض خفا ذابلا فاذا ما صادف المرو رضخ ؛
والصحيح ان المرو الحجارة صلبها ورخوها الذي يتشظى ويرق حاشيته وفي هذا فقال المرو هم
اكبر فقد يقال في الصلب وتامل قول ذوسه حتى كاني للحوادث مروه بصفا المشعر كل يوم يقرع وجبل الصفا
بمكة صليت وجبل المروه الى اللين ما هو فيذلك سميا قال قوم ذكر الصفا لان ادم وقف عليه ووقفت حوا
على المروه فانثث لذلك وقال الشعبي كان على الصفا صنم يدعا اسافا وعلى المروة صنم يدعا نايلة فاطرد
ذلك في التذكير والتانيث وقدم المذكر ومن شعائر الله معناه من معالمه ومواضع عبادته وهي جمع
شعيرة او شعارة وقال مجاهد ذلك راجع الى القول اي مما اشعركم الله بفضله ماخوذ من شعرت اذا
تحسست وشعرت ماخوذ من الشعار وهو ما يلي الجسد من الثياب والشعار ماخوذ من الشعر ومن
هذه اللفظة هو الشاعر وحج معناه قصد وتكرر ومنه قول الشاعر واشهد من عوف حلولا كثيرة
يحجون بيت الزبرقان المزعفرا ومنه قول الاخر يحج مامومة في قعرها لجف واعتمر زاد وتكرر
ماخوذ من عمرت الموضع والجناح الاثم والميل عن الطاعة والحق ومن اللفظة الجناح لانه في شق
ومنه قيل للخباء جناح لتمايله وكونه لذي احجه ومنه وان جنحوا للسلم فاجنح لها ويطوف اصله
يتطوف سكنت التا وادغمت في الطاء وقرا ابو السمال ان يطاف اصله يطيوف فحركت الواو
وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا فجاء يطاف ادغمت التا بعد الاسكان في الطاء على مذهب من اجاز
ادغام الثاني في الاول كما جاء في مذكر ومن لم يجز ذلك قال قلبت التا طاء ثم ادغمت الطا في الطاء
وفي هذا نظر لان الاصلي ادغم في الزايد وذلك ضعيف وروي عن ابن عباس وانس بن مالك و
شهر بن حوشب انهم قرؤا الا يطوف بهما وكذلك في مصحف عبد الله بن مسعود وابي بن كعب
ان لا يطوف بهما وقيل ان لا يطوف بضم الطا وسكون الواو وقوله تعالى ان الصفا والمروة من
شعاير الله خبر يقتضي الامر بما عهد من الطواف لمن شاه لان ذلك بعد الامر لا يستقيم وانما
القصد منه رفع ما وقع في نفوس قوم من العرب من ان الطواف بهما فيه حرج واعلامهم ان ما وقع
في نفوسهم غير صواب واختلف في كيفية ذلك فروي ان الجن كانت تعرف وتطوف بينهما في الجاهلية
فكانت طايفة من تهامة لا تطوف بينهما في الجاهلية كذلك فلما جاء الاسلام تحرجوا في الطواف

وروى عن عايشة رضى الله عنها ان ذلك فى الانصار وذلك انهم كانوا يهلون لمناة التى كانت بالمشلل
حذو قديد ويعظمونها فكانوا يطوفون بين اساف ونايلة احلالا لتلك فلما جاء الاسلام تحرجوا
فلما هذه الاية وروى عن الشعبى ان العرب كانت يطوف هنالك كانت يعتقد ذلك السعى اجلالا لاساف
ونايلة وكان الساعى يتمسح باساف واذا بلغ المروة يمسح بنايلة وكذلك حتى يتم اسواطه فلما جاء الاسلام
كره التسعى هنالك اذ كان بسبب الصنمين واختلف العلماء فى السعى بين الصفا والمروة فذهب مالك
والشافعى ان ذلك فرض ركن من اركان الحج لا يجزى تاركه او ناسيه الا العودة ومذهب الثورى
واصحاب الراى ان الدم تجزى تاركه وان عاد فحسن قال الفقيه الامام فهو عندهم ندب وروى
عن ابى حنيفة ان ترك اكثر من ثلاثة اشواط فعليه دم وان ترك شوطا فاقل فعليه لكل شوط اطعام
مسكين وقال عطا ليس على تاركه شئ لا دم ولا غيره واحتج عطا بما فى مصحف ابن مسعود ان لا يطوف
بهما وهى قراءة جاء كعب مصاحف الاسلام وقد انكرتها عايشة فى قولها الغزوة حين قال الهاايات
قول الله ولا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيا ان لا يطوف بهما فقالت يا عرية كلا لو
كان كذلك يقال ولا جناح عليه ان لا يطوف بهما قال الفقيه الامام وايضا فان ما فى مصحف ابن مسعود
يرجع الى معنى ان يطوف ويكون لا زايدة صلة فى الكلام كقوله ما منعك الا تسجد وقول الشاعر
ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر وكقول الاخر وما الوم البيض
الا تسخرا ومذهب مالك واصحابه فى العمرة انها سنة فانه قال بوجوبها وقرا قوم من السبعة
وغيرهم ومن تطوع بالياء مخففة على الاستقبال والشرط والجواب فى قوله فان وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم تطوع على بابه فى المضى فمن على هذه القراءة بمعنى الذى ودخلت الفا فى قوله فان
الابهام الذى فى من حكاه مكى وقال ابو على يحتمل تطوع ان يكون فى موضع جزم ومن شرطية ويحتمل ان يكون
من بمعنى الذى والفعل صلة لا موضع له من الاعراب والفا موذنة ان الثانى وجب لوجوب الاول ومن قال
بوجوب السعى قال معنى تطوع اى زاد برا بعد الواجب فجعله عاما فى الاعمال وقال بعضهم معناه من
تطوع بحج او عمرة بعد حجة الفريضة ومن لم يوجب السعى قال من تطوع بالسعى بينهما وفى قراءة ابن مسعود
فمن تطوع بخير ومعنا شكرا اى بذل الثواب والجزا عليم بالنيات والاعمال لا يضيع معه لعامل بر ولا
عمل وقوله تعالى ان الذين يكتمون الاية المراد بالذين احبار اليهود ورهبان النصارى الذين
كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم قال الطبرى وقد روى ان معنيين منهم سالهم اصحاب النبى صلى
الله عليه وسلم عما فى كتبهم من امره فكتموا فنزلت ويتناول الاية بعد كل من كتم علما من دين الله
يحتاج الى بثه وذلك مفسر فى قول النبى صلى الله عليه السلام من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من
نار وهذا اذا كان لا يخاف ولا ضرر عليه فى بثه وهذه الاية اراد ابو هريرة فى قوله لولا انه فى كتاب الله
ما حدثتكم حديثا وقد ترك ابو هريرة ذلك حين خاف فقال حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعايين اما احدهما فبثثته واما الاخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم وهذه الاية اراد
عثمان رضى الله عنه فى قوله لا حدثتكم حديثا لولا انه فى كتاب الله ما حدثتكموه ومن
روى فى كلام عثمان لولا انه فى كتاب الله فالمعنى غير هذا والبينات والهدى امر محمد
صلى الله عليه وسلم ثم يعم بعد كل ما كتم من خير وقرا طلحة بن مصرف من بعد ما بينه على
الافراد وفى الكتاب يراد به التوراة والانجيل بحكم سبب الاية فانها فى امر محمد عليه
السلام ثم يدخل القران مع تعميم الاية وقد تقدم معنى اللعنة واختلف فى اللاعنين
فقال قتادة والربيع الملئكة والمؤمنون وهذا واضح ظاهر جار على مقتضى الكلام
وقال مجاهد وغيره هم الحشرات والبهايم يصيبهما الجدب بذنوب علماء السوء
الكاتمين فيلعنونهم قال الفقيه الامام وذكروا بالواو والنون من يعقل لانه اسند
اليهم فعل من يعقل كما قال رايتهم لى ساجدين وقال البرا بن عازب اللاعنون
كل المخلوقات ما عدا الثقلين الجن والانس وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ان الكافر اذا ضرب فى قبره فصاح يسمعه الكل الا الثقلين فلعنه كل سامع و
قال ابن مسعود المراد بها ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان كل متلاعنين اذا استحقا
اللعنة والا انصرفت على اليهود قال الفقيه الامام وهذه الاقوال الثلاثة لا
يقتضيها اللفظ ولا يثبت الا بسند يقطع العذر ثم استثنى الله تعالى التائبين
التائبين وقد تقدم معنى التوبة واصلحوا اى فى اعمالهم واقوالهم وقال من فسر
الاية على العموم معناه بينوا توبتهم بمبرز العمل والتروع فيه ومن فسرها على انها
فى كاتمى امر محمد صلى الله عليه وسلم قال المعنى بينوا امر محمد صلى الله عليه وسلم فتجئ
الاية فيمن اسلم من اليهود والنصارى وقد تقدم معنى توبة الله على عبده وانه

رجوعه به عن المعصية الى الطاعة قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى
تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات لقوم يعقلون قوله تعالى
ان الذين كفروا الاية محكمة فى الذين وافوا على كفرهم واختلف فى قوله والناس اجمعين وهم لا يلعنون
انفسهم فقال قتادة والربيع المراد بالناس المومنون خاصة وقال ابو العالية معنى ذلك فى الاخرة
وذلك ان الكفرة يلعنون انفسهم يوم القيمة وقالت فرقة معنى ذلك ان الكفرة يقولون فى الدنيا
لعن الله الكافرين فيلعنون من حيث لا يشعرون وقرا الحسن رأى الحسن والملائكة والناس
اجمعون بالرفع على تقدم اولئك يلعنهم الله واللعنة فى هذه الاية تقتضى العذاب فلذلك قال
خالدين فيها والضمير عايد على اللعنة وقيل على النار وان كان لم يجر لها ذكر لثبوتها فى المعنى
ثم اعلم تعالى برفع وجوه الرفق عنهم لان العذاب اذا لم يخفف ولم يؤخر فهو النهاية و
ينظرون معناه يوخرون عن العذاب ويحتمل ان يكون المعنى من النظر نحو قوله تعالى ولا ينظر
اليهم يوم القيمة والاول اظهر لان النظر بالعين انما يتعدى بالى الا شاذا فى الشعر وقوله
تعالى والهكم اله واحد الاية اعلام بالوحدانية وواحد فى صفة الله تعالى معناه نفى
المثل والنظير والسدهده الاية بالمدينة قال كفار قريش بمكة ما الدليل على هذا وما اية
وعلامته وقال سعيد بن المسيب قالوا ان كان هذا يا محمد فاتنا باية من عنده يكون علامة
الصدق حتى قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا فقيل لهم ذلك لكم ولكن ان كفرتم بعد ذلك عذبتم
فاشفقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا دعهم يوما بيوم فنزل عليه ذلك قوله ان فى
خلق السموات والارض الاية ومعنى فى خلق السموات فى اختراعها وانشائها وقيل المعنى ان
فى خلقه اى هيئة السموات والارض واختلاف الليل والنهار معناه ان هذا يخلف هذا
وهذا يخلف هذا فهما خلفة كما قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة وكما قال زهير
بها العين والارام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم وقال الاخر ولها بالماطرون اذا اكل
النمل الذى جمعا خلفة حتى اذا ارتبعت سكنت من جلق بيعا ويحتمل ايضا الاختلاف فى هذه الاية
ان يراد به اختلافها الاوصاف والليل جمع ويجمع ليالى وزيدت فيها الياء كما زيدت فى كراهية ور
وفاهية والنهار يجمع نهر وانهرة وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس يقتضى بذلك قول النبى صلى
الله عليه وسلم لعدى بن حاتم انما هو بياض النهار وسواد الليل وهذا هو يقتضى الفقه فى الايمان و
ونحوها فاما على ظاهر اللغة واخذه من السعة وهو من وقت الاسفار اذا اتسع وقت النهار
كما قال ملكت بها كفى فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ما وراءها قال الزجاج فى كتاب الانوا
اول النهار ذرور الشمس قال وزعم النضر بن شميل ان اول النهار ابتداء طلوع الشمس ولا يعد ما قبل
ذلك من النهار قال الفقيه الامام وقول النبى صلى الله عليه وسلم هو الحكم والفلك السفن وافراده
وجمعه بلفظ واحد وليست الحركات تلك باعيانها بل كانه بنى الجمع بناء اخر يدل على ذلك توسط
التثنية فى قولهم فلكان والفلك المفرد مذكر قال الله تعالى فى الفلك المشحون وما ينفع الناس
هى التجارات وسائر المارب التى تركت لها البحر من غزو وحج والنعمة فى الفلك هى اذا انتفع بها
فذلك خص ذكر الانتفاع اذ قد تجرى بما يضر وما انزل الله من السماء من ماء يعنى به الامطار
الذى بها انعاش العالم واخراج النبات والارزاق وبث معناه فرق وبسط ودابة تجمع الحيوان كله و
قد اخرج بعض الناس الطير من الدواب وهو مردود قال الاعشى دبيب قطا البطحاء فى كل منهل و
قال علقمة بن عبدة صواعقها لطيرهن دبيب قوله تعالى وتصريف الرياح ارسالها عقيما و
ملقحة وصرا ونصرا وهلاكا ومنه ارسالها جنوبا وشمالا وغير ذلك والرياح جمع ريح وجاءت
فى القران مجموعة مع الرحمة مفردا مع العذاب الا فى يونس فى قوله وجرين بهم بريح طيبة وهذا
اغلب وقوعها فى الكلام وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هبت الريح يقول
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال الفقيه الامام وذلك ان ريح العذاب شديدة
ملتئمة الاجزاء كانها جسم واحد وريح الرحمة لينة منقطعة ولذلك هى رياح وهو معنى نشر
وافردت مع الفلك لان ريح اجراء السفن انما هى واحدة متصلة ثم وصفت بالطيب فزال
الاشتراك بينها وبين ريح العذاب وهى لفظة من ذوات الواو ويقال ريح وارواح ولا يقال
ارياح وانما قيل رياح من جهة الكسرة وطلب تناسب الياء معها وقد لحن فى هذه اللفظة عمارة
ابن عقيل بن بلال بن جرير فاستعمل الارياح فى شعره ولحن فى ذلك وقال له ابو حاتم ان الارياح لا

لايجوز فقال صدقت و رهع واما القرا السبعة فاختلفوا فقرا نافع الرياح في اثني عشر موضعا هنا
وفي الاعراف يرسل الرياح وفي ابراهيم اشتدت به الرياح وفي الحجر الرياح لواقح وفي الكهف تذروه الرياح
وفي الفرقان ارسل الرياح وفي النمل ومن يرسل الرياح وفي الروم موضعين وفي فاطر وفي الجاثية وفي عسق
يسكن الرياح وقرا ابو عمرو وعاصم وابن عامر موضعين من هذه بالافراد في ابراهيم وفي عسق وقروا
سائرها كقراة نافع وقرا ابن كثير بالجمع في خمسة مواضع هنا وفي الحجر وفي الكهف وفي الروم الحرف الاول
وفي الجاثية وتصريف الرياح وباقيها في القران بالافراد وقرا حمزة بالجمع في موضعين والفرقان وفي
الروم الحرف الاول وافرد سائرها في القران وقرا حمزة وزاد عليه في الحجر الرياح لواقح ولم يختلفوا
في توحيد ما ليس فيه الف ولام والسحاب جمع سحابة سمي بذلك لانه يتسحب كما قالوا حتى لانه
يحوا قاله ابو علي الفارسي وتسخيره بعثه من مكان الى مكان فهذه ايات ان الصانع موجود والدليل
العقلي يقوم ان الصانع للعالم لا يمكن ان يكون الا واحدا لجواز اختلاف الاثنين فصاعدا قوله
تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد
العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم
حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ن ذكر الله تعالى الوحدانية ثم الايات
الدالة على الصانع الذي لا يمكن ان يكون الا واحدا ثم ذكر في هذه الاية الجاحدين
الضالين تعجبا من سوء ضلالهم مع الايات لان المعنى ان في هذه الامور لايات بينة
ومن الناس مع ذلك البينات من يتخذ وخرج يتخذ موحدا على لفظ من والمعنى جمعه ومن دون
لفظ يعطي عنه ما اضيف اليه دون عن القضية التي فيها الكلام وتفسير دون سوى
او بعض لا يطرد والند النظير والمقاوم والموازي كان ضدا او خلافا او مثلا اذا قاوم
من جهة والندا فهو فيها ند وقال مجاهد وقتاده المراد بالانداد الاوثان وجاء
ضميرها في يحبونهم ضمير من يعقل لما انزلت بالعبادة منزلة من يعقل وقال ابن عباس
والسدي المراد بالانداد الروسا المتبعون يطيعونهم في معاصي الله تعالى ويحبونهم
في موضع نصب نعت الانداد وعلى الحال من الضمير في يتخذ او يكون في موضع رفع نعت لمن
وهذا على ان يكون من نكرة والكاف في كحب في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وحب
مصدر مضاف الى المفعول في اللفظ وهو على التقدير مضاف الى الفاعل المضمر تقديره
كحبكم الله او كحبهم حسب ما قدر كل وجه منها فرقة ومعنى كحبهم اي يسوون بين
محبة الله ومحبة الاوثان ثم اخبر ان المومنين اشد حبا لله لاخلاصهم وتيقنهم الحق
وقوله تعالى ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون قرا نافع وابن عامر بالتاء من فوق وان بفتح
الالف وان الاخرى كذلك عطف على الاولى وتقدير ذلك ولو ترى يا محمد الذين ظلموا
في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه واستعظامهم له لاقروا ان القوة لله
فالجواب مضمر على هذا النحو من المعنى وهو العامل في ان فتقدير اخر ولو ترى يا محمد
الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب وفزعهم منه لعلمت ان القوة لله جميعا
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولكن خوطب والمراد امته فان فيهم
من يحتاج الى تقوية علمه بمشاهدة مثل هذا وتقدير ثالث ولو ترى يا محمد الذين ظلموا
في حال رؤيتهم العذاب لان القوة لله جميعا لعلمت مبلغهم من النكال ولا
ولاستعظمت ما حل بهم واللام مضمرة قبل ان فهي مفعولة من اجله والجواب
محذوف مقدر بعد ذلك وفي حذف جواب لو مبالغة لانك تدع السامع يسموا به
بجملة ولو شرحت له لوطنت نفسه الى ما شرحت وقرا الحسن وقتاده وشيبه
وابو جعفر يرى بالتاء من فوق وكسر الهمزة من ان وتاويل ذلك ولو ترى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب لاستعظمت ما حل بهم ثم ابتدا الخبر بقوله ان القوة لله جميعا
وتاويل اخر ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب يقولون ان القوة لله جميعا
لاستعظمت حالهم وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو وعاصم وابن كثير يرى بالياء
من اسفل وفتح اللام من ان وتاويله ولو ترى في الدنيا الذين ظلموا حالهم في الاخرة اذ
يرون العذاب لعلموا ان القوة لله وتاويل اخر روي عن الاخفش والمبرد ولو يرى بمعنى
يعلم الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا لاستعظموا ما حل بهم
فيرى عامل في ان وسدت مسد المفعولين وقال ابو علي الرؤية في هذه الاية رؤية

البصر

البصر والتقدير في قراة الياء ولو يرى الذين ظلموا ان القوة لله جميعا وحذف جواب لو للمبالغة
ويعمل في ان الفعل الظاهر وهو ارجح من ان يكون العامل فيها مقدرا ودخلت اذ وهي لما مضى في اثنا
هذه المستقبلات تقريبا للامر وتصحيحا لوقوعه كما يقع الماضي موضع المستقبل في قوله تعالى ونادى
اصحاب النار اصحاب الجنة واتى امر الله ومنه قول الاشتر النخعي بقيت وفري وانحرفت عن العلا
ولقيت اضيافي بوجه عبوس وقرات طائفة يرى بالياء من اسفل وكسر الالف من ان وذلك اما
على حذف الجواب وابتداء الخبر واما على تقدير لقالوا ان القوة لله جميعا وقرا ابن عامر وحده يرون
بضم الياء والباقون بفتحها ويثبت بنص هذه الاية القوة لله بخلاف قول المعتزلة في نفيهم معاني الصفات
القديمة وقالت طايفة الذين اتبعوا كل من عبد من دون الله وقال قتاده هم الشياطين المضلون
وقال الربيع وعطا روساهم قال الفقيه ابو محمد ولفظ الاية يعم هذا كله واذ يحتمل ان يكون متعلقة
بشديد العقاب ويحتمل ان يكون العامل فيها اذكروا الذين اتبعوا بفتح الباهم العبدة لغير الله
والضالون المقلدون لرؤساهم وللشياطين وتبريهم هو بان قالوا انا لم نضلهم ولا
بل كفروا بارادتهم وتعلق العقاب على المتبعين بكفرهم ولم ياب ما حاولوه من تعليق ذنوبهم
على المضلين وقرا مجاهد بتقديم الفعل المسند الى المتبعين للروسا وتاخير المسند الى المتبعين و
السبب في اللغة الحبل الرابط الموصل فيقال في كل ما يتمسك به فيصل بين شيئين وقال ابن عباس
الاسباب الارحام وقال مجاهد هي العهود وقيل المودات وقيل المنازل التي كانت لهم في الدنيا
وقال ابن زيد والسدي هي الاعمال اذ اعمال المؤمنين كالسبب في سعيهم فتقطعت بالظالمين اعمالهم
وقوله تعالى وقال الذين اتبعوا الاية المعنى وقال الاتباع الذين تبرئ منهم لو رددنا الى الدنيا
حتى نعمل صالحا ونتبرا منهم والكرة العودة الحال قد كانت ومنه قول جرير ولقد عطفن
على فزاره عطفه كر المنيح وجلن ثم مجالا والمنيح هنا احد الاغفال من سهام الميسر وذلك انه
اذا خرج من الربابة احد الاغفال من سهام الرباوة رد لعوده لا فرض فيه ولا حكم عنه والكاف
من قوله تعالى كما في موضع نصب على النعت اما لمصدر او لحال تقديرها متبرين كما والكاف
في قوله تعالى كذلك يريهم الله قيل هي في موضع رفع على خبر ابتداء تقديره الامر كذلك وقيل هي كاف تشبيه
محرره والاشارة بذلك الى حالهم وقت تمنيهم الكرة والروية والاية هي من رؤية البصر
ويحتمل ان يكون من روية القلب واعمالهم قال الربيع وابن زيد المعنى الفاسدة التي ارتكبوها
فوجبت لهم بها النار وقال ابن مسعود والسدي المعنى الصالحة التي تركوها ففاتهم الجنة
ورويت في هذا القول احاديث واضيفت هذه الاعمال اليهم من حيث هم مامورون بها واما اضافة
الفاسدة اليهم فمن حيث عملوها وحسرات حال على ان يكون الرؤية بصرية ومفعول على ان يكون
قلبية والحسرة اعلى درجات الندامة والهم بما فات وهي مشتقة من الشي الحسير الذي قد انقطع و
ذهبت قوته كالبصر والبعير وقيل هي من حسر اذا كشف ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
يحسر الفرات على جبل من ذهب قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما
لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم
بكم عمي فهم لا يعقلون ن الخطاب عام وما بمعنى الذي وحلالا حال من الضمير العايد على ما وقال
مكي نعت لمفعول محذوف تقديره شيئا حلالا قال الفقيه الامام وهذا بعيد وكذلك مقصد الكلام
لا يعطي ان يكون حلالا مفعولا بكلوا وتامل وطيبا نعت ويصح ان يكون طيبا حالا من الضمير في
كلوا تقديره مستطيبين والطيب عند مالك الحلال فهو هنا تاكيد لاختلاف اللفظ وهو
عند الشافعي المستلذ وكذلك يمنع اكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث وخطوات جمع خطوة
وهي ما بين القدمين في المشي فالمعنى النهي عن اتباع الشيطان وسلوك سبيله وطرائقه
قال ابن عباس خطواته اعماله وقال غيره اثاره قال مجاهد خطاياه قال ابو مجلز هي النذور
والمعاصي قال الحسن نزلت فيما سنوه من البحيرة والسائبة ونحوه قال النقاش نزلت في
ثقيف وخزاعة وبني الحرث بن كعب وقرا ابن عامر والكسائي خطوات بضم الخاء والطاء و
رويت عن عاصم وابن كثير بخلاف وقرا الباقون بسكون الطاء فاما اراكوا ضم الطاء وحققوها
اذ هو الباب في جميع فعله كغرفة وغرفات واما انهم تركوها في الجمع على سكونها في المفرد
وقرا ابو السماك خطوات بفتح الخاء والطاء وروي عن علي بن ابي طالب وقتاده والاعمش
وسلام خطؤات بضم الخاء والطاء والهمزة على الواو وذهب بهذه القراة الى انها
جمع خطيئة من الخطا لا من الخطو وكل ما عدا السنن والشرايع من البدع والمعاصي فهي

خطوات الشيطان وعدو يقع للمفرد والتثنية والجمع وقوله تعالى انما يامركم الاية انما يصلح للحصر
وقد يجى غير حاصرة بل للمبالغة كقولك انما الشجاع عنترة كانك تحاول الحصر او توهمه فانما يعرف
معنى انما بقرينة الكلام الذى هى فيه فهى فى هذه الاية حاصرة وامر الشيطان اما بقوله فى زمن
الكهنة وحيث تسوروا واما بوسوسته فاذا اطيع بعد امره والسوء مصدر من ساءه يسوءه
فهى فى المعاصى وما يسوء عاقبته والفحشاء قال السدى هى الزنا وقيل كل ما بلغ حدا من
الحدود لانه يتفاحش حينئذ وقيل ما يفاحش ذكره واصل الفحش قبح المنظر كما قال امرؤ
القيس وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هى نصته ولا بمعطل ثم استعملت اللفظة فيما يستقبح من
المعانى والشرع هو الذى يحسن ويقبح فكل ما نهت عنه الشريعة فهو من الفحشاء وما لا يعلمون قال الطبرى
يريد به ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها وجعلوه شرعا وقوله تعالى واذا قيل لهم يعنى كفار
العرب وقال ابن عباس نزلت فى اليهود وقال الطبرى الضمير فى لهم عايد على الناس من قوله يا ايها
الناس كلوا وقيل هو عايد على من فى قوله من الناس من يتخذ من دون الله اندادا واتبعوا معناه
بالقبول والعمل وما انزل الله هو القران والشرع والفينا معناه وجدنا قال الشاعر فالفيته
غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا والالف فى قوله اولو للاستفهام والواو لعطف جملة
كلام على لان غاية الفساد فى الالتزام اذ يقولون نتبع اباءنا ولو كانوا لا يعقلون فقرروا
على التزامهم هذا اذ هذه حال ابائهم وقوة الفاظ هذه الاية يعطى ابطال التقليد واجمعت
الامة على ابطاله فى العقايد وقوله تعالى ومثل الذين كفروا الاية والمراد تشبيه واعظ الكافرين
وداعيهم والكافرين الموعوظين بالداعى الذى ينعق بالغنم والابل فلا تسمع الا دعاءه و
نداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر ابن عباس وعكرمه والسدى وسيبويه قال الفقيه
الامام فذكر بعض هذه الجملة وبعض هذه ودل المذكور على المحذوف وهذه نهاية الايجاز
والنعيق زجر الغنم والصياح بها قال الاخطل انعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك
فى الخلاء ضلالا وقال قوم انما وقع هذا التشبيه براعى الغنم لانها من ابله الحيوان فهى
تحمق راعيها وفى المثل احمق من راعى ضان ثمانين وقد قال دريد الملك بن عوف فى يوم
هوازن راعى ضان والله وقال الشاعر اصبحت هدا كراعى الضان يهرا نما ذا يريبك منى
راعى الضان فمعنى الاية ان هؤلاء الكفرة يمر الدعا على اذانهم صفحا يسمعونه ولا يفقهونه
اذ لا ينتفعون بفقهه وقال ابن دريد المعنى فى الاية ومثل الذين كفروا فى اتباعهم الهتهم
وعبادتهم اياها كمثل الذى ينعق بما لا يسمع منه شيئا الا دويا غير مفيد يعنى بذلك الصدى
الذى يستجيب من الجبل ووجه الطبرى فى الاية معنى اخر وهو ان المراد مثل الكافرين فى عبادتهم
الهتهم كمثل الذى ينعق بشى بعيد منه فهو لا يسمع من اجل البعد فليس للناعق من ذلك الا النداء الذى
تتعبه وينصبه فانما شبه فى هذين التاويلين بالكفار بالناعق والاصنام بالمنعوق به
وشبهوا فى الصمم والبكم والعمى بمن لا حاسة له لما لم ينتفعوا بحواسهم ولا صرفوها
فى ادراك ما ينفع ومنه قول الشاعر اصم عما ساءه سميع ولما تقرر فقدهم لهذه
الحواس قضى بانهم لا يعقلون اذ العقل كما قال ابو المعالى وغيره علوم ضرورية
يعطيها هذه الحواس او لا بد فى كسبها من الحواس فتامل قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون
به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة
ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم الطيب هنا يجمع الحلال المستلذ والاية تشير بتبعيض
من تشير الى ان الحرام رزق وخص الله تعالى على الشكر والمعنى فى كل حالة وان شرط
والمراد بهذا الشرط التثبيت وهو الهوس كما يقول افعل كذا ان كنت رجلا وقوله تعالى
انما حرم عليكم انما حاصرة والميتة نصب بحرم وقرا ابو جعفر بن القعقاع الميتة
بالتشديد قال الطبرى وجماعة من اللغويين التشديد والتخفيف فى ميت وميت
لغتان وقال ابو حاتم وغيره ما قد مات فيقالان فيه وما لم يمت بعد فلا يقال فيه
ميت بالتخفيف قال الفقيه الامام ابو محمد هكذا هو استعمال العرب ويشهد
لذلك قول الشاعر ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء استراح من
الراحة وقيل من الرايحة ولم يقرا احد بتخفيف ما لم يمت الا ما روى البزى
عن ابن كثير وما هو بميت والمشهور عنه التثقيل واما قول الشاعر اذا ما مات

ميت

ميت من تيم فسرك ان يعيش فجى بزاد فلا ابلغ من الهجا ان يريد الميت حقيقة وقد ذهب بعض
الناس الى انه اراد من شارف الموت والاول اشعر وقرا قوم الميتة بالرفع على ان يكون ما
بمعنى الذى وان عاملة وقرا ابو عبد الرحمن السلمى حرم على ما لم يسم فاعله ورفع ما ذكر
تحريمه فان كانت ما كافة فالميتة مفعول لم يسم فاعله وان كانت بمعنى الذى فالميتة
خبر ولفظ الميتة عموم والمعنى مخصص لان الحوت والجراد لم يدخل قط فى هذا العموم والميتة
ما مات دون ذكاة مما له يعيش سايله والطافى من الحوت جوزه مالك وغيره ومنعه العراقيون
وفى الميت دون سبب من الجراد خلاف منعه مالك وجمهور اصحابه وجوزه ابن نافع وابن
وابن عبد الحكم وقال ابن وهب ان ضم فى غرائر فضمه ذكاته وقال ابن القسم لا احب ان يصنع
به شى يموت منه كقطع الرؤس والارجل والاجنحة او الطرح فى الماء وقال سحنون لا يطرح
فى ماء بارد وقال اشهب ان مات من قطع رجل او جناح لم يوكل لانها حالة قد يعيش بها
وينسل والدم يراد به المسفوح لان ما خالط اللحم فغير محرم باجماع وفى دم الحوت المزايل
للحوت اختلاف روى عن القابسى انه طاهر ويلزم طهارته انه غير محرم وخص ذكر اللحم
من الخنزير ليدل على تحريم عينه ذكى او لم يذك وليعم الشحم وما هنالك من الغضاريف و
غيرها واجمعت الامة على تحريم شحمه وفى خنزير الماء كراهية ابى مالك ان يجيب فيه وقال
انتم يقولون خنزير وذهب اكثر اللغويين الى ان لفظة الخنزير رباعية وحكى ابن سيده عن بعضهم
انه مشتق من خزر العين لانه كذلك ينظر فاللفظة على هذا ثلاثية وما اهل به لغير الله قال
ابن عباس وغيره المراد ما ذبح للانصاب والاوثان واهل صيح ومنه استهلال المولود
وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة وغلب ذلك فى استعمالهم حتى عبر به
عن النية التى هى علة التحريم الا ترى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه راعى النية فى الابل
التى نحرها غالب ابو الفرزدق فقال انها مما اهل به لغير الله فتركها الناس ورايت فى اخبار
الحسن بن ابى الحسن انه سئل عن امراة مسرفة صنعت للعبها عرسا فذبحت جزورا فقال
الحسن لا يحل اكلها فانها انما ذبحت لصنم وفى ذبيحة المجوسى اختلاف ومالك لا يجيزها البتة
وذبيحة اليهودى والنصرانى جائزة واختلف فيما حرم عليهم كالطريف والشحم وغيره بالمنع
والاجازة وقال ابن حبيب ما حرم عليهم بالكتاب فلا يحل لنا من ذبحهم وما حرموه باجتها
باجتهادهم فذلك لنا حلال وعند مالك كراهية فيما سمى عليه الكتابى المسيح او ذبحه لكنيسه
ولا يبلغ بذلك التحريم قوله تعالى فمن اضطر الاية ضمت النون للالتقاء اتباعا للضمة فى الطاء
حسب قراءة الجمهور وقرا ابو جعفر وابو السماك فمن اضطر بكسر الطاء واصله اضطرر فلما
ادغم نقلت حركة الراء الى الطاء وقرا ابن محيصن فمن اطر بادغام الضاد فى الطاء وكذلك
حيث وقع فى القران ومعنى اضطر ضمه عدم وغرث هذا هو الصحيح الذى عليه جمهور الفقهاء
والعلماء وقيل معناه اكره وغلب على اكل هذه المحرمات وغير باغ فى موضع نصب على الحال والمعنى
فى ما قال قتاده والربيع وابن زيد وعكرمه وغيرهم غير قاصد فساد وتعد بان يجد عن هذه المحرمات
مندوحة وناطها قال الفقيه الامام وهولاء يجيزون الاكل منها فى كل سفر مع الضرورة وقال
مجاهد وابن جبير وغيرهما المعنى غير باغ على المسلمين وعاد عليهم فيدخل فى الباغى والعادى
قطاع السبل والخارج على السلطان والمسافر فى قطع الرحم والغارة على المسلمين وما شاكله ولغير
هؤلاء هى الرخصة وقال السدى غير باغ اى متزيد على حد امساك رمقه وابقاء قوته فيجى اكله شهوة
ولا عاد اى متزود وقال مالك رحمه الله ياكل المضطر شبعه وفى الموطا وهو لكثير من العلماء
انه يتزود اذا خشى الضرورة فيما بين يديه من مفازة وقفر وقيل فى عاد ان معناه عايد
فهو من المقلوب كشاك السلاح اصله شايك وكهار اصله هاير وكلاث اصله لايث وباغ
ثقلت الضمة على الياء فسكنت والتنوين ساكن فحذفت الياء لان الكسرة تدل عليها ورفع الله
تعالى الاثم لما احل الميتة للمضطر لان التحريم فى الحقيقة متعلق التصرف بالاكل لا عين المحرم
ويطلق التحريم على العين تجوزا ومنع قوم التزود من الميتة وقالوا لما استقلت قوة للاكل صار
كمن لم يصبه ضرورة قيل ومن العلماء من يرى ان الميتة من ابن ادم والخنزير لا يكون فيهما
رخصة اضطرار لانهما لا تصح فيهما ذكاة بوجه وانما الرخصة فيما تصح الذكاة فى نوعه وقوله
تعالى ان الذين يكتمون الاية قال ابن عباس وقتاده والربيع والسدى المراد احبار اليهود
الذين كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب التوراة والانجيل والضمير فى به عايد
على الكتاب ويحتمل ان يعود على ما وهو جزء من الكتاب فيه امر محمد صلى الله عليه وسلم وفيه وقع
الكتم لا فى جميع الكتاب ويحتمل ان يعود على الكتمان والثمن القليل الدنيا والمكاسب ووصف

بالقلة لانقضائه ونفاده قال القاضي ابو محمد وهذه الاية وان كانت نزلت في الاحبار فانها يتناول
من علماء المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها وذكرت البطون في اكلهم المؤدي الى النار
دلالة على حقيقة الاكل اذ قد يستعمل مجازا في مثل اكل فلان ارضي ونحوه وفي ذكر البطن ايضا تنبيه
على مذمتهم بانهم باعوا اخرتهم بحظهم من المطعم الذي لا خطر له وعلى هجنتهم بطاعة بطونهم
وقال الربيع وغيره سمى ما كلهم نارا لانه يؤول بهم الى النار في جهنم حقيقة وقوله تعالى ولا يكلمهم
قيل هي عبارة عن الغضب عليهم وازالة الرضى عنهم اذ في غير موضع من القران ما ظاهره ان
الله تعالى يكلم الكافرين كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون ونحوه فتكون هذه الاية بمنزلة قولك فلان
ما كلمه السلطان ولا يلتفته وانما تعبر عن الحطاطه منزلته لديه وقال الطبري وغيره المعنى
لا يكلمهم بما يحبونه وقيل المعنى لا يرسل اليهم الملائكة بالتحية ولا يزكيهم معناه ولا يطهرهم من
موجبات العذاب وقيل المعنى لا يسميهم ازكياء واليم اسم فاعل بمعنى مولم قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على
حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة
واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ن لما تركوا من الهدى واعرضوا عنه ولازموا الضلالة
وتكسبوها مع ان الهدى ممكن لهم ميسر كان ذلك كبيع وشراء وقد تقدم ايعاب هذا المعنى
ولما كان العذاب تابعا للضلالة التي اشتروها وكانت المغفرة تابعة للهدى الذي اطرحوه
ادخلا في تجوز الشراء وقوله تعالى فما اصبرهم على النار قال جمهور المفسرين ما تعجب وهو في
حيز المخاطبين اي هم اهل ان تعجبوا منهم ومما يطول مكثهم في النار وفي التنزيل قتل الانسان
ما اكفره واسمع بهم وابصر وبهذا المعنى صدر ابو علي وقال قتاده والحسن وابن سيرين وابن
جبير والربيع اظهر التعجب من صبرهم على النار لما عملوا عمل من وطن نفسه عليها وتقديره ما
اجراهم على النار اذ يعملون عملا يؤدي اليها وقيل ما استفهام معناه اي شيء صبرهم على النار
ذهب الى ذلك معمر بن المثنى والاول اظهر ومعنى اصبرهم في اللغة امرهم بالصبر ومعناه
ايضا جعلهم ذوي صبر وكلا المعنيين متجه في الاية على القول بالاستفهام وذهب المبرد
في باب التعجب من المقتضب الى ان هذه الاية تقرر واستفهام لا تعجب وان لفظة اصبرهم بمعنى
اضطرهم وحبس كما تقول اصبرت زيدا على القتل ومنه نهي النبي عليه السلام ان يصبر الذبح قال
ومثله قول الشاعر قلت لها اصبرها دائبا امثال بسطام بن قيس قليل قال القاضي ابو محمد الامام
الضبط عند المبرد بضم الهمزة وكسر الباء ورد عليه في ذلك كله لانه لا يعرف في اللغة اصبر بمعنى صبر
وانما البيت اصبرها بفتح الهمزة وضم الباء ماضية صبر ومنه المصبورة وانما يخرج قول ابي العباس
على معنى اجعلها ذات صبر وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب الاية المعنى في ذلك الامر والامر
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به والاشارة على هذا الى وجوب النار لهم ويحتمل ان يقدر
فعلنا ذلك ويحتمل ان يقدر وجب ذلك ويكون الكتاب جملة القران على هذه التقديرات وقيل ان الاشارة
بالكتاب الى قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم الاية اي وجبت لهم النار بما
قد نزله الله في الكتاب من الخبر به والاشارة بذلك على هذا هي الى اشترائهم الضلالة بالهدى
اي ذلك بما سبق لهم في علم الله وورد اخباره به وبالحق معناه بالواجب ويحتمل ان يراد بالاخبار
بالاخبار الحق اي الصادقة والذين اختلفوا في الكتاب قال السدي هم اليهود والنصارى
لان هؤلاء في شق وهؤلاء في شق قال الفقيه الامام ويظهر ان الشقاق سميت به المشادة
والمقاتلة ونحوه لان كل واحد يشق الفصل الذي بينه وبين مشاقه وقيل ان المراد بالذين
اختلفوا كفار العرب لقول بعضهم هو سحر وبعضهم هو اساطير وبعضهم هو مفترى الى
غير ذلك وشقاق هذه الطوائف انما هو مع الاسلام واهله وبعيد هنا معناه من
الحق والاستقامة وقوله تعالى ليس البر الاية قرا اكثر السبعة برفع الراء والبر اسم
ليس قال ابو علي ليس بمنزلة الفعل فالوجه ان يليها الفاعل ثم المفعول قال الفقيه
الامام مذهبه اعني ان ليس حرف والصواب الذي عليه الجمهور انها فعل وقرا حمزة
وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء وجعل ان تولوا بمنزلة المضمر اذ لا يوصف
كما لا يوصف المضمر والمضمر اولى ان يكون اسما ويحتج عنه في مصحف ابي كعب وعبد الله
بن مسعود ليس البر بان تولوا وجوهكم وقال الاعمش ان في مصحف عبد الله لا تحسبن

البر

فما اصبرهم على النار

البر وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما الخطاب بهذه الاية للمؤمنين فالمعنى ليس البر الصلوة وحدها
وحدها وقال قتاده والربيع الخطاب لليهود لانهم اختلفوا في التوجه والتولي فاليهود الى
بيت المقدس والنصارى الى مطلع الشمس وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة منهم توليتها
فقيل لهم ليس البر ما انتم فيه ولكن البر من امن بالله قرا قوم ولكن البر بتشديد النون
ونصب الباء وقرا الجمهور ولكن البر والتقدير لكن البر بر من وقيل التقدير ولكن ذو البر
من وقيل البر بمنزلة اسم الفاعل تقديره ولكن البار من المصدر اذا انزل منزلة اسم الفاعل
فهو ولابد محمول على حذف مضاف كقولك رجل عدل ورضا والايمان التصديق اي صدق الله
تعالى وبهذه الامور كلها حسب مجتهدات الشرايع وقوله تعالى واتى المال على حبه الاية
هذه كلها حقوق في المال سوى الزكوة وبها كمال البر وقيل هي الزكوة واتى معناه اعطاه
والضمير في حبه عائد على المال فالمصدر مضاف الى المفعول ويجي قوله على حبه اعتراضا بليغا
اثناء القول ويحتمل ان يعود الضمير على الايتاء اي في وقت حاجة من الناس وفاقة فايتاء المال
حبب اليهم ويحتمل ان يعود على اسم الله تعالى من قوله من امن بالله اي من يصدق محبة
في الله تعالى وطاعة ويحتمل ان يعود على الضمير المستكن في اتى اي على حبه المال فالمصدر مضاف
الى الفاعل فالمعنى المقصود ان يتصدق المرء في هذه الوجوه وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويامل
الغنى كما قال صلى الله عليه وسلم قال الفقيه الامام والشح في هذه الاية هو الغريزة الذي
في قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وليس المعنى ان يكون المصدق متصدقا بالشح الذي هو البخل
وذوي القربى يراد به قرابة النسب واليتيم في الادميين من قبل الاب قبل البلوغ وقال مجاهد
وغيره ابن السبيل المسافر لملازمته السبيل قال الفقيه الامام وهذا كما يقال ابن ماء
للطائر الملازم للماء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ابن زنا اي الملازم له
وقيل لما كانت السبيل تبرزه شبه ذلك بالولادة فنسب اليها وقال قتاده ابن السبيل
الضيف والاول اعم وفي الرقاب يراد به العتق وفك الاسرى واعطاء اواجر الكتابات
واقام الصلوة اتمها بشروطها وذكر الزكوة هنا دليل على ان ما تقدم ليس بالزكوة
المفروضة والموفون عطف على من في قوله من امن ويحتمل ان يقدر وهم الموفون والصابرين
نصب على المدح او على اضمار فعل وهذا مهيع وتكرار النعوت وفي مصحف عبد الله بن
مسعود والموفين على المدح او على قطع النعوت وقرا ابن يعقوب والاعمش والحسن
والموفون والصابرون وقرا الجحدري بعهودهم والبأساء الفقر والفاقة والضراء المرض
ومصائب البدن وحين البأس وقت شدة القتال هذا قول المفسرين في الاقوال الثلثة و
يقول العرب بئس الرجل اذا افتقر وبؤس اذا شجع ثم وصف تعالى اهل هذه الافعال البرة بالصدق
في امورهم اي هم عند الظن بهم والرجا فيهم كما تقول صدقني المال وصدقني الرمح ومنه عود صدق
ويحتمل اللفظة ايضا صدقا الاخبار ووصفهم تعالى بالتقى والمعنى هم الذين جعلوا بينه وبين
عذاب الله وقاية من العمل الصالح ن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء
اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حياة
يا اولي الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ن كتب معناه فرض واثبت والكتب يستعمل في الامور
المخلدات الدائمة كثيرا وقيل ان كتب في مثل اخبار عما كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضا وصورة
فرض القصاص هو ان القاتل فرض عليه اذا اراد الولي القتل الاستسلام لامر الله والانقياد لقصاصه
المشروع وان الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه وترك التعدي على غيره كما كانت العرب
يتعدى ويقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله وان الحكام واولي الامر فرض عليهم النهوض بالقصاص واقامة
الحدود وليس القصاص بلازم انما اللزوم الا يتجاوز القصاص الى اعتداء فاما اذا وقع الرضى بدون
القصاص من دية او عفو فذلك مباح فالاية معلمة ان القصاص هو الغاية عند التشاح والقصاص
ماخوذ من قص الاثر فكان القاتل سلك طريقا من القتل فقص اثره فيها ومشى على سبيله في ذلك
والقتلى جمع قتيل لفظ مؤنث تانيث الجماعة وهو مما يدخل على الناس كرها فلذلك جاء على هذا
البناء كجرحى وزمنى وجمعى وصرعى وعرفا واختلف في سبب هذه الاية فقال الشعبي ان العرب
كان اهل العزة منهم والمنعة اذا قتل منهم عبد قتلوا به حرا واذا قتلت امراة قتلوا بها
ذكرا فنزلت الاية في ذلك ليعلم الله تعالى بالتسوية ويذهب اهواء الجاهلية وحكي ان قوما
يقاتلوا قتال عمية ثم قال بعضهم يقتل بعبيدنا احرارا فنزلت الاية وقيل نزلت بسبب قتال

وقع بين قبيلتين من الانصار وقيل من غيرهم فقتل هؤلاء من هؤلاء رجالا وعبيدا ونساء فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصلح بينهم وتقاصهم بعضهم من بعض بالديات على استوا الاحرار بالاحرار والنساء بالنساء والعبد بالعبد وروى عن ابن عباس ان الاية نزلت مقتضية الا يقتل الرجل بالمراة ولا المراة بالرجل ولا يدخل صنف على صنف ثم نسخت باية المائدة ان النفس بالنفس **قال** القاضي ابو محمد هكذا روى واية المائدة انما هي اخبار عما كتب على بني اسرائيل فلا يترتب النسخ الا بما يلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان حكمنا في شرعنا مثل حكمهم وروى عن ابن عباس فيما ذكر ابو عبيده وعن غيره ان هذه الاية محكمة وفيها اكمال فسرته اية المائدة وان قوله هنا الحر بالحر يعم الرجال والنساء وقاله مجاهد وقال مالك رحمه الله احسن ما سمعت في هذه الاية انه يراد بها الجنس الذكر والانثى فيه سوا واعيد ذكر الانثى تاكيدا وتهمما باذهاب امر الجاهلية وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعن الحسن بن ابي الحسن ان الاية نزلت مبينة حكم المذكورين ليدل ذلك على الفرق بينهم وبين ان يقتل حر عبدا او عبد حرا او ذكر انثى او انثى ذكرا وقالا انه اذا قتل رجل امراة فان اراد اولياها قتلوا صاحبهم ووفوا اولياه نصف الدية منه وان ارادوا استحيوه واخذوا منه دية المراة واذا قتلت المراة رجلا فان اراد اولياه قتلوا واخذوا نصف الدية والا اخذوا دية صاحبهم واستحيوها واذا قتل الحر العبد فان اراد سيد العبد قتل واعطى دية الحر الا قيمة العبد وان شاء استحيى واخذ قيمة العبد هذا مذكور عن علي رضي عنه وعن الحسن وقد انكر ذلك عنهما ايضا واجمعت الامة على قتل الرجل بالمراة والمراة بالرجل والجمهور لا يرون الرجوع بشي وفرقة ترى الاتباع بفضل الديات قال مالك والشافعي وكذلك القصاص بينهما فيما دون النفس وقال ابو حنيفه لا قصاص بينهما فيما دون النفس وانما هو في النفس بالنفس وقال النخعي وقتاده وسعيد بن المسيب والشعبي والثوري وابو حنيفه ومحمد بن الحسن يقتل الحر بالعبد وقال مالك وجمهور العلماء لا يقتل الحر بالعبد ودليلهما اجماع الامة على ان العبد لا يقاوم الحر فيما دون النفس والنفس مقيسة على ذلك وايضا فالاجماع فيمن قتل عبدا خطا انه ليس عليه الا القيمة فكما لم يشبهه الحر في الخطا لم يشبهه في العمد وايضا فان العبد سلعة من السلع يباع ويشترى واذا قتل الرجل ابنه فان قصد الى قتله مثل ان يضجعه ويذبحه او يصبره مما لا عذر له فيه ولا شبهة في ادعاء الخطاء فانه يقتل به قولا واحدا في مذهب مالك وان قتله على حد ما يرمي ويضرب فيقتله ففيه في المذهب قولان يقتل به ولا يقتل وتغلظ الديه **وقوله تعالى** فمن عفي له من اخيه شي فيه اربع تاويلات احدها ان من يراد بها القاتل وعفي يتضمن عافيا هو ولي الدم والاخ هو المقتول ويصح ان يكون الولي على هذا التاويل وهي اخوة الاسلام وشي هو الدم الذي يعفى عنه ويرجع الى اخذ الدية هذا قول ابن عباس وجماعة من العلما والعفو في هذا القول على بابه والضميران راجعان على كل في كل تاويل والتاويل الثاني وهو قول مالك ان من يراد به الولي وعفي بمعنى يسر لا على بابها في العفو والاخ يراد به القاتل وشي هو الدية والاخوة على هذا اخوة الاسلام ويحتمل ان يراد بالاخ على هذا التاويل المقتول اي يسر له من قبل اخيه المقتول وبسببه فيكون الاخوة اخوة قرابة واسلام وعلى هذا التاويل قال مالك رحمه الله ان الولي اذا جنح الى العفو على اخذ الدية فان القاتل مخير بين ان يعطيها او يسلم نفسه فمرة تيسر ومرة لا تتيسر وغير مالك يقول اذا رضي الاولياء بالدية فلا خيار للقاتل بل تلزمه وقد روى ايضا هذا القول عن مالك ورجحه كثير من اصحابه والتاويل الثالث ان هذه الالفاظ في المعنيين الذين نزلت فيهم الاية كلها وتساقطوا الديات فيما بينهم مقاصة حسب ما ذكرناه انفا فمعنى الاية فمن فضل له من الطائفتين على الاخرى شي من تلك الديات ويكون عفي بمعنى فضل من قولهم عفى الشي اذا كثر اي افضلت الحال له او الحساب او العدد والتاويل الرابع هو قول علي رضي الله عنه والحسن بن ابي الحسن في الفضل بين دية المراة والرجل والحر والعبد اي من كان له ذلك الفضل فاتباع بالمعروف وعفي في هذا الموضع ايضا بمعنى افضل وكان الاية من اولها بينت الحكم اذا لم تتداخل الانواع ثم الحكم اذا تداخلت وشي في هذه الاية مفعول لما لم يسم فاعله وجاز ذلك وعفي لا يتعدى الماضي الذي بنيت منه من حيث يقدر شي تقدير المصدر كان الكلام عفي له من اخيه عفو وشي اسم عام لهذا وغيره او من حيث يقدر عفي بمعنى ترك فيعمل عملها والاول اجود وله نظير في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى ولا تضرونه شيئا قال الاخفش التقدير لا تضرونه ضرا ومن ذلك قول ابي خراش فعاديت شيئا والدريس كانما يزعزعه ورد من الموم مردم **وقوله** فاتباع رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره فالواجب والحكم اتباع وهذا سبيل

الواجبات كقوله تعالى فامساك بمعروف واما المندوب اليه فياتي منصوبا كقوله تعالى فضرب الرقاب وهذه الاية حض من الله تعالى على حسن الاقتضاء من الطالب وحسن القضاء من المودي وقرا ابن ابي علي فاتباعا بالنصب **وقوله** تعالى ذلك تخفيف اشارة الى ما شرعه لهذه الامة من اخذ الدية وكانت بنو اسرائيل لا دية عندهم انما هو القصاص فقط والاعتدا المتوعد عليه في هذه الاية هو ان ياخذ الرجل دية وليه ثم يقتل القاتل بعد سقوط الدم واختلف في العذاب الاليم الذي يلحقه فقال فريق من العلماء منهم مالك هو كمن قتل ابتداء ان شاء الولي قتله وان شاء عفى عنه وعذابه في الاخرة وقال قتادة وعكرمه والسدي وغيرهم عذابه ان يقتل البتة ولا يمكن الحاكم الولي من العفو وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقسم ان لا يعفى عن رجل عفا عن الدم واخذ الدية ثم عدا وقتل وقال الحسن عذابه ان يرد الدية فقط ويبقى اثمه الى عذاب الاخرة وقال عمر بن عبد العزيز امره الى الامام يصنع فيه ما راى **وقوله تعالى** ولكم في القصاص حياة نحو قول العرب القتل اوقى للقتل ويروى ابقى بباء وقاف ويروى انفى بنون وفاء والمعنى ان القصاص اذا اقيم وتحقق الحكم فيه ازدجر من يريد قتل احد مخافة ان يقتص منه فحييا بذلك معا وهذا الترتيب مما سبق لهما في الازل وايضا فكانت العرب اذا قتل الرجل الاخر حمى قبيلاهما وتقاتلوا وكان ذلك داعيا الى موت العدد الكثير فلما شرع الله القصاص قنع الكل به ووقف عنده وتركوا الاقتتال فلهم في ذلك حياة وخص اولي الالباب بالذكر تنبيها عليهم لانهم العارفون العاملون للاوامر والنواهي وغيرهم تبع لهم وتتقون معناه القتل فتسلمون من القصاص ثم يكون ذلك داعية لانواع التقوى في غير ذلك فان الله تعالى يثيب على الطاعة بالطاعة وقرا ابو الجوزا اوس بن عبد الله الربعي ولكم في القصص اي في كتاب الله الذي شرع فيه القصاص حكمة ويحتمل ان يكون مصدرا كالقصاص اي انه قص اثر القاتل قصصا فقتل كما قتل **وقوله تعالى** كتب عليكم الاية كان الاية متصلة بقوله يا ايها الذين امنوا وكذلك سقطت واو العطف وكتب معناه فرض واثبت وقال بعض اهل العلم الوصية فرض وقال قوم كانت فرضا ونسخت وقال فريق هي مندوب اليه وكتب عامل في رفع الوصية على المفعول الذي لم يسم فاعله في بعض التقديرات وسقطت علامة التانيث من كتب لطول الكلام فحسن سقوطها وقد حكى سيبويه قام امراة ولكن حسن ذلك انما هو مع طول الحائل ولا يصح عند جمهور النحاة ان يعمل الوصية في اذا لانها في حكم الصلة للمصدر الذي هو الوصية وقد تقدمت فلا يجوز ان يعمل فيها متقدمة ويتجه في اعراب هذه الاية ان يكون كتب هو العامل في اذا والمعنى توجه ايجاب الله عليكم ومقتضى كتابه اذا حضر فعبر عن توجه الايجاب بكتب لينتظم الى هذا المعنى انه مكتوب في الازل والوصية مفعول لم يسم فاعله بكتب وجواب الشرطين اذا وان مقدر يدل عليه ما تقدم من قوله كتب عليكم كما تقول شكرت فعلك ان جئتني اذا كان كذا ويتجه في اعرابها ان يكون التقدير كتب عليكم الايصا ويكون هذا الايصا المقدر الذي يدل عليه ذكر الوصية بعد هو العامل في اذا وترتفع الوصية بالابتداء وفيه جواب الشرطين على نحو ما انشد سيبويه من يفعل الصالحات الله يحفظها او تكون رفعها بالابتداء بتقدير فعليه الوصية او بتقدير الفا فقط كانه قال فالوصية للوالدين ويتجه في اعرابها ان تكون الوصية مرتفعة بكتب على المفعول الذي لم يسم فاعله وتكون الوصية هي العامل في اذا وهذا على مذهب ابي الحسن الاخفش فانه يجيز ان يتقدم ما في الصلة الموصول بشرطين هما في هذه الاية احدهما ان يكون الموصول ليس بموصول محض بل يشبه الموصول وذلك كالكاف واللام حيث توصل او كالمصدر وهذا في الاية مصدر وهو الوصية والشرط الثاني ان يكون المتقدم ظرفا فان في الظرف يسهل الاتساع واذا ظرف وهذا راي ابي الحسن **في قول** الشاعر تقول وصلت وجهها بيمينها العلي بهذا بالرحى المتقاعس فانه يرى ان بالرحى متعلق بقوله المتقاعس كانه قال اتعلي هذا المتقاعس بالرحى وجواب الشرطين في هذا القول كما ذكرناه في القول الاول **وقوله تعالى** اذا حضر مجاز لان المعنى اذا تخوف وحضرت علاماته والخير في هذه الاية المال واختلف في موجب الوصية في القدر الذي يجب فيه فقال الزهري يجب فيما قل وكثر وقال النخعي يجب في خمسمائة درهم فصاعدا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقتاده في الف فصاعدا واختلف العلماء في هذه الاية فقال فريق هي محكمة ظاهرها العموم ومعناها الخصوص في الوالدين الذين لا يرثان كالكافرين والعبدين وفي القرابة غير الوارثة وقال ابن عباس والحسن وقتادة

الاية عامة وتقرر الحكم بها برهة ونسخ منها كل من يرث بآية الفرائض وفي هذه العبارة يدخل قول ابن عباس والحسن وغيرهما انه نسخ منها الوالدين وثبت الاقربون الذين لا يرثون وبين ان اية الفرائض التي في سورة النساء ناسخة لهذه للحديث المتواتر ان الله قد اعطا كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وقال ابن عمر وابن عباس ايضا وابن زيد الاية كلها منسوخة وبقيت الوصية ندبا ونحو هذا قول مالك رحمه الله وقال الربيع بن خيثم وغيره لا وصية وقال عروة بن ثابت للربيع بن خيثم اوص لي بمصحفك فنظر الربيع الى ولده وقرأ واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ونحو هذا صنع ابن عمر رضي الله عنه وقال بعض اهل العلم ان الناسخ لهذه الاية هي السنة المتواترة في الحديث المذكور قبل وقد تقدم توجيه نسخ السنة للكتاب في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من اية وقال قوم من العلماء الوصية للقرابة اولى فان كانت لاجنبي فمعهم ولا تجوز لغيرهم مع تركهم وقال الناس حين مات ابو العالية عجبا له اعتقته امرأة من رياح واوصى بماله لبني هاشم وقال الشعبي لم يكن ذلك له ولا كرامة وقال طاوس اذا اوصى لغير قرابته ردت الوصية الى قرابته وينقض فعله وقال جابر بن زيد وقال الحسن وجابر بن زيد ايضا وعبد الملك بن يعلى تبقى ثلث الوصية حيث جعلها ويرد ثلثاها الى قرابته وقال مالك رحمه الله وجماعة من العلماء الوصية ماضية حيث ما جعلها الميت والاقربون جمع اقرب وبالمعروف معناه بالقصد الذي تعرفه النفوس دون اضرار بالورثة ولا تبذير للوصية وحقا مصدر مؤكد وخص المتقون بالذكر تشريفا للرتبة ليتبادر الناس اليها

قوله عز وجل فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون ن الضمير في بدله عايد على الايصا وامر الميت وكذلك في سمعه ويحتمل ان يعود الذي في سمعه على امر الله تعالى في هذه الاية والقول الاول اسبق للناظر لكن في ضمنه ان يكون المبدل عالما بالنهي عامدا بخلافه والضمير في اثمه عايد على التبديل وسميع عليم صفتان لا يخفى معهما شي من جنف الموصين وتبديل المتعدين وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم من موص بفتح الواو وتشديد الصاد وقرأ الباقون بسكون الواو والجنف الميل وقال الاعشى تجانف عن حجر اليمامة ناقتي وما قصدت من اهلها لسوائكا وقال عامر الرام الخضري المحاربي ن هم المولى وقد جنفوا علينا وانا من عداوتهم لزور ومعنى الاية على ما قال مجاهد من خشي ان يجنف الموصي ويقطع ميراث طائفة ويتعمد الاذاية او ياتيها دون تعمد وذلك هو الجنف دون اثم واذا تعمد فهو الجنف في اثم فالمعنى من وعظه في ذلك ورده عنه فصلح ذلك ما بينه وبين ورثته وما بين الورثة في ذاتهم فلا اثم عليه ان الله غفور للموصي اذا عملت فيه الموعظة ورجع عما اراد من الاذاية رحيم به قال ابن عباس رضي الله عنه وقتادة والربيع معنى الاية من خاف اي علم ورأى واتى علمه عليه بعد موت الموصي ان الموصي خاف وجنف وتعمد اذاية بعض ورثته فاصلح ما وقع بين الورثة من الاضطراب والشقاق فلا اثم عليه لا يلحقه اثم المبدل المذكور وان كان في فعله تبديل ما ولا بد ولكنه تبديل لمصلحة والتبديل الذي فيه الاثم انما هو تبديل الهوى وقرأ عبد الله بن عمر فلا اثم عليه بحذف الالف وكتب معناه فرض والصيام في اللغة الامساك وترك التنقل من حال الى حال ومنه قول النابغة خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما اي خيل ثابتة ممسكة ومنه قول الله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي امساكا عن الكلام ومنه قول امرئ القيس كأن الثريا علقت في مصامها اي في موضع ثبوتها وامساكها ومنه قوله فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا اي وقفت الشمس عن الانتقال وثبتت والصيام في الشرع امساك عن الطعام والشراب مقترنة به قرائن من مراعاة اوقات وغير ذلك فهو من مجمل القران في قول الحذاق والكاف في قوله كما في موضع نصب على النعت تقديره كتابا كما او صوما كما او على الحال كأن الكلام كتب عليكم الصيام مشبها ما كتب على الذين من قبلكم قال بعض النحاة الكاف في موضع رفع على النعت للصيام اذ ليس تعريفه بمحض لمكان الاجمال الذي فيه مما فسرته الشريعة فلذلك جاز نعته بكما اذ لا ينعت بها الا النكرات فهو بمنزلة كتب عليكم صيام وقد ضعف هذا القول واختلف المتأولون في موضع التشبيه فقال الشعبي وغيره المعنى كتب عليكم رمضان كما كتب على النصارى قال فانهم كتب عليهم رمضان فتركوه لانهم اختلطوا له بزيادة يوم في اوله ويوم في اخره قرنا بعد قرن حتى بلغوه خمسين يوما فصعب

عليهم

عليهم في الحر فنقلوه الى الفصل الشمسي قال النقاش وفي ذلك حديث عن دغفل بن حنظلة والحسن البصري والسدي وقيل مرض ملك من ملوكهم فنذر ان برئ ان يزيد فيه عشرة ايام ثم اخر سبعة ثم اخر ثلاثة ورأوا ان الزيادة فيه حسنة بازاء الخطأ في نقله وقال السدي والربيع والتشبيه هو اي من الافطار الى مثله لا ياكل ولا يشرب ولا يطأ فاذا حان الافطار فلا يفعل هذه الاشياء من نام وكذلك كان في النصارى اولا وكان في اول الاسلام ثم نسخه الله بسبب عمر بن الخطاب وقيس بن صرمة رضي الله عنهما بما ياتي من الايات في ذلك وقال عطا التشبيه كتب عليكم الصيام ثلاثة ايام من كل شهر قال الفقيه الامام وفي بعض الطرق ويوم عاشوراء ثم نسخ هذا في هذه الامة بشهر رمضان وقالت فرقة التشبيه كتب عليكم الصيام بالطلاق اي قد تقدم في شرع غيركم فالذين عام في النصارى وغيرهم ولعلكم ترج في حقهم وتتقون قال السدي معناه تتقون الاكل والشرب والوطء بعد النوم على قول من تاول ذلك وقيل تتقون على العموم لان الصيام كما قال عليه السلام جنة ووجاء وسبب تقوى لانه يميت الشهوات واياما مفعول ثان بكتب قاله الفراء وقيل هي نصب على الظرف وقيل نصبها بالصيام وهذا لا يحسن الا على ان يعمل الصيام في الكاف من كما على قول من قدر صوما كما واذا لم يعمل في الكاف صح الفصل بين المصدر وما عمل فيه غيره وذلك اذا كان العامل في الكاف كتب ويجوز بعضهم ان يكون اياما ظرفا يعمل فيه الصيام ومعدودات قيل رمضان وقيل الثلاثة الايام وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر التقدير فافطر فعدة من ايام اخر وهذا يسمونه فحوى الخطاب واختلف العلماء في حد المرض الذي يقع به الفطر فقال قوم متى حصل الانسان في حال يستحق بها اسم المرض صح الفطر قياسا على المسافر انه يفطر لعلة السفر وان لم تدع الى الفطر ضرورة وقاله ابن سيرين وقال جمهور من العلماء اذا كان به مرض يؤذيه ويؤلمه او يخاف من الصوم تزيده صح له الفطر وهذا مذهب حذاق اصحاب مالك وبه يناظرون واما لفظ مالك وهو المرض الذي يشق على المرء ويبلغ به وقال الحسن اذا لم يقدر من المرض على الصلوة قائما افطر وقالت فرقة لا يفطر بالمرض الا من دعته ضرورة المرض نفسه الى الفطر ومتى احتمل الضرورة معه لم يفطر وهذا قول الشافعي رحمه الله واختلف العلماء في الافضل من الفطر والصوم في السفر فقال قوم و الشافعي ومالك في بعض ما روي عنه الصوم افضل لمن قوي وجل مذهب مالك التخيير وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما الفطر افضل وقال مجاهد وعمر بن عبد العزيز وغيرهما ايسرهما افضلهما وكره ابن حنبل وغيره الصوم في السفر وقال ابن عمر من صام في السفر قضى في الحضر وهو مذهب عمر رضي الله عنه و مذهب مالك في استحباب الصوم لمن قدر عليه وتقصير الصلوة حسن لان الذمة تبرا في رخصة الصلوة وهي مشغولة في امر الصيام والصواب المبادرة بالاعمال وقال ابن عباس رضي الله عنه الفطر في السفر عزمة وذهب انس بن مالك الى الصوم وقال انما نزلت الرخصة ونحن جياع نروح الى جوع والسفر سفر الطاعة كالحج والجهاد باجماع ويتصل بهذين سفر صلة الرحم وطلب المعاش الضروري واما سفر التجارة والمباحات فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالجواز ارجح واما سفر المعاصي فمختلف فيه بالجواز والمنع والقول بالجواز ارجح ومسافة سفر الفطر عند مالك حيث يقصر الصلوة واختلف في قدر ذلك فقال مالك يوم وليلة ثم رجع فقال ثمانية واربعون ميلا وروي عنه يومان وروي عنه في العتبية خمسة وثلاثون يوما وفيه ثلاثون وقال ابن عمر وابن عباس والثوري الفطر في السفر ثلاثة ايام وفي غير المذهب يقصر في ثلاثة اميال فصاعدا وقوله تعالى فعدة مرفوع على خبر الابتداء تقديره فالحكم او فالواجب عدة ويصح ان يرتفع على ابتداء والخبر بعده والتقدير فعدة امثل له ويصح فعليه عدة واختلف في وجوب تتابعها على قولين واخر لا ينصرف عند سيبويه لانه معدول عن الالف واللام لان هذا البناء انما ياتي بالالف واللام كما يقول الفضل والكبر فاجتمع فيه العدل والصفة وجاء في الاية أُخَر ولم يجي اخرى لئلا يشكل بانها صفة للعدة والباب ان جمع ما لا يعقل يجري مثل هذا المجرى الواحدة المؤنثة ومنه قوله تعالى يا جبال اوبي معه الى غير ذلك وقرأ جمهور الناس يطيقونه بكسر الطاء وسكون الياء والاصل يطوقونه نقلت حركة الواو الى الطاء وقلبت ياء لانكسار ما قبلها وقرأ حميد يطوقونه وذلك على الاصل والقياس الاعلال وقرأ ابن عباس يطوقونه بمعنى يكلفونه وقرأت عائشة وطاوس وعمرو بن دينار يطوقونه بفتح الياء وشد الطاء مفتوحة وقرأت فرقة يطيقونه بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الياء المفتوحة بمعنى يتكلفونه وحكاها النقاش عن عكرمة وتشديد الياء في هذه اللفظة ضعيف

وقرأ نافع وابن عامر من طريق ابن ذكوان فدية طعام مساكين باضافة الفدية وقرأها هشام عن ابن عامر
فدية طعام مساكين بتنوين الفدية وقرأ الباقون فدية بالتنوين طعام مسكين بالافراد وهي قراءة
حسنة لا يثبت الحكم في اليوم وجمع مساكين لا يدرى كم منهم في اليوم الا من غير الاية قال ابو علي
فان قلت كيف افردوا المسكين والمعنى على الكثرة لان الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه
مسكين فكان الوجه ان يجمعوا كما جمع المطيقون فالجواب ان الافراد حسن لانه لا يفهم بالمعنى
ان لكل واحد مسكين ونظير هذا قوله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء
فاجلدوهم ثمانين جلدة فليست الثمانون معرفة في جميعهم بل لكل واحد ثمانون واختلف المتاولون
في المراد بالاية فقال معاذ بن جبل وعلقمة والنخعي والحسن البصري وابن عمر والشعبي وسلمة
ابن الاكوع وابن شهاب كان فرض الصيام هكذا على كل الناس من اراد صام ومن اراد اطعم
مسكينا وافطر ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقالت فرقة وعلى الذين يطيقونه
اي على الشيوخ والعجز الذين يطيقون لكن بتكلف شديد فاباح الله لهم الفدية والفطر فهي محكمة
عند قائلي هذا القول وعلى هذا التاويل يجيء قراءة يطوقونه وقال ابن عباس نزلت هذه الاية
رخصة للشيوخ والعجز خاصة اذا افطروا وهم يطيقون الصوم ثم نسخت بقوله تعالى
فمن شهد منكم الشهر فليصمه فزالت الرخصة الا من عجز منهم وقال السدي وعلى الذين يطيقونه
اي على الذي كانوا يطيقونه وهم بحال الشباب ثم استحالوا بالشيوخ فلا يستطيعون الصوم
وهي عنده محكمة ويلزم الشيخ عنده الفدية اذا افطروا ونحوه عن ابن عباس وقال مالك لا ارى
الفدية على الشيخ الضعيف واجبة واستحب لمن قدر عليها والاية عنده انما هي فيمن يدركه رمضان
وعليه صوم من المتقدم فقد كان يطيق في تلك المرأة الصوم فتركه فعليه الفدية وقال الشافعي
وابو حنيفة على الشيخ العاجز الاطعام وحكى الطبري عن عكرمة انه كان يقرأها وعلى الذين
يطيقونه فافطروا وهو مذهب مالك رحمه الله وجماعة من العلماء ان قدر الفدية مد لكل
مسكين وقال قوم قوت يوم وقال قوم عشاء وسحور وقال سفيان الثوري نصف صاع من قمح
وصاع من تمر او زبيب والضمير في يطيقونه عائد على الصيام وقيل على الطعام وهو قول ضعيف
واختلف في الحامل فقال ابن عمر وابن عباس تفدي وتفطر ولا قضاء عليها وقال الحسن وعطاء
والضحاك والزهري وربيعة ومالك تقضي الحامل اذا افطرت ولا فدية عليها وقال الشافعي
واحمد بن حنبل ومجاهد تقضي وتفتدي اذا افطرت وكذلك قال مالك في المرضع انها اذا افطرت
تقضي وتفتدي هذا هو المشهور عنه وقال محمد بن عبد الحكم لا اطعام على المرضع وقوله
تعالى فمن تطوع خيرا فهو خير له الاية قال ابن عباس وعطاء وطاوس والسدي المراد من
اطعم مسكينا فصاعدا وقال ابن شهاب من زاد الاطعام مع الصوم وقال مجاهد من زاد
في الاطعام على المد وخير الثاني صفة تفضيل وكذلك الثالث وخير الاول قد نزل منزلة
مالا ونفعا وقرأ ابي بن كعب فالصوم خير لكم بدل وان تصوموا وقوله تعالى ان كنتم
تعلمون يقتضي الحض على الصوم اي فاعلموا ذلك وصوموا ن وقوله تعالى شهر رمضان
الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم
الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ن الشهر مشتق من الاشتهار لانه مشتهر لا
يتعذر على احد رؤيته علمه ورمضان علم هذا الاسم من مدة كان فيها في الرمض
وشدة الحر وكان اسمه قبل ذلك ناتقا كما سمي ربيع في مدة الربع وجمادى لخمدة الجمود
وكره مجاهد ان يقال رمضان دون ان يقال شهر رمضان كما قال تعالى وقال العلماء
رمضان اسم من اسماء الله تعالى وقرأ جمهور الناس شهر بالرفع ووجهه خبر ابتداء
اي ذلكم شهر وقيل بدل من الصيام وقيل على الابتداء وخبره الذي انزل فيه القران
وقيل ابتداء وخبره فمن شهد والذي انزل نعت له فمن قال ان الصيام في قوله كتب عليكم
الصيام هي ثلاثة ايام وعاشوراء قاله هنا بالابتداء ومن قال ان الصيام هنا لك
فهو رمضان وهو الايام المعدودة قال هنا بخبر الابتداء وبالبدل من الصيام وقرأ
مجاهد وشهر بن حوشب شهر رمضان بالنصب ورواها ابو عمارة عن حفص عن عاصم
ورواها هرون عن ابي عمرو وهي على الاغراء وقيل هي نصب على الظرف وقرأت فرقة بادغام
الراء في الراء وذلك لا يقتضيه الاصول لاجتماع الساكنين فيه واختلف في انزال القران

فيه

فيه فقال الضحاك انزل فرضه وتعظيمه والحض عليه نزل بنزوله فيه على النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابن عباس فيما تأثر انزل الى سماء الدنيا جملة واحدة ليلة اربع وعشرين من رمضان
ثم كان جبريل ينزله رسلا رسلا في الاوامر والنواهي والاسباب وروى واثلة بن
الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من شهر
رمضان والتوراة لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين وترك
ابن كثير همز القران مع التعريف والتنكير حيث وقع وقد قيل ان اشتقاقه على هذه القراءة من
وذلك ضعيف وهدى في موضع نصب على الحال من القران فالمراد ان القران بجملته من محكم
ومتشابه وناسخ ومنسوخ هدى ثم شرف بالذكر والتخصيص البينات منه يعني الحلال والحرام
والمواعظ والمحكم كله فالالف واللام في الهدى للعهد والمراد الاول والفرقان المفرق بين الحق
والباطل وشهد بمعنى حضر والشهر نصب على الظرف والتقدير من حضر المصر في الشهر وقرأ الحسن
وعيسى الثقفي والزهري وابو عبد الرحمن السلمي وابو حيوة فليصمه بتحريك اللام وكذلك قرؤا لام
الامر في جميع القران على اصلها الذي هو الكسر وقال علي بن ابي طالب وابن عباس وعبيدة السلماني
من شهد اي من حضر دخول الشهر وكان مقيما في اوله فليكمل صيامه سافر بعد ذلك او اقام وانما
يفطر في السفر من دخل عليه رمضان وقال جمهور الامة من شهد اول الشهر او آخره فليصم ما دام
مقيما وقال ابو حنيفة واصحابه من شهد الشهر بسقوط التكليف غير مجنون ولا مغمى عليه فليصمه
ومن دخل عليه رمضان وهو مجنون وتمادى به طول الشهر ولا قضاء عليه لانه لم يشهد الشهر
بصفة تجب فيها الصيام ومن جن اول الشهر او آخره فانه يقضي ايام جنونه قال الفقيه الامام
ونصب الشهر على هذا التاويل هو المفعول الصريح بشهد وقوله تعالى او على سفر هو بمنزلة او مسافرا
فلذلك عطف على اسم وقرأ ابو جعفر بن القعقاع ويحيى بن وثاب وابن هرمز وعيسى بن عمر اليسر
والعسر بضم والجمهور بسكونها وقال مجاهد والضحاك بن مزاحم اليسر الفطر والعسر الصوم
في السفر قال الفقيه الامام والوجه عموم اللفظ في جميع امور الدين وقد فسر ذلك قول النبي صلى الله
عليه وسلم دين الله يسر وقوله تعالى ولتكملوا العدة معناه وليكمل من افطر في سفره او في مرضه
عدة الايام التي افطر فيها وقرأ ابو بكر عن عاصم وابو عمرو في بعض ما روي عنه ولتكملوا بتشديد
الميم وقد روي عنهما التخفيف كالجماعة وهذه اللام متعلقة اما بيريد فهي اللام الداخلة على
المفعول كالتي في قولك ضربت لزيد المعنى ويريد اكمال العدة وهي مع الفعل مقدرة بان كان الكلام ويريد
لان تكملوا هذا قول البصريين ونحوه قول كثير يريد لانسى ذكرها واما بفعل مضمر بعد
تقديره ولان تكملوا العدة رخص لكم هذه الرخصة وهذا قول بعض الكوفيين ويحتمل ان يكون هذه
اللام لام الامر والواو عاطفة جملة كلام على جملة كلام قوله تعالى ولتكبروا الله حض على التكبير
في آخر رمضان واختلف الناس في حده فقال ابن عباس يكبر المرء من رؤية الهلال الى انقضاء الخطبة
ويمسك وقت خروج الامام ويكبر بتكبيره وقال قوم يكبر من رؤية الهلال الى خروج الامام الى الصلوة
وقال سفيان هو التكبير يوم الفطر وقال مالك هو من حين يخرج الرجل من منزله الى ان يخرج الامام
ولفظه عند مالك وجماعة من العلماء الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلاثا ومن العلماء من يكبر ويهلل
ويسبح اثناء التكبير ومنهم من يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
وقد قيل غير هذا والجميع حسن واسع مع البداءة بالتكبير وهداكم قيل المراد لما ضل فيه النصارى
من تبديل صيامهم وتعميم الهدى جيد ولعلكم تشكرون ترج في حق البشر اي على نعمة الله في الهدى وقوله
تعالى واذا سالك عبادي الاية قال الحسن ابن ابي الحسن سببها ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت وقال عطاء لما نزلت وقال ربكم ادعوني استجب لكم
قال قوم في اي ساعة ندعوا فنزلت واذا سالك عبادي عني فاني قريب وقال مجاهد بل قالوا الى اين
ندعوا فنزلت هذه وقال قتادة بل قالوا كيف ندعوا فنزلت واذا سالك وروي ان المشركين قالوا
لما نزل فاني قريب كيف يكون قريبا من بيننا وبينه على قولك سبع سموات في غلظ كل سما خمسمائة عام
وفيما بين كل سما مثل ذلك فنزلت اجيب دعوة الداعي اذا دعان اي فاني قريب بالاجابة والقدرة
وقال قوم المعنى اجيب ان شئت وقال قوم ان الله يجيب كل الدعا فاما ان يظهر الاجابة في الدنيا
واما ان يكفر عنه واما ان يدخر له اجر في الآخرة وهذا بحسب حديث الموطأ ما من داع
يدعوا الا كان بين احدى ثلاث الحديث وهذا اذا كان الدعا على ما يجب دون اعتداء فان
الاعتداء في الدعا ممنوع قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قال
المفسرون اي في الدعا والوصف بمجاب الدعوة وصف بحسن النظر والبعد عن الاعتداء
والتوفيق من الله تعالى الى الدعا في مقدور وانظر الى افضل البشر المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم

قد دعا ان لا يجعل باس امته بينهم فنفعها اذ كان المقدور وقد سبق بغير ذلك وقوله تعالى فليستجيبوا لي
قال ابو رجاء الخراساني فليدعوا لي قال الفقيه الامام المعنى فليطلبوا ان اجيبهم وهذا هو باب
استفعل اي طلب الشي الا ما شذ مثل استغنى الله وقال مجاهد وغيره المعنى فليجيبوا لي فيما
دعوتهم اليه من الايمان اي بالطاعة والعمل ويقال اجاب واستجاب بمعنى ومنه قول الشاعر
وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اي ان لم يجبه وقوله تعالى وليؤمنوا بي
قال ابو رجاء ان اجيب دعاءهم وقال غيره بل ذلك دعاء الى الايمان بجملته وقرا الجمهور يرشدون
بفتح اليا وضم الشين وقرا بضم يرشدون وقرا قوم بضم اليا وفتح الشين وروى ابن ابي عبلة
وابو حيوة بفتح اليا وكسر الشين باختلاف عنهما قرا هذه والتي قبلها ن قوله عز وجل
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم
يتقون ن لفظة احل يقتضي انه كان محرما قبل ذلك وليلة منصوب على الظرف وهي اسم جنس
فكذلك افرد ونحوه قول عامر الرام الحضرمي المحاربي هم المولى وقد جنفوا علينا وانا من
عداوتهم لزور والرفث كناية عن الجماع لان الله تعالى كريم يكني قاله ابن عباس والسدى
وقرا ابن مسعود الرفوث والرفث في غير هذا ما فحش من القول ومنه قول الشاعر عن اللغا
ورفث التكلم وقال ابو اسحق الرفث كل ما ياتيه الرجل مع المراة من قبل ولمس وجماع قال
الفقيه الامام او كلام في هذه المعاني ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت
فلم يرفث ولم يفسق خرج من خطاياه كيوم ولدته امه وسبب الاية فيما قاله ابن عباس
وغيره وجماعة من المسلمين اختانوا انفسهم واصابوا النساء بعد النوم او بعد صلوة
العشاء على الخلاف فمنهم عمر بن الخطاب جاء الى امراته فارادها فقالت له قد نمت
فظن انها تعتل بذلك فوقع بها ثم تحقق انها قد نامت وكان الوطي بعد نوم احدهما
ممتنعا وقال السدى جرى له هذا في جارية له قالوا فذهب عمر فاعتذر عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجرى نحو هذا لكعب بن مالك الانصاري فنزل صدر الاية فيهم
قال الفقيه الامام فهي ناسخة للحكم المتعذر في منع الوطي بعد النوم وحكى النحاس ومكي ان عمر نام
ثم وقع بامراته وهذا عندي بعيد على عمر رضي الله عنه وروى ان صرمة بن قيس ويقال الصرمة
ابن مالك ويقال ابو انس قيس ابن صرمة نام قبل الاكل فبقي كذلك دون اكل حتى غشي عليه في نهاره
المقبل فنزل فيه من قوله تعالى وكلوا واشربوا واللباس اصله في الثياب ثم شبه التباس الرجل بالمراة
وامتزاجهما والتزامهما بذلك كما قال النابغة الجعدي اذا ما الضجيع ثنى جيدها تداعت فكانت
عليه لباسا وقال النابغة ايضا لبست اناسا فافنيتهم وافنيت بعد اناس اناسا فشبه
خلطته لهم باللباس مجاهد المجاز في تفسير اللباس الربيع وغيره وقال مجاهد والسدى لباس سكن
يسكن بعضهم الى بعض وانما سميت هذه الافعال احسابا لعاقبة المعصية وجزائها فراكبها
يخون نفسه ويوذيها وتاب عليكم معناه من المعصية التي واقعتموها وعفا عنكم يحتمل ان يريد
عن المعصية بعينها فيكون ذلك تاكيدا وانسا بزيادة على التوبة ويحتمل ان يريد عفا عما كان
الزمكم من اجتناب النساء فيما يوتنف بمعنى تركه لكم كما يقول شي معفو عنه اي متروك وقال ابن
عباس باشروهن كناية عن الجماع ماخوذ من البشرة وقد ذكرنا اللفظة الان فيما مضى في قصة البقرة
وابتغوا ما كتب الله لكم قال ابن عباس ومجاهد والحكم بن عيينة وعكرمة والحسن والسدى والربيع
والضحاك معناه ابتغوا الولد وروي ايضا عن ابن عباس وغيره ان المعنى وابتغوا ليلة القدر و
قيل المعنى ابتغوا الرخصة والتوسعة قاله قتادة وهو قول الحسن وقرا الحسن فيما روي عنه ومعاوية
ابن قرة واتبعوا من الاتباع وجوزها ابن عباس ورجح ابتغوا من الابتغاء وكلوا واشربوا حتى
يتبين نزلت بسبب صرمة بن قيس وحتى غاية للتبيين ولا يصح ان يقع التبيين لاحد ويحرم
عليه الاكل الا وقد مضى لطلوع الفجر قدر والخيط استعارة وتشبيه لرقة البياض ولاول رقة
السواد الحاف به ومن ذلك قول ابي داود فلما يصرن له غدوة ولاح من الفجر خيط انارا
ويروى قتادا وقال بعض المفسرين الخيط اللون وهذا لا يطرد لغة والمراد فيما قال جميع العلماء
بياض النهار وسواد الليل وهي نص قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في حديثه
المشهور ومن الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والفجر ماخوذ من تفجر الماء لانه يتفجر شيئا
بعد شي وروي عن سهل بن سعد وغيره من الصحابة ان الاية نزلت الا قوله من الفجر فصنع بعض

الناس

الناس خيطين ابيض واسود فنزل قوله تعالى من الفجر وروي انه كان بين طرفي المدة عام قال الفقيه الامام
من رمضان الى رمضان تاخر البيان الى وقت الحاجة وعدي بن حاتم جعل خيطين على وسادة واخبر النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له ان وسادك لعريض وروي انه قال له انك لعريض القفا ولهذه الالفاظ
تاويلات واختلف في الحد الذي بتبينه يجب الامساك فقال الجمهور وبه اخذ الناس ومضت
عليه الامصار والاعصار ووردت به الاحاديث الصحاح ذلك الفجر المعترض الاخذ في الافق يمنة
ويسرة فبطلوع اوله في الافق يجب الامساك وهو مقتضى حديث ابن مسعود وسمرة بن جندب
وروي عن عثمان بن عفان وحذيفة بن اليمان وابن عباس وطلق بن علي وعطا ابن ابي رباح و
والاعمش وغيرهم ان الامساك يجب بتبيين الفجر في الطرق وعلى رؤس الجبال وذكر عن حذيفة
انه قال تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو النهار الا ان الشمس لم تطلع و
روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه صلى الصبح بالناس ثم قال الان تبين الخيط الابيض
من الخيط الاسود قال الطبري ومما قادهم الى هذا القول انهم يرون ان الصوم انما هو
في النهار والنهار عندهم من طلوع الشمس لان اخره مغربها وكذلك اوله طلوعها
وحكى النقاش عن الخليل ابن احمد ان النهار من طلوع الفجر ويدل على ذلك قول الله تعالى
اقم الصلوة طرفي النهار قال الفقيه الامام والقول في نفسه صحيح وقد ذكرت حجته في
تفسير قوله تعالى واختلاف الليل والنهار وفي الاستدلال بهذه الاية نظر ومن اكله وهو
يشك هل طلع الفجر او لم يطلع فعليه عند مالك القضا وقوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل امر يقتضي الوجوب والى غاية واذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها
فهو داخل في كله كقولك اشتريت الفدان الى حاشيته واذا كان من غير جنسه كما
تقول اشتريت الفدان الى الدار لم يدخل في المحدود ما بعد الى ورات عايشة
رضي الله عنها ان قوله الى الليل يقتضي النهي عن الوصال وقد واصل النبي صلى الله
عليه وسلم ونهى الناس عن الوصال وقد واصل جماعة من العلماء وقد تقدم ان هذه الاية
نسخت الحكم الذي في قوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم على قول من راى التشبيه في الامتناع
من الوطي والاكل بعد النوم في قول بعضهم وبعد صلوة العشاء في قول بعضهم والليل
الذي يتم به الصيام مغيب قرص الشمس فمن افطر وهو شاك فالمشهور من المذهب ان
عليه القضا وفي ثمانية الى زيد عليه القضا فقط قياسا على الشاك في الفجر وهو قول جماعة
من العلماء وقال اسحق والحسن لا قضا عليه كالناسي عنده وقوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد قالت فرقة المعنى لا تجامعوهن وقال الجمهور ذلك تقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من
النساء وعاكفون ملازمون يقال عكف على الشي اذا لازمه مقبلا عليه قال الراجز عكف النبط
يلعبون الفنزجا وقال الشاعر وظل بنات الليل حولي عكفا عكوف البواكي بينهن صريع وقال ابو
عمرو وابو حاتم قرا قتادة عكفون بغير الف والاعتكاف سنة وقرا الاعمش في المسجد بالافراد
وقال هو المسجد الحرام قال مالك رحمه الله وجماعة معه لا اعتكاف الا في مساجد الجمعات وروي
عن مالك ايضا ان ذلك في كل مسجد ويخرج الى الجمعة كما يخرج الى ضروري اشغاله وقال قوم لا اعتكاف
الا في احد المساجد الثلاثة التي تشد المطي اليها حسب الحديث في ذلك وقالت فرقة لا اعتكاف
الا في مسجد نبي قال مالك لا يعتكف اقل من يوم وليلة ومن نذر احدهما لزمه الاخر وقال سحنون من نذر
اعتكاف ليلة لم يلزمه شي وقالت طائفة انهما نذر اعتكفه ولم يلزمه اكثر وقال مالك لا اعتكاف
الا بصوم وقال غيره يعتكف بغير صوم وروي عن عايشة رضي الله عنها انه يعتكف في غير مسجد
وتلك اشارة الى هذه الاوامر والنواهي والحدود الحواجز بين الاباحة والحظر ومنه قيل للبواب
حداد لانه يمنع ومنه للحاد لانها تمتنع الزينة والايات العلامات الهادية الى الحق ولعلهم
ترج في حقهم وظاهر ذلك عموم ومعناه خصوص فيمن يسره الله للهدى بدلالة الايات التي تتضمن
ان الله يضل من يشاء قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا
فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ن
الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض فاضيف الاموال الى ضمير
المنهي لما كان كل احد منهيا ومنهيا عنه وكما قال تقتلون انفسكم وتدخل في هذه الاية القمار
والخدع والغصوب وجحد الحقوق وغير ذلك ولا يدخل فيه الغبن في البيع مع معرفة البايع
بحقيقة ما يبيع لان الغبن كانه وهبة وقال قوم المراد بالاية ولا تاكلوا اموالكم بينكم

بالباطل اى فى الملاهى والقيان والشراب والبطالة فيجئ على هذا اضافة المال الى ضميرى المالكين
وقوله تعالى وتدلوا بها يقال ادلى الرجل بحجته او بالامر الذى يرجو النجاح به تشبيها بالذى يرسل
الدلو فى البير يرجو بها الما قال قوم معنى الاية يسارعون فى الاموال الى المخاصمة اذا علمتم
ان الحجة تقوم لكم اما بان لا يكون على الجاحد بينة او يكون مال امانة كاليتيم ونحوه مما يكون
القول فيه قوله فالبا فى بها باء التسبب وقيل معنى الاية ترشوا بها على اكل اكثر منها
فالبا الزاق مجرد وهذا القول يترجح لان الحكام مظنة الرشا الا من عصم وهو الاقل
وايضا فان اللفظتين متناسبتان تدلوا من ارسال الدلو والرشوة من الرشا كانه
يمد بها ليقتضى الحاجة وتدلوا فى موضع جزم عطفا على تاكلوا وفى مصحف ابى ولا تدلوا بتكرار
حرف النهى وهذه القراة تؤيد جزم تدلوا فى قراة الجماعة وقيل تدلوا فى موضع نصب على الظرف وهذا مذهب
كوفى ان معنى الظرف هو الناصب والذى ينصب فى مثل هذا عند سيبويه ان مضمرة والفريق القطعة
والجزو بالاثم معناه بالظلم والتعدى وسمى ذلك اثما لما كان الاثم معنى يتعلق بفاعله وانتم تعلمون
اى انتم مبطلون اثمون وهذه مبالغة فى المعصية والجراه وقوله تعالى يسالونك عن الاهلة قال
ابن عباس وقتاده والربيع وغيرهم نزلت على سوال قوم من المسلمين النبى صلى الله عليه وسلم عن الهلال
وما فائدة محاقه وكماله ومخالفته لحال الشمس وجمع الاهلة وهو واحد فى الحقيقة من حيث كونه
هلالا واحدا فى شهر غير كونه هلالا فى اخر فانما جمع احواله من الهلال ليه والهلال ليلتان لا خلاف ثم يقمر وقيل
ثلاث وقال الاصمعى هو هلال حتى يحجر ويستدير له كالخيط الرقيق وقيل هو هلال حتى يبهر بضوءه السماء
وذلك ليلة سبع وقوله مواقيت معناه لمحل الديون وانقضا العدد والاكرية وما اشبه هذا من
مصالح العباد ومواقيت للحج ايضا تعرف بها وقته واشهره ومواقيت جمع لا ينصرف لانه لا نظير له
فى الاحاد فهو جمع ونهاية جمع اذ ليس يجمع وقرا ابن ابى اسحق والحج بكسر الحا فى جميع القران وفى قوله تعالى حج
البيت فى ال عمران قال سيبويه الحج كالذكر والشد والحج كالذكر فهما مصدران بمعنى وقيل الفتح مصدر
والكسر الاسم وقوله تعالى فليس البر الاية قال البرا بن عازب والزهرى وقتاده سببها ان الانصار
كانوا اذا حجوا او اعتمروا يلتزمون تشرعا لا يحول بينهم وبين السماء حايل فكانوا يتسنمون ظهور
بيوتهم على الجدرات وقيل كانوا يجعلون فى ظهور بيوتهم فتوحا ويدخلون منها ولا يدخلون من الابواب
وقيل غير هذا مما يشبهه فاختصرته فجاء رجل منهم فدخل من باب بيته فعير بذلك فنزلت الاية فيه
وقال ابراهيم كان يفعل ما ذكر فيهم قوم من اهل الحجاز وقال السدى ناس من العرب وهم الذين
يسمون الحمس قال فدخل النبى صلى الله عليه وسلم بابا ومعه رجل منهم فوقف ذلك الرجل وقال
انى احمس فقال النبى صلى الله عليه وسلم وانا احمس ونزلت الاية وروى الربيع ان النبى صلى الله عليه وسلم
دخل وخلفه رجل انصارى فدخل وخرق عادة قومه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم دخلت وانت
قد احرمت قال دخلت انت فدخلت بدخولك فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى احمس اى من قوم لا يدينون
بذلك فقال الرجل وانا دينى دينك فنزلت الاية وقال ابو عبيدة ضرب مثل المعنى ليس البر ان تسالوا
الجهال ولكن اتقوا واسالوا العلماء فهو كما يقال اتيت هذا الامر من بابه وقال غير ابى عبيدة المعنى
ليس البر ان تشذوا فى الاسوله عن الاهلة وغيرها فتاتون الامور على غير ما يجب قال القاضى
ابو محمد وهذا يحتمل والاول اسد واما ما حكاه المهدوى ومكى عن ابن الانبارى من ان الاية مثل
فى جماع النسا فبعيد مغير نمط الكلام وقرا ابن كثير وابن عامر والكساى ونافع بخلاف عنه البيوت
بكسر البا وقرا بعض القرا ولكن البر بتشديد نون لكن ونصب البر وقد تقدم القول على من فى قوله من امن بالله
واتقوا معناه واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية ولعلكم ترج فى حق البشر والفلاح درك البغية
وقوله تعالى وقاتلوا فى سبيل الله الاية هى اول اية نزلت فى الامر بالقتال قال ابن زيد والربيع معناها
قاتلوا من قاتلكم وكفوا عمن كف عنكم ولا تعتدوا فى قتال من لم يقاتلكم وهذه الموادعة منسوخة باية
براة وبقوله قاتلوا المشركين كافة وقال ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد معنى الاية قاتلوا الذين هم
بحاله من يقاتلكم ولا تعتدوا فى قتل النسا والصبيان والرهبان وشبههم فهى محكمة على هذا القول
وقال قوم المعنى لا تعتدوا فى القتال لغير وجه الله كالحمية وكسب الذكر ن وقوله تعالى واقتلوهم
حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم و
قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام
بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله مع المتقين ن قال ابن عباس وغيره نزلت هذه الاية فى شان عمرو بن الحضرمى
وواقد وهى سرية عبد الله بن جحش وثقفتموهم معناه احكمتم غلبتهم ولقيتموهم قادرين

فمن اعتدا عليكم فاعتدوا عليه

عليهم

عليهم يقال رجل ثقف لقف اذا كان محكما لما يتناوله من الامور واخرجوهم قال الطبرى والخطاب للمـ
لمهاجرين والضمير لكفار قريش قال الفقيه الامام بل الخطاب بجميع المؤمنين ويقال لهم اخرجوكم اذا اخرجوا
بعضهم الا جل قدر اوهم النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والفتنة اشد من القتل اى الفتنة
التى حملوكم عليها وراموكم بها على الرجوع الى الكفر اشد من القتل قال مجاهد اى من ان يقتل المؤمن فالقتل
اخف عليه من الفتنة قال غيره بل المعنى الفتنة التى فعلوا اشد فى هتك حرمات الحق من القتل الذى ابيح
لكم ايها المؤمنون ان يوقعوه بهم ويحتمل ان يكون المعنى والفتنة اى الكفر والضلال الذى هم فيه اشد
فى الحرم واعظم جرما من القتل الذى عيروكم به فى شان ابن الحضرمى وقوله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام حتى يقاتلوكم الاية قال الجمهور كان هذا ثم نسخ وامر بالقتال فى كل موضع قال الربيع نسخه وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة وقال قتاده نسخه قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقال مجاهد الاية محكمة ولا يجوز قتال احد فى المسجد الحرام الا بعد ان يقاتل وقرا حمزه والكساى
والاعمش ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم فالقتل فى الاربعة والاخراج
فى اخيرة انها فاقتلوهم انها الباقون وكذلك قوله تعالى قتل معه ربيون كثير فما وهنوا اى فما وهن الباقون
والانتها فى هذه الاية هو الدخول فى الاسلام لان عفو الله ورحمته انما تكون مع ذلك وقوله تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة امر بالقتال لكل مشرك فى كل موضع على قول من راها ناسخة ومن راها
غير ناسخة قال المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم فان قاتلوكم والاول اظهر وهو امر بقتال مطلق
لا بشرط ان يبدا الكفار دليل ذلك قوله ويكون الدين لله والفتنة هنا الشرك وما تبعه من اذا
المؤمنين قال ابن عباس وقتاده والربيع والسدى والدين هنا الطاعة والشرع وقال الاعشى
ميمون بن قيس هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال والانتهاء فى هذا الموضع
يصح مع عموم الاية فى الكفار ان يكون الدخول فى الاسلام ويصح ان يكون اذا الجزية وسمى
ما صنع بالظالمين عدوانا من حيث هو جزا عدوان اذ الظلم يتضمن العدوان والعقوبة
فسمى باسم الذنب فى غير ما موضع والظالمون هم على احد التاويلين من بدا بقتال وعلى
التاويل الاخر من بقى على كفر وفتنة وقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام الاية قال ابن عباس
ومجاهد وقتاده ومقسم والسدى والربيع والضحاك وغيرهم نزلت فى عمرة القضا عام
الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا حتى بلغ الحديبية سنة
ست فصده كفار قريش عن البيت فانصرف ووعده الله انه سيدخله عليهم فدخله سنة
سبع فنزلت الاية اى الشهر الحرام الذى غلبكم الله فيه وادخلكم الحرم عليهم بالشهر الحرام
الذى صدوكم فيه ومعنى الحرمات قصاص على هذا التاويل اى حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة
المحرمين حين صددتم بحرمة البلد والشهر والقطان حين دخلتم وقال الحسن بن ابى الحسن نزلت الاية
فى ان الكفار سالوا النبى صلى الله عليه وسلم هل تقاتل فى الشهر الحرام فاخبرهم انه لا يقاتل فيه فهموا
بالهجوم عليه فيه وقتل من معه حين طمعوا انه لا يدافع فيه فنزلت الشهر الحرام اى هو عليكم فى
الامتناع من القتل او الاستباحة بالشهر الحرام عليهم فى الوجهين فاية سلكوا فاسلكوا والحرمات على هذا
جمع حرمة عموما النفس والمال والعرض وغير ذلك فاباح الله بالاية مدافعتهم والقول الاول اكثر
وقالت فرقة قوله تعالى والحرمات قصاص مقطوع مما قبله وهو ابتدا امر كان فى اول الاسلام ان من انتهك
حرمتك نلت منه بقدر ما اعتدا عليك به ثم نسخ ذلك بالقتال وقالت طائفة ما تناول من الاية التعدى
بين امة محمد والجنايات ونحوها لم ينسخ وجاز لمن تعدى عليه فى مال او جرح ان يتعدى بمثل ما تعدى عليه
به اذا خفى عليه ذلك وليس بينه وبين الله فى ذلك شى قاله الشافعى وغيره وهى رواية فى مذهب مالك
وقالت طائفة منهم مالك عليه السلام ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وقرا الحسن بن ابى
الحسن والحرمات بسكون الرا وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم الاية اختلف فى نسخ هذه الاية حسب
ما تقدم وسمى الجزا على العدوان عدوانا كما قال تعالى الله يستهزئ بهم الى غير ذلك فاتقوا الله قيل
معناه فى ان لا تعتدوا وقيل فى ان لا تزيدوا على المثل وقال ابن عباس نزلت هذه الاية وما هو فى معناها بمكة
والاسلام لم يعز فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعز دينه امر المسلمون برفع امورهم الى الحكام
وامروا بقتال الكفار وقال مجاهد بل نزلت هذه الاية بالمدينة بعد عمرة القضا وهى من التدريج فى الامر بالقتال
قوله تعالى وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين و
اتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله
فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع
بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ن سبيل الله هنا الجهاد واللفظ يتناول بعد جميع
سبله وقال ابو عبيده وقوم البا فى قوله بايديكم زائدة التقدير تلقوا ايديكم وقال الجمهور

ذلك ضرب مثل يقول فلان القى بيده فى امر كذا اذا استسلم لان المستسلم فى القتال يلقى سلاحه
بيديه فكذلك فعل كل عاجز فى اى فعل كان للموت ومنه قول عبد المطلب والله ان القانا بايدينا
لعجز وقال قوم التقدير بلقوا انفسكم بايديكم كما تقول لا تفسد حالك برايك والتهلكة بضم
اللام مصدر من هلك وقرا الخليل التهلكة بكسر اللام وهى يفعله من هلك بتشديد اللام
وروى عن ابى ايوب الانصارى انه كان على القسطنطينية فحمل رجل على عسكر العدو فقال
قوم القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب لا ان هذه الاية نزلت فى الانصار حين ارادوا لما ظهر
الاسلام ان يتركوا الجهاد ويعمروا اموالهم فاما هذا فهو الذى قال الله فيه ومن الناس من يشرى
نفسه ابتغاء مرضات الله وقال حذيفة بن اليمان وابن عباس والحسن وعطا وعكرمه وجمهور
الناس المعنى لا تلقوا بايديكم بان تتركوا النفقة فى سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل ليس
عندى ما انفقه وقال قوم المعنى لا تقنطوا من التوبة وقال البراء بن عازب وعبيدة السلمانى
الاية فى الرجل يقول قد بالغت فى المعاصى فلا فائدة فى التوبة فينهمك بعد ذلك وقال زيد بن اسلم
المعنى لا تسافروا فى الجهاد بغير زاد وقد كان فعل ذلك قوم فاداهم ذلك الى الانقطاع فى الطريق
او الكون عالة على الناس وقوله تعالى واحسنوا قيل معناه فى افعالكم بامتثال الطاعات وروى
ذلك عن بعض الصحابة وقيل المعنى واحسنوا فى الانفاق فى سبيل الله وفى الصدقات قاله زيد بن
اسلم وقال عكرمه المعنى احسنوا الظن بالله وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن زيد
والشعبى وغيرهما اتمامهما ان لا ينسخ وان يتمهما اذا بدات بهما وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه
اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وفعله عمران بن حصين وقال سفيان الثورى ان يخرج قاصدا
لهما لا للتجارة ولا لغير ذلك ويؤيد هذا قوله لله وقال قتاده والقسم بن محمد اتمامهما ان تحرم
بالعمرة وتقضيها فى غير اشهر الحج وان تتم الحج دون نقص ولا جبر بدم قال الفقيه الامام وهذا
مبنى على ان الدم فى الحج والعمرة جبر نقص وهذا قول مالك رحمه الله وجماعة من العلماء وابو حنيفه
واصحابه يرون ان كثرة الدم كمال وزيادة وكلما كثر عندهم لزوم الدم فهو افضل واحتجوا بانه
قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ما افضل قال العج والثج ومالك ومن قال بقوله يراه ثج التطوع
وقالت فرقة اتمامهما ان يفرد كل واحدة من حجة وعمرة ولا يقرن وهذا على ان الافراد افضل وقالت
فرقة القران افضل وذلك هو الاتمام عندهم وقال ابن عباس وعلقمه وابراهيم وغيرهم اتمامهما
ان تقضى مناسكهما كاملة بما كان فيهما من دما وفروض الحج النية والاحرام والطواف المتصل بالسعى
والسعى بين الصفا والمروة عند نا خلافا لابى حنيفة والوقوف بعرفة والجمرة على قول ابن الماجشون
واما اعمال العمرة فيه واحرام وطواف وسعى واختلف فى فرض العمرة فقال مالك هى سنة واجبة لا ينبغى
ان تترك كالوتر وهى عنده مرة واحدة فى العام وهذا قول جمهور اصحابه وحكى ابن المنذر فى الاشراف عن اصحاب
الراى انها عندهم غير واجبة وحكى بعض القرويين والبغداديين عن ابى حنيفة انه يوجبها كالحج
وبانها سنة قال ابن مسعود وجمهور من العلما واسند الطبرى النص على ذلك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروى عن على بن ابى طالب وابن عباس وابن عمر والشافعى واحمد واسحق والشعبى
وجماعة تابعين انها واجبة كالفرض وقاله ابن الجهم من المالكيين وقال مسروق الحج والعمرة
فرض نزلت العمرة من الحج بمنزلة الزكوة من الصلوة وقرا الشعبى وابو حيوة والعمرة لله برفع العمرة على
القطع والابتداء وقرا ابن ابى اسحق الحج بكسر الحاء وفى مصحف ابن مسعود واتموا الحج والعمرة الى البيت لله
وروى عنه واقيموا الحج والعمرة الى البيت وروى غير هذا مما هو كالتفسير وقوله تعالى فان احصرتم
فما استيسر من الهدى قال علقمة وعروه بن الزبير وغيرهما الاية فيمن احصر بالمرض لا بالعدو
وقال ابن عباس وغيره بعكس ذلك والمشهور من اللغة احصر بالمرض وحصر بالعدو وفى
المجمل لابن فارس حصر بالمرض واحصر بالعدو وقال الفرا هما بمعنى واحد والعدو وقال الفقيه
الامام والصحيح ان حصر انما هى فيما احاط وجاور فقد يحصر العدو والما ونحوه ولا يحصر المرض
واحصر جعل ذا حصر فاما احصر وغير ذلك فالمرض والعدو والما وغير ذلك قد يكون محصرا لا
لا حاصرا الا ترى ان العدو كان محصرا فى عام الحديبية وفى ذلك نزلت هذه الاية عند جمهور
اهل التاويل واجمع جمهور الناس على ان المحصر بالعدو يحل حيث احصر وينحر هديه ان كان ثم هدى
ويحلق راسه وقال قتاده وابراهيم يبعث بهديه ان امكنه فاذا بلغ محله صار حلالا ولا قضا
عليه عند الجميع الا ان يكون صرورة فعليه حجة الاسلام وقد قضاها حين احصر قال الفقيه
الامام وهذا ضعيف لا وجه له وقال اشهب يهدى المحصر بعدو هديا من اجل الحصر
وقال ابن القاسم لا يهدى شيا الا ان كان معه هدى فاراد نحره ذكره ابن ابى زيد وقال عطا
وغيره المحصر بالمرض كالمحصر بالعدو وقال مالك وجمهور من العلماء المحصر بالمرض لا يحله الا

ويقيم

ويقيم البيت ويقيم حتى يعود وان اقام سنين فاذا وصل البيت بعد فوت الحج قطع التلبية فى اوائل
الحرم وحل بعمرة ثم يكون عليه حجة قضا وفيها يكون الهدى وقيل ان الهدى يجب فى وقت الحصر اولا ولم ير ابن
عباس من احصره المرض داخلا فى هذه الاية وقال ان المريض ان لم يكن معه هدى حل حيث حبس وان كان
معه هدى لم يحل حتى يبلغ الهدى محله ثم لا قضا عليه قال وانما قال الله فاذا امنتم والامن انما هو من العدو
فليس المريض فى الاية وما فى موضع رفع اى فالواجب او فعليكم ما استيسر عند جمهور اهل العلم شاة
وقال ابن عمر وعروة بن الزبير ما استيسر جمل دون جمل وبقرة دون بقرة وقال الحسن الهدى بدنة
واوسطه بقرة واخسه شاة والهدى جمع هدية كجرية السرج وهى البدا دجمعها جدى ويحتمل ان يكون
الهدى مصدرا سمى به كالرهن ونحوه فيقع للافراد ويقع للجمع وقال ابو عمرو بن العلا لا اعرف لهذه اللفظة
نظيرا وقوله تعالى ولا تحلقوا روسكم الاية الخطاب لجميع الامة محصر ومخل ومن العلماء من يراها
للمحصرين خاصة وقيل الهدى حيث يحل نحره وذلك لمن لم يحصر بمنى ولمن احصر بعد وحيث احصر
اذا لم يمكن ارساله واما المريض فان كان له هدى فيرسله الى محله فى الترتيب ان يرمى الحاج الجمرة
ثم ينحر ثم يحلق ثم يطوف طواف الافاضه فان نحر الرجل قبل الرمى او حلق قبل النحر فلا حرج حسب الحديث
ولا دم وقال اصحاب الراى لا حرج فى الحج ولكن يهريق دما وقال عبد الملك بن الماجشون من اصحابنا
اذا حلق قبل ان ينحر فليهد وان حلق رجل قبل ان يرمى فعليه دم قولا واحدا فى المذهب وقال
ابن المواز عن مالك وعن الموسى على راسه بعد الرمى ولا دم فى ذلك عند ابى حنيفه وجماعة
معه وقرا الزهرى والاعرج وابو حيوة الهدى بكسر الدال وشد اليا فى الموضعين واحدته
هدية وروت هذه القراة عن عاصم وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا الاية المعنى
فحلق لان الاذى فقديه وهذا هو فحوى الخطاب عند اكثر الاصوليين ونزلت هذه الاية
فى كعب بن عجرة حين راه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراسه تتناثر قملا فامره
بالحلاق ونزلت الرخصة وفدية رفع على خبر ابتداء والصيام عند مالك وعطا ومجاهد
وابراهيم وغيرهم وجميع مالك ثلاثة ايام والصدقة ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع وذلك مدان بمد النبى صلى الله عليه وسلم والنسك شاة باجماع ومن ذبح افضل
منها فهو افضل وقال الحسن ابن ابى وعكرمه الصيام عشرة ايام والاطعام عشرة
مساكين وقرا الزهرى او نسك بسكون السين وقال سعيد بن جبير ومجاهد النسك
شاة فان لم يجد فقيمتها تشترى بها طعام فيطعم منه مدين لكل مسكين فان لم يجد القيمة عرفها
وعرف ما تشترى بها من الطعام وصام عن كل مدين يوما قال على بن ابى طالب رضى الله عنه ذلك
كله حسب شاة وقاله ابراهيم وهو مذهب مالك واصحابه الا ابن الجهم فانه قال لا يكون النسك
الا بمكة وقال عطا فى بعض ما روى عنه واصحاب الراى النسك بمكة والصيام والاطعام حيث شاء
وقال الحسن ابن ابى الحسن وطاوس وعطا وايضا ومجاهد والشافعى النسك والاطعام بمكة والصيام
حيث شاء والمفتدى مخير فى اى هذه الثلاثة شاء وكذلك قال مالك وغيره فى كل ما فى القران او
او فانه على التخيير وقوله تعالى فاذا امنتم قال علقمه وعروه المعنى اذا برئتم من مرضكم وقال ابن
عباس وقتاده وغيرهما اذا امنتم من خوفكم من العدو المحصر وهذا اشبه باللفظ الا ان يحمل الخوف
من المرض فيكون الامن منه وقوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج الاية قال عبد الله بن الزبير وعلقمه
وابراهيم الاية فى المحصرين دون المخلى سبيلهم وصورة التمتع عند ابن الزبير ان يحصر الرجل
حتى تفوته الحج ثم يصل الى البيت فيحل بعمرة ويقضى الحج من قابل فهذا قد تمتع بما بين العمرة الى الحج
القضا وصورة التمتع المحصر عند غيره ان يحصر فيحل دون عمرة ويوخرها حتى ياتى من قابل
فيعتمر فى اشهر الحج ويحج من عامه وقال ابن عباس وجماعة العلما الاية فى المحصرين وغيرهم
ممن خلى سبيله وصورة التمتع ان يجتمع فيه ستة شروط ان يكون معتمرا فى اشهر الحج وهو من غير
حاضرى المسجد الحرام ويحل وينشى الحج من عامه ذلك دون رجوع الى وطنه او ما ساواه بعدا
هذا قول مالك واصحابه واختلف لم سمى متمتعا فقال ابن القاسم لانه تمتع بكل ما لا يجوز للمحرم فعله من وقت
حله فى العمرة الى وقت انشايه الحج وقال غيره سمى متمتعا لانه تمتع باسقاط احد سفرين وذلك ان حق العمرة
ان يقصد بسفر والحج كذلك فلما تمتع باسقاط احدهما الزمه الله هديا كالقارن الذى يجمع الحج والعمرة
فى سفر واحد قال الفقيه الامام فهذه شدة على القادم مكة من سائر الاقطار لما اسقط سفرا
والمكى لا يقتضى حاله سفرا فى عمرة ولا حج لانه فى مقعده الحج فلم يلزم شيئا لانه لم يسقط شيئا ومن قال
ان اسم التمتع وحكمه انما هو من جهة التمتع بالنسا والطيب وغير ذلك فيرد عليه انه يستغرق
قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة الى الحج المكى وغيره على السوا فى القياس وكيف يشتد مع ذلك على التغريب
الذى هو اعذر ويلزم هديا ولا يفعل ذلك بالمكى فيترجح بهذا النظر ان التمتع انما هو من

من احل اسقاط احد السفرين الا ان ابا عبيد قال فى كتاب الناسخ والمنسوخ له ان العمرة فى اشهر الحج
ممنوعة للمكى لا يجوز له ورخص الله للقادم لطول تغابه محرما وقرن الرخصه بالهدى قال الفقيه
الامام فهذه شدة على اهل مكة وبهذا النظر يحسن ان يكون التمتع من جهة استباحه ما لا يجوز
للمحرم لكنه قول شاذ لا يقول عليه وحمل الامة على جواز العمرة فى اشهر الحج للمكى ولا دم عليه وذكر
ابو عبيد القولين ابن عمر واستند اليه فى الذى وافقه وقد حكاه الطبرى عن ابن عباس وقال انه قال
يا اهل مكه لا اسعه لكم ان الله قد احلها لاهل الافاق وحرمها عليكم انما يقطع احدكم واديا ثم
يحرم بعمرة قال الفقيه الامام فمعنى هذا انهم متى احرموا دا اموا الى الحج وقال السدى المتمتع هو الذى
يفسخ الحج فى العمرة وذلك لا يجوز عند مالك وفى صحيح مسلم حديث سراقة بن مالك قال قلت يا رسول
الله فسخ الحج فى العمرة لنا خاصة ام للابد فقال بل لابد لابد بل لابد لابد بل لابد لابد قال الفقيه
الامام وانما شرط فى المتمتع ان يحل فى اشهر الحج لانها مدة يملكها الحج فمن كان فيها محرما فجمعه
ان يصل الاحرام الى الحج وفى كتاب مسلم ايعاب الاحاديث فى هذا المعنى ومذهب عمر وقول ابى ذر ان
متعة النسا ومتعة الحج خاصتان لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال طاوس من اعتمر فى غير
اشهر الحج ثم اقام حتى حج فهو متمتع وهذان قولان شاذان لم يوافقهما احد من العلما او تقدم القول
فيما استيسر من الهدى قوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك
عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب
الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه
الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من
ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله
لمن الضالين قوله تعالى لم يجد اما لعدم المال واما بعدم الحيوان وفى الحج قال عكرمه وعطا له ان
يصومها وان كان لم يحرم بالحج وقال ابن عباس ومالك ابن انس له ان يصومها منذ يحرم بالحج وقال عطا
ايضا ومجاهد لا يصومها الا فى عشر ذى الحجة وقال ابن عمر والحسن والحكم يصوم يوما قبل يوم التروية
ويوم التروية ويوم عرفة وكلهم يقول لا يجوز تاخيرها عن عشر ذى الحجة لان بانقضائه ينقضى
الحج وقال على بن ابى طالب وابن عمر ومالك بن انس وجماعة من اهل العلم من فاته صيامها قبل
يوم النحر فله صيامها فى ايام التشريق لانها من ايام الحج وقال قوم له ابتدا تاخيرها الى ايام
التشريق لانه لا يجب عليه الصيام الا بان لا يجد يوم النحر وقوله تعالى وسبعة اذا رجعتم قال مجاهد
وعطا وابرهيم المعنى اذا رجعتم من منى فمن بقى بمكة صامها ومن نهض الى بلده صامها فى الطريق
قال قتاده والربيع هذه رخصة من الله تعالى والمعنى اذا رجعتم الى اوطانكم فلا يجب على احد صوم
السبعة الا اذا وصل الى وطنه الا ان يتشدد احد كما يفعل من يصوم فى السفر فى رمضان وقرا
زيد بن على وسبعة بالنصب اى وصوموا سبعة ولما جاز ان يتوهم متوهم التخيير بين ثلاثة ايام
فى الحج او سبعة اذا رجع ازيل ذلك بالجملة من قوله تلك عشرة كاملة قال الحسن بن ابى الحسن المعنى
كاملة فى الثواب كمن لم يتمتع وهذا على ان الحج الذى لم يكثر فيه الدما اخلص وافضل خلافا لابى حنيفة
وقيل كاملة توكيد كما يقول كتبت بيدى وقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وقيل لفظها
الاخبار ومعناها الامر اى اكملوها فكذلك فرضها وقال الاستاذ الاجل ابو الحسن على بن احمد
المعنى تلك كاملة وكرر الموصوف تاكيدا كما يقول زيد رجل عاقل وقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله
الاية اشارة الى التمتع وهدية وحكمة وهذا على قول من يرى ان المكى لا يجوز له المتعة فى اشهر الحج
فكان الكلام ذلك الترخص وساند هذا بقوله لمن لان اللام ابدا انما يجى مع الرخص تقول لك
ان يفعل كذا واما مع الشدة فالوجه ان يقال عليك واما من يرى ان المكى يعتمر ولا دم عليه لانه
لم يسقط سفرا فالاشارة فى ذلك على قوله هى الى الهدى اى ذلك الاشتداد والالتزام واختلف
الناس فى حاضرى المسجد الحرام بعد الاجماع على اهل مكة وما اتصل بها وقال الطبرى بعد الاجماع
على اهل الحرم وليس كما قال فقال بعض العلماء من كان بحيث يجب الجمعة عليه بمكة فهو حضرى
ومن كان ابعد من ذلك فهو بدوى قال الفقيه الامام فجعل اللفظة من الحضارة والبداوه
وقال بعضهم من كان بحيث لا يقصر الصلاة الى مكانه فهو حاضر اى شاهد ومن كان ابعد
من ذلك فهو غائب وقال عطا بن ابى رباح مكة وضجنان وذو طوى وما اشبهها
حاضروا المسجد الحرام وقال ابن عباس ومجاهد اهل الحرم كله حاضروا المسجد الحرام وقال
مكحول وعطا من كان دون المواقيت من كل جهة حاضروا المسجد الحرام ثم امر تعالى بتقواه
على العموم وحذر من شديد عقابه وقوله تعالى الحج اشهر معلومات فى الكلام حذف
تقديره اشهر الحج اشهر او وقت الحج اشهر او وقت عمل الحج اشهر والغرض انما هو

ان يكون

ان يكون الخبر عن الابتداء هو الابتداء نفسه والحج ليس بالاشهر واحتيج الى هذه التقديرات
ومن قدر الكلام الحج فى اشهر فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الاشهر ولم يقرا بنصبها احد
وقال ابن مسعود وابن عمر وعطا والربيع ومجاهد والزهرى اشهر الحج شوال وذو القعدة
وذو الحجة كله وقال ابن عباس والشعبى والسدى وابراهيم هى شوال وذو القعدة وعشر
من ذى الحجة والقولان لمالك رحمه الله حكى الاخير ابن حبيب وجمع على هذا القول الاخير
الاثنان وبعض الثالث كما فعلوا فى جمع عشرين فقالوا عشرون لعشرين ويومين من الثالث
وكما قال امرؤ القيس ثلاثون شهرا فى ثلاثة احوال فمن قال ان ذا الحجة كله من اشهر الحج لم ير
دما فيما يقع من الاعمال بعد يوم النحر لانها فى اشهر الحج وعلى القول الاخير ينقضى الحج بيوم النحر
ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك وقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج اى الزمه نفسه واصل الفرض
الحز الذى يكون فى السهام والقسى وغيرها ومنه فرضة النهر والجبل فكان من التزم شيئا
واثبته على نفسه قد فرضه وفرض الحج هو بالنية والدخول فى الاحرام والتلبية تبع لذلك
ومن رفع بالابتداء ومعناها الشرط والخبر قوله فرض لان من ليست بموصولة فكانه قال
فرجل فرض وقوله ولا رفث يحتمل ان يكون الخبر ويكون فرض صفة وقوله تعالى فيهن ولم
يجى الكلام فرض فيها فقال قوم هما سواء فى الاستعمال وقال ابو عثمان المازنى الجمع الكثير
لما لا يعقل ياتى كالواحدة المؤنثة والقليل ليس كذلك يقول الاجداع انكسرت والجذوع
انكسرت ويؤيد ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور ثم قال منها وقرا نافع فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال بنصب الجميع وهى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وقرا ابن كثير وابو عمرو
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بالرفع بالاثنين ونصب الجدال وقرا ابو جعفر بن القعقاع
بالرفع فى الثلاثة ورويت عن عاصم فى بعض الطرق ولا بمعنى ليس فى قراءة الرفع وخبرها محذوف
على قراءة ابى عمرو وفى الحج خبر لا جدال وحذف الخبر هنا هو مذهب ابى على وقد خولف فى ذلك
بل فى الحج هو الخبر اذ هو فى موضع رفع فى الوجهين لان لا انما يعمل على بابها فيما يليها وخبرها
مرفوع باق على حاله من خبر الابتداء وظن ابو على انها بمنزلة ليس فى نصب الخبر وليس كذلك
بل هى والاسم فى موضع الابتداء يطلبان الخبر وفى الحج هو الخبر فى قراءة كلها بالرفع وفى قراءتها بالنصب
والتحذير ان فى الحج فى موضع نصب بالخبر المقدر كانك قلت موجود فى الحج ولا فرق بين
الاية وبين قولك زيد فى الدار وقال ابن عباس وابن جبير والسدى وقتاده ومالك ومجاهد
وغيرهم الرفث الجماع وقال عبد الله بن عمر وطاوس وعطا وغيرهم الرفث الاعراب والتعريض
وهو الافحاش بامر الجماع عند النسا خاصة وهذا قول ابن عباس ايضا وانشد وهو محرم وهن يمشين
بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا فقيل له ترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما كان عند النسا
وقال قوم الرفث الافحاش بذكر النسا كان بحضرتهن ام لا وقد قال ابن عمر للحادى لا تذكر النسا
قال الفقيه الامام وهذا محتمل ان تحضر امراة فلذلك نهاه وانما تقوى القول من جهة ما
يلزم من توقير الحج وقال ابو عبيدة الرفث اللغو من الكلام وانشد عن اللغا ورفث التكلم
قال الفقيه الامام ولا حجة فى البيت وقرا ابن مسعود ولا رفوث وقال ابن عباس وعطا
والحسن وغيرهم الفسوق المعاصى كلها لا يختص منها شى دون شى وقال ابن عمر وجماعة معه الفسوق
المعاصى فى معنى الحج كقتل الصيد وغيره وقال ابن زيد ومالك الفسوق الذبح للاصنام ومنه قوله تعالى
او فسقا اهل لغير الله به وقال الضحاك الفسوق التنابز بالالقاب وقوله تعالى بئس الاسم الفسوق
وقال ابن عمر ايضا ومجاهد وعطا وابراهيم الفسوق السباب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر قال الفقيه الامام وعموم جميع المعاصى اولى الاقوال وقال
قتاده وغيره الجدال هنا السباب وقال ابن مسعود وابن عباس وعطا ومجاهد الجدال هنا ان
تمارى مسلما حتى تغضبه وقال مالك وابن زيد الجدال هنا ان يختلف الناس ايهم صادف موقف
ابراهيم عليه السلام كما كانوا يفعلون فى الجاهلية حين كانت قريش تقف فى غير موقف سائر العرب
ثم يتجادلون بعد ذلك وقال محمد بن كعب القرظى الجدال ان تقول طائفة حجنا ابر من حجكم وتقول
الاخرى مثل ذلك وقالت طائفة الجدال هنا ان تقول طائفة الحج اليوم وتقول طائفة بل الحج غدا و
قيل الجدال كان فى الفخر بالاباء وقال مجاهد وجماعة غيره الجدال ان نسى العرب الشهور حسب ما كان النسى
عليه فقرر الشرع وقت الحج وبينه واخبر انه حتم لا جدال فيه وهذا اصح الاقوال واظهرها والجدال
ماخوذ من الجدل وهو القتل كان كل مجادل يقاتل صاحبه الكلام وانما كان النسى عليه فيما ظاهر
سير ابن اسحق وغيرها من الدواوين ان الناسى كان يحل المحرم لئلا يتوالى على العرب ثلاثة اشهر لا اغارة
فيها ويحرم صفر وربما سموه المحرم وسمى سائر الاشهر باسمائها حتى ياتى حجهم فى ذى الحجة على الحقيقة

واسند الطبري عن مجاهد انه قال كانوا يسقطون المحرم ثم يقولون صفرا ثم يقولون صفران كصفر وشهر
ربيع الاول ثم كذلك ينقلون اسماء الشهور ويتبدل وقت الحج في الحقيقة لكنه في ذي الحجة بالتسمية لا
في حقيقة الشهر قال فكان حج ابي بكر في سنة تسع وذي القعدة على الحقيقة ثم حج رسول الله صلى الله
عليه وسلم سنة في ذي الحجة على الحقيقة وحينئذ قال ان الزمان قد استدار الحديث ونزلت ولا جدال
في الحج اي قد تبين امره فلا شهر ابدا وقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله المعنى فيثبت عليه عاهدا
تخصيص على فعل الخير وقوله تعالى وتزودوا الاية قال ابن عمر وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد نزلت
الاية في طائفة من العرب كانت تجي الى الحج بلا زاد ويقول بعضهم نحن المتوكلون ويقول بعضهم كيف
نحج بيت الله ولا يطعمنا فكانوا يبقون عالة على الناس فنهوا عن ذلك وامروا بالتزود وقال بعض
الناس تزودوا الدقيق الصالح وهذا تخصيص ضعيف والاولى في معنى الاية وتزودوا لمعادكم
من الاعمال الصالحة وقوله تعالى فان خير الزاد التقوى حض على التقوى وخص اولي الالباب
بالخطاب وان كان يعم الكل لانهم الذين قامت عليهم حجة وهم قابلوا امره والناهضون
بها وهذا على ان اللب لب التجارب وجودة النظر وان جعلناه لب التكليف فالنداء يا اولي
الالباب عام لجميع المكلفين واللب العقل يقول العرب لبيب بضم الباء الاولى الب بضم اللام حكاه
سيبويه وليس في الكلام فعل يفعل بضم العين فيهما غير هذه الكلمة وقوله تعالى ليس عليكم جناح
الاية الجناح اعم من الاثم لانه فيما يقتضي العقاب وفيما يقتضي العتاب والزجر وتبتغوا معناه
تطلبون محاولتكم وقال ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطا ان الاية نزلت لان العرب تحرجت لما جاء
الاسلام ان يحضروا اسواق الجاهلية كعكاظ وذي المجاز ومجنة فاباح الله تعالى ذلك اي
لا درك في ان تتجروا وتطلبوا الربح وقال مجاهد كان بعض العرب لا يتجر مذ يحرمون فنزلت الاية
فاباحة ذلك وقال ابن عمر فيمن اكرى ليحج حجة تام ولا حرج عليه في ابتغا الكرا وقال ابن عباس
وابن مسعود وابن الزبير ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقوله تعالى
فاذا افضتم من عرفات اجمع اهل العلم على تمام حج من وقف بعرفات بعد الزوال وافاض
نهارا قبل الليل الا مالك ابن انس فانه قال لا بد ان ياخذ من الليل شيئا واما من وقف
بعرفة بالليل فلا اختلاف بين الامة في تمام حجة وافاض القوم او الجيش اذا اندفعوا
جملة ومنه افاض الرجل في الكلام ومنه قاموا الانا وافضته ومنه المفيض في القداح
والتنوين في عرفات على حده في مسلمات الكسرة مقابلة للياء في مسلمين والتنوين مقابل
للنون فاذا سميت به شخصا ترك وهو معروف على حده قبل ان يسمى به فان كان عرفات
اسما لتلك البقعة كلها فهو كما ذكرناه وان كان جمع عرفة فهو كمسلمات دون ان
يسمى به وحكى سيبويه كسرة التاء من عرفات دون تنوين في حال النصب والخفض تشبيها
بتاء فاطمة وطلحة وسميت تلك البقعة عرفات لان ابراهيم عرفها حين راها على ما
وصفت له قاله السدي وقال ابن عباس سميت بذلك لان جبرئيل كان يقول لابراهيم
عليه السلام هذا موضع كذا فيقول قد عرفت وقيل سميت بذلك لان ادم عليه السلام
عرف بها حوا حين لقيها هناك قال الفقيه الامام والظاهر انه اسم مرتجل كساير
اسماء البقاع وعرفة هي نعمان الاراك وفيها يقول الشاعر تزودت من نعمان عود
اراكة لهند ولكن من يبلغه هندا والمشعر الحرام جمع كله وهو ما بين جبلي المزدلفة
من حد مفضى مازمي عرفة الى بطن محسر قال ابن عباس وابن جبير والربيع وابن عمر
ومجاهد فهي كلها مشعر الا بطن محسر كما ان عرفة كلها موقف الا بطن عرنة
بفتح الراء وضمها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرفة كلها موقف الا بطن
عرنة والمزدلفة كلها مشعر الا وارتفعوا عن بطن محسر وذكر هذا عبد الله بن
الزبير في خطبته وفي المزدلفة قزح التي كانت قريش يقف عليه وذكر الله تعالى
عند المشعر الحرام ندب عند اهل العلم وقال مالك من مر به ولم ينزل فعليه دم وقال
الشافعي من خرج من مزدلفة قبل نصف الليل فعليه دم وان كان بعد فلا شي عليه
وقال الشعبي والنخعي من فاته الوقوف بمزدلفة فاته الحج وقوله تعالى واذكروه
كما هداكم تعديد للنعمة وامر بشكرها ثم ذكرهم بحال ضلالهم ليظهر قدر الانعام
والكاف في كما نعت لمصدر محذوف ان مخففة من الثقيلة ويدل على ذلك دخول
اللام في الخبر على قول سيبويه وقال الفرا هي النافية بمعنى ما واللام الا والضمير
في قبله عايد على الهدى قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان
الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا

فمن الناس

فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في
الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع
الحساب واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم
عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون قال ابن عباس وعايشة وعطا ومجاهد
وغيرهم المخاطب بهذه الاية قريش ومن ولدت وهم الحمس وذلك انهم كانوا يقولون نحن
قطين الله فينبغي لنا ان نعظم الحرم ولا نعظم شيئا من الحل فسنوا شق الثياب في الطواف
الى غير ذلك وكانوا مع معرفتهم واقرارهم ان عرفة هي موقف ابراهيم لا يخرجون من الحرم
ويقفون بجمع ويفيضون منه ويقف بعرفة غيرهم ان يفيضوا مع الجملة وثم ليست بهذه الاية
للترتيب انما هي لعطف جملة كلام على جملة كلام وهي منها منقطعة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحمس ولكنه كان يقف مذ كان بعرفة هداية من الله له وقال الضحاك المخاطب
بالاية جملة الامة والمراد بالناس ابراهيم عليه السلام كما قال الذين قال لهم الناس وهو يريد
واحدا ويحتمل على هذا ان يؤمروا بالافاضة من عرفة ويحتمل ان يكون افاضة اخرى وهي التي
من المزدلفة فيجي ثم على هذا الاحتمال على بابها وعلى هذا الاحتمال عول الطبري وقرا سعيد
ابن جبير الناسي وتاوله ادم عليه السلام ويجوز عند بعضهم تخفيف الياء فيقول الناس
كالقاض والغاز قال الفقيه الامام اما جوازه في العربية فذكره سيبويه واما جوازه مقروا به
فلا احفظه وامر عز وجل بالاستغفار لانها مواطنه ومظان القبول ومساقط الرحمة
وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عشية عرفة فقال ايها الناس ان الله عز
وجل تطاول عليكم في مقامكم هذا فقبل من محسنكم ووهب مسيئكم لمحسنكم الا التبعات فيما بينكم
افيضوا على اسم الله فلما كان غداة جمع خطب فقال ايها الناس ان الله تطاول عليكم فعوض التبعات
من عنده وقالت فرقة المعنى واستغفروا الله من فعلكم الذي كان مخالفا لسنة ابراهيم في وقوفكم
بقزح من المزدلفة وقوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم الاية قال مجاهد المناسك الذبايح
وهراقة الدما والمناسك عندي العبادات في معالم الحج ومواضع النسك فيه والمعنى اذا فرغتم
من حجكم الذي هو الوقوف بعرفة فاذكروا اسم الله بمحامده واثنوا عليه بالاية عندكم وخص هذا الوقت
بالقضا لما تقتضي هي الناس فيه مناسككم في خبر واحد وما قبل وما بعد فهو على الافتراق هذا في طواف
وهذا في رمي وهذا في حلاق وغير ذلك وكانت عادة العرب اذا قضت حجها يقف عند الجمرة فتتفاخر
بالاباء ويذكر ايام اسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك فنزلت الاية لتلزموا انفسهم ذكر الله
تعالى اكثر من التزامهم ذكر ابائهم بايام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين وقال ابن عباس
وعطا معنى الاية اذكروا الله كذكر الاطفال اباءهم وامهاتهم اي فاستغيثوا والجاوا اليه كما كنتم
تفعلون في حال صغركم باباءكم وقالت طائفة معنى الاية اذكروا الله وعظموه وذبوا عن حرمه
وادفعوا من اراد الشرك والنقص في دينه ومشاعره كما يذكرون اباءكم بالخير اذا غض
احد منهم وتحمون جوانبهم وتذبون عنهم وقال محمد بن كعب القرظي كذكركم اباءكم اي
احتفلوا بذكره كما يحتفل المرء بذكر ابيه فالمصدر على القراة مضاف الى المفعول واشد في موضع
خفض عطفا على كذكركم ويجوز ان يكون في موضع نصب التقدير واذكروه اشد ذكرا وقوله تعالى
فمن الناس من يقول الاية قال ابو وايل والسدي وابن زيد كانت عادتهم في الجاهلية يدعوا في
مصالح الدنيا فقط اذ كانوا لا يعرفون الاخرة فنهوا عن ذلك الدعاء المخصوص بامر الدنيا وجاء
النهي في صيغة الخبر عنهم والخلاق النصيب والحظ ومن زايدة لانها بعد النفي فهي مستغرقة
لجنس الحظوظ وقال قتادة حسنة الدنيا العافية بالصحة وكفاف المال وقال الحسن ابن ابي
الحسن حسنة الدنيا العلم والعبادة وقال السدي حسنة الدنيا المال وقيل حسنة الدنيا المراة
الحسنا واللفظة تقتضي هذا كله وجميع محاب الدنيا وحسنة الاخرة الجنة باجماع وقنا
عذاب النار دعاء فان لا يكون المرء ممن يدخلها بمعاصيه ويخرجه بالشفاعة ويحتمل ان يكون
دعاء مؤكدا لطلب دخول الجنة ويكون المرغب فيه معنى النجاة والفوز من الطرفين كما قال احد
الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم انا انما اقول في دعاي اللهم ادخلني الجنة وعافني من النار
ولا ادري ما دندنتك ودندنة معاذ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حولها ندندن
وقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا الاية وعد على كسب الاعمال الصالحة في صيغة الاخبار
المجردة والرب تعالى سريع الحساب لانه لا يحتاج الى عقد واعمال فكر وقيل لعلي بن ابي طالب رضي الله
عنه كيف يحاسب الله تعالى العباد يوم القيمة فقال لهم كما يرزقهم في يوم وقيل الحساب
هنا المجازاة كان المجازي بعد اجزاء العمل ثم يجازي بمثلها وقيل معنى الاية سريع فمجي يوم الحساب

والمقصد بالاية الانذار بيوم القيامة وامر الله تعالى عباده بذكره في الايام المعدودات وهي الثلاثة التي
بعد يوم النحر وهي ايام التشريق وليس يوم النحر من المعدودات ودل على ذلك اجماع الناس انه
لا ينفر احد يوم العيد وهو ثاني يوم النحر فلو كان يوم النحر في المعدودات لساغ ان ينفر من شا
متعجلا يوم العيد لانه قد اخذ يومين من المعدودات وحكى مكي والمهدوي عن ابن عباس انه قال
المعدودات هي ايام العشر قال الفقيه الامام وهذا اما ان يكون من تصحيف النسخة واما ان
ان يريد العشر الذي بعد يوم النحر وفي ذلك بعد وللايام المعلومات هي يوم النحر ويومان بعده
لاجماعهم على انه لا ينحر احد في اليوم الثالث والذكر في المعلومات انما هو ما رزق الله من بهيمة
الانعام وقال ابن زيد المعلومات عشر ذي الحجة وايام التشريق وفي هذا القول بعد وجعل
الله الايام المعدودات ايام ذكر الله وقد قال النبي صلى الله عليه السلام هي ايام اكل وشرب وذكر
الله ومن جملة الذكر التكبير في اثر الصلوات واختلف في طرفي مدة التكبير فقال عمر بن الخطاب
وعلي بن ابي طالب وابن عباس تكبر من صلوة الصبح من يوم عرفة الى العصر من اخر ايام التشريق
وقال ابن مسعود وابو حنيفة يكبر من غداة عرفة الى صلوة العصر من يوم النحر وقال يحيى بن
سعيد يكبر من صلوة الظهر يوم النحر الى الظهر من اخر ايام التشريق وبه قال الشافعي وقال ابن شهاب
يكبر من الظهر يوم النحر الى العصر من اخر ايام التشريق وقال سعيد بن جبير يكبر من الظهر يوم عرفة
الى العصر من اخر ايام التشريق وقال الحسن ابن ابي الحسن يكبر من صلوة الظهر يوم النحر الى
صلوة الظهر من يوم النفر الاول وقال ابو وايل يكبر من صلوة الظهر يوم عرفة الى صلوة
الظهر يوم النحر ومشهور مذهب مالك انه يكبر اثر كل صلوة ثلث تكبيرات وفي المذهب
رواية انه يقال بعد التكبيرات الثلاث لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد وقوله تعالى
فمن تعجل في يومين الاية قال ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد المعنى من نفر في اليوم
الثاني من الايام المعدودات فلا حرج عليه ومن تاخر الى الثالث فلا حرج عليه ومعنى الاية
كل ذلك مباح وعبر عنه بهذا التقسيم اهتماما وتاكيدا اذ كان من العرب من يذم التعجيل وبا
وبالعكس فنزلت الاية واقعة للحرج في كل ذلك ومن العلماء من راى ان التعجيل انما ابيح لمن بعد
قطره لا للمكي والقريب الا ان يكون له عذر قاله مالك وغيره ومنهم من راى ان الناس كلهم
مباح لهم ذلك قاله عطا وغيره وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابراهيم معنى
الاية من تعجل فقد غفر له ومن تاخر فقد غفر له واحتجوا بقوله عليه السلام من حج هذا البيت
فلم يرفث ولم يفسق خرج من خطاياه كيوم ولدته امه فقوله تعالى لا اثم عليه نفي عام وتنزيه مطلقة
وقال مجاهد ايضا معنى الاية من تعجل او تاخر فلا اثم عليه الى العام القابل واسند في هذا القول
اثر وقال ابو العالية المعنى في الاية لا اثم عليه لمن اتقى بقية عمره والحاج مغفور له البتة قال ابو
صالح وغيره معنى الاية لا اثم لمن اتقى في حجه فاتى به تاما حتى كان حجا مبرورا واللام في قوله لمن
اتقى متعلقة اما بالغفران على بعض التاويلات وارتفاع الاثم في الحج على بعضها وقيل بالذكر
الذي في قوله تعالى واذكروا اي الذكر لمن اتقى وسقط رمي الجمرة الثالثة عن من تعجل
وقال ابن ابي زمنين يرميها في يوم النفر الاول حين يريد التعجل وقال ابن المواز يرمي
المتعجل في يومين باحدى وعشرين حصاة كل جمرة بسبع حصاة فيصير جميع رميه سبع
واربعين حصاة قال الفقيه الامام لانه قد رمى جمرة العقبة بسبع يوم النحر قال ابن
المواز وسقط رمي اليوم الثالث وقرا سالم بن عبد الله فلا اثم عليه بوصل الالف ثم
امر تعالى بالتقوى وذكر بالحشر والوقوف بين يديه قوله تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين ن قال السدي نزلت في الاخنس بن شريق واسمه ابي
والاخنس لقب وذلك انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الاسلام وقال الله
يعلم اني صادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فاحرق لهم زرعا وقتل حمرا فنزلت
فيه هذه الايات قال الفقيه الامام ما ثبت قط ان الاخنس اسلم وقال ابن عباس نزلت
في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع عاصم بن ثابت وخبيب وابن الدثنة
وغيرهم قالوا ويح هؤلاء القوم لاهم قعدوا في بيوتهم ولا ادوا رسالة صاحبهم
فنزلت هذه الايات في صفات المنافقين ثم ذكر المستشهدين في غزوة الرجيع في قوله

تعالى ومن الناس

تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله الاية وقال قتادة ومجاهد وجماعة من
العلماء نزلت هذه الاية في كل مبطن كفرا او نفاقا او كذبا او اضرارا وهو يظهر بلسانه خلاف
ذلك فهي عامة وهي تشبه ما ورد في الترمذي ان في بعض كتب الله تعالى ان من عباد الله قوما
السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من الصبر يلبسون للناس جلود الضان من اللين يشترون
الدنيا بالدين يقول الله تعالى ابي تغترون وعلي تجترؤون حلفت لاسلطن
عليهم فتنة تدع الحليم حيران ومعنى ويشهد الله يقول الله يعلم اني اقول حقا وقرا ابو
حيوة وابن محيصن ويشهد الله باسناد الفعل الى المكتوب المعنى يعجبك قوله والله يعلم منه
خلاف ما قال والقراة التي للجماعة ابلغ في ذمه لانه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن ثم ظهر
من باطنه خلافه وما في قلبه مختلف بحسب القراتين فعلى قراة الجمهور هو الخبر الذي يظهر اي
هو في قلبه بزعمه وعلى قراة ابن محيصن هو الشي الباطن وقرا ابن عباس والله يشهد على ما في قلبه
وقرا ابي وابن مسعود ويستشهد الله على ما في قلبه والالد الشديد الخصومة الصعب الشكيمة
الذي يلوي الحج في كل جانب فيشبه انحرافه المشي في لديد الوادي ومنه لديد الفم والالد والدواء يقال
منه لدد يلد بكسر العين الد وهو ذم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ابغض الرجال الى الله
الالد الخصم ويقال لددته بفتح العين الده بضمها اذا غلبته في الخصام ومن اللفظة قول الشاعر
ان تحت الاحجار حزما وعقلا وخصيما الد ذا مغلاق والخصام في الاية مصدر خاصم وقيل جمع خصم
ككلب وكلاب فكان الكلام وهو اشد المخاصمين والدهم وتولى وسعى يحتمل جميعا معنيين
احدهما ان يكونا فعل قلب فيجي تولى بمعنى ضل وغضب وانف في نفسه فسعى بحيله وادارة
الدواير على الاسلام ومن هذا السعي قول الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ومنه وسعى
لها سعيها ومنه قول الشاعر اسعى على حي بني مالك كل امري في شانه ساع ونحا هذا المنحا
مجاهد المنحى في معنى الاية ابن جريج وغيره والمعنى الثاني ان يكونا فعل شخص ويجي تولى بمعنى ادبر
ونهض عنك يا محمد وسعى تجي معناها بقدميه فقطع الطريق وافسدها نحا هذا المنحى ابن عباس
وغيره فكلا السعيين فساد وقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل قال الطبري المراد الاخنس
في احراقه الزرع وقتله الحمر وقال مجاهد المراد ان الظالم يفسد في الارض فيمسك الله المطر فيهلك
الحرث والنسل وقيل ان المراد ان المفسد يقتل الناس فينقطع عمار الارض وعمار الزرع والمسلون وقال
الزجاج يحتمل ان يراد بالحرث النسا وبالنسل بنسلهن قال الفقيه الامام والظاهر ان الاية عبارة
عن مبالغة في الافساد اذ كل فساد في امور الدنيا فعلى هذين الفصلين تدور اكثر القرا على ويهلك
بضم اليا وكسر اللام وفتح الكاف عطفا على ليفسد وفي مصحف ابي بن كعب وليهلك وقرا قوم
ويهلك بضم الكاف اما عطفا على يعجبك واما على سعى لانها بمعنى الاستقبال واما على القطع
والاستيناف وقرا الحسن وابن ابي اسحاق والنسل وكذلك رواه ابو سلمة عن ابن كثير وعبد
الوارث عن ابي عمرو وحكى المهدوي ان الذي روى حماد بن سلمة عن ابن كثير انما هو ويهلك بضم اليا
والكاف الحرث بالنصب وقرا قوم ويهلك بفتح اليا واللام ورفع الحرث وهي لغة هلك يهلك
يلحق بالشذاذ كركن يركن والحرث في اللغة شق الارض للزراعة ويسمى الزرع حرثا للمجاورة والتناسب
ويدخل ساير الشجر والغداسة في ذلك حملا على الزرع ومنه قوله عز وجل اذ يحكمان في الحرث
وهو كرم على ما ورد في التفسير وسمي النسا حرثا على التشبيه والنسل ماخوذ من نسل ينسل اذا خرج
متتابعا ومنه نسال الطاير وما يتابع سقوطه من ريشه ومنه قوله تعالى من كل حدب ينسلون
ومنه قول امري القيس فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ولا يحب معناه لا يحبه من اهل الصلاح ولا
يحبه دينا ولا يقع الا ما يحبه الله تعالى وقوعه والفساد واقع وهذا على ما ذهب اليه المتكلمون
من ان الحب بمعنى الارادة قال الفقيه الامام والحب على الارادة مزية ايثار فلو قال احرانا الفساد
لما دفعه مزية الايثار لصح ذلك اذ الحب من الله تعالى انما هو لما حسن من جميع جهاته وقوله
تعالى واذا قيل له اتق الله الاية هذه صفة الكافر والمنافق الذاهب بنفسه زهوا ويكره
للمؤمن ان يوقعه الحرج في نحو هذا وقال بعض العلماء كفى بالمرء اثما ان يقول له اخوه اتق الله فيقول
له عليك نفسك مثلك يوصيني والعزة هنا المنعة وشدة النفس اي اعتز في نفسه
وانتحى فاوقعته تلك العزة في الاثم حين اخذته به والزمته اياه ويحتمل لفظ الاية ان يكون اخذته
العزة مع الاثم فمعنى اليا يختلف بحسب التاويلين وحسبه اي كافيه معاقبة وجزا كما يقول
للرجل كفاك ما حل بك وانت تستعظم وتعظم عليه ما حل به والمهاد ما مهد الرجل لنفسه
كانه الفراش ومن هذا الباب قول الشاعر تحية بينهم ضرب وجيع وقوله تعالى ومن الناس من
يشتري نفسه الاية يتناول كل مجاهد في سبيل الله او مجتهد في ذاته او مغير منكر والظاهر من هذا

هذا التقسيم ان يكون الايات قبل هذه على العموم في الكافر بدليل الوعيد بالنار ويأخذ العصاة
الذين فيهم شي من هذه الخلق بحظهم من وعيد الاية ومن قال ان الايات المتقدمة هي في منافقين
تكلموا في غزوة الرجيع قال هذه الاية في شهداء غزوة الرجيع ومن قال تلك في الاخنس قال هذه في الانصار
والمهاجرين المبادرين الى الايمان وقال عكرمة وغيره هذه في طائفة من المهاجرين وذكروا حديث
صهيب انه خرج من مكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعته قريش ليرده فبرك ناثره
وقال لهم تعلمون والله اني لمن ارماكم رجلا والله لا ارمينكم ما بقي لي سهم ثم لاضربن
بسيفي ما بقي بيدي منه شي فقالوا لا نتركك تذهب عنا غنيا وقد جئتنا صعلوكا ولكن دلنا على
مالك ونتركك فدلهم على ماله وتركوه فهاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال له ربح
البيع ابا يحيى فنزلت هذه الاية ومن قال قصدنا اولى العموم قال في هذه كذلك بالعموم ويشري معناه
يبيع ومنه وشروه بثمن بخس ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميري وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت
هامه وقال الاخر يعطي بها ثمنا فيمنعها ويقول صاحبه الا تشتري فمن هذا تسمى الشراه
كانهم الذين باعوا انفسهم من الله وحكى قوم انه يقال يشري بمعنى اشترى ويحتاج الى هذا
من تاول الاية في صهيب لانه اشترى نفسه بماله ولم يبعها اللهم الا ان يقال ان عزم صهيب
على قتالهم بيع لنفسه من الله تعالى فتستقيم اللفظة على معنى باع وتأول هذه الاية عمر بن الخطاب
وعلي بن ابي طالب وابن عباس في معنى المنكر وكذلك قال علي وابن عباس اقتتل الرجلان اي قال
المغير للمفسد اتق الله فابى المفسد واخذته العزة فشرى المغير نفسه من الله تعالى وقاتله فاقتتلا
وروى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يجمع في يوم الجمعة ناسا من القراء فيهم عبد الله
ابن عباس والحرث بن قيس وغيرهما فيقرؤن بين يديه وسمعه فسمع عمر ابن عباس يقول اقتتل
الرجلان حين قرا هذه الاية فسأله عما قال ففسر له هذا التفسير فقال له عمر لله بلادك
يا ابن عباس وقال ابو هريرة وابو ايوب حين حمل هشام بن عامر على الصف في القسطنطينية
وقال قوم القى بيده الى التهلكة ليس كما قالوا بل هذا قول الله تعالى ومن الناس من يشرى
نفسه الاية وابتغاء مفعول من اجله ووقف حمزة على مرضات بالتا والباقون بالها قال
ابو علي وجه وقف حمزة بالتا اما انه على لغة من يقول طلحة وعلقمة ومنه قول الشاعر بل جوز
تيهاء كظهر الحجفت واما انه لما كان المضاف اليه في ضمن اللفظة ولا بد اثبت التا كما
تثبت في الوصل ليعلم ان المضاف اليه مراد وقوله تعالى والله رؤف بالعباد ترجية تقتضي
الحض على امتثال ما وقع به المدح في الاية كما قوله تعالى فحسبه جهنم تخويف يقتضي التحرز مما
وقع به الذم ثم امر تعالى المؤمنين بالدخول في السلم وقرا ابن كثير ونافع والكسائي السلم
بفتح السين وقرا الباقون بكسرها في هذا الموضع فقيل هما بمعنى واحد يقعان للاسلام
والمسالمة وقال ابو عمرو بن العلا السلم بكسر السين وبالفتح المسالمة وانكر المبرد
هذه التفرقة ورجح الطبري حمل اللفظة على معنى الاسلام لان المؤمنين لم يؤمروا
قط بالابتداء الى الدخول في المسالمة وانما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجنح
للسلم ان جنحوا لها واما ان يبتدي بها فلا واحملك بعد حمل اللفظة على الاسلام
من المخاطب فقالت فرقة جميع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم والمعنى امرهم بالثبوت
فيه والزيادة من التزام حدوده وتستغرق كافة حينئذ المؤمنين وجميع اجزا
الشرع فيكون الحال من شيئين وذلك جائز نحو قوله تعالى فاتت به قومها تحمله
الى غير ذلك من الامثلة وقال عكرمة بل المخاطب من امن بالنبي صلى الله عليه وسلم
من بني اسرائيل كعبد الله بن سلام وغيره وذلك انهم ذهبوا الى تعظيم يوم
السبت وذكروا لحم الابل والبانها واستعمال شي من احكام التوراة وخلط
ذلك بالاسلام فنزلت هذه الاية فيهم فكافة على هذا الاجزا الشرع فقط وقال
ابن عباس نزلت الاية في اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى
ادخلوا في الاسلام كافة فكافة على هذا الاجزا الشرع والمخاطبين على من يرى
السلم الاسلام ومن راها المسالمة فقول امرهم بالدخول في ان يعطوا الجزية وكافة
معناه جميعا والمراد بالكافة الجماعة التي يكف مخالفيها وقيل ان كافة نعت لمصدر
محذوف كان الكلام دخلة كافة ولما حذف المنعوت بقي النعت حالا وتقدم القول
في خطوات والالف واللام في الشيطان للجنس وعدو يقع على الواحد والاثنين والجمع
ومبين يحتمل ان يكون بمعنى ابان عداوته وان يكون بمعنى بان في نفسه انه عدو
ولان العرب يقول بان الامر وابان بمعنى واحد وقوله تعالى فان زللتم من بعد ما

جاءكم

جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله
من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين
امنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب قرا جمهور الناس
زللتم بفتح اللام وقرا ابو السمال زللتم بكسرها واصل الزلل في القدم ثم يستعمل في الاعتقادات
والاراء وغير ذلك والمعنى ضللتم وعجتم عن الحق والبينات محمد واياته ومعجزاته اذا كان
الخطاب اولا لجماعة المؤمنين واذا كان الخطاب لاهل الكتاب فالبينات ما ورد في
شرائعهم من الاعلام بمحمد صلى الله عليه وسلم والتعريف به وعزيز صفة مقتضية انه
قادر عليكم لا تعجزونه ولا تمتنعون منه وحكيم اي محكم فيما يعاقبكم به لزللكم وحكى النقاش ان كعب
الاحبار لما اسلم كان يتعلم القران فاقراه الذي كان يعلمه فاعلموا ان الله غفور رحيم فقال كعب اني
لاستنكر ان يكون هكذا ومر بهما رجل فقال كعب كيف تقرا هذه الاية فقال الرجل فاعلموا ان الله
عزيز حكيم فقال كعب هكذا ينبغي وقوله تعالى هل ينظرون الاية الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهل من حروف الابتداء كما وينظرون معناه ينتظرون والمراد هؤلاء الذين يزلون والظلل
جمع ظلة وهي ما اظل من فوق وقرا قتاده والضحاك في ظلال وكذلك روى هرون بن حاتم
عن ابي بكر عن عاصم هنا وفي الحرفين في الزمر وقال عكرمة ظلل طاقات وقرا الحسن ويزيد بن
القعقاع وابو حيوة والملائكة بالخفض عطفا على الغمام وقرا جمهور الناس بالرفع عطفا على
اسم الله والمعنى ياتيهم حكم الله وامره ونهيه وعقابه اياهم وذهب ابن جريج وغيره الى ان
هذا التوعد هو ما يقع في الدنيا وقال قوم بل هو توعد بيوم القيمة وقال قوم قوله تعالى الا ان
ياتيهم الله وعيد بيوم القيمة واما الملائكة فالوعيد هو باتيانهم عند الموت والغمام ارق
السحاب واصفاه واحسنه وهو الذي ظلل به بنو اسرائيل وقال النقاش هو ضباب ابيض وفي
قراءة ابن مسعود الا ان ياتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام وقضي الامر معناه وقع الجزاء
وعذب اهل العصيان وقرا معاذ بن جبل وقضاء الامر وقرا يحيى بن يعمر وقضي الامور بالجمع وقرا
ابن عامر وحمزه والكسائي ترجع على بناء الفعل للفاعل وقرا الباقون ترجع على بنائه للمفعول
وهي راجعة اليه تعالى قبل وبعد وانما نبه بذكر ذلك في يوم القيمة على زوال ما كان منها الى الملوك
في الدنيا وقوله تعالى سل بني اسرائيل الاية الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه اباحة السؤال
لمن شاء من امته ومعنى الاية توبيخهم على عنادهم بعد الايات البينة وقرا ابو عمرو في رواية عباس
عنه اسئل على الاصل وقرا قوم اسل على نقل الحركة الى السين وترك الاعتداد بذلك في ابقاء الف
الوصل على لغة من قال الحمد ومن قرا سل فانه ازال الف الوصل حين نقل واستغنى عنها وكم في
موضع نصب اما باضمار فعل بعدها لان لها صدر الكلام تقديره كم اتينا اتيناهم واما باتيناهم
وقوله تعالى من اية هو على التقدير الاول مفعول ثان لاتيناهم وعلى الثاني في موضع التمييز ويصح
ان يكون كم في موضع رفع بالابتداء والخبر في اتيناهم وتصير فيه عائدا على كم تقديره كم اتيناهموه والمراد
بالاية كم جاءهم في امر محمد صلى الله عليه وسلم من اية معرفة به دالة عليه ونعمة الله لفظ
عام لجميع انعامه ولكن تقوى من حال النبي صلى الله عليه وسلم معهم ان المشار اليه ها هنا محمد
صلى الله عليه وسلم والمعنى ومن يبدل من بني اسرائيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسحبا على
كل مبدل نعمة الله وقال الطبري النعمة هنا الاسلام وهذا قريب من الاول ويدخل في اللفظ
ايضا كفار قريش الذين بعث محمد منهم نعمة عليهم فبدلوا قبولها والشكر عليها كفرا والتوراه
ايضا نعمة على بني اسرائيل ارشدتهم وهدتهم فبدلوها بالتحريف لها وجحد امر محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى فان الله شديد العقاب خبر يتضمن الوعيد والعقاب ماخوذ من
العقب كان المعاقب يمشي بالمجازاة له في اثار عقبه ومنه عقبة الراكب وعقبة القدر
وقوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا المزين هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر و
يزينها ايضا الشيطان بوسوسته واغوائه وقرا مجاهد وحميد بن قيس وابو حيوة زين على بناء
الفعل للفاعل ونصب الحياة وقرا ابن ابي عبلة زينت باظهار العلامة والقراءة دون علامة
هي للحايل ويكون التانيث غير حقيقي وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين جملة واقبالهم على
الدنيا واعراضهم عن الاخرة بسببها والتزيين من الله تعالى واقع للكل وقد جعل الله ما على الارض
زينة لها لنبلو الخلق ايهم احسن عملا فالمؤمنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة
والكفار تملكهم لانهم لا يعتقدون غيرها وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين قدم عليه
بالمال اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينت لنا وقوله تعالى ويسخرون اشارة الى كفار قريش

لانهم كانوا يعظمون حالهم من الدنيا ويغتبطون بها ويسخرون من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
كبلال وصهيب وابن مسعود وغيرهم فذ الله قبح فعلهم ونبه على خفض منزلتهم بقوله والذين
اتقوا فوقهم يوم القيمة ومعنى الفوق هنا في الدرجة والقدر فهي يقتضي التفضيل ولمن لم يكن للكا
للكافرين من القدر نصيب كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ويحتمل الاية ان المتقين
هم في الاخرة في النعيم والفوز بالرحمة فوق ما هم هؤلاء فيه في دنياهم وكذلك خير مستقرا من
هؤلاء في نعمة الدنيا فعلى هذا الاحتمال وقع التفضيل في امر فيه اشتراك ويحتمل هذه الاية ان يراد
بالفوق المكان من حيث الجنة في السماء والنار في اسفل السافلين فيعلم من ترتيب الاسكنة ان هؤلاء
في الجنة لا في النار ويحتمل الاية ان يكون التفضيل على ما يتضمنه زعم الكفار فانهم كانوا يقولون
وان كان معاد فلنا فيه الحظ اكثر مما لكم ومنه حديث خباب مع العاصي بن وائل وهذا كله
من التخيلات حفظ لمذهب سيبويه والخليل فان التفضيل انما يجيء فيما فيه شركة والكوفيون
يجوزونه حيث لا اشتراك وقوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل ان يكون المعنى والله
يرزق هؤلاء الكفرة في الدنيا فلا يستعظموا ذلك ولا تقيسوا عليه الاخرة فان الرزق ليس
على قدر الكفر والايمان فان تحتسب لهذا عمله ولهذا عمله فيرزقان بحسب ذلك بل الرزق بغير
حساب الاعمال والاعمال ومجازاتها محاسبة ومعادة اذا جزا الجزا يقابل اجرا الفعل المجازى عليه
فالمعنى ان المؤمن وان لم يرزق في الدنيا فهو فوق يوم القيمة ويحتمل الاية ان يكون المعنى ان الله يرزق
هؤلاء المستضعفين علو المنزلة بكونهم فوق وما في ضمن ذلك من النعيم بغير حساب فالاية تنبيه
على عظم النعمة عليهم وجعل رزقهم بغير حساب من حيث هو دائم لا انتهاء فهو لا يستعد ويحتمل
ان يكون بغير حساب صفة لرزق الله تعالى كيف يصرف اذ هو جلت قدرته لا ينفق بعدد ففضله
كله بغير حساب ويحتمل ان يكون المعنى في الاية من حيث لا يحتسب هذا الذي يشاؤه الله كانه قال بغير
احتساب من المرزوقين كما قال تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب وان اعترض معترض على هذه الاية
بقوله تعالى عطاء حسابا فالمعنى في ذلك محتسبا وايضا فلو كان عدا كان الحساب في الجزا والمثوبة
لانها معادة وغير الحساب في التفضل والانعام ن قوله عز وجل كان الناس امة واحدة فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما
اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا
معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب ن قال ابي بن كعب وابن زيد المراد بالناس بنو آدم حين
اخرجهم الله نسما من ظهر ادم وحده وقال قوم آدم وحوا وقال ابن عباس وقتاده والناس القرون
التي كانت بين آدم ونوح وهي عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا فمن بعده وقال
قوم الناس نوح ومن كان في سفينته كانوا مسلمين ثم بعد ذلك اختلفوا وقال ابن عباس ايضا كان الناس
امة واحدة كفارا يريد في مدة نوح حين بعثه الله وكان على هذه الاقوال هي على بابها من المضي المنقضي
ويحتمل الاية معنى رابعا وهو ان يخبر عن الناس الذين هم الجنس كله انهم امة واحدة في خلوهم
عن الشرايع وجهلهم بالحقايق لولا من الله عليهم وتفضله بالرسل اليهم فكان على هذا الثبوت
لا يختص بالمضي فقط وذلك كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما والامة الجماعة على القصد الواحد
ويسمى الواحد امة اذا كان متفردا بمقصد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في قس بن ساعدة
يحشر يوم القيمة امة واحدة وقرا ابي بن كعب كان البشر امة واحدة وقرا ابن مسعود كان الناس
امة واحدة فاختلفوا فبعث الله وكل من قدر الناس في الاية مؤمنين قدر في الكلام فاختلفوا وكل
من قدرهم كفارا كانت بعثة النبيين اليهم واول الرسل على ما ورد في الصحيح في حديث الشفاعة
نوح لان الناس يقولون له انت اول الرسل والمعنى الى قوم كفار والا فادم مرسل الى بنيه
يعلمهم الدين والايمان ومبشرين معناه بالثواب على الطاعة ومنذرين معناه بالعقاب
على المعاصي ونصب اللفظين على الحال والكتاب اسم الجنس والمعنى جميع الكتب وقال
الطبري الالف واللام في الكتاب للعهد والمراد التوراة وليحكم مسند الى الكتاب
في قول الجمهور وقال قوم المعنى ليحكم الله وقرا الجحدري ليحكم على بناء الفعل للمفعول
وحكى عنه مكي ليحكم قال الفقيه الامام واظنه تصحيفا لانه لم يحك عنه البناء
للمفعول كما حكى الناس والضمير في فيه عايد على ما من قوله فيما والضمير في فيه
الثانية يحتمل العود على الكتاب ويحتمل على الضمير الذي قبله والذين اوتوه
ارباب العلم به والدراسة له وذكر تنبيها منه تعالى على الشنعة في فعلهم

والفح

والفح الذي واقعوه والبينات الدلالات والحجج وبغيا منصوب على المفعول له والبغي
التعدي بالباطل وهدى معناه ارشد وذلك خلق الايمان في قلوبهم وقد تقدم
ذكر وجوه الهدى في سورة الحمد والمراد بالذين امنوا من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم
فقالت طائفة معنى الاية ان الامم كذب بعضهم كتاب بعض فهدى الله امة محمد صلى
الله عليه وسلم للتصديق بجميعها وقالت طائفة ان الله هدى المؤمنين للحق فيما اختلف فيه
اهل الكتاب من قولهم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا وقال ابن زيد من قبلتهم فان
اليهود الى بيت المقدس والنصارى الى المشرق ومن يوم الجمعة فان النبي صلى الله عليه وسلم
قال هذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له ولليهود غد وللنصارى بعد غد ومن
صيامهم وجميع ما اختلفوا فيه وقال الفرا في الكلام قلب واختاره الطبري قال
وتقديره فهدى الله الذين امنوا للحق لما اختلفوا فيه ودعاه الى هذا التقدير خوف ان
يحتمل اللفظ انهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه وعساه غير
الحق في نفسه نحا الى هذا الطبري في حكايته عن الفرا قال الفقيه الامام وادعاء القلب
على لفظ كتاب الله دون ضرورة تدفع الى ذلك عجز وسوء نظر وذلك ان الكلام يتخرج على وجهه ورصفه
لان قوله فهدى يقتضي انهم اصابوا الحق وتم المعنى في قوله فيه ويبين بقوله من الحق جنس ما وقع الخلاف
فيه قال المهدوي وقدم لفظ الخلاف على لفظ الحق اهتماما اذ العناية انما هي بذكر الاختلاف قال الفقيه
الامام وليس هذا عندي بقوي وفي قراة عبد الله بن مسعود لما اختلفوا عنه من الحق اي عن الاسلام وباذنه
قال الزجاج معناه بعلمه وقيل بامره والاذن هو العلم والتمكين فان اقترن بذلك امر صار
اقوى من الاذن بمزية وفي قوله والله يهدي من يشاء رد على المعتزلة في قولهم ان العبد
يستبد بهداية نفسه وقوله تعالى ام حسبتم الاية ام قد تجي لابتداء كلام بعد كلام وان لم يكن
تقسيم ولا معادلة الف استفهام وحكى بعض اللغويين انها قد تجي بمثابة الف الاستفهام
يبتدأ بها وحسبتم يطلب مفعولين فقال النحاة ان يدخلوا تسد مسد المفعولين لان الجملة
التي بعد ان مستوفاة المعنى ويصح ان يكون المفعول الثاني محذوفا تقديره ام حسبتم دخولكم
الجنة واقعا ولما ولا يظهر ان يقدر المفعول الثاني في قوله تعالى ولما ياتكم بتقدير احسبتم
دخولكم الجنة خلوا من ان تصيبكم ما اصاب من قبلكم لان خلوا حال والحال هنا انما ياتي بعد توفية
المفعولين والمفعولان هنا الابتداء والخبر قبل دخول حسبت والباسا في المال والضرا في البدن
وخلوا معناه انقرضوا اي صاروا في خلاء من الارض وهذه الاية يدل في قصة الاحزاب حين حصروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في المدينة هذا قول قتاده والسدي واكثر المفسرين
وقالت فرقة نزلت الاية تسلية للمهاجرين الذين اصيب اموالهم بعدهم في بلادهم وسوهم
قبل ذلك ومثل معناه شبه فالتقدير شبه في الذين خلوا والزلزلة شدة التحريك يكون
في الاشخاص وفي الاحوال ومذهب سيبويه ان زلزل رباعي كدحرج وقال الزجاج هو تضعيف
في زل فيجي التضعيف على هذا في الفا وقرا الاعمش وزلزلوا ويقول الرسول بالواو بدل حتى
وفي مصحف ابن مسعود وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول الرسول وقرا نافع يقول بالرفع وقرا
الباقون يقول بالنصب فحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير الى ان وعلى قراة نافع كانها اقترن
بها تسبب فهي حرف ابتداء برفع الفعل واكثر المتاولين على ان الكلام الى اخر الاية من قول الرسول
والمومنين ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب
والرسول اسم الجنس وذكره الله تعظيما للنازلة التي دعت الرسول الى هذا القول وقالت طائفة
في الكلام تقديم وتاخير والتقدير حتى يقول الذين امنوا متى نصر الله فيقول الرسول الا ان نصر الله
قريب فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ثم قدم قول المؤمنين لانه المتقدم في الزمان قال
الفقيه الامام وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل ان يكون الا ان نصر
الله قريب اخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول ن قوله تعالى يسئلونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما
تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير
لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسئلونك عن الشهر الحرام
قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر
عند الله والفتنة اكبر من القتل ن السائلون هم المؤمنون والمعنى يسئلونك ما هي الوجوه
التي ينفقون فيها واين يصرفون ما لزم انفاقه وما يصح ان يكون في موضع رفع على الابتداء
وذا خبرها فهي بمعنى الذي وينفقون صلة وفيه عايد على ذا تقديره ينفقونه ويصح ان يكون

ماذا اسما واحدا مركباً في موضع نصب بينفقون فسعدى بن الضمير ومتى كانت اسما مكنيا فهي
في موضع نصب الاسما جاء في قول الشاعر وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك
عاشق فان عسى لا تعمل فما ذا في موضع رفع وهو مركب اذ لا صلة كذا قال قوم هذه الاية في الزكوة
المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان ومن جرى مجراهما من الاقربين قال السدى نزلت
هذه الاية قبل فرض الزكوة المفروضة ووهم المهدوى على السدى في هذا فنسب اليه انه قال
ان الاية في الزكوة المفروضة ثم نسخ منها الوالدان وقال ابن جريج وغيره هي ندب والزكوة غير
هذا الانفاق فعلى هذا لا نسخ فيها واليتيم فقد الاب قبل البلوغ وتقدم القول في المساكين
وابن السبيل وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب في الفاء وقرأ علي بن ابي طالب يفعلوا بالياء على ذكر
الغائب وظاهر الاية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازاة وكتب معناه فرض وقد تقدم مثله وهذا
هو فرض الجهاد وقرأ قوم كتب عليكم القتل وقال عطا ابن ابي رباح فرض القتال على اعيان اصحاب
محمد فلما استقر الشرع وقيم به صار على الكفاية وقال الجمهور الامة اول فرضه انما كان على الكافة
دون تعيين قال الفقيه الامام اكرمه الله واستمر الاجماع على ان الجهاد على امة محمد فرض كفاية
فاذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقين الا ان ينزل العدو بساحة الاسلام فهو
حينئذ فرض عين وذكر المهدوى وغيره عن الثورى انه قال الجهاد تطوع وهذه العبارة عندى
انما هي على سؤال السائل وقد قيم بالجهاد فقيل له ذلك تطوع والكره بضم الكاف الاسم وبفتحها
المصدر وقال قوم الكره بفتح الكاف ما اكره المرء عليه والكره ما كرهه هو وقال قوم هما بمعنى
واحد وقوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا الاية قال قوم عسى من الله واجبة والمعنى عسى ان
تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم فانكم تظهرون وتغلبون وتغنمون وتوجرون
ومن مات مات شهيدا وعسى ان تحبوا شيئا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فانكم تغلبون
وتذلون وتذهب امركم وفي قوله تعالى والله يعلم الاية قوة امر وقوله تعالى يسئلونك عن
الشهر الحرام الاية نزلت في قصة عمرو بن الحضرمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية
عليها عبد الله بن جحش الاسدى مقدمه من بدر الاولى فلقوا عمرو بن الحضرمى ومعه عثمان بن
عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل المخزوميان والحكم بن كيسان في اخر يوم من رجب على ما ذكره
الطبرى عن السدى وغيره وقال الاشهر على ابن عباس وقد ورد عنه ان ذلك اول ليلة
من رجب والمسلمون يظنونها من جمادى وان القتل في الشهر الحرام لم يقصدوه واما على قول
ابن اسحق فانهم قالوا ان تركناهم اليوم دخلوا الحرم فازمعوا قتالهم فرمى واقد بن عبد الله عمرو
ابن الحضرمى منهم فقتله واسر عبد الله بن عثمان والحكم وفر نوفل فاعجزهم واستسهل
المسلمون القتل في الشهر الحرام حو قتل فوتهم فقالت قريش محمد قد استحل الاشهر الحرم وعيروا
بذلك وتوقف النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما امرتكم بقتال في الاشهر الحرم فنزلت هذه
الاية وذكر المهدوى ان سبب هذه الاية ان عمرو بن امية الضمرى قتل رجلين من بنى كلاب
في رجب فنزلت وهذا تخليط من المهدوى وصاحبا عمرو كان عندهما عهد من النبى صلى الله
عليه وسلم وكان عمرو قد افلت من قصة بئر معونة وذكر الصاحب بن عباد في رسالته المعروفة
بالاسدية ان عبد الله بن جحش سمى امير المؤمنين في ذلك الوقت لكونه مؤمرا على جماعة من المؤمنين
وقتال بدل عند سيبويه وهو بدل الاشتمال وقال الفرا هو خفض بتقدير عن وقال ابو
عبيدة هو خفض على الجوار وقوله هذا خطا وفي مصحف عبد الله بن مسعود يسالونك
عن الشهر الحرام عن قتال فيه بتكرير عن وكذلك قرأها الربيع والاعمش وقرأ عكرمة عن
الشهر الحرام قتل فيه قل قتل فيه دون الف فيهما والشهر في الاية اسم الجنس وكانت العرب
قد جعل الله لها الشهر الحرام قواما يعتدل عنده فكانت لا يسفك دما ولا تغير في الاشهر الحرم
وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وروى جابر بن عبد الله ان النبى صلى الله عليه
وسلم لم يكن يغزو فيها الا ان يعدى فذلك قوله تعالى قل قتال فيه كبير وصد مبتدأ مقطوع
مقطوع مما قبله والخبر اكبر والمسجد معطوف على سبيل الله وهذا هو الصحيح وقال الفرا
صد عطف على كبير وذلك خطا لان المعنى يسوق الى ان قوله تعالى وكفر به ايضا على
كبير ويجيء من ذلك ان اخراج اهل المسجد منه اكبر من الكفر عند الله وهذا بين فساده
ومعنى الاية على قول الجمهور انكم يا كفار قريش تستعظمون علينا القتل في الشهر الحرام
وما تفعلون انتم من الصد عن سبيل الله لمن اراد الاسلام ومن كفركم بالله واخراجكم
اهل المسجد عنه كما فعلوا برسول الله واصحابه اكبر جرما عند الله وقال الزهرى و
مجاهد وغيرهما قوله تعالى قل قتال فيه كبير منسوخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة وبقوله

اقتلوا

اقتلوا المشركين وقال عطا لم ينسخ ولا ينبغى القتال في الاشهر الحرم وهذا ضعيف وقوله تعالى
والفتنة اكبر من القتل المعنى عند جمهور المفسرين والفتنة التى كنتم تفتنون المسلمين
عن دينهم حتى يهلكوا ابتدا اشد اجتراما من قتلكم في الشهر الحرام وقيل المعنى والفتنة اشد من ان
لو قتلوا ذلك المفتون اى يجعلكم على محل السان اشد من جعلنا وقال مجاهد وغيره الفتنة هنا
الكفر اى كفركم اشد من قتلنا اولئك وقوله تعالى ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم
تتفكرون في الدنيا والاخرة ويسئلونك وقوله تعالى ولا يزالون ابتداء خبر من الله عز وجل و
تحذير منه للمؤمنين من شر الكفرة ويردوكم نصب بحتى لانها غاية مجردة وقوله ومن يرتدد
اى يرجع عن الاسلام الى الكفر قالت طائفة من العلماء يستتاب المرتد فان تاب والا قتل وقال
عبيد بن عمير وطاوس والحسن على خلاف عنه والشافعى في احد قوليه يقتل دون ان يستتاب
وروى نحوها عن ابى موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل الحديث قال الفقيه الامام ومقتضى قولهما
انه يقال له للحين راجع فان ابا ذلك قتل وقال عطا ابن ابى رباح ان كان المرتد ابن مسلمين قتل
دون استتابة وان كان اسلم ثم ارتد استتيب وذلك لانه يجهل من فضل الاسلام ما لم يجهل ابن
المسلمين واختلف القائلون بالاستتابة فقال عمر بن الخطاب يستتاب ثلاثة ايام وبه قال
مالك واحمد واسحق واصحاب الراى والشافعى في احد قوليه وقال الزهرى يدعا الى الاسلام فان
تاب والا قتل وروى عن على بن ابى طالب انه استتاب مرتدا شهرا فابا فقتله وقال النخعى والثورى
يستتاب محبوسا ابدا قال ابن المنذر واختلف الاثار عن عمر في هذا الباب قال الفقيه الامام
كان رضى الله عنه سهو بحسب جرم المرتد او قلة جرمه المقترن بالردة وحبط العمل اذا انفسد
في اخره فبطل وقرأ ابو السمال حبطت بفتح في جميع القران وقال على بن ابى طالب والحسن والشعبى
والحكم والليث وابو حنيفة واسحق بن راهويه ميراث المرتد لورثته من المسلمين وقال مالك و
ربيعة وابن ابى ليلى والشافعى وابو ثور ميراثه في بيت المال واجمع الناس على ان ورثته من اهل الكفر
لا يرثونه الا اسد وداود روى عن عمر بن عبد العزيز وعن قتادة وروى عن عمر بن عبد العزيز
خلافه وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا الاية قال جندب بن عبد الله وعروة
بن الزبير وغيرهما لما قتل واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى في الشهر الحرام توقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اخذ خمسه الذى وقف في فرضه له عبد الله بن جحش وفي الاسيرين
فعنف المسلمون عبد الله بن جحش واصحابه حتى شق عليهم ذلك فتلافاهم الله عز وجل بهذه الاية
في الشهر الحرام ثم تذكرهم والاشارة اليهم في قوله ان الذين امنوا ثم هي باقية في كل من فعل
ما ذكر الله عز وجل وهاجر الرجل اذا انتقل نقلة اقامة من موضع الى موضع وقصد ترك الاول
ايثارا للثانى وهي مفاعلة من هجر ومن قال المهاجرة الانتقال من البادية الى الحاضرة فقد
اوهم بسبب ان ذلك كان الاغلب في العرب وليس اهل مكة مهاجرين على قوله وجاهد مفاعلة
من جهد اذا استخرج الجهد ويرجون معناه يطيعون ويستقربون والرجاء ابدا معه خوف
ولا بد كما ان الخوف معه رجاء فقد يجيء راجيا ويجيء الرجاء بمعنى ما يقارنه من الخوف كما قال
الهذلى اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل وقال الاصمعى اذا اقترن
حرف النفى بالرجاء كان بمعنى الخوف لهذا البيت وكقوله تعالى لا يرجون لقاءنا المعنى لا يخافون
وقيل ان الرجاء في الاية على بابه اى لا يرجون الثواب في لقائنا وبازاء ذلك خوف العذاب وقال قوم
اللفظة من الاضداد دون تحرز في احد الجهتين وليس هذا بجيد وقال الجاحظ في كتاب
البكراب ان معنى قوله لم يرج لسعها اى لم يرج برء لسعها وزواله فهو يصبر عليه ويأتى الاية
وعدو قوله تعالى ويسئلونك عن الخمر والميسر الاية السائلون هم المؤمنون والخمر ماخوذة
من خمر اذا ستر ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم خمروا الاناء ومنه خمار المرأة والخمير
ما واراك من شجر وغيره ومنه قول الشاعر الا يا زيد والضحاك سيرا فقد جاوزتما خمر
الطريق اى سيرا مدلين فقد جاوزتما الوهدة الذى تستتر بها الذئب وغيره ومنه قول
العجاج في لامع العقبان لا يمشى الخمر يصف جيشا جاء برايات غير مستخف ومنه قولهم دخل
فلان في خمار الناس وخمارهم اى هو بمكان خاف فلما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت
بذلك والخمر ماء العنب الذى غلى ولم يطبخ او طبخ طبخا لم يتلف غليانه وما جاء من العقل من غير ذلك

فهو في حكمه قال ابو حنيفه قد يكون الخمر من الحبوب قال ابن سيده واظنه تسمحا منه لان حقيقة الخمر انما
هي للعنب دون سائر الاشيا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخمر من هاتين الشجرتين النخله
والعنب وحرمت الخمر بالمدينة يوم حرمت وهي من العسل والزبيب والتمر والشعير والقمح ولم
يكن عندهم خمر عنب واجمعت الامة على خمر العنب اذا غليت فذهب بالزبد انها حرام قليلها
وكثيرها يعني قليلها وكثيرها وان الحد واجب في القليل منها والكثير وجمهور الامة على
ان ما اسكر كثيره من غير خمر العنب فيحرم قليله وكثيره والحد في ذلك واجب وقال ابو
حنيفه وسفيان الثوري وابن ابي ليلى وابن شبرمه وجماعة ممن فقها الكوفة ما اسكر
كثيره من غير خمر العنب فما لا يسكر منه حلال واذا سكر احد منه دون ان يتعمد الوصول
الى حد السكر فلا حد عليه قال الفقيه الامام وهذا قول ضعيف يرده النظر وابو بكر
الصديق وعمر الفاروق والصحابة على خلافه وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
خمر وكل خمر حرام وما اسكر كثيره فقليله حرام قال ابن المنذر في الاشراق لم يبق لهذا الخبر
مقال لقائل ولا حجة لمحتج وروى ان هذه الاية اول التطرق الى تحريم الخمر ثم بعده ولا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى ثم قوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر
ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون ثم قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فقال النبي صلى الله عليه وسلم حرمت
الخمر ولم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم في حد الخمر الا انه جلد اربعين خرجه مسلم وابو داود
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ضرب فيها ضربا مشاعا وحزره ابو بكر اربعين سوطا و
عمل بذلك هو ثم عمر ثم تهافت الناس فيها فشدد عليهم الحد وجعله كاخف الحدود ثمانين وبه
قال مالك وقال الشافعي بالاربعين وضرب الخمر غير شديد عند جماعة من العلما لا يبدو ابط الضارب
وقال مالك الضرب كله سوا لا يخفف ولا يبرح ويجتنب من المضروب الوجه والفرج والقلب
والدماغ والخواصر باجماع وقالت طائفة هذه الاية منسوخة بقوله فاجتنبوه لعلكم تفلحون
يريد ما في قوله ومنافع للناس من الاباحة والاشارة الى الترخيص والميسر ماخوذ من يسر
اذا جزر والياسر الجازر ومنه قول الشاعر فلم يزل بك واشيهم وسكرهم حتى اشاطوا ///
بغيب لحم من يسروا ومنه قول الاخر اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم ياسوا اني ابن فارس زهدم
والجزور الذي يستهم عليه يسمى ميسرا لانه موضع الميسر ثم قيل للسهام ميسر للمجاورة قال
الطبري الميسر ماخوذ من يسر لي هذا اذا وجب ونسبي او لنسب القول الى مجاهد ثم حلت
من قصر كلام مجاهد ما هو خلاف بقوله بل اراد مجاهد الجزور والميسر الذي يدخل في الضرب
بالقداح وجمعه ايسار وقيل يسر جمع ياسر كحارس وحرس واحراس وسهام الميسر سبعة
لها حظوظ وفيها فروض على عدد الحظوظ وثلاثة لا حظوظ لها ولا فروض فيها وهي الفذ
والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والثلاثة التي لا حظوظ لها
المنيح والسفيح والوغد يراد بهذه الثلاثة لتكثر السهام وتخلط على الحرضة وهو الضارب
بها فلا يجد الى الميل مع احد سبيلا وكانت عادة العرب ان يضرب بهذه القداح في الشتوه
وضيق الوقت وكلب البرد على الفقرا يشترى الجزور ويضمن الايسار ثمنها ثم تنحر ويقسم
على عشرة اقسام واخطا الاصمعي في قسمة الجزور فذكر انها كانت على قدر حظوظ السهام
ثمانية وعشرون قسما وليس كذلك ثم يضرب على العشرة الاقسام فمن فاز سهمه انه
يخرج من الربابة متقدما اخذ انصباه واعطاها الفقرا وفي احيان ربما سامروا
لانفسهم ثم يقدم الثمن من لم يفز سهمه ويعيش بهذه السيرة فقرا الحي ومنه
قول الشاعر المطعمو الضيف اذا ما شتا والجاعلو القوت على الناس ومنه قول
الاخر بايديهم مقرومة ومغالق يعود بارزاق العفاه منيحها والمنيح في هذا البيت
المستمنح لانهم كانوا يستعيرون السهم الذي قد املس وكثر فوزه فذلك المنيح
الممدوح واما المنيح الذي هو احد الاغفال فذلك انما يوصف بالكر وايا اراد
جرير بقوله ولقد عطفن على فزارة عطفة كر المنيح وجلن ثم مجالا ومن الميسر قول
لبيد اذا يسروا لم يورث اليسر بينهم فواحش ينعى ذكرها بالمصايف فهذا كله
هو نفع الميسر الا انه اكل المال بالباطل ففيه اثم كبير وقال محمد بن سيرين والحسن
وابن عباس وابن المسيب وغيرهم كل قمار ميسر من نرد وشطرنج ونحوه حتى لعب
الصبيان بالجوز وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الاية قال ابن عباس
والربيع الاثم فيهما بعد التحريم والمنفعة فيهما قبله وقالت طائفة الاثم في الخمر ذهاب العقل

والسباب

والسباب والافترا والاذى والتعدي الذي يكون من شاربها والمنفعة اللذة بها كما قال حسان بن ثابت
ونشربها فتتركنا ملوكا واسدا ما ينهنها اللقاء الى غير ذلك من افراحها وقال مجاهد والمنفعة
بها كسب اثمانها ثم اعلم الله عز وجل ان الاثم اكبر من المنفعة واعوذ بالضرر في الاخرة فهذا هو
التقدمه للتحريم وقرا حمزه والكسائي كثير بالثاء المثلثة وحجتها ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن
الخمر ولعن معها عشرة بايعها ومبتاعها والمشتراه له وعاصرها والمعصورة له وساقيها
وشاربها وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها فهذه اثام كثيرة وايضا فجمع المنافع يحسن معه
جمع الاثام وكثير بالثاء المثلثة يعطي ذلك وقرا باقي القرا وجمهور الناس كبير بالباء واحده وحجتها
ان الذنب في القمار وشرب الخمر من الكبائر بوصفه بالكبير اليق وايضا باتفاقهم على كبر حجة لكبير
بالباء بواحده واجمعوا على رفض اكثر بالثاء مثلثة الا في مصحف ابن مسعود فان فيه قل فيهما اثم
كبير واثمهما اكثر بالثاء مثلثة في الحرفين وقوله تعالى قل فيهما اثم كبير مقصدين احدهما ان يراد
في استعمالهما بعد النهي والاخر ان يراد خلال السوالف فيهما وقال سعيد بن جبير لما نزلت قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس كرهها قوم للاثم وشربها قوم للمنافع فلما نزلت الاية لا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى تحسوها عند اوقات الصلوات فلما نزلت الاية انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون قال عمر بن الخطاب ضيعة لك اليوم قرن بالميسر
والانصاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت الخمر فلما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله
تعالى فهل انتم منتهون قال انتهينا انتهينا قال الفارسي وقال بعض اهل النظر حرمت الخمر بهذه الاية
لان الله تعالى قال انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم واخبر في هذه الاية ان فيها
اثما فهو حرام قال الفقيه الامام ليس هذا النظر بجيد لان الاثم الذي فيها هو المحرم لا هي بعينها
على ما يقتضيه هذا النظر وقال قتاده ذم الله الخمر بهذه الاية ولم يحرمها وقوله تعالى ويسئلونك
ماذا ينفقون قل العفو قال قيس بن سعد هذه الزكوة المفروضة وقال جمهور العلماء بل هي نفقات
التطوع وقال بعضهم نسخت بالزكوة وقال اخرون هي محكمة وفي المال حق سوى الزكوة والعفو
هنا ما ينفقه المرء دون ان يجهد نفسه وماله ونحو هذا هي عبارة المفسرين وهو ماخوذ من عفا
الشي اذا كثر فالمعنى انفقوا فضل عن حوائجكم ولم تؤدوا فيه انفسكم فتكونوا عالة وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له فضل فلينفقه على نفسه ثم على من يعول فان فضل شي
فليتصدق به وقال عليه السلام خير الصدقة ما انفق عن غنى وفي حديث اخر ما كان عن ظهر
غنى وقرا جمهور الناس العفو بالنصب وقرا ابو عمرو وحده بالرفع واختلف عن ابن كثير
وهذا متركب على ما ذا فمن جعل ما ابتداء وذا خبره بمعنى الذي وقدر الضمير في ينفقونه عائدا
قرا العفو بالرفع لتصح مناسبة الجمل ورفعه على الابتداء تقديره العفو انفاقكم او
الذي ينفقون العفو ومن جعل ماذا اسما واحدا مفعولا بينفقون قرا العفو بالنصب باضمار
فعل وصح له التناسب ورفع العفو مع نصب ماذا جائز ضعيف وكذلك نصبه مع رفعها وقوله
تعالى كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون الاشارة الى ما تقدم تبيينه من امر الخمر
والميسر والانفاق واخبر تعالى انه يبين للمؤمنين الايات التي تقودهم الى الفكرة في الدنيا
والاخرة وذلك طريق النجاة لمن نفعته فكرته وقال مكي معناه انه يبين للمؤمنين ايات في الدنيا
والاخرة تدل عليهما وعلى منزلتيهما لعلهم يتفكرون في تلك الايات فقوله في الدنيا متعلق على هذا
التاويل بالايات وعلى التاويل الاول وهو المشهور عن ابن عباس وغيره يتعلق في الدنيا بيتفكرون
ن وقوله تعالى ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم
المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته
للناس لعلهم يتذكرون قوله في الدنيا ابتدائيه وقد تقدم تعلقه وكون يتفكرون موقفا
يقوى تعلق في الدنيا بالايات وقرا طاوس قل اصلح لهم خير وسبب الاية فيما قال السدي والضحاك
ان العرب كانت عادتهم ان يتحاموا مال اليتيم ولا يخالطوه في ماكل ولا مشرب فكانت تلك
مشقة عليهم فسالوا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب
سببها ان المسلمين لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الاية ونزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما تجنبوا اليتامى واموالهم وعزلوهم عن انفسهم فنزلت وان تخالطوهم فاخوانكم الاية
وقيل ان السائل عبد الله بن رواحه وامر الله نبيه ان يجيب بان من قصد الاصلاح في مال
اليتيم فهو خير وما فعل بعد هذا من مخالطة وانبساط لعرض منه فلا حرج ورفع المشقة

فتجنب اليتيم ومآكله ومشربه واباح الخلطة في ذلك اذا قصد الاصلاح ورفق اليتيم مثل ذلك
ان يكتفي اليتيم دون خلطة بقدر ما في الشهر فان دعت خلطة الولي الى ان يزاد في ذلك القدر
فهي مخالطة فساد وان دعت الى ان ينقص من ذلك القدر ففي مخالطة اصلاح وقوله تعالى فاخوانكم
خبر ابتداء محذوف وقوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح تحذير والعنت المشقة و
منه عنت العزبة وعقبة عنوت اي شاقة وعنت البعير اذا انكسر بعد جبر فالمعنى لاعنتكم
في امر اليتامى ولكنه خفف عنكم وقال ابن عباس المعنى لاوبقكم بما سلف من نيلكم من
اموال اليتامى وعزيز مقتضاه لا يرد امره وحكيم اي محكم ما ينفذه وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات
الاية قرا جمهور الناس تنكحوا بفتح التا وقرئت في الشاذ بالضم كان المتزوج لها انكحها من نفسه
ونكح اصله الجماع ويستعمل في التزوج تجوزا واتساعا وقالت طائفة المشركات هنا من يشرك
بالله الاها آخر فلم يدخل اليهوديات ولا النصرانيات في لفظ هذه الاية ولا في معناها وسببها
قصة ابي مرثد كناز بن حصين مع عناق التي كانت بمكة وقال قتادة وسعيد بن جبير لفظ الاية
العموم في كل كافرة والمراد بها الخصوص في الكتابيات وبينت الخصوص اية المائدة ولم يتناول
العموم قط الكتابيات وقال ابن عباس والحسن تناول العموم ثم نسخت اية سورة المائدة بعض
العموم في الكتابيات وهذا مذهب مالك رحمه الله ذكره ابن حبيب وقال ونكاح اليهودية
والنصرانية وان كان قد احله الله مستثقل مذموم وكره مالك تزوج الحربيات لعلة
ترك الولد في دار الحرب ولتصرفها في الخمر والخنزير واباح نكاح الكتابيات عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وجابر بن عبد الله وطلحة وعطا ابن ابي رباح وابن المسيب والحسن
وطاوس وابن جبير والزهري والشافعي وعوام اهل المدينة والكوفة ومنع مالك
والشافعي والاوزاعي وابو حنيفة واسحق نكاح المجوسية وقال ابن حنبل لا يعجبني وروي ان
حذيفة بن اليمان تزوج مجوسية وقال ابن القصار قال بعض اصحابنا يجب على احد القولين ان
لهم كتابا ان تجوز مناكحتهم وقال ابن عباس في بعض ما روي عنه ان الاية عامة في الوثنيات
والمجوسيات والكتابيات وكل من على غير الاسلام حرام قال الفقيه الامام فعلى
هذا هي ناسخة للاية التي في المائدة وينظر الى هذا قول ابن عمر في الموطا ولا اعلم اشراكا اعظم
من ان تقول المراة ربها عيسى ويروى عن عمر انه فرق بين طلحة بن عبد الله وحذيفة بن
اليمان وبين كتابيتين وقالا نطلق يا امير المؤمنين ولا تغضب فقال لو جاز طلاقكما لجاز نكاحكما
ولكن افرق بينهما صغرة قماة قال الفقيه الامام وهذا لا يستند استنادا جيدا واسند
منه ان عمر اراد التفريق بينهما فقال له حذيفة اتزعم انها حرام فاخلي سبيلها يا امير المؤمنين
فقال لا ازعم انها حرام ولكني اخاف ان تعاطوا المومسات منهن وروي عن ابن عباس
نحو هذا وقوله تعالى ولامة مؤمنة اخبار ان المؤمنة المملوكة خير من المشركة
وان كانت ذات الحسب والمال ولو اعجبتكم في الحسن وغير ذلك هذا قول الطبري وغيره وقال
السدي نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فلطمها في غضب ثم ندم فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وقال تصوم وتصلي وتشهد الشهادتين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه مؤمنة فقال ابن رواحة لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل
فطعن فيه ناس فنزلت الاية فيه ومالك رحمه الله لا يجوز عنده نكاح الامة الكتابية وقال
اشهب في كتاب محمد فيمن اسلم وتحته امة كتابية لا يفرق بينهما وروى ابن وهب
وغيره عن مالك ان الامة المجوسية لا يجوز ان توطا بملك اليمين وابو حنيفة واصحابه
يجيزون نكاح الامة الكتابية وقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين الاية اجمعت الامة على
ان المشرك لا يطا المؤمنة بوجه ما لما في ذلك من الغضاضة على دين الاسلام و
القراءة على ضم التاء من تنكحوا وقال بعض العلماء ان الولاية في النكاح نص في لفظ
هذه الاية ولعبد مؤمن خير من مشرك حسب ولو اعجبكم حسنه وماله حسبما
تقدم وليس التفضيل هنا بلفظة خير من جهة الايمان فقط لانه لا اشتراك من جهة
الايمان ولكن الاشتراك موجود في المعاشرة والصحبة وملك العصمة وغير
ذلك وهذا النظر هو مذهب سيبويه في ان لفظة افعل التي للتفضيل لا تصح
حيث لا اشتراك كقولهم الثلج ابرد من النار والنور اضوأ من الظلمة وقال الفراء
وجماعة من الكوفيين تصح لفظة افعل حيث لا اشتراك وحكى مكي عن نفطويه ان لفظ
التفضيل يجي في كلام العرب ايجابا للاول ونفيا عن الثاني قال الفقيه الامام ويحتمل
الاية عندي ان يكون ذكر العبد والامة عبارة عن جميع الناس حرهم ومملوكهم

كما قال

كما قال عليه السلام لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وكما تعتقد ان الكل عبيد الله وكما قال
تعالى نعم العبد انه اواب فكان الكلام في هذه الاية في الرجل والمراة وقوله تعالى اولئك
الاشارة الى المشركات والمشركين اي ان صحبتهم ومعاشرتهم توجب الانحطاط في كثير
من هواهم مع تربيتهم النسل فهذا كله دعا الى النار مع السلامة من ان يدعوا الى دينه
ايضا من لفظه والله عز وجل يمن بالهداية ويبين الايات ويحض على الطاعات التي
هي كلها دواع الى الجنة وقرا الحسن ابن ابي الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء والاذن
العلم والتمكين فان انضاف الى ذلك امر فهو اقوى من الاذن لانك اذا قلت اذنت في كذا
فليس يلزمك انك امرت ولعلهم ترج في حق البشر ومن تذكر عمل بحسب التذكر فنجا
ن وقوله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن
حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب
المتطهرين نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله وبشر
المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع
عليم ن ذكر الطبري عن السدي ان السائل ثابت بن الدحداح وقال قتادة وغيره انما
سالوا لان العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني اسرائيل في تجنب
مواكلة الحائض ومساكنتها فنزلت هذه الاية وقال مجاهد كانوا يجتنبون النساء في الحيض
وياتونهن في ادبارهن فنزلت الاية في ذلك والمحيض مصدر كالحيض ومنه المقيل من قال
يقيل قال الراعي بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا وقال الطبري
المحيض اسم الحيض ومثله قول رؤبة في العيش اشكو اليك شدة المعيش ومر اعوام نتفن ريشي
والاذى لفظ جامع لاشياء تؤذي لانه دم وقذر ونتن ومن سبيل البول وهذه عبارة المفسرين
للفظة وقوله فاعتزلوا يريد جماعهن بما فسر من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان
يشد الرجل ازار الحائض ثم شانه باعلاها وهذا اصح ما ذهب اليه في الامر وبه قال ابن عباس
وشريح وسعيد بن جبير ومالك وجماعة عظيمة من العلماء وروي عن مجاهد انه قال الذي يجب
اعتزاله من الحائض الفرج وحده وروي ذلك عن عائشة والشعبي وعكرمة وروي ايضا عن ابن
عباس وعبيدة السلماني انه يجب ان يعتزل الرجل فراش زوجته اذا حاضت وهذا قول ضعيف
وقد نقمت على ابن عباس خالته ميمونة رضي الله عنها وقالت له ارغبة عن سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقربوهن حتى يطهرن قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم
في رواية حفص عنه حتى يطهرن بسكون الطا وضم الها وقرا حمزة والكسائي وعاصم
في رواية ابي بكر والمفضل عنه يطهرن بتشديد الطاء والهاء وفتحهما وفي مصحف ابي
وعبد الله حتى يتطهرن وفي مصحف انس بن مالك ولا تقربوا النساء في محيضهن و
اعتزلوهن حتى يتطهرن ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء وقال هي بمعنى يغتسلن لاجماع
الجميع على ان حراما على الرجل ان يقرب امراته بعد انقطاع الدم حتى تطهر وانما الاختلاف
في الطهر ما هو فقال قوم هو الاغتسال بالماء وقال قوم هو وضوء كوضوء الصلاة وقال قوم هو
غسل الفرج وذلك يحلها لزوجها وان لم تغتسل من الحيضة ورجح ابو علي الفارسي قراءة
تخفيف الطاء اذ هو ثلاثي مضاد لطمثت وهو ثلاثي قال الفقيه الامام وكل واحدة من القراءتين
يحتمل ان يراد بها الاغتسال بالماء وان يراد بها انقطاع الدم وزوال الاذى وما ذهب اليه
الطبري من ان قراءة شد الطاء مضمنها الغسل وقراءة التخفيف مضمنها انقطاع الدم
امر غير لازم وكذلك ادعاؤه الاجماع اما انه لا خلاف في كراهية الوطء قبل الاغتسال بالماء
قال ابن عباس والاوزاعي من فعله تصدق بنصف دينار ومن وطئ في الدم تصدق بدينار و
اسند ابو داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي ياتي امراته وهي حائض قال
يتصدق بدينار او بنصف دينار وقال ابن عباس الدينار في الدم والنصف عند انقطاعه
ووردت في الشدة في هذا الفعل آثار وجمهور العلماء على انه ذنب عظيم يتاب منه ولا
كفارة فيه بمال وذهب مالك وجمهور العلماء الى ان الطهر الذي يحل جماع الحائض التي
تذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء كطهور الجنب ولا يجزي من ذلك تيمم ولا غيره وقال
يحيى بن بكير وابن القرظي اذا طهرت الحائض وتيممت حيث لا ماء حلت لزوجها وان لم تغتسل
وقال مجاهد وعكرمة وطاوس انقطاع الدم يحلها لزوجها ولكن ياتي بوضوء وحتى غاية لا غير
ولا تقربوهن يريد بجماع وهذا من سد الذرائع وقوله تعالى فاذا تطهرن الاية القراءة تطهرن
بتاء مفتوحة وهاء مشددة والخلاف في معناه كما تقدم في التطهر بالماء او انقطاع الدم

ومجاهد وجماعة من العلماء يقولون هذا انه اريد الغسل بالماء ولا بد بقرينة الامر بالاتيان
وان كان قربهن قبل الغسل مباحا لكن لا يقع صيغة الامر من الله تعالى الا على الوجه الاكمل وفاتوهن
اباحة والمعنى من حيث امركم الله من اعتزالهن وهو الفرج او من السرة الى الركبة او جميع الجسد
حسب ما تقدم هذا كله واحد وقال ابن عباس وابو رزين المعنى من قبل الطهر لا من قبل الحيض وقاله
الضحاك وقال محمد بن الحنفية معنى من قبل الحلال لا من قبل الزنا وقيل المعنى من قبل حالة الاباحة
لا صايمات ولا محرمات ولا غير ذلك والتوابون الراجعون وعرفه من الشر الى الخير والمتطهرون
قال عطا وغيره والمعنى بالماء قال مجاهد وغيره المعنى من الذنوب وقال ايضا مجاهد المعنى من
اتيان النساء في ادبارهن قال الفقيه الامام كانه نظرا في قوله حكاية عن قوم لوط اخرجوهم
من قريتكم انهم اناس يتطهرون وقرا طلحة بن مصرف المطهرين بتشديد الطاء والها وقوله تعالى
نساؤكم حرث لكم الاية قال جابر بن عبد الله والربيع سببها ان اليهود قالت ان الرجل اذا اتى المراة
من دبرها في قبلها جاء الولد احول وعابت على العرب ذلك فنزلت الاية يتضمن الرد على قولهم وقالت
ام سليم وغيرها سببها ان قريشا كانوا ياتون النساء في الفرج من هيات مختلفة فلما قدموا المدينة
وتزوجوا انصاريات ارادوا ذلك فلم يرده نساء المدينة واذا لم يكن عادة رجالهم الا الاتيان
على هيئة واحدة وهي الانبطاح فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانتشر كلام الناس في ذلك فنزلت
الاية مبيحة الهيات كلها اذا كان الوطي في موضع الحرث وحرث تشبيه لانهن من زرع الذرية
فلفظة الحرث يعطي ان الاباحة لم يقع الا في الفرج خاصة اذ هو المزدرع وقوله تعالى انا شئتم معناه
عند جمهور العلماء من صحابة وتابعين وائمة من اي وجه شئتم مقبلة مدبرة على جنب وانى يجي
سوالا او اخبارا عن امر له جهات فهي اعلم في اللغة من كيف ومن اين ومن متى هذا هو الاستعمال
العربي وقد فسر الناس انى في هذه الاية بهذه الالفاظ وفسرها سيبويه بكيف ومن اين
باجتماعهما وذهبت فرقة ممن فسرها باين الى ان الوطي في الدبر جائز وروي ذلك عن عبد الله بن
عمر وروي عنه خلافه وتكفير من فعله وهذا هو اللايق به ورويت الاباحة ايضا عن ابن ابي
مليكة ومحمد بن المنكدر ورواها مالك عن يزيد بن رومان عن سالم عن ابن عمر وروي عن مالك
شي في نحوه وهو الذي وقع في العتبية وقد كذب في ذلك على مالك وروى بعضهم ان رجلا فعل
ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكلم الناس فيه فنزلت هذه الاية قال الفقيه الامام وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصنف النساي وفي غيره اية قال اتيان النساء في ادبارهن
حرام وروي عنه انه قال ملعون من اتى امراة في دبرها وورد عنه انه قال من اتى امراة في
دبرها فقد كفر بما انزل على قلب محمد وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الاخر ان يعرج
في هذه النازلة على زلة عالم بعد ان يصح عنه والله المرشد لا رب غيره وقال السدي معنى قوله وقدموا
لانفسكم اي الاجر في تجنيب ما نهيتم عنه وامساك ما امرتم به وقال ابن عباس هي اشارة الى ذكر الله عز
وجل عند الجماع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى امراته قال اللهم جنبنا الشيطان
وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولد لم يضره وقيل معنى قدموا لانفسكم طلب الولد واتقوا
الله تحذير واعلموا انكم ملاقوه خبر يقتضي المبالغة في التحذير اي فهو مجازيكم على البر والاثم وبشر
المؤمنين تانيس لفاعل البر ومبتغي سنن الهدى وقوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية عرضة
فعلة بناء للمفعول اي كثيرا ما يتعرض بما ذكر يقول جمل عرضة للركوب وفرس عرضة للجري ومنه قوله
كعب بن زهير من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول ومقصد الاية
ولا تعرضوا اسم الله للايمان به ولا تكثروا من الايمان فان الحنث مع الاكثار وفيه قلة رعي لحق الله
تعالى ثم اختلف المتاولون فقال ابن عباس وابراهيم النخعي ومجاهد والربيع وغيرهم المعنى فيما يريدون
الشدة فيه من ترك صلة الرحم والبر والاصلاح قال الطبري التقدير لان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا
وقدره المهدوي كراهية ان تبروا وقال بعض المتاولين المعنى ولا تحلفوا بالله كاذبين اذا اردتم
البر والتقوى والاصلاح فلا يحتاج الى تقدير لا بعد ان ويحتمل ان يكون هذا التاويل في الذي يريد الاصلاح
بين الناس فيحلف حانثا ليكمل غرضه ويحتمل ان يكون على ما روي عن عايشة رضي الله
عنها انها قالت نزلت في تكثير اليمين بالله نهيا ان يحلف به برا فكيف فاجرا فالمعنى اذا اردتم
لانفسكم البر وقال الزجاج وغيره معنى الاية ان يكون الرجل اذا طلب منه فعل خير ونحوه اعتل بالله
تعالى وقال علي يمين وهو لم يحلف وان قتروا اسفعول من اجله والبر جميع وجوه الخير والبر اذا تعلق
بحكمها وتسنتيها فالحالج والمجاهد والعالم وغير ذلك وهو مضاد للاثم اذ هو الحكم اللاحق عن
المعاصي وسميع اي لاقوال العباد عليم بنياتهم وهو مجاز على الجميع واما سبب الاية فقال
ابن جريج نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه اذ حلف ان لا يقطع انفاقه عن مسطح بن اثاثه

حين تكلم

حين تكلم مسطح في حديث الافك وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه مع ابنه عبد الرحمن في
حديث الضيافة حين حلف ابو بكر لا ياكل الطعام فنزلت وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة مع
بشير بن سعد حين حلف لا يكلم واليمين الحلف واصله ان العرب كانت اذا تحالفت او تعاهدت
اخذ الرجل يمين صاحبه بيمينه ثم كثر ذلك حتى سمي الحلف يمينا قوله تعالى لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم للذين يؤلون من
نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله
سميع عليم ن اللغو سقوط الكلام الذي لا حكم له ويستعمل في الهجر والرفث وما لا حكم له من
الايمان تشبيها بالسقط من القول يقال منه لغا يلغو ولغي يلغى لغيا ولغة القران بالواو
والمواخذة هي التناول بالعقوبة واختلف العلماء في اليمين التي هي لغو فقال ابن عباس وعايشة
وعامر الشعبي وابو صالح ومجاهد لغو اليمين قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة
لا والله وبلى والله دون قصد اليمين وروي ان قوما تراجعوا القول بينهم وهم يرمون
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فحلف احدهم لقد اصبت ولكظات يا تلان فاذا الامر
بخلاف فقال رجل حنث يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايمان الرماة لغو لا اثم فيها
ولا كفارة وقال ابو هريرة وابن عباس ايضا والحسن ومالك بن انس وجماعة من العلماء لغو اليمين
ما حلف به الرجل على يقينه فكشف الغيب خلاف ذلك قال الفقيه الامام وهذا اليقين هو
غلبة الظن اطلق الفقهاء عليه لفظة اليقين تجوزا قال مالك مثله ان يرى الرجل على بعد
فتعتقد انه فلان لا تشك فتحلف ثم يجي غير المحلوف عليه وقال سعيد بن المسيب وابو بكر بن
عبد الرحمن وعبد الله وعروة ابنا الزبير لغو اليمين الحلف في المعاصي كالذي يحلف ليشربن
الخمر او ليقطعن الرحم فبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه وقال سعيد بن جبير مثله الا انه قال
يكفر واشبه قوله بالكفارة قول من لا يراها لغوا وقال ابن عباس ايضا وطاوس لغو اليمين الحلف
في حال الغضب وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يمين في غضب
وقال مكحول الدمشقي وجماعة من العلماء لغو اليمين ان يحرم الرجل على نفسه ما احل الله له
فيقول مالي علي حرام ان فعلت كذا والحلال علي حرام وقال بهذا القول مالك ابن عباس الا في الزوجة
فانه الزم فيها التحريم الا ان يخرجها الحالف بقلبه وقال زيد بن اسلم واسه لغو اليمين دعا الرجل
على نفسه اعمى الله بصري اذهب الله مالي هو يهودي هو مشرك هو لعنه ان فعل كذا وقال
ابن عباس والضحاك لغو اليمين هي المكفرة اذا كفرت اليمين فحينئذ سقطت وصارت لغوا ولا
يواخذ الله بتكفيرها والرجوع الى الذي هو خير وقال ابراهيم النخعي لغو اليمين ما حنث فيه الرجل
ناسيا وحكى ابن عبد البر قولا ان اللغو ايمان المكره قال الفقيه الامام فطريقة النظر ان يتامل
لفظة اللغو ولفظة الكسب ويحكم موقعهما في اللغة فكسب المرء ما قصده ونواه واللغو
ما لم يتعمده او ما حقه بحسبه ان يسقطه فيقوى على هذه الطريقة بعض الاقوال المتقدمة
وتضعف بعضها وقد رفع الله عز وجل المواخذة بالاطلاق في اللغو فحقيقته ما لا اثم فيه ولا
كفارة والمواخذة في الايمان هي بعقوبة الاخرة في الغموس المصبورة وفيما ترك تكفيره مما فيه
كفارة وبعقوبة الدنيا في الزام الكفارة فيضعف القول بانها اليمين المكفرة لان المواخذة قد وقعت
فيها وتخصيص المواخذة بانها في الاخرة فقط تحكم وقوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم
قال ابن عباس والنخعي وغيرهما ما كسبت القلب هي اليمين الكاذبة الغموس فهذه فيها المواخذة ولا
الكفارة انما هي فيما يكون لغوا اذا كفر وقال مالك وجماعة من العلماء الغموس لا يكفر هي اعظم دينا
من ذلك وقال الشافعي وقتادة وعطا والربيع اليمين الغموس تكفر مواخذة والغموس ما قصد
الرجل في الحلف الكذب وكذلك المصبورة المعنى فيهما واحد ولكن الغموس سميت بذلك لانها
غمست صاحبها في الاثم والمصبورة سميت بذلك لانها صبرها صاحبها وقوة عليها كما يصبر
الحيوان للقتل والرمي وقال زيد بن اسلم قوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم هو في الرجل يقول
هو مشرك ان فعل اي هذا اللغو الا ان يعقد الاشراك بقلبه ويكسبه وغفور رحيم صفتان لايقتان
بما ذكر من طرح المواخذة اذ هو باب رفق وتوسعة وقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم الاية
وقرا ابي بن كعب وابن عباس للذين يقسمون ويولون معناه يحلفون يقال آلى الرجل يولي ايلاء
والالية اليمين ويقال فيها ايضا الوة بفتح الهمزة وبضمها وكسرها والتربص التاني والتاخر
وكان من عادة العرب ان يحلف الرجل ان لا يطا امراته يقصد بذلك الاذى عند المشارة ونحوها
فجعل تعالى ذلك الحد لئلا يضر الرجال بالنساء وبقي للحالف على هذا المعنى فسحة فيما دون الاربعة
الاشهر واختلف من المراد ان يلزمه حكم الايلاء فقال مالك رحمه الله هو الرجل تغاضب امراته فيحلف

بيمين يلحق عن الحنث فيها حكمان لا يطاها ضررا منه اكثر من اربعة اشهر لا يقصد بذلك اصلاح ولد
رضيع ونحوه فقال به عطا وغيره وقال علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن بن ابي الحسن هو الرجل
يحلف ان لا يطأ امراته على وجه مغاضبة ومشارة وسوا كان ضمن ذلك اصلاح ولد او لم يكن
فان لم يكن عن غضب فليس بايلاء وقال ابن عباس لا ايلاء الا بغضب وقال ابن سيرين سوا كانت
في غضب او في غير غضب هو ايلاء وقاله ابن مسعود والثوري ومالك والشافعي واهل العراق
الا ان مالكا قال ما لم يرد اصلاح ولد وقال الشعبي والقسم بن محمد وسالم بن عبد الله وابن
المسيب كل يمين حلفها الرجل ان لا يطأ امراته او ان لا يكلمها او ان يضارها او ان يغاضبها فذلك
كله ايلاء وقال ابن المسيب منهم الا انه ان حلف الا يكلم وكان يطأ فليس بايلاء وانما يكون
اليمين على غير الوطي ايلاء اذا اقترن بذلك الامتناع من الوطي قال الفقيه الامام واقوال من
ذكرنا مع سعيد مسحل يحتمل ما قال سعيد ويحتمل ان فساد العشرة ايلاء وذهب الى هذا
الاحتمال الاخير الطبري وقال ابن عباس ايضا لا يسمى موليا الا الذي يحلف ان لا يطأ ابدا حكاه ابن
المنذر وقال مالك والشافعي واحمد وابو ثور لا يكون موليا الا ان زاد على الاربعة الاشهر وقال
عطا والثوري واصحاب الراي الايلاء ان يحلف على اربعة اشهر فصاعدا وقال قتاده والنخعي وحماد ابن ابي
سليمان واسحق وابن ابي ليلى من حلف على قليل من الوقت او على كثير فتركها اربعة اشهر فهو مولي قال ابن
المنذر وانكر هذا القول كثير من اهل العلم وقول من نسا ئهم يدخل فيه الحراير والاماء اذا
تزوجن والعبد يلزمه الايلاء من زوجته وقال الشافعي واحمد وابو ثور اجله اربعة اشهر
وقال مالك والزهري وعطا بن ابي رباح واسحق اجله شهران وقال الحسن اجله من حرة اربعة
اشهر ومن امة زوجة شهران وقاله النخعي وقال الشعبي الايلاء من الامة نصف الايلاء من
الحرة وقال مالك والشافعي واصحاب الراي والاوزاعي والنخعي وغيرهم المدخول بها وغير المدخول
سوا في لزوم الايلا فيهما وقال الزهري وعطا والثوري لا ايلاء الا بعد الدخول وقال مالك و
لا ايلاء من صغيرة لم تبلغ فان الى منها فبلغت لزم الايلاء من يوم بلوغها وقال عمر بن الخطاب
وعثمان ابن عفان وعلي بن ابي طالب وابو الدرداء وابن عمر وابن المسيب ومجاهد وطاوس
ومالك والشافعي واحمد واسحق وابو عبيد اذا انقضت الاربعة الاشهر وقف فاما فا والا
طلق والا طلق عليه وقال ابن عباس وابن مسعود وعثمان وعلي ايضا وزيد بن ثابت وجابر بن زيد
والحسن ومسروق بانقضا الاربعة الاشهر دخل عليه الطلاق دون توقيف واختلف العلماء في
الطلاق الداخل على المولي فقال عثمان وعلي وابن عباس وابن مسعود وعطا والنخعي والاوزاعي وغيرهم
هي طلقة باينة لا رجعة له فيها وقال سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبد الرحمن ومكحول والزهري
ومالك هي رجعية وفاؤ معناه لم رجعوا ومنه حتى تفي الى امر الله والفي الظل الراجع عشيا
وقال الحسن وابراهيم اذا فا المولي ووطي فلا كفارة عليه في يمينه لقوله تعالى فان فاؤا فان الله
غفور رحيم قال الفقيه الامام وهذا متركب على ان لغو اليمين ما حلف على معصية وترك وطي
الزوجة معصية وقال الجمهور اذا فا كفر والفي عند ابن جبير لا يكون الا بالجماع وان كان مسجونا
او في سفر مضى عليه حكم الايلاء الا ان يطأ ولا عذر له ولا في يقول وقال مالك رحمه الله لا
يكون الفي الا بالوطي او بالتكفير في حال العذر كالغايب والمسجون قال ابن الفارس في المدونة
الا ان يكون يمينه مما لا يكفرها لانها لا يقع عليه الا بعد الحنث فان القول بالفية ما دام معذورا
واختلف القول في المدونة في اليمين بالله هل يلتفت فيه بالفي بالقول والعزم على التكفير ام لا بد
من التكفير والا فلا في وقال الحسن وعكرمة والنخعي وغيرهم الفي من غير المعذور الجماع ولا بد
ومن المعذور ان يشهد انه قد فاء بقلبه وقال النخعي ايضا يصح الفي بالقول والاشهاد فقط
ويسقط حكم الايلاء ارايت ان لم ينتشر الوطي قال الفقيه الامام ويرجع في هذا القولات
لم يطأ الى باب الضرر وقرا ابي ابن كعب فان فاؤا فيهن وروي عنه فان فاؤا فيها وقوله تعالى
وان عزموا الطلاق الاية قال الفا يكون اذ يمضي اربعة الاشهر يدخل الطلاق عزيمة الطلاق
هي ترك الفي حتى تصرم الاشهر وقال القائلون لا بد من التوقيف حتى يطلق الحاكم واستدل
من قال بالتوقيف بقوله سميع لان هذا الادراك انما هو في المقولات وقرا ابن عباس فان عزموا
السراح ن وقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا تحل لهن ان تكتمن ما خلق
الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ن قرا جمهور الناس
قروء على وزن اللام همزة وروي عن نافع شد الواو دون همز وقرا الحسن ثلاثة قرو بفتح القاف
وسكون الراء وتنوين الواو وحكم هذه الاية مقصد الاستبرا الا انه عبادة وكذلك خرجت

منه من لم يبن بخلاف عدة الوفاة التي هي عباده والمطلقات لفظ عموم يراد به الخصوص في
المدخول بهن ولم يدخل في العموم المطلقة قبل البنا ولا الحامل ولا التي لم تحض ولا القاعد
وقال قوم تنا ولهن العموم ثم نسخن وهذا ضعيف فانما الاية فيمن تحتض وهو عرف النساء
وعليه معظمهن فاغنى ذلك عن النص عليه والقرء في اللغة الوقت المعتاد ترديده و
قرء النجم وقت طلوعه وكذلك وقت افوله وقرء الريح وقت هبوبها ومنه قول الراجز
يا رب ذي ضغن على فارض له قروء كقروء الحائض اراد وقت غضبه فالحيض على هذا يسمى
قروءا ومنه قول النبي عليه السلام اتركي الصلوة ايام اقرائك اي ايام حيضك وكذلك
على هذا النظر يسمى الطهر قروءا لانه وقت معتاد ترديده تعاقب الحيض ومنه قول الاعشى
افي كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفي الحي
رفعة بما ضاع فيها من قروء نسائكا اي من اطهارهن وقال قوم القرء ماخوذ من
قرء الماء في الحوض وهو جمعه فكان الرحم يجمع الدم وقت الحيض والجسم يجمعه وقت الطهر
واختلف ايهما اراد الله تعالى التي حدها للمطلقة فقال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن
عباس والضحاك ومجاهد والربيع وقتاده واصحاب الراي وجماعة من اهل العلم المراد
الحيض فاذا طلق الرجل امراته في طهر لم يطأ فيه استقبلت حيضة حيضة فاذا اغتسلت
من الثالثة انقضت العدة قبل الغسل هذا قول سعيد بن جبير وغيره وقالت عايشة وابن
عمر وجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم منهم سليمان بن يسار ومالك المراد
الاطهار فاذا طلق الرجل امراته في طهر لم يطأ فيه اعتدت بما بقي منه ولو ساعة ثم
استقبلت طهرا ثانيا بعد حيضة ثم ثالثا بعد حيضة ثانية فاذا رات الدم من الحيضة
الثالثة حلت للازواج وخرجت من العدة فان طلق مطلق في طهر قد مس فيه لزمه الطلاق و
قد اسا واعتدت بما بقي من ذلك الطهر وقول ابن القسم ومالك ان المطلقة اذا رات اول نقطة
من الحيضة الثالثة خرجت من العصمة وهو مذهب زيد بن ثابت وغيره وقال اشهب لا ينقطع
العصمة والميراث حتى يتحقق انه دم حيض لئلا يكون دفعة دم من غير الحيض واختلف المتاولون
في المراد بقوله ما خلق فقال ابن عمر ومجاهد والربيع وابن زيد والضحاك هو الحيض والحبل
جميعا ومعنى النهي عن الكتمان النهي عن الاضرار بالزوج واذهاب حقه فاذا قالت المطلقة
حضت وهي لم تحض ذهبت بحقه من الارتجاع واذا قالت لم احض وهي قد حاضت الزمته من النفقة
ما لم يلزمه فاضرت به او تقصد بكذبها في نفي الحيض الا ترتجع حتى تتم العدة ويقطع الشرع حقه
وكذلك الحامل تكتم الحمل لينقطع حقه من الارتجاع وقال قتاده كانت عادتهن في الجاهلية
ان يكتمن الحمل ليلحقن الولد بالزوج الجديد ففي ذلك نزلت الاية وقال السدي سبب الاية
ان الرجل كان اذا اراد ان يطلق امراته سالها انها حامل مخافة ان تضر بنفسه وولده
في فراقها فامرهن الله بالصدق في ذلك وقال ابراهيم النخعي وعكرمة المراد بما خلق الحيض وروي عن
عمر وابن عباس ان المراد الحمل والعموم راجح وقوله تعالى ولا تحل لهن ما يقتضي انهن مومنات
على ما ذكر ولو كان الاستقصا مباحا لم يكن كتم وقرا ميسر بن عبيد في ارحامهن بضم الهاء وقوله
ان كن يؤمن الاية اي حق الايمان فان ذلك يقتضي ان لا يكتمن الحق وهذا كما تقول ان كنت حرا فانتصر
وان كنت مخاطب حرا وقوله تعالى وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا البعل الزوج
وجمعه على بعولة شاذ لا ينقاس لكن هو المسموع وقال قوم الهاء فيه دالة على تانيث الجماعة و
قيل هي تا تانيث دخلت على فعول وفعول لا شذوذ فيه وقرا ابن مسعود بردتهن بزيادة تا
وقال ميسر بن عبيد بردهن بضم الها ونص الله تعالى بهذه الاية على ان للزوج ان يرتجع
امراته المطلقة ما دامت في العدة والاشارة بذلك هي الى المدة ثم اقترن بما لهم من الرد
بشرط ارادة الاصلاح دون المضارة كما شدد على النساء في كتم ما في ارحامهن وهذا بيان
الاحكام التي بين الله تعالى وبين عباده في ترك النسا الكتمان وارادة الرجال للاصلاح
فان قصد احد بعد هذا فسادا او كتمت امراة ما في رحمها فاحكام الدنيا على الظاهر والبواطن
الى الله تعالى يتولى جزا كل ذي عمل ويضعف هذه الاية قول من قال في المولي ان بانقضا
الاشهر الاربعة تزول العصمة بطلقه باينة لا رجعة فيها لان اكثر ما يعطي الفاظ القران
ان ترك الفي اربعة اشهر هو عزم على الطلاق واذا كان كذلك فالمراة من المطلقات
اللواتي يتربصن وبعولتهن احق بردهن وقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
قال ابن عباس كذلك في التزين والتصنع والمواتاه وقال الضحاك وابن زيد ذلك في حسن
العشرة وحفظ بعضهم لبعض وتقوى الله فيه والاية يعم جميع حقوق الزوجية وقوله تعالى

وللرجال عليهن درجة قال مجاهد وقتادة ذلك تنبيه على فضل حظه على حظها في الجهاد والميراث
وما اشبهه وقال زيد ابن اسلم واسه ذلك في الطاعة عليها ان تطيعه وليس عليه ان يطيعها
وقال عامر الشعبي ذلك الصداق الذي يعطي الرجل وانه يلاعن ان قذف وتحد ان قذفت وقال
ابن عباس تلك الدرجة اشارة ان حض الرجال الى حسن العشرة والتوسع للنسا في المال والخلق اي ان
الافضل ينبغي ان يتحامل على نفسه وهذا قول حسن بارع وقال ابن اسحق الدرجة الانفاق وانه
قوام عليها وقال ابن زيد الدرجة ملك العصمة وان الطلاق بيده وقال حميد الدرجة
اللحية قال الفقيه الامام وهذا ان صح عنه ضعيف لا يقتضيه لفظ الاية ومعناها واذا
تاملت هذه الوجوه التي ذكرها المفسرون فتجي من مجموعها درجة يقتضي الفضل وعزيز
لا يعجزه احد وحكيم فيما ينفذه من الاحكام والامور ن وقوله تعالى الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما
حدود الله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله
فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون ن قال عروة بن الزبير وقتادة وابن
زيد وغيرهم نزلت هذه الاية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه ان يرتجع دون تجديد مهر
وولي ذلك انهم كانوا في الجاهلية يطلقون ويرتجعون الى غير غاية فقال رجل لامراته
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا اوويك ولا ادعك تحلين قالت فكيف ذلك قال اطلقك
فاذا دنى مضي عدتك راجعتك فشكت ذلك فنزلت الاية وقال ابن مسعود وابن عباس و
مجاهد وغيرهم المراد بالاية التعريف بسنة الطلاق اي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة
فاما تركها غير مظلومة شيئا من حقها واما امسكها محسنا عشرتها قال الفقيه الامام
والاية يتضمن المعنيين والامساك بالمعروف هو الارتجاع بعد الثانية الى حسن العشرة
والتزام حقوق الزوجية والتسريح يحتمل لفظ معنيين احدهما تركها تتم العدة من الثانية
وتكون املك بنفسها وهذا قول السدي والضحاك والمعنى الاخر ان يطلقها ثالثة فيسرحها
بذلك وهذا قول مجاهد وعطا وغيرهما ويقوى عندي هذا القول من ثلاثة وجوه اولها انه
روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هذا ذكر المطلقتين فاين الثالثة
فقال عليه السلام هي قوله تعالى او تسريح باحسان والوجه الثاني ان التسريح من الفاظ
الطلاق الا ترى انه قد قرئ وان عزموا السراح والوجه الثالث ان فعل بفعيلا بمعنى التضعيف
يعطي انه احدث فعلا مكررا على الطلقة الثانية وليس في الترك احداث فعل يعبر عنه بالتفعيل
وامساك مرتفع بالابتداء والخبر امثل واحسن ويصح ان يرتفع على خبر ابتداء تقديره فالواجب
امساك وقوله تعالى باحسان معناه لا يظلمها شيئا من حقها ولا يتعدى في قول وقوله
تعالى ولا يحل لكم ان تاخذوا الاية خطاب للازواج نهاهم به ان تاخذوا من ازواجهم شيئا على
وجه المضارة وهذا هو الخلع الذي لا يصح الا بان لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتى الازواج
نهاهم به ان ياخذوا من ازواجهم شيئا على وجه المضارة وهذا هو الخلع الذي لا يصح الا بان
لا ينفرد الرجل بالضرر وخص بالذكر ما اتى الازواج نساءهم لان العرف من الناس ان يطلب
الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج عن يده هذا وكرهم في الاغلب فكذلك خص بالذكر
وقرا جميع السبعة الا حمزة يخافا بفتح اليا على بناء الفعل للفاعل فهذا باب خاف في التعدي
الى مفعول واحد وهو ان وقرا حمزة وحده يخافا بضم اليا على بناء المفعول فهذا على تعدية خاف
الى مفعولين احدهما اسند الفعل اليه والاخر ان بتقدير حرف جر محذوف فموضع ان خفض با
لجار المقدر عند سيبويه والكساي ونصب عند غيرهما لانه لما حذف الجار وصل الفعل الى
المفعول الثاني مثل استغفر الله ربنا وامرتك الخير وفي مصحف ابن مسعود الا ان يخافوا بالياء
وواو الجمع والضمير على هذا للحكام والمتوسطين امور الناس وحرم الله تعالى على الزوج في هذه الاية
ان ياخذ الا بعد الخوف الا يقيما واكد التحريم والوعيد لمن تعدى الحد واجمع عوام العلما على تحريم
اخذ مالها الا ان يكون النشوز وفساد العشرة من قبلها قال ابن المنذر وروينا معنى ذلك عن ابن
عباس والشعبي ومجاهد وعطا والنخعي وابن سيرين والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير و
الزهري وحميد بن عبد الرحمن وقتادة وسفيان الثوري ومالك واسحق وابو ثور وقال مالك
والشعبي وجماعة معهما فان كان مع فساد الزوجية ونشوزها فساد من الزوج وتفاقم ما بينهما
فالعادية جائزة للزوج قال الفقيه الامام ومعنى ذلك ان يكون الزوج لو ترك فساده لم يزل نشوزها
هو واما ان انفرد الزوج بالفساد فلا اعلم احدا يجيز له العادية الا ما روي عن ابي حنيفة انه قال
اذا جاء الظلم والنشوز من قبله فخالعته فهو جائز ماض وهو اثم لا يحل ما صنع ولا يرد

ما اخذ

ما اخذ قال ابن المنذر وهذا خلاف ظاهر كتاب الله وخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولو قيل لاحد اجهد نفسك في طلب الخطا ما وجد امرا اعظم من ان ينطق القران بتحريم شي فيحله
ويجيزه وحدود الله في هذا الموضع هي ما يلزم الزوجين من حسن العشرة وحقوق الصحبة ونازله
حبيبة بنت سهل وقيل جميلة بنت ابي سلول والاول اصح مع ثابت بن قيس حين اباح له النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ العادية منها انما كان التعسف فيها من المراة لانها ذكرت عنه كل خير
وانها لا تحب البقا معه وقوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله المخاطبة للحكام والمتوسطين
لهذا الامر وان لم يكن حاكما وترك اقامة حدود الله هو استخفاف المراة بحق زوجها وسوء طاعتها
اياه قال ابن عباس ومالك ابن انس وجمهور الفقها وقال الحسن ابن ابي الحسن وقوم معه
اذا قالت لا اطيع لك امرا ولا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسما حل الخلع وقال الشعبي
لا يقيما حدود الله معناه ان لا يطيعا الله وذلك ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة و
قال عطا ابن ابي رباح يحل الخلع والاخذ ان تقول المراة لزوجها اني لاكرهك ولا احبك ونحو
هذا وقوله تعالى لا ايه لا حرج لها ان يعطيه مالها حيث لا يجوز له اخذه فهي تعد على الخاصم
وان كان للخوف المذكور جاز له ان ياخذ ولها ان تعطي ومتى لم يقع الخوف و لا يجوز لها
ان يعطى على طلب الفراق وقال ابن عمر والنخعي وابن عباس ومجاهد وعثمان بن عفان رضي
الله عنهم ومالك والشافعي وابو حنيفة وعكرمة وقبيصة بن ذويب وابو ثور
وغيرهم مباح للزوج ان ياخذ من المراة في العادية بجميع ما يملكه وقضى بذلك عمر بن
الخطاب وقال طاوس والزهري وعطا وعمرو بن شعيب والحسن والشعبي والحكم وحماد واحمد
واسحق لا يجوز له ان يزيد على المهر الذي اعطاها وبه قال الربيع وكان يقرا هو والحسن ابن
ابي الحسين فيما افتدت به منه بزيادة منه يعني مما اتيتموهن وهو المهر وحكي مكي
هذا القول عن ابي حنيفة وابن المنذر اثبت وقال ابن المسيب لا ارى ان ياخذ منها
كل مالها ولكن ليدع لها شيئا وقال بكر بن عبد الله المزني لا يجوز للرجل ان ياخذ من زوجته
شيئا خلعا قليلا ولا كثيرا قال وهذه الاية منسوخة بقوله عز وجل وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا قال الفقيه الامام و
هذا ضعيف لان الاية محكمة على اخاوه الفدية ولان المعنى المقترن باية القدرية غير
المعنى الذي في اية ارادة الاستبدال وقوله تعالى تلك حدود الله الاية اي هذه الاوامر والنواهي
هي المعالم بين الحق والباطل والطاعة والمعصية فلا يتجاوزها ثم توعد تعالى على تجاوز الحد
ووصف المتعدي بالظلم وهو وضع الشي غير موضعه والظلم معاقب صاحبه وهو كما قال عليه
السلام ظلمات يوم القيامة قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها
فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون
واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف وسرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن
ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه قال ابن عباس والضحاك والسدي وقتادة هذا
ابتداء الطلقة الثالثة قال القاضي ابو محمد فيجي التسريح المتقدم ترك المراة يتم عدتها من الثانية ومن
قول ابن عباس رضي الله عنه ان الخلع فسخ عصمة وليس بطلاق واحتج من هذه الاية بذكر الله
تعالى الطلاقين ثم ذكره الخلع ثم ذكره الثالثة بعد الطلاقين ولم يكن للخلع حكم يعتد به ذكر
هذا ابن المنذر في اشرافه عنه وعن عكرمة وطاوس واحمد واسحق وابي ثور وذكر عن الجمهور خلاف
قولهم وقال مجاهد هذه الاية بيان ما يلزم المسرح والتسريح هو الطلقة الثالثة قال الفقيه الامام
وقوله تعالى او تسريح باحسان يحتمل الوجهين اما تركها يتم العدة واما ارداف الثالثة ثم بين
في هذه الاية حكم الاحتمال الواحد اذ الاحتمال الثاني قد علم منه الا حكم له عليها بعد انقضاء العدة و
تنكح في اللغة جار على حقيقته في الوطي ومجاز في العقد واجمعت الامة في هذه النازلة على اتباع
الحديث الصحيح في بنت سموك امراة رفاعة حين تزوجها عبد الرحمن بن عوف وكان رفاعة قد طلقها
ثلثا فقالت للنبي صلى الله عليه وسلم اني لا اريد البقا مع عبد الرحمن ما معه الا مثل الهدبة فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك اردت الرجوع الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي
عسيلته فراى العلما ان النكاح المحل انما هو الدخول والوطي وكلهم ان مغيب الحشفة تحل
الا الحسن ابن ابي الحسن فانه قال لا تحل الا الانزال وهو ذوق العسيلة وقال بعض الفقها
التقاء الختانين تحل قال الفقيه الامام والمعنى واحد اذ لا يلتقي الختانان الا مع المغيب الذي عليه
الجمهور وروي عن سعيد بن المسيب ان العقد عليها تحلها للاول وحكي هذا القول بخلاف الحديث
الصحيح ويتاول على سعيد رحمه الله ان الحديث لم يبلغه ولما راى العقد عاملا في بيع عقد الرجل نكاح امراة

قدعقد عليها ابوه فاس عليه عمل العقد فى تحليل المطلقة قال الفقيه الامام وتحليل المطلقة
توحصص فلايتم الاسم الابالاوفى ومنع الابن شدة تدخل بارق للاسباب على اصلهم فى البر والحنث
والذى تحل عند مالك رحمه الله النكاح الصحيح والوطى المباح والمحلل اذا وافق المراة فلم تنكح زوجا
ولاتحل لك ولا اعلم فى انفاقه مع الزوجة خلافا وقال عثمان بن عفان اذا قصد المحلل التحليل وجده
لم تحل وكذلك ان قصدته المراة وحدها ورخص فيه مع قصد المراة وحدها ابراهيم والشعبى
اذا لم يامر به الزوج وقال الحسن بن ابى الحسن اذا هم احد الثلاثة بالتحليل لم تحل للاول وهذا شاد
وقال سالم والقاسم لاباس ان يتزوجها ليحلها اذا لم يعلم الزوجان وقوله تعالى فان طلقها
فلاجناح عليهما الاية المعنى ان طلقها الزوج الثانى فلاجناح عليهما اى المراة والزوج للاول
قاله ابن عباس ولاخلاف فيه والظن هنا على بابه من تغلب احد الجانبين وقال ابو عبيدة المعنى
ايقنا وقوله فى ذلك ضعيف وحدود الله الامور التى امر بان لاتعدى وخص الذين يعلمون
بالذكر تشريفا لهم وادهم الذين ينتفعون بما بين اى نصب للعبرة من قول وصنعة واما
اردنا بالتثنين حلو البيان فى القلب فذلك توجب تخصيص الذين يعلمون بالذكر لان من طبع على قلبه
لم بين له شى وقرا السبعة يبينها بالياء وقرا عاصم فيما روى عنه يبينها بالنون وقوله تعالى واذا
طلقتم النساء الاية خطاب للرجال لايختص بحكمه الا الازواج وذلك نهى للرجل ان يطول العدة
على المراة مضارة منه لها بان يرتجع قرب انقضائها ثم طلق بعد ذلك قاله الضحاك وغيره ولاخلاف
فيه ومعنى بلغن اجلهن قاربن لان المعنى يضطر الى ذلك لانه بعد بلوغ الاجل لاخيار له فى الا
فى الامساك ومعنى امسكوهن راجعوهن وبمعروف قيل هو الاشهاد ولاتمسكوهن اى لاتراجعوهن
ضرارا وباقى الاية بين ن قوله تعالى ولاتتخذوا ايات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شى عليم واذا طلقتم
النساء فبلغن اجلهن فلاتعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك
يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لاتعلمون
ن المراد اياته النازلة فى الاوامر والنواهى وقال الحسن نزلت هذه الاية فيمن طلق لاعبا او هازلا
او راجع كذلك وقالت عايشة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد النكاح والطلاق والرجعة ووقع هذا الحديث فى المدونة من كلام ابن المسيب النكاح والطلاق
والعتق ثم ذكر الله عبادة بانعامه عليهم بالقران والسنة والحكمة هى السنة المبينة على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم مراد الله فيما لم ينص عليه فى الكتاب والوصف بعلم
يقتضيه ما تقدم من الافعال التى ظاهرها خلاف النية فيها كالمحلل والمرتجع مضارة وقوله تعالى
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلاتعضلوهن الاية خطاب للمؤمنين الذين منهم الازواج ومنهم
الاوليا لانهم المراد فى تعضلوهن وبلوغ الاجل فى هذا الموضع تناهيه لان المعنى يقتضى ذلك وقد
قال بعض الناس فى هذا الموضع ان المراد تعضلوهن الازواج وذلك بان يكون الارتجاع مضارة
عضلا عن نكاح الغير فقوله ازواجهن على هذا يعنى الرجال اذ منهم الازواج وعلى ان المراد بتعضلوهن
الاوليا فالازواج هم الذين كن فى عصمتهم والعضل المنع من الزوج وهو من معنى التضييق والتعسير
كما يقال اعضلت الدجاجة اذا عسر بيضها والداء العضال العسير البرء وقيل نزلت هذه الاية فى معقل
ابن يسار واخته وقيل فى جابر بن عبد الله وذلك ان رجلا طلق اخته وقيل بنته وتركها حتى تمت عدتها
ثم اراد ارتجاعها فغار جابر وقال تركتها وانت املك لا زوجتكها ابدا فنزلت الاية وهذه الاية تقتضى
ثبوت حق الولى فى انكاح وليته وان النكاح يفتقر الى ولى خلاف قول ابى حنيفة ان الولى ليس من شروط
النكاح وقوله تعالى بالمعروف معناه المهر والاجتهاد وقوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم خطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم ثم رجوع الخطاب للجماعة والاشارة فى ذلكم ازكى الى ترك العضل وازكى
واطهر معناه اطيب للنفس واطهر للعرض والدين بسبب العلاقات التى تكون بين الازواج وربما لم يعلمها
الولى فيؤدى العضل الى الفساد والمخالطة على ما لاينبغى والله تعالى يعلم من ذلك ما لايعلم البشر وقوله
تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ن يرضعن اولادهن
خبر معناه الامر على الوجوب لبعض الوالدات والامر على جهة الندب والتخيير لبعضهن فاما المراة
التى فى العصمة فعليها الارضاع وهو عرف يلزم اذ قد صار كالشرط الا ان تكون شريفة ذات
ترفه فعرفها ان لاترضع وذلك كالشرط فان مات الاب ولا مال للصبى وذهب مالك فى المدونة
ان الرضاع لازم للام بخلاف النفقة وفى كتاب ابن الجلاب رضاعه فى بيت المال وقال عبد الوهاب
هو من فقرا المسلمين واما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها والرضاع على الزوج الا ان تشا
فهى احق به باجرة المثل هذا مع يسر الزوج فان كان معدما لم يلزمها الرضاع الا ان يكون المولود

لا يقبل غيرها فتجبر حينئذ على الرضاع ولها اجر مثلها فى يسر الزوج وكل من يلزمها الارضاع فان اصابها
عذر يمنعها منه عاد الارضاع على الاب وروى عن مالك ان الاب اذا كان معدما ولا مال للصبى
فان الارضاع على الام فان كان بها عذر ولها مال فالارضاع عليها فى مالها وهذه الاية فى
المطلقات قاله السدى والضحاك وغيرهما جعلها الله حدا عند اختلاف الزوجين فى مدة الرضاع
فمن دعا منهما الى اكمال الحولين فذلك له وقال جمهور المفسرين ان هذين الحولين لكل ولد وروى
عن ابن عباس انه قال هى فى الولد الذى يمكث فى البطن ستة اشهر فان مكث سبعة فرضاعه ثلاثة وعشرون
شهرا فان مكث ثمانية اشهر فرضاعه اثنان وعشرون شهرا فان مكث تسعة اشهر فرضاعه احد
وعشرون شهرا قال الفقيه الامام كان هذا القول انبنى على قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا
لان ذلك حكم على الانسان عموما كسمى العام حولا لاستحالة الامور فيه فى الاغلب ووصفهما
بكاملين اذ هما قد اعتد يجوز ان يقال فى حول وتعصل حرحولين وفى يوم وبعض اخر مسيت يومين
وصيرت عليك فى دينى يومين وشهرين وقوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة مبنى على ان الحولين
ليسا بفرض لايتجاوزن وقرا السبعة ان يتم الرضاعة بضم اليا ونصب الرضاعة وقرا مجاهد وابن
محيصن وحميد والحسن وابو رجا تتم الرضاعة بفتح التا الاولى ورفع الرضاعة على اسناد الفعل
اليها وقرا ابو حيوة وابن ابى عبلة والجارود بن ابى سبرة كذلك الا انهم كسروا الرا من
الرضاعة وهى لغة كالحضارة والحضارة وغير ذلك وروى عن مجاهد انه قرا الرضعة على
وزن الفعلة وروى عن ابن عباس انه قرا ان يكمل الرضاعة باليا المضمومة وانتزع مالك
رحمه الله وجماعة من العلما من هذه الاية ان الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب انما هى ما كان
من الحولين لان بانقضاء الحولين تمت الرضاعة فلا رضاعة وروى عن قتادة انه قال هذه
الاية تضمنت فرضا الارضاع على الوالدات ثم يسر ذلك وخفف بالتخيير الذى فى قوله لمن اراد قال
القاضى ابو محمد وهذا قول متداع قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا
تكلف نفس الا وسعها لاتضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ن
المولود له اسم جنس وصنف من الرجال والرزق فى هذا الحكم الطعام الكافى وقوله بالمعروف يجمع حسن
القدر فى الطعام وجودة الادا وحسن الاقتضا من المراة ثم بين تعالى ان الانفاق على قدر غنا الزوج
ومنصبها لقوله تعالى لاتكلف نفس الا وسعها وقرا جمهور الناس تكلف بضم التا نفس على ما لم يسم
فاعله وقرا ابو رجا لاتكلف بفتح التا بمعنى تتكلف نفس فاعله وروى عنه ابو الاشهب لانكلف بالنون
نفسا بالنصب وقرا ابو عمرو وابن كثير وابان عن عاصم لاتضار والدة بالرفع فى الرا وهو خبر معناه
الامر ويحتمل ان يكون الاصل تضارر بكسر الرا الاولى فوالدة فاعله ويحتمل ان يكون تضارر بفتح الرا الاولى
فوالدة مفعول ما لم يسم فاعله ويعطف مولود له على هذا الحد فى الاحتمالين وقرا نافع وحمزة والكسائى
وعاصم تضار بفتح الرا المفردة وهذا على النهى ويحتمل اصله على ما ذكرنا فى الاولى ومعنى الاية فى كل قراة
النهى عن ان تضار الوالدة زوجها المطلق بسبب ولدها وان تضارها بسبب الولد او يضار الظير لان لفظ
نفيه يعم الظير وقد قال عكرمة فى قوله تعالى لاتضار والدة معناه الظير ووجوه الضرر لاتنحصر وكل
ما ذكر منها فى التفاسير فهو مثال وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قرا لاتضارر
برائين الاولى مفتوحة وقرا ابو جعفر بن القعقاع لاتضار باسكان الرا وتخفيفها وروى عنه
الاسكان والتشديد وروى عن ابن عباس لاتضارر بكسر الرا الاولى واختلف العلما فى معنى
قوله وعلى الوارث مثل ذلك فقال قتادة والسدى والحسن وعمر بن الخطاب رضى الله عنهم وغيرهم
هو وارث الصبى ان لو مات قال بعضهم وارثه من الرجال خاصة يلزمه الارضاع كما كان يلزم
ابا الصبى ان لو كان حيا وقاله مجاهد وعطا وقال قتادة ايضا وغيره هو وارث الصبى من كان
من الرجال والنساء ويلزمهم ارضاعه على قدر مواريثهم منه وحكى الطبرى عن ابى حنيفة وابى يوسف
ومحمد بن الحسن انهم قالوا الوارث الذى يلزمه ارضاع المولود هو وليه ووارثه اذا كان ذا رحم محرم
منه فان كان ابن عم وغيره وليس بذى رحم محرم فلا يلزمه شى قال الفقيه الامام وفى هذا القول تحكم
وقال قبيصة بن ذويب والضحاك وبشر بن نصر قاضى عمر بن عبد العزيز الوارث هو الصبى نفسه اى عليه
فى ماله اذا ورث اباه ارضاع نفسه وقال سفيان الثورى رحمه الله الوارث هنا هو الباقى من والدى
المولود بعد وفاة الاخر منهما ويرى مع ذلك ان كانت الوالدة هى الباقية ان يشاركها العاصب فى ارضاع
المولود على قدر حظه من الميراث ونصها ولاى الدين ذكرت اقوالهم على ان المراد بقوله تعالى مثل ذلك
على الرزق والكسوة وذكر ذلك ايضا من العلماء ابراهيم النخعى وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة
بن مسعود والشعبى والحسن وابن عباس وغيرهم وقال مالك رحمه الله فى المدونة وجميع اصحابه
والشعبى ايضا والزهرى والضحاك وجماعة من العلما المراد بقوله مثل ذلك الا تضار واما الرزق

والكسوة فلا شي عليه منه وروى ابن القاسم عن مالك ان الاية تضمنت ان الرزق والكسوة على الوارث
ثم نسخ ذلك قال الفقيه الامام الاجماع من الامة في ان لا انصار الوارث والخلاف هل عليه رزق
وكسوة ام لا وقرا يحيى بن يعمر وعلى الورثة مثل ذلك بالجمع وقوله تعالى فان ارادا فصالا عن
تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم
اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير ن الضمير في ارادا للوالدين
وفصالا معناه مفطاما على الرضاع ولا يقع التشاور ويجوز التراضي الا ما لا ضرر فيه على المولود
واظهر من حاله الاستغناء عن اللبن قبل تمام الحولين ولا جناح على الابوين في فصله هذا معنى
الاية وقاله مجاهد وقتاده وابن زيد وسفيان وغيرهم وقال ابن عباس لا جناح مع التراضي
في فصله قبل الحولين وبعدهما قال الفقيه الامام وتحرير القول في هذا ان فصله قبل الحولين لا يصح الا
بتراضيهما وان لا يكون على المولود ضرر واما بعد تمامهما فمن دعا الى الفصل فذلك له الا ان يكون
في ذلك على الصبي ضرر واما بعد تمامهما فمن دعا وان اردتم ان تسترضعوا مخاطبة لجميع الناس
بجمع الابا والامهات اي لهم اتحاد الضمير مع الاتفاق على ذلك واما قوله تعالى اذا سلمتم فمخاطبة
للرجال خاصة الا على احد التاويلين في قراة من قرا اتيتم وقرا الستة من السبعة اتيتم بالمد
يعني اعطيتم وقرا ابن كثير اتيتم بمعنى ما جئتم وفعلتم كما قال زهير وما كان من خير اتوه فانما
توارثه اباء ابائهم قبل قال ابو علي المعنى اذا سلمتم ما اتيتم نقده او اعطاه او سوقه فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فكان التقدير ما اتيتموه ثم حذف الضمير من الصلة
قال الفقيه الامام ويحتمل اللفظ معنى اخر قاله قتاده وهو اذا سلمتم ما اتيتم من اراده
الاسترضاع اسلم كل واحد من الابوين قد رضي وكان ذلك عن اتفاق منهما وقصد خير واراده
معروف من الامر وعلى هذا الاحتمال فيدخل في الخطاب سلمتم الرجال والنساء وعلى التاويل الذي
ذكر ابو علي وغيره فالخطاب للرجال لانهم الذين يعطون اجر الرضاع قال ابو علي ويحتمل ان يكون
ما مصدرية اي اذا سلمتم الاتيان والمعنى كالقول الاول لكن يستغنى عن الصنعة من حذف المضاف
ثم حذف الضمير وقال مجاهد المعنى اذا سلمتم للامهات اجرهن بحساب ما ارضعن الى وقت ارادة
الاسترضاع وقال سفيان المعنى اذا سلمتم الى المسترضعه وهي الظير اجرها بالمعروف وباقي الاية
امر بالتقوى وتوقيف على ان الله تعالى بصير بكل عمل وفي هذا وعيد وتحذير اي فهو مجاز بحسب
عملكم ن وقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا قال بعض نحاة الكوفيين الخبر عن الذين متروك والقصد الاخبار عن ازواجهم فانهن
يتربصن ومذهب نحاة البصريين ان الخبر الذين مترتب بالمعنى وذلك ان الكلام انما تقديره يتربصن
ازواجهم وان شئت قدرته وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن فجاءت العبارة في غاية الايجاز
واعرابها مترتب على هذا المعنى المالك لها المتقدر فيها وحكى المهدوي عن سيبويه ان المعنى
وفيما يتلى عليكم الذين يتوفون ولا اعرف هذا الذي حكاه لان ذلك انما يتجه اذا كان في الكلام لفظ
امر بعد مثل قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا وهذه الاية فيها معنى الامر لا لفظه فيحتاج
مع هذا التقدير الى تقدير اخر يستغني عنه اذا حضر لفظ الامر وحسن مجي الاية هكذا انها توطئة
لقوله تعالى فلا جناح عليكم او القصد بالمخاطبة من اول الاية الى الرجال الذين منهم الحكام والنظرة
وعبارة المبرد والاخفش ما ذكرناه وهذه الاية هي في عدة المتوفى عنها زوجها وظاهرها العموم
ومعناها الخصوص في الحرائر غير الحوامل ولم يعن الاية لما يستند من مرتاب ونحوها وحكى المهدوي
عن بعض العلماء ان الاية تناولت الحوامل ثم نسخ ذلك بقوله واولات الاحمال وعدة الحامل وضع
حملها عند جمهور العلماء وروى عن علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهما ان تمام عدتها اخر
الاجلين والتربص الصبر والتاني بالشخص في مكان او حال وقد بين تعالى ذلك بقوله بانفسهن
والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم متظاهرة ان التربص باحداد وهو الامتناع من الزينة
ولبس المصبوغ الجميل والطيب ونحوه والزام المبيت في مسكنها حيث كانت وقت وفاة الزوج
وهذا قول جمهور العلماء وهو قول مالك واصحابه وقال ابن عباس وابو حنيفة فيما روي عنه وغيرهما
لبس المبتدئ يراعى فتبيت حيث شاءت وقال الحسن بن ابي الحسن ليس الاحداد بشي انما تتربص
عن الزوج ولها ان تتزين وتتطيب قال الفقيه الامام وهذا ضعيف وقرا جمهور الناس
يتوفون بضم اليا وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه يتوفون بفتح اليا وكذلك روى المفضل
عن عاصم ومعناها يستوفون اجالهم وجعل الله للاربعة الاشهر والعشر عبارة في العدة
فيها استبرا للحمل اذ فيها تكمل الاربعون والاربعون حيث الحديث الذي رواه ابن مسعود
وغيره ثم ينفخ الروح وجعل تعالى العشر تكملة اذ هي مظنة لظهور الحركة بالجنين وذلك لنقص الشهور

اوكما لها

اوكما لها ولسرعة حركة الجنين او ابطائها قاله سعيد بن المسيب وابو العاليه وغيرهما وقال تعالى عشرا
ولم يقل عشرة تغليبا لحكم الليالي اذ الليلة اسبق من اليوم والايام في ضمنها وعشرا اخف في اللفظ
قال جمهور اهل العلم وتدخل في ذلك اليوم العاشر وهو من العدة لان الايام مع الليالي وحكى منذر
ابن سعيد وروي ايضا عن الاوزاعي ان اليوم العاشر ليس من العدة بل انقضت بتمام عشر ليالي
قال المهدوي وقيل المعنى وعشر مدد كل مدة من يوم وليلة وروي عن ابن عباس انه قرا
اربعة اشهر وعشر ليالي ن قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
بالمعروف والله بما تعملون خبير ن اضاف تعالى الاجل اليهن اذ هو محدود مضروب في امرهن
والمخاطبة بقوله فلا جناح عليكم عامة لجميع الناس والتلبس بهذا الحكم هو للحكام والاوليا اللاتي
والنساء المعتدات وقوله تعالى فيما فعلن يريد به التزوج فما دونه من التزين واطراح الاحداد
قال مجاهد وابن شهاب وغيرهما اراد بما فعلن النكاح لمن اجبن اذا كان معروفا غير منكر قال
الفقيه الامام ووجوه المنكر وهذا كثير وقال بعض المفسرين بالمعروف فمعناه بالاشهاد
قوله تعالى والله بما تعملون خبير وعيد يتضمن التحذير وخبير اسم فاعل من خبر اذا تقصى علم الشي
وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم
ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ن المخاطبة بهذه الاية
بجميع الناس والمباشر لحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزويج المعتده والتعريض هو الكلام الذي لا تصريح
فيه كانه تعرض لفهم المتكلم به واجمعت الامة على ان الكلام مع المعتده بما هو نص في تزويجها وتنبيه
عليه لا يجوز وكذلك اجمعت على ان الكلام معها بما هو رفث من ذكر جماع او تحريض عليه لا يجوز
وجوز ما عدا ذلك ومن اعظمه قربا الى التصريح قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس
كوني عند ام شريك ولا تسبقيني بنفسك ومن الجائز قول الرجل لا احد انك لمرغوب فيك واني لارجو
ان اتزوجك وان يقدر امر يكن هذا هو تمثيل مالك وابن شهاب وكثير من اهل العلم في هذا وجائز
ان يمدح نفسه ويذكر ماثره على جهة التعريض بالزواج وقد فعله ابو جعفر محمد بن علي بن حسين
واحتج بان النبي صلى الله عليه وسلم فعله مع ام سلمه والهدية الى المعتده جائزة وهي من التعريض قاله
سحنون وكثير من العلماء قال الفقيه الامام وقد كره مجاهد ان تقول لا تسبقيني بنفسك
وراه من المواعده سرا وهذا عندي على ان يتاول قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت
قيس انه على جهة الراي لها فيمن يتزوجها الا اذا ارادها لنفسه والا فهو خلاف لقوله
عليه السلام والخطبة بكسر الخا فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل او قول
يقال خطبها يخطبها خطبا وخطبة ورجل خطاب كثير التصرف في الخطبة ومنه قول الشاعر
برح بالعينين خطاب الكثب يقول اني خاطب وقد كذب وانما يخطب عسا من حلبه والخطبة
فعلة كجلسة وقعدة والخطبة بضم الخا هي الكلام الذي يقال في النكاح وغيره واكننتم معناه
سترتم واخفيتم يقول العرب اكننت الشي من الاجرام اذا سترته في بيت او ثوب او ارض
ونحوه واكننت الامر في نفسي ولم يسمع من العرب كننته في نفسي ويقول اكن البيت الانسان ونحو هذا
فرفع الله الجناح عمن اراد تزوج المعتده مع التعريض ومع الاكنان ونهى عن المواعده التي هي
تصريح بالتزويج وبنا عليه واتفاق على وعد فرخص لعلمه تعالى بغلبة النفوس وطمحانها وضعف البشر
عن ملكها وقوله تعالى ستذكرونهن قال الحسن معناه ستخطبونهن وقال الفقيه الامام كانه
قال ان لم تنهوا وقال غير الحسن معناه علم الله انكم ستذكرون المعتدات في نفوسكم وبالسنتكم
لمن يخف عندكم فنهى ان يوصل الى المواعده لما في ذلك من هتك حرمة العدة وقوله تعالى ولكن
لا تواعدوهن سرا ذهب ابن عباس وابن جبير ومالك واصحابه والشعبي ومجاهد وعكرمه
والسدي وجمهور اهل العلم الى ان المعنى لا توافقوهن بالمواعده والتوثق واخذ العهود
في استسرار منكم وخفيه فنسرا على هذا التاويل نصب على الحال اي مستسرين وقال جابر
ابن زيد وابو مجلز لاحق بن حميد والحسن ابن ابي الحسن والضحاك وابراهيم النخعي والسدي في هذه
الاية الزنا اي لا تواعدوهن زنا قال الفقيه الامام هكذا جاءت عبارة هؤلاء في تفسير السر
وفي ذلك عندي نظر وذلك ان السر في اللغة يقع على الوطي حلاله وحرامه لكن معنى الكلام
وقرينته ترد الى احد الوجهين فمن الشواهد قول الحطيئة ويحرم سر جارتهم عليهم وياكل جارهم
انف القصاع فقرينة هذا البيت تعطي ان السر اراد به الوطي حراما والا فلو تزوجت
الجارة كما يحسن لم يكن في ذلك عار ومن الشواهد قول الاخر الا زعمت بسباسة القوم انني
كبرت والا يحسن السر امثالي ومن الشواهد قول الاخر احالسا سر النسا محرم علي
وسبها دالندا في مع الحمر لمن لم اصبح ذاهبا ولعقلها وناعيها يوما واغلا البكور فقرينة لهذا
الشعر انه اراد تحريم جماع النساء عموما في حرام وحلال حتى ينال ثاره والاية تعطي النهي عن ان تواعد

الرجل المعتدة ان يطأها بعد العدة بوجه التزوج واما المواعدة في الزنا فيحرم على المسلم مع معتدة
وغيرها وحكى مكي عن ابن جبير انه قال سرا نكاحا وهذه عبارة مخلصة وقال ابن زيد معنى قوله
تعالى ولكن لا تواعدوهن سرا اي لا تنكحوهن ويكتمون ذلك فاذا حلت اظهرتموه ودخلتم بهن
قال الفقيه الامام فابن زيد في معنى التوسع القول الاول اي حقيقة وانما شذ في ان سمى العقد
مواعده وذلك قلق لان العقد متى وقع وان تكتم به فانما هو في عدم العقدة وحكى مكي عنه انه قال
الاية منسوخة بقوله ولا تعزموا عقدة النكاح واجمعت الامة على كراهية المواعدة في العدة للمرأة
في نفسها وللاب في ابنته البكر والسيد في امته قال ابن المواز الذي لا يملك الحر فاكرهه وان نزل
لم افسخه وقال مالك رحمه الله فيمن تواعد في العدة ثم يتزوج بعدها فراقها احب الي دخل بها
او لم يدخل ويكون طلقة واحدة فاذا حلت خطبها مع الخطاب هذه رواية ابن وهب وروى
اشهب عن مالك انه يفرق بينهما الخابا وقاله ابن القاسم وحكى ابن الحرث مثله عن الماجشون
وزاد ما يقتضي ان التحريم يتابد **وقوله تعالى** الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء منقطع والقول
المعروف هو ما ابيح من التعريض وقد ذكر الضحاك ان من القول المعروف ان يقول الرجل للمعتدة
احبسي على نفسك فان لي بك رغبة فيقول هي وانا مثل ذلك قال الفقيه الامام وهذه عندي مواعدة
وانما التعريض قول الرجل انكم لاكفاء كرام وما قدر كان وانك لمعجبة ونحو هذا **قوله تعالى** ولا تعزموا
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور
حليم عزم العقدة عقدها بالاشهاد والولي وحقيقة تسمى عقدة **وقوله تعالى** حتى يبلغ الكتاب اجله يريد
تمام العدة والكتاب هنا هو الحد الذي جعله القدر الذي رسم من المدة سماه كتابا اذ قد حده وفرضه
كتاب الله تعالى كما قال كتاب عليكم وكما قال ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا ولا يحتاج في الكلام
عندي الى حذف مضاف وقد قدر ابو اسحاق في ذلك حذف مضاف اي فرض الكتاب وهذا على ان جعل
الكتاب القرآن واختلف اهل العلم اذا خالف احد هذا النهي وعزم العقدة قبل بلوغ الاجل وانا افصل
المسئلة ان شاء الله اما ان عقد في العدة وعثر عليه ففسخ الحاكم نكاحه وذلك قبل الدخول فيقول عمر بن
الخطاب وجماعة العلماء ان ذلك لا يولد تحريما وقاله مالك وابن القاسم في المدونة في اخر الكتاب الذي
يليه ضرب اجل امرأة المفقود وقال الجميع يكون خاطبا من الخطاب وحكى ابن الجلاب عن مالك رواية ان
التحريم يتابد في العقد في العدة وان فسخ قبل الدخول واما ان عقد في العدة ودخل بعد انقضائها فقال قوم من
اهل العلم ذلك كالدخول في العدة يتابد التحريم وقال مدة وما التحريم بذلك بالبين والقولان له في المدونة
في طلاق السنة واما ان دخل في العدة فقول عمر بن الخطاب ومالك وجماعة اصحابه والاوزاعي والليث
وغيرهم من اهل العلم ان التحريم يتابد وقول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابراهيم
وابي حنيفة والشافعي وجماعة من العلماء وعبد العزيز بن ابي سلمة ان التحريم لا يتابد وان وطئ في العدة
بل يفسخ بينهما ثم تعتد منه ثم يكون خاطبا من الخطاب قال ابو حنيفة والشافعي تعتد من الاول فاذا
انقضت العدة فلا باس ان يتزوجها للاخر وحكى ابن الجلاب رواية في المذهب ان التحريم لا يتابد مع الدخول
في العدة ذكرها في العالم بالتحريم المجترئ لا سيما وان واما الجاهل فيها خلافا في المذهب حدثنا ابو علي
الحسين بن محمد الغساني مناولة قال ابو عمر بن عبد البر نا عبد الوارث بن سفيان نا قاسم بن اصبغ
عن محمد بن اسمعيل عن نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن اشعث عن الشعبي عن مسروق قال بلغ عمر بن
الخطاب ان امرأة من قريش تزوجها رجل من ثقيف في عدتها فارسل اليهما ففرق بينهما وعاقبهما
وقال لا تنكحها ابدا وجعل صداقها في بيت المال وفشا ذلك في الناس فبلغ عليا فقال يرحم الله امير
المومنين ما بال الصداق وبيت المال انما جهلا فينبغي للامام ان يردهما الى السنة قيل فما تقول
انت فيها قال لها الصداق بما استحل من فرجها ويفرق بينهما ولا حد عليهما وتكمل عدتها من
الاول ثم تعتد من الثاني عدة كاملة ثلاثة اقراء ثم يخطبها ان شاء فبلغ ذلك عمر بن الخطاب
فخطب الناس فقال ايها الناس ردوا الجهالات الى السنة وهذا قول الشافعي والمليث
في العدة من اثنين وقال مالك واصحاب الراي والاوزاعي والثوري عدة واحدة لهما
جميعا سواء كانت بالحمل او بالاقراء او بالاشهر وروى المدنيون عن مالك مثل قول علي بن ابي طالب
والشافعي في اكمال العدتين واختلف قول مالك في الذي يدخل في العدة عالما بالتحريم مجترئا
لمره فقال العالم والجاهل في ذلك سواء لا حد عليه والصداق له لازم والولد لاحق ويعاقبان
ولا يتناكحان ابدا ومرة قال العالم بالتحريم كالزاني فيحد ولا يلحق به الولد وينكحها بعد الاستبراء
والقول الاول اشهر عن مالك **وقوله تعالى** واعلموا الى اخر الاية تحذير من الوقوع فيما نهى عنه وتوقيف
على عفوه وحكمه في هذه الاحكام التي بين ووسع فيها من اباحة التعريض ونحوه **وقوله تعالى**
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره

وعلى

وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين هذا ابتداء اخبار برفع الجناح عن المطلق
قبل البنا والجماع فرض مهرا او لم يفرض ولما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التزوج
لمعنى الذوق وقضاء الشهوة وامر بالتزوج طلب العصمة والتماس ثواب الله وقصد دوام
الصحبة وقع في نفوس المؤمنين ان من طلق قبل البنا فقد واقع جزءا من هذا المكروه فنزلت
الاية رافعة للجناح في ذلك اذا كان اصل النكاح على المقصد الحسن وقال قوم لا جناح
عليكم معناه لا طلب لجميع المهر بل عليكم نصف المفروض لمن فرض لها والمتعة لمن لم يفرض
لها وقال قوم لا جناح عليكم معناه في ان ترسلوا الطلاق في وقت حيض بخلاف المدخول بها
وقال مكي المعنى لا جناح عليكم في الطلاق قبل البنا لانه قد يقع الجناح على المطلق بعد ان كان
قاصد اللذوق وذلك مأمون قبل المسيس والخطاب بالاية لجميع الناس وقرأ ابو عمرو
وابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر تمسوهن بغير الف وقرأ الكسائي وحمزة تماسوهن
بالف وضم التا وهذه القراءة الاخيرة تعطي المس من الزوجين والقراءة الاولى تقتضي ذلك بالمعنى المفهوم
من المس ورجحها ابو علي لان افعال هذا المعنى جاءت ثلاثية على هذا الوزن نكح وسفد وقرع ودقط
وضرب الفحل والقراءتان حسنتان وتفرضوا عطف على تمسوا وفرض المهر اثباته وتحديده
وهذه الاية تعطي جواز العقد على التفويض لانه نكاح مقرر في الاية مبين حكم الطلاق فيه قاله
مالك في المدونة والفريضة الصداق **وقوله تعالى** ومتعوهن معناه اعطوهن شيئا يكون
متاعا لهن وحمله ابن عمر وعلي بن ابي طالب والحسن بن ابي الحسين وسعيد بن جبير وابو قلابة و
الزهري وقتادة والضحاك بن مزاحم على الوجوب وحمله ابو عبيد ومالك ابن انس واصحابه وشريح
وغيرهم على الندب ثم اختلفوا في الضمير المتصل بمتعوا من المراد به من النساء فقال ابن عباس
وابن عمر وعطا وجابر بن زيد والحسن والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي المتعة واجبة
للمطلقة قبل البنا والفرض ومندوبة في غيرها وقال مالك واصحابه المتعة مندوب اليها
في كل مطلقة وان دخل بها الا في التي لم يدخل بها وقد فرض لها فحسبها ما فرض لها ولا متعة
لها وقال ابو ثور لها المتعة ولكل مطلقة واجمع اهل العلم على ان التي لم يفرض لها ولم يدخل بها
لا شيء لها غير المتعة فقال الزهري يقضي لها بها القاضي وقال جمهور الناس لا يقضى لها قاله
شريح وقال للزوج ان كنت من المتقين او المحسنين فمتع ولم يقض عليه قال الفقيه الامام وهذا
مع اطلاق لفظ الوجوب عند بعضهم واما ربط مذهب مالك رحمه الله فقال ابن شعبان المتعة
بازاء الطلاق وكذلك ليس للمختلعة والمبارية والملاعنة متعة وقال الترمذي وعطا والنخعي
للمختلعة متعة وقال اصحاب الراي للملاعنة متعة وقال ابن القاسم ولا متعة في نكاح مفسوخ
قال ابن المواز ولا فيما يدخله الفسخ بعد صحة العقد مثل ملك احد الزوجين صاحبه وروى ابن
وهب عن مالك ان المخيرة لها المتعة بخلاف الامة يعتق تحت العبد فتختار نفسه فهذه لا متعة لها
واما الحرة تخير او تملك او يتزوج عليها امة فتختار هي نفسها في ذلك كله فلها المتعة لان الزوج
سبب الفراق وعليها هي عصاصة في ان لا تختار نفسها واختلف الناس في مقدار المتعة فقال
فقال ابن عمر ادنى ما يجزي في المتعة ثلاثون درهما او شبهها وروى ان ابن حجيرة كان يقضي
على صاحب الديوان بثلاثة دنانير وقال ابن عباس ارفع المتعة خادم ثم كسوة ثم نفقة وقال عطا
من اوسط ذلك درع وخمار وملحفة وقال الحسن يمتع كل على قدره هذا بخادم وهذا باثواب
وهذا بثوب وهذا بنفقة وكذلك يقول مالك بن انس ومتع الحسن بن علي بعشرين الفا و
زقاق من عسل ومتع شريح بخمسمائة درهم وقالت ام حميد بن عبد الرحمن بن عوف كاني انظر
الى خادم سوداء متع بها عبد الرحمن بن عوف ازوجة ام ابي سلمة وقال اصحاب الراي وغيرهم
متعة التي يطلق قبل الدخول والفرض نصف مهر مثلها لا غير **وقوله تعالى** على الموسع قدره وعلى
المقتر قدره دليل على رفض التحديد وقرأ الجمهور على الموسع بسكون الواو وكسر السين بمعنى الذي
اوسع اي الذي ايسع حاله وقرأ ابو حيوة الموسع بفتح الواو وتشديد السين وفتحها وقرأ ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم في رواية ابي بكر قدره بسكون الدال في الموضعين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص قدره بفتح الدال فيهما قال ابو الحسن الاخفش وغيره هما بمعنى لغتان فصيحتان
وكذلك حكى ابو زيد تقول اخذ قدر كذا وقدر كذا بمعنى ويقرأ في كتاب الله فسالت اودية بقدرها
وقدرها وقال وما قدروا الله حق قدره ولو حركت الدال لكان جائزا والمقتر المقل القليل المال ومتاعا
نصب على المصدر **وقوله تعالى** بالمعروف لا حمل فيه ولا تكلف على احد الجانبين فهو تاكيد لمعنى قوله
على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ثم اكد تعالى الندب بقوله حقا على المحسنين اي في هذه النازلة
من التمتع هم محسنون ومن قال بان المتعة واجبة قال هذا تاكيد الوجوب اي على المحسنين بالايمان والا

والاسلام وليس لاحد ان يقول ليست بحسن على هذا التاويل وحقا صفة لقوله متاعا او نصب على
المصدر وذلك ادخل في التاكيد للامر قوله تعالى فان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان
تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير اختلف الناس في هذه
الاية فقالت فرقة فيها مالك وغيره انها مخرجة المطلقة بعد الفرض من حكم التمتع اذ يتناولها
قوله تعالى ومتعوهن وقال ابن المسيب نسخت هذه الاية التي في الاحزاب لان تلك تضمنت
تمتيع من لم يدخل بها وقال قتادة نسخت هذه الاية التي قبلها وقال ابن القاسم في المدونة
كان المتاع لكل مطلقة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف ولغير المدخول بها بالاية
التي في سورة الاحزاب فاستثنى الله المفروض لها قبل الدخول بهذه الاية واثبت للمفروض
لها نصف ما فرض فقط وزعم زيد بن اسلم انها منسوخة حكى ذلك في المدونة عن زيد بن
اسلم زعما وقال ابن القاسم انه استثناء والتحرير يرد ذلك النسخ الذي قال زيد لان
ابن القاسم قال ان قوله تعالى وللمطلقات متاع عم الجميع ثم استثنى الله منه هذه التي
فرض لها قبل المسيس وقال فريق من العلما منهم ابو ثور المتعة لكل مطلقة عموما وهذه
الاية انما بينت ان المفروض لها تاخذ نصف ما فرض ولم يعن بالاية لاسقاط تمتعها
بل لها المتعة ونصف المفروض وقرا الجمهور فنصف بالرفع والمعنى فالواجب نصف ما
فرضتم وقرأت فرقة فنصف بنصب الفا المعنى فادفعوا نصف وقرا علي بن ابي طالب
وزيد بن ثابت فنصف بضم النون في جميع القران وهي لغة وكذلك روى الاصمعي قراءة عن
ابي عمرو بن العلا وقوله تعالى الا ان يعفون استثناء منقطع لان عفوهن عن النصف
ليس من جنس اخذهن ويعفون معناه يتركن ويصفحن ووزنه يفعلن والمعنى الا ان يتركن
النصف الذي وجب لهن عند الزوج والعافيات في هذه الاية كل امراة تملك امر نفسها
وقال ابن عباس وجماعة من الفقهاء والتابعين ويجوز عفو البكر التي لا ولي لها
وحكاه سحنون في المدونة عن غير ابن القاسم بعد ان ذكر لابن القاسم ان وضعها نصف الصداق
لا يجوز واما التي في حجر اب او وصي فلا يجوز وضعها لنصف صداقها قولا واحدا فيما احفظ و
اختلف الناس في المراد بقوله تعالى او يعفو الذي بيده عقدة النكاح فقال ابن عباس وعلقمة و
طاوس ومجاهد وشريح والحسن وابراهيم والشعبي وابو صالح وعكرمة والزهري ومالك وغيرهم
هو الولي الذي المراة في حجره فهو الاب في ابنته التي لم تملك امرها والسيد في امته واما شريح
فانه جوز عفو الاخ عن نصف الصداق وقال انا اعفو عن مهور بني مرة وان كرهن وكذلك
قال عكرمة يجوز عفو الذي عقد عقدة النكاح بينهما كان عما او اخا او ابا وان كرهت وقالت
فرقة من العلماء الذي بيده عقدة النكاح الزوج قاله جبار وكثير من فقهاء الامصار وعلى القول
الاول الندب لهما هو في النصف الذي يجب للمراة فاما ان يعفو هي واما ان يعفو وليها وعلى
القول الثاني فالندب في الجهتين اما ان يعفو هي عن نصفها فلا ياخذ من الزوج شيئا واما
ان يعفو الزوج عن النصف الذي يحط فيؤدي جميع المهر وهذا هو الفضل منهما وبحسب حال
الزوجين يحسن التحمل والتجمل ويروى ان جبير بن مطعم دخل على سعيد بن ابي وقاص فعرض
عليه ابنة له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليه بالصداق فقيل له لم تزوجها قال عرضها
علي فكرهت رده فقيل له لم بعثت الصداق قال فاين الفضل قال القاضي ابو محمد ويحتج القائلون بان
الذي بيده عقدة النكاح الزوج بان هذا الولي لا يجوز له ترك شي من صداقها قبل الطلاق فلا فرق
بعد الطلاق وايضا فانه لا يجوز له ترك شي مما لها الذي ليس من الصداق فماله يترك نصف الصداق
وايضا فانه اذا قيل انه الولي فما الذي خصص بعض الاوليا دون بعض وكلهم بيده عقدة النكاح
وان كان كافلا او وصيا والحاكم والرجل من العشيرة ويحتج من يقول انه الولي بعبارة الاية لان قوله الذي
بيده عقدة النكاح عبارة متمكنة في الولي وهي في الزوج قلقة بعض القلق وليس الامر في ذلك كما قال الطبري
ومكي من ان المطلق لا عقدة بيده بل النسبة العقدة اليه باقية من حيث كان عقدها قبل وايضا فان قوله
الا ان يعفون لا يدخل فيه من لا يملك امرها لانها لا عفو لها فكذلك لا يتعين النسا يعفو من يملك امر التي
لا يملك امرها وايضا فان الاية انما هي ندب الى ترك شي قد وجب في مال الزوج يعطي ذلك لفظ العفو
الذي هو الترك والاطراح واعطا الزوج المهر كاملا لا يقتضيه وهذا طار لا يعتد به قال مكي وهذا
فقد ذكر الله للازواج في قوله فنصف ما فرضتم ثم ذكر الزوجات بقوله يعفون فكيف يعبر عن الازواج
بعد بالذي بيده عقدة النكاح بل هي درجة ثالثة لم يبق لها الا الولي قال الفقيه الامام وفي هذا نظر وقرا
الجمهور او يعفو بفتح الواو لان الفعل منصوب وقرا الحسن بن ابي الحسن او يعفو الذي بواو ساكنة وقال

المهدوى

المهدوي ذلك على التشبيه بالالف ومنه قول عامر بن الطفيل فما سودتني عامر عن وراثة ابى الله ان
اسموا بام ولا اب قال الفقيه الامام والذي عندي انه استثقل الفتحة على واو متطرفة قبلها متحرك
لقلة مجيئها في كلام العرب وقد قال الخليل رحمه الله لم يجئ في الكلام واو مفتوحة متطرفة قبلها فتحة الا في
قولهم عفوه وهو جمع عفو وهو ولد الحمار وكذلك الحركة ما كانت قبل الواو المفتوحة فانها ثقيلة
ثم خاطب الله تعالى الجميع نادبا بقوله وان تعفوا اقرب للتقوى اي يا جميع الناس وهذه قراءة الجمهور
بالتا باثنتين من فوق وقرا ابو نهيك والشعبي وان يعفوا باليا وذلك راجع الى الذي بيده عقدة النكاح
وقرا الجمهور ولا تنسوا الفضل وقرا علي بن ابي طالب ومجاهد وابو حيوه وابن ابي عبلة ولا تناسوا
الفضل وهي قراءة متمكنة المعنى لانه موضع تناس لا نسيان الا على التشبيه وقوله تعالى ولا تنسوا
ندب الى المجاملة قال مجاهد الفضل اتمام الزوج الصداق كله او ترك المراة النصف الذي لها
وقوله تعالى ان الله بما تعملون بصير خبر في ضمنه الوعد للمحسنين والحرمان لغير المحسنين
وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين الخطاب لجميع الامة
والاية امر بالمحافظة على اقامة الصلوات في اوقاتها وبجميع شرائطها وذكر الله تعالى الصلوة الوسطى
ثانية وقد دخلت قبل في عموم قوله الصلوات لانه اراد تشريفها واغراء المصلين بها وقرا ابو
جعفر الرواسي والصلوة الوسطى بالنصب على الاغرا وقرا كذلك الحلواني واختلف الناس في اي
صلوة هو هذا الوصف فذهبت طائفة الى انها الصبح وان لفظة وسطى يراد بها الترتيب لان
قبلها صلوتا ليل يجهر فيهما وبعدها صلوتا نهار يسر فيهما قال هذا القول علي بن ابي طالب
وابن عباس وصلى بالناس يوما الصبح فقنت قبل الركوع فلما فرغ قال هذه الصلوة الوسطى التي امرنا الله
ان تقوم فيها قانتين قاله ابو العالية ورواه عن جماعة من الصحابة وقاله جابر بن عبد الله وعطا
وعكرمة ومجاهد وعبد الله بن شداد بن الهاد والربيع ومالك بن انس وقوى مالك ذلك بان الصبح
لا تجمع الى غيرها وصلوتا جمع قبلها وصلوتا جمع بعدها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تعلمون
ما في العتمة والصبح لاتيتموهما ولو حبوا وقال انهما اشد الصلوات على المنافقين وفضل الصبح لانها كقيام ليلة
لمن شهدها والعتمة نصف ليلة وقال تعالى ان قران الفجر كان مشهودا فتقوى هذا كله امر الصبح وقالت
فرقة هي صلوة الظهر قاله زيد بن ثابت ورفع فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله ابو سعيد
الخدري وعبد الله بن عمر واحتج قائلوا هذه المقالة بانها اول صلوة صليت في الاسلام فهي وسطى
بذلك اي فضلى فليس بهذا التوسط في الترتيب وايضا فروي انها كانت اشق الصلوات على اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم لانها كانت تجي في الهاجرة وهم قد نفهتهم اعمالهم في اموالهم وايضا فيدل على ذلك ما قالت
حفصة وعايشة وحين املتا حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلوة العصر فهذا اقتران
الظهر والعصر وقالت فرقة الصلوة الوسطى صلوة العصر لان قبلها صلوتا نهار وبعدها صلوتا
ليل وروى هذا القول علي بن ابي طالب وابن عباس وابي هريرة وابن عمر وابي سعيد الخدري وفي
مصحف عايشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى وهي العصر وهو قولها المروي عنها وقاله الحسن
البصري وابراهيم النخعي وفي املا حفصة ايضا والصلوة الوسطى وهي صلوة العصر ومن روى وصلوة
العصر فتاول انه عطف احدى الصفتين على الاخرى وهما لمسمى واحد كما تقول جاء زيد الكريم والعاقل
وروي عن ابن عباس انه قرا حافظوا على الصلوات الوسطى صلوة العصر على البدل وروى هذا القول
سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتواتر الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله قبورهم وبيوتهم نارا وقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كنا نرى انها الصبح حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن
الصلوة الوسطى صلوة العصر فعرفنا انها العصر وقال البرا بن عازب وكنا نقرا على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم حافظوا على الصلوات وصلوة العصر ثم نسخها الله فقرانا حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى فقال له رجل فهي العصر قال له اخبرتك كيف قراناها وكيف نسخت والله اعلم وروى ابو مالك
الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوة الوسطى صلوة العصر قال القاضي ابو محمد و
على هذا القول جمهور الناس وبه اقول والله اعلم وقال قبيصة بن ذؤيب الصلوة الوسطى صلوة المغرب
لانها متوسطة في عدد الركعات ليست ثنائية ولا رباعية وايضا فقبلها صلاتا سر وبعدها
صلوتا جهر وروى ابو عمر بن عبد البر في شرح باب جامع الوقوت وغيره عن فرقة ان الصلوة الوسطى
صلوة العشاء الاخرة وذلك انها تجي في وقت نوم وهي اشد الصلوة على المنافقين ونسخة تاخيرها
وذلك شاق فوقع التاكيد في المحافظة عليها وايضا فقبلها صلاتان وبعدها صلاتان وقالت
فرقة الوسطى لم يعينها الله لنا فهي في جملة الخمس غير معينة كليلة القدر في ليالي العشر فعل الله ذلك
ليقع المحافظة على الجميع قاله نافع عن ابن عمر وقاله الربيع بن خثيم وقالت فرقة الصلوة الوسطى

صلوة الجمعة فانها وسطى فصلى لم احصب به من الجمع والخطبة وجعلت عيدا ذكره ابن حبيب ومكي وقال
بعض العلماء الصلوة الوسطى المكتوبة الخمس وقوله اولا على الصلوات يعم النفل والفرض ثم خص الفرض
بالذكر ويجرى مع هذا التاويل قوله عليه السلام شغلونا عن الصلوة الوسطى وقوله تعالى وقوموا
لله معناه في صلوتكم واختلف الناس في معنى قانتين فقال الشعبي معناه مطيعين وقاله جابر بن زيد
وعطا وسعيد بن جبير وقال الضحاك كل قنوت في القران فانما يعنى به الطاعة وقاله ابو سعيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم وان اهل كل ذى دين فانهم اليوم يقومون عاصين فقيل لهذه الامة وقوموا
لله مطيعين وقال نحو هذا الحسن بن ابى الحسن وطاوس وقال السدى قانتين معناه ساكتين وهذه
الاية نزلت في المنع من الكلام في الصلوة وكان ذلك مباحا في صدر الاسلام وقال عبد الله بن مسعود
كنا نتكلم في الصلوة ويرد السلام ويسل الرجل صاحبه عن حاجته قال ودخلت يوما والنبي صلى الله عليه وسلم
يصلى بالناس فسلمت عليه فلم يرد على احد فاشتد ذلك على فلما فرغ رسول الله عليه وسلم قال انه لم يمنعني ان
ارد عليك الا انا ان نقوم قانتين لا نتكلم في الصلوة والقنوت السكوت وقاله زيد بن ارقم وقال
كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت وقال مجاهد قانتين خاشعين القنوت
طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح قال الفقيه الامام واحضار الخشية والفكر في الوقوف
بين يدى الله تعالى وقال الربيع القنوت طول القيام وطول الركوع والانتصاب له وقال قوم القنوت
الدعاء وقانتين معناه داعين وروى معنى هذا عن ابن عباس وفي الحديث قنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهرا يدعوا على رعل وذكوان فقال قوم معناه دعا وقال قوم معناه
طول قيامه ولا حجة في هذا الحديث لمعنى الدعاء قوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا فا
فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ن امر الله تعالى بالقيام له في
الصلوة بحالة قنوت وهو الوقار والسكينة وهدو الجوارح وهذا على الحالة العالية من الامن
والطمانينة ثم ذكر الله تعالى حالة الخوف الطارية احيانا فرخص لعبيده في الصلوة رجالا متصرفين
على الاقدام وركبانا على الخيل والابل ونحوه اشارة بالراس حيث ما توجه هذا قول جميع العلماء وهذه
في صلوة العدو الذى قد صابقه الوقت والخوف على نفسه في حال المسايفة او من سبع يطلبه او
عدو يتبعه او سيل يحمله وبالجملة فكل امر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته الاية واما
صلوة الخوف بالامام وانقسام الناس فليس حكمها في هذه الاية وفرق مالك بين خوف العدو و
المقاتل وبين خوف السبع ونحوه بان استحب في غير خوف العدو الاعادة في الوقت ان وقع الامن واكثر
فقهاء الامصار على ان الامر سواد وقوله تعالى فرجالا هو جمع راجل ورجل من قولهم رجل الانسان
يرجل رجلا اذا عدم المركوب ومشى على قدميه فهو رجل وراجل ورجل بضم الجيم وهى لغة اهل
الحجاز يقولون مشى فلان الى بيت الله حافيا راجلا ورجلا حكاه الطبرى وغيره ورجلان
ورجيل ورجل وانشد ابن الاعرابي فيد رجلان على اذا لاقيت ليلى بخلوه ان ازدار بيت الله
رجلان حافيا ويجمع على رجال ورجيل ورجالى ورجالى ورجاله ورجالى ورجلان
ورجلة ورجلة ورجلة بفتح الجيم وارجلة واراجل واراجيل والرجل اسم الجنس يجمع ايضا على
رجال فهذه الاية وقوله تعالى يأتوك رجالا انما هما من لفظ الرجلة اى عدم الركوب وقوله تعالى
شهيدين من رجالكم فهو اسم للجنس المعروف وحكى المهدوى عن عكرمة وابى مجلز انهما قرا فرجالا
بضم الرا وتشديد الجيم المفتوحة وعن عكرمة ايضا انه قرا فرجالا بضم الرا وتخفيف الجيم وحكى الطبرى
عن بعضهم انه قرا فرجلا دون الف على وزن فعل بضم الفا وتشديد العين وقرا جمهور القراء و
ركبانا وقرا بديل بن ميسرة فرجالا اوركبا بالفا والركبان جمع راكب وهذه الرخصة في ضمنها
باجماع من العلماء ان يكون الانسان حيث ما توجه من السموات ويتقلب ويتصرف بحسب نظره
في نجاة نفسه واختلف الناس كم يصلى من الركعات فمالك وجماعة من العلماء لا يرون ان ينقص
من عدد الركعات شيئا بل يصلى المسافر ركعتين ولابد وقال الحسن بن ابى الحسن وقتاده وغيرهما
يصلى ركعة ايماء وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في الحضر
اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وقال الضحاك يصلى صاحب خوف الموت في المسايفة وغيرها
ركعتين فان لم يقدر فليكبر تكبيرتين وقال اسحق بن راهوية فان لم يقدر الا على تكبيرة واحدة
اجزات عنه ذكره ابن المنذر واختلف المتاولون في قوله تعالى فاذا امنتم فاذكروا الله بالشكر على
هذه النعمة في تعليمكم هذه الصلوة التى وقع بها الاجزا ولم تفتكم صلوة من الصلوات وهذا هو الذى
لم تكونوا تعلمون وقالت فرقة المعنى فاذا كنتم امنين قبل او بعد كانه قال فمتى كنتم على امن فاذكروا الله
اى صلوا الصلوة التى قد علمتموها اى فصلوا كما علمكم صلوة تامة حكاه النقاش وغيره قال الفقيه الامام
وقوله على هذا التاويل ما لم تكونوا بدل من ما التى في قوله كما والا لم تتسق لفظ الاية وعلى التاويل الاول ما مفعو

لعلكم

لعلكم وقال مجاهد معنى قوله فاذا امنتم فاذا خرجتم من دار السفر الى دار الاقامة ورد الطبرى
على هذا القول وكذلك فيه نوع على المعنى كثير والكاف في قوله كما للتشبيه بين ذكر الانسان لله و
نعمة الله عليه فان تعاد لا وكان الذكر تشبيهها بالنعمة في القدر وكفاها ومن تاول اذكروا بمعنى
صلوا على ما ذكرناه فالكاف للتشبيه بين صلوة العبد والهيئة التى علمه الله وقوله تعالى والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم ن الذين رفع بالابتداء والخبر في الجملة التى
هى وصية لازواجهم وقرا ابن كثير ونافع والكسائى وعاصم في رواية ابى بكر وصية بالرفع وذلك
على وجهين احدهما الابتداء والخبر في الظرف الذى هو قوله لازواجهم ويحسن الابتداء بنكرة من
حيث هو موضع تخصيص كما حسن ان يرتفع سلام عليك وخير بين يديك وامت وحجر لا فيك لانها
مواضع دعاء والوجه الاخر ان يضمن له خبر تقديره فعليهم وصية لازواجهم ويكون قوله تعالى
لازواجهم صفة قال الطبرى قال بعض النحاة المعنى كتب عليهم وصية قال وكذلك هى في قراءة
عبد الله بن مسعود وقرا ابو عمرو وحمزه وابن عامر وصية بالنصب وذلك حمل على الفعل كانه قال
ليوصوا وصية ولازواجهم على هذه القراءة ايضا صفة قال هرون وفي حرف ابى بن كعب وصية لازواجهم
متاع بالرفع وفي حرف ابن مسعود الوصية لازواجهم متاعا وحكى الخفاف انه في حرف ابى فمتاع
لازواجهم بدل وصية ومعنى هذه الاية ان الرجل اذا مات كان لزوجته ان يقيم في منزله سنة
وينفق عليها من ماله وذلك وصية لها واختلف العلماء فيمن هى هذه الوصية فقالت فرقة كانت وصية
من الله تعالى تجب بعد وفاة الزوج قال قتادة وكانت المراة اذا توفى عنها زوجها ما لم تخرج والسكنى
حولا في ملك زوجها ما لم تخرج برايها ثم نسخ ما في هذه الاية من النفقة بالربع او بالثمن الذى في سورة
النسا ونسخ سكنى الحول بالاربعة الاشهر والعشر وقاله الربيع وابن عباس والضحاك وعطا وابن زيد
وقالت فرقة بل هذه الوصية هى من الزوج كانوا ندبوا الى ان يوصوا للزوجات بذلك ويتوفون على هذا
القول معناه يقاربون الوفاة ويحضرون لان الميت لا يوصى قال هذا القول قتادة ايضا والسدى
وعليه حمل الاية ابو على الفارسى في الحجة قال السدى الا ان العدة كانت اربعة اشهر وعشرا وكان
الرجال يوصون بسكنى سنة ونفقتها ما لم تخرج فان خرجت بعد انقضا العدة للاربعة الاشهر
والعشر سقطت الوصية ثم نسخ الله تعالى ذلك بنزول الفرائض فاخذت ربعها او ثمنها ولم يكن
لها سكنى ولا نفقة وصارت الوصايا لمن لا يرث وقال الطبرى عن مجاهد ان هذه الاية محكمة لا نسخ
فيها والعدة كانت قد ثبتت اربعة اشهر وعشرا ثم جعل الله لهن وصية منه سكنى سبعة اشهر
وعشرين ليلة فان شاءت المراة سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قوله عز وجل غير
اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم قال الفقيه الامام ابو محمد والفاظ مجاهد رحمه الله التى حكاها عنه الطبرى
لا يلزم ان الاية محكمة ولا نص مجاهد ذلك بل يمكن انه اراد ثم نسخ ذلك بالميراث ومتاعا
نصب على المصدر وكان هذا الامر الى الحول من حيث العام معلم من معالم الزمان قد اخذ
بحظ من الطول وقوله تعالى غير اخراج معناه ليس لاولياء الميت ووارثى المنزل اخراجها
وغير نصب على المصدر عند الاخفش كانه قال لا اخراجا وقيل نصب على الحال من الموصين
وقيل هى صفة لقوله متاعا وقوله تعالى فان خرجن الاية معناه ان الخروج اذا كان من قبل
الزوجة فلا جناح على احد ولى او حاكم او غيره فيما فعلن في انفسهن من تزويج وترك حداد
وتزين اذا كان ذلك من المعروف الذى لا ينكر وقوله تعالى والله عزيز صفة تقتضى الوعيد
بالنقمة لمن خالف الحد في هذه النازلة فاخرج المراة وهى لا تريد الخروج حكيم اى محكم لما يامر به
عباده وهذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه الا ما قوله الطبرى مجاهد رحمه الله تعالى
وفي ذلك نظر على الطبرى رحمه الله ن قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين
كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون ن اختلف الناس في هذه الاية فقال ابو ثور هى
محكمة والمتعة لكل مطلقة دخل بها او لم يدخل فرض لها او لم يفرض بهذه الاية وقال الزهرى
لكل مطلقة متعة وللامة يطلقها زوجها وقال سعيد بن جبير لكل مطلقة متعة وقال ابن
القاسم في ارخاء الستور في المدونة جعل الله المتاع لكل مطلقة بهذه الاية ثم استثنا
ثم استثنى في الاية الاخرى التى قد فرض لها ولم يدخل بها فاخرجها من المتعة وزعم زيد
ابن اسلم انها نسختها قال الفقيه الامام ففر ابن القاسم من لفظ النسخ الى لفظ الاستثنا
والاستثنا لا يتجه في هذا الموضع بل هو نسخ محض كما قال زيد بن اسلم واذا التزم ابن
القاسم ان قوله وللمطلقات عم كل مطلقة لزمه القول بالنسخ ولابد وقال عطا وغيره هذه
الاية في الثيب اللواتي قد جومعن اذ تقدم في غير هذه الاية ذكر المتعة للواتي لم يدخل

بهن قال الفقيه الامام فهذا قول بان التى قد فرض لها قبل المسيس لم تدخل قط فى هذا العموم فهذا
يجئ على قوله ان قوله تعالى فان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن مخصصة لهذا الصنف من النسا ومتى
قيل ان العموم تناولها فذلك نسخ لا تخصيص وقال ابن زيد هذه الاية نزلت مؤكدة لامر المتعة
لانه نزل قبل حقا على المحسنين فقال رجل فان لم ارد ان احسن لم امتع فنزلت حقا على المتقين
فوجب ذلك عليهم قال الفقيه الامام هذا الايجاب هو من تقويل الطبرى لا من لفظ ابن زيد وقوله
تعالى حقا نصب على المصدر والمتقين هنا ظاهره ان المراد من تلبس بتقوى الله تعالى والكاف فى
قوله كذلك للتشبيه وذلك اشارة الى هذا الشرح والتوبيع الذى وقع فى النساء والى كرام المتعة
لهن اى كناية هذه القصة سن سائر اياته ولعلكم ترج فى حق الناس اى من راى هذا المتين لرجا
انه يفعل ما تبين له ن قوله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم
الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ن هذه
روية القلب بمعنى الم تعلم والكلام عند سيبويه بمعنى تنبه الى امر الذين ولا يحتاج هذه الروية
الى مفعولين وقصة هؤلاء فيما قال الضحاك انهم قوم من بنى اسرائيل امروا بالجهاد فخافوا الموت
بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله لتعرفهم انه لا ينجيهم من الموت
شى ثم احياهم وامرهم بالجهاد بقوله وقاتلوا فى سبيل الله الاية وحكى قوم من اليهود لعمر بن الخطاب
رضى الله عنه ان جماعة من بنى اسرائيل وقع فيهم الوبا فخرجوا من ديارهم فرارا منه فاماتهم الله
فبنى عليهم سائر بنى اسرائيل حائطا حتى اذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل النبى عليه السلام
فدعا الله فاحياهم له وقال السدى هم امة كانت قبل واسط فى قرية يقال لها داوردان وقع
فيهم الطاعون فهربوا منه وهم بضعة وثلثون الفا فى حديث طويل فيهم نزلت الاية وقال انهم
فروا من الطاعون الحسن وعمرو بن دينار وحكى النحاس انهم فروا من الحمى وحكى فيهم مجاهد
انهم لما احيوا رجعوا الى قومهم يعرفون لكن سحنة الموت على وجوههم ولا تلبس احد منهم ثوبا
الا عاد دسما حتى ماتوا لاجالهم التى كتبت لهم وروى ابن جريج عن ابن عباس انهم
كانوا من بنى اسرائيل وانهم كانوا اربعين الفا وثمانية الاف وانهم ميتوا ثم احيوا وبقيت الرايحة
على ذلك السبط من بنى اسرائيل الى اليوم فامرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله وقاتلوا فى سبيل الله
الاية قال الفقيه الامام وهذا القصص كله لين الاسانيد وانما اللازم من الاية ان الله تعالى اخبر
نبيه عليه السلام اخبارا فى عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا
من الموت فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليروا هم وكل من خلف بعدهم ان الاماتة انما هى بيد الله
تعالى لا بيد غيره فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر وجعل الله هذه الاية مقدمة بين يدى
امره المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد هذا قول الطبرى وهو ظاهر وصف الاية
ولموردى القصص فى هذه الاية زيادات اختصرتها لضعفها واختلف الناس فى لفظ الوف
فقال الجمهور هى جمع الف وقال بعضهم كانوا ثمانين الفا وقال ابن عباس كانوا اربعين الفا وقيل كانوا
ثلثين الفا وهذا كله يجرى مع الوف اذ هو جمع الكثير وقال ابن عباس ايضا كانوا ثمانية الاف وقال ايضا
اربعة الاف وهذا يضعفه جمع الوف لانه جمع الكثير وقال ابن زيد فى لفظة الوف انما معناها وهم
موتلفون اى لم يخرجهم فرقة قومهم ولا فتنة بينهم انما كانوا موتلفين فخالفت هذه الفرقة فخرجت
فرارا من الموت وابتغاء الحياة فاماتهم الله فى منجاهم بزعمهم وقوله تعالى فقال لهم الله موتوا
الاية انما هى مبالغة فى العبارة عن فعله بهم كان ذلك الذى فعل بهم فعل من قال له الله مت فمات
وحكى ملكين صاحا بهم موتوا فماتوا فالمعنى قال لهم الله بوساطة الملكين وهذا الموت ظاهر
الاية وما روى فى قصصها انه موت حقيقى فارقت فيه الارواح الاجساد واذا كان ذلك فليس بموت
اجالهم بل جعله الله فى هؤلاء كمرض وحادث مما يحدث على البشر وقوله تعالى ان الله لذو فضل على الناس
تنبيه على فضل الله على هؤلاء القوم الذين يفضل عليهم بالنعم وامرهم بالجهاد وامرهم بان لا يجعلوا
الحول والقوة الا له حسب ما امر جميع العالم بذلك فلم تشكروا نعمته فى جميع هذا بل استبدوا وظنوا
ان حولهم وسعيهم ينجيهم وهذه الاية تحذير لسائر الناس من مثل هذا الفعل اى فيجب ان يشكر الناس
فضل الله فى ايجاده لهم ورزقه اياهم وهدايته بالاوامر والنواهى فيكون منهم الجرى الى امتثالها
لا طلب الخروج عنها وتخصيصه تعالى الاكثر دلالة على الاقل الشاكر ن قوله تعالى وقاتلوا فى سبيل
الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة
والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ن الواو فى هذه الاية عاطفة جملة كلام على جملة ما تقدم هذا
هو قول الجمهور ان هذه الاية هى مخاطبة لامة محمد صلى الله عليه وسلم بالقتال فى سبيل الله وهو الذى
ينوى به ان تكون كلمة الله هى العليا حسب الحديث وقال ابن عباس والضحاك الامر بالقتال هو للذين

احيوا

احيوا من بنى اسرائيل فالواو على هذا عاطفة على الامر المتقدم المعنى وقال لهم قاتلوا قال الطبرى ولا وجه
لقول من قال ان الامر بالقتال هو للذين احيوا وسميع معناه الاقوال عليم بالنيات ثم قال تعالى من ذا الذى
يقرض الله الاية فدخل فى ذلك المقاتل فى سبيل الله فانه يقرض رجا الثواب كما فعل عثمان رضى الله عنه
فى جيش العسرة ويروى ان هذه الاية لما نزلت قال ابو الدحداح يا رسول الله او ان يريد منا القرض قال نعم
يا ابا الدحداح قال فانى قد اقرضت حائطى لحائط فيه ست مائة نخلة ثم جاء الحائط وفيه ام الدحداح
فقال لها اخرجى فانى قد اقرضت ربى حائطى هذا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كم من عذق
مذلل لابى الدحداح فى الجنة قال الفقيه الامام ويقال فيه ابن الدحداحة واستدعا القرض فى هذه الاية
انما هو تانيس وتقريب للناس بما يفهمونه من شبه القرض بالعمل للثواب والله هو الغنى الحميد لكنه
تعالى شبه عطا المؤمن فى الدنيا ما يرجو ثوابه فى الاخرة بالقرض كما شبه اعطا النفوس والاموال فى
اخذ الجنة بالبيع والشرا وقد ذهبت اليهود الاسه الى النبى صلى الله عليه وسلم الى التخليط على المؤمنين
بظاهر الاستقراض وقالوا الهكم محتاج يستقرض وهذا بين الفساد وقوله حسنا معناه تطيب
فيه النية وسنه ايضا ان يكون اشارة الى كثرته وجودته واختلف القراء فى تشديد العين وتخفيفها
ورفع الفاء ونصبها واسقاط الالف واثباتها من قوله تعالى فيضاعفه فقرا ابن كثير فيضعفه
برفع الفاء من غير الف وتشديد العين فى جميع القران وقرا ابن عامر كذلك الا انه نصب الفاء فى جميع
ووافقه عاصم على نصب الفاء الا انه اثبت الالف فيضاعفه فى جميع القران وكان ابو عمرو
لا يسقط الالف من ذلك كله الا من سورة الاحزاب قوله تعالى يضاعف لها العذاب فانه بغير الف
كان يقراه وقرا حمزة والكسائى ونافع ذلك كله بالف ورفع الفاء والرفع فى الفاء يخرج على وجهين
احدهما العطف على ما فى الصلة وهو يقرض والاخر ان يستانف الفعل ويقطعه قال ابو على
والرفع فى هذا القول احسن قال الفقيه الامام لان النصب انما هو بالفاء فى جواب الاستفهام
وذلك انما يترتب اذا كان الاستفهام عن نفس الفعل الاول ثم يجى الثانى مخالفا له تقول
اقرضنى فاشكرك وها هنا انما الاستفهام عن الذى يقرض لا على الاقراض ولكن يحمل قراءة
ابن عامر وعاصم فى النصب على المعنى لانه لم يستفهم عن فاعل الاقراض الا من اجل الاقراض
فكان الكلام ايقرض الله فيضاعفه له ونظير هذا فى الحمل على المعنى قراءة من قرا من يضلل
الله فلا هادى له ويذرهم بجزم يذرهم لما كان معنى قوله فلا هادى له فلا يهده وهذه الاضعاف
الكثيرة هى الى السبع مائة التى رويت وتعطيها مثال السنبلة وقرا ابن كثير يبسط بالسين
ونافع بالصاد فى المشهور عنه قال الحلوانى عن قالون عن نافع انه لا يبالى كيف قرا يبسطه و
بسط بالسين او بالصاد وروى ابو قرة عن نافع بسط بالسين وروى ان النبى صلى الله عليه
وسلم طلب منه ان يسعر بسبب غلاء حدث على المدينة فقال ان الله هو الباسط القابض
وانى لارجو ان القاها ولا يتبعنى احد بمظلمة فى نفس ولا مال ن قوله تعالى الم تر الى الملا من بنى
اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا ن هذه الاية خبر عن قوم من بنى اسرائيل نالتهم ذلة و
غلبة عدو فطلبوا الاذن فى الجهاد وان يؤمروا به فلما امروا كع اكثرهم وطلبوا الا قليل فنصرهم الله
وفى هذا كله مثال للمؤمنين يحذر المكروه منه ويقتدى بالحسن والملا فى هذه الاية جميع القوم
لان المعنى يقتضيه وهذا هو اصل اللفظة ويسمى الاشراف ملا تشبيها وقوله تعالى من بعد موسى
معناه من بعد موته وانقضاء مدته واختلف المتاولون فى النبى الذى قيل له ابعث فقال ابن اسحق
وغيره عن وهب بن منبه هو سمويل بن بالى وقال السدى هو شمعون وقال قتادة هو يوشع بن نون
قال الفقيه الامام وهذا قول ضعيف لان مدة داود هى بعد مدة موسى بقرون من الناس ويوشع
هو فتى موسى وكانت بنو اسرائيل تغلب من حاربها وروى انها كانت يضع التابوت الذى فيه
السكينة والبقية فى مارق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصوا وظهرت فيهم الاحداث وخالف
ملوكهم الانبياء واتبعوا الشهوات وقد كان الله تعالى اقام امورهم بان يكون انبياؤهم يسددون
ملوكهم فلما فعلوا ما ذكرناه سلط عليهم امما من الكفرة فغلبوهم واخذوا التابوت فى بعض
الحروب فذل امرهم وقال السدى كان الغالب لهم جالوت وهو من العمالقة فلما راوا انه الاصطلام و
ذهاب الذكر انف بعضهم وتكلموا فى امرهم حتى اجتمع ملاؤهم على ان قالوا لنبى الوقت ابعث لنا ملكا
الاية فانما طلبوا ملكا يقول بامر القتال وكانت المملكة فى سبط من الاسباط بنى اسرائيل يقال لهم
بنو يهودا فعلم النبى بالوحى انه ليس بسبط المملكة من يقوم بامر الحرب ويسر الله كذلك طالوت
وقرا جمهور الناس نقاتل بالنون وجزم اللام على جواب الامر وقرا الضحاك وابن ابى عبلة يقاتل
بالياء ورفع الفعل فهو فى موضع الصفة للملك واراد النبى المذكور عليه السلام ان يتوثق منهم

فرقهم على جهة التفريس وسيرما عندهم بقوله هل عسيتم وقرأ نافع عسيتم بكسر السين
في الموضعين وفتح الباقون السين قال ابو علي الاكثر فتح السين وهو المشهور ووجه الكسر قول
العرب هو عس فذلك مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل في نحو نعم نعم فكذلك عسيت وعسيت
فان اسند الفعل الى ظاهر فقياس عسيتم ان يقال عسى زيد مثل رضي فان قيل فهو القياس وان
لم يفعل فشايع ان ياخذ باللغتين فيستعمل احداهما في موضع الاخرى كما فعل ذلك في غيره ومعنى هذه
المقالة هل انتم قريب من التولي والفرار ان كتب عليكم القتال ن قوله تعالى قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
والله عليم بالظالمين ن المعنى واي شيء يجعلنا الا نقاتل وقد وترنا واخرجنا من ديارنا وقالوا
هذه المقالة وان كان القاتل لم يخرج من حيث اخرج من هو مثله وفي حكمه ثم اخبر الله تعالى عنهم
انه لما فرض عليهم القتال ورأوا الحقيقة ورجعت افكارهم الى مباشرة الحرب تولوا اي اضطربت
نياتهم وفترت عزايمهم وهذا شان الامم المتنعمة المايلة الى الدعة تتمنى الحرب اوقات الانفة
فاذا حضرت الحروب كعت وانقادت الى طبعها وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاثبتوا ثم اخبر الله تعالى عن قليل
منهم انهم ثبتوا على النية الاولى واستمرت عزيمتهم على القتال في سبيل الله ثم توعد الله الظالمين
في لفظ الخبر الذي هو قوله والله عليم بالظالمين وقرأ ابي ابن كعب تولوا الا ان يكون قليل منهم
ن قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم ن قال وهب بن منبه انه لما قال الملأ من بني اسرائيل لشمويل بن بالي ما قالوا سأل الله تعالى
ان يبعث لهم ملكا ويدل عليه فقال الله تعالى له انظر القرن الذي فيه الدهن في بيتك فاذا دخل
عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن راسه منه وملكه عليهم
قال وكان طالوت رجلا دباغا وكان من سبط بنيامين بن يعقوب وكان سبطا لا نبوة فيهم
ولا ملك فخرج طالوت في بغاء دابة له اضلها فقصد شمويل عيسى ان يدعو الله في امر الدابة او يحرعه
فرجا فنش الدهن قال الفقيه الامام وهو دهن القدس فيما يزعمون فقام اليه شمويل فاخذ
ودهن منه راس طالوت وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني الله بتقديمه قال للنبي
قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وطالوت اسم اعجمي معرب وكذلك لم يصرف وقال
السدي ان الله ارسل الى شمعون عصا وقال له من دخل عليك من بني اسرائيل فكان على طول
هذه العصا فهو ملكهم فقيس بها بنو اسرائيل فكانت بطول لهم حتى مر بهم طالوت في بغاء حماره
الذي كان يسقي عليه وكان رجلا سقا فدعوه فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال لهم نبيهم مثل
ما قال ثم ان بني اسرائيل تعسوا وحادوا عن امر الله وجروا على سنتهم فقالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه اي لانه ليس في بيت ملك ولا سبقت له فيه سابقة ولم يوت مالا واسعا
يجمع به نفوس الرجال حتى يغلب اهلا لانفة بماله قال الفقيه الامام وترك قوم السبب الاقوى وهو
قضاء الله وقدره السابق وانه مالك الملك فاحتج عليهم نبيهم عليه السلام بالحجة القاطعة
وبين لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت وانه ببسطته في العلم والجسم وهو ملاك الانسان والجسم الذي
هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء قال ابن عباس كان في بني اسرائيل سبطان احدهما للنبوة والاخر
للملك فلا يبعث الله نبيا الا من الواحد ولا ملكا الا من الاخر فلما بعث طالوت من غير ذلك قالوا مقالتهم
قال مجاهد معنى الملك في هذه الاية الامرة على الجيش قال الفقيه الامام ولكنهم قلقوا لان عادة من
تولى الحرب وغلب ان يستمر ملكا واصطفى افتعل ماخوذ من الصفوة وقرأ نافع بصطة بالصاد وقرأ
ابو عمرو وابن كثير بسطة بالسين والجمهور على ان العلم في هذه الاية يراد به العموم في المعارف وقال
بعض المتاولين المراد العلم بالحرب واما جسمه فقال وهب بن منبه ان اطول رجل من بني اسرائيل
كان يبلغ منكب طالوت قوله تعالى والله يوتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم
ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت ن ولما علم نبيهم عليه السلام تعسهم وجدالهم في الحجج تمم كلامه
بالقطعي الذي لا اعتراض عليه وهو قوله والله يوتي ملكه من يشاء وظاهر اللفظة انه من قول النبي
لهم وقد ذهب بعض المتاولين الى انه من قول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم والاول اظهر واضيف
ملك الدنيا الى الله تعالى اضافة مملوك الى مالك وواسع معناه وسعت قدرته وعلمه كل شيء واما قول
النبي لهم ان اية ملكه فان الطبري ذهب الى ان بني اسرائيل تعسوا وقالوا لنبيهم وما اية طالوت
وذلك على وجه سؤال الدلالة على صدقه في قوله ان الله بعث قال الفقيه الامام ويحتمل ان نبيهم
قال لهم ذلك على جهة التغبيط والتنبيه على هذه النعمة التي قرنها الله بملك طالوت وجعلها اية

له

له دون ان يعين بنو اسرائيل لتكذيب نبيهم وهذا عندي اظهر من لفظ الاية وتاويل الطبري اشبه
باخلاق بني اسرائيل الذميمة فانهم اهل تكذيب وتعنت واعوجاج وقد حكى الطبري معناه عن ابن
عباس وابن زيد والسدي واختلف المتاولون في كيفية اتيان التابوت وكيف كان بدو امره فقال
وهب بن منبه كان التابوت عند بني اسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت
وصار التابوت عند القوم الذين غلبوا فوضعوه في كنيسة لهم فيها اصنام فكانت الاصنام تصبح
منكسة فجعلوه في قرية قوم فاصاب اولئك القوم اوجاع في اعناقهم وقيل جعل في مخراة قوم فكانوا
تصيبهم الباسور فلما عظم بلاؤهم كيف كان قالوا ما هو الا لهذا التابوت فلنرده الى بلاد بني
اسرائيل فاخذوا عجلة فجعلوا التابوت عليها وربطوها ببقرتين فارسلوها في الارض نحو بلاد
بني اسرائيل فبعث الله ملائكة يسوق البقرتين حتى دخلتا به على بني اسرائيل وهم في امر طالوت
فايقنوا بالنصر وهذا هو حمل الملائكة للتابوت في هذه الرواية وقال قتادة والربيع كان هذا
التابوت مما تركه موسى عند يوشع بن نون فجعله يوشع في البرية ومرت عليه الدهور حتى جاء
وقت طالوت وكان امر التابوت مشهورا عندهم في تركه فجعل الله الاتيان به اية لملك طالوت وبعث
ملائكة حملته الى بني اسرائيل فروي انهم راوا التابوت في الهواء يأتي حتى نزل بينهم وروى
ان الملائكة جاءت به تحمله حتى جعلته في دار طالوت فاستوسق بنو اسرائيل عند ذلك على
طالوت وقال وهب بن منبه كان قدر التابوت نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرأ زيد بن
ثابت التابوه وهي لغته والناس على قراءته بالتاء قال الفقيه الامام وكثر الرواة في قصص التابوت
وصورة حمله بما لم اد لاسناده وجها فلذلك اسقطته ن قوله تعالى فيه سكينة من ربكم وبقية
مما ترك ال موسى وال هرون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ن قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه السكينة ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وروي عنه انه قال
هي ريح هجوج لها راسان وقال مجاهد السكينة لها راس كراس الهرة وجناحان وذنب
وقال اقبلت السكينة والصرد وجبرئيل مع ابراهيم من الشام وقال وهب بن منبه
عن بعض علماء بني اسرائيل السكينة راس هرة ميتة كانت اذا صرخت في التابوت
بصراخ الهر ايقنوا بالنصر وقال ابن عباس السكينة طست من ذهب من الجنة كان
يغسل فيه قلوب الانبياء صلوات الله عليهم وقاله السدي وقال وهب بن منبه
السكينة روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شيء اخبرتهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن
ابي رباح السكينة ما تعرفون من الايات فتسكنون اليها وقال الربيع بن انس سكينة
من ربكم اي وقار لكم من ربكم قال الفقيه الامام والصحيح ان التابوت كانت فيه اشياء
فاضلة من بقايا الانبياء واثارهم فكانت النفوس تسكن الى ذلك وتانس به وتقوى
بالمعهود ان الله ينصر الحق والامور الفاضلة عنده والسكينة على هذا فعيلة ماخوذة
من السكون كما تقول عزم عزيمة وقطع قطيعة واختلف المفسرون في البقية ما
هي فقال ابن عباس هي عصا موسى ورضاض الالواح وقال الربيع هي عصا موسى وامور
من التوراة وقال عكرمة هي التوراة والعصا ورضاض الالواح قال الفقيه الامام ومعنى
هذا ما روي ان موسى لما جاء قومه بالالواح فوجدهم قد عبدوا العجل القى الالواح غضبا
فتكسرت فنزع منها ما بقي صحيحا واخذ رضاض ما تكسر فجعل في التابوت وقال ابو صالح
البقية عصا موسى وعصا هرون من التوراة والمن وقال عطية بن سعد هي عصا موسى
وعصا هرون وثيابهما ورضاض الالواح وقال الثوري من الناس من يقول العصا والنعلان وقال الضحاك
البقية الجهاد وقتال الاعداء قال الفقيه الامام اي الامر بذلك في التابوت اما انه مكتوب فيه واما
ان نفس الاتيان به هو كالامر بذلك واسند الترك الى ال موسى وهرون من حيث كان الامر مندرجا
من قوم الى قوم وكلهم ال موسى وهرون وال الرجل قرابته واتباعه وقال ابن عباس وابن زيد حملت الملائكة
سوقهما التابوت دون شيء يحمله سواها حتى وضعه بين بني اسرائيل وهم ينظرون اليه بين السماء
والارض وقال وهب بن منبه والثوري عن بعض اشياخهم حملها اياه سوقها الثورين او البقرتين
اللتين جرتا العجلة به ثم قال تعالى ان في التابوت اية لهم ان كانوا ممن يؤمن ويبصر بعين حقيقة ن
قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه
فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ن قيل هذه الاية متروك من اللفظ بدل
معنى ما ذكر عليه وهو ما اتفق بنو اسرائيل على طالوت ملكا واذعنوا وتهيئوا لغزو عدوهم
فلما فصل طالوت معناه خرج بهم من القطر وفصل حال السفر من حال الاقامة قال السدي وغيره
كانوا ثمانين الفا قال الفقيه الامام ولا محالة انهم كانوا فيهم المؤمن والمنافق والجد والكسلان

وقال وهب بن منبه لم يتخلف عنه الا ذو عذر من صغر او كبر او مرض واختلف المفسرون في النهر فقال
وهب بن منبه لما فصل طالوت قالوا له ان المياه لا تحملنا فادع الله يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت
ان الله مبتليكم الاية وقال قتادة النهر الذي ابتلاهم الله به هو نهر بين الاردن وفلسطين
وقال ابن عباس وقال ايضا هو والسدي نهر فلسطين وقراءة الجمهور القراء بنهر بفتح الهاء
وقرا مجاهد وحميد الاعرج وابو السماك وغيرهم بنهر باسكان الهاء في جميع القران ومعنى هذا الابتلا
انه اختيار لهم فمن ظهرت طاعته في ترك الماء علم انه يطيع فيما عدى ذلك ومن غلبت شهوته في الماء
وعصى الامر فهو بالعصيان في الشدايد احرى وروي انهم اتوا النهر وهم قد نالهم عطش
وهو في غاية العذوبة والحسن وكذلك رخص للمطيعين في الغرفة ليرتفع عنهم اذا العطش
بعض الارتفاع وليكسروا نزاع النفس في هذه الحال الى الاغتراف بالايدي لنظافته وسهولته
وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه للاكف انظف الانية ومنه قول الحسن لا يركفون الى ما
بانيه الاغترافا من الغدران بالراح وظاهر قول طالوت ان الله مبتليكم بنهر وان ذلك
يوحى الى النبي واختار من النبي لطالوت ويحتمل ان يكون هذا مما الهم الله طالوت اليه بجرب به جنده
وجعل الالهام ابتلا من الله لهم وهذه البرعة واجب ان يقع من كل متولي حرب فليس يحارب الا
بالخبر المطيع ومنه قول معاوية علي في احب جند واعصاه واما في انصح جند واطوعه ومنه قول علي
رضي الله عنه فسدتم علي راي بالعصيان وبين ان الغرفة كانت ضرر العطش عند الحزمة الصابرين
على شظف العيش الذين همتهم في غير الرفاهية كما قال عروة واحسوا قراح الماء والماء بارد
فيشبه ان طالوت اراد تجربة القوم وقد ذهب قوم الى ان عبد الله بن حذافة التهيمي
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم انما امر الصحابة بايقاد النار والدخول فيها تجربة لطاعتهم
لطاعتهم لكنه حمله مزاحه على تخشين الامر الذي كلفهم وقوله فليس مني اي ليس من اصحابي
وهذه الحرب ولم يخرجهم بذلك عن الايمان ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا
فليس منا ومن رمانا بالنبل فليس منا فليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود وقوله ومن لم يطعمه
سد الذرايع لان ادنى الذوق يدخل في لفظ الطعم فاذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل الى وقوع
الشرب ممن يحب الطعم ولهذه المبالغة لم يات الكلام ومن لم يشرب منه وقرا ابو عمرو
ونافع وابن كثير غرفة بفتح الغين وهذا على تعدية الفعل الى المصدر والمفعول محذوف والمعنى
الا من اغترف ماء غرفة وقرا الباقون غرفة بضم الغين وهذا على تعدية الفعل الى المفعول لان
الغرفة هي العين المغترفة فهذا بمنزلة الا من اغترف ماء كان اما على ترجيح بضم الغين انما هو مصدر
على غير اعترف ثم اخبر تعالى عنهم ان الاكثر شرب وخالف ما اريد منه وروي عن ابن عباس و
وقتادة وغيرهما ان القوم شربوا على قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم وشرب العاصون
دون ذلك وانصرف من القوم ستة وسبعون الفا وبقي بعض المعصيين لم يشرب شيا واخذ
بعضهم الغرفة فاما من شرب فلم يرو بل برح به العطش واما من ترك الماء فحسنت حاله
وكان اجلد ممن اخذ الغرفة ن قوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله
مع الصابرين ن جاوز فاعل من جاز يجوز وهي مفاعلة من اثنين في كل موضع لان النهر وما
اشبهه كانه يجاوز واختلف لنا شيخ الذين امنوا معه كم كانوا فقال البرا بن عازب كنا نتحدث
ان عدة اهل بدر كعدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا و
في رواية وثلاثة عشر رجلا وما كان معه الا مومن وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لاصحابه يوم بدر انتم كعدة اصحاب طالوت وقال السدي وابن عباس بل جاوز معه اربعة
الاف رجل قال ابن عباس فيهم من شرب فلما نظروا الى جالوت وجنوده قالوا لا طاقة لنا اليوم
ويرجع منهم ثلاث الاف وستمائة وبضعة وثمانون هذا نص قول السدي ومعنى قول ابن عباس
فعلى القول الاول قالت الجملة لا طاقة لنا على جهة استكثار العدو فقال اهل الصلابة منهم والتصميم
والاشتمايه كم من فية قليلة الاية والظن لقا الله على هذا القول يحسن ان يكون ظنا على بابه
اي يظنون انهم يستشهدون في ذلك اليوم لعزمهم على صدق القتال كما جرى لعبد
الله بن حرام في احد ولغيره وعلى القول الثاني قال كثير من الاربعة الالاف لا طاقة
لنا على جهة الفشل والفزع من الموت وانصرفوا عن طالوت فقال المؤمنون الموقنون
بالبعث والرجوع الى الله وهم عدة اهل بدر كم من فية والظن على هذا بمعنى
اليقين وهو فيما لم يقع بعد ولا خرج الى الحس قال الفقيه الامام وما روي عن ابن
عباس من ان في الاربعة الالاف من شرب يرد عليه قوله والذين امنوا معه واكثر المفسرين

على انه

على انه انما جاز النهر من لم يشرب الا غرفة ومن لم يشرب جملة ثم كانت بصائر هؤلاء مختلفة
فبعض كع وبعض صمم وقرا ابي بن كعب كاين من فية والفية الجماعة التي ترجع اليها في الشدايد
من قولهم فا بفا اذا رجع وقد يكون الرجل الواحد فية بسببها والملك فية الناس والجبل
فية والحصن كل ذلك تشبيه وفي قولهم رضي الله عنهم كم من فية الاية تحريض بالمثال و
حض واستشعار للصبر واقتدا بمن صدق ربه واذن الله هنا تمكينه وعلمه بمجموع ذلك
هو الاذن والله مع الصابرين بنصره وتاييده ن قوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ن برزوا معناه
صاروا في البراز وهو الافيح من الارض المتسع وجالوت اسم اعجمي معرب والافراغ اعظم
الصب كانه يتضمن عموم المفرغ عليه والهزم اصله ان يضرب الشي فيدخل بعضه في بعض وكذلك
الجيش الذي يرد بولد ذعره ثم قيل في معنى الغلبة هزم وكان جالوت امير العمالقة وملكهم
وكان فيما روي في ثلاث مائة الف فارس وروي في قصة داود وقتله جالوت ان اصحاب طالوت
كان فيهم اخوة داود وهم بنو ايشى وكان داود صغيرا يرعى غنما لابيه فلما حضرت الحرب قال في
نفسه لاذهبن لرؤية هذا الحرب فلما نهض مر في طريقه بحجر فناداه يا داود خذني فبي تقتل جالوت
ثم ناداه حجر اخر ثم اخر فاخذها وجعلها في مخلاته وسار فلما حضر الناس خرج جالوت
يطلب مبارزا فكع الناس عنه حتى قال طالوت من يبرز له ويقتله فانا ازوجه بنتي واحكم
في مالي فجاء داود فقال انا ابرز له واقتله فقال له طالوت فاركب فرسي وخذ سلاحي ففعل وخرج
في احسن شكله فلما مشى قليلا رجع فقال الناس جبن الفتى فقال داود ان الله لم يقتله لي ولم يعني
عليه لم ينفعني هذا الفرس ولا هذا السلاح ولكني احب ان اقاتله على عادتي قال وكان داود
من ادنى الناس بالمقلاع فنزل واخذ مخلاته فتقلدها واخذ مقلاعه وخرج الى جالوت وهو شاك
في سلاحه فقال له جالوت انت يا فتى تخرج الي قال نعم قال هكذا كما تخرج الى الكلب قال نعم انت اهون
قال لاطعمن اليوم لحمك الطير والسباع ثم تدانيا واداره داود مقلاعه وادخل يده الى الحجارة فروي
انها التامت فصارت واحدا فوضعه في المقلاع وسمى الله وادارها ورماه فاصاب به راس جالوت
فقتله وحز راسه وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل اصحاب طالوت وكانت الهزيمة ثم ان داود
جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له ان بنات الملوك لهن غرايب من المهور ولا بد لك من قتل مائتين
من هؤلاء الجراجمة الذين يؤذون الناس وتجيئني بغلفهم وطمع طالوت ان يعرض داود للقتل بهذه
النزعة فقتل داود منهم مائتين وجاء بذلك فطلب امراته فدفعها وعظم امر داود فيروى ان
طالوت خرج له عن الملك وصار هو الملك وروي ان بني اسرائيل غلبت طالوت على ذلك بسبب ان
داود قتل جالوت وكان سبب الفتح وروي ان طالوت اخاف داود حتى هرب منه فكان في جبل الى ان مات
طالوت فذهبت بنو اسرائيل الى داود وملكته امرها وروي ان نبي الله سمويل اوحى الله اليه ان
تذهب الى ايشى وسله ان يعرض عليه بنيه فيدهن الذي يشار له اليه بدهن القدس ويجعله ملك
بني اسرائيل والله اعلم اي ذلك كان غير انه يقطع من الفاظ الاية على ان داود صار ملك بني اسرائيل
وقد روي في صدر هذه القصة ان داود كان يستتر في مطبخة طالوت ثم كلمه حجر فاخذه فكان سبب
قتله جالوت ومملكته وقد اكثر الناس في قصص هذه الاية وذلك كله كثير الاسانيد فلذلك انتقيت
منه ما تنفك به الاية ويعلم به مسايل النازلة واختصرت سائر ذلك واما الحكمة التي اتاه الله فهي
النبوة والزبور وقال السدي اتاه الله ملك طالوت ونبوة شمعون والذي علمه صنعة الزروع
ومنطق الطير وغير ذلك من انواع علمه صلى الله عليه وسلم ن قوله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق و
انك لمن المرسلين ن اخبر الله تعالى في هذه الاية انه لولا دفعه بالمؤمنين في صدور الكفرة على مر
الدهر لفسدت الارض لان الكفر كان يطبقها ويتمادى في جميع اقطارها ولكنه تعالى لا يخلي الزمن
من قائم بحق وداع الى الله ومقاتل عليه الى ان جعل ذلك في امة محمد الى قيام الساعة له الحمد كثيرا قال
مكي واكثر المفسرين على ان المعنى لولا ان الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وبمن يتقي عمن لا يتقي لاهلك الناس
بذنوبهم قال الفقيه الامام وليس هذا معنى الاية ولا هو منه في ورد ولا صدر والحديث الذي روى
ابن عمر صحيح وما ذكره مكي من احتجاج ابن عمر عليه بالاية لا يصح عندي لان ابن عمر من الفصحا وابو عمرو وابن
كثير ولولا دفع الله وفي الحج ان الله يدفع وقرا نافع ولولا دفاع الله وان الله يدافع وقرا الباقون ولولا
دفع الله وان الله يدفع يعرقوا بينهما والدفاع يحتمل ان يكون مصدر دفع ككتب كتابا ولقي لقاء ويحتمل
ويحتمل ان يكون مصدر دافع كقاتل قتالا والاشارة بذلك الى ما سلف من القصص والانبا وفي هذه

القصة تحملها مثال عظيم للمؤمنين ومعتبر وقد كان اصحاب محمد معدين لحرب الكفار فلهم في هذه النازلة
معتبر يقتضي تقوية النفوس والثقة بالله وغير ذلك من وجوه العبرة ن قوله تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه
بروح القدس ن تلك رفع بالابتداء والرسل خبره ويجوز ان يكون الرسل عطف بيان وفضلنا
الخبر وتلك اشارة جماعة مؤنثة اللفظ ونص الله في هذه الاية على تفضيل بعض الانبياء على بعض
وذلك في الجملة دون تعيين مفضول وهكذا هي الاحاديث عن النبي عليه السلام فانه قال انا سيد ولد ادم
وقال لا تفضلوني على موسى وقال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي هذا نهي شديد
عن تعيين المفضول لان يونس عليه السلام كان شابا وتفسخ تحت اعباء النبوة فاذا كان
هذا التوقف فيه لمحمد وابراهيم ونوح فغيره احق فربط الباب ان التفضيل فيهم على غير تعيين
المفضول وقد قال ابو هريرة خير ولد ادم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم اولوا العزم
والمكلم موسى صلى الله عليه وسلم وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم انبي مرسل هو فقال نعم
نبي مكلم وقد تاول بعض الناس ان تكليم ادم كان في الجنة فعلى هذا تبقى خاصية موسى و قوله تعالى ورفع
بعضهم درجات وقال مجاهد وغيره هي اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث الى
الناس كافة واعطي الخمس التي لم يعطها احد قبله وهو اعظم الناس امة وختم الله به النبوات
الى غير ذلك من الخلق العظيم الذي اعطاه الله من معجزاته وباهر اياته ويحتمل ان يراد به محمد وغيره
ممن عظمت اياته ويكون الكلام تاكيدا للاول ويحتمل ان يريد رفع ادريس المكان العلي و
مراتب الانبياء وبينات عيسى عليه السلام هي احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وخلق الطير
من الطين وروح القدس جبريل عليه السلام وقد تقدم ما قال العلماء فيه ن قوله تعالى ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من
كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ن ظاهر اللفظ في قوله من بعدهم يعطي انه
اراد القوم الذين جاءوا من بعد جميع الرسل وليس الامر كذلك المعنى بل المراد ما اقتتل الناس بعد كل
نبي فلف الكلام لفا لم يفهمه السامع وهذا كما تقول اشتريت خيلا ثم بعتها فجائز لك هذه العبارة
وانما اشتريت فرسا ثم بعته ثم اخر وبعته ثم اخر وبعته وكذلك هذه النوازل انما اختلف الناس
بعد كل نبي فمنهم من امن ومنهم من كفر بغيا وحسدا وعلى حطام الدنيا وذلك كله بقضاء وقدر
وارادة من الله تعالى ولو شاء خلاف ذلك لكان ولكنه المستاثر بسر الحكمة في ذلك الفعال
لما يريد فاقتتلوا بان قاتل المؤمنون الكافرين على مر الدهر وذلك هو دفع الله الناس بعضهم
ببعض ن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ن قال ابن جريج هذه الاية تجمع الزكوة والتطوع وهذا الكلام
صحيح فالزكاة واجبة والتطوع مندوب اليه وظاهر هذه الاية انها مراد بها جميع وجوه البر
من سبيل وصلة رحم ولكن ما تقدم من الايات في ذكر القتال وان الله يدفع بالمؤمنين في صدور
الكافرين يترجح منه ان هذا الندب انما هو في سبيل الله ويقوي ذلك قوله في اخر الاية والكافرون هم
الظالمون اي فكافحوهم بالقتال بالانفس وانفاق الاموال وندب الله تعالى بهذه الاية الى انفاق شيء
مما انعم به وهذه غاية التفضل فعلا وقولا وحذر تعالى من الامساك الى ان يجيء يوم لا يمكن فيه بيع
ولا شراء ولا استدراك نفقة في ذات الله اذ هي مبايعة على ما قد فسرناه في قوله تعالى من
ذا الذي يقرض الله والا البيع فيه لان المرء قد يشتري نفسه ومراده بماله فكان معنى الاية
معنى سائر الاي التي تتضمن ان لا فدية يوم القيامة واخبر تعالى بعدم الخلة يوم القيامة والمعنى
خلة نافعة يقتضي المساهمة كما كانت في الدنيا واهل التقوى بينهم في ذلك اليوم خلة ولكنها غير
محتاج اليها وخلة غيرهم لا يغني من الله شيئا واخبر تعالى ان الشفاعة ايضا معدومة في ذلك اليوم
فحمل الطبري ذلك على عموم اللفظ وخصوص المعنى فان المراد ولا شفاعة للكفار وهذا لا يحتاج اليه
بل الشفاعة المعروفة في الدنيا وهي انتداب الشافع وتحكمه على كره المشفوع عنده مرتفعة يوم القيمة
البتة وانما يوجد شفاعة باذن الله تعالى فحقيقتها رحمة من الله تعالى لكنه شرف الذي اذن
له فان يشفع وانما المعدوم مثل حال الدنيا من البيع والخلة والشفاعة وقرا ابن كثير وابو عمرو
ولا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالنصب فكل ذلك بلا تنوين وكذلك في سورة ابراهيم لا بيع فيه
ولا خلال وفي الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرا الباقون جميع ذلك بالرفع والتنوين والظالمون
وضعوا الشيء في غير موضعه وقال عطاء بن دينار الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون
ولم يقل والظالمون هم الكافرون ن قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا
نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم

وما

وما خلفهم ن هذه الاية سيدة اي القران ورد ذلك في الحديث وورد انها تعدل ثلث القران وورد
ان من قراها اول ليلة لم يقربه شيطان وكذلك من قراها اول نهاره وهذه متضمنة التوحيد و
الصفات العلى والله مبتداء ولا اله مبتداء ثان وخبره محذوف تقديره معبود او موجود والا هو
بدل من موضع لا اله والحي صفة من صفات الله تعالى ذاتية وذكر الطبري عن قوم انهم
قالوا الله تعالى حي لا بحياة وهذا قول المعتزلة وهو قول مرغوب عنه وحكي عن قوم انه حي
لحياة هي صفة له وحكي عن قوم انه يقال حي كما وصف نفسه ويسلم ذلك دون ان ينظر فيه
والقيوم فيعول من القيام اصله قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما على الاخرى
بالسكون فادغمت الاولى في الثانية بعد قلب الواو ياء وقيوم بناء مبالغة اي هو القايم
على كل امرئ بما يجب له وبهذا المعنى فسره مجاهد والربيع والضحاك وقرا ابن مسعود و
علقمة وابراهيم النخعي والاعمش الحي القيام بالالف ثم نفى الله عز وجل ان تاخذه سنة
ولا نوم وفي لفظ الاخذ عليه ما فلذلك حسنت في هذا الموضع بالنفي والسنة بدو النعاس
وهو فتور يعتري الانسان وترنق في عينيه وليس يفقد معه كل ذهنه والنوم هو المستثقل
الذي يزول معه الذهن والمراد بهذه الاية ان الله تعالى يدركه افة ولا يلحقه خلل بحال
من الاحوال فجعلت هذه مثالا لذلك واقيم هذا المذكور من الافات مقام الجميع وهذا هو مفهوم
الخطاب كما قال تعالى ولا تقل لهما اف ومما تعرف به بين الوسن والنوم قول عدي بن الرقاع وسنان
اقصده النعاس فرنقت في عينيه سنة وليس بنايم وبهذا المعنى في السنة فسر الضحاك
والسدي وقال ابن عباس وغيره السنة النعاس وقال ابن زيد الوسنان الذي يقوم من النوم
وهو لا يعقل حتى ربما جرد السيف على اهله قال القاضي ابو محمد وهذا الذي قال ابن زيد
فيه نظر وليس ذلك بمفهوم من كلام العرب وروى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فارسل الله اليه
ملكا فارقه ثلاثا ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة وامره ان يحتفظ بهما قال فجعل ينام ويكاد
يداه تلتقيان بالقارورتين ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت
يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله مثلا ان لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض
وقوله تعالى ما في السموات وما في الارض اي بالملك فهو مالك الجميع وربه وجاءت العبارة بما وان
كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود ثم قرر ووقف تعالى على من يتعاطى ان
يشفع عنده او يتعاطى ذلك فيه الا ان هو فيه لا اله الا هو وقال الطبري هذه الاية نزلت لما قال
الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله له ما في السموات وما في الارض
الاية ان الله ياذن لمن يشاء في الشفاعة وهنا هم الانبياء والعلماء وغيرهم والاذن هنا
راجع الى الامر فيما نص عليه لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ قيل له واشفع تشفع والى العلم والتمكين
ان يشفع احد من الانبياء والعلماء قبل ان يؤمن والذي يظهر ان العلماء والصالحين ان يشفعون
فيمن يصل الى النار وهو بين المنزلتين او وصل ولكن له اعمال صالحة وفي البخاري في باب بعد من
باب الرؤية ان المؤمنين يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا
فهذه شفاعة فيمن يعرف امره وكما يشفع الطفل المحبنطئ على باب الجنة للحديث وهذا انما هو في
قراباتهم ومعارفهم ان الانبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة امتهم بذنوب دون
قربى ولا معرفة الا بنفس الايمان ثم يبقى شفاعة الانبياء واما شفاعة محمد في تعجيل الحساب فخاصة له
وهي الخامسة التي في قوله واعطيت الشفاعة وهي عامة للناس والقصد منها راحة المؤمنين وتعجل
الكفار منها المصير الى العذاب وكذلك انما يطلبها الى الانبياء المؤمنون والضمير في قوله ايديهم
وما خلفهم عائد على كل من يعقل ممن تضمنه قوله له ما في السموات وما في الارض وقال مجاهد ما بين
ايديهم الدنيا وما خلفهم الاخرة وهذا صحيح في نفسه عند موت الانسان لان ما بين اليد هو كل ما
تقدم الانسان وما خلفه هو كل ما ياتي بعده وبنحو قول مجاهد قال السدي وغيره ن قوله تعالى
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو
العلي العظيم ن قوله لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء معناه من معلوماته وهذا القول الخضر لموسى
عليه السلام حين نقر العصفور من حرف السفينة ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص
هذا العصفور من هذا البحر فهذا وما شاكله راجع الى المعلومات لان علم الله تعالى الذي هو
صفة ذاته لا يتبعض ومعنى الاية لا معلوم لاحد الا ما شاء الله ان يعلمه واختلف الناس في الكرسي
الذي وصفه الله تعالى بانه وسع السموات والارض فقال ابن عباس كرسيه علمه ورجحه الطبري
وقال منه الكراسة للصحايف التي تضم العلم ومنه قيل للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم

كما يقال اوتاد الارض قال الفقيه الامام وهذه الالفاظ يقتضي ما ذهب اليه من ان الكرسي العلم
قال الطبري ومنه قول الشاعر يحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالاحداث حين تنوب
يريد بذلك علما بحوادث الامور ونوازلها وقال ابو موسى الاشعري الكرسي موضع القدمين
وله اطيط كاطيط الرحل وقال السدي موضع قدميه قال الفقيه الامام وعبارة ابي موسى مخلصه
لانه يريد هو من عرش الرحمن كموضع القدمين في اسرة الملوك وهو مخلوق عظيم بين يدي العرش
نسبته اليه كنسبة الكرسي الى سرير الملك والكرسي هو موضع القدمين واما عبارة السدي ن
فقلقة وقد مال اليها منذر البلوطي وتاولها بمعنى ما قدم من المخلوقات على نحو ما تاول في قول النبي
عليه السلام فيضع الجبار فيها قدمه قال الفقيه الامام وهذا عندي عنا لان التاويل لا ينضطر
اليه الا في الفاظ النبي عليه السلام وفي كتاب الله واما في عبارة مفسر فلا وقال الحسن بن ابي الحسن
الكرسي هو العرش نفسه قال الفقيه الامام والذي يقتضيه الاحاديث ان الكرسي مخلوق بين يدي
العرش والعرش اعظم منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي
الا كدراهم سبعة القيت في ترس وقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما
الكرسي في العرش الا كحلقة حديد القيت في فلاة من الارض وهذه الاية منبئة عن عظم مخلوقات
الله تعالى والمستفاد من ذلك عظم قدرته اذ لا يؤده حفظ هذا الامر العظيم ويؤده معناه يثقل
يقال آدني الشيء معناه اثقلني وتحملت منه مشقة وبهذا فسر اللفظة ابن عباس والحسن وقتادة
وغيرهم وروي عن الزهري وابو جعفر والاعرج بخلاف عنهم تخفيف الهمزة التي على الواو
الاولى لجعلوها بين بين لا مخلصا واوا مضمومة ولا همزة مفتوحة كما قيل في لؤم لوم والمعنى
يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لان الله منزه عن التحيز وحكى الطبري عن قوم انهم قالوا
هو العلي عن خلقه بارتفاع مكانه عن اماكن خلقه قال الفقيه الامام وهذا قول جهلة مجسمين
وكان الوجه الا يحكى وكذا العظيم صفة بمعنى عظم القدر والخطر لا بمعنى عظم الاجرام وحكى
الطبري عن قوم ان العظيم معناه المعظم كما يقال العتيق بمعنى المعتق وانشد قول الاعشى
وكان الخمر العتيق من الاسفنط ممزوجة بماء الزلال وذكر عن قوم انهم انكروا ذلك وقالوا لو كان
بمعنى معظم لوجب ان لا تكون عظيما قبل ان يخلق الخلق وبعد فنائهم اذ لا معظم له حينئذ ن
قوله تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ن في هذه الاية المعتقد والملة بقرينة
قوله قد تبين الرشد من الغي ولا اكراه الذي في الاحكام من الايمان والمتنوع والهبات وغير ذلك
ليس هذا موضعه وانما يجيء في قوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فاذا تقرر ان الاكراه
المنفي هنا هو في نفس المعتقد من الملك والنحل فاختلف الناس في معنى الاية فقال الزهري سالت
زيد بن اسلم عن قوله تعالى لا اكراه في الدين فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين
لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوهم فاستاذن الله في قتالهم فاذن له قال
الطبري فالاية منسوخة في هذا القول قال الفقيه الامام ويلزم على هذا ان الاية مكية وانها
من ايات الموادعة التي نسختها اية السيف وقال قتادة والضحاك هذه الاية محكمة خاصة
في اهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ويودونها عن يد صغرة فالاسر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يقاتل العرب اهل الاوثان لا يقبل منهم الا لا اله الا الله او السيف ثم امر فيمن
سواهم ان يقبل الجزية ونزلت فيهم لا اكراه في الدين قال الفقيه الامام وعلى مذهب
مالك في ان الجزية يقبل من كل كافر سوى قريش اي نوع كان فجي الاية خاصة فيمن اعطى الجزية
من الناس كلهم لا يقف ذلك على اهل الكتاب كما قال قتادة والضحاك وقال ابن عباس وسعيد
ابن جبير انما نزلت هذه الاية في قوم من الاوس والخزرج كانت المراة تكون مقلاة لا يعيش لها
ولد كانت تجعل على نفسها ان جاءت بولد ان يهوده فكان في بني النضير جماعة على هذا النحو فلما اجلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قالت الانصار كيف يصنع بابنائنا انما فعلنا ما فعلنا
ونحن نرى ان دينهم افضل مما نحن عليه واما اذ جاء الله بالاسلام فنكرههم عليه فنزلت لا اكراه
في الدين الاية وقال بهذا القول عامر الشعبي ومجاهد الا انه قال السبب كونهم في بني النضير الاسترضاع
وقال السدي نزلت الاية في رجل من الانصار يقال له ابو حصين كان له ابنان فقدم تجار من
الشام المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع اتاهم ابنا ابي حصين فدعوهما الى النصرانية
فتنصرا ومضيا معهم الى الشام فاتى ابوهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتكيا امرهما
ورغب في ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يردهما فنزلت لا اكراه في الدين ولم يؤمر
يومئذ بقتال اهل الكتاب وقال ابعدهما الله هما اول من كفر فوجد ابو حصين في نفسه على

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث فطلبهما فانزل الله جل ثناؤه فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية ثم نسخ لا اكراه في الدين فامر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة
قال الفقيه الامام والصحيح في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حديث الزبير مع جاره الانصاري
في السقي وقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي بنصب الادلة ووجود الرسول الداعي الى الله والايات
المنيرة والرشد مصدر من قولك رشد بكسر الشين وضمها يرشد رشدا ورشدا ورشادا والغي
مصدر من غوى يغوي اذا ضل في معتقد او راي ولا يقال الغي في الضلال على الاطلاق وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي الرشاد بالالف وقرا الحسن والشعبي ومجاهد الرشد بفتح الراء والشين وروى
عن الحسن الرشد بضم الراء والشين والطاغوت بناء مبالغة من طغى يطغى وحكى الطبري يطغوا
اذا جاوز الحد بزيادة عليه ووزنه فعلوت ومذهب سيبويه انه اسم مفرد كانه اسم جنس
يقع للكثير والقليل ومذهب ابي علي انه مصدر كرهبوت وجبروت وهو يوصف به الواحد
والجمع وقلبت لامه الى موضع العين وعينه موضع اللام فقيل طاغوت وقال المبرد هو جمع وذلك
مردود واختلف المفسرون في معنى الطاغوت فقال عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي والضحاك
وقتاده والسدي الطاغوت الشيطان وقال ابن سيرين وابو العالية الطاغوت الساحر
وقال سعيد بن جبير وربيع وجابر بن عبد الله وابن جريج الطاغوت الكاهن قال الفقيه الامام
وبين ان هذه امثلة في الطاغوت لان كل واحد منها له طغيان والشيطان اصل ذلك كله وقال
قوم الطاغوت الاصنام وقد قال بعض العلماء كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت قال الفقيه
الامام وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك كفرعون ونمرود ونحوه واما من لا يرضى
ذلك كمريم وعيسى عليهما السلام ومن لا يعقل كالاوثان فتسميت طاغوتا في حق العبدة وذلك
مجاز اذ هم بسبب الطاغوت الذي يامر بذلك ويحسنه وهو الشيطان وقدم تعالى ذكر الكفر
بالطاغوت على الايمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت والعروة في الاجرام
هي موضع الامساك وشد الايدي واستمسك معناه قبض وشد يديه والوثقى فعلى من الوثاقة
وهذه الاية تشبيه واختلفت عبارة المفسرين في الشيء المشبه بالعروة فقال مجاهد العروة
الايمان وقال السدي الاسلام وقال سعيد بن جبير والضحاك العروة لا اله الا الله قال الفقيه الامام
وهذه العبارات ترجع الى معنى واحد والانفصام الانكسار من غير بينونة واذا نفي فلا بينونة
بوجه والفصم بينونة وقد يجيء الفصم بالفاء في معنى البينونة ومن ذلك قول ذي الرمة كانه
دملج من فضة نبه في ملعب من عذارى الحي مفصوم ولما كان الكفر بالطاغوت والايمان بالله
مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سميع من اجل النطق وعليم من اجل المعتقد
المعتقد ن قوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ن الولي فعيل من ولي الشيء اذا جاوره ولزمه فاذا لازم احد احدا بنصره ووده واهتباله
له فهو وليه هذا عرفه في اللغة قال قتاده الظلمات الضلالة والنور الهدى وبمعناه قال
الضحاك والربيع وقال مجاهد وغيره وابي لبابة وان قوله تعالى الله ولي الذين امنوا الاية نزلت
في قوم امنوا بعيسى فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به فذلك اخرجهم من النور الى الظلمات
قال الفقيه الامام فكان هذا القول احرز نورا في المعتقد خرج منه الى الظلمات ولفظ الاية
مستغن عن هذا التخصيص بل هو مترتب في كل امة كافر امن بعضها كالعرب ومترتب في الناس
جميعا وذلك ان من امن منهم فالله وليه اخرجه من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن كفر بعد
وجود الداعي والنبي المرسل فشيطانه ومغويه كانه اخرجه من الايمان اذ هو معد واهل
للدخول فيه وهذا كما يقول لمن يمنعك الدخول في امر ما اخرجتني يا فلان من هذا الامر وان
كنت لم تدخل فيه البته ولفظة الطاغوت في هذه الاية يقتضي انه اسم جنس وكذلك قال
اولياؤهم بالجمع اذ هي انواع وقرا الحسن بن ابي الحسن اولياؤهم الطواغيت يعني الشياطين
وحكم عليهم بالخلود في النار لكفرهم قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
ان اتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي
القوم الظالمين ن الم تر تنبيه وهي رؤية القلب وقرا علي بن ابي طالب الم تر
بجزم الراء والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك
زمانه وصاحب النار والبعوضة هذا قول مجاهد وقتاده والربيع والسدي وابن
اسحق وزيد بن اسلم وغيرهم وقال ابن جريج هو اول ملك في الارض قال الفقيه الامام

وهذا نمرود وقال قتادة هو اول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل وقيل انه ملك
الدنيا باجمعها وتعذب فيها طينته وهو احد الكافرين والاخر بخت نصر وقيل ان الذى
حاج ابراهيم نمرود بن فالخ بن عابر بن سالخ بن ارفخشد بن سام وفى قصص هذه المحاجة
روايتان احداهما ذكر زيد بن اسلم ان النمرود هذا قعد يامر الناس بالميرة فكلما
جاء قوم قال من ربكم والهكم فيقولون انت فيقول ميروهم وجاء ابراهيم يمتار فقال
له من ربك والهك قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت فلما سمعها نمرود قال انا احيى
واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبهت الذى كفر وقال لا تميروه فجا
ميروهم وجاء ابراهيم يمتار فقال له من ربك والهك قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت
فلما سمعها نمرود قال انا احيى واميت فعارضه ابراهيم بامر الشمس فبهت الذى كفر
وقال لا تميروه فرجع ابراهيم الى اهله دون شىء فمر على كثيب رمل كالدقيق فقال
لو ملات عدلى من هذا فاذا دخلت به فرح الصبيان حتى انظر لهما فذهب بذلك
فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلا يلعبان فوق العدلين ونام هو من الاعيا
فقالت امراته لو صنعت له طعاما يجده حاضرا اذا انتبه ففتحت احد العدلين
فوجدت احسن ما يكون من الحوارى فخبزته فلما قام وضعته بين يديه فقال من اين
هذا قالت من الدقيق الذى سقت فعلم ابراهيم ان الله تعالى يسر لهم ذلك وقال الربيع
وغيره فى هذا القصص ان النمرود لما قال انا احيى واميت احضر رجلين فقتل احدهما
وارسل الاخر فقال قد احييت هذا وامت هذا فلما رد عليه بامر الشمس بهت و
الرواية الاخرى ذكر السدى انه لما خرج ابراهيم من النار ادخلوه على الملك ولم يكن
قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال له ربى الذى يحيى ويميت فقال النمرود
انا احيى واميت انا اخذ اربعة نفر فادخلهم بيتا ولا يطعمون شيئا ولا يسقون
حتى اذا جاعوا اخرجتهم اطعمت اثنين فحييا وتركت اثنين فماتا فعارضه
ابراهيم بالشمس فبهت وذكر الاصوليين فى هذه الاية ان ابراهيم عليه السلام
وصف ربه تعالى بما هو بصفته من الاحياء والاماتة لكنه امر له حقيقة ومجاز
قصد ابراهيم الحقيقة ففزع نمرود الى المجاز وموه به على قومه فسلم له ابراهيم
تسليم الجدل وانتقل معه من المثال وجاءه بامر لا مجاز فيه فبهت الذى كفر ولم يمكنه
ان يقول انا الاتى بها من المشرق لان ذوى الاسنان يكذبونه و قوله حاج وزنه
فاعل من الحجة اى حاده اتاها والضمير فى ربه يحتمل ان يعود الى ابراهيم عليه السلام
ويحتمل ان يعود على الذى حاج وان مفعول من اجله والضمير فى اتاه النمرود وهذا
قول جمهور المفسرين وقال المهدوى يحتمل ان يعود الضمير على ابراهيم ان اتاه
ملك النبوة وهذا تحامل من التاويل وقرا جمهور القراء انا احيى بطرح الالف التى
بعد النون من انا اذا وصلوا فى كل القران غير نافع فان ورشا وابن ابى اويس وقالون
رووا اثباتها فى الوصل اذا لقيتها همزة فى كل القران مثل انا احيى انا اخوك الا فى قوله
تعالى ان انا الا نذير فانه يطرحها فى هذا الموضع مثل سائر القراء وتابع اصحابه فحذفها
عند غير همزة قال ابو على ضمير المتكلم الاسم فيه الهمزة والنون ثم ان الالف يلحق فى
الوقف كما يلحق الهاء احيانا فى الوقف فاذا اتصلت الكلمة التى هى فيها بشىء سقطت
التا فكذلك هذه الالف وهى مثل الف حسبنا قال الفقيه الامام وهذا مثال الالف
التى يلحق فى القوافى فاذا قال ابو على فاذا اتصلت الكلمة بشىء سقطت الالف لان الشىء
الذى يتصل به الكلمة يقوم مقام الالف وقد جاء الالف مثبتة فى الوقف فى الشعر من
ذلك قول الشاعر انا سيف العشيرة فاعرفونى حميدا قد تذريت السناما وقرا الجمهور
فبهت الذى بضم الباء وكسر الهاء يقال بهت الرجل اذا انقطع وقامت عليه الحجة
قال ابن سيده ويقال فى هذا المعنى بهت بفتح الباء وكسر الهاء وبهت بفتح الباء وضم الهاء
قال الطبرى وحكى عن بعض العرب فى هذا المعنى بهت بفتح الباء والهاء قال الفقيه الامام هكذا
ضبطت اللفظة فى نسخة ابن ملوك دون نقد بفتح الباء والهاء قال ابن جنى قرا ابو حيوة
فبهت بفتح الباء والهاء وهى لغة فى بهت بكسر الهاء قال وقرا ابن السميقع فبهت بفتح
الباء والهاء على معنى فبهت ابراهيم الذى كفر فالذى فى موضع نصب قال ويجوز ان يكون
بهت بفتحها لغة فى بهت قال وحكى ابو الحسن الاخفش قراءة فبهت بكسر الهاء كخرق ودهش
قال والاكثر بالضم فى الهاء قال ابن جنى يعنى ان الضم يكون للمبالغة قال الفقيه الامام وقد

تاول

تاول قوم فى قراءة من قرا فبهت بفتحها انه بمعنى سب وقذف وان نمرود هو الذى سب ابراهيم
حين انقطع ولم تكن له حيلة وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين اخبار لمحمد عليه
السلام وامته والمعنى لا يرشدهم فى حججهم على ظلمهم لانه لا هدى فى الظلم فظاهره العموم
ومعناه الخصوص كما ذكرنا لان الله تعالى قد يهدى الظالمين بالتوبة والرجوع الى
الايمان ويحتمل ان يكون الخصوص فيمن يوافى ظالما وقوله تعالى او كالذى مر على قرية
وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه
قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام عطفت او فى هذه
الاية على المعنى لان مقصد التعجب فى قوله الم تر الى الذى حاج يقتضى ان المعنى ارايت كالذى
حاج ثم جاء قوله او كالذى مر بفتح الواو وهى واو عطف ودخلت عليها الف التقرير قال سليمان
بن بريدة وناجية بن كعب وقتادة وابن عباس والربيع وعكرمة والضحاك الذى مر على القرية
هو عزير قال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد وبكر بن مضر هو ارميا وقال ابن اسحق
ارميا هو الخضر وحكاه النقاش عن وهب بن منبه قال الفقيه الامام وهذا كما تراه الا
ان يكون اسما وافق اسما لان الخضر معاصر لموسى وهذا الذى مر على القرية هو بعده بزمان من
سبط هرون فيما روى وهب بن منبه وحكى مكى عن مجاهد انه رجل من بنى اسرائيل غير مسمى
قال النقاش هو غلام لوط عليه السلام واختلف فى القرية ايما هى فحكى النقاش ان قوما قالوا
هى المؤتفكة وقال ابن زيد ان القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
مر رجل عليهم وهى عظام تلوح فوقف ينظر فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام
وترجم الطبرى على هذه القصص بانه قول بان القرية التى مر عليها هى التى اهلك الله فيها الذين
خرجوا من ديارهم قال الفقيه الامام وقول ابن زيد لا يلايم الترجمة لان الاشارة بهذه على ما
يقتضى الترجمة هى الى المكان وعلى نفس القول هى الى العظام والاجساد وهذا القول من ابن زيد
مناقض لالفاظ الاية اذ الاية انما تضمنت قرية خاوية لا انس فيها والاشارة بهذه انما
هى الى القرية واحياؤها انما هو بالعمارة ووجود البناء والسكان وقال وهب بن منبه و
قتادة والضحاك وعكرمة والربيع القرية بيت المقدس لما خربها بخت نصر البابلى فى الحديث
الطويل حين احدثت بنو اسرائيل الاحداث وقف ارميا او عزير على القرية وهى كالتل العظيم
وسط بيت المقدس لان بخت نصر امر جنده بنقل التراب اليه حتى جعله كالجبل وراى ارميا
البيوت قد سقطت حيطانها على سقفها والعرش سقف البيت وكلما يهيا ليظل او ليكن فهو
عريش ومنه عريش الدالية والثمار ومنه قوله تعالى ومما يعرشون قال السدى تقول هى ساقطة
على سقفها اى سقط السقف ثم سقطت الحيطان عليها قال غير السدى معناه خاوية من الناس
على العروش اى على البيوت قائمة قال الفقيه الامام وانظر استعمال العرش مع على فى الحديث فى قوله
وكان المسجد يومئذ على عريش فى امر ليلة القدر وخاوية معناه خالية يقال خوت الدار تخوى
خواء وخويا وخويت قال الطبرى والاول افصح وقوله انى يحيى هذه الله بعد موتها معناه من اى طريق
وباى سبب وظاهر اللفظ السؤال عن احياء القرية بعمارة وسكان كما يقال الان فى المدن الخربة التى
يبعد ان تسكن وتعمر فكان هذا تلهف من الواقف المعتبر على مدينته التى عهد فيها اهله
واحبته وضرب له المثل فى نفسه بما هو اعظم مما سال عنه فالمثل الذى ضرب له فى نفسه
يحتمل ان يكون على ان سؤاله انما كان عن احياء الموتى من بنى ادم اى انى يحيى الله موتاها وقد
حكى الطبرى عن بعضهم انه قال كان هذا القول شكا فى قدرة الله على الاحياء فلذلك ضرب له
المثل فى نفسه قال الفقيه الامام وليس يدخل فى قدرة الله تعالى على احياء قرية بجلب العمارة اليها
وانما يتصور الشك من جاهل فى الوجه الاخر والصواب ان لا يتاول فى الاية شك وروى فى
قصص هذه الاية ان بنى اسرائيل لما احدثوا الاحداث بعث الله عليهم بخت نصر البابلى فقتلهم
وجلاهم من بيت المقدس فخربه فلما ذهب عنه جاء ارميا فوقف على المدينة معتبرا فقال
انى يحيى هذه الله بعد موتها قال فاماته الله تعالى قال وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد
وكان معه سلة فيها تين وهو طعامه وقيل تين وعنب وكان معه ركوة من خمر وقيل من عصير
وقيل قلة ماء هى شرابه وبقى ميتا مائة عام فروى انه بلى وتفرقت عظامه هو وحماره وروى انه
بلى دون الحمار وان الحمار بقى حيا مربوطا لم يمت ولا اكل شيئا ولا بليت رمته وروى ان الحمار بلى
وتفرقت اوصاله دون عزير وروى ان الله تعالى بعث الى تلك القرية من عمرها ورد اليها
جماعة بنى اسرائيل حتى كملت على راس مائة سنة وحينئذ حيى عزير وروى ان الله رد عليه
عينيه وخلق له حياة يرى بها كيف يعمر القرية ويحيى مدة من ثلاثين سنة تكملة المائة

لانه بقي سبعين ميتا كله وهذا ضعيف يرد عليه الفاظ الاية وقوله تعالى ثم بعثه معناه احياه
وجعل له الحركة والانتقال فسأله الله تعالى بواسطة الملك كم لبثت على جهة التقرير
كم في موضع نصب على الظرف فقال لبثت يوما او بعض يوم قال ابن جريج وقتاده والربيع اماته
الله غدوة يوم ثم بعثه قبل الغروب فظن هو اليوم واحدا فقال لبثت يوما ثم رأى بقيه
من الشمس فخشي ان يكون كاذبا فقال او بعض يوم فقيل له بل لبثت مائة عام وما رأى من عمارة
القرية واشجارها ومبانيها ما دله على ذلك قال النقاش العام مصدر كالعوم سمي به هذا
القدر من الزمان لانها عومه من الشمس في الفلك والعوم كالسبح وقال تعالى وكل في فلك يسبحون
قال الفقيه الامام هذا معنى كلام النقاش والعوم على هذا كالقول والقال وظاهر هذه الاية
انها باخراج الروح من الجسد وروي في قصص هذه الاية ان الله تعالى بعث لها ملكا من الملوك
يعمرها ويجد في ذلك حتى كان كمال عمارتها عند بعث القائل اني يحيي هذه الله بعد موتها و
قرا ابن كثير وعاصم ونافع كتبت في كل القرات باظهار الثاء وذلك لتباين مخرج التاء من مخرج
الثاء وذلك ان الطاء والتاء والدال من حيز الطاء والذال والثاء المخلقة من حيز وقرا ابو عمرو
وابن عامر وحمزه والكساي بالادغام في كل القران اجروهما مجرى المثلين من حيث اتفق
الحرفان في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا وفي انهما مهموستان قال ابو علي ونقوي
ذلك وقوع هذين الحرفين في روي قصيده واحده قوله تعالى فانظر الى طعامك وشرابك
لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها
لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شي قدير وقف في هذه الالفاظ على بقاء طعامه
وشرابه على حاله لم يتغير وعلى بقاء حماره حيا على مربطه هذا في احد التاويلين وعلى
التاويل الثاني وقف على الحمار كيف يحيى ويجمع عظامه وقرا ابن مسعود وهذا طعامك
وشرابك لم يتسنه وقرا طلحة بن مصرف وغيره وانظر الى طعامك وشرابك لمائة سنة
قال ابو علي واختلفوا في اثبات الهاء في الفعل من قوله عز وجل لم يتسنه واقتده وما اغنى
عني ماليه وسلطانيه وما ادريك ماهيه واسقاطها في الوصل ولم يختلف في اثباتها
في الوقف فقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر هذه الحروف كلها باثبات الهاء
في الوصل وكان حمزه يحذفهن في الوصل وكان الكساي يحذفها في يتسنه واقتده ويثبتها
في الباقي ولم يختلفوا في حسابيه وكتابيه بالهاء في الوقف والوصل ويتسنه يحتمل ان يكون
من سنن الشي اذا تغير وفسد ومنه الحما المسنون في قول بعضهم وقال الزجاج ليس منه
وانما المسنون المصبوب على سنة الارض واذا كان من سنن فهو لم يتسنن قلبت النون
ياء كما فعل في تقضي حتى قلب لم اتظن فجي تسنن تسني ثم تحذف اليا للجزم فيجي المضارع
لم يتسنن ومن قراها بالهاء على هذا القول فهي هاء السكت وعلى هذا الحن حذفها في الوصل
ويحتمل يتسنه ان يكون من السنة وهو الجدب والقحط وما اشبهه يسمونه بذلك وقد اشتق
منه فعل فقيل استنوا واذا كان هذا ومن السنه التي هي العام على قول من يجمعها سنوات
وعلى هذا ايضا الهاء هاء سكت ومعنى لم يتغير طعمه اي طعامه المخوط والخزوب ونحوه ولم
تغيره السنون والاعوام واما من قال في تصغير السنه سنيهه وفي الجمع سنهات وقال اسهت
عند بني فلان وهي لغة الحجاز ومنه قول الشاعر وليست بسنهاء ولا رجبيه ولكن عرايا في
السنين الجوائح فان القراءة على هذه اللغة هي باثبات الهاء ولابد وهي لام الفعل وفيها ظهر
الجزم بلم وعلى هذا الى قراءة ابن كثير وابي عمرو ونافع وقد ذكر وقرا طلحة بن مصرف لم يسنه
على الادغام وقرا النقاش لم يتسنه معناه لم يتغير من قوله تعالى ماء غير آسن قال الفقيه
الامام ورد النحاة على هذا القول لانه لو كان من اسن الماء لجاء لم يتاسن وقوله تعالى
وانظر الى حمارك فقال وهب بن منبه وغيره المعنى وانظر الى اتصال عظامه واحيائه
جزا جزا ويروى انه احياه الله كذلك حتى صار عظاما ملتئمة ثم كساه لحما حتى كمل
حمارا ثم جاء ملك فنفخ في انفه الروح فقام الحمار ينهق وروي عن الضحاك ووهب بن منبه
ايضا انهما قالا بل قيل له وانظر الى حمارك قائما هو في مربطه لم يصبه شي مائة سنة قالا وانما
العظام التي نظر اليها عظام نفسه قال الفقيه الامام امر القصص فصورة هذه النازلة تكثيرا
لحضرته لعدم صحته وقوله تعالى ولنجعلك آية للناس معناه لهذا المقصد ان يكون اية فعلنا
بك هذا وقال الاعمش موضع كونه آية هو انه جاء شابا على حاله حين مات فوجد الابنا والحفده
شيوخا وقال عكرمه جاء وهو ابن اربعين سنه كما كان يوم مات ووجد بنيه قد نيفوا على مائة
سنة وقال غير الاعمش بل موضع كونه آية انه جاء وقد هلك كل من يعرف فكان اية لمن كان حيا من قومه

اذ كانوا موقنين بحاله سماعا قال الفقيه الامام وفي اماتته هذه الموتة ثم احيايه اعظم اية وامره
كله اية للناس غابر الدهر لا يحتاج الى تخصيص بعض ذلك دون بعض واما العظام التي امر بالنظر
اليها فقد ذكرنا من قال هي عظام نفسه ومن قال هي عظام الحمار وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
ننشرها بضم النون الاولى وبالراء وقرا عاصم وابن عامر وحمزه والكساي ننشزها بالزاي
وروى ابان عن عاصم ننشرها بفتح النون الاولى وضم الشين وبالراء وقراها كذلك ابن
عباس والحسين وابو حيوة فمن قرا ننشرها بضم النون وبالراء فمعناه نحييها يقال انشر الله
الموتى فنشروا قال الله تعالى ثم اذا شاء انشره قال الاعمش نا نحيا الميت الناشر وقراءة عاصم
ننشرها بفتح النون وضم الشين يحتمل ان يكون لغة يقال في الاحيا يقال نشرت الميت وانشرته
فيجي نشر الميت ونشرته كما يقال حسرت الدابة وحسرتها وغاض الماء وغضته ورجع زيد
ورجعته ويحتمل ان يراد بها ضد الطي كان الموت طي للعظام والاعضا وكان الاحياء
وجمع بعضها الى بعض نشر واما من قرا ننشزها فمعناه نرفعها والنشز المرتفع من الارض
ومنه قول الشاعر ترى الثعلب الحولي فيها كانه اذا ما علا نشزا حصان مجلل قال ابو علي
وغيره فتقديره ننشزها نرفع بعضها الى بعض للاحيا ومنه نشوز المراة وقال الاعمش
قضاعيه تاتي الكواهن ناشصا قال الفقيه الامام ويقلق عندي ان يكون معنى
النشوز رفع العظام بعضها الى بعض وانما النشوز الارتفاع قليلا قليلا فكانه وقف على نبات
العظام الرفات وما يخرج منها وخروج ما يوجد منها عند الاختراع وقال النقاش ننشزها
معناه ننبتها وانظر استعمال العرب تجده على ما ذكرت من ذلك نشز ناب البعير والنشز
من الارض على التشبيه بذلك ونشزت المراة كانها فارقت الحال التي ينبغي ان يكون عليها
وقوله تعالى واذا قيل انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا شيئا شيئا كنشوز الناب فبذلك يكون
التوسعة فكان النشوز ضرب من الارتفاع وسعد في الاستعمال الا نه يقال لمن ارتفع في حائط
او غرفه نشز وقرا النخعي ننشزها بفتح النون وضم الشين والزاي وروي ذلك عن ابن عباس
وقتاده وقرا ابي بن كعب كيف ننشيها بالياء والكسوه ما وارى من الثياب وشبه اللحم
بها وقد استعاره النابغة للاسلام فقال الحمد لله اذ لم ياتني اجلي حتى اكتسيت من الاسلام
سربالا وروي انه كان يرى اللحم والعصب والعروق وكيف يلتئم ويتواصل وقال الطبري المعنى
في قوله فلما تبين له اي لما اتضح له عيانا ما كان مستنكرا في قدرة الله عنده قبل عيانه قال
اعلم قال الفقيه الامام وهذا خطا لانه الزم ما لا يقتضيه اللفظ وفسر على القول الشاذ و
الاحتمال الضعيف وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر اعلم ان مقطوعة الالف
مضموم الميم وقرا حمزه والكساي قال اعلم ان الله موصولة الالف ساكنة الميم وقراها
ابو رجا وقرا عبد الله بن مسعود قيل اعلم قال الفقيه الامام فاما هذه فبينة المعنى اي
قال الملك له والاولى بينة المعنى اي قال هو انا اعلم ان الله على كل شي قدير وهذا عندي ليس
باقرار بما كان قبل ينكره كما زعم الطبري بل هو قول بعثه الاعتبار كما يقول الانسان المومن
اذا راى شيئا غريبا من قدرة الله لا اله الا هو ونحو هذا وقال ابو علي معناه اعلم هذا
الضرب من العلم الذي لم اكن علمته قال الفقيه الامام يعني علم المعاينة واما قراءة
حمزه والكساي فيحتمل وجهين احدهما قال الملك له اعلم والاخر ان نزل نفسه منزلة
المخاطب الاجنبي المنفصل فالمعنى فلما تبين له قال لنفسه اعلم وانشد ابو علي في مثل
هذا قول الاعشى ودع هريرة ان الركب مرتحل والم تغمض عيناك ليلة ارمدا
وامثلة هذا كثيره وتانس ابو علي في هذا بقول الشاعر تذكر من اني ومن اين
شربه يوامر نفسيه لذي الجمة الابل قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير
فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله
عزيز حكيم العامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر واختلف الناس لم صدرت
هذه المقالة عن ابراهيم عليه السلام فقال الجمهور ان ابراهيم عليه السلام
لم يكن شاكا في احياء الله الموتى قط وانما طلب المعاينة وترجم الطبري في تفسيره
فقال وقال آخرون سال ذلك ربه لانه شك في قدرة الله على احياء الموتى وادخل
تحت الترجمة عن ابن عباس انه قال ما في القران اية ارجا عندي منها وذكر عن عطا
ابن ابي رباح انه قال دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب ارني
كيف تحيي الموتى وذكر حديث ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق

بالشك من ابراهيم الحديث ثم رجح الطبرى هذا القول الذى يجرى مع ظاهر الحديث وقال
ان ابراهيم لما راى الجيفة ياكل منها الحيتان ودواب البر لقى الشيطان فى نفسه فقال
متى يجمع الله هذه من بطون هؤلاء واما من قال بان ابراهيم لم يكن شاكا فاختلفوا
فى سبب سؤاله فقال قتاده ان ابراهيم راى دابة قد توزعتها السباع فعجب
وسال هذا السؤال وقال الضحاك نحوه قال وقد علم عليه السلام ان الله قادر
على احياء الموتى وقال ابن زيد راى الدابة تتقسمها السباع والحيتان لانها
كانت على حاشية البحر وقال ابن اسحق وعباس بل سببها انه لما فارق النمرود
وقد قال له انا احيى واميت فكر فى تلك الحقيقة والمجاز فسال هذا السؤال و
قال السدى وسعيد بن جبير بل سبب هذا السؤال انه لما بشر بان الله اتخذه خليلا
اراد ان يدل بهذا السؤال ليجرب صحة الخلة فان الخليل يدل بما لا يدل به غيره
وقال سعيد بن جبير ولكن ليطمئن قلبى يريد بالخلة قال الفقيه الامام وما ترجم
به الطبرى عندى مردود وما ادخل تحت الترجمة متاول واما قول ابن عباس
هى ارجا اية فمن حيث فيها الادلال على الله تعالى وسؤال الاحيا فى الدنيا
وليست مظنة ذلك ويجوز ان يقول هى ارجا اية لقوله اولم تؤمن اى ان الايمان كاف
لا يحتاج بعده الى تنقير وبحث واما قول عطا بن ابى رباح دخل قلب ابراهيم بعض ما
يدخل قلوب الناس فمعناه من حيث المعاينة وذلك ان النفوس مستشرفة الى رؤية
ما اخبرت وبهذا قال النبى عليه السلام ليس الخبر كالمعاينة واما قول النبى عليه
السلام نحن احق بالشك من ابراهيم فمعناه انه لو كان شك لكنا نحن احق به ونحن
لا نشك فابراهيم عليه السلام احرى ان لا يشك فالحديث مبنى على نفى الشك عن
ابراهيم والذى روى فيه عن النبى عليه السلام انه قال ذلك محض الايمان انما هو
فى الخواطر الجارية التى لا تثبت واما الشك فهو توقف بين امرين لا مزية لاحدهما على
الاخر وذلك هو المنفى عن الخليل عليه السلام واحياء الموتى انما يثبت بالسمع وقد
كان ابراهيم عليه السلام اعلم به يدلك على ذلك قوله ربى الذى يحيى ويميت فالشك
يبعد على من تثبت قدمه فى الايمان فقط فكيف بمرتبة النبوة والخلة والانبياء
معصومون من الكباير ومن الصغاير التى فيها رذيلة اجماعا واذا تاملت سؤاله
عليه السلام وسائر الفاظ الاية لم يعط شكا وذلك ان الاستفهام بكيف
انما هو عن حال شى موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤل نحو قولك كيف
علم زيد وكيف نسج الثوب ونحو هذا ومتى قلت كيف ثوبك كيف زيد فانما السؤال
عن حال من احواله وقد يكون كيف خبرا عن شى شانه ان يستفهم عنه بكيف نحو
قولك كيف شئت فكن ونحو قول البخارى كيف كان بدو الوحى وكيف فى هذه الاية انما
هى استفهام عن هيئة الاحياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شى قد
يعبر عن انكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشى فيعلم انه لا يصح فيلزم من ذلك
الشى فى نفسه لا يصح مثال ذلك ان يقول مدع انا ارفع هذا الجبل فيقول المكذب
له ارنى كيف ترفعه فهذه طريقة مجاز فى العبارة ومعناها تسليم جدلى كانه قال
افرض انك ترفعه ارنى كيف فلما كان فى عبارة الخليل عليه السلام هذا الاشتراك
المجازى خلص الله له ذلك وحمله على ان يبين الحقيقة فقال له اولم تؤمن قال بلى
فكمل الامر وخلص من كل شك ثم علل عليه السلام سؤاله بالطمانينة وقوله تعالى
اولم تؤمن معناه ايمانا مطلقا دخل فيه فصل احياء الموتى والواو واو الحال دخلت
عليها الف التقرير وليطمئن معناه ليسكن عن فكره والطمانينة اعتدال وسكون
على ذلك الاعتدال فطمانينة الاعضاء معروفة كما قال عليه السلام ثم اركع حتى
تطمئن راكعا والحديث وطمانينة القلب هو ان يسكن فكره فى الشى المعتقد و
الفكر فى صورة الاحياء غير محظورة كما لنا نحن اليوم ان نفكر فيها بل هى فكر فيها عبر
واراد الخليل ان يعاين فيذهب فكره فى صورة الاحياء اذ حركه الى ذلك امر الدابة
الماكولة واما قول النمرود انا احيى واميت وقول الطبرى معنى ليطمئن قلبى ليوقن
وحكى نحو ذلك عن سعيد بن جبير وحكى عنه ليزداد يقينا وقاله ابراهيم وقتاده وقال
بعضهم لازداد ايمانا مع ايمانى قال الفقيه الامام ولا زيادة فى هذا المعنى يمكن
الا السكون عن الفكر والا فاليقين لا يتبعض وروى ان الاربعة التى اخذها ابراهيم

هى

هى الديك والطاوس والحمام والغراب ذكر ذلك ابن اسحق عن بعض اهل العلم الاول وقال
مجاهد وابن جريج وابن زيد وقال ابن عباس مكان الغراب الكركى وروى فى قصص هذه الاية
ان الخليل عليه السلام اخذ هذه الطير حسب ما امر وذكاها ثم قطعها صغارا
وجمع ذلك مع الدم والريش ثم جعل من ذلك المجموع المختلط جزءا على جبل ووقف هو
من حيث يرى تلك الاجزاء وامسك رءوس الطير فى يده ثم قال تعالين باذن الله فتطايرت
تلك الاجزاء وطار الدم الى الدم والريش الى الريش حتى التامت كما كانت اولا وبقيت
بلا رؤس ثم كرر النداء فجاءت سعيا حتى وضعت اجسادها فى رءوسها وطارت باذن
الله تعالى وقرا حمزة وحده فصرهن اليك بكسر الصاد وقرا الباقون بضمها ويقال صرت
الشى اصوره بمعنى قطعته ومنه قول ذى الرمة صرنا به الحكم وعنا الحكما ومنه قول
الخنسا فلو يلاقى الذى لاقيته حضن لظلت الشم منه وهى تنصار اى تنقطع ويقال
ايضا صرت الشى بمعنى املته ومنه قول الشاعر يصور عنوقها احوى زنيم له ظاب كما
صخب الغريم ومنه قول الاعرابى فى صفة نساء لهن للصبى صور وعن الجار زور فهذا
كله فى ضم الصاد ويقال ايضا فى هذين المعنيين القطع والامالة صرت الشى بكسر الصاد
اصيره ومنه قول الشاعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليث قنوان الكروم الدوالح
ففى اللفظة لغتان فى كلا معنييها وقد قال ابن عباس ومجاهد فى هذه الاية صرهن معناه قطعهن
وقال عكرمة وابن عباس فى بعض ما روى عنه انها لفظة بالنبطية معناها قطعهن
وقاله الضحاك وقال ابو الاسود الدؤلى هى بالسريانية وقال قتاده صرهن فصلهن
وقال ابن اسحق معناه قطعهن وهو الصور فى كلام العرب وقال عطا بن ابى رباح
معناه اضممهن اليك وقال ابن زيد معناه اجمعهن وروى عن ابن عباس معناه اوثقهن
قال الفقيه الامام فقد تاول المفسرون اللفظة بمعنى التقطيع وبمعنى الامالة فقوله اليك
على تاويل التقطيع متعلق بخذ وعلى تاويل الامالة والضم متعلق بصرهن وفى الكلام متروك
يدل عليه الظاهر تقديره فاملهن اليك فقطعهن وقرا قوم فصرهن بضم الصاد وشد
الراء المفتوحة كانه يقول فشدهن ومنه صرة الدنانير وقرا قوم فصرهن بكسر الصاد
وشد الراء المفتوحة ومعناه صيحهن من قولك صر الباب والقلم اذا صوت ذكره النقاش
قال ابن جنى وهى قراءة غريبة وذلك ان يفعل بكسر العين فى المضاعف المتعدى قليل
وانما بابه يفعل بضم العين لشد يشد ونحوه لكن قد جاء منه نم الحديث ينمه وينمه وهر
الحرب يهره ويهره قال الفقيه الامام ومنه بيت الاعشى ليعتورنك القول حتى تهره
الى غير ذلك فى حروف قليلة قال ابن جنى واما قراءة عكرمة بضم الصاد فيحتمل فى الراء الضم
والفتح والكسر كمد وشد والوجه ضم الراء اجل ضم الهاء من بعد قال المهدوى وغيره وروى
عن عكرمة فتح الصاد وشد الراء المكسورة قال الفقيه الامام وهذه بمعنى فاحبسهن
من قولهم صرى يصرى اذا حبس ومنه الشاة المصراة واختلف المتاولون فى معنى قوله
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فروى ابو حمزة عن ابن عباس ان المعنى اجعل على كل ربع من
ارباع الدنيا كان المعنى اجعلها فى اركان الارض الاربعة وفى هذا القول بعد وقال قتاده
والربيع المعنى اجعل على اربعة اجبل على كل جبل جزءا من ذلك المجموع المقطع فكما يبعث
الله هذا الطير من هذه الجبال فكذلك يبعث الخلق يوم القيامة من ارباع الدنيا
وجميع اقطارها وقرا الجمهور جزءا بالهمز وقرا ابو جعفر جزا بتشديد الزاى فى جميع القران
وهى لغة فى الوقف فاجرا ابو جعفر الوصل مجراه وقال ابن جريج والسدى امر ان يجعلها
على الجبال التى كانت الطير والسباع حين تاكل الدابة يطير اليها والسير نحوها ويتفرق عنها
قالا وكانت سبعة اجبل وكذلك جزا ذلك المقطع من لحم الطير سبعة اجزا وقال مجاهد
بل امر ان يجعل على كل جبل يليه جزءا قال الطبرى معناه دون ان يحصى الجبال بعدد بل هى التى
كان يصل ابراهيم اليها بعد تكليف الله اياه تفريق ذلك فيها لان الكل
لفظ يدل على الاحاطة قال الفقيه الامام وبعيد ان يكلف جميع جبال الدنيا فلا يحيط بذلك
بصره فيجى ما ذهب اليه الطبرى متمكنا والله اعلم اى ذلك كان ومعنى الاية ان ابراهيم عليه السلام
كان بحيث يرى الاجزا فى مقامه فيرى كيف الباس ولذلك صحت له العبرة واسرع بدعائهن
وهن موات انما هو لتعرف الاية منه ويكون بسبب من حاله ويرى انه قصد تعرض ذلك عليه
ولذلك جعل الله تعالى سيرهن اليه سعيا اذ هى مشية المجد الراغب فيما يمشى اليه فكان
من المبالغة ان راى ابراهيم جدها فى قصده فاجابت دعوته ولو جاءت مشيا لزالت

هذه الفرسه ولو جاءت طيرانا كما ان ذلك على عرف امرها فهذا اعزب منه ثم وقف عليه
السلام على العلم بالقدرة التي في ضمنها القدره وعلى الحكمة التي بها اتفاق كل شي قوله تعالى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ن هذه اية لفظها بيان مثال شرف النفقة في سبيل الله
وتحسينها وضمنها التحريض على ذلك وهذه الاية في نفقة التطوع في سبيل الله كسر
وهو جميع ما هو طاعة وعايد بمنفع على المسلمين والملي واشهرها واعظمها
عنا الجهاد ليكون كلمة الله هي العليا والحبة اسم جنس لكل ما يزدرعه ابن ادم
ويقتاته واشهر ذلك البر وكثيرا ما يراد بالحب ومنه قول المتكلمين الست حب العراق والرهر
اطعمه والحب تاكله في القريه السوس وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبه واما في سائر
الحبوب فاكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر وقد ورد بان الحسنه في جميع اعمال البر بعشر
امثالها واقتضت الاية ان يقع الجهاد سبعمائة ومن ذلك الحديث الصحيح واختلف العلماء
في معنى قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء فقالت طائفة هي مبينة ومؤكدة لما تقدم من ذكر
السبعمائة وليس ثم تضعيف فوق سبعمائة وقالت طائفة من العلماء هو اعلام بان الله
تعالى يضاعف لمن يشاء اكثر من سبعمائة ضعف فروى عن ابن عباس ان التضعيف
ينتهي لمن يشاء الله الى الفي الف وليس هذا بثابت الاسناد عنه وقال ابن عمر لما نزلت هذه
الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله الاية قال رب زد
امتي فنزلت انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وسنبلة فنعله من اسبل الزرع اي
ارسل ما فيه كما ينسبل الثوب والجمع سنابل وفي قوله تعالى مثل الذين حذف مضاف تقديره مثل
انفاق الذين او تقديره كمثل ذي حبة وقال الطبري في هذه الاية ان في قوله في كل سنبلة مائة حبة
معناه ان وجد ذلك والا فعلى ان يفرضه وادخل عن الضحاك انه قال في كل سنبلة مائة حبة
معناه كل سنبلة انبتت مائة حبة فجعل الطبري قول الضحاك نحو ما قال هو وذلك غير لازم من
قول الضحاك وقال ابو عمرو الداني قرا بعضهم مائة بالنصب على تقدير انبتت مائة حبه وقوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم الاية لما تقدم في الاية التي قبل هذه ذكر الانفاق في سبيل الله بين في
هذه الاية ان ذلك الحكم انما هو لمن لم يتبع انفاقه منا ولا اذى وذلك ان المنفق في سبيل الله انما
هو على احد ثلثة اوجه اما ان يريد وجه الله تعالى ويرجو ثوابه فهذا لا يرجو من المنفق شيئا
ولا ينظر من احواله في حال سوى ان يراعي استحقاقه واما ان يريد من المنفق عليه جزاء بوجه
من الوجوه وهذا هو الذي متى اخلف ظنه من بانفاقه واذى واما ان ينفق مضطرا دافع غرم
اما لمائة المنفق عليه او لقرينة اخرى من اعتنا معتن ونحوه فهذا قد ينفق في حال ليست لوجه
الله وهذا هو الذي متى نوزع وحرج بوجه من الوجوه المخرج اذى فالمن والاذى يكشفان ممن ظهر
امنه انه انما كان على ما ذكرناه من المقاصد وانه لم يتخلص لوجه الله فلهذا كان المن والاذى
مبطلان الصدقة من حيث بين كل واحد منهما انها لم تكن صدقة وذكر النقاش انه قيل ان هذه الاية
نزلت في عثمان بن عفان وقيل في علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقال مكي في عثمان بن عفو والمن ذكر
النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها والاذى السب والتشكي وهو اعم من المن لان المن جزء من
الاذى لكنه نص عليه لكثرته ووقوعه وذهب ابن زيد الى ان هذه الاية هي في الذين لا يخرجون في الجهاد
بل ينفقون وهم قعود وان الاولى التي قبلها هي في الذين يخرجون بانفسهم واموالهم قال ولذلك شرط
على هؤلاء ولم يشترط على الاولين وفي هذا القول نظر لان التحكم فيه باد وقال زيد بن اسلم لين ظننت
ان سلامك يثقل على من انفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امراة يا ابا اسامه
دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فانهم انما ياكلون الفواكه فان عندي اسهما وجعبة فقال لا بارك
الله في اسهمك وجعبتك فقد اذيتهم قبل ان تعطيهم ويضمن الله الاجر للمنفق في سبيل الله والاجر
الجنة ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لما يغتبط باخرته
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله
كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله
لا يهدي القوم الكافرين هذا اخبار جزم من الله تعالى ان القول المعروف وهو الدعا
والتانيس والترجيه بما عند الله خير فيه صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء لان

ذلك

ذلك القول المعروف فيه اجر وهذه لا اجر فيها قال المهدوي وغيره التقدير في اعرابه قول معروف اولى
ومغفرة خير وفي هذا ذهاب برونق المعنى وانما يكون المقدر كالظاهر والمغفرة الستر للخلة وسوء حالة
المحتاج ومن هذا قول الاعرابي وقد سال قوما بكلام فصيح فقال قائل من القوم ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الا
الاكتساب يمنع من الانتساب فقال معناه ومغفرة للسائل ان اغلظ وجفا او اجرم ثم اخبر تعالى
بغناه عن صدقة من هذه حاله وعاقبة امره وعن حلمه عن من يمكن ان يواقع هذا من عبيده وامهالهم
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى العقيدة ان السيئات لا تبطلوا
الحسنات فقال جمهور العلماء في هذه الاية ان الصدقة التي يعلم الله من صاحبها انه يمن او
يؤذي فانه لا يتقبل صدقته وقيل بل قد جعل الله للملك عليها امارة فهو لا يكتبها وهذا
حسن لان ما يتلقى من على المعقول من بني آدم فهو ان المان المؤذي ينص على نفسه ان نيته لم تكن
لله على ما ذكرناه قبل فلم يترتب له صدقة فهذا هو بطلان الصدقة بالمن والاذى والمن
والاذى في صدقة لا تبطل صدقة غيرها اذ لم يكشف ذلك على النية السليمة ولا قدح فيها
ثم مثل الله هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي ينفق رياء لا لوجه الله والرياء
مصدر من فاعل من الرؤية كان الرياء تظاهر وتفاخر بين من لا خير فيه من الناس قال المهدوي والتقدير
كابطال الذي ينفق رياء وقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر يحتمل ان يريد الكافر الظاهر
الكفر اذ قد ينفق ليقال جواد وليثنى عليه بانواع الثناء ولغير ذلك ويحتمل ان يريد المنافق الذي
يظهر الايمان ثم مثل هذا الذي ينفق بصفوان عليه تراب فيظنه الظان ارضا منبتة طيبة
كما يظن قوم ان صدقة هذا المرائي لها قدر ومعنى فاذا اصاب الصفوان وابل من المطر يكشف
ذلك التراب وبقي صلدا وكذلك هذا المرائي اذا كان يوم القيمة وانكشفت الاعمال انكشف سره وظهر
انه لا قدر لصدقته ولا معنى فالمن والاذى والرياء يكشف عن النيه فتبطل الصدقة كما يكشف
الوابل الصفا فيذهب ما ظن ارضا وقرا طلحة بن مصرف رياء الناس بغير همز وروت عن عاصم
والصفوان الحجر الكبير الاملس وقيل هو جمع واحدته صفوانه وقال قوم واحدته صفواه وقيل هو
افراد وجمع صفي وانكره المبرد وقال انما هو جمع صفا ومن هذا المعنى الصفوا والصفا قال امرئ
القيس كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل قال ابو ذويب حتى كان للحوادث
مروة بصفا المشقر كل يوم تقرع وقرا الزهري وابن المسيب صفوان بفتح الفاء وهي لغة والوابل
الكثير القوي من المطر وهو الذي يسيل على وجه الارض والصلد من الحجارة الاملس الصلب الذي لا شي
فيه ويستعار للراس الذي لا شعر فيه ومنه قول رؤبة براق اصلاد الجبين الاجله قال النقاش الصلد
الاجرد بلغة هذيل وقوله تعالى لا يقدرون على شيء يريد به الذين ينفقون رياء لا يقدرون على الانتفاع
بشيء من ثوابهم لا نفاقهم ذلك وهو كسبهم وجاءت العبارة بيقدرون على معنى الذي وقد انحمل الكلام
قبل على لفظ الذي وهذا هو مهيع كلام العرب ولو انحمل الكلام اولا على المعنى لقبح بعد ان يحمل على
اللفظ وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الكافرين اما عموم يراد به الخصوص في الموافي على الكفر واما يراد
به انه لا يهديهم في كفرهم بل هو ضلال محض واما ان يراد انه لا يهديهم في صدقاتهم واعمالهم وهم
على الكفر وما ذكرته في هذه الاية من تفسير ولغة او تقويم معنى فانه مسند عن المفسرين وان لم
تجي الفاظهم ملخصة في تفسير ابطال المن والاذى للصدقة ن قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان
لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير ن من اساليب فصاحة القران انه ياتي فيه ذكر
نقيض ما يتقدم ذكره ليتبين حال النقيضين بعرضهما على الذهن فلما ذكر الله صدقات القوم الذين
لا خلاق لصدقاتهم ونهى المؤمنين عن مواقعة ما يشبه ذلك بوجه ما عقب في هذه الاية
ذكر نفقات القوم الذين تزكوا صدقاتهم وهي على وجهها في الشرع فضرب لها مثلا وتقدير
الكلام ومثل نفقة الذين ينفقون كمثل غراس جنة لان المراد بذكر الجنة غراسها او تقدر الاضمار
في اخر الكلام دون اضمار نفقة في اوله كانه قال كمثل غراس جنة وابتغاء معناه طلب
واعرابه النصب على المصدر في موضع الحال وكان يتوجه فيه النصب على المفعول من اجله
لكن النصب على المصدر هو الصواب من جهة عطف المصدر الذي هو تثبيتا عليه ولا يصح
في تثبيتا انه مفعول من اجله لان الانفاق ليس من اجل التثبيت وقال مكي في المشكل كلاهما
مفعول من اجله وهو مردود بما بيناه ومرضات مصدر من رضي وقال الشعبي والسدي وقتاده وابن
زيد وابو صالح وتثبيتا معناه وتيقنا اي ان نفوسهم لها بصائر متاكدة فهي تثبتهم على الانفاق في طاعة
الله تثبيتا وقال مجاهد والحسن معنى قوله وتثبيتا اي انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم قال الحسن كان
الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله امضاه وان خالطه شك امسك والقول الاول اصوب لان

هذا المعنى الذى ذهب اليه مجاهد والحسن انما عبارة وتثبيتا فان قال محتج ان هذا من المصادر
التى خرجت على غير المصدر كقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وكقوله انبتكم من الارض نباتا فالجواب
ان هذا لا يشوع الا مع ذكر المصدر والافصاح بالفعل المتقدم للمصدر واما اذا لم يقع افصاح
بفعل من فليس لك ان ياتى بمصدر فى غير معناه ونقول احمله على فعل كذا وكذا الفعل لم يتقدم له
ذكر هذا مهيع كلام العرب وعد نحض ن قوله تعالى ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل
واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفا فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون ن حكى الطبرى عن السدى
ان هذه الاية مثل اخر لنفقة الريا ورجح هو هذا القول وحكى عن ابن زيد انه قرا يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال ثم ضرب فى ذلك مثلا فقال ايود احدكم الاية وهذا ابين
من الذى رجح الطبرى وليست هذه الاية بمثل اخر لنفقه الرياء وهذا هو مقتضى سياق الكلام واما
بالمعنى فى غير هذا السياق فيشبه حال كل منافق وكافر عمل وهو يحسب انه يحسن صنعا فلما جاء
الى وقت الحاجه لم يجد شيئا وقد سال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اصحاب النبى عن هذه الاية فقالوا
الله ورسوله اعلم فقال وهو غاضب قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للناس
كافة فقال ايود احدكم ان يعمل عمره بعمل اهل الجنه فاذا فنى عمره واقترب اجله ختم ذلك بعمل من عمل
من اهل الشقاق فرضى ذلك عمر وروى ابن ابى ليلى ان عمر تلا هذه الاية ايود احدكم وقال هذا مثل
ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند اخر عمره احوج ما يكون اليه عمل عمل السو فهذا
نظر يحمل الاية على كل ما يدخل تحت الفاظها وقال نحو هذا مجاهد وقتاده والربيع وغيرهم وخص
الاعناب والنخل بالذكر لفضلها وشرفها على سائر الشجر والواو فى قوله واصابه الكبر واو الحال وكذلك
فى قوله وله وضعفا جمع ضعيف وكذلك ضعاف والاعصار الريح الشديدة والعاصف التى فيها
احراق لكل ما مرت عليه يكون ذلك فى شدة الحر ويكون فى شدة البرد وكل ذلك من فيح جهنم ونفسها
كما تضمن قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا اشتد الحر فابردوا عن الصلوة فان شدة الحر من فيح جهنم
وان النار اشتكت الى ربها فاذن لها بنفسين الحديث بكماله فاما انه نار على حقيقته والا فهو نفسها
يوجد عنه كاثرها قال السدى الاعصار الريح والنار السموم وقال ابن عباس ريح فيها سموم
شديده وقال ابن مسعود ان السموم التى خلق منها الجان جزء من سبعين جزءا من النار يريد نار
الاخرة وقال الحسن اعصار فيه نار ريح فيها صر برد وقاله الضحاك وفى المثل ان كنت ريحا فقد
لاقيت اعصارا والريح اعصار لانها تعصر السحاب والسحاب معصرات اما انها حوامل فهو كالعصر
من النسا وهى التى هى عرضه للحمل واما لانه ينعصر بالريح وحكى ابن سيده ان المعصرات فسرها قوم بالريح
بالرياح لا بالسحاب وقال الزجاج الاعصار الريح الشديدة تصعد من الارض الى السما وهى التى يقال لها الزوبع
قال المهدوى قيل لها اعصار لانها تلتف كالثوب اذا عصر وهذا ضعيف والاشارة بذلك الى هذه
الامثال المبينه ولعلكم ترج فى حق البشر اى اذا تامل من بين له هذا البيان رجى له التفكر وكان اهلا
له وقال ابن عباس تتفكرون فى زوال الدنيا وفنائها واقبال الاخرة وبقائها قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غنى حميد ن هذا الخطاب لجميع امة محمد وهذه
صيغة امرهم بالانفاق واختلف المتاولون هل المراد بهذا الانفاق الزكوة المفروضة او التطوع فقال
على بن ابى طالب رضى الله عنه وعبيدة السلمانى ومحمد بن سيرين هى فى الزكوة المفروضة نهى الناس عن انفاق
الردى فيها بدل الجيد واما التطوع فكما له ان يتطوع بقليل فكذلك له ان يتطوع بنازل فى القدر ودرهم
زايف خير من تمره فالامر على هذا القول على الوجوب والظاهر من قول البرا بن عازب والحسن وقتاده
ان الاية فى التطوع وروى البرا بن عازب وعطا بن ابى رباح ما معناه ان الانصار كانوا ايام
الجد اذ يعلقون اقنا التمر فى حبل بين اسطوانتين فى المسجد فياكل من ذلك فقرا المهاجرين فعلق رجل
حشفا فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس ما علق هذا فنزلت الاية والامر على هذا القول
على الندب وكذلك ندبوا الا يتطوعوا الا بجيد مختار والاية تعم الوجهين لكن صاحب الزكوة يتلقاها
على الوجوب وصاحب التطوع يتلقاها على الندب وهؤلاء كلهم وجمهور المتاولين قالوا معنى من طيبات من جيد
ومختار ما كسبتم وجعلوا الخبيث بمعنى الردى والرذاله وقال ابن زيد معناه من حلال ما كسبتم قال وقوله تعالى
ولا تيمموا الخبيث اى الحرام وقول ابن زيد ليس بالقوى من جهة نسق الاية لا من معناه فى نفسه وقوله من طيبات
يحتمل ان لا يقصد به الجيد ولا الحلال لكن يكون المعنى كانه يقول انفقوا مما كسبتم فهو حض على الانفاق فقط ثم دخل
ذكر الطيب بيانا لحسنة فى المكسوب عاما وبقدر النعمة كما يقول اطعمت فلانا من مشبع الخبز وسقيته من مروى
الما والطيب على هذه الجهة يعم الجودة والحل ويؤيد هذا الاحتمال ان عبد الله بن معقل قال له ليس فى مال المؤمن

خبيث وكسبتم معناه كان لكم فيه سعاية اما تعب بدن او مقاولة فى تجارة والموروث داخل فى هذا
لان غير الوارث قد كسبه اذ الضمير فى كسبتم انما هو لانواع الانسان او المومنين ومما اخرجنا لكم
من الارض النباتات والمعادن وما ضارع ذلك وتيمموا معناه تعمدوا وتقصدوا ويقال تيمم الرجل
كذا وكذا اذا قصده ومنه قول امرئ القيس تيممت العين التى عند ضارج يفئ عليها الطل عرمضها
طام ومنه قول الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذى شزن ومنه تيمم الذى هو
بدل من الوضوء عند عدم الماء وهكذا قرا جمهور الناس وروى البزى عن ابن كثير بتشديد التا
فى احد وثلاثين موضعا اولها هذا الحرف وحكى الطبرى ان فى قراءة عبد الله بن مسعود ولا تاموا
الخبيث من اممت اذا قصدت ومنه امام الذى هو المغنى فى القرآتين واحد وقرا الزهرى
ومسلم وجندب ولا تيمموا بضم التا وكسر الميم وهذا على لغة من قال يممت الشئ بمعنى قصدته وفى اللفظة
لغات منها اممت الشئ خفيفة الميم الاولى واممته بشدها ويممته وتيممته وحكى ابو عمرو ان ابن مسعود
قرا ولا تؤمموا بهمزة بعد التاء وهذه على لغة من قال اممت مثقلة الميم وقد مضى القول فى معنى الخبيث
وقال الجرجانى فى كتاب نظم القرآن قال فريق من الناس ان الكلام تم فى قوله الخبيث ثم ابتداء خبر
اخر فى وصف الخبيث فقال تنفقون منه وانتم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم اى ساهلتم كان
هذا المعنى عتاب للناس وتقريع والضمير فى منه عائد على الخبيث وقال فريق اخر بل الكلام
متصل الى قوله فيه والضمير فى منه عائد على ما كسبتم ويجئ تنفقون كانه فى موضع نصب على الحال
وهو كقولك انا اخرج اجاهد فى سبيل الله واختلف المتاولون فى معنى قوله تعالى ولستم باخذيه فقال
البرا بن عازب وابن عباس والضحاك وغيرهم معناه ولستم باخذيه فى ديونكم وحقوقكم عند الناس
الا بان تتساهلوا فى ذلك وتتركوا من حقوقكم وتكرهونه ولا ترضونه اى فلا تفعلوا مع الله ما لا
ترضونه لانفسكم وقال الحسن معنى الاية ولستم باخذيه ولو وجدتموه فى السوق يباع الا ان يهضم
لكم من ثمنه وروى نحو هذا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وهذان القولان يشبهان كون الاية
فى الزكوة المفروضة وقال البرا بن عازب ايضا معناه ولستم باخذيه لو اهدى لكم الا ان تغمضوا
اى تستحى من المهدى ان تقبل منه ما لا حاجة لك به ولا قدر له فى نفسه وهذا يشبه كون الاية فى التطوع
وقال ابن زيد معنى الاية ولستم باخذى الحرام الا ان تغمضوا فى مكروهه وقرا جمهور الناس الا ان تغمضوا
بضم التا وسكون الغين وكسر الميم وقرا الزهرى بفتح التا وسكون الغين وكسر الميم مشددة وحكى مكى
عن الحسن تغمضوا مشددة الميم مفتوحة وقرا قتاده بضم التا وسكون الغين وفتح الميم مخففا قال ابو عمرو
معناه الا ان يغمض لكم قال رحمه الله وهذه اللفظة تتنوع اما من قول العرب اغمض الرجل فى امر
كذا اذا تساهل فيه ورضى ببعض حقه وتجاوز فمن ذلك قول الطرماح بن حكيم واما من تغميض
العين لان الذى يريد الصبر على مكروه يغمض عينه عنه ومنه الحكم وكم اشياء منكم تريبنى اغمضت عنها لست
عنها بذى عمى وهذا كله فالاغماض عند المكروه وقد ذكر النقاش هذا المعنى فى هذه الاية واشار اليه
مكى واما من قول العرب اغمض الرجل اذا اتى غامضا من الامر كما تقول اعمن اى اتى عمان واعرق اى اتى العراق
وانجد واغار اى اتى نجدا والغور الذى هو تهامه ومنه قول الجاريه وان دسر اغمض فقراءة الجمهور تخرج على
التجاوز وعلى تغميض العين لان اغمض بمنزلة غمض وعلى انها بمعنى حتى تاتوا غامضا من التاويل والنظر فى
اخذ ذلك اما لكونه حراما على قول ابن زيد واما لكونه مهدى او ماخوذ فى دين على قول غيره واما قراءة
الزهرى الاولى فمعناها تغمضوا اسومها من البايع منكم فيحطكم قال ابو عمرو ومعنا قراءة الزهرى حتى
تاخذوا بنقصان واما قراءة الثانيه فهذا مذهب ابى عمرو الدانى فيها ويحتمل ان يكون من تغميض العين
واما قراءة قتاده فقد ذكرت تفسير ابى عمرو لها وقال ابن جنى معناها توخذوا وقد اغمضتم فى الامر
ساولكم اوتساهلكم وجرتم على غير السابق الى النفوس وهذا كما تقول احمدت الرجل وجدته محمودا الى
غير ذلك من الامثلة ثم نبه تعالى على صفة الغنى اى لا حاجة به الى الصدقات فمن هرب وطلب مثوبة
فليفعل ذلك بما له قدر وحميد معناه محمود فى كل حال وهى صفة ذات قوله تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتى الحكمة من يشاء
ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب ن هذه الاية وما بعدها وان لم يكن
امرا بالصدقة فهى حاله النفوس الى الصدقة بين الله عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته
وعداوته وذكر عز وجل بفضله الحكمة وثنى عليها ونبه ان اهل العقول هم المتذكرون الذين
يقيمون بالحكمة قدر الانفاق فى طاعة الله وغير ذلك ثم ذكر علمه بكل نفقة ونذر وفى ذلك وعد
ووعيد ثم بين الحكم فى الاعلان والاخفا وكذلك الى اخر المعنى والوعد فى كلام العرب اذا اطلق فهو للخير
واذا قيد بالموعود فقد يقيد بالخير وبالشر كالبشارة فهذه الاية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر
والفحشاء كلما فحش وفحش ذكره ومعاصى الله كلها فحشاء وروى حيوه عن رجل من اهل الرباط انه

قرا الفقر بضم الفا وهي لغة وقال ابن عباس في الاية اثنان من الشيطان واثنان من الله تعالى وروى ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان للشيطان من ابن ادم لمة وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد الشر وتكذيب
بالحق فمن وجد ذلك فليتعوذ بالله واما لمة الملك فوعد بالسر على عباده في الدنيا والاخرة والفضل هو الرزق
في الدنيا والتوسعة فيه والنعيم في الاخرة وبكل قد وعد الله تعالى وذكر النقاش ان بعض الناس تانس بهذه
الاية في ان الفقر افضل من الغنى لان الشيطان انما يبعد العبد من الخير وهو بتخويف الفقر يبعده منه وليس في الاية
حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية وروى ان في التورية عبدي انفق من رزقي ابسط عليك فضلي فان يدي
مبسوطة على كل يد مبسوطه وفي القران فصداقه وهو وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين
وواسع لانه وسع كل شي رحمة وعلما ثم اخبر تعالى عن نفسه انه يوتي الحكمة اي يعطيها لمن يشاء من عباده
واختلف الناس في الحكمة في هذا الموضع فقال السدي الحكمة النبوة وقال ابن عباس هي المعرفة بالقران ناسخه
ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وغريبه وقال قتاده الحكمة الفقه في القران وقاله مجاهد وقال مجاهد ايضا
الحكمة الاصابة في القول والفعل وقال زيد ابن اسلم وابوه الحكمة العقل في الدين وقال تلك الحكمة المعرفة بالدين
والفقه فيه والاتباع له وروى عنه ابن القاسم انه قال الحكمة التفكر في امر الله والاتباع له وقال ايضا
الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به وقال الربيع الحكمة الخشية ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم راس كل شي خشية الله تعالى وقال ابراهيم الحكمة الفهم وقاله زيد بن اسلم وقال الحسن الحكمة
الورع وهذه الاقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها من بعض لان الحكمة مصدر من
الاحكام وهو الاتقان في عمل او قول وكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة
التي هي الجنس وقرا الجمهور ومن يوت الحكمة على بناء الفعل للمفعول وقرا الزهري ويعقوب بكسر التا
على معنى ومن يوت الله الحكمة فمن مفعول اول مقدم والحكمة مفعول ثان وقرا الاخفش ومن يوته
الحكمة وقرا الربيع بن خثيم يوت الحكمة من يشا في يوتي وتشا منقوطه بالتا من فوق ومن يوت الحكمة
باليا وما في الاية تذكرة تنبيه لهم واقامة لهمم العقلة والالباب العقول واحدها لب
قوله تعالى وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار
ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم ونكفر عنكم من سياتكم
والله بما تعملون خبير ن كانت النذر من سيرة العرب تكثر منها فذكر الله تعالى النوعين ما يفعله
المرء متبرعا وما يفعله بعد الزامه لنفسه ويقال نذر الرجل كذا اذا التزم فعله ينذر بضم الذال
وينذر بكسرها وقوله تعالى فان الله يعلمه قال مجاهد معناه يحصيه وفي الاية وعد ووعيد اي
من كان خالص النيه فهو مثاب ومن انفق رياء او لمعنى اخر مما يكشفه المن والاذى ونحو ذلك فهو
ظالم يذهب فعله باطلا ولا يجد ناصرا فيه ووحد الضمير في يعلمه وقد ذكر شيئين من حيث اراد
ما ذكر او نص وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات الاية ذهب جمهور العلماء المفسرين الى ان
هذه الاية هي في صدقة التطوع وقال ابن عباس جعل الله صدقة السر في التطوع يفضل علانيتها
سبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها يفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين
ضعفا قال وكذلك جميع الفرايض والنوافل في الاشيا كلها قال القاضي ويقوى ذلك قول النبي
صلى الله عليه وسلم صلوة الرجل في بيته افضل من صلوته في المسجد الا المكتوبة وذلك ان
الفرايض لا يدخلها ريا والنوافل عرضة لذلك وقال سفيان الثوري هذه الاية في التطوع
وقال زيد بن ابي حبيب انما انزلت هذه الاية في الصدقة على اليهود والنصارى وكان يقسم
الزكوة في السر وهذا مردود لا سيما عند السلف الصالح فقد قال الطبري اجمع الناس على ان
اظهار الواجب افضل قال المهدوي وقيل المراد بالاية فرض الزكوة وما تطوع به فكان الاخفا
فيهما افضل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم وسا ظنون الناس بعد ذلك فاستحسن العلماء اظهار الفرض
لئلا يظن باحد المنع وهذا القول يخالف الاثار وشبه في زمننا ان يحسن الستر بصدقة الفرض فقد
كثر المانع لها وصار اخراجها عرضة للريا وقال النقاش ان هذه الاية نسخها قوله تعالى الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الاية وقوله تعالى فنعما هي ثنا على ابدا الصدقة ثم حكم ان
الاخفا خير من ذلك واختلف القرا في قوله تعالى فنعما هي فقرا نافع في غير رواية ورش وابو عمرو وعاصم
في رواية ابي بكر والمفضل فنعما بكسر النون وسكون العين وقرا عاصم في رواية حفص وابن كثير ونافع في رواية
ورش فنعما بكسر النون والعين وقرا ابن عامر وحمزه والكساي فنعما بفتح النون وكسر العين وكلهم
شدد الميم قال ابو علي من قرا بسكون العين لم يستقم قوله لانه جمع بين ساكنين الاول منهما ليس بحرف مد ولين
فانما يجوز ذلك عند النحويين اذا كان الاول حرف مد ولين اذ المد يصير عوضا من الحركة وهذا نحو دابة وشابة وضوال
ونحوه ولعل ابا عمرو اخفى الحركة واختلسها كاخذه ما لاخفا في بارئكم ويامركم فظن السامع بالاخفا اسكانا للطف ذلك
في السمع فاخفائه واما من قرا نعما بكسر العين والنون فحجته ان اصل الكلمة نعم بكسر العين من اجل حرف الحلق ولا يجوز

ان يكون ممن يقول نعم الا ترى ان من يقول هذا قدم ملك فيدغم لا يدغم هولاء قوم ملك وجسيم ماجد قال
سيبويه نعما بكسر النون والعين ليس على لغة من قال نعم فاسكن العين ولكن على لغة من قال نعم فحرك العين وحدثنا
ابو الخطاب انها لغة هذيل وكسرها كما قال لعب ولو كان الذي قال نعما ممن يقول نعم بسكون العين لم يجز
الادغام بسبه ان هذا يمتنع لانه يسوق الى اجتماع ساكنين قال ابو علي واما من قرا نعما بفتح النون وكسر
العين فانما جاء بالكلمة على اصلها وهو نعم ومنه قول الشاعر ما اقلت قدماي انهم نعم الساعون
في الامر المبير ولا يجوز ان يكون ممن يقول قبل الادغام نعم بسكون العين وقال المهدوي وذلك جاين
يحتمل وبكسر العين بعد الادغام لالتقاء الساكنين قال ابو علي وما من قوله نعما في موضع نصب وقوله
هي تفسير للفاعل المضمر قبل الذكر والتقدير نعم شيئا ابداوها والابدا هو المخصوص بالمدح الا ان
المضاف حذف واقيم المضاف اليه مقامه ويدلك على ذلك قوله فهو خير اي الاخفا خير فكما ان الضمير هنا
للاخفا لا للصدقات فكذلك اول الفاعل هو الابدا وهو الذي اتصل به الضمير فحذف الابدا واقيم ضمير الصدقات
مثله واختلف القرا في قوله تعالى ويكفر فقرا ابو عمرو وابن كثير وعاصم في رواية ابي بكر ونكفر بالنون ورفع
الرا وقرا نافع وحمزه والكساي ونكفر بالنون والجزم في الرا وروى مثل ذلك ايضا عن عاصم وقرا ابن
عامر ويكفر باليا ورفع الرا وقرا ابن عباس وتكفر بالتا وجزم الرا وكسر الفا وروى عن الاعمش انه قرا
ويكفر باليا ونصب الرا وقال ابو حاتم قرا الاعمش يكفر باليا دون واو قبلها وبجزم الرا وحكى المهدوي
عن ابن هرمز انه قرا ويكفر باليا ورفع الرا وحكى عن عكرمه وشهر بن حوشب انهما قرا بتاء ونصب الرا
فما كان من هذه القرات بالنون فهو نون العظمة وما كان منها باليا فالله تعالى هو المكفر والاعطا
في خفاها هو المكفر ذكره مكي وما كان منها بالتا فهي الصدقة فاعله الا ما روى عن عكرمه من فتح التا فان
التا في تلك القراة انما هي للسيات واما رفع الرا فهو على وجهين احدهما ان يكون الفعل خبر ابتداء تقديره ونحن
نكفر اي وهي تكفر اعني الصدقة او والله يكفر والثاني للقطع والاستيناف وان لا يكون الواو العاطفة للاشتراك
لكن لعطف جملة كلام على جملة واما الجزم فالرا فيحمل الكلام على موضع قوله تعالى فهو خير اي هو في موضع جزم
جوابا للشرط كانه قال وان تخفوها تكن اعظم لاجركم ثم عطف على هذا الموضع كما جاءت قراة من قرا من
يضلل الله فلا هادي له ويذرهم بجزم الراء وامثله هذا كثيرة واما نصب الرا فعلى تقديرات وتامل وقال
المهدوي هو مشبه بالنصب في جواب الاستفهام اذ الجزا يجب به الشي لوجوب غيره كالاستفهام
والجزم في الرا افصح هذه القرات لانها تودن بدخول التكفير في الجزا وكونه مشروطا ان وقع الاخفا واما
رفع الرا فليس فيه هذا المعنى ومن في قوله من سياتكم للتبعيض والمعنى في ذلك متمكن وحكى الطبري عن فرقة
قالت من زايدة في هذا الموضع وذلك منهم خطا وقوله والله بما تعملون خبير وعد ووعيد قوله تعالى
ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه
الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون ن روى سعيد بن جبير في هذه الاية ان المسلمين كانوا
يتصدقون على فقراء اهل الذمة فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتصدقوا الا على اهل
دينكم فنزلت هذه الاية مبيحة الصدقة على من ليس من دين الاسلام وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتى بصدقات فجاء يهودي فقال اعطني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لك من صدقة المسلمين شي فذهب
اليهودي غير بعيد فنزلت هذه الاية ليس عليك هداهم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه ثم
نسخ الله ذلك باية الصدقات وروى ابن عباس انه كان ناس من الانصار لهم قرابات بني قريظة والنضير
وكانوا لا يتصدقون عليهم رغبة منهم في ان يسلموا اذا احتاجوا فنزلت الاية بسبب ذلك وحكى بعض المفسرين
ان اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ارادت ان تصل جدها ابو قحافة ثم امتنعت من ذلك لكونه
كافرا فنزلت الاية في ذلك وذكر الطبري ان مقصد النبي عليه السلام منع الصدقة انما كان ليسلموا و
يدخلوا في الدين فقال الله ليس عليك هداهم وهذه الصدقة التي ابيحت عليهم حسبما تضمنه هذه الاثار
الاثار انما هي صدقة التطوع واما المفروضة فلا يجزي دفعها لكافر وهذا الحكم متصور للمسلمين اليوم
مع اهل دينهم ومع المسترقين من الحربيين قال ابن المنذر اجمع من احفظ عنه العلم ان الذمي لا يعطى
من زكوة الاموال شيئا ثم ذكر جماعة ممن نص على ذلك ولم يذكر خلافا وقال المهدوي رخص للمسلمين ان
يعطوا المشركين من قراباتهم من صدقة الفريضة بهذه الاية وهذا مردود وعندي والهدى الذي ليس
على محمد عليه السلام هو خلق الايمان في قلوبهم واما الهدى الذي هو الدعا فهو عليه وليس بمراد في هذه الاية
ثم اخبر تعالى انه يهدي من يشاء اي يرشده وفي هذا رد على القدرية وطوائف المعتزلة ثم اخبر ان نفقة
المرء انما هي لنفسه فلا يراعي حيث وقعت ثم بين تعالى ان النفقة المعتد بها انما هي ما كان ابتغاء وجه الله هذا احد
التاويلات في قوله تعالى وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وفيه تاويل اخر وهو انها شهادة من الله تعالى للصحابة
انهم انما ينفقون ابتغاء وجه الله فهو خبر منه لهم فيه تفضيل وعلى التاويل الاخر هو اشتراط عليهم ويتناول الاشتراط
غيرهم من الامة ونصب قوله ابتغاء هو على المفعول من اجله ثم ذكر تعالى ان ثواب الانفاق يوفى الى المنفقين

والمعنى فى الاخرة ولا يبخسون منها شيئا فيكون ذلك البخس ظلما لهم وهذا هو بيان فى قوله وما تنفقوا من خير
فلانفسكم والخير فى هذه الاية المال لانه اقترن بذكر الانفاق فهذه القرينة يدل على انه المال ومتى لم يقترن بما يدل
على انه المال فلا يلزم ان يكون المعنى المال نحو قوله تعالى خير مستقرا وقوله تعالى مثقال ذرة خيرا يره
الى غير ذلك وهذا الذى قلناه تحرز من قول عكرمة كل خير فى كتاب الله فهو المال قوله تعالى للفقراء
الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم
بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ن هذه اللام فى قوله للفقراء
متعلقة بمحذوف مقدر تقديره الانفاق والصدقة للفقراء وقال مجاهد والسدى وغيرهما المراد
بهاولا الفقرا فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ثم يتناول الاية كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر
الدهر وانما خص الفقراء المهاجرين بالذكر لانه لم يكن هناك سواهم لان الانصار كانوا اهل اموال
وتجارة فى قطرهم ثم بين الله تعالى احوال اولئك الفقراء المهاجرين ما يحث الحنو عليهم بقوله الذين
احصروا فى سبيل الله والمعنى حبسوا ومنعوا وذهب بعض اللغويين الى ان حصر واحصر بمعنى واحد
من الحبس والمنع سواء كان ذلك بعدو او مرض ونحوه من الاعذار وحكاه ابن سيده وغيره وفسر
السدى معنى الاحصار بانه العدو وذهب بعضهم الى ان احصر انما يكون بالمرض وحصر بالعدو وعلى
هذا فسر ابن زيد وقتادة ورجحه الطبرى وتاول فى هذه الاية انهم حابسوا انفسهم بربقة الدين وقصد
الجهاد وخوف العدو واذا احاط بهم الكفار فصار خوف العدو عذرا احصروا به قال القاضى ابو محمد
رضى الله عنه وهذا متجه كان هذه الاعذار احصرتهم اذ جعلتهم ذوى حصر كما قالوا قبره ادخله فى قبره
واقبره جعله ذا قبره فالعدو وكل محيط يحصر والاعذار المانع تحصير بضم التا وكسر الصاد اى تجعل المرء
كالمحاط به وقوله فى سبيل الله يحتمل الجهاد ويحتمل الدخول فى الاسلام واللفظة يتناولها والضرب فى الارض
هو التصرف والتجارة وضرب الارض هو المشى لحاجة الانسان فى البراز وكانوا لا يستطيعون الضرب
فى الارض لكون البلاد كلها كفرا مطبقا وهذا فى صدر الهجرة فقلتهم منع من الاكتساب بالجهاد وانكار
الكفار عليهم اسلامهم يمنع من التصرف فى التجارة فبقوا فقراء الا انهم من الانقباض وترك المسئلة
والتوكل على الله بحيث يحسبهم الجاهل بظاهر احوالهم اغنياء والتعفف تفعل وهو بناء مبالغة
من عف عن الشىء اذا امسك عنه وتنزه عن طلبه وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره وقرأ نافع وابو
عمرو والكسائى يحسبهم بكسر السين وكذلك هذا الفعل فى كل القران وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة
يحسبهم بفتح السين فى كل القران وهما لغتان فى يحسب كعهد يعهد ويعهد بفتح الهاء وكسرها فى
حروف كثيرة اتت كذلك قال ابو على فتح السين فى يحسب اقيس لان العين من الماضى مكسورة فبابها
ان ياتى فى المضارع مفتوحة والقراءة بالكسر حسنة لمجى السمع به وان كان شاذا عن القياس ومن
فى قوله من التعفف لابتداء الغاية اى من بعضهم ابتدات محسبته وليست لبيان الجنس لان
الجاهل لا يحسبهم اغنياء غنا تعففه وانما يحسبهم اغنياء مال ومحسبته من التعفف ناشئة وهذا
على انهم متعففون عفة تامة عن المسئلة وهو الذى عليه الجمهور جمهور المفسرين لانهم
قالوا فى تفسير قوله تعالى لا يسألون الناس الحافا فالمعنى لا يسألون البتة ويحتمل الاية معنى اخر
من فيه لبيان الجنس سيذكره بعد والسيما مقصورة العلامة وبعض العرب يقول السيمياء بزيادة
ياء وبالمد ومنه قول الشاعر بالحسن مقتبله سيميا لا تشق على البصر واختلف المفسرون
فى تعيين هذه السيما التى تعرف بها هؤلاء المتعففون فقال مجاهد هى التخشع والتواضع و
قال السدى والربيع هى عهد الحاجة وقصف الفقر فى وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد هى
رثة الثياب وقال قوم وحكاه فى هى اثر السجود وهذا حسن وذلك لانهم كانوا متفرغين ///
متوكلين لا شغل لهم فى الاغلب الا الصلاة وكان اثر السجود عليهم ابدى والالحاف والالحاح
بمعنى واحد وقال قوم هو ماخوذ من الحف الشىء اذا عطاه وعمه بالتغطية ومنه اللحاف ومنه قول ابن
احمر يظل يحفهن بقفقفته ويلحفهن هفهفا ثخينا يصف ذكر النعام يحضن بيضا فكان هذا
السائل الملح يعم الناس بسؤاله فيلحفهم ذلك وذهب الطبرى والزجاج وغيرهما الى ان المعنى لا يسألون
البتة والاية تحتمل المعنيين نفى السؤال جملة ونفى الالحاف فقط اما الاول فعلى ان يكون التعفف
صفة ثابتة لهم ويحسبهم الجاهل بفقرهم بسبب تعففهم اغنياء من المال ويكون من لابتداء
الغاية ويكون قوله لا يسألون لم يرد انهم يسألون غير الحاف بل اريد به التنبيه على سوء حالة من يسأل
الحافا من الناس كما يقول هذا رجل خير لا يقتل المسلمين فقولك خير قد يضمن انه لا يقتل ولا يعصى باقل من ذلك
ثم نبهت لا يقتل المسلمين على قبح فعل غيره ممن يقتل وكثيرا ما يقال لمثل هذا اذا كان المنة عليه موجودا
فى القصة مشارا اليه فى نفس المتكلم والسامع وسؤال الالحاف لم يخل منه مدة وهو مما يكره فلذلك نبه عليه
واما المعنى الثانى فعلى ان يكون التعفف داخلا فى المحسبة اى انهم لا يظهر لهم سؤال بل هو قليل وباجمال

فالجاهل

فالجاهل مع علمه بفقرهم يحسبهم اغنياء عفة فمن لبيان الجنس على هذا التاويل ثم نفى عنهم سؤال
الالحاف ونفى غير الالحاف مقرر لهم حسب ما يقتضيه دليل الخطاب وهذا المعنى فى نفى الالحاف فقط
هو الذى يقتضيه الفاظ السدى وقال الزجاج رحمه الله المعنى لا يكون منهم سؤال فلا يكون منهم
الحاف وهذا كما قال امرؤ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اى ليس ثم منار فليس يكون اهتدا
قال القاضى ان كان الزجاج اراد ان لا يكون منهم سؤال البتة فذلك لا تعطيه الفاظ التى بعد لا
وانما ينبغى السؤال اذا ضبط المعنى من اول الاية على ما قدمناه وان كان اراد ان لا يكون منهم سؤال
الحاف فذلك نص الاية واما تشبيهه الاية ببيت امرئ القيس فغير صحيح وذلك ان قوله على لاحب
لا يهتدى بمناره وقول الاخر وف بالطلول التى لم يعفها القدم وقول الاخر ومن خفت جوره فى
القضا فما خفت جورك يا عافيه وما جرى مجراه ترتيب تسويته انه لا يهتدى بالمنار وان
كان المنار موجودا فلا ينتفى الا المعنى الذى دخل عليه حرف النفى فقط وكل لك ينتفى الغنا فقط وان
وجد العدم وكذلك ينتفى الخوف وان وجد الجور وهذا لا يترتب فى الاية ويجوز ان يريد الشعراء الثانى
معدوم ولذلك ادخلوا على الاول حرف النفى اذ لا يصح الاول الا بوجود الثانى اى ليس ثم منار فاذا
لا يكون خوف وقوله تعالى لا يسألون لا يترتب فيه شىء من هذا لان حرف النفى دخل على امر عام للالحاف
وغيره ثم خصص بقوله الحافا جزءا من ذلك العام فليس بعدم الالحاف ينتفى السؤال وبيت الشعر
ينتفى فيه الاول بعدم الثانى اذ دخل حرف النفى فيه على شىء مطلق وجوده بوجود الذى يراد انه معدوم
والسؤال ليس هكذا مع الالحاف بل الامر بالعكس اذ يعدم الالحاف منهم وينفى لهم السؤال الالحاف
فيه ولو كان الكلام لا يلحفون الناس سؤالا لقرب الشبه بابيات المتقدمة وكذلك لو كان بعد
لا يسألون شىء اذا عدم السؤال كانك قلت تكسبا او نحوه لصح التشبيه والله اعلم وهو المستعان وقوله
تعالى وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وعيد محض اى يعلمه ويحصيه ليجازى عليه وثبت قوله تعالى
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم
قالوا انما البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ن قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه
هذه الاية نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله عنه كانت له اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال ابن جريج نزلت فى رجل فعل ذلك ولم يسم عليا ولا غيره
وقال ابن عباس ايضا نزلت فى علف الخيل وقاله عبد الله بن بشر الغافقى وابو ذر وابو امامة والاوزاعى
وابو الدرداء قالوا هى فى علف الخيل المرتبطة فى سبيل الله وقال قتادة هذه الاية فى المنفقين فى سبيل
الله من غير تبذير ولا تقتير والاية وان كانت نزلت فى على بن ابى طالب فمعناها يتناول كل من فعل فعله
وكل من مشى بصدقته فى الظلام الى مظنة الحاجة واما علف الخيل والنفقة عليها فان الفاظ الاية
يتناولها تناولا محكما وكذلك المنفق فى الجهاد المباشر له انما يجى انفاقه على رتب الاية وقال ابن عباس
رضى الله عنه كان المؤمنون يعملون بهذه الاية من قوله ان تبدوا الصدقات الى قوله ولا هم يحزنون
فلما نزلت براءة بتفصيل الزكوة قصروا عليها وقد عدم القول على نفى الخوف والحزن والعاء فى قوله
فلهم دخلت لما فى الذين من الابهام فهو شبيه بابهام الابهام الذى فى الشرط وانما توجد الشبه
اذا كان الذى موصولا بفعل واذا لم يدخل على الذى عامل يغير معناه فان قلت الذى ابوه زيد
هو عمرو فلا يحسن الفاء فى قولك فهو بل يلبس المعنى واذا قلت ليت الذى جاءك فلم يكن للفاء مدخل
فى المعنى وهذه الفاء المذكورة انما يجى مؤكدة للمعنى وقد استغنى عنها اذا لم يقصد التاكيد بعد
لا يقومون وقوله تعالى الذين ياكلون الربا الربا هو الزيادة وهو ماخوذ من ربا يربو اذا نما وزاد على
ما كان وغالبه ما كانت العرب تفعله من قولها للغريم اتقضى ام تربى وكان الغريم يزيد فى عدد المال
ويصبر الطالب عليه ومن الربا البين التفاضل فى الجنس الواحد لانها زيادة وكذلك اكثر البيوع
الممنوعة انما تجد منعها لمعنى زيادة اما فى عين مال واما فى منفعة لاحدهما من تاخير ونحوه ومن البيوع
الفاسدة ما ليس فيه معنى الزيادة كبيع الثمرة قبل بدو صلاحها وكالبيع ساعة النداء يوم الجمعة
فان قيل لفاعلها اكل ربا فتجوز وتشبيه والربا من ذوات الواو وتثنيته ربوان عند سيبويه
وتكتب بالالف قال الكوفيون تكتب وتثنى بالياء لاجل الكسرة التى فى اوله وكذلك يقولون فى الثلاثية
من ذوات الواو واذا انكسر الاول او انضم نحو ضحى فان كان مفتوحا نحو صفا وكما قال البصرى
ومعنى هذه الاية الذين يكسبون الربا ويفعلونه وقصد الى لفظة الاكل لانها اقوى مقاصد الانسان
فى المال ولانها دالة على الجشع واقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله فاللباس
والسكنى والادخار والانفاق على العيال وغير ذلك داخل كله فى قوله الذين ياكلون الربا وقال ابن عباس

ومجاهد وابن جبير وقتاده والربيع والضحاك والسدى وابن زيد معنى قوله لا يقومون اى من قبورهم
فى البعث يوم القيمة وقال بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه وقالوا كلهم يبعث كالمجنون عقوبة
له وتمقيتا عند جمع المحشر ويقوى هذا التاويل المجمع عليه ان فى قرأة عبد الله بن مسعود لا يقومون
يوم القيمة الا كما يقوم واما الفاظ الاية فكانت يحتمل تشبيه حال القائم بحرصه حسبع الى تجارة
الربا بقيام المجنون لان الطمع والرغبة مستفزة حتى يضطرب اعضاه وهذا كما يقول لمسرع فى
مشيه مخلط فى هيئة حركاته اما من فزع او غيره قد جن هذا وقد شبه الاعشى ما فيه فى نشاطها
بالجنون فى قوله ويصبح عن غب السرى وكانما الم بها من طائف الجن اولق لكن ما جاءت به قرأة ابن
مسعود وتظاهرت به اقوال المفسرين تضعف هذا التاويل ويتخبطه يتفعله من خبط يخبط كما
تقول تملكه وتعبده والمس الجنون وكذلك الاولق والالمس والرود وقوله تعالى ذلك بانهم قالوا
انما البيع مثل الربا معناه عند جميع المتاولين فى الكفار وانه قول تكذيب للشريعة ورد عليها
والاية كلها فى الكفار المراتبين نزلت لهم وقيل فله ما سلف ولا يقال ذلك لمؤمن عاص ولكن ياخذ
العصاة فى الربا بطرف من وعيد هذه الاية ثم حرم تعالى الخبر فى قوله واحل الله البيع وحرم الربا
هذا من عموم القران لان العرب كانت تقدر على انقاده لان الاخذ والاعطا عندها بيع وكل ما
عارض العموم فهو تخصيص منه وقال بعضهم هو من مجمل القران الذى فسر بالمحلل من البيع وبالمحرم
والقول الاول عندى اصح قال جعفر بن محمد الصادق حرم الله الربا لتعارض الناس وقال بعض العلماء حرمه
لانه متلفة للاموال مهلكة للناس وسقطت علامة التانيث فى قوله فمن جاءه لان تانيث الموعظة
غير حقيقى وقوله فله ما سلف اى من الربا لا تباعة عليه منه فى الدنيا ولا فى الاخرة قاله السدى وغيره
وهذا حكم من الله تعالى لمن اسلم من الكفار قريش وثقيف ومن كان يتجر هنالك وسلف معناه
تقدم فى الزمن وانقضى وفى قوله تعالى وامره الى الله اربع تاويلات احدها ان الضمير عائد على الربا
معنى وامر الربا الى الله فى امر تحريمه او غير ذلك والاخر ان يكون الضمير عايد على ما سلف اى امره الى
الله فى العفو عنه واسقاط التبعة فيه والثالث ان يكون الضمير عايد على ذى الربا بمعنى امره الى الله
فى ان يثبته على الانتها او يعيده الى المعصية فى الربا والرابع ان يعود الضمير على المنتهى لكن معنى
التانيس له وبسط امله فى الخير كما يقول وامره الى طاعة وخير وموضع رجا وكما يقول امره فى نمو واقبال
الى الله والى طاعته ويجى الامر هاهنا ليس فى الربا خاصة بل فى جملة امره وقوله تعالى ومن عاد فينتقم
الله منه يعنى الى فعل الربا والقول انما البيع مثل الربا وان قدرنا الاية فى كافر فالخلود خلود تابيد حقيقى وان
لحظناها فى مسلم عاص فهذا خلود مستعار على معنى المبالغة كما يقول العرب ملك خالد عبارة عن دوام لا على
التابيد الحقيقى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار اثيم ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
ن يمحق معناه ينقص ويذهب ومنه محاق القمر وهو انتقاصه ويربى الصدقات معناه ينميها ويزيد ثوابها
تضاعفا لقول العرب ربت الصدقة واربا ها الله تعالى وربا ها وذلك هو التضعيف لمن يشاء
ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان صدقة احدكم ليقع فى يد الله فيربيها له كما يربى احدكم فلوه او
فصيله حتى يجى يوم القيمة وان اللقمة لعلى قدر احد وقد جعل الله هذين الفعلين بعكس ما يظنه الحريص
الجشع من بنى ادم يظن الربا بعينه وهو فى الحقيقة يمحق ويظن الصدقة يعفوه وهى فى الحقيقة نماء فى الدنيا
والاخرة وقرأ ابن الزبير يمحق بضم اليا وكسر الحاء مشددة ويربى بفتح الراء وشد البا وروبت عن النبى
صلى الله عليه وسلم كذلك وقوله والله لا يحب كل كفار اثيم يقتضى الزجر فى هذه الايات للكفار المستحلين
الربا القائلين على جهة التكذيب للشرع انما البيع مثل الربا ووصف الكفار باثيم اما للمبالغة من
حيث اختلف اللفظان واما ليذهب الاشتراك الذى فى كفار اذ قد يقع على الزارع الذى يستر الحب
فى الارض قاله ابن فورك قال ومعنى الاية والله لا يحب الكفار الاثيم محسنا صالحا بل يريد مسيئا
فاجرا ويحتمل ان يريد والله لا يحب توفيق الكفار الاثيم وهذه تاويلات مستكرهة اما الاول فافرط
فى تعدية الفعل وحمله من المعنى ما لا يحتمله لفظ الاية والحب فى الشاهد يكون منه ميل الى المحبوب
ولطف به وحرص على حفظه ويظهر لا ثل ذلك والله تعالى يريد وجود الكافر على ما هو عليه
وليس له عنده مرتبة الحب بافعال يظهر عليه نحو ما ذكرناه فى الشاهد وتلك المرتبة موجودة
للمؤمن ولما انقضى ذكرهم عقب بذكر ضدهم ليبين ما بين الحالين فقال ان الذين امنوا الاية وقد
يقدم مثل تفسيرها وخص الصلوة والزكوة بالذكر وقد تضمنها عمل الصالحات تشريفا لهما
وتنبيها على قدرهما اذ هما راس الاعمال الصلوة فى اعمال البدن والزكوة فى اعمال المال قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ن سبب هذه الاية

انه كان

انه كان الربا بين الناس كثيرا فى ذلك الوقت وكان بين قريش وثقيف ربا وكان لها ولا على هؤلاء فلما فتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قال فى خطبته فى اليوم الثانى من الفتح الا كل ربا فى الجاهلية موضوع
واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب فبدأ صلى الله عليه وسلم بعمه واخص الناس به وهذه من
سنن العدل للامام ان يفيض العدل على نفسه وخاصته فيستفيض حينئذ فى الناس ثم رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على مكة عتاب بن اسيد فلما استدل اهل الطائف بعد ذلك
الى الاسلام اشترطوا شروطا منها ما اعطاه رسول الله ومنها ما لم يعطه وكان فى شروطهم
ان كل ربا لهم على الناس فانهم ياخذونه وكل ما عليهم فهو موضوع فيروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرر لهم هذه ثم ردها الله بهذه الاية كما رد صلحه لكفار قريش فى رد النسا اليهم عام
الحديبية وذكر النقاش رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يكتب فى اسفل الكتاب لثقيف
لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فلما جاءت اجال رباهم بعثوا الى مكة للاقتضا وكان الديون
لبنى عبده وهم بنو عمرو بن عمير من ثقيف وكانت على بنى المغيرة المخزوميين فقال بنو المغيرة لا يعطى شيئا فان
الربا قد وضع ودفعوا امرهم الى عتاب بن اسيد بمكة فكتب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية
وكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب فعلمت بها ثقيف فكفت هذا سبب نزول الاية
على اختصار مجموع مما روى ابن اسحق وابن جريج والسدى وغيرهم فمعنى الاية اجعلوا بينكم وبين عذاب
الله وقاية بترككم ما بقى لكم من الربا وقوله ان كنتم مؤمنين شرط محض فى ثقيف على بابه لانه كان فى اول
دخولهم فى الاسلام واذا قدرنا الاية فيمن تقرر ايمانه فهو شرط مجازى على جهة المبالغة كما يقول لمن يريد
اقامة نفسه ان كنت رجلا فافعل كذا وحكى النقاش عن مقاتل بن سليمان انه قال ان فى هذه الاية بمعنى
اذ وهذا مردود لا يعرف فى اللغة وقال ابن فورك يحتمل ان يريد يا ايها الذين امنوا بمن قبل محمد من الانبيا
ذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين بمحمد اذ لا ينفع الاول الا بهذا وهذا مردود بما روى فى سبب
الاية ثم توعدهم تعالى ان لم يذروا الربا بحرب منه ومن رسوله والحرب داعية القتل وروى ابن عباس
انه يقال يوم القيمة لاكل الربا خذ سلاحك للحرب وقال ابن عباس ايضا من كان مقيما على الربا لا ينزع عنه
فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه وقال قتاده اوعد الله تعالى اهل الربا
بالقتل فجعلهم بهرجا اينما ثقفوا ثم ردهم تعالى مع التوبة الى رؤس اموالهم وقال لهم لا تظلمون فى
اخذ الربا ولا تظلمون فى ان يتمسك بشى من رؤس اموالكم فيذهب اموالكم ويحتمل ان يكون لا تظلمون فى
مطل لان مطل الغنى ظلم فالمعنى انه يكون القضا مع وضع الربا وهكذا سنة الصلح الا ترى ان النبى صلى
الله عليه وسلم لما اشار على كعب بن مالك فى دين ابن ابى حدرد بوضع الشطر فقال كعب نعم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للاخر قم فاقضه فتلقا العلما امره بالقضا سنة فى الصالحات وقرأ الحسن ما بقى بكسر القاف
واسكان اليا وهذا كما قال جرير هو الخليفة فارضوا ما رضى لكم ماضى العزيمة ما فى حكمه حيف ووجهها
انه شبه اليا بالالف فكما لا تصل الحركة الى الالف فكذلك لم تصل هنا الى اليا وفى هذا نظر وقرأ ابو
السمك من الربو بكسر الرا المشددة وبضم البا وسكون الواو وقال ابو الفتح شذ هذا الحرف فى امرين
احدهما الخروج من الكسر الى الضم بنا والاخر وقوع الواو بعد الضمة فى اخر الاسم وهذا شى لم يات الا
فى الفعل نحو يغزو ويدعو واما ذو الطا بمعنى الذى فشاذة جدا ومنهم من يغيروا وها اذا فارب
الرفع فيقول رايت ذا قام ووجه القرأة انه فخم الالف انتحا بها الواو والذى لا الف بدلا منها على حد
قولهم الصلوة والزكوة وهى بالجملة قراة شاذة وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وابن عامر والكسائى فاذنوا
مقصورة مفتوحة الذال وقرأ عاصم فى رواية ابى بكر فاذنوا ممدودة مكسورة الذال قال سيبويه
اذنت اعلمت واذنت بادرت وصوت بالاعلام قال وبعض يجرى اذنت سجرى اذنت قال ابو على من قال
فاذنوا فقصر فمعناه فاعلموا الحرب من الله قال ابن عباس وغيره من المفسرين معناه فاستيقنوا الحرب
من الله فا دهى عندى من الاذن فاذا اذن المرء فى شى فقد قرره وبنى مع نفسه عليه وكانه قال لهم
فقرروا الحرب بينكم وبين الله ورسوله ويلزم مهم من لفظ الاية انهم مستدعو الحرب والباعون
بها اذ هم الاذنون بها وفيها ويندرج فى هذا المعنى الذى ذكره علمهم بانهم حرب وسفهم لذلك
قال ابو على ومن قرأ فاذنوا فقد فتقديره من لم ينته عن ذلك بحرب والمفعول محذوف وقد ثبت هذا المفعول
فى قوله تعالى فقل اذنتكم على سواء واذا امروا باعلام غيرهم علموا هم لا محالة قال ففى اعلامهم علمهم وليس
فى علمهم اعلام غيرهم فقرأة المد ارجح لانها ابلغ واكد قال الطبرى قرأة القصر ارجح لانها تختص بهم فانما امروا على قرأة
المد باعلام غيرهم قال القاضى والقراتان عندى سواء لان المخاطب فى هذه الاية محصور لانه كل من لم يذر ما
بقى من الربا فان قيل لهم فاذنوا بالقصر فقد عمهم الامر وان قيل لهم فاذنوا بالمد فالمعنى انفسكم وبعضكم بعضا
وكان هذه القرأة يقتضى فسحا لهم فى الارتيا والتثبت اى فاعلموا نفوسكم هذا ثم انظروا فى الارجح لكم ترك
الربا او الحرب وقرا جميع القرا لا تظلمون بفتح التا ولا تظلمون بضم التا وقد مضى تفسيره وروى المفضل

عن عاصم لا تظلمون بضم التا في الاولى وفتحها في الثانية قال ابو علي ويترجح قراءة الجمع لانها تناسب قوله فان تبتم
في اسناد الفعلين الى الفاعل فيجي يظلمون بفتح التا اشكل بما قبله قوله تعالى وان كان ذو عسرة
فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل
نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ن حكم الله لارباب الربا برؤس اموالهم عند الواجدين المال ثم حكم
في ذي العسرة بالنظرة الى حال اليسر قال المهدوي وقال بعض العلما هذه الاية ناسخة لما كان
في الجاهلية من بيع من اعسر بدين وحكى مكي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر به في صدر الاسلام
فان ثبت فعل النبي صلى الله عليه وسلم فهو نسخ والا فليس بنسخ والعسرة ضيق الحال من جهة
عدم المال ومنه جيش العسرة والنظرة التاخير والميسرة مصدر بمعنى اليسر وارتفع ذو عسرة
بكان التامة التي هي بمعنى وجد هذا قول سيبويه وابي علي وغيرهما ومنه يظهر ان الاصل الغنى
ووفور الذمة وان العدم طار حادث يلزم ان يثبت وقال بعض الكوفيين حكاه الطبري
بل هي كان الناقصة والخبر محذوف تقديره وان كان من غرمايكم ذو عسرة وارتفع قوله فنظرة
على خبر ابتدا محذوف تقديره فالواجب نظرة او فالحكم نظرة قال الطبري وفي مصحف ابي بن
كعب وان كان ذا عسرة قال ابو عمرو الداني على معنى وان كان المطلوب وقرا الاعمش وان كان معسرا
فنظرة قال ابو عمرو الداني عن احمد بن موسى وكذلك في مصحف ابي بن كعب قال مكي والنقاش وعلى
هذا يختص لفظ الاية باهل الربا وعلى من قرا وان كان ذو فهي عامة في جميع من عليه دين و
هذا غير لازم وحكى المهدوي ان في مصحف عثمان فان كان بالفا ذو عسرة وقراة الجماعة نظرة
بكسر الظا وقرا مجاهد وابو رجا والحسن فنظرة بسكون الظا وكذلك قرا الضحاك وهي على تسكين
الظا من نظرة وهي لغة تميمية وهم الذين يقولون كرم زيد بمعنى كرم ويقولون كبد وكيد وكيت في ليت
وقرا عطا بن ابي رباح فناظرة على وزن فاعلة وقال الزجاج هي من اسماء المصادر كقوله تعالى
ليس لوقعتها كاذبة وكقوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة وكخائنة الاعين وغيره وقرا نافع
وحده ميسرة بضم السين وقرا باقي السبعة وجمهور الناس ميسرة بفتح السين على وزن
مفعلة وهذه القراة اكثر في كلام العرب لان مفعلة بضم العين قليل قال ابو علي وقد
قالوا مشربة ومشرقة ولكن مقعدة بفتح العين في كلامهم اكثر وقرا عطا بن ابي رباح ايضا
ومجاهد فناظرة الى ميسرة على معنى الامر فناظر وجعلا الها ضمير الغريم وضما السين من
ميسرة وكسرا الرا وجعلا الها ضمير الغريم فاما ناظرة ففاعلة من التاخير كما يقول سامحه
واما ميسر فشاذ قال سيبويه ليس في الكلام مفعل قال ابو علي يريد في الاحاد واما الجمع فقد
جاء قول عدي ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري وقول جميل بثين الزمي
لا ان لزمته على كثرة الواشين اي معون فالاول جمع مالكة والاخر جمع معونة وقال ابن جني
ان عديا اراد مالكة فحذف وكذلك قول جميل اراد معونة وكذلك قول الاخر ليوم روع او
فعال مكرم اراد مكرمة فحذف ويحتمل ان يكون جموعا كما قال ابو علي قال القاضي فان كان ميسر
جمع ميسرة فيجري مجرى هذه الامثلة وان كان قاريه اراد به الافراد فذلك شاذ وقد خطاه
بعض الناس وكلام سيبويه يرده واختلف اهل العلم هل هذا الحكم بالنظرة الى الميسرة واقف على
اهل الربا او هو منسحب على كل دين حلال فقال ابن عباس وشريح ذلك في الربا خاصة واما الديون
وساير الامانات فليس فيها نظرة بل يؤدى الى اهلها وكان هذا القول يترتب اذا لم يكن فقر
مدقع واما مع الفقر والعدم الصريح فهي النظرة ضرورة قال جمهور العلما النظرة الى الميسرة حكم
ثابت سواء كان الدين من ربا او تجارة في ذمة وامانة فسره الضحاك وقوله تعالى وان تصدقوا
ابتدا وخبره خير وندب الله بهذه الالفاظ الى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من انظاره
قاله السدي وابن زيد والضحاك وجمهور العلماء وقال الطبري وقال اخرون معنى الاية وان
تصدقوا على الغني والفقير خير لكم ثم ادخل تحت هذه الترجمة اقوالا لقتادة وابراهيم النخعي لا يلزم
منها ما تضمنته ترجمته بل هي كقول جمهور الناس وليس في الاية مدخل للغني وقرا جمهور القرا تصدقوا
بشد الصاد على الادغام من تتصدقوا وقرا عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد وفي مصحف عبد الله بن
مسعود وان تتصدقوا بفك الادغام وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال كان اخر ما انزل من القران اية الربا وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفسرها لنا فدعوا
الربا والريبة وقال ابن عباس اخر ما نزل اية الربا ومعنى هذا عندي انها من اخر ما نزل لان جمهور الناس وابن
عباس والسدي والضحاك وابن جريج وغيرهم قالوا اخر ما نزل قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
وقال سعيد بن المسيب بلغني ان احدث القران بالعرش اية الدين وروي ان قوله تعالى واتقوا نزلت قبل موت النبي
صلى الله عليه وسلم بتسع ليال ولم ينزل بعدها شي وروي بثلاث ليال وروي انها نزلت قبل موته بثلاث ساعات وا

وانه

وانه عليه السلام قال اجعلوها بين اية الربا واية الدين وحكى مكي ان النبي عليه السلام قال جاني جبريل
عليه السلام قال اجعلها على راس مايتين وثمانين اية من البقرة وقوله واتقوا الى اخر الاية وعظ
لجميع الناس وامر يخص كل انسان ويوما منصوب على المفعول لا على الظرف وقرا ابو عمرو بن العلا
ترجعون بفتح التا وكسر الجيم وقرا باقي السبعة ترجعون بضم التا وفتح الجيم مثل قراة ابي عمرو ان الينا
ايابهم ومثل قراة الجماعة ثم ردوا الى الله ولئن رددت الى ربي والمخاطبة في القراتين بالتا
على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير وقرا الحسن يرجعون باليا على معنى يرجع جميع الناس قال
ابن جني كان الله تعالى رفق بالمؤمنين عن ان يواجههم بذكر الرجوع اذ هي مما ينفطر له القلوب فقال
لهم واتقوا ثم رجع في ذكر الرجع الى الغيبة رفقا بهم وقرا ابي بن كعب يوما تردون بضم التا وجمهور
العلما على ان هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيمة والحساب والتوفية وقال قوم هو يوم الموت
والاول اصح بحكم الالفاظ في الاية وفي قوله الى الله مضاف محذوف تقديره الى حكم الله وفصل قضايه
وقوله وهم رد على ضمير الجماعة في ترجعون وفي هذه الاية نص على الثواب والعقاب متعلق بكسب
الايمان وهذا رد على الجبرية قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب ن قال ابن عباس
هذه الاية نزلت في السلم خاصة معناه ان سلم اهل المدينة كان سبب الاية ثم هي تتناول جميع المداينات
اجماعا وبين تعالى بقوله بدين ما في قوله تداينتم من الاشتراك اذ هو يقال في كلام العرب تداينوا بمعنى
جازى بعضهم بعضا ووصف الاجل بمسمى دليل على ان المجهول لا يجوز وكان الاية رفضتها واذا
لم تكن تسمية وجد فليس لاجل وذهب بعض الناس الى ان كتب الديون واجب على اربابها وفرض
بهذه الاية وذهب الربيع الى ان ذلك وجب بهذه الالفاظ ثم خففه الله تعالى بقوله فان
امن بعضكم بعضا وقال الشعبي كانوا يرون ان قوله فان امن ناسخ لقوله بالكتب ويحكى نحوه ابن جريج
وقاله ابن زيد وروي عن ابي سعيد الخدري وقال جمهور العلماء الامر بالكتب ندب الى حفظ الاموال
وازالة الريب واذا كان الغريم تقيا فما يضره الكتاب وان كان غير ذلك فالكتاب ثقاف في دينه
وحاجة صاحب الحق قال بعضهم ان اشهدت فحزم وان ايتمنت ففي حل وفي سعة وهذا هو القول
الصحيح ولا يترتب نسخ في هذا لان الله ندب الى الكتب فيما للمرء ان يهبه ويتركه باجماع فندبه انما
هو على جهة الحيطة للناس ثم علم تعالى انه سيقع الايتمان فقال ان وقع ذلك فليود الاية فهذه
وصية للذين عليهم الديون ولم يجزم تعالى الامر نصا بان لا يكتب اذا وقع الايتمان واما الطبري
رحمه الله فذهب الى ان الامر بالكتب فرض واجب وطول في الاحتجاج وظاهر قوله انه يعتقد
الاوامر على الوجوب حتى يقوم دليل على غير ذلك واختلف الناس في قوله وليكتب بينكم كاتب
بالعدل فقال عطا وغيره واجب على الكاتب ان يكتب وقاله الشعبي وعطا ايضا اذا لم يجد
كاتبا سواه فواجب عليه ان يكتب وقال السدي هو واجب مع الفراغ وقوله تعالى بالعدل معناه
بالحق والمعدلة والباء متعلقة بقوله تعالى وليكتب وليست متعلقة بكاتب لانه كان يلزم الا يكتب
وثيقة الا العدل في نفسه وقد يكتبها الصبي والعبد والمسخوط اذا قاموا بفقهها اما المنتصبون
لكتبها لا يجوز للولاة ان يتركوهم الا عدولا مرضيين وقال مالك رحمه الله لا يكتب الوثايق من الناس
الا عارف بها عدل في نفسه مامون لقوله تعالى وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم نهى الله تعالى
الكاتب عن الاباية وابى يابى شاذ لم يجي الا قلى يقلى وابى ياب ولا يجي فعل يفعل بفتح العين في
المضاد الا اذا رده حرف حلق قال الزجاج والقول في ابى ان الالف فيه اشبهت الهمزة فلذلك
جاء مضارعه يفعل بفتح العين وحكى المهدوي عن الربيع والضحاك ان قوله ولا ياب منسوخ بقوله
ولا يضار كاتب ولا شهيد والكاف من قوله كما علمه الله متعلقة بقوله ان يكتب المعنى كتبا كما علمه
الله هذا قول بعضهم ويحتمل ان يكون كما متعلقة بما في قوله ولا ياب المعنى كما انعم الله عليه بعلم
الكتابة فلا ياب هو وليفضل كما افضل الله عليه ويحتمل ان يكون الكلام على هذا المعنى تاما عند
قوله ان يكتب ثم يكون قوله كما علمه الله ابتداء كلام فيكون الكاف متعلقة بقوله فليكتب واما اذا
امكن الكتاب فليس يجب الكتاب على معين ولا وجوب الندب بل له الامتناع الا ان يستاجره واما
اذا عدم الكتاب فيتوجه وجوب الندب حينئذ على الحاضر واما الكتب في الجملة فندب كقوله تعالى
وافعلوا الخير وهو من باب عون الصانع قوله تعالى وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه
شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا
واستشهدوا شهيدين من رجالكم ن امر الله تعالى الذي عليه الحق بالاملا لان الشهادة انما تكون
بسبب اقراره اذا كتب الوثيقة واقر بها فهو كالاملا له وامره الله بالتقوى فيما يمل ونهى ان يبخس شيا
من الحق والبخس النقص بنوع من المخادعة والمدافعة وهؤلاء الذين امروا بالاملا هم المالكون لانفسهم

اذا حضروا ثم ذكر تعالى ثلثة انواع يقع نوازلهم في كل زمن فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا
او لا يستطيع وكون الحق يترتب في جهات سوى المعاملات كالموارث اذا اقسمت وغير ذلك والسفيه
المهلهل الرأى في المال الذى لا يحسن الاخذ لنفسه ولا الاعطا منها مشبه بالثوب السفيه وهو
الخفيف النسج والسفه الخفة ومنه قول الشاعر: مشين كما اهتزت رياح سفهت اعاليها مر الرياح
النواسم: وهذه الصفة لا تخلوا من حجر اب او وصى وذلك هو وليه ثم قال او ضعيفا والضعيف
هو المدخول العقل الناقص الفطرة وهذا ايضا قد يكون وليه ابا او وصيا والذى لا يستطيع ان يمل
وهو الصغير ووليه وصيه او ابوه والغائب عن موضع الاشهاد اما لمرض او لغير ذلك ووليه وكيله
واما الاخرس فيسوغ ان يكون من الضعفا والاولى انه ممن لا يستطيع فهذه اصناف يتميز ويحدث
من سفرد بواحد واحد منها وقد يجتمع منها اثنان في شخص وربما اجتمعت كلها في شخص وهذا
الترتيب سرع من قول مالك وغيره من العلماء الحذاق وقال بعض الناس السفيه الصغير وهذا
خطأ وقال قوم الضعيف هو الكبير الاحمق وهذا قول حسن وجاء العقل مضاعفا في قوله ان يمل لانه لو فك
لتوالت حركات كثيرة والفك في هذا الفعل لغة قريش وبالعدل معناه بالحق وقصد الصواب وذهب
الطبرى الى الضمير في وليه على الحق واسند في ذلك عن الربيع وعن ابن عباس وهذا عندى شى لا يصح
عن ابن عباس وكيف تشهد البينة على شىء ويدخل مالا في ذمة السفيه باملا الذى له الدين هذا
شى ليس في الشريعة والقول ضعيف الا ان يريد قائله ان الذى لا يستطيع ان يمل بمرضه اذ كان
عاجزا عن الاملا فليمل صاحب الحق بالتصدق ويسمع الذى عجز فاذا كمل الاملا اقر به وهذا معنى لم
يعن الاية اليه ولا يصح هذا الا فيمن لا يستطيع ان يمل بمرض فقط **قوله تعالى** واستشهدوا شهيدين
من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما وتذكر
احداهما الاخرى الاستشهاد طلب الشهادة وعبر ببناء مبالغة في شهيدين دلالة على من قد شهد
وتكرر ذلك منه وكانها اشارة الى العدالة وقوله تعالى من رجالكم نص في رفض الكفار والصبيان
والنساء واما العبيد فاللفظ يتناولهم واختلف العلماء فيهم فقال شريح واسحق بن راهويه واحمد
ابن حنبل شهادة العبد جائزة اذا كان عدلا وغلبوا لفظ الاية وقال مالك والشافعى وابو حنيفة
وجمهور العلماء لا يجوز شهادة العبد وغلبوا نقص الرق كان الضمير الذى في قوله يكونا والمعنى في قول
الجمهور فان لم يكن المستشهد رجلين اى ان اغفل ذلك صاحب الحق او قصده لعذر ما وقال قوم
بل المعنى فان لم يوجد رجلان ولا يجوز استشهاد المرأتين الا مع عدم الرجال وهذا قول ضعيف ولفظ
الاية لا يعطيه بل الظاهر منه قول الجمهور وقوله فرجل وامرأتان مرتفع باحد ثلثة اشيا اما ان
يقدر فليشهد رجل وامرأتان ويصح ان يكون كان هذه التامة والناقصة لكن التامة اشبه لان
نقل الاضمار واما فرجل وامرأتان تشهدون وعلى كل وجه فالمقدر هو العامل في قوله ان تضل احداهما
وروى عن بن عبد الرحمن عن بعض اهل مكة انهم قرؤا وامرأتان بهمز الالف ساكنة قال ابن
جنى ولا نظير لتسكين الهمزة المتحركة على غير قياس وانما خففوا الهمزة فصارت الهمزة ساكنة قال
يقولون نجهلا ليس للشيخ عيل لعمرى لقد اعيلت وان رقوب بريد وانا رقوب ثم بعد ذلك
يدخلون الهمزة على هذه الالف كما هى وهى ساكنة وفي هذا نظر قوله ممن ترضون من الشهداء
رفع في موضع الصفة لقوله فرجل وامرأتان قال ابو على ولا يدخل في هذه الصفة قوله شهيدين
لاختلاف الاعراب هذا حكم لفظى واما المعنى فالرضا شرط في الشهيدين كما هو في الرجل و
والمرأتين قال ابن بكير وغيره قوله ممن ترضون مخاطبة للحكام وهذا غير مبيل وانما الخطاب
الخطاب لجميع الناس لكن المتلبس بهذه القضية انما هم الحكام وهذا كثير في كتاب الله تعالى
يعم الخطاب فيما يتلبس به البعض وفي قوله ممن ترضون دليل على ان في الشهود من لا يرضى
فيجى من ذلك ان الناس ليسوا محمولين على العدالة حتى يثبت لهم وقرا حمزة وحده ان تضل بكسر
الالف وفتح التاء وكسر الضاد فتذكر بفتح الدال ورفع الراء وهى قراءة الاعمش وقراها الباقون بفتح
الالف فتذكر بنصب الراء غير ان ابن كثير وابا عمرو خففا الذال والكاف وشددها الباقون وقد تقدم القول
فيما هو العامل في قوله ان تضل وان مفعول لاجله والشهادة لم يقع لان تضل احداهما وانما وقع
اشهاد امرأتين لان يذكر احداهما ان ضلت الاخرى قال سيبويه وهذا كما تقول اعددت هذه
الخشبة ان يميل الحائط فادعمه قال رحمه الله ولما كانت النفوس مستشرفة الى معرفة اسباب الحوادث
قدم في هذه العبارة ذكر سبب الامر المقصود ان يخبر به في ذلك سبق النفوس الى الاعلام بمرادها
وهذا من بدع الفصاحة اذ لو قال رجل اعددت هذه الخشبة ان ادعم بها هذا الحائط لقال السامع ولم
يدعم حائطا فاما يجب ذكر السبب فيقال اذا مال الحائط فكان من تقديم السبب اخصر من هذا المحاورة
قال ابو عبيد معنى هذه تضل تنسى والضلال عن الشهادة انما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء بين ذلك

حران

حيران ضالا ومن نسى الشهادة جملة فليس يقال ضل فيها فاما قراءة حمزة فجعل ان للجزاء والفاء في
قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجوابه رفع بكونه صفة للمذكوره وهما المرأتان وارتفع تذكر كما ارتفع
قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه هذا قول سيبويه وفي هذا نظر واما نصب قوله فتذكر على قراءة الجماعة
فعلى العطف على الفعل المنصوب بان وتخفيف الكاف على قراءة ابى عمرو وابن كثير هو بمعنى سهله من الذكر
يقال اذكرت فاذكرت تعديه بالضعف او بالهمزة وروى عن ابى عمرو بن العلاء وسفين بن عيينة انهما قالا
معنى قوله فتذكر بتخفيف الكاف اى تردها ذكرا في الشهادة لان شهادة امرأة نصف شهادة ذكر فاذا
شهدتا صار مجموعهما كشهادة ذكر وهذا تاويل بعيد غير صحيح ولا يحسن في مقابله الضلال الا الذكر
واذكرت بشد الكاف تتعدى الى مفعولين واحدهما في الاية محذوف تقديره فتذكر احداهما الاخرى الشهادة
التى ضلت عنها وقرا الجحدرى وعيسى بن عمر تضل بضم التاء وفتح الضاد بمعنى تنسى هكذا حكى عنهما ابو
عمرو الدانى وحكى النقاش عن الجحدرى ضم التاء وكسر الضاد بمعنى ان تضل الشهادة يقول اضللت الفرس
والبعير اذا تلفا لك وذهبا فلم تجدهما وقرا حميد بن عبد الرحمن ومجاهد فتذكر بتخفيف الكاف المكسورة ورفع
الراء وتضمنت هذه الاية جواز شهادة امرأتين بشرط اقترانهما برجل واختلف قول مالك في شهادتهما
فروى عنه ابن وهب ان شهادة النساء لا تجوز الا حيث ذكرها الله تعالى في الدين او فيما لا يطلع عليه
احد الا هن للضرورة الى ذلك وروى عنه ابن القاسم انها تجوز في الاموال والوكالات على الاموال وكل ما
جر الى مال وخالف في هذا اشهب وغيره وكذلك اذا شهدت على مال يؤدى الى غير مال ففيها قولان في
المذهب **قوله تعالى** ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله
ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة قال قتادة والربيع وغيرهما
معنى الاية اذا دعوا ان يشهدوا فتقيد الحق بشهادتهم وفي هذا المعنى نزلت لانه كان الرجل يطوف في
القوم الكثير فيطلب من يشهد له فيتحرجون عن الشهادة فلا تقوم معه احد فنزلت الاية في ذلك وقال
الحسن الاية جمعت امرين لا تاب اذا دعيت الى تحمل الشهادة ولا اذا دعيت الى ادائها وقال ابن عباس
وقال مجاهد معنى الاية لا تأب اذا دعيت الى اداء شهادة قد حصلت عندك واسند النقاش الى النبى صلى
الله عليه وسلم انه فسر الاية بهذا قال مجاهد فاما اذا دعيت لتشهد اولا فان شئت فاذهب وان
شئت فلا تذهب وقاله لاحق بن حميد وعطا وابراهيم وابن جبير والسدى وابن زيد وغيرهم كما قال الحسن
جمعتا امرين على جهة الندب فالمسلمون مندوبون الى معونة اخوانهم فاذا كانت الفسحة لكثرة الشهود
والامن من تعطيل الحق فالمدعو مندوب وله ان يتخلف لادنى عذر وان يتخلف لغير عذر فلا اثم عليه و
لا ثواب له واذا كانت الضرورة وخيف تعطيل الحق ادنى خوف قوى الندب وقرب من الوجوب واذا علم ان
الحق يتلف ويذهب بتاخر الشاهد عن الشهادة فواجب عليه القيام بها لا سيما ان كانت محصلة وكان الدعا
الى ادائها فان هذا الطرف اكد لانها قلادة في العنق وامانة يقتضى الادا وتسئموا معناه تملوا وصغيرا
او كبيرا حالان من الضمير في تكتبوه وقدم الصغير اهتماما به وهذا النهى عن السامة انما جاء لتردد
المداينة عندهم فخيف عليهم ان تملوا الكتب واقسط معناه اعدل وهذا الفعل من الرباعى وفيه
شذوذ وانظر هل هو من قسط بضم السين كما يقول اكرم من كرم يقال اقسط بمعنى عدل وقسط بمعنى
جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ومن قوله واقوم للشهادة بمعنى واشد
اقامة فذلك ايضا افعل من الرباعى ومتقدمها من قام بمعنى اعتدل زال عن الشذوذ وادنى معناه اقرب وتر
وترتابوا معناه تشكوا وقرا ابو عبد الرحمن السلمى تسئموا وتكتبوا وترتابوا كلها بالياء على الحكاية عن الغائب
قوله تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا
تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء
عليم ن لما علم الله مشقة الكتاب عليهم نص على ترك ذلك ورفع الجناح فيه من كل مبايعة عد وذلك
في الاغلب انما هو في قليل كالمطعوم ونحوه لا في كثير كالاملاك ونحوها وقال السدى والضحاك هذا فيما
كان يدا بيد تلخذ وتعطى وان في موضع نصب على الاستثنا المنقطع وقوله تعالى تديرونها يقتضى
التقابض والبينونة بالمقبوض ولما كانت الرباع والارض وكثير من الحيوان لا تقوى البينونة به ولا يغاب
عليه حسن الكتب فيها ولحقت في ذلك بمبايع الدين وقرا عاصم وحده تجارة نصبا وقرا الباقون بالرفع
وابو على واشك في ابن عامر وان كان بمعنى حدث ووقع عند عمرو اذا خلع سنها معنى الحدث
الحدوث لزمها الخبر المنصوب فحجة من رفع تجارة ان كان بمعنى وقع وحدث واما من نصب فعلى خبر كان والاسم مقدر
تقديره عند ابى على الا ان تكون التجارة تجارة وذلك
مثل قول الشاعر فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى اذا كان يوم ذو كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما
هكذا انشد ابو على البيت وكذلك ابو العباس المبرد وانشده الطبرى ولله قومى اى قوم لحرة اذا كان يوما
ذا كواكب اشنعا وانشد سيبويه بالرفع يوم ذو كواكب قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم قال الطبرى

معناه واشهدوا على صغير ذلك وكبيره واختلف الناس هل ذلك على الوجوب او الندب فقال الشعبي والحسن
وغيرهما ذلك على الندب وقال ابن عمر والضحاك ذلك على الوجوب وكان ابن عمر يفعله في قليل الاشيا وكثيرها
وقاله عطا ورجح ذلك الطبري والوجوب في ذلك قلق اما في الدقايق فصعب شاق واما ما كثر فربما يقصد
التاجر الاستيلاف ويترك الاشهاد وقد يكون عادة في بعض البلاد وقد يستحي من العالم والرجل الكبير
الموقر فلا يشهد عليه فيدخل ذلك كله في الايتمان ويبقى الامر بالاشهاد ندبا لما فيه من المصلحة في الاغلب
ما لم يقع عذر يمنع منه كما ذكرنا وحكى المهدوي عن قوم انهم قالوا واشهدوا اذا تبايعتم منسوخ بقوله
فان امن الاية وذكره مكي عن ابي سعيد الخدري واختلف الناس في معنى قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا
شهيد فقال الحسن وقتادة وطاوس وابن زيد وغيرهم المعنى ولا يضار الكاتب بان يكتب ما لم يمل
عليه ولا يضار الشاهد بان يزيد في الشهادة او ينقص منها وقال مثله ابن عباس ومجاهد وعطا
الا انهم قالوا لا يضار الكاتب والشاهد بان يمتنعا ولفظ الضرر يعم هذا والقول الاول في الاصل
يضارر على هذين القولين يضارر بكسر الراء ثم وقع الادغام وفتحت الرا في الجزم لخفة الفتحة وقال ابن
عباس ايضا ومجاهد والضحاك والسدي وطاوس وغيرهم معنى الاية ولا يضار كاتب ولا شهيد بان
يؤذيه طالب الكتبة او الشهادة فيقول اكتب لي او اشهد لي في وقت عذر وشغل للكاتب والشاهد
فاذا اعتذرا بعذرهما حرج واذاهما وقال خالفت امر الله ونحو هذا من القول ولفظ المضارة اذ هو
من اثنين يقتضي هذه المعاني كلها والكاتب والشهيد على القول الاول رفع بفعلهما وفي القول
الثاني رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله واصل يضار على القول الثاني يضارر بفتح الراء وروي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن ابن مسعود ومجاهد انهم كانوا يقرون ولا يضارر بالفك
وفتح الرا الاولى وهذا على معنى ان يبداهما بالضرر طالب الكتب والشهادة ذكر ذلك عنهم الطبري
في ترجمته وفسر القراة بهذا المعنى فدل ذلك على ان الرا الاولى مفتوحة كما ذكرنا وحكى ابو عمرو الداني عن
عمر بن الخطاب وابن عباس وابن ابي اسحق ومجاهد ان الرا الاولى مكسورة وحكى عنهم ايضا فتحها وفك
الفعل هي لغة اهل الحجاز والادغام لغة تميم وقرا ابو جعفر بن القعقاع وعمرو بن عبيد ولا يضار بجزم
الرا قال ابو الفتح تسكين الراء مع التشديد فيه نظر ولكن طريقه اجرى الوقف مجرى الوقف وقرا عكرمة
ولا يضارر بكسر الرا الاولى كاتبا ولا شهيدا بالنصب اي لا يبداهما صاحب الحق بضرر ووجوه المضار
لا تنحصر وروى مقسم عن عكرمة انه قرا ولا يضار بالادغام وكسر الرا لالتقاء وقرا ابن محيصن ولا
يضار بفتح الرا مشددة قال مجاهد ولا ادري ما هذه القراة قال ابو الفتح هذا الذي انكره مجاهد
معروف وذلك ان يجعل بغيا اي ليس ينبغي ان يضار كما قال الشاعر ⁂ على الحكم المأتي يوما اذا قضى
قضيته ان لا يجور ويقصد ⁂ فرفع ويقصد على ارادة وينبغي ان يقصد وكذلك ينبغي ان يرتفع يضار
على معنى وينبغي ان لا يضار قال وان شئت كان لفظ خبر على معنى النهي وهذا اقرب من النظر الاول
وقوله تعالى وان تفعلوا فانه فسوق بكم من جعل المضارة المنهي عنها زيادة الكاتب والشاهد فيما
املي عليهما او نقصهما منه فالفسوق على عرفه في الشرع وهي مواقعة الكباير لان هذا من
الكذب المؤدي في الاموال والابشار وفيه ابطال الحق ومن جعل المضارة المنهي عنها اذى الكاتب
والشاهد بان يقال لهما احسا ولا تخالفا امر الله او جعلهما امتناعهما اذا دعيا فالفسوق
على اصله في اللغة الذي هو الخروج من شي كما يقال فسقت الفارة من جحرها وفسقت الرطبة وكان
فاعل هذا فسق عن الصواب والحق في هذه النازلة ومن حيث خالف امر الله في هذه الاية فيقرب الامر
من الفسوق العرفي في الشرع وقوله بكم تقديره فسوق حال بكم وما في الاية موعظة وتقريع والله
المستعان المنفصل لا رب غيره وقيل معنى الاية الوعيد بان من اتقى علم **قوله تعالى** وان كنتم
على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته
وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم ⁂ لما ذكر تعالى
الندب الى الاشهاد والكتب لمصلحة حفظ الاموال والاديان عقب ذلك بذكر حال الاعذار
المانع من الكتب وجعل لها الرهن ونص من احوال العذر على السفر الذي هو الغالب من الاعذار
لا سيما في ذلك الوقت لكثرة الغزو ويدخل في ذلك بالمعنى كل عذر فرب وقت يتعذر فيه
الكاتب في الحضر كاوقات اشتغال الناس وبالليل وايضا فالخوف على خراب ذمة الغريم
عذر يوجب طلب الرهن وقد رهن النبي عليه السلام درعه عند يهودي طلب منه سلف
الشعير فقال انما يريد محمد ان يذهب بمالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب اني لامين
في الارض امين في السما ولو ائتمنني لاديت اذهبوا اليه بدرعي وقد قال جمهور العلما
الرهن في السفر ثابت في القران وفي الحضر ثابت بالحديث وهذا حسن الا انه لم يمعن فيه
النظر في لفظ السفر في الاية واذا كان السفر في الاية مثالا من الاعذار فالرهن في الحضر

موجود

موجود في الاية بالمعنى اذ قد يترتب الاعذار في الحضر وذهب الضحاك ومجاهد الى ان الرهن
والايتمان انما هو في السفر واما في الحضر فلا ينبغي شي من ذلك وضعف الطبري قولهما في الرهن
بحسب الحديث الثابت الذي ذكرته وهو قولهما في الايتمان والصحيح ضعف القولين في الفصلين
بل يقع الايتمان في الحضر كثيرا ويحسن وقرا جمهور الناس كاتبا بمعنى رجل يكتب وقرا ابي بن كعب
وابن عباس كتابا بكسر الكاف وتخفيف التا والف بعدها وهو مصدر قال مكي وقيل جمع كاتب
ككاتم وقيام وصاحب وصحاب وقرا بذلك مجاهد وابو العالية وقال المعنى وان عدمت
الدواة والقلم والصحيفة ونفي وجود الكاتب يكون لعدم اي الة اتفق من الالات فنفي الكاتب
يعمها ونفي الكاتب ايضا يقتضي نفي الكتاب فالقرايتان حسنتان الا من جهة خط المصحف وروي
عن ابن عباس انه قرا كتابا بضم الكاف على جمع كاتب وهذا يحسن من حيث لكل نازلة كاتب فقيل
للجماعة ولم تجدوا كتابا وهذا هو الجنس الذي يدل عليه قراة من قرا كاتبا وحكى المهدوي عن
ابي العالية انه قرا كتبا وهذا جمع كتاب من حيث النوازل مختلفة وهذا وقرا نافع وعاصم وابن
عامر وحمزة والكساي وجمهور من العلما فرهان وقرا ابو عمرو وابن كثير فرهن بضم الرا والها وروي
عنهما تخفيف الها وقد قرا بكل واحدة جماعة غيرهما **قال القاضي** ابو محمد رحمه الله رهن الشي
في كلام العرب معناه دام واستمر يقال ارهن لهم الشراب وغيره قال ابن سيده ورهنه اي ادامه
ومن رهن بمعنى دام قول الشاعر ⁂ اللحم والخبز لهم راهن وقهوة راووقها ساكب اي دائم قال
ابو علي ولما كان الرهن بمعنى الثبوت والدوام فمن ثم بطل الرهن عند الفقها اذا خرج من يد
المرتهن الى الراهن بوجه من الوجوه لانه فارق ما جعل له ويقال ارهن في السلعة اذا غالى
بها حتى اخذها بكثير الثمن ومنه قول الشاعر في وصف ناقة ⁂ يطوي ابن سلمى بها من راكب
بعدا عيدية ارهنت فيها الدنانير العيد بطن من مهرة وابل مهرة موصوفة بالنجابة ويقال
في معنى الرهن الذي هو التوثقة من الرهن ارهنت ارهانا فيما حكى بعضهم وقال ابو علي يقال ارهنت
في المغالاة واما في القرض والبيع فرهنت **قال القاضي** رحمه الله ويقال بلا خلاف في البيع والقرض
رهنت رهنا ثم سمي بهذا المصدر الشي المدفوع ونقل الى التسمية وكذلك كسر في الجمع كما يكسر
الاسما وكما يكسر المصادر التي سمي بها وصار رفعه ينصبه نصب المفعول به لا نصب المصدر
تقول رهنت رهنا وكذلك تقول رهنت ثوبا لا كما تقول رهنت الثوب رهنا وضربت ضربا
قال ابو علي وقد يقال في هذا المعنى ارهنت وفعلت فيه الرمة قول الشاعر وهو الاعشى ⁂
حتى يفيدك من بنيه رهينة نعش ويرهنك السماك الفرقدا ⁂ ومنه ايضا براهيني ورهيني
بنيه وارهنته بنيهما اقول ⁂ فلما خشيت اظافيرهم نجوت وارهنتهم مالكا ⁂ ومنه قول همام بن مرة ⁂ ولما
قال الزجاج يقال في الرهن رهنت وارهنت وقاله
ابن الاعرابي ويقول رهنت لساني بكذا ولا يقال فيه رهنت قال القاضي من قرا فرهان فهو
جمع رهن ككبش وكباش وكعب وكعاب ونعل ونعال ومن قرا فرهن بضم الها والرا فهو جمع
رهن كسقف وسقف واسد واسد اذ هو فعل وفعل متقاربان في احكامهما ومن قرا فرهن
بسكون الها فهو تخفيف رهن وهي لغة في هذا الباب كله كتب وعضد وغير ذلك قال ابو علي
وتكسير رهن على اقل العدد لم اعلمه جا ولو جا كان قياسه افعل ككلب واكلب وكانهم استغنوا
بالكثير عن القليل كما استغنوا ببنا الكثير عن القليل في قولهم ثلثة شسوع وكما استغنوا
ببنا القليل عن الكثير في رسن وارسان فرهن يجمع على بنا من من ابنية الجموع وهما فعل وفعال
فلما على ما فعل قول الاعشى ⁂ اليت لا اعطيه من ابنايا رهنا فيفسدهم كمن قد افسدا ⁂
قال الطبري تاول قوم ان رهنا بضم الرا والها جمع رهان فهو جمع جمع وحكاه الزجاج عن الفرا
ووجه ابو علي قياسا يقتضي ان يكون رهان جمع رهن بان يقال يجمع فعل على فعال كما جمعوا
فعالا على فعائل في قول ذي الرمة ⁂ وقربن بالزرق الجمائل بعدما تقوب عن غربان اوراكها الخطر
⁂ ثم ضعف ابو علي هذا القياس وقال ان سيبويه لا يرى جمع الجمع مطردا فينبغي ان لا نقدم عليه حتى
يرد سماعا وقوله عز وجل مقبوضة يقتضي بينونة المرتهن بالرهن واجمع الناس على صحة قبض المرتهن
وكذلك على قبض وكيله فيما علمت واختلفوا في قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال مالك وجميع اصحابه
وجمهور العلما قبض العدل قبض وقال الحكم بن عتيبة وابو الخطاب وقتادة بن دعامة وغيرهما ليس
قبض العدل قبضا وقول الجمهور اصح من جهة المعنى في الرهن وقوله تعالى فان امن شرط ربط به وصية الذي
عليه الحق بالادا وقوله فليؤد امر بالوجوب بقرينة الاجماع على وجوب ادا الديون وثبوت حكم
الحاكم به وجبره الغرما عليه وبقرينة الاحاديث الصحاح في تحريم مال الغير ثم قوله امانته مصدر سمي به
الشي الذي في الذمة واضافها الى الذي عليه الدين من حيث لها اليه نسبة ويحتمل ان يريد بالامانة

نفس المصدر كله قال فليحفظ سروته فيجئ التقدير فليؤدد امانته وقرا عاصم فيما روى عنه الذى اوتمن
برفع الالف وبشر بالضم الى الهمزة قال احمد بن موسى وهذه الترجمة غلط وقرا الباقون بالذال المكسورة
وبعدها همزة ساكنة بغير اشمام وهذا هو الصواب الذى لا يجوز غيره وروى سليم عن حمزة
اشمام الهمزة الضم وهذا خطاء ايضا لا يجوز وصوب ابو على هذا القول كل الذى لاحمد بن موسى
واحتج له وقرا ابن محيصن الذى ايتمن بيا ساكنة مكان الهمزة وكذلك ما كان مثله وقوله تعالى ولا تكتموا
الشهادة نهى على الوجوب بعدة قراين منها الوعيد وموضع النهى هو حيث يخاف الشاهد ضياع
حق وقال ابن عباس على الشاهد ان يشهد حيث ما استشهد ويخبر حيث ما استخبر قال ولا يقل
اخبر بها عند الامير بل اخبره بها لعل يرعوى ويرجع قال رحمه الله وهذا عندى بحسب قرينة
حال الشاهد والمشهود فيه والنازلة لا سيما مع فساد الزمن وارذال الناس ونفاق الحيلة
واعراض الدنيا عند الحكام فرب شهادة اذا صرح بها فى غير موضع النقود كانت سببا لتحريم
باطل ينطمس به الحق واثم معناه قد تعلق به الحكم اللاحق عن المعصية فى كتم الشهادة واعرابه انه
خبر ان وقلبه فاعل باثم ويجوز ان يكون ابتداء وقلبه فاعل سد مسد الخبر والجملة خبر ان ويجوز
ان يكون قلبه بدلا على بدل البعض من الكل وخص الله تعالى ذكر القلب اذ الكتم من افعاله واذ
هو الموضع التى بصلاحها يصلح الجسد كما قال عليه السلام وقرا ابن ابى عبلة فانه اثم قلبه بنصب البا
قال مكى هو على التفسير ثم ضعفه من حيث انه معرفة وفى قوله تعالى والله بما تعملون عليم وعيد
وان كان لفظها يعم الوعد والوعيد **قوله تعالى** لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا
ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شىء قدير
المعنى جميع ما فى السموات والارض ملك لله لانه الموجد المخترع لا رب غيره وعبر بما وان كان
ثم من يعقل لان الغالب انما هو جماد ويقل من يعقل من حيث قلة اجناسه اذ هى ثلثة ملاء ملكة
وانس وجان واجناس الغير كثيرة وقوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم الاية معناه ان الامر
سوا لا ينفع فيه المواداة والكتم يعلمه ويحاسبه وقوله فى انفسكم يقتضى قوة اللفظ انه ما يقرر
فى النفس واعتقد واستصحب فيه الفكر واما الخواطر التى لا يمكن دفعها فليست فى النفوس
الا على تجوز واختلف الناس فى معنى هذه الاية فقال ابن عباس وعكرمة والشعبى هو فى معنى
الشهادة التى نهى عن كتمها ثم اعلم فى هذه الاية ان الكاتم لها المخفى فى نفسه محاسب وقال ابن
عباس ايضا وابو هريرة والشعبى وجماعة من الصحابة والتابعين ان هذه الاية لما نزلت سوء ذلك
على الصحابة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا هلكنا يا رسول الله ان حوسبنا بخواطر
نفوسنا وشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم لكنه قال لهم اتريدون ان تقولوا كما قالت بنوا
اسرائيل سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا فقالوها فانزل الله تعالى بعد ذلك لا يكلف
الله نفسا الا وسعها فكشف عنهم الكربة ونسخ بهذه تلك هذا معنى الحديث المروى لانه بطرق
من جهات واختلفت عبارات دانعت عباره هؤلاء القائلين بلفظ النسخ فى هذه النازلة
وقال سعيد بن مرجانة جئت عبد الله بن عمر فتلا ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
ثم قال والله لئن اخذنا بهذه الاية لنهلكن ثم بكا حتى سالت دموعه وسمع نشيجه قال ابن مرجانة
فقمت حتى جئت ابن عباس فاخبرته بما قال ابن عمر فقال رحمه الله ابا عبد الرحمن لقد وجد المسلمون
منها حين نزلت بمثل ما وجد عبد الله فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فنسختا
لوسوسة وثبت القول والفعل قال الطبرى وقال اخرون هذه الاية محكمة غير منسوخة والله
محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه بما ثبت فى نفوسهم واضمروه ونووه وارادوه
فيغفر للمؤمنين ويأخذ به اهل الكفر والنفاق ثم ادخل عن ابن عباس ما يشبه هذا المعنى
وقال مجاهد الاية فيما نطوا على النفوس من الشك واليقين وقال الحسن الاية محكمة ليست بمنسوخة
قال الطبرى وقال اخرون نحو هذا الذى ذكر عن ابن عباس الا انهم قالوا ان العذاب الذى يكون جزا
لما خطر فى النفس وصحبه الفكر هو بمصائب الدنيا والامها وسائر مكارهها ثم اسند عن عائشة
رضى الله عنها نحو هذا المعنى ورجح الطبرى ان الاية محكمة غير منسوخة وهذا هو الصواب
وذلك ان قوله وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه معناه هو مما فى وسعكم وتحت كسبكم وذلك
استصحاب المعتقد والفكر فيه فلما كان اللفظ مما يمكن ان يدخل فيه الخواطر اسفوا الصحابة
والنبى عليه السلام فبين الله لهم ما اراد بالاية الاولى وخصصها ونص على حكمه انه لا يكلف
نفسا الا وسعها والخواطر ليست هى ولا دفعها فى الوسع بل هو امر غالب وليست مما يكسب ولا
يكتسب وكان فى هذا البيان فرجهم وكشف كربهم وباقى الاية محكمة لا نسخ فيها ومما يدفع
امر النسخ ان الاية خبر والاخبار لا يدخلها النسخ فان ذهب ذاهب الى تقرير النسخ فانما يترتب

له فى الحكم الذى لحق الصحابة حين فزعوا من الاية وذلك ان قول النبى صلى الله عليه وسلم لهم قولوا
سمعنا واطعنا يجئ منه الامر بان بينوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله تعالى فى الغفران
فاذا تقرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه ويشبه الاية حينئذ قوله تعالى ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا وابنوا عليه واصبروا
بحسبه ثم نسخ ذلك بعد ذلك واجمع الناس فيما علمت ان هذه الاية فى الجهاد منسوخة بصبر
المائة للمائتين وهذه الاية فى البقرة اشبه شىء بها وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وحمزة والكسائى
فيغفر ويعذب جزما وقرا ابن عامر وعاصم فيغفر ويعذب رفعا فوجه الجزم انه اتبعه ما قبله
ولم يقطعه وهكذا يحسن المشاكلة فى كلامهم ووجه الرفع انه قطعه من الاول وقطعه على احد
وجهين اما ان يجعل الفعل خبرا لابتداء واما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها وقرا
ابن عباس والاعرج وابو حيوة فيغفر ويعذب بالنصب على اضمار ان وهو معطوف على المعنى كما فى قوله
فيضاعفه وقرا الجعفى وخلاد وطلحة بن مصرف اغفر بغير فاء وروى ايضا كذلك فى مصحف
ابن مسعود قال ابن جنى هى على البدل من يحاسبكم فهى تفسير المحاسبة وهذا كقول الشاعر رويدا بنى شيبان
بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلى على سفوان تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى اذا ما غدت فى المارق
المتدان فهذا على البدل وكرر الشاعر الفعل لان الفائدة فيما يليه من القول وقوله تعالى ويعذب من
يشاء يعنى العصاة الذين ينفذ عليهم الوعيد قال النقاش يغفر لمن يشاء اى لمن ينزع عنه ويعذب من
يشاء اى من اقام عليه وقال سفيان الثورى يغفر لمن يشاء العظيم ويعذب من يشاء على الصغير
على الصغير وتعلق بهذه الاية قوم من قال بجواز تكليف ما لا يطاق وقالوا ان الله قد كلفهم امر
وذلك مما لا يطاق وهذا غير بين وانما كان امر الخواطر تاويلا تاوله اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
ولم يثبت تكليفا الا على الوجه الذى ذكر من تقرير النبى صلى الله عليه وسلم اياهم على ذلك ومسئلة تكليف
ما لا يطاق يتكلم عليها فيما بعد ان شاء الله تعالى ولما ذكر المغفرة والتعذيب بحسب مشيئته تعالى عقب
ذلك بذكر القدرة على جميع الاشيا اذ ما ذكر جزء منها **قوله تعالى** امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير سبب هذه الاية انه لما نزلت وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه الاية واشفق منها النبى
عليه السلام واصحابه ثم يقرر الامر على ان قالوا سمعنا واطعنا فرجعوا الى التضرع والاستكانة مدحهم الله
واثنى عليهم فى هذه الاية وقدم ذلك بين يدى رفعه بهم وكشفه لذلك الكرب الذى اوجبه تاولهم فجمع لهم
تعالى التشريف بالمدح والثنا ورفع المشقة فى امر الخواطر وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع الى الله كما
جرى لبنى اسرائيل ضد ذلك من ذمهم وتحميلهم المشقات من الذلة والمسكنة والجلاء اذ قالوا
سمعنا وعصينا وهذه ثمرة العصيان والتمرد على الله اعاذنا الله من نقمة وامن معناه صدق والرسول
محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من ربه هو القران وسائر ما اوحى اليه من جملة ذلك هذه الاية التى
تاولوها شديدة الحكم ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه قال ويحق له ان يؤمن
وقرا ابن مسعود وامن المؤمنون وكل لفظة تصلح للاحاطة وقد يستعمل غير محيطة على جهة التشبيه با
بالاحاطة والقرينة تبين ذلك فى كل كلام ولما وردت هنا بعد قوله والمؤمنون كل امن دل ذلك على
احاطتها من ذكر والايمان بالله هو التصديق به وبصفاته ورفض الاصنام وكل معبود سواه والايمان
بملائكته هو اعتقادهم عباد الله ورفض معتقدات الجاهلية فيهم والايمان بكتبه هو التصديق
التصديق بكل ما انزل على الانبيا الذين يتضمن ذكرهم كتاب الله المنزل على محمد عليه السلام او ما
اخبر هو به وقرا ابن كثير ونافع وعاصم فى رواية ابى بكر وابن عامر وكتبه على الجمع فى التحريم وكتابه على
على التوحيد وقرا ابو عمرو هنا وفى التحريم وكتبه على الجمع وقرا حمزة والكسائى وكتابه على التوحيد فيهما
وروى حفص عن عاصم ها هنا وفى التحريم وكتبه مثل ابى عمرو وروى خارجة عن نافع مثل ذلك وكل
قراءة من هذه فرجهور من العلما فمن جمع اراد جمع كتاب ومن افرد اراد المصدر الذى يجمع كل مكتوب
كان نزوله من عند الله تعالى هذا قول بعضهم وقد وجهه ابو على وهو كما قالوا نسج اليمن وقال ابو على
فى صدر كلامه اما الافراد فى قول من قرا وكتابه فليس كما يفرد المصادر وان اريد بها الكثير
كقوله تعالى وادعوا ثبورا كثيرا ونحو ذلك فان قلت هذه الاسما التى يراد بها الكثير انما يجئ مفردة
وهى مضافة قيل وقد جاء فى المضاف ما يعنى به الكثرة ففى التنزيل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وفى الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا مراد به الكثير كما يراد بما فيه لام التعريف ومنه
قول الراجز يدع الحى بالعشى رعاها وهم عن رعيهم اغنيا ويجئ اسما الاجناس معرفة بالالف
واللام اكثر من مجيئها مضافة وقرات الجماعة ورسله بضم السين وكذلك رسلنا ورسلكم ورسلك
الا ابا عمرو فروى عنه تخفيف رسلنا ورسلكم وروى عنه فى رسلك التثقيل والتخفيف قال ابو على من

قرأ على رسلك بالتثقيل فذلك اصل الكلمة ومن خفف فكما يخفف في مثل عنق وطنب فاذا خفف
في الاحاد فذلك اجري في الجمع الذي هو اثقل وقرأ يحيى بن يعمر وكتبه ورسله بسكون البا والسين
وقرأ ابن مسعود وكتابه واياته ورسله وقرأ جمهور الناس لا نفرق بالنون والمعنى يقولون
لا نفرق وقرأ سعيد بن جبير ويحيى بن يعمر وابو زرعة بن عمر بن جرير ويعقوب لا يفرق بالبا وهذا
على لفظ كل وقالوا لا يفرقون وهي في حرف ابن مسعود لا يفرقون ومعنى الاية ان المومنين ليسوا كاليهود
والنصارى في انهم يومنون ببعض ويكفرون ببعض وقوله تعالى وقالوا سمعنا واطعنا مدح يقتضي الحض
على هذه المقالة وان يكون المومن يمثلها غابر الدهر والطاعة قبول الاوامر وغفرانك مصدر كا
لكفران والخسران ونصبه على جهة نصب المصادر والعامل فيه فعل مقدر تقديره واغفر غفرانك
وقال غيره نطلب او نسل غفرانك واليك المصير اقرار بالبعث والوقوف بين يدي الله تعالى وروى
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال له جبريل يا محمد ان الله قد احسن الثنا عليك وعلى امتك
فسل تعطه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ن قوله
تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها خبر جزم نص على انه لا يكلف من وقت نزول هذه الاية عباده
من اعمال القلب والجوارح الا وهي في وسع المكلف وفي مقتضى ادراكه وبنيته وبهذا انكشف الكربة
عن المسلمين في تاولهم امر الخواطر وتاول من يجوز تكليف ما لا يطاق هذه الاية انه لا يكلف ولا كلف
وليس ذلك بنص في الاية ولا ايضا يدفع اللفظ ولذلك شاع الخلاف وهذا المعنى الذي ذكرناه في
هذه الاية يجري مع معنى قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم
في الدين من حرج وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق
في الاحكام التي هي في الدنيا بعد اتفاقهم انه ليس واقعا الان في الشرع وان هذه الاية اذنت تقدمه
فقال ابو الحسن الاشعري وجماعة من المتكلمين تكليف ما لا يطاق جائز عقلا ولا يخرم ذلك شيا من
عقايد الشرع ويكون ذلك امارة على تعذيب المكلف وقطعا به وينظر الى هذا تكليف المصورين
يعقد شعيرة واختلف القائلون بجوازه هل وقع في رسالة محمد عليه السلام ام لا فقالت فرقة وقع
في نازلة ابي لهب لانه حكم عليه بتبت اليدين وصلى النار وذلك بانه موقن بانه لا يومن لانه اذا امن
فلا محالة انه يومن بسورة تبت يدا ابي لهب وقالت فرقة لم يقع قط وقوله تعالى سيصلى نارا انما
معناه ان وافى قال رحمه الله وما لا يطاق ينقسم اقساما فيه المحال عقلا كرفع انسان جبلا ومنه
المحال عادة كالجمع بين الضدين ومنه ما لا يطاق من حيث هو مهلك كالاحتراق بالنار ونحوه ومنه
ما لا يطاق للاشتغال بغيره وهذا انما يقال فيه ما لا يطاق على تجوز كثير ويكلف يتعدى الى مفعولين
احدهما محذوف تقديره عبادة او شيئا وقرأ ابن ابي عبلة الا وسعها بفتح الواو وكسر السين و
هذا فيه تجوز لانه مقلوب وكان وجه اللفظ الا وسعته كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض
وكما قال تعالى وسع كل شي علما ولكن يجي هذا من باب ادخلت القلنسوة في راسي وفيما في الحجر وقوله
تعالى لها ما كسبت يريد من الحسنات وعليها ما اكتسبت يريد من السيئات قاله السدي وجماعة
من المفسرين لا خلاف في ذلك والخواطر ونحوها امر من كسب الانسان وجاءت العبارة في الحسنات
بانها من حيث هي مما يفرح بكسبه ويسر المرء بها فيضاف الى ملكه وجاءت في السيئات بعليها من حيث
هي اوزار واثقال ومتحملات صعبة وهذا كما يقول لي مال وعلي دين وكما قال المصدق باللفظة
اللهم عن فلان فاني نعلي ولي وكرر فعل الكسب فخالف بين التصريف حسنا لنمط الكلام كما قال
فمهل الكافرين امهلهم رويدا هذا وجه والذي يظهر لي في هذا ان الحسنات هي مما تكسب
دون تكلف اذ كاسبها على جادة امر الله ورسم شرعه والسيئات تكسب بنا المبالغة اذ
كاسبها يتكلف في امرها خرق حجاب نهي الله تعالى ويتخطاه اليها فيحسن في الاية مجي التصريفين
احرازا لهذا المعنى وقال المهدوي وغيره وقيل معنى الاية لا تواخذ احد بذنب احد وهذا صحيح في نفسه
لكن من غير هذه الاية وقوله تعالى ربنا لا تواخذنا معناه قولوا في دعائكم واختلف الناس في معنى
قوله ان نسينا او اخطأنا فذهب الطبري وغيره الى انه النسيان بمعنى الترك اي ان تركنا شيا من طاعتك
وانه الخطا المذكور المقصود قالوا واما النسيان الذي يغلب المرء والخطاء الذي هو عن اجتهاد
فهو موضوع عن المرء وليس بمامور بالدعا في ان لا تواخذه وذهب كثير من العلما الى ان الدعاء في
هذه الاية انما هو في النسيان الغالب والخطا غير مقصود وهذا هو المقصود الصحيح عندي قال قتاده
في تفسير الاية بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي عن نسيانها وخطاها وقال
السدي لما نزلت هذه الاية فقالوها قال جبريل للنبي عليه السلام قد فعل الله ذلك يا محمد فظاهر

قولها

قولهما ما صحته وذلك ان المؤمنين لما كشف عنهم ما خافوه في قوله تعالى يحاسبكم به الله
امروا بالدعاء في دفع ذلك النوع الذي ليس من طاقة الانسان دفعه وذلك في النسيان والخطاء
والاصر الثقيل وما لا يطاق على اتم انواعه وهذه الاية على هذا القول يقتضي جواز تكليف ما لا
ولذلك امر المؤمنين بالدعاء في ان لا يقع هذا الجائز الصعب ومذهب الطبري والزجاج ان
تكليف ما لا يطاق غير جائز فالنسيان عندهم المتروك من الطاعات والخطا هو المقصود
من العصيان والاصر هي العبادات الثقيلة كتكليف بني اسرائيل من قتل انفسهم وقرض
ابدانهم وتحميلهم العهود الصعبة وسعاقباتهم على معاصيهم في ابدانهم حسب ما كان
يكتب على ابوابهم وما لا طاقة لنا به هو عندهم على تجوز كما يقول لا طاقة لي على خصومة فلان
ولغير ذلك من الامور تستصعب وان كنت في الحقيقة تطيقها او يكون ذلك لا طاقة لنا به
من حيث هو مهلك لنا كعذاب جهنم وغيره واما لفظة اخطا فقد تجي مع الاجتهاد وفي
القصد قال قتادة الاصر العهد والميثاق الغليظ وقاله مجاهد وابن عباس والسدي وابن
جريج والربيع وابن زيد وقال عطا الاصر المسخ قردة وخنازير وقال ابن زيد ايضا الاصر الذنب
لا كفارة فيه ولا توبة منه وقال مالك رحمه الله الاصر الامر الغليظ الصعب والاصرة
في اللغة الامر الرابط من ذمام او قرابة او عهد ونحوه هذه العبارات كلها تنحو نحوه والاصار
الحبل الذي يربط به الاحمال ونحوها يقال اصر ياصر اصرا والاصر بكسر الهمزة الاسم من ذلك وفي هذا
نظر وروي عن عاصم انه قرأ اصرا بضم الهمزة ولا خلاف ان الذين من قبلنا يراد به اليهود وقال
الضحاك والنصارى واما عبارات المفسرين في قولهم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال قتادة
لا تشدد علينا كما شددت على الذين من قبلنا وقال الضحاك لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق وقال
نحوه ابن زيد وقال ابن جريج لا تمسخنا قردة وخنازير وقال سلام بن سابور الذي لا طاقة لنا به الغلمة
وحكاه النقاش عن عطا ومجاهد وعن مكحول وروي ان ابا الدردا كان يقول في دعائه واعوذ بك من
غلمة ليس لها عدة وقال السدي هو التغليظ والاغلال التي كانت على بني اسرائيل من التحريم ثم قال
تعالى فيما امر المؤمنين واعف عنا فيما واقعناه واكشف واغفر لنا اي استر علينا ما علمت منا وارحمنا
اي بفضلك المسدى برحمتك رحمة لنا فهي مباح من الدعا متباينة وان كان الغرض المراد بكل واحد منها واحد
وهو دخول الجنة وانت مولانا مدح في مضمنه تقرب اليه وشكر على نعمه ومولى هو ولي فهو مفعل اي
موضع الولاية ثم ختم الدعوة يطلب النصر على الكافرين الذي هو ملاك قيام الشرع وعلو الكلمة و
وجود السبيل الى انواع الطاعات وروى ان جبريل عليه السلام اتى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال
قل ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فقالها فقال جبريل قد فعل الى السورة وتظاهرت بهذا
المعنى احاديث وروي عن معاذ بن جبل انه كان اذا فرغ من قراءة هذه السورة قال امين قال
رحمه الله وهذا يظن به انه رواه عن النبي عليه السلام فان كان ذلك وكمال وان كان بقياس على
سورة الحمد من حيث هنالك دعاء وهنا دعا فحسن وروى ابن مسعود عن عقبة بن عامر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه يعني من قيام الليل
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما اظن احدا عقل وادرك الاسلام ينام حتى يقراهما وروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت هولا الايات من اخر سورة البقرة من كنز تحت العرش ولم يوتهن
احد قبلي نجز تفسير سورة البقرة والحمد لله على ذلك كثيرا تفسير سورة ال عمران ولله الحمد
بسم الله الرحمن الرحيم هذه السورة مدنية باجماع فيما علمت وحكى النقاش
ان اسم هذه السورة في التوراة طيبة قوله تعالى الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا
بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ن قد تقدم ذكر اختلاف العلماء في الحروف التي في
اوائل السور في اول سورة البقرة ومن حيث جاء في هذه السورة الله لا اله الا هو الحي القيوم جملة قائمة
بنفسها فتتصور تلك الاقوال كلها في الم في هذه السورة وذهب الجرجاني في النظم الى ان احسن الاقوال
هنا ان يكون الم اشارة الى حروف المعجم كانه يقول هذه الحروف كتابك او نحو هذا ويدل قوله الله لا اله
الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب على ما ترك ذكره مما هو خبر عن الحروف قال وذلك في نظمه مثل قوله افمن
شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وترك الجواب لدلالة قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
عليه تقديره كمن قسا قلبه ومنه قول الشاعر فلا تدفنوني ان دفني محرم عليكم ولكن خامري ام عامر
التقدير ولكن اتركوني للتي يقال لها خامري ام عامر قال القاضي رحمه الله ويحسن في هذا القول ان يكون
نزل خبر قوله تعالى الم حتى يرتبط الكلام الى هذا المعنى وهذا الذي ذكره القاضي الجرجاني فيه نظر لان مثله ليست
صحيحة بالمعنى الذي نحا اليه وما قاله في الاية محتمل ولكن الابدع في الاية ان يكون الم لا يضم ما بعدها

لحال وعلي دين لان المال على النفس اسهل بلا تعب واما الدين على النفس احمز بتعب لان تحصيل المال عسير ولذا ادا الدين لان الدين عسير على النفس ويقتضي اخباره بحرف زائد وكذلك كاسبه للخير على النفس افراز المال عن نفسه لانه امر مستقيم ورسم شرعي وكاسبه بلا تعب ولا كلفة واما ممدوح عند الله وعند الناس

الى نفسها فى المعنى وان يكون الله لا اله الا هو الحى القيوم كلاما مبتداء جزما جملة زاده على نصارى
نجران الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاجوه فى عيسى بن مريم وقالوا انه الله وذلك
ان ابن اسحق والربيع وغيرهما ممن ذكر السير رووا ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستون راكبا نصارى فيهم من اشرافهم اربع عشر رجلا فى الاربع عشر ثلثة نفر اليهم يرجع
امرهم احدهم يسما العاقب وهو امير القوم وذو رايهم ويسما عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب
مجتمعهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة احد بكر بن وابل اسقفهم وعالمهم فدخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اثر صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فقال اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما راينا وفدا مثلهم جمالا وجلالة وجائت صلوتهم فقاموا فصلوا فى مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشرق فقال النبى عليه السلام دعوهم ثم قاموا بالمدينة اياما
تناظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيسى بن مريم ويزعمون انه الله الى غير ذلك من اقوال الشيعة
مضطربة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم بالبراهين القطعى القاطعة وهم لا يبصرون
ونزل فيهم صدر هذه السورة الى نيف وثمانين اية منها الى ان ال امرهم الى ان دعاهم الى الابتهال وسياتى
تفسير ذلك وقرا السبع الم الله بفتح الميم والالف ساقطة وروى عن عاصم انه سكن الميم ثم قطع
الالف وروى الاولى التى هى كالجماعة حفص وروى الثانية ابو بكر وذكرها الفرا عن عاصم وقرا ابو
جعفر الرواسى وابو حيوة الم بكسر الميم لالتقاء الساكنين وذلك ردى لان اليا يمنع من ذلك والصواب
الفتح قراه الجمهور قال ابو على حروف الهجا مبنية على الوقف والميم ساكنة فحركت الميم بالفتح كما حركت النون
فى قولك من الله ومن المسلمين الى غير ذلك ومن قال بان حركة الهمزة القيت على الميم فذلك ضعيف لاجماعهم
على ان الالف الموصولة فى التعريف يسقط فى الوصل فما سقط فلا يلقى حركته قاله ابو على وقد تقدم تفسير
قوله الحى القيوم فى اية الكرسى والاية هناك اخبار لجميع الناس وكررت هنا اخبار الحجج هؤلاء النصارى ويرد
عليهم اذ هى الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى بن مريم لانهم يقولون انه صلب فذلك موت فى معتقد
هم لا محالة وادمن البين ليس بقيوم وقرا جمهور القرا القيوم ووزنه فيعول وقرا عمر بن الخطاب
رضى الله عنه وعبد الله بن مسعود وعلقمة بن قيس القيام ووزنه فيعال وروى عن علقمة ايضا
انه قرا القيم ووزنه فيعل وهذا كله من قام بالامر يقوم به اذا اضطلع بحفظه وبجميع ما يحتاج اليه
فى وجوده فالله تعالى القيام على كل شىء مما ينبغى له او فيه او عليه وتنزيل الله الكتاب هو بوساطة الملك
جبريل عليه السلام والكتاب فى هذا الموضع القران باتفاق من المفسرين وقرا جمهور الناس نزل
بتشديد الزاى الكتاب بنصب البا وقرا ابراهيم النخعى نزل بتخفيف الزاى ورفع البا وهذه الاية يقتضى ان
قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم جملة مستقلة سبحانه وقوله بالحق يحتمل معنيين احدهما ان يكون المعنى
ضمن الحقايق من خبره وامره ونهيه ومواعيظه فالبا على حدها فى قولك جاءنى كتاب بخبر كذا وكذا اى ذلك
الخبر معض فيه والثانى ان يكون المعنى انه نزل الكتاب باستحقاق ان ينزل لما فيه من المصلحة الشاملة
وليس ذلك على انه واجب على الله تعالى ان يفعله بل الحق ان يفعله فالبا فى هذا المعنى على حدها فى قوله
تعالى الحكاية عن عيسى عليه السلام سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وقال محمد بن جعفر بن
الزبير معنى قوله بالحق اى مما اختلف فيه اهل الكتاب واضطرب فيه هؤلاء النصارى الوافدون
وهذا داخل فى المعنى الاول ومصدقا حال مؤكدة وهى داخلة غير مستقلة لانه لا يمكن ان يكون
غير مصدق بما بين يديه من كتب الله فهو كقول ابن دارة انا ابن دارة معروفا بها نسبى وهل بدارة
ما للناس من عار وما بين يديه هى التورية والانجيل وسائر الكتب من الله التى تلقيت من شرعنا
كالزبور والصحف وما بين اليد فهذه الحوادث هو المتقدم فى الوقت والتوراة والانجيل
اسمان اصلهما عبرانى لكن النحاة واهل اللسان حملوهما على الاشتقاق العربى فقالوا فى التوراة
انها من ورى الزناد يرى اذا قدح وظهرت ناره يقال اورى وورى فورى ومنه قوله تعالى
فالموريات قدحا وقوله افرايتم النار التى تورون قال ابو على فاما قولهم ورى بك زنادى
على وزن فعلت فزعم ابو عثمان انه استعمل فى هذا الكلام ولم يجاوز وانه غيره وتوراة
عند الخليل وسيبويه وسائر البصريين فوعلة تحرك اصلها ووزنه فقلبت الواو الاولى
ياء كما قلبت فى تولج واصله وولج من ولج وحكى الزجاج عن بعض الكوفيين ان توراة
اصلها تفعلة بفتح العين من وريت بك زنادى انما ينبغى ان يكون من اوريت قال فهى
توراة وقال بعضهم يصلح ان يكون تفعلة بكسر العين مثل توصية ثم ردت الى تفعل
بفتح العين قال الزجاج وكانه يجيز فى توصية توصاها وذلك غير مسموع وعلى كل قول
باليا لما انفتح ما قبلها وتحركت هى انقلبت الفا فقيل توراة ورجح ابو على قول البصريين وضعف
غيره وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم التوراة مفتوحة الرا وكان حمزة ونافع يلفظان بالرا

بين

بين الفتح والكسر وكذلك فعلا فى قوله من الابرار والاشرار وروى المسيبى عن نافع فتح الرا من التوراة
وروى عنه ورش كسرها وكان ابو عمرو والكسائى يكسران الرا من التوراة ويميلان من الابرار
وغيرها اشد من امالة حمزة ونافع وقالوا فى الانجيل انه افعيل من النجل وهو الماء الذى ينز من الارض
قال الخليل استنجلت الارض وبها نجال اذا خرج منها الماء والنجل ايضا الولد والنسل قاله الخليل
وغيره ونجله ابوه اى ولده ومن ذلك قول الاعشى انجب ايام والديه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا
قال ابو عبيد عن ابى على معنى قوله ايام والديه كما يقول انا بالله وبك وقال ابو الفتح معنى البيت انجب
والداه به ايام اذ نجلاه فهو كقولك يومئذ وحينئذ لكنه حال بالفاعل بين المضاف الذى هو ايام
وبين المضاف الذى هو اذ ويروى هذا البيت انجب ايام والديه والنجل الرمى بالشى وذلك ايضا
من معنى الظهور وفراق شى شيئا وحكى ابو القاسم الزجاجى فى نوادره بان الولد يقال له نجل وان اللفظة
من الاضداد واما ستر هى فالرواية الصحيح فيه وكل محل له نجل اى ولد كريم ونسل وروى
الاصمعى فيما حكى وكل فرع له نجل وهذا لا يتجه الا على تسمية الولد نجلا وقال الزجاج الانجيل ماخوذ من
النجل وهو الاصل وهذا ينحو الى ما ذكره ابو القاسم قال ابو الفتح فالتوراة من ورى الزناد اذا ظهرت
ناره والانجيل من نجل اذا ظهر ولده او من ظهور الماء من الارض فهو مستخرج اما من اللوح المحفوظ
او من التوراة والفرقان من الفرق بين الحق والباطل فخروفها مختلفة والمعنى قريب بعضه من بعض اذ كلها
معناه ظهور الحق وبيان الشرع وفصله من غيره من الاباطيل وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة وذلك لا
يتجه من كلام العرب ولكن يحمله مكانه الحسن من الفصاحة وانه لا يقرا الا بما روى واراه يحايه يحو
الاسماء الاعجمية وقوله تعالى من قبل يعنى من قبل القران وقوله هدى للناس معناه دعا والناس بنو اسرائيل
فى هذا الموضع لانهم المدعون بهما لا غيره واراد انهما هدى فى ذاتهما مدعو اليه فرعون وغير منصوب
لمن اهتدى به فالناس عام فى كل من شاء حينئذ ان يستنصر وقال هنا للناس وفى البقرة هدى
للمتقين وذلك عندى لان هذا خبر مجرد وقوله هدى للمتقين خبر مقرون بالاستدعا والتصرف
الى الايمان فحسب الصفة ليقع من السامع النشاط والبدار وذكر الهدى الذى هو الدعا
او الهدى الذى هو فى نفسه معد ان تهدى به الناس فسمى هدى لذلك وقال ابن فورك التقدير
هنا هدى للناس المتقين ويرد هذا العام الى ذلك الخاص فى هذا وفى هذا نظر والفرقان القران
سمى بذلك لانه فرق بين الحق والباطل قال محمد بن جعفر فرق بين الحق والباطل فى امر عيسى عليه السلام
الذى جادل فيه الوفد وقال قتادة والربيع وغيرهما فرق بين الحق والباطل فى امر الشرائع وفى الحلال
والحرام ونحوه والفرقان يعم هذا كله وقال بعض المفسرين الفرقان هنا كل امر فرق بين الحق والباطل فيما
قدم وحدث فيدخل فى هذا التاويل طوفان نوح وفرق البحر لغرق فرعون ويوم بدر وسائر افعال الله
المفرقة بين الحق والباطل فكانه تعالى ذكر الكتاب العزيز ثم التوراة والانجيل ثم كل افعاله ومخلوقاته
التى فرقت بين الحق والباطل كما فعلت هذه الكتب ثم توعد تعالى الكفار عموما بالعذاب الشديد وذلك يعم
عذاب الدنيا بالسيف والغلبة وعذاب الاخرة بالنار والاشارة بهذا الوعيد الى نصارى نجران
وقال النقاش الى اليهود كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وبنى اخطب وغيرهم وعزيز معناه غالب
وقد دل له كل شىء والنقمة والانتقام معاقبة المذنب بمبالغة فى ذلك قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه
شىء فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذى
انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ن هذه الاية خبر عن علم الله
تعالى بالاشيا على التفصيل وهذه صفة لم يكن لعيسى ولا لاحد من المخلوقين ثم اخبر عن تصويره البشر
فى ارحام الامهات وهذا امر لا ينكره عاقل ولا ينكر ان عيسى وسائر البشر لا يقدرون عليه ولا ينكر
ان عيسى عليه السلام من المصورين فهذه الاية تعظيم لله تعالى فى ضمنها الرد على نصارى نجران
وفى قوله ان الله لا يخفى عليه شىء وعيد لهم فسر بنحو هذا محمد بن جعفر بن الزبير والربيع وفى قوله هو الذى
يصوركم رد على اهل الطبيعة اذ يجعلونها فاعله مستبدة وشرح النبى صلى الله عليه وسلم كيفية
التصوير فى الحديث الذى رواه ابن مسعود وغيره ان النطفة اذا وقعت فى الرحم مكثت نطفة اربعين
يوما ثم تكون علقة اربعين يوما ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى اليه ملكا فيقول يا رب
ذكر ام انثى اشقى ام سعيد الحديث بطوله على اختلاف الفاظه وفى مسند بن سنجر حديث ان الله
يخلق عظام الجنين وغضاريفه من منى الرجل ولحمه وشحمه وسائر ذلك من منى المراة وصور
بناء مبالغة من صار يصور اذا امال وثنى الى حال ما فلما كان التصوير اماله الى حال واثباتا جاء
بناؤه على المبالغة والرحم موضع نشاه الجنين وكيف يشاء معناه من قصر وطول ولون وسلامة
وعاهة وغير ذلك من الاختلافات والعزيز الغالب والحكيم ذو الحكمة او المحكم فى مخلوقاته وهذا
اخص مما ذكر من التصوير والكتاب فى هذه الاية القران باجماع من المتاولين والمحكمات المفصلات

المبينات الثابتات الاحكام والمتشابهات هي التي فيها نظر ويحتاج الى تاويل ويظهر فيها بادي
النطق اما تقارضع اخرى واما سع العقل الى غير ذلك من انواع التشابه فهذا الشبه الذي من اجله
يوصف متشابها انما هو بينها وبين المعاني الفاسدة التي يظنها اهل الزيغ ومن لم يمعن النظر و
هذا نحو الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات اى
يكون الشي حراما في نفسه فتشبيه عند من لم يمعن النظر شيا حلالا وكذلك الاية يكون لها في نفسها معنى صحيح
معنى صحيح فتشبه عند من لم يمعن النظر وعند الزايغ معنى اخر فاسدا فربما اراد الاعتراض به على كتاب الله هذا
عندي معنى الاحكام والتشابه في الاية الا ترى ان نصارى نجران قالوا للنبي عليه السلام اليس في كتابك ان
عيسى كلمة الله وروح منه قال نعم قالوا فحسبنا اذا فهذا هو التشابه واختلفت عبارة المفسرين في
تعيين المحكم والمتشابه المراد بهذه الاية فقال ابن عباس المحكمات هي قوله تعالى في سورة الانعام قل
تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا الثلث ايات وقوله في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وهذا عندي مثال اعطاه في المحكمات وقال ابن عباس ايضا المحكمات ناسخة وحلاله وحرامه
وفرايضه وما يومن به والمتشابهات منسوخة ومقدمه ومؤخره وامثاله واقسامه وما يومن
به ولا يعمل به وقال ابن مسعود وغيره المحكمات الناسخات والمتشابهات المنسوخات وهذا عندي
على جهة التمثيل اى يوجد الاحكام في هذا والمتشابه في هذا الا انه وقف على هذا النوع من الايات
وقال بهذا القول قتاده والربيع والضحاك وقال مجاهد وعكرمة المحكمات ما فيه من الحلال والحرام
وما سوى ذلك فهو متشابه يصدق بعضه بعضا وذلك مثل قوله وما يضل به الا الفاسقون
الا الفاسقين وقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذه الاقوال وما ضارعها يضعفها
ان اهل الزيغ لا تعلق لهم بنوع مما ذكرو دون سواه وقال محمد بن جعفر بن الزبير المحكمات هي التي فيهن
حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن له و
المتشابهات لهن تصريف وتحريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد وهذا احسن الاقوال في هذه
الاية وقال ابن زيد المحكم ما احكم فيه قصص الانبياء والامم وبين لمحمد وامته والمتشابه هو ما اشتبهت
ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرار في السور بعضه باتفاق الالفاظ واختلاف المعاني
وبعضه بعكس ذلك نحو قوله تعالى حية تسعى وثعبان مبين ونحو اسلك يدك وادخل يدك
وقال جماعة من العلماء منهم جابر بن عبد الله بن رياب وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان
الثوري وغيرهما المحكمات من اى القران ما عرف العلما تاويله وفهموا معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن
لاحد الى علمه سبيل فما استاثر الله به دون خلقه وقال بعضهم وذلك مثل وقت قيام الساعة و
خروج ياجوج وماجوج والدجال ونزول عيسى بن مريم ونحو الحروف المقطعة في اوائل السور قال العمه
قال الفقيه القاضي ابو محمد رضي الله عنه اما الغيوب التي ياتي فهي من المحكمات لان ما يعلم البشر منها
محدود وما لا يعلمونه وهو تحديد الوقت محدود ايضا واما اوائل السور فهو من المتشابه لانها معرضة
للتاويلات وكذلك اسعته اليهود وارادوا ان يفهموا منه مدة امة محمد عليه السلام وفي بعض
هذه العبارات التي ذكرنا للعلماء اعتراضات وذلك ان التشابه الذي في هذه الاية مقيد بما لاهل
الزيغ به تعلق وفي بعض عبارات المفسرين تشابه لا يقتضي لاهل الزيغ به تعلقا وقوله تعالى هن
ام الكتاب معناه الاعلام بانها معظم الكتاب وعمدة ما فيه اذ المحكم في ايات الله كثير قد فصل
ولم يفرط فيه شي وقال يحيى بن يعمر هذا كما يقال لمكة ام القرى وام خراسان وكما يقال ام الرأس لمجتمع
الشؤون اذ هو اخطر مكان قال المهدوي والنقاش كل اية في كتاب الله يقال لها ام الكتاب وهذا
مردود بل جميع المحكم هو ام الكتاب وقال النقاش وذلك مما يقول كلكم على اشد ضلال وهذا المثال
غير محكم وقال ابن زيد ام الكتاب معناه جماع الكتاب وحكى الطبري عن ابي فاخته انه قال هن ام
الكتاب يراد به فواتح السور اذ منها يستخرج القران الم ذلك الكتاب منه استخرجت سورة
البقرة الم الله لا اله الا هو منه استخرجت سورة آل عمران وهو قول متداع للسقوط مضطرب
لم ينظر قائله اول الاية واخرها ومقصدها وانما المعنى بالاية الانحا على اهل الزيغ والاشارة بذلك
اولا الى نصارى نجران والى اليهود الذين كانوا معارضين لمحمد عليه السلام وانهم كانوا يعترضون
معاني القران ثم يعم بعد ذلك كل زايغ فذكر الله تعالى انه نزل الكتاب على محمد افضالا منه ونعمه وان
محكمه وبينه الذي لا اعتراض فيه هو معظمه والغالب فيه متشابهه الذي يحتمل التاويل ويحتاج الى
التفهم هو اقل ثم ان اهل الزيغ يتركون المحكم الذي فيه غنيتهم ويتبعون المتشابه ابتغاء
الفتنة وان يفسدوا ذات البين ويردوا الناس الى ان يفهم فهكذا يتوجه المذمة فيهم
واخر جمع اخرى ولا ينصرف لانه صفة وعدل عن الالف واللام فانه شي ويجمع وصفات التفصيل
كلها اذا عريت عن الالف واللام لم تثن ولم تجمع كافضل وما جرى مجراه ولا تفاصل جهة الصفة

من شئ

من شئ الا وهي منكرة ومتى دخلت عليها الالف واللام زال معنى التفصيل بين امرين وليس عدل
اخر عن الالف واللام موثرا في التعريف كما هو عدل لسحر بل اخر نكرة واما سحر فعدل فانه زالت الالف
واللام وهي معرفة في قولهم جئت يوم كذا سحر وخلط المهدوي في هذه المسئلة وافسد كلام سيبويه
فتامله قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
ن قوله تعالى الذين في قلوبهم زيغ يعم كل طائفة من كافر وزنديق وصاحب بدعة والزيغ الميل ومنه
زاغت الشمس وزاغت الابصار والاشارة بالاية في ذلك الوقت كانت الى نصارى نجران لتعرضهم
القران في امر عيسى عليه السلام والى اليهود قال الربيع ثم تنسحب على كل بدعة او كفر والميل عن الهدى
فسر الزيغ محمد بن جعفر بن الزبير وابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم وما تشابه منه هو الموصوف
انفا بمتشابهات وقال قتاده في تفسير قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ ان لم يكونوا الحرورية وانواع
الخوارج فلا ادري منهم وقالت عايشة اذا رايتم الذين يجادلون في القران فهم الذين عنى الله
فاحذروهم وقال الطبري الاشبه ان يكون من عنى ذلك قدرا لم من العلم بتاويله وان جعلنا
قوله والراسخون رفعا للابتداء مقطوعا مما قبله فتسميتهم راسخين يقتضي بانهم يعلمون اكثر
من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب وفي اى شي رسوخهم اذا لم يعلموا الا ما يعلم
الجميع وما الرسوخ الا المعرفة بتصاريف الكلام وموارد الاحكام ومواقع المواعظ وذلك جميع
الفريحة معده فالمعنى وما يعلم تاويله على الاستيفا الا الله والقوم الذين يعلمون منه ما يمكن
ان يعلم يقولون في جميع امنا به كل من عند ربنا وهذا القدر هو الذي يعاطي ابن عباس وهو ترجمان
القران ولا يتاول عليه انه تعاطى علم وقت الساعة وامر الروح وما شاكله فاعراب الراسخين
يحمل الوجهين ولذلك قال ابن عباس بهما والمعنى فيهما يتقارب بهذا النظر الذي سطرناه فاما من يقول
ان الساعة هو ما لا سبيل لاحد الى علمه فيستقيم على قوله اخراج الراسخين من علم تاويله لكن تخصيصه
المتشابهات بهذا النوع غير صحيح بل الصحيح في ذلك قول من قال المحكم ما لا يحتمل الا تاويلا واحدا و
المتشابه ما احتمل من التاويل وجها وهذا هو متبع اهل الزيغ وعلى ذلك يترتب النظر الذي ذكرته
ومن قال من العلماء الحذاق بان الراسخين لا يعلمون تاويل المتشابه فانما ارادوا هذا النوع وخافوا
ان نظن احد ان الله تعالى وصف الراسخين بعلم التاويل على الكمال وكذلك ذهب الزجاج الى ان
الاشارة بما تشابه منه انما هي الى وقت البعث الذي انكروه وفسر باقي الاية على ذلك فهذا ايضا
تخصيص لا دليل عليه واما من يقول ان المتشابه هو المنسوخ فيستقيم على قوله ادخال الراسخين في
علم التاويل لكن تخصيصه المتشابهات بهذا النوع غير صحيح ورجح ابن فورك ان الراسخين يعلمون
التاويل واطنب في ذلك وقرا ابي بن كعب وابن عباس ويقول الراسخون في العلم امنا به وقرا ابن
مسعود وابتغاء تاويله ان تاويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون امنا به والرسوخ الثبوت
في الشيء واصله في الاجرام ان يرسخ الجبل والشجر في الارض وسئل النبي عليه السلام عن الراسخين
في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وقوله كل من عند ربنا حذف
الضمير لدلالة كل عليه اذ هي لفظة تقتضي الاضافة ثم قال تعالى وما يذكر الا اولوا الالباب
اى ما يقول هذا ويؤمن ويقف حيث وقف ويدع المتشابه الا ذو لب وهو العقل واولو جمع
ذو قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ن يحتمل ان يكون الاية حكاية
عن الراسخين في العلم انهم يقولون هذا مع قولهم امنا به ويحتمل ان يكون المعنى منقطعا من الاول
لما ذكر اهل الزيغ ذكر بعضهم وذكر ما بين الحالتين عقب ذلك بان علم عباده الدعا اليه
في ان لا يكونوا من الطائفة الذميمة التي ذكرت وهي اهل الزيغ وهذه الاية حجة على المعتزلة
في قولهم ان الله لا يضل العباد ولو لم يكن الازاغة من قبله لما جاز ان يدعى في دفع ما لا
يجوز فعله وتزغ معناه تمل قلوبنا عن الهدى والحق وقرا ابو واقد والجراح لا تزغ قلوبنا
باسناد الفعل الى القلوب وهذه ايضا رغبة الى الله تعالى وقال ابو الفتح ظاهر هذا نحو
الرغبة الى القلوب وانما المسؤول الله تعالى ومعنى الاية على القراءتين اى لا يكن منك خلق
الزيغ فيها فيزيغ هي وقال الزجاج وقيل ان معنى الاية لا تكلفنا عبادة ثقيلة تزيغ منها
قلوبنا وهذا قول فيه التحفظ من خلق الله الزيغ والضلالة في قلب احد من العباد ومن لدنك
معناه من عندك ومن قبلك اى يكون تفضلا لا عن سبب منا ولا عمل وفي هذا استسلام
وتطارح والمعنى وهب لنا نعيما صادرا عن الرحمة لان الرحمة راجع الاية في الذين جادلوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في دينه ومدة امته بسبب حروف اوائل السور وهؤلاء هم اليهود

وابتغاء نصب على المفعول من اجله ومعناه طلب الفتنة وقال الربيع الفتنة هنا الشرك وقال مجاهد الفتنة الشبهات واللبس على المؤمنين ثم قال وابتغاء تاويله والتاويل هو مرد الكلام ومرجعه والشيء الذي يقف عليه من المعاني وهو من آل يؤول اذا رجع فالمعنى وطلب تاويله على منازعهم الفاسدة هذا فيما له تاويل حسن وان كان مما لا يتاول بل يوقف كالكلام في معنى الروح ونحوه فنفس طلب تاويله هو اتباع ما تشابه منه وقال ابن عباس سعوا بمعرفة مدة النبي عليه السلام وامته ثم قال تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فهذا على الكمال والتوفية فيما لا يتاول ولا سبيل لاحد عليه كامر الروح ويعرف وقت قيام الساعة وسائر الاحداث التي انذر بها الشرع وفيما يمكن ان يتاوله العلماء ويصح التطرق اليه فمعنى الاية وما يعلم تاويله على الكمال الا الله واختلف العلماء في قوله والراسخون في العلم فقالت فرقة ان رفع الراسخين هو بالعطف على اسم الله عز وجل وانهم داخلون في علم المتشابه في كتاب الله وانهم مع علمهم به يقولون امنا به قال بهذا القول ابن عباس وقال انا ممن يعلم تاويله وقال مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تاويله ويقولون امنا به وقاله الربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير وغيرهم ويقولون على هذا التاويل نصب على الحال وقالت طائفة اخرى والراسخون في العلم رفع بالابتداء وهو مقطوع من الكلام الاول وخبره يقولون والمنفرد بعلم المتشابه هو الله وحده بحسب اللفظ في الاية وفعل الراسخين قولهم امنا به قالت عايشة وابن عباس ايضا وقال عروة ابن الزبير ان الراسخين لا يعلمون تاويله ولكن يقولون امنا به وقال ابو نهيك الاسدي انكم تصلون هذه الاية وانها مقطوعة وما انتهى علم الراسخين الا الى قولهم امنا به كل من عند ربنا وقال مثل هذا عمر بن عبد العزيز وحكى نحوه الطبري عن يونس عن اشهب عن مالك بن انس قال رحمه الله وهذه المسئلة اذا تاملت بان ان الخلاف فيها من الاتفاق وذلك ان الله تعالى قسم اي الكتاب قسمين محكما ومتشابها فالمحكم هو المتضح المعنى لكل من يفهم كلام العرب لا يحتاج فيه الى نظر ولا يتعلق به شيء يلبس ويستوي في علمه الراسخ وغيره والمتشابه يتنوع فمنه ما لا يعلم البتة كامر الروح واما المغيبات التي قد اعلم الله بوقوعها الى سائر ذلك ومنه ما يحمل على وجوه في اللغة ومناح في كلام العرب فيتاول ويعلم تاويله المستقيم ويزال فيه ما عسى ان يتعلق فيه من تاويل غير مستقيم كقوله في عيسى وروح منه الى غير ذلك ولا يسمى احد راسخا الا بان يعلم من هذا النوع كثيرا بحسب ما قدر له والا فمن لا يعلم سوى المحكم فليس يسمى راسخا وقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله الضمير عائد على جميع متشابه القران وهو نوعان كما ذكرنا وقوله الا الله مقتض بديهة العقل انه يعلمه على الكمال والاستيفاء يعلم نوعيه جميعا فان جعلنا قوله والراسخون في العلم عطفا على اسم الله تعالى فالمعنى ادخالهم في علم التاويل لا على الكمال بل علمهم انما هو في النوع الثاني من المتشابه وبديهة العقل تقتضي بهذا والكلام مستقيم على فصاحة كما يقول ما قام لنصري الا فلان وفلان واحدهما نصرك بان حارب معك والاخر انما اعانك بكلام فقط الى كثير من المثل فالمعنى وما يعلم تاويل المتشابه الا الله والراسخون كل بقدره وما يصلح له والقول بجميع امنا به واذا تحصل لهم في الذي لا يعلم ولا يتصور عليه تمييزه الى صفات الذات فلا يتصور فيها الهيئة وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس اقرار بالبعث ليوم القيمة قال الزجاج هذا هو التاويل الذي علمه الراسخون فاقروا به وخالفوا الذين اتبعوا ما تشابه عليهم من امر البعث حين انكروه والريب الشك والمعنى انه في نفسه حق لا ريب فيه وان وقع فيه ريب عند المكذبين به فذلك لا يعتد به اذ هو خطاء منهم وقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد يحتمل ان يكون اخبارا منه لمحمد عليه السلام وامته ويحتمل ان يكون حكاية من قول الداعين ففي ذلك اقرار بصفة ذات الله تعالى والميعاد مفعال من الوعد قوله تعالى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ن هم الكفار الذين لا يقرون ببعث انما هي على وجه الدهر والى يوم القيمة في زينة الدنيا وهي المال والبنون واخبر الله في هذه الاية ان ذلك التهمم فيه لا يغني عن صاحبه شيئا ولا يمنع من عذاب الله وعقابه ومن في قوله من الله لابتداء الغاية والاشارة بالاية الى معاصري النبي عليه السلام وكانوا يفخرون باموالهم وابنائهم وهي بعد متناولة كل كافر وقرا ابو عبد الرحمن لن يغني عنهم بالياء على تذكير العلامه والوقود بفتح الواو ما يحترق في النار من حطب وغيره وكذلك هي قراءة جمهور الناس وقرا الحسن ومجاهد وجماعة غيرهما الوقود بضم الواو وهذا على حذف المضاف تقديره حطب وقود النار والوقود بضم الواو المصدر وقدت النار تقد اذا اشتعلت والداب بسكون الهمزة وفتحها مصدر داب يداب اذا لازم وداب على كذا اجتهد فيه ويقال المعاده داب فالمعنى في الاية تشبيه هؤلاء في لزومهم الكفر ودوامهم

عليه

عليه باولئك المتقدمين وآخر الاية يقتضي بان نصب هؤلاء مثل ما اصاب اولئك من العقاب والكاف في قوله كداب في موضع رفع التقدير دابهم كداب ويصح ان يكون الكاف في موضع نصب قال الفرا هو نعت لمصدر محذوف تقديره كفرا كداب فالعامل فيه كفروا ورد هذا القول الزجاج بان الكاف خارجة من الصلة فلا يعمل فيها ما في الصله قال رحمه الله ويصح ان يعمل فيه فعل مقدر من لفظ الوقود ويكون التشبيه في نفس الاحتراق ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ادخلوا ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا والقول الاول ارجح الاقوال ان يكون الكاف في موضع رفع والهاء والميم في قبلهم عائده على ال فرعون ويحتمل ان يعود على معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار وقوله باياتنا يحتمل ان يريد بالايات المتلوة ويحتمل ان يريد العلامات المنصوبة واختلفت عبارة المفسرين في تفسير الداب وذلك كله راجع الى المعنى الذي ذكرناه قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ن قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر ستغلبون وتحشرون بالتاء من فوق ويرونهم بالياء من تحت وحكى ابان عن عاصم ترونهم بالتاء من فوق وقرا نافع ثلاثتهن بالتاء من فوق وقرا حمزه والكسائي ثلاثتهن بالياء من تحت ولكل قراءة من هذه قرا جمهور من العلماء وقرا ابن عباس وطلحة بن مصرف وابو حيوه يرونهم بالياء المضمومة وقرا ابو عبد الرحمن بالتاء من فوق مضمومة واختلف من الذي امر بالقول لهم من الكفار فقيل هم جميع معاصريه من الكفار امر بان يقول لهم هذا الذي فيه ونحى هذا المنحى ابو الفتح وهو صحيح قال ابو علي والرؤية في هذه الاية رؤية عين ولذلك تعدت الى مفعول واحد ومثليهم نصب على الحال من الهاء والميم في يرونهم واجمع الناس على ان الفاعل بيرون هم المؤمنون والضمير المتصل هو للكفار الا ما حكى الطبري عن قوم انهم قالوا بل كثر الله عدد المؤمنين في عيون الكفار حتى كانوا عندهم ضعفيهم وضعف الطبري هذا القول وكذلك هو مردود من جهات بل قلل الله كل طائفة في عين الاخرى ليقضي امرا كان مفعولا فقلل الكفار في اعين المؤمنين ليقع التجاسر وتحقير العدو وهذا مع اعتقاد النبي وقوله واعتقاد اولي الفهم من اصحابه انهم من السبع مائة الى الالف لكن اذهب الله عنهم اليها وانتشار العساكر وتخامله الريب حتى قال ابن مسعود في بعض ما روي عنه لقد قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين فقال اظنهم مائة فلما اخذنا الاسرى اخبرونا انهم كانوا الفا وقلل الله المؤمنين في عيون الكفار ليبعدوا وتظاهرت الروايات ان جمع الكفار ببدر كانوا نحو الالف فوق التسع مائة وان جمع المؤمنين كانوا ثلثمائة واربعة عشر رجلا وقيل وثلاثة عشر رجلا وكان الكفار ثلاثة من المؤمنين لكن رجع بنو زهرة مع الاخنس بن شريق ورجع طالب بن ابي طالب واتباع وناس كثير حتى بقي للقتال من تقرب من المثلين وقد ذكر النقاش نحوا من هذا فذكر الله تعالى المثلين اذ امرهما متيقن لم يدفعه قط احد وقد حكى الطبري عن ابن عباس ان المشركين في قتال بدر كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلا وقد ذهب الزجاج وبعض المفسرين الى انهم كانوا نحو الالف واراهم الله للمؤمنين مثليهم فقط فهذا هو التقليل في الاية الاخرى ثم نصرهم عليهم مع علمهم بانهم مثلاهم في العدد لانه قد كان اعلم المسلمين ان المائة منهم يغلب المائتين من الكفار وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم بدر للقوم الف وقوله تعالى لكم اية يريد علامة وامارة ومعتبرا والفئة الجماعة من الناس سميت بذلك لانها يفاء اليها اي يرجع في وقت الشدة وقال الزجاج الفئة الفرقة ماخوذ من فاوت راسه بالسيف ويقال فايته اذا قطعته ولا خلاف ان الاشارة بهاتين الفئتين هي الى يوم بدر وقرا جمهور الناس فئة تقاتل برفع فئة على خبر ابتداء تقديره احدهما فئة تقاتل وقرا مجاهد والحسن والزهري وحميد فئة على الخفض من البدل ومنهم من رفع كافرة ومنهم من خفضها على العطف وقرا ابن ابي عبلة فئة بالنصب وكذلك كافرة قال الزجاج يجعله ذلك على الحال كانه قال التقتا مؤمنة وكافرة ويصح ان يضمر فعل اعني ونحوه وراي العين نصب على المصدر ويؤيد معناه يقوي من الايد وهو القوة قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الماب ن قرا جمهور الناس زين على بناء الفعل للمفعول ورفع حب على انه مفعول لم يسم فاعله وقرا الضحاك ومجاهد زين على بناء الفعل للفاعل ونصب حب على انه المفعول واختلف الناس من المزين فقالت فرقة الله زين ذلك وهو ظاهر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لانه قال لما نزلت هذه الاية قلت الان يا رب حين زينتها لنا فنزلت قل اونبئكم بخير من ذلكم الاية وقالت فرقة المزين الشيطان وهذا ظاهر قول الحسن ابن ابي الحسن فانه قال من زينها ما احد اشد ذما لها من خالقها قال رضي الله عنه اذا قيل زين الله فمعناه بالايجاد والتهيئة للانتفاع وانشاء الجبلة على الميل الى هذه الاشياء واذا قيل زين

الشيطان فمعناه بالوسوسة والخديعة وتحسين اخذها من غير وجوهها والاية تحتمل هذين النوعين من
التزيين ولا يختلف مع هذا النظر وهذه الاية على كلي الوجهين ابتداء وعظ لجميع الناس وفي ضمن ذلك
توبيخ لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم والشهوات ذميمة وطاعتها مهلكة
وقد قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فحسبك ان النار حفت بها فمن
واقعها خلص الى النار والقناطير جمع قنطار وهي العقدة الكبيرة من المال واختلف الناس في تحرير
حده كم هو فروى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القنطار الف ومائتا اوقية
وقال معاذ بن جبل وعبد الله بن عمر وابو هريرة وعاصم بن ابي النجود وجماعة من العلماء وهو اصح
الاقوال لكن القنطار على هذا يختلف باختلاف البلاد في قدر الاوقية وقال ابن عباس والضحاك
ابن مزاحم والحسن القنطار الف ومائتا مثقال وروى الحسن ذلك مرفوعا عن النبي عليه السلام قال
الضحاك وهو من الفضة الف ومائتا مثقال وروي عن ابن عباس انه قال القنطار من الفضة
اثنا عشر الف درهم ومن الذهب الف دينار وروي ذلك عن الحسن والضحاك وقال سعيد بن المسيب
القنطار ثمانون الفا وقال قتادة القنطار مائة رطل من الذهب وثمانون الفا من الفضة وقال
السدي القنطار ثمانية الاف مثقال وهي مائة رطل وقال مجاهد القنطار سبعون الف دينار
وروي ذلك عن ابن عمر وقال ابو نضرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا وقال النقاش القناطير ثلثة
والمقنطرة تسعة لانه جمع جمع وهذا ضعيف نظر وكلام غير صحيح وقد حكى مكي نحوه عن ابن كيسان
لانه قال لا يكون المقنطرة اكثر من تسعة وحكى المهدوي عنه وعن الفراء لا يكون المقنطرة اكثر
من تسعة وهذا كله تحكم وحكى النقاش عن الكلبي ان القنطار بلغة الروم ملء مسك ثور ذهبا
وقال ابن سيده هكذا هو بالسريانية وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض
وقال ابو هريرة القنطار اثنا عشر الف اوقية وحكى مكي قولا ان القنطار اربعون اوقية
من ذهب وفضة وقال ابن سيده في المحكم القنطار بلغة بربر الف مثقال وروى انس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا قال
الف دينار ذكره الطبري وحكى الزجاج انه قيل ان القنطار هو رطل ذهبا او فضة و
اظنها وهما وان القول مائة رطل فسقطت مائة للناقل والقنطار انما هو اسم المعيار
الذي يوزن به كما هو الرطل والربع ويقال لما بلغ ذلك الوزن هذا قنطار اي يعدل القنطار
والعرب يقول قنطر الرجل اذا بلغ ماله ان يوزن بالقنطار وقال الزجاج القنطار ماخوذ من عقد
الشيء واحكامه والقنطرة المعقودة نحوه فكان القنطار عقده قال واختلف الناس في معنى قوله
المقنطرة فقال الطبري معنى قوله المضعفة وكان القناطير ثلثة والمقنطرة تسع وقد تقدم ذكر
هذا النظر وقال السدي معنى المقنطرة المضروبة حتى صارت دنانير ودراهم وقال مكي المقنطرة
المكملة والذي اقول انها اشارة الى حضور المال وكونه عتيدا فذلك اشهر في امره وذلك
انك يقول في رجل غني من الحيوان والاملاك فلان صاحب قناطير مال اي لو قومت املاكه
لاجتمع من ذلك ما يعدل قناطير ويقول في صاحب المال الحاضر العتيد هو صاحب قناطير مقنطرة
اي قد حصلت كذلك بالفعل بها اي قنطرت فهي مقنطرة وذلك اشهى للنفوس واقرب للانتفاع
وبلوغ الامال وقد قال مروان بن الحكم ما المال الا ما حازته العيان واذا كان هذا فسوا
كان المال مصكوكا او غير مصكوك اما ان المصكوك اشهى لما ذكرناه ولكن لا يعطي ذلك
لفظه المقنطرة والخيل جمع خائل عند ابي عبيدة سمي بذلك الفرس لانه يختال في مشيه فهو
كطائر وطير وقال غيره هو اسم جمع لا واحد له من لفظه واختلف المفسرون في معنى المسومة فقال
سعيد بن جبير وابن عباس وعبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى والحسن والربيع ومجاهد معناه
الراعية في المروج والمسارح يقول سامت الدابة والشاة اذا سرحت واسمتها انا اذا تركتها لذلك ومنه قول النبي صلى الله عليه
الى غاية جهدها ولم يقصر على حال دون حال واسمتها انا اذا تركتها لذلك ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم في سائمة الغنم الزكاة ومنه قوله تعالى فيه تسيمون وروي عن مجاهد انه قال المسومة معناه
المطهمة الحسان وقال عكرمة سومها الحسن وروي عن ابن عباس انه قال المسومة معناه المعلمة
شيات الخيل في وجوهها وقال قتادة وشهد لهذا قول لبيد وغداة قاع القريتين اتيتهم رجلا بلوح
خلالها التسويم ومنه قول النابغة الذبياني بسمر كالقداح مسومات عليها معشر اشباه جن
ويحتمل ان يريد المطهمة الحسان ويحتمل ان يريد المعلمة بالسيماء ويحتمل ان يريد المعدة وقد فسر
الناس قوله تعالى مسومة عند ربك بمعنى معدة وقال ابن زيد في قوله تعالى والخيل المسومة معناه المعدة
للجهاد قال رحمه الله قوله للجهاد ليس من تفسير اللفظة والانعام الاصناف الاربعة الابل والبقر
والضان والمعز والحرث هنا اسم لكل ما يحرث وهو مصدر سمي به تقول حرث الرجل حرثا اذا اثار الارض

يعني

يعني الفلاحة وقوله تعالى ذلك متاع الحياة الدنيا قال جمهور المفسرين كان كوما والمتاع ما يستمتع به وينتفع
مدة ما منحصرة والماب المرجع يقول اب الرجل يؤوب اذا رجع ومنه قول الشاعر حتى رضيت
من الغنيمة بالاياب وقول الاخر وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب وقول عبيد
الارض وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب واصل ماب ماوب فنقلت حركة الواو
الى الهمزة وابدل من الواو الف مثل مقال فمعنى الاية تقليل امر الدنيا وتحقيرها والترغيب في حسن
المرجع الى الله تعالى في الاخرة وفي قوله زين للناس حب الشهوات نحو مما في قول النبي صلى الله عليه وسلم
تروج المراة لاربع الحديث وفي قوله تعالى قل اؤنبئكم الاية تمامه بمثابة قول النبي عليه السلام فاظفر
بذات الدين قوله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد في هذه الاية تسلية عن الدنيا
وتقوية لنفوس تاركيها وذكر تعالى حال الدنيا وكيف استقر تزيين شهواتها ثم جاء بالانباء بخير من ذلك
هازا للنفوس وجامعا لها لتسمع هذا النبا المستغرب النافع لمن عقل وانبا معناه اخبر وذهبت فرقة
من الناس الى ان الكلام الذي امر الله النبي عليه السلام بقوله تم في قوله تعالى عند ربهم وجنات على هذا
مرتفع بالابتداء مضمر تقديره ذلك جنات وذهب اخرون الى ان الكلام تم في قوله من ذلكم وان قوله للذين
خبر مقدم وجنات رفع على الابتداء وعلى التاويل الاول يجوز في جنات الخفض بدلا من خير ولا يجوز ذلك
على التاويل الثاني والتاويلان محتملان وقوله من تحتها يعني من تحت اشجارها وعلوها من الغرف
ونحوه وخالدين نصب على الحال وقوله تعالى وازواج عطف على الجنات وهو جمع زوج وهي امراة الانسان
وقد يقال زوجة ولم يات في القران ومطهرة معناه من المعهود في الدنيا من الاقذار والريب وكل ما
يصم في الخلق والخلق ويحتمل ان يكون الازواج الانواع والاشباه والرضوان مصدر من الرضى
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا استقروا فيها وحصل لكل واحد منهم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال الله لهم اتريدون ان اعطيكم ما هو افضل من هذا فقالوا
يا ربنا واي شيء افضل من هذا فيقول الله تعالى لهم احل لكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا هذا سياق
الحديث وقد يجيء مختلف الالفاظ والمعنى قريب بعضه من بعض وفي قوله تعالى والله بصير بالعباد
وعد ووعيد قوله تعالى الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين
والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم الذين بدل من الذين اتقوا وفسر في هذه الاية
احوال المتقين الموعودين بالجنات ويحتمل ان يكون اعراب قوله تعالى الذين في هذه الاية رفعا على
القطع واضمار الابتداء ويحتاج الى القطع واضمار فعل في قوله الصابرين والخفض في ذلك كله على
البدل اوجه ويجوز في الذين وما بعده النصب على المدح والصبر في هذه الاية معناه على الطاعات
وعن المعاصي والشهوات والصدق معناه في القول والافعال والقنوت الطاعة والدعا ايضا
ويجمع ذلك يتصف المتقي والانفاق معناه في سبيل الله ومظان الاجر كالصلة للرحم وغيرها ولا يختص
هذا الانفاق بالزكوة المفروضة والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى وخص تعالى السحر لما
فسر النبي عليه السلام في قوله ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر
فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه فلا يزال كذلك حتى تطلع الفجر وروي
في تفسير قول يعقوب عليه السلام سوف استغفر لكم انه اخرهم الى السحر وروى ابراهيم بن حاطب
عن ابيه قال سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد يقول رب امرتني فاطعتك وهذا السحر فاغفر لي
فنظرت فاذا ابن مسعود وقال انس بن مالك امرنا ان نستغفر بالسحر سبعين استغفاره
وقال نافع كان ابن عمر يحيي الليل صلوة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة ثم يسل
فاذا قلت نعم فقعد يستغفر فلفظ الاية انما تعطي طلب المغفرة وهكذا تاوله من ذكرناه من
الصحابة وقال قتادة المراد بالاية المصلون بالاسحار وقال زيد بن اسلم المراد بها الذين يصلون
الصبح في جماعة وهذا كله يقترن به الاستغفار والسحر بفتح الحاء وسكونها اخر الليل وقال الزجاج
وغيره هو قبل طلوع الفجر وهذا صحيح لان ما بعد الفجر هو من اليوم لا من الليلة وقال بعض اللغويين
السحر من ثلث الليل الاخر الى الفجر والحديث في التنزل وهذه الاية في الاستغفار يؤيدان هذا وقد
يجيء في اشعار العرب ما يقتضي ان حكم السحر يستمر فيما بعد الفجر نحو قول امرئ القيس يعل به برد انيابها
اذا غرد الطائر المستحر يقال سحر واستحر اذا دخل في السحر وكذلك قول زهير بسم السحر يقع لما بعد الفجر
وكذلك قول الشاعر تجد النساء حواسرا يندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار فقد قضى ان السحر يستحي
بطلوع الفجر ولكن حقيقة السحر في هذه الاحكام الشرعية من الاستغفار المحمود ومن سحور الصائم
ومن يمين لو وقعت انما هو من ثلث الليل الباقي الى الفجر وشهد في كلام العرب حضر ومنه قوله تعالى

فمن شهد منكم الشهر فليصمه ثم صرفت الكلمة حتى قيل فيما تقرر علمه في النفس باي وجه تقرر من
حضور او غيره شهد يشهد فمعنى شهد الله اعلم عباده بهذا الامر الحق وتنبه وقال ابو عبيدة شهد الله
معناه قضى الله وهذا مردود من جهات وقرا جميع القرا انه لا اله الا هو بفتح الالف من انه وبكسرها
من قوله ان الدين واستيناف الكلام وقرا الكسائي وحده ان الدين بفتح الالف قال ابو علي ان بدل من انه
الاولى فان شئت جعلته من بدل الشي من الشي وهو هو لان الاسلام يشتمل على التوحيد والعدل
وان شئت جعلته من بدل الاشتمال وان شئت جعلت ان الدين بدلا من القسط لانه هو في المعنى
ووجه الطبري هذه القراءة بان قدر في الكلام واو عطف ثم حذفت وهي مرادة كانه قال وان
الدين وهذا ضعيف وقرا عبد الله بن العباس انه بكسر الالف من انه وقرا ان الدين بفتح الالف
فاعمل شهد في ان الدين وجاء قوله في انه اعتراضا جميلا في نفس الكلام المتصل وتاول السدي الاية
على نحو قراءة ابن عباس فقال الله وملائكته والعلماء يشهدون ان الدين عند الله الاسلام وقرا
ابو المهلب عم محارب بن دثار شهداء الله على وزن فعلاء وبالاضافة الى المكتوبة قال ابو الفتح هو
نصب على الحال من الضمير في المستغفرين وهو جمع شهيد وجمع شاهد كعالم وعلماء وروي عن ابي
المهلب هذا انه قرا شهداء الله برفع الشهداء وروي عنه انه قرا شهد على وزن فعل بضم الفاء
والعين ونصب شهدا على الحال وحكى النقاش انه قرا شهد الله بضم الشين والهاء والاضافة الى
المكتوبة قال فمنهم من نصب الدال ومنهم من رفعها واصوب هذه القراءات قراءة الجمهور و
ارتفاع الشهادة على التوحيد والملائكة واولوا العلم عطف على اسم الله تعالى وعلى
بعض ما ذكرنا من القراءات يجي قوله والملائكة واولوا العلم ابتدا وخبره مقدر كانه والملائكة
والملائكة واولوا العلم يشهدون وقائما نصب على الحال من اسمه تعالى في قوله شهد الله
او من قوله الا هو وقرا ابن مسعود القائم بالقسط والقسط العدل **قوله تعالى** ان
الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب **ن** قد تقدم ذكر اختلاف
القرا في كسر الالف من ان الدين وفتحها والدين في هذه الاية الطاعة والملة ان الدين
المقبول او النافع او المقرر والاسلام في هذه الاية هو الايمان والطاعات قال ابو
العالية وعليه جمهور المتكلمين وعبر عنه قتادة ومحمد بن جعفر بن الزبير بالايمان و
مرادهما انه مع الاعمال والاسلام هو الذي سال عنه جبريل عليه السلام حين جاء
يعلم الناس دينهم وكذلك تفسير قوله عليه السلام بني الاسلام الحديث وكل مؤمن
تنكه ملتزم لطاعات شرعه فهو داخل تحت هذه الصفة وفي قراءة ابن مسعود ان
الدين عند الله الاسلام باللام ثم اخبر تعالى عن اختلاف اهل الكتاب انه كان على علم
منهم بالحقائق وانه كان بغيا وطلبا للدنيا قاله ابن عمر وغيره والذين اوتوا الكتاب
لفظ يعم اليهود والنصارى لكن الربيع بن انس قال المراد بهذه الاية اليهود وذلك ان
موسى عليه السلام لما حضره الوفاة دعا سبعين حبرا من احبار بني اسرائيل فاستودعهم التوراة
عند كل حبر جزءا واستخلف يوشع بن نون فلما مضى ثلاثة قرون وقع الخلف منهم وقال
محمد بن جعفر بن الزبير المراد بهذه الاية النصارى وهو توبيخ لنصارى نجران وبغيا
نصب على المفعول من اجله او على الحال من الذين ثم توعد عز وجل الكفار بسرعة الحساب ويحتمل
ان يراد بها سرعة مجي القيامة والحساب اذ هي متيقنة الوقوع فكل ات قريب ويحتمل ان يراد بسرعة
الحساب ان الله تعالى باحاطته بكل شي علما لا يحتاج الى عد ولا فكرة قاله مجاهد **قوله تعالى**
فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ااسلمتم فان
اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد **ن** حاجوك فاعلوك من الحجة
والضمير في حاجوك لليهود او لنصارى نجران والمعنى ان جادلوك وتعنتوا بالاقاويل المزورة والمغالطات
فاسند الى ما كلفت من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك وقوله وجهي يحتمل ان يراد به المقصد كما يقول
خرج فلان في وجه كذا فيكون معنى الاية جعلت مقصدي لله ويحتمل ان يكون المعنى في الاية اسلمت شخصي
وذاتي وكليتي وجعلت ذلك لله وعبر بالوجه اذ الوجه اشرف اعضاء الشخص واجمعها للحواس وقد قال
حذاق المتكلمين في قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام انها عبارة عن الذات واسلمت في هذا
المواضع بمعنى دفعت وامضيت وليست بمعنى دخلت في السلم لان تلك لا تتعدى وقوله تعالى ومن اتبعني
في موضع رفع عطف على الضمير في اسلمت ويحتمل ان يكون مبتدا اي ومن اتبعني اسلم وجهه وقال بعضهم
يحتمل ان يكون في موضع خفض عطفا على اسم الله تعالى كانه يقول جعلت مقصدي الايمان والطاعة لله
ولمن اتبعني بالحفظ له والتحفي والتعليم وكذلك في اتبعني حذف اليا واثباتها احسن اتباعا للخط

المصحف

المصحف وهذه النون انما هي لتسلم فتحة لام الفعل فهي مع الكسرة تغني عن اليا لا سيما اذا كانت راس اية
فانها تشبه قوافي الشعر كما قال وهل يمنعني ارتياد البلاد من حذر الموت ان ياتين ومن ذلك قوله
ربي اكرمن فاذا لم يكن نون فاثبات اليا احسن لكنهم قالوا هذا غلام قد جاء فاكتفوا بالكسرة دلالة
على اليا والذين اوتوا الكتاب في هذا الموضع يجمع اليهود والنصارى باتفاق والاميون هم الذين
لا يكتبون وهم العرب في هذه الاية وهذه النسبة هي الى الام او الى الامة اي كما هي الام او على حال
الامة الساذجة قبل التعلم والتحذق وقوله ااسلمتم تقرير في ضمنه الامر هكذا قال الطبري وغيره
وذلك بين وقال الزجاج ااسلمتم تهدد وهذا حسن لان المعنى ااسلمتم ام لا وقوله تعالى فقد اهتدوا
جاءت العبارة بالماضي مبالغة في الاخبار بوقوع الهدى لهم وتحصله وقوله تعالى فانما عليك
البلاغ ذكر بعض الناس انها اية موادعة وانها مما نسخته اية السيف وهذا يحتاج ان يقترن به معرفة
تاريخ نزولها واما ظاهر نزول هذه الايات في وقت وفد نجران فانما المعنى فانما عليك البلاغ بما
فيه من قتال وغيره والبلاغ مصدر بلغ بتخفيف عين الفعل وفي قوله تعالى والله بصير بالعباد
وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين **قوله تعالى** ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين **ن** قال محمد بن جعفر بن الزبير وغيره ان هذه الاية في
اليهود والنصارى **قال** الفقيه ابو محمد ويعم كل من كان بهذه الحال والاية توبيخ لمعاصري
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمساوي اسلافهم وبقائهم انفسهم على فعل ما امكنهم من
تلك المساوي لانهم كانوا حراصا على قتل محمد صلى الله عليه وسلم وروي ان بني اسرائيل
قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا وقامت سوق البقل بعد ذلك وروى ابو عبيدة بن الجراح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فاجتمع من عبادهم واحبارهم
مائة وعشرون ليغيروا وينكروا فقتلوا اجمعين كل ذلك في يوم واحد وذلك معنى قوله
تعالى ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس وقوله تعالى بغير حق مبالغة في التحذير
من طريق الامكان ان يقتضي ذلك امر الله بوجه ما من تكذيب او غير ذلك وعلى هذا
المعنى تجي افعل من كذا اذا كان فيهما شياع مثل احب وخير وافضل ونحوه يقوله بين شيئين
ظاهرهما ان لا اشتراك منهما وقرا جمهور الناس ويقتلون الذين يامرون بالقسط
وقرا حمزة وجماعة من غير السبع ويقاتلون الذين وفي مصحف ابن مسعود وقاتلوا الذين
وقرأها الاعمش وكلها متوجهة واسها قراءة الجمهور وبالقسط العدل وجاءت
البشارة بالعذاب من حيث نص عليه واذا جاءت البشارة مطلقة فمحملها على المستحسن
ودخلت الفا في قوله فبشرهم بعذاب لما في الذي من معنى الشرط في هذا الموضع فذلك
بمنزلة قولك الذي يفعل كذا فله كذا اذا اردت ان ذلك انما يكون له بسبب فعله الشي
الاخر فيكون الفعل قصاصها ويكون بحيث لم يدخل عليها بغير معناها كليت ولعل
وهذا المعنى نص في كتاب سيبويه في باب ترجمته هذا باب الحروف التي تنزل منزلة الامر والنهي لان فيها
معنى الامر والنهي وحبطت معناه بطلت وسقطت حكمها وحبطها في الدنيا بقاء الذم واللعنة عليهم
وحبطها في الاخرة بكونها هباء منثورا وتعذيبهم عليها وقرا ابن عباس وابو السمال العدوي
حبطت بفتح الباء وهي لغة ثم نفى النصر عنهم في كلا الحالتين **قوله تعالى** الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم
قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون **ن** قال ابن عباس نزلت هذه الاية بسبب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال
له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ملة ابراهيم فقالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة
فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فنزلت وذكر النقاش انها نزلت لان جماعة من يهود انكروا نبوة
محمد فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هلموا الى التوراة ففيها صفتي فابوا فالكتاب في قوله
من الكتاب هو اسم الجنس والكتاب في قوله الى كتاب الله هو التوراة وقال قتادة وابن جريج الكتاب
في قوله الى كتاب الله هو القران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم اليه وكانوا يعرضون
ورجح الطبري القول الاول وقال مكي الكتاب الاول اللوح المحفوظ والثاني التوراة وقرا جمهور
الناس ليحكم بفتح اليا اي ليحكم الكتاب وقرا الحسن وابو جعفر وعاصم الجحدري ليحكم بضم اليا وبناء
الفعل للمفعول وخص الله تعالى فريقا منهم بالتولي دون الكل لان منهم من لم يتول كابن سلام

وغيره وقوله تعالى ذلك بانهم الاشارة فيه الى التولى والاعراض اى انما تولوا واعترضوا الاعتراضهم
بهذه الاقوال والافترا الذى فى قولهم نحن ابناء الله واحباؤه الى غير ذلك وهذا المعنى وكان من قول
بنى اسرائيل لن تمسنا النار الا اربعين يوما عدد الايام التى عبدوا فيها العجل قاله الربيع وقتاده وحكى
الطبرى انهم قالوا ان الله وعدنا ايام يعقوب الا يدخل احدا من ولده النار الا تحلة القسم وفى الحديث
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لليهود من اول من يدخل النار فقالوا نحن فيها يسيرا ثم تخلفونا
فيها فقال لهم كذبتم الحديث بطوله ويفترون معناه يشتقون ويختلقون من الاحاديث فى مدح
سبهم وانفسهم وادعا الفضائل لها ثم قال تعالى خطابا لمحمد وامته على جهة التوقيف والتعجيب
فكيف حال هؤلاء المغترين بالاباطيل اذا حشروا يوم القيمة واضمحلت تلك الزخارف التى ادعوها
فى الدنيا وجوزوا بما اكتسبوه من كفرهم واعمالهم القبيحة قال النقاش واليوم الوقت وكذلك قوله فى
ستة ايام وفى يومين وفى اربعة ايام انما هى عبارة عن اوقات والصحيح فى يوم القيمة انه يوم لان قبله
ليلة وفيه شمس واللام فى قوله ليوم طالبة لمحذوف قال الطبرى تقديره لما يحدث فى يوم قوله تعالى قل اللهم
مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير
انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من
الحى وترزق من تشاء بغير حساب ن قال بعض العلما هذه الاية دامغة لباطل نصارى نجران
فى قولهم ان عيسى هو الله وذلك ان هذه الاوصاف تبين لكل صحيح الفطرة ان عيسى عليه السلام
ليس فى شىء منها وقال قتاده ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم سال ربه ان يجعل فى امته ملك
فارس والروم فنزلت الاية فى ذلك وقال مجاهد الملك فى هذه الاية النبوة والصحيح انه مالك الملك
كله مطلقا فى جميع انواعه وروى ان الاية نزلت بسبب ان النبى عليه السلام بشر امته بفتح ملك فارس وغيره
فقالت اليهود لكمنا فهيهات هيهات وكذبوا ذلك واختلف النحويون فى تركيب لفظة اللهم بعد اجماعهم
على انها مضمومة الهاء مشددة الميم المفتوحة وانها منادى ودليل ذلك انها لا تاتى مستعملة
فى معنى خبر فذهب الخليل وسيبويه والبصريين ان الاصل يا الله فلما استعملته الكلمة دون حرف النداء
الذى هو يا جعلوا بدل حرف النداء هذه الميم المشددة والضمة فى الهاء هى ضمة الاسم المنادى المفرد
وذهب حرفان فعوض بحرفين ومذهب الفرا والكوفيين ان اصل اللهم يا الله ام بخير وان ضمة الهاء
هى ضمة الهمزة التى كانت فى ام ثعلب ورد الزجاج على هذا القول وقال محال ان يترك الضم الذى هو
الدليل على النداء المفرد وان يجعل فى اسم الله ضمة ام هذا الحاد فى اسم الله تعالى وهذا غلو من الزجاج
وقال ايضا ان هذا الهمز الذى يطرح فى الكلام فشانه ان يؤتى به احيانا كما قالوا ويلمه فى ويل امه والاكثر
اثبات الهمز وما سمع قط يا الله ام فى هذه اللفظة وقال ايضا ولا تقول العرب يا اللهم وقال الكوفيون
انه قد تدخل حرف النداء على اللهم وانشدوا وما عليك ان تقولى كلما سبحت او هللت يا اللهم
ما اردد علينا شيخنا مسلما قالوا فلو كانت الميم عوضا من حرف النداء لما اجتمعا قال الزجاج وهذا شاذ
لا يعرف قائله ولا يترك له ما فى كتاب الله وفى جميع ديوان العرب قال الكوفيون وانما تزاد الميم مخففة فى
فم وابنم ونحوه فاما ميم مشددة فلا يزاد قال البصريون لما ذهبت حرفان عوض بحرفين ومالك
نصب على النداء نص سيبويه ذلك فى قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض وقال ان اللهم لا
يوصف لانه قد ضمت اليه الميم قال الزجاج ومالك عندى فى الاعراب صفة لاسم الله تعالى وكذلك
فاطر السموات قال ابو على وهو مذهب ابى العباس وما قال سيبويه اصوب وذلك انه ليس فى الاسما
الموصوفة شىء على حد اللهم لانه اسم مفرد ضم اليه صوت والاصوات لا يوصف نحو غاق وما اشبهه
وكان حكم الاسم المفرد ان لا يوصف وان كانوا قد وصفوه فى مواضع نحو جهل فلم يوصف قال
النضر بن شميل من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه كلها وقال الحسن اللهم مجمع الدعا و
خص تعالى الخير بالذكر وهو تعالى بيده كل شىء اذ الاية فى معنى دعا ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل
حظى منه وقيل المراد بيدك الخير والشر فحذف لدلالة احدهما على الاخر كما قال تقيكم الحر قال النقاش
بيدك الخير اى النصر والغنيمة وقال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتاده والسدى وابن زيد فى معنى
قوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل انه ما ينتقص من النهار فيزيد فى الليل وما ينتقص
من الليل فيزيد فى النهار دابا كل فصل من السنة وتحتمل الفاظ الاية ان يدخل فيها تعاقب الليل
والنهار كان زوال احدهما ولوج فى الاخر واختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى وتخرج الحى من الميت
وتخرج الميت من الحى قال الحسن معناه تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وروى نحوه عن سلمان
الفارسى وروى الزهرى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على بعض ازواجه فاذا بامراة حسنة
النعمة فقال من هذه فقالت احدى خالاتك فقال ان خالاتى بهذه البلدة لغرائب اى خالاتى هى قالت
خالدة بنت الاسود بن عبد يغوث فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله يخرج الحى من الميت وكانت

امرأة

امرأة صالحة وكان ابوها كافرا وهو احد المستهزئين الذين كفيهم النبى صلى الله عليه وسلم فالمراد
على هذا القول موت قلب الكافر وحياة قلب المومن والموت والحياة مستعاران وذهب جمهور كثير من
العلماء الى ان الحياة والموت فى الاية انما هما الموت حقيقة والحياة حقيقة لا باستعارة ثم اختلفوا
فى المثل الذى فسروا بها فقال عكرمة هو اخراج الدجاجة وهى حية من البيضة وهى ميتة واخراج البيضة
وهى ميتة من الدجاجة وهى حية ولفظ الاخراج فى هذا المثال وما ناسبه لفظ متمكن على عرف
استعماله وقال عبد الله بن مسعود فى تفسير الاية هى النطفة تخرج من الرجل وهو حى وتخرج
الرجل منها حيا وهى ميتة ولفظ الاخراج فى نقل النطفة حتى يكون رجلا انما هو عبارة عن تغيير
الحال كما تقول فى صبى جيد البنية يخرج من هذا رجل قوى وهذا المعنى تسميه ابن جنى التجريد اى تجرد
الشىء من حال الى حال هو خروج وقد يحتمل قوله تعالى ويخرج الميت من الحى ان يراد به ان الحيوان كله
ميتة فهذا هو معنى التجريد بعينه وانشد ابن جنى امات ابن مروان طلما دما ونا وفى الله ان لم
ينصفوا حكم عدل وروى السدى عن ابى مالك فى تفسير الاية هى الحبة تخرج من السنبلة
والسنبلة تخرج من الحبة والنواة تخرج من النخلة والنخلة تخرج من النواة والحياة فى النخلة
والسنبلة تشبيه وقوله تعالى بغير حساب قيل معناه بغير حساب منك لانه تعالى لا يخاف
ان ينقص خزائنه هذا قول الربيع وغيره وقيل معنى بغير حساب اى من غنى لانه تعالى
لا معقب لامره وقرا عاصم فى رواية ابى بكر وابن كثير وابو عمرو وابن عامر الميت بسكون
اليا فى جميع القرآن وروى حفص عن عاصم بتشديد اليا وقرا نافع وحمزه والكسائى
غير هذه الحروف قال ابو على الميت هو الاصل والواو التى هى عين منه انقلبت بادغام
اليا فيها وميت بالتخفيف محذوف منه عينه اعلت بالحذف كما اعلت بالقلب والحذف
حسن والاتمام حسن ومامات ومالم يمت فى هذا الباب يستويان فى الاستعمال و
ذهب قوم الى ان الميت بالتخفيف انما يستعمل فيما قد مات واما الميت بالتشديد
فاستعمل فيما مات وفيما لم يمت بعد قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من
دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذ
ويحذركم الله نفسه والى الله المصير هذا النهى عن الاتخاذ انما هو فيما يظهره
المرء فاما ان يتخذ بقلبه ونيته فلا يفعل ذلك مؤمن والمنهيون هنا قد قرر لهم
الايمان فالنهى انما هو عن اظهار اللطف للكفار والميل اليهم ولفظ الاية عام فى جميع الاعصار و
اختلف الناس فى سبب الاية فقال ابن عباس كان كعب بن الاشرف وابن ابى الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا
بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن حثمة لاولئك
لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا مباطنتهم فابى اولئك النفر الا مباطنتهم
وموالاة اليهود فنزلت الاية وقال قوم نزلت الاية فى قصة حاطب ابن ابى بلتعه وكتابه الى اهل مكة
والاية عامة فى جميع هذا ويدخل فيها فعل ابى لبابة فى اشارته الحلقه حين بعث فى اسير الى
بنى قريظة واما تعذيب بنى المغيرة لعمار فنزل فيما اباح النبى عليه السلام لعمار الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وقوله تعالى من دون عبارة عن كون الشىء الذى يضاف اليه دون منحا
ليس من الامر الاول فى شىء وفى المثل وامر دون عبيدة الوذم كانه من غير ان ينتهى الى الشىء الذى
يضاف اليه ورسمها الزجاج المضاده للشرف من الشىء الدون وفيما قاله نظر وقوله فليس من الله
فى شىء معناه فى شىء مرضى على الكمال والصواب وهذا كما قال النبى عليه السلام من غشنا فليس
منا وفى الكلام حذف مضاف تقديره فليس من التقرب الى الله والتزلف ونحو هذا ثم اباح
الله اظهار اتخاذهم بشرط الاتقا فاما ابطانه فلا يصح ان يتصف به مومن فى حال وقرا الجمهور
الناس تقاة اصله وقية على وزن فعلة بضم الفا وفتح العين ابدلوا من الواو تاء كتجاه وتكاة
فصار تقية ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فجاء تقاة قال ابو على يجوز ان يكون تقاة
مثل رماة حالا من تتقوا وهو جمع فاعل وان كان لم يستعمل منه فاعل ويجوز ان يكون جمع
تقى وجعل فعل بمنزلة فاعل وقرا ابن عباس والحسن وحميد بن قيس ويعقوب الحضرمى ومجاهد
وقتاده والضحاك وابو رجا والجحدرى وابو حيوة تقية بفتح التا وشد اليا على وزن فعيلة
وكذلك روى المفضل عن عاصم وامال الكسائى القاف فى تقاة فى الموضعين وامال حمزه فى هذه
الاية ولم يمل فى قوله تعالى حق تقاته وفتح سائر القرا القاف الا ان نافعا كان يقرؤها بين الفتح والكسر
وذهب قتاده الى ان معنى الاية الا ان تتقوا منهم تقاة من جهة صلة الرحم لمسلمين وكان الاية
عنده مبيحة للاحسان الى القرابة من الكفار وذهب جمهور المفسرين الى ان معنى الاية الا ان تخافوا
منهم خوفا وهذا هو معنى التقية واختلف العلماء فى التقية ممن تكون ومن اى شىء تكون واى شىء

سمح فاما الذى يكون منه التقيه وكل قادر غالب يكره يكون منه فيدخل فى ذلك الكفار اذا غلبوا
وجوزه الروسا والسلابه واهل الجاه فى الحواضر قال مالك وزوج المراة قد يكره واما باى شى
يكون التقيه ويترتب حكمها فذلك نحو القتل والخوف على الجوارح وبالضرب بالسوط وبسائر
التعذيب فاذا فعل بالانسان شى من هذا او خافه خوفا متمكنا فهو مكره وله حكم التقية والسجن اكره
والتقييد اكراه والتهديد اكراه والوعيد اكراه وعداوة اهل الجاه والحوزه تقيه وهذا كلها
بحسب حال المكره وبحسب الشى الذى يكره عليه فكم من الناس ليس السجن فيهم باكراه وكذلك
الرجل العظيم يكره بالسجن والضرب غير المتلف ليكفر فهذا لا يتصور تقية من جهة عظم الشى الذى
يطلب منه ومسائل الاكراه هى من النوع الذى يدخله فقه الحال واما اى شى سمح فاتفق العلما على
اباحتها للاقوال باللسان من الكفر وما دونه من بيع وهبة وطلاق واطلاق القول بهذا كله
ومن مداراه مصانع وقال ابن مسعود ما من كلام يدرا عنى سوطين من ذى سلطان الا كنت
متكلما به واختلف الناس فى الافعال فقال جماعة من اهل العلم منهم الحسن ومكحول ومسروق
يفعل المكره كلما حمل عليه مما حرم الله فعله وينجى نفسه بذلك قال مسروق فان لم يفعل حتى مات
دخل النار وقال كثير من اهل العلم منهم سحنون بل ان لم يفعل حتى مات فهو ماجور وترك ذلك المباح
افضل له من استعماله وروى عن عمر بن الخطاب قال فى رجل يقال له نهيب بن الحرث اخذه الفوس الفرس
اشترا فعرض عليه شرب الخمر واكل الخنزير وهدد بالنار فلم يفعل فقذفوه فيها فبلغ ذلك عمر بن
الخطاب فقال وما كان على نهيب ان ياكل وقال جمع كثير من العلما التقية انما هى مسحة للاقوال فاما
الافعال فلا روى ذلك عن ابن عباس والربيع والضحاك وروى ذلك عن سحنون وقال الحسن والرجل
يقال له اسجد للصنم والا قتلناك قال ان كان الصنم مقابل القبلة فليسجد ويجعل نيته لله وان
كان الى غير القبلة فلا وان قتلوه قال ابن حبيب وهذا قول حسن قال الفقيه القاضى ابو محمد وما
يمنع ان يجعل نيته لله وان كان لغير قبلة وفى كتاب الله فاينما تولوا فثم وجه الله وفى الشرع اباحة
التنفل للمسافر الى غير القبلة هذا قواعد مسئلة التقيه واما شعب مسائلها فكثير لا يقتضى
الايجاز جمعه وقوله تعالى ويحذركم الله الى اخر الاية وعيد وتنبيه ووعظ وتذكير بالاخرة وقوله نفسه
نائبة عن اياه وهذه مخاطبة على معهود ما يفهمه البشر والنفس فى مثل هذا راجع الى الذات
وفى الكلام حذف مضاف لان التحذير انما هو من عقاب وتنكيل ونحوه فقال ابن عباس والحسن و
يحذركم الله عقابه **قوله تعالى** قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما
فى الارض والله على كل شى قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد **ت** الضمير فى تخفوا هو للمؤمنين
الذين نهوا عن اتخاذ الكافرين اولياء والمعنى انكم ان اظهرتم الحرص على اظهار موالاتهم فان الله
يعلم ذلك ويكرهه منكم وقوله تعالى ويعلم ما فى السموات وما فى الارض معناه على التفصيل وقوله
على كل شى قدير معناه على كل شى يجوز دخوله تحت القدرة ويوم نصب على الظرف واختلف فى العامل
فيه فقال مكى العامل فيه قدير وقال الطبرى العامل فيه قوله والى الله المصير وقال الزجاج وقال ايضا
العامل فيه ويحذركم الله نفسه وقال مكى العامل فيه فعل مضمر تقديره اذكر يوم وما بمعنى الذى ومحضرا
قال قتاده معناه موفرا وهذا تفسير بالمعنى والحضور من ان تفسر بلفظ اخر وقوله تعالى
وما عملت من سوء يحتمل ان يكون معطوفة على ما الاولى فهى فى موضع نصب ويكون تود فى موضع الحال
والى هذا العطف ذهب الطبرى وغيره ويحتمل ان يكون ما رفعا بالابتداء ويكون الخبر فى قوله تود وما
بعده كانه قال وعملها السى مودود عندها ان بينها وبينه امدا وفى قراة ابن مسعود من سوء
ودت وكذلك قرا ابن ابى عبلة ويجوز على هذه القراة ان يكون ما شرطية ولا يجوز ذلك على قراة
تود لان الفعل مستقبل مرفوع والشرط يقتضى جزمه اللهم الا ان يقدر فى الكلام محذوف فهى
تود وفى ذلك ضعف والامد الغاية المحدوده من المكان والزمان قال النابغه **:** او سابق سابق
الجواد اذا استولى على الامد **:** فهذه غاية فى المكان قال الطرماح **:** كل حى مستكمل عدة العمر ومود اذا
انقضى امده **:** وهذه غاية فى الزمان وقال الحسن فى تفسير هذه الاية يسر احدهم ان لا يلقى عمله ذلك
ابدا ذلك مناه واما فى الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها وقوله تعالى والله رؤف بالعباد
يحتمل ان يكون اشارة الى التحذير لان تحذيره وتنبيهه على النجاة زلفة منه بعباده ويحتمل ان يكون
ابتداء اعلام بهذه الصفة فمقتضى ذلك التانيس لئلا يفرط الوعيد على نفس مؤمن ويجى الاية
على نحو قوله ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور رحيم لان قوله ويحذركم الله نفسه معناه والله
محذور العقاب **قوله تعالى** قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله
غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين **ت** اختلف المفسرون

فيهم امر

فيهم امر محمد عليه السلام ان يقول له هذه المقاله فقال الحسن وابن جريج ان قوما على عهد النبى صلى الله عليه
وسلم قالوا يا محمد انا نحب ربنا فنزلت هذه الاية جعل الله فيها اتباع محمد صلى الله عليه وسلم علما للحبة و
قال محمد بن جعفر بن الزبير امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا المقال لنصارى نجران ان كان قولكم فى
عيسى وغلوكم فى امره حبا لله فاتبعونى ويحتمل ان يكون الاية عامة لاهل الكتاب اليهود والنصارى لانهم
كانوا يدعون انهم يحبون الله ويحبهم الا ترى انهم جميعا قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولفظ واحباؤه انما
يعطى ان الله يحبهم ولكن يعلم ان مرادهم ويحبوه فحسن ان يقال لهم ان كنتم تحبون الله وقرا الزهرى فاتبعونى
بتشديد النون وقرا ابو رجاء يحببكم بفتح اليا وضم البا الاولى من حب وهى لغة قال الزجاج حببت قليلة فى
فى اللغة وزعم الكسائى انها لغة قد ماتت عليها استعمل محبوب والمحبة اراده يقترن بها اقبال من النفس
وميل بالمعتقد وقد يكون الاراده المجرده فيما يكره المريد والله تعالى يريد وقوع الكفر ولا يحبه
ومحبة العبد لله تعالى يلزم عنها ولا بد ان يطيعه ويكون اعماله بحسب اقبال النفس وقد مثل **:**
بعض العلماء حين راى الكعبة فانشد **:** هذه داره وانت محب ما بقاء الدموع فى الاماق **::**
ومحبة الله تعالى للعبد امارتها للمتامل ان يرى العبد مهتديا مسددا ذا قبول فى الارض
فلطف الله بالعبد ورحمته اياه هى ثمرة محبته وبهذا النظر يتفسر لفظ المحبة حيث وقعت
من كتاب الله عز وجل وذكر الزجاج ان ابا عمرو قرا ويغفر لكم بادغام الراء فى اللام وخطا
القراء وغلط من رواها عن ابى عمرو فيما حسب وذهب الطبرى الى ان قوله قل اطيعوا الله و
والرسول خطاب لنصارى نجران وفى قوله فان الله لا يحب الكافرين وعيد ويحتمل ان يكون بعد
الصدع بالقتال **قوله تعالى** ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امراة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى
محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم **ت** لما قضى صدر من محاجة نصارى نجران والرد
عليهم وفساد ما هم عليه جاءت هذه الايات معلمة بصورة الامر الذى قد ضلوا فيه ومنبه
عن حقيقته كيف كانت فبدا تعالى بذكر فضله على هذه الجملة التى ال عمران منها ثم خص امراة
عمران بالذكر لان القصد وصف قصة القوم الى ان يتبين امر عيسى عليه السلام وكيف كان
واصطفى معناه اختار صفوة الناس فكان ذلك هؤلاء المذكورين وبقى الكفار كدرا و
ادم هو ابونا عليه السلام اصطفاه الله تعالى بالايجاد والرسالة الى بنيه والنبوة و
التكليم حسب ما ورد فى الحديث وحكى الزجاج عن قوم ان الله اصطفى ادم عليه السلام
بالرسالة الى الملائكة فى قوله انبئهم باسمائهم وهذا ضعيف ونوح عليه السلام هو ابونا
الاصغر فى قول الجمهور وهو اول نبى بعث الى الكفار وانصرف نوح مع عجمته ويعرف لخفة الاسم
كهود ولوط وال ابراهيم يعنى الخليل عليه السلام وال فى اللغة الاهل والقرابة ويقال
للاتباع واهل الطاعة ال فمنه ال فرعون ومنه قول الشاعر وهو اراكه السهمى وهو يعزى نفسه
فى اخيه عمر فلا تبك ميتا بعد ميت اجنه على وعباس وال ابى بكر اراد جميع المؤمنين
وال فى هذه الاية يحتمل الوجهين فاذا قلت اراد بالال القرابة والنسبة فالتقدير ان الله
اصطفى هؤلاء على عالمى زمانهم او على العالمين عاما بان يقدر محمد عليه السلام من ال ابراهيم وان
قلنا اراد بالال الاتباع فيستقيم دخول امة محمد فى الال لانها على ملة ابراهيم وذهب منذر بن
سعيد وغيره الى ان ذكر ادم يتضمن الاشارة الى المؤمنين به ومن بعده وكذلك ذكر نوح عليه
السلام وان الال الاتباع فعمت الاية جميع مؤمنى العالم وكان المعنى ان الله اصطفى المؤمنين على الكافرين
وخص هؤلاء بالذكر تشريفا لهم ولان الكلام فى قصة بعضهم وال عمران يحتمل ايضا من التاويل ما
تقدم من ال ابراهيم وعمران هو رجل من بنى اسرائيل من ولد سليمان بن داود فيما حكى الطبرى قال مكى هو
عمران بن ماثان وقال قتاده فى تفسير هذه الاية ذكر الله تعالى اهل بيتين صالحين ورجلين صالحين
ففضلهم على العالمين وكان محمد من ال ابراهيم وقال ابن عباس اصطفى الله هذه الجملة بالدين والنبوة
والطاعة له وقوله تعالى ذرية بعضها من بعض نصب على البدل وقيل على الحال لا بمعنى ذرية بعضها من
بعض متشابهين فى الدين والحال وهذا اظهر من البدل فالذرية فى عرف الاستعمال يقع لما تناسل من
الاولاد واشتقاق اللفظ فى اللغة يعطى ان يقع على جميع الناس اى كل احد ذرية لغيره فالناس كلهم ذرية
بعضهم لبعض وهكذا استعملت الذرية فى قوله انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون اى ذرية هذا الجنس
ولا يسوغ ان يقول فى الوالد هذا ذرية لولده واللفظ من ذرئت وهكذا يجى معناها وكذلك ان جعلت ها
من ذرى وكذلك ان جعلت من ذرا او من الذر الذى هو صغار النمل قال ابو الفتح الذرية يحتمل ان تكون
مشتقة من هذه الحروف الاربع وطول ابو الفتح القول فى وزنها على كل اشتقاق من هذه الاربعة احرف
تطويلا لا يقتضى هذا الايجاز ذكره وذكرها ابو على فى الاعراف فى ترجمة من ظهورهم ذرياتهم قال

قال الزجاج اصلها فعليه من الذر لان الله اخرج الخلق من صلب ادم عليه السلام كالذر قال ابو الفتح
هذه نسبة الى الذر غيراولها كما قالوا في النسبة الى الحرم حرمى بكسر الحا وغير ذلك من بعض النسب قال الزجاج
واصل ذرية ذروره وزنه فعلوله فلما كثرت الراات ابدلوا من الاخيره يا فصارت ذرورية ثم ادغمت
الواو في اليا فجاءت ذريه قال رحمه الله فهذا اشتقاق من ذر يذر او من ذرى واذا كانت من
ذرا فوزنها فعليه كمريقه اصلها ذرية فالزمت البدل والتخفيف كما فعلوا في البريه في قول من راها من برا
الله الخلق وفي كوكب درى في قول من راه من درا لانه يدفع الظلمة بضوءه وقرا جمهور الناس ذرية بضم الذال
وقرا زيد بن ثابت والضحاك ذرية بكسر الذال وقوله بعضها من بعض اى في الايمان والطاعة وانعام الله
عليهم بالنبوة واختلف الناس في قوله اذ قالت فقال ابو عبيده معمرا اذ زائدة وهذا قول مردود وقال
المبرد والاخفش العامل فعل مضمر تقديره اذكر اذ وقال الزجاج العامل معنى الاصطفا التقدير واصطفى
آل عمران اذ وعلى هذا القول يخرج عمران من الاصطفا وقال الطبرى ما معناه ان العامل في اذ قوله سميع
وامراة عمران اسمها حنه بنت فاقوذ فيما ذكر الطبرى عن ابن اسحق وهى ام مريم بنت عمران ومعنى قوله نذرت
لك ما في بطنى محررا اى جعلت نذرا على ان يكون هذا الولد الذى في بطنى حبيسا على خدمة بيتك محررا من كل
خدمة وشغل من اشتغال الدنيا اى عتيقا من ذلك فهو من لفظ الحرية ونصبه على الحال قال مكى وقيل نصبه
على النعت لمفعول محذوف تقديره غلاما محررا وفي هذا نظر والبيت الذى نذرته له هو بيت المقدس
قال ابن اسحق كان سبب نذر حنه انها كانت قد امسك عنها الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا فحملت بمريم
فهلك عمران فلما علمت ان في بطنها جنينا جعلته نذرا لله ان تخدم الكنيسة لا ينتفع به في شى من امر الدنيا
وقال مجاهد محررا معناه خادما للكنيسة وقال مثله السدى وسعيد بن جبير وكان هذا المعنى من التحرير
للكنايس عرف في الذكور خاصة وكان فرضا على الابنا التزام ذلك فقالت ما في بطنى ولم ينص على ذكوريه
لمكان الاشكال ولكنها حرمت الدعوة رجا منها ان يكون ذكرا وتقبل الشى وقبوله اخذه حيث يتصور الاخذ
والرضى به في كل حال فمعنى قولها فتقبل منى اى ارض عنى في ذلك واجعله فعلا مقبولا مجازى به والسميع اشارة
الى دعائها العليم اشارة الى نيتها **قوله تعالى** فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت
وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن
وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا
قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ن هذه الاية خطاب من الله لمحمد عليه السلام و
الوضع الولادة وانث الضمير في وضعتها حملا على الموجوده ورفعا للفظ ما التى في قولها ما في وقولها رب
انى وضعتها انثى لفظ خبر في ضمنه التحسر والتلهف وبين الله ذلك بقوله والله اعلم بما وضعت وقرا
جمهور الناس وضعت بفتح العين واسكان التا وقرا ابن عامر وعاصم في رواية ابى بكر وضعت باسكان
العين وضم التا وهذا ايضا يخرج قولها رب انى وضعتها من معنى الخبر الى معنى التلهف وانما تلهفت
لانهم كانوا لا يحررون الاناث لخدمة الكنايس ولا يجوز ذلك عندهم وكانت رجت ان يكون ما
في بطنها ذكرا فلما وضعت انثى تلهفت على فوت الامل وافزعها ان نذرت ما لا يجوز نذره وقرا ابن
عباس وضعت بكسر التا على الخطاب من الله لها وليس الذكر كالانثى تريد في امتناع نذره اذ الانثى تحيض
ولا تصلح لصحبة الرهبان قاله قتاده والربيع والسدى وغيرهم وبدات بذكر الاهم في نفسها والا فسياق
قصتها يقتضى ان يقول وليس الانثى كالذكر فيضع حرف النفى مع الشى الذى عندها وانتفت عنه صفات
الكمال للغرض المراد وفي قولها وانى سميتها مريم سنه تسمية الاطفال قرب الولادة ونحوه قول النبى صلى الله
عليه وسلم ولد لى الليلة مولود فسميته باسم ابى ابراهيم وقد سن النبى عليه السلام ان ذلك في اليوم السابع يعق
عن المولود ويسمى قال مالك رحمه الله ومن ولد له قبل السابع فلا عقيقه عليه ولا تسميه قال ابن حبيب
احب الى ان يسمى السقط لما روى من رجا شفاعته ومريم لا ينصرف لعجمته وتعريفه وتانيثه وباقى الاية
اعادة وروى في الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم من رواية ابى هريره قال كل مولود من بنى ادم له طعنه
من الشيطان وبها يستهل الصبى الا ما كان من مريم ابنة عمران وابنها فان امها قالت حين وضعتها وانى
اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب بينهما حجاب فطعن الشيطان في الحجاب وقد اختلف الا
الالفاظ هذا الحديث من طرق والمعنى واحد كما ذكره وقوله تعالى فتقبلها اخبار لمحمد عليه السلام بان الله
رضى مريم لخدمة المسجد كما نذرت امها وسنى لها الامل في ذلك والمعنى يقتضى ان الله تعالى اوحى الى
زكريا ومن كان هنالك بان الله قد تقبلها ولذلك جعلوها كما نذرت وقوله بقبول مصدر جاء على غير
الصدر وكذلك قوله نباتا بعد انبت وقوله نباتا حسنا عبارة عن حسن النشاه وسرعة الجودة فيها
في خلقة وخلق وقوله تعالى وكفلها زكريا معناه ضمها الى انفاقه وحضنه والكافل هو المربى الحاضن
وقال ابن اسحق ان زكريا كان زوج خالتها لانه وعمران كانا سلفين على اختين ولدت امراة زكريا يحيى
وولدت امراة عمران مريم وقال السدى وغيره ان زكريا كان زوج ابنة اخرى لعمران ويعضد هذا القول

قول النبى

قول النبى عليه السلام في يحيى وعيسى ابنا الخالة قال مكى وهو زكريا بن ادن وذكر قتاده وغير واحد من اهل
العلم انهم كانوا في ذلك الزمان متشاحون في المحرر عند من يكون من القائمين بامر المسجد فيتساهمون
عليه وانهم فعلوا ذلك في مريم فروى انهم القوا اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة في النهر وقيل اقلاما
بروها من عود كالسهام والقداح وقيل عصيا لهم وروى انهم القوا ذلك في نهر الاردن وروى انهم
القوه في عين وروى ان قلم زكريا صاعد الجرية ونصب اقلام الاخرين مع الما فى جريته وروى ان اقلام
القوم عامت على الما معروضه كما يفعل العيدان وبقى قلم زكريا مرتزا واقفا كانما كان في طين وكفلها
زكريا عليه السلام بهذا الاستهام وحكى الطبرى عن ابن اسحق انها لما ترعرعت صابت بنى اسرائيل
مجاعه فقال لهم زكريا انى قد عجزت عن انفاق مريم فاقترعوا على من يكفلها ففعلوا فخرج السهم على رجل
يقال له جريج فجعل ينفق عليها وحينئذ كان زكريا يدخل عليها المحراب فيجد عندها الرزق وهذا استهام
غير الاول هذا المراد منه دفعها والاول المراد منه اخذها وتضمن هذه الرواية ان زكريا كفلها
من لدن طفولتها دون استهام لان امها هلكت وقد كان ابوها هلك وهى في بطن امها فضمها زكريا
الى نفسه لقرابتها من امراته وهكذا قال ابن اسحق والذى عليه الناس ان زكريا انما كفل بالاستهام
لتشاحهم حينئذ فيمن يكفل المحرر وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وكفلها مفتوحة الفا خفيفة
زكريا مرفوعا ممدودا وقرا عاصم في رواية ابى بكر وكفلها مشددة الفا زكريا ممدودا منصوبا في
جميع القران وقرا حمزه والكساى وعاصم في رواية حفص كفلها مشددة مفتوحة زكريا مقصورا في
جميع القران وفي قراة ابى بن كعب واكفلها زكريا بفتح الفا على التعدية بالهمزة وقرا مجاهد فتقبلها
بسكون اللام على الدعا ربها بنصب الباء على النداء وانبتها بكسر البا على الدعاء وكفلها بكسر الفا وشدها
على الدعاء زكريا منصوبا ممدودا وروى عن عبد الله بن كثير وابى عبد الله المدنى وكفلها بكسر الفا
خفيفة وهى لغة يقال كفل يكفل بضم العين في المضارع وكفل بكسر العين يكفل بفتحها في المضارع وزكريا
اسم اعجمى يمد ويقصر قال ابو على لما عرب صادف العربية في بنائه فهو كالهيجا يمد ويقصر وقال الزجاج فاما
ترك صرفه فلان في ممدوده الفا التانيث قال ابو على الف زكريا الف تانيث ولا يجوز ان يكون الف الحاق
لانه ليس في الاصول شى على وزنه ولا يجوز ان يكون منقلبة ويقال في لغة زكرى معرب قال ابو على هاتان
يا النسب ولو كانتا اللتين في زكريا لوجب ان لا ينصرف الاسم للعجمة والتعريف وانما حذفتا تلك
وجلبت يا النسب وحكى ابو حاتم زكرى بغير صرف وهو غلط عند النحاة ذكره مكى وقوله تعالى كلما ظرف
والعامل فيه وجد والمحراب المبنى الحسن كالغرف والعلالى ونحوه ومحراب القصر اشرف ما فيه وكذلك قيل لاشرف
ما في المصلى المحراب وهو موقف الامام قال الشاعر ربة محراب اذا جئتها لم القها او ارتقى سلما
ومنه قول الاخر كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروض زهره مستنير وقوله تعالى وجد عندها
رزقا معناه طعاما يتغذى به ما لم يعهد ولا يعرف كيف جلب اليها وكانت فيما ذكر الربيع
تحت سبعة ابواب مقفله وحكى مكى انها في غرفة تطلع اليها بسلم وقال ابن عباس وجد عندها
عنبا في مكيل في غير حينه وقال ابن جبير ومجاهد وقال الضحاك ومجاهد ايضا وقتاده كان
تجد عندها فاكهة الصيف في الشتا وفاكهة الشتا في الصيف وقال الحسن كان تجد
عندها رزقا من السماء ليس من عند الناس ولو علم ان ذلك الرزق من عنده لم يسالها عنه
وقال ابن اسحق هذا الدخول الذى ذكره الله تعالى في قوله كلما دخل الاية انما هو دخول زكريا
عليها وهى في كفالة جريج اخيرا وذلك ان جريجا كان ياتيها بطعامها فينميه الله لها ويكثره
حتى اذا دخل عليها زكريا عجب من كثرته فقال يا مريم انى لك هذا والذى عليه الناس اقوى
مما ذكر ابن اسحق وقوله انى معناه كيف ومن اين وقولها هو من عند الله دليل على انه ليس
من جلب بشر وهكذا يتلقى زكريا المعنى والا فليس كان يقنع بهذا الجواب قال الزجاج
هذا من معنى الاية التى قال تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين وروى انها لم تلقم ثديا
قط وقولها ان الله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لكون ذلك الرزق من عند الله وذهب الطبرى
الى ان ذلك من قول مريم وانه خبر من الله تعالى لمحمد عليه السلام والله تعالى لا ينتقص خزائنه فليس
بحسب ما يخرج منها وقد يعبر بهذه العبارة عن المكثرين من الناس انهم ينفقون بغير حساب
وذلك مجاز وتشبيه والحقيقة هى فيما ينفق من خزائن الله تعالى **قوله تعالى** هنالك دعا
زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة و
هو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا
من الصالحين ن هنالك في كلام العرب اشارة الى مكان فيه بعد او زمان وهنالك
باللام ابلغ في الدلالة على البعد ولا يعرب هنالك لانه اشارة فاشبه الحروف التى جاءت
لمعنى ومعنى هذه الاية ان في الوقت الذى راى زكريا رزق الله لمريم ومكانتها منه وفكر في انها

جاءت امها بعد ان اسنت ان الله يقبلها وجعلها من الصالحات تحرك امله لطلب الولد وقوى رجاؤه
وذلك منه على حال سن ووهن عظم واشتعال شيب وذلك لخوفه الموالى من وراءه حسب ما
يفسر فى سورة مريم ان شاء الله تعالى فدعا ربه ان يهب له ذرية طيبة والذرية اسم جنس
يقع على واحد فصاعدا كما الولى اسم جنس كذلك وقال الطبرى انما اراد هنا بالذرية واحدا
دليل على ذلك طيبة ولم يطلب اوليا قال والطيبة حملا على الذرية كما قال الشاعر
ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال ؞ ومنه فما تدرى من حسنه جلبه سكات
اذا ما عض ليس ماد رد ا ؞ وفيما قاله الطبرى يعقب وانما الذرية والولى اسم جنس يقعان للواحد
فما زاد وهكذا كان طلب زكريا عليه السلام وطيبة سليمة فى الخلق والدين تقية وسميع فى هذه
الاية بناء اسم فاعل ثم قال تعالى فنادته الملائكة وبرك محذوف كسر دل على ما ذكر عليه تقديره
فقبل الله دعاءه ووهبه يحيى وبعث الملك والملائكة بذلك اليه فنادته وذكر انه كان بين
دعائه والاستجابة له بالبشارة اربعون سنة وذكر جمهور المفسرين ان المنادى انما كان
جبرئيل وحده وهذا هو العرف فى الوحى الى الانبيا وقال قوم بل نادت ملائكة كثيرة حسبما يقتضيه
الفاظ الاية وقد وجدنا الله تعالى بعث ملائكة الى قوم لوط والى ابراهيم عليه السلام فى غير ما قصد و
فى مصحف عبد الله بن مسعود وقراءته فناداه جبرئيل وهو قائم وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر
وابو عمرو فنادته بالتا وقرا حمزه والكسائى فناداه الملائكة بالالف واما الدال قال ابو على
من قرا بالتا فلموضع الجماعة والجماعة ممن يعقل فجمع التكسير يجرى مجرى ما لا يعقل الا ترى انك تقول
هى الرجال كما تقول هى الجذوع وهى الجمال ومثله قالت الاعراب فقال ابو على ان المنادى ملائكة كثيرة
والقراءة بالتا على قول من يقول المنادى جبرئيل وحده متجهة على مراعاة لفظ الملائكة وعبر عن جبرئيل بالملائكة
اذ هو منهم فذكر اسم الجنس كما قال تعالى الذين قال لهم الناس قال ابو على ومن قرا فناداه الملائكة فهو كقوله
وقال نسوة فى المدينة قال القاضى ابو محمد رحمه الله وهذا على ان المنادى كثير ومن قال انه جبرئيل وحده
كالسدى وغيره فافرد الفعل مراعاة المعنى وعبر عن جبرئيل عليه السلام بالملائكة اذ هو اسم جنس
وقوله تعالى فنادته عبارة تستعمل فى التبشير وفيما ينبغى ان يشرع به وينهى الى نفس السامع ليسر به فلم يكن
هذا من الملائكة اخبارا على عرف الوحى بل نداء كما نادى الرجل الانصارى كعب بن مالك من اعلا الجبل وقوله
تعالى وهو قائم يصلى فى المحراب جمل فى موضع الحال ويصلى صفة لقائم والمحراب فى هذا الموضع موقف الامام
من المسجد وقرا ابن عامر وحمزة ان الله بكسر الالف قال ابو على وهذا على اضمار القول كانه فنادته الملائكة
فقالت وهذا كقوله تعالى فدعا ربه انى مغلوب على قراءة من كسر الالف وقال بعض النحاة كسرت بعد الدعا
والندا لان الدعاء والندا اقوال وقرا الباقون بفتح الالف من قوله ان الله يبشرك قال ابو على فنادته
بان الله فلما حذف الجار منها وصل الفعل اليها فنصبها فان فى موضع نصب وعلى قياس قول الخليل
فى موضع جر وفى قراءة عبد الله فى المحراب يا زكريا ان الله قال ابو على فقوله يا زكريا فى موضع نصب
بوقوع الندا عليه ولا يجوز فتح الالف فى ان على هذه القراءة لانه ناديت قد استوفت مفعوليها
احدهما الضمير والاخر المنادى فان فتحت ان لم يبق لها شى يتعلق به قال ابو على وكلهم قرا فى المحراب
بفتح الرا الا ابن عامر فانه اما لها واطلق ابن مجاهد القول فى امالة ابن عامر الالف من محراب ولم
يخص به الجر من غيره وقال غير ابن مجاهد انما ميله فى الجر فقط وقرا ابن كثير وابو عمرو يبشرك بضم
اليا وفتح البا والتشديد فى كل القران الا فى حم عسق فانه قرا ذلك الذى يبشر الله بفتح اليا وسكون
البا وضم الشين وقرا نافع وعاصم وابن عامر يبشرك لشد الشين المكسورة فى كل القران وقرا حمزة
يبشر تخفيفا بضم الشين فى كل القران الا قوله تعالى فبم تبشرون وقرا الكسائى تبشر مخففه فى خمس مواضع
فى ال عمران فى قصة زكريا وقصة مريم وفى سورة بنى اسرائيل والكهف ويبشر المؤمنين وفى حم عسق يبشر الله
عباده قال غير واحد من اللغويين فى هذه اللفظة ثلث لغات بشر شد الشين وبشر بتخفيفها وابشر يبشر
ابشارا وهذه القراءات كلها متجهة فصيحة مروية وفى قراءة عبد الله بن مسعود يبشرك بضم اليا وتخفيف
الشين المكسورة من البشر وهكذا قرا فى كل القران ويحيى اسم سماه الله به قبل ان يولد قال ابو على وهو
اسم بالعبرانية صادف هذا البنا والمعنى من العربية قال الزجاج لا ينصرف لانه ان كان اعجميا ففيه التعريف
والعجمة وان كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل وقال قتادة سماه الله يحيى لانه احياه بالايمان ومصدقا
نصب على الحال وهى موكده بحسب حال هؤلاء الانبياء عليهم السلام وقوله تعالى بكلمة من الله قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة والحسن والسدى وغيرهم الكلمة يراد بها عيسى وسماه الله تعالى عيسى كلمة اذ صدر عن
كلمة منه تعالى لا لسبب انسان اخر كعرف البشر وروى ابن عباس ان امرأة زكريا قالت لمريم وهما حاملتان
انى احد ما فى بطنى يتحرك لما فى بطنك وفى بعض الروايات يسجد قالت فذلك تصديقه اى اول التصديق
وقال بعض الناس بكلمة من الله معناه بكتاب من الله الانجيل وغيره من كتب الله فاوقع المفرد موقع

الجمع

الجمع فكلمة اسم جنس وعلى هذا النظر سمت العرب القصيدة التطويلة كلمة وقوله تعالى وسيدا قال قتادة
اى والله سيدا فى الحلم والعبادة والورع وقال مرة معناه من العلم والعباده وقال ابن جبير و
سيدا اى حليما وقال السيد التقى وقال الضحاك وسيدا اى تقيا حليما وقال ابن زيد السيد الشريف
وقال ابن المسيب السيد الفقيه العالم وقال ابن عباس وسيدا يقول تقيا حليما وقال عكرمة السيد الذى
لا يغلبه الغضب قال الفقيه القاضى رحمه الله كل من فسر من هؤلاء العلماء المذكورين السودد بالحلم
فقد احرز اكثر معنى ومن جرد تفسيره بالعلم والتقى ونحوه فلم يفسر بحسب كلام العرب وقد يحصل
ليحيى بقوله عز وجل مصدقا بكلمة من الله ويحصل التقى بباقى الاية وخصه الله بذكر السودد الذى هو الاعتمال
فى رضى الناس على اشرف الوجوه دون ان يوقع فى باطن هذا اللفظ يعم السودد ويفصله ان يقال بذل
الندى وهذا هو الكرم وكف الاذى وهنا هى العفة بالفرج واليد واللسان واحتمال العظايم وهنا هو الحلم
وغيره من تحمل الغرامات وجبر الكسير والافضال على المسترفد والانقاذ من المهلكات وانظر ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد ادم ولا فخر يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث شفاعته فى اطلاق
الموقف وذلك منه اعتمال فى رضى ولد ادم فهو سيدهم بذلك وقد توجد من النقاة العلماء من لا
برز فى هذه الخصال وقد توجد من برز فى هذه فيسمى سيدا وان قصر فى كثير من الواجبات اعنى
واجبات الندب والمكافحة فى الحق وقلة المبالاة باللائمة وقد قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه ما رايت احدا
اسود من معوية ابن ابى سفيان فقيل له وابو بكر وعمر قال هما خير من معوية ومعوية اسود منهما فهذه اشارة
الى ان معوية برز فى هذه الخصال ما لم يواقع محذورا وان ابا بكر وعمر كانا من الاستقلال بالواجبات
وسع ذلك من انفسهما واقامة الحقائق على الناس بحيث كانا خيرا من معوية ومع تتبع الحقايق
وحمل الناس على الجادة وقلة المبالاة برضاهم والوزن بقسطاس الشريعة يجرى بحرم كثير من هذه
الخصال التى السودد ويشتغل المؤمن عنها بالتقى والعلم والاخذ بالاشد او كدوا على ان السودد انما
الله يحسن بالتقى العالم اذ يا حد من السودد بكلمة لا يخل بعلمه وتقاه وهكذا كان يحيى عليه السلام وليس
هذا الذى يحسن بواجب ولابد كما السل التنسع والتحرى فى الشدة بواجب ولابد وهما طرفا خير قد حفتهما
الشريعة فمن صار الى هذا او من صار الى هذا ومثال ذلك حاكم صلبت معبس قط على من عنده لا يعسى
بحوايج الناس واخر بسيط الوجه بسام يعسى فيما يجوز ولا يتنع ما لم يرفع اليه وينفذ الحكم مع رفق بالمحكوم
عليه فهما طريقان نحسبان وقوله تعالى وحصورا اصل هذه اللفظة الحبس والمنع ومنه الحصير لانه يحصر
من يجلس عليه ومنه سمى السجن حصيرا ومنه حصر العدو واحصار المرض والعذر ومنه قيل للذى لا
ينفق مع ندمائه حصيرا قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسوار ويقال للذى
يكتم السر حصور وحصر قال جرير ولقد تساقطنى الوشاة فصادفوا حصرا بسرك يا اميم ضنينا و
اجمع من يعتد بقوله من المفسرين على ان هذه الصفة ليحيى عليه السلام انما هى الامتناع من وطى النسا
الا ما حكى مكى من قول من قال انه الحصور عن الذنوب روى ابن المسيب عن ابن العاص اما عبد الله
واما ابوه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كل بنى ادم ياتى يوم القيمة وله ذنب الا ما كان من
يحيى بن زكريا قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فاخذ عويدا صغيرا ثم قال و
ذلك انه لم يكن له ما للرجال الا مثل هذا العود ولذلك سماه الله سيدا وحصورا وقال ابن مسعود الحصور
العنين وقال مجاهد وقتادة الحصور الذى لا ياتى النسا وقال ابن عباس والضحاك الحصور الذى لا ينزل
الماء قال رحمه الله ذهب بعض العلماء الى ان حصر يحيى كان لانه لم يكن له الا مثل الهدبة وذهب بعضهم
الى ان حصره كان لانه كان عنينا لا ياتى النسا وان كانت خلقته غير ناقصة وذهب بعضهم الى ان
حصره كان بانه يمسك نفسه تقا وجلدا فى طاعة الله وكانت به القدرة على جماع النسا قالوا وهذا
مدح له وليس له فى التاويلين الاولين مدح الا ان الله يسر له شيئا لا تكسب له فيه وما
فى الاية بين وروى من صلاحه عليه السلام انه يعيش من العشب وانه كان كثير البكا من
خشية الله حتى خد كالدمع فى وجهه طرقا واخاديد قوله تعالى قال رب انى يكون لى
غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء اختلف المفسرون
لم قال زكريا رب انى يكون لى غلام فقال عكرمة والسدى انه لما نودى بهذه البشارة
جاءه الشيطان ليكدر عليه نعمة ربه فقال هل تدرى من ناداك قال نادتنى ملائكة
ربى قال بل ذلك الشيطان ولو كان هذا من عند ربك لاخفاه لك كما اخفيت نداك قال
فخالطت قلبه وسوسة وشك مكانه فقال انى يكون لى غلام وذهب الطبرى وغيره الى ان زكريا
لما راى حال نفسه وحال امراته وانها ليست بحال نسل سال عن الوجه الذى يكون به الغلام
اتبدل المراة خلقتها ام كيف يكون وهذا تاويل حسن لائق بزكريا عليه السلام وقيل لمكى وقيل
انما سال لانه نسى دعاءه لطول المدة بين الدعاء والبشارة وذلك اربعون سنة وهذا

قول ضعيف المعنى وانى معناه كيف ومن اين وقوله بلغنى الكبر استعارة كان الزمان طريق والحوادث
تساوق فيه فاذا التقى حادثان فكل واحد منهما قد بلغ صاحبه وحقيقة البلوغ فى الاجرام ان
ينتقل البالغ الى المبلوغ اليه وحسن فى الاية بلغنى الكبر من حيث هى عبارة واهن منفعل وبلغت
عبارة فاعل مستفعل فسامله ولا يعترض على هذا بقولة قد بلغت الكبر عتيا لانه قد افصح بضعف
حاله بذكر الغنى والعاقر الانسان الذى لا يلد يقال ذلك للرجل والمراة قال عامر بن الطفيل ليس الفتى
ان كنت اعور عاقرا حيانا فما عذرى لذى كل مشهد وعاقر بناء فاعل وهو على النسب وليس
بجار على الفعل والاشارة بذلك فى قوله كذلك يحتمل ان يكون الى هذه العربيه التى بشر بها اى كهذه
القدرة المستغرب هى قدرة الله ففى الكلام حذف مضاف والكلام تام فى قوله كذلك وقوله الله
يفعل ما يشاء شرح للابهام الذى فى كذلك ويحتمل ان يكون الاشارة فى ذلك الى حال زكريا وحال
امراته كانه قال رب على اى وجه يكون لنا غلام ونحن بحال كذا فقال له كما انتما يكون لكما الغلام
والكلام تام على هذا التاويل فى قوله كذلك وقوله الله يفعل ما يشاء جملة مبينة مقررة فى النفس
وقوع هذا الامر المستغرب قوله تعالى قال رب اجعل لى اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة
ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ن الاية العلامة وقال الربيع والسدى
وغيرهما ان زكريا قال يا رب ان كان ذلك الكلام من قبلك والبشارة حق فاجعل لى علامة
اعرف صحة ذلك بها فعوقب على هذا الشك فى امر الله بان منع الكلام ثلثة ايام مع الناس و
قالت فرقة من المفسرين لم يشك قط زكريا وانما سال عن الجهة التى يكون بها الولد وتتم البشارة
فلما قيل له كذلك الله يفعل ما يشاء سال علامة على اى وقت الحمل ليعرف متى تحمل بيحيى واختلف
المفسرون هل كان منع من الكلام لافة نزلت به او كان ذلك بغير افة فقال جبير بن نفير ربا
لسانه فى فيه حتى ملاه ثم اطلقه الله بعد ثلاث وقال الربيع وغيره عوقب لان الملائكة شافهته
بالبشارة فسال بعد ذلك علامة فاخذ الله عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام وقال قوم من
المفسرين لم يكن افة ولكنه منع محاورة الناس فلم يقدر عليها وكان يقدر على ذكر الله قاله الطبرى
وذكر نحوه عن محمد بن كعب ثم استثنا الرمز وهو استثنا منقطع وذهب الفقها فى الاشارة و
نحوها الى انها حكم فى الكلام فى الايمان ونحوها فعلى هذا يجى الاستثنا متصلا والكلام المراد بالاية
انما هو النطق باللسان لا الاعلام بما فى النفس فحقيقة هذا الاستثنا انه منقطع وقرا جمهور
الناس رمزا بفتح الرا وسكون الميم وقرا علقمة بن قيس بضمها وقرا الاعمش رمزا بفتحها والرمز فى
اللغة حركة يعلم بما فى نفس الرامز باى شى كانت الحركة من عين او حاجب او شفة او يد او عود
او غير ذلك وقد قيل للكلام المحرف عن ظواهره رموز لانها علامات لغير اللفظ الموضوع للمعنى المقصود
الاعلام به وقد يقال للتصويت الدال على معنى رمز ومنه قول حوية بن عايذ وكان تكلم الابطال رمزا
وعمعمة لهم مثل الهدير واما المفسرون فخصص كل واحد منهم نوعا من الرمز فى تفسير هذه الاية
فقال مجاهد الا رمزا معناه الا تحريكا بالشفتين وقال الضحاك معناه الاشارة هنا باليد والراس
وبه قال السدى وعبد الله بن كثير وقال الحسن امسك لسانه فجعل يشير بيده الى قومه وقال قتادة
الا رمزا معناه الا ايما وقرا جمهور الناس ان لا تكلم بنصب الفعل بان وقرا ابن ابى عبلة تكلم برفع
الميم وهذا على ان يكون ان المخففة من الثقيلة ويكون فيها ضمير الامر والشان التقدير وايتك انه
لا تكلم الناس والقول بان هذه الاية نسخها قول النبى عليه السلام لا صمت قول ظاهر الفساد من جهة
وامره تعالى بالذكر لربه كثيرا لانه لم يحل بينه وبين ذكر الله تعالى وهذا قاض بانه لم تكن افة ولا
علة فى لسانه وقال محمد بن كعب القرظى لو كان الله رخص لاحد فى ترك الذكر لرخص لزكريا عليه
السلام حيث قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا لكنه قال له واذكر ربك كثيرا وقوله تعالى
وسبح معناه قل سبحان الله وقال قوم معناه صل والقول الاول اصوب لانه يناسب الذكر ويستغرب
مع امتناع الكلام مع الناس والعشى فى اللغة من زوال الشمس الى مغيبها ومنه قول القاسم بن محمد
ما ادركت الناس الا وهم يصلون الظهر بعشى والعشى من حين يفى الفى ومنه قول حميد فلا الظل من برد
الضحى يستطيع ولا الفى من برد العشى يذوق والعشى اسم مفرد عند بعضهم وجمع عشية عند بعضهم
كسفينة وسفن والابكار مصدر ابكر الرجل اذا ابادر امره من لدن طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وتمادى لنكره شيئا بعد طلوع الشمس يقال ابكر الرجل وبكر فمن الاول قول عمر بن ابى ربيعة امن ال نعم
انت غاد فمبكر ومنه قول جرير فى الثانى الا بكرت سلمى فجد بكورها وشق العصا بعد اجتماع اميرها
وقال مجاهد فى تفسير الابكار اول الفجر والعشى ميل الشمس حتى تغيب قوله تعالى واذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى
واركعى مع الراكعين ن قال الطبرى العامل فى اذ قوله سميع فهو عطف على قوله اذ قالت امراة عمران وقال

كثير

كثير من النحاة العامل فى اذ فى هذه الاية فعل مضمر تقديره واذكر اذ وهذا هو الراجح لان هذه الايات
انما هى اخبارات بغيب تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مقصد ذكرها هو الاظهر فى حفظ رونق
الكلام وقرا عبد الله بن عمر وابن مسعود واذ قال الملائكة واختلف المفسرون هل المراد بالملائكة
هنا جبريل وحده او جمع من الملائكة وقد تقدم القول على معنى مثلها فى قوله تعالى فنادته الملائكة واصطفاك
ماخوذ من صفا يصفو وزنه افعل وبدلت التا طا لتناسب الصاد فالمعنى تخيرك لطاعته وقوله
وطهرك معناه من كل ما يصم النسا فى خلق او خلق او دين قاله مجاهد وغيره قال الزجاج قد جا فى التفسير
ان معناه طهرك من الحيض والنفاس وهذا يحتاج الى سند قوى وما احفظه وقوله تعالى واصطفاك على
نساء العالمين ان جعلنا العالمين عاما فيمن تقدم وتاخر جعلنا الاصطفا مخصوصا فى امر عيسى عليه السلام
وانها اصطفيت لبلد من غير فحل وان جعلنا الاصطفا مخصوصا عاما جعلنا قوله العالمين مخصوصا
فى عالم ذلك الزمان قاله ابن جريج وغيره وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير نساء
الجنة مريم ابنة عمران وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد فذهب الطبرى وغيره الى ان الضمير فى قوله
خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة يراد به الجنة وذهب قوم الى انه يراد به الدنيا اى كل امراة فى زمنها
وقال النبى صلى الله عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صالح نساء قريش احناه على ولد فى صغره وارعاه
على زوج فى ذات يده قال ابو هريرة راوى الحديث لم تركب ابنة عمران بعيرا قط وهذه الزيادة فيها
غيب فلا يتاول ان ابا هريرة رضى الله عنه قالها الا عن سماع عن النبى عليه السلام وروى انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين اربع مريم ابنة عمران واسية ابنة مزاحم
امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وقد اسند الطبرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة
اسه انت سيدة نساء اهل الجنة الا مريم ابنة عمران البتول وانه قال فضلت خديجة على نساء امتى كما
فضلت مريم على نساء العالمين واذا تاملت هذه الاحاديث وغيرها مما هو فى معناها وجدت مريم
متقدمة عليها فساغ ان يتناول عموم الاصطفى على العالمين عموم ايضا وقد قال بعض الناس ان مريم نبية
قال ابن اسحق كانت الملائكة تنزل على مريم فيقول يا مريم ان الله اصطفاك الاية فسمع ذلك زكريا فيقول ان
لمريم لشانا فمن خاطبة الملائكة لها جعلها هذا القائل نبية وجمهور الناس على انه لم تنبا امراة واقنتى معناه
اعبدى واطيعى قاله قتادة والحسن وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت
فى القران فهو بمعنى طاعة الله ويحتمل ان يكون معناه اطيلى القيام فى الصلوة وهذا هو قول الجمهور وهو المناسب
فى المعنى لقوله تعالى واسجدى واركعى وبه قال مجاهد وابن جريج والربيع وروى مجاهد انها لما خوطبت
بهذا قامت حتى ورمت قدماها وروى الاوزاعى انها قامت حتى سال الدم والقيح من قدميها
وروى ان الطير كانت تنزل على راسها تظنها جمادا لسكونها فى طول قيامها وقال سعيد بن جبير اقنتى
معناه اخلصى لربك واختلف المتاولون لم قدم السجود على الركوع فقال قوم كان ذلك فى شرع زكريا وقال قوم
الواو لا تعطى رتبة المعنى فعلى هذا وهذا وقد علم تقديم الركوع وهذه الاية اكثر اشكالا من قولنا
قام زيد وعمرو لان قيام زيد وعمرو ليس له رتبة معلومة وهذه الاية قد علم ان الركوع قبل السجود
فكيف جاءت الواو بعكس ذلك فالقول عندى ان مريم امرت بفعلين ومعلمين من معالم الصلوة
وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما فى اركان الصلوة واذ العبد يقرب فى وقت سجوده
من الله تعالى وهذان يختصان بصلاتها مفردة والا فمن يصلى وراء امام فليس يقال له اطل قيامك
ثم امرت بعد بالصلوة فى الجماعة فقيل لها واركعى مع الراكعين وقصد هنا معلم اخر من معالم الصلوة
لئلا يتكرر اللفظ ولم يرد بالاية الركوع والسجود الذى ينتظم فى ركعة واحدة والله اعلم قوله تعالى
ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت
لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن
مريم وجيها فى الدنيا والاخرة ومن المقربين ن هذه المخاطبة لمحمد عليه السلام والاشارة بذلك
الى ما تقدم ذكره من القصص والانباء الاخبار والغيب ما غاب عن مدارك الانسان وتوجيه
معناه تلقيه فى نفسك فى خفا وحد الوحى القا المعنى فى النفس فى خفا ثم يختلف انواعه فمنه
بالملك ومنه بالالهام ومنه بالاشارة ومنه بالكتاب كما قال كعب بن زهير ابى الجهم والاياق
منه قضايا بعض بقا الوحى فى الحجر الاصم بقول العرب وحى يقول وحيا فى هذه الاية بيان لنبوة محمد على
صلى الله عليه وسلم اذ جاءهم بغيوب لا يعلمها الا من شاهدها او من قراها فى كتب اهل الكتاب ومحمد
عليه السلام امى من قوم اميين او من اعلمه الله بها وهو ذلك صلى الله عليه وسلم ولديهم معناه عندهم و
معهم وقد تقدم القول فى الاقلام والكفل وقال جمهور العلما على انه استهام لاخذها والمنافسة
فيها قال ابن اسحق انما كان استهامهم حين بالتهم المجاعة دفعا منهم بحمل مؤنتها وتختصمون
معناه يتراجعون القول الجهير فى امرها وفى هذه الاية استعمال القرعة والقرعة سنة وكان النبى صلى الله عليه

وسلم اذا اسافر اقرع بين نسائه وقال عليه السلام لو تعلمون ما في الصف الاول لاستهموا عليه
وجمهور الامة على تجويز القرعة الا من شذ فطنها قمارا وهذا كله فيما يصلح التراضي بكونه دون
قرعة وكان القرعة محسنة لذلك الاختصاص واما حيث لا يجوز التراضي كعتق العبد في ثلث
الميت يجوزها الجمهور ومنعها ابو حنيفة وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اقرع
بين ستة اعبد واعتق اثنين وارق اربعة وقوله انهم يكفل مريم مبتدا وخبر في موضع نصب
بالفعل الذي تقديره ينظرون انهم يكفل مريم والعامل في قوله اذ قالت الملائكة فعل مضمر
تقديره اذكر اذ وهكذا يطرد وصف الاية ويتوالى الاعلامات بهذه الغيوب قال الزجاج
العامل فيها يختصمون ويجوز ان يتعلق بقوله وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة وهذا كله
يورده المعنى لان الاختصام لم يكن عند قول الملائكة وقرا ابن مسعود وابن عمر اذ قال الملائكة
واختلف المتاولون هل الملائكة هنا عبارة عن جبريل وحده او عن جماعة من الملائكة
وقد تقدم معنى ذلك كله في قوله انفا فنادته الملائكة فتامله وتقدم ذكر القراآت في قوله يبشرك واختلف
المفسرون لم عبر عن عيسى عليه السلام بكلمة فقال قتادة جعله كلمة اذ هو موجود عن كلمة وهي قوله
تعالى المراد انه كن وهذا كما يقول في شي حادث هذا قدر الله اي هو على قدر الله وكذلك يقول هذا
امر الله وترجم الطبري فقال وقال اخرون بل الكلمة اسم لعيسى سماه الله به كما سمى سائر خلقه شيئا من
الاسما فتقتضي هذه الترجمة ان الكلمة اسم مرتجل لعيسى ثم ادخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس
انه قال الكلمة هي عيسى وقول ابن عباس يحتمل ان يفسر بما قال قتادة وبغير ذلك مما سنذكره الان
وليس فيه ما ادعى الطبري رحمه الله وقال قوم من اهل العلم سماه الله كلمة من حيث كان تقدم ذكره
في توراة موسى وغيرها من كتب الله وانه سيكون فهذه كلمة سبقت فيه من الله فمعنى الاية ان يا مريم
مبشره بانك المخصوصة بولادة الانسان الذي قد تكلم الله باوره واخبر به في ماضي كتبه المنزلة على
انبيائه واسمه في هذا الموضع معناه تسميته وجاء الضمير مذكرا من اجل المعنى اذ الكلمة عبارة
عن ولد واختلف الناس في اشتقاق لفظ المسيح فقال قوم هو من ساح يسيح في الارض اذا ذهب
وسيى اقطارها فوزنه مفعل وقال قوم هو من مسح فوزنه فعيل واختلفوا بعد في صورة اشتقاقه من
مسح فقال قوم من العلما سمي بذلك من مساحة الارض لانه مشاها فكانه مسحها وقال اخرون
سمي بذلك لانه ما مسح بيده على ذي عاهة الا برى فهو على هذين القولين فعيل بمعنى فاعل وقال ابن
جبير سمي بذلك لانه مسح بدهن القدس فهو على هذين القولين فعيل بمعنى مفعول وكذلك هو في قول من قال
مسحه الله وطهره من الذنوب قال ابراهيم النخعي المسيح الصديق وقال ابن حبيب عن ابن عباس المسيح الملك
وسمي بذلك لانه ملك احياء الموتى وغير ذلك من الايات وهذا قول ضعيف لا يصح عن ابن عباس
وقوله عيسى يحتمل من الاعراب ثلثة اوجه البدل من المسيح وعطف البيان وان يكون خبرا بعد
خبر ومنع بعض النحاة ان يكون خبرا بعد خبر وقال كان يلزم ان يكون اسماؤه على المعنى او اسماؤه
على لفظ الكلمة ويتجه ان يكون عيسى خبر ابتداء مضمر تقديره هو عيسى ابن مريم ويدعوا الى هذا
كون قوله ابن مريم صفة لعيسى اذ قد اجمع الناس على كتبه دون الف واما على البدل او عطف البيان
فلا يجوز ان يكون ابن مريم صفة لعيسى لان الاسم هنا لم يرد به الشخص هذه النزعة لابي علي وفي صدر
الكلام نظر ووجيها نصب على الحال وهو من الوجه اي له وجه ومنزلة عند الله والمعنى في الوجيه
انه حيث ما قبل بوجهه عظم وروعي امره ويقول العرب فلان له وجه في الناس وله جاه وهذا على قلب
في اللفظ يقولون نجاهي بخو هي بكذا اي واحتمي به وجاه عيسى عليه السلام في الدنيا نبوته وذكره ورفعته
وفي الاخرة مكانته ونعمه وشفاعته ومن المقربين معناه من الله تعالى قوله تعالى ويكلم الناس
في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق
ما يشا اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ن قوله ويكلم الناس ناسغ عن حال تقديرها ومكلما
وذلك معطوف على قوله وجيها وجاز عطف الفعل المستقبل على اسم الفاعل لما بينهما من المضارعة
كما جاز عطف اسم الفاعل على الفعل المستقبل في قول الشاعر ؞ بت اعشيها بعضب مائر يقصد في
اسوقها وجائر ؞ وقوله في المهد حال من الضمير في يكلم وكهلا حال معطوفة على قوله في المهد وقوله ومن
الصالحين حال معطوفة على قوله ويكلم وهذه الاية اخبار من الله تعالى لمريم بان ابنها يتكلم في مهده
مع الناس انه دالة على براة امه مما عسى ان يقذفها به متعسف ظان والمهد موضع اضطجاع
الصبي وقت تربيته واخبر تعالى عنه ايضا انه يكلم الناس كهلا وفائدة ذلك اذ كلام الكهل
عرف انه اخبار لها بحياته الى سن الكهولة هذا قول الربيع وجماعة من المفسرين قال ابن زيد
فائدة قوله كهلا اخبار لها بنزوله عند قتله الدجال كهلا وقال جمهور الناس الكهل الذي
يبلغ في السن سن الكهولة وقال مجاهد الكهل الحلم وهذا تفسير الكهولة بعرض

وصاحب

بصاحب لها في الاغلب واختلف الناس في حد الكهولة فقيل الكهل ابن اربعين سنة وقيل
ابن خمس وثلثين وقيل ابن ثلثة وثلثين وقيل اثنين وثلثين وهذا حد اولها واما اخرها فاثنان
وخمسون ثم يدخل سن الشيخوخة وقول مريم رب اني يكون لي ولد استفهام عن جهة حملها و
استغراب الحمل على حال بكارتها ويمسسني معناه يطا ويجامع والمسيس الجماع ومريم لم يمسسها الايدي والاثارة
بقوله كذلك يحتمل ان يكون الى هذه القدرة التي تضمنها البشارة بالكلمة ويحتمل ان يكون الى حال مريم
وبكارتها وقد تقدم شرح هذين التاويلين في امر زكريا عليه السلام وجاءت العبارة في امر زكريا
يفعل وجاءت هنا يخلق من حيث امر زكريا داخل في الامكان الذي يتعارف وان قل وقصة مريم
لا يتعارف البتة فلفظ الخلق اقرب الى الاختراع وادل عليه وروي ان عيسى عليه السلام ولد
لثمانية اشهر فلذلك لا يعيش من يولد غيره لمثل ذلك وقوله تعالى اذا قضى امرا معناه اذا اراد
ايجاده والامر واحد الامور وهو مصدر سمي به والضمير في قوله عائد على الامر والقول على
جهة المخاطبة وقال مكي وقيل المعنى يقول لاجله وهذا نحو الى ما يورده عن ابي علي بعد وقرا
جمهور السبعة فيكون بالرفع وقرا ابن عامر وحده فيكون بالنصب فوجه الرفع على يقول او
تقديره فهو يكون واما قراءة ابن عامر فغير متجهة لان الامر المتقدم خطاب للمقضي وقوله
فيكون خطاب للمخبر فليس كقولك قم فاحسن اليك ووجهها انه راعى الشبه اللفظي في ان
تقدم في الكلام لفظ امر كما قال ابو الحسن الاخفش في نحو قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا
يقيموا الصلوة انه اجري مجرى جواب الامر وان لم يكن له جوابا في الحقيقة وكذلك على قراءة
ابن عامر يكون قوله فيكون بمنزلة جواب الامر وان لم يكن وذهب ابو علي في هذه المسئلة
الى ان القول فيها ليس بالمخاطب المحض وانما هو قول مجازي كما قال امتلا الحوض وقال
قطني وغير ذلك قال لان المسمى ليس بكائن فلا يخاطب كما لا يومر وانما المعنى فانما يكونه
فهو يكون فهذه نزعة اعتزالية رحمه الله وعفر له قوله تعالى ونعلمه الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق لكم من
الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ن قرا نافع وعاصم ويعلمه بالياء
وذلك عطف على يبشرك بكلمة كذا قال ابو علي ويحتمل ان يكون في موضع الحال عطف
على يكلم وقرا الباقون ونعلمه بالنون وهي مثل قراءة الياء في المعنى لكن جاءت بنون العظمة قال
الطبري قراءة الياء عطف على قوله يخلق ما يشاء وقراءة النون عطف على قوله نوحيه اليك وهذا
الذي قاله خطا في الوجهين مفسد للمعنى والكتاب هو الخط باليد فهو مصدر كتب يكتب هذا
قول ابن جريج وجماعة المفسرين وقال بعضهم هي اشارة الى كتاب منزل لم يعين وهذه دعوى
لا حجة عليها واما الحكمة فهي السنة التي يتكلم بها الانبياء في الشرعيات والمواعظ ونحو ذلك مما لم يوح
اليهم في كتاب وملك لكنهم يلهمون اليه ويقوي غرائمهم عليه وقد عبر بعض العلما عن الحكمة
بانها الاصابة في القول والعمل فذكر الله في هذه الاية انه يعلم عيسى عليه السلام الحكمة والتعلم متمكن
فيما كان من الحكمة ماثورا عن من تقدم عيسى من نبي وعالم واما ما كان من حكمة عيسى الخاصة به فانما يقال
فيها نعلمه على معنى يهيي غريزته لها ويقدره ويجعله يتمرن في استخراجها ويجري ذهنه الى ذلك و
التوراة هي المنزلة على موسى عليه السلام ويروى ان عيسى كان يستظهر التوراة وكان اعلم الناس
بما فيها ويروى انه لم يحفظها عن ظهر قلب اربعة موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام
وذكر الانجيل لمريم وهو بعد لم ينزل لانه كان كتابا مذكورا عند الانبياء والعلماء وانه سينزل
وقوله ورسولا حال معطوفا على نعلمه اذ التقدير ومعلما الكتاب فهذا كله عطف بالمعنى على قوله
وجيها ويحتمل ان يكون قوله ورسولا من قوله ويكلم الناس فيكون عطفا على قوله وكهلا ويحتمل ان يكون
التقدير ونجعله رسولا وكانت رسالة عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل مبينا حكم التوراة و
نادبا الى العمل بها ومحللا لاشيا مما حرم فيها كالثروب ولحوم الابل واشيا من الحيتان والطير ومن اول
القول الى اسرائيل خطاب لمريم ومن قوله اني قد جئتكم باية من ربكم الى قوله مستقيم يحتمل ان يكون خطابا لمريم
على معنى يكون من قوله لبني اسرائيل كيت وكيت ويكون في اخر الكلام متروك يدل عليه الظاهر تقديره فجاء
عيسى بني اسرائيل رسولا فقال لهم ما تقدم ذكره ويحتمل ان يكون المتروك مقدرا في صدر الكلام
بعد قوله الى بني اسرائيل فيكون تقديره فجاء عيسى كما بشر الله رسولا الى بني اسرائيل باني قد
جئتكم ويكون قوله اني قد جئتكم ليس بخطاب لمريم والاول اظهر وقرا جمهور الناس اني قد
جئتكم بفتح الالف على تقدير باني وقري في الشاذ اني قد جئتكم بايات وجمهور الناس قروا
باية على الافراد وفي مصحف ابن مسعود وكذلك في قوله بعد هذا وجئتكم بايات من ربكم
واختلف القرا في فتح الالف وكسرها من قوله اني اخلق فقرا نافع وجماعة من العلما اني

بكسر الالف و قرا باقي السبع وجماعة من العلما انى بفتح الالف فوجه قراه نافع اما القطع والاستيناف
واما انه فسر الاية بقوله انى كما فسر المثل فى قوله كمثل ادم بقوله خلقه من تراب الى غير ذلك من الامثلة و
وجه قراة الباقين البدل من اية كانه قال وجئتكم بانى اخلق وقيل هى بدل من انى الاولى وهذا كله
متقارب فى المعنى واخلق معناه اقدر واهيي سدى ومن ذلك قول الشاعر ولانت تفرى ما
خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا تفرى وقوله لكم تقييد بقوله اخلق لانه بدل دلالة ما على انه لم يرد
الايجاد من العدم ويصرح بذلك قوله باذن الله وحقيقته فى الاجرام ويستعمل فى المعانى ومنه
قول الله ويخلقون افكا ومنه قول الشاعر من كان يخلق ما يقول لحيلتى فيه قليلة وجمهور الناس
قرا كهية على وزن فعلة بفتح الفا وهو مصدر من قولك هاء الشيء يهاء هيا وهيئة اذا ترت
واستقر على حال ما وهو الذى تعد به فيقول هيات وقرا الزهرى كهية الطين بكسرالها وياء
مفتوحة مشددة وقرا ابوجعفر ابن القعقاع كهيئة الطاير فانفخ فيه فيكون طائرا على الا
الافراد فى الموضعين فالاول اسم الجنس والثانى مفرد اى يكون طائرا من الطيور وقرا نافع وحده
كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طائرا بالافراد فى الاخير وهكذا قرا فى المائدة وقرا الباقون كهيئة
الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بالجمع فيهما وكذلك فى سورة المائدة ومعانى هذه القراات بينة والطير
اسم الجمع وليس من ابنية الجموع واما البنا فى جمع طاير اطيار وجمع الجمع طيور حكاه ابوعلى عن ابى
الحسن وقوله فانفخ فيه ذكر الضمير هنا لانه يحتمل ان يعود على الطين المهيا ويحتمل ان يريد فانفخ
فى المذكور واثنا الضمير فى سورة المائدة فى قوله فتنفخ فيها لانه يحتمل ان يعود على الهيئة او على ما
يث لفظ الجماعة فى قوله الطير وكون عيسى عليه السلام خالقا بيديه ونافخا فيه انما هو لبس يلبس
بالمعجز وانها جادت من قبله واما الايجاد من العدم وخلق الحياة فى ذلك الطين فمن الله تعالى
وحده لا شريك له وقوله باذن الله معناه بعلم الله انى افعل ذلك وتمكين منه لى وحقيقة الاذن
فى الشيء هى العلم بانه يفعل والتمكين من ذلك فان اقترن بذلك قول فذلك امكن فى الاذن
وابلغ ويخرج من حد الاذن الى حد الامر لكن تجد ابدا فى قسم الاباحة وتامل قوله تعالى
فهزموهم باذن الله وقول النبى عليه السلام واذنها صماتها وروى فى قصص هذه
الاية ان عيسى عليه السلام كان يقول لبنى اسرائيل اى الطير اشد خلقه واصعب ان
يحكم فيقولون الخفاش لانه طائر لا ريش له وكان يصنع من الطين خفافش ثم ينفخ فيها
فيطير وكل ذلك بحضرة الناس ومعاينتهم فيقولون هذا ساحر قوله تعالى وابرى الاكمه
والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك
لاية لكم ان كنتم مومنين ن ابرى معناه ازيل المرض يقال برا المرض وابراه غيره ويقال
ايضا برى المريض كما يقال فى الدنس والدين واختلف المفسرون فى الاكمه فقال مجاهد الاكمه
هو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل وقال ابن عباس والحسن والسدى الاكمه الاعمى
على الاطلاق وقال عكرمه الاكمه الاعمش وحكى النقاش قولا ان الاكمه هو الابكم الذى لا
يفهم ولا يفهم الميت الفواد وقال ابن عباس ايضا وقتاده الاكمه هو الذى يولد اعمى
يولد اعمى مضموم العينين قال القاضى ابومحمد رحمه الله وقد كان عيسى عليه السلام يبرى
بدعائه ومسح يديه كل علة ولكن الاحتجاج على بنى اسرائيل فى معنى النبوة لا يقوم الا بالابرا
من العلل التى لا يبرى منها طبيب بوجه فليس يخلص من هذه الاقوال فى الاكمه الا القول الاخير اذ
الاكمه فى اللغة هو الاعمى وكمهت العين عميت ولولا ضبط اللغة لكان القول الذى حكاه النقاش
حسنا فى معنى قيام الحجة به والابرص معروف وهو داء الابتر اذا تمكن وروى فى احياء الموتى
انه كان يضرب بعصاه الميت او القبر او الجمجمة فيحيى الانسان ويكلمه وروى انه احيا سام ابن نوح
عليه السلام وروى ان الذى كان يحييه تدوم حياته وروى انه كان يعود لموته سريعا وفى
قصص الاحيا احاديث كثيرة لا يوقف على صحتها واحياء الموتى هى اية المعجزة المعرضة للتحدى
وهى بالمعنى متحدى بها وان كان لم ينص على التحدى بها وايات عيسى عليه السلام انما تجرى فيما
يعارض الطب لان علم الطب كان شرف الناس فى ذلك الزمان ومتعلمهم وحينئذ اغرب فيه
العجايب فلما جاء عيسى عليه السلام بغرايب لا يقتضيها الامزجة واصول الطب وذلك
احياء الموتى وابرا الاكمه والابرص علمت الاطبا ان هذه القوة من عند الله تعالى وهذا كامر السحرة
مع موسى عليه السلام والفصحا مع محمد عليه السلام ووقع فى التواريخ المترجمة عن الاطبا ان جاليينوس
كان فى زمن عيسى عليه السلام وانه رحل من رومية الى الشام ليلقاه فمات فى طريقه ذلك واختلف
المفسرون فى معنى قوله تعالى وانبئكم الاية فقال سعيد بن جبير والسدى وابن اسحق ومجاهد
وعطا كان عيسى من لدن طفولته وهو فى الكتاب يخبر الصبيان بما يفعل اباؤهم فى منازلهم

وبما

وبما يوكل من الطعام ويدخر حتى قال بنو اسرائيل لاولادهم لا تخالطوا هذا الساحر وكذلك الى ان
نبيا فكان يقول لكل من ساله عن هذا المعنى اكلت البارحة كذا وادخرت كذا قال ابن اسحق وكان معلمه
يريد ان يعلمه الشيء فيسبقه عيسى اليه فيتعجب معلمه من ذلك ويذكره للناس وقال قتاده معنى الاية
انما هو فى نزول المائده عليهم وذلك انها لما نزلت اخذ عليهم عهدا ان ياكلوا ولا يخبا احد شيا
ولا يدخره ويحمله الى بيته فخانوا وجعلوا يخبون من ثمار الجنة وطعامها الذى كان ينزل على المائدة
وكان عيسى عليه السلام يخبر كل واحد عن ما اكل وعما ادخر فى بيته من ذلك وعوقبوا على ذلك
وما فى قوله بما تاكلون يحتمل ان تكون بمعنى الذى ويحتمل المصدريه وكذلك وما تدخرون وقرا
الجمهور يدخرون بدال مشدده وخاء مكسورة وهو يفتعلون من ذخرت اصله تذتخرون استثقل
النطق بالذال والتا لتقاربهما فى المخرج فابدلت التا دالا وادغمت الذال فى الدال كما صنع من تذكر
ومطلع بمعنى مصطلع وغير ذلك نحو قول الشاعر ش ان الكريم الذى يعطيك نائله عفوا ويظلم
احيانا فيظلم ن بالظاء غير المنقوط وقرا الزهرى ومجاهد وابو السحسانى وابو السماك تدخرون
بدال ساكنة وخاء مفتوحة وقوله ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحيا والابرا والانبا وفى مصحف
ابن مسعود لايات على الجمع وقوله ان كنتم مومنين توقيف والمعنى لايات نافعة هادية ان امنتم
وابصرتم والا فليست بنافعة ولا هادية فاما كونها ايات فعلى كل حال امنوا وكفروا وهذا كله على ان
المخاطبة لمن لم يومن بعد وهو ظاهر حال مع بنى اسرائيل وان كان خطابا للمومنين او كما كانوا مومنين
بموسى معنى الاية التثبيت وهذا النفس كما يقول الانسان يقيم نفسه الى شيء ما انت يا فلان ان ملكت ان
يفعل كذا وكذا ان كنت من الرجال قوله تعالى ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى
حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم ن قوله مصدقا حال معطوفة على قوله انى قد جئتكم باية لان قوله باية فى موضع الحال وكان عيسى
عليه السلام مصدقا للتوراة متبعا عاملا بما فيها قال وهب بن منبه كان يسبت ويستقبل بيت
المقدس قال قتاده فى تفسير قوله ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم كان الذى جاء به عيسى الين من الذى جاء
به موسى وقال ابن جريج احل لهم لحوم الابل والشحوم قال الربيع واشيا من السمك ومما لا صيصة له من الطير
وكان فى التوراة محرمات تركها شرع عيسى على حالها فلفظة البعض فى الاية متمكنه وقال ابو عبيده
البعض فى هذه الاية بمعنى الكل وخطاه الناس فى هذه المقالة وانشد ابو عبيده بيت لبيد بن ربيعة
اذا لم ارضها او يخترم بعض النفوس حمامها وليس فى البيت حجة لان لبيدا اراد نفسه فهو تبعيض
صحيح وذهب بعض المفسرين الى ان قوله حرم عليكم اشارة الى ما حرمته الاحبار بعد موسى
وشرعوه وكان عيسى رد احكام التوراة الى حقايقها التى نزلت من عند الله تعالى وقال عكرمه
حرم عليكم بفتح الحاء والراء المشددة واسناد الفعل الى الله او الى عيسى عليه السلام و
قرا الجمهور وجئتكم باية وفى مصحف ابن مسعود وجئتكم بايات وقوله تعالى فاتقوا الله و
اطيعون تحذير ودعاء الى الله تعالى وقرا جمهور الناس ان الله بكسر الالف على استيناف
الخبر وقراه قوم ان الله بفتح الالف قال الطبرى ان بدل من انه فى قوله تعالى وجئتكم باية
وفى هذا ضعف وانما التقدير اطيعون لان الله ربى وربكم فاعبدوه لان الفاظه
جمعت الايمان والطاعات والصراط الطريق والمستقيم الذى لا اعوجاج فيه قوله تعالى فلما احس
عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا
مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين ن قيل هذه الاية متروك به يتم الساق الايات تقديره فجاء عيسى عليه السلام كما بشر الله
به فقال لجميع ما ذكر لبنى اسرائيل فلما احس ومعنى احس علم من جهة الحواس بما سمع من اقوالهم فى تكذيبه
وراى من قرائن الاحوال وشدة العداوة والاعراض والاقوال يقال احسست بالشيء وحسيت به
اصله حسست فابدلت احدى السينين ياء والكفر هو التكذيب به وروى انه راى منهم ارادة
قتله فحينئذ طلب النصر والضمير فى منهم لبنى اسرائيل وقوله تعالى من انصارى الى الله عبارة
عن حال عيسى فى طلبه من يقوم بالدين ويومن بالشرع ويحميه كما كان محمد عليه السلام يعرض نفسه على
القبائل ويتعرض للاحيا فى المواسم وهذه الافعال كلها وما فيها من اقوال يعبر عنها بقال من انصارى
الى الله ولا شك ان هذه الالفاظ كانت فى جملة قوله للناس والانصار جمع نصير كشهيد واشهاد
وغير ذلك وقيل جمع ناصر كصاحب واصحاب وقوله تعالى الى الله يحتمل معنيين احدهما من ينصرنى فى
السبيل الى الله فيكون الى الله دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها والمعنى الثانى ان يكون التقدير
من يضيف نصرته الى نصرة الله لى فيكون بمنزلة قوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم فاذا تاملتها و
وجدت فيها معنى الغاية لانها تضمنت اضافة شيء الى شيء وقد عبر عنها ابن جريج والسدى بانها بمعنى

مع وبهم ان مع لسد فهذه المعاني نسد الكن ليس ساح من هذا ان الى بمعنى مع حتى غلط في ذلك بعض الفقها
في تاويل قوله تعالى وايديكم الى المرافق فقال الى بمعنى مع وهذه عجمة بل الى في هذه الاية غاية مجرده وينظر هل يدخل
ما بعد الى فيما قبلها من طريق آخر والحواريون قوم من بهم عيسى عليه السلام فدعاهم الى نصره واتباع ملته
فاجابوه وقاموا بذلك خير قيام وصبروا في ذات الله وروى انه مر بهم وهم يصطادون السمك واختلف
الناس لم قيل لهم الحواريون فقال سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم ونقائها وقال ابو ارطاه
سموا بذلك لانهم كانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها وقال قتاده الحواريون اصفيا
الانبيا الذى يصلح لهم الخلافة وقال الضحاك نحوه وهذا تعديد حال القوم وليس بتفسير اللفظ وعلى هذا
الحد سمه النبي عليه السلام ابن عمته بهم في قوله وحواري الزبير والاقوال الاول هي تفسير اللفظ اذ هي من
الحور وهو البياض حورت الثوب بيضته ومنه الحوارى وقد سمي العرب النسا كاتب في الامصار الحواريات
لغلبة البياض عليهن ومنه قول ابى حالد المسكري فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب
النوابح وحكى مكى ان مريم دفعت عليه السلام فصغره في اعمال سيء وكان اخر ما دفعته الى الحواريين
وهم الذين يقصرون الثياب ثم يصبغونها فاراهم ايات وصبغ لهم الوانا ستى من ما واحد والجمهور
الناس الحواريون بتشديد اليا واحدهم حوارى وليست تناسب وانما هي كيا كرسي وقرا ابراهيم
النخعي وابو بكر الثقفي الحواريون مخففة اليا في جميع القران قال ابو الفتح العرب تعاف ضم اليا الخفيفة المكسور
ما قبلها ومسع منها ومتى جاءت في نحو قولهم العادون والقاضون والساعون ونحوه اغلب ان
يستثقل الضمة فتسكن اليا وينقل حركتها ثم يحذف لسكونها وسكون الواو بعدها فيجي العادون
ونحوه وكان يحب على هذا ان يقال الحاريون لكن وجه القراة على ضعفها ان التا حقيقة استثقالا
لتضعيفها وحملت الضمة دلالة على ان التشديد مراد اد التشديد يحتمل الضمه وهذا كما ذهب
ابو الحسن في تخفيف يستهزئون الى ان اخلص الهمزة يا السه وحملها الضمه بذكر الحال الهمزه المراده
فيها وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون خطابا لعيسى عليه السلام اى اشهد انا عبد الله ويحتمل
ان يكون خطابا لله تعالى كما تقول انا اشهد الله على كذا اذا عزمت وبالغت في الالتزام ومنه قول
النبي عليه السلام في حجة الوداع اللهم اشهد قال الطبري وفي هذه الاية توبيخ لنصارى نجران
اى هذه مقالة الاسلاف المؤمنين بعيسى لا ما تقولوا انتم يا من يدعى له الالوهية وقولهم ربنا
امنا بما انزلت يريدون الانجيل وايات عيسى والرسول عيسى عليه السلام وقولهم فاكتبنا مع الشاهدين
عبارة عن الرغبة في ان يكونوا عنده في عداد من شهد بالحق من مؤمني الامم ولما كان البشر يعهد ما
يحتاج الى علم وتحقيقه في ما في حال بالكتاب عبروا عن فعل الله بهم بذلك وقال ابن عباس قولهم من
الشاهدين معناها اجعلنا من امة محمد عليه السلام في ان يكونوا ممن يشهد على الناس ثم اخبر تعالى
عن بني اسرائيل الكافرين بعيسى عليه السلام فقال ومكروا يريد بتحيلهم في اخذ عيسى للقتل بزعمهم وروى
انهم تحيلوا له وادكوا عليه العيون حتى دخل هو والحواريون بيتا فاخذوهم فيه فهذا مكر بني اسرائيل
وجازاهم الله بان طرح شبه عيسى على احد الحواريين ورفع عيسى واعقب بني اسرائيل مذلة وهوانا
في الدنيا والاخرة فهذه العقوبة التي سماها الله تعالى مكرا في قوله ومكر الله وذلك مهيع ان سمى
العقوبة باسم الذنب وان لم يكن في معناه وعلى هذا فسر جمهور المفسرين وعلى ان عيسى قال للحواريين
من يصبر فيلقى عليه شبهي فيقتل وله الجنه فقال احدهم انا فكان كذلك وروى قوم ان بني اسرائيل
دست يهوديا جاسوسا على عيسى حتى صحبه ودلهم عليه ودخل معه في البيت فلما احيط بهم
القى الله شبه عيسى على ذلك اليهودي فاخذ وصلب فهذا معنى قوله ومكر الله وهذه ايضا تسمية عقوبة
باسم الذنب والمكر في اللغة السعي على الانسان دون ان يظهر له ذلك بل يبطن الماكر ضد ما يبدي
وقوله والله خير الماكرين معناه في انه فاعل حق في ذلك والماكر من البشر فاعل باطل في الاغلب لانه
في الاباطيل يحتاج الى التحيل والله تعالى اشد بطشا وانفذ اراده فهو خير من جهات لا يحصى لا اله
الا هو وذكر حصر عيسى عليه السلام وعده اصحابه وامر الشبه وغير ذلك من امره سياتي في موضعه
ان شا الله تعالى قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين
كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم
من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين
ن قال الطبري العامل في اذ قوله تعالى ومكر الله وقال غيره من النحاة العامل فعل مضمر تقديره
اذكر وهذا هو الاصوب وهذا القول هو بوساطة الملك لان عيسى ليس بمكلم وعيسى
اسم اعجمي معرف فلذلك لا ينصرف وهو بالسريانية ايسوع عدلته العرب الى عيسى و
اختلف المفسرون في هذا التوفي فقال الربيع هي وفاة نوم رفع الله في منامه وقال الحسن

وابن جريج ومطر الوراق ومحمد بن جعفر بن الزبير وجماعة من العلماء انى قابضك من الارض ومحاصلك
في السماء فهي توفي قبض وتحصيل وقال ابن عباس هي وفاة موت معناه اني مميتك هذا لفظ ابن عباس
ولم يفسر وقال وهب بن منبه توفاه الله بالموت ثلث ساعات ورفعه فيها ثم احياه الله بعد ذلك
عنده في السما وفي بعض الكتب سبع ساعات وقال الفرا هي وفاة موت ولكن المعنى اني متوفيك
في اخر امرك عند نزولك وقتلك الدجال ففي الكلام تقديم وتاخير ووقع في كتاب مكي عن قوم ان
معنى متوفيك متقبل عملك وهذا اضعف من جهة اللفظ واجمعت الامة على ما تضمنه الحديث
المتواتر من ان عيسى عليه السلام في السما حي وانه ينزل في اخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصلب
ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد صلى الله عليه وسلم ويحج البيت ويعتمر
ويبقى في الارض اربعا وعشرين وقيل اربعين سنه ثم يميته الله تعالى قال الفقيه ابو محمد عبد الحق رحمه الله
فقول ابن عباس هي وفاة موت لا بد ان يتم اما على قول وهب بن منبه واما على قول الفرا وقوله تعالى ورافعك
عبارة عن نقله من علو الى سفل وقوله الى اضافة تشريف لما كانت سماه والجهة المكرمه المعظمة المهيبة
المرجوه والا فمعلوم ان الله تعالى غير متحيز في جهة وقوله تعالى ومطهرك حقيقة التطهر انما هي من دنس و
نحوه واستعمل ذلك في السب والدعاوى والاثام وخلطة الشر ومعاشرتهم تشبيها لذلك كله
بالادناس فطهر الله عيسى من دعاوي الكفرة ومعاشرتهم القبيحة له وقوله تعالى وجاعل اسم
فاعل للاستقبال وحذف تنوينه تخفيفا وهو متعد الى مفعولين لانه بمعنى مصير فاحدهما الذين
والاخر فوق الذين كفروا وقال ابن زيد الذين اتبعوه هم النصارى والذين هم اليهود والاية مخبرة عن اذلال
اليهود وعقوبتهم بان النصارى فوقهم في جميع اقطار الارض الى يوم القيمة فخصص ابن زيد رحمه الله
المتبعين والكافرين وجعله حكما دنياويا لا فضيلة فيه للمتبعين الكفار منهم بل كونهم فوق اليهود
عقوبة لليهود فقط وقال جمهور المفسرين بعموم اللفظ في المتبعين فيدخل في ذلك امة محمد لانها
متبعة لعيسى نص على ذلك قتاده وغيره وكذلك قالوا بعموم اللفظ في الكافرين فمقتضى الاية اعلام
عيسى ان اهل الايمان به كما يجب هم فوق الذين كفروا بالحجة والبرهان وبالعز والغلبه ويظهر من عبارة
ابن جريج وغيره ان المراد بالمتبعين له في وقت استنصاره وهم الحواريون جعلهم الله فوق
الكافرين لانه شرفهم وابقى لهم في الصالحين ذكرا فهم فوقهم بالحجة والبرهان وما ظهر عليهم من
امارات رضوان الله وقوله تعالى ثم الي مرجعكم الخطاب لعيسى والمراد الاخبار بالقيامة والحشر
فلذلك جاء اللفظ عاما من حيث الامر في نفسه لا يخص عيسى وحده فكانه قال له ثم الي اى الى
حكمي وعدلي مرجع الناس خاطبه كما يخاطب الجماعة اذ هو احدها واذ هي مراده في المعنى وقوله
فاحكم الى آخر الاية وعد لعيسى والمؤمنين ووعيد للكافرين وقوله تعالى فاما الذين كفروا الخبار بما يجعل
عليه حالهم من ولد امرهم وليس باخبار عما يفعل بعد يوم القيمة لانه قد ذكر الدنيا وهي قبل و
انما المعنى فاما الكافرون فالصنع بهم انهم يعذبون عذابا شديدا في الدنيا بالاسر والقتل و
الجزية والذل ومن لم ينله ذلك منهم فهو تحت خوفه اذ يعلم ان شرع الاسلام طالب له بذلك
وقد انذر الوجود هذا وفي الاخرة معناه بعذاب النار ثم ذكر قسم الايمان وقرن الاعمال
الصالحات تنبيها على درجة الكمال ودعا اليها وقرا حفص عن عاصم فيوفيهم على الغيبة والفعل
مسند الى الله تعالى وقرا الباقون وابو بكر عن عاصم فنوفيهم بالنون وهي نون العظمة وتوفية الاجور
هي قسم المنازل في الجنة فذلك هو بحسب الاعمال واما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وبفضله و
تقدم نظير قوله لا يحب الظالمين في قوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قوله تعالى ذلك نتلوه
عليك من الايات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ن ذلك رفع بالابتداء
والاشارة الى ما تقدم ونتلوه عليك خبر الابتداء وقوله من الايات لبيان الجنس ويجوز ان يكون
للتبعيض ويصح ان يكون نتلوه عليك حالا ويكون الخبر في قوله من الايات وعلى مذهب الكوفيين
يكون قوله نتلوه صلة لذلك على حد قولهم في بيت ابن مفرغ الحميري وهذا تحملين طليق ويكون الخبر في قوله
من الايات وقول البصريين في البيت ان تحملين حال التقدير وهذا محمولا ونتلوه معناه نسرده و
من الايات ظاهره ايات القران ويحتمل ان يريد بقوله من الايات من المعجزات والمستغربات ان
تاتيهم بهذه الغيوب من قبلنا وبسبب تلاوتنا وانت امي لا تقرا وليست ممن صحب اهل الكتاب
فالمعنى انها ايات لنبوتك وهذا الاحتمال انما يتمكن مع كون نتلوه حالا والذكر ما ينزل من عند الله
والحكيم يجوز ان يتاول بمعنى المحكم فهو فعيل بمعنى مفعول ويصح ان يتاول بمعنى مصرح بالحكمة فيكون بنا
اسم فاعل قال ابن عباس الذكر القران والحكيم الذى قد كمل في حكمته وذكر ابن عباس وقتاده وعكرمه

والسدى وغيره قالوا سبب نزول قوله تعالى ان مثل عيسى الاية وفد نجران جادلوا النبي عليه السلام
في امر عيسى فقالوا بلغنا انك تشتم صاحبنا وتقول هو عبد فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يضر ذلك
عيسى اجل هو عبد الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فقالوا فهل رايت بشرا قط جاء من
غير فحل او سمعت به وخرجوا من عند النبي فانزل الله عليه هذه الاية وقوله تعالى ان مثل عبر عنه
بعض الناس بان صفة عيسى وقرنوا ذلك بقوله تعالى مثل الجنة قالوا معناه صفة الجنة
وهذا عندى خطا وضعف في فهم الكلام وانما المعنى ان المثل الذى يتصوره النفوس
والعقول من عيسى فهو كالمتصور من ادم اذ الناس كلهم مجمعون على ان الله تعالى خلقه من
تراب من غير فحل وكذلك مثل الجنة عبارة عن المتصور منها وفي هذه الاية صحة القياس
اى اذا تصور امر ادم قيس عليه جواز امر عيسى عليه السلام والكاف في قوله كمثل اسم على ذكرنا
من المعنى وقوله عند الله عبارة عن الحق في نفسه اى هكذا هو الامر فيما غاب عنكم وقوله خلقه من تراب
تفسير لمثل ادم الذى سعى ان يتصور والمثل والمثال معنى واحد ولا يجوز ان يكون خلقه صلة لادم
ولا حالا لانه قال الزجاج اذ الماضى لا يكون حالا انت فيها بل هو كلام مقطوع منه متضمنه تفسير
المثل وقوله عز وجل ثم قال ترتيب الاخبار لمحمد عليه السلام المعنى خلقه من تراب ثم كان من امره
في الازل ان قال له كن وقت كذا وعلى مذهب ابى على الفارسى فان القول مجازى مثل وقال قطى وان هذه
الاية عبارة عن التكوين فيم على بانها في ترتيب الامرين المذكورين وقرا الجمهور فيكون بالرفع على معنى
فهو يكون وقرا ابن عامر فيكون بالنصب وهى قراة ضعيفة الوجه وقد تقدم توجيهها انفا في مخاطبة
مريم وقوله تعالى الحق من ربك رفع بالابتداء وخبره فيما يتعلق به قوله من ربك او الحق ذلك او ما قلنا ذلك
ويجوز ان يكون خبر ابتداء تقديره هو الحق والممترين هم الشاكون والمرية الشك ونهى النبي عليه السلام
في عبارة اقتضت ذم الممترين وهذا يدل على ان المراد بالامترا وقيل فلا يكن ممتريا لكانت هذه
الدلالة اقل ولو قيل فلا تمتر لكانت اقل ونهى النبي عليه السلام عن الامترا مع بعده عنه على
جهة التثبيت والدوام على حاله وقوله تعالى فمن حاجك معناه جادلك ونازعك الحجة فالضمير في
قوله يحتمل ان يعود على عيسى ويحتمل ان يعود على الحق والعلم الذى اشير اليه بالمجى هو ما تضمنه هذه
الايات المتقدمه من امر عيسى وقوله تعالى فقل تعالوا الاية استدعاء المباهلة وتعالوا تفاعلوا
من العلو وهى كلمة قصد بها اولا تحسين الادب مع المدعو ثم اطردت حتى يقولها الانسان لعدوه
ونحو ذلك ونبتهل معناه نلتعن ويقال عليهم بهلة الله بمعنى اللعنة والابتهال الجد في الدعاء بالبهل
وروى في قصص هذه الاية انها نزلت بسبب محاجة نصارى نجران في عيسى عليه السلام وقولهم هو الله
وكانوا يكبرون الجدال وقد روى عبد الله بن الحرث بن جز الشوى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليت بينى وبين اهل نجران حجابا فلا اراهم ولا يروني لشدة ما كانوا يمارونه فلما قرا النبي
صلى الله عليه وسلم الاية دعاهم الى ذلك فروى الشعبى وغيره انهم وعدوه لغد انهم يلاعنونه فا
فانطلقوا الى السيد والعاقب فتابعهم على ان يلاعنوه فانطلقوا الى رجل اخر منهم عاقل فذكروا
له ما صنعوا فذمهم وقال وان كان نبيا ودعا عليكم هلكتم وان كان ملكا فظهر عليكم
لم يبق عليكم قالوا فكيف نصنع وقد واعدناه قال اذا اعدوتم ودعاكم الى ذلك فاستعيذوا بالله
من ذلك فعسى ان يعفيكم فلما كان الغد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا حسينا اخذ
بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه فدعاهم الى الميعاد فقالوا نعوذ بالله فاعاد فاعادوا التعوذ فقال
النبي عليه السلام فان ابيتم فاسلموا فان ابيتم فاعطوا الجزية عن يد وانتم صاغرون فان ابيتم فانى
انبذ لكم على سواء قالوا لا طاقة لنا بحرب العرب ولكنا نؤدى الجزية قال فجعل عليهم في كل سنة
الفى حلة الفا في رجب والفا في صفر وطلبوا منه رجلا امينا يحكم بينهم فبعث معهم ابا عبيدة بن
الجراح وقال لقد جاءنى البشير بهلكة اهل نجران لو تموا على الملاعنة وروى محمد بن جعفر بن الزبير
وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعاهم قالوا دعنا ننظر في امرنا ثم ناتيك بما نفعل فذهبوا
الى العاقب وهو ذو رايهم فقالوا يا عبد المسيح ما ذا ترى فقال يا معشر النصارى والله لقد عرفتم
ان محمدا النبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم قط نبيا فبقى كبيرهم و
لا نبت صغيرهم وانه الاستيصال ان فعلتم فان ابيتم الا الف دينكم وما انتم عليه من القول في صاحبكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم حتى يريكم زمن رايه فاتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا
القاسم قد راينا ان لا نلاعنك وان نبقى على ديننا وصالحوه على اموال وقالوا ابعث لنا رجلا من اصحابك
ترضاه لنا حكم بيننا في اشيا قد اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضى وروى السدى وغيره
ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء هو وعلى وفاطمة والحسن والحسين فدعاهم فابوا وجزعوا وقال لهم
احبارهم ان فعلتم اضطرم عليكم الوادى نارا فصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ثمانين الف

درهم

درهم في العام فما عجزت عنه الدراهم ففى العروض الحلة باربعين درهم وعلى ان عليهم ثلثة وثلثين درعا
وثلثة وثلثين بعيرا او اربع وثلثين فرسا عارية كل سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لذلك حتى
يؤديها اليهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لاعنوا لاستوصلوا من جديد الارض وقال ايضا
لو فعلوا لاضطرم عليهم الوادى نارا وروى علبا ابن احمر اليشكرى قال لما نزلت هذه الاية ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على وفاطمة والحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب
من اليهود ويحكم اليس عهدكم بالامس باخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير فلا يلاعنوا فانتهوا
وفي هذه القصه اختلافات للرواه وعبارات كلها تجرى في معنى ما ذكرناه لكنا قصدنا الايجاز
وفي ترك النصارى الملاعنه لعلمهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم شاهد عظيم على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وما روى من ذلك خير مما روى الشعبى من تقسيم ذلك الرجل العاقل فيهم
امر محمد بانه اما نبى واما ملك لان هذا يطرد ساوى وما رواه الرواة من انهم تركوا الملاعنة لعلمهم
بنبوته احج لنا على سائر الكفرة واليق بحال محمد صلى الله عليه وسلم ودعا النسا والابنا للملاعنة اهز
للنفوس وادعا لرحمة الله او لغضبه على المبطلين وظاهر الامر ان النبي عليه السلام جاءهم بما يخصه
ولو عزموا لاستدعى المؤمنين بابنائهم ونسائهم ويحتمل انه كان يكتفى بنفسه وخاصته فقط قوله تعالى
ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون هذا اخبار من الله جزم مؤكد فصل
بين المختصمين والاشارة بهذا هى الى ما تقدم في امر عيسى قال ابن عباس وابن جريج وابن زيد وغيرهم
القصص معناه الاخبار يقول قص يقص قصا وقصصا اذا تتبع الامر يخبر به شيا بعد شى قال قوم هو ماخوذ
من قص الاثر وقوله لهو يحتمل ان يكون فصلا ويحتمل ان يكون ابتداء ومن في قوله من اله مؤكدة بعد النفى وهى
التى يتم الكلام دونها لكنها يعطى معنى التاكيد وقوله تعالى فان الله عليم بالمفسدين وعيد واختلف المفسرون
من المراد بقوله قل يا اهل الكتاب فقال قتاده ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود المدينه
الى الكلمة السوا وهم الذين حاجوا في ابراهيم وقاله الربيع وابن جريج وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الاية
في وفد نجران وقاله السدى وقال ابن زيد لما اتى اهل نجران ما دعوا اليه من الملاعنة دعوا الى ايسر من
ذلك وهى الكلمة السواء والذى يظهر لى ان الاية نزلت في وفد نجران لكن لفظ اهل الكتاب يعمهم وسواهم
من النصارى واليهود فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يهود المدينة بالاية وكذلك كتب بها
الى هرقل عظيم الروم وكذلك ينبغى ان يدعى بها اهل الكتاب الى يوم القيامة وقرا جمهور الناس الى كلمة
بفتح الكاف وكسر اللام وقرا ابو السمال كلمة بفتح الكاف وسكون اللام وروى عنه قرا كلمة بكسر الكاف و
سكون اللام وذلك على القاء حركة اللام على الكاف كما قالوا في كبد كبد بكسر الكاف وسكون البا والكلمة هنا
عبارة عن الفاظ التى يتضمن المعانى المدعو اليها وهو ما فسر بعد ذلك بقوله الا نعبد الا الله وهذا كما
يسمى العرب القصيده كلمة وجمهور الناس على ان الكلمة هى ما فسر بعد قال ابو العاليه الكلمة السواء لا اله
الا الله والقولان مجتمعان لان كل ما فسر ينطبق عليه معنى لا اله الا الله وقوله سواء نعت الكلمة وقال
قتاده والربيع وغيرهما معناه الى كلمة عدل فهذا معنى السواء وفي مصحف عبد الله بن مسعود الى كلمة عدل
بيننا وبينكم كما فسر قتاده والربيع وقال بعض المفسرين معناه الى كلمة قصد وهذا قريب في المعنى
من الاول والسواء والعدل والقصد مصادر وصف بها في هذه التقديرات كلها والذى اقوله
في لفظ سواء انها ينبغى ان يفسر بتفسير خاص بها في هذا الموضع وهو انه دعاهم الى معان جميع الناس
فيها مستوون صغيرهم وكبيرهم وقد كانت سيرة المدعوين ان يتخذ بعضهم بعضا اربابا فلم يكونوا
على استواء حال فدعاهم بهذه الاية الى ما تالفه النفوس من حق لا يتفاضل الناس فيه فسواء على هذا
التاويل بمنزلة قولك لاخر هذا شريكى في مال سواء بينى وبينه والفرق بين هذا التفسير وبين
تفسير اللفظة بعدل انك لو دعوت اسيرا عندك الى ان يسلم او يضرب عنقه لكنت قد دعوته
الى السواء الذى هو العدل وعلى هذا الحد جاءت لفظة سواء في قوله تعالى فانبذ اليهم على سواء
على بعض التاويلات ولو دعوت اسيرك الى ان يومن يكون مؤمنا فيكون حرا مقاسما لك في عيشك
لكنت قد دعوته الى الذى هو استواء الحال على ما فسرته واللفظة على كل تفسير فيها معنى العدل و
لكنها لم يكن لمتقدم ان يكون في اللفظة معنى قصد استواء الحال وهو عندى حسن لان النفوس تالفه
والله الموفق للصواب برحمته وقوله تعالى ان لا نعبد يحتمل ان يكون في موضع خفض بمعنى الى ان لا نعبد
وذلك على البدل من كلمة ويحتمل ان يكون في موضع رفع بمعنى هى ان لا نعبد الا الله وما ذكر المهدوى
وغيره من ان يكون مفسرة الى غير ذلك من الجائزات التى يلزم عنها رفع نعبد اكثر منهم
فاختصرته واتخاذ بعضهم بعضا اربابا هو على مراتب اعلاها اعتقادهم فيهما الالوهية

وعباداتهم لهم على ذلك كعزير وعيسى بن مريم و بهذا فسر عكرمه وادلى ذلك طاعتهم لا
سا فقتهم و روسايهم فى كل ما امروا به من الكفر والمعاصى والتزامهم طاعتهم شرعا
و بهذا فسر ابن جريج فجاءت الاية بالدعا الى ترك ذلك كله وان يكون الممثل ما امر الله به
على لسان نبيه و قوله تعالى فقولوا اشهدوا امر بالاعلان بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك
واشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد اى ستروا انتم ايها المتولون عاقبة توليكم كيف
يكون **قوله تعالى** يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل
الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
والله يعلم وانتم لا تعلمون ت اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية فقال ابن عباس
اجتمعت نصارى نجران واحبار اليهود عند النبى صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده
فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا
فانزل الله الاية وقاله السدى وقتاده وحكى الطبرى عن مجاهد وقتاده ايضا انهما قالا نزلت بسبب
دعوى اليهود انه منهم وانه مات يهوديا وجعل هذا القول تحت ترجمة مفردة والصحيح ان جميع
المتاولين انما نحوا منحى واحدا وان الاية فى اليهود والنصارى والفاظ الاية تعطى ذلك فكيف
يدفع احد الفريقين عن ذلك وهذه الاية مبينة فساد هذه الدعاوى التى لا تسند لقيام الدليل
القاطع على فسادها لانهم ادعوا لابراهيم الخليل نحلا لم يحدث فى الارض ولا وجدت الا بعد موته
بمدة طويلة ولما كان هذا الدليل عقليا قال الله لهم موبخا افلا تعقلون واختلف القرا فى قوله ها انتم
فى المد والهمز وتركه فقرا ابن كثير ها انتم فى وزن سمعتم وقرا نافع وابو عمرو هانتم استفهاما بلا
همز وقرا الباقون ها انتم ممدودا مهموزا ولم يختلفوا فى مد ها ولا واولا وجه قراءة ابن كثير انه بدل
من همزة الاستفهام انتم ووجه قراءة نافع وابو عمرو احد امرين يجوز ان يكون ها التى للتشبيه دخلت
على انتم ويكون التنبيه داخلا على الجملة كما دخل فى قولهم وكما دخل يا التى للتنبيه فى قوله الا يا سجدوا
وفى قول الشاعر يا قاتل الله صبيانا تجى بهم ام الهنيدر من زند لها وارى وقول الاخر يا لعنة الله
والاقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار وخفف الهمزة من انتم ولم يحقق بعد الالف كما قالوا
فى هناه هناه ويجوز ان يكون الهاء فى ها انتم بدلا من همزة الاستفهام كوجه قراءة ابن كثير ويكون الالف
هى التى تدخل بين الهمزتين لتفصل بينهما ووجه قراءة الباقون ها انتم مهموز ممدود ويحتمل الوجهين اللذين
فى قراءة نافع وابى عمرو وحققوا الهمزة التى بعد الالف ولم يخففوها كما خففها ابو عمرو ونافع فلم يلحق
الالف للفصل بين الهمزتين كما يراه ابو عمرو فينبغى ان يكون ها فى قوله للتنبيه ولا يكون بدلا
من همزة الاستفهام واما هؤلاء ففيها لغتان المد والقصر وقد جمعهما بيت الاعشى فى بعض الروايات
هاؤلاء ثم هؤلاء قد اعطيت نعالا محذوه سعال واما اعراب ها انتم هؤلاء فابتداء وخبر
وحاججتم فى موضع حال لا يستغنى عنها وهى بمنزلة قوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ويحتمل ان يكون
هؤلاء بدلا او صفة ويكون الخبر حاججتم وعلى مذهب الكوفيين حاججتم صلة لاولاء والخبر فى قوله فلم
تحاجون ومعنى قوله فيما لكم به علم اى على زعمكم وانما المعنى فيما بسببه فيه دعواكم ويكون الدليل العقلى
لا يرد عليكم وفسر الطبرى هذا الموضع بانه فيما لهم به علم من جهة كتبهم وانبيائهم فيما انعنوه وثبت
عندهم صحته وذهب عنه رحمه الله ان ما كان هكذا فلا يحتاج معهم فيه الى محاجة لانهم يجدونه عند محمد
كما كان هنالك على حقيقته وباقى الاية بين **قوله تعالى** ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله
ولى المؤمنين ت اخبر الله تعالى فى هذه الاية عن حقيقة امر ابراهيم فنفى عنه اليهودية والنصرانية و
والاشراك الذى هو عبادة الاوثان ودخل فى ذلك الاشراك الذى تضمنه اليهودية والنصرانية وجاء
ترتيب النفى على غاية الفصاحة نفى نفس الملل وقرر الحال الحسنة ثم نفى نفيا بين به ان تلك الملل فيها هذا
الفساد الذى هو الشرك وهذا كما يقول ما اخذت لك بالابل حفظته وما كنت سارقا ثم اخبر تعالى
اخبارا مؤكدا ان اولى الناس بابراهيم الخليل عليه السلام هم القوم الذين اتبعوه على ملته الحنيفية و
هنا يدخل كل من اتبع الحنيفية فى الفترات وهذا النبى هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه بعث بالحنيفية السمحة
والسمى فى الاعراب نعت او عطف بيان او بدل وفى كونه بدلا نظر والذين امنوا يعنى بمحمد عليه السلام
وسائر الانبياء على ما يجب دون المحرفين المبدلين ثم اخبر تعالى ان الله ولى المؤمنين وعدا منه بالنصر
لهم فى الدنيا والنعيم فى الاخرة والحنيف ماخوذ من الحنف وهو الاستقامة وقيل هو الميل ومنه قيل
للمائل الرجل حنف فالحنيف من الاستقامة معناه المستقيم ومن الميل معناه المائل عن معوج
الاديان الى طريق الحق واختلف عبارة المفسرين عن لفظ الحنف حتى قال بعضهم الحنيف الحاج وكلها
عبارة عن الحنف باجزاء منه كالحج وغيره واسند الطبرى عن عبد الله بن عمر عن ابيه ان زيد بن عمرو بن نفيل

خرج الى الشام ليسل عن الدين ويتبع فلقيه عالم من علماء اليهود فسأله عن دينه وقال انى اريد ان اكون على
دينكم فقال له اليهودى انك لن تكون على ديننا حتى تاخذ نصيبك من غضب الله قال زيد ما افر الا من غضب الله
ولا احمل من غضب الله شيئا ابدا واما لا استطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا قال ما اعلمه الا ان يكون
حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وكان لا يعبد الا الله فخرج من عنده
فلقى عالما من النصارى فقال له مقالته لليهودى غير ان النصرانى قال له نصيبك من لعنة الله فخرج من عنده
وقد اتفقا له على ملة ابراهيم فلم يزل رافعا يديه الى الله وقال اللهم انى على ملة ابراهيم وروى عبد الله بن
مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى منهم ابى وخليل ربى ابراهيم
عليه السلام ثم قرأ ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المؤمنين
قوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون
ت اخبر الله تعالى عن طائفة انها تود وتسعى ان تضل المسلمين اى تسلبهم عن دينهم وتجعلهم فى ضلال
ثم فسر الطائفة بقوله من اهل الكتاب فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويكون الطائفة من الروسا والاحبار
الذين تسكن الناس الى قولهم ويحتمل ان يكون لبيان الجنس ويكون الطائفة جميع اهل الكتاب وقال الطبرى
يضلونكم معناه يهلكونكم واستشهد ببيت جرير ت كنت القذى فى موج اكدر مزبد قذف الاتى به فضل ضلالا
وهذا التفسير غير خاص ولا لاص باللفظة وانما اطرد لان هذا الضلال فى الاية وفى البيت اقترن
به هلاك واما ان تفسر لفظة الضلال بالهلاك فغير قويم وقوله تعالى وما يضلون الا انفسهم اعلام بان
سوء فعلهم عائد عليهم وانهم ببعدهم عن الاسلام هم الضالون ثم اعلم انهم لا يشعرون لذلك اى
لا يتفطنون ماخوذ من الشعار الماخوذ من الشعر وقيل المعنى لا يشعرون انهم لا يضلون الا ضلالكم ثم وقفهم
تعالى موبخا لهم على لسان نبيه والمعنى قل لهم يا محمد لاى سبب يكفرون بايات الله التى هى ايات القرآن وانتم
تشهدون ان امره وصفته محمد هو الامى فى كتابكم قال هذا المعنى قتاده وابن جريج والسدى ويحتمل
الاية ان يريد بالايات ما ظهر على يدى محمد عليه السلام من المعجزات من تعجيز العرب والاعلام بالغيوب
وتكلم الجمادات وغير ذلك وتشهدون على هذا يكون بمعنى تحضرون وتعاينون والتاويل الاول اقوى
لانه روى ان اهل الكتاب كانوا قبل ظهور محمد عليه السلام يخبرون بصفة النبى الخارج وحاله ولما خرج
كفروا به حسدا فاخبارهم المتقدم لظهوره هو الشهادة التى وقفوا عليها قال مكى وقيل ان هذه
الايات عنى بها قريظة والنضير وبنو قينقاع ونصارى نجران وقوله لم تلبسون الحق معناه تخلطون يقول
لبست الامر بفتح الباء بمعنى خلطته ومنه قوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون ويقال لبست الثوب
بكسر الباء قال ابن زيد الحق الذى لبسوه هو التوراة المنزلة والباطل الذى لبسوه به هو ما كتبوه بايديهم
ونسبوه الى التوراة وقال ابن عباس اسلامهم بكرة والباطل كفرهم عشية والاية نزلت فى قول عبد الله
ابن الصيف وعدى بن زيد والحرث بن عوف تعالوا نؤمن بما انزل على محمد وجه النهار ونكفر اخره عسى
ان نلبس على المسلمين امرهم قال قتاده وابن جريج قوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه لم تخلطون اليهودية
والنصرانية بالاسلام وقد علمتم ان دين الاسلام فكان هذا المعنى لم تسقون على هذه الاديان وتوجدونها
فيكون فى ذلك لبس على الناس اجمعين وقال بعض المفسرين الحق الذى لبسوه قولهم محمد نبى مرسل والباطل
الذى لبسوه به قول احبارهم لكن ليس الينا بل ملة موسى مؤبدة وقوله تعالى وتكتمون الحق وانتم تعلمون يريد
شان محمد عليه السلام كذلك قال الربيع وابن جريج وقتاده وغيرهم فى قوله وانتم تعلمون توقيف على العناد ظاهر
قال ابو اسحق الزجاج ولو قيل وتكتموا الحق لجاز على قولك لم تجمعون ذا وذا على ان تكتموا فى موضع نصب على الظرف
فى قول الكوفيين وباضمار ان فى قول اصحابنا قال ابو على النصب على الظرف ها هنا يقبح وكذلك اضمار ان لان تكتمون
معطوف على موجب مقرر وليس يستفهم عنه وانما استفهم عن السبب الموجب موجب فليست
الاية بمنزلة قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وبمنزلة قولك ا اقوم فاقوم والعطف على الموجب المقرر
قبيح متى نصب الا فى ضرورة شعر كما روى والحق بالحجاز فاستريحا وقد قال سيبويه فى قولك اشرب
حتى يدخل المدينة لا يجوز الا النصب فى يدخل لان السير مستفهم عنه غير موجب واذا قلت ايهم
سار حتى يدخلها رفعت لان السير موجب والاستفهام وقع عن غيره **قوله تعالى** وقالت طائفة من
اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم به عند ربكم ت اخبر تعالى
فى هذه الاية ان طائفة من اليهود من احبارهم ذهبت الى خديعة المسلمين بهذا المنزع قال الحسن
قالت ذلك يهود خيبر ليهود المدينة قال قتاده وابو مالك والسدى وغيرهم قال بعض الاحبار
لنظهر الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم صدر النهار ثم لنكفر اخره فسيقول المسلمون عند ذلك
ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا ما ذلك الا انهم انكشف لهم حقيقة فى الامر فتسكون ولعلهم

يرجعون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ولما كانت الاحبار يظن بهم العلم وجوده النظر والاطلا
والاطلاع على الكتاب القديم طمعوا ان يخدع العرب بهذه الربعة ففعلوا ذلك وجاؤا الى النبي
صلى الله عليه وسلم بكره فقالوا انت هو يا محمد الموصوف في كتابنا ولكن امهلنا الى العشي حتى
ننظر في امرنا ثم رجعوا بالعشي فقالوا قد نظرنا ولست به ووجه النهار على هذا التاويل
منصوب بقوله امنوا والمعنى اظهروا الايمان في وجه النهار والضمير في قوله اخره عائد على النهار
وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما نزلت الاية لان اليهود ذهب الى المكر بالمؤمنين فصلوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الصبح ثم رجعوا اخر النهار فصلوا صلوتهم ليرى الناس
انهم بدت لهم منه ضلالة بعد ان كانوا اتبعوه وهذا القول قريب من القول الاول وقال
جماعة من المفسرين نزلت هذه الاية في امر القبلة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى صلوة الصبح الى الشام كما كان يصلي ثم حولت القبلة فصلى الظهر وقيل العصر الى
مكة فقالت الاحبار لاتباعهم وللعرب امنوا بذلك الذي انزل اول النهار واكفروا
بهذه القبلة الاخيرة والعامل في قوله وجه النهار على هذا التاويل قوله انزل والضمير في قوله اخره
يحتمل ان يعود على النهار او يعود على الذي انزل ويرجعون على هذا التاويل معناه من مكة الى قبلتنا
التي هي الى الشام كذلك قال قائلوا هذا التاويل ووجه النهار اوله الذي تواجه منه تشبيها بوجه
الانسان وكذلك يقول صدر النهار وغيره العام والشهر ومنه قول النبي عليه السلام اصليه في غرة
ومن هذا قول الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار تجد النساء
حواسرا تندبنه قد قمن قبل تبلج الاسحار يقول هذا في مالك بن زهير بن جذيمة العبسي وكانوا قد اخذ
ثاره وكان القتل لا يناح عليه ويندب الا بعد اخذ ثاره فالمعنى من سره مصابنا به فلينظر الى
ما يدله على انا قد ادركنا ثارنا فكمد لذلك ويغتم ومن استعارة الوجه قولهم فعلت كذا على وجه
الدهر اي في القديم وذكر الله تعالى عن هذه الطائفة من اهل الكتاب انهم قالوا ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم ولا خلاف عند اهل التاويل ان هذا القول من الاحبار لاتباعهم واختلف الناس في قوله تعالى
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم فقال مجاهد وغيره من اهل التاويل الكلام كله قول
الطائفة لاتباعهم وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين الكلامين قال القاضي رحمه الله
والكلام على هذا التاويل يحتمل على معان احدها ولا تصدقوا تصديقا صحيحا وتؤمنوا الا لمن جاء بمثل
دينكم كراهة او مخافة وحذرا ان يؤتى احد من النبوة والكرامة مثل ما اوتيتم وحذرا ان يحاجوكم
بتصديقكم اياهم عند ربكم اذا لم تستمروا عليه وهذا القول على هذا المعنى ثمرة الحسد والكفر مع
المعرفة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون التقدير بان لا يؤتى فحذفت لا لدلالة الكلام
ويحتمل الكلام ان يكون معناه ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وجاء بمثله و
عاضدا له فان ذلك لا يؤتاه غيركم او يحاجوكم عند ربكم بمعنى الا ان يحاجوكم كما يقول انا لا اتركك او يقضي
حقي وهذا القول على هذا المعنى ثمرة التكذيب بمحمد على اعتقاد منهم ان النبوة لا تكون الا في بني اسرائيل
ويحتمل الكلام ان يكون معناه ولا تؤمنوا بمحمد وتقروا بنبوته اذ قد علمتم صحتها الا لليهود الذين هم
منكم وان يؤتى احد مثل ما اوتيتم صفة لحال محمد فالمعنى تستروا باقراركم ان قد اوتي احد مثل ما اوتيتم
كانهم يعنون العرب يحاجونكم بالاقرار عند ربكم قال ابو علي وتؤمنوا بمعنى بالبا المقدرة في قوله
بان يؤتى كما بعد ما ولا في قوله بالذي انزل واللام في قوله لمن تبع دينكم لا يسهل ان تتعلق بتؤمنوا
وانت قد وصلته بالبا فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان يتعدى الى مفعولين اذا كان لا يتعدى
الا الى واحد وانما يحمل امر هذه اللام على المعنى والمعنى لا يقروا بان الله يؤتي احد مثل ما اوتيتم الا لمن
فهذا كما تقول اقررت لزيد بالف فيكون اللام متعلقة بالمعنى ولا يكون زائدة على حد ان كنتم للرؤيا
تعبرون ولا يتعلق على حد المفعول قال ابو علي وقد يتعدى امن باللام في قوله فما امن لموسى وقوله امنتم له
وقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين واحدا انما دخل في هذا الكلام بسبب النفي الواقع في اوله في قوله ولا تؤمنوا
كما دخلت في قوله ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وكما دخلت من في صلة ان ينزل
لانه مفعول النفي الواقع اللاحق لاول الكلام فكذلك دخل احد في صلة ان من قوله ان يؤتى احد لدخول النفي في اول
الكلام قال الفقيه الامام القاضي رحمه الله وهذا لان احدا الذي فيه الشياع لا يجيء في واجب من الكلام لانه
لا يفيد معنى وقرا ابن كثير وحده من بين السبعة ان يؤتى بالمد على جهة الاستفهام الذي هو تقرير
وفسر ابو علي قراءة ابن كثير على ان الكلام كله من قول الطائفة الا الاعتراض الذي هو قل ان الهدى هدى الله
فانه لا يختلف في انه من قول الله تعالى لمحمد عليه السلام قال فلا يجوز مع الاستفهام ان يحمل ان يؤتى على
ما قبله من الفعل لان الاستفهام قاطع فيجوز ان يكون ان في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف
تقديره تصدقون به او تعترفون او تذكرونه لغيركم ونحو هذا مما يدل عليه الكلام ويكون يحاجوكم على هذا

معطوفا على ان يؤتى قال ابو علي ويجوز ان يكون موضع ان نصبا فيكون المعنى اتشيعون او يذكرون ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم ويكون ذلك بمعنى قوله عنهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم فعلى كلا الوجهين معنى الاية توبيخ من
الاحبار للاتباع على تصديقهم بان محمدا نبي مبعوث ويكون قوله تعالى او يحاجوكم في تاويل نصب ان بمعنى
او يريدون ان يحاجوكم قال ابو علي واحد على قراءة ابن كثير هو الذي يدل على الكثرة وقد منع الاستفهام
القاطع من ان يشفع لدخوله النفي الذي في اول الكلام فلم يبق الا انه احد الذي في قولك احد وعشرون وهو
يقع في الايجاب لانه بمعنى واحد وجمع ضميره في قوله او يحاجوكم حملا على المعنى اذ لاحد المراد بمثل بالنبوة اتباع فهو
في معنى الكثرة قال ابو علي وهذا موضع ينبغي ان يرجح فيه غير قراءة ابن كثير على قراءة ابن كثير لان الاسماء المفردة
ليس بالمستمر ان يدل على الكثرة قال القاضي ابو محمد الا ان احدا في مثل النبوة يدل عليها من حيث يقتضي الاتباع
وقرا الاعمش وشعيب بن ابي حيوة ان يؤتى بكسر الهمزة بمعنى لم يعط احد مثل ما اعطيتم من الكرامة
وهذه القراءة يحتمل ان يكون الكلام خطابا من الطائفة القائلة ويكون قوله او يحاجوكم بمعنى او فليحاجوكم
وهذا على التصميم على انه لا يؤتى احد مثل ما اوتي ويحتمل ان يكون بمعنى الا ان يحاجوكم وهذا على تجويز ان
يؤتى احد ذلك اذا قامت الحجة له فهذا ترتيب التفسير والقراءات على قول من قال الكلام كله من قول
الطائفة وقال السدي وغيره الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله الى اخر الاية هو مما امر به محمد
عليه السلام ان يقوله لامته وحكى الزجاج وغيره ان المعنى قل ان الهدى هو هذا الهدى لا يؤتى احد مثل ما
اوتيتم وحكي عن بعض النحويين ان المعنى ان لا يؤتى احد وحذفت لا لان في الكلام دليلا عليها كما في قوله تعالى
يبين الله لكم ان تضلوا اي ان لا تضلوا وحكي عن ابي العباس المبرد لا حذف وانما المعنى كراهة ان تضلوا
وكذلك هنا كراهة ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي ممن خالف دين الاسلام لان الله لا يهدي من هو كاذب
كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين قال الامام ابو محمد وسعد من هذا القول قراءة ابن كثير
بالاستفهام والمد وحمل عليه قراءة الاعمش وابن ابي حمزة ان يؤتى بكسر الالف كانه عليه السلام
يخبر امته ان الله لا يعطي احد ولا اعطى فيما سلف مثل ما اعطى امة محمد من كونها وسطا ويكون قوله
تعالى او يحاجوكم على هذه المعاني التي يترتب في قول السدي يحتمل معنيين احدهما فليحاجوكم عند ربكم يعني اليهود
فالمعنى لم يعط احد مثل حظكم والا فليحاجوكم من ادعى سوى ذلك والمعنى الثاني ان يكون قوله او يحاجوكم
بمعنى التقرير والازراء باليهود كانه قال او هل لهم ان يحاجوكم او يخاصموكم فيما وهبكم الله وفضلكم به و
قوله هدى الله على جميع ما تقدم خبر ان وقال قتادة والربيع الكلام كله من قوله قل ان الهدى هدى الله
الى اخر الاية هو مما امر محمد عليه السلام ان يقوله للطائفة التي قالت ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وسعى
مع هذا القول قراءة ابن كثير بالاستفهام والمد وتقدير الخبر المحذوف ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او
يحاجوكم على ما اوتوه فانه يغلبونكم بالحجة واما على قراءة غير ابن كثير فيحتمل ذلك ان يكون معنى التقدير
بغير حرف الاستفهام وذلك هو الظاهر من لفظ قتادة فانه قال يقول لما انزل الله كتابا مثل كتابكم
وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموه على ذلك ويحتمل ان يكون قوله ان يؤتى بدلا من قوله هدى الله ويكون المعنى
قل ان الهدى هدى الله وهو ان يؤتى احد كالذي جاءنا نحن ويكون قوله او يحاجوكم بمعنى او فليحاجوكم
فانه يغلبونكم ويحتمل ان يكون قوله ان يؤتى خبر ان ويكون قوله هدى الله بدلا من الهدى وهذا في المعنى قريب
من الذي قبله وقال ابن جريج قوله تعالى ان يؤتى احد هو من قول محمد عليه السلام لليهود وتم الكلام
في قوله اوتيتم وقوله تعالى او يحاجوكم متصل بقول الطائفة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وهذا القول يفسر
معانيه ما تقدم في قول غيره من التقسيم والله المستعان وقرا ابن مسعود ان يحاجوكم بدل او وهذه القراءة
ملتئم مع بعض المعاني التي تقدمت ولا يلتئم مع بعضها وقوله عند ربكم يجيء في بعض المعاني على معنى عند
ربكم في الاخرة ويجيء في بعضها عند كتب ربكم والعلم الذي جعل في العباد فاضاف ذلك الى الرب تشريفا
وكان المعنى او يحاجوكم عند الحق وقرا الحسن ان يؤتي بكسر التاء على اسناد الفعل الى احد والمعنى ان انعام الله
لا يشبه انعام احد من خلقه واظهر ما في هذه القراءة ان يكون خطابا من محمد صلى الله عليه وسلم لامته
والمفعول محذوف تقديره ان يؤتي احد احدا قوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه
بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ن
في قوله تعالى قل ان الفضل الى العظيم تكذيب لليهود في قولهم نبوة موسى مؤبدة ولن يؤتي الله احد
مثل ما اوتي بنو اسرائيل من النبوة والشرف وسائر ما في الاية من لفظة واسع وغيره قد
تقدم نظيره ثم اخبر تعالى عن اهل الكتاب انهم قسمان في الامانة ومقصد الاية ذم الخونة
منهم والتقبيح لرايهم وكذبهم على الله في استحلالهم اموال العرب وفي قراءة ابن ابي كعب
تيمنه بتا ويا في الحرفين وكذلك تيمنا في يوسف قال ابو عمرو الداني وهي لغة تميم قال ابو محمد
وما اراها الا لغة قرشية وهي كسر نون الجماعة كنستعين والف المتكلم كقول ابن عمر لا اخاله

وتاء المخاطب لهذه الاية ولا يكرون الساف الغاشب وتيما قرا ابن ابي كعب في تيمنه قرا ابن مسعود
والاشهب العقيلي وابن وثاب وقد تقدم القول في القنطار في صدر السورة وقرا جمهور القرا
نؤده اليك بكسر الهاء التي هي ضمير القنطار وكذلك في الاخرى التي هي ضمير الدينار واتفق ابو عمرو وعاصم
وحمزه والاعمش على اسكان الها وكذلك كل ما اشبهه في القران نحو نصله جهنم ونوته ونوله الا ان الاخر فاحكى
عن ابن عمرو انه كسره وهو قوله تعالى فالقه اليهم قال ابو اسحق وهذا الاسكان الذي روى عن هؤلاء
هؤلاء غلط بين لان الها لا ينبغي ان تجزم واذا لم تجزم فلا يجوز ان تسكن في الوصل واما ابو عمرو
فاراه كان يختلس الكسرة فغلط عليه كما غلط عليه في بارئكم وقد حكى عنه سيبويه وهو ضابط لمثل
هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا والقنطار في هذه الاية مثال للمال الكثير يدخل فيه اكثر من القنطار و
اقل واما الدينار فيحتمل ان يكون كذلك ويحتمل ان يريد طبع لا يجوز الا في دينار فما زاد لم يعن
بذكر الحاسنين فا قلادهم طعام حثاله وقرا جمهور الناس دمت بضم الدال وقرا ابن وثاب و
الاعمش وابو عبد الرحمن السلمي وابن ابي ليلى والفياض ابن عزوان وغيرهم دمت بكسر الدال ودمتم
في جميع القران قال ابو اسحق هو من قولهم دمت تدام مثل نمت ينام وهي لغة ودام معناه ثبت
على حال والتدويم على الشي الاستدارة حول الشي ومنه قول ذي الرمة والشمس حيرى لها في الجو تدوم
والدوام الدوار ياخذ في راس الانسان فيرى الاشيا تدور له وتدويم الطاير في السما ثبوته
اذا صف واستدار والما الدائم وغيره هو الذي كانه يستدير حول مركزه وقوله قائما يحتمل
معنيين قال الزجاج وقتاده ومجاهد معناه قائما على اقتضا دينك يريدون بانواع الاقتضا
من الحفز والمرافع الى الحكام فعلى هذا التاويل لا يراعى هيئة الدايم بل اللفظة من قيام المرء على اشغاله
اي اجتهاده فيها وقال السدي وغيره قائما في هذه الاية معناه قائما على راسه على الهيئة المعروفة
وتلك نهاية الحفز لان معنى ذلك انه في صدد شغل اخر يريد ان يستقبله وذهب الى هذا التاويل
جماعة من الفقها وانتزعوا من هذه الاية جواز السجن لان الذي يقوم عليه غريمه فهو يمنع من تصرفاته في
غير القضا ولا فرق بين المنع من التصرفات وبين السجن وهذه الاية وما بعدها نزلت فيما روى بسبب
ان جماعة من العرب كانت لهم ديون في ذمم قوم من اهل الكتاب فلما اسلم اولئك العرب قالت لهم اليهود
نحن لا نؤدي اليكم شيئا حين فارقتم دينكم الذي كنتم عليه فنزلت الاية في ذلك وروي ان بني اسرائيل كانوا
يعتقدون استحلال اموال العرب لكونهم اهل اوثان فلما جاء الاسلام واسلم من اسلم من العرب بقي
اليهود فيهم على ذلك المعتقد فنزلت الاية حاميه من ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا كل شي من امر الجاهلية فهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداه الى البر والفاجر **قوله تعالى**
ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق
لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم **ن** الاشارة بذلك
الى كونهم لا يؤدون الامانة في دينار فما فوقه على احد التاويلين والضمير في قالوا يعني به لفيف بني اسرائيل
لانهم كانوا يقولون نحن اهل الكتاب والعرب اميون اصحاب اوثان فاموالهم لنا حلال متى قدرنا على شي
منها لا حجة علينا في ذلك ولا سبيل لمعترض ونا قد الينا في ذلك والاميون القوم الذين لا يكتبون لانهم
لا يحسنون الكتابة وقد مر لي في سورة البقرة اشتقاق اللفظة واستعارة السبيل هنا في الحجة هو على نحو
قول حميد بن ثعب وهل انا ان عللت نفسي بسرحه من السرح موجود على طريق وقوله تعالى فاولئك ما عليهم
من سبيل هو من هذا المعنى وهو كثير في القران وكلام العرب وروى ان رجلا قال لابن عباس انا نغزو في الغزو
باموال اهل الذمة فاخذ منها الشاة والدجاجة ونحوها قال وتقولون ماذا قال نقول ليس علينا
باس فقال ابن عباس هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم
اموالهم الا بطيب انفسهم وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب ذم لبني اسرائيل بانهم كانوا يكذبون
على الله في غير ما شي وهم علما بمواضع الصدق لو قصدوه ومن اخطر ذلك امر محمد عليه السلام هذا
قول جماعة من المتاولين وروى عن السدي وابن جريج وغيرهما ان طائفة من اهل الكتاب ادعت ان
في التوراة احلال الله لهم اموال الاميين كذبا منها وهي عالمة بكذبها في ذلك وقال الاشارة بهذه الاية
الى ذلك الكذب المخصوص في هذا الفصل ثم رد الله تعالى في صدر قولهم ليس علينا بلى اي عليهم سبيل
وحجة وتباعة ثم اخبر على جهة الشرط ان من اوفى بالعهد واتقى عقوبة الله في نقضه فانه محبوب
عند الله ويقول العرب وفى بالعهد واوفى به بمعنى واوفى هي لغة اهل الحجاز وقيل الطبري وغيره
على ان الضمير في قوله بعهده عايد على الله تعالى وقال بعض المفسرين هو عايد على من والقولان يرجعان
الى معنى واحد لان امر الله تعالى بالوفا مقترن بعهد كل انسان وقال ابن عباس اتقى في هذه الاية معناه
اتقى الشرك ثم خرج جواب الشرط على تعميم المتقين تشريفا للتقوى وحظا عليها وقوله تعالى ان الذين يشترون

الاية انه وعيد لمن فعل هذه الافاعيل الى يوم القيامة وهي ان يدخل فيها الكفر فما دونه من جحد الحقوق
ونبذ المواثيق وكل احد باخذ من وعيد الاية على قدر جريمته واختلف المفسرون في سبب نزولها فقال
عكرمة نزلت في احبار اليهود ابي رافع وكنانة ابن ابي الحقيق وكعب ابن الاشرف وحيي ابن الخطب تركوا
عهد الله في التوراة للمكاسب والرياسة التي كانوا بسبيلها وروي انها نزلت بسبب خصومة الاشعث
ابن قيس مع رجل من اليهود في ارض فوجبت اليمين على اليهودي فقال الاشعث اذا تحلف يا رسول الله
ويذهب بمالي فنزلت الاية وروي ان الاشعث بن قيس اختصم في ارض مع رجل من قرابته فوجبت اليمين
على الاشعث وكان في الحقيقة مبطلا قد غصب تلك الارض في ايام جاهليته فنزلت الاية فنكل
فنكل الاشعث عن اليمين وتحرج واعطى الارض وزاد من عنده ارضا اخرى وروي ان الاية نزلت بسبب
خصومة لغير الاشعث ابن قيس وقال الشعبي نزلت الاية في رجل اقام سلعته في السوق اول النهار فلما كان
اخره جاء رجل فسا ومه فحلف حاشا لقد منعها في اول النهار من كذا وكذا ولولا المسا ما باعها فنزلت
الاية بسببه وقال سعيد بن المسيب اليمين الفاجره من الكباير ثم تلى هذه الاية وقال ابن مسعود كنا
نرى ونحن مع نبينا ان من الذنب الذي لا يغفر يمين الصبر اذا فجر فيها صاحبها وقد جعل الله الايمان
في هذه الالفاظ مشتراه فهي ايضا والخلاق الحظ والنصيب والقدر وهو مستعمل في المستحسنات وقال
الطبري ولا يكلمهم الله معناه بما يسرهم وقال غيره نفي تعالى ان يكلمهم جملة لانه يكلم عباده المؤمنين المتقين
وقال قوم من العلما هي عبارة عن الغضب المعنى لا يحفل بهم ولا يرضى عنهم ويزكيهم يحتمل معنيين
احدهما يطهرهم من الذنوب وادرانها والاخر يثني على اعمالهم فهي تنمية لهم والوجهان منفيان عنهم
في الاخرة واليم فعيل بمعنى مفعل فالمعنى مولم **قوله تعالى** وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
عبادا لي من دون الله **ن** الضمير في منهم عايد على اهل الكتاب والفريق الجماعة من الناس ماخوذ
من فرق اذا فرق وابان شيئا عن شي ويكون معناه يحرفون ويتحيلون لتبديل المعاني من جهة اشتباه
الالفاظ واشتراكها وسعب التاويلات فيها ومثال ذلك قولهم راعنا واسمع غير مسمع ونحو ذلك
وليس التبديل المحض بلي وحقيقة اللي في الثياب والحبال ونحوها فتلها واراغتها ومنه لي العنق ثم
استعمل ذلك في الحجج والخصومات والمجادلات تشبيها بتلك الاراغة التي في الاجرام فمنه قولهم خصم الوى ومنه
قول الشاعر **:** فلو كان في ليلى سدى من خصومة للوت اعناق الخصوم الملاويا **:** وقال الاخر الفيتني
الوى بعيدا المستمر **:** وقرا جمهور الناس يلوون مضارع لوى على وزن فعل بتخفيف العين وقرا ابو جعفر
ابن القعقاع وشيبة بن مصاح يلوون بشد الواو وفتح اللام على وزن فعل بشد العين وهو تضعيف مبالغة
لا تضعيف تعدية وقرا حميد يلون بضم اللام وسكون الواو وهو في الاصل يلوون مثل قراة الجماعة
فهمزة الواو المضمومة لانه عرفها في بعض اللغات يلوون فنقلت ضمة الهمزة الى اللام فجاء يلون والكتاب
في هذا الموضع التوراة وضمير الفاعل في قوله لتحسبوه هو للمسلمين وقوله وما هو من عند الله هي ان
يكون منزلا كما ادعوا وهو من عند الله بالحلول والاختراع والايجاد ومنهم بالتكسب ولم يعن الاية
الا لمعنى التنزيل فبطل تعلق القدرية بظاهر قوله وما هو من عند الله وقد تقدم نظير قوله ويقولون على الله
الاية وقوله تعالى ما كان لبشر معناه لاحد من الناس والبشر اسم جنس يقع للكثير وللواحد ولا مفرد له من
لفظه وهذا الكلام لفظه النفي التام ولكنه احيانا قد يقع لغير النفي التام كقول ابي بكر الصديق رضي الله
عنه ما كان لابن ابي قحافة ان يتقدم ان يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يعلم مبلغها
من النفي بقرينة الكلام الذي هي فيه كقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقوله تعالى ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها فهذا منتف عقلا واما امسا هذه فان النفي فيها على الكمال لانا نقطع ان الله لا يؤتي النبوة
الكذبة والمدعين والكتاب في هذه الاية اسم جنس والحكم بمعنى الحكمة ومنه قول النبي عليه السلام ان من
الشعر حكمة وثم في قوله ثم يقول معطية تعظيم الذنب في القول بعد مهلة من هذا الانعام وقوله عبادا
هو جمع عبد ومن جموعه عبيد وعبدى وقال بعض اللغويين هذه الجموع كلها بمعنى وقال قوم العباد لله والعبيد
والعبدى للبشر وقال قوم العبدى انما يقال في العبيد بني العبيد كانه بناء مبالغة يقتضي الاعراق في العبودية
والذي استعربت في لفظ العباد انه جمع عبد متى سيقت اللفظة في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة
دون ان يقترن بها معنى التحقير وتصغير الشان فانظر قوله تعالى والله رؤف بالعباد وعباد مكرمون
ويا عبادي الذين اسرفوا وقول عيسى في معنى الشفاعة والتعريض لرحمة الله ان تعذبهم فانهم عبادك ونحوه
فهم ودخلوا تحت امر سمتهم العرب العباد فلم ينسبهم الى اسم العبيد وقال قوم بل هم قوم من
العرب من قبائل شتى اجتمعوا وتنصروا وسموا انفسهم العباد كانه انتساب الى عباد الله واما
العبيد فيستعمل في تحقير ومنه قول امرئ القيس قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالاسد الباسل

ومنه قول حمزة بن عبد المطلب وهل انتم الا عبيد لابي ومنه قول الله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لانه
مكان سفقه واعلام بقلة انتصارهم ومقدرتهم وانه تعالى ليس بظلام لهم مع ذلك ولما كانت لفظة
العباد يقتضي الطاعة لم يقع هنا ولذلك انس بها في قوله قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم فهذا
النوع من النظر يسلك به سبيل العجايب في فصاحة القران العزيز على الطريقة العربية السليمة ومعنى
قوله كونوا عبادا لى اى اعبدونى واجعلونى الها واختلف المفسرون المعنى هى الاشارة بقوله تعالى
ما كان لبشر فقال النقاش وغيره الاشارة الى عيسى والاية رادة على النصارى الذين قالوا عيسى الله
وادعوا ان عبادته هى شرعه ومسنده الى اوامره وقال ابن عباس والربيع وابن جريج وجماعة من
المفسرين بل الاشارة الى محمد عليه السلام وسبب نزول الاية ان ابا رافع القرظى قال للنبى عليه السلام
حين اجتمعت الاحبار من اليهود والوفد من نجران يا محمد انما تريد ان نعبدك ونتخذك الها كما اتخذت
النصارى عيسى فقال الرئيس من نصارى نجران او ذلك تريد يا محمد واليه تدعونا فقال النبى صلى الله عليه
وسلم معاذ الله ما بذلك امرت ولا اليه دعوت فنزلت الاية فى ذلك قال بعض العلما اراد
الاحبار ان يلزم هذا القول لمحمد عليه السلام لما تلى عليهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
وانما معنى الاية فاتبعونى فيما ادعوكم اليه من طاعة الله فحرفوها تاولهم وهذا من نوع
لبسهم الكتاب بالسنتهم وقرا جمهور القرا ثم يقول وروى شبل عن ابن كثير ومحبوب
ومحبوب عن ابى عمرو ثم يقول برفع اللام وهذا على القطع واضمار مبتداء وقرا عيسى
ابن عمر عبادا لى بتحريك اليا المفتوحة قوله تعالى ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ن المعنى ولكن يقول كونوا
ربانيين وهو جمع ربانى واختلف النحاة فى هذه التسمية فقال قوم هو منسوب الى الرب من حيث
هو عالم علمه العامل بطاعته المعلم للناس ما امر به وزيدت النون مبالغة كما قالوا لحيانى وشعرانى
فى النسبة الى اللحية والشعر وقال قوم ربانى منسوب الى الربان وهو معلم الناس وعالمهم السايس
لامرهم ماخوذ من رب يرب اذا اصلح وربى وزيدت فيه النون كما زيدت فى غضبان وعطشان
ثم نسب اليه ربانى واختلف العلما فى صفة من يستحق ان يقال له ربانى قال ابو رزين الربانى الحكيم
العالم وقال مجاهد الربانى الفقيه وقال قتادة وغيره الربانى العالم الحكيم وقال ابن عباس هو
الحكيم الفقيه وقال الضحاك هو الفقيه العالم وقال ابن زيد الربانى والى الامر يرب الناس اى يصلحهم
فالربانيون الولاة والاحبار العلما وقال مجاهد الربانى فوق الحبر لان الحبر هو العالم والربانى الذى
جمع الى العلم والفقه النصر بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم فى دينهم
ودنياهم وفى البخارى الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره فجملة ما يقال فى الربانى انه
العالم المصيب فى التقدير من الاقوال والافعال التى يحاولها فى الناس وقوله بما كنتم معناه بسبب كونكم
عالمين دارسين فما مصدرية ولا يجوز ان يكون موصولة لان العائد الذى كان يلزم لم يكن بد
ان يتضمنه كنتم تعلمون ولا يصح شى من ذلك لان كان قد استوفت خبرها ظاهرا وهو تعلمون
وكذلك تعلمون قد استوفى مفعوله وهو الكتاب ظاهرا فلم يبق الا ان ما مصدرية اذ لا يمكن عائد
وتعلمون بمعنى تعرفون فهى متعدية الى مفعول واحد وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو تعلمون بسكون
العين وتخفيف اللام وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى تعلمون مثقلا بضم التا وكسر اللام وهذا
على تعدية الفعل بالتضعيف والمفعول الثانى على هذه القرات محذوف تقديره تعلمون الناس الكتاب
والقراتان متقاربتا المعنى وقد رجحت قراة التخفيف بتخفيفهم تدرسون وبان العلم هو
العلة التى توجب للموفق من الناس ان يكون ربانيا وليس التعليم شرطا فى ذلك ورجحت الاخرى
بان التعليم يتضمن العلم والعلم لا يتضمن التعليم فتجى قراة التثقيل ابلغ فى المدح ومن حيث العالم
بحال من تعلم والتعليم كانه فى ضمن العلم وقراة التخفيف عندى ارجح وقرا مجاهد والحسن تعلمون
بفتح التا والعين واللام مشددة مفتوحة وقرا جمهور الناس تدرسون بضم الراء من درس
اذا ادمن قراة الكتاب وكرره وقال ابو حيوة تدرسون بكسر الرا وهذا على انه يقال فى مضارع
درس يدرس ويدرس وروى عن ابى حيوة انه قرا تدرسون بضم التا وكسر الرا وشدها
بمعنى تدرسون غيركم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو والكسائى ولا يامركم برفع الرا وكان ابو عمرو
يختلس حركة الرا تخفيفا وقرا عاصم وابن عامر وحمزة ولا يامركم نصبا ولا خلاف فى الرا من قوله
ايامركم الا الاختلاس الذى ذكرناه لابى عمرو ومن رفع قوله ولا يامركم فهو على القطع قال سيبويه المعنى ولا يامركم الله
وقال ابن جريج وغيره ولا يامركم البشر الذى اوتى هذا النعم وهو محمد عليه السلام وفى قراة ابن مسعود

هكذا

هكذا ولن يامركم فهذه قراة تدل على القطع واما قراة من نصب الرا فهى عطف على قوله ان يؤتيه والمعنى
ولا له ان يامركم قاله ابو على وغيره وقال الطبرى قوله ولا يامركم بالنصب معطوف على قوله ثم يقول وهذا
خطا لا يلتيم به المعنى والارباب فى هذه الاية بمعنى الالهة وقوله تعالى ايامركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون تقرير على هذا المعنى الظاهر فساده وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية المعنى
واذكر يا محمد اذ ويحتمل ان يكون اخذ هذا الميثاق حين اخرج بنى آدم من ظهر آدم نسما ويحتمل ان يكون
هذا الاخذ على كل نبى فى زمنه ووقت بعثته ثم جمع اللفظ فى حكاية الحال فى هذه الاية فالمعنى ان الله
اخذ ميثاق كل نبى بانه يلتزم هو ومن امن به الايمان بمن اتى بعده من الرسل الظاهرة براهينهم و
النصرة واختلف المفسرون فى العبارة عن مقتضى الفاظ هذه الاية فقال مجاهد والربيع انما اخذ ميثاق
اهل الكتاب لا ميثاق النبيين وفى مصحف ابى بن كعب وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب قال مجاهد هكذا هو القران واثبات النبيين خطا من الكتاب وهذا لفظ مردود
باجماع الصحابة على مصحف عثمان وقال ابن عباس انما اخذ الله ميثاق النبيين على قومهم فهو اخذ لميثاق
الجمع وقال طاوس اخذ الله ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا وقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه
لم يبعث الله نبيا قط فمن بعده الا اخذ عليه فى محمد لان بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وامره
باخذه على قومه ثم تلى هذه الاية وروى عن طاوس انه قال صدر الاية اخذ الميثاق على النبيين
وقوله ثم جاءكم مخاطبة لاهل الكتاب باخذ الميثاق عليهم حكاه الطبرى وهو قول يفسده اعراب
الاية وهذه الاقوال كلها يرجع الى ما قاله على بن ابى طالب وابن عباس لان الاخذ على الانبيا اخذ على
الامم وقرا حمزة وغيره سوى السبعة لما بكسر اللام وهى لام الجر والتقدير لاجل ما اتيناكم اذ انتم
القادة والرؤس ومن كان بهذه الحال فهو الذى يؤخذ ميثاقه وما فى هذه القراة بمعنى الذى
الموصولة والعائد عليها من الصلة تقديره اتيناكموه ومن لبيان الجنس وقوله ثم جاءكم جملة
معطوفة على الصلة ولا بد فى هذه الصلة من ضمير يعود على الموصول فتقديره عند سيبويه رسول به
مصدق لما معكم وحذف تخفيفا كما حذف الذى فى الصلة بعينها لطول الكلام كما قال تعالى اهذا
الذى بعث الله رسولا والحذف من الصلات كثير جميل واما ابو الحسن الاخفش فان قوله لما معكم
هو العائد عنده على الموصول اذ هو فى المعنى بمنزلة الضمير الذى قدره سيبويه وكذلك قال الاخفش
فى قوله انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين لان المعنى لا يضيع اجرهم اذ المحسنون هم من يتق
ويصبر وكذلك قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا وكذلك ما
ضارع هذه الايات وسيبويه رحمه الله لا يرى ان يضع المظهر موضع المضمر كما يراه ابو الحسن واللام
فى لتؤمنن هى اللام المتلقية للقسم الذى يتضمنه اخذ الميثاق وفصل بين القسم والمقسم عليه بالجار
والمجرور وذلك جائز وقرا سائر السبعة لما بفتح اللام وذلك يتخرج على وجهين احدهما ان يكون
ما موصولة فى موضع رفع بالابتداء واللام لام الابتداء وهى متعلقة لما اجرى مجرى القسم من قوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق وخبر الابتداء قوله لتؤمنن ولتؤمنن متعلق بقسم محذوف المعنى والله
لتؤمنن هكذا قال ابو على الفارسى وفيه من جهة المعنى نظر اذ ما تامات على اى شى وقع التحليف لكنه
متوجه بان الحلف يقع مرتين تاكيدا فتامل والعائد الذى فى الصلة والعائد الذى فى الجملة المعطوفة
على الصلة هما فى هذه القراة على حد ما ذكرناهما فى قراة حمزة اما ان هذا التاويل يقتضى عائدا
بالنا من الخبر الذى هو لتؤمنن فهو قوله تعالى به والهاء من به عائدة عليهما ولا يجوز ان يعود على رسول
فيبقى الموصول حينئذ غير عائد عليه من خبره ذكروا الوجه الثانى الذى يخرج عليه قراة القرا لما بفتح اللام
هو ان يكون ما للجزا شرطا فيكون فى موضع نصب الفعل الذى بعدها وهو مجزوم وجاءكم معطوف
فى موضع جزم واللام الداخلة على ما ليست المتلقية للقسم ولكنها الموطئة المؤدية لمجى لام القسم
فهى بمنزلة اللام فى قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون لانها مؤذنة بمجى المتلقية للقسم فى قوله لنغرينك
بهم وكذلك هذه مؤذنة بمجى المتلقية للقسم فى قوله لتؤمنن وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم
عليها فلذلك جاز حذفها تارة واثباتها تارة كما قال تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون وقال الزجاج لان قولك
والله لئن جئتنى لاكرمنك انما حلفك على فعلك لا ان الشرط معلق به فلذلك دخلت اللام على الشرط
وما فى هذا الوجه من كونها جزاء لا يحتاج الى عائد ذكر والضمير فى قوله تعالى لتؤمنن به عائد على رسول
وكذلك هو على قراة من كسر اللام واما الضمير الذى فى قوله ولتنصرنه فلا يحتمل وجها الا العود على رسول
قال ابو على فى الاغفال وجزاء الشرط محذوف بدلالة قوله لتؤمنن عليه قال سيبويه سالته يعنى الخليل
عن قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم فقال ما هنا بمنزلة الذى ودخلتها اللام كما دخلت
على ان حين قلت لان فعلت لافعلن ثم استمر يفسر وجه الجزاء قال ابو على اراد الخليل بقوله هى بمنزلة الذى
انها اسم كما ان الذى اسم ولم يرد انها موصولة كالذى وانما فر من ان يكون ما حرفا كما جاءت حرفا فى قوله تعالى

وان كلا لما ليوفينهم وفى قوله تعالى وان كل ذلك لما متاع والله المستعان وحكى المهدوى ومكى
عن سيبويه والخليل ان خبر الابتدا فيمن جعل ما ابتدا على قراة من فتح اللام هو فى قوله من كتاب و
حكمة ولا اعرف من اين حكاه لانه مفسد المعنى الاية لا يليق بسيبويه والخليل وانما الخبر فى قوله لتومنن
كما قال ابو على ومن جرى مجراه كالزجاج وغيره وقرا الحسن لما اتيناكم بفتح اللام وشد الميم قال ابو
اسحق اى لما اتاكم الكتاب والحكمة اخذ الميثاق ويكون اللام تؤول الى الجزا كما تقول لما جئتنى اكرمتك و
يظهر ان لما هذه هى الظرفية اى لما كنتم بهذه الحال روسا الناس واما لهم اخذ عليكم الميثاق
اذ على العادة يوخذ فيجى هذا المعنى كالمعنى فى قراة حمزه وذهب ابن جنى فى لما فى هذه الاية الى ان
اصلها لمن ما وزيدت من فى الواجب على مذهب الاخفش ثم ادغمت كما يجب فى مثل هذا
فجا لمما فثقل اجتماع ثلث ميمات فحذف الميم الاولى فبقى لما وتفتقر هذه القراة على التوجيه الى
تقدير لما بفتح الميم مخففة وقد تقدم وقرا نافع وحده اتيناكم بالنون وقرا الباقون اتيتكم بالتا
ورسول فى هذه الاية اسم جنس وقال كثير من المفسرين الاشارة بذلك الى محمد صلى الله عليه
وسلم وفى مصحف ابن مسعود مصدقا بالنصب على الحال قوله تعالى قال اقررتم واخذتم
على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد
بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات
والارض طوعا وكرها واليه يرجعون ن هذه الاية هى وصف يوصف الانبيا
على اقرارهم بهذا الميثاق والتزامهم له واخذ عهد الله فيه وذلك يحتمل موطن
القسم ويحتمل ان يراد فى هذه العبارة الجامعة وصف ما فعل مع كل نبى فى زمنه
واخذتم فى هذه الاية عبارة عن ما تحصل لهم من ايتا الكتب والحكمة من حيث
اخذ عليهما اخذوهم ايضا وقال الطبرى اخذتم فى هذه الاية معناه قبلتم والا
والاصر العهد لا تفسير له فى هذا الموضع الا ذلك وقوله تعالى فاشهدوا يحتمل
معنيين احدهما فاشهدوا على اممكم المؤمنين بكم وعلى انفسكم بالتزام هذا العهد
هذا قول الطبرى وجماعة والمعنى الثانى سوا الامر عند اممكم واشهدوا به شهادة
الله على هذا التاويل وهى التى فى قوله وانا معكم من الشاهدين هى اعطاء المعجزات
واقرار نبواتهم هذا قول الزجاج وغيره فتامل ان القول الاول هو ابداع الشهادة واستحفاظها
والقول الثانى هو الامر باداءها وحكم تعالى بالفسق على من تولى من الامم بعد هذا الميثاق قاله
على بن ابى طالب وغيره ويحتمل ان يريد بعد الشهادة عند الامم بهذا الميثاق على ان قوله تعالى
فاشهدوا امر بالادا وقرا ابو عمرو يبغون باليا مفتوحة وترجعون بالتا مضمومة وقرا عاصم يرجعون
ويبغون باليا من تحت فيهما وقرا الباقون بالتا فيهما ووجوه هذه القراات لا يخفى بادنى تامل
ويبغون معناه يطلبون واسلم فى هذه الاية بمعنى استسلم عند جمهور المفسرين ومن فى هذه
الاية تعم الملائكة والثقلين واختلفوا فى معنى قوله طوعا وكرها فقال مجاهد هذه الاية
كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالمعنى اقرار كل كافر بالصانع
هو اسلام كرها فهذا عمم لفظ الاية لانه لا يبقى من لا يسلم على هذا التاويل واسلم فيه بمعنى استسلم
وقال بمثل هذا القول ابو العالية رفيع وعبارته رحمه الله كل ادمى فقد اقر على نفسه بان الله ربى وانا
عبده فمن اشرك فى عبادته فهذا الذى اسلم كرها ومن اخلص فهذا الذى اسلم طوعا وقال ابن عباس
رضى الله عنه هو اسلام الكاره منهم كان حين اخذ الميثاق وروى عن مجاهد انه قال الكره
فى هذه الاية هو سجود ظل الكافر فيسجد المومن طوعا ويسجد ظل الكافر وهو كاره وقال الشعبى
الاية عبارة عن انقياد جميع البشر لله وانقيادهم لطاعته وان تسبب بعضهم الالوهية
الى غيره وذلك هو الذى يسجد كرها وهذا قول مجاهد وابى العالية المتقدم وان اختلفت
العبارات وقال الحسن معنى الاية انه اسلم قوم طوعا واسلم قوم خوف السيف وقال مطر الوراق
اسلمت الملائكة طوعا وكذلك الانصار وبنو سليم وعبد القيس واسلم ساير الناس كرها حذر
القتال والسيف وهذا قول الاسلام فيه هو الذى فى ضمنه الايمان والاية ظاهرها العموم ومعناها
الخصوص اذ من اهل الارض من لم يسلم لا طوعا ولا كرها على هذا الحد وقال قتادة الاسلام كرها هو
اسلام الكافر عند الموت والمعاينة حيث لا ينفعه ويلزم على هذا ان كل كافر يفعل ذلك وهذا غير
موجود الا فى افراد والمعنى فى هذه الاية يفهمه كل ناظر ان هذا القسم الذى هو الكره انما هو فى اهل
الارض خاصة والتوقيف بقوله افغير انما هو لمعاصرى محمد صلى الله عليه وسلم من الاحبار والكفار
وقرا ابو بكر عن عاصم اصرى بضم الالف وهى لغة قوله تعالى قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل
على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق

بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين
ن المعنى قل يا محمد انت وامتك امنا بالله وبما انزل علينا وهو القران وامر محمد عليه السلام والانزال
على نبى الامة انزال عليها وقدم ابراهيم لسنه وساير الاية بين ثم حكم تعالى فى قوله ومن يبتغ الاية
بانه لا يقبل من ادمى دينا غير الاسلام وهو الذى وافق فى معتقداته دين كل من سمى من الانبيا وهو
الحنيفية السمحة وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال اهل الملل للنبى عليه السلام قد اسلمنا قبلك ونحن
مسلمون فقال الله له فحجهم يا محمد وانزل عليه ولله على الناس حج البيت من استطاع فحج المسلمون
وقعد الكفار واسند الطبرى عن ابن عباس انه قال نزلت ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
الاية فانزل الله بعدها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فهذه اشارة الى نسخ وقوله فى
الاخرة متعلق بمقدر تقديره خاسر فى الاخرة لان الالف واللام فى الخاسرين فى معنى الموصول وقال
بعض المفسرين ان قوله ومن يبتغ نزلت فى الحرث بن سويد ولم يذكر ذلك الطبرى قوله تعالى كيف
يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم
الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم قال ابن عباس رضى الله
عنه نزلت هذه الايات من قوله كيف يهدى الله قوما فى الحرث بن سويد الانصارى كان مسلما ثم ارتد ولحق
بالشرك ثم ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة فنزلت الاية
كيف يهدى الله قوما الى قوله الا الذين تابوا واصلحوا فارسل اليه قومه فاسلم قال مجاهد حمل الايات
اليه رجل من قومه فقراها عليه فقال له الحرث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاصدق منك وان الله تعالى اصدق الثلثة قال فرجع الحارث فاسلم وحسن اسلامه وقال السدى
نسخ الله بقوله تعالى الا الذين تابوا قوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الاية وفى هذه العبارة تجوز
كثير وليس هذا بموضع نسخ وقال عكرمة نزلت هذه الاية فى ابى عامر الراهب والحرث بن سويد بن صامت
ووحوح بن الاسلت فى اثنى عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى اهليهم هل لنا من توبة
فنزلت هذه الايات وقال ابن عباس ايضا والحسن ان هذه الايات نزلت فى اليهود والنصارى شهدوا
ببعث النبى صلى الله عليه وسلم وامنوا به فلما جاء من العرب حسدوه وكفروا به ورجح الطبرى هذا القول
وقال النقاش نزلت هذه الاية فى طعمة بن ابيرق قال رحمه الله وكل من ذكر فالفاظ الاية تعمه وقوله تعالى
كيف سوال عن حال لكنه سوال توقف على جهة الاستبعاد للامر كما قال عليه السلام كيف يفلح امة دمت
وجه نبيها فالمعنى انهم لشدة هذه الجرايم يبعد ان يهديهم الله تعالى وقوله تعالى وشهدوا ان الرسول
حق عطف على كفروا بحكم اللفظ والمعنى مفهوم ان الشهادة قبل الكفر والواو لا يترتب وقال قوم معنى
الاية بعد ايمانهم بعد ان امنوا فقوله وشهدوا عطف على هذا التقدير وقوله تعالى والله لا يهدى القوم
الظالمين عموم معناه الخصوص فيمن حتم كفره وموافاته عليه ويحتمل ان يريد الاخبار عن ان الظالم فى
ظلمه ليس على هدى من الله فيجى الاية عامة تامة العموم واللعنة الابعاد وعدم الرحمة واللطف وذلك
مع قرينة الكفر زعيم بتخليدهم فى النار ولعنة الملائكة قول والناس بنو ادم ويظهر من قول ابى على الفارسى
فى بعض تعاليقه ان الجن يدخلون فى لفظ الناس وانشد على ذلك ؞ فقلت الى الطعام فقال منهم اناس
يحسد الانس الطعام ؞ قال الفقيه ابو محمد والذى يظهر ان لفظة الناس اذا جاءت مطلقة فانما
هى فى كلام العرب بنو ادم لا غير فاذا جاءت مقيدة بالجن فذلك على طريق الاستعارة اذ هى جماعة كجماعة
وكذلك برجال من الجن وكذلك نفر من الجن ولفظة النفر اقرب الى الاشتراك من رجال وناس وقوله
تعالى من الجنة والناس خاص بتباين الصنفين وقوله والناس اجمعين اما ان يكون بمعنى الخصوص فى
المؤمنين سماهم الناس اذ هم المعول عليهم واما ان يريد انهم فى الاخرة يلعنهم المومنون ويلعن بعضهم
بعضا فيجى من هذا ان كل شخص منهم ان لعنه جميع الناس واما ان يريد ان هذه اللعنة يقع فى الدنيا
من جميع الناس على من هذه صفته وكل من هذه صفته وقد اغواه الشيطان يلعن صاحب هذه الصفة
ولا يشعر من نفسه انه متصف بها فيجى من هذا انه يلعنهم جميع الناس فى الدنيا حتى انهم ليلعنون انفسهم
لكن على غير تعيين والضمير فى قوله خالدين فيها قال الطبرى يعود على عقوبة الله التى يتضمنها معنى اللعنة و
قال قوم من المفسرين الضمير عايد على اللعنة وقرائن الاية يقتضى ان اللعنة مخلدة لهم فى جهنم فالضمير عايد
على النار وان كان لم يجر لها ذكر لان المعنى يفهمها فى هذا الموضع كما يفهم قوله تعالى كل من عليها فان
انها الارض وقد قال بعض الخراسانيين فى قوله تعالى انما انت منذر من يخشاها ان الضمير عايد على النار
وينظرون فى هذه الاية بمعنى يوخرون ولان احدا الا فى التخفيف والتاخير فهما مرتفعان عنهما ولا يجوز
ان يكون ينظرون هنا من نظر العين الا على توجيه غير فصيح لا يليق بكتاب الله تعالى وقوله تعالى الا الذين
تابوا استثناء متصل بين ذلك قوله تعالى من بعد ذلك والتوبة الرجوع والاصلاح فى القول والعمل وقوله

تعالى فان الله غفور رحيم وعد وقرأ الحسن والناس اجمعون قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن يقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين اختلف المتأولون فكيف يترتب كفر
بعد ايمان ثم زيادة كفر فقال الحسن وقتادة وغيرهما الاية في اليهود كفروا بعيسى بعد الايمان بموسى
ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام وفي هذا القول اضطراب لان الذين كفروا بعيسى بعد الايمان
بموسى ليس بالذي كفر بمحمد فالاية على هذا التاويل خلط الاسلاف بالمخاطبين وقال ابو العالية رفيع الاية
في اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم بصفاته واقرارهم انها في التوراة ثم ازدادوا
كفرا بالذنوب الذي اصابوها في خلاف محمد صلى الله عليه وسلم من الافترا والبهت والسعي على الاسلام وغير
ذلك وعلى هذا الترتيب يدخل في الاية المرتدون اللاحقون بقريش وغيرهم وقال مجاهد معنى قوله ثم ازدادوا
كفرا اي تموا على كفرهم وبلغوا الموت به فيدخل في هذا القول اليهود والمرتدون وقال السدي نحوه ثم اخبر
تعالى ان توبة هؤلاء لن يقبل وقد قرر الشريعة ان توبة كل كافر يقبل سواء كفر بعد ايمان وازداد كفرا او كان
كافرا من اول امره فلا بد في هذه الاية من تخصيص يحمل عليه ويصح به نفي قبول التوبة فقال الحسن وقتادة و
مجاهد والسدي نفي قبول توبتهم مختص بوقت الحشرجة والغرغرة والمعاينة فالمعنى لن يقبل توبتهم
عند المعاينة وقال ابو العالية معنى الاية لن يقبل توبتهم من تلك الذنوب الذي اصابوها مع اقامتهم
على الكفر بمحمد عليه السلام فانهم كانوا يقولون في بعض الاحيان نحن نتوب من هذه الافعال وهم
مقيمون على كفرهم فاخبر الله تعالى انه لا يقبل تلك التوبة ويحتمل الاية عندي ان يكون اشارة الى قوم باعيانهم
من المرتدين ختم الله عليهم بالكفر وجعل ذلك جزاء لجرمهم ونكايتهم في الدين وهم الذين اشار اليهم
بقوله كيف يهدي الله قوما كفروا فاخبر عنهم انهم لا يكون لهم توبة فيتصور قبولها فتجيء الاية بمنزلة قول
الشاعر على لاحب لا يهتدى لمناره اذ قد جعلهم الله في خبر من لا يقبل توبة اذ ليست لهم فهم لا محالة
يموتون على الكفر ولذلك بين حكم الذين يموتون كفارا بعقب الاية فبانت منزلة هؤلاء
وكانه اخبر عن هؤلاء المعينين انهم يموتون كفارا ثم اخبر الناس عن حكم كل من يموت
كافرا واولئك هم الضالون المخطئون الطريق القويم في الاقوال والافعال وقرأ عكرمة لن يقبل
توبتهم بنون العظمة توبتهم بنصب التاء وقوله عز وجل ان الذين كفروا الاية جزم للحكم
على كل من وافى على الكفر الى يوم القيامة وقرأ عكرمة ملء بالنصب والملء ما يشحن به الوعاء
فهو بكسر الميم الاسم وبفتحها المصدر تقول ملأت الشيء املأه ملأ والملء اسم ما
ملأت به وقرأ ابو جعفر بن القعقاع وابو السماك ملا دون همز وروي عن نافع وذهبا
نصب على التمييز وقرأ ابن ابي عبلة ذهبا لو افتدى به دون واو واختلف الناس في معنى
هذه الاية فقال الطبري هي متعلقة بمحذوف في اخر الكلام دل عليه دخول الواو كما دخلت
في قوله وليكون من الموقنين لمتروك من الكلام تقديره وليكون من الموقنين اريناه ملكوت
السموات والارض وفي هذا التمثيل نظر فتامله وقال الزجاج المعنى لن يقبل من احدهم
انفاقه وتقرباته في الدنيا ولو انفق ملء الارض ذهبا ولو افتدى به ايضا في
الاخرة لم يقبل منه قال فاعلم الله انه لا يثيبهم على اعمالهم من الخير ولا يقبل منهم الافتدا
من العذاب وهذا قول حسن وقال قوم الواو زائدة وهذا قول مردود ويحتمل ان يكون المعنى نفي
القبول على كل وجه من الوجوه ثم خص من تلك الوجوه اليقها واحراها بالقبول كما تقول انا لا
افعل لك كذا بوجه ولو رغبت الي وما في الاية وعيد بين قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
ذهب بعض العلماء الى ان يصل معاني هذه الايات بعضها ببعض من حيث اخبر تعالى انه
لا يقبل من الموافي على الكفر ملء الارض ذهبا وقد بان انه يقبل من المؤمن القليل والكثير
فحض على الانفاق من المحبوب المرغوب فيه ثم ذكر تقرب اسرائيل عليه السلام بتحريم ما كان يحب
على نفسه ليدل تعالى على ان جميع المتقربات يدخل بالمعنى في جملة الانفاق من المحبوب وفسر جمهور
المفسرين هذه الايات على انها معان متباينة تضمنها الفصاحة المعجزة اجمل نظم وقوله تعالى
لن تنالوا البر الاية خطاب لجميع المؤمنين وقال السدي وعمرو بن ميمون البر الجنة وهذا تفسير بالمعنى
وانما الخاص باللفظة انه ما يفعله المرء من افاعيل الخير فيحتمل الاية ان يريد لن تنالوا بر الله تعالى
بكم اي رحمته ولطفه ويحتمل ان يريد لن تنالوا درجة الكمال من فعل البر حتى تكونوا ابرارا بالانفاق
المتضاف الى سائر اعمالكم وسبب نزول هذه الاية تصدق ابو طلحة بحائطه المسمى بيرحاء وتصدق
زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة ابنه فكان

زيدا

زيدا شق عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما ان الله قد قبل صدقتك وكتب عمر بن الخطاب الى ابي
موسى الاشعري ان يشتري له جارية من سبي جلولاء وقت فتح مداين كسرى على يدي سعد ابن ابي و
قاص فسيق له واحدة فدعا بها يوما وقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها فهذا كله حمل للاية على ان قوله مما تحبون اي من رغائب الاموال التي يضن بها ويتقوى لقول
النبي صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ان تتصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى الحديث
وذهب قوم من العلماء الى ان ما تحب من المطعومات على جهة الاشتهاء يدخل في الاية فكان عبد الله
بن عمر يشتهي اكل السكر بالكوز فكان يشتري ذلك ويتصدق به ويتلو الاية واذا تاملت جميع الطاعات
وجدتها انفاقا مما يحب الانسان اما من ماله واما من صحته ورفهه وهذه كلها محبوبات وسال
رجل ابا ذر الغفاري رضي الله عنه اي الاعمال افضل فقال الصلوة عماد الاسلام والجهاد
سنام العمل والصدقة شيء عجيب فقال له الرجل اراك تركت شيئا وهو اوثقها في نفسي الصيام
فقال ابو ذر قربة وليس هناك ثم تلا لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله تعالى وما تنفقوا
من شيء فان الله به عليم شرط وجوابه فيه وعد اي عليم مجاز به وان قل وقوله تعالى كل الطعام الاية
اخبار بمغيب عن محمد عليه السلام وجميع الاميين لا يعلمه الا الله وعلماء اهل الكتاب وذهب كثير
من المفسرين الى ان معنى الاية الرد على اليهود في قولهم كل ما حرموه على انفسهم من الاشيا انها حرمت
عليهم بامر الله في التوراة فاكذبهم الله بهذه الاية واخبر ان جميع الطعام كان حلا لهم الا ما حرم
اسرائيل على نفسه خاصة ولم يرد به ولده فلما استنوهم به جاءت التوراة بتحريم ذلك عليهم وليس
في التوراة شيء من الزوائد التي يدعون ان الله حرمها والى هذا نحى الفاظ السدي وقال ان الله
حرم ذلك عليهم في التوراة عقوبة لاستنانهم في تحريم شيء انما فعله يعقوب خاصة لنفسه
قال فذلك قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قال الفقيه ابو محمد
رضي الله عنه والظاهر من لفظة ظلم انها مختصة بتحريم ونحوه يدل على ذلك ان العقوبة وقعت بذلك
النوع وذهب قوم من العلماء الى ان معنى هذه الاية الرد على قوم من اليهود قالوا ان ما يحرمونه
الان على انفسنا من الاشياء التي لم يذكر في التوراة كان علينا حراما في ملة ابراهيم
فاكذبهم الله واخبر ان الطعام كله كان حلا لهم قبل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه
خاصة ثم جاءت التوراة بتحريم ما نصت عليه وبقيت هذه الزوائد في حيز افترائهم وكذبهم والى
هذا نحى الفاظ ابن عباس رضي الله عنه وترجم الطبري في تفسير هذه الاية بتراجم وادخل تحتها اقوالا
لا توافق تراجمه وحمل الفاظ الضحاك ان الاستثناء منقطع وكان المعنى كل الطعام كان حلا لهم
قبل نزول التوراة وبعد نزولها وهذا شيء لم ينقله الضحاك ولا تحتمله لفظه لكنه في نفسه كلام يخرج
على ان يجعل كان لا تخص الماضي من الزمان بل يكون بمنزلة الذي في قولك وكان الله غفورا رحيما والمعنى الا ما
حرم اسرائيل على نفسه فحرم عليهم في التوراة لا هذه الزوائد التي افتروها فرجع المعنى الى القول الاول
الذي حكيناه وحمل الطبري قول الضحاك ان معناه لكن حرم اسرائيل على نفسه خاصة ولم يحرم الله على
بني اسرائيل في توراة ولا غيرها وهذا تحميل يرد عليه قوله تعالى حرمنا عليهم وقول النبي عليه السلام
حرمت عليهم الشحوم الى غير ذلك من الشواهد وقوله تعالى حلا معناه حلالا واسرائيل هو يعقوب واسع
من هذه الاية ان للانبياء ان يحرموا باجتهادهم على انفسهم ما اقتضاه النظر لمصلحة او قربة او زهد
ومن هذا على جهة المصلحة تحريم النبي عليه السلام جاريته على نفسه فعاتبه الله تعالى على ذلك ولم
يعاتب يعقوب فقيل ان ذلك لحق ادمي ترتب في نازلة نبينا محمد عليه السلام وقيل لان هذا تحريم
تقرب وزهد وتحريم الجارية تحريم غضب ومصلحة نفوس واختلف الناس في الشيء الذي حرمه
يعقوب على نفسه قال يوسف بن ماهك جاء اعرابي الى ابن عباس فقال انه جعل امراته عليه حراما
قال ابن عباس فانها ليست عليك بحرام فقال الاعرابي ولم والله تعالى يقول في كتابه الا ما حرم
اسرائيل على نفسه فضحك ابن عباس وقال وما يدريك ما حرم اسرائيل على نفسه ثم اقبل على القوم
يحدثهم فقال ان اسرائيل عرضت له الانسا فاضنته فجعل لله ان شفاه بذلك ان لا ياكل عرقا
قال فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم وقال بمثل ذلك قتادة وابو مجلز ومجاهد وغيرهم وقال ابن عباس
ايضا والحسن وعبد الله بن كثير ومجاهد ايضا ان الذي حرم اسرائيل على نفسه هو لحوم الابل والبانها
ولم يختلف فيما علمت ان سبب التحريم هو بمرض اصابه فجعل تحريم ذلك شكرا لله تعالى ان شفاه
وقيل هو وجع عرق النسا وفي حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عصابة بني اسرائيل قالوا له يا محمد
ما الذي حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم انشدكم بالله هل تعلمون ان يعقوب مرض مرضا شديدا
فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب
الطعام اليه لحوم الابل واحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم وظاهر الاحاديث والتفاسير

فهذا الامران يعقوب عليه السلام حرم لحوم الابل والبانها وهو يحبها تقربا بذلك اذ ترك الترفه
والسعم من القرب وهذا هو الزهد في الدنيا واليه نحا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله اياكم وهذه
المجازر فان لها ضراوه كضراوه الخمر ومن ذلك قول ابن حازم الزاهد وقد مر بسوق الفاكهه فراى
محاسنها فقال موعدك الجنه ان شا الله تعالى وحرم يعقوب عليه السلام ايضا العروق لكن
بعضه لها لما كان امتحن بها وهذا شيء يعتري نفوس البشر في غير ما شي وليس في تحريم العروق
قربه فيما نظهر والله اعلم وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان يعقوب عليه السلام حرم الابل
والعروق وامر الله نبيه محمد عليه السلام ان يامرهم بالاتيان بالتوراة حتى تبين منها كيف الامر
المعني فانه انها اليهود كما انزل الله على لا كما تدعون انتم قال الزجاج وفي هذا تعجيز لهم واقامة
الحجة عليهم وهي كقصة المباهله مع نصارى نجران قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد
ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول
بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ن قوله فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
يحتمل الاشاره بذلك ان يكون الى ثلثة اشيا احدها ان يكون الى التلاوة اذ مضمنها بيان مذهب
وقيام الحجة اي فمن كذب منا على الله تعالى او نسب الى كتب الله ما ليس فيها فهو ظالم واضع
للشي غير موضع والاخر ان يكون الاشارة الى استقرار التحريم في التوراة لان معنى الاية كل الطعام
كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه ثم حرمته التوراة عقوبة لهم فمن افترى على
الله الكذب وزاد في المحرمات فهو الظالم والثالث ان يكون الاشارة الى الحال بعد تحريم اسرائيل
على نفسه وقبل نزول التوراة اي من بعد سنة يعقوب وشرع ذلك دون اذن من الله ومن حرم شيئا
ونسبه الى ملة ابراهيم فهو الظالم ويويد هذا الاحتمال الاخير قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية فنص على انه كان لهم ظلم في معنى التحليل والتحريم وكانوا
يشددون فيشدد الله عليهم كما فعلوا في امر البقرة وبخلاف هذه السيرة جاء الاسلام في قوله
عليه السلام يسروا ولا تعسروا وقوله دين الله يسر وقوله بعثت بالحنيفية السمحة ثم امر الله تعالى
نبيه بان يصدع بالخلاف والجدال مع الاحبار بقوله قل صدق الله اي الامر كما وصف لا كما تكذبون
انتم وان كنتم تعبرون الى ابراهيم فاتبعوا ملته كما ذكر الله وقرا ابان بن تغلب قل صدق الله بادغام
اللام في الصاد وكذلك قل سيروا قراها بادغام اللام في السين قال ابو الفتح علة جواز ذلك ان
هذين الحرفين في الفم وانتشار الصدى المنبث عنهما فقاربتا بذلك مخرج اللام فجاز ادغامها
فيهما وقرا جمهور الناس وضع على بناء الفعل للمفعول على معنى وضعه الله والاية على هذا ابتداء
معنى منقطع من الكلام الاول وقرا عكرمه وضع بفتح الواو والضاد فيحتمل ان يريد وضع الله فيكون
المعنى منقطعا كما هو في قراءة الجمهور ويحتمل ان يريد وضع ابراهيم عليه السلام المعنى متصلا بالذي
قبله ويكون هذه الاية استدعاء لهم الى ملة في الحج وغيره على ما روى عكرمه انها لما نزلت
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قال اليهود نحن على الاسلام فنزلت ولله على الناس
حج البيت قيل لحجهم يا محمد ان كانوا على ملة ابراهيم عليه السلام التي هي الاسلام ويؤيد هذا
التاويل ما قال ابو ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة فيظهر من هذا انهما من وضع جميعا
ويضعف ما قال الزجاج ان بيت المقدس من بنا سليمان اللهم الا ان يكون جدده وابن بده
سليمان بن داود من ملة ابراهيم ولا مرية في ان ابراهيم وضع بيت مكه وانما الخلاف فهل
هو وضع بداءة او وضع تجديد واختلف المفسرون في معنى هذه الاولية التي في قوله ان اول
فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه معنى الاية ان اول بيت وضع مباركا وهدى هذا البيت
الذي ببكة وقد كانت قبله بيوت لم يوضع وضع في البركة والهدى وقال قوم بل هو اول بيت خلق الله تعالى
ودحيت ومن تحته دحيت الارض ورويت في هذا اقاصيص من نزول ادم به من الجنه ومن مدة
ما بين خلقه ودحو الارض ونحو ما قال الزجاج من انه البيت المعمور اسانيدها ضعاف
فلذلك تركتها وعلى هذا القول يجي دفع ابراهيم القواعد تجديدا وقال قتاده ذكر لنا ان البيت
اهبط مع ادم ثم رفع وقت الطوفان فاختلف الناس في بكة فقال الضحاك وجماعة من
العلماء بكة هي مكة وكان هذا من بدل الباء بالميم على لغة مازن وغيرهم وقال ابن جبير وابن
شهاب وجماعة كثيرة من العلماء مكة الحرم كله وبكة مزدحم الناس حيث يتباكون وهو المسجد
وما حول البيت وقال مالك في سماع ابن القاسم من العتبيه بكة موضع البيت ومكة غيره من المواضع
قال ابن القاسم يريد القرية قال الطبري ما خرج عن الطواف فهو مكة لا بكة وقال قوم بكة ما
بين الجبلين ومكة الحرم كله ومباركا نصب على الحال والعامل فيه على قول علي بن ابي طالب انه اول

بيت

بيت وضع بهذا الحال والعامل فيه على القول الاخر الفعل الذي يتعلق به بالجر قوله وضع في قوله ببكة
تقديره استقر ببكة مباركا وفي وصف البيت هدى مجازية بليغة لانه مقوم مصلح فهو مرشد
وفيه ارشاد فجاء قوله وهدى بمعنى وذا هدى ويحتمل ان يكون هدى في هذه الاية بمعنى الدعا
اي من حيث دعي العالمون اليه قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان
امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
ن الضمير في قوله فيه عايد على البيت وشاع ذلك مع كون الايات خارجه منه لان البيت انما وضع بحرمه
وجميع فضائله فيه وان لم يكن داخل جدرانه وقرا جمهور الناس ايات بينات بالجمع وقرا ابي
ابن كعب وعمر وابن عباس اية بينة على الافراد وقال الطبري يريد علامة واحده المقام وحده
وحكى ذلك عن مجاهد ويحتمل ان يراد بالاية اسم الجنس فتقرب من معنى القراءة الاولى واختلف
عبارة المفسرين عن الايات البينات فقال ابن عباس الايات المقام يريد الحجر المعروف والمشعر
وغير ذلك وهذا يدل على ان قراءته اية بالافراد انما يريد منها اسم الجنس وقال الحسن الايات البينات
مقام ابراهيم وان من دخله كان امنا وقال مجاهد المقام هو الاية وقوله ومن دخله كان امنا كلام
اخر فرفع مقام على قول الحسن ومجاهد هو على البدل من ايات او على خبر ابتداء تقديره هن مقام
ابراهيم وعلى قول ابن عباس هو ومن نحا نحوه مرتفع بالابتداء وخبره محذوف مقدم تقديره منهن
مقام ابراهيم والمترجح عندي ان المقام وامن الداخل جعلا مثالا مما في حرم الله من الايات
وخصا بالذكر لعظمهما وانهما تقوم بهما الحجة على الكفار اذ هم مدركون لها بين الايتين نحو سهم
ومن ايات الحرم والبيت التي تقوم بها الحجة على الكفار امر الفيل ورمي طير الله بحجارة السجيل
وذلك امر لم يختلف كافة العرب في نقله وصحته الى ان انزله الله في كتابه ومن اياته كف الجبابرة عنه
على وجه الدهر ومن اياته الحجر الاسود وما روي فيه انه من الجنه وما اشربت قلوب العالم
من تعظيمه قبل الاسلام ومن اياته حجر المقام وذلك انه قام عليه ابراهيم عليه السلام وقت رفع
القواعد من البيت لما طال له البناء وكلما علا الجدار ارتفع الحجر به في الهوى فما زال يبني وهو قائم
عليه واسمعيل تناوله الحجارة والطين حتى اكمل الجدار ثم ان الله تعالى لما اراد ابقاء ذلك اية
للعالمين لين الحجر فغرقت فيه قدما ابراهيم عليه السلام كانها في طين فذلك الاثر العظيم باق في الحجر
الى اليوم وقد نقلت كافة العرب ذلك في الجاهلية على مرور الاعصار وقال في ذلك ابو طالب
وموطي ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل فما حفظ ان احدا من الناس نازع
في هذا القول ومن ايات البينات زمزم فيما علمت قال قتاده وتثبيتا معناه واحتسابا من
انفسهم وهذا نحو القول الاول والجنة البستان وهي قطع ارض تنبت فيها الاشجار حتى تستر
الارض فهي من لفظ الجن والجنن والجنه وجن الليل والربوه ما ارتفع من الارض ارتفاعا يسيرا مع
في الاغلب كثافة التراب وطيبه ونعومته وما كان كذلك فنبته احسن ورياض الحزن ليست من
هذا كما زعم الطبري بل تلك هي الرياض المنسوبة الى نجد لانها خير من رياض تهامه ونبات نجد
اعطر ونسيمه ابرد وارق ونجد يقال لها الحزن وقل ما يصلح هوى تهامة الا بالليل ولذلك قالت
الاعرابيه زوجي كليل تهامه وقال ابن عباس الربوه المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الانهار وهذا
انما اراد به هذه الربوه المذكوره في كتاب الله لان قوله تعالى اصابها وابل الى اخر الاية يدل على انه
ليس فيها ما جار ولم يرد ابن عباس ان جنس الربى لا يجري فيها ما لان الله تعالى قال ربوة ذات قرار
ومعين والمعروف في كلام العرب ان الربوة ما ارتفع عما جاوره سوى جرى فيها ما او لم يجر
وقال الحسن الربوة الارض المستوية التي يعلوا فوق الماء وهذا ايضا اراد انها ليست كالجبل
والطرف ونحوه قال الخليل الربوة ارض مرتفعه طيبه وخص الله بالذكر التي لا يجري فيها ما من حيث
هي العرف في بلاد العرب فمثل لهم بما يحسبونه كثيرا وقال السدي بربوة اي برباوة وهو ما انخفض
من الارض وهذه عبارة قلقه ولفظ الربوة ماخوذ من ربا يربو اذا زاد يقال ربوة بضم
الراء وبها قرا ابن كثير وحمزه والكسائي ونافع وابو عمرو ويقال ربوه بفتح الراء وبها قرا ابن عامر
وعاصم وكذلك خلافهم في سورة المؤمنين ويقال ربوه بكسر الراء وبها قرا ابن عباس فيما حكي عنه ويقال
ويقال رباوه بفتح الراء والباء والف بعدها وبها قرا ابو جعفر وابو عبد الرحمن ويقال رباوه بكسر
الراء وقرا بها الاشهب العقيلي واتت معناه اعطت والاكل بضم الهمزه الثمر الذي يوكل والشيء
الماكول من كل شيء يقال له اكل واضافته الى الجنة اضافة اختصاص كسرج الدابة وباب الدار و
الافليس الثمر مما ياكل الجنه وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو كلها بضم الهمزه وسكون الكاف وكذلك
كل مضاف الى مونث وفارقهما ابو عمرو فيما اضيف الى مذكر مثل اكله او كان غير مضاف الى مكني مثل اكل
خمط فثقل ذلك ابو عمرو وخففاه وقرا عاصم وابن عامر وحمزه والكسائي في جميع ما ذكرناه بالتثقيل

ويقال اكل واكل بمعنى وهو من اكل بمنزلة الطعمة من طعم اى الشىء الذى يطعم ويوكل وضعفين معناه
اثنين مما نظن بها ويحدد من مثلها ثم اكد تعالى مدح هذه الربوة بانها ان لم يصبها وابل فان
الطل يكفيها وينوب مناب الوابل وذلك لكرم الارض والطل المستدق من القطر الخفيف
قاله ابن عباس وغيره وهو مشهور اللغة وقال قوم الطل الندى وهذا تجوز وتشبيه وقد روى
ذلك عن ابن عباس وقال المبرد تقديره فطل يكفيها وقال غيره التقدير فالذى اصابها طل
فشبه نمو نفقات هاولاء المخلصين الذين يربى الله نفقاتهم كتربية الفلو والفصيل بنمو نبات
هذه الجنة بالربوة الموصوفة وذلك كله بخلاف الصفوان الذى انكشف عنه ترابه فبقى صلدا وفى قوله
تعالى والله بما تعملون بصير وعد ووعيد وقرا الزهرى يعملون بالياء كانه يريد الناس اجمع او
يريد المنفقين فقط فهو وعد فيه اعلام بغيب ووعيد قد صدق بحمد الله غلب الكفر وصار
من مات عليه الى جهنم ونحا الى هذا ابو على فى الحجة وتظاهرت روايات بان المراد يهود المدينة
قال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر وقدم المدينة
جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع فقال يا معشر يهود اسلموا قبل ان يصيبكم مثل ما اصاب قريشا
فقالوا يا محمد لا يغرنك نفسك ان قتلت نفرا من قريش كانوا اغمارا لا يعرفون القتال انك
لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس فانزل الله فى قولهم هذه الاية وروى حديث اخر ذكره النقاش
وهو ان النبى المبعوث الذى فى كتابنا وهو الذى لا يهزم له راية وكرب بينهم بالامر فقال لهم
روساؤهم وشياطينهم لا تعجلوا وامهلوا حتى تروا امره فى دفعة اخرى فلما وقعت احد كفروا جميعهم
وتقواعلى اولهم وقالوا ليس محمد بالنبى المنصور فنزلت الاية فى ذلك اى قل لهاولاء اليهود ستغلبون
ويحشرون بالياء من اسفل ومن قرا بالتاء فمعنى الاية قل لهم هذه الالفاظ ومن قرا بالياء من
تحت فالمعنى قل لهم كلاما هذا معناه ويحتمل قراءة الياء التاويل الذى ذكرناه انفا اى قل لليهود
سيغلب قريش ورجح ابو على قراءة التاء على المواجهة وان الذين كفروا تعم الفريقين المشركين واليهود
وكل قد غلب بالسيف والجزية والذلة والحشر الجمع والاحضار وقوله تعالى وبئس المهاد يعنى جهنم
هذا ظاهر الاية وقال مجاهد المعنى بئس ما مهدوا لانفسهم فكان المعنى وبئس فعلهم الذى
ادى الى جهنم وقوله تعالى قد كان لكم اية فى فئتين يحتمل ان يخاطب المؤمنون وان يخاطب جميع
الكفار وان يخاطب بها يهود المدينة وبكل احتمال منها قد قال قوم فمن راى ان الخطاب بها للمؤمنين
فمعنى الاية تثبيت للمؤمنين وتشجيعها لانه لما قال للكفار ستغلبون امكن ان يستبعد ذلك الكفار
المنافقون وبعض ضعفة المؤمنين كما قال قائل يوم الخندق يعدنا محمد اموال كسرى وقيصر ونحن
لا نامن على انفسنا فى المذهب وكما قال عدى بن حاتم حين اخبره النبى صلى الله عليه وسلم بالامنة
التى ياتى فعلت فى نفسى اين دعار طى الذين سعروا البلاد الحديث بكماله فنزلت الاية مقوية لنفوس
المؤمنين ومبينة صحة ما اخبر به بالمثال الواقع فمن قرا ترونهم بالتاء من فوق فهى مخاطبة لجميع المؤمنين
اذ قد راى ذلك والهاء والميم فى ترونهم لجميع المشركين وفى مثليهم لجميع المؤمنين ومن قرا بالياء من
تحت فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار مثلى جمع المؤمنين ومن راى ان الخطاب لجميع الكفار ومن
راى انه لليهود فالاية عنده داخلة فيما امر محمد عليه السلام ان يقول لهم احتجاجا عليهم وبيانا لصورة
الوعيد المتقدم فى انهم ستغلبون فمن قرا ترونهم بالياء من تحت فالمعنى يرى الجمع من المؤمنين جمع الكفار
مثلى جمع المؤمنين ومن قرا بالتاء فالمعنى لو حضرتم او ان كنتم حضرتم وساعدت هذه العبارة لوضوح
الامر فى نفسه ووقوع النفوس لكل انسان فى ذلك العصر ومن قرا بضم الياء او التاء فكان المعنى ان
اعتقاد التضعيف فى جمع الكفار انما كان تخمينا ظنا لا يقينا فلذلك ترك فى العبارة بضرب من الشك
وذلك ان ارى بضم الهمزة تقولها فيما بقى عندك فيه نظر وارى بفتح الهمزة تقولها فيما قد صح نظرك فى
سعيها لهاجر وهمز جبرئيل عليه السلام بعقبه وفى حفر عبد المطلب لها اخرا بعد دثورها بتلك الرؤيا
المشهورة وبما نبع من الماء تحت خف ناقته فى سفره الى منافرة قريش ومخاصمتها فى امر زمزم ذكر ذلك
ابن اسحق مستوعبا ومن ايات البيت نفع ماء زمزم لما شرب له وانه يعظم ماؤها فى الموسم ويكثر
كثرة خارقة لعادة الابار ومن اياته الامنة الثابتة فيه على قديم الدهر وان العرب كانت يغير
بعضها على بعض ويتخطف الناس بالقتل واخذ الاموال وانواع المظالم الا فى الحرم وتركيب هذا
امر الحيوان فيه وسلامة السحر وذلك كله للبركة التى خصه الله بها والدعوة من الخليل عليه السلام
فى اجعل هذا بلدا امنا واذعان نفوس العرب وغيرهم قاطبة لتوقير هذه البقعة دون ناه ولا زاجر
انه عظمى يقوم بها الحجة وهى التى فسرت بقوله تعالى ومن دخله كان امنا ومن اياته كونه بواد غير
ذى زرع والارزاق من كل قطر يجبى اليه عن قرب وعن بعد ومن اياته ما ذكره ابن العربى رحمه الله
قال فى النوادر وغيرها سمعت ان الحرم يعرف ان لا يجى سيل من الحل فيدخل الحرم قال رحمه الله هذا

والله اعلم لان الله تعالى جعله ربوة او فى حكمها ليكون اصون له والحرم فيما حكى ابن ابى زيد فى الحج الثانى
من النوادر فمما يلى المدينة نحو من اربع اميال الى منتهى التنعيم ومما يلى العراق نحو من ثمانية اميال الى مكان
يقال له المقطع ومما يلى عرفة تسعة اميال ومما يلى طريق اليمن سبع اميال الى موضع يقال له اضاه
ومما يلى جده عشرة اميال الى منتهى الحديبية قال مالك فى العتبية والحديبية فى الحرم ومن
اياته فيما ذكر مكى وغيره ان الطير لا تعلوه وان علاه طاير فانما ذلك لمرض به فهو يستشفى
بالبيت وهذا كله عندى ضعيف والطير تعاين تعلوه وقد علته العقاب التى اخذت
الحية المشرفة على جداره وتلك كانت من اياته ومن اياته فيما ذكر الناس قديما وحديثا
انه اذا عمه المطر من جوانبه اخصب جميع افاق الارض وان لم يخصب جانبا منه لم
يخصب ذلك الافق الذى تلته ذلك العام واختلف الناس فى مقام ابراهيم فقال الجمهور
الحجر المعروف وقال قوم البيت كله مقام ابراهيم لانه بناه وقام فى جميع اقطاره وقال قوم
من العلماء مكة كلها مقام ابراهيم وقال قوم الحرم كله مقام ابراهيم والضمير فى قوله
ومن دخله عايد على الحرم فى قول من قال مقام ابراهيم هو الحرم وعايد على البيت فى قول
الجمهور اذ لم يتقدم ذكر لغيره الا ان المعنى يفهم منه ان من دخل الحرم فهو فى الامن
اذ الحرم جزء من البيت اذ هو لسببه وحرمته واختلف الناس فى معنى قوله كان امنا قال الحسن وقتاده
وعطا ومجاهد وغيرهم هذه وصف حال كانت فى الجاهلية ان الذى يجر جريرة ثم يدخل الحرم فانه كان
لا يتناول ولا يطلب فاما فى الاسلام وامن جميع الاقطار فان الحرم لا يمنع حدا من حدود الله من سرق
فيه قطع ومن زنا رجم ومن قتل قتل واستحسن كثير ممن قال هذا القول ان يخرج من وجب عليه
القتل الى الحل فيقتل هنالك وقال ابن عباس رضى الله عنه من احدث حدثا ثم استجار بالبيت
فهو امن وان الامر فى الاسلام على ما كان فى الجاهلية والاسلام زاد البيت شرفا وتوقيرا فلا
يعرض احد بمكة لقاتل وليه الا انه يجب على المسلمين ان لا يبايعوا ذلك الجانى ولا يكلموه ولا يئووه
حتى يتبرم فيخرج من الحرم فيقام عليه الحد وقال بمثل هذا عبيد بن عمير والشعبى وعطاء بن
ابى رباح والسدى وغيرهم الا ان اكثرهم قالوا هذا فيمن يقتل خارج الحرم ثم يعوذ بالحرم فاما
من يقتل بالحرم فانه يقام عليه الحد فى الحرم قال رحمه الله واذا تامل امر هذا الذى لا يكلم ولا
يبايع فليس بامن وقال يحيى بن جعدة معنى الاية ومن دخل البيت كان امنا من النار وحكى
النقاش عن بعض العباد قال كنت اطوف بالكعبة ليلا فقلت يا رب انك قلت ومن دخله كان
امنا فمن ماذا يا رب فسمعت مكلما يكلمنى وهو يقول من النار فنظرت وتاملت فما كان فى المكان
احد وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت هو فرض الحج فى كتاب الله باجماع وقال مالك رحمه الله
الحج كله فى كتاب الله فاما الصلوة والزكوة فهى من مجملات الدين فسره النبى عليه السلام والحج من
دعائم الاسلام التى بنى عليها وشروط وجوبه خمسة البلوغ والعقل والحرية والاسلام واستطاعة
السبيل والحج فى اللغة القصد لكنه فى بيت الله تخصص باعمال واقوال وقرا حمزه والكسائى وحفص
عن عاصم حج البيت بكسر الحاء وقرا الباقون حج البيت بفتحها قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكرا وقال
ابو على حج على هذا مصدر وقال سيبويه ايضا قالوا غزاه فارادوا عمل وجه واحد كما قالوا حجة
يريدون عمل سنة واحدة ولم يجيئوا به على الاصل لكنه اسم له قال ابو على فى قوله ولم يجيئوا به على الاصل يريد
على الفتح الذى هو الوقعة من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما ان غزاة كذلك ولم يحك
فيه الغزوة وكان القياس واكثر ما التزم كسر الحاء فى قولهم ذو الحجة واما قولهم حجة الوداع و
نحوه فانها على الاصل وقال الزجاج وغيره الحج بفتح الحاء المصدر وبكسرها اسم العمل قال الطبرى
هما لغتان الكسرة لغة نجد والفتح لغة اهل العالية وقوله من استطاع اليه سبيلا من فى موضع
حفص رفع بالابتداء والجواب محذوف تقديره فعليه الحج ويدل عليه عطف الشرط الاخر بعد فى
قوله ومن كفر وقال بعض البصريين من رفع على انه فاعل المصدر الذى هو حج البيت ويكون المصدر
مضافا الى المفعول واختلف الناس فى حال مستطيع السبيل كيف هى فقال عمر بن الخطاب وابن
عباس وعطا وسعيد بن جبير هى حال الذى يجد زادا وراحلة وروى الطبرى عن الحسن من طريق
ابراهيم بن يزيد الخوزى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال له رجل يا رسول الله
ما السبيل قال الزاد والراحلة واسند الطبرى الى على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وروى
عبد الرزاق وسفيان عن ابراهيم بن يزيد الخوزى عن محمد بن جعفر عن ابن عمر قال قام رجل الى النبى صلى
الله عليه وسلم فقال ما السبيل قال الزاد والراحلة وضعف قوم هذا الحديث لان ابراهيم بن يزيد الخوزى
يكلم فيه ابن معين وغيره والحديث مستسعن عن ابراهيم وقال بعض البغداديين هذا الحديث مشير الى

ان الحج لا يجب مشيا والذي اقول ان هذا الحديث انما خرج على الغالب من احوال الناس وهو البعد عن مكة واستصعاب
المشي على القدم كثيرا فاما القريب الدار فلا يدخل في الحديث لان القرب اغناه عن زاد وراحلة واما الذي
يستطيع المشي من الاقطار البعيدة فالراحلة عنده بالمعنى والقوة التي وهب وقد ذكر الله تعالى في قوله
يأتوك رجالا وكذلك ايضا معنى الحديث الزاد والراحلة لمن لم يكن له عذر في بدنه من مرض وخوف
على قسامه او استحقاق باجره او دين وهو يحا ولا الادا ويطمع فيه بتصرفه فيما بين يديه و
اما العديم فلا ان يحج اذا تكلف واستطاع فمقصد الحديث ان يتحرر موضع الوجوب على البعيد
الدار واما المشاة واصحاب الاعذار فكثير منهم يتكلف السفر وان كان الحج غير واجب عليه
ثم تؤديه ذلك التكلف الى موضع يجب فيه الحج عليه وهذه مبالغة في طلب الاجر ونيل ان شا الله
تعالى وذهب فرقة من العلماء الى ان قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا كلام عام لا يتفسر
بزاد وراحلة ولا غير ذلك بل اذا كان مستطيعا غير شاق على نفسه وقد وجب عليه الحج
قال ذلك ابن الزبير والضحاك وقال الحسن من وجد شيا يبلغ فقد استطاع اليه سبيلا وقال عكرمة
استطاعة السبيل الصحة وقال ابن عباس من ملك ثلثماية درهم فهو السبيل اليه وقال مالك ابن انس
رضي الله عنه في سماع اشهب من العتبية وفي كتاب محمد وقد قيل له اتقولان السبيل الزاد والراحلة
فقال لا والله قد يجد زادا وراحلة ولا يقدر على المسير واخر يقدر ان يمشي راجلا ورب صغير
احلد من كبير فلا صفة فهذا ابين مما قاله الله تعالى وهذا انبل كلام وجميع ما حكي عن العلما لا يتنافى
بعضه بعضا الزاد والراحلة على الاغلب من امر الناس في البعد وانهم اصحاب غير مستطيعين
المشي على الاقدام والاستطاعة متى تخلصت عامة في ذلك وغيره فاذا فرضنا رجلا مستطيعا
للسفر ماشيا معتادا لذلك وهو ممن يسل الناس في اقامته ويعيش من خدمتهم وسوالهم ووجد
صحة فالحج عليه واجب دون زاد ولا راحلة وهذه من الامور التي يتصرف فيها فقه الحال وكان
الشافعي يقول الاستطاعة على وجهين بنفسه او لمن منعه مرضا وعذر وله مال فعليه ان يجعل
من يحج عنه وهو مستطيع لذلك واختلف الناس هل وجوب الحج على الفور او على التراخي على قولين ولمالك
رحمه الله مسائل تقتضي القولين قال في المجموعة فمن اراد الحج ومنع ابواه فلا تعجل عليهما في حجة الفريضة
وليستاذنهما العام والعامين هذا على التراخي وقال في كتاب ابن المواز لا يحج احد الا باذن ابويه
الا الفريضة فليخرج وليدعهما فهذا على الفور وقال مالك في المراة تموت عنها زوجها فتريد الخروج
الى الحج لا تخرج في ايام عدتها قال الشيخ ابو الحسن فجعله على التراخي قال رحمه الله وهذا استقرا فيه
نظر واختلف قول مالك رحمه الله فيمن يخرج الى الحج على ان يسل ذاهبا وجائيا في ليست تلك عادته
في اقامته فروى عنه ابن وهب انه قال لا باس بذلك قيل له فان مات في الطريق قال حسابه على الله
وروى عنه ابن القاسم انه قال لا ارى للذين لا يجدون ما ينفقون ان يخرجوا الى الحج والغزو ويسلون
واني لاكره ذلك لقول الله سبحانه ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج قال مالك وكره تلك
ان يحج النسا في البحر لانها كشفة وكره ان يحج احد في البحر الا مثل اهل الاندلس الذين لا يجدون منه
بدا وقال في كتاب محمد وغيره قال الله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين
من كل فج عميق وما اسمع للبحر ذكرا وهذا باس من مالك رحمه الله لسقوط لفظ البحر وليس يقتضي الاية سقوط
البحر وسياتي تفسير ذلك في موضع ان شا الله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس من امتي عرضوا
علي ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة يركبون ثبج هذا البحر الاخضر غزاة في سبيل الله ولا فرق
بين الغزو والحج واختلف في حج النسا ماشيات مع القدرة على ذلك فقال في المدونة في المراة يدركها
فتمشي وتعجز في بعض الطريق انها تعود ثانية والرجال والنسا في ذلك سواء فعلى هذا يجب الحج اذا كانت
قادرة على المشي لان حجة الفريضة اكد من النذر وقال في كتاب محمد لا ارى على المراة الحج ماشية وان
قويت عليه لان مشيهن عورة الا ان يكون المكان القريب من مكة وهذا نظر بفقه الحال من رابع
ومحالة ولا حج على المراة الا اذا كان معها ذو محرم واختلف اذا عدمته هل يجب الحج بما هو في معناه
من نسا ثقات يصطحبن في القافلة او رجال ثقات فقال الحسن البصري وابراهيم النخعي وابن حنبل
واسحق بن راهويه وابو حنيفة واصحابه المحرم من السبيل ولا حج عليها الا مع ذي محرم وهذا
وقوف مع لفظ الحديث قال مالك تخرج مع جماعة نساء وقال الشافعي رحمه الله تخرج مع حرة ثقة
مسلمة وقال ابن سيرين تخرج مع رجل ثقة من المسلمين وقال الاوزاعي تخرج مع قوم عدول وتحد
سلما يصعد عليه وتنزل ولا يقربها رجل وهذه الاقوال راعت معنى الحديث وجمهور الامة على ان
المراد ان تحج الفريضة وان كره زوجها وليس له منعها واضطرب قول الشافعي في ذلك واختلف
الناس في وجوب الحج مع وجود المكوس والغرامة فقال سفيان الثوري اذا كان المكس ولو درهما
سقط فرض الحج عن الناس وقال عبد الوهاب اذا كانت الغرامة كثيرة غير مجحفة لسعة الحالات

الفرض

الفرض لا يسقط وعلى هذا الفرع جماعة اهل العلم وعليه مضت الاعصار وهذه نبذة من فقه
الاستطاعة وليس هذا الموضع بموضع لتقصي ذلك والله المستعان والسبيل يذكر ويؤنث
والاغلب الافصح التانيث وقال الله تبغونها عوجا وقال قل هذه سبيلي ومن التذكير قول كعب بن مالك
قضى يوم بدر ان يلاقي معشرا بغوا وسبيل البغي بالناس جائر والضمير في اليه عائد على البيت
ويحتمل ان يعود على الحج وقوله تعالى ومن كفر قال ابن عباس من زعم ان الحج ليس بفرض عليه وقال مثله
الضحاك وعطا وعمران القطان ومجاهد والحسن وروي عن النبي عليه السلام انه قرا هذه الاية فقال له
رجل من هذيل يا رسول الله من تركه كفر فقال النبي عليه السلام من تركه لا يخاف عقوبته ومن حجه
لا يرجو ثوابه فهو ذلك وقال بمعنى هذا الحديث ابن عباس ومجاهد ايضا وهذا والذي قبله
يرجع الى كفر الجحد والخروج عن الملة وقال ابن عمر وجماعة من العلما معنى الاية من كفر بالله واليوم الاخر
وهذا قريب من الاول وقال ابن زيد معنى الاية من كفر بهذه الايات التي في البيت وقال السدي
وجماعة من اهل العلم معنى الاية من كفر بان وجد ما يحج به ثم لم يحج قال السدي من كفر بهذه الحال
فهو كافر فهذا كفر معصية كقوله عليه السلام من ترك الصلوة فقد كفر وقوله لا ترجعوا بعدي كفارا
يضرب بعضكم رقاب بعض على اظهر محتملات هذا الحديث وبين انه من انعم الله بمال ولم يحج فقد كفر
النعمة ومعنى قوله تعالى غني عن العالمين الوعيد لمن كفر والقصد بالكلام فان الله غني عنهم
ولكن عمم اللفظ ليبرع المعنى وينبه الكفر على قدرة الله وسلطانه واستغنائه من جميع
الوجوه حتى ليس به افتقار الى شي لا رب سواه قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من امن تبغونها عوجا وانتم شهدا وما الله بغافل عما تعملون هذه الايات توبيخ
لليهود المعاصرين لمحمد عليه السلام والكتاب التوراة وجعلهم اهله بحسب زعمهم
ونسبهم والا فاهله على الحقيقة هم المومنون وايات الله يحتمل ان يريد بها القران
ويحتمل ان يراد بالايات العلامات الظاهرة على يدي محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله والله شهيد على ما تعملون وعيد محض اي يجازيكم به ويعاقبكم وقال الطبري
هاتان الايتان قوله قل يا اهل الكتاب لم تكفرون وما بعدهما الى قوله فاولئك لهم
عذاب عظيم نزل بسبب رجل من اليهود حاول الاغراء للاوس والخزرج قال ابن اسحق
حدثني الثقة عن زيد بن اسلم قال مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد عسى في الجاهلية عظيم الكفر
شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم فمر على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس
والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فغاظه ما راى من جماعتهم وصلاح ذات بينهم بعد ما كان
بينهم من العداوة فقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملاهم
بها من قرار فامر شابا من اليهود فقال اعمد اليهم واجلس بينهم وذكرهم يوم بعاث
وما كان قبله من ايام حربهم وما قالوه من الشعر ففعل الفتى فتكلم القوم عند ذلك وتفاخروا
وتنازعوا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب احدهما اوس بن قيظي احد بني حارثة بن
الحارث من الاوس وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله
رددناها الان جذعة فغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة
يريدون الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية وبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين
الله الله ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم ووعظهم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سامعين مطيعين فانزل الله في شاس بن قيس وما صنع هذه الايات وقال الحسن وقتادة
والسدي ان هذه الايات نزلت في احبار اليهود الذين كانوا يصدون المسلمين عن الاسلام
بان يقولوا لهم ان محمدا ليس بالموصوف في كتابنا ولا شك في وقوع هذين الشيئين وما شاكلهما
وما شاكلهما من افعال اليهود واقوالهم فنزلت الايات في جميع ذلك وصد معناه اعرض عن الشي
وانصرف عنه وهو فعل يقف ويتعدى بلفظ واحد يقول صددت عن كذا وصددت غيري عنه
فالذي في هذه الاية هو الفعل المتعدي وقرا الحسن يصدون بضم اليا وكسر الصاد وهذا هو الفعل
الواقف نقل بالهمزة فتعدى وسبيل الله في هذه الاية هو الاسلام الذي هو طريق الى رضى الله و
جنته ومن مفعول بتصدون والضمير في تبغونها عايد على السبيل ومعنى تبغون على ما فسر الزجاج
والطبري وغيرهما يطلبون فالمعنى يطلبون لها العوج اي الاعوجاج والافساد يقول العرب ابغني
كذا بالف موصول بمعنى اطلبه لي فاذا ارادوا اعني على طلبه واطلبه معي قطعوا الالف وقيل تبغون

هنا من البغي الذي هو التعدي اي تبغون عليها ويكون عوجا على هذا التاويل نصبه على الحال من الضمير
في تبغون اي عوجا منكم وعدم استقامة والعوج بكسر العين ما كان في الامور والحج غير الاجرام
والعوج بفتح العين ما كان في الاجرام كالجدار والعصا ونحو ذلك قال ابن قتيبة والارض خاصة من الاجرام
يقال فيها عوج بكسر العين ومنه قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال بعض اللغويين هما لغتان
بمعنى واحد وقوله تعالى وانتم شهداء يريد جمع شاهد على ما في التوراة من صفة محمد وصدقه
وما في الاية وعيد **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد
هدي الى صراط مستقيم **ن** الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا عام في المؤمنين والاشارة بذلك
وقت نزوله الى الاوس والخزرج بسبب ثائرة شاس بن قيس والفريق الجماعة من الناس والمراد
بها ههنا الاحبار والرؤوس ويردوكم معناه بالاضلال والتشكيك والمخادعة واظهار
الغش في معرض النصح ثم وقف تعالى المؤمنين على هذا الامر المستبعد المستشنع الذي يريده بهم
اليهود فقال وكيف تكفرون وانتم بهذه الاحوال الموصوفة وكيف في موضع نصب على الحال كما هي في
قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم فالمعنى اجاحدين تكفرون اجاهلين امستخفين
امرتدين ونحو هذا من التقدير والواو في قوله وكيف تكفرون عاطفة جملة كلام على جملة كلام ولا يجوز
ان يكون كيف في هذه الاية كما هي في قولك كيف يفعل كذا وانت تسال عن شيء ثابت الوقوع متحصل
لانه كان يلزم ان يكون كفر المؤمنين مقدرا مثبتا الوقوع وتامل معنى كيف اذا وليها اسم
وقرا جمهور الناس تتلى بالتاء من فوق وقرا الحسن يتلى بالياء اذ الايات هي القران وقوله تعالى وفيكم
هي ظرفية الحضور والمشاهدة الشخصية عليه السلام وهو في امته الى يوم القيمة باقواله واثاره
ويعتصم معناه يتمسك ويستذري وعصم الشيء اذا منع وحمى ومنه قوله يعصمني من الماء والعصم
الاسباب التي تمت بها ويعتصم من الحسه في العرض المطلوب قال الاعشى الى المرء قيس اطيل السرى
واخذ من كل قوم عصم وتصرف اللفظة كثير جدا وسائر الاية بين والله المستعان **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم **ن** الخطاب بهذه الاية يعم جميع المؤمنين والمقصود بها
وقت نزولها الاوس والخزرج الذين شجر بينهم بسعاية شاس بن قيس ما شجر وتقاة مصدر واصله
تقية وزنه فعلة وقد تقدم قوله الا ان تتقوا منهم تقاة وصح ان يكون التقاة في هذه الاية جمع فاعل
وان كان لم يتصرف منه فيكون كرماة ورام او يكون جمع تقي اذ فعيل وفاعل بمنزلة والمعنى على هذا
اتقوا الله كما يحق ان يكون متقوه المختصون به وكذلك اضيفوا الى ضمير الله واختلف العلماء في قوله
حق تقاته فقالت فرقة نزلت الاية على عموم لفظها والزمت الامة ان تتقي الله غاية التقوى حتى لا يقع
اخلال في شيء من الاشياء ثم ان الله تعالى نسخ ذلك عن الامة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وبقوله
لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال ذلك قتادة والسدي والربيع ابن انس وابن زيد وغيرهم وقالت
جماعة من اهل العلم لا نسخ في شيء من هذا وهذه الايات متفقات فمعنى هذه اتقوا الله حق تقاته
فيما استطعتم وذلك ان حق تقاته هو بحسب اوامره ونواهيه وقد جعل الله الدين يسرا وهذا
هو القول الصحيح وان لا يعصي ابن ادم جملة لا في صغيرة ولا كبيرة وان لا يفتر في عبادة امر متعذر
في جبلة البشر ولو كلف الله هذا لكان تكليف ما لا يطاق ولم يلتزم ذلك احد في تاويل هذه
الاية وانما عبروا في تفسير هذه الاية بان قال ابن مسعود رضي الله عنه حق تقاته ان يطاع فلا
يعصى ويشكر ولا يكفر ويذكر فلا ينسى وكذلك عبر الربيع بن خثيم وقتادة والحسن وقال ابن عباس
رضي الله عنه معنى قوله اتقوا الله حق تقاته جاهدوا في الله حق جهاده ولا نسخ في الاية وقال طاوس
في معنى قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته يقول تعالى ان لم يتقوه ولم يستطيعوا ذلك فلا تموتن الا وانتم
مسلمون معناه دوموا على الاسلام حتى يوافيكم الموت وانتم عليه هكذا هو وجه الامر في المعنى
وجاءت العبارة على هذا النظم الرائق الوجيز ونظيره ما حكي عن سيبويه من قولهم لا ارينك ههنا
وانما المراد لا تكن ههنا فتكون رؤيتي لك ومسلمون في هذه الاية هو المعنى الجامع للتصديق والاعمال
وهو الدين عند الله والذي بني على خمس وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا معناه تمنعوا وتحسبوا
به فقد يكون الاعتصام بالتمسك باليد وبارتباط القلب وبغير ذلك مما هو منع ومنه الاعصم في
الجبل ومنه عصمة النكاح والحبل في هذه الاية مستعار لما كان السبب الذي يعتصم به وصلة
ممتدة بين العاصم والمعصوم ونسبة بينهما شبه ذلك بالحبل الذي شانه ان يصل شيئا بشيء
وتسمى العهود والمواثيق حبالا ومنه قول الاعشى واذا تجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى
اليك حبالها ومنه اني بحبلك واصل حبلي ومنه قول الله تعالى الا بحبل من الله وحبل من الناس

واختلف عبارة المفسرين في المراد في هذه الاية بحبل الله قال ابن مسعود حبل الله الجماعة وروى انس
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بني اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان امتي
ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قال فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة
قال فقبض يده وقال الجماعة واعتصموا بحبل الله جميعا وقال ابن مسعود في خطبة عليكم بالطاعة
والجماعة فانها حبل الله الذي امر به وقال قتادة حبل الله الذي امر بالاعتصام به هو القران
وقال السدي حبل الله كتاب الله قاله ايضا ابن مسعود والضحاك وروى ابو سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض وقال ابو
العالية حبل الله في هذه الاية هو الاخلاص في التوحيد وقال ابن زيد حبل الله هو الاسلام وقيل
غير هذا مما هو كله قريب بعضه من بعض وقوله تعالى جميعا حال من الضمير في قوله اعتصموا والمعنى
كونوا في اعتصامكم مجتمعين ولا تفرقوا يريد التفرق الذي لا يتاتى معه الائتلاف على الجهاد وحماية الدين
وكلمة الله تعالى وهذا هو الافتراق بالفتن والافتراق في العقائد واما الافتراق في مسائل الفروع والفقه
فليس يدخل في هذه الاية بل ذلك هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف امتي رحمة وقد
اختلف الصحابة في الفروع ابتداء خلاف وهم يد واحدة على كل كافر واما الفتنة على علي بن ابي طالب رضي الله
عنه فمن التفرق المنهي عنه **قوله تعالى** واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون **ن**
هذه الاية تدل على ان الخطاب انما هو للاوس والخزرج وذلك ان العرب وان كان هذا اللفظ يصلح في
جميعها فانها لم يكن في وقت نزول هذه الاية اجتمعت على الاسلام ولا تالفت قلوبها وانما كانت قصة
شاس بن قيس في صدر الهجرة وحينئذ نزلت هذه الاية والاوس والخزرج كانت بينهم عداوة وحروب
منها يوم بعاث وغيره وكانت تلك الحروب والعداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة
حتى رفعها الله بالاسلام فجاء النفر الستة من الانصار الى مكة حجاجا فعرض رسول الله نفسه عليهم
وتلى عليهم القران كما كان يصنع مع قبائل العرب فامنوا به واراد الخروج معهم فقالوا يا رسول الله ان قدمت
بلدنا على ما بنا من العداوة والحرب خفنا ان لا يتم ما نريد بك ولكن نمضي نحن ونشيع امرك
وندخل الناس وموعدنا واياك العام القابل فمضوا ففعلوا وجاءت الانصار في العام القابل
فكانت العقبة الثانية وكانوا اثني عشر رجلا فيهم خمسة من الستة الاولين ثم جاءوا من العام الثالث
فكانت فيه العقبة الكبرى حضرها سبعون وفيهم اثنا عشر نقيبا ووصف هذه القصة مستوعب
في سيرة ابن هشام ويسر الله تعالى الانصار للاسلام بوجهين احدهما ان بني اسرائيل كانوا جيرانا
لهم وكانوا يقولون لمن يتوعدونه من العرب يبعث لنا الان نبي نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما راى
النفر من الانصار محمدا صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لبعض هذا والله النبي الذي يذكره بنو اسرائيل
فلا يسبقن اليه والوجه الاخر الحرب التي كانت ضرستهم وافنت سراتهم فرجوا ان يجمع الله به كلمتهم
كالذي كان فعدد الله تعالى نعمته في تاليفهم بعد العداوة وذكرهم بها وقوله تعالى فاصبحتم
عبارة عن استمرار وان كانت اللفظة مخصوصة بوقت ما وانما خصت هذه اللفظة بهذا المعنى
من حيث هي مبدا النهار وفيها مبدا الاعمال فالحال التي يحسبها المرء من نفسه فيها هي حاله
التي يستمر عليها يومه في الاغلب ومنه قول الربيع بن ضبع اصبحت لا احمل السلاح ولا املك
راس البعير ان نفرا والاخوان جمع اخ ويجمع اخوة وهذان اشهر الجمع فيه على ان سيبويه رحمه
الله يرى ان اخوة اسم جمع وليس ببناء جمع لان فعلا لا يجمع على فعلة قال بعض الناس الاخ
في الدين يجمع اخوانا والاخ في النسب يجمع اخوة هكذا اكثر استعمالهم وفي كتاب الله انما
المؤمنون اخوة والصحيح انهما يقالان في النسب ويقالان في الدين والشفا حرف كل جرم
له مهوى كالحفرة والبير والجرف والسقف والجدار ونحوه ويضاف في الاستعمال
الى الاعلى كقوله جرف والى الاسفل كقوله شفا حفرة وهي سفوان فشبه تعالى كفرهم
الذي كانوا عليه وحربهم بالمدينة من الموت بالشفا لانهم كانوا يسقطون في جهنم
دابا فانقذهم الله بالاسلام والضمير في منها عائد على النار او على الحفرة والعود على الاقرب
احسن وقال بعض الناس حكاه ان الضمير عائد على الشفا وانث الضمير من حيث كان الشفا
مضافا الى الحفرة وهي مؤنثة كقول جرير رات مر السنين اخذن مني كما اخذ السرار
من الهلال ونحو ذلك من الامثلة وليس الامر كما ذكروا لان الاية لا يحتاج فيها الى هذه الصناعة الا لو
لم يجد معادا للضمير الا الشفا واما معنا لفظ مؤنث يعود الضمير عليه ويعضده المعنى
المتكلم فيه فلا يحتاج الى تلك الصناعة وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته وقوله لعلكم
تهتدون في حق البشر اي من تامل منكم الحال رجا الاهتداء **قوله تعالى** ولتكن منكم امة يدعون

الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم ن قرا الحسن والزهري وابو عبد
الرحمن وعيسى بن عمر وابو حيوة ولتكن بكسر اللام على الاصل اذ اصلها الكسر وكذلك قرا لام الامر
في جميع القران قال الضحاك والطبري وغيرهما امر المومنون ان يكون منهم جماعة بهذه الصفة
فهم خاصة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خاصة الرواة قال رحمه الله فعلى هذا القول
من للتبعيض وامر الله الامة بان يكون منها علما يفعلون هذه الافاعيل على وجوهها و
يحفظون قوانينها على الكمال ويكون سائر الامة متبعين لاولئك اذ هذه الافعال لا يكون الا
بعلم واسع وقد علم تعالى ان الكل لا يكون عالما وذهب الزجاج وغير واحد من المفسرين الى ان المعنى
ولتكونوا كلكم امة تدعون ومن لبيان الجنس ومثله من كتاب الله فاجتنبوا الرجس من الاوثان
ومثله من الشعر قول الشاعر اخو رغائب يعطيها ويسلها ياتي الظلامة منه النوفل الزفر
وهذه الاية على هذا التاويل انما هي عندي بمنزلة قولك لتكن منك رجل صالح ففيه المعنى الذي
يسميه النحويون التجريد وانظر ان المعنى الذي هو ابتداء الغاية يدخلها وكذلك يدخل قوله تعالى
من الاوثان ولا تجده يدخل قول الشاعر ياتي الظلامة منه النوفل الزفر ولا تجده يدخل في من
التي هي لبيان الجنس كقولك ثوب من خز وخاتم من فضة بل هذه تعارضها معنى التبعيض ومعنى
الاية على هذا التاويل امر الامة بان يكونوا يدعون جميع العالم الى الخير الكفار الى الاسلام والعصاة
الى الطاعة ويكون كل واحد من هذه الامور على منزلته من العلم والقدرة وقال اهل العلم فرض
الله بهذه الاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو فرض من فروض الكفاية اذا قام به قائم
سقط عن الغير وللزوم الامر بالمعروف شروط منها ان يكون بمعروف لا بحرف فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان امرا بمعروف فليكن امره ذلك بمعروف ومنها ان لا يخاف المرء اذا بصبه
فان فعل مع ذلك فهو اعظم لاجره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان قال الفقيه القاضي ابو
محمد رحمه الله والناس في تغيير المنكر والامر بالمعروف على مراتب ففرض العلما فيه تنبيه الولاة وحملهم
على جادة العلم وفرض الولاة تغييره بقوتهم وسلطانهم ولهم هي اليد وفرض سائر الناس رفعه الى
الحكام والولاة بعد النهي عنه قولا وهذا في المنكر الذي له دوام واما ان راى نازلة بديهية
من المنكر كالسلب والزنا ونحوه فيغيرها بنفسه بحسب الحال والقدرة ويحسن لكل مومن
ان يعتمل في تغيير المنكر وان ناله بعض الاذى ويويد هذا المنزع ان في قراءة عثمان بن عفان
وابن مسعود وابن الزبير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم
فهذا وان كان لم يثبت في المصحف ففيه اشارة الى التعرض لما يصيب عقيب الامر والنهي وقوله
تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم معناه اذا لم يقبل منكم
ولم يقتدروا على تغيير منكر وقال بعض العلما الامر بالمعروف للتوحيد والمنكر الكفر والاية
نزلت في الجهاد ولا محالة ان التوحيد والكفر هما راس الامرين ولكن ما نزل عن قدر التوحيد والكفر
يدخل في الامر ولا بد والمفلحون الظافرون بغيتهم وهذا وعد كريم ثم نهى الله تعالى هذه الامة
ان يكونوا كالمتفرقين من الامم واختلفت عبارة المفسرين في المشار اليهم فقال ابن عباس
هي اشارة الى كل من افترق من الامم في الدين فاهلكهم الافتراق وقال الحسن هي اشارة الى اليهود
والنصارى وقال الزجاج يحتمل ان تكون اشارة ايضا الى فرق النصارى وفرق اليهود ومجي البينات
هو بعث الرسل وانزال الكتب واسند الفعل دون علامة الى البينات من حيث نزلت منزلة البيان
ومن حيث لا حقيقة لتانيثها وباقي الاية وعيد وقوله عذاب عظيم يقتضي انه اعظم من سواه و
يتفاضل هذان العرضان بان احدهما يحله فتور واما الحر الفرد من هذا او ذلك فسواء هذا تحرير
مذهب اصحابنا الاصوليين رحمهم الله قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين
اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون العامل في قوله يوم الفعل الذي يتعلق به اللام في قوله لهم
عذاب عظيم قال الزجاج تقديره ويثبت لهم عذاب عظيم وقال قوم العامل فيه عظيم وذلك ضعيف
من جهة المعنى لانه يقتضي ان عظيم العذاب في ذلك اليوم ولا يجوز ان يكون العامل قوله عذاب لانه
مصدر قد وصف العامل به وبياض الوجوه عبارة عن اشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله
قاله الزجاج وغيره ويحتمل عندي ان يكون ذلك من اثار الوضو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انتم
الغر المحجلون من اثار الوضو واما سواد الوجوه فقال المفسرون هي عبارة عن اربدادها واظلامها
بنعم العذاب ويحتمل ان يكون ذلك تسويدا ينزله الله بهم على جهة التشويه والتمثيل بهم على نحو حشرهم

زرقا

زرقا وهذه اقبح طلعة ومن ذلك قول بشار وللبخيل على امواله علل زرق الوجوه عليها اوجه سود
وقرا يحيى بن وثاب تبيض وتسود بكسر التاء وقرا الزهري تباض وجوه وتسواد وجوه بالف
وهي لغة ولما كان صدر هذه الاية اخبارا عن حال لا يخص احدا معينا بدا بذكر البياض لشرفه وانه الحالة
المثلى فلما فهم المعنى وتعين له الكفار والمؤمنون بدا بذكر الذين اسودت وجوههم للاهتمام
بالتحذير من حالهم وقوله تعالى اكفرتم تقرير وتوبيخ متعلق بمحذوف تقديره فيقال لهم اكفرتم وفي هذا
المحذوف هو جواب اما وهذا هو فحوى الخطاب وهو ان يكون في الكلام شي مقدر لا يستغني
المعنى عنه كقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة المعنى فافطر فعدة وقوله تعالى بعد ايمانكم
يقتضي ان لهؤلاء الموقفين ايمانا متقدما واختلف اهل التاويل في تعيينهم فقال ابي بن كعب
الموقفون جميع الكفار والايمان الذي قيل لهم بسببه بعد ايمانكم هو الايمان الذي اقروا به
يوم قيل لهم الست بربكم قالوا بلى وقال اكثر المتاولين انما عنى بالتوقيف في هذه الاية اهل القبلة
من هذه الامة ثم اختلفوا فقال الحسن الاية في المنافقين يومنون بالسنتهم ويكفرون بقلوبهم
فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم اي ذلك الايمان الذي بالسنتهم وقال السدي هي فيمن كفر من اهل
القبلة حين اقتتلوا وقال ابو امامة الاية في الخوارج وقال قتادة الاية في اهل الردة ومنه
الحديث ليردن على الحوض رجال من اصحابي حتى اذا رفعوا الى اختلجوا فاقول اصحابي اصحابي فيقال انك
لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا وفي بعض طرقه فاناديهم الا هلم الا هلم وذكر
النحاس قولا ان الاية في اليهود وذلك انهم امنوا بصفة محمد واستفتحوا به فلما جاءهم من غيرهم
كفروا فهذا كفر بعد ايمان وروي عن مالك انه قال الاية في اهل الاهوا قال رحمه الله ان كان هذا
ففي المخلين منهم القائلون ما هو كفر وروي حديث ان الاية في القدرية وقال ابو امامة سمعنا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في الحرورية وقد تقدم عنه انها في الخوارج وهو قول واحد
وما في قوله بما كنتم مصدرية وقوله تعالى ففي رحمة الله اي في النعيم الذي هو موجب رحمة الله
وقوله بعد ذلك فيها تاكيد بجملتين اذ كان الكلام يقوم دونها قوله تعالى تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع
الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله
ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ن الاشارة بتلك
الى هذه الايات المتقدمة المتضمنة تعذيب الكفار وتنعيم المؤمنين ولما كان فيها ذكر
التعذيب اخبر تعالى انه لا يريد ان يقع منه ظلم لاحد من العباد واذا لم يرد ذلك فلا يوجد
البتة لانه لا يقع من شي الا ما يريد تعالى وقوله تعالى بالحق معناه بالاخبار بالحق و
يحتمل ان يكون المعنى نتلوها عليك متضمنة الافاعيل التي هي حق في انفسها من كرامة قوم
وتعذيب اخرين وقرا ابو نهيك يتلوها بالياء وجاء الاعلام بانه تعالى لا يريد ظلما
في حكمه فاذا لا يوجد ولما كان للذهن ان يقف هنا في الوجه الذي به خص الله قوما
بعمل يرحمهم من اجله واخرين بعمل يعذبهم عليه ذكر تعالى الحجة القاطعة في ملكه جميع المخلوقات
فان الحق انه لا يعترض عليه وذلك في قوله ولله ما في السموات وما في الارض الاية وقال ما ولم
يقل من من حيث هي جمل واجناس وذكر الطبري ان بعض البصريين نظر قوله تعالى
والى الله فاظهر الاسم ولم يقل اليه بقول الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شي نغص
الموت ذا الغنى والفقيرا وجرى مجراه وقال الزجاج وحكى ان العرب تفصل ذلك ارادة
تفخيم الكلام والتنبيه على عظم المعنى والاية تشبه البيت في قصد تفخيم النظم وتفارقه من حيث الاية
جملتان مفترقتان في المعنى فلو تكررت جمل كثيرة على هذا الحد لحسن فيها كلها اظهار الاسم وليس
التعوض بالضمير في ذلك يعرف واما البيت وما اشبهه فالضمير فيه هو العرف اذ الكلام في معنى
واحد ولا يجوز اظهار الاسم الا في المعاني المفخمة في النفوس التي تومن فيها اللبس على السامع
وقرا بعض السبعة ترجع الامور بفتح التاء على بناء الفعل للفاعل وقد تقدم ذكر ذلك واختلف المتاولون
في معنى قوله كنتم خير امة اخرجت للناس فقال عمر بن الخطاب هذه لاولنا ولا تكون لاخرنا وقال عكرمة
نزلت في ابن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة وابي بن كعب ومعاذ بن جبل ونحوه ومن شاكلهم وقال ابن عباس
نزلت في الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فهذا كل قول واحد مقتضاه ان الاية نزلت
في الصحابة قيل لهم كنتم خير هذه الامة فالاشارة بقوله امة الى امة محمد معينة بان هؤلاء خيرها وقال الحسن
وجماعة من اهل العلم معنى الاية خطاب بجميع الامة بانهم خير امة اخرجت للناس ويؤيد هذا التاويل
كونهم شهداء على الناس وقول النبي عليه السلام نحن الاخرون السابقون الحديث وروى بهز بن حكيم عن ابيه
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وهو مسند ظهره الى الكعبة نحن نكمل يوم القيمة

سبعين امة نحن اخرها وخيرها قال مجاهد معنى الاية كنتم خير الناس وقال الحسن نحن اخرها واكرمها
على الله تعالى وقال ابو هريرة معنى الاية كنتم للناس خير الناس فانه على هذا التاويل انتم جنس قال ابو محمد
ولم يبعث نبي الى الناس كافة الا محمد عليه السلام فهو وامته يدعون الى الايمان ويقاتلون العالم عليه
فهو خير الناس للناس وليس يلزم على هذا التاويل انها افضل الامم من نفس الاية لكن يعلم هذا
من موضع اخر وهي كقوله عليه السلام اراف امتي بامتي ابو بكر فليس يقتضي على هذا اللفظ
ان ابا بكر اراف الناس على الاطلاق في مؤمن وكافر والمرافة المفرطة على الاطلاق ليست بجارية
مع الشرع كما يجب واما قوله كنتم على صيغة الماضي فانها التي بمعنى الدوام كما قال وكان الله غفورا
رحيما الى غير هذا من الامثلة وقال قوم المعنى كنتم في علم الله وقيل في اللوح المحفوظ وقيل فيما اخبرت
الامم قديما عنكم وخير على هذا الاقوال خبر كان ويحتمل ان يكون كان التامة ويكون خير امة نصبا على
الحال وهذا يتجه على بعض التاويلات التي ذكرنا هادون بعض وهذه الخيرية التي فرضها الله لهذه الامة
انما ياخذ بحظ منها من عمل هذه الشروط من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله و
قوله تامرون بالمعروف وما بعده احوال في موضع نصب ثم اخبر تعالى عن اهل الكتاب على جهة التوبيخ
على جهة التوبيخ المقرون بالنصح انهم لو امنوا لنجوا انفسهم من عذاب الله وجاءت لفظة خير
فهذه الاية وهي صيغة تفضيل ولا مشاركة بين كفرهم وايمانهم في الخير وانما جاز ذلك لما في لفظة
خير من الشياع وتشعب الوجوه وكذلك هي لفظة افضل واحب وما جرى مجراها وقد بين هذا
المعنى في غير هذا الموضع بابين من هذا واوعب وقوله تعالى منهم المومنون بنسبه على حال عبد الله
ابن سلام واخيه وثعلبة بن سعيه وغيرهم ممن امن ثم حكم على اكثرهم بالفسق في كفرهم لانهم حرفوا
وبدلوا وعاندوا بعد معرفتهم بحقيقة امر محمد عليه السلام فهم كفار فسقة في الكفر وجمعوا
المذمتين قوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت
عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم
المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
ن قوله تعالى لن يضروكم الا اذى معناه لن يصيبكم منهم ضرر في الابدان ولا في الاموال وانما هو
اذى بالالسنة والاستثناء متصل قال الحسن وقتاده وغيرهما الاذى هو تحريفهم امر محمد وتكذيبهم
اياه وتنقصهم المؤمنين وطعنهم عليهم جملة وافرادا وهذا كل عظيم متعلق وبسببه استحقوا
القتل والاجلاء وضرب الجزية لكن اراد تعالى بهذه الاية ان يلحظهم المؤمنين بعين الاحتقار
حتى لا يصدوا احدا عن دينه ولا يشغلوه عن عبادة ربه هكذا فصاحة العرب ومن هذا المعنى في
التحقير قول ثمامة بن اثال يا محمد ان تقتلني تقتل ذا دم وان تنعم فتنعم على شاكر وان شئت المال
فسل منه ما شئت فقوله ذا دم روي بالذال المنقوطة والدال غير المنقوطة فدم هنا بفتح الدال
وبكسرها اراد بها الدمام واما بالدال غير المنقوطة فيحتمل ان اراد التعظيم لامر نفسه وذلك
باحد وجهين اما ان يريد الوعيد اي تقتل ذا دم مطلوب شانه له حماة فاحذر عاقبة ذلك واما ان
يريد تقتل ملكا يستشفى بدمه كما كانت العرب يعتقد في دماء الملوك فهذا استعطاف لا وعيد
اي لا ينبغي ذلك ان يفسد مثلي وهذا كما استعطف الاشعث بن قيس ابا بكر رضي الله عنه بهذا
المعنى ويحتمل كلام ثمامة انه اراد تحقير امر نفسه وليذهب عن نفس رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسرة نيل مثل هذا النيل العظيم ويجرى ذلك مجرى قول ابي جهل لعبد الله بن مسعود وهل
اعمد من رجل قتلتموه ومثله قول الاشتر لعبد الله بن الزبير حين قال له لاقتلنك فقال ان ذلك
لا ينقص من عدد الحرشا وكان ثمامة اراد ان يقتلني تقتل حيرانا حقيرا شانه كما تقتل كل ذي دم
فما بالك يفعل ذلك ويدع الانعام علي فالاية نظر الى هذا المعنى من جهة حقر عند المؤمنين ما هو عظيم
في نفسه تثبيتا لهم واخبر الله تعالى في قوله وان يقاتلوكم الاية بخبر غيب صحيحة الوجود فهي من ايات
محمد صلى الله عليه وسلم وفائدة الخبر في قوله ثم لا ينصرون اي لا يكون حربهم معكم سجالا وخص
الادبار بالذكر دون الظهر تخسيسا للكفار وهذا هو حيث يصرف وقوله ضربت معناه اثبتت
بشدة والزام مؤكد وهذا وصف حال تقررت على اليهود في اقطار الارض قبل مجيء الاسلام
قال الحسن جاء الاسلام وان المجوس لتجبيهم الجزية وما كانت لهم عزة ومنعة الا بيثرب وخيبر
وتلك الارض فازالها الله بالاسلام ولم تبق لهم راية في الارض والذلة فعلة من الذل وثقفوا
معناه اخذوا وهم بحال المذنب المستحق الهلاك ومنه قوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب وقوله
فاقتلوهم حيث ثقفتموهم واللفظة ماخوذ من الثقاف ومنه قول الشاعر تدعوا قعسا وقد عض
الحديد بها عض الثقاف على صم الانابيب وقوله تعالى الا بحبل استثناء منقطع وهو نظير
قوله تعالى وما كان لمومن ان يقتل مومنا الا خطا لان ما ذكر الراي يعطي ان له ان يقتله خطا

وان الحبل

وان الحبل من الله ومن الناس يزيل ضرب الذلة وليس الامر كذلك وانما في الكلام محذوف يدركه فهم السامع
الناظر في الامر وتقديره في امتنا فلا نجاة من الموت الا بحبل من الله وقوله تعالى ضربت عليهم الذلة اينما
ثقفوا كانه في المعنى هلكوا واستوصلوا فلذلك حسن ان يجيء بعده الا بحبل وقرب فهم ذلك للسامع
قال الزجاج المعنى ضربت عليهم الذلة الا انهم يعتصمون بالعهد اذا اعطوه والحبل العهد شبه به
لانه يصل قوما بقوم كما تفعل الحبل في الاجرام وباءوا معناه مضوا متحملين ابدا الحكم وغضب الله
عليهم ما دلت عليه هذه الامور التي وقع بهم وافعال بني اسرائيل على وجه الدهر من التعنت
والعصيان توجب الغضب فلذلك خصوا به والنصارى انما ضلوا فقط والمسكنة التذلل والصغر
والضعفة وهي حال الطواف الملتمس للعمر واللقمتين الضارع المفارق لحالة التعفف والتعزز
فليس احد من اليهود وان كان غنيا الا وهو بهذه الحالة وقوله ذلك اشارة الى الغضب وضرب الذلة والمسكنة
فعاقبهم الله تعالى على كفرهم وقتلهم الانبياء بذلك وايات الله يحتمل ان يراد بها المتلوه ويحتمل
ان يريد العبر التي عرضت عليهم وقوله بغير حق تاكيد ومبالغة وقطع لما عسى ان يكون في وهم انسان ممكنا
بوجه ما وقوله تعالى ذلك بما عصوا حمله المفسرون على ان الاشارة بذلك الى الشيء الذي اشير اليه
بذلك الاول قاله الطبري والزجاج وغيرهما والذي اقول ان الاشارة بذلك الاخيرة انما هي الى كفرهم وقتلهم
وذلك ان الله تعالى استدرجهم فعاقبهم على العصيان والاعتداء بالمصير الى الكفر وقتل الانبياء
وهذا الذي يقول اهل العلم ان الله تعالى يعاقب على المعصية بالايقاع في المعصية ويجازي على الطاعة
بالتوفيق الى طاعة وذلك موجود في الناس اذا تامل وعصيان بني اسرائيل واعتداؤهم في السبت
في غيره ما موضع من كتاب الله تعالى وقال قتاده رحمه الله عند ما فسر هذا الموضع اجتنبوا المعصية
والعدوان فان بها اهلك من اهلك قبلكم من الناس قوله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب
امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين ن لما مضت الضمائر في الكفر والقتل
والعصيان والاعتداء عامة لجميع اهل الكتاب عقب تعالى ذلك بتخصيص الذين هم على خير وايمان
وذلك ان اهل الكتاب لم يزل فيهم من هو على استقامة فمنهم من مات قبل ان يدرك الشرائع و
ذلك من الصالحين ومنهم من ادرك الاسلام فدخل فيه ويعترض هذا النظر ان جميع اليهود على
عوج من وقت عيسى عليه السلام ويجيء الاية فيمن اسلم فقط او يكون اليهود في معنى الامة القائمة
الى وقت عيسى ثم ينتقل الحكم في النصارى ولفظ اهل الكتاب يعم الجميع والضمير في ليسوا لمن
تقدم ذكره في قوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون وما قال ابو عبيده من ان الاية نظيره
قول العرب اكلوني البراغيث خطاء مردود وكذلك ما حكي ايضا عن الفراء ان امة مرتفع
بسواء على انها فاعله كانه قال لا يستوي امة كذا وان في اخر الكلام محذوف معادل تقديره
وامة كافرة فاغنى القسم الاول عن ذكرها ودل عليه كما قال ابو ذويب الهذلي عصيت
اليها القلب اني لامرها سميع فما ادري ارشد طلابها المعنى ام غي فاقتصر لدلالة ما
ذكر عليه وانما الوجه ان الضمير في ليسوا يراد به من تقدم ذكره وسواء خبر ليس ومن
اهل الكتاب مجرور في خبر مقدم وامة رفع بالابتداء قال ابن عباس رضي الله عنه لما
اسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن شعبه واسيد بن شعبه واسد بن عبيد ومن اسلم من
اليهود ومعهم قال الكفار من احبار يهود ما امن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا اخيارنا ما
تركوا دين ابائهم فانزل الله تعالى ليسوا سواء وقال مثله قتاده وابن جريج وهو اصح
التاويلات وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه معنى الاية ليس اليهود وامة محمد
سواء وقاله السدي لمن حيث يتقدم ذكره الامة في قوله كنتم خير امة وذكر ايضا اليهود
وقال الله لنبيه ليسوا سواء والكتاب على هذا جنس كتب الله تعالى وليس بالمعهود
من التوراة والانجيل فقط والمعنى من اهل الكتاب وهم اهل القران امة قائمة
واختلف عبارة المفسرين في معنى قائمة فقال مجاهد معناه عادلة وقال قتاده والربيع
وابن عباس معناه قائمة على كتاب الله وحدوده مهتدية وقال السدي القائمة القانتة المطيعة
وهذا كله يرجع الى معنى واحد من الاعتدال ومنه قيل للدنانير الوازنة قائمة وهذه الاية يحتمل هذا
المعنى وانه لا ينظر للفظة الهيئة الاشخاص وقت تلاوة ايات الله ويحتمل ان يريد بقائمة و
وصف حال التالين في اناء الليل ومن كانت حاله هذه فلا محالة انه معتدل على امر الله تعالى وهذه
الاية في هذين الاحتمالين مثل ما تقدم في قوله تعالى الا ما دمت عليه قائما ويتلون معناه يسردون
وايات الله في هذه الاية هي كتبه واناء هي الساعات واحدها اني بكسر الهمزة وفتح النون والقصر
ويقال فيه اني بفتح الهمزة ويقال انو بكسر الهمزة وسكون النون وبواو مضمومة ومنه قول الهذلي

حلو ومر كعطف العدج مرية في كل انى قضاه الليل ينتقل وحكم هذه الاية لا يستغرق في شخص شخص باذ يكون
كل واحد يصلى جميع ساعات الليل وانما تقوم هذا الحكم من جماعة الامة ان بعض الناس تقوم اول
الليل وبعضهم اخره وبعضهم بعد هجع ثم يعود الى نومه فياتى من مجموع ذلك عمارة اناء الليل بالقيام
في المدن والجماعات وهكذا كان صدر هذه الامة وعرف الناس القيام في اول الثلث الاخر من
الليل وقبله بشىء وحينئذ كان يقوم الاكثر والقائم طول الليل قليل وقد كان في الصالحين من يلتزم
وقد ذكر الله تعالى القصد من ذلك في سورة المزمل وقيام الليل لقراءة العلم المبتغى به وجه الله داخل
في هذه الاية وهو افضل من التنفل لمن يرجى انتفاع المسلمين بعلمه واما عبارة المفسرين في اناء الليل
فقال الربيع وقتاده وغيرهما اناء الليل ساعاته وقال عبد الله بن كثير سمعنا العرب يقول اناء الليل ساعات
الليل وقال السدى اناء الليل جوف وهذا قلق اما ان جوف الليل جزء من الاناء وقال ابن مسعود نزلت
هذه الاية بسبب ان النبي صلى الله عليه وسلم احتبس عنا ليلة عن صلوة العتمة وكان عند بعض
نسائه فلم يات حتى مضى ليل جاء ومنا المصلى والمضطجع فقال ابشروا فانه ليس احد من اهل الكتاب
يصلى هذه الصلوة فانزل الله تعالى ليسوا سواء الاية فالمراد بقوله يتلون ايات الله اناء الليل
صلوة العتمة وروى سفيان الثورى عن منصور انه قال بلغنى ان هذه الاية نزلت في المصلين من العشاء
بين العشائين وقوله وهم يسجدون ذهب بعض الناس الى ان السجود هنا عبارة عن الصلوة سماها
به تشريفا منها كما تسمى في كثير من المواضع ركوعا فهى على هذا جملة في موضع الحال كانه قال يتلون
ايات الله اناء الليل مصلين وذهب الطبرى وغيره الى انها جملة مقطوعة من الكلام الاول اخبر
عنهم ايضا انهم اهل سجود ويحسن هذا من جهة ان التلاوة اناء الليل قد يعتقد السامع
ان ذلك في غير صلوة وايضا فالقيام في قراءة العلم مخرج من التاويل على التاويل الاول وثبت
فيها على هذا الثانى فهم يسجدون على هذا نعت اعدد بوا والعطف كما يقول جاء في زيد الكريم
والعاقل ويؤمنون معناه يصدقون وفي الايمان باليوم الاخر ايمان بالانبياء لانه من جائزات
العقل والذى اثبتها السمع من الانبياء وقوله تعالى ويسارعون في الخيرات وصف بانهم
متى دعوا الى خير من نصر مظلوم واعانة مكروب وجبر مهيض وعبادة الله اجابوا ومنه فعل
مالك رضى الله عنه في ركعتى المسجد قال دعوتنى الى خير فاجبت اليه ومما يدخل في ضمن قوله و
يسارعون ان يكون المسلم مغتنما للخمس قبل الخمس كما قال عليه السلام اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك فيكون
متى اراد خيرا بادر اليه ولم يسوف نفسه بالامل فهذه ايضا مسارعة في الخيرات وذكر بعض الناس
قال دخلت مع بعض الصالحين في مركب فقلت له ما يقول اصلحك الله في الصوم في السفر فقال انها
المبادرة يا ابن اخى قال المحدث فجاءنى والله بجواب ليس من اجوبة الفقهاء ثم وصفهم الله تعالى بمن
تحصلت لهم هذه الصفات بانه من جملة الصالحين ومن تحتمل ان يكون للتبعيض وتحتمل ان يكون لبيان
الجنس وما تفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة
الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن
انفسهم يظلمون ن قرا ابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابى بكر تفعلوا وتكفروه بالتاء على مخاطبة
هذه الامة وقرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم بالياء فيهما على مشابهة ما تقدم من يتلون ويؤمنون
وما بعدهما وكان ابو عمرو يقرا بالوجهين وتكفروه معناه نغطى ذنوبكم فلا تثابون عليه ومن هذا
قول النبي عليه السلام من ازلت اليه يد فليذكرها فان لم يفعل فقد كفرها ومنه قول الشاعر والكفر
مخبثة لنفس المنعم وفي قوله تعالى والله عليم بالمتقين وعد ووعيد ثم عقب تعالى ذكر هذا
الصنف الصالح بذكر حال الكفار ليبين الفرق وخص الله تعالى الاموال والاولاد بالذكر لوجوه
منها انها زينة الحيوة الدنيا وعظم ما تجرى اليه الامال ومنها انها الصق النصرة بالانسان
وايسرها ومنها ان الكفار المكذبين بالاخرة لا هم لهم الا فيها هى غاية المراد وبها كانوا يفخرون
على المؤمنين فذكر الله ان هذين اللذين هما بهذه الاوصاف لا يغنيهما من عقاب الله في الاخرة
فاذا لم تغن هذه فغيرها من الامور البعيدة احرى ان لا يغنى وقوله تعالى اصحاب النار تخصيص ما
يقتضى ثبوت ذلك لهم ودوامه وقوله تعالى مثل ما ينفقون الاية معناه المثال القائم في النفس
من انفاقهم الذى يعدونه قربة وحسنة ومن حبطه يوم القيمة وكونه هباء منثورا وذهابه
كالمثال القائم في النفس من زرع قوم نبت واخضر وقوى الامل فيه فهبت عليه ريح فيها صر
محرق فاهلكته فوقع التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر عز وجل احد المشبهين وترك
ذكر الاخر ثم ذكر احد الشيئين المشبه بهما وليس الذى يوازيه المذكور الاول وترك ذكر الاخر

ودل المذكورات على المتروكين وهذه غاية البلاغة والايجاز ومثل ذلك قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل
الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء وقرا عبد الرحمن بن هرمز الاعرج تنفقون بالتاء على معنى قل لهم يا محمد
ومثل رفع بالابتداء وخبره محذوف به يتعلق الكاف من قوله كمثل وما بمعنى الذى وجمهور المفسرين
على ان ينفقون يراد بها الاموال الذى كانوا ينفقونها في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك
عندهم قربة وقال السدى ينفقون معناه من اقوالهم الذى يبطنون ضدها وهذا ضعيف لانه يقتضى
ان الاية في منافقين والاية انما هى في كفار يعلنون مثل ما يبطنون وذهب بعض المفسرين الى ان ينفقون
يراد بها اعمالهم من الكفر ونحوه اى هى كالريح التى فيها صر فبطل كل ما لهم من صلة رحم وعتق ونحوه كما يبطل الريح
الزرع وهذا قول حسن لولا بعد الاستعارة في الانفاق والصر البرد الشديد المحرق لكل ما يهب
عليه وهو معروف قال ابن عباس وجمهور المفسرين الصر البرد وتسميه العرب الضريب وذهب
الزجاج وغيره الى ان اللفظة من الصوت من قولهم صر الشىء ومنه الريح الصرصر قال الزجاج والصر
صوت النار التى في الريح والصر هو نفس جهنم الذى في الزمهرير يحرق نحوا مما يحرق النار والحرث
شامل للزرع والثمار لان الجميع مما يصدر عن اثارة الارض وهى حقيقة الحرث ومنه الحديث
لا زكاة الا في عين وحرث او ما يشبه وقال عز وجل ظلموا انفسهم فبان بهذا التخصيص و
المثل في هذه الاية تاوله جمهور المفسرين بانه ظلم بمعاصى الله تعالى فهذا وقع التشبيه بحرث من
هذه صفته اذ عقوبته اوجه واخذه الله له اشد والنقمة اليه اسرع وفيه اقوى كما روى
في خوف العمر وغيره وايضا فمن اهل العلم من يرى ان كل مصائب الدنيا فانما هى بمعاصى العبيد
وينتزع ذلك من غير ما اية في القران ويستقيم على قوله ان كل حرث تحرقه ريح فانما هو لمن قد ظلم
نفسه وذهب بعض الناس ونحا اليه المهدوى الى ان قوله تعالى حرث قوم ظلموا انفسهم زرعوا
في غير اوان الزراعة وينبغى ان يقال في هذا ظلموا انفسهم بان وضعوا افعال الفلاحة في غير موضعها
من وقت او هيئة عمل وخص هؤلاء بالذكر لان الحرق فيما جرى هذا المجرى اوعب واشد تمكنا
وهذا المنزع يشبه من جهة ما قول امرئ القيس وسالفة كسحوق اضرم فيها الغوى السعر
فخصص الغوى لانه يلقى النار في النخلة الحضر الحسنة التى لا ينبغى ان يحرق فتطفى النار عن نفسها
رطوبتها بعد ان يشرب ويسود فيجى الشبه حسنا والرشيد لا يضرم النار الا فيما يبس واستحق
فهو يذهب ولا يبقى منه ما يشبه به والضمير في ظلمهم للكفار الذين تقدم ذكرهم في ينفقون
وليس هو للقوم ذوى الحرث لانهم لم يذكروا الا برد عليهم ولا بين ظلمهم وايضا فقوله ولكن
انفسهم يظلمون يدل على فعل الحال في حاضرين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من
من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم
اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون ن نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الاية ان يتخذوا
من الكفار واليهود اخلاء يانسون بهم في الباطن من امرهم ويفاوضونهم في الاراء ويسكنون
اليهم وقوله من دونكم يعنى من دون المؤمنين ولفظة دون يقتضى مما اضيف اليه انه
معدوم من القصة التى فيها الكلام فيشبه اخلاء بما يلى بطن الانسان من ثوبه ومن هذا
المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما من خليفة ولا ذى امر الا وله بطانتان بطانة يامره بالخير
وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله وقوله لا يالونكم
خبالا معناه لا يقصرون لكم فيما فيه الفساد عليكم تقول ما الوت في كذا اى ما قصرت
بل اجتهدت ومنه قول زهير جرى بعدهم قوم لكى يلحقوهم ولم يلحقوا ولم يليموا ولم
يالوا اى لم يقصروا والخبل والخبال الفساد وقال ابن عباس كان رجال من المؤمنين
يواصلون رجالا من يهود للجوار والحلف الذى كان بينهم في الجاهلية فنزلت الاية
في ذلك وقال ابن عباس ايضا وقتادة والربيع والسدى نزلت في المنافقين نهى الله
المؤمنين عنهم وروى انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا
لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتمكم عربيا ففسره الحسن ابن ابى الحسن
فقال اراد عليه السلام لا تستشيروا المشركين في شىء من اموركم ولا تنقشوا في
خواتمكم محمدا قال رحمه الله وتدخل في هذه الاية استكتاب اهل الذمة وتصريفهم
في البيع والشراء والاستنامة اليهم وروى ان ابا موسى الاشعرى استكتب ذميا
فكتب اليه عمر يعنفه وتلا عليه هذه الاية وقيل لعمر ان ههنا رجلا من نصارى الحيرة
لا احد اكتب منه ولا احفظ افلا نكتب عنك فقال لا فاتخذ بطانة من دون
المؤمنين وما في قوله عنتم مصدرية فالمعنى ودوا عنتكم والعنت المشقة والمكروه
يلقاه المرء وعقبة عنوت اى شاقة وقوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم معناه

المشقة اما في الزنا واما في بالمثل لا ارب قال السدي معناه ودوا اضلالكم وقال ابن جريج
معناه ودوا ان يعنتوا في دينكم ويقال عنت الرجل يعنت بكسر النون في الماضي وقوله تعالى
قد بدت البغضاء من افواههم يعني بالاقوال فهم فوق المتستر الذي يبدو البغضاء من
عينيه وخص تعالى الافواه بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم في اقوالهم هذه
ويشبه هذا الذي قلنا ما في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يستحي الرجل
في عرض اخيه معناه ان يفتح فاه به يقال سحا الحمار فاه بالنهيق وسحا اللجام فم الفرس
والنهي انما اخذ احد عرض اخيه همسا رايت فذكر النسحي انما هو اشارة الى التشدق
والانبساط وقوله تعالى وما تخفي صدورهم اكبر اعلام بانهم يبطنون من البغضاء اكبر
مما يظهرون بافواههم وفي قراءة ابن مسعود قد بدا البغضاء بتذكير الفعل لما كانت البغضاء بمعنى
البغض ثم قال تعالى للمؤمنين قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون تحذيرا وتنبيها وقد علم الله تعالى
انهم عقلاء ولكن هذا هو للنفوس كما تقول ان كنت رجلا فافعل كذا وكذا قوله تعالى ها انتم
اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتومنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ن تقدم اعراب
نظير هذه الاية وقراءتها في قوله تعالى انفا ها انتم هؤلاء حاججتم والضمير في تحبونهم لمنافقي
اليهود الذين تقدم ذكرهم في قوله بطانة من دونكم والكتاب في هذه الاية اسم جنس اي تومنون
بكتبكم وانما وقف الله المؤمنين بهذه الاية على هذه الاحوال الموجبة لبغض المؤمنين لمنافقي اليهود
واطراحهم اياهم فمن تلك الاحوال انهم لا يحبون المؤمنين وانهم يكفرون بكتابهم وانهم
ينافقون عليهم ويستخفون بهم ويتربصون الدوائر بهم وقوله تعالى عضوا عليكم الانامل عبارة
عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على انفاذه ومنه قول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل
ومنه وقد شهدت قيسا فما كان نصرها قتيبة الا عضها بالاباهم وهذا العض هو بالاسنان
وهو هيئة في بدن الانسان تتبع هيئة النفس العاضة كما ان اليد على اليد تتبع هيئة النفس الملهفة
المتلهفة على فائت قريب الفوت وكما ان قرع السن هيئة تتبع هيئة النفس النادمة فقط الى غير ذلك
من عد الحصى والخط في الارض للمهموم ونحوه ويكتب هذا العض بالضاد ويكتب عظ الزمان بالظاء
المشالة وواحد الانامل انملة بضم الميم ويقال بفتحها والضم اشهر ولا نظير لهذا الاسم في بنائه الا
اشد وله نظائر في الجموع وقوله وتؤمنون بالكتاب كله يقتضي ان الاية في منافقي اليهود لا منافقي
العرب ويعترض هذا ان منافقي اليهود لم يحفظ عنهم انهم كانوا يؤمنون في الباطن ايمانا مطلقا
ويكفرون في الباطن كما كان المنافقون من العرب يفعلون الا ما روي من ان زيد بن الصلت القينقاعي
فليس الا ان قولهم امنا معناه صدقنا انه نبي مبعوث اليكم اي فكونوا على دينكم ونحن اولياؤكم
واخوانكم لا نضمر لكم الا المودة ولهذا كان بعض المومنين يتخذهم بطانة وهذا المنزع قد حفظ
ان كثيرا من اليهود كان يذهب اليه ويدل على هذا التاويل ان المعادل لقولهم امنا عض الانامل
من الغيظ وليس هو ما يقتضي الارتداد كما هو في قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
بل هو ما يقتضي البغض وعدم المودة وكان ابو الجوزاء اذا تلا هذه الاية قال هم الاباضية وهذه الصفة
قد يترتب في اهل البدع من الناس الى يوم القيمة وقوله تعالى قل موتوا بغيظكم قال الطبري وكثير من
المفسرين هو دعاء عليهم فعلى هذا يتجه ان يدعا عليهم بهذا مواجهة وغير مواجهة وقال
قوم بل امر النبي عليه السلام امته ان يواجههم بهذا فعلى هذا زال معنى الدعا وبقي معنى
التقريع والاغاظة ويجري المعنى مع قول مسافر بن ابي عمرو ويتمنى في ارومتنا ونفقا عين من
حسدا وينظر الى قوله تعالى قل موتوا بغيظكم وقوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع و
قوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور وعيد يواجهون به على هذا التاويل الاخير في موتوا
بغيظكم وهو اخبار لمحمد عليه السلام في تاويل الدعاء في موتوا بغيظكم وبذات الصدور
ما تنطوي عليه والاشارة ها هنا الى المعتقدات ومن هذا قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انما هو ذو بطن بنت خارجة ومنه قولهم الذئب مغبوط بذي بطنه والذات لفظ
مشترك في معان لا يدخل منها في هذه الاية الا ما ذكرناه قوله تعالى ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما
يعملون محيط ن الحسنة والسيئة في هذه الاية لفظ عام في كل ما يحسن ويسوء وما ذكر المفسرون
من الخصب والجدب واجتماع المؤمنين ودخول الفرقة بينهم وغير ذلك من الاقوال فانما
هي امثلة وليس ذلك باختلاف وذكر تعالى المس في الحسنة ليبين ان بادني طروء الحسنة
تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين ثم عادل ذلك في السيئة بلفظ الاصابة وهي عبارة

عن التمكن

عن التمكن لان الشيء المصيب لشيء فهو متمكن منه او فيه فدل هذا النوع البليغ على شدة العداوة
اذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد بالمومنين وهكذا في عداوة الحسد في الاغلب لا سيما في مثل
هذا الامر الجسيم الذي هو ملاك الدنيا والاخرة قال الشاعر كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة
من عاداك من حسد ولما قرر تعالى حال هذا الحال لها ولا المذكورين فاوجبت الاية ان يعتقدهم
المومنون بهذه الصفة جاء قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا تسلية للمومنين وتقوية
لنفوسهم وشرط ذلك بالصبر والتقوى وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع لا يضركم بكسر الضاد وجزم
الراء وهو من ضار يضير بمعنى ضر يضر وهي لغة فصيحة وحكى الكسائي ضار يضور ولم يقرا على هذه
اللغة ومن ضار يضير في كتاب الله لا ضير ومنه قول ابي ذؤيب الهذلي فقيل تحمل فوق طوقك انها
مطيعة من ياتها لا يضيرها يصف بدنه والمعنى فليس يضرها وفي هذا النفي المقدر بالفاء هو
جواب الشرط ومن اللفظ قول توبة بن الحمير وقال اناس لا يضيرك نايها بلى كل ما شف النفوس يضيرها
وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي لا يضركم بضم الضاد والراء والتشديد في الراء وهذا من ضر
يضر وروي عن حمزة مثل قراءة ابي عمرو واما اعراب هذه القراءة فجزم وضمت الراء لالتقاء وهو
اختيار سيبويه في مثل هذا الضمة الضاد ويجوز فتح الراء وضمها وكسرها مع ارادة الجزم واما الكسر
فلا اعرفها قراءة وعبارة الزجاج في ذلك متجوز فيها اذ يظهر من درج كلامه انها قراءة واما فتح الراء
من قوله لا يضركم فقراءة عاصم فيما رواه ابو زيد عن المفضل عنه ويجوز ايضا ان يكون اعراب قوله
لا يضركم رفعا اما على تقدير فليس يضركم على نحو ما تقدم في بيت ابي ذؤيب واما على التقديم على
وان تصبروا كما قال يا اقرع بن حابس يا اقرع انك ان يصرع اخوك تصرع المراد انك تصرع وقرا
ابي بن كعب لا يضرركم برائين وذلك على فك الادغام وهي لغة اهل الحجاز وعليها قوله تعالى في الاية
الاخرى ان تمسسكم ولغة سائر العرب الادغام في مثل هذا كله والكيد الاحتيال بالباطل وقوله
تعالى واكيد كيدا انما هي تسمية العقوبة باسم الذنب وقوله تعالى ان الله بما يعملون محيط وعيد
والمعنى محيط جزاؤه وعقابه بالقدرة والسلطان وقرا الحسن بما تعملون بالتاء وهذا اما على
توعد المومنين في اتخاذها والابطانة واما على توعد المنافقين بتقدير قل لهم يا محمد قوله تعالى
واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم
ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المومنون ن ذهب الطبري رحمه الله الى ان هذه الاية
متصلة بمعنى ما تقدمها من الايات والظاهر انها استقبال امر اخر لان تلك مقاول في شان
منافقي اليهود وهذا ابتداء عتب المومنين في امر احد فالعامل في اذ فعل مضمر تقديره واذكر اذ
وقال الحسن هذا الغدو المذكور في هذه الاية في عتب المؤمنين الذي كان في غزوة الاحزاب وخالفه
الناس والجمهور على ان ذلك كان في غزوة احد وفيها نزلت هذه الايات كلها وكان من امر غزوة احد
ان المشركين اجتمعوا في ثلثة الاف رجل وقصدوا المدينة لياخذوا بثارهم في يوم بدر فنزلوا عند
احد يوم الاربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة على راس احد وثلثين شهرا من الهجرة
واقاموا هنالك يوم الخميس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يدبر ويستطلع امر الله تعالى
فلما كان صبيحة يوم الجمعة جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس واستشارهم واخبرهم انه
كان يرى بقرا تذبح وثلما في ذباب سيفه وانه يدخل يده في درع حصينة وانه تاولها المدينة وقال
مقاعد للقتال ولا سيما ان عرف النبي صلى الله عليه وسلم ورايه انما كان ان لا يخرج الناس وكان لا يسك
في نفسه ان يقسم اقطار المدينة على قبائل الانصار وقال غير الطبري بل نهوض النبي عليه السلام يوم
الجمعة بعد الصلوة هو غدوه ونوى الناس في وقت حضور القتال وقيل ذلك في ليلته وسماه غدوا
اذ كان اعتزم التدبير والشروع في الامر من وقت الغدو ولا سيما ان صلوة الجمعة ربما كانت
قبل الزوال حسب ما قد وردت بذلك احاديث فيجي لفظ الغدو متمكنا وقيل ان الغدو المذكور
هو غدوة يوم السبت الى القتال ومن حيث لم يكن في تلك الليلة موافقا للغدو وكانه في اهله
وبوا المسلمين بامره للرباة وبعد ذلك من تدبيره مصاف المسلمين وتبوئ معناه تعين لهم
مقاعد يتمكنون فيها ويثبتون تقول تبوات مكان كذا اذا حللته حلولا متمكنا تثبت فيه ومنه
قوله تعالى نتبوا من الجنة حيث نشاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا
فليتبوا مقعده من النار ومنه قول الشاعر كم صاحب لي صالح بوانه بيدي لحدا ومنه قول
الاعشى وما بوا الرحمن بيتك منزلا باجياد غربي الصفا والمحرم وقوله تعالى مقاعد هو جمع
مقعد وهو مكان القعود وهو بمنزلة مواقف وكذلك كانت صفوف المسلمين اولا والمبارزة
والسرعان يجولون وقوله تعالى والله سميع عليم اي سميع لما يقول ويقال ذلك وقت المشاورة وغيره واذ
الثانية بدل من الاولى وهمت معناه ارادت ولم يفعل والفشل في هذا الموضع هو الجبن الذي كان

يلحق بني سلمة وبني حارثة والفشل في البدن هو الاعيا والفشل في الراي هو العجز والحيرة وفساد
الحزم وقال جابر بن عبد الله والله ما وددنا انها لم تنزل لقوله تعالى والله وليهما وعلى الله
فليتوكل المومنون امر في ضمنه التغبيط للمومنين بمثل ما فعله بنو حارثة وبنو سلمة من المسير مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عبد الله بن مسعود تبوي المومنين بلام الجر وقرا والله
وليهم على معنى الطايفتين لا معنى اللفظ **قوله تعالى** ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من
الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين لما امر الله بالتوكل عليه ذكر بامر بدر الذي كان ثمرة التوكل على الله
والثقة بالله ثم من قال من المفسرين ان قول النبي عليه السلام الن يكفيكم الاية انما كان في
غزوة احد كان قوله تعالى ولقد نصركم الى قوله تشكرون اعتراضا بين الكلام جميعا
والنصر ببدر هو المشهور الذي قتل فيه صناديد قريش وعلى ذلك اليوم ابتنى الاسلام
وكانت بدر يوم سبع عشر من رمضان يوم جمع لثمانية عشر شهرا من الهجرة
وبدر ما هنالك سمي به الموضع قال الشعبي كان ذلك الماء لرجل من جهينة يسمى بدرا
فبه سمي قال الواقدي فذكرت هذا لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فانكراه وقالا فباي
شي سميت الصفرا والحار وغير ذلك من المواضع قال وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان
الغفاري فقال سمعت شيوخا من غفار يقولون ماونا ومنزلنا وما ملكه احد قط يقال له بدر
وما هو من بلاد جهينة انما هي بلاد غفار قال الواقدي فهذا المعروف عندنا وقوله تعالى
وانتم اذلة معناه قليلون وذلك انهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر او اربع عشر رجلا وكان
عدوهم ما بين التسعمائة الى الالف واذلة جمع ذليل واسم الذل في هذا الموضع مستعار
فلم يكونوا في انفسهم الا اعزة ولكن نسبتهما الى عدوهم والى جميع الكفار في اقطار الارض
يقتضي عند المتامل ذلتهم وانهم مغلوبون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم
اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد وهذه الاستعارة هي كاستعارة المسكنة في قوله
في الموطا كذب كعب وقوله كذب ابو محمد وكاستعارة الكذب لاصحاب السفينة على بعض
الاقوال اذ كانت مسكنتهم الى الملك العاذر الغاصب ثم امر تعالى المومنين بالتقوى
ورجاهم في الانعام الذي يوجب الشكر ويحتمل ان يكون المعنى اتقوا الله عسى ان يكون تقواكم
شكرا على النعمة في نصرة بدر وقوله تعالى اذ تقول العامل فيه اذ فعل مضمر ويحتمل ان يكون العامل
نصركم وهذا على قول الجمهور ان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم كان ببدر قال الشعبي
والحسن وغيرهما ان هذا كان ببدر قال الشعبي بلغ المومنين ان كرز بن جابر بن حنبل
المحاربي قد جاء في مدد المشركين فغم ذلك المومنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمومنين
للمومنين عن امر الله هذه المقالة فصبر المومنون واتقوا وهزموا المشركين وبلغت
الهزيمة كرزا ومن معه فانصرفوا ولم ياتوا من فورهم ولم يمد المومنون بالملائكة و
كانت الملائكة بعد ذلك تحضر حروب النبي عليه السلام مددا وهي تحضر حروب المسلمين
الى يوم القيمة وخالف الناس الشعبي في هذه المقالة وتظاهرت الروايات بان الملائكة حضرت
بدرا وقاتلت ومن ذلك قول ابي اسيد مالك بن ربيع لو كنت معكم الان ببدر ومعي بصري لاريتكم
الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك ولا امتار ومنه حديث الغفاري وابن عمه الذين سمعا
من السحابة اقدم حيزوم فانكشف قناع قلب احدهما فمات مكانه وتماسك الاخر قال ابن عباس
رضي الله عنه لم يقاتل الملائكة يوم من الايام الا يوم بدر وكانوا يكونون في ساير الايام عددا و
مددا لا يضربون ومن ذلك قول ابي سفيان بن الحرث لابي لهب ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم
اكتافنا تقتلون وتاسرون ومن ذلك ان ابا اليسر كعب بن عمرو الانصاري احد بني سلمة اسر يوم بدر
العباس بن عبد المطلب وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا طويلا جسيما فقال النبي
عليه السلام لقد اعانك عليه ملك كريم الحديث بجملته وقد قال بعض الصحابة كنت يوم بدر اتبع
رجلا من المشركين لاضربه بسيفي فلما دنوت منه وقعت راسه قبل ان يصل سيفي اليه فعلمت
ان ملكا قتله وقال قتادة بن دعامة امد الله المومنين يوم بدر بخمسة الاف من الملائكة قال الطبري
وقال اخرون ان الله وعد المومنين يوم بدر ان يمدهم في حروبهم كلها ان صبروا واتقوا فلم يفعلوا
ذلك الا في يوم الاحزاب فامدهم الله حين حاصروا قريظة ثم ادخل تحت هذه الترجمة عن عبد الله
ابن ابي اوفى انه قال حاصرنا قريظة مدة فلم تفتح علينا فرجعنا فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد دعا بغسل يريد ان يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم اسلحتكم ولم يضع

الملائكة اوزارها فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه بخرقة ولم يغسله ونادى فينا فقمنا
كالين متعبين حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله بالملائكة ثلاثة الاف وفتح لنا
فتحا يسيرا فانقلبنا بنعمة من الله وفضل وقال عكرمة كان الوعد يوم بدر فلم تصبروا ولا اتقوا
يوم احد فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا وقال الضحاك كان هذا الوعد والمقالة للمومنين يوم احد
ولو مدبرين فلم يمدهم الله وانما مدوا يوم بدر بالف من الملائكة مردفين وقال ابن زيد قال المسلمون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وهم ينتظرون المشركين اليس يمدنا الله كما امدنا يوم بدر
بالف قال ابن زيد فلم تصبروا وقوله الن يكفيكم تقرير على اعتقادهم الكفاية في هذه العدد من
الملائكة ومن حيث كان الامر بينا في نفسه ان الملائكة كافية بادر المتكلم الى الجواب ليبني ما سبق
من كلامه عليه فقال بلى وهو جواب المقرين وهذا يحسن في الامور البينة التي لا محيد في جوابها
ونحوه قوله تعالى قل اي شي اكبر شهادة قل الله وفي مصحف ابي بن كعب الا يكفيكم وقد مضى القول في
لفظة الامداد في سورة البقرة في قوله ويمدهم في طغيانهم وقرا الحسن بثلاثة الاف يقف على الها وكذلك
بخمسة الاف ووجه هذه القراة ضعيف لان المضاف والمضاف اليه يقتضيان الاتصال اذ هما
كالاسم الواحد وانما الثاني كمال الاول والها انما هي امارة وقف فيقلق الوقف في موضع انما هو للاتصال
لكن قد جاء نحو هذا للعرب في مواضع فمن ذلك ما حكاه الفرا انهم يقولون اكلت لحما شاة يريدون
لحم شاة فمطلوا الفتحة حتى نشات عنها الف كما قالوا في الوقف قالا ثم مطلوا الفتحة في القوافي
ونحوها من مواضع الروية والبيت فمن ذلك في الشعر ساع من دقري عصرف حسرة ربما في مثل الفتق
المكدم يريد ينبع ومنه اقول اذ حرت على الكلكال يا ما قاما طلت من مجال يريد الكلكل ومنه فانت
من العواقل حين يرمي ومن ذم الرجال بمنتزاح يريد بمنتزح قال ابو الفتح فاذا جاز ان يعترض هذا
التمادي بين اثنا الكلمة الواحدة جاز التمادي والتاني بين المضاف والمضاف اليه اذ هما في الحقيقة
اثنان وقرا ابن عامر وحده منزلين بفتح النون والزا المشددة وقرا الباقون منزلين بسكون النون
وفتح الزا المخففة وقرا ابن ابي عبلة منزلين بفتح النون وكسر الزا مشددة معناه ينزلون النصر و
حكى النحاس قراة ولم ينسبها منزلين بسكون النون وكسر الزا الخفيفة وفسرها بانهم ينزلون النصر
وبلى جواب النفي الذي في الن وقد تقدم معناه ثم ذكر تعالى الشرط الذي معه يقع الامداد وهو الصبر
والتقى والفور النهوض المسرع الى الشي ماخوذ من فور القدر والما ونحوه ومنه قوله تعالى وفار التنور
المعنى وياتوكم في نهضتهم هذه قال ابن عباس من فورهم هذا معناه من سفرهم هذا قال الحسن والسدي
معناه من وجههم هذا وقال قتادة وقال مجاهد وعكرمة وابو صالح مولى ام هاني معناه من غضبهم
وهذا تفسير لا يخص اللفظة قد يكون الفور للغضب وللطمع وللرغبة في اجر ومنه الفور في الحج و
الوضوء وقرا ابو عمرو وابن كثير وعاصم مسومين بكسر الواو وقرا الباقون بفتح الواو فاما من قرا بفتح
الواو فمعناه معلمين بعلامات قال ابو زيد الانصاري السومة العلامة تكون على الشاة وغيرها
يجعل عليها لون يخالف لونها فيعرف به وروي ان الملائكة اعلمت يوم بدر بعمائم بيض حكاه المهدوي
عن الزجاج الا حمزة بل فانه كان بعمامة صفرا على مثال عمامة الزبير بن العوام وقاله ابن اسحق وقال مجاهد
كانت خيلهم مجزوزة الاذناب والاعراف معلمة النواصي والاذناب بالصوف وقال الربيع كانت سيماهم
انهم كانوا على خيل بلق وقال عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير نزلت الملائكة في سيما الزبير عليهم
العمايم الصفر وقال ذلك عروة وعبد الله ابنا الزبير وقال عبد الله كانت ملاءة صفرا فاعتم الزبير
بها ومن قرا مسومين بكسر الواو فيحتمل من المعنى على ما تقدم انهم قد اعلموا انفسهم بعلامة واعلموا
خيلهم ورجح الطبري وغيره هذه القراة بان النبي عليه السلام يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد
سومت فهم على هذا مسومين وقال كثير من اهل التفسير ان معنى مسومين بكسر الواو اي قد سوموا
خيلهم اي اعطوها سومها من الجري والقتال والاحضار فهي سايمة ومنه سايمة الماشية لانها
تركت وسومها من الرعي وذكر المهدوي هذا المعنى في مسومين بفتح الواو اي ارسلوا وسومهم
وهو قلق وقاله ابن فورك ايضا **قوله تعالى** وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر
الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خايبين ليس لك من الامر
شي او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشا ويعذب
من يشا والله غفور رحيم ن الضمير في جعله الله عايد على الانزال والامداد والبشرى مصدر
واللام في ولتطمئن متعلقة بفعل مضمر يدل عليه جعله ومعنى الاية وما كان هذا الامداد الا
لتستبشروا به وتطمئن به قلوبكم وترون حفاية الله بكم والا فالكثرة لا تغني شيئا الا ان ينصر الله
وقوله وما النصر يريد للمومنين وكذلك ايضا في الادالة للكفار من عند الله واللام في قوله ليقطع
متعلقة بقوله وما النصر الا من عند الله وعلى هذا لا يكون قطع الطرف مختصا بيوم الكهم لا ان يكون

الالف واللام في النصر للعهد وقيل العامل فيه ولقد نصركم حكاه ابن فورك وهو قلق لان قوله او يكبتهم لا يترتب عليه ويحتمل ان يكون اللام في قوله ليقطع متعلقه بجعله فيكون قطع الطرف اشارة الى من قتل ببدر على ما قال الحسن وابن اسحق وغيرهما او الى من قتل باحد على ما قال السدي وقتل من المشركين ببدر سبعون وقتل منهم يوم احد اثنان وعشرون رجلا وقال السدي قتل منهم ثمانية عشر رجلا والاول اصح والطرف الفريق ومتى قتل المسلمون كفارا في حرب فقد قطعوا طرفا لانه الذي يليهم من الكفار فكان جمع الكفار رقع وهؤلائك المقتولون طرف منها اي حاشية ويحتمل ان يكون قوله ليقطع طرفا بمنزلة ليقطع دابرا وقوله او يكبتهم معناه يخزيهم والكبت الصرع باليدين وقال النقاش وغيره التا من دال الكبته اصلها كبده اي فعل به ما يؤدي كبده واذا نصر الله على امة كافرة فلا بد من احد هذين الوجهين اما ان يقتل منهم واما ان يخسوا فذلك نوع من الهزيمة وقوله تعالى ليس لك من الامر شيء توقيف على ان الامر كله لله وهذا التوقيف يقتضي انه كان بسبب من جهة النبي عليه السلام وروي في ذلك انه لما هزم اصحابه وشج في وجهه حتى دخلت بعض حلق الدرع في خده وكسرت رباعيته وارتث بالحجارة حتى صرع لجنبه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول لا يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم هكذا لفظ الحديث من طريق انس بن مالك وفي بعض الطرق كيف يفلح وفي بعضها ان سالما مولى ابي حذيفة كان يغسل الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فافاق وهو يقول كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فنزلت الاية بسبب هذه المقالة وكان النبي صلى الله عليه وسلم لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش مالت نفسه الى ان يستأصلهم الله ويريح منهم فروي انه دعا عليهم واستأذن في ان يدعوا عليهم وروى ابن عمر وغيره انه دعا على ابي سفيان والحرث بن هشام وصفوان ابن امية باللعنة الى غير هذا معناه فقيل له بسبب هذا ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور بيد الله تعالى فامض انت لشانك ودم على الدعا الى ربك قال الطبري وغيره من المفسرين قوله او يتوب عليهم عطف على يكبتهم وقوله ليس لك من الامر شيء اعتراض اثنا الكلام وقوله او يتوب معناه فيسلمون وقوله او يعذبهم معناه في الاخرة بان يوافوا على الكفر قال الطبري وغيره ويحتمل ان يكون قوله او يتوب بمعنى حتى يتوب او الى ان يتوب فيجي بمنزلة قوله لا افارقك او يقضيني حقي وكما تقول لا يتم هذا الامر او يجي فلان وقوله ليس لك من الامر شيء ليس باعتراض على هذا التاويل وانما المعنى الاخبار لمحمد انه يتحصل له من امرهم ولا الكفار شيء تومله الا ان يتوب الله عليهم ويسلمون فيرى محمد احد امنيته فيهما ويعذبهم الله بقتل في الدنيا او بنار في الاخرة او بهما فيرى محمد عليه السلام الامل الاخر وعلى هذا التاويل فليس في قوله ليس لك من الامر شيء ردع كما هو في التاويل الاول وذلك التاويل الاول اقوى وقرا ابي بن كعب او يتوب او يعذب برفع البا فيهما ثم قدر تعالى ظلم هؤلاء الكفار ثم اكد معنى قوله ليس لك من الامر شيء بالقول العام وذكر الحجة القاطعة اي السالطة وهي ملكه الاشيا اذ ذلك يقتضي ان يفعل بحق ملكه ما شا لا اعتراض عليه ولا معقب في حكمه وذكر ان الغفران والتعذيب انما هو بمشيئته وحسب السابق في علمه ثم رجا في اخر ذلك ما يسلي النفوس وجلبها الى طاعته وذلك كله في قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وما في قوله ما في السموات وما في الارض اشارة الى جملة العالم فلذلك حسنت ما وما ذكر في هذه الاية من انها ناسخة لدعا النبي عليه السلام على المشركين كلام ضعيف كل وليس هذا من مواضع الناسخ والمنسوخ قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ن هذا النهي عن اكل الربا اعتراض اثنا قصة احد ولا احفظ في ذلك شيا مرويا والربا الزيادة وقد تقدم ذكر مثل هذه الاية واحكام الربا في سورة البقرة وقوله اضعافا نصب في موضع الحال ومعناه الربا الذي كانت العرب تضعف فيه الدين وكانت الطالب تقول اتقضي ام تربي وقوله مضاعفة اشارة الى تكرار التضعيف عاما بعد عام كما كانوا يصنعون نزلت هذه العبارة المؤكدة على شنعة فعلهم وقبحه ولذلك ذكرت حال التضعيف وقد حرم الله جميع انواع الربا فهذا هو مفهوم الخطاب اذ المسكوت عنه في الربا في حكم المذكور وايضا فان الربا يدخل جميع انواعه التضعيف والزيادة على وجوه مختلفة من العين او من التاخير ونحوه والنار في قوله واتقوا النار التي هي اسم الجنس ويحتمل ان يكون للعهد ثم ذكر انها اعدت للكافرين اي انهم المراد المقصود والمراد الاول وقد يدخلها سواهم من العصاة فتشنيع امر النار بذكر الكفر وحض للمؤمن ان يحذرها

ويبعد

ويبعد بطاعة عنها وهذا كما قال في الجنة اعدت للمتقين اي هم المقصود وان كان يدخلها غيرهم من صبي ومجنون ونحوه ممن لا يكلف ولا يوصف بتقوى هذا مذهب اهل العلم في هذه الاية وحكى الماوردي وغيره عن قوم انهم ذهبوا الى ان اكل الربا انما توعدهم الله بنار الكفرة اذ النار سبع طبقات العليا منها وهي جهنم للعصاة والخمس للكفار والدرك الاسفل للمنافقين قالوا فاكلة الربا انما يعذبون يوم القيمة بنار الكفرة لا بنار العصاة وبذلك توعدوا والالف واللام على هذا في قوله واتقوا النار التي انما هي للعهد ثم امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله والطاعة هي موافقة الامر الجاري عند المامور مع مراد الامر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع الامير فقد اطاعني ومن عصى الامير فقد عصاني وقال محمد بن اسحق ان هذه الاية في قوله تعالى واطيعوا هي ابتداء المعاتبة في امر احد من فروز الرماة عن مراكزهم قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قرا نافع وابن عامر سارعوا بغير واو وكذلك هي في مصاحف اهل المدينة واهل الشام وقرا باقي السبع بالواو وقال ابو علي كلا الامرين شايع مستقيم فمن قرا بالواو فلانه عطف الجملة على الجملة ومن ترك الواو فلان الجملة الثانية ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك عن العطف بالواو وامال الكسائي الالف من قوله سارعوا ومن قوله ويسارعون ونسارع في كل ذلك قال ابو علي الامالة هنا حسنة لوقوع الرا المكسورة بعدها والمسارعة المبادرة وهي مفاعلة اذ الناس كان كل واحد يسرع ليصل قبل صاحبه فبينهم في ذلك مفاعلة الا ترى الى قوله تعالى فاستبقوا الخيرات وقوله تعالى الى مغفرة معناه سارعوا بالطاعة والتقوى والتقرب الى ربكم الحال يغفر الله لكم فيها اي يستر ذنوبكم بعفوه عنها وازالة حكمها ويدخلكم جنته قال انس بن مالك ومكحول في تفسير سارعوا الى مغفرة معناه الى تكبيرة الاحرام مع الامام هذا مثال حسن يحتذى عامه في كل طاعة وقوله تعالى عرضها السموات والارض تقديره كعرض السموات والارض وهذا كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم كنفس واحده اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها فجاء هذا الاقتضاب لمفهوم الفصيح ومنه قول الشاعر حسبت عناق راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق ومنه كان عذيرهم بجنوب سلي نعام قاق في بلد قفار التقدير صوت عناق وعذير نعام واما معنى قوله تعالى عرضها السموات والارض فاختلف العلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب فروي عن ابن عباس انه قال تقرن السموات والارض بعضها الى بعض كما يبسط الثياب فذلك عرض الجنة ولا يعلم طولها الا الله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين المصراعين من ابواب الجنة مسيرة اربعين سنة وسياتي عليها يوم يزدحم الناس فيها كما تزدحم الابل اذا وردت خماصا ظماء وفي الحديث عنه عليه السلام ان في الجنة شجرة يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام لا يقطعها فهذا كله يقوي قول ابن عباس وهو قول الجمهور ان الجنة اكثر من هذه المخلوقات المذكورة وهي ممتدة على السما حيث شا الله تعالى وذلك لا ينكر فان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضين السبع في الكرسي الا كدراهم القيت في فلاة من الارض وما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت في فلاة من الارض فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله تبارك وتعالى اعظم من هذا كله وروى يعلى ابن ابي مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد فند فقال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلا عن يساره فقلت من صاحبكم الذي يقرا قالوا معاوية فاذا كتاب هرقل انك كتبت الي تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار وروى قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجلان من اليهود من نجران الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال احدهما يقولون جنة عرضها السموات والارض اين يكون النار فقال عمر ارايت النهار اذا جاء اين يكون الليل والليل اذا جاء اين يكون النهار فقال اليهودي انه لمثلها في التوراة فقال له صاحبه لم اخبرته فقال دعه انه بكل موقن فهذه الاثار كلها هي في طريق واحد من ان قدرة الله سبحانه وتعالى تتسع لهذا كله وخص العرض بالذكر لانه يدل متى ذكر على الطول والطول متى ذكر لا يدل على قدر العرض بل قد يكون الطول يسير العرض كالخيط ونحوه ومن ذلك قول العرب بلاد عريضة وفلاة عريضة وقال قوم قوله تعالى عرضها السموات والارض معناه كعرض السموات والارض كما هي طباقا لا بان تقرن كبسط الثياب فالجنة في السما وعرضها كعرضها وعرض كل ما وراها من الارضين الى السابع وهذه الدلالة على

العظم اغنى عن ذكر الطول وقال قوم الكلام جار على مقطع العرب من الاستعارة فلما كانت
الجنة من الاتساع والانفساح في غاية قصوى حسنت العبارة عنها بعرضها السموات والارض
كما يقول لرجل هذا بحر وللشخص كبير من الحيوان هذا جبل ولم يقصد الاية تحديد العرض وحلب مكى هذا
القول غير ملخص وادخل حجة عليه قول العرب ارض عريضة وليس قولهم عريضة مثل قوله عرضها
السموات والارض الا في دلالة ذكر العرض على الطول فقط وكذلك فعل النقاش وروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال للفارين يوم احد لقد ذهبوا فيها عريضة وقال ابن فورك الجنة في السماء ويزاد
فيها يوم القيمة وفي هذا استعلق لمنذر بن سعيد وغيره ممن قال ان الجنة لم يخلق بعد وكذلك النار
وهو قول ضعيف وجمهور العلما على انهما قد خلقتا وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله اعدت للمتقين
واعدت للكافرين وغير ذلك وهو نص في الاحاديث كحديث الاسرا وغيره مما يقضي ان ثم جنة قد خلقت
واما من يقول يزاد فيها فلا يرد عليه الاحاديث لكن يحتاج الى سند لقطع العذر واعدت معناه
يسرت ثم وصف تعالى حال المتقين الذين اعدت لهم الجنة بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء
الاية وظاهر هذه الاية انها مدح لفعل مندوب اليه قال ابن عباس رضي الله عنه في السراء والضراء
معناه في العسر واليسر قال رحمه الله اذ الاغلب مع اليسر النشاط وسرور النفس ومع العسر
الكراهية وضيق النفس وكظم الغيظ ردة في الجوف اذا كاد ان يخرج من كثرته وضبطه ومنعه
كظم له والكظام السير الذي يشد به فم الزق والقربة وكظم البعير جسرته اذا ردها في جوفه وقد
يقال لحبسه الجرة قبل ان يرسلها الى فيه كظم حكاه الزجاج فقال كظم البعير والناقة اذا لم يجترا
ومنه قاوص بعد كظوم من ذكا الاباطح اذ رعن حصده والغيظ اصل الغضب وكثيرا ما
يتلازمان وكذلك فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس تحرير الامر كذلك بل الغيظ فعل
للنفس لا يظهر على الجوارح والغضب فعل لها مع ظهور على الجوارح وفعل ما ولا بد ولهذا جاز
اسناد الغضب الى الله تعالى ولا يسند الى الله تعالى غيظ وخلط ابن فورك في هذه اللفظة
وورد في كظم الغيظ وملك النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات و
جهاد النفس ومنه قوله عليه السلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند
الغضب ومنه قوله عليه السلام ما من جرعة يتجرعها العبد خير له واعظم اجرا من جرعة غيظ
في الله وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه
ملاه الله امنا وايمانا والعفو عن الناس من اجل ضروب فعل الخير وهذا حيث يجوز للانسان
ان يعفوا وحيث يتجه حقه وقال ابو العالية والعافين عن الناس يريد عن المماليك وهذا حسن
على جهة المثال اذ هم الخدم فهم مذنبون كثيرا والقدرة عليهم ميسرة وانفاذ العقوبة سهل
فلذلك مثل هذا المفسر به وذكر تعالى بعد ذلك انه يحب المحسنين يعم هذه الوجوه وسواها
من البر وهذا يدلك على ان الاية في المندوب اليه الا يرى الى سوال جبريل عليه السلام قال ما الايمان
ثم قال ما الاسلام فذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم المفروضات ثم قال له ما الاحسان
قال ان تعبد الله كانك تراه الحديث قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم
اجر العاملين ذكر الله تعالى في هذه الاية صنفا هو دون الصنف الاول فالحقهم به برحمته
ومنه فهؤلاء هم التوابون وروى في سبب هاتين الايتين ان الصحابة قالوا يا رسول الله كانت
بنو اسرائيل اكرم على الله منا حين كان المذنب منهم يصبح وعقوبته مكتوبة على باب داره
فانزل الله تعالى هذه الاية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل ببني اسرائيل ويروى
ان ابليس بكا حين نزلت هذه الاية وروى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يقوم يتطهر ويصلي ركعتين ويستغفر الا غفر له
وقوله والذين عطف جملة ناس على جملة اخرى وليس الذين بنعت كررمع والعطف لان تلك
الطبقة الاولى بنو عن الوقوع في الفواحش والفاحشة هنا صفة لمحذوف اقيمت
الصفة مقامه التقدير فعلوا فعلة فاحشة وهو لفظ يعم جميع المعاصي وقد كثر
اختصاصه بالزنا حتى فسر السدي هذه الاية بالزنا وقال جابر بن عبد الله لما قراها
زنا القوم ورب الكعبة وقال ابراهيم النخعي الفاحشة من الظلم والظلم من الفاحشة
وقال قوم الفاحشة في هذه الاية اشارة الى الكبائر وظلم النفس اشارة الى
الصغائر وذكروا الله معناه بالخوف من عقابه والحيا منه اذ هو المنعم المتطول
ومن هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه

واستغفروا

واستغفروا معناه طلبوا الغفران واللام معناها لاجل ذنوبهم ثم اعترض اثنا الكلام
قوله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله اعتراضا موقفا للنفس داعيا الى الله مرجيا في عفوه اذا رجع
اليه وجاء اسم الله مرفوعا بعد الاستثنا والكلام موجب حملا على المعنى اذ هو بمعنى وما يغفر الذنوب
الا الله وقوله تعالى ولم يصروا الاصرار معناه اعتزام الدوام على الامر وترك الاقلاع عنه ومنه
صر الدنانير اي الربط عليها ومنه قول ابي السماك يعب العدوى علم الله انها من صرى مزيد عزيمة
فالاصرار اعتزام البقا على الذنب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا توبة مع اصرار وقال ايضا
ما اصر من استغفر واختلفت عبارة المفسرين في الاصرار فقال قتادة هو الذي يمضي قدما في الذنب
لا ينهاه مخافة الله وقال الحسن اتيان العبد الذنب هو الاصرار حتى يتوب وقال مجاهد لم يصروا
لم يمضوا وقال السدي الاصرار هو ترك الاستغفار والسكوت عنه مع الذنب وقوله تعالى وهم يعلمون
معناه قال السدي انهم قد اذنبوا وقال ابن اسحق وهم يعلمون معناه بما حرمت عليهم وقال آخرون
وهم يعلمون ان باب التوبة مفتوح لهم وقيل المعنى وهم يعلمون اذا عاقب على الاصرار ثم شرك تعالى
الطائفتين المذكورتين في قوله اولئك جزاؤهم الاية وهذه الاية تؤذن بان الله تعالى اوجب على نفسه
بهذا الخبر الصادق قبول توبة التائب وليس يجب عليه تعالى من جهة العقل شي بل هو بحكم الملك لا آمر
لا معقب لامره وقوله اجر العاملين بمنزلة قوله نعم الاجر لان نعم وبئس يطلبان الاجناس المعرفة
او ما اضيف اليها وليست هذه الاية بمنزلة قوله تعالى سا مثل القوم لان المثل هنا اضيف
الى معهود لا الى جنس ولذلك قدره ابو علي سا المثل مثل القوم ويحتمل ان يكون مثل القوم مرتفعا
بسا ولا يضمر شي قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين هد ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون
ان كنتم مومنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الخطاب بقوله تعالى قد خلت للمؤمنين والمعنى
لا يذهب بكم ان ظهر الكفار عليكم باحد فان العاقبة للمؤمنين وقديما ادال الله المكذبين على المؤمنين
ولكن انظروا كيف هلك المكذبون بعد ذلك فكذلك يكون عاقبة هؤلاء وقال النقاش الخطاب بقوله
قد خلت للكفار وذلك قلق وخلت معناه مضت وسلفت قال الزجاج التقدير اهل سنن
والسنن الطرائق من السير والشرايع والملل والفتن ونحو ذلك وسنة الانسان الشي الذي يعمله ويو
واليه ومن ذلك قول خالد الهذلي لابي ذويب فلا تجزعن من سنة انت سرتها واول راض سنة
من سيرها وقال سليمن بن قتة وان الاولى بالطف من ال هاشم تاسوا فسنوا للكرام التاسيا
قال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم ولكل قوم سنة وامامها وقال ابن زيد قد خلت من قبلكم
سنن معناه امثال وهذا تفسير لا يخص اللفظة وقال تعالى فسيروا في الارض وهذا الامر قد
يدرك الاخبار دون السير لان الاخبار لا يكون الا ممن سار وعاين اذ هو مما يدرك بحاسة
البصر وعن ذلك ينتقل خبره فاحالهم الله تبارك وتعالى على الوجه الاكمل وقوله فانظروا هو عند
الجمهور من نظر العين وقال قوم هو بالفكر وقوله تعالى هذا بيان للناس قال الحسن اشارة الى القران
وقال قتادة في تفسير الاية هو هذا القران جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين
خاصة وقال بمثله ابن جريج والربيع قال رحمه الله كونه بيانا للناس ظاهر وهو في ذاته ايضا هدى
منصوب وموعظة لكن من عمي بالكفر وضل وقسا قلبه لا يحسن ان يضاف اليه القران ويحسن
اضافته الى المتقين الذين فيهم نوح واباهم هدى وقال ابن اسحق والطبري وجماعة الاشارة
بهذا الى قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن الاية قال ابن اسحق المعنى هذا تفسير للناس ان قبلوه قال
الشعبي المعنى هذا بيان للناس من العمى ثم نهى عز وجل المؤمنين عن الوهن لما اصابهم باحد والحزن
على من فقد وعلى مذمة الهزيمة وانسهم بانهم الاعلون اصحاب العاقبة والوهن الضعف واللين
والبلى ومنه وهن العظم مني ومنه قول زهير فاصبح الحبل منها واهنا خلقا ومن كرم الخلق ان
لا يهن الانسان في حربه وقتاله ولا يلين اذا كان محقا وان يقتضي جميع قدرته ولا يضرع ولو مات
وانما يحسن اللين في السلم والرضى ومنه قول النبي عليه السلام المومن هين لين والمؤمنون هينون
لينون ومنه لعمرك ما اني لو ملك نراه ولا تضعيف قواه اذا اسنده سدت مطواعه ومهما وكلت
اليه كفاه وفي هذا الاسلوب يجري قول البايع ولا يقعد على صمد الا المثلك اوسنانت سابعة وفي يجري
قول العرب اذا لم يغلب فاخلب على من يا وله من الخلب اي حارب ولو بالاصافير وهذا هو فعل عبد الله
ابن طارق وهو من اصحاب عاصم بن عدي حين نزع يده من القران وقاتل حتى قتل وفعل المنذر بن محمد
ابن عقبة ابن اجيحة في يوم بئر معونة ومن راه من معنى الخلب والخلابة الذي هو الخديعة والمكر
فهو راي دهاة العرب وليس براي جمهورها ومنه فعل عمرو بن سعيد الاسد ومع عبد الملك
ابن مروان عند قتله اباه والامثلة في ذلك كثيرة وايضا فليس المكر والخديعة بدلخض ولذلك راه

بعضهم واما قولهم اذا عز اخوك فهن فالرواية الصحيحة المعنى هي بكسر الها بمعنى لن واضعف ضعف الطواع واما الرواية بضم الها فهي امر بالهوان واما اعرف ذلك في شي من مقاطع العرب واما الشرع فقد قال النبي عليه السلام لا ينبغي للمومن ان يذل نفسه ورايت لعاصم ان المثل على ضم الها انما هو من الهون الذي هو الرفق وليس من الهوان وقال منذر بن سعيد يجب بهذه الاية ان لا توادع العدو ما كانت للمسلمين عده وشوكه فان كانوا في قطر ما على غير ذلك فينظر الامام لهم في الاصلح وقوله تعالى وانتم الاعلون اخبار بعلو كلمة الاسلام هذا قول الجمهور وظاهر اللفظ وقاله ابن اسحق وروى عن ابن عباس وابن جبير انما قال الله لهم ذلك بسبب علوهم في الجبل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انحاز في نفر يسير من اصحابه الى الجبل فبينما هو كذلك اذ علا خالد بن الوليد عليهم الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلونا ثم قام وقام من معه فقاتل اصحابه وقاتل حينئذ عمر بن الخطاب حتى ازالوا المشركين عن راس الجبل وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيه فانزل الله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون وقوله ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يتعلق الشرط بقوله ولا تهنوا ولا تحزنوا فيكون المقصد هز النفوس واقامتها ويحتمل ان يتعلق بقوله وانتم الاعلون فيكون الشرط على بابه دون تجوز ويترتب من ذلك الطعن على من نجم نفاقه في ذلك اليوم وعلى من باو وداهنه واضطرب يقينه اى لا يتحصل الوعد الا بالايمان فالزموه ثم قال تعالى تسلية للمؤمنين ان يمسسكم قرح الاية والاسوة مسلاة للبشر ومنه قول الخنسا ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي والسلو بالتاسي هو النفع الذي نحاه لنفسه الشاهد المحدود فلذلك ردت شهادته فيما حد فيه وان تاب وحسنت حاله والقرح القتل والجراح قاله مجاهد والحسن والربيع وقتاده وغيرهم والمعنى ان مسكم في احد فقد مس كفار قريش ببدر بايديكم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص قرح بفتح القاف وقرا حمزه والكسائي وعاصم في رواية ابي بكر قرح بضم القاف وكلهم سكن الرا قال ابو علي هما لغتان كالضعف والضعف والكره والكره والفتح اولى لانها لغة اهل الحجاز والاخذ بها اوجب لان القران عليها نزل وهذه القراات لا يظن الا انها مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وبجميعها عارض جبريل عليه السلام مع طول السنين توسعة على الامة وتحملا للسبعة الاحرف حسبما بيناه في صدر هذا التعليق وعلى هذا لا يقال هذه اولى من جهة نزول القراات بها وان رجحت قراءة فبوجه غير وجه النزول قال ابو الحسن الاخفش القرح والقرح مصدران بمعنى واحد ومن قال القرح بالفتح الجراحات باعيانها والقرح بضم القاف الم الجراحات قبل منه اذا اتى برواية لان هذا مما لا يعلم بقياس وقال بهذا التفسير الطبري وقرا الاعمش ان تمسسكم بالتا من فوق قروح بالجمع فقد مس القوم قرح مثله وقرا محمد بن السميفع اليماني قرح بفتح القاف والرا قال ابو الفتح هي لغة في القرح كالشل والشلل والطرد والطرد هذا مذهب البصريين وليس هذا عندهم من اجل حرف الحلق وانا اميل في هذا الى قول اصحابنا البغداديين في ان لحرف الحلق في مثل هذا اثرا معتمدا وقد سمعت بعض بني عقيل يقول نحوه يريد نحوه ولو كانت الكلمة مبنية على فتح الحاء لاعلت الواو كعصاه وقناه وسمعت غيره يقول انا محموم بفتح الحاء قال ابن جني ولا قراءة بيني وبين البصريين ولكنها بيني وبين الحق والحمد لله قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين اخبر تعالى على جهة التسلية ان الايام على قديم الدهر وغابره ايضا انما جعلها دولا بين البشر اي فلا تنكروا ان يدال عليكم الكفار وقال تعالى نداولها هي مفاعلة من جهة واحدة وانما ساغ ذلك لان المداولة منه تعالى هي بين شيئين فلما كان ذلك الفريقان يتداولان ولا نحس ذلك والدولة بضم الدال المصدر وبفتح الدال الفعلة الواحدة من ذلك فلذلك يقال دولة فلان لانها مرة في الدهر وسمع بعض العرب الاقحاح قارئا يقرا هذه الاية وتلك الايام نداولها بين الناس فقال انما هو وتلك الايام نداولها بين العرب فقيل له انما هو بين الناس فقال انا لله ذهب ملك العرب ورب الكعبة وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا دخلت الواو ليؤذن ان اللام متعلقة بمقدر في اخر الكلام تقديره وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك وقوله تعالى وليعلم معناه ليظهر في الوجود ايمان الذين قد علم ازلا انهم يؤمنون وليساوق علمه ايمانهم ووجودهم والا فقد علمهم في الازل وعلمه تعالى لا يطرا عليه التغير ونحو هذا ان يضرب حكم احدا ثم تبين سبب الضرب ويقول فعلت هذا لتبين انه ضرب مستحقا معناه لتظهر ان فعلي وافق استحقاقه وقوله تعالى ويتخذ منكم شهداء معناه اهل فوز في سبيله حسب ما ورد في فضائل الشهيد ثم اخبر تعالى ان ادالة الكفار على المؤمنين انما هي ليمحص المؤمنين وان

ادالة

ادالة المؤمنين على الكفار انما هي ليمحق الكفار هذا مقتضى الفاظ الاية وقد قال ابن عباس وغيره جعل الدولة لرسوله يوم بدر وعليه يوم احد وذهب كثير من اهل العلم الى العبارة عن ادالة المؤمنين بالنصر وعن ادالة الكفار بالادالة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك حديث انهم يدالون كما ينصرون والتمحيص التنقية قال الخليل التمحيص التخليص من العيب يقال محص الحبل اذا ازال عنه كره ومره على اليد وبره واملس هكذا اساق الزجاج اللفظة الحبل وزواها النقاش محص الحبل اذا زال عنه وبره واملس وقال حسف الحمام وقد ورد ما يقال له طوبلع امك يحمص الرسا بعيد المستقى مطل على الاعدا فالمعنى انه لبعده يملس حبله بالطين المحروم الايدي فمعنى الاية ان الله يمحص المؤمنين اذا اديل عليهم بانه يبقى المستشهدين من ذنوبهم ويبقى الاحيا من منافقيهم اذ يميزهم وانه يمحق الكافرين اذا نصر عليهم اي ينقصهم والمحق الاذهاب شيئا شيئا ومنه محاق القمر قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ام بمعنى الاضراب عن الكلام الاول والترك له وفيها لازم معنى الاستفهام فلذلك قدرها سيبويه ببل والف الاستفهام وحسبتم معناه ظننتم وهذه الاية وما بعدها تقريع وعتب لطوائف المؤمنين الذين وقعت منهم الهفوات المشهوره في يوم احد ولما يعلم نفي مؤكد وهو معادل لقول القائل قد كان كذا فلما اكد هذا الخبر الموجب بقد وكذا النفي المعادل بلما واذا قال القائل كان كذا فمعادله لم يكن دون تاكيد في الوجهين قاله سيبويه وقرا جمهور الناس بكسر الميم للالتقا في قوله يعلم وقرا يحيى بن وثاب وابراهيم النخعي ولما يعلم بفتح الميم اتباعا لفتحة اللام وقرا الجمهور ويعلم الصابرين على النصب باضمار ان عند البصريين وبواو الصرف عند الكوفيين وروي عن ابي عمرو بن العلاء انه قرا ويعلم بالرفع على استيناف الفعل وقرا الحسن ويحيى بن يعمر وابو حيوة وعمرو بن عبيد ويعلم بكسر الميم جزما معطوفا على قوله ولما يعلم ثم خاطب المؤمنين بقوله ولقد كنتم تمنون الموت والسبب في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة بدر يريد عير قريش مبادرا فلم يوعب الناس معه اذ كان الظن انه لا يلقى حربا فلما قضى الله ببدر ما قضى وفاز حاضروها بالمنزلة الرفيع المتخلفون من المؤمنين عنها يتمنون حضور قتال الكفار مع النبي عليه السلام ليكون منهم في ذلك عنا يلحقهم عند ربهم ونبيهم بمنزلة اهل بدر ولا بس النصر في ذلك كلام محفوظ فلما جاء من امر احد حضر القتال لم يصدق كل المؤمنين فعاتبهم الله بهذه الاية والزمهم تعالى تمني الموت من حيث تمنوا لقاء الرجال بالحديد وفضار تنهمه به وهي حال في ضمنها في الاغلب الموت ولا يتمناها الا من طابت نفسه بالموت فصار الموت كانه المتمنى والا فنفس قتل المشرك المسلم لا يجوز ان يتمنى من حيث هو قتل وانما يتمنى لواحق من الشهادة والتنعيم وقرا الجمهور من قبل ان تلقوه وقرا الزهري وابراهيم النخعي من قبل ان تلاقوه وهذه والاول في المعنى سواء من حيث لقي معناه متضمن انه من اثنين وان لم يكن على وزن فاعل وقرا مجاهد من قبل بضم اللام وترك الاضافة وجعل ان تلقوه بدلا من الموت وقوله تعالى فقد رايتموه يريد رايتم اسبابه وهي الحرب المستعرة والرجال بايديهم السيوف وهذا كما قال عمير بن وهب يوم بدر رايت البلايا تحمل المنايا وكما قال الحرث بن هشام وجدت ريح الموت من تلقائهم في مازق والخيل لم تتبدد يريد لقرب الامر ونحو هذا قول عامر بن فهيرة لقد رايت الموت قبل ذوقه يريد لما اشتد به المرض وقرا طلحة بن مصرف فلقد رايتموه وقوله تعالى وانتم تنظرون يحتمل ثلاثة معان احدها التاكيد للروية واخراجها من الاشتراك الذي بين روية القلب وروية العين في اللفظ والاخر ان يكون المعنى وانتم تنظرون في اسباب النجاة والفرار وفي امر محمد عليه السلام هل قتل ام لا وذلك كله نقص لما كنتم عاهدتم الله عليه وحكى مكي وغيره عن قوم انهم قالوا وانتم تنظرون محمدا عليه السلام وهذا قول ضعيف الا ان يحرى به الى هذا القول الذي ذكرته انه للنظر في امره هل قتل ام لا والاضطراب بحسب ذلك والمعنى الثالث ان يكون قد وقفهم على تمنيهم ومعاهدتهم وعلى انهم راوا ذلك الذي تمنوه ثم قال على جهة التوبيخ والعتب وانتم تنظرون في فعلكم الان بعد انقضاء الحرب هل وفيتم ام خالفتم كانه قال وانتم حسبا انفسكم فتاملوا قبح فعلكم وفي هذا التوبيخ على هذا الوجه ضرب جميل من الابقا والصون والاستدعا وقال ابن فورك المعنى وانتم تتاملون الحال في ذلك وتتفكرون فيه كيف هو وهذا نحو ما تقدم قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ن هذا استمرار في عتبهم واقامة الحجة الله عليهم المعنى ان محمدا كسائر الرسل قد بلغ كما بلغوا

ولزمكم ايها المؤمنون العمل بمضمن الرسالة وليست حياة الرسول وبقاؤه بين اظهركم شرطا فى ذلك
لان الرسول يموت كما مات الرسل قبله وخلت معناه مضت وسلفت وصارت الى الخلاء من الارض
وقرا جمهور الناس الرسل بالتعريف وفى مصحف ابن مسعود رسل بغير تعريف وهى قراءة حطان بن عبد الله
فوجه الاولى تفخيم ذكر الرسل والتنويه بهم على مقتضى حالهم من الله عند الله تعالى ووجه الثانية انه
موضع تيسير لامر النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى الحياة ومكان تسوية بينه وبين البشر فى ذلك
فيجى تنكير الرسل جاريا فى مضمار هذا الاقتصاد به صلى الله عليه وسلم وهكذا يفعل فى مواضع
الاقتصاد بالشى فمنه قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور وقوله تعالى وما امن معه الا قليل الى غير
ذلك من الامثلة ذكر ذلك ابو الفتح والقراءة بتعريف الرسل وجه فى الكلام وقوله تعالى افان مات
دخلت الف الاستفهام على جملة الكلام على الحد الذى يخبر به ملتزمه لان الحال الان يقولوا
ان مات محمدا او قتل انقلبتا فلما كان فعلهم يجو هذا النحى توقفوا على الحد الذى يقع به الاخبار وقال
كبير من المفسرين الف الاستفهام دخلت فى غير موضعها لان العرض انما هو ينقلبون على اعقابكم
ان مات محمد والسوال انما هو عن جواب الشرط وذلك النظر الذى قدمته بين وجه فصاحة
دخول الالف على الشرط وذلك شبيه بدخول الف التقرير فى قوله اولو كان اباؤهم ونحوه من الكلام
كانك ادخلت التقرير على ما الزمت المخاطب انه يقوله وهو فى حكم من يقوله والانقلاب على العقب
يقتضى التولى عن المنقلب عنه ثم توعد تعالى المنقلب على عقبيه بقوله تعالى فلن يضر الله شيئا لان
المعنى فانما يضر نفسه واياها يوبق ثم وعد الشاكرين وهم الذين صدقوا وصبروا ولم ينقلب
على عقبيه بل مضى على دينه قدما حتى مات منهم سعد بن الربيع ويقتضى بذلك وصيته للانصار و
منهم انس بن النضر ومنهم الانصارى الذى ذكر الطبرى عنه بسند انه مر عليه رجل من المهاجرين
والانصارى يتشحط فى دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال الانصارى ان كان
محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فهؤلاء اصحاب النار له يومئذ ثم يدخل فى الاية الشاكرين
الى يوم القيمة قال ابن اسحق معنى وسيجزى الله الشاكرين اى من اطاعه وعمل بامره وذكر الطبرى
بسند عن على بن ابى طالب رضى الله عنه وذكره غيره انه قال فى تفسير هذه الاية الشاكرون
الثابتون على دينهم ابو بكر واصحابه وكان يقول ابو بكر امير الشاكرين وهذه الاشارة من على رضى الله
عنه انما هى الى صدع ابى بكر رضى الله عنه بهذه الاية فى يوم موت النبى صلى الله عليه وسلم وثبوته فى ذلك
الموطن وثبوته فى امر الردة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض وشاع موته هاج
المنافقون وتكلموا وهموا بالاجتماع والمكاشفة فادفع الله تعالى فى نفس عمر ان النبى صلى
الله عليه وسلم لم يقبض فقام بخطبته المشهورة المخوفة للمنافقين برجوع النبى عليه السلام ففت
ذلك فى اعشار المنافقين وتفرقت كلمتهم ثم جاء ابو بكر بعد ان نظر الى النبى صلى الله عليه وسلم
فسمع كلام عمر فقال له اسكت فاستمر عمر فى كلامه فتشهد ابو بكر فاصغى الناس اليه فقال اما بعد
فانه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وتلى وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية فبكى الناس ولم يبق احد الا قرا الاية كان الناس ما سمعوها
قبل ذلك اليوم قالت عايشه رضى الله عنها فى البخارى فنفع الله بخطبة عمر ثم بخطبة ابى بكر فهذا
من المواطن الذى ظهر فيها شكر ابى بكر وشكر الناس بسببه ثم اخبر تعالى عن النفوس انها تموت
باجل مكتوب محتوم واحد عند الله تعالى اى فالجبن لا يزيد فيه والشجاعة والاقدام لا ينقص
منه وفى هذه الاية تقوية النفوس للجهاد قال ابن فورك وفيه تسلية مما فى موت النبى عليه السلام
والعبارة يقول وما كان قد يجى فيما هو ممكن قريب كقول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ما كان لابن ابى
قحافة ان يصلى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يقع فى الممتنع عقلا نحو قوله ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها فهى عبارة لا صيغة لها ولا يتضمن نهيا كما يقول بعض المفسرين وانما نفهم قدر منعها من
قرائن الكلام الذى يجى هذه العبارة فيه ونفس فى هذه الاية اسم للجنس والاذن التمكين من الشى
مع العلم بالشى المادون فيه فان انضاف الى ذلك قول فهو الامر وقوله كتابا بالنصب على التمييز ومؤجلا
صفة وهذه الاية راده على المعتزلة فى قولهم بالاجلين وانما الانفصال عن تعلقهم بقوله تعالى
ويؤخركم الى اجل مسمى ونحوها من الايات فيجى مواضع ان شا الله تعالى قوله تعالى ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسيجزى الشاكرين وكاين من نبى قاتل معه
ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين
قوله تعالى نؤته منها مشروط بالمشية اى نؤته من يشاء منها ما قدر له بين ذلك قوله عز وجل
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقرينة الكلام يقتضى انه لا نؤتى شيئا من الاخرة
لان من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له فى الاخرة والاعمال بالنيات وقرينة

الكلام

الكلام فى قوله ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها لا تمنع ان يؤتى نصيبا من الدنيا وقرا جمهور الناس
نؤته ونؤته وسيجزى كلها بنون العظمة وقرا الاعمش بالياء فى الثلاثة وذلك على حذف الفاعل
لدلالة الكلام عليه قال ابن فورك فى قوله تعالى وسيجزى الشاكرين اشارة الى انه ينعمهم بنعيم
لا انهم يقصرون على الاخرة ثم ضرب تعالى المثل للمؤمنين بمن سلف من صالحى الامم الذين
لم يثنهم عن دينهم قتل الكفار لانبيائهم فقال وكاين من نبى الاية وفى وكاين اربع لغات
كاين على وزن كعين بفتح العين وكاين على وزن كاعن بكسر العين وكاين على وزن كيعن بسكون العين
وكان على وزن كعن واكثر ما استعملت العرب فى اشعارها التى على وزن كاعن فمن ذلك وكاين
رددنا عنكم من مدجج يجى امام القوم يردى مقنعا وقال وكاين بالاباطح من صديق يرانى لو اصبت
هو المصابا وقال وكاين ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه فى التكلم وقد جاء من اللغة
التى ذكرناها اولا قول الشاعر كاين فى المعاشر من اناس اخوهم فوقهم وهم كرام وهذه اللغة
هى اصل هذه اللفظة لانها كاف التشبيه دخلت على اى كما دخلت على ذا فى قولك لفلان كذا وكذا وكما دخلت
على ان فى قولك كان زيدا اسدا ولكن نفى فيها معنى التشبيه فى كان وزال عنها فى كذا وكذا وفى كاين
وصرفت العرب كاين فى معنى كم التى هى للتكثير وكثر استعمالهم اللفظة حتى لعب فيها لسان العرب
على اللغات الاربع التى ذكرت وهذا كما لعب فى قولهم لعمرى حتى قالوا وعملى وكما قالوا اطيب واطب
وكما قالوا اطيح فى اطيح فعوملت الكاف واى معاملة ما هو شى واحد فاما اعتلال لغة من قال كاين
على وزن فاعل فانهم اخذوا الاصل الذى هو كاين فقلبوا الياء قبل الهمزة ونقلت حركة كل واحد منهما
الى اختها فجاء كيا على وزن كيع فحذفوا الياء الثانية المفتوحة تخفيفا كما حذفوا الياء من ميت وهين
ولين فقالوا ميت وهين ولين وكما حذفوا الثانية من اى تخفيفا ومنه قول الفرزدق سطرب
مصرا والسماكين ايهما على من الغيث استهلت فجاء كيا على وزن كيع فابدلت هذه الياء الساكنة
الفا مراعاة للفتحة التى قبلها كما قالوا يحل ياحل وكما ابدلوا الياء الفا فى طاى وكما ابدلت فى ايه
عند سيبويه اذ اصلها عنده ايه على وزن فعلة بسكون العين فجاء كاء ثم كتب هذا التنوين
نونا فى المصحف فاما قياس اللغة فحذفه فى الوقف وكما يقولون مررت بزيدى فكذلك يقولون كاى
ووقف عليه ابو عمرو بن العلا بكاى بياء دون نون وكذلك سورة ابن المبارك عن الكسائى ووقف
سائر القراء باثبات النون مراعاة لخط المصحف قال ابو على فلو قيل انه لما تصرف فى الكلمة بالقلب
صارت بمنزلة النون التى من نفس الكلمة وصارت بمنزلة لام فاعل فاقرت فى الوقف كان قولا ويقوى
ذلك انهم لما حذفوا الكلام من قولهم اما لا جعلوها بالحذف ككلمة واحدة فاجازوا الامالة فى الفها
كما يجوز فى التى هى من نفس الكلمة فى الاسماء والافعال فيوقف على كاين بالنون ولا يوقف على النون اذا
لم يقلب كما لا يميل الالف من لا اذا لم يحذف فعلها وبهذه اللغة التى فيها هذا القلب قرا ابن كثير
وحده وقرا سائر القراء السبع باللغة التى هى الاصل كاين وذهب يونس بن حبيب فى كاين الى انه
فاعل من الكون وقوله مردود اذ لم يلزم عنده اعراب الكلمة ولم يعربها احد من العرب واما اللغة
التى هى كاين على وزن كعين فهى قراءة ابن محيصن والاشهب العقيلى وتعليل هذه اللغة انها على الاصل
الذى هو كاين بالتعليل المتقدم فلما جاء كيا على وزن كيع ترك هؤلاء ابدال الياء الساكنة الفا كما تقدم
فى التعليل الاول وقلبوا الكلمة فجعلوها كيا على وزن كعين وحسن هذا من وجهين احدهما ان
التلعب والتصرف فى هذه الكلمة سهيع والثانى انهم راجعوا الاصل الذى هو تقديم الهمزة على الياء
واما اللغة التى هى كاعن على كيع فهى قراءة ابن محيصن ايضا حكاها عنه ابو عمرو الدانى وقراها الحسن
ابن ابى الحسن الا انه سهل الهمزة بافتراكه فى جميع القران وتعليل هذه اللغة انهم حذفوا الالف
من كاين الممدودة على وزن كاعن بعد ذلك التصرف كله تخفيفا وهذا كما قالوا ام والله يريدون
اما وكما قالوا على لسان الصب لا اشهى ان اراد للاعرا اداعر ادا وصلنا ما يود او عنك شا الصدا
ارادوا عاردا وبا ردا فحذفوا تخفيفا وهذا كثير فى كلامهم وكاين فى هذه الاية فى موضع رفع
بالابتداء وهى بمنزلة كم ومعناها يعطى فى الاغلب الكثير وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع قتل بضم
القاف وكسر التاء مخففة وقرا الباقون قاتل بالف بين القاف والتاء وقرا قتاده قتل بضم القاف
وكسر التاء مشددة على التكثير وقوله تعالى قتل قال فيه جماعة من المفسرين منهم الطبرى انه مستند
الى ضمير نبى والمعنى عندهم ان النبى قتل قال ابن عباس فى قوله وما كان لنبى ان يغل النبى يقتل فكيف
لا يخان واذا كان هذا فربيون مرتفع بالظرف بلا خلاف وقوله تعالى معه ربيون على هذا التاويل
يجوز ان يكون صفة لنبى ويجوز ان يكون حالا من الضمير الذى استند اليه قتل فان جعلته صفة
اضمرت للمبتدا الذى هو كاين خبر التقدير فى اخر الكلام مضى او ذهب او فقد فما وهنوا وان
جعلت معه ربيون حالا من الضمير فخبر المبتدا فى قوله قتل واذا جعلته صفة فالضمير فى معه عايد

على نبي واذا جعلته حالا فالضمير في معه عايد على الضمير في الحال وعلى كلا الوجهين من الصفة او الحال
فمعه ربيون متعلق في الاصل بمحذوف وليس متعلقا بقتل وقال الحسن وجماعة معه ان قتل انما هو
مسند في قوله ربيون وهم المقتولون وقال الحسن وسعيد بن جبير لم يقتل نبي في حرب قط فعلى
هذا القول يتعلق قوله معه بقتل وهذه الجملة قتل معه ربيون في محل الابتداء ويتصور في قراءة من
قرا قاتل جميع ما ذكرته من التقديرات في قراءة قتل واما قراءة قتاده قتل فقال ابو الفتح لا يحسن ان
يستند الفعل الا الى ربيون لما فيه من معنى التكثير الذي لا يجوز ان يستعمل في قتل شخص واحد
فان قيل يستند الى نبي مراعاة لمعنى كم فالجواب ان اللفظ قد مشى على جهة الافراد في قوله من نبي ودل
الضمير المفرد في معه على ان المراد انما هو التمثيل بواحد فخرج الكلام عن معنى كم قال ابو الفتح وهذه
القراءة تقوي قول من قال من السبعة ان قتل بتخفيف التا او قاتل انما يستند للربيين ورجح الطبري
اسناد قتل الى النبي بدلالة نازلة محمد عليه السلام وذلك ان المومنين انما تجادلوا لما قيل قتل محمد
عليه السلام فضربت المثل بنبي قتل واذا لم يسند الفعل الى نبي قتل بالمعنى فانما تجمع معنى الاية تثبيت
المومنين بعد من فقد منهم فقط وترجيح الطبري حسن ويؤيد ذلك ما تقدم من قوله تعالى افان
مات او قتل وحجة من قرا قاتل انها اعم في المدح لانه يدخل فيها من قتل ومن بقي ويحسن عندي
على هذه القراءة اسناد الفعل الى الربيين وعلى قراءة اسناده الى نبي واجمع السبعة وجماعة من
الناس على كسر الرا من ربيون وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن عباس و
عكرمة والحسن وابو رجا وعمرو بن عبيد وعطا بن السايب ربيون بضم الرا وروى قتاده عن
ابن عباس ربيون بفتح الرا قال ابن جني الفتح في الرا لغة تميم وكلها لغات واختلف الناس في معنى
ربيون فقال ابن مسعود الربيون الالوف من الناس الجمع الكثير وقال ابن عباس ربيون جموع
كثيرة وقاله الحسن وقتاده وعكرمة ونقول عبد بن مسعود وابن عباس انهم الالوف قال
بعض المفسرين هم عشرة الاف فصاعدا اخذ ذلك من بناء الجمع الكثير في قولهما هم الالوف وهذا القول
في الربيين انهم الجماعات الكثيرة هو من الربة بكسر الرا وهي الجماعة الكثيرة قاله يونس بن حبيب وقال ان
قوله تعالى قتل معه ربيون هم منسوبون اليها قال قطرب جماعة العلما على قول يونس وقال الزجاج يقال
ان الربة عشرة الاف وروي عن ابن عباس وعن الحسن وغيرهما انهما قالوا ربيون معناه علما وقال الحسن
فقها علما وقال ايضا علما صبر وهذا القول هو على النسبة الى الرب اما لانهم مطيعون له ومن حيث
هم علما بما شرع ويقوي هذا القول في قراءة من قرا ربيون بفتح الرا واما في ضم الرا وكسرها فيجي على تغيير
النسب كما قالوا في النسبة الى الحرم حرمي بكسر الحا والى البصرة بصري بكسر البا وفي هذا نظر وقال ابن
زيد الربانيون الولاه والربيون الرعية الاتباع للولاه كان هذا من حيث هم مربوبون وقال النقاش اشتقاق
اشتقاق ربي من ربا الشي يربو اذا كثر فسمي بذلك الكثير العلم وهذا ضعيف ومكي ربي بكسر الرا منسوب
الى الرب لكن كسرت راوه اتباعا للكسرة والبا اللتين بعد الراو وروي بضم الرا كذلك لكنهم ضموها
كما قيل دُهري بضم الدال في النسب الى الدهر وقرا جمهور الناس فما وهنوا بفتح الها وقرا الحسن والاعمش
وابو السماك وهِنوا بكسر الها وهما لغتان بمعنى يقال وهن بكسر الها يوهن ووهن بفتح الها يهن وقرا
عكرمة وابو السماك وهْنوا باسكان الها وهذا على طلب الخفة كما قالوا في نعم وبئس الى غير ذلك من
الامثلة وقد تقدم معنى الوهن في قوله انفا ولا تهنوا والضمير في قوله وهنوا عايد على جميع الربيين في قول
من اسند قتل الى نبي ومن اسنده الى الربيين قال في هذا الضمير انه يعود الى من بقي من الربيين اذ المعنى يفهم
نفسه وقوله تعالى وما ضعفوا معناه لم تكسبوا من العجز والالقا باليد ما ينبي عن ضعفهم وقوله تعالى
وما استكانوا ذهبت طايفة من النحاة الى انه من السكون فوزنه افتعلوا استكنوا مطلت فتحة الكاف
فحدثت عن مطلها الف وذهبت فرقة الى انه ماخوذ من كان فيكون فوزنه على هذا الاشتقاق
استفعلوا اصله استكونوا نقلت حركة الواو الى الكاف وقلبت الفا كما يفعل في قوله استعانوا
واستقاموا والمعنى انهم لم يضعفوا او كانوا قريبا من ذلك كما يقول ما فعلت كذا ولا كدت فتحذف
لان الكلام يدل على ان المراد وما كدت ان افعل ومحبة الله تعالى للصابرين ما يظهر عليهم من نصره
وتنعيمه قوله تعالى وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب
المحسنين ن هذه الاية في ذكر الربيين اي هذا كان قولهم لا ما قاله بعضكم يا اصحاب محمد من قول من
قال ما جدا مانا من ابي سفيان ومن قول من قال نرجع الى ديننا الاول ومن قول من فر فلا شك ان
قوله مناسب لفعله ولو بعضا لمناسبة الى غير ذلك فما اقتضته تلك الحال من الاقوال وقرا السبعة
وجمهور الناس قولهم بالنصب ويكون الاسم فيما بعد الا وقرا جماعة من القرا قولهم بالرفع وجعلوا
الخبر فيما بعد الا وروى ذلك حماد بن سلمة عن ابن كثير وابو بكر عن عاصم ذكره المهدوي واستغفارها

ولا القوم

ولا القوم الممدوحين في هذا الموطن نحو الى انهم راوا انما نزل من مصايب الدنيا انما هو بذنوب من البشر
كما نزلت قصة احد بعصيان من عصى وقوله تعالى ذنوبنا واسرافنا في امرنا عبارتان عن معنى بعضه قريب
من بعض جاء ذلك للتاكيد ولتعم ما في الذنوب وكذلك فسر ابن عباس وغيره وقال الضحاك الذنوب
عام والاسراف في الامر اريد به الكباير خاصة وقوله وثبت اقدامنا يحتمل ان يجري مع ما قبله
من معنى الاستغفار فيكون المعنى اجعلنا دايمين على طاعتك والايمان بك وتثبيت القدم على
هذا استعارة ويحتمل ان يكون في معنى ما بعده من قوله وانصرنا على القوم الكافرين فيراد ثبوت
القدم حقيقة في مواقف الحرب قال ابن فورك في هذا الدعا رد على القدرية لقولهم ان الله لا يخلق
افعال العبد ولو كان ذلك لم يسع ان يدعا فيما لا يفعله وثواب الدنيا في هذه الاية الظهور على
عدوهم قاله ابن اسحق وقتاده وغيرهما قال ابن جريج الظفر والغنيمة وفسر بهذا جماعة من المولفين
في التفسير قال النقاش ليس الا الظفر والعليه فقط لان الغنيمة لم تحل لغير هذه الامة وهذا
اعتراض صحيح وحسن ثواب الاخرة بالجنة بلا خلاف وعبر بلفظ حسن زيادة في الترغيب وباقي
الاية بين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين بل الله موليكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين ن الاشارة بقوله الذين
كفروا الى المنافقين الذين جبنوا المسلمين وقالوا في امر احد لو كان محمد نبيا لم يهزم
والذين قالوا قتل محمد فليرجع الى ديننا الاول الى نحو هذه الاقوال ثم اللفظ يقتضي كل كافر
في ذلك الوقت ويكون الى يوم القيمة نهى الله المؤمنين عن طاعتهم وبل ترك للكلام
الاول ودخول في غيره وقرا جمهور الناس بل الله موليكم على الابتداء والخبر وهذا تثبيت
وقرا الحسن بل الله مولاكم بالنصب على معنى قل اطيعوا الله وقوله تعالى سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب استعارة اذ حقيقة الالقا انما هي في الاجرام وهذا مثل قوله تعالى والذين
يرمون المحصنات ومنه قول الفرزدق هما نفثا في من فمويهما على النابح العاوي اشد
رجام وقرا جمهور الناس سنلقي بنون العظمة وقرا ايوب السختياني سيلقي بالياء على
معنى هو وقرا ابن عامر والكسائي الرعب بضم العين حيث وقع وقرا الباقون الرعب
بسكون العين وهذا كقولهم عنق وعنق وكلاهما فصيح حسن وسبب هذه الاية انه لما ار
ارتحل ابو سفيان بالكفار بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وقال انظر
القوم فان كانوا قد جنبوا الخيل وركبوا الابل فهم متشمرون الى مكة وان كانوا على الخيل فهم
عايدون الى المدينة فمضى علي فراهم قد جنبوا الخيل فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر
وسر المسلمون ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فتجهز واتبع المشركين بريهم
الجلد فبلغ حمرا الاسد وان ابا سفيان قال له كفار قريش احين قتلناهم وهزمناهم ولم يبق منهم
الا القتيل والطريد ينصرف عنهم ارجع بنا اليهم حتى نستاصلهم فعزموا على ذلك وكان معبد
ابن معبد الخزاعي قد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على كفره الا ان خزاعة كانت
تميل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد والله لقد سانا ما اصابك ولوددنا انك
لم ترزا في اصحابك فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس بما عزمت عليه قريش اشتد ذلك
عليهم فسخر الله ذلك الرجل معبد والقى بسببه الرعب في قلوب الكفار وذلك انه لما سمع الخبر ركب
حتى لحق بابي سفيان بالروحا وقريش وقد اجمعوا الرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فلما راى ابو سفيان معبد قال ما وراك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في جمع لم ار
مثله قط يتحرقون عليكم قد اجتمع معه من كان تخلف عنه وندموا على ما صنعوا قال ويلك ما تقول
قال والله ما ارى ان ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل
بقيتهم قال فاني انهاك عن ذلك ووالله لقد حملني ما رايت على ان قلت فيه شعرا قال وما
قلت قال قلت كادت تهد من الاصوات راحلتي اذ سالت الارض بالجرد الابابيل تردي باسد كرام
لا تنابلة عند اللقا ولا ميل معازيل فظلت عدوا اظن الارض مايلة لما سموا برييس غير مخذول
الى اخر الشعر فوقع الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن امية لا ترجعوا فاني ارى انه سيكون
للقوم قتال غير هذا فنزلت الاية في هذا الالقا وهي بعد متناولة كل كافر ويجري معها قول النبي
عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر ويظهر ان هذه الفضيلة انما اعلم عليه السلام
بها بعد هذه الاحوال كلها حين امتد ظل الاسلام قال بعض اهل العلم لما امر الله تعالى المؤمن
بالصبر ووعده النصر واخبره ان الرعب ملقى في قلوب الكفار نقص الرعب من كل كافر جزا
مع زيادة شجاعة المؤمن اذ قد وعد النصر فلذلك كلف المومن الوقوف لكافرين وقوله تعالى

بما اشركوا بالله هذه با لمنسب والمعنى ان المشرك بالله نفسه مقسمه في الدنيا وليس له بالله نعه فهو يكره
الموت ويستشعر الرعب منه والسلطان الحجة والبرهان ثم اخبر تعالى بعاقبه الكفار في الاخرة والماوى مفعل
من اوت الى المكان اذا دخلته وسكنت فيه والمثوى مفعل من ثويت والتقدير وبئس مثوى الظالمين قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله
ذو فضل على المؤمنين ت جاءت المخاطبة في هذه الايات بجميع ضمير المومنين وان كانت الامور
التي عاتبهم الله تعالى بهذا لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة منها وعظ
الجميع وزجره اذ من لم يفعل معد ان يفعل ان لم يزجر ومنها الستر والابقا على من فعل وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد المومنين النصر يومئذ على خبر الله تعالى لو صبروا وجدوا
وصدق الخبر اولا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاف المشركين يومئذ ورتب الرماه على
ما ذكرنا في صدر تفسير هذه الايات في قصة احد فبارز علي بن ابي طالب ابا سعد بن ابي طلحه وهو
صاحب لواء المشركين وحمل الزبير وابو دجانة فهزا عسكر المشركين ونهض رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالناس فابلى حمزه بن عبد المطلب وعاصم بن الافلح وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان
وعشرون رجلا فهذا معنى قوله تعالى اذ تحسونهم باذنه والحس القتل الذريع يقال حسهم اذا
استاصلهم قتلا وحس البرد النبات قال رؤبه اذا سكوا احسه حسيسا ياكل معنى الاحص
البيسا وقال بعض الناس هو ماخوذ من الحس والمعنى فحسل افسد الحواس وهذا ضعيف
والاذن التمكين مع العلم بالتمكن منه وقوله تعالى حتى اذا فشلتم يحتمل ان يكون حتى غاية مجرده
كانه قال الى ان فشلتم ويقوى هذا ان اذا بمعنى اذ لان الامر قد كان نقصى وانما هي حكاية حال
فيستغني اذا على هذا النظر عن جواب والاظهر الاقوى ان اذا على بابها يحتاج الى الجواب
ويكون حتى كانها حرف ابتداء على نحو دخولها على الجمل واختلف النحاة في جواب اذا فذهبت
فرقة الى ان الجواب قوله وتنازعتم والواو زائدة وحكى المهدوي عن ابي علي انه قال الجواب قوله صرفكم
وثم زايدة وهذا قول لا يشبه نظر ابي علي ومذهب الخليل وسيبويه وفرسان الصناعة ان
الجواب محذوف مقدر يدل عليه المعنى تقديره انهزمتم ونحوه والفشل استعارة للعجز
وترك الجد وهذا مما فعله يومئذ قوم والتنازع هو الذي وقع بين الرماه فقال بعضهم الغنيمة
الغنيمة الحق بنا المسلمين وقال بعضهم بل نثبت مكاننا كما امرنا وعصيتم عبارة عن ذهاب
من ذهب من الرماه حتى يمكن خالد بن وليد من غره المسلمين وقوله تعالى من بعد ما اراكم ما
تحبون يعني من هزم القوم قال الزبير بن العوام والله لقد رايتني انظر الى خدم هند بنت عتبه
وصواحبها مشمرات هوارب ما دون احدهن قليل وكثير اذ مالت الرماه الى العسكر يريدون
النهب حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فاتينا من ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا
قد قتل فانكفانا وانكفا علينا القوم وقوله تعالى منكم من يريد الدنيا اخبار عن الذين حرصوا على الغنيمة
وكان المال همهم قاله ابن عباس وسائر المفسرين وقال عبد الله بن مسعود ما كنت ارى احدا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم احد منكم من يريد الدنيا وقوله تعالى
ومنكم من يريد الاخرة اخبار عن ثبوت من ثبت من الرماه مع عبد الله بن جبير امتثالا للامر
حتى قتلوا ويدخل في هذا انس بن النضر وكل من جد ولم يضطرب من المؤمنين وقوله تعالى ليبتليكم
معناه لينزل بكم ذلك البلاء من القتل والتمحيص وقوله تعالى ولقد عفا عنكم اعلام بان الذنب كان
يستحق اكثر مما نزل وهذا تحذير والمعنى ولقد عفا علم بان لم يستاصلكم فهو بمنزلة ولقد عفا عليكم ويحتمل
ان يكون اخبارا بانه عفا عن ذنوبهم في قصة احد فيكون بمنزلة العفو المذكور بعد وبالتفسير الاول
قال ابن جريج وابن اسحق وجماعة من المفسرين وقال الحسن قتل منهم سبعون وقتل عم النبي صلى
الله عليه وسلم وشج في وجهه وكسرت رباعيته فانما العفو ان لم يستاصلهم هؤلاء مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله غضابا لله يقاتلون اعداء الله نهوا عن شيء فضيعوه فوالله
ما تركوا حتى غموا بهذا الغم فافسق الفاسقين اليوم يتجرم كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب
عليها ثيابه انه يدخل هذا على هذا وقرا نافع وابو عمرو وحمزه والكسائي يوصي باسناد الفعل الى
الموروث اذ قد تقدم له ذكر وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر يوصى بفتح الصاد
وتشديدها بنيه الفعل للمفعول الذي لم يسم فاعله وقرا الحسن توصى بفتح الصاد وتشديدها
وكل هذا في الموضعين وقرا حفص عن عاصم في الاولى بالفتح وفي الثانية بالكسر وهذه الاية
انما قصد بها تقديم هذين الفصلين على الميراث ولم يقصد ترتيبهما في انفسهما ولذلك تقدمت
الوصية في اللفظ والدين يتقدم على الوصية باجماع والذي اقول في هذا انه قدم الوصية اذ هي اقل

لزوما

لزوما من الدين اهتماما بها وندبا اليها كما قال لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وايضا قدمها من جهة انها
مضمنها الوصية التي هي كاللازم يكون لكل ميت اذ قد حض الشرع عليها واخر الدين لشذوذه وانه يكون وقد
لا يكون فبدا بذكر الذي لا بد منه ثم عطف بالذي قد يقع احيانا ويقوي هذا كون العطف باو ولو كان
الدين راتبا لكان العطف بالواو وقدمت الوصية ايضا اذ هي حظ المساكين والضعاف واخر الدين
اذ هي حظ غريم يطلب بقوة وله فيه مقال واجمع العلماء على انه ليس لاحد ان يوصي باكثر من الثلث واستحب
واستحب كثير منهم ان لا يبلغ الثلث وان يوصي للناس الى الربع ونحوه قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن
ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ت اباؤكم وابناؤكم رفع
بالابتداء والخبر مضمر تقديره هم المقسوم عليهم وهم المعطون وهذا عرض الحكمة في ذلك وتانيس
العرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة ولا تدرون عامل في الجملة بالمعنى ومعلق عن العمل
في اللفظ بحسب المعمول فيه اذ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ونفعا قال مجاهد والسدي وابن سيرين
معناه في الدنيا اي اذا اضطر الى انفاقهم للفاقة نحا اليه الزجاج وقد ينفقون دون اضطرار وقال
ابن عباس والحسن في الاخرة اي بشفاعة الفاضل للمفضول وابن زيد فيهما واللفظ يقتضي ذلك
وفريضة نصب على المصدر المؤكد اذ معنى يوصيكم يفرض عليكم وقال مكي وغيره هي حال مؤكدة وذلك
ضعيف والعامل يوصيكم وكان هي الناقصة قال سيبويه لما راوا علما وحكمة قيل لهم ان الله لم يزل هكذا
وصيغة وكان لا يعطى الا المضي ومن المعنى بعد نعلم ان الله تعالى كان كذلك وهو يكون لا من لفظ الاية
وقال قوم كان بمعنى وجد وعليما حال وفي هذا ضعف ومن قال كان زائدة فقوله خطا وقوله تعالى ولكم
نصف ما ترك ازواجكم الخطاب للرجال والولد ها هنا بنو الصلب وبنو ذكورهم وان سفلوا ذكرانا
واناثا واحدا فما زاد هذا باجماع العلماء قوله تعالى ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان
كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او
امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث الولد في
هذه الاية كما تقدم في التي قبلها والثمن للزوجة او للزوجات هن فيه مشتركات باجماع ويلحق العول فرض
الزوج والزوجة كما يلحق سائر الفرائض المسماة الا عند ابن عباس فانه قال يعطيان فرضهما بغير عول
والكلالة ماخوذة من تكلل النسب اي احاط لان الرجل اذا لم يترك والدا ولا ولدا فقد انقطع طرفاه
وبقي ان يرثه من تكلله نسبه اي يحيط به من نواحيه كالاكليل والنبات اذا احاط بالشيء ومنه روض مكلل
بالزهر والاكليل مترك بالقمر يحيط به فيه كواكب ومن الكلالة قول لهم ادى ان لا يخرج لها ولا الكفاء
فقال عبد الله بن ابي بن سلول اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس فانهم ان اقاموا اقاموا بشر مجلس
وان انصرفوا مضوا خائبين وان جاءونا الى المدينة قاتلناهم في الافنية ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
من الاطام فوالله ما حاربنا قط عدو في هذه المدينة الا غلبناه ووافق هذا الراي راي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراى جماعة عظيمة من المهاجرين والانصار وقال قوم من صلحاء المؤمنين ممن كان فاته بدر
يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا وشجعوا الناس ودعوا الى الحرب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
صلوة الجمعة وقد حثهم هؤلاء الداعون الى الحرب فدخل اثر صلوته بيته ولبس سلاحه فندم اولئك
القوم وقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج عليهم النبي عليه السلام في سلاحه قالوا
يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نريد ان نكرهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي اذا لبس سلاحه
ان يضعها حتى يقاتل ثم خرج بالناس وسار حتى قرب من عسكر المشركين فعسكر هنالك وبات حتى اصبح وقد
غضب عبد الله بن سلول وقال اطاعهم وعصاني فلما كان صبيحة يوم السبت اعتزم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المسير الى مناجزة المشركين فنهض وهو في الف رجل فانعزل عنه عبد الله بن سلول بثلثمائة
رجل من الناس من منافق ومتبع وقالوا نظن انكم لا تلقون قتالا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
سبعمائة فهمت عند ذلك بنو حارثة من الاوس وبنو سلمة من الخزرج بالانصراف ورأوا كثرة المشركين
وقلة المسلمين وكادوا ان يجبنوا ويفشلوا فعصمهم الله تعالى وذم بعضهم بعضا ونهضوا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اطل على المشركين فصاف الناس وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد امر على الرماه عبد الله بن جبير وكانوا خمسين رجلا وجعلوا يحمون الجبل خلف
المسلمين واسند هو الى الجبل فلما اضطرمت الحرب انكشف المشركون وانهزموا وجعل نساء المشركين
سدوا خلاخيلهن وهن يشتددن في سفح الجبل فلما راى الرماه ذلك قالوا الغنيمة الغنيمة انها المسلمون
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم لا تبرحوا من هنا ولو رايتمونا تخطفنا الطير فقال لهم عبد الله
بن جبير وقوم منهم اتقوا الله واثبتوا كما امركم رسول الله فعصوا وخالفوا وزالوا مستبعين وكان خالد بن
الوليد قد تجرد في جريده خيل وجاء من خلف الناس حيث كان الرماه فحمل على الناس ووقع التخاذل

وصيح في المسلمين من مقدمتهم وساقتهم وصرخ صارخ قتل محمد فتخاذل الناس واستشهد من المسلمين نيف
على سبعين. حكى قال مالك رحمه الله قتل من المهاجرين يوم احد اربع ومن الانصار سبعون وتحيز رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اعلا الجبل وتحاور الناس هذا مختصر من القصة يتركب عليه تفسير الاية واما احد بطوله وما
تخلله من الافعال والاقوال مستوعب في كتب السير وليس هذا التعليق مما يقتضي ذكره وحكى مكي عن
السدى ما تطهرمنه ان القتال كان يوم وحكى عنه الطبرى ان نزول ابى سفيان باحد كان في الثالث من شوال
وذلك كله ضعيف وقال النقاش وقع احد في الحادى عشر من شوال وذلك خطا قال الطبرى وغيره قعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة الى التدبير مع الناس واستشارهم هو الذى عنى عنه بقوله
تعالى تبوى المومنين مقاعد وبن عمران لا باس عليه فسوف يعلم قوله تعالى اذ تصعدون ولا تلوون
على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير
بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم
يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ن العامل في اذ قوله عفا عنكم وقرا جمهور الناس تصعدون
بضم التا وكسر العين من اصعد ومعناه ذهب في الارض وفي قراءة ابى بن كعب اذ تصعدون في الوادى
والصعيد وجه الارض وصعده اسم من اسماء الارض واصعد معناه دخل في الصعيد كما اصبح
دخل في الصباح الى غير ذلك والعرب يقول اصعدنا من مكة وغيرها اذا هم استقبلوا سفرا بعيدا
واسند ابو عبيدة لحادى الابل قد كنت تبكين على الاصعاد فالان سرحت وصاح الحادى
وقرا الحسن وابو عبد الرحمن والترمذى ومجاهد وقتادة اذ تصعدون بفتح التا والعين من صعد
اذا علا والمعنى بهذا صعود من صعد في الجبل والقراة الاولى اكثر وقوله تعالى ولا تلوون على احد
مبالغة في صفة الانهزام وهذا كما قال دريد بن الصمة وهل يرد المنهزم شيء وهذا اشد
من قول امرئ القيس اخو الجهد لا يلوى على من تعذرا وقرا ابن محيصن وابن كثير في رواية
شبل اذ يصعدون ولا يلوون على ذكر الغيب وقرا بعض القرا ولا تلوون بهمز الواو
المضمومة وهذه لغة وقرا بعضهم ولا يلون بضم اللام وواو واحدة وهي قراءة متركبة على لغة من
همز الواو المضمومة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام وحذفت احدى الواوين الساكنين وقرا
الاعمش وعاصم في رواية ابى بكر تلوون بضم اليا من الوى وهي لغة وقرا حميد بن قيس على احد
بضم الالف والحا يريد الجبل والمعنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان على الجبل
والقراة المشهورة اقوى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على الجبل الا بعدما فر الناس عنه وهذه
الحال من اصعادهم انما كانت وهو يدعوهم وروى انه كان ينادى الى عباد الله والناس يفرون
عنه وهي قوله تعالى والرسول يدعوكم في اخراكم مدح للنبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك هو موقف
الانطال في اعقاب الناس ومنه قول الزبير بن العوام ما فعل مقدمنا اذا حملنا وحامتنا
اذا فررنا وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ومنه قول سلمة بن الاكوع
كنا اذا احمر الناس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فاثابكم غما بغم معناه جازاكم
على صنيعكم وسمى الغم ثوابا على معنى انه القائم في هذه النازلة مقام الثواب وهذا كقوله تحية
بينهم ضرب وجيع وكقول الاخر اخاف زيادا ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة سمرا
فجعل القيود والسياط عطاء ومحدرجة بمعنى مدحرجة واختلف الناس في معنى قوله تعالى غما بغم
فقال قوم المعنى اثابكم غما بسبب الغم الذى ادخلتموه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر
المسلمين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم فالبا على هذا باء السبب وقال قوم اثابكم غما بالغم الذى وقع
على ايديكم الكفار يوم بدر فالبا على هذا باء معادلة كما قال ابو سفيان يوم احد يوم بيوم بدر والحرب
سجال وقالت جماعة كثيرة من المتاولين المعنى اثابكم غما على غم او غما مع غم وهذه بالحد المجرد
واختلفوا في سبب هذين الغمين فقال مجاهد وقتادة الغم الاول ان سمعوا الا ان محمدا قد قتل والثانى
القتل والجراح الواقع فيهم وقال الربيع وقتادة ايضا بعكس هذا الترتيب وقال السدى ومجاهد
ايضا بل الغم الاول هو قتلهم وجراحهم وكل ما جرى في ذلك المازق والغم الثانى هو اشراف
ابى سفيان على النبي ومن كان معه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يومئذ يدعو
الناس حتى انتهى الى قوم من اصحابه قد علوا في صخرة في سفح الجبل فمشى اليهم فاهوى اليه رجل
منهم بسهم ليرميه فقال انا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله اذ راى من اصحابه
الامتناع ثم اخذوا يتاسفون على ما فاتهم من الظفر وعلى من مات من اصحابهم فبيناهم
كذلك اذ اشرف عليهم ابو سفيان من علو في خيل كثيرة فنسوا ما نزل بهم اولا واهمهم
امر ابى سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم ان يعلونا اللهم ان تهلك هذه
العصابة لا تعبد ثم ندب اصحابه فرموهم بالحجارة وامعى هناك عمر بن الخطاب حتى انزلوهم

واختلف

واختلف الروايات في هذه القصص من هزيمة احد اختلافا كثيرا وذلك ان الامر هول وكل احد وصف بما
راى وسمع قال كعب بن مالك انا اول من ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم انا رايت عينيه تزهران
من تحت المغفر وروى ان الخليل المستعلية انما كانت خيل خالد بن الوليد وان ابا سفيان انما دنا
والنبي صلى الله عليه وسلم في غرغرة الجبل ولابى سفيان في ذلك الوقت قول كثير ولعمر معه مراجعة
محفوظة اختصرتها اذ لا تخص الاية وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم معناه من الغنيمة وما اصابكم
معناه من القتل والجراح وذلك الانهزام وما نيل من سبكم واللام من قوله لكيلا متعلقة باثابكم باثابكم
والمعنى لتعلموا انما وقع بكم انما هو بجناياتكم فانتم اذهبتم انفسكم وعادة البشر ان جانى الذنب يصبر
للعقوبة واشد قلق المعاقب وحزنه انما هو مع ظنه البراءة بنفسه وفي قوله تعالى والله خبير بما
تعملون توعد ثم ذكر الله تعالى لهم امر النعاس الذى امر به المومنين فغشى اهل الاخلاص وذلك انه
لما ارتحل ابو سفيان من موضع الحرب قال النبي عليه السلام لعلى بحضرة اصحابه المتحيرين في تلك الساعة
اليه اذهب فانظر الى القوم فان جنبوا الخيل فهم ناهضون الى مكة وان كانوا على خيلهم فهم عائدون
المدينة فاتقوا الله واصبروا ووطنهم على القتال فمضى على ثم رجع فاخبر انهم جنبوا الخيل وقعدوا
على اثقالهم عجالا فامن المومنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم والقى الله عليهم النعاس
وبقى المومنون الذين في قلوبهم مرض لا يصدقون بل كان ظنهم ان ابا سفيان يوم المدينة ولا بد فلم يقع
على احد منهم نوم وانما كان منهم في احوالهم الدنيا وبه وقال ابو طلحة لقد نمت في ذلك اليوم حتى
سقط سيفى من يدى مرارا وقال الزبير بن العوام لقد رفعت راسى يوم احد من النوم فجعلت انظر
الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما منهم من احد الا وهو يميل بحجفة وقال ابن مسعود
نعسنا يوم احد والنعاس في الحرب امنة من الله والنعاس في الصلوة من الشيطان وقرا الجمهور
امنة بفتح الميم وقرا ابن محيصن والنخعى امنة بسكون الميم وهما بمعنى الامن وفتح الميم افصح وقوله تعالى
نعاسا بدل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر يغشى باليا حملا على لفظ النعاس باسناد
الفعل المضمير البدل وقرا حمزة والكسائى تغشى بالتا حملا على لفظ الامنة باسناد الفعل الى ضمير
المبدل منه والواو في قوله وطائفة قد اهمتهم انفسهم هى واو الحال كما يقول جئت وزيد قائم قاله
سيبويه وغيره وقال الزجاج وجائز ان يكون خبر قوله وطائفة قوله يظنون ويكون قد اهمتهم صفة
للطائفة وقوله تعالى قد اهمتهم انفسهم ذهب اكثر المفسرين منهم قتادة والربيع وابن اسحق
وغيرهم الى ان اللفظ من الهم الذى هو بمعنى الغم والحزن والمعنى ان نفوسهم المريضة وظنونهم
السيئة قد جلبت اليهم الهم خوف القتل وذهاب الاحوال يقول العرب اهمنى الشيء اذا جلب الهم
وذكر بعض المفسرين ان اللفظ من قولك هم بالشيء يهم اذا اراد فعله والمعنى اهمتهم انفسهم
المكاشفة ونبذ الدين وهذا كقول من قال قد قتل محمد فليرجع الى ديننا الاول ونحو هذا من الاقوال
قوله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل
لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قوله تعالى غير الحق يظنون ان
الاسلام ليس بحق وان امر محمد يضمحل ويذهب وقوله ظن الجاهلية ذهب جمهور المفسرين
الى ان المراد مدة الجاهلية القديمة قبل الاسلام وهذا كما قال حمية الجاهلية وكما قال ابن
عباس سمعت اباك يقول في الجاهلية اسقنا كاسا دهاقا وذهب بعض المفسرين الى انه
اراد في هذه الاية ظن الفرقة الجاهلية والاشارة الى ابى سفيان ومن معه والامر يحتمل
وقد يجيء هذا المعنى قتادة والطبرى وقوله تعالى يقولون هل لنا الاية حكاية كلام قالوه
قال قتادة وابن جريج قيل لعبد الله بن ابى بن سلول قتل بنو الخزرج فقال وهل لنا من الامر
من شيء يريد ان الراى ليس لنا ولو كان لنا منه شيء لسمع راينا فلم نخرج ولم يقتل احد منا وهذا
قول منهم باجلين وكان كلامهم يحتمل الكفر والنفاق على معنى ليس لنا من الامر من شيء ولا نحن
على حق من اتباع محمد ذكره المهدوى وابن فورك لكن يضعف ذلك ان الرد عليهم انما جاء
على ان كلامهم في معنى سوء الراى في الخروج وانه لو لم يخرج لم يقتل احد وقوله تعالى قل ان الامر كله لله
اعتراض اثناء الكلام فصيح وقرا جمهور القرا كله بالنصب على تاكيد الامر لان كله بمعنى اجمع وقرا ابو عمرو
ابن العلا كله لله برفع كل على الابتداء والخبر ورجح الناس قراءة الجمهور لان التاكيد املك بلفظ كل وقوله
تعالى يخفون الاية يحتمل ان يكون اخبارا عن سترهم بمثل هذه الاقوال التى ليس بمحض كفر بل هى
جهالة ويحتمل ان يكون اخبارا عن ما يخفونه من الكفر الذى لا يقدرون ان يظهروا منه اكبر من هذه
النزعات واخبر تعالى عنهم على الجملة دون تعيين وهذه كانت سنته في المنافقين لا اله الا هو وقوله تعالى
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا هى مقالة سمعت من معتب بن قشير المغموص عليه
بالنفاق وقال الزبير بن العوام فيما اسند الطبرى عنه والله كانى اسمع قول معتب بن قشير اخى بنى عمرو

عوبن عفو والنعاس يغشانى ما اسمع الا كالحلم حين قال لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا هاهنا وكلام
معتب يحتمل من المعنى ما احتمل كلام عبد الله بن ابى ومعتب هذا ممن شهد بدرا ذكر ذلك ابن اسحق
وغيره وقال محمد المراد انه ممن شهد العقبة وذلك وهم والصحيح انه لم يشهد العقبة وقوله تعالى قل لو كنتم
فى بيوتكم الاية رد على هذه الاقوال واعلام بان اجل كل امرى انما هو واحد فمن لم يقتل فهو يموت لذلك
الاجل على الوجه الذى قدر الله تعالى به واذا قتل فهو الذى كان فى سابق الازل وقرا جمهور الناس فى بيوتكم
بضم البا وقرا بعض القرا وهى فى بعض طرق السبعة فى بيوتكم بكسر البا وقرا جمهور الناس لبرز بفتح البا والرا
على معنى صاروا فى البراز من الارض وقرا ابو حيوة لبرز بضم البا وكسر الرا مشددة وقرا جمهور
الناس عليهم القتل اى كتب عليهم فى قضا الله وتقديره وقرا الحسن والزهرى عليهم القتال
ويحتمل هذه القراة معنى الاستغنا عن المنافقين اى لو تخلفتم انتم لبرز المؤمنون الموقنون المطيعون
فى القتال المكتوب عليهم قوله تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم
بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ن اللام فى قوله تعالى وليبتلى متعلقة بفعل متاخر تقديره
وليبتلى وليمحص فعل هذه الامور الواقعة والابتلا هنا هو الاختبار والتمحيص تخليص الشى من غيره
والمعنى ليختبره فيعلمه علما مسوقا لوجوده وقد كان متقررا قبل وجود الابتلا اذ لا وذات الصدور
ما سطوى عليه من المعتقدات هذا هو المراد فى هذه الاية واختلف المتاولون فيمن المراد
بقوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان فقال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه
المراد بها جميع من تولى ذلك اليوم عن العدو وقيل على جميع انحا التولى الذى لم يكن تحرفا للقتال
واسند الطبرى رحمه الله قال خطب عمر بن الخطاب يوم الجمعه فقرا آل عمران وكان يعجبه اذا خطب
ان يقراها فلما انتهى الى قوله ان الذين تولوا قال لما كان يوم احد هزمنا ففررت حتى صعدت الجبل فلقد
رايتنى انزو كانى اروى والناس يقولون قتل محمد فقلت لا اجد احدا يقول قتل محمد الا قتلته حتى اجتمعنا
على الجبل فنزلت الاية كلها قال قتاده هذه الاية كلها فى كل من فر وتخويف الشيطان وخدعه وعفا الله
عنهم هذه الزلة قال ابن فورك لم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ثلاثة عشر رجلا ابو بكر
وعلى وطلحة وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وسايرهم من الانصار ابو طلحة وغيره وقال
المهدوى والسدى وغيره انه لما انصرف المسلمون عن حملة المشركين عليهم صعد قوم الجبل وفر اخرون
حتى اتوا المدينة فذكر الله فى هذه الاية الذين فروا الى المدينة خاصة وقال عكرمه نزلت هذه الاية فيمن فر
من المومنين فرارا كثيرا منهم رافع بن المعلى وابو حذيفة بن عتبه ورجل اخر قال ابن اسحق فر
عثمان بن عفان وعقبه بن عثمان واخوه سعد ورجلان من الانصار زرقيان حتى بلغوا الجلعب جبل
بالمدينة مما يلى الاعوص فاقاموا به ثلاثا ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد
ذهبتم فيها عريضه قال ابن زيد فلا ادرى هل عفا عن هذه الطائفة خاصة ام عن المومنين
جميعا واستزل معناه طلب منهم ان يزلوا لان ذلك هو مقتضى وسوسته وتخويفه وقوله تعالى
ببعض ما كسبوا ظاهره عند جمهور المفسرين انه كانت لهم ذنوب عاقبهم الله عليها فتمكن
الشيطان من استزلالهم وذهب الزجاج وغيره الى ان المعنى ان الشيطان ذكرهم بذنوب متقدمة
فكرهوا الموت قبل التوبة منها والاقلاع عنها قال المهدوى وما اكتسبوه من حب الغنيمة والحرص
على الحياه ويحتمل لفظ الاية ان يكون الاشارة فى قوله ببعض ما كسبوا الى هذه الفرة اى كان الشيطان
فى هذا الفعل الذى اكتسبوه استزلالهم فهو شريك فى معصيته ثم اخبر تعالى بعفوه عنهم فتاول
جمهور العلما على حط التبعه فى الدنيا والاخرة وكذلك تاوله عثمان بن عفان فى حديثه مع عبيد الله
بن عدى بن الخيار وكذلك تاوله ابن عمر فى حديثه مع الرجل العراقى وقال ابن جريج معنى الاية عفا الله عنهم
اذ لم يعاقبهم والفرار من الزحف كبيرة من الكبائر باجماع فيما علمت وعدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الموبقات مع الشرك وقتل النفس وغيرها قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ن نهى الله المؤمنين عن الكون مثل
الكفار المنافقين فى هذا المعتقد الفاسد الذى هو ان من سافر فى تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل
لو قعد فى بيته لعاش ولم يمت فى ذلك الوقت الذى عرض نفسه فيه للسفر او للقتال وهذا هو معتقد
المعتزلة فى القول بالاجلين وهو نحو منه وقوله لاخوانهم هم اخوه نسب لان قتلى احد كانوا من الانصار
اكثرهم من الخزرج ولم يكن فيهم من المهاجرين الا اربعة وصرح بهذه المقالة فيما ذكر السدى ومجاهد
وغيرهما عبد الله بن ابى المنافق واصحابه وقيل بل قالها جميع المنافقين ودخلت اذا فى هذه الاية وهى
حرف استقبال من حيث الذين اسم فيه ابهام يعم من قال فى الماضى ومن يقول فى المستقبل ومن حيث

هذه

هذه النازلة يتصور فى مستقبل الزمان وهذه فائدة وضع المستقبل موضع الماضى كما قال تعالى و
الله يدعو الى دار السلام ونحوها من الايات وكما قالت وفينا نبى يعلم ما فى غد كما قالت وضعهم الماضى
موضع المستقبل للدلالة على ثبوت الامر لان صيغة الماضى متحققة الوقوع ومن ذلك قول الشاعر
وانى لاتيكم تشكر ما مضى من الامر واستيجاب ما كان فى غد ومنه اصبحت لا احمل السلاح ولا املك
راس البعير ان نفرا والضرب فى الارض الابعاد فى السير ومنه ضرب الدهر ضرباته اذا بعدت المدة
وضرب الارض هو الذهاب فيها لحاجة الانسان خاصة بسقوط فى وقال السدى وغيره فى هذه الاية
الضرب فى الارض السير فى التجارة وقال ابن اسحق وغيره بل هو السير فى جميع طاعات الله ورسوله
والضرب فى الارض يعم القولين وغزا جمع غاز وزنه فعل بضم الفا وشد العين المفتوحة كشاهد
وشهد وقائل وقول وانشد رؤبة   فالان قد نهنهنى ينهنهى   واول حلم ليس بالمسفه
وقولهم الا ده فلا ده يريد ان لم تتب الان فلا تتوب ابدا وهو مثل معناه ان لم يكن كذا
فلا يكون كذا وقال سيبويه وغيره لا يدخل غزا الجر ولا الرفع والحب وقراءة عامة القرا
بتشديد الزا وقرا الحسن والزهرى غزا مخففة الزا ووجهه اما ان يريد غزاة فحذف الهاء
اخلادا الى لغة من يقول غزى بالتشديد وهذا الحذف كثير فى كلامهم ومنه قول الشاعر
يمدح الكسائى   ابى الذم اخلاق الكسائى وانتمى   به المجد اخلاق الابو السوابق   يريد الابوة
جمع اب كما ان العمومة جمع عم والبنوة جمع ابن وقد قالوا ابن وبنو ويحتمل قراتهما ان يكون تخفيفا للزا
من غزى ونظيره قراة على بن ابى طالب رضى الله عنه وكذبوا بآياتنا كذابا فى قول من قال انه
تخفيف وقد قيل انه مصدر جرى على غير المصدر وقرا الحسن وما قتلوا مشددة التا وقوله تعالى
ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم قال مجاهد معناه يحزنهم قوله ولا ينفعهم قال الفقيه ابو محمد
رضى الله عنه فالاشارة بذلك الى هذا المعتقد الذى لهم جعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم لان الذى
يتيقن ان كل موت وقتل فباجل سابق يجد برد الياس والتسليم لله تعالى على قلبه والذى يعتقد
ان حميمه لو قعد فى بيته لم يمت يتحسر ويتلهف وعلى هذا التاويل مشى المتاولون وهو اظهر ما
فى الاية وقال قوم الاشارة بذلك الى انتهاء المؤمنين ومخالفتهم الكافرين فى هذا المعتقد فيكون
خلافهم لهم حسرة فى قلوبهم وقال قوم الاشارة بذلك الى نفس نهى المومنين عن الكون مثل الكافرين فى
هذا المعتقد لانهم اذا راوا ان الله تعالى قد وسمهم بمعتقد وامر بخلافهم كان ذلك حسرة فى قلوبهم
ويحتمل عندى ان يكون الاشارة الى النهى والانتها معا فتامله والحسرة التلهف على الشى والغم به ثم
اخبر تعالى خبرا جزما انه الذى يحيى ويميت بقضاء حتم لا كما يعتقد هؤلاء وقرا ابن كثير وحمزه والكسائى
والله بما يعملون بالياء فهذا وعيد للمنافقين وقرا الباقون تعملون بالتاء على مخاطبة المومنين فهذا توكيد
للنهى فى قوله لا تكونوا ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله قوله تعالى ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم
لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت
فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده
وعلى الله فليتوكل المؤمنون ن اللام فى قوله ولئن هى موذنة بمجى القسم واللام فى قوله لمغفرة هى المتلقية له
للقسم والتقدير والله لمغفرة وترتب الموت قبل القتل فى قوله تعالى ما ماتوا وما قتلوا مراعاة لرتبة الضرب
فى الارض والغزو فقدم الموت الذى هو بازا المتقدم الذكر وهو الضرب وقدم القتل فى قوله تعالى
ولئن قتلتم لانه ابتداء اخبار فقدم الاشرف الاهم والمعنى ومتم فى سبيل الله فوقع اجركم على الله
ثم قدم الموت فى قوله ولئن متم او قتلتم لانها اية وعظ بالاخرة والحشر وايه تزهيد فى الدنيا والحياة
والموت المذكور هو موت على الاطلاق فى السبيل وفى المنزل وكيف كان فقدم لعمومه وانه الاغلب
فى الناس من القتل وقرا نافع وحمزه والكسائى متم بكسر الميم ومتنا ومت بالكسر فى جميع القران
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الميم فى جميع القران وروى ابو بكر عن عاصم ضم الميم فى جميع القران
وروى عنه حفص ضم الميم فى هذين الموضعين او متم ولئن متم فقط وكسر الميم حيث ما وقعت فى جميع
القران قال ابو على ضم الميم هو الاشهر الاقيس مت يموت مثل ما قلت يقول وطفت يطوف والكسر
شاذ فى القياس وان كان قد استعمل كثيرا وليس كما شذ قياسا واستعمالا كشذوذ الجدوع ونحوه
ونظير مت يموت بكسر الميم فضل يفضل بكسر الضاد فى الصحيح وانشدوا   ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر
وما مر من عمرى ذكرت وما فضل   وقوله تعالى لمغفرة من الله رفع بالابتداء ورحمة عطف على المغفرة
وخبر الابتداء والمعنى المغفرة والرحمة اللاحقة عن الموت او القتل خير مما يجمعون فجاء لفظ المغفرة
غير معرف اشارة بليغة الى ان ايسر جزء منها خير من الدنيا وانه كاف فى فوز العبد المومن ويحتمل الاية ان
يكون قوله لمغفرة اشارة الى الموت او القتل فى سبيل الله سمى ذلك مغفرة ورحمة ويرتفع المغفرة على

على خبر الابتداء المقدر وقول خير صفة لا خبر ابتداء وقرأ جمهور الناس تجمعون بالتاء على المخاطبة
وهي اشكل بالكلام وقرأ قوم منهم عاصم فما روى عنه حفص يجمعون باليا والمعنى فيما يجمع المنافقون
وغيرهم ثم ذكر تعالى الحشر اليه وانه غاية لكل احد قتل ومات وفي الاية تحقير لامر الدنيا وحض على
طلب الشهادة اي اذا كان الحشر في كلا الامرين فالمضي اليه في حال الشهادة اولى وقوله تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم معناه فبرحمة الله وما قد جرد عنها معنى النفي ودخلت للتاكيد وليست بزائدة على الاطلاق
لا معنى لها واطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملها وهي بمنزلة قوله تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم قال الزجاج البا باجماع من النحاة صلة وفيها معنى التاكيد ومعنى هذه الاية التقريع
بجميع من احل يوم احد بمركزه اي كانوا يستحقون الملام منك وان لا تلين لهم ولكن رحم الله جميعهم بك
يا محمد بان جعلك على خلق عظيم وبعثك لتتمم محاسن الاخلاق وهو بان لينك لهم وجعلك بهذه الصفات
لما علم تعالى في ذلك من صلاحهم وانك لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وتفرقوا عنك والفظ
الجافي في منطقه ومعاطفه وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب وقال
الجواري لعمر بن الخطاب انت افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفظاظة
عمر رضي الله عنه انما كانت مستعملة منه اله لعضد الحق والشدة في الدين والفظاظة الجفوة في
المعاشرة قولا وفعلا وقال الشاعر اخشى فظاظة عم او جفاء اخ وكنت احسى عليها من اذى الكلم وغلظ
القلب عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الاسفاف والرحمة ومن ذلك قول
الشاعر يبكى علينا ولا نبكي على احد لنحن اغلظ اكبادا من الابل ؛ والانفضاض افتراق الجموع ومنه
فض الخاتم وقوله تعالى فاعف عنهم تدريج بليغ وذلك بانه امره بان يعفوا عليه السلام عنهم ماله
خاصة عليهم من تبعة وحق فاذا صاروا في هذه الدرجة كانوا اهلا للاستشارة في الامور والشورى
من قواعد الشريعة وعزائم الاحكام ومن لم يستشير اهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف
فيه وقد مدح الله المؤمنين بقوله وامرهم شورى بينهم وقال النبي عليه السلام ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار وقال عليه السلام المستشار مؤتمن وصفة المستشار في امور الدنيا
الدنياوية ان يكون عاقلا مجربا وادا في المستشير والشورى بركة وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة شورى
وهي اعظم النوازل وقال الحسن والله ما تشاور قوم بينهم الا هداهم الله لافضل ما يحضر بهم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه وقد قال في غزوة بدر اسيروا على انها الناس في اليوم الذي
يكلم فيه المعداد ثم سعد بن عبادة ومشاورته عليه السلام انما هي في امور الحرب والبعوث ونحو
من اشخاص النوازل واما حلال وحرام او حد فتلك قوانين شرع ما فرطنا في الكتاب من شي وكان الاية
نزلت موسدة للمؤمنين اذ كان تعلمهم على الراي في قصد احد يقتضي ان لا يشاوروا في المستانف
وقرا ابن عباس وشاورهم في بعض الامر وقراءة الجمهور انما هي باسم الجنس الذي يقع للبعض والكل ولا محالة
ان اللفظ خاص بما ليس من تحليل وتحريم والشورى مبنية على اختلاف الاراء والمستشير ينظر
في ذلك الخلاف ويتخير فاذا ارشده الله الى ما شاء منه عزم عليه وانفذه متوكلا على الله اذ هذه
غاية الاجتهاد المطلوب منه وبهذه امر الله نبيه في هذه الاية وقرا جابر بن زيد وابو نهيك
وجعفر بن محمد وعكرمة عزمت بضم التاء سمى الله تعالى ارشاده وتسديده عزما منه وهذا في المعنى
نحو قوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله ونحو قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فجعل
الله هزيمة المشركين بحسن وتسوية وجوههم رميا اذ كان ذلك متصلا برمي محمد صلى الله عليه
وسلم بالحصا وقد قالت ام سلمة ثم عزم الله لي والتوكل على الله تعالى من فروض الايمان وفصوله
ولكنه مقترن بالحد في الطاعة والتشمير والحزامة بغاية الجهد وليس الالقا باليد وما اشبهه توكل
وانما هو كما قال عليه السلام قيدها وتوكل ثم ثبت تعالى المؤمنين بقوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم
اي فالزموا التي امركم بها ووعدكم النصر معها والخذل هو الترك في موطن الاحتياج الى التارك واصله
من خذل الضبا ولهذا قيل لها خاذل اذا تركها امها وهذا على النسب اي ذات خذل لان المتروك
هي الخاذل بمعنى مخذولة وقوله تعالى فمن ذا الذي ينصركم من بعده تقرير جوابه لا من والضمير في بعده
يحتمل العود على المكتوبة ويحتمل العوده على الخذل الذي يتضمنه قوله وان يخذلكم قوله تعالى
وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير هم درجات
عند الله والله بصير بما يعملون ؛ تقدم القول في صيغة وما كان اكد لان يكون كذا في قوله
تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم يغل بفتح اليا وضم
الغين وبها قرا ابن عباس وجماعة من العلما واللفظة بمعنى الخيانة فحققا قال بعض اللغويين
هي ماخوذة من الغلل وهو الماء الجاري في اصول الشجر والدوح قال ابو علي يقول العرب اغل الرجل يغل

اغلالا اذا خان ولم يؤد الامانة ومنه قول النمر ؛ جزى الله عني جمرة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة
كاذب ؛ وقال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان وقال ابو علي ويقول هو من الغل الذي هو
الضغن غل يغل بكسر الغين ويقولون في الغلول من الغنيمة غل يغل بضم الغين والحجة لمن قرا يغل اغاجا
من هذا النحو في التنزيل اسند فيه الفعل الى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله من شي وما
كان لنا خذ اخاه في دين الملك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم وما كان الله ليطلعكم
على الغيب ولا يكاد يجي ما كان زيد لتضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول به وفي هذا الاحتجاج
نظر وروى عن ابن عباس انه قرا يغل بضم الغين فقيل له ان ابن مسعود قرا يغل بفتح الغين
فقال ابن عباس بلى والله ويقتل واختلف المفسرون في السبب الذي اوجب ان نفى الله تعالى
عن النبي ان يكون غالا على هذه القراءة التي هي بفتح اليا وضم الغين فقال ابن عباس وعكرمة
وسعيد بن جبير وغيرهم نزلت بسبب قطيفة حمرا فقدت من الغنائم يوم بدر فقال بعض من
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله اخذها فنزلت الاية قال القاضي ابو محمد فقيل
كانت هذه المقالة من مؤمنين لم يظنوا ان في ذلك حرجا وقيل كانت من منافقين وقد روي ان المفقود
انما كان سيفا وقال النقاش ويقال انما نزلت قالوا يوم حد الغنيمة الغنيمة ايها الناس لا نخشى ان
يقول النبي عليه السلام من اخذ شيئا فهو له فلما ذكروا ذلك للنبي قال خشيتم ان يغل نبي فنزلت الاية
وقال الضحاك بل السبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث طلائع في بعض غزواته ثم غنم قبل مجيئهم
فقسم للناس ولم يقسم للطلائع فانزل الله تعالى عتابا له وما كان لنبي ان يغل اي يقسم للبعض ويترك
بعضا وروى نحو هذا القول عن ابن عباس ويتجه على هذا ان يكون الاية اعلاما بعدل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقسمه للغنائم وردا على الاعراب الذين صاحوا به اقسم علينا غنائمنا يا محمد وازدحموا
حتى اضطروه الى السمرة التي اخذت رداه ونحى اليه الزجاج وقال ابن اسحق الاية انما نزلت اعلاما بان
النبي عليه السلام لم يكتم شيئا مما امر بتبليغه قال رحمه الله وكان الاية على هذا في قصة احد لما نزلت عليه وشاورهم
في الامر الى غير ذلك مما استحسنوه بعد اساءتهم من العفو عنهم ونحوه وبالجملة فهو تاويل ضعيف
وكان يجب ان يكون ان يغل بضم اليا وكسر الغين لانه من الاغلال في الامانة واما قراءة من قرا ان يغل بضم
اليا وفتح الغين فمعناها عند جمهور العلما اي ليس لاحد ان يغله اي يخونه في الغنيمة فالاية في معنى
نهي الناس عن الغلول في المغانم والتوعد عليه وخص النبي بالذكر وان كان ذلك محظورا مع الامراء لشنعه
الحال مع النبي لان المعاصي يعظم خطرها لتعين توقيره والولاة انما هم على امر النبي عليه السلام فلهم
حظهم من التوقير وقال بعض الناس معنى ان يغل ان يوجد غالا كما يقول احمدت الرجل وجدته محمودا
فهذه القراءة على هذا التاويل يرجع الى معنى يغل بفتح اليا وضم الغين قال ابو علي الفارسي معنى يغل بضم
اليا وفتح الغين يقال له غللت وينسب الى ذلك كما يقول سقيته اذا قلت سقاك الله كما قال ذو الرمة
؛ واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه ؛ وهذا التاويل من قول للنبي صلى الله عليه وسلم
ونحوه في الكلام اكفرت الرجل اذا نسبته الى الكفر وقول عمر بن الخطاب لا اكل سمنا حتى يحيى الناس اوسا يحيون
اي يدخلون في الحيا وقوله تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة وعيد لمن يغل من الغنيمة او في زكاته فتجدها
ويمسكها فالفضيحة يوم القيمة بان ياتي على روس الاشهاد بالشي الذي غل في الدنيا وروى ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال لا اعشى رجل منكم يجي يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغا يقول يا رسول
الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد ابلغتك ثم ذكر ذلك عليه السلام في بقرة لها خوار وجمل له
رغا وفرس له حمحمة وروى نحو هذا الحديث عن ابن عباس قال النبي عليه السلام لا اعرفن احدكم ياتي يوم القيمة
يحمل شاة الحديث بطوله وروى نحوه ابو حميد الساعدي وعمر بن الخطاب وعبد الله بن اوس وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادوا الخائط والمخيط فقام رجل فجا بشراك او شراكين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شراك او شراكان من نار وقال في مدعم ان الشملة التي غل من المغانم يوم خيبر لتشتعل عليه نارا
قال رحمه الله وهذه الفضيحة التي توقع بالغال هو نظير الفضيحة التي تقع بالغادر فان ينصب له لو
اء عند استه حسب قوله عليه السلام وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما تعهده البشر ويفهمونه الا ترى
الى قول الحادرة ؛ اسمى ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في المجمع ؛ وكانت العرب ترفع للغادر
لوا وكذلك يطاف بالجاني مع جنايته وقد تقدم القول في نظير ثم توفى كل نفس وقوله تعالى افمن اتبع رضوان
الله كمن باء بسخط من الله والاية توقيف على تباين المنزلين وافتراق الحالتين والرضوان مصدر
وقرا عاصم فيما روى عنه بضم الرا وقرا جميعهم بكسرها وحكى ابو عمرو الداني عن الاعمش انه قرا بكسر
وضم الضاد وهذا كله بمعنى واحد مصدر من الرضى والمعنى اتبعوا الطاعة الكفيلة برضوان الله ففي الكلام
حذف مضاف وباء بسخط معناه مضى متحملا له والسخط صفة فعل وقد يتردد متى لحظ فيها معنى الارادة
وقال الضحاك ان هذه الاية مشيرة الى من لم يغل والى من استشهد باحد فله الرضوان والى المنافقين

الواجبين عن النبي صلى الله عليه السلام فلا السخط بها فالايتين واختلف المفسرون في قوله تعالى هم
درجات عند الله من المراد بذلك فقال ابن اسحق وغيره المراد بذلك الجمعان المذكوران اهل الرضوان
واهل السخط اى لكل صنف منهم تباين في نفسه فمنازل الجنة وفي اطباق النار وقال مجاهد و
السدى ما ظاهره ان المراد بقوله هم انما هو لمستي الرضوان اى لهم كريمة عند ربهم وفي الكلام
حذف مضاف تقديره هم ذو درجات والدرجات المنازل بعضها اعلى من بعض في المسافة او
التكرمة او في العذاب وقرا ابراهيم النخعي هم درجة بالافراد وربا في الاية وعد ووعيد قوله تعالى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين او لما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا
قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شىء قدير ن اللام في لقد لام القسم ومن في هذه الاية معناه تطول و
وتفضل وقد يقال من بمعنى كدر معروف بالذكر هى لفظ مشترك وقوله تعالى من انفسهم معناه في
الجنس واللسان والمجاورة فكونه من الجنس يوجب الانس به وقلة الاستيحاش منه وكونه بلسانهم
يوجب حسن التفهم وقرب الفهم وكونه جارا قريبا يوجب التصديق والطمانينة اذ قد
خبروه وعرفوا صدقه وامانته فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسبت قومه وكذلك الرسل
قال النقاش ليس في العرب قبيلة الا وقد ولدت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته الا بنى
تغلبه لنصرانيتهم والايات في هذه الاية يحتمل ان يراد بها القران ويحتمل ان يراد بها العلامات
والاول اظهر ويزكيهم معناه يطهرهم من الذنوب من دنس الكفر والمعاصي قال بعض المفسرين
معناه ما خذ منهم الزكاة وهذا ضعيف والكتاب القران والحكمة السنة المتعلمة منه من لسانه
وعليه عليه السلام ثم ذكرها لنهم الاولى من الضلال ليظهر الفرق بحاور الضدين وقيل لفظه
مذ لما تضمنت الاضافة فاشبهت الحروف في تضمن المعاصي فبنيت ثم وقف الله تعالى المؤمنين
على الخطا في قلقهم للمصيبة التى نزلت بهم واعراضهم عما نزل بالكفار وعرفهم ان ذلك
بسبب انفسهم والواو في قوله او لما عطف جملة على جملة دخلت عليها الف التقرير على معنى الزام
المؤمنين هذه المقالة في هذه الحالة والمصيبة التى نالت المؤمنين هى قصة احد وقيل سبعين
منهم واختلف في المثالين اللذين اصاب فقال قتادة والربيع وابن عباس وجمهور المتاولين
ذلك في يوم بدر قتل المؤمنون من كفار قريش سبعين واسروا سبعين وقال الزجاج احد
المثلين الذى هو يوم بدر قتل سبعين والثانى هو قتل اثنين وعشرين من الكفار يوم احد ولا يدخل
للاسرى في الاية هنا معنى الكلام لان اسارى بدر حين اسروا ثم فدوا فلا مماثلة بين حالهم
وبين قتل سبعين من المؤمنين وانما معنا ها كيف هو من عندهم ولاى سبب فقال جمهور المفسرين
لانهم خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الراى حين راى ان يقيم بالمدينة ويترك الكفار بشر
مجلس فابوا الا الخروج حتى جرت القصة وقالت طائفة قوله تعالى من عند انفسكم اشارة الى عصيان
الرماة وتشبيههم الهزيمة على المؤمنين وقال الحسن ابن على بن ابى طالب رضى الله عنه بل ذلك لما
قبلوا الفدا يوم بدر وذلك ان على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما فرغت هزيمة المشركين ببدر
جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ما صنع قومك في اخذهم الاسارى وقد امرك
ان تخيرهم بين امرين ان يقدموا الاسارى فتضرب اعناقهم او ياخذوا الفدا على ان تقتل من اصحابك
عدة هولاء الاسارى فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول
الله عشايرنا واخواننا بل ناخذ فداهم فنقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره
فقتل منهم يوم احد سبعون رجلا قوله تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين
وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر
يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون ن الخطاب بقوله
تعالى وما اصابكم للمؤمنين والجمعان هما عسكر النبي عليه السلام وعسكر قريش يوم احد ودخلت الفا
في قوله فباذن الله رابطة مشددة وذلك للابهام الذى في ما فاشبه الكلام الشرط وهذا كما قال سيبويه
الذى قام فله درهمان فتحسن دخول الفا اذا كان القيام سبب الاعطا وكذلك ترتيب الاية فالمعنى انما
هو وما اذن الله فيه فهو الذى اصاب لكن قدم الاهم في نفوسهم والاقرب الى حسهم والاذن
التمكين من الشىء مع العلم به وقوله تعالى وليعلم معناه ليكون العلم معه وجود المؤمنين والمنافقين
اى مساوقين للعلم الذى لم يزل ولا يزال واللام في قوله وليعلم متعلقة بفعل مقدر في اخر الكلام والاشارة
بقوله نافقوا هى الى عبد الله بن ابى واصحابه الذين انصرفوا معه عن النبي عليه السلام في يوم احد وذلك
انه كان من راى عبد الله ابن ابى ان لا يخرج الى قريش فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذى
ذكرناه قال عبد الله ابن ابى اطاعهم وعصانى وانخرك في ثلث المسلمين فمشى في اثرهم عبد الله بن عمرو بن

حدام

حدام الانصارى ابو جابر بن عبد الله فقال لهم اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا في سبيل الله او ادفعوا
ونحو هذا من القول فقال له ابن ابى ما ارى ان يكون قتال ولو علمنا ان يكون قتال لكنا معكم فلما ايس منهم
عبد الله قال اذهبوا اعداء الله فسيغنى الله ومضى مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستشهد واختلف الناس في معنى
قوله او ادفعوا فقال السدى وابن جريج وغيرهما معناه كثروا السواد وان لم تقاتلوا فيندفع القوم لكثرتكم
وقال ابو عون الانصارى معناه رابطوا وهذا قريب من الاول ولا محالة ان المرابط يدافع لانه لولا مكان المرابطين
في الثغور لجاءها العدو والمكثر للسواد مدافع وقال انس بن مالك رايت يوم القادسية عبد الله بن
ام مكتوم الاعمى وعليه درع يجر اطرافها وبيده راية سودا فقيل له اليس انزل عذرك قال بلى ولكنى
اكثر المسلمين بنفسى وروى انه قال فكيف بسوادى في سبيل الله وذهب بعض المفسرين الى ان قول
عبد الله بن عمرو او ادفعوا انما هو استدعاء القتال حمية لانه دعاهم الى القتال في سبيل الله وهى ان يكون
كلمة الله هى العليا فلما راى انهم ليسوا على ذلك اعرض عليهم الوجه الذى يحشمهم ويبعث الانفة
اى قاتلوا دفاعا عن الحوزة الا ترى ان قزمان قال والله ما قاتلت الا على احساب قومى والا ترى ان بعض
الانصار قال يوم احد لما راى قريشا قد ارسلت الظهر في زروع قناة ارعى زروع بنى قيلة ولما تضارب
وكان النبي عليه السلام قد امر ان لا يقاتل احد حتى يامره بالقتال وكان عبد الله بن عمرو بن حرام دعاهم
الى هذا المقطع العربى الخارج عن الدين والقتال في سبيل الله وذهب جمهور المفسرين الى ان قوله اقرب ماخوذ
من القرب ضد البعد وسدت اللام في قوله للكفر والايمان مسد الى وحكى النقاش ان قوله اقرب ماخوذ
من القرب بفتح القاف والراء وهو المطلب والتقارب طالب وليلة القرب ليلة الورد فاللفظة
بمعنى اطلب واللام متمكنة على القول وقوله بافواههم تاكيد مثل يطير بجناحيه وقوله ما ليس في قلوبهم
يريد ما يظهرون من الكلمة الحاقنة لدمائهم ثم فضحهم بقوله تعالى والله اعلم بما يكتمون اى من
الكفر وعداوة الدين وفي الكلام توعد لهم قوله تعالى الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا
ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ن الذين بدل من الذين المتقدم و
اخوانهم المقبولون من الخزرج وهى اخوة نسب ومجاورة وقوله لاخوانهم معناه لاجل اخوانهم وفي شان
اخوانهم ويحتمل ان يكون قوله لاخوانهم الاحياء المنافقين ويكون الضمير في اطاعونا هو للمقتولين و قوله
وقعدوا جملة في موضع الحال وهى حال معترضة اثناء الكلام وقوله لو اطاعونا يريد في ان لا يخرجوا الى قريش وقرا
الحسن ما قتلوا وهذا هو القول بالاجلين فرد الله عليهم بقوله قل فادرءوا الاية والدرء الدفع ومنه قول
دغفل النسابة صادف درء السيل درء يدفعه والعب لا تعرفه او يرفعه ولزوم هذه الحجة هو انكم
ايها العاملون ان التوقى واستعمال النظر يدفع الموت فتوقوا وانظروا في الذى يغشاكم منه خيف او نكم
فادفعوه ان كان قولكم صدقا انما هى اجال محصورة عند الله وقرا جمهور القرا ولا تحسبن بالتاء مخاطبة للنبي
عليه السلام وقرا حميد بن قيس بالياء على ذكر الغائب ورويت عن ابن عباس رواها عنه ابو عمرو وكان الفا
على مقدر ولا يحسبن احد او حاسب وارى هذه القراة بضم الياء فالمعنى ولا يحسب الناس ويحسبن معناه
يظن وقرا الحسن الذين قتلوا بضم الياء وابن عامر من السبعة وروى عن عاصم انه قرا الذين قاتلوا بالف بين
القاف والتاء واخبر الله تعالى عن الشهداء في هذه الاية انهم في الجنة يرزقون هذا موضع الفائدة ولا محالة
انهم ماتوا وان اجسادهم في التراب وارواحهم حية كارواح سائر المومنين وفضلوا بالرزق في الجنة
من وقت القتل حتى كان حياة الدنيا دائمة لهم وقال الحسن ما زال ابن ادم يتجهد حتى صار حيا لا يموت بالشهادة
بالشهادة في سبيل الله فقوله بل احياء مقدمة لقوله يرزقون اذ لا يرزق الا حى وهذا كما يقول لمن ذم رجلا
بل هو رجل فاضل فيجيء باسم الجنس الذى يركب عليه الوصف بالفضل وقرا جمهور الناس بل احياء بالرفع
على خبر ابتداء مضمر اى بل هم احياء وقرا ابن ابى عبلة احياء بالنصب قال الزجاج ويجوز النصب على معنى
بل احسبهم احياء قال ابو على في الاعفال ذلك لا يجوز لان الامر يقين فلا يجوز ان يؤمر فيه بمحسبة ولا يجوز
ان يضمر له الا فعل المحسبة فوجه قراءة ابن ابى عبلة ان يضمر فعلا غير المحسبة اعتقدهم او اجعلهم وذلك ضعيف
اذ لا دلالة في الكلام على ما يضمر وقوله عند ربهم فيه حذف مضاف تقديره عند كرامة ربهم لان عند يقتضى
غاية القرب ولذلك تصغر قال سيبويه وورد عن النبي عليه السلام انه قال ارواح الشهداء على باب الجنة يقال له بارق
يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا وروى عنه عليه السلام انه قال ارواح الشهداء في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها قال القاضى ابو محمد وهولاء طبقات واحوال مختلفة يجمعها انهم
يرزقون وقال عليه السلام انما نسمة المومن طائر يعلق في ثمار الجنة ويروى يعلق بفتح الياء واللام والحديث
معناه في الشهداء خاصة لان ارواح المومنين غير الشهداء انما ترى مقاعدها من الجنة دون ان
يدخلها وايضا فانها لا ترزق ويعلق معناه نصيب العلقة من الطعام وفتح اللام هو من العلق وقد
رواه الفرا في اصابة العلقة وروى عن النبي عليه السلام انه قال ان الله تعالى يطلع الى الشهداء فيقول

يا عبادى ما تشتهون فازيدكم فيقولون يا ربنا ما فوق ما اعطيتنا هذه الجنة ناكل منها حيث نشاء
لكنا نريد ان نرد ما الى الدنيا فنقاتل فى سبيلك فنقتل مرة اخرى فيقول تعالى قد سبق انكم لا تردون
وروى ان النبى عليه السلام قال لجابر بن عبد الله الا ابشرك يا جابر قال جابر قلت بلى يا رسول
الله قال ان اباك حيث اصيب باحد احياه الله ثم قال له ما تحب يا عبد الله بن عمرو ان افعل
بك قال يا رب احب ان تردنى الى الدنيا فاقاتل فيك فاقتل مرة اخرى وقال قتادة رحمه الله ذكر
لنا ان رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ليتنا نعلم ما فعل اخواننا فانزل الله
تعالى هذه الاية وقال محمد بن قيس بن مخرمة فى حديث الشهداء قالوا يا ربنا الا رسول يخبر عنا
نبينا بما اعطيتنا فقال الله تعالى انا رسولكم فنزل جبريل بهذه الايات وكثرت هذه الاحاديث
فى هذا المعنى وتختلف الروايات وجميع ذلك على ما اقتضته من هذه المعانى وقوله تعالى فرحين
نصب فى موضع الحال وهو من الفرح بمعنى السرور والفضل فى هذه الاية النعيم المذكور قوله تعالى
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون
بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما
اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم ن يستبشرون معناه يسرون و
يفرحون وليست استفعل فى هذا الموضع بمعنى طلب البشارة بل هى بمعنى استغنى الله وذهب قتادة
والربيع وابن جريج وغيرهم الى ان هذا الاستبشار انما هو انهم يقولون اخواننا الذين تركناهم خلفنا
فى الدنيا يقاتلون فى سبيل الله مع نبيهم فيستشهدون فينالون الكرامة مثل ما نحن فيه فيسرون لهم
بذلك اذ يحصلون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وذهب فريق من العلماء واشار اليه الزجاج وابن
فورك الى ان الاشارة فى قوله بالذين لم يلحقوا الجميع المؤمنين اى لم يلحقوا بهم فى فضل الشهادة لكن
الشهداء لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بان دين الله الاسلام هو الحق الذى بعث الله عليه
فهم فرحون لانفسهم بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون للمؤمنين بانهم لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وان لا مفعول من اجله التقدير بان لا خوف ولا هم ويجوز ان يكون فى موضع خفض
بدل اشتمال ثم اكد تعالى استبشارهم بقوله يستبشرون بنعمة ثم بين تعالى بقوله وفضل فوقع
ادخالا باهم الجنة الذى هو فضل منه لا بعمل احد واما النعمة فى الجنة والدرجات فقد اخبر انها
على قدر الاعمال وقرا الكسائى وجماعة من اهل العلم وان الله بكسر الالف من ان وقرا باقى السبعة
وجمهور العلماء وان الله بفتح الالف فمن قرا بالفتح فذلك داخل فيما يستبشر به المعنى بنعمة و
بان الله ومن قرا بالكسر فهو اخبار مستانف وقرا عبد الله وفضل والله لا يضيع وقوله تعالى الذين
استجابوا يحتمل ان يكون الذين صفة للمؤمنين على قراءة من كسر الالف من ان والاظهر ان الذين ابتداء
وخبره فى قوله تعالى للذين احسنوا الاية فهذه الجملة هى خبر الابتداء الاول والمستجيبون لله والرسول
هم الذين خرجوا مع النبى عليه السلام الى حمراء الاسد فى طلب قريش والتطاهر لهم وذلك انه لما كان يوم
الاحد وهو الثانى من يوم احد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس باتباع المشركين وقال لا
يخرجن معنا الا من شاهدنا بالامس وكان بالناس جراحة وقرح عظيم لكن تجلدوا ونهض معه مائتا رجل
من المؤمنين حتى بلغ حمراء الاسد وهى على ثمانية اميال من المدينة فاقام بها ثلثة ايام وجرت قصة معبد ابن
ابى معبد التى ذكرناها ومرت قريش فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فى شان
اولئك المستجيبين هذه الاية ومدحهم لصبرهم وروى انه خرج فى الناس اخوان من بهما جراحة شديدة
وكان احدهما قد ضعف فكان اخوه يحمله عقبة ويمشى هو عقبة ورغب جابر بن عبد الله الى النبى عليه السلام
فى الخروج معه فاذن له واخبرهم ان الاجر العظيم قد تحصل لهم بهذه الفعلة وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انها غزوة قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو
فضل عظيم ن الذين صفة للمحسنين المذكورين وهذا القول هو الذى قاله الركب من عبد القيس
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حين حملهم ابو سفيان ذلك وقد ذكرته قبل فالناس الاول
ركب العبديين والناس الثانى ركب قريش وقوله تعالى فزادهم ايمانا اى ثبوتا واستعدادا فزيادة
الايمان على هذا هى فى الاعمال واطلق العلماء عبارة ان الايمان الذى هو تصديق واحد شئ ايمانا انما هو
معنى فرد لا يدخله زيادة اذا حصل ولا يبقى منه شئ اذا زال فلم يبق الا ان يكون الزيادة والنقص فى متعلقاته
دون ذاته فذهب بعض العلماء الى انه يقال يزيد وينقص من حيث يزيد الاعمال الصادرة عنه وينقص
لا سيما ان كثيرا من العلماء يوقعون اسم الايمان على الطاعات وذهب قوم الى ان الزيادة فى الايمان
انما هى بنزول الفروض والاخبار فى مدة النبى عليه السلام وفى المعرفة بها بعد الجهل غابر الدهر
وهذا انما هو زيادة ايمان الى ايمان والقول فيه اذا الايمان يزيد قول مجازى ولا يتصور النقص فيه على هذا

الحد

الحد وانما يتصور بالاضافة الى من علم وذهب قوم من العلماء الى ان زيادة الايمان ونقصه انما هى من طريق
الادلة فتزيد الادلة عند واحد فيقال فى ذلك انها زيادة فى الايمان وهذا كما يقال فى الكسوة انها
زيادة فى الانسان وذهب ابو المعالى فى الارشاد الى ان زيادة الايمان ونقصانه انما هو بسبب ثبوت العبد
وتعاوره اسا قال وذلك ان الايمان عرض وهو لا يثبت زمانين فهو للنبى صلى الله عليه وسلم متعاقب
متوالى وللفاسق والغافل غير متوالى تصحبه حينا ويفارقه حينا فى العمر فذلك الاجر اكثر ايمانا فهذه هى الزيادة
والنقص وعندى ان فى هذا القول نظر وقوله تعالى فزادهم ايمانا لا يتصور ان يكون من جهة الادلة ويتصور
فى الاية الجهات الاخر الثلث وروى انه لما اخبر الوفد من عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حملهم
ابو سفيان وبانه منصرف اليهم بالناس ليستاصلهم واخبر بذلك ايضا رجل اعرابى شق ذلك على
المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل فقالوها واستمرت عزائمهم
على الصبر ودفع الله عنهم كل سوء والقى الرعب فى قلوب الكفار فمروا وقوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله الاية
يريد فى السلامة والظهور فى اتباع العدو وحماية الحوزة وبفضل فى الاجر الذى حازوه والفخر الذى تخللوه
وما فى الاية بين قد مضت نظائره وهذا تفسير الجمهور لهذه الاية وانها فى غزوة احد فى الخرجة الى حمراء الاسد
وشذ مجاهد رحمه الله فقال ان هذه الاية نزلت فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر الصغرى وذلك انه لما
خرج لميعاد ابى سفيان فى احد اذ قال موعدنا بدر من العام المقبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولوا نعم
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر وكان بها سوق عظيم فاعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه دراهم وقرب من بدر فجاءه نعيم بن مسعود الاشجعى فاخبره ان قريشا قد اجتمعت
واقبلت لحربه هى ومن انضاف اليها فاشفق المسلمون من ذلك لكنهم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وصمموا
حتى اتوا بدرا فلم يجدوا عدوا ووجدوا السوق فاشتروا بدراهمهم ادما وتجارة وانقلبوا ولم يلقوا
كيدا وربحوا فى تجارتهم وذلك قوله تعالى بنعمة وفضل اى فضل فى تلك التجارة والصواب ما قاله الجمهور
ان هذه الاية نزلت فى غزوة حمراء الاسد وما قال ابن قتيبة من ان لفظ الناس يقع على رجل واحد فقول
ضعيف قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا
يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الاخرة ولهم
عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ن مقتضى انما فى
اللغة للحصر هذا شرع المتكلم بها من الغدات فاذا نظر مقتضاها عقلا وهذا هو نظر الاصوليين
فهى تصلح للحصر والتاكيد الذى يستعار له لفظ الحصر وهى هنا فى الاية حاصرة والاشارة بذلكم الى جميع
ما جرى من اخبار الركب العبديين عن رسالة ابى سفيان ومن تحمل ابى سفيان ذلك الكلام ومن جزع من
ذلك الخبر من مؤمن او متردد وذلكم فى الاعراب ابتداء والشيطان مبتداء اخر ويخوف اولياءه خبر عن
الشيطان والجملة خبر الابتداء الاول وهذا الاعراب خير فى تناسق المعنى من ان يكون الشيطان خبر ذلكم
لانه يجى فى المعنى استعارة بعيدة ويخوف فعل يتعدى الى مفعولين لكن يجوز الاقتصار على احدهما اذ الاخر
مفهوم من بنية الفعل لانك اذا قلت خوفت زيدا فمعلوم انك انما خوفته شيا حقه ان يخاف وقرا
جمهور الناس يخوف اولياءه فقال قوم المعنى يخوفكم ايها المؤمنون اولياءه الذين هم كفار قريش فحذف المفعول
الاول وقال قوم المعنى يخوف المنافقين ومن فى قلبه مرض وهم اولياؤه فاذا لا يعمل فيكم ايها المؤمنون تخويفه
اذ لستم باوليائه والمعنى يخوفهم كفار قريش فحذف هذا المفعول الثانى واقتصر على الاول وقرا ابن عباس
فيما حكى ابو عمرو الدانى يخوفكم اولياءه المعنى يخوفكم قريش ومن معهم وذلك باضلال الشيطان لهم وذلك
كله مضمحل وبذلك قرا النخعى وحكى ابو الفتح بن جنى عن ابن عباس انه قرا يخوفكم اولياءه فهذه قراءة ظهر فيها المفعول
فيها المفعولان وفسرت قراءة الجماعة يخوف اولياءه وفى قراءة ابى بن كعب يخوفكم باوليائه والضمير فى قوله
تعالى فلا تخافوهم لكفار قريش وغيرهم من اولياء الشيطان حقر الله شانهم وقوى نفوس المؤمنين
عليهم وامرهم بخوفه هو تعالى وامتثال امره من الصبر والجلد ثم قرر بقوله تعالى ان كنتم مؤمنين
كما يقول ان كنت رجلا فافعل كذا وقرا نافع وحده يحزنك بضم الياء من احزن وكذلك قرا فى جميع القران
الا فى سورة الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وقرا الباقون يحزنك بفتح الياء من قولك حزنت الرجل
قال سيبويه يقال حزن الرجل وفتن اذا اصابه الحزن والفتنه وحزنته وفتنته اذا جعلت فيه وعنده
حزنا وفتنة كما تقول ذهبت وكحلت اذا جعلت ذهنا وكحلا واحزنته وافتنته اذا جعلته حزينا
وفاتنا كما تقول ادخلته واسمعته هذا معنى قول سيبويه والمسارعة فى الكفر هى المبادرة الى اقواله
وافعاله والجد فى ذلك وقرا الحسن النحوى يسرعون فى كل القران وقراءة الجماعة ابلغ لان من يسارع غيره
اشد اجتهادا من الذى يسرع وحده ولذلك قالوا كل مجر بالخلاء يسر وسلى الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بهذه الاية عن حال المنافقين والمجاهدين اذ كلهم مسارع وفى قوله تعالى
انهم لن يضروا الله شيئا خبر فى ضمنه وعيد لهم انما يضرون انفسهم والحظ اذا لم يقيد

فانما يستعمل فى الخبر الاترى الى قوله تعالى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وقوله تعالى ان الذين اشتروا
اطلق عليهم الشرا من حيث كانوا متمكنين من قبول هذا وهذا انحا اخذهم للواحد وتركهم الاخر
كانه ترك لما قد اخذ وحصل اذ كانوا متمكنين منه ولمالك رحمه الله متعلق بهذه الاية فى مسئلة شرا
ما يختلف احاد جنسه فلا يجوز التفاضل فيه فان منع الشرا على ان يختار المبتاع وباقى الاية
وعيد كالمتقدم قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم
ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشا فامنوا بالله ورسله
وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ن نملى معناه نمهل ونمد فى العمر والملاوة المده لمن الدهر
والملوان الليل والنهار تقول ملاك الله نعمته اى متعك بها عمرا طويلا وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع
يحسبن باليا من اسفل وكسر السين وفتح البا وقرا ابن عامر كذلك الا فى السين فانه فتحها وقرا حمزه
تحسبن بالتا من فوق وفتح السين وقرا عاصم والكسائى كلما فى السورة بالتا من فوق الا حرفين قوله
ولا يحسبن الذين كفروا فى هذه الاية وبعدها ولا يحسبن الذين يبخلون فاما من قرا ولا يحسبن باليا
من اسفل فان الذين فاعل وقوله انما نملى لهم خير بفتح الالف من انما ساد مسد المفعولين حسب و
ذلك ان حسبت وما جرا مجراها يتعدى الى مفعولين او الى مفعول يسد مسد مفعولين وذلك اذا
جا فى صلته ما يتعدى اليه ذكر الحديث والمحدث قال ابو على وكسران فى قول من قرا ولا يحسبن باليا وقد
قرى فيما حكاه غير احمد بن موسى فى غير السبعة ووجه ذلك ان يتلقاها القسم كما يتلقى بلام الابتداء
ويدخلان على الابتداء والخبر اعنى اللام وان يعلق عن اعمال الحسبان كما يعلق عن اللام فى قولك لزيد
قائم فيعلق الفعل عن العمل لفظا واما بالمعنى فما بعد ان واللام ففى موضع مفعول حسبت وما
يحتمل ان يكون بمعنى الذى ففى نملى عايد ممسك ويحتمل ان يكون مصدرية فلا يحتاج الى تقدير عايد واما من
قرا ولا تحسبن باليا فالذين مفعول والمحسبان قال ابو على وينبغى ان يكون الالف من انما مكسورة فى هذه
القراة ويكون ان وما دخلت عليه فى موضع المفعول الثانى لتحسبن ولا يجوز فتح الالف من انما لانها
لا يكون للمفعول الثانى والمفعول الثانى فى هذا الباب هو المفعول الاول بالمعنى والاملا لا يكون اياهم
قال مكى فى مشكله ما علمت احدا قرا باليا وانما فتح الالف وظاهر كلامه انها ينصب خبرا قال وقد قرا
بها خلق كثير وشاهدها مثلا قول الشاعر فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
تهدما نصب هلك الثانى على ان الاول بدل وكذلك يكون انما بدلا من الذين كفروا القول نعله
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتكون
خبر المفعول الثانى قال ابو على لم يقرا هذه القراة احد وقد سالت احمد بن موسى عنها فزعم انه
لم يقرا بها احد ويظهر من كلام ابى على ان ابا اسحق انما جوز المسئلة مع قراءة خير بالرفع
وابو على اعلم لمشاهدته وذكر قوم ان هذه القراة يجوز على حذف مضاف تقديره لا تحسبن
شان الذين كفروا انما نملى لهم فهذا كقوله تعالى واسل القرية وغير ذلك ومذهب الاستاذ
ابو الحسن ابن الباذش الى انها يجوز على بدل ان من الذين وحذف المفعول الثانى لحسبت اذ الكلام
يدل عليه قال رحمه الله والمسئلة جائزة اذ المعنى لا تحسبن املانا للذين كفروا خيرا لهم
او نحو هذا ومعنى هذه الاية الرد على الكفار فى قولهم ان كوننا ظاهرين مموّلين اصحا دليل على
رضى الله عنا واستقامة طريقنا عنده فاخبر الله تعالى ان ذلك التاخير والامهال انما هو
املا واستدراج ليكسبوا الاثام وقال عبد الله بن مسعود ما من نفس برة او فاجرة الا والموت
خير لها اما البرة فلتسرع الى رحمة الله وقرا وما عند الله خير للابرار واما الفاجرة فليلا
يزدادوا اثما وقرا هذه الاية ووصف العذاب بالمهين معناه التخسيس لهم فقد يعذب من
لا يهان وذلك اذا اعتقدت اقالة عثرته يوما واختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى ما كان الله
ليذر المؤمنين الاية قال مجاهد وابن جريج وابن اسحق وغيرهم الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان
الله ليدع المؤمنين مختلطين بالمنافقين مشكلا امرهم يجرى المنافق مجرى المؤمن ولكنه ميز
بعضهم من بعض بما ظهر من هاؤلاء وهاؤلاء فى احد من الافعال والاقوال وقال قتادة والسدى
الخطاب للكفار والمعنى حتى يميز المؤمنين من الكافرين بالايمان والهجرة قال السدى وغيره قال
الكفار فى بعض جدلهم انتم تزعمون ان الرجل منا انه من اهل النار وانه اذا اتبعك من اهل
الجنة فكيف يصح هذا ولكن اخبرنا بمن يؤمن منا وبمن يبقى على كفره فنزلت الاية فقيل لهم لا بد من
التمييز وما كان الله ليطلعكم على الغيب فيمن يؤمن ولا فيمن لا يؤمن يبقى كافرا ولكن هذا رسول
مجتبى فامنوا بالله فان امنتم نجوتم وكان لكم اجر واما مجاهد وابن جريج فقولهم فى تاويل قوله
تعالى وما كان ليطلعكم على الغيب انه فى امر احد اى ما كان الله ليطلعكم على انكم تهزمون

فكنتم

فكنتم تكفرون ونحو هذا ايضا ما كان الله ليطلعكم على المنافقين تصريحا بهم وتسمية لهم ولكن هذا بقراين
افعالهم واقوالهم فى مثل هذا الموطن وحتى فى قوله حتى يميز غاية مجرده لان الكلام قبلها معناه الله
مخلص ما بينكم بابتلائه وامتحانه حتى يميز وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم حتى يميز بفتح
اليا وكسر الميم وتخفيف اليا وكذلك ليميز وقرا حمزه والكسائى حتى يميز وليميز بضم اليا والتشديد
قال يعقوب ابن السكيت مزت وميزت لغتان بمعنى واحد قال ابو على وليس ميزت بمنقول من مزت
بدليل ان ميزت لا يتعدى الى مفعولين وانما يتعدى الى واحد كمزت كما ان الغيب ليس بمنقول من لغى
انما هو بمعنى اسقطت والغيب هنا ما غاب عن البشر مما هو فى علم الله من الحوادث التى تحدث ومن الاسرار
التى فى قلوب المنافقين ومن الاقوال التى يقولونها اذا غابوا عن الناس قال الزجاج وغيره روى ان بعض الكفار
قال لم لا يكون جميعنا انبيا فنزلت هذه الاية ويجتبى معناه يختار ويصطفى وهى من جبيت الما والمال
وباقى الاية بين والله المستعان قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض
والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا سنكتب ما قالوا وقتلهم
الانبيا بغير حق ن القراة فى قوله تعالى ولا يحسبن كالتى تقدمت انفا فى قوله ولا تحسبن الذين
كفروا وقال السدى وجماعة من المتاولين الاية نزلت فى البخل بالمال والانفاق فى سبيل الله وادا الزكوة
واذا الزكوة المفروضة ونحو ذلك قالوا ومعنى سيطوقون ما بخلوا هو الذى ورد فى الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ذى رحم ياتى ذا رحمه فيساله من فضل عنده فيبخل عليه الا اخرج
عليه الا اخرج له يوم القيمة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه والاحاديث فى مثل هذا كثيرة من منع
الزكوة واكتناز المال صحيحة وقال ابن عباس الاية نزلت فى اهل الكتاب وبخلهم ببيان ما
علمهم الله من امر محمد عليه السلام وقال ذلك مجاهد وجماعة من اهل التفسير وقوله تعالى
سيطوقون على هذا التاويل سيحملون عقاب ما بخلوا به فهو من الطاقة كما قال تعالى وعلى الذين
يطيقونه وليس من التطويق وقال ابراهيم النخعى معناه سيجعل لهم يوم القيمة طوق من نار وهذا
يجرى مع التاويل الاول الذى ذكرته للسدى وغيره وقال مجاهد معنى سيطوقون سيكلفون
ان ياتوا بمثل ما بخلوا به يوم القيمة وهذا يضطرب مع قوله ان البخل هو العلم الذى بفضل الله به
عليهم بان علمهم اياه واعراب قوله تعالى الذين يبخلون رفع فى قراة من قرا يحسبن باليا والمفعول
الاول مقدر بعد الصلة تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا والمفعول الثانى خيرا و
هو فاصلة وهى العماد عند الكوفيين ودل قوله تعالى يبخلون على هذا البخل المقدر كما دل السفيه على
السفه فى قول الشاعر اذا نهى السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف فالمعنى جرى الى السفه
واما من قرا تحسبن بالتا من فوق ففى الكلام حذف مضاف هو المفعول الاول تقديره ولا تحسبن
يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم قال الزجاج وهى مثل واسل القرية وقوله تعالى ولله ميراث خطاب
على ما يفهمه البشر دال على فنا الجميع وانه لا يبقى مالك الا الله تعالى وان كان مالكه على كل شى لم يزل
وقرا ابن كثير وابو عمرو والله بما يعملون بالتا من فوق وذلك على الرجوع من الغيبة الى المخاطبة لانه
قد تقدم وان تؤمنوا وتتقوا وقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين الاية قال ابن عباس نزلت بسبب
فنحاص اليهودى وذلك ان رسول الله بعث ابا بكر الصديق الى بيت المدارس ليدعوهم فوجد فيه جماعة
من اليهود قد اجتمعوا على فنحاص وهو حبرهم فقال له ابو بكر يا فنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم
ان محمدا رسول الله قد جاكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة فقال فنحاص والله
يا ابا بكر ما بنا الى الله من حاجة وانه الينا لفقير وانا عنه لاغنياء ولو كان غنيا لم يستقرض اموالنا
كما يزعم صاحبكم فى كلام طويل غضب منه ابو بكر فرفع يده فلطم وجه فنحاص وسبه وهم بقتله ثم منعه
من ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لا تحدث شيئا حتى تنصرف الى ثم ذهب فنحاص الى النبى صلى
الله عليه وسلم فشكا فعل ابى بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت فنزلت الاية فى
ذلك وقال قتادة نزلت فى حيى بن اخطب وذلك انه لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال
يستقرضنا ربنا فيستقرض الفقير الغنى وقال الحسن وقتادة ومعمر وغيرهم لما نزلت من ذا الذى
يقرض الله قالت اليهود انما يستقرض الفقير من الغنى ولا محالة ان هذا قول صدر اولا عن فنحاص
وحيى واشباههما من الاحبار ثم تقاولها اليهود وهو قول يغلط به الاتباع ومن لا علم
له بمقاصد الكلام وهذا تحريف اليهود بالتاويل على نحو ما صنعوا فى توراتهم وقوله تعالى
الذين قالوا دال على انهم جماعة قوله تعالى سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبيا بغير حق
ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله
عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار ن قرا حمزه وحده سيكتب ما قالوا

باليا من اسفل على بناء الفعل للمفعول وقتلهم برفع اللام عطفا على المفعول الذى لم يسم فاعله
ويقول باليا من اسفل و قرا الباقون سنكتب بنون الجمع فاما انها نون العظمة واما هى للملائكة
وما على هذه القراة مفعول به وقتلهم بنصب اللام عطفا على ما و نقول بالنون على نحو ما
سنكتب والمعنى فى هاتين القراتين قريب بعضه من بعض قال الكسائى و فى قراة عبد الله بن
مسعود ويقال ذوقوا عذاب الحريق و قال ابو معاذ النحوى فى حرف ابن مسعود سنكتب ما
يقولون ويقال لهم ذوقوا عذاب الحريق و قرا طلحة بن مصرف ستكتب ما يقولون وحكى ابو
عمرو عنه ايضا انه قرا ستكتب بتاء مرفوعة ما قالوا بمعنى مقالتهم وهذه الاية وعيد لهم
اى سيحصى عليهم قولهم والكتب فيما قال كثير من العلماء هو صحف تعده الملائكة فيها وتلك
الصحف المكتوبة هى التى يوزن فيها يخلق الله الثقل والخفة بحسب العمل المكتوب فيها و ذهب
قوم الى ان الكتب عبارة عن الاحصا وعدم الاهمال فعبر عن ذلك بما يفهم العرب منه غاية الضبط
والتقييد فمعنى الاية ان اقوال هؤلاء تكتب واعمالهم ويتصل ذلك بافعال ابائهم من قتل الانبيا
بغير حق ونحوه ثم يقال لجميعهم ذوقوا عذاب الحريق وحلطت الاية الاباء مع الابناء فى الضماير
اذ الاباء هم الذين طرقوا لابنائهم الكفر واذ الابناء راضون بافعال الاباء متبعون لهم و الذوق
مع العذاب مستعار عبارة عن المباشرة اذ الذوق من ابلغ انواعها وحاسته مميزة جدا
والحريق معناه المحرق فعل بمعنى مفعل وقيل الحريق طبقة من طبقات جهنم وقوله تعالى ذلك بما قدمت
ايديكم توبيخ وتوقيف داخل فيما يقال لهم يوم القيمة ويحتمل ان يكون خطابا لمعاصرى النبى صلى
الله عليه وسلم يوم نزول الاية ونسب هنا التقديم الى اليد اذ هى الكاسبة للاعمال فى غالب امر
الانسان فاضيف كل كسب اليها ثم بين تعالى انه يفعل هذا بعدل منه فيهم و وضع الشى
موضعه والتقدير بان الله ليس بظلام وجمع عبد فى هذه الاية على عبيد لانه مكان تشفيق وتحنن
من ظلم وقوله تعالى الذين قالوا صفة راجع الى الذين قالوا ان الله فقير وقال الزجاج الذين صفة
للعبيد وهذا مفسد للمعنى والوصف وهذه المقالة قالتها احبار يهود يدافع لامر النبى
صلى الله عليه وسلم اى انك انت لا تاتى بنار فنحن قد عهد الينا ان لا نؤمن لك وعهد معناه
امر والعهد اخص من الامر وذلك انه فى كل ما يتطاول امره ويبقى فى غابر الزمان وبعد كان فى هذه
الاية باللام والبا فى ضمن ذلك وقربان مصدر سمى به الشى كالرهن وكان امر القربان حكما
فدعا فى الانبيا الاولى ان ابنى ادم قربا قربانا وذلك انهم كانوا اذا ارادوا معرفة قبول الله تعالى
لصدقة انسان او عمله او صدق قوله قرب قربانا شاة او بقرة ذبيحة او بعض ذلك وجعل فى مكان
هوا وانتظر به ساعة فينزل نار من السماء فتحرق ذلك الشى فهذه علامة القبول واذا لم ينزل النار
فليس ذلك العمل بمقبول ثم كان هذا الحكم فى انبيا بنى اسرائيل وكانت هذه النار ايضا تنزل لاموال
الغنايم فتحرقها حتى احلت الغنايم لمحمد عليه السلام و روى عن عيسى بن عمر انه كان يقرا بقربان
بضم الرا وذلك على الاتباع لضمة القاف وليست بلغة لانه ليس فى الكلام فعلان بضم الفا والعين
وقد حكى سيبويه السلطان بضم اللام وقال ان ذلك على الاتباع قوله تعالى قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات
وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات
والزبر والكتاب المنير هذا رد عليهم فى مقالتهم وتبيين ما قلتم فى امر القربان فلم قتلتموهم
يا بنى اسرائيل المعنى بل هذا منكم تعلل وتعنت ولو اتيتكم بالقربان لتعللتم بغير ذلك والاقتراح
لا غاية له ولا يجاب كل مقترح ولم يجب الله مقترحا الا وقد اراد تعذيبه وان لا تمهله كقوم صالح و
غيرهم وكذلك قيل لمحمد فى اقتراح قريش فابى وقال بل ادعوهم واعالجهم ثم انس تعالى نبيه بالاسوة
والقدوة فيمن تقدم من الانبياء اى فلا تعظم عليك ذلك و قرا ابن عامر وبالزبر باعادة الجر
وسقوطها على قراة الجمهور متجهة لان الواو شركت الزبر فى البا الاولى فاستغنى عن اعادة
البا واعادتها ايضا متجهة لمعنى التاكيد وكذلك ثبت فى مصاحف اهل الشام و روى ايضا
عن ابن عامر اعادة البا فى قوله وبالكتاب المنير والزبر الكتاب المكتوب يقال زبرت الكتاب
اذا كتبته وزبرته اذا قراته والشاهد لانه الكتاب قول امرئ القيس لمن طلل ابصرته
فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى وقال الزجاج زبرت كتبت وذبرت قرات بالدال والمنير
وزنه مفعل من النور اى سطع نوره قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم
يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
هذا خبر واعظ فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن امر الدنيا واهلها ووعد بالفلاح
فى الاخرة فالفكرة فى الموت تهون امر الكفار وتكذيبهم والمعنى كل نفس مخلوقة حية و الذوق
استعارة وانما حاصره على التوفية التى هى الكمال لانه من قضى له بالجنة فهو ما لم يدخلها غير

موفى وخص تعالى ذكر الاجور لشرفها واشارة الى مغفرة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولامته
ولا محالة ان يوم القيمة يقع توفية الاجور وتوفية العقوبات وزحزح معناه ابعد والمكان
الزحزح البعيد وفاز معناه نجا من خطره وخوفه والغرور الخدع والتوحيد بالباطل والحيوة
الدنيا وكل ما فيها من الاموال هى متاع قليل يخدع المرء ويمنيه بالاباطيل وعلى هذا فسر جمهور
المفسرين وقال عبد الرحمن بن سابط متاع الغرور كزاد الراعى يزود الكف من التمر او الشى من الدقيق
يشرب عليه اللبن قال الطبرى وذهب الى ان متاع الدنيا قليل لا يكفى من تمتع به ولا يبلغه سفره
قال القاضى ابو محمد رحمه الله والغرور فى هذا المعنى يستعمل فى الكلام كلام العرب ومنه قولهم
فى المثل عش ولا تغتر اى لا تجتزى بما لا يكفيك وقال عكرمة متاع الغرور والتى لا بد لها من الانكسار
والفساد فكذلك امر الحيوة الدنيا كله وهذا تشبيه من عكرمة و قرا عبد الله بن عمر الغرور
بفتح الغين و قرا ابو حيوة والاعمش ذائقة الموت بالتنوين الموت بالنصب و قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ثم تلى هذه الاية قوله تعالى
لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون
هذا الخطاب للنبى عليه السلام ولامته والمعنى لتختبرن ولتمتحنن فى اموالكم بالمصائب والانفاق فى
سبيل الله وفى سائر تكاليف الشرع والابتلاء فى الانفس بالامراض وفقد الاحبة بالموت واختلف
المفسرون فى سبب قوله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فقال
عكرمة السبب فى ذلك اقوال فنحاص ان الله فقير ونحن اغنياء وقوله يد الله مغلولة غلت ايديهم
الى غير ذلك وقال الزهرى وغيره نزلت هذه الاية بسبب كعب بن الاشرف فانه كان يهجو النبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه ويشبب بنساء المسلمين حتى بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قتله القتلة المشهورة فى السير والاذى اسم جامع فى معنى الضرر وهو هنا يشتمل على اقوالهم
فيما يخص النبى واصحابه من سب واقوالهم فى جهة الله تعالى وانبيائه وندب الله تعالى عباده الى
الصبر والتقوى واخبر انه من عزم الامور اى من اشدها واحسنها والعزم ايضا الامر المردى
للبحث وليس ركوب الراى دون روية عزما الا على مقطع المنجحين من فتاك العرب كما قال
اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا وقال النقاش العزم والحزم بمعنى
واحد الحا مبدلة من العين وهذا خطا والحزم جودة النظر فى الامر وتنقيحه والحذر من الخطاء فيه
والعزم قصد الامضاء والله تعالى يقول وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فالمشاورة وما كان فى
معناها هو الحزم والعرب يقول قد احزم لو اعزم و قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين الاية توبيخ
لمعاصرى النبى صلى الله عليه وسلم ثم هو مع ذلك خبر عام لهم ولغيرهم والعامل فى اذ فعل مقدر تقديره
اذكر واخذ هذا الميثاق هو على السنة الانبياء امة بعد امة وقال ابن عباس والسدى وابن جريج
الاية فى اليهود خاصة اخذ الله عليهم الميثاق فى امر محمد فكتموه ونبذوه وقال مسلم البطين
سال الحجاج جلساءه عن تفسير هذه الاية فقام رجل الى سعيد بن جبير فساله فقال نزلت فى يهود
اخذ عليهم الميثاق فى امر محمد فكتموه وروى عن ابن عباس انه قرا واذ اخذ الله ميثاق النبيين
لتبيننه للناس فجى بقوله فنبذوه على الناس الذين بين لهم الانبياء وقال قوم من المفسرين الاية فى اليهود
والنصارى وقال جمهور العلماء الاية عامة فى كل من علمه الله علما وعلماء هذه الامة داخلون
فى هذا الميثاق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيمة بلجام
من نار وقد قال ابو هريرة انى لا احدثكم حديثا ولولا اية فى كتاب الله ما حدثتكموه ثم تلى ان الذين
يكتمون ما انزل الله و قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابى بكر ليبيننه للناس ولا يكتمونه باليا
فيهما من اسفل و قرا الباقون وحفص عن عاصم بالتاء من فوق فيهما وكلا القراتين متجهة والضمير
فى الفعلين عائد على الكتاب و قراة ابن مسعود ليبينونه دون النون الثقيلة وقد لا يلزم هذه
النون لام القسم والنبذ الطرح و قوله تعالى وراء ظهورهم استعارة لما يبالغ فى اطراحه ومنه
اتخذتموه وراءكم ظهريا ومنه قول الفرزدق تميم بن قيس لا تكونن حاجتى بظهر ولا يعيى
على جوابها ومنه بالمعنى قول النبى عليه السلام لا تجعلونى كقدح الراكب اراد عليه السلام
لا تجعلوا ذكرى وطاعتى خلف ظهوركم وهو موضع القدح ومنه قول حسان كما نيط خلف الراكب
القدح الفرد والتشبيه بالقدح انما هو فى هيئة لا فى معناه لان الراكب بحاجته ومحله من محلات
الراكب حلل والثمن القليل هو مكسب الدنيا وباقى الاية بين والظاهر فى هذه الاية انها نزلت فى
اليهود وهم المعنيون ثم ان كل كاتم من هذه الامة ماخذ بحظ من هذه المذمة ويتصف بها

قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شي قدير ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب ن اختلف المفسرون في المراد بقوله الذين
يفرحون قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه وابن زيد وجماعة الاية نزلت في المنافقين وذلك انهم
كانوا اذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم للغزو وتخلفوا عنه فاذا جاء اعتذروا اليه وقالوا كانت
لنا اشغال ونحو هذا فيظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم القبول ويستغفر لهم ففضحهم الله
هذه الاية وكانوا يفرحون بما يا تونه ويعطونه من التخلف والاعتذار ويحبون ان يقال انهم
في حكم المجاهدين لكن العذر حبسهم وقالت جماعة كثيرة والمفسرين انما نزلت الاية في
اهل الكتاب احبار اليهود ثم اختلفوا فيما هو الذى اوتوه وكيف احبوا المحمدة فقال ابن عباس
رضى الله عنه اوتوا الطلاول اتباعهم عن الايمان بمحمد وفرحوا بذلك لدوام رياستهم الدنيا
الدنياويه واحبوا ان يقال عنهم انهم علما بكتاب الله ويتقدم رسالاته وقال ابن عباس
والضحاك والسدى اتوا انهم يعاقدوا ويكاتبوا من كل قطر بالارتباط الى التكذيب بمحمد والدفع في
في صدر نبوته واحبوا ان يقال عنهم انهم اهل صلوة وصيام وعبادة وقالوا هم ذلك
عن انفسهم وقال مجاهد فرحوا باعجاب اتباعهم بتبديلهم تاويل التورات واحبوا حمدهم
اياهم على ذلك وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئا نافعا ولا صحيحا بل الحق ابلج وقال سعيد بن جبير
الاية في اليهود وفرحوا بما اعطى الله ال ابراهيم من النبوة والكتاب فهم يقولون نحن على
طريقتهم ويحبون ان يحمدوا بذلك وهم ليسوا على طريقتهم وقراة سعيد بن جبير اوتوا
بمعنى اعطوا بضم الهمزة والطا وعلى قراته يستقيم المعنى الذى قال وقال ابن عباس ايضا ان الاية
نزلت في قوم سالهم النبي عليه السلام عن شي فكتموه الحق وقالوا له غير ذلك ففرحوا بما فعلوا
واحبوا ان يحمدوا بما اجابوا وظنوا ان ذلك قد قنع به واعتقد صحته وقال قتادة الاية في يهود
خيبر نافقوا على النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين مرة وقالوا نحن معكم وعلى رايكم وهم يعتقدون
خلاف ذلك فاحبوا الحمد على ما اظهروا وفرحوا بذلك وقال الزجاج نزلت الاية في قوم من اليهود
دخلوا على النبي عليه السلام وكلموه في الاشيا ثم خرجوا فقالوا لمن لقوا من المسلمين ان النبي اخبرهم
باشيا قد عرفوها فحمدهم المسلمون على ذلك وطمعوا باسلامهم وكانوا قد ابطنوا اخلاف ما اظهروا
للمسلمين وتمادوا على كفرهم فنزلت الاية فيهم وقرا جمهور الناس اتوا بمعنى فعلوا كما يقول
است امر كذا وقرا مروان بن الحكم وابراهيم النخعي اتوا بالمد بمعنى اعطوا بفتح الهمزة والطا
وهي قراة يستقيم على بعض المعاني التي تقدمت وقرا سعيد بن جبير وابو عبد الرحمن السلمي
اوتوا بمعنى اعطوا وقد تقدمت مع معناها وقرا ابو عمرو وابن كثير لا يحسبن الذين يفرحون
ولا يحسبنهم باليا من اسفل فيهما وبكسر السين ورفع البا في يحسبنهم وقال ابو على الذين
رفع بانه فاعل يحسب ولم يقع يحسبن على شي وقد يجي هذه الافعال لغوا لا في حكم الجمل المفيدة
نحو قول الشاعر وما خلت ابي سنان موده عراصي المذاكي المسبقات العابضا وقال الخليل
العرب يقول ما رايته يقول ذلك الا زيد وما ظننته يقول ذلك الا زيد فيتجه القراة بكون
قوله فلا يحسبنهم بدلا من الاول وقد عدى الى مفعوليه وهما الضمير وقوله بمفازة فاستغنى
بذلك عن تعدية الاول اليهما كما استغنى في قول الشاعر باى كتاب او باية سنة ترى
حبهم عارا على ويحسب فاستغنى بتعديه المفعولين عن تعديه الاخر والفا في قوله فلا يحسب
فلا تحسبنهم زائدة ولذلك حسن البدل اذ لا يمكن ان يكون فا عطف ولا فا جزاء فلم يبق
الا ان يكون زائدة لا يفتح وجودها بين البدل والمبدل منه وقوله على هذه القراة فلا
يحسبنهم فيه تعدى فعل الفاعل الى ضميره نفسه نحو ظننتني اخاه ورايتني الليلة عند الكعبة
ووجدتني رجعت من الاصفا وذلك ان هذه الافعال وما كان في معناها لما كانت يدخل على
الابتداء والخبر اشبهت ان واخواتها فكما يقول انى ذاهب فكذلك يقول ظننتني ذاهبا
ولو قلت اظن نفسي افعل كذا لم يحسن كما يحسن اظنني ذاهبا وقرا نافع وابن عامر لا يحسبن باليا
والمفعولان اللذان يقتضيهما قوله لا يحسبن الذين محذوفان لدلالة ما ذكر بعده والكلام في
ذلك كما تقدم في قراة ابن كثير وابو عمرو ولاختلاف الفعلين واختلاف فاعليهما وقرا حمزة لا
تحسبن بالتا من فوق وكسر السين فلا تحسبنهم وفتح البا فالذين على هذه القراة مفعول اول
لتحسبن والمفعول الثاني محذوف لدلالة ما يجي بعد عليه كما قيل انفا في المفعولين وحسن
تكرار الفعل في قوله فلا تحسبنهم لطول الكلام وهي عادة العرب وذلك لتقريب لذهن المخاطب
وقرا الضحاك بن مزاحم فلا تحسبنهم بالتا من فوق وفتح السين وضم البا والمفازة مفعلة من فاز

يفوز

يفوز اذا نجا فهي بمعنى نجاة وسمي موضع المخاف مفازة على جهة التفال قال الاصمعي وقيل لانها
موضع تفوز ومظنة هلاك يقول العرب فوز الرجل اذا مات يقلب حكيت لابن الاعرابي
قول الاصمعي فقال اخطا قال لي ابو المكارم انما سميت مفازة لان من قطعها فاز وقال
الاصمعي سمي اللديغ سليما تفالا وقال ابن الاعرابي لانه مستسلم لما اصابه ونهى
ان يحسبوا ناجين اخبار لهم عذابا ثم استفتح القول ذكر قدرة الله تعالى وملكه يقال
فقال ولله ملك السموات والارض الاية رد على الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا
وقوله تعالى ان الله على كل شي قدير عموم وشي هو الموجود في معنى كلام العرب ثم دل تعالى على
مواضع النظر حيث يقع الاستدلال على الصانع بوجود السموات والارض والمخلوقات دال على العلم
العلم ومحال ان يكون موجود عالم مريد غير حي ويثبت النظر في هذه الاية عظم الصفات واختلاف
الليل والنهار هو يعاقبهما اذ جعلهما الله خلفة ويدخل تحت لفظ الاختلاف كونهما نقص هذا
ويطول الاخر وبالعكس ويدخل في ذلك اختلافهما بالنور والظلام والايات العلامات والالباب
في هذه الاية هي الباب التكليف لا الباب التجربة لان كل من له علوم ضرورية يدركهما فانه يعلم
ضرورة ما قلناه من صفات الله تعالى قوله تعالى الذين يذكرون قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا
عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ن الذين في موضع
خفض صفة لاولى الالباب وهذا وصف ظاهر استعمال التحميد والتهليل والتكبير ونحو
من ذكر الله وان يحضر القلب اللسان وذلك من اعظم وجوه العبادات والاحاديث في
ذلك كثيرة وابن ادم منتقل في هذه الثلاثة هيات لا يخلو في غالب امره منها وكانها تحصر
زمنه وكذلك جرت عايشة رضي الله عنها الى حصر الزمن في قولها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه فدخل في ذلك كونه على الخلا وغير ذلك وذهبت جماعة
من المفسرين الى قوله الذين يذكرون الله انما هي عبارة عن الصلاة اى لا يضيعونها ففي حال
العذر يصلونها قعودا وعلى جنوبهم قال بعضهم وهي كقوله تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا هذا
على تاويل من تاول هنالك قضيتم بمعنى اديتم لان بعض الناس يقول قضيتم هنالك بمعنى فرغتم
منها فاذا كانت هذه الاية في الصلوة ففقهها ان الانسان يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا
ظاهر المدونة متربعا وروى عن مالك وبعض اصحابه يصلي كما يجلس بين السجدتين فان لم يستطع
القعود صلى على جنبه او على ظهره على التخيير هذا مذهب المدونة وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم
يصلي على ظهره فان لم يستطع فعلى جنبه الايمن ثم على الايسر وفي كتاب ابن المواز يصلي على جنبه الايمن
والا فعلى الايسر والا فعلى الظهر وقال سحنون يصلي على الايمن كما يجعل في لحده والا فعلى الايسر
وحسن عطف قوله وعلى جنوبهم على قوله قياما وقعودا الاية في معنى تضطجعين ثم عطف على
هذه العبادة التي هي ذكر الله تعالى باللسان او الصلوة فرضها وندبها بعبادة اخرى
عظيمة وهي الفكرة في قدرة الله ومخلوقاته والعبر كما قيل وفي كل شي له اية تدل على انه
واحد ومر النبي صلى الله عليه وسلم على قوم يتفكرون في الله فقال تفكروا في الخلق ولا تتفكروا
في الخالق فانكم لا تقدرون قدره وهكذا هو قصد الله ويتفكرون في خلق السموات والارض
وقد قال بعض العلماء المتفكرون في ذات الله كالناظرين في عين الشمس لانه تعالى ليس كمثله شي
وانما التفكر وانبساط الذهن في مخلوقات الله وفي مخلوق الله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا عبادة كتفكر وقال الحسن الفكرة مراة المومن ينظر فيها الحسنة وسياته وقال
ابن عباس وابو الدردا فكره ساعة خير من قيام ليلة وقال سري السقطي فكره ساعة خير من عبادة
سنة ما هو الا ان تحل اطناب خيمتك فتجعلها في الاخرة واحدا ابو سليمان الداراني قدح الما
ليتوضى لصلوة الليل وعنده ضيف فراه لما ادخل اصبعه في اذن القدح اقام كذلك مفكرا
الى ان طلع الفجر فقال له ما هذا يا ابا سليمان فقال انى لما طرحت اصبعي في اذن القدح تذكرت
قول الله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل ففكرت في حالي وكيف اتلقى الغل ان طرح
في عنقي يوم القيمة فما زلت في ذلك حتى الصبح قال رحمه الله وهذه نهاية الخوف وخير الامور
اوساطها وليس علماء الامة الذين هم الحجة على هذا المنهاج وقراة علم كتاب الله ومعاني
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يفهم ويرجى نفعه افضل من هذا لكنه يحسن ان لا
تخلو البلاد من مثل هذا وحدثني ابى رضي الله عنه عن بعض علماء المشرق كنت بائتا في
مسجد الاقدام بمصر فصليت العتمة فرايت رجلا قد اضطجع في كسا له مسجى بكسا حتى اصبح
وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا فلما اقيمت الصلوة صلوة الصبح قام ذلك الرجل فاستقبل

القبلة وصلى مع الناس فاستعظمت جراته فى الصلوة بغير وضوء فلما فرغت الصلوة خرج فتبعته
لاعظه فلما دنوت منه سمعته ينشد : مسجى الجسم غايبة حاضر منتبه القلب صامت ذاكر :
منقبض فى العيوب منبسط كذاك من كان عارفا ناكر : يبيت فى ليلة اخا فكر فهو مدى الليل
نائم ساهر : قال فعلمت انه ممن يعبد بالفكرة وانصرفت عنه وقوله تعالى ربنا معناه يقولون
على النداء ما خلقت هذا باطلا يريد بغير غاية منصوبة بل خلقته وخلقت البشر لينظر
فيه فتوحد وتعتبر وتعبد فمن فعل ذلك نعمته ومن ضل عن ذلك عدته لكفره وقوله عليك
ما لا يليق بك وهذا المعنى الذى يعطيه قوة اللفظ حسن قولهم سبحانك اى تنزيها لك عما
يقول المبطلون وحسن قولهم فقنا عذاب النار اذ نحن المسبحون المنزهون لك الموحدون
وقولهم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته واستجارة واستعاذة اى فلا تفعل بنا
ذلك ولا تجعلنا ممن يعمل عملها والخزى الفضيحة المخجلة الهادية لقدر المرء خزى الرجل يخزى
خزيا اذا افتضح وخزاية اذا استحيى والفعل واحد والمصدر تختلف وقال انس بن مالك
والحسن وابن جريج وغيرهم هذه اشارة الى من يخلد فى النار ومن يخرج منها بالشفاعة والايمان
فليس بمخزى وقال جابر بن عبد الله وغيره كل من دخل النار فهو مخزى وان خرج منها وان فى
دون ذلك لخزيا **قال** رحمه الله اما انه خزى دون خزى وليس من يخرج منها بفضيحة هادية
لقدره وانما الخزى التام للكفرة وقوله تعالى وما للظالمين من انصار هو من قول الداعى
ولذلك نسق وصف الاية **قوله تعالى** ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا
بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا
ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد **ن** هذه الايات حكاية
عن اولى الالباب انهم يقولون ربنا ربنا قال ابو الدردا رحمه الله المومنين ما زالوا يقولون
ربنا ربنا حتى استجيب لهم واختلف المتاولون فى المنادى فقال ابن زيد وابن جريج و
غيرهما المنادى محمد عليه السلام وقال محمد بن كعب القرظى المنادى كتاب الله ولما كانت ينادى
بمنزلة يدعو حسن وصولها باللام بمعنى الى الايمان وقوله ان امنوا ان مفسرة لا موضع لها
من الاعراب وغفران الذنوب وتكفير السيئات امر قريب بعضه من بعض لكنه كرر للتاكيد ولانها
مناح من التضرع وانا اراد بحكم الذنوب بعد حصولها والابرار جمع بار اصله برر على وزن فعل او
ادغمت الرا فى الرا وقيل هو جمع بار كصاحب واصحاب والمعنى فوقنا معهم فى كل احكامهم وافعالهم
واقوالهم وبقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك معناه على السنة رسلك وقرا الاعمش
رسلك بسكون السين وطلبوا من الله انجاز الوعد وهو تعالى لا يجوز عليه خلفه من حيث
فى طلبه الرغبة من ان يكونوا ممن يستحقه فالطلبة والتخوف انما هى فى جهتهم لا فى جهة
الله تعالى لان هذا الدعاء انما هو فى الدنيا فمعنى قول المرء اللهم انجز لى وعدك انما معناه
اجعلنى ممن يستحق انجاز الوعد وقيل معنا دعائهم الاستعجال مع ثقتهم بان الوعد
منجز وقال الطبرى وغيره معنى الاية ما وعدتنا على السنة رسلك من النصر على الاعداء
فكانت الدعوة انما هى فى حكم الدنيا وقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اشارة الى قوله تعالى يوم
لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه فهذا وعده تعالى وهو دال على ان الخزى انما هو مع الخلود
قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم
ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب
فاستجاب استفعل بمعنى اجاب فليس استفعل على بابه من طلب الشى بل هو كما قال الشاعر
وداع دعانا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب اى لم يجبه وقوله انى يجوز ان يكون
مفسرة ويجوز ان يكون المعنى بانى وقرا عيسى بن عمر انى بكسر الهمزة وهذه انه وعد من الله
تعالى اى هذا افعل مع الذين يتصفون بما ذكر وروى ان ام سلمة قالت يا رسول الله قد ذكر
الله تعالى الرجال فى الهجرة ولم يذكر النساء فى شى من ذلك فنزلت الاية ونزلت ايات فى
معناها فيها ذكر النساء وقوله تعالى من ذكر او انثى تبيين لجنس العامل وقال قوم من زائدة
لتقدم النفى فى الكلام وقوله تعالى بعضكم من بعض يعنى فى الاجر وتقبل العمل اى ان الرجال والنساء
فى ذلك على حد واحد وبين تعالى حال المهاجرين ثم الاية تعد تنسحب على كل من اوذى فى الله
تعالى وهاجر ايضا الى الله وان كان اسم الهجرة وصلها الخاص بها قد انقطع بعد الفتح فالمعنى
باق الى يوم القيمة والله يضاعف لمن يشاء وهاجر مفاعل من اثنين وذلك ان الذى يهجر
وطنه وقرابته فى الله كان الوطن والقرابة يهجرونه ايضا فهى مهاجرة وقوله تعالى واخرجوا

من ديارهم

من ديارهم عبارة الزام ذنب الكفار وذلك ان المهاجرين انما اخرجهم سوء العشرة وقبيح الافعال فخرجوا
باختيارهم فاذا جاء الكلام فى مضمار الزام الكفار الذنب قيل اخرجوا من ديارهم واخراج اهله
منه اكبر عند الله الى غير ذلك من الامثلة واذا جاء الكلام فى مضمار الهجرة والقوة على الاعداء
يمسك بالوجه الاخر من انهم خرجوا برايهم فمن ذلك انكار النبى صلى الله عليه وسلم على ابى سفيان
ابن الحرث حين انشده وردنى الى الله من طردت كل مطرد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت
طردتنى كل مطرد انكارا عليه ومنه قول كعب بن زهير فى عصبة من قريش قال قائلهم ببطن
مكة لما اسلموا زولوا زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقا ولا ميل معازيل وقرا نافع
وعاصم وابو عمرو وقاتلوا وقتلوا بتخفيف التا وضم القاف ومعنى هذه القراة بين وقرا ابن كثير وقاتلوا
وقتلوا بتشديد التاء وهى فى المعنى كالاولى فى المبالغة فى القتل وقرا حمزة والكسائى وقتلوا
وقاتلوا بيدان بالفعل المبنى للمفعول به وكذلك اختلافهم فى سورة التوبة غير ان ابن كثير
وابن عامر يشددان فى التوبة ومعنى قراة حمزة هذه اما ان لا يعطى الواو رتبة لان المعطوف
بالواو يجوز ان يكون اولا فى المعنى وقتلوا وقاتل ما بقيهم فيشبه الاية قوله تعالى فما وهنوا لما
اصابهم فى سبيل الله على تاويل من راى ان القتل وقع بالربانيين وقرا عمر بن عبد العزيز وقتلوا
بفتح القاف والتا من غير الف وقتلوا بضم القاف وكسر التا خفيفة وهى قراة حسنة المعنى
مستوفية الفضلين على الترتيب المتعارف وقرا محارب بن دثار وقتلوا بفتح القاف وقاتلوا
وقرا طلحة بن مصرف وقتلوا بضم القاف وشد اليا وقتلوا وهذه يدخلها ما دخل رتبة الواو
واما انه قاتل من بقى واللام فى قوله لاكفرن لام القسم وثوابا مصدر موكد مثل قوله
صنع الله وكتاب الله عليكم وباقى الاية بين **قوله تعالى** لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد
متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار نزلت
لا يغرنك فى هذه الاية منزلة لا يظن ان حال الكفار حسنة فتهتم لذلك وذلك ان
المؤمن فارح بالشى الذى يغتر به فالكفار يغترون بتقلبهم والمومنون مهتمون به لكنه
ربما يقع فى نفس المؤمن ان هذا الاملا للكفار انما هو خير لهم فيجى هذا جنوحا الى
الى حالهم ونوعا من الاغترار فلذلك حسنت لا يغرنك ونظيره قول عمر لحفصة لا يغرنك
ان كانت جارتك اوضا منك واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعنى لا تغترى بما يتم
لها من الادلال فتقعى فيه فيطلقك النبى صلى الله عليه وسلم والخطاب للنبى عليه السلام والمراد
امته وللكفار فى ذلك حظ اى لا يغرهم تقلبهم وقرا ابن اسحق ويعقوب لا يغرنك بسكون
النون خفيفة وكذلك لا يصدنك ولا يصدنكم ولا يغرنكم وشبهه والتقلب التصرف فى التجارات
والارباح والحروب وسائر الامال ثم اخبر تعالى عن قلة ذلك المتاع لانه منقص صاير الى ذل و
قل وعذاب وقرا ابو جعفر بن القعقاع لكن الذين بشد النون وعلى ان الذين فى موضع نصب
اسما للكن ونزلا معناه تكرمه ونصبه على المصدر الموكد وقرا الحسن نزلا ساكنة الزاى وقوله
تعالى وما عند الله خير للابرار يحتمل ان يريد خير مما هم فيه من الدنيا والى هذا ذهب ابن
مسعود فانه قال ما من مؤمن ولا كافر الا والموت خير له اما الكافر فلئلا يزداد اثما واما
المؤمن فلان ما عند الله خير للابرار وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر قال القاضى ابو الطيب هذا هو بالاضافة الى ما يصير اليه كل واحد
منهما فى الاخرة فالدنيا على المؤمن المنعم سجن بالاضافة الى الجنة والدنيا للكافر الفقير المضيق عليه
فى حاله وصحته بالاضافة الى جهنم وقيل المعنى انها سجن المؤمن لانها موضع تعبه فى الطاعات
وصومه وقيامه فهو فيها كالمعتكف المكل وينتظر الثواب فى اخرى التى هى جنة والدنيا جنة
الكافر لانها موضع ثوابه على ما عسى يعمل من خير وليس ينتظر فى الاخرة ثوابا فهذه جنته وهذا
القول عندك كالتفسير والشرح الاول **قوله تعالى** وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل
اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند
ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون اختلف المتاولون فيمن عنى بهذه الاية فقال جابر بن عبد الله وابن جريج وقتادة وغيرهم
نزلت بسبب اصحمة النجاشى بانك الحبشة وذلك انه كان مؤمنا بالله وبمحمد عليه السلام فلما مات
عرف بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
اخرجوا فصلوا على اخ لكم فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فكبر اربعا وفى بعض الحديث ان الله
كشف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن نعشه فى الساعة التى قرب فيها للدفن وكان يراه من موضع

بالمدينة فلما صلى عليه النبي قال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط فنزلت الاية
وكان اصحمة النجاشى نصرانيا واصحمة تفسيرها بالعربية عطية قاله سفين بن عتيبة وغيره وروى
ان المنافقين قالوا بعد ذلك فانه لم يصل للقبلة فنزلت ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم
وجه الله وقال قوم نزلت فى عبد الله بن سلام وقال ابن زيد ومجاهد نزلت فى جميع من
امن من اهل الكتاب وخاشعين حال من الضمير فى يؤمن ورد خاشعين على المعنى فى من لانه جمع على
لفظ من لانه افراد وقوله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا مدح لهم وذم لسائر كفار اهل
الكتاب لتبديلهم وايثارهم كسب الدنيا الذى هو ثمن قليل على اخرتهم وعلى ايات الله وقوله
تعالى اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب قيل معناه سريع اتيان يوم القيمة و
هو يوم الحساب اذا سريع اذ كل ات قريب وقال قوم سريع الحساب اى احصا اعمال العباد ولجو
واجورهم واما مهم اذ ذلك كل فى علمه لا يحتاج الى عد ونظر وروية كما يحتاج البشر ثم ختم الله
السورة بهذه الوصاة التى جمعت الظهور فى الدنيا على الاعداء والفوز بنعيم الاخرة فحض
على الصبر على الطاعات وعن الشهوات وامر بالمصابرة وقيل معناه مصابرة على الاعداء
قاله زيد بن اسلم وقيل معناه مصابرة وعد الله فى النصر قال محمد بن كعب القرظى اى لا تسامو
وانتظروا الفرج وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عباده وكذلك
اختلف المتاولون فى معنى قوله ورابطوا فقال جمهور الامة معناه رابطوا اعداكم الخيل اى ارتبطو ها
كما يرتبطها اعداكم ومنه قوله عز وجل ومن رباط الخيل الاية وكتب عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة
وقد كتب اليه يذكر جموع الروم اما بعد فانه مهما ينزل بعبد مومن من شده جعل الله بعدها
فرجا ولن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا اصبروا الاية وقال ابو سلمه
بن عبد الرحمن هذه الاية فى انتظار الصلوة بعد الصلوة ولم يكن فى زمن رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزو يرابط فيه واحتج بحديث على بن ابى طالب وجابر بن عبد الله وابى هريره ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على ما يحط به الخطايا ويرتفع به الدرجات اسباغ الوضوء
على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلوه بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط
فذلكم الرباط والقول الصحيح هو ان الرباط هو الملازمة فى سبيل الله اصلها من ربط الخيل ثم
سمى كل ملازم لثغر من ثغور الاسلام مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظة ماخوذة من الربط
وقول النبى صلى الله عليه وسلم فذلكم الرباط انما هو تشبيه بالرباط فى سبيل الله اذ انتظار الصلوة
انما هى سبيل من السبل المنجيه والرباط اللغوى هو الاول وهذا كقوله ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذى يملك نفسه عند الغضب وكقوله ليس المسكين بهذا الطواف الى غير ذلك من الامثلة والمرابط
فى سبيل الله عند الفقهاء هو الذى يسخص من ثغر الى ثغر مرابط فيه مدة ما قاله ابن المواز
ورواه فاما سكان الثغور دائما باهليهم الذين يعمرون ويكسبون هنالك فهم وان كانوا
حماه فليسوا بمرابطين وقوله لعلكم تفلحون ترج فى حق البشر كمل تفسير سورة ال عمران والحمد
لله وحده بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد سورة النساء مدنية الا اية
واحدة نزلت بمكة عام الفتح فى عثمان بن طلحة وهو قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات
قاله النقاش وقيل بل نزلت السورة عند هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد قال
بعض الناس ان قوله تعالى يا ايها الناس حيث وقع انما هو مكى فيشبه ان يكون صدر هذه السورة
مكيا وما نزل بعد الهجرة فانما هو مدنى وان نزل فى مكة او فى سفر من الاسفار للنبى صلى الله عليه
وسلم وقد قال النحاس هذه السورة مكية ولا خلاف ان فيها ما نزل فى المدينة وفى البخارى
اخر اية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ذكرها فى تفسير سورة براة من رواية البرين
عازب وفى البخارى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت ما نزلت سورة النساء الا وانا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعنى قد بنا بها قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و
خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله
كان عليكم رقيبا ن يا حرف نداء واى منادى مفرد وها تنبيه والناس نعت لاى او صلة على مذهب
ابى الحسن الاخفش والرب المالك وفى الاية تنبيه على الصانع وعلى افتتاح الوجود وفيها حض على
التواصل لحرمة هذا النسب وقال واحدة على تانيث لفظ النفس وهذا كقول الشاعر ابوك
خليفة ولدته اخرى وانت خليفه ذاك الكمال وقرا ابن ابى عبلة من نفس واحد بغير هاء وهذا
على مراعاة المعنى اذ المراد بالنفس ادم صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد وقتاده وغيرهما والخلق
فى هذه الاية بمعنى الاختراع ونعنى بقوله زوجها حوى والزوج فى كلام العرب امراة الرجل ويقال
زوجه ومنه بيت ابى فراس وان الذى يسعى ليفسد زوجتى كساع الى اسد الشرى يستبيلها و

وقوله

وقوله منها قال ابن عباس ومجاهد والسدى وقتاده ان الله تعالى خلق ادم وحشا فى الجنة وحده
ثم نام فانتزع الله احد اضلاعه القصرى من شماله وقيل من يمينه فخلق منه حوى ويعضد هذا
القول الحديث الصحيح فى قوله عليه السلام ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان ذهبت يقيمها كسرتها
وكسرها طلاقها وقال بعضهم معنى منها من جنسها واللفظ يتناول المعنيين ان يكون لحمها وجواهرها
من ضلعه ونفسها من جنس نفسه وبث معناه بشر كقوله تعالى كالفراش المبثوث اى المنتشر
وحصره ذريتهما الى نوعين الرجال والنساء مقتضى ان الخنثى ليس بنوع وانه وان فرضناه مشكلا
الظاهر عند نا وله حقيقة يرده الى احد هذه النوعين وفى تكرير الامر بالاتقا تاكيد وتنبيه لنفوس
المامورين والذى فى موضع نصب على النعت وتساءلون معناه يتعاطون به فيقول احدكم اسئلك بالله
ان يسال كذا او ما اشبهه وقالت طائفة معناه تسالون به حقوقكم وتجعلونه معظما لها واصله
تتساءلون فابدلت التاء الثانيه سينا وادغمت فى السين وهذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وابى
عمرو بخلاف عنه وقرا الباقون تسالون بسين مخففة وذلك لانهم حذفوا التاء الثانية تخفيفا وهذه
تاء يتفاعلون تدغم فى لغة وتحذف فى اخرى لاجتماع حروف متقاربة قال ابو على واذا اجتمعت
المتقاربة خففت بالحذف والادغام والابدال كما قالوا طست فابدلوا من السين الواحدة
تاء اذ الاصل طس قال العجاج • لو عرضت لايكى قس • اشعث فى هيكله مندس • حن اليها كحنين
الطس • وقرا ابن مسعود تسلون خفيفة بغير الف والارحام نصب على العطف على موضع به
لان موضعه نصب والاظهر انه نصب باضمار فعل تقديره واتقوا الارحام ان يقطعوها وهذه
قراءة السبعة الا حمزه وعليها فسرها ابن عباس وغيره وقرا عبد الله بن زيد والارحام بالرفع و
ذلك على الابتداء والخبر مقدر تقديره والارحام اهل ان توصل وقرا حمزه وجماعة من العلماء
والارحام بالخفض عطفا على الضمير والمعنى عندهم انها يتساءل بها كما يقول الرجل اسئلك بالله
وبالرحم هكذا فسرها الحسن وابراهيم النخعى ومجاهد وهذه القراءة عند رؤسا نحويين البصرة
لا تجوز لانه لا يجوز عندهم ان يعطف ظاهر على مضمر مخفوض قال الزجاج عن المازنى لان
المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل الاخر فكما لا يجوز مررت بزيد وك
كذلك لا يجوز مررت بك وزيد واما سيبويه فهى عنده قبيحة لا يجوز الا فى الشعر كما قال فاليوم
قدت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب واستسهلها بعض النحويين قال
ابو على ذلك ضعيف فى القياس قال القاضى ابو محمد رحمه الله المضمر المخفوض لا ينفصل فهو
كحرف من الكلمة ولا يعطف على حرف ويرد عندى هذه القراءة من المعنى وجهان احدهما ان ذكر
الارحام مما يتساءل به لا معنى له فى الحض على تقوى الله ولا فائدة فيه اكثر من الاخبار بان
الارحام يتساءل بها وهذا تفرق فى معنى الكلام وغض من فصاحته وانما الفصاحة
فى ان يكون الارحام فائدة مستقلة والوجه الثانى ان فى ذكرها على ذلك تقرير التساءل
بها والقسم بحرمتها والحديث الصحيح يرد ذلك فى قوله عليه السلام من كان حالفا فليحلف
بالله او فليصمت وقالت طائفة انما خفض والارحام على جهة القسم من الله تعالى على
ما اختص به لا اله الا هو من القسم بمخلوقاته ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله ان الله
كان عليكم رقيبا وهذا باه نظم الكلام وسرده وان كان المعنى يخرجه وكان فى هذه الاية ليست
لتجريد الماضى فقط بل المعنى كان وهو يكون والرقيب بناء الاسم الفاعل من رقب يرقب اذا اخذ
النظر بالبصر او بالبصيرة الى امر ما ليتحققه على ما هو عليه ويقترن بذلك حفظ ومشاهدة
وعلم بالحاصل عن الرقيب وفى قوله عليكم ضرب من الوعيد ولم نقل لكم للاشتراك الذى كان
يدخل من انه يرقب لهم ما يصنع غيرهم ومما ذكرناه قيل للذى يرقب خروج السهم من ربابة الضرب
فى القداح رقيب لانه يرتقب ذلك ومن ذلك قول ابى داود • كمقاعد الرقباء للضرباء ايديهم نواهد •
قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان
حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ن اليتامى جمع يتيم ويتيمة واليتيم فى فقد الاب
قبل البلوغ وقال النبى عليه السلام لا يتم بعد البلوغ وهو فى البهيمة فقد الام وحكى اليتيم فى الانسان
من جهة الام وقال ابن زيد هذه المخاطبة هى لمن كانت عادته من العرب انه لا يورث الصغير من
الاولاد مع الكبير فقيل لهم ورثوهم اموالهم ولا تتركوا انها الكبار حظوظكم حلالا طيبا وحراما
خبيثا فيجى فعلكم ذلك تبدلا وقالت طائفة هذه المخاطبة هى للاوصياء الايتام والمعنى اذا بلغوا
وانس منهم الرشد وسماهم يتامى وهم قد بلغوا استصحابا للحالة الاولى التى قد ثبتت لهم
من اليتيم وقوله تعالى ولا تتبدلوا قيل المراد به ما كان بعضهم يفعل من ان تبدل الشاه السمينة

من مال الميت بالهزيل من ماله والدرهم الطيب بالدرهم الزيف من ماله قاله سعيد بن المسيب و
والزهري والسدي والضحاك وقيل المراد به لا تاكلوا اموالهم خبيثا وتدعوا اموالهم طيبا
وقيل معناه لا تتعجلوا اكل الخبيث من اموالهم وتدعوا انتظار الرزق الحلال من عند الله قاله
مجاهد وابو صالح والخبيث والطيب انما هو بالتحليل والتحريم وروي عن ابن محيصن انه قرا
ولا تبدلوا بادغام التا في التا وجاز في ذلك الجمع بين ساكنين لان احدهما حرف مد ولين يشبه
الحركة وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم استوى الايتام في النهي عن اكل اموالهم كانوا ورثة
ممنوعين من الميراث او محجوبين والاية نص في قصة مال اليتيم بالاكل والتمول على جميع وجوهه
وروي عن مجاهد انه قال الاية ناهية عن الخلط في الانفاق فان العرب كانت تخلط نفقتها
بنفقة ايتامها فنهوا عن ذلك ثم نسخ النهي بقوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقد تقدم
ذكرها في سورة البقرة وقال ابن فورك عن الحسن انه تاول الناس من هذه الاية النهي عن الخلط
فاجتنبوه من قبل انفسهم فخفف عنهم في سورة البقرة وقالت طائفة اخرى من المتاخرين
الى بمعنى مع وهذا غير جيد وروي عن مجاهد ان معنى الاية ولا تاكلوا اموالهم مع اموالكم هذا
تقريب المعنى لانه اراد ان الحرف بمعنى الاخر وقال الحذاق الى هي على بابها وهي تتضمن الاضافة
التقدير لا تضيفوا اموالهم الى اموالكم في الاكل كما قال تعالى من انصاري الى الله اي من
مضاف الى الله في نصرتي والضمير في انه عائد على الاكل الذي تضمنه الفعل الظاهر والحوب
الاثم قاله ابن عباس والحسن وغيرهما يقول حاب الرجل يحوب حوبا اذا اثم قال امية بن الاسكر
وان مهاجرين تكنفاه عداه اذا قد خطيا وحابا وقرا الحسن حوبا بفتح الحا وهي لغة بني تميم
وقيل هي بفتح الحا للمصدر وبضمها الاسم ويحوب الرجل اذا القى الحوب عن نفسه وكذلك يحيث
ويأثم ويحرج فان هذه الاربعة بخلاف تفعل كله لان يفعل معناه الدخول في الشي كتعبد
وتكسب وما اشبهه ويلحق بهذه الاربعة يفكهون في قوله تعالى فظلتم تفكهون اي تطرحون
الفكاهة عن انفسكم بدليل قوله بعد ذلك انا لمغرمون بل نحن محرومون اي يقولون ذلك وقوله
كبيرا نص على ان اكل مال اليتيم من الكبائر وقوله تعالى وان خفتم الاية قال ابو عبيدة خفتم ها
هاهنا بمعنى ايقنتم واستشهد بقول الشاعر فقلت لهم خافوا بالفي مدجج وما قاله غير صحيح ولا
يكون الخوف بمعنى اليقين بوجه وانما هو من افعال التوقع الا انه قد يميل فيه الظن الى احد الجهتين
واما ان يصل الى حد اليقين فلا وتقسطوا معناه تعدلوا يقال اقسط الرجل اذا عدل
وقسط اذا جار وقرا ابن وثاب والنخعي ان لا تقسطوا بفتح التا من قسط على تقدير زيادة
لا وكانه قال وان خفتم ان تجوروا واختلف في تاويل الاية فقالت عايشة رضي الله عنها
نزلت في اوليا اليتامى الذين يعجبهم جمال اوليائهم فيريدون ان يبخسوهن في المهر لمكان
ولايتهم عليهن فقيل لهم اقسطوا في مهورهن فمن خاف ان لا يقسط فليتزوج ما
طاب له من الاجنبيات التي يكاسبن في حقوقهن وقاله ربيع وقال عكرمه نزلت في قريش وذلك
ان الرجل منهم كان يتزوج العشرة واكثر واقل فاذا ضاق ماله مال على مال يتيمه فتزوج منه
فقيل لهم ان خفتم عجز اموالكم حتى تجوروا في اليتامى فاقصروا وقال سعيد بن جبير والسدي
وقتاده وابن عباس ان العرب كانت تتحرج في اموال اليتامى ولا تتحرج في العدل بين النسا
كانوا يتزوجون العشرة واكثر فنزلت الاية في ذلك كما تخافون ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك
فتحرجوا في النساء وانكحوا على هذا الحد الذي يبعد الجور عنه وقال مجاهد انما الاية تحذير من
الزنا وزجر عنه اي كما تتحرجون في مال اليتامى فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا على ما حد لكم قال
وابو مالك وسعيد بن جبير ما طاب معناه ما حل قال رحمه الله لان المحرمات من النسا كثير
وقرا ابن ابي عبلة من طاب على ذكر من يعقل وحكى بعض الناس ان ما في هذه الاية ظرفية
اي ما دمتم تستحسنون النكاح وفي هذا النوع ضعف وقال ما ولم يقل من لانه لم يرد
تعيين من يعقل وانما اراد النوع الذي هو الطيب من جهة التحليل قال فانكحوا الطيب و
هذا الامر بالنكاح هو ندب لقوم واباحة لاخرين وبحسب قرائن المرء في النكاح في الجملة و
الاغلب مندوب اليه ومثنى وثلاث ورباع موضعها من الاعراب نصب على البدل
من طاب وهي نكرات لا ينصرف لانها معدولة وصفة كذا قال ابو علي وقال غيره هي
معدولة في اللفظ والمعنى وايضا فانها معدولة وجمع وايضا فانها معدولة مؤنثة وقال
الطبري هي معارف لانها لا تدخلها الالف واللام وخطا الزجاج هذا القول وهي معدولة
عن اثنين وثلثة واربع الا انها تضمنت تكرار العدد الى غاية المعدود وانشد الزجاج قول
الشاعر ٭ ولكنما اهلي بواد انيسه ذياب تبغي الناس مثنى وموحد ٭ فانما معناه

اثنين اثنين وواحد وواحدا وكذلك قولك جاء الرجال مثنى وثلاث فانما معناه اثنين
اثنين وثلاث ثلاث وقرا يحيى بن وثاب وابراهيم وربع ساقطة الالف وتلك لغة مقصد بها التخفيف
كما قال الشاعر لا اشتهي ان ارد الا عدادا عددا وعد كنا بالسدا وصلبا بارودا وقوله فان
خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم قال الضحاك وغيره لا تعدلوا في الميل والمحبة
والجماع والعشرة بين الاربع او الثلث او الثنتين فيتوجه على قول من قال انها نزلت في
من يخاف ان ينفق مال اليتامى في نكاحاته ان يكون المعنى الا تعدلوا في نكاح الاربع والثلث
حتى ينفقوا اموال ايتامكم فتزوجوا واحدة باموالكم او تسروا منها ونصب واحدة باضمار
فعل تقديره فانكحوا واحدة وقرا عبد الرحمن ابن هرمز والحسن فواحدة بالرفع على الابتداء
وتقدير الخبر فواحدة كافية او ما اشبهه فرويت هذه القراءة عن ابي عمرو وما ملكت ايمانكم
يريد به الاما والمعنى ان خاف ان لا تعدلوا في عشرة فواحدة او ما ملكت يمينه واسند
الملك الى اليمين اذ هي صفة مدح واليمين مخصوصة بالمحاسن لتمكنها الا ترى انها المنفقة
كما قال عليه السلام حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه وهي المعاهدة المبايعة وبها سميت الا
الاليد يمينا وهي المتلقية لرايات المجد وقد نهى عليه السلام عن استعمالها في الاستنجا
وامر المرء بالاكل منها قوله تعالى ذلك ادنى الا تعولوا واتوا النسا صدقاتهن نحلة فان
طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريا ولا تؤتوا السفها اموالكم التي جعل الله
لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ان ادنى معناه اقرب وهو من الدنو
وموضع ان من الاعراب نصب باسقاط الخافض والناصب ان محمد الفعل الذي في ادنى والتقدير
ذلك ادنى الى ان لا تعولوا وتعولوا معناه تميلوا قاله ابن عباس وقتاده والربيع ابن انس و
ابو مالك والسدي وغيرهم يقال عال الرجل يعول اذا مال وجار ومنه قول ابي طالب في شعره
في النبي عليه السلام بميزان قسط لا يعول شعيرة وان له من نفسه غير عايل يريد غير مايل
ومنه قول عثمان لاهل الكوفة حين كتب اليهم اني لست بميزان اعول وقالت فرقة منهم
زيد ابن اسلم وابن زيد والشافعي معناه ذلك ادنى ان لا تكثر عيالكم وحكى ابن الاعرابي
ان العرب يقول عال الرجل يعول اذا كثر عياله وقدح في هذا الزجاج وغيره بان الله قد اباح
كثرة السراري وفي ذلك تكثير العيال فكيف يكون اقرب الى ان لا تكثروا وهذا القدح
غير صحيح لان السراري انما هن مال يتصرف فيه بالبيع والشرى وانما العيال القادح الحراير
ذوات الحقوق الواجبة وقوله تعالى واتوا النساء صدقاتهن نحلة قال ابن عباس
وقتاده وابن زيد وابن جريج ان الخطاب في هذه الاية للازواج امرهم الله تعالى ان
يتبرعوا باعطاء المهور منهم نحلة لازواجهم وقال ابو صالح الخطاب اولياء النسا
لان عادة بعض العرب كانت تاكل ولي المراة مهرها فرفع الله ذلك بالاسلام وامر ان يدفع
ذلك اليهن وقال المعتمر ابن سليمان عن ابيه زعم حضرمي ان المراد بالاية المتشاغرون الذين
كانوا يتزوجون امراة باخرى فامر ان يضربوا المهور والاية تتناول هذه الفرق الثلاث وقرا جمهور
الناس والسبعة صدقاتهن بفتح الصاد وضم الدال وقرا موسى بن الزبير وابن ابي عبلة وفياض
ابن غزوان وغيرهم صدقاتهن بضم الصاد والدال وقرا قتاده وغيره صدقاتهن بضم الصاد
وسكون الدال وقرا ابن وثاب والنخعي صدقتهن بالافراد وضم الصاد والدال والافراد
من هذا كله صدقة وصدقة ونحلة معناه نحلة منكم اي عطية وقيل التقدير من الله عز وجل
لهن وذلك لان الله جعل الصداق على الرجال ولم يجعل على النسا شيئا وقيل نحلة معناه
شرعة ماخوذ من النحل يقول فلان ينتحل دين كذا وهذا يحسن مع كون الخطاب للاوليا
ويتجه مع سواه ونصبها على انها من الازواج باضمار فعل من لفظها تقديره انحلوهن
نحلة ويجوز ان يعمل الفعل الظاهر وان كان من غير اللفظ لانه مناسب للنحلة في المعنى
ونصبها على انها من الله عز وجل باضمار فعل مقدر من اللفظ لا يصح غير ذلك وعلى انها
شريعة هي من الله ايضا وقوله فان طبن لكم الاية الخطاب بحيث ما تقدم من الاختلاف
في الازواج والاوليا والمعنى ان وهبن غير مكرهات طيبة نفوسهن والضمير في منه
راجع على الصداق كذلك قال عكرمه وغيره او على الايتا وقال الحضرمي سبب الاية ان قوما
تحرجوا ان يرجع اليهم شي مما دفعوا الى الزوجات ونفسا نصب على التمييز ولا يجوز
تقديمه على الفاعل عند سيبويه الا في ضرورة الشعر مع تصرف العامل واجازه غيره في
الكلام ومنه قول الشاعر ٭ وما كان نفسا بالفراق تطيب ٭ ومن يتضمن للجنس ها هنا
ولذلك يجوز ان يهب المهر كله ولو وقعت على التبعيض لما جاز ذلك وقرى هنا مريا دون

حمزه وهي قراة الحسن والزهري قال الطبري وهو من هنا البعير اي يعطي الشفا وهذا ضعيف
وانما قال اللغويون الطعام والهني هو السايغ المستحسن المعيله وكذلك المري قال اللغويون
لا يقولون هاتى الطعام ومراني على الاتباع فاذا افردوا قالوا امراني على وزن افعل قال
ابو علي وهذا كما جاء في الحديث ارجعن مازورات غير ماجورات فانما اعتلت الواو من موزورات
اتباعا للفظ ماجورات فكذلك مراني اتباعا لهناني ودخل رجل على علقمة وهو ياكل شيئا مما وهبته
له امراته من مهرها فقال له كل من الهني المري قال سيبويه هنيئا مريا صفتان نصبوهما نصب
المدعو بها بالفعل غير المستعمل لظهارة المحرك للدلالة التي في الكلام عليه قال واثبت ذلك
هنيئا مريا وقوله ولا يوتوا السفهاء اموالكم اختلف المتاولون بالمراد بالسفها فقال
ابن مسعود والسدي والضحاك والحسن وغيرهم نزلت في ولد الرجل الصغار وامراته وقال
سعيد بن جبير نزلت في المحجورين السفها وقال مجاهد نزلت في النسا خاصة فروي عن عبد الله
ابن عمر انه مرت به امراة لها شارة فقال لها ولا توتوا السفها اموالكم الاية وقال ابو موسى
الاشعري والطبري وغيرهما نزلت في كل من اقتضى الصفة التي شرط الله من السفه كاين من كان وقول
خصها بالنساء يضعف من جهة الجمع فان العرب انما تجمع فعيلة على فعائل وفعيلات وقوله اموالكم
يريد اموال المخاطبين هذا قول ابي موسى الاشعري وابن عباس والحسن وقتاده وقال سعيد بن
جبير يريد اموال السفها واضافها الى المخاطبين تعسطا بالاموال اي هي لهم اذا احتاجوها
كاموالكم التي تقي اعراضكم وتصونكم وتعظم اقداركم ومن مثل هذا ولا تقتلوا انفسكم وما جرى مجراه و
قرا الحسن والنخعي اللاتي والاموال جمع لا يعقل فالاصوب فيه قراة الجماعة وفيما جمع كديمه وديم وقيمه وخطا
ذلك ابو علي وقال هي مصدر كقيام وكقوام واصلها قوم ولكن شذت في الرد الى اليا كما شذ قولهم جياد
في جمع جواد وكما قالت ثورة طويل وطوال ونحو هذا وقوما وقياما وقواما معناها ثباتا في صلاح
الحال ودواما في ذلك وقرا نافع وابن عامر فيما بغير الف وروي ان ابا عمرو فتح القاف من قوله قواما و
قياما كان اصلها قواما فردت كسرة القاف بالتناسب ذكرها ابن مجاهد ولم ينسبها وهي
قراة ابي عمرو والحسن وقرا الباقون قياما وقرات طائفة قواما وقوله تعالى وارزقوهم فيها
واكسوهم قيل معناه فيمن يلزم الرجل نفقته وكسوته من زوجته وبنيه الاصغار وقيل في المحجورين
من اموالهم وقولوا لهم قولا معروفا قيل معناه ادعوا لهم بارك الله فيكم وحاطكم وصنع لكم وقيل معناه عدوهم
وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا اليكم اموالكم ومعنى اللفظة كل كلام يعرفه النفوس وتانس اليه
ويقتضيه الشرع قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله شهيدا
حسيبا ن هذه مخاطبة للجميع والمعنى تخلص التلبس لهذا الامر للاوصيا والابتلا الاختبار
وبلغوا النكاح معناه بلغوا مبالغ الرجال بحلم وحيضا وما يوازنه ومعناه جربوا عقولهم وقرا
وقرايحهم وتصرفهم وانستم معناه علمتم واشعرتم وخبرتم قال الشاعر آنست شاه واقرعها
القناص عصرا وقد دنا الانسا وقرا ابن مسعود احستم بالحا وسكون السين على مثال فعلتم
وقرا ابو عبد الرحمن وابو السماك وابن مسعود وعيسى الثقفي رشدا بفتح الرا والشين والمعنى
واحد ومالك رحمه الله ترى الشرطين البلوغ والرشد المختبر وحينئذ يدفع المال وابو حنيفه
يرى ان يدفع المال بالشرط الواحد ما لم يحفظ له سفه كما ابيحت السريه بالشرط الواحد وكتاب
الله قد قيدها بعدم الطول وخوف العنت الى غير ذلك من الامثلة كاليمين والحنث اللذين
بعدهما يجب الكفارة ولكنها يجوز قبل الحنث والتمثيل عندي في دفع المال بتوالي الشرطين
غير صحيح وذلك ان البلوغ لم يشبه الاية شيئا في الشرط ولكنها حالة الغالب على بني ادم ان يلتيم عقولهم
فيها فهو الوقت الذي لا يعتبر شرط الرشد الا فيه فقال اذا بلغ ذلك الوقت فلينظر الى الشرط وهو الرشد
حينئذ وفصاحة الكلام يدل على ذلك لان التوقيت بالبلوغ جاء باذا والمشروط جاء بان التي هي
قاعدة حروف الشرط واذا ليست بحرف شرط لحصول ما بعدها واجاز سيبويه ان يجازى بها في
الشعر وقالوا فعلوا ذلك مضطرين وانما جوزي بها لانها يحتاج الى جواب ولانها يليها الفعل مظهرا
او مضمرا واحتج الخليل على منع شرطيها بحصول ما بعدها الا ترى انك تقول احيك اذا احمر البسر ولا
يقولان احمر البسر وقال الحسن وقتاده الرشد في العقل والدين وقال ابن عباس بل في العقل وتدبير المال
لا غير وهو قول ابن القاسم في مذهبنا والرواية الاخرى انه في العقل والدين مروية عن مالك وقالت
فرقة دفع الوصي المال الى المحجور يفتقر الى ان يرفعه الى السلطان ويثبت عنده رشده او يكون
ممن يامنه الحاكم في ذلك وقالت فرقة ذلك موكول الى اجتهاد الوصي دون ان يحتاج الى رفعه الى

السلطان

الى السلطان قال رحمه الله والصواب في اوصيا زماننا ان لا يستغني عن رفعه الى السلطان وثبوت الرشد
عنده لما حفظ من تواطي الاوصيا على ان يرشد الوصي ويبري المحجور لسفهه وقلة تحصيله في ذلك
الوقت وقوله لا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا نهي من الله تعالى للاوصيا عن اكل اموال اليتامى بغير
الواجب المباح لهم والاسراف الافراط في الفعل والسرف والخطا في مواضع الانفاق ومنه قول
الشاعر ما في عطائهم من ولا سرف اي ليس يخطون مواضع العطا وبدارا معناه ومبادرة
كبرهم اي لان الوصي يستغنم مال محجوره فياكل ويقول اباد ركبره لئلا يرشد وياخذ ماله قاله ابن
عباس وغيره وقوله ان يكبروا انتصب ببدار ويجوز ان يكون التقدير مخافة ان وقوله ومن كان غنيا
فليستعفف الاية يقال عف الرجل عن الشي واستعفف اذا امسك فامر الغني بالامساك عن مال
اليتيم واباح الله للوصي الفقير ان ياكل من مال يتيمه بالمعروف واختلف العلما في حد المعروف فقال
عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيده وابن جبير والشعبي ومجاهد وابو العاليه ان ذلك القرض
اي يستسلف من مال يتيمه ويقضي اذا ايسر ولا يستسلف اكثر من حاجته وقال ابن عباس
ايضا وعكرمه والسدي وعطا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اني نزلت من مال الله
منزلة وال اليتيم ان استغنيت استعففت وان احتجت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت
وروي عن ابرهيم وعطا وغيرهما انه لا قضاء على الوصي الفقير فيما اكل بالمعروف قال الحسن
هي طعمة من الله له وذلك ان ياكل ما يقيته اكلا باطراف الاصابع ولا مكتسي منه بوجه وقال
ابراهيم النخعي ومكحول ياكل ما يقيته ويكتسي ما يستر عورته ولا يلبس الكتان والحلل وقال ابن
عباس والحسن وابو العاليه والشعبي انما ياكل الوصي بالمعروف اذا شرب من اللبن واكل من التمر
وقالت فرقة المعروف ان يكون له اجر بقدر عمله وخدمته وقال الحسن ابن حي ان كان وصي اب
فله الاكل بالمعروف وان كان وصي حاكم فلا سبيل له الى المال بوجه وقال ابن عباس والنخعي
المراد ان ياكل الوصي بالمعروف من ماله حتى لا يحتاج الى مال اليتيم وقال ربيع ابن ابي عبد
المراد اليتامى في الحالتين اي من كان منهم غنيا فليعف بماله ومن كان فقيرا فليقتر عليه
بالمعروف والاقتصاد وقوله فاذا دفعتم اليهم اموالهم الاية امر من الله بالتحرز والحزم
وهذا هو الاصل في الاشهاد في المدفوعات كلها اذا كان جنسها او لا معروفا وقالت فرقة
الاشهاد هاهنا فرض وقالت فرقة هو ندب الى الحزم وراى عمر بن الخطاب وابن جبير
هذا هو دفع الذي يستقرضه الوصي الفقير اذا ايسر واللفظ يعم هذا وسواه والحسيب هنا
المحسب اي هو كاف من الشهود قاله الطبري والاعمش معناه حاسبا اعمالكم ومجازيا بها
نفي هذا وعيد لكل جاحد حق قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنسا نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ن سمى الله الاب والدا
كما ان الابن منه ومن الوالدة كما قال الشاعر بحيث يعش الغراب البايض لان البيض من
الانثى والذكر قال قتاده وعكرمه وابن زيد سبب نزول هذه الاية ان العرب كان منها من لا يورث
النسا وكانت تقول لا يرث الا من طاعن بالرمح وقاتل بالسيف فنزلت الاية قال عكرمه سببها
خبر ام كحله مات زوجها وهو اوس بن سويد وترك لها شيئا فذهب عم بنتها الى ان لا يرث فذهبت
فذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال العم هي يا رسول الله لا تقاتل ولا تحمل كلا وتكتسب عليها
ولا تكتسب واسم العم ثعلبه فيما ذكر ونصيبا مفروضا نصب على الحال كذا قال مكي وانما هو اسم نصب
كما ينصب المصدر في موضع الحال تقديره فرضا ولذلك جاز نصبه كما يقول له علي كذا وكذا حقا واجبا
ولولا معنى المصدر الذي فيه ما جاز في الاسم الذي ليس بمصدر هذا النصب ولكان حقه الرفع
وقوله تعالى واذا حضر القسمة اختلف المتاولون فيمن خوطب بهذه الاية على قولين احدهما انها مخاطبة
للوارثين والمعنى اذا حضر قسمتكم لمال موروثكم هذه الاصناف الثلث فارزقوهم منه ثم
اختلفوا قائلوا هذا القول فقال سعيد بن المسيب وابو مالك والضحاك وابن عباس فيما حكى
عنه المهدوي نسخ ذلك باية المواريث وكانت هذه قسمة قبل المواريث فاعطى الله كل ذي حق
حقه وجعلت الوصية للذين يحرمون ولا يورثون وقال ابن عباس والشعبي ومجاهد وابن جبير ذلك
محكم لم ينسخ وقال ابن جبير وقد ضيع الناس هذه الاية قال الحسن ولكن الناس شحوا وامتثل ذلك
جماعة من التابعين عروة ابن الزبير وغيره وامر به ابو موسى الاشعري واختلف القائلون باحكامها
فقالت فرقة ذلك على جهة الفرض والوجوب ان يعطي الورثة لهذه الاصناف ما نفعه وطابت
به نفوسهم كالماعون والثوب الخلق وما خف كالتابوت وما يتعذر قسمته وقال ابن جبير

والحسن ذلك على جهة الندب فمن تركه فلا حرج واختلف على هذا القول اذا كان الوارث صغيرا
لا يتصرف في ماله فقال سعيد بن جبير وغيره هذا على وجه المعروف فقط يقوله ولي الوارث
دون عطا ينفذ وقالت فرقة بل يعطي ولي الوارث من مال محجوره اخذ ما ترى والقول
الثاني فيمن خوطب بها ان الخطاب للمحتضرين الذين يقسمون اموالهم بالوصية
فالمعنى اذا حضركم الموت ايها المؤمنون وقسمتم اموالكم بالفريضة وحضركم من
لا يرث من ذوي القرابة واليتامى فارزقوهم منه قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب
وابن زيد قال كانوا يقولون للموصي فلان يقسم ماله ومتى حضر شبهه الان الصفة
بالضعف واليتم والمسكنة يقتضي ان ذلك هو علة الرزق فحيث وجدت رزقوا وان
لم يحضروا القسمة واولوا اسم جمع لا واحد له من لفظه ولا يكون الا مضافا للابهام
الذي فيه وربما كان واحده من غير لفظه واليتيم الانفراد واليتيم الفرد وكذلك
سمي من فقد امه واباه يتيما لانفراده وراى عبيدة ومحمد بن سيرين ان الرزق
في هذه الاية ان يصنع لهم طعاما ياكلونه وفعلا ذلك بشاة من التركة والضمير في قوله
فارزقوهم وفي قولوا لهم عايد على الاصناف الثلثة وغيرها من تفريق عود الضميرين
كما ذهب اليه الطبري تحكم والقول المعروف كل ما يونس به من دعاء او عدة او
غير ذلك وقوله وليخش جزم بلام الامر ولا يجوز اضمار هذه اللام عند سيبويه قياسا على
حروف الجر الا في ضرورة شعر ومنه محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا
وقرا ابو حيوة وعيسى بن عمر والحسن والزهري بكسر لامات الامر في هذه الاية وقد تقدم
الكلام على لفظ ذرية في سورة ال عمران ومفعول يخشى محذوف بدلالة الكلام عليه وحسن
حذفه من حيث يتقدر فيه التخويف بالله تعالى والتخويف المعاقبة في الدنيا فينظر كل متامل
بحسب الاهم في نفسه وقرا ابو عبد الرحمن وابو حيوة والزهري وابن محيصن وعايشه ضعفا
بالمد وضم الضاد وروى عن ابن محيصن ضعفا بضم الضاد والعين وتنوين الفا واسال حمزه
ضعافا واسال خافوا والداعي الى امالة خافوا الكسرة التي في الماضي في قولك خفت لتدل عليها
وخافوا جواب لو تقديره لو تركوا لخافوا ويجوز حذف اللام في جواب لو يقول لو قام زيد لقام
عمرو ولو قام زيد قام عمرو واختلف في المراد في هذه الاية فقال ابن عباس وقتاده والسدى
وابن جبير والضحاك ومجاهد المراد من حضر ميتا حين يوصي فيقول له قدم لنفسك واعط فلانا
وفلانه ويؤذي الورثة بذلك فكان الاية يقول لهم كما كنتم تخشون على ورثتكم وذريتكم بعدكم
فكذلك فاخشوا على ورثة غيركم ولا تحملوه على تبذير ماله وتركهم عالة وقال مقسم وحضرمي نزلت
في عكس ذلك وهو ان يقول للمحتضر امسك على ورثتك وابق على ولدك وينهاه فنقص بذلك ذوي القربى
وكل من يستحق ان يوصى له فقيل لهم كما كنتم تخشون على ذريتكم وتسرون بان يحسن اليهم فكذلك
فسددوا القول في جهة المساكين واليتامى واتقوا الله في ضررهم وهذان القولان لا يطرد واحد
منهما في كل الناس بل الناس صنفان يصلح لاحدهما القول الواحد وللاخر القول الثاني وذلك ان الرجل
اذا ترك ورثته مستقلين بانفسهم اغنيا حسن ان يندب الى الوصية ويحمل على ان يقدم لنفسه
واذا ترك ورثة ضعافا مقلين حسن ان يندب الى الترك لهم والاحتياط فان اجره في قصد ذلك
كاجره في المساكين فالمراعات انما هو الضعف فيجب ان يمال معه وقال ابن عباس ايضا المراد
بالاية ولاة الايتام فالمعنى احسنوا اليهم وسددوا القول لهم واتقوا الله في اكل اموالهم كما تخافون
على ذريتكم ان يفعل بهم خلاف ذلك وقالت فرقة بل المراد جميع الناس فالمعنى مرهم باتقا الله في الايتام
واولاد الناس وان لم يكونوا في حجورهم وان سددوا لهم القول كما يريد كل احد ان يفعل بولده بعده
ومن هذا ما حكاه الشيباني قال كنا على قسطنطينية في عسكر مسلمة بن عبد الملك فجلسنا يوما في
جماعة من اهل العلم فيهم ابن قسد الديلمي فتذاكروا ما يكون من اهوال اخر الزمان فقلت له
يا ابا بشر وددت ان لا يكون لي ولد فقال ما عليك ما من نسمة قضى الله بخروجها الا خرجت
احب او كره ولكن ان اردت ان تامن عليهم فاتق الله في غيرهم ثم تلى هذه الاية والسديد
معناه المصيب للحق ومنه قول الشاعر • اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني •
معناه لما وافق الاغراض التي يرمى اليها قوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن
نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ن قال ابن زيد نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورثون
النساء والصغار وياكلون اموالهم وقال اكثر الناس نزلت في الاوصيا الذين ياكلون
ما لم يبح لهم من مال اليتيم وهي يتناول كل اكل وان لم يكن وصيا وسمي اخذ المال على كل وجوهه

اكلا

اكلا لما كان المقصود هو الاكل وبه اكثر الاتلاف للاشيا وفي نصه على البطون من الفصاحة تبيين
نقصهم والتشنيع عليهم بضد مكارم الاخلاق ومن التهافت بسبب البطن وهو انقص
الاسباب والامها حتى يدخلوا تحت الوعيد بالنار وظلما معناه ما جاوز المعروف مع فقر الوصي و
قال بعض الناس انه لما يؤول اكلهم الاموال الى دخولهم النار قيل ياكلون النار وقالت طائفة
بل هي حقيقة انهم يطعمون النار قيل ياكلون النار وفي ذلك احاديث منها حديث ابي سعيد الخدري
قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال رايت قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد
وكل بهم من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار يخرج من اسافلهم قلت يا جبريل
من هؤلاء قال هم الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وقرا جمهور الناس وسيصلون على اسناد الفعل
اليهم وقرا ابن عامر بضم اليا واختلف عن عاصم وقرا ابو حيوة وسيصلون على بناء الفعل للمفعول
بضم اليا وفتح الصاد وشد اللام على التكثير وقرا ابن ابي عبلة وسيصلون بضم اليا واللام وهي
ضعيفة والاول اصوب لانه كذلك جاء في القران في قوله لا يصلاها الا الاشقى وفي قوله
صال الجحيم والصلاء هو التسخن بقرب النار او بمباشرتها ومنه قول الحرث بن عباد لم اكن من
جناتها علم الله واني لحرها اليوم صالي والمحترق الذي يذهبه الحرق ليس بصال الا في بعض
امره واهل جهنم لا يذهبهم فهم فيها صالون والسعير الجمر المشتعل وهذه اية من ايات
الوعيد والذي يعتقده اهل السنة ان ذلك نافذ على بعض العصاة لئلا يقع الخبر بخلاف مخبره ساقط
بالمشية عن بعضهم وتلخيص الكلام في المسئلة ان الوعد في الخير والوعيد في الشر هذا عرفهما
اذا اطلقا وقد يستعمل الوعد في الشر مقيدا به كما قال تعالى النار وعدها فقالت المعتزلة
ايات الوعد كلها في التائبين والطائعين وايات الوعيد كلها في المشركين والعصاة بالكباير
وقال بعضهم وبالصغاير وقالت المرجية ايات الوعيد كلها في من اتصف بالايمان الذي هو
التصديق كان من كان من عاص وطائع وقلنا اهل السنة والجماعة ايات الوعد في المؤمنين
والطائعين ومن حاربه المشية من العصاة وايات الوعيد في المشركين ومن حاربه الانفاذ
من العصاة والاية الحاكمة بما قلناه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء يعني التائبين رد عليهم بان الفائدة في التفصيل كانت يفسد اذ الشرك ايضا يغفر
للتائب وهذا قاطع بحكم قوله لمن يشاء بان ثم مغفورا له وغير مغفور له واستقام المذهب
السني وقوله يوصيكم يتضمن الفرض والوجوب كما يتضمنه لفظ امر كيف تصرفت واما
صيغة الامر من غير اللفظه ففيها الخلاف الذي سياتي في موضعه ان شا الله تعالى ونحو
هذه الاية قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به وقيل
نزلت هذه الاية بسبب بنات سعد بن الربيع وقال السدي نزلت بسبب بنات عبد الرحمن
ابن ثابت اخي حسان بن ثابت وقيل بسبب جابر بن عبد الله اذ عاده رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مرضه قال جابر بن عبد الله وذكر ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون لا
يورثون الا من لاقى الحرب وقاتل العدو فنزلت الايات تبيينا ان لكل انثى وصغير حظ
وروى عن ابن عباس ان نزول ذلك كان من اجل ان المال كان للولد والوصية للوالدين
فنسخ ذلك بهذه الايات ومثل مرتفع بالابتداء وبالصفة تقديره حظ مثل حظ وقرا ابراهيم
ابن ابي عبلة في اولادكم ان للذكر وقوله تعالى فان كن نساء الاولاد لفظ يجمع الذكران والاناث
والاناث فلما اراد بهذه الاية ان يخص الاناث بذكر حكمهن انث الفعل للمعنى ولو اتبع
لفظ الاولاد لقال كانوا واسم كان مضمر وقال بعض النحويين البصريين تقديره وان كن
المتروكات نساء وقوله فوق اثنتين معناه اثنتين فما فوقهما يقتضي ذلك قوة الكلام واما الفرق
واما الوقوف مع اللفظ فيسقط معه النص على الاثنين ويثبت الثلثان لهما بالاجماع الذي مرت
عليه الاعصار والامصار ولم يحفظ فيه خلاف الا ما روى عن عبد الله بن عباس انه يرى
لهما النصف ويثبت لهما ذلك ايضا بالقياس على الاختين المنصوص عليهما ويثبت لهما ذلك
بالحديث الذي ذكره الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى للابنتين بالثلثين ومن
قال فوق زائدة واحتج بقوله فوق الاعناق فقوله خطا لان الظروف وجميع الاشيا لا تزاد في
كلام العرب لغير معنى ولان قوله فوق الاعناق هو الفصيح وليست فوق زائدة بل هي محكمة المعنى
لان ضربة العنق انما يجب ان يكون فوق العظام في المفصل دون الدماغ كما قال زيد بن الصمة
احفض عن الدماغ وارفع عن العظم فهكذا كنت اضرب اعناق الابطال وقد احتج لاخذهما
الثلثين بغير هذا لكن معارض قال القاضي اسمعيل اذا كانت البنت تاخذ مع اخيها اذا
انفرد الثلث فاحرى ان تاخذ ذلك مع اختها وغير ذلك وكما كان حكم الاثنتين فما فوقهما من

من الاخوة للام واحداً فكذلك البنات وقال النحاس لغة اهل الحجاز وكاسد الثلث والربع الى العشر
وقد قرا الحسن ذلك كله باسكان الاوسط وقراة الاعرج ومذهب الزجاج انها لغة واحدة وان
سكون العين تخفيف واذا اخذ بنات الصلب الثلثين فلا شي بعد ذلك لبنات الابن الا ان
كان معها اخ لهما او ابن اخ فيرد عليهن وعبد الله ابن مسعود لا يرى لهن شيئا وان كان
الاخ او ابن الاخ ويرى المال للذكر وحده دونهن قوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف
ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه
الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين ن قرا السبعة سوى نافع
واحدة على خبر كان وقرا نافع واحدة على ان كان بمعنى وقع وحضر وقرا ابو عبد الرحمن السلمي
النصف بضم النون وكذلك قرا علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت في جميع القران وقوله ولد يريد
ذكرا او انثى او جماعة للصلب او ولد ذكر فان ذلك كيف وقع يجعل فرض الاب السدس وان
اخذ النصف في ميراثه مع الابنة فانما ياخذه بالتعصيب فان لم يكن له ولد المعنى فان لم يكن
له ولد ذكر كان او انثى وورثه ابواه يقتضي قوة الكلام انهما منفردان عن جميع اهل السهام
من ولد وغيره فعلى هذا يكون قوله وورثه حكما لهما بالمال فاذا ذكر وحد بعد ذلك نصيب
احدهما اخذ النصيب الاخر كما يقول لرجلين هذا المال بينكما ثم يقول لاحدهما انت
لك منه الثلث فقد حددت للاخر الثلثين منه بنص كلامك وعلى ان فريضتها خلت من الولد
وغيره يجي قول اكثر الناس ان للام مع الانفراد الثلث من المال كله فان كان معها زوج كان للام
السدس وهو الثلث بالاضافة الى الاب وعلى ان الفريضة خلت من الولد فقط يجي قول شريح
وابن عباس ان الفريضة اذا خلت من الولد اخذت الام الثلث من المال كله مع الزوج وكان للاب
ما بقي ويجي على هذا قوله وورثه ابواه منفردين او مع غيرهم وقرا حمزة والكسائي
فلامه بكسر الهمزة وهي لغة حكاها سيبويه وكذلك كسر الهمزة من قوله في بطون امهاتكم
وفي امها وفي ام الكتاب وهذا كله اذا وصلا اتباعا للكسرة او الياء التي قبل الهمزة وقرا
الباقون كل هذا بالضم ومتى لم يكن وصل ويا او كسرة فالضم باتفاق وقوله تعالى فان كان
له اخوة فلامه السدس الاخوة يحطون الام الى السدس ولا ياخذونه كانوا اشقاء او للاب
او للام وقال من لا يعد قوله الا في السدود انهم يحطون وياخذون ما يحطون لانفسهم
مع الاب وروي عن ابن عباس وروي عنه خلافه مثل قول الناس والعلماء من الصحابة
والتابعون مجمعون على انهم لا ياخذون السدس الذي يحجبون الام عنه قال قتادة وانما اخذه
الاب دونهم لانه يمونهم ويلي نكاحهم والنفقة عليهم ويجمعون على ان اخوين
فصاعدا يحجبون الام عنه الا ما روي عن عبد الله بن عباس ان الاخوين في حكم الواحد
ولا يحجب الام اقل من الثلث واستدل الجميع على ان اقل الجمع اثنان لان التثنية جمع شي
الى مثله فالمعنى يقتضي انها جمع وذكر المفسرون ان العرب قد تاتي بلفظ الجمع وهي تريد
التثنية كما قال تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين وكقوله في اية الخصمين اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود
وكقوله واطراف النهار واحتجوا بهذا كله في ان الاخوة يدخل تحتها الاخوان قال رحمه الله
وهذه الايات كلها لا حجة فيها عندي على هذه الاية لانه قد تبين في كل اية منها بالنص ان المراد
اثنان فساغ التجوز بان يؤتى بلفظ الجمع بعد ذلك اذ معك في الاولى يحكمان وفي الثانية ان
هذا اخي وايضا فالحكم قد يضاف الى الحاكم والخصوم وقد يتسور مع الخصم غيرهما فهم جماعة
واما النهار في الاية الثالثة فالالف واللام فيه للجنس وانما اراد طرفي كل يوم واما اذا ورد
لفظ الجمع ولم يقترن به ما يبين المراد فانما يحمل على الجمع ولا يحمل على التثنية لان اللفظ مالك
للمعنى وللتثنية حق وذكر من احتج لقول عبد الله بن عباس ان بناء التثنية يدل على الجنس والعدد
كبناء الافراد وبناء الجمع يدل على الجنس ولا يدل على العدد فلا يصح ان يدخل قول الشاعر وان ابا
المراحمل ومولى الكلالة لا يعصب والاب والابن هما عمود النسب وسائر القرابة كالكوت
وقال ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وسليم بن عبيد وقتادة والحكم بن زيد وابو
اسحق السبيعي الكلالة خلو الميت عن الوالد والولد وهذا هو الصحيح وقالت طائفة هي خلو الميت
عن الولد فقط وروي ذلك عن ابي بكر وعن عمر ثم رجعا عنه وروي عن ابن عباس وذلك مستقرا
من قوله في الاخوة مع الوالدين انهم يحطون الام وياخذون ما يحطونها حكى هذا الطبري ويلزم
على قول ابن عباس اذ ورثهم بان الفريضة كلالة ان يعطيهم الثلث بالنص وقالت طائفة منهم
الحكم بن عتيبة الكلالة الخلو من الولد وهذان القولان ضعيفان لان من بقي والده او ولده

فهو

فهو موروث بجرم بسبب لا بكلالة واجمعت الان الامة على ان الاخوة لا يرثون مع ابن ولا مع اب وعلى
هذا مضت الاعصار والامصار وقرا جمهور الناس يورث بفتح الرا وقرا الاعمش وابو رجا
يورث وقرا عيسى يورث بشد الرا من ورث والمفعولان على كلتي القراتين محذوفان التقدير
يورث وارثه ماله كلالة ونصب كلالة على الحال واختلفوا في الكلالة فيما وقعت عليه في هذه الاية
فقال عمر وابن عباس الكلالة الميت الموروث واذا لم يكن له اب ونصبها على خبر كان وقال
ابن زيد الكلالة الوارثة بجملتها الميت والاحيا كلهم كلالة ونصبها على الحال او على النعت لمصدر
محذوف تقديره وراثة كلالة ويصح على هذا ان يكون كان تامة بمعنى وقع ويصح ان يكون ناقصة
وخبرها يورث وقال عطا الكلالة المال ونصب على المفعول الثاني والاشتقاق في معنى الكلالة تفسد
تسمية المال بها وقالت طائفة الكلالة الورثة وهذا يستقيم على قراة يورث بكسر الرا فينصب
كلالة على المفعول واحتج هؤلاء بحديث جابر بن عبد الله اذ دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انما يرثني كلالة افاوصي بمالي كله وحكى بعضهما ان يكون الكلالة الورثة ونصبها
على خبر كان وذلك بحذف مضاف تقديره ذا كلالة ويستقيم سائر التاويلات على كسر الرا وقوله
تعالى او امراة عطف على الرجل وقوله تعالى وله اخ او اخت الضمير في قوله له عائد على الرجل
واكتفى باعادته عليه دون المراة اذ المعنى فيهما واحد والحكم قد ضبطه العطف الاول و
اصل اخت اخوة كما اصل بنت بنية فضم اول اخت اذ المحذوف منها واو وكسر اول بنت
اذ المحذوف ياء وهذا الحذف والتعليل على غير قياس واجمع العلما على ان الاخوة في هذه الاية
الاخوة للام لان حكمهم منصوص في هذه الاية على صفة وحكم سائر الاخوة يخالف له وهو الذي
في كلالة اخر السورة وقرا سعد ابن ابي وقاص وله اخ او اخت لامه والانثى والذكر في هذه النازلة
الاية سواء وشركتهم في الثلث متساوية وان كثروا هذا باجماع وان ماتت امراة وتركت
زوجا واما واخوة اشقاء فللزوج النصف وللام السدس وما بقي للاخوة فان كانوا للام فقط
فلهم الثلث فان تركت الميتة زوجا واما واخوين لام واخوة لام واب فهذه الحمارية قال قوم الاخوة
للام الثلث ولا شي للاخوة الاشقاء كما مات رجل وخلف اخوين لام وخلف مائة اخ لاب فانه يعطى
الاخوان للام الثلث والمائة الثلثين فيفضلون بالثلث عليهم وقال قوم الام واحدة وهب
اباهم كان حمارا واشركوا بينهم في الثلث وسموها ايضا المشتركة ولا تستقيم هذه المسئلة
ان لو كان الميت رجلا لانه يبقى للاشقاء ومتى بقي لهم شي فليس لهم الا ما بقي والثلث للاخوة للام
قوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود
الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ن غير مضار
نصب على الحال والعامل يوصي ووصية نصب على المصدر في موضع الحال والعامل يوصيكم وقيل هو
نصب على الخروج من قوله فلكل واحد منهما السدس ومن قوله فهم شركاء في الثلث ويصح ان يعمل مضار
في وصية والمعنى ان تقع الضرر بها وبسببها فاوقع عليها تجوزا وقرا الحسن غير مضار وصية
بالاضافة كما تقول شجاع حرب وقصة المتجرد وفي قول طرفة بن العبد والمعنى على ما ذكرناه من
التجوز في اللفظ بصحة المعنى وقال ابن عباس الضرار في الوصية من الكبائر ورواه عن النبي
عليه السلام وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضار في وصية القاه الله
تعالى في واد في جهنم ووجوه المضارة كثيرة لا تحصى وكلها ممنوعة ان يقر بحق ليس عليه ويوصي
باكثر من ثلثه او لوارثه او بالثلث فرارا عن وارث محتاج وغير ذلك ومشهور مذهب مالك
وابن القاسم ان الموصي لا يعد فعله مضارة ما دام في الثلث فان ضار الورثة في ثلثه قضي ذلك
وفي المذهب قولان المضارة ترد وان كانت في الثلث اذا علمت باقرار او قرينة ويويد هذا قوله
تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما الاية وقوله تعالى تلك حدود الله تلك اشارة الى القسم المتقدمة
في المواريث والحد الحجر المانع لامر ما ان يدخل على غيره او يدخل عليه غيره ومن هنا قولهم للثواب
حدادا لانه يمنع ومنه احداد المراة وهو امتناعها من الزينة هذا هو الحد في هذه الاية
وقوله من تحتها يريد من تحت بنائها واشجارها الذي من اجله سميت جنة لان انهار الجنة
انما هي على وجه ارضها في غير اخاديد وحكى الطبري ان الحدود عند السدي هنا شروط شرط
الله وعند ابن عباس طاعة الله وعند بعضهم سنة الله وعند بعضهم فرائض الله وهذا
كله بمعنى واحد وعبارة مختلفة وخالدين قال الزجاج هي حال على التقدير اي مقدرين خالدين فيها
وجمع خالدين على معنى من بعد ان يقدم الافراد مراعاة للفظ من وعكس هذا لا يجوز وقوله
ومن يعص الله ورسوله قرا نافع وابن عامر ندخله بنون العظمة وقرا الباقون بالياء فيهما جميعا

وهذه اشارة وعد ووعيد وقد تقدم الايجاز فى ذلك ورجى الله تعالى على التزام هذه الحدود فى
قسمة الميراث وتوعد على العصيان فيها بحسب الكفار العرف لهذه القسمة وقد تكلم فيها النبى صلى الله
عليه وسلم عيينة ابن حصن وغيره قوله تعالى واللاتى ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفيهن الموت او يجعل الله لهن
سبيلا واللذان ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما
ن اللاتى اسم جمع للتى ويجمع ايضا على اللواتى ويقال اللائى باليا والفاحشة فى هذا الموضع الزنا
وكل معصية فاحشة وذكروا الالف واللام هنا للعهد وقرا ابن مسعود بالفاحشة بباء الجر
وقوله تعالى من نسائكم اضافة فى معنى الاسلام لان الكافرة قد تكون من نساء المسلمين
بنسب ولا يلحقها هذا الحكم وجعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا يتم الا باربعة شهداء
تغليظا على المدعى وسترا على العباد وقال قوم ذلك ليترتب شاهدان على كل واحد من الزانيين
وهذا ضعيف وكانت هذه اول عقوبات الزناة الامساك فى البيوت قال عبادة بن الصامت
والحسن ومجاهد حتى نسخ بالاذا الذى بعده ثم نسخ ذلك باية النور وبالرجم فى الثيب وقالت
فرقة بل كان الاذا هو الاول ثم نسخ بالامساك ولكن التلاوة اخرت وقدمت ذكره ابن
فورك وسبيلا معناه مخرجا بامر من اوامر الشرع وروى خطان بن عبد الله الرقاشى عن عمران
ابن حصين قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحى ثم اقلع عنه ووجهه محمر فقال
قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة
والرجم واللذان تثنية الذى وكان القياس ان يقال اللذيان كرحيان ومصطفيان
قال سيبويه حذفت اليا ليفرق بين الاسماء المتمكنة ومن الاسماء المبهمات قال ابو على
حذفت اليا تخفيفا اذ قد امن اللبس فى اللذان لان النون لا تحذف ونون التثنية
فى الاسماء المتمكنة قد تحذف مع الاضافة فى رحياك ومصطفيا القوم فلو حذف
اليا لاشتبه المفرد بالاثنين وقرا ابن كثير اللذان بشد النون وتلك عوض من اليا
المحذوفة وكذلك قرا هذان وفذانك وهاتين بالتشديد فى جميعها وقرا نافع وابن
عامر وعاصم وحمزه والكساى بتخفيف جميع ذلك وشدد ابو عمرو فذانك وحدها ولم يشدد
غيرها واللذان رفع بالابتداء وقيل على معنى فيما يتلى عليكم اللذان واختلف فى الاذى
فقال عباده والسدى هو التعيير والتوبيخ وقالت فرقة هو السب والجفا دون تعيير وقال
ابن عباس هو النيل باللسان واليد وضرب النعال وما اشبه هذا قال مجاهد وغيره
الاية الاولى فى النساء عامة لمحصنات وغير محصنات والاية الثانية فى الرجال وبين
بلفظ التثنية صنفى الرجال ممن احصن وممن لم يحصن فعقوبة النساء الحبس وعقوبة الرجال
الاذى وهذا قول يقتضيه اللفظ ويستوفى نص الكلام اصناف الزناة عليه ويؤيده من جهة
اللفظ قوله فى الاولى من نسائكم وقوله فى الثانية منكم وقال السدى وقتادة وغيرهما الاية الاولى
فى النساء المحصنات ويدخل معهن من احصن من الرجال بالمعنى والاية الثانية هى فى الرجل
والمراة البكرين ومعنى هذا القول تام الا ان لفظ الاية تعلق عنه وقد رجحه الطبرى وقرا ابن مسعود
والذين يفعلونه منكم واجمع العلماء على ان هاتين الايتين منسوختان باية الجلد فى سورة
النور قال الحسن ومجاهد وغيرهما الا من قال ان الاذى والتعيير باق مع الجلد لانهما
لا يتعارضان بل يتحملان على شخص واحد واما الحبس فمنسوخ باجماع واية الجلد عامة فى الزناة
محصنهم وغير محصنهم وكذلك عممه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث خطان بن عبد الله
الرقاشى الذى ذكرته انفا وان كان فى صحيح مسلم فهو خبر احاد ثم ورد بالخبر المتواتر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجم ولم يجلد فمن قال ان السنة المتواترة ينسخ القران جعل رجم الرسول
دون ان جلد ناسخا لجلد الثيب وهذا الذى عليه الامة ان السنة المتواترة ينسخ القران اذ هما جميعا
وحى من الله ويوجبان جميعا العلم والعمل وانما اختلفا فى ان السنة يعضدها الاعجاز وصح
ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر ماعز وفى حديث العامدية وفى حديث المراة التى بعث
اليها انيس ومن قال ان السنة المتواترة لا ينسخ القران قال انما كون حكم القران ثابتا ثم
ياتى السنة مستانفة من غير ان يتناول نسخا قال رضى الله عنه وهذا تحكم لا يستقيم لانا
نجد السنة يرفع حكمها ما استقر من حكم القران على حكم النسخ ولا يرد ذلك نظر ولا يتحرم
منه اصل انما ان هذه النازلة بعينها يتوجه عندى ان يقال فيها ان الناسخ لحكم الجلد هو
القران المتفق على رفع لفظه وبقا حكمه فى قوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة وهذا نص فى الرجم قد قرره عمر على المنبر بحضر الصحابة وذكر انه قرئ على عهد رسول

سهل بن حنيف لما توفى قيس بن الاسلت اراد ابنه ان يتزوج امراته وكان لهم ذلك فى الجاهلية
فنزلت فى ذلك ذكر النقاش ان اسم ولده قيس محصن قال رحمه الله كانت هذه السيرة فى
الانصار لازمة وكانت فى قريش مباحة مع التراضى الا ترى ان ابا عمرو بن امية خلف على امراة
ابيه بعد موته فولدت من ابى عمرو سافرا وابا معيط وكان لها من امية ابو العيص وغيره
فكان بنو امية اخوة مسافر وابى معيط واعمامهما وقال بمثل هذا القول الذى حكيت عن
ابن عباس عكرمة والحسن البصرى وابى مجلز قال عكرمة نزلت فى كبشة بنت معن الانصارية
توفى عنها ابو قيس بن الاسلت وقال مجاهد كان الابن الاكبر احق بامراة ابيه اذا لم يكن
ولدها وقال السدى كان ولى الميت اذا سبق فالقى على امراة الميت ثوبه فهو احق بها وان سبقته
فذهبت الى بيت اهلها كانت احق بنفسها والروايات فى هذا كثيرة بحسب السير الجاهلية
ولا منفعة فى ذكر جميع ذلك اذ قد اذهبه الله بقوله لا يحل ومعنى الاية على هذا القول
لا يحل لكم ان تجعلوا النساء كالمال يورث عن الرجال الموتى كما يورث المال والمتلبس
بالخطاب اولياء الموتى وقال بعض المتاولين معنى الاية لا يحل لكم عضل النساء اللواتى
انتم اولياؤهن وامساكهن دون تزويج حتى يمتن فيورث اموالهن فعلى هذا القول
فالموروث مالها لا هى وروى نحو هذا عن ابن عباس وغيره والمتلبس بالخطاب
اولياء النساء وازواجهن اذا حبسوهن مع سوء العشرة طماعية ان يرثنها وقرا نافع
وابو عمرو وابن كثير كرها بفتح الكاف حيث وقع فى النساء وسورة التوبة وفى الاحقاف
وقرا حمزه والكساى جميع ذلك بضم الكاف وقرا عاصم وابن عامر فى النساء والتوبة بفتح
الكاف وفى الاحقاف فى الموضعين بضمها والكره والكرة لغتان كالضعف والضعف
والفقر والفقر قاله ابو على وقال الفرا هو بضم الكاف السفه وبفتحها اكراه غيره وقاله ابن
قيس واختلف المفسرون فى معنى قوله ولا تعضلوهن فقال ابن عباس هى ايضا فى اولئك الا
الاولياء الذين كانوا يرثون المراة لانهم كانوا يتزوجونها اذا كانت جميله ويمسكونها حتى تموت
اذا كانت ذميمه وقال نحوه الحسن وعكرمة ويجئ فى قوله ما اتيتموهن خلطا اى ما اتاها الرجال
قبل فهى كقوله واقتلوا انفسكم وغير ذلك وقال ابن عباس ايضا هى من الازواج فى الرجل يمسك
المراة ويسىء عشرتها حتى يفتدى منه فذلك لا يحل له وقال مثله قتاده وقال ابن السلمانى
العضل الاول من الاية فى امر الجاهليه والثانى فى العضل هو فى اهل الاسلام فى حبس الزوجة
ضرارا للعدة وقال ابن مسعود معنى الاية لا ترثوا النساء كفعل الجاهليه ولا تعضلوهن فى الاسلام
وقال نحو هذا القول السدى والضحاك وقال السدى هذه الاية خطاب للاولياء كالعضل المنهى
عنه فى سورة البقرة وهذا تعلق الا ان يكون العضل من ولى وارث فهو يؤمل موتها وان كان
غير وارث فاى شئ يذهب وقال ابن زيد هذا العضل المنهى عنه فى هذه الاية هو من سير الجاهليه
فى قريش بمكة اذا لم يتوافق الزوجان طلقها على ان لا يتزوج الا باذنه ويشهد عليها بذلك
فاذا خطبت فان اعطته ورضيه والا عضل فهى هذا نزلت هذه الاية والذى اقول ان العضل
ان العضل فى اللغة الحبس فى شدة ومضرة والمنع من الفرج فى ذلك فمن ذلك قولهم اعضلت
الدجاجة وعضلت اذا صعب عليها وضع البيضة ومنه اعضل الدا الاطبا ولم يبرا ومنه
داء عضال ومشى عرف الفقها على ان العضل من الاولياء فى حبس النساء عن التزويج وهذا فى اللغة
اعم من هذا احسب ما ذكرت يقع من ولى ومن زوج واقوى ما فى هذه الاقوال المتقدمة
ان المراد الازواج ودليل ذلك فى قوله الا ان ياتين بفاحشة واذا اتت بفاحشة فليس
للولى حبسها حتى يذهب بمالها اجماعا من الامة وانما ذلك للزوج على ما سيبين بعد ان شا الله
وكذلك فى قوله وعاشروهن بالمعروف الى اخر الاية يظهر منه نفوه ما ذكرته وان كان ذلك يحتمل
ان يكون امرا منقطعا من الاول يختص به الازواج واما العضل فينهى عنه كل من يتصور منه فى نازله
عضل ومتى صح فى ولى انه عاضل نظر القاضى فى امر المراة فزوجها ولم يلتفت الا الاب فى بناته
فانه ان كان فى امره اشكال فلا يعترض قولا واحدا وان صح عضله ففيه قولان فى مذهب مالك
احدهما انه كسائر الاولياء يزوج العاصى من شاء التزويج من بناته وطلبه والقول الاخر
انه لا يعرض له ويحتمل قوله ولا تعضلوهن ان يكون جزما فتكون الواو عاطفة جملة كلام مقطوعة
من الاولى ويحتمل ان يكون تعضلوهن نصبا عطفا على ترثوا فتكون الواو مشتركة عاطفة
فعل على فعل وقرا ابن مسعود ولا ان تعضلوهن فهذه القراة تقوى احتمال النصب وان العضل
مما لا يحل بالنص وعلى تاويل الجزم هو نهى معرض لطلب القرائن فى التحريم او الكراهية واحتمال
النصب اقوى واختلف الناس فى معنى الفاحشة هنا فقال الحسن هو الزنا واذا زنت

البكر فانما يجلد مائة ويحبس سنة ويرد الى زوجها ما اخذته منه وقال ابو قلابة اذا زنت
زوجة الرجل فلا باس ان يضارها ويشق عليها حتى تفتدى منه وقال السدى اذا فعلن
ذلك فخذوا مهورهن وقال عطا الخراسانى كان هذا الحكم ثم نسخ بالحدود وهذا قول ضعيف
وقال ابن عباس الفاحشة فى هذه الاية البغض والنشوز وقاله الضحاك وغيره قالوا اذا نشزت
حل له ان ياخذ مالها وهذا هو مذهب مالك الا انى لا احفظ له نصا فى معنى الفاحشة
فى الاية وقال قوم الفاحشة البذا باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا وهذا فى معنى النشوز
ومن اهل العلم من يجيز اخذ المال من الناشز على جهة الخلع الا انه يرى ان لا يتجاوز ما
اعطاها ركونا الى قوله تعالى لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن وقال مالك واصحابه وجماعة
من اهل العلم للزوج ان ياخذ من الناشز جميع ما يملكه قال رضى الله عنه والزنا اصعب
على الزوج من النشوز والاذى وكل ذلك فاحشة تحل باخذ المال وقرا ابن مسعود الا ان
يفحش وعاشروهن وهذا خلاف مفرط لخط المصحف الامام وكذلك ذكر ابو عمرو عن ابن
عباس وعكرمة وابى بن كعب وفى هذا نظر وقرا ابن كثير وعاصم فى رواية ابى بكر مبينة
وايات مبينات بفتح اليا فيهما وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص والمفضل
عن عاصم مبينة مبينات بكسر اليا فيهما وقرا نافع وابو عمرو مبينة بالكسر ومبينات بالفتح
وقرا ابن عباس بفاحشة مبينة بكسر الباء وسكون الياء من ابان الشئ وهذه القراءات
كلها لغات فصيحة يقال بين الشئ وبان الشئ اذا ظهر وبان الشئ وبينته وقوله تعالى وعاشروهن
بالمعروف امر للجميع اذ لكل احد عشرة زوجا كان او وليا ولكن المتلبس فى الاغلب بهذا الازواج
والعشرة المخالطة والممازجة ومنه قول طرفة   فلئن شطت نواها مرة لعلى عهد حبيب معيش
جعل الحبيب جميعا كالخليط والفريق يقال عاشره معاشرة وتعاشر القوم واعتشروا وارى
اللفظ من اعشار الجزور لانها مقاسمة ومخالطة ومخالفة جميلة فامر الله الرجال بحسن
صحبة النساء والى هذا ينظر قول النبى عليه السلام فاستمتع بها وفيها عوج ثم ادب تعالى عباده
بقوله وان كرهتموهن الاية قال السدى الخير الكثير فى المراة الولد وقال نحوه ابن عباس ومن
فصاحة القرآن العموم الذى فى لفظ شى لانه تطرد هذا النظر فى كل ما يكرهه مما يجمل الصبر عليه
فيحسن الصبر اذ عاقبته الى خير اذا اريد به وجه الله قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج
مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا
وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا ن لما قضى فى الاية
المتقدمة حكم الفراق الذى سببه المراة وان للزوج اخذ المال منها عقب ذلك ذكر الفراق
الذى سببه المنع من اخذ مالها مع ذلك فهذا الذى فى هذه الاية هو الذى يختص الزوج بارادة
بارادته واختلف العلماء اذا كان الزوجان يريدان الفراق وكان منهما نشوز وسوء
عشرة فقال مالك رحمه الله للزوج ان ياخذ مالها اذا سببت الفراق ولا يراعى تسببه
هو وقالت جماعة من العلما لا يجوز له اخذ المال الا ان ينفرد هى بالنشوز وتظلم فى ذلك
وقال بعض الناس يخرج فى هذه الاية جواز المغالات فى المهور لان الله تعالى قد مثل بقنطار
ولا يمثل تعالى الا بمباح وخطب عمر بن الخطاب فقال الا لا تغالوا فى مهور نسائكم فان الرجل
يغالى حتى يكون ذلك فى قلبه عداوة للمراة يقول جشمت اليك علق القربة او عرق القربة
فيروى ان امراة كلمته من وراء الناس فقالت كيف هذا والله تعالى يقول واتيتم
احداهن قنطارا قال فاطرق عمر ثم قال كل الناس افقه منك يا عمر ويروى انه قال امراة
اصابت ورجل اخطا والله المستعان وترك الانكار وقال قوم لا تعطى الاية جواز
المغالات بالمهور لان التمثيل جاء على جهة المبالغة كانه قال واتيتم هذا القدر
العظيم الذى لا يؤتيه احد وهذا كقوله عليه السلام من بنى مسجدا لله ولو كمفحص
قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة ومعلوم انه لا يكون مسجد كمفحص وقد قال قال النبى
صلى الله عليه وسلم لابن ابى حدرد وقد جاء يستعينه فى مهره فساله عن المهر
فقال مائتين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كانكم تقطعون الذهب
والفضة من عرض الحرة واحمل الحديث فاستقرا بعض الناس من هذا منع المغالات
فى المهور وهذا لا يلزم لان هذا احوج نفسه الى الاستعانة والسؤال وذلك
مكروه باتفاق وانما المغالات المختلف فيها مع الغنى وسعة المال وقرا ابن محيصن
بوصل الف احداهن وهى لغة يحذف على جهة التخفيف ومنه قول الشاعر
وتسمع من تحت العجاج لها ازملا   وقول الاخر   ان لم اقاتل فالبسونى برقعا وقد

وقد تقدم الكلام فى قدر القنطار فى سورة آل عمران وقرا ابو السمال منه شيئا بفتح اليا والتنوين
وهى قراءة ابى جعفر والبهتان مصدر فى موضع الحال ومعناه مبهتا محير الشنعته وقبح الاحدوثة
والفعلة ثم وعظ تعالى عباده مذكرا لهم بالمودات التى بين الزوجين الموجبة لحياطة مال
المراة اذ قد اخذ منها العوض عما اعطاها وكيف فى موضع نصب على الحال وافضى معناه باشر
وجاوز افضى المجاورة ومنه قول الشاعر   بلى وثاى افضى الى كل كتيبة بدا سيرها من ظاهر بعد
باطن وفى مثل فوضى فضى اى مختلطون يباشر بعضهم امر بعض ويقولون افضيت الحال الى كذا
اى صارت اليه وقال ابن عباس ومجاهد والسدى وغيرهم الافضا فى هذه الاية الجماع قال ابن
عباس ولكن الله كريم يكنى واختلف الناس فى الميثاق الغليظ فقال الحسن وابن سيرين وقتادة
والضحاك والسدى وغيرهم هو قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقال مجاهد وابن زيد
الميثاق الغليظ عقدة النكاح وقول الرجل نكحت وملكت النكاح ونحوه فهذه التى لاجلها يستحل
الفروج وقال الربيع وعكرمة الميثاق الغليظ يفسره قول النبى عليه السلام استوصوا بالنساء
خيرا فانهن عوان عندكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلام الله وقال قوم
الميثاق الغليظ الولد ومن شاذ الاقوال فى هذه الاية ان بكر بن عبد الله المزنى قال لا يجوز
ان يؤخذ من المختلعة شئ قليل ولا كثير وان كانت هى المريدة الطلاق ومنها ان ابن زيد قال هذه
الاية منسوخة بقوله تعالى فى سورة البقرة ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا
الا يقيما حدود الله قال رضى الله عنه وليس فى شئ من هذه الايات ناسخ ولا منسوخ وكلها
يبنى بعضها مع بعض قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات
الاخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم ن هذه الاية
مخاطبة للمؤمنين من العرب فى مدة نزول الاية ومعنى الاية والتحريم الذى بعدها مستقر
على المؤمنين اجمع وسبب الاية ان العرب كان منهم قبائل قد اعتادت ان يخلف ابن الرجل
على امراة ابيه كما ذكرنا من امر ابى عمرو ابن امية بن عبد شمس ومن ذكر خبر قيس بن الاسلت
ومن ذلك صفوان بن امية بن خلف تزوج بعد ابيه فاختة بنت الاسود بن المطلب بن اسد
وكانت امراة ابيه قتل عنها ومن ذلك منظور بن زبان خلف على مليكة بنت خارجة وكانت
عند ابيه زبان بن سيار الى كثير من هذا وقد كان فى العرب من تزوج ابنته وهو حاجب بن زرارة
وفعل هذه الفعلة ذكر ذلك النضر بن شميل فى كتاب المثالب فنهى الله المؤمنين عما كان عليه اباؤهم
من هذه السيرة وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الا امراة الاب والجمع بين
الاختين فنزلت هذه الاية فى ذلك واختلف المتاولون فى مقتضى الفاظ الاية فقالت فرقة قوله
ما نكح يراد به النساء اى لا تنكحوا النساء اللواتى نكح اباؤكم وقوله الا ما قد سلف معناه لكن ما قد
سلف فهو معفو عنكم لمن كان واقعه وكانه قال ولا تفعلوا حاشا ما قد سلف فما على هذا القول
واقعة على من يعقل من حيث هؤلاء النساء صنف من اصناف من يعقل وما تقدم للاصناف
والاصناف ممن يعقل وقالت فرقة قوله ما نكح يراد به فعل الاباء اى لا تنكحوا كما كان اباؤكم من عقود
هم الفاسدة وقوله الا ما قد سلف معناه فهو معفو عنكم وما على هذا مصدرية وفى قراءة ابى
ابن كعب الا ما قد سلف الا من تاب كذلك حكاه ابو عمرو الدانى وقال ابن زيد معنى الاية النهى
عن ان يطا الرجل امراة وطئها الاباء الا ما سلف من الاباء فى الجاهلية من الزنا بالنساء
لا على وجه المناكحة فذلك جائز لكم زواجهم فى الاسلام لان ذلك الزنا كان فاحشة ومقتا قال
ابن زيد فزاد فى هذا المقت وقال ابن عباس رضى الله عنه فى تاويل هذه الاية كل امراة تزوجها
ابوك او ابنك دخل او لم يدخل فهى عليك حرام وكان فى هذه الاية يقتضى الماضى والمستقبل قال
المبرد هى زائدة وذلك خطا يرد عليه وجود الخبر منصوبا والمقت البغض والاحتقار
بسبب رذيلة يفعلها الممقوت فسمى تعالى هذا النكاح مقتا اذ هو ذا مقت يلحق فاعله وقال ابو
عبيدة وغيره كانت العرب تسمى الولد الذى يجئ من زوج الوالد المقتى وساء سبيلا اى بئس
الطريق والمنهج لمن سلكه اذ عاقبته الى عذاب الله وقوله تعالى حرمت عليكم الاية حكم حرم الله
به سبعا من النسب وستا من بين رضاع وصهر والحقت السنة المتواترة سابعة وذلك
الجمع بين المراة وعمتها ومضى عليها الاجماع وروى عن ابن عباس انه قال حرم من النسب
سبع ومن الصهر سبع وتلى هذه الاية وقال عمرو بن سالم مولى الانصار مثل ذلك وجعل
السابعة قوله تعالى والمحصنات من النساء وتحريم الامهات عام فى كل حال لا يتخصص
بوجه من الوجوه وتسميه اهل العلم المبهمة اى لا باب فيه ولا طريق اليه لانسداد التحريم

وقوته وكذلك تحريم البنات والاخوات والام كل من ولدت المرو ان علت والبنت كل من ولدها
وان سفلت والاخت كل من جمعه واباها صلب او بطن والعمة اخت الاب والخالة اخت الام
كذلك فيهما العموم والابهام وكذلك عمة الاب وخالته وعمة الام وخالتها وكذلك عمة العمة
واما خالة العمة فينظر فان كانت العمة اخت اب لام واب فان خالة العمة لا تحل لانها اخت الجدة
وان كانت العمة انما هي اخت اب لاب فقط فخالتها اجنبية من بني اخيها تحل للرجال ويجمع بينها
وبين النسا وكذلك عمة الخالة ينظر فان كانت الخالة اخت الام لاب فعمتها حرام لانها اخت جد
وان كانت اخت ام لام فقط فعمتها اجنبية من بني اختها وكذلك في بنات الاخ وبنات الاخت العموم
والابهام سواء كانت الاخوة سقاقة او لاب او لام وقرا ابو حيوة من الرضاعة بكسر الواو الرضع
يحرم ما يحرم من النسب والمرضعة ام وما تقدم من اولادها وما تاخر اخوة وفحل اللبن الاب وما
تقدم من اولاده وما تاخر اخوة وقرا ابن مسعود اللاي باليا وقرا ابن هرمز وامهاتكم التي
بغير الف كانه من جهة الابهام يقع مع الواحد والجماعة واختلف الناس في تاويل قوله تعالى
وامهات نسائكم فقال جمهور اهل العلم هي تامة العموم فيمن دخل بها او لم يدخل فالعقد
على الابنة حرمت الام وهذا مذهب جملة الصحابة والتابعين وفقها الامصار وروى
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قيل له في رجل يزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها ايزوج
امها قال نعم هي بمنزلة الربيبة يريد ان قوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن شرط في هذه
وفي الربيبة وروي نحوه عن ابن عباس وروي عنه كقول الجمهور وروي عن زيد بن ثابت انه كان
يقول اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها وان طلقها قبل ان يدخل بها فان شا
فعل وقال مجاهد الدخول مراد في النازلتين وقول جمهور الناس مخالف لهذا القول وروي في ذلك
عن زيد بن ثابت انه قال امهات نسائكم مبهمة وانما الشرط في الربايب وقال ابن جريج قلت لعطا
اكان ابن عباس يقرا وامهات نسائكم التي دخلتم بهن فقال لا تترا قال حجاج قلت لابن جريج
ما تترا قال كانه قال لا لا ولا يرد هذا القول من جهة الاعراب ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن
نعتهما واحدا ومعناه اذا اختلفا في العامل وهذه الاية قد اختلف فيها جنس العامل
قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد
سلف ان الله كان غفورا رحيما ن الربيبة بنت امراة الرجل من غيره سميت بذلك لانه يربيها
في حجره فهي مربوبة وربيبة فعيلة بمعنى مفعولة وقوله تعالى اللاتي في حجوركم ذكر الاغلب من
هذه الامور اذ هذه حالة الربيبة في الاكثر وهي محرمة وان كانت في غير الحجر لانها في حكم انها
في الحجر الا ما روي عن علي انه قال تحل اذا لم يكن في الحجر وان دخل بالام اذا كانت بعيدة عنه ويقال الحجر
بفتح الحا وكسرها وهو مقدم ثوب الانسان وما بين يديه منه في حال اللبس ثم استعملت اللفظة
في الحفظ والستر لان اللابس انما يحفظ طفلا وما اشبهه فذلك الموضع من الثوب واختلف
العلما في معنى قوله تعالى دخلتم بهن فقال ابن عباس وطاوس وابن دينار الدخول في هذا الموضع
الجماع وان طلق الرجل بعد البنا وقبل الوطء فان ابنتها له حلال وقال جمهور من العلما منهم مالك
وعطا ابن ابي رباح وغيرهم ان التجريد والتقبيل والمضاجعة وجميع انواع التلذذ يحرم
الابنة كما يحرمها الوطء والحلائل جمع حليلة وهي الزوجة لانها تحل مع الرجل حيث حل فهي فعيلة
بمعنى فاعلة وذهب الزجاج وقوم الى انها من لفظ الحلال فهي حليلة بمعنى محللة وقوله الذين من
اصلابكم تخصيص ليخرج عنه كل من كانت العرب تتبناه ممن ليس للصلب وكان عندهم امرا كبيرا قوي
الحكم قال عطا ابن ابي رباح كنا نتحدث والله اعلم انها نزلت في محمد عليه السلام حين تزوج امراة
زيد بن حارثة فقال المشركون قد تزوج امراة ابنه فنزلت الاية وحرمت حليلة الابن من الرضاع
وان لم يكن للصلب باجماع المستند الى قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
وقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين لفظ يعم الجميع بنكاح وبملك يمين واجمعت الامة على منع
جمعهما بنكاح واما بملك اليمين فقال عثمان بن عفان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا
في خاصة نفسي فلا ارى الجمع بينهما حسنا وروي نحو هذا عن ابن عباس ذكره ابن المنذر وذكر
ان اسحق بن راهويه حرم الجمع بينهما بالوطء وان جمهور اهل العلم كرهوا ذلك وجعل مالكا
فيمن كرهه ولا خلاف في جواز جمعهما بالملك وكذلك الام وبنتها ويجي من قول اسحق ان يرجم الجامع
بينهما بالوطء ويستقرى الكراهة من قول مالك انه اذا وطئ واحدة ثم وطئ الاخرى وقف
عنهما حتى يحرم احداهما ولم يلزمه حدا واختلف العلماء بعد القول وما على هذا مصدرية
وفي قراة ابي بن كعب الا ما قد سلف الا من باع حكاه ابو عمرو الداني وقال ابن زيد معنى الاية

النهي

النهي عن ان يطا الرجل امراة وطئها الاباء الا ما سلف من الاباء في الجاهلية من الزنا بالنساء لا على
وجه المناكحة وذلك جائز لكم زواجهم في الاسلام لان ذلك الزنا كان فاحشة بالمنع من الجمع
بينهما بالوطء اذا كان يطا واحدة ثم اراد ان يطا الاخرى فقال علي بن ابي طالب وابن عمر
والحسن البصري والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق لا يجوز له وطء الثانية حتى يحرم فرج
الاخرى باخراجها من ملكه ببيع او بعتق او بان تزوجها قال ابن المنذر وفيها قول ثان لقتادة
وهو انه اذا كان يطا واحدة واراد وطء الاخرى فانه ينوي تحريم الاولى على نفسه وان لا يقربها
ثم يمسك عنهما حتى تستبرى الاولى المحرمة ثم يغشى الثانية ومذهب مالك رحمه الله اذا كانت
اختان عند رجل فله ان يطا ايتهما شاء والكف عن الاخرى موكول الى امانته فان اراد وطء
الاخرى فيلزمه ان يحرم على نفسه فرج الاخرى بفعل يفعله باخراج عن الملك او تزويج او عتق
الى اجل او كتابة او اخدام طويل فان كان يطا احداهما ثم وثب على الاخرى دون ان يحرم الاولى وقف عنهما
ولم يجز له قرب احداهما ولم يرق ذلك الى امانته لانه متهم فيمن قد وطئ ولم يكن قبل متهما اذ كان
لم يطا الا الواحدة وان كان عند رجل امة يطاها ثم تزوج اختها ففيها في المذهب ثلثة اقوال
في النكاح الثالث من المدونة انه موقف عنهما اذا وقع عقد النكاح حتى يحرم احداهما مع كراهية
لهذا النكاح اذ هو عقد في موضع لا يجوز فيه الوطء وذلك مكروه الا في الحيض لانه امر غالب
كثير وفي الباب بعينه قول اخر ان النكاح لا ينعقد وقال اشهب في كتاب الاستبراء عقد
النكاح في الواحدة تحريم لفرج المملوكة وثبت عن النبي عليه السلام انه نهى ان يجمع بين المراة
وعمتها وبين المراة وخالتها واجمعت الامة على ذلك وقد راى بعض العلماء ان هذا
الحديث ناسخ لعموم قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم وذلك لان الحديث من المتواتر وكذلك
قوله عليه السلام يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب فقيل ايضا انه ناسخ وقوله تعالى الا ما
قد سلف استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وازاله الاسلام فان
الله يغفره والاسلام يجبه قوله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين
فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من
بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ن قوله عز وجل والمحصنات عطف على المحرمات
قبل والتحصن التمنع يقال حصن المكان اذا امتنع ومنه الحصن وحصنت المراة امتنعت بوجه
من وجوه الامتناع واحصنت نفسها واحصنها غيرها والاحصان يستعمله العرب في اربعة
اشياء وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله تعالى فيستعمل في الزواج لان ملك الزوج منعته
وحفظه ويستعملون الاحصان في الحرية لان الاماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا والحرة بخلاف
ذلك الا ترى الى قول هند بنت عتبة للنبي عليه السلام حين بايعته وهل تزني الحرة فالحرية
منع وحفظ ويستعملون الاحصان في الاسلام لانه حافظ ومنه قول النبي عليه السلام
الايمان قيد الفتك ومنه قول الهذلي فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب
السلاسل ومنه قالت هلم الى الحديث فقلت لا يابى عليه الله والاسلام ومنه قول سحيم من وسل
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ومنه قول ابن خبة زمنتني وستر الله بيني وبينها فان احد الاقوال
في الستر اراد به امه الاسلام ويستعملون الاحصان في العفة لانها اذا ارتبط بها انسان
وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيث ما وقعت اللفظة في القران فلا تجد ها
تخرج عن هذه المعاني لكنها قد تقوى فيها بعض المعاني ويخرج دون بعض بحسب موضع وسياق
بيان ذلك فيما تاتيه ان شاء الله تعالى فقوله في هذه والمحصنات قال فيه ابن عباس وابو قلابة وابن
زيد ومكحول والزهري وابو سعيد الخدري هن ذوات الازواج اي هن محرمات الا ما ملكت
ايمانكم بالسبا من ارض الحرب فان تلك حلال للذي يقع سهمه وان كان لها زوج وروى ابو سعيد
الخدري ان الاية نزلت بسبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا الى اوطاس فلقوا عدوا
واصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فتاثم المسلمون من غشيانهن فنزلت الاية مرخصة وقال
عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس
ان معنى المحصنات ذوات الازواج فهن حرام الا ان يشتري الرجل الامة ذات الزوج فان
بيعها طلاقها وهبتها طلاقها والصدقة بها طلاقها وان تعتق طلاقها وان تورث طلاقها
وتطليق الزوج طلاقها وقال ابن مسعود اذا بيعت الزوجة الامة ولها زوج فالمشتري احق
ببضعها ومذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء ان انتقال الملك في الامة لا يكون طلاقا
ولا طلاق لها الا الطلاق وقال قوم المحصنات في هذه الاية يراد به العفايف اي كل النساء

حرام والمسهن اسم الاحصان اذالشرايع فى نفسها يقتضى ذلك الاماملكت ايمانكم قالوا معناه
بنكاح او شراوكل ذلك تحت ملك اليمين قال بهذا القول ابوالعاليه وعبيدة السلمانى وطاوس وسعيد
ابن جبير وعطا ورواه عبيده عن عمر رضى الله عنه وقال ابن عباس المحصنات العفايف من المسلمين
ومن اهل الكتاب قال رضى الله عنه وبهذا التاويل يرجع معنى الاية الى تحريم الزنا واسند الطبرى
عن عمر انه قال فى تاويل قوله تعالى والمحصنات هن الحراير ويكون الاماملكت ايمانكم معناه بنكاح
هذا على اتصال الاستثنا وان اريدا لاما فيكون الاستثنا منقطعا وروى عن ابى سعيد الخدرى
انه قال كان نسا ياتتا مهاجرات ثم يهاجر ازواجهن فمنعناهن بقوله تعالى والمحصنات الاية
وهذا قول يرجع الى ما قد ذكر من الاقوال واسند الطبرى ان رجلا قال لسعيد بن جبير اما
رايت ابن عباس حين سئل عن هذه الاية والمحصنات فلم يقل فيها شيئا فقال سعيد كان
ابن عباس لا يعلمها واسند ايضا عن مجاهد انه قال لو اعلم من نفسر لى هذه الاية لضربت
اليه اكباد الابل قوله والمحصنات الى قوله حكيما قال رضى الله عنه ولا ادرى كيف نسب هذا الى
ابن عباس ولا كيف ينتهى مجاهد الى هذا القول وروى عن ابن شهاب انه سئل عن هذه الاية
والمحصنات من النساء فقال نرى انه حرم فى هذه الاية ذوات الازواج والعفايف من احراير
ومملوكات ولم يحل شيئا من ذلك الا بنكاح او شراء او تملك وهذا قول حسن عمم لفظ الاحصان
وملك اليمين وعلى هذا التاويل يتخرج عندى قول مالك فى الموطا فانه قال هن ذوات الازواج و
ذلك راجع الى ان الله حرم الزنا فمفسر الاحصان بالازواج ثم عاد عليه بالعفة وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزه والمحصنات بفتح الصاد فى كل القران وقرا الكسائى
كذلك فى هذا الموضع وحده وقرا سائر القران المحصنات بكسر الصاد ومحصنات وكذلك
روى عن علقمة انه قرا جميع ما فى القران بكسر الصاد ففتح الصاد هو على معنى احصنهن
غيرهن من زواج او اسلام او عفة او حرية وكسر الصاد هو على معنى انهن احصن انفسهن
بهذه الوجوه او بعضها وقرا يزيد بن قطيب والمحصنات بضم الصاد وهذا على اتباع الضمة
الضمة وقراجمهور الناس كتاب الله وذلك نصب على المصدر المؤكد وقرا ابو حيوة ومحمد
ابن السميفع اليمانى كتب الله عليكم على الفعل الماضى المسند الى اسم الله تعالى وقال عبيدة السلمانى
وغيره قوله كتاب الله اشارة الى ما ثبت فى القران من قوله مثنى وثلاث ورباع وفى هذا بعد
والاظهر ان قوله كتاب الله عليكم انما هو اشارة الى التحريم الحاجز بين الناس وبين ما
كانت العرب تفعله واختلفت عبارة المفسرين فى قوله واحل لكم ما وراء ذلكم فقال السدى
المعنى احل لكم ما دون الخمس ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح وقال عبيدة السلمانى وقال
عطا وغيره المعنى واحل لكم ما وراء ما حرم من سائر القرابة فهن حلال لكم تزويجهن وقال
قتاده المعنى واحل لكم ما وراء ذلكم من الاما ولفظ الاية يعم جميع هذه الاقوال وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر واحل لكم بفتح الالف والحاء وهذه مناسبة لقوله كتاب الله اذ المعنى
كتب الله ذلك كتابا وقرا حمزه والكسائى واحل بضم الهمزة وكسر الحاء وهذه مناسبة لقوله حرمت
عليكم والوراء فى هذه الاية ما تعتبر امره بعد اعتبار المحرمات فهن وراء اولئك بهذا الوجه
ان تبتغوا باموالكم لفظ يعم التزوج والشراء وان فى موضع نصب وعلى قراءة حمزه فى موضع رفع
ويحتمل النصب باسقاط البا ومحصنين معناه متعففين اى تحصنون انفسكم بذلك غير
مسافحين اى غير زناة والسفاح زنا وهو ماخوذ من سفح الماء اى صبه وسيلانه ولزم هذا الاسم
الزنا ومنه قوله عليه السلام حين سمع الدفاف هذا النكاح لا السفاح ولا نكاح السر واختلف
المفسرون فى معنى قوله فما استمتعتم به منهن فقال ابن عباس ومجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم
المعنى فاذا استمتعتم بالزوجة ووقع الوطء ولو مرة واحدة فقد وجب اعطاء الاجر وهو المهر
ولفظ فما تعطى ان تيسر الوطء يجب ايتاء الاجر وروى عن ابن عباس ايضا ومجاهد والسدى
وغيرهم ان الاية فى نكاح المتعة وقرا ابن عباس وابى بن كعب وسعيد بن جبير فما استمتعتم به
منهن الى اجل مسمى فاتوهن اجورهن وقال ابن عباس لابى نضرة هكذا انزلها الله عز وجل
وروى الحكم بن عتيبة ان عليا رضى الله عنه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنا الا شقى وقد
كانت المتعة فى صدر الاسلام نهى عنها النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن المسيب نسختها
اية الميراث اذ كانت المتعة لا ميراث فيها وقيل قول الله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء
الاية وقالت عايشة نسختها قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم ولا
زوجية مع الاجل ووقع الطلاق والعدة والميراث وكانت ان يتزوج الرجل المراة بشاهدين
واذن الولى الى اجل مسمى وعلى ان لا ميراث بينهما ويعطيها ما اتفقا عليه فاذا انقضت المدة

فليس

فليس له عليها سبيل ويستبرئ رحمها لان الولد لاحق فيه بلا شك فان لم تحمل حلت لغيره وفى
كتاب النحاس فى هذا خطا فاحش فى اللفظ يوهم ان الولد لا يلحق فى نكاح المتعة وحكى المهدوى
عن ابن المسيب ان نكاح المتعة كان بلا ولى ولا شهود وفيما حكاه ضعف وفريضة نصب على
المصدر فى موضع الحال واختلف المفسرون فى معنى قوله ولا جناح عليكم الاية فقال القائلون بان
الاية المتقدمة امر بايتاء مهور النساء اذا دخل بهن ان هذه اشارة الى ما يتراضى به من حط
وتاخير بعد استقرار الفريضة فان ذلك الذى يكون على وجه الرضا جائز ماض وقال القائلون
بان الاية المتقدمة هى امر المتعة ان الاشارة بهذه الاية الى ما تراضيا عليه فى زيادة فى مدة المتعة
وزيادة فى الاجر زيادة جائزة وباقى الاية بين قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض
فانكحوهن باذن اهلهن ن قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والسدى وابن زيد ومالك بن
انس فى المدونة الطول هنا السعة فى المال وقال ربيعة وابراهيم النخعى الطول هنا الجلد والصبر
لمن احب امة وهويها حتى صار لذلك لا يستطيع ان يتزوج غيرها فان له ان يتزوج الامة اذا
لم يهواها وان كان يجد سعة فى المال لنكاح حرة ثم يكون قوله لمن خشى العنت على هذا التاويل
بيانا فى صفة عدم الجلد وعلى التاويل الاخر يكون يزوج الامة متعلقا بشرطين عدم السعة
فى المال وخوف العنت فلا يصح الا باجتماعهما وهذا هو نص مذهب مالك فى المدونة من رواية
ابن نافع وابن القاسم وابن وهب وابن زياد ان الحر لا يتزوج الامة على حال الا ان لا يجد سعة
من المال لمهر حرة وان يخشى العنت مع ذلك وقال مالك فى كتاب محمد اذا وجد المهر ولكنه لا يقدر
على النفقة فانه لا يجوز له ان يتزوج الامة وقال اصبغ جائز اذ نفقة الامة على اهلها اذا لم
يضمها اليه وقال مطرف وابن الماجشون لا يحل للحر ان ينكح امة ولا يقران وقع الا ان
يجتمع الشرطان كما قال الله وقاله اصبغ قال وقد كان ابن القاسم يذكر انه سمع مالكا
يقول نكاح الامة حلال فى كتاب الله وهو فى المدونة وقال سحنون فى غيرها ذلك فى قوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم قال ابن مزين وليس فى الاية
ما يلزم منه تحليل الامة لحر دون الشرطين وقال مالك ليست الحرة بطول يمنع من
نكاح الامة اذا لم يجد سعة لاخرى وخاف العنت وقال فى كتاب محمد ما يقتضى ان الحرة
بمثابة الطول قال الشيخ ابو الحسن اللخمى وهو ظاهر القران وروى نحو هذا عن ابن حبيب
وقاله ابو حنيفة فمقتضى هذا ان من عنده حرة فلا يجوز له ان يتزوج امة وان عدم السعة
وخاف العنت لانه طالب شهوة وعنده امراة وقال به الطبرى واحتج له وطولا يصح
فى اعرابه ان يكون مفعولا بالاستطاعة وان ينكح فى موضع نصب بدل من قوله طولا او فى
او فى موضع نصب بتقدير لان ينكح وفى هذا نظر ويصح ان يكون طولا نصبا على المصدر و
العامل فيه الاستطاعة لانها بمعنى متقارب وان ينكح على هذا مفعول بالاستطاعة
واما المصدر تقول طال الرجل طولا بفتح الطاء اذا تفضل ووجد واسع عرفه وطولا بضم
الطاء فى ضد القصر والمحصنات فى هذا الموضع الحراير يدل على ذلك لان بحه وقد تقدم
الذكر للقراءة فى المحصنات المومنات صفة فاما من يقول فى الرجل يجد طولا لحرة كتابية
لا لمومنة انه يمتنع من نكاح الاما فهى صفة غير مشترطة وانما جاءت لانها مقصد النكاح
اذ الامة مؤمنة وهذا هو المذهب المالكى نص عليه ابن الماجشون فى الواضحة ومن قال
فى الرجل يجد طولا الا الكتابية انه يتزوج الامة ان شاء فصفة المومنات عنده فى هذه الاية
مشترطة فى اباحة نكاح الاما فالمسئلة مختلف فيها حسب ما ذكرت وما فى قوله من ما ملكت
ايمانكم يصح ان يكون مصدرية تقديره فمن ملك ايمانكم ويصح ان يراد بها النوع المملوك فهى
واقعة عليه والفتاه وان كانت فى اللغة واقعة على الشابة امة كانت فعرفها فى الاما
وكذلك وهذه المخاطبة بالكاف والميم عامة اى منكم الناكحون ومنكم المالكون لان الرجل
ينكح فتاة نفسه وهذا التوسع فى اللغة كثير والمؤمنات فى هذا الموضع صفة مشترطة
عند مالك وجمهور اصحابه لانهم يقولون لا يجوز زواج امة غير مسلمة بوجه وقالت طائفة
من اهل العلم منهم اصحاب الراى بنكاح الامة الكتابية جائز وقوله والمومنات على جهة
الوصف الفاضل واحتجوا بالقياس على الحراير وذلك انه لم يمنع قوله المومنات فى الحراير
من نكاح الكتابيات الحراير وكذلك لا يمنع قوله المؤمنات فى الاما من نكاح الكتابيات
وقال اشهب فى المدونة جائز للعبد المسلم ان يتزوج امة كتابية فالمنع عنده ان يفضل
الزوج فى الحرية والدين معا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض معناه ان الله

عليم ببواطن الامور ولكم ظاهرها فاذا كانت الفتاه ظاهرها الايمان فنكاحها صحيح وعلم باطنها
الى الله تعالى وانما هذا ليستريت متحر بايمان بعض الاماكا لقريبه العهد بالسبا او كالخرسا
وما اشبهه وفى اللفظ ايضا تنبيه على انه ربما كان ايمان امة افضل من ايمان بعض من الحراير
اى فلا يعجبوا بمعنى الحرية وقوله تعالى بعضكم من بعض قالت طائفة هو رفع بالابتداء والخبر
والقصد هذا الكلام اى انكم ايها الناس سواء بنو الحراير وبنو الاما واكرمكم اتقاكم فهذا توطيه
لنفوس العرب التى كانت يستهجن ولد الامة فلما جاء الشرع بجواز نكاحها اعلم ان مع ذلك
ان ذلك التهجين لا معنى له وقال الطبرى هو رفع بفعل تقديره فلينكح مما ملكت ايمانكم فمعنى
بعضكم من بعض فعلى هذا الكلام تقديم وتاخير وهذا قول ضعيف قوله تعالى فانكحوهن
باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان
فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى
العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ن قوله باذن اهلهن معناه بولاية
اربابهن المالكين وقوله واتوهن اجورهن يريد مهورهن قاله ابن زيد وغيره وقوله بالمعروف
معناه بالشرع والسنة وهذا يقتضى انهن احق بمهورهن من الشاذه وهو مذهب مالك
قال فى كتاب الرهون ليس للسيد ان ياخذ مهر امته ويدعها بلا جهاز قال سحنون فى غير
المدونة كيف هذا وهى لا تبوء معه بيتا وقال بعض الفقهاء معنى ما فى المدونة انه يشترط التبوا
فعلى هذا لا يكون قول سحنون خلافا ومحصنات وما بعده قال فالظاهر انه بمعنى عفيفات اذ غير ذلك
من وجوه الاحصان بعيد الا مسلمات فانه يقرب والعامل فى الحال فانكحوهن ويحتمل ان يكون
فانكحوهن باذن اهلهن كلاما تاما ثم استأنف واتوهن اجورهن متزوجات غير مسافحات
فيكون العامل فاتوهن ويكون معنى الاحصان التزويج والمسافحات من الزوانى المتبذلات
اللواتى هن سوق للزنا ومتخذات الاخدان من المتسترات اللواتى يصحبن واحدا واحدا ويزنين
خفية وهذان كانا نوعين فى زنا الجاهلية قاله ابن عباس وعامر الشعبى والضحاك وغيرهم
وايضا فهو يستقيم عقلى لا يعطى الوجود الا ان يكون الزانية اما لا ترد يد لامس واما تاتى
ان يختص من يقتصر عليه وقوله تعالى فاذا احصن الامة قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر
احصن على بناء الفعل للمفعول وقرا حمزة والكسائى احصن على بناء الفعل للفاعل
واختلف عن عاصم فوجه الكلام ان يكون القراة الاولى بالتزوج والثانية بالاسلام او غيره
مما هو من فعلهن ولكن يدخل كل معنى منهما على الامر واختلف المتاولون فيما هو الاحصان
ها هنا فقيل هو الاسلام وعليه الجمهور فاذا زنت الامة المسلمة حدت نصف حد الحرة واسلامها
هو احصانها الذى فى الاية وقالت فرقة احصانها الذى فى الاية هو التزوج بحر فاذا زنت الامة
المسلمة التى لم يتزوج فلا حد عليها قاله الحسن وسعيد بن جبير وقتاده وقالت فرقة الاحصان
فى الاية التزوج الا ان الحد على الامة بالسنة وهذا الحديث الصحيح فى مسلم والبخارى انه قيل
يا رسول الله الامة اذا زنت ولم تحصن فاوجب عليها الحد قال الزهرى فالمتزوجة محدودة
بالقران والمسلمة المتزوجة محدودة بالحديث قال رضى الله عنه وهذا الحديث والسوال من الصحابة
يقتضى انهم فهموا من القرآن معنى احصن تزوجن وجواب النبى عليه السلام على ذلك يقتضى تقرير
المعنى ومن اراد ان يضعف قول من قال انه الاسلام بان الصفة لهن بالايمان قد تقدمت و
تقررت فذلك غير لازم لانه جائز ان يقطع فى الكلام ويزيد فاذا ذكر على هذه الحالة المتقدمة
من الايمان فان اتين فعليهن وذلك شايع صحيح والفاحشة هنا الزنا بقرينة الزام الحد والمحصنات
فى هذه الاية الحرائر اذ هى الصفة المشروطة فى الحد الكامل والرجم لا يتنصف فلم يرد فى هذه الاية
باجماع ثم اختلف فقال ابن عباس والجمهور على الامة نصف المائة لا غير ذلك وقال الطبرى وجماعة
التابعين على الامة نصف المائة ونصف المدة وهى نفى ستة اشهر والاشارة بذلك الى نكاح الامة
والعنت فى اللغة المشقة وقالت طائفة المقصد به ها هنا الزنا قاله مجاهد وقال ابن عباس
ما ازخص ناكح الامة عن الزنا الا قريبا وقال والعنت الزنا وقاله عطية العوفى والضحاك
وقالت فرقة الاثم وقالت طائفة الحد والاثم والاية يحتمل ذلك كله وكل ما تعنت احلا او عاجلا
يعنى عن نكاح الاما قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدى وابن عباس رضى الله عنه وهذا ندب
الى الترك وعلته ما يؤدى اليه نكاح الاما من استرقاق الولد ومهنتهن وهذه الجملة
ابتداء وخبر تقديره وصبر خير لكم والله غفور رحيم اى لمن فعل وتزوج قوله تعالى يريد الله
ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان

ضعيفا اختلف النحاة فى اللام من قوله فذهب سيبويه رحمه الله ان التقدير لان يبين لكم و
المفعول مضمر تقديره يريد الله ليبين هذا فاذا كانت لام الجر ولام كى فلا بد فيهما من تقدير ان
لانهما لا يدخلان الا على الاسما وقال الكوفيون اللام نفسها بمنزلة ان وهذا ضعيف ونظير
هذا اللام فى قول الشاعر اريد لانسى ذكرها وكانما تخيل لها ليلى بكل سبيل وقال بعض النحاة
التقدير ارادنى لانسى ويهديكم معناه يرشدكم لا يتوجه غير ذلك بقرينة السنن والسنن
الطرق ووجوه الامور وانحاؤها ويظهر من قوة الكلام ان شرعنا فى المشروعات كشرعة
من قبلنا وليس ذلك كذلك وانما هذه الهداية فى احد امرين اما فى انا خوطبنا فى كل قصة
نهيا وامرا كما خوطبوهم ايضا فى قصصهم وشرع لنا كما شرع لهم فهدينا سننهم
فى ذلك وان اختلفت احكامهم والامر الثانى ان هدينا سننهم فى ان سمعنا واطعنا
كما سمعوا واطاعوا فوقع التماثل من هذه الجهة والذين من قبلنا هم المؤمنون من كل
شريعة وتوبة الله على عبده هى رجوعه به عن المعاصى الى الطاعات وتوفيقه له وحسن
عليم ها هنا بحسب ما تقدم من الشرائع وموضع المصالح وحكيم اى نصب بالاشيا
مواضعها بحسب الحكمة والاتقان وتكرار ارادة الله التوبه على عباده تقوية للاخبار
الاول وليس المقصد فى هذه الاية الا الاخبار عن ارادة الذين يتبعون الشهوات
فقدمت ارادة الله توطيه مظهره لفساد ارادة متبعى الشهوات واختلف المتاولون فى متبعى الشهوات
فقال مجاهد الزناه وقال السدى هم اليهود والنصارى وقالت فرقة هم اليهود خاصة لانهم
ارادوا ان يتبعهم المسلمون فى نكاح الاخوات من الاب وقال ابن زيد ذلك على العموم فى هؤلاء
وفى كل متبع شهوة ورجحه الطبرى وقرا الجمهور ميلا بسكون اليا وقرا الحسن ميلا بفتح اليا
وقوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم المقصد الظاهر بهذه الاية انها فى تخفيف الله تبارك
وتعالى وترك نكاح الاما باباحة ذلك وان اخباره عن ضعف الانسان انما هو فى باب النسا
اى لما علمنا ضعفكم عن النساء خففنا عنكم باباحة الاما وكذلك قال مجاهد وابن زيد
وطاوس قال طاوس ليس يكون الانسان فى شى اضعف منه فى امر النساء قال رضى الله عنه
ثم بعد هذا المقصد يخرج الاية مخرج التفصيل لانها تتناول كل ما خفف الله عن عباده وجعل
الدين يسرا ويقع الاخبار عن ضعف الانسان عاما حسبما هو فنفسه ضعيف تستميله هواه فى
الاغلب والانسان رفع على ما لم يسم فاعله وضعيفا حال وقرا ابن عباس ومجاهد وخلق الانسان
على بناء الفعل للفاعل وضعيفا حال ايضا على هذه القراءة ويصح ان يكون خلق بمعنى جعل فيكسبها
ذلك قوة يتعدى الى مفعولين ويكون قوله ضعيفا مفعولا ثانيا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم
ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله
يسيرا ن هذا استثناء ليس من الاول والمعنى لكن ان كانت تجارة فكلوها وقرا المدنيون
وابن عامر وابن كثير وابو عمرو تجارة بالرفع على تمام كان وانها بمعنى وقع وقرات فرقة
من الكوفيين حمزة وعاصم والكسائى تجارة بالنصب على نقصان كان وهو اختيار ابى عبيد وهما قولان
قويان الا ان تمام كان يترجح عند بعض لانها صلة فهى محطوطة عن درجتها اذ كانت سليمة من صلة
وغيرها وهذا يترجح ليس بالقوى ولكنه حسن وان فى موضع نصب ومن نصب تجارة جعل اسم كان
مضمرا تقديره الاموال اموال تجارة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويكون التقدير الا
ان يكون التجارة تجارة مثل ذلك قول الشاعر اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم
يوما والاستثناء منقطع فى كل تقدير وفى قراءة الرفع فاكل الاموال بالتجارة جائز باجماع الامة
والجمهور على جواز الغبن فى التجارة مثال ذلك ان يبيع ما قيمته بدرهم وهى تساوى مائة فذلك
جائز ويعضده حديث النبى صلى الله عليه وسلم لا يبيع حاضر لباد لانه انما اراد بذلك ان يبيع
البادى باجتهاده ولا يبيع الحاضر للحاضر يرزق الله فى غفلته وقالت فرقة الغبن اذا تجاوز
الثلث مردود وانما ابيح منه المتعارف المتقارب واما المتفاحش القادح فلا وقاله ابن وهب من
اصحاب مالك رحمه الله عن تراض معناه عن رضى الا انها جاءت من المفاعلة اذ التجارة من اثنين واختلف
اهل العلم فى التراضى فقالت طائفة عامه وجزمه بافتراق الابدان بعد عقد البيع او بان يقول احدهما
احدهما لصاحبه اختر فيقول قد اخترت وذلك بعد العقد ايضا فجزم حينئذ هذا قول
الشافعى رحمه الله وجماعة من الصحابة وحجته حديث النبى صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار
ما لم يتفرقا الا بيع الخيار وهو حديث ابن عمر وابى برزه ورايهما وهما الراويان انه افتراق
الابدان والتفرق ولا يكون حقيقة الا بالابدان لانه من صفات الجواهر وقال مالك رحمه الله

وابو حنيفة تمام التراضي ان يعقد البيع بالالسنة فينجزم العقدة بذلك ويرتفع الخيار قالا في الحديث
المتقدمة انه التفرق بالقول واحتج بعضهم بقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فهذه
فرقة بالقول لانها بالطلاق قال من احتج للشافعي بل هي فرقة بالابدان بدليل تسمية الضمير والطلاق لا حظ
للمراة فيه وانما حظها في فرقة البدن الذي هو ثمرة الطلاق قال الشافعي ولو كان معنى قوله يتفرقا
بالقول الذي هو القول لبطلت الفائدة في قوله البيعان بالخيار لانه لا يشك في ان كل ذي
سلعة مخير ما لم يعقد فاذا جاء الخيار لا طائل فيه قال من احتج لمالك انما المقصد في الحديث الاخبار
عن وجوب ثبوت العقد فجاء قوله البيعان بالخيار توطية لذلك وان كانت التوطية معلومة فانها تهي
النفس لاستشعار ثبوت العقد ولزومها واستدل الشافعي رحمه الله بقوله عليه السلام لا يسم
الرجل على سوم اخيه ولا يبع الرجل على بيع اخيه فجعلها مرتبتين لان حالة التبعين بعد العقد
قبل التفرق يقتضي ان يفسد مفسد بزيادة في السلعة فيختار ربها حل الصفقة الاولى فنهى النبي
عن ذلك الافساد الا يرى انه عليه السلام قال لا يخطب الرجل على خطبة اخيه فهي في درجة لا يسم
ولم يقل لا ينكح على نكاح اخيه لانه لا درجة بعد عقد النكاح يقتضي تخييرا باجماع من الامة قال
من يحتج لذلك قوله عليه السلام لا يسم ولا يبع في درجة واحدة كلتها قبل العقد وقال لا يبع تجوزا
في لا يسم اذ ماله الى البيع فهي جميعا بمنزلة قوله لا يخطب والعقد جازم فيهما جميعا قال رضي الله
عنه وقوله في الحديث الا بيع الخيار معناه عند مالك المتساومان بالخيار ما لم يعقدا فاذا عقدا
بطل الخيار الا في بيع الخيار الذي عقده من اوله على خيار مدة ما فانه لا يبطل الخيار فيه ومعناه
عند الشافعي المتبايعان بعد عقدهما غيران ما داما في مجلسهما الا بيعا يقول فيه احدهما لصاحبه
اختر فيختار فان الخيار ينقطع بينهما وان لم يتفرقا فان فرض بيع الخيار فالمعنى الا بيع الخيار
فانه يبقى الخيار بعد التفرق بالابدان وقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم قرا الحسن ولا تقتّلوا على
التكثير واجمع المتاولون ان المقصد بهذه الاية النهي عن ان يقتل بعض الناس بعضا ثم لفظها
يتناول ان يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل او بان يحملها على غرر ربما مات منه فهذا كله
يتناوله النهي وقد احتج عمرو بن العاصي بهذه الاية حين امتنع من الاغتسال بالماء البارد خوفا
على نفسه منه فقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجاجه وقوله تعالى ومن يفعل ذلك عدوانا
وظلما اختلف المتاولون في المشار اليه بذلك فقال عطا ذلك عائد على القتل لانه اقرب مذكور
وقالت فرقة ذلك عائد على اكل المال بالباطل وقتل النفس لان ذلك جاء متسقا مسرودا ثم ورد
الوعيد حسب النهي وقالت فرقة ذلك عائد على كل ما نهي عنه من القضايا من اول السورة الى قوله ومن
يفعل ذلك وقال الطبري ذلك عائد على ما نهى الله عنه من زاجر وعيد من اخر وعيد وذلك قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان كل ما نهى الله عنه من زاجر وعيد وذلك قوله
تعالى اول السورة قرن به وعيد الا من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم فانه والنواهي بعده
لا وعيد معها الا قوله ومن يفعل ذلك عدوانا والعدوان تجاوز الحد ونصليه معناه نمسه
حرها كما تعرض الشاة المصلية اي نحرقه بها وقرا الاعمش والنخعي نَصليه بفتح النون وقرا الجمهور
بضم النون على نقل صلي بالهمزة وقراة هذين على لغة من يقول صليت نارا بمعنى اصليته وحكى
الزجاج انها قد قرئت نصلّيه بفتح الصاد وشد اللام المكسورة وليس ذلك على الله لان حجته
بالغة وحكمته لا معقب لها قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
وندخلكم مدخلا كريما ان تجتنبوا معناه تدعون جانبا وقرا ابن مسعود وابن جبير تجتنبوا
كبير وقرا المفضل عن عاصم يكفر ويدخلكم على علامة الغائب وقرا الباقون بالنون والقراتان
حسنتان وقرا ابن عباس عنكم من سيئاتكم بزيادة من وقرا السبعة سوى نافع مدخلا بضم الميم
وقرا نافع مَدخلا بالفتح وقد رواه ايضا ابو بكر عن عاصم هاهنا وفي الحج ولم يختلف في سورة
بني اسرائيل في مدخل صدق ومخرج صدق انها بضم الميم قال ابو علي مَدخلا بالفتح يحتمل ان يكون
مصدرا والعامل فيه فعل يدل عليه الظاهر التقدير ويدخلكم فيدخلون مدخلا ويحتمل ان
يكون مكانا فيعمل فيه الفعل الظاهر وكذلك يحتمل مُدخلا بضم الميم الوجهين واذا لم يعمل الفعل الظاهر
فمفعوله الثاني محذوف تقديره وندخلكم الجنة واختلف اهل العلم في الكبائر فقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه هي سبع الاشراك بالله وقتل النفس وقذف المحصنة واكل مال اليتيم واكل الربا
والفرار يوم الزحف والتعرب بعد الهجرة وقال عبيد بن عمير الكبائر سبع في كل واحدة منها
اية في كتاب الله عز وجل وذكر قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه وجعل الاية في التعرب
ان الذين ارتدوا على ادبارهم الاية ووقع في البخاري في كتاب الحدود في باب رمي المحصنات و
اتقوا السبع الموبقات الاشراك بالله والسحر وقتل النفس واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي

يوم الزحف

يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقال عبد الله بن عمر هي سبع الاشراك بالله
والقتل والفرار والقذف واكل مال اليتيم والالحاد في المسجد الحرام الذي يستسحر وبكاء الوالدين
من العقوق وقال عبد الله بن مسعود وابراهيم النخعي هي جميع ما نهي عنه من اول سورة النساء الى
ثلثين اية منها وهي ان تجتنبوا وقال عبد الله بن مسعود ايضا هي اربع الاشراك بالله والقنوط من رحمة
الله واليأس من روح الله والامن من مكر الله وروي ايضا عن ابن مسعود هي ثلث القنوط واليأس
والامن المتقدمة وقال ابن عباس ايضا وغيره الكبائر كل ما ورد عليه وعيد بنار او عذاب
او لعنة او ما اشبه ذلك وقالت من الاصوليين هي في هذا الموضع انواع الشرك الذي لا تصلح
معها الاعمال وقال رجل لابن عباس اخبرني عن الكبائر السبع فقال هي الى السبعين اقرب وقال
ابن عباس كل ما نهى الله عنه فهو كبير فهنا يدخل الزنا وشرب الخمر والغيبة والزور وغير ذلك
مما قد نص عليه في احاديث لم يقصد الحصر للكبائر بها بل ذكر بعضها مثالا وعلى هذا القول
ائمة الكلام قال القاضي ابو المعالي وغيرهما قالوا وانما قيل صغيرة بالاضافة الى اكبر منها
وهي في نفسها كبيرة من حيث ان المعصي بالجميع وهذه الاية تتعاضد معها حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الوضوء من مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم تحضره صلوة مكتوبة فيحسن وضوءها و
خشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يات كبيرة وذلك
الدهر كله واختلف العلماء في هذه المسئلة فجماعة من الفقهاء واهل الحديث يرون
ان الرجل اذا اجتنب الكبائر وامتثل الفرائض كفرت صغائره كالنظر وشبهه قطعا
بظاهر الاية والحديث واما الاصوليون فقالوا لا يجب على القطع تكفير الصغائر باجتناب
وانما يحمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجاء والمشية باقية ودل على ذلك لو قطعنا لمجتنب
الكبائر وممتثل الفرائض بتكفير صغائره قطعا لكانت له في حكم المباح يقطع بان لا تبعة فيه و
ذلك نقض لعرى الشريعة ومحمل الكبائر عند الاصوليين في هذه الاية اجناس الكفر والاية التي قيدت
الحكم فترد اليها هذه المطلقات كلها قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله كريما
يقتضي كرم الفضيلة ونفي العيوب كما يقول ثوب كريم وكريم المحتد وهذه اية رجا روي عن عبد الله
ابن مسعود انه قال خمس آيات من سورة النساء هن احب الي من الدنيا جميعا قوله تعالى ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية وقوله تعالى ومن يعمل
سوءا او يظلم نفسه الاية وقوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها وقوله تعالى والذين امنوا بالله
ورسله قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ن سبب الاية ان النساء قلن
ليتنا استوينا مع الرجال في الميراث وشركناهم في الغزو وروي ان ام سلمة قالت ذلك او نحوه وقال
الرجال ليت لنا حظان ابدا في الاخرة على النساء كما لنا في الدنيا فنزلت الاية لان في تمنيهم تحكما
على الشريعة وتطرقا الى الدفع فيما حكم الله فهذا نهي عن كل تمن لخلاف حكم شرعي ويدخل في
النهي ان يتمنى الرجل حال الاخر من دين او دنيا على ان يذهب ما عند الاخر اذ هذا هو الحسد
بعينه وقد كره بعض العلماء ان يتمنى احد حال رجل مسمى في نكره وان لم يتمن زوال الحال وهذا في نعم
الدنيا واما في الاعمال الصالحة فذلك هو الحسن واما اذا تمنى المرء على الله من غير ان يقول المثله
لشيء مما قد تمناه فذلك جائز وهو موجود في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وددت ان اقتل
في سبيل الله ثم احيى ثم اقتل وفي غير موضع وقوله للرجال نصيب قال قتادة معناه من الميراث لان
العرب كانت لا يورث النساء وهذا قول ضعيف ولفظ الاكتساب يرد عليه ردا بينا ولكنه
يترتب على قول النساء ليتنا والرجال في الميراث سواء فكانه قيل مسهن ولا يتمنوا هذا فلكل نصيب
وقالت فرقة معناه من الاجر والحسنات فاما خلاف ما حكم الله به لا الاختيار تروية انتم فان
الله قد جعل لكل احد نصيبا من الاجر والفضل بحسب اكتسابه فيما شرع له وهذا القول هو البين
الواضح الاعم وقالت فرقة ولا تتمنوا معناه لا تتمنوا خلاف ما حد الله في تفضيله فانه تعالى قد
جعل لكل احد مكاسب يختص بها فهي نصيبه قد جعل الجهاد والانفاق وسعي المعيشة وحمل
الكلف كالاحكام والامارة والحسبة وغير ذلك للرجال وجعل الحمل ومشقته وحسن التبعل
وحفظ غيب الزوج وخدمة البيوت للنساء وهذا كالقول الذي قبله الا انه فارقه بتقسيم
الاعمال وفي تعليقه النصب بالاكتساب حض على العمل ونبه على كسب الخير وقرا جمهور السبعة
واسئلوا بالهمز وسكون السين وقرا ابن كثير والكسائي وسلوا الله بحركة الهمزة على السين
وهذا حيث وقعت اللفظة الا في قوله واسئلوا ما انفقتم فانهم اجمعوا على الهمز فيه قال سعيد بن جبير

وليث بن ابى سليم هذا فى العبادات والدين واعمال البر ليس فضل الدنيا وقال الجمهور ذلك فى العموم
وهو الذى يقتضيه اللفظ وقوله واسئلوا يقتضى مفعولا ثانيا فهو عند بعض النحويين فى قوله من فضله
التقدير وسئلوا الله من فضله وسيبويه لا يجيز هذا لان فيه حذف من الواجب والمفعول عنه
مضمر تقديره وسئلوا الله الجنة او كبيرا او حظا من فضله وهذا هو الاصح ويحسن عندى ان
تقدير المفعول اما نكم اذ ما تقدم يحسن هذا التقدير وقوله بكل شىء عليما معناه ان علم الله
قد اوجب الاصابة والاتقان والاحكام فلا يعارضوا بتمن ولا غيره وهذه الاية يقتضى ان
ان الله تعالى يعلم الاشيا والعقايد يوجب ان يعلم المعدومات الجائز وقوعها وان لم يكن
اشيا والاية لا تنا قض ذلك بل وقعت على بعض معلوماته واسكت عن بعض قوله تعالى
ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم ان الله
كان على كل شىء شهيدا الرجال قوامون على النسا بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا
من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله
كان عليا كبيرا كل انما يستعمل مضافة ظهر المضاف اليه او تقدر فهى بمثابة قبل وبعد ولذلك
اجاز بعض النحاة مررت بكل على حد قبل وبعد فالمقدر هنا على قول فرقة ولكل احد وعلى قول فرقة
ولكل شىء يعنى التركة والمولى فى كلام العرب لفظ مشترك فيها القريب القرابة والصديق
المولى والحليف والمعتق والعبد فيما حكى ابن سيده والوارث ويحسن هنا من هذا الاشتراك
الورثة لانها تصلح على تاويل ولكل احد وعلى تاويل ولكل شىء وبذلك فسر قتاده والسدى وابن عباس
وغيرهم ان الموالى العصبه والورثة قال ابن زيد لما اسلمت العجم سموا موالى استعارة وتشبيها
وذلك فى قول الله تعالى فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم قال رضى الله عنه
وقد سمى قوم من العجم بنو الحم ومما متعلقة بشىء تقديره ولكل شىء مما ترك الوالدان و
الاقربون جعلنا ورثة وهى متعلقة على تاويل ولكل احد بفعل مضمر تقديره ولكل احد جعلنا موالى
يرثون مما ترك الوالدان والاقربون ويحتمل على هذا ان يتعلق من بموالى وقوله والذين رفع
بالابتداء والخبر فى قوله فاتوهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر عاقدت على المفاعلة
اعايمان هولاء عاقدت اولئك وقرا عاصم وحمزه والكسائى عقدت بتخفيف القاف على حذف
مفعول تقديره عقدت ايمانكم حلفهم او ذمتهم وقرا حمزه فى رواية على بن كبشة عنه
عقدت مشددة القاف واختلف المتاولون فى من المراد بالذين فقال ابن عباس والحسن
وابن جبير وقتاده وغيرهم هم الاحلاف فان العرب كانت يتوارث بالحلف فشدد الله ذلك بهذه
الاية ثم نسخ باية الانفال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض قال ابن عباس ايضا هم الذين
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بينهم فانهم كانوا يتوارثون بهذه الاية حتى نسخ ذلك بما
تقدم وورد لابن عباس ان المهاجرين كانوا يورثون الانصار دون ذوى رحمهم للاخوة
التى اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فنزلت الاية فى ذلك ناسخة وهى اتيان النصيب من
النصر والمعونة ومن المال على جهة الندب فى الوصية فقال سعيد بن المسيب هم الابنا الذين كانوا يتبنو
والنصيب الذى امر الناس باتيانه هو الوصية لا الميراث وقال ابن عباس ايضا هم الاحلاف الا ان
النصيب هو الموازره فى الحق والنصر والوفا بالحلف لا بالميراث وروى عن الحسن انها فى قوم يوصى لهم
فيموت موصى قبل يعود الوصيه ووجوبها فامر الموصى ان يوديها الى ورثة الموصى له ولفظ المعاقده
والايمان يرجح ان المعاقده الاحلاف لان ما ذكر من غير احلاف ليس فيجمعه معاقده والايمان
وشهيدا معناه ان الله شهيد على المعاقده بينكم والصله فاوفوا بالعهد بحسب ذلك مراقبه و
ورهبه وقوله تعالى الرجال قوامون على النساء قوام فعال بناء مبالغة وهو من القيام على الشى
والاستبداد بالنظر فيه وحفظه بالاجتهاد فقيام الرجال على النساء هو على هذا الحد وتعليل
ذلك بالفضيله والنفقة يقتضى ان للرجال عليهن سبيلا وملكا قال ابن عباس الرجال امرا على
على النساء وعلى هذا قول اهل التاويل وما فى قوله بما فضل الله مصدرية ولذلك
استغنت عن العايد وكذلك مما انفقوا والفضيلة فى العرف وكمال الدين والعقل وما اشبهه
والانفاق هو المهر والنفقة المستمرة على الزوجات وقيل سبب هذه الاية ان سعد بن الربيع
لطم وجه حبيبه بنت زيد بن ابى زهير فجاءت مع ابيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر ان تلطمه كما لطمها فنزلت الاية مبيحة للرجال بادب نسائهم فدعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونقض الحكم الاول وقال اردت شيئا وما اراد الله خير وفى طريق اخر
اردت شيئا واراد الله غيره وقد قيل فى هذا الحكم المردود نزلت ولا تعجل بالقران من قبل

ان يقضى

ان يقضى اليك وحيه وقيل سببها قول ام سلمه المتقدم اى لما تمنى النساء درجة الرجال عرفن وجه
الفضيلة والصلاح فى قوله والصالحات هو الصلاح فى الدين وقانتات معناه مطيعات والقنوت
الطاعة والمعنى لازواجهن او لله فى ازواجهن وغير ذلك وقال الزجاج انها الصلوة وهذا
بعيد والغيب معناه كلما غاب عن علم زوجها مما استترعنه وذلك يعم حال غيب الزوج وحال حضوره
وروى ابو هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير النساء امراة اذا نظرت اليها سرتك
واذا امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها ثم قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية وفى مصحف ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ وهذا بناء يختص بالموَنث
قال ابن جنى والتكسير اشبه بالمعنى اذ هو يعطى الكثره وهى المقصود هنا وبما حفظ الله الجمهور
على رفع اسم الله باسناد الفعل اليه وقرا ابو جعفر بن القعقاع الله بالنصب على اعمال الحفظ الله
فاما قراة الرفع فما مصدرية تقديره بحفظ الله ويصح ان يكون بمعنى الذى ويكون العايد فى حفظ
ضمير نصب ويكون المعنى اما حفظ الله ورعاسه التى لا تتم امره ونهيه واما اوامره ونواهيه
للنساء وكانها حفظه فمعناه ان النسا يحفظن بازاء ذلك وتقديره واما قراة ابن القعقاع
بما حفظ الله فالاولى ان يكون بمعنى الذى وفى حفظ ضمير مرفوع والمعنى حافظات للغيب بطاعة
وبرود بن حفظ الله فى اوامره حين امتثلها وقيل يصح ان يكون ما مصدرية على ان يعود الصلاح
الصلاح بما حفظ الله ويحذف الضمير وفى حذفه قبح لا يجوز الا فى الشعر كما قال وان الحوادث
اودى بها يزيد اودين بها والمعنى بحفظ الله فى امره حين امتثله وقال ابن جنى الكلام على
حذف مضاف تقديره بما حفظ دين الله او امر الله وفى مصحف ابن مسعود بما حفظ الله
فاصلحوا اليهن واللاتى فى موضع رفع بالابتداء والخبر فعظوهن ويصح ان يكون فى موضع
نصب بفعل مضمر تقديره وعظوا اللواتى تخافون نشوزهن كقوله والسارق و
السارقة على قراءة من قراها بالنصب قال سيبويه رحمه الله النصب القياس الا
ان الرفع اكثر فى كلامهم وحكى عن سيبويه ان تقديرها الاية وفيما يتلى عليكم اللاتى قالت
فرقة تخافون بمعنى تعلمون وتتيقنون وذهبوا فى ذلك الى ان وقوع النشوز هو الذى
يوجب الوعظ واحتجوا فى جواز وقوع الخوف بمعنى اليقين بقول ابى محجن الثقفى ولا
تدفنى بالفلاة فاننى اخاف اذا ما مت الا اذوقها وقالت فرقة الخوف هنا على بابه
فى التوقع لان الوعظ وما بعده انما هو فى دوام ما ظهر من مبادى ما يخوف والنشوز
ان تتعوج المراة وترتفع خلقها وتستعلى على زوجها ومن نشز الارض ويقال ناشز وما
شص ومنه بيت الاعشى تخللها شح عسا فضاعته بالى الكواهن ناسصا وعظوهن
معناه ذكروهن امر الله واستدعوهن الى ما يجب عليهن بكتاب الله وسنة نبيه وقرا
ابراهيم النخعى فى المضجع وهو واحد يدل على الجمع واختلف المتاولون فى قوله واهجروهن فقالت
فرقة معناه جنبوا جماعهن وجعلوا فى للوعا على بابها دون حذف قال ابن عباس يضاجعها
ويوليها ظهره ولا يجامعها وقال مجاهد جنبوا مضاجعهن فيعد على هذا القول حذف
تقديره واهجروهن برفض المضاجع او بترك المضاجع وقال سعيد بن جبير هى هجرة الكلام
اى لا يكلموهن واعرضوا عنهن فيقدر حذف تقديره واهجروهن فى سبب المضاجع حتى
يراجعنها وقال ابن عباس ايضا معناه وقولوا لهن هجرا من القول اى غلاظا حتى يراجعن
المضاجع وهذا لا يصح تصريفه الا من حكى هجر واهجر بمعنى واحد وقال الطبرى معناه اى
اربطوهن بالهجار كما يربط البعير به وهو تشد به للبعير به فهى فى معنى اضربوهن ونحوها
ورجح الطبرى منزعه هنا وقدح فى سائر الاقوال وفى كلامه كله فى هذا الموضع نظر والضرب
فى هذه الاية هو ضرب الادب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظما ولا يشين جارحه وقال
النبى عليه السلام اضربوا النساء اذا عصينكم فى معروف ضربا غير مبرح وقال عطا قلت لابن عباس
ما الضرب غير المبرح قال بالسواك ونحوه وروى عن ابن شهاب انه قال لا قصاص بين الرجل وامراته
الا فى النفس قال القاضى وهذا تجاوز قال غيره الا فى النفس والجراح وهذه العظه والهجر والضرب
مراتب ان وقعت الطاعة عند احدها لم يتعد الى سائرها وبغوا معناه تطلبوا وسبيلا اى
الى الاذى وهو التعنت والتعسف بقول او فعل وهذا نهى عن ظلمهن بغير واجب بعد
تقرير الفضل عليهن والتمكين من ادبهن فحسن معه الانصاف بالعلو والكبر اى قدره فوق
كل قدره ويده بالقدره فوق كل يد فلا يستعلى احد على امراته فالله بالمرصاد وينظر الى هذا حديث
ابى مسعود قال كنت اضرب غلامى فسمعت قائلا يقول اعلم ابا مسعود فصرفت وجهى فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك على هذا العبد

قوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا ت قسمت هذه الاية النسا تقسيما عقليا لانهن اما طايعة و
اما ناشزة والنشز اما ان يرجع الى الطواعية واما ان يحتاج الى الحكمين واختلف المتاولون فى الخوف
ايضا هاهنا حسب ما تقدم ولا يبعث الحكمين الا مع شدة الخوف والشقاق مصدر شاق يشاق
واجرى البين مجرى الاسما وازيل عنه الظرفية اذ هو بمعنى حالهما وعشرتهما وصحبتهما وهذا من
الايجاز الذى يدل فيه الظاهر على المضمر المقدر واختلف من المامور بالبعثة فقيل الحكام فاذا
اعضل على الحاكم امر الزوجين وتعاضدت عنده الحجج واقتربت الشبه واعجم وجه الانقياد
على احدهما بعث حاكمين من الاهل لتناشر الامر وخص الاهل لانهم مظنة العلم بباطن الامر ومظنة
الاشفاق بسبب القرابة وقيل المخاطب الزوجان واليهما تقدم الحكمين وهذا فى مذهب
مالك والاول لربيع وغيره واختلف الناس فى المقدار الذى ينظر فيه الحكمان فقال الطبرى
قالت فرقة لا ينظر الحكمان الا فيما وكلهما الزوجان به وصرحا بتقديمهما عليه ترجمتها نما ادخل عن
على غيره وقال الحسن وغيره ينظر الحكمان فى الاصلاح وفى الاخذ ولا يعطا الا فى الفرقة فانها ليست
اليهما وقالت فرقة ينظر الحكمان فى كل شىء ويحملان على الظالم ويمضيان ما رايا من فراق او بقا
وهذا هو مذهب مالك وجماعة من العلماء وهو قول على ابن ابى طالب فى المدونة وغيرها وتاول
الزجاج عليه غيره وامه وكل الحكمين على الفرقة وانها للامام وذلك وهم من ابى اسحق واختلف
المتاولون فيمن المراد بقوله ان يريدا فقال مجاهد وغيره المراد الحكمان اى اذا نصحا
وقصدا الخير بورك فى وساطتهما وقالت فرقة المراد الزوجان والاول اظهر وكذلك الضمير
فى بينهما يحتمل الامرين والاظهر انه للزوجين والاتصاف بعليم خبير يشبه ما ذكر من ارادة الاصلاح
قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين
والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان
الله لا يحب من كان مختالا فخورا ت الواو عطف جملة كلام على جملة غيرها والعبادة التذلل
بالطاعة ومنه طريق معبد وبعير معبد اذا ذا ناسه عملين واحسانا نصب على المصدر و
العامل فعل مضمر تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا وما ذكر الطبرى انه نصب بالاغرا
خطا والقيام بحقوق الوالدين اللازمة لها من التوقير والصوب والانفاق اذا احتاجا واجب
وسائر ذلك من وجوه البر والالطاف وحسن القول والتصنع لهما مندوب اليه موكد فيه
وهو البر الذى تفضل فيه الام على الاب حسب قوله عليه السلام للذى قال له من ابر قال امك قال
ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من اباك ثم الاقرب فالاقرب وفى رواية ثم ادناك
ادناك وقرا ابن ابى عبلة احسان بالرفع وذو القربى هو القريب النسب من قبل الاب والام
وهذا من الامر بصلة الرحم وحفظها واليتامى جمع يتيم وهو فاقد الاب قبل البلوغ وان ورد فى كلام
العرب يتيم من قبل الام فهو مجاز واستعارة والمساكين المعدمون من المسلمين تحل لهم الزكوة وجادهم
ذا السوال واختلف فى معنى الجار ذى القربى وفى معنى الجنب فقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم
الجار ذو القربى هو الجار القريب النسب والجار الجنب هو الجار الاجنبى الذى لا قرابة بينك وبينه
وقال نوف الشامى الجار ذو القربى هو الجار المسلم والجار الجنب هو الجار اليهودى او النصرانى
فهى عنده قرابة الاسلام واجنبية الكفر وقالت الجار ذو القربى هو الجار القريب المسكن منك كان
هذا القول منتزع من الحديث قالت عايشه رضى الله عنها يا رسول الله ان لى جارين فالى ايهما
اهدى قال الى اقربهما منك بابا واختلف الناس فى حد الجيرة فقال الاوزاعى اربعون دارا
من كل ناحية جيرة وقالت فرقة من سمع اقامة الصلوة فهو جار ذلك المسجد وتقدر ذلك فى
الدور وقالت فرقة من سمع الاذان وقالت فرقة من ساكن رجلا فى محلة او مدينة فهو جاره
والمجاورة مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة كما قال الاعشى اجارتنا بينى فانك
طالقة البيت وبعد ذلك الجيرة الخلط ومنه قول الشاعر حربا تفرق بين الجيرة الخلط
وحكى الطبرى عن ميمون بن مهران ان الجار ذا القربى اريد به الجار القريب وهذا خطا فى اللسان
لانه جمع على تاويله بين الالف واللام والاضافة وكان وجه الكلام وجار ذى القربى وقرا
ابو حيوة وابن ابى عبلة والجار ذا القربى بنصب الجار وحكى مكى عن ابن وهب انه قال
عن بعض اصحابه فى الجار الجنب انها زوجة الرجل وروى المفضل عن عاصم انه قرا والجار
الجنب بفتح الجيم وسكون النون والجنب فى هذه الاية معناه البعيد والجنابة البعد ومنه قول
الشاعر اتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث عن عطاى جامدا ومنه فلا تحرمنى نائلا
عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب وهو من الاجناب وهو ان يترك الشى جانبا

وسيل اعرابى عن الجار الجنب فقال هو الذى يجى فيحل حيث تبصره عليه قال ابو على حب صفة كما قد
احد ومسه سحح وجنب الظهر ماخوذ من الجنبة وقال ابن عباس وابن جبير وقتاده ومجاهد
والضحاك الصاحب بالجنب هو الرفيق فى السفر وقال على بن ابى طالب وابن مسعود وابن ابى ليلى
وابراهيم النخعى الصاحب بالجنب الزوجة وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لينفعك
واسند الطبرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من اصحابه وهما على راحلتين
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج وخرج فاعطى
صاحبه القويم وحبس هو المعوج فقال له الرجل كنت يا رسول الله احق بهذا فقال له يا فلان ان كل
ان كل صاحب يصحب اخر فانه مسوول عن صحابته ولو ساعة من نهار قال المفسرون وابن السبيل
هو المسافر على ظهر طريقه وسمى ابنه للزومه له كما قيل ابن ما للطاير الملازم الماء ومنه قول النبى
عليه السلام ولا يدخل الجنة ابن زنا اى ملازمه الذى يستحق بالمثابرة عليه ان ينسب اليه
وذكر الطبرى ان مجاهدا فسره بانه المار عليك فى سفره وان قتاده وغيره فسره بانه
الضيف وهذا كله قول واحد وما ملكت ايمانكم يريد العبيد الارقا ونسب الملك الى اليمين
اذ هى فى المعتاد جارحة للبطش والتقلب والتملك فاضيف هذه المعانى وان لم يكن
بها اليها تجوزا والعبيد موصى بهم فى غير ما حديث تطول ذكرها ويغنى عن ذلك اشتهارها
ومعنى لا يحب فى هذه الاية لا يظهر عليه اثار نعمه فى الاخرة ولا اثار حمده فى الدنيا فهى
المحبة التى هى صفة فعل ابعدها عن من صفته الخيلاء والفخر يقال خال الرجل يخول خولا اذا
تكبر واعجب بنفسه وانشد الطبرى وان كنت سيدنا سدتنا وان كنت للخال فاذهب فخل
وفى نفى المحبة عن من هذه صفته ضرب من التوعد وخص هاتين الصفتين هنا اذ
مقتضاهما العجب والزهو وذلك هو الحامل على الاخلال بالاصناف الذين تقدم امر الله
بالاحسان اليهم ولكل صنف نوع من الاحسان يختص به ولا يعوق عن الاحسان اليهم
الا العجب او البخل فلذلك نفى الله محبته عن المعجبين والباخلين على احد التاويلين حسب
ما نذكره الان بعد هذا وقال ابو رجاء الهروى لا تجد سيئ الملكة الا وجدته مختالا فخورا
ولا عاقا الا وجدته جبارا شقيا والفخر عند المناقب بطرا ولا بد لك قوله تعالى الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر
وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما قالت فرقة الذين فى موضع نصب
بدل من من فى قوله من كان مختالا فخورا ومعناه على هذا يبخلون باموالهم ويامرون الناس
يعنى اخوانهم وهو مظن طاعتهم بالبخل بالاموال فلا ينفق فى شىء من وجوه الاحسان الى من
ذكر ويكتمون ما اتاهم الله من فضله يعنى من الرزق والمال فيجى على هذا ان التاجليت
منفية عنهم محبة الله والاية اذا فى المؤمنين فالمعنى احسنوا ايها المؤمنون الى من
سمى فان الله لا يحب من فيه الخلال المانعة من الاحسان اليهم من المؤمنين واما الكافرين
فانه اعد لهم عذابا مهينا ففصل توعد المومنين من توعد الكافرين بان جعل الاول
عدم المحبة والثانى عذابا مهينا وقالت فرقة الذين فى موضع رفع بالابتداء والخبر
محذوف تقديره بعد قوله من فضله معذبون او مجازون او نحوه وقال الزجاج الخبر
فى قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وفى هذا تكلف
ما والاية على هذا كله فى كفار وقد روى انها نزلت فى احبار اليهود بالمدينة فانهم
بخلوا بالاعلام بصفة النبى عليه السلام وبما عندهم من العلم فى ذلك وامروا الناس
بالبخل على جهتين بان قالوا لاتباعهم وعوامهم اجحدوا امر محمد وابخلوا به وبان قالوا
للانصار لم ينفقون اموالكم على هولاء المهاجرين فيفتقرون عليهم ونحو هذا مروى
عن مجاهد وحضرمى وابن زيد وابن عباس رضى الله عنه وحقيقة البخل منع ما فى اليد
والشح هو البخل الذى يعمر ونه الرغبة فيما فى ايدى الناس وكتمان الفضل على هذا هو كتمان العلم
والتوعد بالعذاب المهين لهم قد قرا عيسى بن عمر والحسن بالبخل بضم الباء والخاء وقرا الجمهور
بضم البا وسكون الخاء وقرا حمزة والكساى هنا وفى الحديد بالبخل بفتح الباء والخاء وقرا ابن
الزبير وقتادة وجماعة بفتح الباء وسكون الخاء وهى كلها لغات واعتدنا معناه يسرنا
واعددنا واحضرنا والعتيد الحاضر والمهين الذى يقترن به خزى وذل وهو انكى واشد
على المعذب وقوله تعالى والذين ينفقون قال الطبرى الذين فى موضع خفض عطف على الكافرين

ويصح ان يكون فى موضع رفع عطفا على الذين يبخلون على تاويل من راه معطوفا والخبر محذوفا وتقديره
معذبون وقال مجاهد نزلت الاية فى اليهود وقال الطبرى وهذا ضعيف لانه
نفى عن هذه الصفة الايمان بالله واليوم الاخر واليهود ليسوا كذلك وقول مجاهد متجه على
المبالغة والالزام اذ ايمانهم باليوم الاخر كلا ايمان من حيث لا ينفعهم وقال الجمهور نزلت
فى المنافقين وهذا هو الصحيح وانفاقهم هو ما كانوا يعطونه وينفقون فى السفر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رياء ودفعا عن انفسهم لا ايمانا بالله ولا حبا فى دينه ورياء نصب على الحال من الضمير
فى ينفقون والعامل ينفقون ويكون قوله ولا يؤمنون فى الصلة لان الحال لا يفرق اذا كانت فيما هو
فى الصلة وحكى المهدوى ان الحال يصح ان يكون من الذين فعلى هذا يكون ولا يؤمنون مقطوعا ليس
من الصلة والاول اصح وما حكى المهدوى ضعيف ويحصل ان يكون لا يؤمنون فى موضع الحال
اى غير مؤمنين فيكون الواو واو الحال والقرين فعيل بمعنى فاعل من المقارنة وهى الملازمة و
الاصطحاب وهى ها هنا مقارنة مع خلطة وتواد والانسان كاسقارنه الشيطان لكن الموفق
عاص له ومنه قيل لما تلد من الابل والبقر قرنان وقيل للحبل الذى يشدان به قرن قال الشافعى
كمدخل راسه لم يدنه احد من القرنين حتى لزه القرن فالمعنى ومن يكن الشيطان له مصاحبا وملازما
اوشك ان يطيع فتسوء عاقبته وقرينا نصب على التمييز والفاعل بساء مضمر تقديره وساء القرين قرينا
على حد بئس وقرن الطبرى هذه الاية بقوله تعالى بئس للظالمين بدلا وذلك مردود لان بدلا حال
وفى هذا نظر وقوله تعالى وماذا عليهم ما رفع بالابتداء وذا صلة وعليهم خبر الابتداء والمعنى
واى شئ عليهم ويصح ان يكون ما اسما بانفرادها وذا بمعنى الذى ابتداء وخبر وجواب لو فى قوله
ماذا فهو جواب مقدم قال رضى الله عنه وكان هذا الكلام يقتضى ان الايمان منهم ونقدرهم
ومن قبلهم ولا يقال لاحد ما عليك لو فعلت الا فيما هو مقدور له وهذه شبهة للمعتزلة
والانفصال عنها ان المطلوب انما هو كسبهم واجتهادهم واقبالهم على الايمان واما
الاختراع فالله المنفرد به وفى هذا الكلام تفجع ما عليهم واستدعا جميل يقتضى حنطه و
اشفاقا وكان الله بهم عليما اخبار يتضمن وعيدا وتنبيه على سوء تواطيهم اى لا ينفعهم
كتم مع علم الله بهم قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت
من لدنه اجرا عظيما مثقال مفعال من الثقل والذرة الصغيرة الحمراء من النمل وهى اصغر ما
يكون اذا مر عليها حول لانها تصغر وتجرى كما تفعل الافعى يقول العرب افعى جارية وهى اشدها
سما قال امرؤ القيس من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا
فالمحول الذى اتى عليه حول قال حسان لو يدب الحول من اصغر الذر عليها لا ندبها الكلوم و
عبر بن يدبع هرون عن الذرة بانها دودة حمراء وهى عبارة فاسدة وروى عن ابن عباس
الذرة راس النملة وقرا ابن عباس ان الله لا يظلم مثقال نملة ومثقال ثان ليظلم والاول
مضمر التقدير ان الله لا يظلم احدا مثقالا ويظلم لا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما
عدى هنا الى مفعولين بان يقدر فى معنى ما يتعدى الى مفعولين كانه قال ان الله لا
ينقص ولا يبخس ولا يغصب ويصح ان يكون نصب مثقال على انه بيان وصفة لمقدار
الظلم المنفى فيجى على هذا نعت المصدر محذوف التقدير ان الله لا يظلم ظلما مثقال ذرة
كما يقولون ان الامير لا يظلم قليلا ولا كثيرا اى لا يظلم ظلما قليلا ولا كثيرا فعلى هذا
وقف يظلم على مفعول واحد وقال قتادة عن نفسه ورواه عن بعض العلماء لان
تفضل حسناتى بسيئاتى بمثقال ذرة احب الى من الدنيا جميعا وحذفت النون من تك
لكثرة الاستعمال وشبهها خفة بحروف المد واللين وقرا الجمهور السبعة حسنة بالنصب
على نقصان كان واسمها مضمر تقديره وان تك زنة الذنيا حسنة وقرا نافع وابن كثير حسنة
بالرفع على تمام كان التقدير وان يقع حسنة او يوجد حسنة ويضاعفها جواب الشرط و
قرا ابن كثير وابن عامر يضعفها مشددة العين بغير الف قال ابو على المعنى فيهما واحد وهما
لغتان وقرا الحسن يضعفها بسكون الضاد وتخفيف العين ومضاعفة الشئ فى كلام
العرب زيادة مثله اليه فاذا قلت ضعفت فقد اتيت تثنية التكثير واذا كانت صيغة
الفعل دون تكثير يقتضى الطى مرتين فبناء التكثير يقتضى اكثر من المرتين الى اقصى ما
تريد من العدد واذا قلت ضاعفت فليست تثنية تكثير ولكنه فعل صيغته كما له على الطى
مرتين فما زاد هذه اصول هذا الباب على مذهب الخليل وسيبويه وقد ذكر ابو عبيدة
فى كتاب المجاز ان ضاعفت يقتضى مرارا كثيرة وضعفت يقتضى مرتين وقال مثله الطبرى
ومنه نقل وبذلك على تقارب الامر فى المعنى فى قوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة فانه قرى

يضعفه

يضعفه ويضاعفه وما قرئ فى قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين فانه قرى يضعف
وقال بعض المتاولين هذه الاية خص بها المهاجرين لان الله تعالى اعلم فى كتابه ان الحسنة لكل
مؤمن يضاعف عشر مرات واعلم فى هذه انها مضاعفة مرارا كثيرة جدا حسب ما روى
ابو هريرة من انها يضاعف الفى الف مرة وروى غيره انها يضاعف الف الف مرة
ولا يستقيم ان يتضاد الخبران بهذه مخصوصة المهاجرين السابقين حسب ما روى
عبد الله بن عمر انه لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال رجل فما للمهاجرين فقال
ما هو اعظم من هذا ان الله لا يظلم مثقال ذرة الاية فخصوا بهذا كما خصت نفقة سبيل
الله يتضعف سبعا ثم ضعف ولا يقع تضاد فى الخبر وقال بعضهم بل وعد بذلك جميع
المومنين وروى فى ذلك احاديث وهى ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين فى صعيد
واحد فينادى هذا فلان ابن فلان فمن كان عنده حق فليقم قال فيحب الانسان ان يكون له
الحق يومئذ عند ابيه وابنه فياتى كل من له حق فياخذ من حسناته حتى يقع الانتصاف ولا
يبقى له الا وزن الذرة فيقول الله تعالى اضعفوها لعبدى واذهبوا به الى الجنة وهذا
يجمع معانى ما روى مما لم يذكر والاية يعم المؤمنين والكافرين فاما المومنون فيجازون
فى الاخرة على مثاقيل الذرة فما زاد واما الكافرون فما يفعلون من خير فيقع المكافات عليه
بنعيم الدنيا ويجيئون يوم القيمة ولا حسنة لهم ولدنه معناه من عنده قال سيبويه ولدنه
هى لابتداء الغاية فهى يناسب احد مواضع من ولذلك التاما ودخلت من عليها والاجر
العظيم الجنة قاله ابن مسعود وسعيد بن جبير وابن زيد والله اذا من بفضله بلغ بعبده
الغاية تم الجزء الثانى والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وعبده واله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا يتلوه فى الجزء الثالث قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ان تقدم فى الاية قبلها اعلام بتحقيق الامر كان يوم القيمة
فحسن بعد ذلك التنبيه على الحالة التى يحضر ذلك فيها ويجا فيها بالشهداء على الضم ومعنى الاية
ان الله تعالى ياتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق والتكذيب ومعنى الامة فى هذه الاية
غير المعنى المتعارف فى اضافة الامم الى الانبياء فان المتعارف ان يريد بامة محمد جميع من امن به
وكذلك فى كل نبى وهى ها هنا جميع من بعث اليه من امن منهم ومن كفر وكذلك قال المتاولون
الاشارة بهؤلاء وهى الى كفار قريش وغيرهم من الكفار وانما خص كفار قريش بالذكر لان وطيه
الوعد ابتدا عليهم منها على غيرهم وكيف فى موضع نصب بمفعول بمقدر بفعل تقديره فى اخر
الاية ترى حالهما او يكونون او نحوه وقال مكى جئنا عامل فى كيف وذلك خطأ وروى النسائى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية فاضت عيناه وكذلك ذرفت عيناه عليه
السلام حين قراها عليه ابن مسعود فى الحديث المشهور وما ذكره الطبرى من شهادة امة
محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسل وما جرى فى معنى ذلك من القصص الذى ذكر مكى كسوال اللوح المحفوظ
ثم اسرافيل ثم جبريل ثم الانبياء عليهم السلام فليست هذه اتيه وانما اتيه لتكونوا شهداء على الناس
يومئذ ظرف ويصح ان يكون نصب يوم فى هذا الموضع على الظرف على انه معرب مع الاسماء المتمكنة ويصح ان
يكون نصبه على انه مبنى على النصب مع الاسماء غير المتمكنة والود انما هو فى ذلك اليوم وقرا نافع وابن
عامر تسوى بتشديد السين والواو على الادغام الثانية من تسوى وقرا حمزة والكسائى تسوى
بتخفيف السين وتشديد الواو وعلى حمل فى التا لسابه المذكورة وهما بمعنى واحد واختلف فيه
فقالت فرقة تسوى الارض محصلون فيها ثم تسوى هى فى نفسها عليهم وبهم وقالت فرقة
معناه لو تسوى هى معهم فان يكونوا ترابا كالبهائم فجاء اللفظ على ان الارض هى المستوية
معهم والمعنى انما هو انهم يستوون مع الارض ففى اللفظ قلب يخرج على نحو اللغة التى حكاها
سيبويه دخلت القلنسوة فى راسى وادخلت راسى فى القلنسوة وادخلت فمى فى الحجر
وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو تسوى على بناء الفعل للمفعول الذى لم يسم فاعله
فيكون الله تعالى يفعل ذلك على حسب المعنيين المتقدمين قال ابو على امالة الفتحة
الى الكسرة والالف الى اليا فى تسوى حسنة قالت طائفة معنى الاية ان الكفار لما يرونه
من الهول وشدة المخاوف يودون ان تسوى بهم الارض فلا ينالهم ذلك الخوف ثم
استانف الكلام واخبر انهم لا يكتمون الله حديثا ينطق جوارحهم بذلك كله حين يقول
بعضهم والله ما كنا مشركين فيقول الله كذبتم ثم ينطق جوارحهم فلا يكتم حديثا
وهذا قول ابن عباس وقال فيه ان الله اذا جمع الاولين والاخرين ظن بعض الكفار
ان الانكار ينجيهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيقول الله كذبتم ثم ينطق جوارحهم

ولا يكتمون الله حديثا وهكذا فتح ابن عباس على سائل اشكل عليه الامر وقالت طائفة مثل القول الاول لا
انها قالت انما استانف الكلام بقوله ولا يكتمون الله حديثا ليخبر ان الكتم لا ينفع وان كتموا
لان الله يعلم جميع اسرارهم واحاديثهم فمعنى ذلك وليس ذلك المقام الهائل مقاما ينفع
فيه الكتم **قال الفقيه** والفرق بين هذين القولين ان الاول يقتضي ان الكتم لا ينفع بوجه
والاخر يقتضي ان الكتم لا ينفع وقع او لم يقع كما يقول هذا مجلس لا يقال فيه باطل وانت تريد
انه لا ينتفع به ولا يستمتع اليه وقالت فرقة الكلام كله متصل ومعناه تود الذين كفروا
لو تسوى بهم الارض وتودون ان لا يكتمون الله حديثا وودهم لذلك انما هو بذم على
على كذبهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقالت طائفة هي مواطن وفرق وقالت طائفة
معنى الاية يود الذين كفروا ان تسوى بهم الارض وانهم لم يكتموا الله حديثا وعلى هذا
جهة للندم على الكذب ايضا كما يقول وددت لف اعوام كذا ولا يكون كذا على جهة الفدا
اى يفدون كتمانهم بان تسوى بهم الارض والرسول فهذه الاية الجنس شرف بالذكر وهو
مفرد دل عليه الجمع وقرا ابو السماك ويحيى بن معمر وعصوا الرسول بكسر الواو ومن عصوا **قوله تعالى**
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الاية سبب النهي عن قرب الصلوة في حال السكر
ان جماعة من الصحابة شربوا الخمر عند واحد منهم قبل التحريم منهم ابو بكر وعمر وعبد الرحمن
بن عوف فحضرت الصلوة فتقدمهم علي فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها بان قال اعبد ما تعبدون
وانتم عابدون ما اعبد فنزلت الاية وروى ان المصلي عبد الرحمن بن عوف وجمهور المفسرين
على ان المراد سكر الخمر الا الضحاك فانه قال انما المراد سكر النوم ع وهذا ضعيف والخطاب
لجميع الامة الصاحين واما السكران اذا عدم الميز لسكره فليس بمخاطب في ذلك الوقت
وانما هو مخاطب اذا صحا بامتثال ما يجب عليه وبتكفير ما ضاع في وقت سكره من الاحكام
التي تقرر تكليفه اياها قبل السكر وليس من هذا ان كيف ما لا يطاق على ما ذهب
اليه بعض الناس وقرات فرقة سكارى جمع سكرى بفتح السين على مثال فعلى وقرا النخعي
سكرى بفتح السين قال ابو الفتح وهو تكسير سكران على سكرى كما قالوا روى وكقولهم هلكى
وميدى في جمع هالك ومائد ويحتمل ان يكون صفة لموتثه واحدة كان المعنى وانتم جماعة
سكرى واما سكرى بضم السين فصفة للواحد كحبلى والسكر استداد الفهم ومنه
سكرت الماء اذا سددت طريقه وقالت طائفة الصلوة هنا العبادة المعروفة حسب السبب
في نزول الاية وقالت طائفة الصلوة هنا المراد بها موضع الصلوة والصلوة معا لانهم كانوا
حينئذ لا ياتون المسجد الا للصلوة ولا يصلون الا مجتمعين فكانا متلازمين **قال الفقيه** و
انما احتج الى هذا الخلاف بحسب ما ياتي في تفسير عابري سبيل ويظهر من قوله حتى تعلموا ان
السكران لا يعلم ما تقول وكذلك قال عثمان بن عفان ان السكران لم يلزمه طلاقه واسقط عنه
احكام القول لهذا ولقول النبي عليه السلام للذي اقر بالزنا اسكران انت فمعناه لو كان سكران
لم يلزمه الاقرار **قال الفقيه** وبين طلاق السكران وبين اقراره بالزنا فرق وذلك ان الطلاق
والاقرار بالمال والقذف وما اشبههما يتعلق حقوق الادميين فتهم فيه السكران اذا
ادعى انه لم يعلم ويحمل عليه العالم والاقرار بالزنا انما هو حق الله فاذا ادعى فيه عند الصحو انه
كان غير عالم درئ واما احكام الحرامات فهي كلها لازمة للسكران وانتم سكارى ابتداء وخبره
وخبره جملة في موضع الحال وحكى ابن فورك انه قيل معنى الامر والنهي عن السكر اى لا يكن منكم
سكر فيمنع قرب الصلوة اذ المرء مدعو الى الصلوة دابا والظاهر ان الامر ليس كذلك وقد
روى ان الصحابة بعد هذه الاية كانوا يشربون ويقللون امر الصبح واثر العتمة ولا يدخل
عليهم صلوة الا وهم صاحون وقوله تعالى ولا جنبا عطف على موضع هذه الجملة المنصوبة
والجنب هو غير الطاهر من انزال او مجاورة ختنان هذا قول جمهور الامة وروى عن
بعض الصحابة ان لا غسل بختان الا على من انزل وهي من الجنابة وهي البعد كانه جانب الطهر
او من الجنب كانه ضاجع ومس بجنبه جنبا وقراة فرقة جنبا باسكان النون وعابري سبيل
هو من العبور اى المخطور والطوان ومنه عبر السفينة النهر ومنه ناقة عبر السير والعلاة
والهاجرة اى يعبرها لسرعة المشي قالت امراة شاعرة عيرانة سرح اليدين شملة عير الهواجر
كالهجف الخاضب وقال علي بن ابي طالب وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحكم وغيرهم
عابر السبيل المسافر فلا يصح لاحد ان يقرب الصلوة وهو جنب الا بعد الاغتسال الا المسافر
فانه يتيمم وقال ابن عباس ايضا وابن مسعود وعكرمه والنخعي وغيرهم عابر السبيل الخاطر في المسجد
وهو المقصود في الاية وهذا يحتاج الى ما تقدم من القول بان الصلوة هي المسجد والمصلى وروى

بعضهم

بعضهم ان سبب الاية ان قوما من الانصار كانت ابواب دورهم شارعة في المسجد فاذا اصابت
تصيبهم الجنابة اضطر الى المرور في المسجد فنزلت الاية في ذلك ثم نزلت وان كنتم مرضى الى اخر الاية
بسبب عدم الصحابة الماء في غزوة المريسيع حين اقام على التماس العقد هذا قول الجمهور و
قال النخعي نزلت في قوم اصابتهم جراح ثم اجنبوا فذكروا ذلك للنبي عليه السلام فنزلت وذكر النقاش
ان ذلك نزل لعبد الرحمن بن عوف والمريض المقصود في الاية هو الحضري والذي يصح له التيمم
هو الذي يخاف الموت لبرد الماء والعلة التي ~ وهذا يتيمم باجماع الا ما روى عن عطا انه يتطهر
وان مات والذي يخاف حدوث علة على علته او زيادة علته والذي يخاف بطا برؤه وهولاء يتيممون
باجماع من المذهب فيما حفظت والاسباب التي لا يجد المريض بها الماء عدم المناول واما خوف
ما ذكرناه وقال داود كل من انطلق عليه اسم المريض اى المرض فجائز له التيمم وهذا قول
خلف وانما هو عند علماء الامة المجذور والمحصوب والعلل المخوفة عليها من الماء والمسافر
في هذه الاية هو الغائب عن الحضر كان السفر مما يقصر فيه الصلوة او لا يقصر هذا مذهب مالك
وجمهور الفقهاء قال الشافعي في كتاب الصرف قال قوم لا يتيمم الا في سفر يجوز فيه التقصير و
هذا ضعيف **قال الفقيه** وكذلك قالت فرقة ولا يتيمم في سفر معصية وهذا ايضا ضعيف
والاسباب التي لا يجد بها المسافر الماء هو اما عدمه جملة واما خوف فوات الرفيق بسبب
طلبه واما خوف على الرحل بسبب طلبه واما خوف سباع او اذاية عليه واختلف في وقت
ايقاع التيمم فقال الشافعي في اول الوقت وقال ابو حنيفة وغيره في اخر الوقت وفرق
مالك رحمه الله بين الايس والعالم الطامع بادراكه في الوقت والجاهل بامره جملة
وقال اسحق بن راهويه لا يلزم المسافر طلب الماء الا بين يديه وحوله وقالت طائفة
يخرج في طلبه الغلوتين ونحوها وفي مذهب مالك يمشي في طلبه ثلثة اميال وقال الشافعي
يمشي في طلبه ما لم يخف فوات رفقة او فوات وقت **قال الفقيه** وهذا قول حسن واصل
الغائط ما انخفض من الارض وكانت العرب تقصده لقضاء حاجتها ذلك الصنف
من المواضع حتى كثر استعماله في قضاء الحاجة وصار عرفه وقرا قتاده والزهري
من الغيط بغير الف قال ابن جني هو محذوف من فيعل عين هذه الكلمة واو فتامل ع وهذه
اللفظة تجمع بالمعنى جميع الاحداث الناقضة للطهارة الصغرى واختلف الناس في حصرها
واسد معتقد في ذلك ان انواع الاحداث ثلثة ثلثة ما خرج من السبيلين معتادا
وما اذهب العقل واللمس هذا على مذهب مالك وعلى مذهب ابي حنيفة ما خرج من
الجسد من النجاسات ولا يراعي المخرج ولا غيره ولا يعد اللمس فيها وعلى مذهب الشافعي ما
خرج من السبيلين ولا يراعي الاعتياد والاجماع من الاحداث على تسعة اربعة من الذكر وهو
البول والمني والودي والمذي وواحد من فرج المراة وهو دم الحيض واثنان من الدبر وهي
الريح والغائط وذهاب العقل كالجنون والاغماء والنوم الثقيل فهذه ينقض الصغرى
وغير ذلك كاللمس والدود يخرج من الدبر وما اشبهه مختلف فيه وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وعاصم وابن عامر لامستم وقرا حمزه والكسائي لمستم فهي في اللغة لفظة يقع
على اللمس الذي هو الجماع وفي اللمس الذي هو الجس باليد والقبلة ونحوه اذ في جميع ذلك لمس
واختلف اهل العلم في موقعها هنالك فمالك يقول اللفظة هنا على اتم عمومها يقتضي
الوجهين فالملامس بالجماع يتيمم والملامس باليد يتيمم لان اللمس ينقض قصده وقالت هي
فرقة هي هنا مخصصة للمس باليد والجنب لا ذكر له الا مع الماء ولا سبيل له الا التيمم
واما يغتسل الجنب او يدع الصلوة حتى يجد الماء روى هذا القول عن عمر وعن ابن مسعود
وغيرهما وقال ابو حنيفة هي ها هنا مخصصة للمس الذي هو الجماع فالجنب يتيمم
واللامس بيده لم يجر له ذكر وليس بحدث ولا هو ناقض لوضوء واذا قبل الرجل امراته
للذة لم ينتقض وضوءه ومالك يرى ان اللمس ينقض اذا كان للذة ولا ينقض اذا لم يقصد
به اللذة ولا اذا كان لابنة او لام والشافعي يعمم لفظ النساء فاذا لمس الرجل عبده
او ابنته على اى وجه كان انتقض وضوءه وعدم وجود الماء يترتب للمريض والمسافر
حد ما ذكرناه ويترتب للصحيح الحاضر بالغلاء الذي يعم جميع الاصناف واختلف
فقال الحسن بن ... يشتري الرجل الماء بماله كله ويبقى عديما وهذا قول ضعيف لان دين الله
يسر كما قال عليه السلام يريد الله بكم اليسر ولم يجعل علينا في الدين من حرج
وقالت طائفة يشتريه ما لم يزد على قيمة الثلث فصاعدا وقالت طائفة يشتريه
بقيمة الدرهم بالدرهمين في الثلاثة ونحو هذا وهذا كله في مذهب مالك وقيل

لاشهب اشترى القربة بعشرة دراهم فقال ما ارى ذلك على الناس ع وقد رهذه المسالة انما
هو بحسب عسر المشترى وحاجته والوجد عندى ان يشترى ما لم يودغالوه وبترتب ايضا عدم
الماء للصحيح الحاضر بان يسجن او يربط وهذا هو الذى يقال فيه انه ان لم يجد ماء ولا ترابا كما ترجم
البخارى ففيه اربعة اقوال فقال مالك وابن نافع لا يصلى ولا يعيد وقال ابن القاسم يصلى
ويعيد وقال اشهب يصلى ولا يعيد وقال اصبغ لا يصلى ويقضى واذا خاف الحضرى فوات الوقت
ان تناول الماء فلمالك قولان فى المدونة انه يتيمم ولا يعيد وفيها انه يعيد وفى الواضحة وغيرها اسدى
بعض العلما فى ذلك ومن لم يجد ماء ولا متيمما فاربعة الاقوال يحلون مذهبا يصلى ويقضى
عكس ما قال مالك واصبغ يقضى والادا لاشبهها عسه يتناول الماء ويغتسل وان طلعت
الشمس وعلى القول بانه يتيمم ولا يعيد اذا بقى من الوقت شئ يقدر ما كان يتوضا و
يصلى ركعة فقيل يعيد وقيل لا يعيد ومعنى قوله فتيمموا فى اللغة لعضدوا ومن قول
امرئ القيس تيممت العين التى عند ضارج يفى عليها الظل عرمضها طامى ومنه قول اعشى
بنى قيس بن ثعلب تيممت قيسا فكم دونه من الحرض من مهمه ذى شذن ثم غلب هذا الاسم
فى الشرع على العبادة المعروفة او الصعيد فى اللغة وجه الارض قاله الخليل وغيره ومنه قول
ذى الرمة كانه بالضحى يرمى الصعيد به ذبابه فى عظام الراس خرطوم واختلف الفقها
فيه من اجل تعيد الاية اياه بالطيب فقالت طائفة يتيمم بوجه الارض ترابا كان اورملا
او حجارة او معدنا او سبخة وجعلت الطيب بمعنى الطاهر وهذا مذهب مالك وقالت
طائفة منهم الطيب بمعنى الحلال وهذا فى هذا الموضع قلق وقال الشافعى وطائفة الطيب
بمعنى المنبت قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته فيجى الصعيد على هذا التراب وهذه الطائفة
لا يجيز التيمم بغير ذلك مما ذكرناه ثم كان الاجماع ان يتيمم الرجل فى تراب منبت طاهر غير منقول
ولا مغصوب ومكان الاجماع فى المنع ان يتيمم الرجل على الذهب الصرف والفضة والياقوت
والزمرد والاطعمة كالخبز واللحم وغيرهما او على النجاسات واختلف فى غير هذا كالمعادن
فاجيز وهو مذهب مالك ومنع وهو مذهب الشافعى واشار ابو الحسن اللخمى الى ان الخلاف
فيه موجود فى المذهب واما الملح فاجيز فى المذهب المعدنى والجامد وضعا واجيز المعدنى
ومنع ووضع الجامد والثلج فالمدونة كواز لمالك وفى غيرها منعه وذكر النقاش
عن ابن ابى علية وابن كيسان انهما اجازا التيمم بالمسك والزعفران قال الفقيه ه
وهذا خطا بحت من جهات واما التراب المنقول فى طبق وغيره فجمهور المذهب جواز التيمم
وفى المذهب المنع وهو فى غير المذهب اكثر واما ما طبخ كالاجر والنورة والجص ففيه
فى المذهب قولان الاجازة والمنع وفى التيمم على الحجر الخلاف واما التيمم على النبات والعود الحداد
فاختلف فيه فى المذهب المالكى فالجمهور على منع التيمم على العود وفى مختصر الوقاية انه جائز
وحكى الطبرى فى لفظة الصعيد اختلافا انها الارض الملسا وانها الارض المستوية وان
الصعيد التراب وانه وجه الارض وترتيب القران الوجه قبل اليدين وبه قال الجمهور ووقع
فى حديث عمار فى البخارى فى بعض الطرق تقديم اليدين وقاله بعض اهل العلم قياسا على
تنكيس الوضو فرغا فى الوجه حدوده المغلوب فى الوضو فالجمهور على ان استيعابه با
بالمسح فى التيمم واجب ويتبعه كما يصنع بالماء ولا يقصد ترك شئ منه واجاز بعضهم
ان لا يسع كالغضون فى الخفش ومما بين الاصابع فى الراس وهو فى المذهب قول محمد بن
مسلمة ومذهب مالك فى المدونة ان التيمم بضربتين وقال ابن الجهم بضربة واحدة
وقال مالك فى كتاب محمد ان تيمم بضربة اجزاه وقال غيره فى المذهب يعيد فى الوقت وقال
ابن نافع يعيد ابدا وقال مالك فى المدونة يبداء باصابع اليسرى على اصابع اليمنى
ثم يمد كذلك الى المرفق ثم يلوى بالكف اليسرى على باطن الذراع الايمن حتى
يصل الكوع ثم يفعل باليمنى على اليسرى كذلك فظاهر هذا الكلام انه يستغنى عن
مسح الكف بالاخرى ووجهه انها فى الامرار على الذراع ما سحة ممسوحة قال ابن
حلب يمر بعد ذلك كفه فهذا اسع بحكم ظاهر المدونة خلاف قال اللخمى فى كلام
يريد ثم مسح كفه بالاخرى فيجى فى تاويل ابى الحسن كلام ابن حلب تفسيرا وقالت فرقة
يبداء بالشمال كما فى المدونة فاذا وصل على باطن الذراع الى الرسغ مشى على الكف
ثم كذلك فاليمنى فى اليسرى ووجه هذا القول انه لا يرفع من عضو بعد التلبس به
موضعا ثم يحتاج الى العودة اليه بعد غيره وقالت طائفة يتناول بالامرار كما
يتناول بالماء فى صورة الامرار دون رتبة وقال مالك فى المدونة يمسح يديه الى

المرفقين

الى المرفقين فان مسح الى الكوعين اعاد فى الوقت وقال ابن نافع يعيد ابدا قال غيرهما فى المذهب يمسح الى
الكوعين وهو قول مكحول وجماعة من العلماء وفى غير المذهب يمسح الكفين فقط وعليه جماعة
من العلماء وفى غير المذهب يمسح الى الاباط وفى ذلك حديث عن عمار بن ياسر وهو قول
الشعبى وقال ابن شهاب يمسح الى الاباط وذكر الطبرى عن ابى بكر الصديق انه قال
لعايشة حين نزلت اية التيمم انك لمباركة نزلت فيك رخصة فضربة لوجوهنا وضربة
لايدانا الى المناكب والاباط وفى مصنف ابى داود عن الاعمش انه عليه السلام مسح
الى انصاف ذراعيه ولم يقل بهذا الحديث احد من العلماء فيما حفظت وما حكى
الداودى من ان الكوعين فرض والمرفق سنة والاباط فضيلة كلام لا يعضده قياس
ولا دليل وانما عمم قوم لفظة اليد فاوجبوه من المنكب وقاس قوم على الوضوء فاوجبوه
من المرافق وهنا جمهور الامة ووقف قوم الحديث فى الكوعين وقيس ايضا على القطع اذ هو
حكم شرعى وتطهير كما هذا تطهير ووقف اخرون مع حديث عمار فى الكفين واختلف
فى المذهب فى تحريك الخاتم وتخليل الاصابع على قولين يجب ولا يجب قوله تعالى الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الاية الروية فى قوله الم تر من روية القلب
وهى علم بالشى وقال قوم معناه الم تعلم وقال اخرون الم تخبر وهذا كله يتقارب
والروية بالقلب تصل بحرف الجر والمراد بالذين اليهود قاله قتادة وغيره ثم اللفظ
متناول معهم النصارى وقال ابن عباس نزلت فى رفاعة بن زيد من التابوت اليهودى
واوتوا اعطوا والنصيب الحظ والكتاب التورية والانجيل وانما جعل المعطى نصيبا
فى حق كل واحد منفرد الاية لا يحصى علم الكتاب واحد بوجه ويشترون عبارة عن
ايثارهم الكفر وتركهم الايمان وكانه اخذ واعطا هذا قول جماعة وقالت فرقة اراد
الذين كانوا يعطون اموالهم للاحبار على اقامة شرعهم فهذا شراء على وجه وعلى
هذا التاويل ويريدون ان تضلوا السبيل معناه ان يكفروا وقرا النخعى تريدون ان
تضلوا بالتا من فوق قال وهذه الاية وما بعدها تقتضى توبيخا للمومنين على استماعه
قوم منهم الى احبار اليهود فى سوال عن دينهم وفهم الاية وما اشبه ذلك وهذا بين
فى الفاظها من ذلك وتريدون ان تضلوا اى ترعون الصواب فى احبارهم ونحوهم
غير عدو الله والله اعلم بهم وقوله تعالى والله اعلم باعدائكم خبر فى ضمنه التحذير منهم
وكفى بالله فى موضع رفع بتقدير زيادة الخافض وفائدة زيادته تفسير معنى الامر فى
لفظ الخبر اكتفوا بالله فالبا فدل على المراد من ذلك وليا فعيلا ونصيرا كذلك من الولاية
والنصر من الذين هادوا قال بعض المتاولين من راجعة على الذين الاولى فهى على هذا
متعلقة بترا وقالت فرقة هى متعلقة بنصيرا والمعنى ينصركم من الذين هادوا فعلى هذين
التاويلين لا يوقف فى قوله نصيرا وقالت فرقة ابتداء كلام وفيه اضمار تقديره قوم يحرفون
هذا هو مذهب على ونظيره قول الشاعر كانك من جمال بنى قيس يقعقع بين رجليه بشن
وقال الفرا وغيره تقديره من ومثله قول ذى الرمة وظلوا ومنهم دمعه سابق له
واخرى تسى دمعة العين باليد فعلى هذا التاويل موقف فى قوله ونصيرا وقول سيبويه
اصوب لان اضمار الموصول ثقيل واضمار الموصوف اسهل وقوله هادوا ما خوذ من
هاد اذا تاب او من يهوذا بن يعقوب وغيره التعرب او من اليهود وهو الرويد
من المشى واللين فى القول ذكر هذه كلها الخليل وقد تقدم شرحها وبيانها فى سورة
البقرة وتحريف الكلم على وجهين اما بتغيير اللفظ وقد فعلوا فى الاقل واما بتغيير
التاويل وقد فعلوا ذلك فى الاكثر واليه ذهب الطبرى وهذا كله فى التورية على قول الجمهور
وقالت طائفة هو كلم القران وقال مكى كلم النبى عليه السلام فلا يكون التحريف على هذا
الا فى التاويل وقرا النخعى وابو رجا الكلام بالالف ومن جعل من متعلقة بنصيرا
جعل يحرفون فى موضع الحال ومن جعلها قطعا جعل يحرفون صفة وقوله عنهم سمعنا وعصينا
عبارة عن عتوهم فى كفرهم وطغيانهم فيه ومسمع لا يتصرف الا من اسمع وغير مسمع يتخرج فيه
معنيان احدهما غير مامور وغير صاغر كانه قال غير ان تسمع مامورا بذلك والاخر على
جهة الدعاء اى لا سمعت كما تقول اقض غير مصب وغير ذلك فكانت اليهود اذا خاطب
النبى بغير مسمع ارادت فى الباطن والدعا عليه ولدت طاهرا انها تريد تعظيمه قال
نحوه ابن عباس وغيره وكذلك راعنا كانوا ايضا تريدون منه فى نفوسهم معنى الرعونة
وحكى مكى يعنى رعاية الماشية ويظهرون منه معنى المراعاة فهذا معنى فى اللسان فقال

الزجاج كانوا يريدون اجعل سمعك لكلامنا مرعيا قال في هذا جفاء لا يخاطب به نبي وفي مصحف
ابن مسعود راعونا ومن قال غير مسمع غير مقبول قبل وانه لا اسمعه التصريف وقد حكاه
الطبري عن الحسن ومجاهد وليا اصله لويا قلبت الواو ياء وادغمت وطعنا في الدين
اي وهنا له واظهارا للاستخفاف به قال وهذا اللي باللسان الى خلاف ما في القلب
موجود الى الان في بني اسرائيل ويحفظ منه في عصرنا امثله الا انه لا يليق ذكرها
بهذا الكتاب وقوله تعالى ولو انهم الاية المعنى ولو انهم امنوا وسمعوا واطاعوا واختلف
المتاولون في قوله وانظرنا فقال مجاهد وعكرمة وغيرهما معناه انتظرنا بمعنى افهمنا
وتمهل علينا حتى نفهم عليك ونعي قولك وهذا كما قال الحطيئة وقد نظرتكم انما صادرة
للخمس طال بها مسحي وتنساري وقالت فرقة انظرنا معناه انظر الينا فكانه استدعا
اهتمام وتحفي ومنه قول ابن الرقيات ظاهرات الجمال والحسن ينظرن كما ينظر الاراك
الظبا واقوم اعدل واصوب واللعنة الابعاد فمعناه ابعدهم من الهدى وقليلا نعت
اما للايمان او للنفر او للقوم والمعنى مختلف لمن غيرنا لعلة عن الايمان وقال انما هي عبارة
عن عدمه على ما حكى سيبويه من قولهم ارض قل ما تنبت كذا وهي لا تنبته جملة واغا قل
الايمان لما قلت الاشيا التي اصواتها فلم ينفعهم ذلك وذلك انهم كانوا يؤمنون
بالتوحيد ويكفرون بمحمد وبجميع اوامر الشريعة ونواهيها ومن عبر بالقلة عن
النفر قال لا يؤمن منهم الا قليلا كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما
واذا قدرت الكلام نفرا قليلا فهو وصف في الحال وفي هذا نظر قوله تعالى
يا ايها الذين اوتوا الكتاب الاية هذا خطاب لليهود والنصارى امنوا بما
نزلنا مصدقا لما معكم معناه من شرع وملة لا لما كتاب معهم من مبدل ومغير
والطامس الداثر المغير الاعلام كما قال ذو الرمة من كل نا صحة الدفرى اذا عرقت عرضتها
طامس الاعلام مجهول ومن ذلك للاعمى المسدود عيناه اعمى مطموس وقالت طائفة
طمس الوجوه هذا ان يعفى اثار الحواس منها ويزول الخلقة منها وترجع كسائر الاعضاء
في الخلق من اعضاء الحواس فيكون الرد على الادبار في هذا الموضع بالمعنى اي خلوه من الحواس
دبر الكونه عامرا بها وقال ابن عباس وعطية العوفي طمس الوجوه ان يزال العينان
خاصة منها وترد العينان في القفا فيكون ذلك ردا على الدبر ويمشي القهقرا وحكى
الطبري عن فرقة ان طمس الوجوه ان يتغير اعلامها ويصير منابتا للشعر فذلك هو الرد
على الدبر ورد على هذا القول الطبري وقال مالك كان اول اسلام كعب الاحبار انه مر
برجل في الليل يقرا هذه الاية فوضع كفيه على وجهه ورجع القهقرى الى بيته فاسلم
مكانه وقال والله لقد خفت ان لا ابلغ بيتي حتى يطمس وجهي وقال مجاهد والحسن و
والسدي والضحاك ذلك تجوز وانما المراد وجوه الهدى والرشد وطمسها حتم
الاضلال والصرف عنهما والمصير الى الكفر وهو الرد على الادبار وقال ابن زيد هي
اوطانهم وسكناهم في بلادهم الى الحجاز جعلها اليها وطمسها اخراجهم منها والرد على
الادبار هو رجوعهم الى الشام من حيث اتوا اولا واصحب السبت هم اهل الله
الذين اعتدوا في السبت في الصيد حسب ما تقدم وكانت لعنتهم ان مسخوا خنازير
وقردة وقال قتادة والحسن والسدي امر الله في هذا الموضع واحد الامور اي
هو دال على جنسها لا واحد الاوامر فهي عبارة عن المخلوقات كالعذاب واللعنة
هذا وما اقتضاه كل موضع بما يختص به وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية
هذه مسئلة الوعد والوعيد وهذه الاية هي الحاكمة ببيان ما يعارض من ايات الوعد
والوعيد وما يخلص الكلام فيها ان يقال الناس اربعة اصناف كافر مات على كفره فهو
مخلد في النار باجماع ومؤمن محسن لم يذنب قط ومات على ذلك فهو في الجنة محتوم عليه
حسب الخبر من الله تعالى باجماع وتائب مات على توبته وهذا عند اهل السنة وجمهور
فقهاء الامة لاحق بالمؤمن المحسن الا ان قانون المتكلمين انه في المشيئة ومذنب مات
قبل توبته فهذا موضع الخلاف فقالت المرجئة هو في الجنة بايمانه ولا تضره سيئاته
وبنوا هذه المقالة على ان جعلوا ايات الوعيد كلها مخصصة في الكفار وايات الوعد
عامة في المؤمنين تقيهم وعاصيهم وقالت المعتزلة اذا كان صاحب كبيرة فهو في النار
الى الابد وقالت الخوارج اذا كان صاحب كبيرة وصغيرة فهو في النار مخلد ولا ايمان له
لانهم يرون كل الذنب كانوا وبنوا هذه المقالة على ان جعلوا ايات الوعيد كلها مخصصة

في المؤمن

في المؤمن المحسن الذي لم يعص قط او المؤمن التائب وجعلوا النار الوعيد عامة في العصاة
كفارا او مؤمنين قال اهل السنة والحق ايات الوعيد ظاهرة العموم وايات الوعد ظاهرة
العموم ولا يصح ان يكون كلها لوجه ولسبب يعارضها قوله لا يصلاها الا الاشقى الذي
كذب وتولى وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم ولا بد ان يقول ان ايات الوعد
لفظها لفظ عموم والمراد بها الخصوص في المؤمن المحسن وفي التائب وفيمن سبق علمه تعالى
العفو عنه دون تعذيب من العصاة وان ايات الوعيد لفظها عموم والمراد بها الخصوص
في الكفرة وفيمن سبق علمه تعالى انه يعذبه من العصاة ويحكم لقولنا هذه الاية النص في
موضع النزاع وهو قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فانها جلت الشك وردت على الطائفتين المرجئة والمعتزلة وذلك ان قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به فصل مجمع عليه ويغفر ما دون ذلك فصل قاطع للمعتزلة وادا على قولهم ردا
لا محيد عنه ولو وقفنا في هذا الموضع من الكلام يصح قول المرجئة فجاء قوله لمن يشاء
ردا عليهم موجبا ان غفران ما دون الشرك انما هو لقوم دون قوم بخلاف
ما زعموا المعتزلة من انه مغفور لكل مؤمن قال ع ورامت المعتزلة الموطئة ان ترد الاية
الى قولها بان قالوا المن يشاء هو التائب وما ارادوه فاسد لان فائدة التقسيم في الاية
كانت تبطل اذ التائب من الشرك معفو له ورامت المرجئة ان يرد الاية الى قولها
بان قالوا لمن يشاء ان يؤمن لا يشاء ان يعفو له فالمشيئة معلقة بالايمان ممن يؤمن لا يعفو
ان الله لا يغفر ان الله يعفو له ويرد ذلك بان الاية يقتضي على هذا التاويل ان قوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء عام في كافر ومؤمن فاذا خصص المؤمنون بقوله لمن يشاء وجب
ان الكافرين لا يغفر لهم ما دون ذلك ويجازون به ع وذلك وان كان مما قد قيل فهو ما لم يقصد
بالاية على تاويل احرس العلماء ويرد على هذا المنزع بطول التقسيم لان الشرك ايضا مغفور
لمن شاء الله ان يؤمن ومن ايات الوعيد التي احتج بها المعتزلة قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا
متعمدا الاية والاية تخرجه منهم بوجوه منها الدال الاصح في تاويل قوله تعالى متعمدا
ما قال ابن عباس انه مستحلا واذا استحل احد ما حرم الله فقد كفر ويدل على ما قال
ابن عباس انا نجد الله تعالى في امر القتل اذا ذكر القصاص لم يذكر الوعيد واذا ذكر
الوعيد بالنار لم يذكر القصاص فيظهر ان القصاص للقاتل المؤمن العاصي والوعيد
للمستحل الذي في حكم الكافر ومما ترجحه اخرى ان الخلود اذا لم يرن لقوله ابدا
فجائز ان يراد به الزمن المتطاول اذ ذاك معهود في كلام العرب الا ترى انهم يحيون
الملوك بخلد الله ملكك ومن ذلك قول امرئ القيس وهل ينعمن الا سعيد
مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال قال عبد الله بن عمر لما نزلت الاية يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم الاية قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والشرك
يا رسول الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ولما حتم الله لا يغفر الشرك ذكر
في موضعه وقرره في الذنوب والفرية اشد مراتب الكذب قبحا وهو الاختلاف في العصاة
قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم الاية هذا اللفظ عام في ظاهره ولم يختلف
احد من المتاولين في ان المراد اليهود واختلف في المعنى الذي به زكوا انفسهم فقال
قتادة والحسن ذلك قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقال الضحاك والسدي ذلك قولهم لا ذنوب لنا وما فعلناه نهارا
غفر لنا ليلا وما فعلناه ليلا غفر نهارا ونحن كالاطفال في عدم الذنوب وقال
مجاهد وابو مالك وعكرمة تقديم الاولاد لهم تقديمهم الصغار للصلوة لانهم لا ذنوب
لهم ع وهذا بعيد من مقصد الاية وقال ابن عباس ذلك قولهم ابناؤنا الذين
ماتوا يستشفعون لنا ويزكوننا وقال عبد الله بن مسعود ذلك ثنا بعضهم على
بعض ومدحهم لهم وتزكيتهم لهم فيقتضي هذه الاية الغض من المزكي لنفسه
بلسانه والاعلام بان الزاكي المولى من حسنت افعاله وزكاه الله عز وجل والضمير
في يظلمون عائد على المذكورين ممن زكى نفسه او ممن يزكيه الله تعالى وغير هذين
الصنفين علم ان الله لا يظلمهم من غير هذه الاية وقرات طائفة لا تظلمون
بالتاء على الخطاب والفتيل هو ما فتل فهو فعيل بمعنى مفعول وقال ابن عباس
وعطا ومجاهد وغيرهم الفتيل الخيط الذي في شق نواة التمرة وقال ابن عباس
وابو مالك والسدي هو ما خرج من بين اصبعيك او كفيك اذا فتلتهما وهذا

كلا يرجع الى الكناية عن تحقير الشئ وتصغيره وان الله لا يظلمه واكثر دونه فكيف بما
موقوفونصبه على مفعول ثان بظلمون وقوله تعالى انظر كيف يفترون الاية يبين
ان تزكيهم انفسهم كانت بالباطل والكذب ويقوى ان التزكية كانت بقولهم
نحن ابناء الله واحباؤه واذا الاقتداء امكن في هذه المقالة وكيف يصح ان
يكون في موضع نصب بفترون ويصح ان يكون في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله
يفترون وكفى به انما بينا خبر في حصيه بعجب وتعجيب من الامر ولذلك دخلت التا
ليدل على معنى الامر بالتعجب وان يكتفي لهم بهذا الكذب اثما ولا يطلب لهم
غيره اذ هو موبق ومهلك وانما نصب على التمييز وقوله تعالى الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا الاية ظاهرها يعم اليهود والنصارى ولكن اجمع المتاولون
على ان المراد بها طائفة من اليهود والقصص بين ذلك واختلف في الجبت والطاغوت
فقال عكرمة وغيره هما في هذا الموضع صنمان كانا لقريش وذلك ان كعب بن الاشرف
وجماعة معه وردوا مكة محرضين على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
لهم قريش انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ونحن لا نامنكم ان تكونوا معه الا ان
تسجدوا لهذين الصنمين اللذين لنا ففعلوا ففي ذلك نزلت هذه الاية قال ابن عباس
الجبت هنا حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشراف فالمراد في هذه الاية القوم
الذين كانوا معهما من بني اسرائيل لايمانهم بهما واتباعهم لهما وقال ابن عباس الجبت الاصنام
والطاغوت القوم المترجمون عن الاصنام الذين يضلون الناس بتعليمهم اياهم عبادة
الاصنام وروي عن عمر بن الخطاب انه قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان وقاله
مجاهد والشعبي وقال ابن زيد بن اسلم الجبت الشاعر والطاغوت الشيطان وقال
سعيد بن جبير ورفيع الجبت الساحر والطاغوت الكاهن وقال قتادة الجبت الشيطان
والطاغوت الكاهن وقال سعيد ايضا الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان وقال
ابن سيرين الجبت الكاهن والطاغوت الساحر وقال مجاهد في كتاب الطبري الجبت
كعب بن الاشرف والطاغوت الشيطان كان في صورة انسان قال ع فمجموع هذا يقتضي
ان الجبت والطاغوت هو كل ما عبد واطيع من دون الله تعالى وكذلك قال مالك الطاغوت
كل ما عبد من دون الله وذكر بعض الناس ان الجبت هو من لغة الحبشة وقال قطرب الجبت
اصله الجبس وهو الفسل الذي لا خير عنده واما الطاغوت وهو من طغا اصله طغووت
وزنه فعلوت وتاؤه زائدة وقلت قد فعلوت اصله طوغوت بحركة الواو والفتح ما قبلها
فانقلبت الفا وقوله تعالى ويقولون للذين كفروا الاية تنبيها ان قريشا قالت لكعب بن
الاشرف حين ورد مكة انت سيدنا وسيد قومك انا قوم ننحر الكوما ونقري الضيف
ونصل الرحم ونسقي الحجيج ونعبد الهتنا الذين وجدنا اباءنا يعبدون وهذا الصنبور
المنبتر من قومه قد قطع الرحم فمن اهدى نحن او هو فقال قوم انتم اهدى منه واقوم
دينا فنزلت الاية قاله ابن عباس وحكى السدي ان ابا سفيان خاطب كعبا بهذه المقالة
فالضمير في يقولون عائد على كعب على ما تقدم او على الجماعة من بني اسرائيل التي كانت مع كعب
لانها قالت بقوله في جميع ذلك على ما ذكر بعض المتاولين والذين كفروا في هذه الاية هم قريش
والاشارة بها ولا اليهم واهدى وزنه افعل وهو للتفضيل والذين امنوا هم النبي عليه السلام
وامته وسبيلا نصب على التمييز وقالت فرقة بل المراد في الاية من بني اسرائيل هو حيي بن
اخطب وهو المقصود من اول الايات والمشار اليه بقوله اولئك هم المراد من بني اسرائيل
فمن قال كانوا جماعة فذلك مستقيم لفظا ومعنى ومن قال هو كعب او حيي وعبر عنه بلفظ الجمع
لانه كان نصب عاد كان قوله مقترنا بقول جماعة ولعنهم معناه ابعدهم من خيرة ومعنهم
ومن نفعل الله ذلك به وتحد له فلا ناصر له من المخلوقين وان نصره طائفة فنصرتهم كلا نصرة
اذ لا تغني عنه شيئا قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك الاية عرف ام يعطف بعد استفهام
متقدم كقولك اقام زيد ام عمرو فاذا وردت ولم يتقدمها استفهام فمذهب سيبويه انها
متضمنة معنى الاضراب عن الكلام الاول والقطع منه وهي متضمنة مع ذلك معنى الاستفهام
فهي بمعنى بل مع الف الاستفهام كقول العرب انها لابل ام شا فالتقدير عند سيبويه انها
لابل بل هي اشا وكذلك هذا الموضع تقديره بل الهم نصيب من الملك وقد حكي عن بعض النحويين
ان ام يستفهم ابتداء دون تقدم استفهام حكاه ابن قتيبة في المشكل وهذا غير
مشهور للعرب وقال بعض المفسرين ام بمعنى بل ولم يذكروا الالف اللازمة فاوحشوا على هذا

حصول الملك للمذكورين في الاية والتزموا ذلك وفسروا عليه فالمعنى عندهم بل هم ملوك اهل دنيا
وعتو وتنعم لا يبغون غيره وهم بخلاء حريصون على ان لا يكون ظهور لسواهم والمعنى على
الارجح الذي هو مذهب سيبويه والحذاق انه استفهام على معنى الانكار اي الهم ملك فاذا
لو كان لبخلوا به وقرا ابن مسعود فاذا لا يوتوا بغير نون على اعمال اذا والمصحف الغاها
والوجهان جائزان وان كانت صدرا من اجل دخول الفاء عليها والنقير اعرف ما
فيه انها النكتة التي في ظهر النواة من التمرة ومراها لهم بلد وهو قول الجمهور وقالت
فرقة هي المسقطة التي في بطن النواة وروي عن ابن عباس انه قال هو نقر الانسان باصبعه
وهذا كله يجمعه انها كناية عن الحقارة والعلة على مجاز العرب واستعارة واذا في هذه
الاية لغاه لدخول الفاء عليها ويجوز اعمالها والالغا افصح وذلك ان اذا اذا تقدمت عملت
قولا واحدا واذا توسطت الغيت قولا واحدا واذا دخل عليها فهي متقدمة فا او واو
جاز اعمالها والالغا افصح وهي لغة القران وتكتب اذا بالنون والالف فالنون هي الاصل
كعن ومن وجاز كتبها بالالف لصحة الوقوف عليها فاشبهت نون التنوين ولا يصح
الوقوف على عن ومن وقوله ام يحسدون الاية ام هذه على بابها لان الاستفهام الذي
في تقديرها بل لهم قد تقدمها واختلف المتاولون في المراد بالناس في هذا الموضع فقال
ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك هو النبي والفضل هو النبوة فقط فلم
يحصوه بالحسد ولا يحسدون ال ابراهيم في جميع ما انبياءهم من هذا وغيره من الملك
وقال ابن عباس والسدي ايضا هو النبي عليه السلام والفضل ما ابيح له من النسا فقط
وسبب الاية عندهم ان اليهود قالت لكفار العرب انظروا الى هذا الذي يقول انه بعث
بالتواضع وانه لا يملا بطنه طعاما ليس همه الا في النسا ونحو هذا فنزلت الاية
والمعنى فلم يحصوه بالحسد ولا يحسدون ال ابراهيم يعني سليمان وداود في انهما اعطيا
النبوة ايضا والكتاب واعطيا مع ذلك ملكا عظيما في امر النساء وهو ما روي انه كان
لسليمان سبع مائة امراة وثلث مائة سرية ولداود مائة امراة ونحو هذا من الاخبار
الواردة في ذلك فالملك في هذا القول اباحة النساء كانه المقصود اولا بالذكر وقال
قتادة الناس في هذا الموضع العرب حسدتها بنو اسرائيل اذ كان النبي منها والفضل
على هذا التاويل هو محمد والمعنى ام يحسدون النبي وقد اوتي ال ابراهيم وهم اسلافهم وكتبا
كالتورية والزبور وحكمة وهو الفهم في الدين وما اوتوا من الهدى مما لم ينطق عليه
الكتاب وروي عن ابن عباس انه قال نحن الناس يريد قريشا وملكا عظيما اي ملك
سليمان قاله ابن عباس وقال مجاهد الملك العظيم في الاية هو النبوة وقال همام بن الحارث
وابن مسلمة هو التايد بالملائكة قال ع والاصوب انه ملك سليمان او امر النسا في
التاويل المتقدم وقوله فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه الاية اختلف المتاولون
في عود الضمير من به فقال الجمهور هو عائد على القران الذي في قوله تعالى امنوا بما نزلنا الاية
فاعلم الله ان منهم من امن كما امر فلذلك ان يقع الوعيد بالطمس ولم يقع وصدق قوم
ثبت الوعيد عليهم في الاخرة بقوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا وقالت فرقة الضمير عائد
على ابراهيم عليه السلام وحكى مكي في ذلك قصصا للسبت بالناس وقالت فرقة هو عائد
على الفضل الذي اتاه الله النبي عليه السلام او العرب على ما تقدم وقرات فرقة صد عنه
بضم الصاد على بناء الفعل للمفعول وسعيرا معناه احمر قاد هنا والسعير شدة توقد
النار فهذا كناية عن شدة العذاب والعقوبة قوله عز وجل ان الذين كفروا باياتنا الاية
تقدم في الايات وصف المردة من بني اسرائيل وذكر افعالهم وذنوبهم المتضمن لهم
بلفظ حكى عامهم ولغيرهم ممن افعل فعلهم من الكفر والقراة المشهورة نصليهم بضم النون
من اصليت ومعناه قربت من النار والقيت فيها وهو بمعنى صليت باللام المشددة وقرا
حميد نصليهم بفتح النون من صليت ومعناه نشوي ومنه الحديث اتي رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشاة مصلية اي مستوية وكذلك وقع تصريف الفعل في العين وغيره وقرا
سلام ويعقوب نصليهم بضم الهاء واختلف المتاولون في معنى تبديل الجلود فقالت
فرقة تبدل عليهم جلود اغتبابا ولبوسهم هي المعدوم والجلود لا تالم في ذاتها فانما تبدل
ليذوقوا تجديد العذاب وقالت فرقة تبديل الجلود هي اعادة ذلك الجلد بعينه الذي كان
في الدنيا تاكل النار ويعيده الله جرا بالسي رد العذاب وانما سماه تبديلا لانه اوصافه
بتغير ثم يعاد كما يقول بدل من خاتمي هذا خاتما وهي فضة بعينها فالبدل انما وقع في تغيير

الصفات وقال ابن عمر كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا بيضا كالقراطيس وقال الحسن بن ابي
الحسن تبدل عليهم في اليوم سبعين الف مرة وقالت فرقة الجلود في هذا الموضع سرابيل القطر
سرابيل القطران سماها جلودا للزومها فصارت كالجلود وهي شداد ابدا فاعاذنا الله
من عذابه برحمته حكاه الطبري وحسن الاتصاف بعد هذه المقدمات بالعزة والاحكام
لان الله تعالى لا يغالبه مغالب الا غلبه الله ولا يفعل شيئا الا بالحكمة والاصابة لا اله
الا هو تبارك وتعالى ولما ذكر انه وعيد الكفار عقب بوعد المؤمنين بالجنة على الايمان
والاعمال الصالحة وقرأ ابن وثاب والنخعي سيدخلهم بالياء وكذلك يدخلهم بعد
ذلك وقد تقدم القول في معنى من تحتها في سورة البقرة ومطهرة معناه من الذنب
والاقذار التي هي معهود ان في الدنيا وظليلا معناه عند بعضهم يقي الحر والبرد
ويصح ان يراد انه ظل لا يستحيل ولا يتنقل كما يفعل ظل الدنيا فاكده بقوله ظليلا
كذلك ويصح ان يضعف تظليل لاستداده فقد قال عليه السلام ان في الجنة شجرة
يسير الراكب الجواد المضمر في ظلها مائة سنة لا يقطعها قوله تعالى ان الله يامركم الاية
قال علي بن ابي طالب وزيد بن اسلم وشهر بن حوشب وابن زيد هذا خطاب لولاة المسلمين
خاصة ع وهو للنبي وامرائه ثم يتناول من تقدمهم وقال ابن جريج وغيره ذلك خطاب للنبي
خاصة في امر مفتاح الكعبة حين اخذه من عثمان بن طلحة بن ابي طلحة العبدري ومن ابن
عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة وطلب العباس بن عبد المطلب انضياف اليه السدانة
الى السقاية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة وكسر ما كان فيها من الاوثان
واخرج مقام ابراهيم عليه السلام ونزل عليه جبريل بهذه الاية وقال عمر بن الخطاب
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرؤها وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان
وشيبة فقال لهما خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وحكى مكي ان شيبة
اراد ان لا يدفع المفتاح ثم دفعه ثم قال للنبي عليه السلام خذه بامانة الله واختلف
بعض الرواة في الفاظ هذا الخبر زيادة ونقصانا الا ان المعنى بعينه وقال ابن عباس الاية
في الولاة في ان يعظوا النساء في النشوز ونحوه ويردوهن الى الازواج والاظهر في الاية
انها عامة في جميع الناس ومع ان سببها ما ذكرناه يتناول الولاة فيما اليهم من
الامانات في قسمة الاموال ورد الظلامات وعدل الحكومات وغيره ويتناول من دونهم
من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك كالرجل يحكم في نازلة ما
ونحوه من الصلوة والصيام والزكوة وسائر العبادات امانات لله تعالى وقال
ابن عباس لم يرخص الله تعالى لموسر ولا لمعسر ان يمسك الامانة ونعما اصله نعم ما
سكنت الميم الاولى فادغمت في الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين وخص بالكسر
اتباعا للنون وما المؤدية على نعم انما هي مهيئة لاتصال الفعل بها كما هي في ربما وفيما في قوله
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يحرك شفتيه ولقول الشاعر وانا لمما نضرب الكبش
ضربة على راسه تلقي اللسان من الفم ونحو هذا هي بمنزلة ربما وهي لها مخالفة في المعنى وربما معناها
التقليل وربما معناها التكثير ومع ان ما موطئة فهي بمعنى الذي وما وطات الا وهي اسم ولكن
ولكن القصد انما هو لما يليها من المعنى الذي في الفعل وحسن الاتصاف بعد هذه المقدمات
بالسمع والبصر كانها في الشاهد محصلات ما يفعل المامور فيما امر به وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله لما تقدم الى الولاة في الاية المتقدمة تقدم في هذه الى الرعية فامر بطاعة
عز وجل وهي امتثال اوامره ونواهيه وطاعة رسوله وطاعة الامراء على قول الجمهور ابي هريرة
وابن عباس وابن زيد وغيرهم فالامر على هذا التاويل هو ضد النهي ومنه لفظة الامير وقال جابر
ابن عبد الله ومجاهد وجماعة اولوا الامر اهل القران والعلم فالامر على هذا التاويل اشارة الى القران
والشريعة اي اولي هذا الامر وهذا الشان وحكى الطبري عن مجاهد انه قال الاشارة هنا باولي
الامر الى اصحاب محمد عليه السلام خاصة وحكى عكرمة انها اشارة الى ابي بكر وعمر خاصة وفي هذا
التخصيص بعد وحكى بعض من قال انها في الامراء انها نزلت في امراء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان السبب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فيها عمار بن ياسر واميرها خالد
بن الوليد فقصدوا قوما من العرب فاتاهم نذير فهربوا تحت الليل وجاء منهم رجل الى عسكر
خالد فدخل الى عمار فقال يا ابا اليقظان ان قومي قد فروا واني قد اسلمت فان كان ينفعني
اسلامي بقيت والا فررت فقال عمار هو ينفعك فاقم فلما اصبحوا اغار خالد فلم يجد سوى الرجل
المذكور واخذه واخذ ماله فجاء عمار فقال خل عن الرجل فانه قد اسلم وانه في امان مني فقال

خالد وانت تجير فاستبا وارتفعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه
ان يجير الثانية على امير واستبا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خالد يا رسول الله
اتترك هذا العبد الاجدع يسبني فقال عليه السلام يا خالد لا تسب عمارا فانه من سب
عمارا سبه الله ومن ابغض عمارا ابغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله فغضب عمار فقام
فذهب فتبعه خالد حتى اعتذر اليه فتراضيا وانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم وطاعة الرسول اتباع سنته قاله عطاء وغيره وقال ابن زيد معنى الاية اطيعوا
الرسول قال ع يريد في سنته بعد موته المعنى فان تنازعتم فيما بينكم لو انتم وامراؤكم ومعنى التنازع
ان كل واحد ينتزع حجة الاخر ويذهبها والرد الى الله هو النظر في كتابه العزيز والرد
الى الرسول هو سؤاله في حياته والنظر في سنته بعد وفاته هذا قول مجاهد والاعمش وقتادة
والسدي وهو الصحيح وقال السدي معناه قولوا الله ورسوله اعلم وهذا هو الرد وفي قوله
ان كنتم مؤمنين بالله واليوم الاخر بعض وعيد لان فيه حز المسيء العاني وخاطبهم بان
كنتم تؤمنون وهم كانوا قد امنوا على جهة التعريض ابا كدا الالزام وتاويلا معناه
مالا على قول جماعة وقال مجاهد المعنى احسن جزاء وقال قتادة والسدي وابن زيد المعنى احسن
عاقبة وقالت فرقة المعنى ان الله ورسوله احسن نظرا وتاويلا منكم اذا انفردتم سالكم
قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون الاية يقول العرب زعم فلان كذا في الامر الذي يضعف
فيه التحقيق ويتقوى وتسعف فيه شبهة الابطال فغاية درجة الزعم اذا قوي ان يكون
مظنونا يقال زعم بفتح الزاي وهو المصدر وضمها وهو الاسم وكذلك زعم المنافقين
انهم يؤمنون هو مما قويت فيه شبهة الابطال لسوء افعالهم حتى صححها الخبر من الله تعالى
عنهم ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم بئس مطية الرجل زعموا وقد قال الاعشى
ونبئت قيسا ولم ابله كما زعموا خير اهل اليمن وقال الممدوح وما هو الا الزعم وحرمه واذا قال
سيبويه زعم الخليل فانما يستعملها فيما انفرد الخليل به وكان اقوى مازعم ان يبقى معها عهدة
الخبر على المخبر وان متعول لزعمون وقال عامر الشعبي وغيره نزلت الاية في منافق اسمه بشر خاصم
رجلا من اليهود فدعاه اليهودي الى المسلمين لعلمه انهم لا يرتشون وكان هو يدعو اليهودي الى
اليهود لعلمه انهم يرتشون فاتفقا بعد ذلك على ان ياتيا كاهنا كان بالمدينة فرضياه فنزلت
هذه الاية فيهما وفي صنعهما فالذين يزعمون انهم امنوا بما انزل على محمد عليه السلام هم المنافقون
والذين يزعمون انهم امنوا بما انزل من قبله هم اليهود وكل قد امر في كتابه بالكفر بالطاغوت
والطاغوت هنا الكاهن المذكور فهذا بابن الصعبين وقال ابن عباس الطاغوت هنا
هو كعب بن الاشرف وهو الذي تراضيا به فعلى هذا انما يريد صنف المنافقين وحده وهم
الذين امنوا بما انزل على محمد وبما انزل من قبله بزعمهم لان اليهود لم يومروا في شرعهم بالكفر
بالاحبار وكعب منهم وذكر النقاش ان كعبا هذا اصله من طي وتهود وقال مجاهد
نزلت في حرمين وقالت فرقة نزلت في يهوديين قال ع وهذان القولان بعيدان من الاستقامة
على الفاظ الاية وقال السدي نزلت في المنافقين بني قريظة والنضير وذلك انهم تفاخروا بالسبب
فكافودمابهم اذ كانت النضير في الجاهلية تدي من قتلت وتستقيد اذا قتلت قريظة كانت
لما جاء الشرايع وطلبوا المنافرة فدعوا المؤمنون منهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا المنافقون
الى ابي بردة الكاهن فنزلت الاية فيهم وحكى الزجاج ان المنافق المتقدم الذكر وغيره اختصم
عند النبي فقضى في امره فخرج وقال لخصمه ما ارضى بحكمه فذهبا الى ابي بكر فقضى بينهما فقال
المنافق لا ارضى فذهبا الى عمر فوصفا له جميع ما فعلا فقال لهما اصبرا حتى اقضي حاجة في منزلي
ثم اخرج فاحكم بينكما فدخل واخذ سيفه وخرج فضرب عنق المنافق حتى برد فقال هذا حكمي
فيمن لم يرض بحكم رسول الله فنزلت الاية وقال الحسن احتكم المنافقون بالقداح التي يضرب بها
عند الاوثان فنزلت الاية ويضلهم معناه يتلفهم وجاء ضلالا على غير الصدر تقديره
فيضلون ضلالا وبعيدا عبارة عن عظم الضلال وتمكنه حتى يبعد الرجوع عنه والاهتدا
معه وقرأ الجمهور تعالوا بفتح اللام وقرأ الحسن فيما روى عنه قتادة تعالوا بضم اللام وقال
ابو الفتح ووجهها ان لام الفعل من تعاليت حذفت تخفيفا وضمت اللام التي هي عين الفعل
وذلك لوقوع واو الجمع بعدها كقولك تقدموا وتاخروا وهي لفظة ماخوذة من العلو لما
استعملت في دعاء الانسان وجلبه وانتجاعه استعيت من العلو تحسينا للادب كما يقول
ان تقع الى الحق ونحوه ورايت هي روية عين لمن صد من المنافقين مجاهرة وتصريحا وهي
روية قلب لمن صد منهم منكرا ويتجانبا ومستا لفة حتى لا يعلم ذلك منه الا بالتاويل

عليه والقراءة الصادرة عنه واذا كانت رؤية العين فيصدون في موضع نصب على الحال
واذا كانت روية قلب فيصدون نصب على المفعول الثاني وصدودا مصدر عند بعض النحاة
من صد وليس عند الخليل بمصدر والمصدر عنده صدا وانما ذلك لان فعولا انما هو مصدر
للافعال غير المتعدية كجلس جلوسا وقعد قعودا وصد فعل متعد بنفسه مرة كما قال
فصدهم عن السبيل ومرة بحرف الجر كقولك يصدون عنك صدودا وغيره تصد ره
صد وطند ودا اسم والله اعلم بنا ويلظاهرا وباطنا قوله تعالى وكيف اذا اصابتهم
مصيبة الاية قالت فرقة هي في المنافقين الذين احتكموا حسب ما تقدم فالمعنى وكيفهم
اذا عاقبهم الله عز وجل بهذه الذنوب بعقوبة ثم حلفوا ان اردنا بالاحتكام
الى الطاغوت الا توفيق الحكم وتقريبه دون مر الحكم وتقصي الحق وقالت فرقة هي
في المنافقين الذين طلبوا دم الذي قتله عمر فالمعنى فكيف بهم اذا اصابتهم
مصيبة في قتل قريبهم ومثله من نقم الله تعالى ثم حلفوا ما اردنا بطلب
دمه الا احسانا وتوفيقا وحكاه الزجاج وموضع كيف نصب بفعل تقديره وكيف تصيبهم
وقوله تعالى اولئك الذين يعلم الله الاية تكذيب للمنافقين المتقدم ذكرهم وتوعد لهم اي فهو مجازيهم
بما فعلهم فاعرض عنهم يعني عن معاقبتهم وعن شغل البال بهم وعن قبول ايمانهم الحادثة
في قوله عز وجل يحلفون وليس بالاعراض الذي هو القطيعة والهجران فان قوله تعالى وعظهم
يمنع من ذلك وعظهم معناه بالتخويف من عذاب الله وغيره من المواعظ والقول البليغ
اختلف فيه فقيل هو الزجر والردع والكف بالبلاغة من القول وقيل هو التوعد
بالقتل ان استداموا حالة النفاق قاله الحسن وهذا ابلغ ما يكون في نفوسهم والبلاغة
من بلوغ المراد بالقول وحكي عن مجاهد ان قوله عز وجل في انفسهم بقوله تعالى مصيبة
وهو مؤخر بمعنى التقديم وهذا ضعيف وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الاية
تنبيه على جلالة الرسل اي فانت يا محمد منهم تجب طاعتك ويتعين اجابة الدعوة اليك
وليطاع نصب بلام كي وباذن الله معناه بامر الله وحسنت العبارة بالاذن اذ
بنفس الارسال تجب طاعته وان لم ينص امر بذلك ويصح تعلق الباء من قوله باذن الله
بارسلنا والمعنى وما ارسلنا بامر الله اي بشريعته وعبادته من رسول الا ليطاع والا
والاظهر تعلقها بيطاع والمعنى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع بامر الله بطاعته فيطيع وعلى التعليقين
فالكلام عام اللفظ وخاص المعنى لانا نقطع ان الله قد اراد من بعض خلقه ان لا يطيعوا ولذلك
خرجت طائفة ان معنى الاذن العلم وطائفة خرجته الى الارسال لقوم دون قوم وهذا تخريج
حسن لان الله تعالى اذا علم من احد انه يومن ووفقه لذلك فكانه اذن له فيه وحقيقة الاذن
التمكين مع العلم بقدر ما مكن منه وقوله ولو انهم اذ ظلموا الاية معناه بالمعصية والنفاق
ونقصوها حظها من الايمان فاستغفروا الله معناه طلبوا المغفرة وتابوا اليه ورجعوا
وتوابا معناه راجعا بعباده قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون الاية قال الطبري قوله فلا رد
على ما تقدم تقديره فليس الامر كما تزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك ثم استانف القسم بقوله
وربك لا يؤمنون وقال غيره انما قدم لا على القسم اهتماما بالنفي واظهارا لقوته ثم كررها بعده تاكيدا
للتهمم بالنفي وكان يصح اسقاط لا الثانية ويبقى اكثر الاهتمام بتقديم الاولى وكان يصح اسقاط
الاولى ويبقى معنى النفي ويذهب معنى الاهتمام وشجر بمعنى اختلط والتف من امورهم وهو من الشجر
شبه بالتفاف الاغصان وكذلك الشجير الذي امتزجت مودته بمودة صاحبه وقرا ابو السمال
شجر باسكان الجيم واظنه فر من توالي الحركات وليس بالقوي لخفة الفتحة ويحكموك نصب بحتى
لانها هنا غاية مجرده وحرجا عطفا عليه والحرج الضيق والتكلف والمشقة قال مجاهد حرجا
شكا وقوله تسليما مصدر مؤكد مبني على التحقيق في التسليم لان العرب انما تؤكد الفعل بالمصدر
اذا ارادت ان الفعل وقع حقيقة كما قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما وقد يجي مبالغة وان
لم يقع ومنه وعجب عجيجا من حذام المطارف وقال مجاهد وغيره المراد بهذه الاية من
تقدم ذكره ممن اراد التحاكم الى الطاغوت وفيهم نزلت ورجح الطبري هذا لانه اشبه بنسق
الاية وقالت طائفة نزلت في رجل خاصم الزبير بن العوام في السقي بماء الحرة فقال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب ذلك الرجل وقال ان كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله واستوعب للزبير حقه فقال احبس يا زبير الماء حتى يبلغ
الجدر ثم ارسل الماء فنزلت الاية واختلف اهل هذا القول في الرجل فقال بعضهم هو
رجل من الانصار من اهل بدر وقال مكي وغيره هو حاطب بن بلتعة والصحيح الذي وقع

في البخاري

في البخاري انه رجل من الانصار وان الزبير قال فما احسب هذه الاية نزلت الا في ذلك وقالت طائفة لما
قتل عمر الرجل المنافق الذي لم يرض بحكم النبي بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وعظم عليه وقال ما
كنت اظن ان عمر يجترئ على قتل رجل مؤمن فنزلت الاية ما فيه لا ايمان لذلك الراد بحكم النبي صلى الله
عليه وسلم معصمة لعمر بن عمر في قتله وكتبنا معناه فرضنا واقتلوا انفسكم معناه ليقتل بعضكم
بعضا وقد تقدم نظيره في البقرة وضم النون من ان وكسرها جائز وكذلك الواو من او اخرجوا و
بضمها قرأ ابن عامر ونافع وابن كثير والكسائي وبكسرهما قرأ حمزة وعاصم وكسر ابو عمرو النون
وضم الواو وقليل رفع على البدل من الضمير في فعلوه وقرا ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وذلك
جائز اجرى النفي مجرى الايجاب وسبب الاية على ما حكي ان اليهود قالوا لما لم يرض المنافق بحكم
النبي صلى الله عليه وسلم ما اسخف هؤلاء يؤمنون بمحمد ويتبعونه ويطؤون عقبه لا يرضون بحكمه
ونحن قد امرنا بقتل انفسنا ففعلنا وبلغ القتل فينا سبعين الفا فقال ثابت بن قيس
لو كتب ذلك علينا لفعلناه فنزلت الاية معلمة حال اولئك المنافقين وانه لو كتب ذلك على
الامة لم يفعلوه وما كان يفعله الا قليل مؤمنون محققون كثابت وغيره وكذلك روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثابت بن قيس وعمار وابن مسعود من القليل وشركهم
في ضمير منهم لما كان المنافقون والمؤمنون مشتركين في دعوة الاسلام وظواهر الشريعة
وقال ابو اسحق السبيعي لما نزلت ولو انا كتبنا عليهم الاية قال رجل لو امرنا لفعلنا والحمد لله
الذي عافانا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي رجالا الايمان اثبت في
قلبه من الجبال الرواسي وذكر مكي ان الرجل ابو بكر الصديق وذكر النقاش انه عمر بن الخطاب
وذكر عن ابي بكر انه قال لو كتب علينا ذلك لبدات بنفسي وباهل بيتي قوله تعالى
ولو انهم فعلوا اي لو ان هؤلاء المنافقين اتعظوا وانابوا لكان خيرا لهم وتثبيتا معناه
يقينا وتصديقا ونحو هذا اي يثبتهم الله ثم ذكر تعالى ما كان يمن به عليهم من تفضله
بالاجر ووصفه اياه بالعظم ونعتوا لا يحصله بشر من النعيم المقيم والصراط المستقيم
الايمان المؤدي الى الجنة وجاء ترتيب هذه الاية كذا ومعلوم ان الهداية قبل اعطاء الاجر
لان المقصد انما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم دون ترتيب فالمعنى ولهديناهم
قبل حتى تكونوا ممن تؤتى الاجر والله اعلم قوله تعالى ومن يطع الله والرسول الاية
لما ذكر الله الامر الذي لو فعلوه لانعم عليهم ذكر بعد ذلك ثواب من يفعل ما هذه الاية
تفسير قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وقالت طائفة انما
نزلت هذه الاية لما قال عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي اري الاذان يا رسول
الله اذا مت ومت كنت في عليين فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر حزنه على ذلك فنزلت الاية
وحكى مكي عن عبد الله انه لما مات النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعمني حتى لا ارى
شيئا بعده فعمي وذكر ان جماعة من الانصار قالت ذلك او نحوه حكاه الطبري عن ابن جبير وقتادة
والسدي ومعنى انهم معهم انهم في دار واحدة ومتنعم واحد وكل من فيها قد رزق الرضا
بحاله وذهب عنه ان يعتقد انه مفضول وان كنا نحن قد علمنا من الشريعة ان اهل الجنة
تختلف مراتبهم على قدر اعمالهم وعلى قدر فضل الله من شاء والصديق فعيل من الصدق
وقيل من الصدقة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الصديقون المتصدقون والشهداء
المقتولون في سبيل الله هم المخصوصون بفضل المشية وهم الذين فرق الشرع حكمهم في ترك
الغسل والصلوة لانهم اكرم من ان يشفع لهم وسمي بذلك لان الله شهد لهم بالجنة وقيل
لانهم شهدوا الله بالحق في مدتهم اتباعا مرضاته ولكن لفظ الشهداء في هذه الاية يعم لفظ
الشهداء ورفيقا موحد في معنى الجميع كما قال ويخرجكم طفلا ونصبه على التمييز وقيل على الحال
والاول اصوب وقرا ابو السمال وحسن بسكون السين وذلك مثل شجر بينهم وقوله
ذلك الفضل من الله رد على تقدير معرض يقول وما الذي يجب استواء اهل الطاعة
والدين في الاخرة والفرق بينهم في الدنيا بين فذكر الله ان ذلك بفضله لا توجيه
عليه والاشارة بذلك الى كون المطيعين مع المنعم عليهم ولا تقرر الاستواء بل هم
معهم في دارهم والمنازل متناسبة ثم قال وكفى بالله عليما وفيها معنى ان يقول فسلموا
فعل الله وتفضله من الاعتراض عليه واكتفوا بعلمه في ذلك وغيره ولذلك دخلت
الباء على اسم الله ليدل على الامر الذي في قوله وكفى قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم الاية هذا خطاب للمخلصين من امة محمد عليه السلام وامرهم بجهاد
الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع وخذوا حذركم معناه احزموا واستعدوا

بانواع الاستعداد فهذا يدخل اخذ السلاح وغيره وانفروا معناه اخرجوا مجدين مصممين
يقال يفر الرجل ينفر بكسر الفا نفرا ونفرت الدابة تنفر بضم الفاء نفورا **وثبات** معناه جماعات
متفرقات فهي كنايات عن السرايا وجميعا معناه الجيش الكثير مع النبي صلى الله عليه وسلم
هذا قول ابن عباس وغيره والثبة حكى ايضا فوق العشرة ووزنها فعلة بفتح العين اصلها
ثبوة وقيل مثبة حذفت لامها بعد ان تحركت وانقلبت الفا حذفا غير مقيس وكذلك
جمعت سون بالواو والنون عوضا من المحذوف وكسر اولها في الجمع دلالة على خروجها
عن بابها لان بابها ان يجمع بالتا ابدا فيقال ثبات وتصغيرها مثيبة اصله مثبوة
واما ثبة الحوض وهي وسط الذي ثبوت الماء اليه فالمحذوف منها العين واصلها
ثوبة وتصغيرها ثويبة وهي من باب ثوب وكذلك قال ابو على الفارسي في بيت ابي
ذويب فلما جلاها بالايام تحيزت ثبات عليها ولها واكتيابها انه لفظ مفرد ليس
بجمع شدن على الاصل لان اصل ثبة ثبوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا
وقوله وان منكم ان ايجاب والخطاب لجماعة المسلمين والمراد من المنافقون وعبر
عنهم بمنكم اذ هم في عداد المؤمنين ومنتحلون دعوتهم والسلام والداخلة على من
لام التاكيد دخلت على اسم ان لما كان الخبر متقدما في المجرد وذلك مهيع في كلامهم
كقولك ان في الدار زيدا واللام ايضا الداخلة على ليبطين لام قسم عند الجمهور
تقديره لمن والله ليبطين اي ليبطئه ويحمل على التخلف على متابعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرأ مجاهد ليبطين بالتخفيف في الطا **ومصيبة** يعني من قتل واستشهاد
وانما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد وعلى ان الموت كل مصيبة
كما شا الله تعالى وانما الشهادة في الحقيقة نعمة لحسن ما لها وشهيدا معناه مشاهدا
شاهدا فالمعنى ان المنافق يسير عينه اذا كان شدة وذلك يدل على ان تخلفه انما
هو فرع من القتال ونكول عن الجهاد **وقوله** ولئن اصابكم فضل من الله الاية المعنى
وان ظفرتم وحظيتم وكل ذلك بفضل الله ندم المنافق ان لم يحضر ونصب الغنيمة
وقال ما ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فالمعنى متمنيا شيئا قد كان عاهدان
يفعله ثم غدر في عهده لان المؤمن انما يتمنى مثل ذلك اذا كان المانع له من الحضور
عذرا واضحا وامرا لا قدرة له معه وهو ساسف بعد ذلك على فوات الخير والمنافق
يعاطي المؤمنين المودة ويعاهد على التزام كلف الاسلام ثم يتخلف نفاقا وشكا
وكفرا بالله ورسوله ثم يتمنى عندما يكشف الغيب الظفر للمؤمنين فعلى هذا يجي
قوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة التفاتة بليغة واعتراض من القائل والمقول
بلفظ يظهر زيادة كفي قبح فعلهم وحكى الطبري عن قتادة وابن جريج انهما كانا
ساولان قول المنافق يا ليتني كنت معهم على معنى الحسد منه للمؤمنين في مثل رغبته
وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام على معنى من وضم اللام ليدل على الواو المحذوفة ويدل المجموع
هاتين الايتين على ان خارج المنافقين انما كان بقصد الغنيمة وتخلفهم انما كان
بقصد الشك وتربص الدوائر بالمؤمنين وكان مضمنة معنى التشبيه ولكنها ليست
كالثقيلة في الخارجة الى الاسم والخبر وانما يجي بعدها الجمل وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية
حفص تكن بتا وقرأ غيرهما يكن بياء وذلك حسن لقصد الواقع من الفعل والفاعل
وقوله فافوز فوزا عظيما نصب بالفا وجواب التمني وقرأ الحسن ويزيد النحوي فافوز بالرفع
على القطع والاستيناف التقدير فانا افوز قال روح لم يجعل لليت جواب وقال الزجاج
ان قوله كان لم تكن بينكم وبينهم مودة موخر وانما موضعه فان اصابتكم مصيبة قال
ع وهذا ضعيف لانه يقصد فصاحة الكلام والله اعلم **قوله عز وجل** فليقاتل في سبيل الله
الاية هذا امر من الله تعالى للمؤمنين الذين وصفهم بالجهاد في سبيل الله ويشرون
معناه يبتغون في هذا الموضع ولدجا في مواضع بمعنى يشترون فالمعنى هاهنا يدل على انه
بمعنى يبتغون ثم وصف الله تعالى ثواب المقاتل في سبيل فذكر غايتي حاله واكتفى بالعاصي
عما بينهما وذلك ان غاية المغلوب في القتال ان يقتل وغاية الذي يغلب ونعيم ان سيصفه انه
غالب على الاطلاق **والاجر العظيم** الجنة وقرأت فرقة فليقاتل بسكون لام الامر وفرقة بكسرها
وقرأ محارب بن دثار فيقتل او يغلب على بناء الفعلين للفاعل وقرأ الجمهور نوتيه بالنون
وقرأ الاعمش وطلحة بن مصرف بالياء **وقوله** وما لكم اللام من قوله لكم متعلقة بما يتعلق
بالمستفهم عنه من معنى الفعل تقديره واي شي موجود او كاين ونحو ذلك لكم ولا يقاتلون

في موضع

في موضع نصب على الحال تقديره تاركين ومضيعين والمستضعفين عطف على اسم الله
اي وفي سبيل الله المستضعفين وقيل عطف على السبيل اي وفي المستضعفين لاستنقاذهم
ومعنى المستضعفين من كان بمكة من المؤمنين تحت اذلال كفرة قريش واذاهم لا
يستطيعون خروجا ولا يطيب لهم على الاذى اقامة وفي هولاء كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انج سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة اللهم انج المستضعفين
من المومنين والولدان نام اي يكون جمع وليد وقد يكون جمع ولد كورك ووراك فهو على
الوجهين عبارة عن الصبيان والقرية هاهنا مكة باجماع من المتاولين **قال ع** والاية
تتناول المومنين والاسرا وحواضر الشرك الى يوم القيمة ووحد الظالم لانه موضع الى
اجرى الفعل الا ترى ان الفعل انما تقديره الذي ظلم اهلها ولما لم يكن المستضعفين حيلة
الا الدعاء دعوا في الاستعاد وتحابوا لهم من معونة الله وما ينصرهم على اولئك الظلمة
من فتح الله تعالى **قوله تعالى** الذين امنوا يقاتلون الاية هذه الاية يقتضي تقوية قلوب
المومنين وتحريضهم والطاغوت كلما عبد واتبع من دون الله ويدل قرينة ذكر الشيطان
بعد ذلك على ان المراد بالطاغوت هاهنا الشيطان واعلامه تعالى بضعف كيد الشيطان
تقوية لقلوب المومنين وتحريض لهم على مقارعة الكيد الضعيف فان العزم والحزم الذي يكون
على حقايق الايمان يكسره ويهده ودخلت ان كالمدعى لزوم الصفة وقوله الم تر الى الذين
قيل لهم اختلف المتاولون في من المراد بقوله الذين قيل لهم فقال ابن عباس وغيره كان
عبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص والمقداد بن عمرو الكندي وجماعة سواهم من
المؤمنين قد انفوا من الذل قبل الهجرة بمكة وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يبيح لهم مقاتلة المشركين وامرهم عن الله تعالى بكف الايدي وان لا يفعلوا فلما كان بالمدينة
وفرض القتال شق ذلك على بعضهم وضعف موقعه ولحقهم ما يلحق البشر من الخوف
والكع عن مقارعة العدو فنزلت الاية فيهم وقال قوم كان كثير من العرب قد استحسنوا
الدخول في دين محمد عليه السلام على فرايضه التي كانت قبل القتال من الصلوة والزكوة ونحوها
والموادعة وكف الايدي فلما نزل القتال شق ذلك عليهم وجزعوا له فنزلت الاية فيهم
وقال مجاهد وابن عباس ايضا انما الاية حكاية عن اليهود انهم فعلوا ذلك مع نبيهم في
وقته فمعنى الحكاية عنهم تقبيح فعلهم ونهي المومنين عن فعل مثله وقالت فرقة المراد بالاية
المنافقون من اهل المدينة عبد الله بن ابي وامثاله وذلك انهم كانوا قد سكنوا على الكره
الى نقص الاسلام مع الدعة وعدم القتال فلما نزل القتال شق عليهم وصعب عليهم
صعوبة شديدة اذ كانوا مكذبين بالثواب ذكره المهدوي **قال الفقيه** ويحسن هذا القول
ان ذكر المنافقين من يطرد فيما بعدها من اللعاب ومعنى كفوا ايديكم امسكوا عن القتال
والفريق الطايفة من الناس كانه فارق غيره وقوله تعالى يخشون الناس كخشية الله يعني
انهم كانوا يخافون الله في جهة الموت لانهم لا يخشون الموت الا منه فلما كتب عليهم قتال الناس
راوا انهم يموتون بايديهم فخشوهم في جهة الموت كما كانوا يخشون الله وقال الحسن في قوله
كخشية الله دليل على انها في المومنين وهي خشية خوف لا خشية مخالفة ويحتمل ان يكون المعنى
يخشون الناس على حد خشية المومنين الله **قال ع** وهذا ترجيح لا قطع وقوله او اشد خشية
قالت فرقة او بمعنى الواو وفرقة بمعنى بل وفرقة هي للتخيير وفرقة على انها في الشك في حق
المخاطب وفرقة هي على جهة الابهام على المخاطب وقد شرحت هذه الاقوال وغيرها في سورة
البقرة في قوله او اشد قسوة لان الموضعين سواء **وقوله** لم كتبت علينا القتال رد في صدر
اوامر الله تعالى وقلة استسلام له والاجل القريب يعنون به موتهم على فرشهم هكذا
قال المفسرون وهذا يحسن اذا كانت الاية في اليهود او في المنافقين واما اذا كانت في طائفة
من الصحابة فانما طلبوا التاخر الى وقت ظهور الاسلام وكثرة عددهم **قوله تعالى** قل متاع
الدنيا قليل الاية المعنى قل يا محمد لهولاء متاع الدنيا اي الاستمتاع بالحياة فيها الذي حرصتم
حرصتم عليه واشفقتم من فقده قليل لانه زائل فان والاخرة لمن هي نعيم موبد خير لمن
اطاع الله واتقاه في امتثال اوامره على المخاطب والمكاره وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم
تظلمون بالتا على الخطاب وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغائب والفتيل الخط في شق
نواة التمرة وقد تقدم فيه القول اينما تكونوا يدرككم الموت جزاء وجواب هكذا قراءة الجمهور و
قرأ طلحة بن سليمان يدرككم بضم الكافين ورفع الفعل قال ابو الفتح ذلك على تقدير دخول الفا
كانه قال فيدرككم الموت وهي قراءة ضعيفة وهذا اخبار من الله يتضمن تحقير الدنيا وانه

لاسما من الغنا والعلما اختلف المتاولون فى قوله فى بروج فالاكثر والاصح انه اراج الحصون
التى فى الارض المسنه لانها غاية البشر فى التحصين والنعة فمثل الله لهم بها قال قتاده
المعنى قصور محصنه وقاله ابن جريج ايضا والجمهور وقال السدى هى فى بروج فى السما الدنيا
مسنه وحكى مكى هذا القول عن مالك وانه قال الا ترى ان قوله والسما ذات البروج وحكى
النقاش عن ابن عباس انه قال فى بروج مشيدة معناه فى قصور من حديد ع فهذا
لا يعطيه اللفظ وانما البروج فى القران اذا وردت مقترنة بذكر السما بروج المنازل
للقمر وغيره على ما سمتها العرب وعرفها وبرج معناه ظهر ومنه البروج اى المطولة الظاهرة
ومنه تبرج المراة ومشيدة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة لارشاد الرجل البنا اذا
اصعده بالشد وهو الجص ولشاد وشيدا اذا رفعه وعلاه ومنه اشاد الرجل ذكر الرجل
اذا رفعه وقالت طائفة مشيده معناه محسبه بالتشد وذلك عندهم ارشاد الرجل
معناه خصص بالشيد ذو شيد معناه كرر ذلك الفعل فهى للمبالغة كما يقول كسرت
العود مرة وكسرته فى مواضع منه كثيرة مرارا وخرقت الثوب وخرقته اذا كان الخرق منه
فى مواضع كثيرة فعلى هذا يصح ان يقول شاد الرجل الجدار مرة وشيد الرجل الجدار اذا اردت
المبالغة لان التشيد وقع منه فى مواضع كثيرة ومن هذا قول الشاعر شاده مرمرا
وجعلله كلسا وللطير فى ذراه وكور والها والميم فى قوله وان تصبهم ترد على الذين
قيل لهم كفوا ايديكم وهذا يدل على انهم المنافقون لان المومنين لا يليق بهم هذه المقالة
ولان اليهود لم يكونوا تحت امر النبى صلى الله عليه وسلم فتصيبهم بسببه اسوا ومعنى
هذه الاية وان تصب هؤلاء المنافقين حسنة من هزم عدو او غنيمة او غير ذلك
راوا ان ذلك بالاتفاق من صنع الله تعالى لا انه ببركة اتباعك والايمان بك وان
تصبهم سيئة اى هزيمة او شدة جوع وغير ذلك قالوا هذا بسببك لسوء تدبيرك
كذا قال ابن زيد وقيل لشومك علينا قاله الزجاج وغيره قوله كل من عند الله اعلام سوال
ان الخير والشر والحسنة والسيئة خلق له من عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع
سواه والمعنى قل يا محمد لهولاء ليس الامر كما زعمتم من عندى ولا من عند غيرى بل هو
كله من عند الله قال قتاده النعم والمصائب من عند الله قال ابن زيد النصر والهزيمة
قال ابن عباس الحسنة وهذا كله شى واحد ثم وبخهم بالاستفهام من علة جهلهم
وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرونه من الحقائق والفقه فى اللغة الفهم
وافقته الشريعة على الفهم فى الدين واموره وغلب عليه بعد الاستعمال فى علم المسائل
الاحكامية والبلاغة فى الاستفهام عن قلة فهمهم بينه لانك اذا استفهمت عن علة امر
فقد يضمن الاملا بحاب ذلك الامر تضمنا لطيفا بليغا ووقف ابو عمرو والكساى على قوله
كما وقف الباقون على اللام اتباعا للخط ومنعه قوم جملة لانها حرف جر فهى بعض المجرور
وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس واما ان يختار احد الوقف فيما ذكرناه ابتدا
فلاه قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الاية قالت فرقة ما شرطية ودخلت
على من بعدها لان الشرط ليس بواجب فاشبه النفى الذى يدخله من وقالت فرقة ما
بمعنى الذى ومن لبيان الجنس لان المصيب للانسان اشيا كثيرة حسنة وسيئة ورجا
وشده وغير ذلك والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وغيره داخل فى المعنى وقيل الخطاب
للمرء على الجملة ومعنى هذه الاية عند ابن عباس وقتاده والحسن والربيع وابن زيد
وابى صالح وغيرهم القطع واستيناف الاخبار من الله تعالى بان الحسنة منه
وبفضله والسيئة من الانسان باذنبه وهى من الله فى الخلق والاختراع وفى مصحف
ابن مسعود فمن نفسك وانا مصبها عليك وقراها ابن عباس وحكى ابو عمرو انها فى مصحف
ابن مسعود وانا كتبتها وروى ان ابيا وابن مسعود قرا وانا قدرتها عليك وبعضك
هذا التاويل احاديث عن النبى عليه السلام معناها ان ما يصيب الانسان
من المصائب فانما هى عقوبة ذنوبه ولذلك ان ابا بكر الصديق لما نزلت من يعمل
سوءا يجز به جزع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الست تمرض الست تسقم
الست نعم وقال عليه السلام ما يغفر الله اكثر وما تصيب الرجل خدشة عود ولا
غيره ندم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يغفر الله عنه اكثر ففى هذا بيان ان تلك
كلها مجازاة على ما يقع من الانسان وقالت طائفة معنى الاية كمعنى التى قبلها فى
قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله على تقدير حذف يقولون فتقديره

فالهؤلاء

فالهولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة ويجى القطع على هذا القول
من قوله وارسلناك فقالت طائفة بل القطع فى الاية من اولها والاية مضمنة الاخبار ان الحسنة
من الله وبفضله وتقدبه وما بعده وما اصابك من سيئة فمن نفسك على جهة الانكار والتقرير
فعلى هذه المقالة الف الاستفهام محذوفة من الكلام وحكى هذا القول المهدوى ورسولا
نصب على الحال وهى حال يتضمن معنى التاكيد وفى قوله وارسلناك للناس رسولا ثم تسلاه لقوله
وكفى بالله شهيدا يوعد للكفرة وتهديد تقتضيه قوة الكلام لان المعنى شهيدا على من
كذبه والمعنى ان الرسول انما يامر وينهى بيانا عن الله وتبليغا فانما هى اوامر الله ونواهيه
وقالت فرقة سبب هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احبنى فقد احب الله
فاعترض اليهود عليه فى هذه المقالة وقالوا هذا محمد يامر بعبادة الله وحده وهو فى هذه
القول مدع للربوبية فنزلت هذه الاية تصديقا للنبى صلى الله عليه وسلم وتبيينا لصورة
التعلق بينه وبين فضل الله وتولى معناه اعرض واصل تولى فى اللغة ان يتعدى بحرف
فيقول تولى فلان عن الايمان وتولى عن الايمان لان اللفظ يتضمن اقبالا وادبارا لكن
الاستعمال غلبا عليه فى كلام العرب على الاعراض والادبار حتى استغنى فيها عن ذكر الحرف
الذى يتضمنه وحفيظا يحتمل معنيين اى لتحفظهم حتى لا يقعوا فى الكفر والمعاصى ونحوه
او لتحفظ مساويهم وذنوبهم وتحسبها عليهم وهذه الاية تقتضى الاعراض والترك له و
هى قبل نزول القتال وانما كانت توطئة ورفقا من الله تعالى حتى يحكم امر السلام وقوله
ويقولون طاعة الاية هى نزلت فى المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد
امرنا طاعة فاذا خرجوا من عندك اجمعوا ليلا وقالوا غير ما اظهروا لك وبيت معناه
فعل ليلا فاما اخذ من باب واما من البيت لانه ملتزم بالليل وفى الاسرار التى يخاف
شاعها ومن ذلك قول الشاعر اتونى فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتونى بامر نكر ومنه
قول النمر بن تولب هبت لتعذلنى بليل اسمعى سفها تبيتك الملامة فاهجعى ونقولى
اسمع وزيدت اليا اشباعا لتصريع القافية واتباعا لليا كقول امرى القيس الا ايها الليل
الطويل الا انجلى وقوله بات مثل قرا جمهور القرا بيت بفتح التا وقرا ابو عمرو وحمزة بادغامها
فى الطاء وقرا ابن مسعود بيت مبيت منهم يا محمد وقوله يقول يحتمل ان يكون معنى
تقول انت يا محمد ويحتمل يقول هى لك ويكتب معناه على وجهين اما يكتبه عنده حسبك
كتب الحفظة حتى يقع الجزا واما يكتبه فى كتابه اليك اى ينزله فى القران ويعلمك بها قال
هذا القول الزجاج والامر بالاعراض انما هو عن معاقبتهم ومجازاتهم واما استمرار
دعوتهم وعظهم فلازم قال الضحاك معنى اعرض عنهم لا تخبر باسمائهم وهذا ايضا
قبل نزول على ما تقدم ثم امر الله تعالى بالتوكل عليه والتمسك بعروته الوثقى ثقة بانجاز وعده
فى النصر والتوكيل القائم بالامور المصلح لما يخاف من فسادها وليس ما غلب عليه
الاستعمال العامى فى التوكيل تخصيص باصل فى كلام العرب وهى لفظة رفيعة وضعها
الاستعمال العامى كالعريف والنعيب وغيره قوله تعالى افلا يتدبرون القران ولو كان
من عند الاية المعنى هولاء المنافقون الطاعنون عليك الدافعون بغير برهان فى صدد رسول
الا يرجعون الى المصحف وينظرون موضع الحجة ويتدبرون كلام الله فيظهر لهم براهينه
وتلوح لهم ادلته والتدبر النظر فى اعقاب الامور وتاويلات الاشيا وهذا كله يقتضيه قوله
افلا يتدبرون القران وهو امر بالنظر والاستدلال ثم عرف تعالى بموقع الحجة اى لو كان من كلام
البشر لدخله ما فى البشر من القصور وظهر فيه التناقض والتنافى الذى لا يمكن جمعه اذ ذلك
موجود فى كلام البشر والقران منزه عنه اذ هو كلام المحيط بكل شى علما قال ع فان عرضت
لاحد شبهة وظن اختلافا فى شى من كتاب الله فالواجب ان يتهم نظره ويسال من هو اعلم
منه وذهب الزجاج الى ان معنى الاية لوجدوا فيما تخبرك به مما يسرون اختلافا اى فاذ تخبرهم
به على حد ما يقع فذلك دليل انه من عند الله غيب من الغيوب وهذا معنى قوله وقد
بينه ابن فورك والمهدوى وقوله واذا جاءهم امر الاية قال جمهور المفسرين الاية فى
المنافقين حسب ما تقدم من ذكرهم والاية نازلة فى سرايا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبعوثه والمعنى ان المنافقين كانوا تستهزون الى سماع ما يسوء النبى فى سراياه
فاذا طرات لهم شبهة بامر للمسلمين او فتح عليهم حقروها وصغروا شانها واذاعوا
ذلك التحقير والتصغير واذا طرات لهم شبهة خوف للمسلمين او مصيبة عظموها
واذاعوا ذلك التعظيم واذاعوا به معناه افشوه وهو فعل يتعدى بحرف جر وبنفسه

احيانا يقول اذعت كذا واذعت به ومنه قول ابى الاسود اذاعوا به فى الناس حتى كانه بعليا
نارا وقد درهوب وقالت فرقة الاية نازلة فى المنافقين وفيمن ضعف جلده على الايمان من
المومنين وقلت تحربته فاما ان يكون ذلك فى امر السرايا انا قلنا انهم كانوا يسمعون اقوال
المنافقين فيقولونها مع من قالها ويذيعونها مع من اذاعها وهم غير
متثبتين فى صحتها وهذا هو الدال على قلة تحريهم واما ان يكون ذلك فى نسائث الامور
الواقعة كالذى قاله عمر ابن الخطاب انه جاء وقوم فى المسجد وهم يقولون طلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم نساه قال فدخلت على عايشة فقلت يا بنت ابى بكر بلغ من امرك ان توذى
رسول الله فقالت يا بن الخطاب عليك نساك قال فدخلت على حفصة فقلت يا حفصة
قد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم يكن كسك ولولا انا يطلعك فجعلت
تبكى قال فخرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى غرفة له ورباح مولاه
جالس على اسكفة الغرفة فقلت يا رباح استاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلعله يظن انى جئت من اجل حفصة والله لو امرنى ان اضرب عنقها لضربته فنظر
ثم اشار الى بيده ان ادخل فدخلت واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجع على
حصير وقد اثر فى جنبه واذا ليس فى غرفته الا قبضة من شعير وقبضة من قرظ واذا
افيقار معلقات فبكيت فقال لى ما يبكيك يا بن الخطاب فقلت انت صفوة الله من خلقه
ورسوله وليس من الدنيا الا هذا وكسرى وقيصر فى الاشجار والانهار فقال اها هنا
انت يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قلت بلى ثم جعلت احدثه حتى يهلك
او يتبسم فقلت يا رسول الله انهم اذاعوا انك طلقت نساك فقال لا فقلت اتاذن لى ان اعرف
الناس فقال افعل ان شئت قال فقمت على باب المسجد فقلت الا ان رسول الله لم يطلق
نساه فانزل الله فى هذه القصة هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به
وانا الذى استنبطته **قوله تعالى** ولو ردوه الى الرسول الاية المعنى لو امسكوا عن الخوض
واستقصوا الامور من قبل الرسول والى الامر وهم الامراء قال السدى وابن زيد وقيل
اهل العلم قاله الحسن وقتاده وغيرهما فالمعنى يعمهما معا **لعلمه** طلبه من اولى الامر
والبحث عنه وهم الا يستنبطونه كما يستنبط الماء وهو النبط اى الماء المستخرج من
الارض ومنه قول الشاعر قريب ثراه ما ينال عدوه له نبطا انى الهوان قطوب وهذا
التاويل جار مع قول عمر انا استنبطته بحى وسوالى ويحتمل الاية ان يكون المعنى لعلمه
المسئولون المستنبطون فاخبروا بعلمهم وقرا ابو السماك لعلمه بسكون اللام
وذلك مثل شجر بينهم والضمير عايد على الامر وفى منهم يحتمل ان يعود على الرسول واولى
الامر ويحتمل ان يعود على الجماعة كلها اى لعلمه النحية من الناس **وقوله** ولولا فضل الله
عليكم ورحمته الاية هذا خطاب لجميع المؤمنين باتفاق من المتاولين والمعنى ولولا
هداية الله وارشاده لكم بالايمان وذلك فضل منه ورحمة لكنتم على كفركم وذلك
هو اتباع الشيطان وحكى الزجاج لولا فضل الله فى هذا القران ورسالة محمد عليه السلام
واختلف المتاولون فى الاستثناء بقوله الا قليلا فيما هو فقال ابن عباس وابن زيد
ذلك مستثنى من قوله اذاعوا به الا قليلا ورجحه الطبرى وقال قتاده ذلك مستثنى
من قوله ليستنبطونه الا قليلا وقالت فرقة ذلك مستثنى من قوله لاتبعتم الشيطان
الا قليلا على سرد الكلام دون تقديم تقدم ثم اختلفت هذه الفرقة فقال الضحاك
ان الله هدى الكل منهم الايمان كان منهم من تمكن منه حتى لم يخطر له قط شك
ولا عنت له شبهة ان تتاب فذلك هو القليل وسائر من اسلم من العرب لم يخل من
الخواطر فلولا فضل الله بتجديد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان **قال ع** فذا معنى
الضحاك ويجى الفضل معنا اى رسالة محمد والقران لان الكل انما هو بفضل الله على الاطلاق
على الاطلاق وقال قوم المخاطب بقوله اتبعتم جميع المؤمنين وقوله الا قليلا اشارة الى من كان
قبل الاسلام غير متبع للشيطان على ملة ابراهيم لورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وغير
وغيرهما وقال قوم الاستثناء انما هو من الاتباع اى لاتبعتم الشيطان كلكم الا قليلا
من الامور كنتم لا تتبعونه فيها وقال قوم قوله الا قليلا عبارة عن العدم يريد لاتبعتم
الشيطان كلكم **قال ع** وهذا الاخير قول قلق وليس يشبه ما حكى سيبويه من قولهم
ارض قل ما تنبت كذا بمعنى لا تنبته لان اقتران القلة بالاستثناء يقتضى حصولها
ولكن ذكره الطبرى **قوله تعالى** فقاتل فى سبيل الله الاية هذا امر فى ظاهر اللفظ

للنبى

١٥٥

للنبى وحده لكن لم نجد قط فى خبر ان القتال فرض على النبى دون الامة مرة ما فالمعنى والله
اعلم ان خطاب النبى فى اللفظ وهو مثال ما يقال لكل واحد خاصة لنفسه اى انت يا محمد وكل
واحد من امتك القول له فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ولهذا ينبغى لكل مؤمن ان
يستشعر ان يجاهد ولو وحده ومن ذلك قول النبى عليه السلام والله لاقاتلنهم حتى تنفرد
سالفتى وقول ابى بكر وقت الردة ولو خالفتنى يمينى لجاهدتها بشمالى وغلط قوم فى تعلق
الفاء من قوله فقاتل بما قبله بعد والوجه انها عاطفة جملة كلام على جملة وهى دالة على اطراح
غير ما امر به لمن جعل النبى عليه السلام بالامر بالتحريض اى الحث على المؤمنين فى العوام بالفرض
الواجب عليهم وعسى اذا وردت من الله تعالى فقال عكرمة وغيره هى واجبة لانها
من البشر متوقعة مرجوة فضل الله توجب وجوبها وفى هذا وعد للمؤمنين بغلبهم
للكفرة ثم قوى بعد ذلك قلوبهم بان عرفهم بشدة بامر الله وانه اقدر على الكفرة واشد
تنكيلا لهم والتنكيل الاخذ بانواع العذاب وترديده عليهم **وقوله** من يشفع شفاعة
حسنة الاية اصل الشفاعة والشفعة ونحوها من الشفع وهو الزوج فى العدد
لان الشافع ثان لوتر المذنب والشفيع ثان لوتر المشترى واختلف فى هذه الاية
المتاولون فقال الطبرى المعنى من يشفع وتر الاسلام بالمعونة للمسلمين او من يشفع
وتر الكفر بالمعونة على الاسلام ودله على هذا التاويل ما تقدم من امر القتال وقال
مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم هى فى شفاعات الناس بينهم وحوائجهم فمن يشفع
فله نصيب ومن يشفع ليضر فله كفل وقال الحسن وغيره الشفاعة الحسنة هى فى البر والطاعة
والسيئة فى المعاصى وهذا كله بعضه من بعض والكفل النصيب ويستعمل فى النصيب
من الخير والشر وفى كتاب الله يوتكم كفلين من رحمته ومعناه قديرا ومنه قول الزبير
ابن عبد المطلب وذى ضغن كففت النفس عنه وكنت على اساءته مقيتا اى قديرا
وعبر عنه ابن عباس ومجاهد بحفيظ وشهيد وعبد الله بن كثير بانه الواصب المقيم
بالامور وهذا كله يتقارب لا وصفه قوله عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقيت
على من رواها هكذا اى من هو تحت قدرته وفى قبضته من عيال وغيره وذهب
مقاتل بن حيان الى انه الذى يقوت كل حيوان وهذا على ان يقال اقات بمعنى مات
وعلى هذا يجى قوله عليه السلام من يقت من اقات وقد حكى الكسائى اقات يقيت واما قول
الشاعر ليت شعرى واشعرن اذا ما قدموها منشورة ودعيت الى الفضل ام على اذا
حوسبت اى على الحساب معنى فقال فيه الطبرى انه من غير هذا المعنى المتقدم وانه
بمعنى موقوف وهكذا يضعفه ان يكون بناء فاعل بمعنى بناء مفعول والله اعلم **قوله
عز وجل** واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الاية التحية وزنها
تفعلة من حيى وهذا هو الاغلب من مصدر فعل فى المعتل المعتل وروى عن مالك
فى هذه الاية انها فى تشميت العاطس وفيه ضعف اذ ليس فى الكلام على ذلك دلالة اما ان
الرد على المشمت مما يدخل بالقياس فى معنى رد التحية اذ يقول الرجل السلام عليك فيجب على الاخر
ان يقول وعليك ورحمة الله فان قال البادى المسلم السلام عليك ورحمة الله قال الراد وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته فان قال البادى كذلك فقد انتهى ولم يبق للراد كيف يرد باحسن
منها فهاهنا يقع الرد المذكور فى الاية فالمعنى عند اهل هذه المقالة اذا جئتم بتحية فان
بعض المسلم من النهاية فحيوا باحسن فان انتهى فردوا وقالت فرقة انما معنى الاية تخيير الراد فاذا
قال البادى السلام فللراد ان يقول وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وهذا هو التحية باحسن
وقال ابن عباس وحده الراد بالاية اذا جئتم بتحية فان كانت من مؤمن فحيوا باحسن منها وان
كانت من كافر فردوا على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وعليكم وروى عن ابن
عمر وابن عباس وغيرهما انتهى السلام الى البركة وجمهور اهل العلم على الابتداء اهل الكتاب
بسلام فان سلم احدهما ساهيا وجاهلا فلهذا ان يستقبل سلامه وسهل قوم
فى اباحة ابتدائهم والاول اصوب لان به يتصور اولاهم وقال ابن عباس كل من اسلم
عليك من خلق الله فرد عليه وان كان مجوسيا وقال عطا رحمه الله الاية فى المؤمنين
خاصة ومن سلم من غيرهم قيل له عليك كما قال فى الحديث واكثر اهل العلم على ان الاخذ
بالسلام سنة مؤكدة ورده فريضة لانه حق من الحقوق وقال الحسن وغيره وحسيبا هنا
لا حوب طائى وهو فعيل من الحساب وحسبت هذه الصفة اذ معنى الاية فى ان يزيد الانسان
او ينقص او يوفى قدر ما يجى به **قوله عز وجل** الله لا اله الا هو ليجمعنكم الاية لما تقدم الانذار

والتحذير الذي يتضمنه قوله ان الله كان على كل شيء حسيبا تلاه مقويا له بالاعلام بصفة الربوبية
وحال الوحدانية والاعلام بالحشر والبعث من القبور للثواب والعقاب اعلاما يقسم
والمقسم به تقدس وهو او وحقه او وعظمته ليجمعنكم والجمع ها هنا بمعنى الحشر فلذلك
حسنت بعده الى اي اليه السوق والحشر والقيامة اصلها القيام ولما كان الحشر من ادل
الحالات واضعفها الى اشد الاهول واعظمها لحقته ها المبالغة ولا ريب فيه بين به هي
وما بعدها بمثابة الابتداء تطلب الخبر ومعناه لا ريب فيه في نفسه وحقيقته امره
وان ارتاب فيه الكفرة فغير صائر ومن اصدق من الله حديثا لان دخول الكذب
في حديث البشر انما علته الخوف او الرجا وسوء الشيمة وهذه منفية في حق الله تقدست
اسماؤه والصدق في حقيقته ان يكون ما يجري على لسان المخبر موافقا لما في قلبه وللامر
المخبر عنه في وجوده وحديثا نصب على التمييز وقوله فما لكم في المنافقين فئتين الاية الخطاب
للمؤمنين وهذا ظاهر الاستفهام والمقصود منه التوبيخ واختلف المتأولون فيمن المراد
بالمنافقين فقال ابن عباس هم قوم كانوا بمكة وكتبوا الى اصحاب النبي عليه السلام الى المدينة
انهم قد امنوا وتركوا الهجرة واقاموا بين اظهر الكفار ثم سافر قوم الى الشام منهم
واعطتهم قريش بضاعات وقالوا لهم انتم لا تخافون اصحاب محمد لانكم تخدعونهم باظهار
الايمان لهم فاقصد خبرهم بالمدينة فاختلف المؤمنون فيهم فقالت طائفة نخرج الى اعداء الله
المنافقين وقالت طائفة بل هم مؤمنون لا سبيل لنا اليهم فنزلت الاية وقال مجاهد بل نزلت
في قوم جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة من مكة فاظهروا الاسلام ثم قالوا لنا بضاعات
بمكة فانصرفوا اليها وابطنوا الكفر فاختلف فيهم الصحابة وهذان القولان يعضدهما ما
في اخر الاية من قوله حتى يهاجروا وقال ابن زيد بن ثابت نزلت في المنافقين الذين رجعوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد عبد الله ابن ابي واصحابه لان اصحاب النبي اختلفوا فيهم وقال
السدي نزلت في قوم منافقين كانوا بالمدينة فطلبوا الخروج عنها نفاقا وكفروا وقالوا اما
اجتويناها وقال ابن زيد انما نزلت في المنافقين الذين تكلموا في حديث الافك لان الصحابة اختلفوا
فيهم قال الفقيه الاختلاف في هذه النازلة كان بين اسيد بن الحضير وسعد بن عبادة
حسب ما وقع في البخاري كان لكل واحد اتباع من المؤمنين على قوله وكان من قال في هذه الاية
انها فيمن كان بالمدينة يرد عليه قوله حتى يهاجروا اليهم يخرجون المهاجرة الى هجر ما
نهى الله عنه وترك الخلاف والنفاق كما قال عليه السلام فالمهاجر من هجر ما نهى الله عنه
فئتين معناه فرقتين كما يقول مالك قائما بنصبه على الحال هذا مذهب البصريين
وقال الكوفيون نصبه بما تتضمنه ما لكم من الفعل والتقدير ما لكم كنتم فئتين او صرتم
وهذا الفعل مقدر ينصب عندهم النكرة والمعرفة كما يقول ما لك الشاتم لزيد وخطأ
هذا القول الزجاج لان المعرفة لا يكون حالا واركسهم معناه رجعهم في كفرهم
وضلالهم والركس الرجيع ومنه حديث النبي عليه السلام في الاستنجاء واخذ
الحجرين والقى الروثة وقال هذا ركس ومنه قول امية ابن ابي الصلت فاركسوا في جحيم النار
انهم كانوا عصاة وقالوا للافك والزور وحمل النضر بن شميل والكسائي ركس واركس
بمعنى واحد اي رجعهم ومن قال من المتأولين اهلكهم واضلهم فانما هي بالمعنى لان ذلك
كله يتضمنه ردهم الى الكفر وبما كسبوا معناه بما اجترحوا من الكفر والنفاق اي
ان كفرهم بخلق من الله واختراع ويكسب عنهم وقوله اتريدون استفهام معناه
ابعاد الناس مما ارادوه والمعنى اتريدون ايها المؤمنون القائلون بان اولئك
المنافقين مؤمنون ان يسموا بالهدى من قد يسر الله للضلالة وحتمها عليه ثم لحى
علمه تعالى انه من يضلل فلا سبيل الى اصلاحه ولا ارشاده قوله تعالى ودوا لو تكفرون
الاية الضمير عائد على المنافقين في ودوا وهذا كشف من الله بحيث معتقدهم وتحذير
للمؤمنين منهم والمعنى تمنوا كفركم وهم غاية المصائب بكم وهذا الود منهم
يحتمل ان يكون عن حسد منهم لهم على ما يرون المؤمنين من ظهور في الدنيا فيجري الاية
مع ود اهل الكتاب حسدا من عند انفسهم ويحتمل امر المنافقين ان يكون انهم راوا
المؤمنين على غير شيء فودوا رجوعهم الى عبادة الاصنام والاولى اظهر وقوله فلا
تتخذوا الاية هنا نهي عن موالاتهم حتى يهاجروا لان الهجرة في سبيل الله تتضمن
الايمان وفي سبيل معناه طريق مرضات الله لان سبيل الله تعالى كثيرة وهي طائعة
كلها المعنى وان اعرضوا عن الهجرة وتولوا عن الايمان فخذوهم وهذا امر بالحمل عليهم

ومجاهدتهم

ومجاهدتهم بالقتال وقوله الا الذين يصلون الاية كان هذا الحكم في اول الاسلام وقبل ان
يستحكم امر الطاعة من الناس فكان عليه السلام قد هادن من العرب قبائل كرهط
هلال بن عويمر السلمي وسراقة بن مالك بن جعشم وخزيمة بن عامر بن عبد مناف فقضت
هذه الاية بانه من وصل من المشركين الذين لا عهد لهم بينهم وبين النبي
الى اهل العهد هؤلاء فدخل في عدادهم وفعل فعلهم من الموادعة فلا سبيل عليه
وقال عكرمة والسدي وابن زيد ثم لما تقوى الاسلام وكثر ناصره فنسخت هذه الاية والتي بعدها
في سورة براءة وقال ابو عبيدة وغيره يصلون في هذا الموضع معناه ينتسبون ومنه قول
الاعشى اذا اتصلت قالت لبكر بن وائل وبكر سبتها والانوف رواغم يريد اذا انتسب
وهذا غير صحيح قال الطبري فان النبي عليه السلام قاتل قريشا وهم قرابة السابقين الى الاسلام يقضي
بان قرابة من له ميثاق احد بان يقاتل وان النبي عليه السلام يقاتل قريشا لا ابعد نسخ
هذه الاية في سورة براءة فنزلت بعد فتح مكة والاسلام جميع قريش وقوله او جاؤوكم عطف
على يصلون ويحتمل ان يكون على قوله بينكم وبينهم ميثاق والمعنى في العطفين مختلف وهذا
ايضا حكم كان قبل ان يستحكم امر الاسلام فكان المشرك اذا اعتزل وجاء الى دار الاسلام
مسلما كارها لقتال قومه مع المسلمين ولقتال المسلمين مع قومه لا سبيل عليه وهذه
نسخت ايضا بما في براءة ومعنى حصرت ضاقت وحرجت ومنه الحصر في القول وهو
ضيق الكلام على المتكلم وقرا الحسن وقتادة حصرة كذا قال الطبري وحكى ذلك المهدوي
عن عاصم من رواية جعفر وحكى عن الحسن انه قرا حصرات وفي مصحف ابي سقط او جاؤوكم
حصرت صدورهم عند جمهور النحويين في موضع نصب على الحال بتقدير حصرت وهذا فصيح
الفعل الماضي اذا كان في موضع الحال والداعي اليه ان يفرق بين تقرير الحال وبين خبر مستانف
كقولك جاء زيد ركب الفرس فان اردت بقولك ركب الفرس خبرا اخر عن زيد لم يحتج الى تقدير
قد وان اردت به الحال من زيد قدر به لقد معا وقال الزجاج حصرت خبر بعد خبر وقال المبرد
حصرت دعاء عليهم ع قال بعض المفسرين لا يصح هذا الدعاء لانه فيقتضي الدعاء عليهم
بان لا يقاتلوا قومهم وذلك فاسد وقول المبرد يخرج على ان الدعاء عليهم بان لا يقاتلوا
المسلمين فيخزهم والدعاء عليهم بان لا يقاتلوا قومهم تحقير لهم اي هم اقل واحقر ويستغنى
عنهم كما يقول اذا اردت هذا المعنى لا جعل الله فلانا علي ولا معي ايضا بمعنى استغنى عنه و
واستقل دونه واللام في قوله لسلطهم جواب لو في قوله فلقاتلوكم لام المحاذاة والا
والازدواج لانها بمثابة الاولى ولو لم يكن الاولى كنت تقول لو شا ان يقاتلوكم والمعنى تقرير
المؤمنين على مقدار النعمة وصرفها اي لو شا الله لقواهم وجراهم عليكم فاذ قد انعم عليكم
بالموادعة فاقبلوها واطيعوا فيها وقرات فلقتلوكم وقرا الجحدري والحسن فلقتلوكم
بتشديد التاء والمعنى فان اعتزلوكم اي هادنوكم وتاركوكم في القتال والسلم ها هنا
الصلح قاله الربيع ومنه قول الطرماح بن حكيم وذاك ان تميما غادرت سلما للاسد
كل حصان وعثه الكبيل وقال الربيع السلم ها هنا الصلح وكذا قراءة عامة القراء
وقرا الجحدري السلم بسكون اللام وقرا الحسن بكسر السين وسكون اللام ومعنى جملة هذه
الاية خذوا المنافقين الكافرين واقتلوهم حيث وجدتموهم الا من دخل منهم في عداد
بينكم وبينه ميثاق والتزم منها دينكم او من جاءكم وقد كره قتالكم وقتال قومه وهذا
بفضل الله ودفاعه عنكم لانه لو شاء لسلط قومكم هؤلاء الذين هم هذه الصفة من
المباركة عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم اي اذا وقع هذا فلو يقاتلوكم فلا سبيل لكم
عليهم وهذا كله والذي في سورة الممتحنة من قوله لا ينهاكم الله الايات منسوخ بما في سورة
براءة قاله قتادة وابن زيد وغيرهما قوله تعالى ستجدون اخرين الاية لما وصف الله
فيما تقدم صفة المحقين في المتاركة المحدين في القاء السلم نبه على طائفة مخادعة مبطلة
مبطئة كانوا يريدون الاقامة في مواضعهم مع اهليهم يقولون لهم نحن معكم
وعلى دينكم ويقولون ايضا للمسلمين اذا وفدوا واسلموا نحن معكم وعلى دينكم حيلة
منهم وخديعة قيل كانت اسد وغطفان بهذه الصفة وقيل نزلت في نعيم بن مسعود
الاشجعي كان ينقل بين النبي والكفار الاخبار وقيل نزلت في قوم يجيئون من مكة الى النبي
عليه السلام رياء يظهرون الاسلام ثم يرجعون الى قريش فيكفرون ففضح الله تعالى
هؤلاء واعلم انهم على غير صفة من تقدم وقوله الى الفتنة معناه الى الاختبار وحكى
انهم كانوا يرجعون الى قومهم فيقال لاحدهم قل ربي الخنفساء وربي العود وربي العقرب

وبحوها فيقولها ومعنى اركسوا رجعوا رجع حلاله اى اهلكوا فى الاحتيار بما اقعوه من
الكفر وقرا عبد الله بن مسعود ركسوا بضم الراء من غير الف وحكى عنه ابو الفتح
بشد الكاف على التضعيف والخلاف فى السلم حسب ما تقدم وهذه الاية خص على قتال
هؤلاء المخادعين اذا لم يرجعوا عن حالهم الى حال الاخرين المعتزلين الملقين للسلم ع
وتامل فصاحة الكلام فى ان سياقه فى الصيغة المتقدمة قيل هذه سياق ايجاب الاعتزال
وايجاب القا السلم ونفى المقاتلة اذ كانوا محققين فى ذلك معتقدين له وسياقه فى هذه
الصيغة الماجرة سياق بنفى الاعتزال ونفى القا السلم اذ كانوا مبطلين فيه مخادعين
والحكم سوا على السياقين لان الذين لم يجعل عليهم سبيلا لو لم يعتزلوا لكان حكمهم حكم
هؤلاء الذين جعل عليهم السلطان المبين وكذلك هؤلاء الذين عليهم السلطان اذا
لم يعتزلوا لو اعتزلوا لكان حكمهم حكم الذين لا سبيل عليهم ولكنهم بهذه العبارة
بحث الصلا ان لم يعتزلوا **وثقفتموهم** الاية ماخوذ من الثقاف اطفرتم بهم مغلوبين
ممكنا تهم **والسلطان** الحجة قال عكرمة حيث ما وقع السلطان فى كتاب الله فهو الحجة
قوله عز وجل وما كان لمومن ان يقتل مؤمنا الاية قال جمهور اهل التفسير معناها
وما كان فى اذن الله وفى امره للمؤمنين ان يقتل مؤمن مؤمنا بوجه من الوجوه ثم
استثنى استثناء منقطعا ليس من الاول وهو الذى يكون فيه الا بمعنى لكن والتقدير
لكن الخطا قد يقع وهذا كقول الشاعر امسى سقام خلاء لا انيس به الا السباع ومر الريح
بالعرف سقام اسم واد والعرف اسم شجر يدفع بالحائط وكما قال جرير من البصص طرب طعن
بعيد او طريبا على الارض لا ربط يرد من حل وفى هذا الشاهد نظر ويتجه فى معنى
الاية وجه اخر وهو ان يقدر كان بمعنى استقر ووجد كانه قال وما وجد وما يقرر
وما ساغ لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء اذ هو مغلوب فيه احيانا فيجى الاستثنا
على هذا غير منقطع ويتضمن الاية على هذا اعظام العمد وبشاعة شانه كما يقول ما كان
لك يا فلان ان تتكلم بهذا الا ناسيا اعطاما للعمد والقصد مع خطر الكلام به البتة
وقرا الزهرى خطا غير مهموز وقرا الحسن والاعمش مهموزا ممدودا وقال مجاهد
وعكرمة والسدى وغيرهم نزلت هذه الاية فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى حين قتل الحارث
بن يزيد بن نبيشة وذلك انه كان يعذبه بمكة ثم علم النبى عليه السلام فشق ذلك عليه
ونزلت الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث وجاء مهاجرا فلعنه عياش
بالحرة فظنه على كفره وقتله ثم جاء فاخبر النبى عليه السلام فشق ذلك عليه ونزلت الاية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم فحرر وقال ابن زيد نزلت فى رجل قتله ابو الدرداء
كان يرعى غنما فقتله وهو يتشهد وساق غنمه فعنفه رسول الله فنزلت الاية وقيل نزلت
فى ابى حذيفة بن اليمان حين قتل يوم احد خطاء وقيل غير هذا والله اعلم **وقوله** ومن قتل
مؤمنا خطاء الاية بين تعالى فى هذه الاية حكم المؤمن خطاء وحقيقة الخطاء ان لا
يقصده بالفعل ووجوه الخطا كثيرة لا يحصى يربطها عدم القصد قال النخعى وابن عباس
والحسن والشعبى وقتادة وغيرهم الرقبة المؤمنة هى الكبيرة التى قد حلت وعقلت
الايمان لا يجرى فى ذلك الصغير وقال عطا بن ابى رباح يجرى الصغير المولود بين مسلمين
وقال جماعة منهم مالك بن انس يجرى كل من يحكم له بحكم الاسلام فى الصلوة عليه و
مات ودفنه قال مالك ومن صلى وصام احب الى واجمع اهل العلم على ان الناقص النقصان الكثير كقطع اليدين او الرجلين او الاعمى لا يجزيه فيما حفظت فاذا كان النقصان
يسير يتفق له مع المعيشة والتصرف كالعرج ونحوه فيه قولان **ومسلمة** معناه مؤداة
مدفوعة وهى على العاقلة فيما جاوز ثلث الدية والا ان يصدقوا يريد اولياء القتيل
وقرا ابى ابن كعب يتصدقوا وقرا الحسن وابو عبد الرحمن وعبد الوارث عن ابى عمرو تصدقوا
بالتاء على المخاطبة للحاضر وقرا نبيح العنزى تصدقوا بالتاء وتخفيف الصاد والدية مائة
من الابل على اهل الابل عند قوم وعند اخرين على الناس كلهم الا ان لا يجد الابل اهل الذهب
والفضة فحينئذ ينتقلون الى الذهب والفضة يعطون مما قيمة الابل فى وقت النازلة
بالغة ما بلغت واختلف فى المائة من الابل فقال على بن ابى طالب من نوره ثلثون حقه وثلثون
جذعه وعشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وقال ابن مسعود مخمسة عشرون حقه
وعشرون جذعه وعشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون ذكر ولبعض
الفقها غير هذا الترتيب وعمر بن الخطاب وغيره ترى الدية من البقر مائتى بقرة ومن الغنم

الوشاة

الوشاة ومن الحلل مائة حلة وورد بذلك حديث عن النبى عليه السلام فى مصنف ابى داود
والحلة ثوبان من نوع واحد فى كلام العرب وكانت فى ذلك الزمن صفة تقاوم المائة
من الابل فمضى القول على ذلك واما الذهب فهو الف دينار قررها عمر ومضى الناس
عليها واما الفضة فقررها عمر اثنى عشر الفا وبه قال مالك وجماعة يقول عشرة الف
درهم **وقوله** وان كان من قوم عدو لكم وهو مومن الاية المعنى عند ابن عباس وقتادة
والسدى وابرهيم وعكرمة وغيرهم فان كان هذا المقتول خطاء رجلا مؤمنا قد امن وبقى
فى قومه وهم كفرة عدو لكم ولا دية منه وانما كفارته تحرير الرقبة والسبب عندهم فى
نزولها ان جيوش النبى عليه السلام كانت تمر بقبائل الكفر فربما قتل من قد امن وبقى من
قومه لم يهاجر او قد هاجر ثم رجع الى قومه وهم كفرة فيقتل فى حلات الحرب على انه
من الكفار فنزلت الاية ويسقط الدية عند قائلى هذه المقالة الوجهين احدهما ان اولياء
القتيل كفار فلا يصح ان يدفع الدية اليهم ليقووا بها والاخر ان حرمة هذا الذى امن
ولم يهاجر قليلة فلا دية واحتجوا بقوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولا
من ولايتهم الاية وقالت فرقة بل الوجه فى سقوط الدية ان الاولياء كفار فقط فسوى
كان القتل خطاء بين اظهر المسلمين وبين قومه هاجر او لم يهاجر ثم رجع الى قومه وكفا
وكفارته التحرير ولا دية فيه ولا يصح دفعها الى الكفار وقائل المقالة الاولى يقول
ان قتل المومن فى بلد المسلمين وقومه حرب ففيه الدية لبيت المال والكفارة **وقوله** فان كان
من قوم بينكم وبينهم ميثاق الاية المعنى عند الحسن وجابر بن زيد وابراهيم وغيرهم وان
كان هذا المقتول خطاء مؤمنا من قوم معاهدين لكم بعهدهم يوجب انهم احق بدية
صاحبهم وكفارته التحرير واد الدية وقراها الحسن وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
وهو مؤمن وقال ابن عباس والشعبى وابراهيم ايضا المقتول من اهل العهد خطاء سواء كان
كان مؤمنا او كافرا على عهد قومه فيه الدية كدية المسلم والتحرير واختلف على هذا فى دية
المعاهد فقال ابو حنيفة وغيره ديته كدية المسلم وروى ذلك عن ابى بكر وعمر وقال
مالك رحمه الله واصحابه ديته على نصف دية المسلم وقال الشافعى وابو ثور ديته على
ثلث دية المسلم **وقوله تعالى** فمن لم يجد الاية يريد عند الجمهور من لم يجد العتق ولا اتسع
ماله له فيجزيه صيام شهرين متتابعين فى الايام لا يتخللها فطر وقال مكى عن
الشعبى صيام الشهرين يجزى عن الدية والعتق لمن لم يجد بها وهذا القول وهم
لان الدية انما هى على العاقلة وليست على القاتل والطبرى حكى القول عن مسروق
وتوبة نصب على المصدر ومعناه رجوعا بكم الى التيسير والتسهيل **قوله تعالى**
ومن يقتل مؤمنا متعمدا الاية المتعمد فى لغة العرب القاصد الى الشئ و
اختلف العلما فى صفة المتعمد فى القتل فقال عطا وابراهيم النخعى وغيرهما
هو من قتل بحديدة كالسيف والخنجر وسنان الرمح ونحو ذلك من المشحوذ المعد
للقطع وانما يعلم ان فيه الموت من ثقال الحجارة ونحوها وقالت فرقة المتعمد كل من قتل بحديدة كان
القتل او بعصا او بحجر او بغير ذلك وهذا قول الجمهور وهو الاصح ورأى الشافعى وغيره ان
القتل بغير الحديد المشحوذ هو شبه العمد وراى فيه تغليظ الدية ومالك رحمه الله لا يرى
شبه العمد ولا يقول به فى شئ وانما القتل عنده ما ذكره الله تعالى عمدا وخطاء لا غير
والقتل بالسم عنده عمد وان قال ما اردت الا اسكره **وقوله** فجزاؤه جهنم تقديره عند
اهل السنة فجزاؤه ان جازاه بذلك اى هو اهل ذلك ومستحقه لعظيم ذنبه ونص
هذا ابو مجلز وابو صالح وغيرهما وهذا مبنى على القول بالمشية فى جميع العصاة قاتل و
غيره وذهب المعتزلة الى عموم هذه الاية وانها مخصصة بعمومها لقوله تعالى ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء وتوركوا فى ذلك على ما روى عن زيد ابن ثابت انه قال نزلت الشديدة
بعد اللينة يريد نزلت ومن يقتل مؤمنا بعد ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم يرون ان
هذا الوعيد نافذا حتما على كل قاتل يقتل مؤمنا ويرونه عموما ماضيا لوجهه مخصصا للعموم
فى قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كانه قال الا من قتل عمدا **قال ع** واهل الحق يقولون لهم
هذا العموم منكسر غير ماض لوجهه من جهتين احداهما ما انتم مجمعون عليه من الرجل الذى
شهد عليه او يقر بالقتل عمدا ويأتى السلطان او الاولياء فيقام عليه الحد ويقتل قودا وهذا
غير متبع فى الاخرة والوعيد غير نافذ عليه اجماعا مركبا على الحديث الصحيح من طريق عبادة
ابن الصامت من عوقب فى الدنيا فهو كفارة له وهذا نقض للعموم والجهة الاخرى ان لفظ

هذه الاية ليس بلفظ عموم بل بلفظ مشترك ويقع كثيرا للخصوص كقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون وليس حكام المؤمنين اذا حكموا بغير الحق في امر بكفرة بوجه وكقول
الاخر ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم وهذا انما
معناه الخصوص لانه ليس كل من لا يظلم يظلم فهذه جهة اخرى تدل على ان العموم غير مترتب
وما احتجوا به من قول زيد بن ثابت فليس كما ذكروه وانما اراد زيد ان هذه الاية نزلت
بعد سورة الفرقان ومراده ما للنبيه قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الاية
وان كان المهدوي قد حكى عنه انه قال نزلت ومن يقتل مؤمنا متعمدا بعد قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به باربعة اشهر واذا دخله التخصيص فالوجه ان هذه الاية مخصوصة في الكافر
يقتل المومن اما على ما روي انها نزلت في شان مقيس بن صبابة حين قتل اخاه هشام بن
صبابة وحده من الانصار فاخذ له النبي عليه السلام الدية ثم بعثه مع رجل من فهر بعد ذلك في امر
ما فصدا عليه مقيس فقتله ورجع الى مكة مرتدا وجعل ينشد قتلت به فهرا وحملت عقله سراة
بني النجار ارباب فارع حللت به وتري وادركت ثورتي وكنت الى الاوثان اول راجع فقال النبي عليه السلام
لا اومنه في حل ولا حرم وامر بقتله يوم فتح مكة وهو متعلق باستار الكعبة واما ان يكون على ما حكي
عن ابن عباس انه قال متعمدا معناه مستحلا فهذا يؤول ايضا الى الكفر وفي المومن الذي قد سبق عليه
في علم الله انه يعذبه بمعصيته على ما قدمناه من تاويل فجزاؤه ان جازاه ويكون قوله خالدا اذا كانت
في المومن بمعنى باق مدة طويلة على نحو دعائهم للملوك بالتخليد ونحو ذلك ويدل على هذا سقوط قوله
ابدا فان التابيد لا يقترن بالخلود لا في ذكر الكثير واختلف العلماء في قبول الله توبة القاتل فجماعة
على ان لا يقبل توبته وروي ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وكان ابن عباس يقول الشرك والقتل
منهما في من مات عليهما خلد وكان يقول هذه الاية مدنية نسخت التي في الفرقان اذ الفرقان مكية
والجمهور على قبول توبته وروي عن بعض العلماء انهم كانوا يقصدون الاغلاظ والتخويف احيانا
فيطلقون ان لا يقبل توبة القاتل منهم ابن شهاب كان اذا ساله من يفهم منه انه قد قتل قال
فان توبتك مقبولة واذا ساله من لم يفعل قال له لا توبة للقاتل ومنهما ابن عباس وقع عنه في تفسير
عبد الله بن حميد ان رجلا ساله للقاتل توبة فقال له لا توبة للقاتل وجزاؤه جهنم فلما مضى السائل
قال له اصحابه ما هكذا كنا نعرفك تقول الان للقاتل توبة فقال لهم اني رايته مغضبا واظنه يريد
ان يقتل فقاموا فطلبوه وسالوه عنه فاذا هو كذلك وذكر هبة الله في كتاب الناسخ والمنسوخ له
ان هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال هذا اجماع الناس الا
ابن عباس وابن عمر فانهما قالا هي محكمة قال ع وفيما قاله هبة الله نظر لانه موضع عموم وتخصيص
لا موضع نسخ وانما ركب كلامه على اختلاف الناس في قبول توبة القاتل والله اعلم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله الاية يقول العرب ضربت في الارض اذا سرت لتجارة
او غزوا او غيره مقربة بفي ويقول ضربت الارض دون في اذا قصدت حاجة الانسان ومنه قول النبي
صلى الله عليه وسلم لا يخرج الرجلان يضربان الغائط يتحدثان كاشفين عن فرجيهما فان الله يمقت
على ذلك وسبب هذه الاية سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت رجلا له جمل
ومتيع وقيل غنيمة فسلم على القوم وقال لا اله الا الله محمد رسول الله فحمل عليه احدهم فقتله فشق
ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الاية فيه واختلف المفسرون في تعيين القاتل
والمقتول في هذه النازلة والذي عليه الاكثر وهو في سير ابن اسحق وفي مصنف ابي داود و
غيرهما ان القاتل محلم بن جثامة والمقتول عامر بن الاضبط والحديث بكماله في المصنف لابي
داود وفي السير وفي الاستيعاب وقالت فرقة القاتل اسامة بن زيد والمقتول مرداس
ابن نهيك الغطفاني وقالت فرقة القاتل هو ابو قتادة وقالت فرقة القاتل غالب الليثي
والمقتول مرداس وقالت فرقة القاتل هو ابو الدرداء ولا خلاف ان الذي لفظته الارض
حين مات هو محلم بن جثامة وقرا جمهور السبعة فتبينوا وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا بالثاء
مثلثة في الموضعين وفي الحجرات وقاله قوم تبينوا ابلغ من تثبتوا لان المثبت قد لا يتبين
وقال ابو عبيد هما متقاربان قال ع والصحيح ما قال ابو عبيد لان تبين الرجل لا يقتضي
ان الشيء بان له بل يقتضي محاولة اليقين فهما سواء وقرا نافع وابن عامر وحمزة وابن كثير
في بعض طرقه السلم بتشديد السين وفتحها وفتح اللام ومعناه الاستسلام اي القى بيده
واستسلم لكم واظهر دعوتكم وقرا بقية السبعة السلام يريد سلام ذلك المقتول على
السرية لان سلامه بتحية الاسلام مؤذن بطاعته والانقياد ويحتمل ان يراد به الانحياز
والترك قال الاخفش يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا وروي في بعض طرق عاصم

السلم

السلم بكسر السين وشدها وسكون اللام وهو الصلح والمعنى المراد بهذه الثلاثة يتقارب وقرا الجحدري
السلم بفتح السين وسكون اللام والعرض هو الجمل والمتيع والغنيمة التي كانت للرجل المقتول وقرا ابو جعفر بن
القعقاع وابو حمزة اليماني لست مؤمنا بفتح الميم لسنا نؤمنك في نفسك وقوله فعند الله مغانم كثيرة
عدة بما ياتي الله به على وجهه ومن حله دون ارتكاب محظور اي فلا تتهافتوا واختلف المتاولون
في قوله كذلك كنتم من قبل فقال سعيد بن جبير معناه كنتم مستخفين من قومكم باسلامكم خائفين
منهم على انفسكم فمن الله عليكم باعزاز دينكم واظهار شريعتكم فهم الان كذلك كل واحد خائف
من قومه متربص ان يصل اليكم فلم يصلح اذ وصل ان يقتلوا حتى يتبينوا امره وقال ابن زيد كذلك
كنتم كفرة فمن الله عليكم بان اسلمتم ولا تنكروا ان يكون هو كافرا ثم يسلم بحينه حين لقيكم
فيجب ان يتثبت في امره ويحتمل ان يكون المعنى اشارة بذلك الى القتل قبل التثبيت اي على هذه الحال
كنتم في جاهليتكم لا تتثبتون حتى جاء الاسلام ومن الله عليكم ثم وكد تبارك وتعالى الوصية
بالتبيين واعلم انه خبير بما يعمله العباد وذلك منه خبر يتضمن تحذيرا منه تعالى لان المعنى ان
ان الله كان بما تعملون خبيرا فاحفظوا انفسكم وجنبوا الزلل الموبق لكم قوله عز وجل لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر الى قوله رحيما لا يستوي ايهام على السامع هو ابلغ من
تحرير المنزلة الذي بين المجاهد والقاعد فالمتامل يمشي مع فكرته ولا يزال يحمل الدرجات بينهما
والقاعدون عبارة عن المتخلفين اذ القعود هيئة لا يتحرك الى الامر المقعود عنه في الاغلب
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير اولي الضرر برفع الراء وقرا نافع وابن عامر والكسائي غير بالنصب
واختلف عن عاصم فروي عنه الرفع والنصب وقرا الاعمش وابو حيوة غير بكسر الراء فمن رفع الراء
جعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه كما هي عنده صفة في قوله عز وجل غير المغضوب بجر غير
ومنه قول لبيد واذا جوزيت قرضا فاجزه انما يجزي الفتى غير الجمل قال ع كذا ذكره ابو علي و
يروى ليس الجمل ومن قرا بنصب الراء جعله استثناء من القاعدين قال الحسن ولقوي ذلك
نزلت بعد على طريق الاستثناء والاستدراك قال ع وقد يتحصل الاستدراك بتخصيص
القاعدين بالصفة قال الزجاج يجوز ايضا وقراة الرفع ان يكون على جهة الاستثناء كانه قال
لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولوا الضرر فانهم يساوون المجاهدين قال ابو محمد وهذا
مردود لان اولي الضرر لا يساوون المجاهدين وغايتهم ان خرجوا من التوبيخ والمذمة التي لزمت
القاعد من غير عذر قال ويجوز في قراة نصب الراء ان يكون على الحال واما كسر الراء فعلى الصفة للمومنين
وروي من غير طريق ان الاية نزلت لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فجاء ابن ام
مكتوم حين سمعها فقال يا رسول الله هل من رخصة فاني ضرير البصر فنزلت عند ذلك غير
اولي الضرر قال الفلتان بن عاصم رضي الله عنه كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم فانزل عليه
وكان اذا اوحي اليه دام بصره مفتوحة عيناه وفرغ سمعه وبصره لما ياتيه من الوحي وكنا
نعرف ذلك في وجهه قال فلما فرغ قال للكاتب اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون
الى اخر الاية قال فقام الاعمى فقال يا رسول الله ما ذنبنا قال فانزل الله على رسوله فقلنا للاعمى
انه ينزل عليه قال فخافت ان ينزل فيه شيء فبقي قائما مكانه يقول اتوب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال للكاتب اكتب غير اولي الضرر واهل الضرر هم اهل الاعذار اذ قد اضرت
بهم حتى منعتهم الجهاد قاله ابن عباس وغيره وقوله تعالى باموالهم وانفسهم هي الغاية
في كمال الجهاد ولما كان اهل الديوان يتملكون بذلك العطاء يصرفون في الشدائد وتروعهم
البعوث والاوامر قال بعض العلماء هم اعظم اجرا من المتطوع لسكون حاسيه
ونعمة ماله في الصوائف الكبار ونحوها واحتج بهذه الاية المطهر بفضل المال
من قال ان الغنى افضل من الفقر وان متعلقه بها كبير وفسر الناس الاية على ان
يكمله التفضيل فيها بالدرجة ثم بالدرجات انما هو مبالغة وبيان وتاكيد
وقال ابن جريج الفضل بدرجة هو على القاعدين من اهل العذر قال ع لانهم
مع المؤمنين بنياتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ان بالمدينة
رجالا ما قطعنا واديا ولا سلكنا جبلا ولا طريقا الا وهم معنا حبسهم العذر
قال ابن جريج والتفضيل بالاجر العظيم والدرجات هو على القاعدين من غير عذر
والحسنى الجنة وهي التي وعدها المومنون وكذلك قال السدي وغيره وقال ابن محيريز
الدرجات هي درجة في الجنة سبعون ما بين الدرجتين حضر الفرس الجواد المضمر
المضمر سبعين سنة وقال بهذا القول الطبري ورجحه وقال ابن زيد الدرجات في الاية
هي السبع المذكورات في سورة براة في قوله تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا

ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله الايات فذكر فيها الموطئ الغائظ للكفار والنيل من العدو والنفقة الصغيرة والكبيرة وقطع الاودية والمسافات قال ابو محمد ودرجات الجهاد لو حصرت اكثر من هذه يجمعها بذل النفس والاعتمال بالبدن والمال في ان يكون كلمة الله هي العليا ولا اشكال بحسب قياس الاعتمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها فالاموال كلها متقاربة وباقي الاية وعد كريم وبانس ونصب درجات اما على البدل من الاجر واما باضمار فعل على ان يكون تاكيدا للاجر كما يقول لك على الف درهم عرفا كانك يقول اعرفها عرفا قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله غفورا رحيما المراد بهذه الاية الى قوله مصيرا جماعة من اهل مكة كانوا قد اسلموا واظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم الايمان به فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان امر بدر خرج منهم قوم مع الكفار فقتلوا ببدر فنزلت الاية فيهم قال ابن عباس رضي الله عنه كان قوم من اهل مكة قد اسلموا فكانوا يستخفون بالاسلام فاخرجهم المشركون يوم بدر فاصيب بعضهم فقال المسلمون كان اصحابنا هؤلاء مسلمين واكرهوا فاستغفروا لهم فنزلت ان الذين توفاهم الملائكة الاية قال فكتبت الى من بقي من المسلمين بهذه الاية ان لا عذر لهم فخرجوا فلحقهم المشركون فاعطوهم الفتنة فنزلت فيهم هذه الاية الاخرى قوله ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله الاية فكتب المسلمون اليهم بذلك فخرجوا ويئسوا من كل خير ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وكتبوا اليهم بذلك ان الله قد جعل لكم مخرجا فخرجوا فلحقهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل وقال عكرمة نزلت هذه الاية في خمسة قتلوا يوم بدر وهم قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الاسود بن اسد وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاصي بن منبه بن الحجاج وعلي بن امية بن خلف قال النقاش في اناس سواهم اسلموا ثم خرجوا الى بدر فلما راوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم قال ابو محمد وكان العباس ممن خرج مع الكفار ولكنه نجا واسر وكان من المطعمين في نفير بدر قال السدي لما اسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس افد نفسك وابن اخيك فقال له العباس يا رسول الله الم نصل قبلتك ونشهد شهادتك قال يا عباس انكم خاصمتم فخصمتم ثم تلا عليه هذه الاية الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قال السدي فنزلت هذه الاية كان من اسلم ولم يهاجر الا من لا يستطيع حيلة ولا يهتدون سبيلا قال ع وفي هذا الذي قال السدي نظر والذي يجري مع الاصول ان من مات اولئك بعد ان قبل الفتنة وارتد فهو كافر ومأواه جهنم على جهة الخلود وهذا هو ظاهر امر تلك الجماعة وان فرضنا فيهم من مات مؤمنا واكره على الخروج او مات بمكة فانما هو عاص في ترك الهجرة مأواه جهنم على جهة العصيان دون خلود لكن لما لم يتعين احد انه مات على الايمان لم يسع ذكرهم في الصحابة ولم يعتد بما كان عرف منهم قبل ولا حجة للمعتزلة في شيء من امر هؤلاء على تكفيرهم بالمعاصي واما العباس فقد ذكر ابن عبد البر انه اسلم قبل بدر وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانما اخرج كرها قال ع وذكر انه انما اسلم وهو ما سور حين ذكر انه اسلم له النبي صلى الله عليه وسلم امر المال الذي ترك عند ام الفضل وذكر انه اسلم في عام خيبر وكان يكتب الى رسول الله صلى الله عليه باخبار المشركين وكان يحب ان يهاجر فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امكث بمكة فمقامك بها انفع لنا قال ع لكن عاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اسر على ظاهر امره وقوله تعالى توفاهم الملائكة يحتمل ان يكون فعلا ماضيا لم يستند بعلامة تانيث وتانيث لفظ الملائكة غير حقيقي ويحتمل ان يكون فعلا مستقبلا على معنى تتوفاهم فحذفت احدى التاءين ويكون في العبارة اشارة الى ما ياتي من هذا المعنى في المستقبل بعد نزول الاية وقرا ابراهيم توفاهم بضم التا قال ابو الفتح كانه يدفعون الى الملائكة ويحتسبون عليهم وتوفاهم بفتح التا معناه يقبض ارواحهم وحكى ابن فورك عن الحسن ان المعنى يحشرهم الى النار وظالمي انفسهم نصب على الحال اي ظالمين انفسهم بترك الهجرة قال الزجاج حذفت النون من ظالمين تخفيفا كقوله بالغ الكعبة وقول الملائكة فيم كنتم تقرير وتوبيخ وقوله هؤلاء كنا مستضعفين في الارض اعتذار

غير صحيح اذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبل ثم وقفهم الملائكة على دينهم وقولهم الم تكن ارض الله واسعة والارض في قول هؤلاء هي ارض مكة خاصة وارض الله هي الارض بالاطلاق والمراد فتهاجروا فيها الى موضع الامن وهذه المقالة انما هي بعد توفي الملائكة لارواح هؤلاء وهي دالة على انهم ماتوا مسلمين والا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا وانما اضرب عن ذكرهم في الصحابة لشدة ما واقعوه ولعدم تعين احد منهم بالايمان والاحتمال ردته وتوعدهم الله تعالى بان مأواهم جهنم ثم استثنى منهم من كان استضعافه على حقيقة من زمنى الرجال وضعفة النساء والولدان كعياش بن ابي ربيعة والوليد بن هشام وغيرهما قال ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين هي من النساء وانا من الولدان والحيلة لفظ عام لانواع اسباب التخلص والسبل سبل المدينة فيما ذكر مجاهد والسدي وغيرهما والصواب انه عام في جميع السبل ثم رجا الله تعالى هؤلاء بالعفو عنهم وعسى من الله واجبة اما انها دالة على فعل الامر المعفو عنه قال الحسن عسى من الله واجبة قال غيره هي بمنزلة الوعد اذ ليس يخبر بعسى عن شك ولا توقع قال ع وهذا يرجع الى الوجوب وقال اخرون هي على معتقد البشر اي ظنكم بمن هذه حالة ترجي عفو الله عنه والمراغم المتحول والمذهب كذا قال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم ومنه قول النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمهرب وقول الاخر الى بلد غير داني المحل بعيد المراغم والمضطرب وقال مجاهد المراغم المزحزح عما يكره وقال ابن زيد المراغم المهاجر وقال السدي المراغم المبتغى المعيشة قال ع وهذا كله هو تفسير بالمعنى فاما الخاص باللفظة فان المراغم موضع المراغمة وهي ان يرغم كل واحد من المتنازعين انف صاحبه بان يغلبه على مراده وكفار قريش ارغموا انوف المؤمنين بمكة فلو هاجر منهم مهاجر في ارض الله لارغم انوف قريش بحصوله في منعة منهم فتلك المنعة هي موضع المراغمة وكذلك الطود الذي ذكر النابغة من صعد فيه اما طالب له وتوقل فقد ارغم انف ذلك الطالب وقرا نبيح والجراح والحسن بن عمران مرغما بفتح الميم وسكون الراء دون الف قال ابو الفتح هذا انما هو على حذف الزوائد من راغم والجماعة على مراغم وقال ابن عباس والربيع والضحاك وغيرهم السعة هنا هي السعة في الرزق وقال قتادة المعنى سعة من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى وقال مالك السعة سعة البلاد قال ع والمشبه لفصاحة العرب ان يريد سعة الارض وكثرة المعاقل وبذلك تكون السعة في الرزق واتساع الصدر لهمومه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج ونحو هذا المعنى قول الشاعر لكان لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض ومنه قول الاخر وكنت اذا خليل رام قطعي وجدت وراي منفسحا عريضا وهذا المعنى ظاهر من قول الله تعالى الم تكن ارض الله واسعة وقال مالك بن انس رضي الله عنه الاية يعطي ان كل مسلم ينبغي ان يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق وقوله ومن يخرج من بيته الى قوله غفورا رحيما حكم باق في الجهاد والمشي الى الصلوة والحج ونحوه اما انه لا يقال ان نفس خروجه ونيته حصل في مرتبه الذي قضى ذلك الغرض والعبادة في الجملة ولكن يقال وقع بذلك اجر عظيم وروي ان هذه الاية نزلت بسبب رجل من كنانة وقيل من خزاعة من بني ليث وقيل من خدع لما سمع قول الله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال اني لذو مال وعبيد وكان مريضا فقال اخرجوني الى المدينة فاخرج في سرير فادركه الموت بالتنعيم فنزلت الاية بسببه واختلف في اسمه فحكى الطبري عن ابن جبير انه ضمرة بن العيص او العيص بن ضمرة بن زنباع وحكي عن السدي انه ضمرة بن جندب الضمري وحكي عن عكرمة انه جندب بن ضمرة الجندعي وحكي عن ابن جبير ايضا انه ضمرة بن بعض المدى من بني ليث وحكى ابو عمرو بن عبد البر ايضا انه ضمرة بن العيص وحكى المهدوي انه ضمرة بن نعيم وقيل ضمرة بن خزاعة وقراة الجماعة ثم يدركه بالجزم عطفا على يخرج وقراة طلحة بن سليمان وابراهيم النخعي فيما ذكر ابو عمرو ثم يدركه برفع الكاف قال ابو الفتح هذا رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ثم هو يدركه الموت فعطف الجملة من المبتداء والخبر على الفعل المجزوم بفاعله فهما اذا جملة وكانه عطف جملة على جملة وعلى هذا احمل يونس بن حبيب قول الاعشى ان تركبوا فركوب

الخيل عادتنا او يتركوا فانا معشر نزل المراد وانتم تنزلون وعليه قول الاخر ان يذنبوا
وناسي بفسيكم فا علي بذنب عندكم فوت المعنى ثم انتم ناسي وهذا اوجه من
ان يحمل على قول الاخر المرباسك والاساسي وقرا الحسن وقتاده وسنح والجراح
ثم يدركه بنصب الكاف وذلك على احمار ان كقول الاعشى لنا هضبة لا ينزل الذل
وسطها وتاوي اليها المستجير فيعصما اراد فان يعصم قال ابو الفتح وهذا ليس
بالسهل فانما بابه الشعر لا القران وانشد ابو زيد ساترك منزلي لبني تميم
والحق بالحجاز فاستريحا والاية اقوى من هذا لتقدم الشرط قبل المعطوف قال
ع ومن هذه الاية راى بعض العلماء ان من مات من المسلمين وقد خرج غازيا
فله سهمه من الغنيمة فاسوا ذلك على الاجر وقد تقدم معنى الهجرة فيما سلف
ووقع عبارة عن الثبوت وقوة اللزوم وكذلك وجب لان الوقوع والوجوب
نزول في الاجرام بقوة فشبه جزم المعاني بذلك وباقي الاية بين قوله عز وجل
واذا ضربتم في الارض الاية ضربتم معناه سافرتم فاهل الظاهر يرون القصر
في كل سفر يخرج عن الحضارة وهي من حيث تؤتى الجمعة وهذا قول ضعيف واختلف
العلماء في حد المسافة التي يقصر فيها الصلوة فقال مالك والشافعي واحمد بن حنبل
وابن راهويه يقصر الصلوة في اربعة برد وذلك ثمانية واربعون ميلا وحجتهم
احاديث رويت في ذلك عن ابن عمر وابن عباس وقال الحسن والزهري يقصر
الصلوة يومين ولم يذكروا اميالا وروى هذا القول عن مالك وروى عنه ايضا
نقصر الصلوة في يوم وليلة وهذه الاقوال الثلثة يتقارب في المعنى وروى عن
ابن عباس وابن عمر يقصر الصلوة في مسيره اليوم التام وقصر ابن عمر في ثلثين ميلا
وعن مالك في العتبية ممن خرج الى ضيعه على خمسة واربعين ميلا قال يقصر
وعن ابن القاسم في العتبية ان قصر في ثلثة وثلثين ميلا فلا اعادة عليه
وقال يحيى عن ابن عمر يعيد ابدا وقال ابن عبد الحكم في الوقت وقال ابن مسعود
وسفيان الثوري وابو حنيفه ومحمد بن الحسن من سافر مسيرة ثلث قصر قال
ابو حنيفه ثلثة ايام ولياليها سير الابل ومشي الاقدام وروي عن انس بن
مالك انه قصر في خمسة عشر ميلا قال الاوزاعي عامة العلماء في القصر على
مسيرة اليوم التام وبه ناخذ واختلف الناس في نوع السفر الذي يقصر فيه
الصلوة فاجمع الناس على الجهاد والحج والعمرة وما ضارعها من صلة رحم واحيا نفس
واختلف الناس فيما سوى ذلك فالجمهور على جواز القصر في السفر المباح كالتجارة
ونحوها وروي عن ابن مسعود انه قال لا يقصر الصلوة الا في حج او جهاد وقال عطا
لا يقصر الا في سفر طاعة وسبيل من سبل الخير وقد روي عن عطا انه يقصر في كل المباح
والجمهور من العلماء على انه لا قصر في سفر المعصية كالباغي وقاطع الطريق وما
في معناهما وروي عن الاوزاعي وابي حنيفه اباحة القصر في جميع ذلك وجمهور
العلماء على ان المسافر لا يقصر حتى يخرج من بيوت القرية وحينئذ هو ضارب في الارض وهو
قول مالك في المدونه وابن حبيب وجماعة المذهب قال ابن القاسم في المدونه ولم يحد
لنا مالك في القرب حدا وروي عن مالك اذا كانت قرية يجمع اهلها فلا يقصر
حتى يجاوزها بثلثة اميال والى ذلك في الرجوع وان كانت لا يجمع اهلها قصر اذا جاوز
بساتينها وروي عن الحارث بن ابي ربيعه انه اراد سفرا فصلى بهم ركعتين في منزله
وفيهم الاسود بن يزيد وغير واحد من اصحاب ابن مسعود وبه قال عطا بن ابي رباح
وسليمان بن موسى وروي عن مجاهد قال لا يقصر المسافر يوم الاول حتى الليل وهذا
شاذ وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينه اربعا والعصر بذي
الحليفة ركعتين وليس بينهما ثلث يوم ويظهر من قوله تعالى فليس عليكم جناح ان
يقصروا ان القصر مباح او مخير فيه وقد روى ابن وهب عن مالك ان المسافر مخير
وقاله الابهري وعليه حذاق المذهب وقال مالك في المبسوط ان القصر سنة و
هذا جمهور المذهب وعليه جواب المدونه بالاعادة في الوقت لمن اتم في سفره
وقال محمد بن سحنون واسماعيل القاضي القصر فرض وبه قال حماد ابن ابي سليمان وروي
نحوه عن عمر بن عبد العزيز وروي عن ابن عباس انه قال من صلى في السفر اربعا فهو
كمن صلى في الحضر ركعتين وحكى ابن المنذر عن عمر بن الخطاب انه قال الصلوة السفر ركعتان

ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم وقد خاب من افترى ويؤيد
هذا قول عايشه فرضت الصلوة ركعتين في السفر والحضر فاقرت صلوة السفر
وزيد في صلوة الحضر واختلف العلماء في قوله تعالى ان تقصروا من الصلوة فذهب
جماعة من العلماء الى انه القصر الى اثنتين من اربع وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه قال سال قوم من التجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
انا نضرب في الارض فكيف نصلي فانزل الله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم انقطع الكلام فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي
صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم
هولاء شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم اخرى في اثرها فانزل الله تعالى بين
الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا الى اخرها في صلوة الخوف وذكر الطبري في سرد
هذه المقالة حديث يعلى بن اميه قال قلت لعمر بن الخطاب ان الله تعالى يقول ان خفتم
وقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته قال الطبري وهذا كله قول حسن
الا ان قوله تعالى واذا كنت فيهم يؤذن بانقطاع ما بعدها مما قبلها فليس بترتيب من
لفظ الاية الا ان القصر مشروط بالخوف وفي قراة ابي بن كعب ان تقصروا من
الصلوة ان يفتنكم الذين كفروا بسقوط ان خفتم وثبتت في مصحف عثمان بن عفان
رضي الله عنه وذهبت جماعة اخرى الى ان هذه الاية انما هي مبيحة القصر في السفر
للخائف من العدو فمن كان امنا فلا قصر عليه وروي عن عايشه رضي الله عنها انها
كانت تقول في السفر اتموا صلوتكم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقصر فقالت انه كان في حرب وكان يخاف وهل انتم وقال عطا كان يتم الصلوة من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشه وسعد بن ابي وقاص واتم عثمان بن عفان
ولكن علل ذلك فعلل بغير هذه وكذلك علل اتمام عايشه ايضا بغير هذا وقال اخرون
ان القصر المباح في هذه الاية انما هو قصر الركعتين الى ركعة والركعتان في السفر انما هو
تمام وقصرها ان تصير ركعة قال السدي اذا صليت في السفر ركعتين فهو تمام والقصر
لا يحل الا ان يخاف فهذه الاية مبيحة ان يصلي كل طائفة ركعة لا يزيد عليها شيئا وتكون
للامام ركعتان وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال الركعتان في السفر تمام
غير قصر وانما القصر في صلوة المخافة يصلي الامام بطائفة ركعة ثم يجي هولاء
فيصلي بهم ركعة فيكون للامام ركعتان ولهم ركعة ركعة وقال بنحو هذا سعيد
بن جبير وجابر بن عبد الله وكعب من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفعله حذيفة
بطبرستان وقد ساله الامير سعيد بن العاصي ذلك وروى ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى كذلك في غزوة ذي قرد ركعة بكل طائفة ولم يقضوا وقال مجاهد
عن ابن عباس فرض الله الصلوة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي
الخوف ركعة وروى جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي كذلك باصحابه
يوم محارب خصفه وبني ثعلبه وروى ابو هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى
كذلك بين ضجنان وعسفان وقال اخرون هذه الاية مبيحة للقصر من حدود الصلوة
وهيئتها عند المسايفة واشتعال الحرب فابيح لمن هذه حاله ان يصلي ايماء براسه و
يصلي ركعة واحدة حيث توجه الى تكبيرتين الى تكبيرة على ما تقدم من اقوال
العلماء في تفسير قوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا ورجح الطبري هذا
القول وقال انه تعالى له قوله واذا اطماننتم فاقيموا الصلوة اي بحدودها
وهيئتها الكاملة وقرا الجمهور يقصروا بفتح الياء وضم الصاد وروى الضبي
عن اصحابه يقصروا بضم الياء وكسر الصاد وسكون القاف وقرا الزهري
يقصروا بضم الياء وفتح القاف وكسر الصاد وتشديدها ويفتنكم معناه
يمتحنكم بالحمل عليكم واشتغال نفوسكم في نفوسكم ونحو هذا قول صاحب
الحائط بعدما اصابني في مالي هذا فتنه واصل الفتنة الاختبار بالشدائد
والى هذا المعنى يرجع كيف تصرفت وعدو وصف يجري على الواحد والجماعة و
مبين مفعل من ابان والمعنى قد جلحوا من عداوتكم وراموكم كل مرام والله
اعلم قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة الاية قال جمهور

الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يتناول الامر بعده الى يوم القيمة وقال
ابو يوسف واسمعيل بن علية الاية خصوص للنبي صلى الله عليه وسلم لان الصلوة بامامة
النبي عليه السلام لا عوض منها وغيره من الامراء منه العوض فيصلى الناس بامامين
طائفة بعد طائفة ولا يحتاج الى غير ذلك قال ابو محمد وكذلك جمهور العلماء على ان صلوة
الخوف تصلى في الحضر اذا نزل الخوف وقال قوم لا صلوة خوف في حضر وقال في المذهب
عبد الملك بن الماجشون وقال الطبرى اقمت لهم معناه هيئتها وحدودها ولم تقصروا
على ما تبيح قبل في حال المسايفة وقوله فلتقم طائفة منهم معك امر بالانقسام اى وسايرهم
وجاه للعدو حذرا وتوقع حملته وتعظم الروات والاحاديث على ان صلوة الخوف انما
نزلت الرخصة فيها في غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب خصفة وفي بعض الروايات
انها نزلت في ناحية عسفان وضجنان والعدو خيل من قريش عليها خالد بن الوليد
واختلف من المامور باخذ الاسلحة هنا فقيل الطائفة المصلية وقيل الحارسة
قال ع ولفظ الاية يتناول الكل ولكن سلاح المصلين ما خف واختلفت الاثار
في هيئة صلوة النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلوة الخوف وبحسب ذلك اختلف
الفقهاء فروى يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عن سهل بن ابي حثمة
انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف يوم ذات الرقاع فصفت
وصفت طائفة معه وطائفة وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم
الركعة التي بقيت من صلوته ثم ثبت جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم وروى القاسم
بن محمد عن صالح بن خوات عن سهل هذا الحديث بعينه الا انه روى ان النبي صلى الله
عليه وسلم حين صلى بالطائفة الاخيرة ركعة ثم سلم ثم قضوا بعد سلامه وبهذا الحديث
اخذ مالك رحمه الله في صلوة الخوف كان اولا يميل الى رواية يزيد بن رومان ثم رجع الى رواية
القاسم بن محمد بن ابي بكر وروى مجاهد وغيره عن ابي عياش الزرقي واسمه زيد بن الصامت
على خلاف فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلوة الخوف بعسفان والعدو في قبلته
قال فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقال المشركون لقد كانوا على حال لو اصبنا
غرتهم فقالوا ياتي الان عليهم صلوة هي احب اليهم من ابنائهم وانفسهم قال فنزل جبريل
عليه السلام بين الظهر والعصر بهذه الايات واخبره خبرهم ثم قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصف العسكر خلفه صفين ثم كبر وكبروا جميعا ثم ركع فركعنا
جميعا ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه و
الاخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا سجد الاخرون في مكانهم ثم يتقدموا الى
مصاف المتقدمين وتاخرون المتقدمون الى مصاف المتاخرين ثم ركع فركعوا جميعا
ثم رفع فرفعوا جميعا ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم فسجد الصف الذي يليه فلما سجد
سجد الاخرون ثم سلم فسلموا جميعا ثم انصرفوا قال عبد الرزاق بن همام في مصنفه و
في مصنفه وروى الثورى عن هشام مثل هذا الا انه قال ينكص الصف المتقدم
القهقرى حين يرفعون رؤسهم من السجود ويتقدم الاخرون فيسجدون في
مصاف الاولين قال عبد الرزاق عن معمر عن خلاد بن عبد الرحمن عن مجاهد
قال لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف الا مرتين مرة بذى الرقاع
من ارض بنى سليم ومرة بعسفان والمشركون بضجنان بينهم وبين القبلة
قال ابو محمد وظاهر اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم تقتضى
انه صلى صلوة الخوف في غير هذين الموطنين وذكر ابن عباس انه كان في
غزوة ذى قرد صلوة خوف وروى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى باحدى الطائفتين ركعة والاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا فقاموا في
مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم
ركعة ثم سلم ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة في حين واحد وبهذه الصفة
في صلوة الخوف اخذ اشهب رحمه الله ومشى على الاصل في ان لا يقضى احد قبل
زوال حكم الامام وكذلك لابي ذكر هذا عن اشهب جماعة منهم ابن عبد
البر ويونس وغيرهما وحكى اللخمى عنه ان مذهبه ان يصلى الامام بطائفة
ركعة ثم ينصرفون تجاه العدو وياتي الاخرى فيصلى بهم ركعة ثم يسلم والقوم
التي معه يقضى فاذا فرغوا منه ساروا تجاه العدو وقضت الاخرى وهذه

سنة

سنة رويت عن ابن مسعود ورجح ابن عبد البر القول بما روى عن ابن عمر وروى
ان سهل بن ابي حثمة قد روى عنه مثل ما روى عن ابن عمر سوا وروى حذيفة حين حكى
صلوة النبي صلى الله عليه وسلم في الخوف ان صلى بكل طائفة ركعة ولم يقض احد
من الطائفتين شيا زايدا على ركعة وذكر ابن عبد البر وغيره عن جابر بن عبد الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بكل طائفة ركعتين فكانت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اربع ركعات ولكل رجل ركعتان وبهذا كان يفتي الحسن بن ابي الحسن
وهو غيره كل من اجاز اختلاف نية الامام والماموم في الصلوة وقال اصحاب
الراي اذا كانت صلوة المغرب يفتتح الامام الصلوة ومعه طائفة وطائفة ما
وراء العدو فيصلى بالتي معه ركعتين ثم يصيرون الى ازاء العدو وياتي الاخرى
فيدخلون مع الامام فيصلى بهم ركعة ثم يسلم وحده ثم يقومون في الصلوة الى ازاء
العدو وياتي الطائفة التي صلت مع الامام الركعتين الى مقامهم الاول في الصلوة
فيقضون ركعة وسجدتين وحدانا ويسلمون ثم يجيئون الى ازاء العدو وينصرف
الطائفة الاخرى الى مقام الصلوة فيقضون ركعتين بقراءة وحدانا ايضا
ويسلمون وكملت صلوتهم قال ع وهذا طرد قول اصحاب الراى في سائر الصلوات
وسال مروان بن الحكم ابا هريرة هل صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة
الخوف قال ابو هريرة قال نعم قال مروان متى قال ابو هريرة عام غزوة نجد
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صلوة العصر فقامت معه طائفة وطائفة
اخرى مقابل العدو وظهورهم الى القبلة وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكبروا جميعا الذين معه والذين بازاء العدو ثم ركع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وركع الذين معه وسجدوا كذلك ثم قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصارت الطائفة التي كانت معه الى ازاء العدو واقبلت الطائفة
التي كانت بازاء العدو ركعوا وسجدوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم
كما هو ثم قاموا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة اخرى وركعوا معه
وسجد فسجدوا معه ثم اقبلت الطائفة التي كانت بازاء العدو فركعوا وسجدوا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ثم كان السلام فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلموا جميعا واسند ابو داود في مصنفه عن عائشة رضي الله عنها صفة
في صلوة النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف تقرب مما روى ابو هريرة وتخالفها
في اشيا الا انها صفة في الفاظها تداع وتناقض فلذلك اختصرتها ومجموع
ما ذكرنا في صلوة الخوف من لدن قول ابي يوسف وابن علية احد عشر قولا
منع صلوة الخوف لكونها خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم وبكسر صفات على القول
المشهور بانها باقية للامراء قوله عز وجل فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم
الجزولة مهينا الضمير في سجدوا للطائفة المصلية والمعنى فاذا سجدوا معك
الركعة الاولى ولينصرفوا هذا على بعض الهيئات المروية وقيل المعنى فاذا
سجدوا ركعة القضاء وهذا على هيئة سهل بن ابي حثمة والضمير في قوله
فليكونوا يحتمل ان يكون للذين سجدوا ويحتمل ان يكون للطائفة القائمة اولا
بازاء العدو ويجي الكلام قضاء في حال الكدر والحرب وقراء الحسن
وابن ابي اسحق تلتقم بكسر اللام وقرا الجمهور والتاء وقرا ابو حيوة
وليات بالياء وقوله ود الذين كفروا الاية اخبار عن معتقد القوم
ايضا وتحذير من الغفلة لئلا ينال العدو امله واسلحة جمع سلاح
وفي قوله تعالى ميلة واحدة مبالغة اى مستاصلة لا يحتاج معها الى ثانية
وقوله ولا جناح عليكم الاية ترخيص قال ابن عباس نزلت بسبب عبد الرحمن بن عوف
كان مريضا فوضع سلاحه فعنفه بعض الناس قال ع كانهم تلقوا الامر باخذ السلاح
على الوجوب فرخص الله تعالى في هاتين الحالتين وينقاس عليهما كل عذر يحدث في
ذلك الوقت ثم قوى الله تعالى نفوس المؤمنين بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا
مهينا قوله تعالى فاذا قضيتم الصلوة الى قوله وكان الله عليما حكيما الاية ذهب
جمهور العلماء الى ان هذا الذكر المامور به انما هو اثر صلوة الخوف على حد ما امروا
عند قضاء المناسك لا امر الله فهو ذكر باللسان وذهب قوم الى ان قضيتم بمعنى

فعلتم ايماذا تلبستم بالصلوة فلتكن على هذه الهيات بحسب الضرورات المرض وغيره وبحسب هذه الاية رتب المواز صلوة المريض فقال يصلي قاعدا وان لم يطق فعلى جنبه فعلى جنبه الايمن فان لم يطق فعلى الايسر فان لم يطق فعلى الظهر ومذهب مالك في المدونة التخيير لانه قال فعلى جنبه او على ظهره وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم انه قال يبتدئ بالظهر ثم بالجنب قال ابن حبيب وهو وهم قال اللخمي وليس بوهم بل هو احكم في استقبال القبلة وقال سحنون يصلي على جنب الايمن كما يجعل في قبره فان لم يقدر فعلى ظهره والطمانينة في الاية سكون النفس من الخوف وقال بعض المتاولين المعنى والا رجعتم من سفركم الى الحضر فاقيموها تامة اربعا وقوله كتابا موقوتا معناه منجما في اوقات هذا ظاهر اللفظ وروي عن ابن عباس ان المعنى فرضا مفروضا فهما لفظان بمعنى واحد كرر مبالغة وقوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم سبب ان القصص للمشار اليه قبل انما هو قضا صلوة الخوف وتهنوا معناه تلينوا وتضعفوا حل واهن اي ضعيف ومنه وهن العظم وابتغاء القوم طلبهم وقرا عبد الرحمن الاعرج ان تكونوا بفتح الالف وقرا يحيى بن وثاب ومنصور بن المعتمر تيلمون في الدلالة وهي لغة وهذا تشجيع لنفوس المؤمنين وتحقير لامر الكفرة ومن نحو هذا قول الشاعر القوم امثالكم لهم شعر في الراس لا ينصرون ان قتلوا ثم تاكد التشجيع بقوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون وهذا برهان بين ينبغي بحسبه ان تقوى نفوس المومنين وباقي الاية بين قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الاية الى قوله خوانا اثيما في هذه الاية تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتفويض اليه وتقويم ايضا على الجادة في الحكم وتانيس ما على قبول ما رفع الله اليه في امر بني ابيرق لسرعة وقوله تعالى بما اراك الله معناه على قوانين الشرع اما بوحي ونص او بنظر جار على سنن الوحي وقد تضمن الله تعالى لانبيائه العصمة وقوله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله الاية سببها باتفاق من المتاولين امر بني ابيرق وكانوا اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا يهجو اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحل الشعر غيره وكان المسلمون يقولون والله ما هو الا شعر الخبيث فقال شعرا ينصل فيه منه قوله اوكلما قال الرجال قصيدة نحلت وقالوا ابن الابيرق قالها قال قتادة بن النعمان وكانوا بنو الابيرق اهل فاقة فابتاع عمي حملا من درمك الشام فجعله في مشربة له وفي المشربة درعان وسيفان فعدي على المشربة من الليل فنقبت واخذ الطعام والسلاح فلما اصبح اتاني عمي رفاعة فقال يا ابن اخي تعلم انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا فتحسسنا في الدار وسالنا فقيل لنا قد راينا بني ابيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نراه الا بعض طعامكم قال وقد كان بنو الابيرق قالوا ونحن نسال والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل منا له صلاح واسلام فسمع ذلك لبيد فاخترط سيفه ثم اتى بني ابيرق وقال والله ليخالطنكم هذا السيف او لتبينن هذه السرقة قالوا اليك عنا ايها الرجل فوالله ما انت بصاحبها فسالنا في الدار حتى لم نشك انهم اصحابها فقال لي عمي يا ابن اخي لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بهذه القصة فاتيته فاخبرته وقصصتها عليه فقال انظر في ذلك فلما سمع ذلك بنو ابيرق اتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة وكلموه في ذلك واجتمع اليه ناس من اهل الدار فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان واهله عمدوا الى اهل بيت منا اهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة على غير بينة قال قتادة فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال عمدت الى اهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة عن غير بينة قال فرجعت وقد وددت ان اخرج عن بعض مالي ولم اكلمه فاتيت عمي فقال ما صنعت فاخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله المستعان فلم يلبث ان نزل القران انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الايات قال فالخائنون بنو ابيرق والبريء المرمي لبيد بن سهل والطائفة التي همت اسير واصحابه قال ع وقال قتادة وغير واحد من المتاولين هذه القصة ونحوها انما كان صاحبها طعمة بن ابيرق ويقال فيه طعمة وقال السدي القصة في طعمة بن ابيرق لكن بان اسودعه يهودي درعا فجحده اياها وخانه فيها فطرحها في دار ابي مليك الانصاري واراد ان يرميه بسرقتها لما اصبح وابو مليك هو البريء المشار اليه وقال عكرمة سرق طعمة بن ابيرق درعا من مشربة ورمى

لسرقها

لسرقها رجلا من اليهود يقال له زيد السمين قال ع وجملة هذا يستدير على ان قوم طعمة بن ... النبي عليه السلام وكلموه في ان يذب عن طعمة ويدفع الدعوى عنه وقذفوا هم عنه ومنهم من يعلم انه سرق وكانت هذه معصية من مومنيهم وخلق معضود من منافقيهم فعصم الله رسوله من ذلك ونبهه على مقالة لقتادة بن النعمان بقوله ولا تكن للخائنين خصيما قال ع وطعمة بن ابيرق صرح بعد ذلك بالارتداد وهرب الى مكة ونزل على سلافة فرماها حسان بن ثابت بشعر فاخذت رحل طعمة ورمته بالابطح وقالت اخرجت عنا اهديت الينا شعر حسان فروي انه نزل على الحجاج بن علاط وسرقه وطرده وروي انه نقب حائطا ثبت للسرقة فانهدم الحائط عليه فقتله ويروى انه اتبع قوما من العرب فسرقهم فقتلوه وقوله واستغفر الله ذهب الطبري الى ان المعنى استغفر من ذنبك في خصامك للخائنين قال ع وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله عليه وسلم انما دافع على الظاهر وهو يعتقد براءتهم والمعنى استغفر للمذنبين من امتك والمتخاصمين في الباطل لا ان يكون ذا جدال عنهم فهذا حدك ومحلك من الناس ان تسمع من المتداعيين ويقضي بنحو ما يسمع ويستغفر للمذنب وقوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم لفظ عام يندرج طيه اصحاب النازلة ويتقرر به توبيخهم وقوله تعالى ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما رفق وابقا فان الخوان هو الذي يتكرر منه الخيانة والاثيم هو الذي يقصدها فيخرج من هذا التشديد الساقط مرة واحدة ونحو ذلك مما يجي من الخيانة بغير قصد او على غفلة واحسان الانفس هو ما يعود عليها من الاثم والعقوبة في الدنيا والاخرة قوله تعالى يستخفون من الناس الاية الضمير في يستخفون للصنف المرتكب المعاصي مستترين بذلك عن الناس مباهتين لهم واندرج في طي هذا العموم ودخل تحت هذه الانحا اهل الخيانة في النازلة المذكورة واهل التعصب لهم والتدبير في خدع النبي صلى الله عليه وسلم والتلبيس عليه ويحتمل ان يكون الضمير لاهل هذه النازلة ويدخل في معنى التوبيخ كل من فعل نحو فعلهم ومعنى وهو معهم بالاحاطة والعلم والقدرة ويبيتون يدبرون ليلا وان طلقته العبارة على كل استقرار بهذا اذ الليل مظنة الاستتار والاختفاء قال الطبري وزعم بعض الطائيين ان التبييت في لغتهم التبديل وانشد الاسود بن عامر بن جوين الطائي معاتبا وبيت قولي عند المليك قاتلك الله عبدا كنودا وقال ابو زيد يبيتون معناه يولفون ويحتمل ان يكون اللفظة ماخوذة من البيت اي يستترون في تدبيرهم بالجدرات قوله تعالى ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم الاية قد تقدم وجوه القراءات في ها انتم في سورة ال عمران والخطاب بهذه الاية للقوم الذين يتعصبون لاهل الريب والمعاصي ويندرج في هذا العموم اهل النازلة ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل التعصب في هذه النازلة وهو الاظهر عندي بحكم التاكيد بهؤلاء وهي اشارة الى حاضرين وقد تقدم اعراب مثل هذه الاية في سورة ال عمران والمجادلة المدافعة بالقول وهي من فتل الكلام وليه اذ الجدل الفتل وقوله تعالى فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة وعيد محض اي ان الله يعلم حقيقة الامر فلا يمكن ان يلبس عليه بجدال ولا غيره كما فعلتم بالنبي عليه السلام اذ هو بشر يقضي على نحو ما يسمع ولما تمكن هذا الوعيد وقضت العقول بان لا مجادل لله فلا وكيل يقوم بامر العصاة عنده عقب ذلك هذا الرجا العظيم والمهل المنفسح بقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله الاية وقوله او يظلم نفسه مع من عمل السوء وهما بمعنى واحد تكرر باختلاف لفظ مبالغة واستغفار الله تعالى مع التحقيق في ذلك توبة وقوله يجد الله استعارة لما كانت الرحمة والغفران معدة للمستغفرين التائبين كانوا كالواجدين لمطلوب وكانت التوبة ورود على رحمة الله وقرب من الله وقال عبد الله بن مسعود يوما في مجلسه كان بنو اسرائيل اذا اصاب احدهم ذنبا اصبح قد كتب كفارة ذلك الذنب على بابه واذا اصاب البول شيئا منه قرضه بالمقراض فقال رجل من القوم لقد اتى الله بني اسرائيل خيرا فقال عبد الله ما اتاكم خير مما اتاهم جعل لكم الماء طهورا وقال ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية وهذه اية وعد بشرط المشيئة على ما يقتضيه عقيدة اهل السنة وفضل الله مرجو وهو المستعان قوله عز وجل ومن يكسب اثما الى قوله عظيما تقدم القول

فى معنى الكسب والاثم الحكم اللاحق عن المعصية ونسبة المرء الى العقوبة فيها وقوله
فانما يكسبه على نفسه اى اياها يوذى وبها يحل المكروه وقوله خطيئة او اثما ذهب
بعض الناس الى انهما لفظان بمعنى كرر لاختلاف اللفظ وقال الطبرى انما فرق بين
الخطيئة والاثم ان الخطيئة تكون من عمد وغير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد وهذه الاية
لفظها عام ويندرج تحت ذلك العموم وتوبيخ اهل النازلة المذكورة ورمى النازلة
قيل هو لبيد بن سهل وقيل هو زيد بن السمين اليهودى وقيل لسويلبل الانصارى وقوله
تعالى فقد احتمل تشبيه اذ الذنوب ثقل وورد هى كالمحمولات بهتانا معناه كذبا على
البرى ومنه قول النبى عليه السلام اذا قلت فى احد مما فيه مما يكره سماعه فقد
اغتبته فان قلت ما ليس فيه فقد بهته فرمى البرى بهت له ونفس الخطيئة والاثم
اثم مبين ومعصية هذا الرامى بتعصيان ثم وقف الله نبيه على مقدار عصمته له و
انها بفضل من الله ورحمة وقوله تعالى لهمت معناه لجعلته همها وشغلها حتى
سعديه فهذا يدل على ان الالفاظ عامة فى غير اهل النازلة والا فاهل التعصب لبنى ابيرق
قد وقع همهم وثبت وانما المعنى ولولا عصمة الله لك لكان فى الناس من يشتغل باضلالك
ويجعله هم نفسه اى كما فعل هؤلاء لكن العصمة تبطل كيد الجميع فتبقى الضلال فى حيزهم ثم
ضمن وعد الله تعالى له انهم لا يضرونه شيئا وقرر عليه نعمه لديه من انزال الكتاب المتلو
والحكمة التى بعضها خوطب به وبعضها جعلت له سجيته سلكها وقريحة يعمل عنها وينظر
بين الناس بها لا ينطق عن الهوى ويهدى علمه ما لم يكن يعلم وباقى الاية بين قوله تعالى
لا خير فى كثير من نجواهم الى قوله ضلالا بعيدا الضمير فى نجواهم عائد على الناس اجمع
وجاءت هذه الايات عامة التناول وفى عمومها يندرج اصحاب النازلة وهذا
من الفصاحة والايجاز المضمن بالماضى والغابر فى عبارة واحدة والنجوى مصدر
وقد يسمى به الجماعة كما يقال قوم عدل ورضى ويحتمل اللفظة فى هذه الاية ان يكون الجماعة
وان يكون المصدر نفسه وان قدرناها الجماعة والاستثناء متصل كانه قال لا
خير فى كثير من جماعاتهم المنفردة المسارة الا من وان قدرنا المصدر اللفظ
نفسه كانه قال خير فى كثير من تناجيهم فالاستثناء منقطع بحكم اللفظ ومقدر
الصالة على حذف المضاف كانه قال الا نجوى من قال بعض المفسرين النجوى كلام الجماعة
المنفردة كان ذلك سرا اوجهرا قال ابو محمد انفراد الجماعة ضرب من الاستسرار
والغرض المقصود ان النجوى ليس مقصورة على الهمس فى الاذن ونحوه والمعروف لفظ
نعم الصدقة والاصلاح ولكن حصا بالذكر اهتماما بهما اذ هما عظيما الغنا فى مصالح
العباد ثم وعد تعالى بالاجر العظيم على فعل هذه الخيرات بنية وقصد لرضاء الله
تعالى وابتغاء نصب على المصدر وقرا ابن كثير ونافع وعاصم والكسائى فسوف نؤتيه
بالنون وقرا ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء والقراءتان حسنتان وقوله ومن يشاقق
الرسول الاية لفظ عام نزل بسبب طعمة بن ابيرق لانه ارتد وسار الى مكة فاندرج الاخبار
عليه فى طى هذا العموم المتناول لمن اتصف بهذه الصفات الى يوم القيمة وقوله تعالى
ما تولى وعيد بان يترك مع واسد اختياره من ترك الطاغوت وقرا ابن ابى عبلة توله ونصله
بالياء فيهما ثم اوجب تعالى انه لا يغفر ان يشرك به وقد مضى تفسير مثل هذه الاية وما
يتصل بها من المعتقد والبعد فى صفة الضلالة مقتضى بعد الرجوع الى المحجة السمحاء وتعذره
وان بقى عن مستحيل قوله تعالى ان يدعون من دونه الا اناثا الى قوله نصيبا مفروضا الضمير فى
ان يدعون عائد على من تقدم ذكره من الكفرة فى قوله ومن يشاقق الرسول وان نافية بمعنى ما
ويدعون عبارة مغنية موجزة فى معنى يعبدون ويتخذون آلهة وقرا ابو رجا العطاردى ان
تدعون بالتاء من فوق ورويت عن عاصم واختلف فى معنى الاناث فقال ابو مالك والسدى
وغيرهما ذلك لان العرب كانت تسمى اصنامها باسماء مؤنثة كاللات والعزى ومناة ونائلة
قال ع ويرد على هذا انها كانت تسمى باسماء مذكرة كثيرة وقال الضحاك وغيره المراد ما كانت
العرب يعتقده من تانيث الملائكة وعبادتهم اياها فقيل لهم هذا على اقامة الحجة من
فاسد قولهم وقال ابن عباس وقتاده المراد الخشب والحجارة وهى مؤنثات لا يعقل
فخبر عنها كما خبر عن المؤنث من الاشياء فيجى قوله تعالى الا اناثا عبارة عن الجمادات
وقيل انما هذا لان العرب كانت تسمى الصنم انثى فيقولون انثى بنى فلان قال ابو محمد وهذا
على اختلافه يقتضى تعييرهم بالتانيث فان التانيث نقص وخساسة بالاضافة الى

التذكير

التذكير وقيل معنى اناثا اوثانا وهى فى مصحف عايشة ان تدعون من دونه الا اوثانا وقرا
ابن عباس مما رواه عنه ابو صالح الا اثنا يريد وثنا فابدل الهمزة واوا وهو جمع جمع
على ما حكى بعض الناس كانه جمع وثنا على وثان كجمل وجمال ثم جمع وثانا على وثن كرهان
ورهن وكمال ومثل قال ابو محمد وهذا خطاء لان فعالا فى جمع فعال انما هو للتكثير
والجمع الذى هو للتكثير لا يجمع وانما يجمع جموع التقليل والصواب ان يقول وثن
جمع وثن دون واسطة كاسد واسد قال ابو عمرو وبهذا قرا ابن عمر وابن المسيب
ومسلم بن جندب وعطا وروى عن ابن عباس انه قرا الا وثنا بفتح الواو والثا
على افراد اسم الجنس وقرا ابن عباس ايضا وثنا بضم الثا والواو وقرات فرقة الا وثنا
وقرات فرقة الا اثنا بسكون الثا وقرا النبى صلى الله عليه وسلم الا انثا بتقديم النون
وهو جمع انيث كغدير وغدر ونحو ذلك وحكى الطبرى انه جمع اناث كثمار وثمر حكى هذه
القراءة عن النبى صلى الله عليه وسلم ابو عمرو الدانى قرا او قرا بها ابن عباس وابو حيوة
والحسن واختلف فى المعنى بالشيطان فقالت فرقة هو الشيطان المقترن بكل صنم
فكانه موحد باللفظ جمع بالمعنى لان التوحيد لعلى الجنس وقال الجمهور المراد ابليس هذا
هو الصواب لان سائر المقالة يليق ومريدا معناه متمادى صلبا فى غوايته وهو فعيل
من مرد اذا عتا وعلا فى الجرامة وتجرد للشر والغواية واصل اللعن الابعاد وهو
فى العرف ابعاد مقترن بسخط وغضب ويحتمل ان يكون لعنه صفة للشيطان ويحتمل
ان يكون خبرا عنه والمعنى متقارب على الوجهين وقوله عز وجل وقال لاتخذن من
عبادك الاية التقدير وقال الشيطان والمعنى لاستخلصنهم لغوايتى ولاحصنهم
باضلالى وهم الكفرة والعصاة والمفروض فى هذا الموضع المنحاز وهو ماخوذ من
الفرض وهو الحز فى العود وغيره ويحتمل ان يريد واجبا ان اخذه وبعث النار هو نصيب
ابليس والله اعلم قوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم الى قوله ومن اصدق من الله
قيلا لاضلنهم معناه اصرفنهم عن طريق الهدى ولامنينهم اى اسولن لهم
قال ع وهذا لا ينحصر الى نوع واحد من الامنية لان كل واحد فى نفسه
انما يمنيه بقدر رغبته وقرا ابن حاله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
يقول لمن يركب ولا يذكر الله تعالى تغن فان لم يحسن قال له تمن واللامات كلها
للقسم والبتك وكثر الفعل اذ القطع كثير على انحاء مختلفة وانما كنى عز وجل
عن البحيرة والسائبة ونحوه كانوا يستون فيه حكما بسبب آلهتهم وبغير
ذلك وقرا ابو عمرو بن العلاء ولامرنهم بغير الف وقرا ابى واضلهم وامنيهم
وامرهم واختلف فى معنى تغيير خلق الله فقال ابن عباس وابراهيم ومجاهد والحسن
وقتادة وغيرهم اراد يغيرون دين الله وذهبوا فى ذلك الى الاحتجاج بقوله عز وجل
فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله اى لدين الله والتبديل يقع
موضعه التغيير وان كان التغيير اعم منه وقالت طائفة تغيير خلق الله هو ان
الله تعالى خلق الشمس والنار والحجارة وغيرها من المخلوقات لتعتبر بها وينتفع بها
فغيرتها الكفار بان جعلتها آلهة معبودة وقال ابن عباس ايضا وانس وعكرمة
وابو صالح من تغيير خلق الله الاخصاء والاخصاء سبارة الى الاخصاء الهائم وما شاكلها
فهى عندهم ليستا ممنوعة فتحصل فى احصائها ثم جماعة اذ لقصد به المنفعة اما
لسمن او غيره رخصها عمر بن عبد العزيز فى الخيل وقال ابن مسعود والحسن وهى
اشارة الى الوشم وما جرى مجراه من التصنع للحسن فمن ذلك الحديث لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات
المغيرات خلق الله ومنه قوله عليه السلام لعن الله الواصلة والمتوصلة قال ع وملاك
تفسير هذه الاية ان كل تغيير ضار فهو فى الاية وهو كل تغيير نافع فهو مباح ولما ذكر الله
تعالى عتو الشيطان وما توعد به من ذنب مكره حذره تبارك وتعالى عباده بان
شرط لمن يتخذه ولياحا الخسران وتصور الخسران انما هو بان ياخذ هذا المتخذ حظ
الشيطان فكانه اعطى حظ الله فيه وتركه من اجله وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم
المعنى يعدهم باباطيله من المال والجاه وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك لكل ما يليق
بحاله ويمنيهم كذلك ثم ابتداء تعالى الخبر عن حقيقة ذلك بقوله وما يعدهم الشيطان
الا غرورا ثم اخبر تعالى بمصير المتخذين الشيطان وليا وتوعدهم بان ماواهم جهنم

لا يدلقعونها بحيله ولا يعدلون عنها ولا ينحرفون ولا يروغون والمحيص مفعل من حاص
اذا ذاع ونفر ومنه قول الشاعر ولم ندر ان حصنا من الموت حيصة كم العمر باق والمدا
متطاول ومنه الحديث فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب يقال حاص الرجل
من كذا وجاض بالجيم والضاد المنقوطة اذا ذاع سفورا ولغة القران الحا والصاد
غير منقوطة ولما اخبر تعالى عن الكفار الذين يتخذون الشيطان وليا واعلم بغرور
وعد الشيطان لهم واعلم بصيور امرهم وانه الى جهنم فاقتضى ذلك كله التحذير اعقب
ذلك عز وجل بالترغيب في ذكره حالة المؤمنين واعلمهم بصيور امرهم وانه الى النعيم
المقيم واعلم نهجه ووعده تعالى لهم ثم قرر ذلك بالتوقيف عليه في قوله ومن اصدق
من الله قيلا والقيل والقول واحد ونصبه على التمييز وقرات فرقة سندخلهم
بالنون وقراة فرقة سيدخلهم بالياء ووعد الله نصب على المصدر وحقا
مصدر ايضا مؤكد لما قبله والله اعلم **قوله عز وجل** ليس بامانيكم الى قوله حليلا
اسم ليس مضمر والاماني جمع امنيه ووزنها افعولة وهي ما يتمناه المرء ويطمع
نفسه فيه ويجمع على افاعيل ويجتمع يا ان فلذلك يدغم احدهما في الاخرى فيجي مشددة
وهي قراة الجمهور وقرا الحسن برأي الحسن وابو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح والحكم
والاعرج ليس بامانيكم ساكنة اليا وكذلك في اليا بنه قال الفرا هذا جمع على افاعيل
كما يقال قراقير وقراقر الى غير ذلك واختلف الناس فيمن المخاطب بهذه الاية فقال ابن عباس
والضحاك وابو صالح ومسروق وقتاده والسدي وغيرهم الخطاب لامة محمد صلى الله
عليه وسلم قال بعضهم وسبب الاية ان المؤمنين اختلفوا مع قوم من اهل الكتاب
ديننا اقدم من دينكم وافضل ونبينا قبل نبيكم فنحن افضل منكم وقال المؤمنون
كتابنا يقضي على الكتب ونبينا خاتم النبيين ونحو هذا من المحاورة فنزلت الاية
وقال مجاهد وابن زيد بل الخطاب لكفار قريش وذلك انهم قالوا لن نبعث ولا
نعذب فانما هي حياتنا الدنيا لنا فيها النعيم ثم لا عذاب وقالت اليهود نحن ابناء
الله واحباؤه الى نحو هذا من الاقوال كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى او غيره فرد الله تعالى على الفريقين بقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
ثم ابتداء الخبر الصادق من قبله بقوله من يعمل سوءا يجز به وجاء هذا اللفظ عاما
في كل سوء فاندرج تحت عمومه الفريقان المذكوران واختلف المتاولون في تعميم
لفظ هذا الخبر فقال الحسن بن ابي الحسن هذه الاية في الكفار وقرا وهل نجازي الا
الكفور قال والاية يعني بها الكفار ولا يعني بها اهل الصلوة وقال والله ما جازى الله
احدا بالخير والشر الا عذبه ولكنه يغفر ذنوب المؤمنين وقال ابن زيد في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به وعد الله المؤمنين ان يكفر عنهم سيئاتهم ولم يعد اولئك يعني
المشركين وقال الضحاك من يعمل سوءا يجز به بذلك اليهود والنصارى والمجوس وكفار
العرب **قال ع** فهذا تخصيص للفظ الاية وراى هؤلاء ان الكافر يجزى على كل سوء يعمله
وان المؤمن قد وعده الله تكفير سيئاته وقال ابن عباس وسعيد بن جبير قوله تعالى
من يعمل سوءا معناه من يك مشركا والسوء هنا الشرك **قال ع** فهذا تخصيص لعموم
اللفظ من جهة اخرى لان اولئك خصصوا لفظ من وهذان خصصا لفظ السوء
وقال جمهور الناس لفظ الاية عام والكافر والمؤمن يجازى بالسوء يعمله فاما مجازاة
الكافر فالنار لان كفره اوبقه واما المؤمن فبنكبات الدنيا وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قلت يا رسول الله ما اشد هذه الاية قال
يا ابا بكر اما تحزن اما تمرض اما تصيبك اللاواء فهذا بذلك وقال عطا ابن ابي رباح لما
نزلت هذه الاية قال ابو بكر جاءت قاصمة الظهر فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هي
المصيبات في الدنيا وقال بمثل هذا التاويل عايشه رضي الله عنها وقاله ابي ابن كعب
وساله الربيع ابن زياده من معنى الاية وكانه جاوها فقال له اي ما كنت اظن الا انك
افقه مما ارى ما نصيب الرجل خدش ولا عثره الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر **قال
ع** فالعقيده في هذا ان الكافر يجازى والمؤمن يجازى في الدنيا غالبا فمن بقي له سوء الى الاخرة
فهو في المشية يغفر الله لمن يشاء ويجازي من يشاء وقرا الجمهور ولا يجد بالجزم عطفا
على يجز وروى ابن بكار عن ابن عامر ولا يجد بالرفع على القطع **وقوله من دون** لفظة
تقتضي عدم المذكور بعدها من النازله ويفسرها بعض المفسرين بغير وهو تفسير

لا يطرد

لا يطرد وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات دخلت من للتبعيض اذ الصالحات على الكمال
مما لا يطيقه البشر ففي هذا رفق بالعباد لكن في هذا البعض الفرايض وما امكن من
المندوب اليه ثم قيد الامر بالايمان اذ لا ينفع عمل دونه وحكى الطبري عن قوم ان
من زائدة وضعفه كما هو ضعيف وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يدخلون
الجنة بفتح اليا وضم الخاء وكذلك حيث جاء من القران وروي مثل هذا عن عاصم
وقرا ابو عمرو في هذه الاية وفي مريم والملائكة وفي المؤمن يدخلون بضم اليا وفتح
الخاء وقرا بفتح اليا من سيدخلون جهنم داخرين **والنقير** النكتة التي في ظهر
نواة التمرة ومنه تنبت وروي عن ابن عباس انه النقير ما نقرة باصبعك
وهذا كله للتحقير اليسير **قال ع** بعد الرد على اهل الاماني واهل الاحبار تحقيقه
الامر اخبر تعالى اخبارا موقفا على انه لا احد احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
اي اخلص مقصده وتوجهه واحسن في اعماله واتبع الحنيفية التي هي ملة
ابراهيم بانه الذي يجب اتباعه شرفه بذكر الخلة وابراهيم عليه السلام سماه
سماه خليلا اذ كان خلوصه وعبادته واجتهاده على الغاية التي تجري اليها
المحب المبالغ وكان لطف الله ورحمته ونصره له بحسب ذلك وذهب
قوم الى ان ابراهيم سمي خليلا من الخلة بفتح الخاء اي لانه انزل خلته
وفاقته بالله تعالى وقال قوم سمي خليلا لانه فيما روي في الحديث جاء من عند خليل كان له
بمصر وقد حرمه الميرة التي قصدها فلما قرب من منزله ملا غرارته رملا ليسكن صبيته
فلما دخل منزله نام كلالا وهما فقامت امراته ففتحت الغرارة فوجدت احسن ما يكون
من الحوارى فخبزت منه فلما انتبه قال ما هذا قالت من الدقيق الذي سقت
من عند خليلك المصري فقال بل هو من عند خليل الله تعالى فسمي بذلك خليلا **قال ع**
وفي هذا ضعف ولا يقتضي بهذه القصة ان يسمى اسما عاليا وانما هو شي شرفه الله
به كما شرف محمدا صلى الله عليه وسلم فقد صح عنه في كتاب مسلم وغيره ان الله اتخذني خليلا
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض الى قوله عليما ذكر عز وجل سعة ملكه و
احاطته بكل شي عقب ذكر الدين وتبيين الجادة منه ترغيبا في طاعة الله تعالى
وجل والانقطاع اليه **وقوله يستفتونك** الاية نزلت بسبب سوال قوم من الصحابة
عن امر النساء واحكامهن في المواريث وغير ذلك وامر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يقول لهم الله يفتيكم فيهن اي يبين لكم حكم ما سالتم عنه **وقوله تعالى** وما يتلى عليكم
يحتمل ما ان يكون في موضع خفض عطفا على الضمير في قوله فيهن اي ويفتيكم فيما يتلى
عليكم قاله محمد بن ابي موسى وقال افتاهم الله فيما سالوا عنه وفيما لم يسالوا عنه و
يضعف هذا التاويل ما فيه من العطف على الضمير المخفوض بغير اعاده حرف الخفض و
يحتمل ان يكون ما في موضع رفع عطفا على اسم الله عز وجل اي ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب
يعني القران والاشارة بهذا الى ما تقدم من الايات في امر النساء وهي قوله تعالى في صدر
السورة وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية قالت
عايشه رضي الله عنها نزلت هذه الاية اولا ثم سال ناس بعدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن امر النساء فنزلت ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم وقوله
في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن معناه النهي عما كانت العرب تفعله من ضم
اليتيمة الجميلة الغنية بدون ما تستحقه من المهر ومن عضل الدميمة الفقيرة ابدا
والدميمة الغنية حتى تموت فيرثها العاصل ونحو هذا مما يقصد به الولي منفعة
نفسه لا نفع اليتيمة والذي كتب الله لهن هو توفيه ما يستحقه من مهر والحاقها
باقرانها وقرا ابو عبد الله المدني في ييامى النساء بياءين قال ابو الفتح والقول في هذه
القراءه انه اراد ايامى فقلبت الهمزة ياء كما قلبت في قولهم باهله بن يعصر وانما هو
ابن اعصر لانه انما سمي بقوله ابني ان اباك غير لونه كر الليالي واختلاف الاعصر وكما
قلبت الياء همزة في قولهم قطع الله اده يريدون يده وايامى جمع ايم اصله ايايم قلبت اللام
موضع العين فجاء ايامى ثم ابدلت من الكسرة فتحة ومن الياء الف **قال ع** يشبه ان الداعي
الى هذا استثقال الضمة على الياء قال ابو الفتح ولو قال قائل كسر ايم على ايمى على وزن سكرى
وبلى من حيث الابوه بليه يدخل كرها ثم كسر ايامى على ايامى لكان وجها حسنا
وقوله وترغبون ان تنكحوهن اذا كانت الجارية غنية جميلة فالرغبة في نكاحها واذا كانت

بالعكس فالرغبة عن نكاحها وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياخذ الناس بالدرجة
الفضلى في هذا المعنى وكان اذا سال الولي عن وليته فقيل هي غنية جميلة قال له اطلب لها
من هو خير منك واعود عليها بالنفع واذا قيل له هي ذميمة فقيرة قال له انت اولى بها و
بالستر عليها من غيرك **وقوله** والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والذى
يلى في المستضعفين من الولدان هو قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية وذلك ان
العرب كانت لا يورث الصبية ولا الصبي الصغير وكان الكبير ينفرد بالمال وكانوا
يقولون انما يرث المال من يحمي الحوزة ويرد الغنيمة ويقاتل على الحريم يفرض الله تعالى
لكل احد حقه **وقوله تعالى** وان تقوموا لليتامى بالقسط عطف ايضا على ما تقدم والذى
يلى في هذا المعنى هو قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم الى غير ذلك مما ذكر في مال اليتيم
والقسط العدل وباقي الاية بين وعد على فعل الخير بالجزاء الجميل **قوله تعالى** وان امراة خافت
من بعلها الى قوله غفورا رحيما هذه الاية حكم من الله تعالى في امر المراة التى تكون ذات سن
ودمامة او نحو ذلك مما يرغب زوجها عنها فيرغب الزوج الى طلاقها والى ايثار شابة
عليها ونحو هذا مما يقصد صلاح نفسه ولا يضرها هي ضرارا يكون اياها بل يعرض
عليها الفرقة او الصبر على الاثرة فتريد بقاء العصمة فهذه التى اباح الله تعالى
بينهما الصلح ورفع الجناح فيه اذ الجناح في كل صلح يكون عن ضرر من الزوج يفعله
حتى يصالحه واباح الله تعالى الصلح مع الخوف وظهور علامات النشوز والاعراض
وهو مع وقوعهما مباح ايضا والنشوز الارتفاع بالنفس عن رتبة حسن العشرة
ايضا والاعراض احق من النشوز وانواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة ان
يعطى الزوج على ان يصبر هي او يعطى هي على ان يوثر الزوج او على ان يوثر ويتمسك او يقع
الصلح على الصبر على الاثرة وهذا كله مباح واختلف المفسرون في سبب الاية فقال ابن
عباس وجماعة معه نزلت في النبي عليه السلام وسودة بنت زمعة حدث الطبري
اسند عن ابن عباس قالت خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا تطلقني واحبسني مع نسائك ولا تقسم لي ففعل فنزلت وان امراة خافت
من بعلها نشوزا الاية **وفي المطلقات** ان سودة لما كبرت وهبت يومها لعايشة
وهذا نحو الاول وقال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعبيدة السلماني وغيرهم
نزلت الاية بسبب رافع بن خديج وخولة بنت محمد بن مسلمة وذلك انه خلا من سنها
فتزوج عليها شابة فاثر الشابة فلم تصبر هي فطلقها طلقة ثم راجعها فعاد فاثر
الشابة فلم تصبر هي فطلقها اخرى فلما بقي من العدة يسير قال لها ان شئت راجعتك
وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك حتى يحل اجلك قالت بل راجعني واصبر فراجعها
فراجعها فاثر الشابة فلم تصبر فقال لها انما هي واحدة فاما ان تقري على الاثرة والا
طلقتك فقرت بهذا هو الصلح الذى انزل الله فيه وان امراة خافت الاية وقال مجاهد
نزلت الاية بسبب ابى السنابل بن بعكك وامراته وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن
عامر يصالحا بفتح الياء وشد الصاد والف بعدها واصلها يتصالحا وقرا
حمزة والكسائى وعاصم يصلحا بضم الياء وسكون الصاد دون الف وقرا عبيدة السلماني
يصالحا بضم الياء من المفاعلة وقرا الجحدرى وعثمان البتي يصلحا بفتح الياء وشد
الصاد اصلها يصطلحا قال ابو الفتح ابدل الطاء صادا ثم ادغم فيها الصاد التى هى
فاء فصارت تصلحا وقرا الاعمش ان اصالحا وكذلك هي في قراءة ابن مسعود **وقوله**
صلحا ليس الصلح مصدرا على واحد من هذه الافعال التى قرى بها فالذى يحتمل ان يكون
اسما كالعطاء مع اعطيت والكرامة مع اكرمت فمن قرا تصلحا كان تعديته الى الصلح
كتعديته الى الاسماء كما تقول اصلحت ثوبا ومن قرا تصالحا من تفاعل وعرف تفاعل
انه لا يتعدى فوجهه ان تفاعل قد جاء متعديا في نحو قوله تذاكرونه ومن جردة
عفل بنساط تجاسرت بها الوشي قرات الرياح وتخورها ويجوز ان يكون الصلح مصدرا
حذفت زوائده كما قال وان يهلك فذلك كان قدرى اى تقديرى هذا كلام ابي
على على ان القدر مصدر جاء على قدرت الامر بالتخفيف بمعنى قدرت بالتشديد
وقوله تعالى والصلح خير لفظ عام مطلق يقتضى ان الصلح الحقيقى الذى تسكن اليه
النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق ويندرج تحت هذا العموم ان صلح
الزوجين على ما ذكرنا خير من الفرقة **وقوله** واحضرت الانفس الشح معذرة منه تعالى

عن عبيدة اى لا بد للانسان بحكم خلقته وجبلته من ان يشح على ارادته حتى يحمل صاحبه على
ما يكره وخصص المفسرون هذا اللفظ هنا فقال ابن جبير هو شح المراة بالنفقة من زوجها
وبقسمته لها ايامها وقال ابن زيد الشح هنا منه ومنها **قال ع** وهذا حسن والشح الضبط
على المعتقدات والارادات والهمم والاموال ونحو ذلك فما افرط منه ففيه بعض
المذمة وهو الذى قال الله تعالى فيه ومن يوق شح نفسه وما صار الى حد منع الحقوق الشرعية
او التى يقتضيها المروءة فهو البخل وهي رذيلة لكنها قد تكون في المومن ومنه الحديث قيل
يا رسول الله ايكون المومن بخيلا قال نعم واما الشح ففي كل احد وينبغي ان يكون لكن لا يفرط الا على
الدين ويدلك على ان الشح في كل احد قوله تعالى واحضرت الانفس الشح وقوله شح نفسه فقد
اثبت لكل نفس شحا وقول النبي صلى الله عليه وسلم ان تصدق وانت صحيح شحيح وهذا لم يرد
به واحدا بعينه وليس يحمل ان يقال هنا ان تصدق وانت صحيح بخيل **وقوله** تعالى وان تحسنوا
ندب الى الاحسان في تحسين العشرة وحمل خلق الزوجة والصبر على ما يكره من حالها
ويمكن الندب الى الاحسان من حيث للزوج ان يشح فلا تحسن **وتتقوا** معناه تتقوا الله
في وصيته بالنساء اذ هن عوان عند الازواج حسب ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم **وقوله تعالى** ولن تستطيعوا ان
تعدلوا الاية معناه العدل التام المستوي في الافعال والاقوال والمحبة والجماعة وغير
ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما
املك ولا تواخذني فيما تملك ولا املك يعني ميله بقلبه وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم
قلبي فلا املكه واما ما سوى ذلك فارجو ان اعدل وروى ان هذه الاية نزلت في النبي
صلى الله عليه وسلم وميله بقلبه الى عايشة فوصف الله تعالى حالة البشر وانهم بحكم
الخلقة لا يملكون قلوبهم ميل الى بعض الازواج دون بعض وبسياطهم اليهن وبسوبهم
معهن ثم نهى عن الميل كل الميل وهو ان يفعل فعلا يقصده من التفضيل وهو يقدر ان لا يفعله
لا يفعله فهذا هو كل الميل وان كان في امر حقير فكان الكلام ولا تميلوا النوع الذى هو كل الميل
وهو المقصود من كل قولا او فعلا **وقوله تعالى** فتذروها كالمعلقة اى لا هي ايم ولا ذات زوج
وهذا تشبيه بالشيء المعلق من شيء لانه لا على الارض استقر ولا على ما علق منه انحمل وهذا
مطرد في قولهم في المثل ارض من المركب بالتعليق وفي عرف النحويين وتعليق الفعل ومنه حديث
ام زرع قول المراة زوجي العشنق ان انطق اطلق وان اسكت اعلق وقرا ابي بن كعب
فتذروها كالمسجونة وقرا عبد الله بن مسعود فتذروها كانها معلقة ثم قال تعالى وان تصلحوا
وتتقوا اى وان تلتزموا ما يلزمكم من العدل فيما تملكون فان الله كان غفورا لما لا تملكونه
متجاوزا عنه وقال الطبري معنى الاية غفورا لما سلف منكم من الميل كل الميل قبل نزول الاية
قال ع فعلى هذا فهي مغفرة مخصصة لقوم باعيانهم واقعوا المحظور في مدة النبي صلى الله
عليه وسلم وجاء في التي قبل وان تحسنوا وفي هذه وان تصلحوا لان الاول في مندوب اليه
وهذه في لازم لان الرجل له هناك ان لا يحسن وان يشح ويصالح بما يرضيه وفي هذه ليس له
ان لا يصلح بل يلزمه العدل فيما يملك **قوله تعالى** وان يتفرقا الى قوله قديرا الضمير في يتفرقا
للزوجين اللذين تقدم ذكرهما اذ ان شح كل واحد منهما فلم يتصالحا لكنهما تفرقا بطلاق
فان الله تعالى يغني كل واحد منهما عن صاحبه بفضله ولطايف صنعه في المال والعشرة والسعة
وجود المرادات والتمكن منها وذهب بعض الفقهاء المالكيين الى ان التفرق
في هذه الاية هو بالقول اذ الطلاق قول واحتج بهذه على قول النبي صلى الله عليه
وسلم المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا اذ مذهب مالك في الحديث ان التفرق
بالقول لا بالبدن **قال ع** ولا حجة في هذه الاية لان اخص بها انما هو عن
افتراقهما بالابدان وتراخي المدة بزوال العصمة والاغناء انما يقع في ما حال ولو
كانت الفرقة في الاية الطلاق لما كان للمراة فيها نصيب يوجب ظهور ضميرها في
الفعل وهذه سيده من المعارضة في المسئلة **والواسع** معناه الذى عنده خزائن
كل شيء **وقوله** ولله ما في السموات وما في الارض نسبة على موضع الرجاء لهذين
المفترقين ثم جاء بعد ذلك قوله وان تكفروا فان الله الاية منبها على استغنائه عن
العباد ومقدمة للخبر بكونه غنيا حميدا ثم جاء بعد ذلك قوله ولله ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا مقدمة للوعيد فهذه وجوه تكرار هذا الخبر
الواحد ثلاث مرات متقاربة **وقوله تعالى** ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من

ايطالي

من قبلكم لفظ عام لجميع من اوتي كتابا فان وصية الله تعالى عباده بالتقوى والوكيل
القائم بالامور المنفذ فيها ما راه وقوله تعالى ايها الناس مخاطبة للحاضرين من العرب
وتوقيف للسامعين لتحضر اذهانهم وقوله باخرين يريد من نوعكم وروي
عن ابي هريرة انه لما نزلت هذه الاية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
على كتف سلمان الفارسي وقال هم قوم هذا ويحتمل الفاظ الاية ان يكون وعيدا
لجميع بني ادم ويكون الاخرون من غير نوعهم كما قد روي انه كان في الارض ملائكة
يعبدون الله تعالى على ما ذكر يقتضي بها العقول سداسيا قال الطبري هذا الوعيد والتوبيخ
هو للقوم الذين شفعوا في طعمة بن ابيرق وخاصموا عنه في امر خيانته في الدرع والدقيق قال
ع وهذا تاويل بعيد واللفظ انما يظهر حسن رصفه بعمومه وانسحابه على العالم جملة والعالم
الحاضر قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا الى قوله خبيرا اي من كان لا مراد له الا في ثواب
الدنيا ولا يعتقد ان ثم سواه فليس هو كما ظن بل عند الله ثواب الدارين فمن قصد الاخرة
اعطاه من ثواب الدنيا واعطاه قصده ومن قصد الدنيا فقط اعطاه من الدنيا ما قدر
له وكان له في الاخرة العذاب والله تعالى سميع للاقوال بصير بالاعمال والنيات ثم خاطب
تعالى المؤمنين بقوله كونوا قوامين بالقسط الاية وهذا بناء مبالغة اي ليتكرر منكم القيام
بالقسط وهو العدل وقوله شهداء نصب على خبر بعد خبر والحال ضعيفة في المعنى لانها
تخصص القيام بالقسط الى معنى الشهادة فقط وقوله لله المعنى لذات الله ولوجهه
ولمرضاته وقوله ولو على انفسكم متعلق بشهداء هذا هو الظاهر الذي فسر عليه الناس
وان هذه الشهادة المذكورة هي في الحقوق ويحتمل ان يكون قوله شهداء لله معناه بالوحدانية
ويتعلق قوله ولو على انفسكم بقوامين بالقسط والتاويل الاول ابين وشهادة المرء
على نفسه اقراره بالحقائق وقوله الحق في كل امر وقيامه بالقسط عليها كذلك ثم ذكر
الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما ثم ثنى بالاقربين اذ هم مظنة المودة والتعصب
فكان الاجنبي من الناس احرى ان يقام عليه بالقسط ويشهد عليه وهذه الاية انما
تضمنت الشهادة على القرابة فلا معنى للنفقة منها في الشهادة لهم كما فعل بعض
المفسرين ولا خلاف بين اهل العلم في صحة احكام الله تعالى وقوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما معناه ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يراعى لغناه ولا يخاف
منه وان يكن فقيرا فلا يراعى اشفاقا عليه فان الله تعالى اولى بالنوعين واهل الحالين والغني
والفقير اسما جنس فلذلك ثنى الضمير في قوله بهما وفي قراءة ابي بن كعب فالله اولى بهم على الجميع
وقال الطبري ثنى الضمير لان المعنى فالله اولى بهذين المعنيين غنى الغني وفقر الفقير اي وهو
انظر فيهما وقد حد حدودا وجعل لكل ذي حق حقه وقال قوم ان هذه الاية نزلت
في النبي عليه السلام اختصم اليه غني وفقير فكان في ظلع الفقير علما منه ان الغني
اجدر ان يظلم الفقير فابى الله الا ان يقوم بالقسط بين الغني والفقير قال ع وارتبط
الامر على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاقضي له على نحو ما اسمع اما انه قد ابيح للحاكم ان يكون
في ظلع الضعيف بان يقيد له المقالات ويشد على عضده ويقول له قل حجتك مدلا
وينبهه تنبيها لا يفت في عضد الاخر ولا يكون تعليم خصام هكذا هي الرواية عن اشهب
وغيره وذكر الطبري ان هذه الاية بسبب نازلة طعمة بن ابيرق وقيام من قام في امره بغير القسط
وقوله تعالى ولا تتبعوا الهوى نهي بين واتباع الهوى مرد مهلك وقوله ان تعدلوا يحتمل
ان يكون معناه مخافة ان تعدلوا ويكون العدل هنا بمعنى العدول عن الحق ويحتمل ان يكون
معناه محبة ان تعدلوا ويكون العدل بمعنى القسط كانه قال انتهوا خوف ان تجوروا او محبة
ان تقسطوا فان جعلت العامل تتبعوا فيحتمل ان يكون المعنى محبة ان تجوروا وقوله
وان تلووا او تعرضوا قال ابن عباس هو في الخصمين يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي
واعراضه لاحدهما على الاخر قال ع فالليّ في هذا مطل الكلام وجره حتى يفوت فصل القضاء
وانفاذه للذي يميل القاضي عليه وقد شاهدت بعض القضاة يفعلون ذلك والله
حسيب الكل وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم
هي في الشهود يلوي الشهادة بلسانه ويحرفها فلا يقول الحق فيها او يعرض عن اداء
الحق فيها قال ع ولفظ الاية يعم القضاء والشهادة والتوسط بين الناس وكل انسان
ماخوذ بان يعدل والخصوم مطلوبون بعدل ما في القضاء اعانة له وقرا جمهور الناس
تلووا بواوين من لوى يلوي على حسب ما فسرناه وقرا حمزة وابن عامر وجماعة في الشاذ

وان تلوا

وان تلوا بضم اللام وواو واحدة وذلك يحتمل ان يكون اصله تلووا على القراءة الاولى همزت
الواو المضمومة كما همزت في ادؤر والقيت حركتها على اللام التي هي فاء لوي ثم حذفت
لاجتماع الساكنين ويحتمل ان يكون تلوا من قولك ولي الرجل الامر فيكون في الطرف الاخر
من تعرضوا كانه قال للشهود وغيرهم وان وليتم الامر او اعرضتم عنه فالله تعالى خبير
بفعلكم ومقصدكم فيه فالولاية والاعراض طرفان والليّ والاعراض في طريق واحد
وباقي الاية وعيد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله الى
قوله ولا ليهديهم سبيلا اختلف الناس فيمن خوطب بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا فقالت فرقة الخطاب لمن امن بموسى وعيسى من اهل الكتابين اي يا من قد
امن بنبي من الانبياء امن بمحمد عليه السلام ورجح الطبري هذا القول وقيل الخطاب
للمؤمنين على معنى ليكن ايمانكم هكذا على الكمال والتوفية بالله تعالى وبمحمد عليه
السلام وبالقران وسائر الكتب المنزلة ومضمن هذا الامر الثبوت والدوام وقيل
الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين اظهروا الايمان بالسنتهم ليكن ايمانكم حقيقة
على هذه الصورة وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن عامر نزل بضم النون وكسر الزاي
المشددة على ما لم يسم فاعله وكذلك قرؤوا الكتاب الذي انزل من قبل بضم الهمزة وكسر الزاي
على ما لم يسم فاعله وقرا الباقون نزل وانزل بفتح النون والزاي وبفتح الهمزة في انزل على
اسناد الفعلين الى الله تعالى وروي عن عاصم مثل قراءة ابي عمرو والكتاب المذكور
اولا هو القران والمذكور ثانيا هو اسم جنس لكل ما نزل من الكتب وقوله ومن يكفر
بالله الى اخر الاية وعيد وخبر مضمنه تحذير المؤمنين من حالة الكفر واختلف المتاولون
في المراد بقوله تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا فقالت طائفة منهم
قتادة وابو العالية الاية في اليهود والنصارى امنت اليهود بموسى والتوراة ثم كفروا
وامنت النصارى بعيسى والانجيل ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلام
ورجح الطبري هذا القول وقال الحسن الاية في الطائفة من اهل الكتاب التي قالت امنوا
بالذي نزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقال مجاهد وابن زيد الاية
في المنافقين فان فيهم من كان يؤمن ثم يكفر ثم يؤمن ثم يكفر يتردد كذلك فنزلت هذه
الاية فيمن ازداد كفرا بان تم على نفاقه حتى مات قال ع وهذا هو القول المترجح وقول الحسن ابن
ابي الحسن جيد محتمل وقول قتادة وابي العالية وهو الذي رجح الطبري قول ضعيف تدفعه الفاظ
الاية لانها هي في طائفة تتصف كل واحد منها بهذه الصفة من التردد بين الكفر والايمان
ثم يزداد كفرا بالموافاة واليهود والنصارى لم يترتب في واحد منهم ايمان واحد
وكفر واحد وانما يتحلى فيهما الايمان والكفر مع تلفيق الطوائف التي لا يتلاحق في زمان
واحد وليس هذا مقصد الاية وانما يوجد هذه الصفة في شخص شخص من المنافقين لان
الرجل الواحد منهم يؤمن ثم يكفر ثم يوافي على الكفر وتامل قوله عز وجل لم يكن الله ليغفر
لهم فانها عبارة تقتضي ان هؤلاء محتوم عليهم من اول امرهم ولذلك ترددوا وليست
هذه العبارة مثل ان يقول لا يغفر الله لهم بل هي اشد وهي مشيرة الى استدراج من هذا
حاله واهلاكه وهي عبارة تقتضي لسامعها ان يتنبه ويراجع قبل نفوذ الحتم عليه وان
تكون من هؤلاء وكل من كفر كفرا واحدا ووافى عليه فقد قال عز وجل ان الله لا يغفر له
ولم يقل لم يكن الله ليغفر له فتامل الفرق بين العبارتين فانه من دقيق غرائب الفصاحة
التي في كتاب الله عز وجل كان قوله لم يكن الله حكم قد تعين عليهم في الدنيا وهم احياء
قوله تعالى بشر المنافقين الى قوله في جهنم جميعا في هذه الاية دليل ما على ان التي قبلها
انما هي في المنافقين كما يرجح انفا وجاءت البشارة هنا مصرحا بقيدها فلذلك حسن
استعمالها في المكروه ومتى جاءت مطلقة فانما عرفها في المحبوب ثم نص تعالى من صفة
المنافقين على اشدها ضررا على المؤمنين وهي موالاتهم الكفار واطراحهم المؤمنين
ونبه على فساد ذلك ليدعه من عسى ان يقع في نوع من المؤمنين غفلة او جهالة او
مسامحة ثم وقف تعالى على التوبيخ على مقصدهم في ذلك اهو طلب العزة والاستكثار
بهم اي ليس الامر كذلك بل العزة لله كلها يؤتيها من يشاء وقد وعد بها المؤمنين
وجعل العاقبة للمتقين والعزة اصلها الشدة والقوة ومنه الارض العزاز اي
الصلبة ومنه عزني اي غلبني بشدته واستعز المرض اذا قوي الى غير هذا من تصاريف
اللفظة وقوله تعالى وقد نزل عليكم مخاطبة لجميع من اظهر الايمان فقد لزمه تمثيل

اوامر كتاب الله تعالى والاشارة بهذه الاية الى قوله عز وجل واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الى نحو هذا من الايات وقرا جمهور
الناس نزل عليكم بضم النون وكسر الزاي المشددة قال الطبري وقرا بعض الكوفيين
نزل بفتح النون والزاي المخففة وقرا ابراهيم النخعي انزل بالف على بناء الفعل للمفعول
والكتاب في هذا الموضع القران وفي هذه الاية دليل قوي على وجوب تجنب اهل البدع و
اهل المعاصي وان لا يجالسوا وروي عن عمر بن عبد العزيز انه اخذ قوما يشربون الخمر
فقيل له عن احد الحاضرين انه صائم فحمل عليه للادب وقرا هذه الاية انكم اذا
مثلهم وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات ولكنه الزام شبه بحكم الظاهر من
المقارنة كقول الشاعر عن المرء لا تسال وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
ثم توعد تعالى المنافقين والكافرين بجمعهم في جهنم فتاكد بذلك النهي والحذر
عن مجالستهم وخلطتهم **قوله عز وجل** الذين يتربصون بكم الى قوله فلن تجد لهم سبيلا
الذين صفة للمنافقين ويتربصون بكم معناه ينتظرون دور الدوائر عليكم فان كان
فتح للمؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يظهرونه من الايمان وان كان للكافرين نيل من
المؤمنين ادعوا فيه النصيب بحكم ما يبطنونه من موالاة الكفار وهذا حال المنافقين
ونستحوذ معناه نغلب على امركم ونحوطكم ونحمي امركم ومنه قول العجاج في صفة ثور وبقر
يحوذهن وله حوذي اي يغلبهن على امرهن ويغلب السيران عليهن ويروى يحوزهن
بالزاي ومن اللفظة اذا اجتمعت واجود حاملها واوردها على عوج طوال اجود
حاملها قهرها وعاب عليها **وقوله تعالى** استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله
معناه غلب على امرهم وشذ هذا الفعل في ان لم يعلوا وه استعملت على الاصل وقرا ابي بن كعب
ومتعناكم من المؤمنين وقرا ابن ابي عبلة ونمتعكم بفتح العين على الصرف ثم سلى والنس
المؤمنين بما وعدهم به في قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة اي وبينهم اي وينصفكم
من جميعهم وبقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال يسيع
الحضرمي كنت عند علي بن ابي طالب فقال له رجل يا امير المؤمنين ارايت قول الله تعالى
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا
احيانا فقال علي رضي الله عنه معنى ذلك يوم القيمة يوم الحكم وبهذا قال جميع اهل التاويل
والسبيل الحجة والغلبة ومخادعة المنافقين هي لاولياء الله اذ يظنونهم غير اولياء الله
ففي الكلام حذف مضاف والزام ذنب اقتضته افعالهم وان كانت نياتهم لم تقصده
لانه لا يقصد احد من البشر مخادعة الله تعالى **وقوله تعالى** وهو خادعهم اي منزل الخدع
بهم وهذه عبارة عن عقوبة سماها باسم الذنب فعقوبتهم في الدنيا ذلهم وخوفهم
وغم قلوبهم وفي الاخرة عذاب جهنم وقال السدي وابن جريج والحسن وغيرهم من
المفسرين ان هذا الخدع هو ان الله تعالى يعطي لهذه الامة يوم القيمة نورا لكل انسان
مؤمن او منافق فيفرح المنافقون ويظنون انهم قد نجوا فاذا جاؤوا الى الصراط طفي
نور كل منافق ونهض المؤمنون فذلك قول المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم وذلك هو
الخدع الذي يجري على المنافقين وقرا مسلمة بن عبد الله النحوي وهو خادعهم باسكان العين
وذلك على التخفيف ثم ذكر الله تعالى كسلهم يوم القيمة الى الصلاة وتلك حال كل من يعمل
عملا كارها غير معتقد فيه الصواب بقيه او مصانعة وقرا ابراهيم مر الاعرج كسالى
بفتح الكاف وقرا جمهور الناس يراؤون بهمزة مضمومة من يفاعلون وقرات فرقة يرؤون
بهمزة مشددة وهي على التعدية بالتضعيف وهي اقوى في المعنى لان معناها يحملون
الناس على ان يروهم ويتظاهرون لهم بالصلوة وهم يبطنون النفاق وتقليله ذكرهم
يحتمل وجهين قال الحسن قل لانه كان لغير الله فهذا وجه والاخر انه قليل بالنسبة الى
خوضهم بالباطل وقولهم الزور والكفر **ومذبذبين** معناه مضطربين لا يثبتون
على حال والمذبذب المضطرب الحيل وخوف او لسراع في مشي ونحوه ومنه قول النابغة
ترى كل ملك دونها يتذبذب ومنه قول الاخر خيال لام السلسبيل ودونها
مسيرة شهر للبريد المذبذب وكسر الذال الثانية قال ابو الفتح اي المهتز القلق الذي
لا يثبت ولا يتمهل فهؤلاء المنافقون مترددين بين الكفار والمؤمنين لا الى هؤلاء
ولا الى هؤلاء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العائرة
بين الغنمين والاشارة بذلك الى حالتي الكفر والايمان واشار اليه وان لم يتقدم

ذكر الظهور لتضمن الكلام له كما جاء حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقرا
جمهور الناس مذبذبين بفتح الذال الثانية وقرا ابن عباس وعمرو ابن فايد بكسر الذال
الثانية وقرا ابي بن كعب متذبذبين بالتاء وكسر الذال الثانية وقرا الحسن ابن ابي
الحسن مذبذبين بفتح الميم والذالين وهي قراءة مردودة **وقوله** فلن تجد له
سبيلا معناه سبيل هدى وارشاد **وقوله عز وجل** يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء الى قوله شاكرا عليما خطاب تحلل للمؤمنين يدخل فيه بحكم
الظاهر المنافقون المظهرون الايمان ففي اللفظ رفق بهم وهو المراد بقوله تعالى اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا لان التوقيف انما هو لمن الم بشيء من الفعل المؤدي الى هذه الحال
المؤمنون المخلصون ما الموا بشيء من ذلك ويقوي هذا المنزع قوله تعالى من دون المؤمنين
اي والمؤمنون العارفون المخلصون غيب عن هذه الموالاة وهذا لا يقال للمؤمنين المخلصين
بل المعنى يا ايها الذين اظهروا الايمان التزموا لوازمه والسلطان الحجة فهي لفظة تؤنث
وتذكر والتذكير اشهر وهي لغة القران حيث وقع والسلطان اذا سمي به صاحب الامر
فهو على حذف مضاف تقديره ذو السلطان اي ذو الحجة على الناس اذ هو مدبرهم والناظر
في منافعهم ثم اخبر الله عن المنافقين انهم في الدرك الاسفل من النار اي جهنم وهي ادراك
بعضها فوق بعض سبعة طبقات على طبقة اعلاها هي جهنم وقد يسمى جميعها باسم الطبقة
العليا فتحته اخرى اعلاها للكفرة والذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر في اسفل
طبقة في النار واكبر اسرى بقول النابع والمنافقون الذين يظهرون الايمان ويبطنون
الكفر هم في اسفل طبقة من النار لانهم اسرى غوائل من الكفار واشد تمكنا من
ماس اذى المسلمين وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر في الدرك مفتوحة الراء
وقرا حمزة والكسائي والاعمش ويحيى بن وثاب في الدرك بسكون الراء واختلف عن
عاصم فروي عنه الفتح والسكون وهما لغتان قال ابو علي كالشمع والشمع ونحوه وروي
عن ابي هريرة وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم قالوا المنافقون في الدرك الاسفل
من النار وفي توابيت من نار يقفل عليهم والنصير ماما مبالغة من النصر ثم
استثنى عز وجل التائبين من المنافقين ومن شروط التائب ان يصلح في قوله وفعله
ويعتصم بالله اي يجعله منعته وملجأه ويخلص دينه لله تعالى والا فليس بتائب
وقال حذيفة ابن اليمان بحضرة عبد الله بن مسعود والله ليدخلن الجنة قوم كانوا
منافقين فقال له عبد الله ابن مسعود وما علمك بذلك فغضب حذيفة ومضى فلما
تفرقوا مر به علقمة ودعاه وقال اما ان صاحبك يعلم الذي قلت ثم تلا الا الذين تابوا
واصلحوا واعتصموا الاية واخبر تعالى انهم مع المؤمنين في رحمة الله وفي منازل الجنة ثم
وعد المؤمنين الاجر العظيم وحذفت الياء من يؤت في المصحف تخفيفا قال الزجاج لسكونها
وسكون اللام في الله لما حذفت من قوله يوم يناد المناد وكذلك سندع الزبانية و
امثال هذا كثير والاجر العظيم التخليد في الجنة **ثم قال تعالى** للمنافقين ما يفعل الله بعذابكم
بعذابكم ان شكرتم الاية اي اي منفعة له في ذلك او حاجة والشكر على الحقيقة لا يكون
الا مقترنا بالايمان لكنه ذكر الايمان تاكيدا وتنبيها على جلالة موقعه ثم وعد الله تعالى
تعالى بقوله وكان الله شاكرا عليما اي يتقبل اقل شيء من العمل وينميه فتلك شكر منه
لعباده والشكور من البهائم الذي ياكل قليلا ويظهر به بدنه والعرب تقول في مثل اشكر
من بروقة لانها يقال تخضر وتنضر بظل السحاب دون مطر **وقوله عليما** تحذير وندب الى
الاخلاص **قوله تعالى** لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الى قوله عدوا مبينا المحبة
في الشاهد ارادة يقترن بها استحسان وميل اعتقاد فيكون الافعال الظاهرة من
المحب بحسب ذلك والجهر بالسوء من القول لا يكون من الله تعالى فيه شيء من ذلك اما انه
يريد وقوع الواقع منه ولا يحبه هو في نفسه والجهر كشف الشيء ومنه الجهر في قوله تعالى
ارنا الله جهرة ومنه قولهم جهرت البئر اذا حفرت حتى اخرج ماؤها واختلف القراء
في قوله الا من ظلم فقرا جمهور الناس بضم الظاء وكسر اللام وقرا ابن ابي اسحق وزيد بن
اسلم والضحاك بن مزاحم وابن عباس وابن جبير وعطاء بن السائب وعبد الاعلى بن
عبد الله ومسلم بن يسار وغيرهم الا من ظلم بفتح الظاء واللام واختلف المتاولون
على القراءة الاولى بضم الظاء فقالت فرقة المعنى لا يحب الله ان يجهر من القول الا من ظلم
فلا يكره له الجهر به ثم اختلفت هذه الفرقة في كيفية الجهر بالسوء وما هو المباح من ذلك

وقال الحسن وهو الرجل يظلم الرجل فلا يدعوا عليه وليكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج
لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد من ظلمي وقال ابن عباس وغيره المباح لمن ظلم ان يدعوا
على من ظلمه وان صبر فهو خير له وقال مجاهد وغيره نهي في الصنف المحول رحمه فانه يخبر
للذي لم يكرمه بالسوء من القول مقدر رخص له ان يقول فيه وفي هذا نزلت الاية و
مقتضاها هذا ذكر الظلم وسبب الظلامه في ضيافة وغيرها وقال ابن عباس والسدى
لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر له بالسوء من القول **قال ع** فهذه الاقوال
على اربع مراتب قول الحسن دعا في المدافعة وتلك اقل منازل السوء من القول وقول ابن
عباس الدعاء على الظالم باطلاق في النوع من الدعا وقول مجاهد ذكر الظلامه والظلم
وقول السدى الانتصار بما يوازي الظلامه وقال ابن المستنير الا من ظلم معناه الا من
اكره ان يجهر بسوء من القول كفرا ونحوه فذلك مباح والاية في الاكراه واختلف المتاولون
على القراءة بفتح الظاء واللام فقال ابن زيد المعنى الا من ظلم من فعل او قول فاجهروا له
بالسوء من القول عن فعله والتوبيخ والرد عليه قال وذلك انه لما اخبر الله تعالى عن المنافقين
انهم في الدنيا في الدرك الاسفلين من النار كان ذلك جهرا بسوء من القول ثم قال لهم
بعد ذلك ما يفعل الله بعذابكم الاية على معنى التانيس والاستدعا الى الشكر والايمان
ثم قال للمؤمنين لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم في اقامته على النفاق فانه يقال
له الست المنافق الكافر الذي لك في الاخرة الدرك الاسفل ونحو هذا من الاقوال وقال قوم
معنى الكلام لا يحب الله الجهر يعني لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول ثم استثنى
استثناء منقطعا تقديره لكن من ظلم فهو يجهر بالسوء وهو ظالم في ذلك واعراب من
يحتمل في بعض هذه التاويلات نصب ويحتمل الرفع على البدل من احد المقدر **وسميع عليم**
صفتان لا نعتان وبالظلم ايضا فانه يعلمه ويجازي عليه ولما ذكر الله تعالى عذر المظلوم
في ان يجهر بالسوء لظلمه اتبع ذلك عرضا بتداء الخير واخفائه **والعفو** عن السوء ثم
وعد عليه تعالى بقوله فان الله كان عفوا قديرا وعدا خفيا يقتضيه البلاغة ورغب
في العفو اذ ذكر انها صفته في القدرة على الانتقام ففي هذه الالفاظ اليسيرة معان كثيرة
لمن تاملها **وقوله تعالى** ان الذين يكفرون بالله ورسله الى اخر الاية نزل في اليهود والنصا
والنصارى لانهم في كفرهم بمحمد عليه السلام كانهم قد كفروا بجميع الرسل وكفرهم بالرسل
كفرهم بالله وفرقوا بين الله ورسله في انهم قالوا نحن نؤمن بالله ولا نؤمن بفلان
وفلان من الانبياء وقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض متعيناه من الانبياء وقيل
هو تصديق بعضهم بمحمد عليه السلام في انه نبي لكن ليس الى بني اسرائيل ونحو هذا
من تصديق نفر فانهم التي كانت تعنتا وروغانا وقوله بين ذلك اي بين الايمان والاسلام
وبين الكفر الصريح المخلص ثم اخبر تعالى عنهم انهم هم الكافرون حقا لئلا يظن احد
ان ذلك القدر الذي عندهم من الايمان ينفعهم ويأتي الاية وعيد والله اعلم **وقوله
تعالى** والذين امنوا بالله ورسله الى قوله سلطانا مبينا لما ذكر الله تعالى ان
المفرقين بين الرسل هم الكافرون حقا عقب ذلك بذكر المؤمنين بالله ورسله
جميعا وهم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ليصرح بوعد هؤلاء كما صرح بوعيد
اولئك فبين الفرق بين المنزلتين وقرا بعض السبعة سوف نؤتيهم اجورهم بالياء
اي يؤتيهم الله وقرا الاكثر سوف نؤتيهم بالنون منهم ابن كثير ونافع وابو
عمرو لا واختلف المتاولون في كيفية سؤال اهل الكتاب لمحمد عليه السلام ان ينزل
عليهم كتابا من السماء فقال السدى قالت اليهود يا محمد ان كنت صادقا فجئ بكتاب
من السماء كما جاء موسى وقال محمد بن كعب القرظي قد جاء موسى بالالواح فيها التورية
فجئ بالواح فيها كتابك وقال قتادة بل سالوه ان ياتي بكتاب خاص لليهود يامرهم
فيه بالايمان بمحمد عليه السلام وقال ابن جريج قالت اليهود يا محمد ان يتابعك على ما تدعونا
اليه حتى تاتينا بكتاب من عند الله الى فلان والى فلان انك رسول الله **قال ع** فقول ابن جريج
يقتضي ان سؤالهم كان على نحو سؤال عبد الله بن امية المخزومي القرشي ثم قال تعالى فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك على جهة التسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعرض الاسوة
وفي الكلام متروك يدل عليه المذكور تقديره فلا تبال يا محمد عن سؤالهم وتشططهم
فانها عادتهم فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وقرا جمهور الناس بالباء المنقوطة بواحدة
وقرا الحسن ابن ابي الحسن اكثر بالثاء المثلثة وجمهور المتاولين على ان جهرة معمول

لا رنا حتى نراه جهارا اي عيانا رؤية منكشفة بينة وروي عن ابن عباس انه كان يرى ان جهرة
معمول لقالوا اي قالوا جهرة منهم وتصريحا ارنا الله **قال ع** واهل السنة معتقدون ان هؤلاء
لم يسالوا محالا عقلا لكنه محال من جهة الشرع اذ قد اخبر الله تعالى على السنة انبيائه انه
لا يرى في هذه الحيوة الدنيا والرؤية في الاخرة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالخبر المتواتر
وهي جائزة عقلا دون تحديد ولا تحيز كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات كذلك هو لا يرى
مرئي لا كالمرئيات هذه حجة اهل السنة وقد حدثني ابي رضي الله عنه عن ابي عبد الله النحوي
انه كان يقول عند تدريس هذه المسالة مثال العلم بالله خلق نجا المعتزلة في انكارهم الرؤية
والجملة التي قالت ارنا الله جهرة هي التي مضت مع موسى لحضور المناجاة وقد تقدم
قصصها في سورة البقرة وقرا جمهور الناس فاخذتهم الصاعقة وقرا ابو عبد الرحمن
السلمي وابراهيم النخعي الصعقة والمعنى متقارب اذ ذلك كله عبارة عن الوقع الشديد
من الضرب نصيب الانسان بشدته وهول خمود وبكود حواس فظلمهم هو تعنتهم و
سؤالهم ما ليس لهم ان يسالوه **وقوله تعالى** ثم اتخذوا العجل ترتيب في الاخبار لا في نفس
الامر التقدير ثم قد كان من امرهم ان اتخذوا العجل وذلك ان اتخاذ العجل كان عند امر المضي
للمناجات فلم يكن الذين صعقوا ممن اتخذ العجل لكن الذين اتخذوه كانوا قد جاءتهم البينات
في امر اجازة البحر وامر العصاة وغرق فرعون وغير ذلك **وقوله تعالى** فعفونا عن ذلك يعني
بما امتحنهم به من القتل لانفسهم ثم وقع العفو عن الباقين منهم والسلطان الحجة
قوله تعالى ورفعنا فوقهم الطور الى قوله بهتانا عظيما الطور اسم جنس هذا قول وقيل الطور
كل جبل غير منبت وبالشام جبل قد عرف بالطور ولزمه الاسم وهو طور سينا وليس
بالمرفوع على بني اسرائيل لان رفع الجبل كان مما يلي فحص التيه من جهة كنان مصر وهم
ناهضون مع موسى عليه السلام وقد تقدم في سورة البقرة قصص رفع الطور **وقوله**
بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ان يعطوه في اخذ الكتاب بقوة والعمل بما فيه **وقوله**
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا هو باب بيت المقدس المعروف بباب حطة امروا ان
يتواضعوا شكرا لله على الفتح الذي منحهم في تلك البلاد وان يدخلوا باب المدينة سجودا
وهذا نوع من سجدة الشكر التي قد فعلها كثير من العلماء وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم وان كان مالك بن انس رحمه الله لا يراها **قوله تعالى** وقلنا لهم لا تعدوا في السبت
اي على الحيتان وفي سائر الاعمال وهؤلاء كانوا بايلة ساحل البحر فامروا بالسكون عن كل
شغل في يوم السبت فلم يفعلوا بل اصطادوا وانصرفوا وقد تقدم قصص ذلك واخذ
الله تعالى منهم الميثاق الغليظ هو على لسان موسى وهارون وغيرهما من الانبياء
اي بانهم ياخذون التورية بقوة ويعملون بجميع ما فيها ويوصلونه الى ابنيائهم ويؤدون
الامانة فيه **وقوله تعالى** فبما نقضهم الاية اخبار عن اشيا واقعوها هي في الضد مما
امروا به وذلك ان الميثاق الذي رفع الطور من اجله نقضوه والايمان الذي يضمنه
ادخلوا الباب سجدا اذ ذلك التواضع انما هو ثمرة الايمان والاخبات جعلوا البد
بدله كفرهم بايات الله وقولهم حبة في شعرة وحطة في شعرة ونحو ذلك مما هو
استخفاف بامر الله وكفر به وكذلك امروا بان لا يعتدوا في السبت وفي ضمن ذلك
الطاعة وسماع الامر فجعلوا بدل ذلك الانتهاء الى اسهال اعظم حرمه وهي قتل
الانبياء وكذلك اخذ الميثاق الغليظ منهم يضمن فهمهم فقدروا ما التزموه فجعلوه
بدل ذلك تجاهلهم وقولهم قلوبنا غلف اي هي في حجب وغلف فهي لا يفهم واخبر
الله تعالى ان ذلك كم عن طبع منه على قلوبهم وانهم كذبة فيما يدعونه كل الفهم
وقرا نافع تعدوا بسكون العين وتشديد الدال المضمومة وروي عنه ورش تعدوا
تعدوا بفتح العين وشد الدال المضمومة وقرا الباقون لا تعدوا ساكنة العين
خفيفة الدال وقرا الاعمش والحسن لا تعتدوا **وقوله تعالى** فبما زائدة مؤكدة
التقدير فبنقضهم وحذف جواب هذا الكلام بليغ منهم منزول مع ذهن السامع
تقديره لعناهم واذللناهم وحتمنا على الموافين منهم الخلود في جهنم ثم قال تعالى
وبكفرهم في امر عيسى عليه السلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني رميهم اياها
بالزنا مع رؤيتهم الاية في كلام عيسى في المهد والا فلولا الاية لكانوا في قولهم
جارين على حكم البشر في انكار حمل من غير ذكر **والبهتان** مصدر من قولك
بهيته اذا قابلته بامر مبهت يحار معه الذهن وهو امر باطل **قوله تعالى** وقولهم

انا قتلنا المسيح الى قوله شهيدًا هذه الاية والتي قبلها عدد الله تعالى فيها اقوال بني اسرائيل
وافعالهم على اختلاف الازمان وتعاقب القرون فاجتمع من ذلك توبيخ خلفهم المعاصرين
لمحمد عليه السلام وبيان الحجة فان وجبت لهم اللعنة وجرت عليهم الذلة والمسكنة فهذه
الطائفة التي قالت انا قتلنا المسيح غير الذين نقضوا الميثاق في الطور وغير الذين
اتخذوا العجل وقول بني اسرائيل انما هو الى قوله عيسى بن مريم وقوله تعالى رسول الله انما
هو اخبار من الله بصفة لعيسى وهي الرسالة على جهة اظهاره ذنب هؤلاء المقرين
بالقتل ولزمهم الذنب وهم لم يقتلوا عيسى لانهم صلبوا ذلك الشخص على انه
عيسى وعلى ان عيسى كذاب ليس رسول الله ولكنهم لزمهم الذنب من حيث اعتقدوا
ان قولهم وقع في عيسى وكانهم قتلوه فليس يرفع الذنب عنهم اعتقادهم انه غير رسول
كما ان قريشا في تكذيبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفعهم فيه اعتقادهم انه
كذاب بل جازاهم الله على حقيقة الامر في نفسه ثم اخبر تعالى ان بني اسرائيل ما قتلوا
عيسى وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفت الرواية في هذه القصة وكيفيتها اختلافا
شديدا انا اختصر عيونه اذ ليس في جميعه شيء يقطع بصحته لانه لم يثبت عن النبي
عليه السلام فيه شيء وليس لنا متعلق في ترجيح شيء منه الا الفاظ كتاب الله تعالى فالذي
لا نشك فيه ان عيسى عليه السلام كان يسيح في الارض ويدعو الى الله وكانت بنو اسرائيل
تطلبه وملكهم في ذلك الزمان يجعل عليه الجعائل وكان عيسى قد انضوى اليه الحواريون
يسيرون معه حيث سار فلما كان في بعض الاوقات شعر بامر عيسى فروي ان احد الحواريين
ارشى عليه فقبل الرشوة ودل بمكانه فاحيط به ثم ندم ذلك الحواري وخنق نفسه وروي
ان رجلا من اليهود جعل له جعل فلما زال ينقر عليه حتى دل على مكانه فلما احس عيسى
واصحابه بتلاحق الطالبين بهم دخلوا بيتا بمراى من بني اسرائيل فروي انهم عدوهم
ثلثة عشر وروي ثمانية عشر وحصروا ليلا فروي ان عيسى فرق الحواريين عن
نفسه تلك الليلة ووجههم الى الافاق وبقي هو ورجل معه فرفع عيسى والقي شبهه على
الرجل فصلب ذلك الرجل وروي ان الشبه القي على اليهودي الذي دل عليه فصلب وروي
ان عيسى عليه السلام لما احيط بهم قال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل ويخلص هؤلاء
وهو رفيقي في الجنة فقال رجل انا فالقي عليه شبه عيسى وروي ان شبه عيسى عليه
السلام القي على الجماعة كلها فلما اخرجهم بنو اسرائيل نقص واحد من العدة فاخذوا
واحدا ممن عليه الشبه حسب هذه الروايات التي ذكرناها فصلب ذلك الشخص وروي
ان الملك والمتناولين لم يخف عليهم امر رفع عيسى لما راوا من نقصان العدة واختلاط
الامر فصلب ذلك الشخص وابعد الناس عن خشبته اياما حتى تغير ولم تثبت له صفة
وحينئذ دنا الناس منه ومضى الحواريون يحدثون بالافاق ان عيسى صلب فهذا
ايضا يدل على انه فرقهم وهو في البيت او على ان الشبه القي على الكل وروي ان
هذه القصة كلها لم يكن فيها القاء شبه شخص عيسى على احد وانما معنى ولكن شبه لهم اي شبه
عليهم الملك المخرق ليستديم ملكه وذلك انه لما نقص واحد من الجماعة وقعد عيسى
عمد الى احدهم وبطش بصلبه وفرق الناس عنه وقال هذا عيسى قد صلب واتحد
امره وقوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه يعني اختلاف المحاولين لاخذه لانهم
حين فقدوا واحدا من العدد وتحدث برفع عيسى اضطربوا واختلفوا وعلى رواية
من روى ان القي شبهه يوشك انه بقي في ذلك الشبه مواضع للاختلاف لكن اجمعوا
على صلب واحد على غير تعيين ايهم هو قال ع فالتعين الذي صح فيه نقل
الكافة عن حواسها هو ان شخصا صلب واما هل هو عيسى ام لا فليس من علم الحواس
فلذلك لم ينفع في ذلك نقل كافة اليهود والنصارى ونفى الله تعالى عنهم ان يكون لهم في امره
علم على ما هو به ثم استثنى اتباع الظن وهو استثناء متصل اذ الظن والعلم يضمهما جنس
انهما من معتقدات النفس وقد يقول الظان على طريق التجوز علمي في هذا الامر انه كذا وهو
يعني ظنه وقوله تعالى وما قتلوه يقينا اختلف المتاولون في عود الضمير من قتلوه وقالت
فرقة هو عائد على كما تقول قتلت هذا الامر علما فالمعنى وما صح ظنهم عندهم ولا تحققوه
يقينا هذا قول ابن عباس والسدي وجماعة وقال قوم الضمير عائد على عيسى اخبر انهم
لم يقتلوه يقينا فيصح لهم الاوصاف وحسب فعل كانهم ومضمن الكلام انهم ما قتلوه
في الحقيقة جملة واحدة ولا تعسا ولا تشككا لكن لما حصلت في ذلك الدعوى صار قتله

عندهم مشكوكا فيه وقال قوم من اهل اللسان الكلام تام في قوله وما قتلوه ويقينا مصدر
موكد للنفي في قوله وما قتلوه المعنى يخبركم يقينا او يقص عليكم يقينا او اتقنوا ذلك يقينا
وقوله تعالى بل رفعه الله اليه يعني الى سمائه وكرامته وعيسى عليه السلام في السماء
الثانية على ما تضمن حديث الاسراء في ذكر ابني الخالة عيسى ويحيى ذكره البخاري في
حديث المعراج وذكره غيره وهو هنالك مقيم حتى ينزله الله تعالى لقتل الدجال وليملأ
الارض عدلا ويحيى فيها اربعين سنة ثم يموت كما يموت البشر وقوله تعالى وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف المتاولون في معنى الاية فقال ابن عباس وابو
مالك والحسن ابن ابي الحسن وغيرهم الضمير في موته راجع الى عيسى والمعنى انه لا يبقى من اهل
الكتاب احد اذا نزل عيسى الى الارض الا يؤمن بعيسى كما يؤمن سائر البشر وترجع الاديان
كلها واحدا وقال مجاهد وابن عباس ايضا وغيرهما الضمير في به لعيسى وفي موته للكتابي
الذي يضمنه قوله وان من اهل الكتاب التقدير وان من اهل الكتاب احد قالوا وليس
يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى روح الله ويعلم انه نبي ولكن عند المعاينة للموت فهو
ايمان لا ينفعه كما لا ينفع فرعون ايمانه وقت المعاينة وقال هذا القول عكرمة والضحاك
والحسن ابن ابي الحسن ايضا وقال عكرمة ايضا الضمير في به لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقبل موته للكتابي قال وليس يخرج يهودي ولا نصراني من الدنيا حتى يؤمن بمحمد عليه
السلام ولو غرق او سقط عليه جدار فانه يؤمن في ذلك الوقت وفي مصحف ابي
ابن كعب قبل موتهم ففي هذه القراءة تقوية بعود الضمير على الكتابي وقرا الفياض ابن
غزوان وان من اهل الكتاب بتشديد ان والضمير المستتر فيكون هو لعيسى عليه
السلام في كل الاقوال ولمحمد صلى الله عليه وسلم في عكرمة قوله عز وجل فبظلم من الذين
هادوا الى قوله اجرا عظيما قوله فبظلم عطف على قوله فبما نقضهم كانه قال فنقضهم
لعنا هم واحسا عذابهم فبظلمهم حرمنا عليهم المطاعم وجعل الله هذه العقوبة
الدنيا وية ازاء ظلم بني اسرائيل في تعنتهم وسائر احوالهم الذميمة والطيبات
هنا هي الشحوم وبعض الذبائح والطير والحوت وغير ذلك وقرا ابن عباس طيبات
كانت احلت لهم وقوله وبصدهم عن سبيل الله كثيرا يحتمل ان يريد صدهم في ذاتهم
ويحتمل ان يريد صدهم غيرهم والى هذا ذهب الطبري وقال هو جحدهم امر محمد عليه
السلام فانهم صدوا بذلك جمعا عظيما من الناس عن سبيل الله واخذهم الربا هو الربا بهم
بالدرهمين الى اجل ونحو ذلك مما هو مفسده وقد نهوا عنه فشرعوه لانفسهم واستمروا
عليه من ذلك ومن كور العين ونحوه واكل اموال الناس بالباطل هو الرشا ثم استثنى الله
تعالى من بني اسرائيل الراسخين في علم التورية الذين قد تحققوا امر محمد عليه السلام
وعلاماته وهم عبد الله بن سلام ومخيريق ومن جرى مجراهم والمومنون عطف على
الراسخين وما انزل الى محمد هو القرآن وما انزل من قبله هي التورية والانجيل واختلف
الناس في معنى قوله تعالى والمقيمين الصلوة وكيف خالف اعرابها اعراب ما تقدم
وتاخر فقال ابان بن عثمان وعائشة رضي الله عنهما ذلك من خطاء كاتب المصحف وروي
انها في مصحف ابي ابن كعب والمقيمون وقد روي انها فيه والمقيمين كما هو في مصحف
عثمان قال الفراء وفي مصحف ابن مسعود والمقيمون وكذلك روى عصمة عن الاعمش
وكذلك قرا سعيد بن جبير وكذلك قرا عمرو بن عبيد والجحدري وعيسى بن عمر ومالك بن دينار
وكذلك روى يونس وهرون عن ابي عمرو وقال اخرون هذا ليس كذلك بل من خطا
كانت ولا خطا في المصحف وانما هو من قطع النعوت اذا كثرت على النصب باعني
والرفع بعد ذلك بهم وذهب الى هذا المنحى بعض نحاة الكوفة والبصرة وحكى عن
سيبويه انه قطع على المدح وخبر لكن يومنون لان المدح لا يكون الا بعد تمام الجملة
الاولى وهذا كقول خرنق بنت هفان لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر قال ع وقد فرق بين الاية و
والبيت بحرف العطف الذي في الاية فانه يمتنع عند بعضهم تقدير الفعل وفي
هذا نظر وقال قوم قوله تعالى والمقيمين ليس بعطف على قوله والمومنون لكن على ما
في قوله وما انزل من قبلك والمعنى ويؤمنون بالمقيمين الصلوة وهم الملائكة وقال بعضهم
بل من تقدم من الانبياء قالوا ثم رجع بقوله والمؤتون فعطف على قوله والمومنون
وقال قوم والمقيمين عطف على ما انزل والمراد بهم المومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم

اى يؤمن الراسخون بهم وبما هم عليه ويكون قوله والمؤمنون اى فهم الموقنون وقال قوم والمقيمين عطف على الضمير فى منهم وقال الاخرون بل على الكاف من قوله من قبلك يعني الانبيا وقرات فرقة سنوتيهم بالنون وقرات فرقة سيوتيهم بالياء قوله تعالى انا اوحينا اليك الى قوله تكليما روى عن ابن عباس ان سبب هذه الاية ان سكنا الحبر وعدى بن زيد قالا يا محمد فالاما نعلم ان الله انزل على بشر من شي بعد موسى ولا اوحى اليه فنزلت هذه الاية تكذيبا لقولهما وقال محمد بن كعب القرظي لما انزل الله تعالى يسئلك اهل الكتاب ان ينزل عليهم كتابا من السما الى اخر هذه الايات تلت عليهم وسمعوا الخبر باعمالهم الخبيثة قالوا ما انزل الله على بشر من شي ولا على موسى ولا على عيسى وجحدوا جميع ذلك فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الاية والوحي القاء المعنى فى خفاء وعرفه فى الانبيا بواسطة جبرئل عليه السلام وذلك هو المراد بقوله كما اوحينا اى بملك مرسل من عند الله ونوح اول الرسل الى الارض الى امة كافرة وصرف نوح مع العجمة والتعريف بخفته وابراهيم هو الخليل واسمعيل ابنه الاكبر وهو الذبيح فى قول المحققين وهو ابو العرب واسحق ابنه الاصغر ويعقوب هو ولد اسحق وهو اسرائل والاسباط بنو يعقوب يوسف واخوته وعيسى هو المسيح وايوب هو المبتلى الصابر ويونس صورمى وروى ابن حيان عن نافع ويونس بكسر النون وقراء ابن وثاب والنخعى بفتحها وهى كلها لغات وهرون وهو ابن عمران وسليمان هو النبي الملك وداود ابوه صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقرا جمهور الناس زبورا بفتح الراء وهو اسم كتاب داود تخصيصا وكل كتاب فى اللغة فهو زبور من حيث يقول زبرت الكتاب اذا كتبته وقرا حمزة وحده زبورا بضم الزاى قال ابو علي يحتمل ان يكون جمع زبرا وقع على المزبور اسم الزبر كما قالوا ضرب الامير ونسج اليمن وكما سمي المكتوب كتابا ويحتمل ان يكون جمع زبور على حذف الزيادة كما ظريف وظروف وكروان وكروان وورشان وورشان ونحو ذلك مما جمع بحذف الزيادة ويقوى هذا الوجه ان التكثير مثل التصغير وقد اطرد هذا المعنى فى تصغير الترخيم نحو الهرون هير وحارث وحريث وثابت وثبيت فالجمع مثله فى القياس وان كان اقل منه فى الاستعمال وقوله ورسلا قد قصصناهم عليك الاية نصب رسلا على المعنى لان المعنى انا ارسلناك كما ارسلنا نوحا ويحتمل ان ينصب بفعل مضمر تقديره وارسلنا رسلا لان الرد على اليهود انما هو فى انكارهم ارسال الرسل واطراد الوحي وفى حرف ابي بن كعب ورسل فى الموضعين بالرفع على تقدير منهم رسل وقصصناهم معناه ذكرنا اسماءهم واخبارهم ورسلا لم نقصصهم عليك يقتضي كثرة الانبيا عليهم السلام دون تحديد بعدد وقد قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقال تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وما يذكر من عدد الانبيا فغير صحيح الله اعلم بعدتهم وقوله وكلم الله موسى تكليما اخبار بخاصية موسى عليه وان الله شرفه بكلامه ثم اكد تعالى الفعل بالمصدر وذلك مبنى فى الاغلب عن تحقيق وقوعه وانه خارج عن وجوه المجاز والاستعارة لا يجوز ان يقول العرب امتلا الحوض وقال قطني قولا وانما يؤكد بالمصادر الحقايق ومما ينشد قولهم بيت النعمن بن بشير وعجب عجيجا من جذام المطارف وكلام الله لموسى دون تكيف ولا تحديد ولا تجوير حدوث ولا حروف ولا اصوات والذى عليه الراسخون فى العلم ان الكلام هو المعنى القائم فى النفس ويخلق الله لجبرئل وموسى ادراكا من جهة السمع يحصل به الكلام وكما ان الله موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات وكذلك كلامه لا كالكلام وما روى عن كعب الاحبار وعن محمد بن كعب القرظي ونحوهما من ان الذى سمع موسى كان اشد ما يسمع من الصواعق وفى رواية اخرى كالرعد الساكن فذلك كله غير مرضي عند الاصوليين وقرا جمهور الامة وكلم الله بالرفع للاسم العظيم وقرا يحيى بن وثاب وابراهيم النخعي وكلم الله موسى بالنصب على ان موسى هو المكلم وهى قراءة ضعيفة فى الاشهار لكنها مخرجة من عدة تاويلات قوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين الى قوله وكان ذلك على الله يسيرا رسلا بدل من الاول هل ومبشرين ومنذرين حالان اى يبشرون بالجنة من امن واطاع وينذرون النار من كفر وعصى واراد الله ان يقطع بالرسل احتجاج من يقول لو بعث الى رسول لامنت والله عز وجل لا يعاليه شي ولا حجة لاحد عليه وهو مع ذلك حكيم حكمه تصدر افعاله عن حكمه ولذلك قطع الحجة بالرسل حكمة منه تعالى وقوله تعالى لكن الله يشهد الاية سببها قول اليهود ما انزل الله على بشر من شي وقال بعضهم لمحمد عليه السلام ما نعلم يا محمد ان الله ارسل اليك

ولا انزل عليك

ولا انزل عليك شيئا وقرا ابو عبد الرحمن السلمي والجراح الحكمي لكن الله بتشديد النون ونصب الاسم العظيم على اسم لكن وقوله انزله بعلمه هذه الاية من اقوى متعلقات اهل السنة فى اثبات علم الله تعالى خلافا للمعتزلة فى قولهم عالم بلا علم والمعنى عند اهل السنة انزله وهو يعلم انزاله ونزوله ومذهب المعتزلة فى هذه الاية انه انزله بعلمه معبرا بالعلم عن علمه من غيوب واوامر ونحو ذلك والعلم عبارة عن المعلومات التى فى القران كما هو فى قول الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا ما نقص هذا العصفور من هذا البحر فمعناه من علم الله الذى هو عبادة وقرا الجمهور بما انزل اليك على بناء الفعل للفاعل وقرا الحسن انزل بضم الهمزة على بنائه للمفعول وقوله والملائكة يشهدون تقوية لامر محمد ورد على اليهود قال قتادة شهود الله غير متهمة وقوله تعالى وكفى بالله شهيدا لكن دخلت الباء لتدل على ان المراد اكتفوا بالله اخبر تعالى عن الكافرين الذين يصدون الناس عن سبيل الله انهم قد تعدوا عن الحق وضلوا ضلالا لا يقرب رجوعهم عنه ولا يخلصهم منه الكافرين وقرا عكرمة وابن هرمز وصدوا بضم الصاد ثم اخبر تعالى عن الكافرين الظالمين فى ان وضعوا الشي فى غير موضعه وهو الكفر بالله والله يستوجب منهم غير ذلك لنعمه الظاهرة والباطنة انهم بحسب لم يكن تعالى ليغفر لهم وهذه العبارة اقوى من الاخبار المجرد بانه لا يغفر ومثال ذلك انك اذا قلت انا لا اتبع هذا الشي فهم منك الاعتباط به فاذا قلت انا ما كنت لاتبع هذا الشي فالاعتياط منك اكثر هذا هو المفهوم من هذه العبارة وقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم هذه هداية الطرق وليست بالارشاد على الاطلاق وما فى الاية يكن يتضمن تحقيق امر الكفار فى انهم لا ينالهم الله بالخير كما ورد فى الحديث يذهب الصالحون الاول فالاول ويبقى حثالة كحثالة التمر والشعير لا يباليهم الله بالة المعنى اذ هم كفار فى اخر الزمان وعليهم يقوم الساعة قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الى قوله انتهوا خيرا لكم المخاطبة بقوله يا ايها الناس مخاصة لجميع الناس والسورة مدنية وهذا مما خوطب به جميع الناس بعد الهجرة لان الاية دعاء الى الشرع ولو كانت فى امر من اوامر الاحكام ونحوها لكانت يا ايها الذين امنوا والرسول فى هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم والحق هو شرعه وقوله خيرا لكم منصوب بفعل مضمر تقديره اتوا خيرا لكم وجوزوا خيرا لكم وقوله امنوا وقوله انتهوا بعد ذلك امر بترك شي والدخول فى غيره فلذلك جئت صيغة افعل التى هى خبر هذا مذهب سيبويه فى نصب خير وينظر لذلك من الشعر قول عمر بن ربيعة فواعديه سرحتي مالك او الذى بينهما اسهلا ونظيره قول ابي اسهل وقال ابو عبيدة التقدير يكن الايمان خيرا والانتهاء خيرا فنصبه على النعت لمصدر محذوف ثم قال تعالى وان تكفروا الاية هذا خبر بالاستغناء وان ضرر الكفر انما هو نازل بهم ولله تعالى العلم والحكمة ثم خاطب اهل الكتاب من النصارى بان يدعوا الغلو وهو تجاوز الحد ومنه غلوة السهم وقوله فى دينكم انما معناه فى الدين الذى انتم مطلوبون به وكانه اسم جنس واضافه اليهم بيانا انهم ماخوذون به وليست الاشارة الى دينهم ايضا ولا امروا بالثبوت دون غلو وانما امروا بترك الغلو فى دين الله تعالى على الاطلاق وان يوحدوا ولا تقولوا على الله الا الحق واذا سلكوا ما امروا به فذلك سائقهم الى الاسلام ثم بين تعالى امر المسيح وانه رسول الله وكلمته اى يكون عن كلمته التى هى كن وقوله القاها عبارة عن ايجاد هذا الحادث فى مريم وقال الطبري وكلمته القاها يريد البشارة التى بعث الملك بها اليها وقوله وروح منه اى من جملة مخلوقاته ممن لا ابتداء الغاية اذ حققوا النطق فيها وقال الطبري وروح منه اى نفخة منه اذ هى من جبرئل بامره وانشد بيت ذى الرمة فقلت له اضممها اليك واحيها بروحك واقتته لها اقتة قدرا بنصف سقط النار وقال ابي بن كعب روح عيسى من ارواح الله التى خلقها واستنطقها بقوله الست بربكم قالوا بلى فبعثه الله الى مريم فيدخل فيها ثم امرهم بالايمان بالله ورسوله اى الذين من جملتهم عيسى ومحمد عليهما السلام وقوله ولا تقولوا ثلثة المعنى الله ثالث ثلثة ورسله ثلثة بحذف الابتداء والمضاف كذا قدر ابو علي ويحتمل ان يكون المقدر المعبود ثلثة او الاله ثلث او الالهة ثلثة او الاقانيم ثلثة وكيف ما تشعب اختلاف عبارات النصارى فانه يختلف بحسب ذلك المقدر التقدير وقد تقدم القول فى معنى انتهوا خيرا لكم قوله تعالى انما الله اله واحد الاية انما يقتضي الحصر والمقتضى لذلك فى هذه

الاية العمل في المعنى المتكلم فيه وليست صيغة انما يقتضي الحصر ولكنها يصلح للحصر والمبالغة
في الصفة وان لم يكن حصر كقولك انما الشجاع عنترة وغير ذلك وسبحانه معناه تنزيها له
وتعظيما عن ان يكون له ولد كما تزعمون انتم ايها النصارى كما في امر عيسى اذ تقليم المقولة الجانفة
والرافة الحايدة السبيل وقرا الحسن بن ابي الحسن ان يكون له ولد بكسر الالف من ان
وهي نافية بمعنى ما وقوله تعالى له ما في السموات اخبار تسعم في عبودية عيسى وغير ذلك
من الامور ثم برا تعالى جهة عيسى من اقوالهم وخلصه للذي يليق به فقال لن يستنكف
المسيح الاية اي لا استنكاف ابايه بالفه وقوله تعالى ولا الملائكة المقربون زيادة
في الحجة وتقريب من الاذهان اي ولا هولاء الذين هم في اعلا درجات المخلوقين
لا يستنكفون عن ذلك فكيف سواهم وفي هذه الاية الدليل الواضح على تفضيل الملائكة
على الانبياء ثم اخبر تعالى عمن يستنكف اي يانف عن عبادة الله ويستكبر بانه سيحشر
الخلق يوم القيمة للرد الى الله وقوله فسيحشرهم فيعذبهم بسكون الراء والياء
على التخفيف فبين الله تبارك وتعالى امر المحشورين فاخبر عن المومنين العاملين بالصالحات
انه يوفيهم اجورهم حتى لا يبخس احدا قليلا ولا كثيرا وانه يزيدهم من فضله ويحتمل هذه
الزيادة ان يكون المخبر بها في الجنة بعشرة الى سبع مائة ضعف ويحتمل ان يكون التضعيف
الذي هو غير معد ولا محسوب وهو المراد المشار اليه في قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء
قوله تعالى واما الذين استنكفوا واستكبروا الى قوله صراطا مستقيما هذا وعيد
للمستنكفين الذين يدعون عباد الله تعالى انفة وتكبرا وهذا الاستنكاف انما يكون
من الكفار عن اتباع الانبياء وما جرى مجراه كفعل حيي ابن اخطب واخيه ابي
ياسر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكفعل ابي جهل وغيره والا فاذا فرضت احدا من
البشر يعرف الله تعالى فمحال ان تجده يكفر به تكبرا عليه والعناد المحوج انما يسوق
اليه الاستكبار على البشر ومع تقارب المنازل في ظن المتكبر وقوله تعالى يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم الاية اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم والبرهان الحجة
النيرة الواضحة التي يعطي اليقين التام والمعنى قد جاءكم مقترنا بمحمد برهان من الله على
صحة ما يدعوا اليه وفساد ما انتم عليه من النحل وقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا
يعني القران فيه بيان كل شي وهو الواعظ الزاجر الناهي الامر وعد تبارك وتعالى
المومنين بالله المعتصمين به والضمير في به يحتمل ان يعود على الله تبارك وتعالى ويحتمل
ان يعود على القران الذي يضمنه قوله تعالى نورا مبينا والاعتصام به التمسك بسببه وطلب
النجاة والمنعة فهو يعصم كما تعصم المعاقل وهذا قد فسر قول النبي صلى الله عليه وسلم
القران حبل الله المتين من تمسك به عصم والرحمة والفضل الجنة ونعيمها ويهديهم معناه
الى الفضل وهذه هداية طريق الجنان كما قال تعالى سيهديهم ويصلح بالهم لان الهداية الارشاد
قد تقدمت وتحصلت حين امنوا بالله واعتصموا بكتابه وصراطا نصب باضمار فعل يدل
عليه يهديهم تقديره فيعرفهم ويحتمل ان ينتصب كالمفعول الثاني اذ يهديهم في معنى يعرفهم
ويحتمل ان ينتصب على الظرفية ما ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في اليه وقيل من فضل والصراط
الطريق وقد تقدم تفسيره غير مرة قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الى اخر
السورة تقدم القول في تفسير الكلالة في صدر السورة وان المترجح انها الوراثة التي خلت من اب
وابن وابنة ولم يكن فيها عمود النسب لا عال ولا سافل وبقي فيها من يتكلل اي يحيط بالجوانب كما
يضع الاكليل وكان امر الكلالة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه مشكلا فقال ما راجعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في شي مراجعتي اياه في الكلالة ولوددت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يمت حتى بينها وقال على المنبر ثلاث لو بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان
احب الي من الدنيا الجد والكلالة والخلافة وابواب من الربا وروي عنه رضي الله عنه انه
كتب فيها كتابا فمكث يستخير الله فيه ويقول اللهم ان علمت ان فيه خيرا فامضه فلما طعن دعا
بالكتاب فمحي فلم يدر احد ما كان فيه وروى الاعمش عن ابراهيم وسا رشوح قال ذكروا
ان عمر رضي الله عنه قال لان اكون اعلم الكلالة احب الي من خوية قصور الشام وقال طارق
ابن شهاب اخذ عمر كتفا وجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لاقضين في
الكلالة قضا تحدث به النسا في خدورها فخرجت عليهم حية من البيت فتفرقوا
فقال عمر لو اراد الله ان يتم هذا الامر لاتمه وقال معدان ابن ابي طلحة خطب عمر الناس
يوم جمعة فقال والله ما ادع بعدي شيا هو اهم الي من امر الكلالة وقد سالت عنها رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فما اغلظ لي في شي ما اغلظ لي فيها حتى طعن في نحري وقال فكفيك اية الصيف
التي انزلت في اخر السورة فان اعش فسا قضي فيها بقضية لا يختلف معها اثنان ممن يقرا
القران وسل عقبة بن عامر عن الكلالة فقال الا تعجبون لهذا يسالني عن الكلالة وما
اعضل باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة قال ع
فظاهر كلام عمر رضي الله عنه ان اية الصيف هي هذه وروى ابو سلمة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه سل عن الكلالة فقال الم تسمع الاية التي انزلت في الصيف وان كان
رجل يورث كلالة الاية قال ع فهذا هو الظاهر لان البرا بن عازب قال اخر اية انزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقال كثير من
الصحابة هي من اخر ما نزل وقال جابر بن عبد الله نزلت بسببي عادني رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا مريض فقلت يا رسول الله كيف اقضي في مالي وكان لي تسع اخوات ولم يكن
لي والد ولا ولد فنزلت الاية قال ع وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفيك منها اية
الصيف بيان فيه كفاية وجلا ولا ادري ما الذي اشكل فيها على الفاروق رضوان الله عليه
اللهم الا ان تكون دلالة اللفظ لم تطرد له اذ كان استعمال قريش لها قليلا ولا تخالف ان
دلالة اللفظ اضطربت على كثير من الناس ولذلك قال بعضهم الكلالة الميت بنفسه وقال اخرون
الكلالة المال الى غير ذلك من الخلاف واذا لم يكن في الفريضة والد ولا ولد وترك الميت اختا
فلها النصف فرضا مسمى بهذه الاية فان ترك بنتا واختا فللبنت النصف وللاخت النصف
بالتعصيب لا بالفرض المسمى ولعبد الله ابن الزبير ولعبد الله بن عباس خلاف في هذه المسالة
للناس وذكر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال في خطبته الا ان اية سورة النسا
انزلها الله في الولد والوالد والاية الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية
التي ختم بها سورة النسا انزلها الله في الاخوة والاخوات والاية التي ختم بها سورة
الانفال انزلها الله في اولي الارحام وقرا ابن ابي عيلة فان للذكر مثل حظ وقوله تعالى ان
تضلوا معناه كراهة ان تضلوا في التقدير لئلا تضلوا ومنه قول القطامي فصفة ناقة
راينا ما يرى البصرا منها فالينا عليها ان تباعا وكان عمر رضي الله عنه اذا قرا يبين الله
لكم ان تضلوا قال اللهم من بينت له الكلالة فلم تبين لي تفسير سورة المائدة بسم الله
الرحمن الرحيم هذه السورة مدنية باجماع وروي انها نزلت منصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحديبية وذكر النقاش عن ابي سلمة انه قال لما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحديبية قال يا علي اشعرت انه انزلت علي سورة المائدة ونعمت الفائدة
قال ع وهذا عندي لا يشبه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومن هذه السورة ما نزل
في حجة الوداع ومنها ما نزل عام الفتح وهو قوله ولا يجرمنكم شنان قوم الاية وكلما نزل
من القران بعد هجرة النبي فهو مدني سوى انزل بالمدينة او في سفر من اسفار النبي
صلى الله عليه وسلم او بمكة وانما يوسم بالمكي ما نزل قبل الهجرة وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة تنقذ صاحبها من ايدي
ملائكة العذاب قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الى قوله ورضوانا قال
علقمة كلما في القران يا ايها الذين امنوا فهو مدني وقد تقدم القول في مثل هذا ويقال وفا
واوفا بمعنى واحد امر الله تعالى المومنين عام بالوفا بالعقود وهي الربوط في القول كان
ذلك في تعاهد على بر او في عقدة نكاح او بيع او غيره ولفظ المومنين يعم مومني اهل الكتاب اذ بينهم
وبين الله عهد في اداء الامانة فيما في كتابهم من امر محمد صلى الله عليه وسلم ولفظ العقود
يعم عهود الجاهلية المبنية على بر مثل ومع الظلم ونحوه واما ما كان تعاقدهم على الظلم والعادات
فقد هدمه الاسلام وانما معنى الاية امر جميع المومنين بالوفا على عقد جار على رسم الشريعة
وفسر الناس لفظ العقود بالعهود وذكر بعضهم من العقود اشياء على جهة المثال فمن ذلك
قول قتادة اوفوا بالعقود معناه بعهد الجاهلية روي لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام قال ع وفقه هذا الحديث
ان عقد الجاهلية كان يخص المتعاقدين اذ كان الجمهور على ظلم وضلال والاسلام قد ربط
الجميع وجعل المومنين اخوة فالذي يريد ان يختص به المتعاقدان قد ربطهما اليه الشرع
مع عهده من المسلمين اللهم الا ان يكون التعاهد على دفع نازلة من نوازل الظلمات فيلزم
في الاسلام التعاهد على دفع ذلك والوفا بذلك العهد واما عهد خاص لما عسى ان يقع يختص
المتعاهدون بالنظر فيه كما كان في الجاهلية فلا يكون ذلك في الاسلام قال الطبري وذكر

ان قرات رحان المحلي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خلف الجاهلية فقال
لعلك تسال عن خلف لخيم وتيم الله قال نعم يا نبي الله قال لا يزيده الاسلام الا شده وقال
ابن عباس رضي الله عنه اوفوا بالعقود معناه بما احل الله وبما حرم وبما فرض
وبما حد في جميع الاشياء وقال مجاهد وغيره وقال محمد بن كعب القرظي وابن زيد وغير
وغيرهما العقود في الاية هي كل ما ربطه المرء على نفسه من بيع او نكاح او غيره وقال ابن زيد
وعبد الله بن عبيده العقود خمسة عقد الايمان وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع
وعقد الحلف قال ع وقد يختص الى اقل من خمسه وقال ابن جريج قوله اوفوا بالعقود قال هي
العقود التي اخذها الله على اهل الكتاب ان يعملوا بما جاءهم وقال ابن شهاب قرات كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كتب لعمرو بن حزم حين بعثه الى نجران وفي صدره
هذا بيان من الله ورسوله يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وكتب الايات
منها الى قوله ان الله سريع الحساب قال ع واصوب ما يقال في تفسير هذه
الاية ان يعمم الفاظها بغاية ما يتناول فيعمم لفظ المومنين جملة في مظهر
الايمان وان لم يبطنه وفي المومنين حقيقة ويعمم لفظ العقود في كل ربط
بقول موافق للحق والشرع ومن لفظ العقد قول الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا قوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام خطاب
لكل من التزم الايمان على وجهه وكماله وكانت العرب سنن في الانعام من السائبة
والبحيره والحامي وغير ذلك فنزلت هذه الاية رافعة لجميع ذلك واختلف في معنى بهيمة
الانعام فقال السدي والربيع وقتاده والضحاك هي الانعام كلها وقال ابو محمد كانه قال
احلت لكم الانعام فاضاف الجنس الى اخص منه وقال الحسن بهيمة الانعام الابل والبقر
والغنم وروي عن عبد الله بن عمر انه قال بهيمة الانعام الاجنة التي تخرج عند ذبح
الامهات فهي توكل دون ذكاة وقال ابن عباس هذه الاجنة من بهيمة الانعام قال الطبري
وقال قوم بهيمة الانعام وحشيها كالظبا وبقر الوحش والحمر وغير ذلك وذكره الطبري
عن الضحاك قال ابو محمد وهذا قول حسن وذلك ان الانعام هي الثمانية الازواج وما انضاف
اليها من سائر الحيوان يقال له انعام بمجموعه معها وكان المفترس من الحيوان كالاسد وكل
ذي ناب قد خرج عن حد الابهام فصار له نظر ما فبهيمة الانعام هي الراعي من ذوات
الاربع وهذه على قبيل اضافة الشي الى نفسه كدار الاخرة ومسجد الجامع وما هي عندي
الا اضافة الشي الى جنسه وصرح القران بتحليلها واتفقت الاية وقول النبي صلى الله عليه
وسلم كل ذي ناب من السباع حرام وبوند هذا المنزع الاستثنا وان بعد اذا احدهما
استثني فيه اشخاص بالهيا صفات ما وتلك الصفات واقعات كثيرا في الراعي من الحيوان
والثاني استثني فيه حال المخاطبين وهي الاحرام والحرم والصيد لا يكون الا من غير الثمانيه
الازواج فحسنت الاستثنا ان في الراعي من ذوات الاربع والبهيمة في كلام العرب ما ابهم
من جهة نقص النطق والفهم ومنه باب مبهم وحائط مبهم وليل بهيم وبهيمة الشجاع
الذي لا يدري من اين يوتى وقوله الا ما يتلى عليكم استثنا ما يتلى في قوله تعالى
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الاية وما في موضع نصب على اصل الاستثنا
واجاز بعض الكوفيين ان يكون في موضع رفع على البدل وعلى ان يكون الا عاطفة وذلك
لا يجوز عند البصريين الا من نكره او ما قاربها من اسماء الاجناس نحو قولك جاء الرجل
الا زيد كانك قلت غير زيد وقوله غير محلي الصيد نصب غير على الحال من الكاف والميم في قوله
احلت لكم وقرا ابن ابي عبله غير بالرفع ووجهها الصفة للضمير في يتلى لان غير محلي
الصيد هو في المعنى بمنزلة غير مستحل اذا كان صيدا او يخرج على الصفة لبهيمة الانعام
على مراعاة معنى الكلام كما ذكرت قال ع وقد خلط الناس في هذا الموضع في نصب غير وقد
روي فيها تقديمات وتاخيرات وذلك كله غير مرضي لان الكلام على اطراده متمكن استثنا
بعد استثنا وحرم جمع حرام وهو المحرم ومنه قول الشاعر فقلت لها في البلد فانني
حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملبي وقرا الحسن وابراهيم ويحيى بن وثاب حرم بسكون
الرا قال ابو الحسن هذه تميمية يقولون في رسل رسل وفي كتب كتب
ونحوه وقوله تعالى ان الله يحكم ما يريد تقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود
احكام العرب اي فانت ايها السامع تستشعر نسخ تلك التي عهدت تنبيه فان الله الذي هو مالك
الكل يحكم ما يريد لا معقب لحكمه وهذه الاية مما يلوح فصاحتها وكثرة معانيها

على

على قلة الفاظها لكل ذي بصر بالكلام ولمن عنده ادنى ابصار فانها تضمنت خمسة احكام الامر
بالوفا بالعقود وتحليل بهيمة الانعام واستثنا ما يتلى بعد واستثنا حال الاحرام فيما يصاد
وما يقتضيه الاية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم وحكى النقاش ان اصحاب الكندي قالوا له ايها
الحكيم اعمل لنا مثل هذا القران فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه فاحتجب اياما كثيرة ثم خرج
فقال والله ما اقدر عليه ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة
فنظرت فاذا هو قد امر بالوفا ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم استثنى استثنا بعد
استثنا ثم اخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يستطيع احد ان ياتي بهذا الا في اجلاد
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله خطاب للمومنين حقا ان لا يتعدوا حدود
الله في امر من الامور والشعائر جمع شعيرة اي قد اشعر الله انها حده وطاعته فهي بمعنى
معالم واختلف عبارة المفسرين في المقصود من الشعائر الذي نزل بسببه العموم في
في الشعائر فقال السدي شعائر الله حرم الله وقال ابن عباس شعائر الله مناسك الحج وكان
المشركون يحجون ويعتمرون ويهدون وينحرون ويعظمون مشاعر الحج فاراد المسلمون ان
يغيروا عليهم فقال الله تعالى لا تحلوا شعائر الله وقال ابن عباس ايضا شعائر الله ما
حد تحريمه في الاحرام وقال عطا بن ابي رباح شعائر الله جميع ما امر الله به او نهى عنه وهذا
هو القول الراجح الذي تقدم وقول ابن الكلبي كان عامة العرب لا يعدون الصفا والمروة من
الشعائر وكانت قريش لا يقف بعرفات فنهوا بهذه الاية وقوله ولا الشهر الحرام اسم مفرد
يدل على الجنس في جميع الاشهر الحرم وهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذو القعده وذو
الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وانما اضيف الى مضر لانها كانت
تختص بتحريمه وتزيد فيه السلاح وتنزع الاسنه من الرماح وتسميته منصل
الاسنه وتسميه الاصم من حيث كان لا يسمع فيه صوت سلاح وكانت العرب مجمعة على ذي القعده
وذي الحجة والمحرم وكانت تطول عليها الحرمة وتمتنع من الغارات ثلثة اشهر فلذلك احدث
النسي وهو ان يحلها ذلك المتكلم نعيم بن ثعلبه وغيره المحرم ويحرم بدله صفرا فنهى الله
بذلك عن هذه الاية وبقوله انما النسي زيادة في الكفر وجعل المحرم اول شهور السنه
من حيث كان الحج والموسم غاية العام وثمرته فبذلك يكمل ثم يستانف عاما اخر ولذلك
فلذلك والله اعلم دون به عمر بن الخطاب الدواوين ومعنى قوله ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه
بقتال ولا غارة ولا تبديل فان تبديله استحلال لحرمته قال ع والاظهر عندي ان الشهر الحرام
اريد به رجب ليشتد امره لانه انما كان مختصا لقريش ثم فشا في مضر ومما يدل على هذا قول
عوف بن الاحوص وشهر بني امية والهدايا اذا حبست مضرجها الدماء قال ابو عبيدة
اراد به رجبا لانه شهر كانت مشايخ قريش يعظمه فنسبه الى بني امية ذكر هذا الاخفش
في المفصل وقد قال الطبري المراد في هذه الاية رجب مضر قال ع فوجه هذا التخصيص
هو كما ذكرت ان الله تعالى شدد امره اي امر هذا الشهر اذ كانت العرب غير مجمعة عليه وقال
عكرمة المراد في هذه الاية ذو القعده من حيث كان اولها وقولنا فيها اول تقريب وتجوز
لان الشهور دائرة فالاول انما يترتب بحسب نازلة او قوبيته ما مختصة بقوم وقوله
ولا الهدي ولا القلائد اما الهدي فلا خلاف انه ما اهدي من النعم الى بيت الله
وقصدت به القربة فامر الله ان لا يستحل ويغار عليه واختلف الناس في القلائد
فحكى الطبري عن ابن عباس ان القلائد هي الهدي المقلد وان الهدي انما سمي هديا ما
لم يقلد فكانه قال ولا الهدي الذي لم يقلد منه قال ع وهذا الذي قال الطبري تحامل
على الفاظ ابن عباس ان الهدي انما يقال لمن يقلد وانما يقتضي ان الله نهى عن استحلال
الهدي جملة ثم ذكر المقلد منه تاكيدا ومبالغة في التنبيه على الحرمة في التقليد وقال جمهور
الناس الهدي عام في انواع ما اهدي قربة والقلائد ما كان الناس يتقلدونه امنة لهم
قال قتاده كان الرجل في الجاهلية اذا خرج من بيته يريد الحج يقلد من السمر قلادة فلم يعرض
له احد بسوء اذ كانت تلك علامة احرامه او حجه وقال عطا وغيره بل كان الناس اذا
خرجوا من الحرم في حوائج لهم تقلدوا من شجر الحرم ومن لحائه فيدل ذلك على انهم من اهل الحرم
ومن حجاجه فيامنون بذلك فنهى الله تعالى عن استحلال من يحرم بشي من هذه المعاني
وقال مجاهد وعطا بل الاية نهي للمومنين عن ان يستحلوا اخذ القلائد من شجر الحرم
كما كان اهل الجاهلية يفعلون قال الربيع ابن انس عن مطرف بن الشخير وغيره وقوله
تعالى ولا امين البيت الحرام معناه ولا تحلوهم فتغيرون عليهم وقد نهى الله تعالى

المؤمنين بهذه الاية عن ان يعتوا الكفار القصاد البيت الحرام على جهة التعبد والقربة
وكلما في هذه الاية منهي عن مشرك او مراعاة حرمة له بقلادة او ام ست ونحوه وهذا
كله منسوخ باية السيف بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وروي ان هذه
الاية نزلت بسبب الحطم بن هند البكري اخي بني ضبيعة بن ثعلبة وذلك انه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان
شيطان فجاء الحطم فخلف خيله خارجة من المدينة ودخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه الى الله قال انظر ولعلي
اسلم واري في امرك غلظة ولي من اشاوره فخرج فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق
به وهو يقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر
وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج
الساقين خفاف القدم ثم اقبل الحطم من عام قابل حاجا وساق هديا
واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه وخف اليه ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية قال ابن جريج هذه الاية
نهي عن الحجاج ان يقطع سبلهم ونزلت الاية بسبب الحطم فذكر نحوه وقال ابن
زيد نزلت عام الفتح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة جاء ناس من المشركين
يحجون ويعتمرون فقال المسلمون يا رسول الله انما هؤلاء مشركون فلن ندعهم
الا ان نغير عليهم فنزل القران ولا امين البيت الحرام قال ع فكلما في هذه الاية
مما يتصور في مسلم حاج فهو محكم وكلما كان منها في الكفار فهو منسوخ وقرا ابن مسعود
واصحابه ولا امي البيت الحرام بالاضافة الى البيت وقوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا قال فيه جمهور المفسرين معناه يبتغون الفضل في الارباح في التجارة ويبتغون
مع ذلك رضوانه في ظنهم وطمعهم وقال قوم انما الفضل والرضوان في الاية في معنى واحد
وهو رضى الله وفضله بالرحمة والجزاء فمن العرب من كان يعتقد جزاء بعد الموت واكثرهم انهم
انما كانوا يرجون الجزاء والرضوان في الدنيا والكسب وكثرة الاولاد ويتقربون رجاء الزيادة
في هذه المعاني وقرا الاعمش ورضوانا بضم الراء قال ع وهذه الاية استيلاف من الله
تعالى للعرب ولطف بهم لتنشط النفوس ويتداخل الناس ويردون المواسم فيسمعون
القران ويدخل الايمان في قلوبهم وتقوم عندهم الحجة فالذي كان وهذه الاية نزلت عام الفتح
ونسخ الله تعالى ذلك كله بعد عام سنة تسع اذ حج ابو بكر ونودي الناس بسورة براءة
وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا الى قوله الا ما ذكيتم جاءت اباحة الصيد عقيب
التشدد في حرم البشر حسنة في فصاحة القول وقوله تعالى فاصطادوا صيغة امر ومعناه
الاباحة باجماع الناس واختلف العلماء في صيغة افعل اذا وردت ولم يقترن بها بيان
واضح في احد المحتملات فقال الفقهاء هي على الوجوب حتى يدل الدليل على غير ذلك
وقال المتكلمون هي على الوقف حتى يطلب القرينة ولم يعم امر من قرينة وقال قوم هي على
الاباحة حتى يدل الدليل وقال قوم هي على الندب حتى يدل الدليل وقول الفقهاء احوطها
وقول المتكلمين اوسطها وغير ذلك ضعيف ولفظة افعل قد تجي للوجوب كقوله اقيموا
الصلوة وقد تجي للندب كقوله تعالى وافعلوا الخير وقد تجي للاباحة كقوله فاصطادوا وفابتغوا
من فضل الله وفانتشروا في الارض ويحتمل الابتغاء من فضل الله ان يكون ندبا وقد تجي
للوعيد كقوله تعالى واعملوا ما شئتم وقد تجي للتعجيز كقوله قل كونوا حجارة او حديدا وقرا
ابو واقد والجراح ونبيح والحسن بن عمران فاصطادوا بكسر الفاء وهي قراءة مشكلة ومن
توجيهها ان يكون راعى كسر الف الوصل اذا ابتدات فقلت اصطادوا وكسر الفاء مراعاة
وتذكرا لكسرة الف الوصل وقوله ولا يجرمنكم معناه ولا يكسبنكم وجرم الرجل معناه
كسب ويتعدى الى مفعولين كما يتعدى كسب وفي الحديث وتكسب المعدوم قال ابو
علي اجرم بالف عرفه الكسب في الخطا والذنوب وقال الكسائي جرم واجرم لغتان
بمعنى واحد اي اكسب وقال قوم يجرمنكم معناه يحقكم كما ان لا جرم ان لهم النار معناه
حق لهم النار وقال ابن عباس يجرمنكم معناه يحملنكم قال ع وهذه اقوال كلها يتقارب
بالمعنى والتفسير الذي يختص باللفظة هو معنى الكسب ومنه قول الشاعر جريمة ناهض
في راس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا معناه كاسب قوت ناهض ويقال فلان

جريمة قومه اذا كان الكاسب لهم وقرا ابن مسعود وغيره يجرمنكم بضم الياء والمعنى لا يكسبنكم
واما قول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا فمعناه
كسبت فزارة بعدها الغضب وقد فسر بغير هذا مما هو قريب منه وقوله تعالى شنان
قوم قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي شنان متحركة النون وقرا ابن عامر شنان
ساكنة النون واختلف عن عاصم وعن نافع يقال شنئت الرجل شنئا بفتح الشين
وشنانا بفتح النون وشنانا بسكون النون والفتح اكثر كل ذلك اذا ابغضته قال
سيبويه كلما كان من المصادر على فعلان بفتح العين لم يتعد فعله الا ان يشذ شي كا
الشنان وانما عدي شنئت من حيث كان بمعنى ابغضت كما عدي لرقب بالى من حيث كان
بمعنى الافضا قال ع فاما من قرا شنان بفتح النون فالاظهر فيه انه مصدر كانه قال لا
يكسبنكم بغض قوم من اجل ان صدوكم عدوانا عليهم وظلما لهم والمصادر على هذا
الوزن كثير كالنزوان والعليان والطوفان والجريان وغيره ويحتمل الشنان بفتح
النون ان يكون وصفا فيجي المعنى ولا يكسبنكم بغيض قوم عدوانا ومما جاء على هذا الوزن صفة
قولهم حمار قطوان اذا لم يكن سهل السير وقولهم عدو رضمان اي يفصل كعدو الشيخ
ونحوه الحفير هذا مما ليس في الكثرة كالمصادر ومنه ما انشده ابو زيد وملك ما هاب الرجال
ظلامتي وفقا ان عين الاشوس الابان بفتح الباء واما من قرا شنان بسكون النون فيحتمل ان يكون
مصدرا وقد جاء المصدر على هذا الوزن في قولهم لويته دينه ليانا وقول الاحوص وان
لام فيه ذو الشنان وفندا انما هو تخفيف من شنان الذي هو مصدر بسكون النون لانه
لانه حذف الهمزة والقى حركتها على الساكن هذا هو التخفيف القياسي قال ابو علي من زعم ان فعلان
اذا اسكنت عينه لم يكن مصدرا فقد اخطاه ويحتمل القراءة بسكون النون ان يكون وصفا
فقد حكى شنان رجل امراة شنانة وقياس هذا انه من فعل غير متعد وقد يشتق من لفظ
واحد فعل متعد وفعل واقف فيكون المعنى ولا يكسبنكم بغيض قوم او بغضا قوم عدوانا
واذا قدرت اللفظة مصدرا فهو مصدر مضاف الى المفعول ومما جاء وصفا
على فعلان ما حكاه سيبويه من قولهم حمصان ومن ذلك قولهم ندمان قال ع ومنه رحمان
وهذه الاية نزلت عام الفتح حين اراد المؤمنون ان يستطيلوا على قريش والفافها
من القبائل المتظاهرين على صد رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية
وذلك سنة ست من الهجرة فحصلت بذلك بغضة في قلوب المؤمنين وحسيفة للكفار فقيل
للمؤمنين عام الفتح وهي سنة ثمان لا يحملنكم ذلك البغض او اولئك البغضاء من اجل ان
صدوكم على ان تعتدوا عليهم اذ لله فيهم اراده خير وفي علمه ان منهم من يؤمن كا
الذي كان وحكى المهدوي عن قوم انها نزلت عام الحديبية لانه لما صد المسلمون
عن البيت مر بهم قوم من اهل نجد يريدون البيت فقال فصد هولاء كما صدونا فنزلت
الاية وقرا ابو عمرو وابن كثير ان صدوكم بكسر الهمزة وقرا الباقون ان صدوكم بفتح الهمزة اشارة
الى الصد الذي وقع وهذه قراءة الجمهور وهي امكن في المعنى وكسر الهمزة معناه ان وقع مثل ذلك
في المستقبل وقرا ابن مسعود ان يصدوكم وهذه تؤيد قراءة ابي عمرو وابن كثير ثم امر الله
الجميع بالتعاون على البر والتقوى قال قوم هما لفظان بمعنى وكرر باختلاف اللفظ تاكيدا
ومبالغة اذ كل بر تقوى وكل تقوى بر قال ع وفي هذا تسامح ما والعرف في دلالة هذين
اللفظين يتناول الواجب والمندوب اليه والتقوى رعاية الواجب فان جعل احدهما
بدلا لاخر فبتجوز ثم نهى تعالى عن التعاون على الاثم وهو الحكم اللاحق عن الجرائم
والعدوان وهو ظلم الناس ثم امر بالتقوى وتوعد توعدا مجملا بشدة العقاب وروي ان
هذه الاية نزلت نهيا عن الطلب بذحول الجاهلية اذ اراد قوم من المؤمنين ذلك قال مجاهد
وقد قتل بذلك حليف لابي سفيان من هذيل وقوله حرمت عليكم الاية تعديد لما تلي على
الامة مما استثني من بهيمة الانعام والميتة كل حيوان له نفس سائلة خرجت نفسه من جسده
على غير طريق الذكاة المشروع سوى الحوت والجراد وقد راى كثير من العلماء انه لا بد من فعل
فيهما يجري مجرى الذكاة وقرا جمهور الناس الميتة بسكون الياء وقرا ابو جعفر بن القعقاع
الميتة بالتشديد في الياء قال الزجاج هما بمعنى واحد وقال قوم من اهل اللسان بسكون
الياء ما قد مات بعد والميت يقال لما قد مات ولما يموت وهو حي بعد ولا يقال له ميت
بالتخفيف ورد الزجاج هذا القول واستشهد على رده بقول الشاعر ليس من مات و
استراح بميت انما الميت ميت الاحياء قال ع والبيت يحتمل ان يتناول شاهدا عليه

لااله وقد تاول قوم استراح فى هذا البيت بمعنى اكتسب رايحة اذ قاتلهم حينئذ اهلى لايرى فى الموت
راحة وقوله تعالى والدم معناه المسفوح لانه بهذا يقيد الدم فى غير هذه الاية فيرد المطلق
الى المقيد واجمعت الامة على تحليل الدم المخالط اللحم وعلى تحليل الطحال ونحوه وكانت الجاهلية
تستبيح الدم ومنه قولهم لم يحرم من فصد له والعلهز هو دم ووبر ياكلونه فى الازمات ولحم
الخنزير معيص نسخ باجماع واختلف فى استعمال شعره وجلده بعد الذبايح فاخبر
ومنع واكل شئ من الخنزير حرام باجماع جلدا كان او عظما وقوله تعالى وما اهل لغير الله
به معنى ما ذبح لغير الله تعالى وقصد به صنم او بشر من الناس كما كانت العرب يفعل
وكذلك النصارى وعادة الذابح ان يسمى مقصوده به وكذلك اهلا لا فيه ومنه
استهلال المولود اذا اصاح عند الولادة ومنه اهلال الذى الصياح باموه
عند رؤيته ومن الاهلال قول ابن احمر يهل بالفرقد ركبانها كما اهل الراكب المعتمر
وقوله تعالى والمنخنقة معناه التى تموت خنقا وهو حبس النفس سوى فعل بها ذلك
ادمى او اسق لها ذلك فى حجر او شجرة او بحبل ونحوه وهذا اجماع وقد ذكر قتادة ان اهل
الجاهلية كانوا يخنقون الشاة وغيرها فاذا ماتت اكلوها وذكر نحوه ابن عباس والموقوذة التى يرمى او يضرب بعصى او بحجر او نحوه وكانها التى تحذف به وقال الفرزدق شعاره
نعد الفصيل توحلها مطاره لقوادم الابكار وقال ابن عباس الموقوذة التى تضرب بالخشب
حتى توقذها فيموت وقال قتادة كان اهل الجاهلية يفعلون ذلك وياكلونه قالع ومن اللفظ
قول معاوية واما ابن عمر فرجل قد وقذه الورع اى قد درسه وكفى امره وبرده وقال
الضحاك كانوا يضربون الانعام بالخشب لالهتهم حتى يقتلوها فياكلونها وقال ابو عبد
الله الصالحى ليس الموقوذة الا فى ملك وليس فى الصيد وقيد قالع وعند مالك وغيره
من الفقهاء فى الصيد ما حكمه حكم التوقيد وقد نص فى قول النبى صلى الله عليه وسلم
فى المعراض واذا اصاب بعرضه فلا ياكل فانه وقيذ والمتردية هى التى يتردى من العلو
الى السفل فيموت كان ذلك من جبل او بئر او نحوه وهى متفعلة من الردى وهو الهلاك
وكانت الجاهلية تاكل المتردية ولم تكن العرب يعتقد ميتة الا ما مات بالوجع
ونحو ذلك دون سبب يعرف واما هذه الاسباب وكانت عندها كالذكوة فحصر
الشرع الذكاة الى صفة مخصوصة وبقيت هذه كلها ميتة والنطيحة فعيلة
بمعنى مفعولة وهى الشاة ينطحها اخرى او غير ذلك فيموت وتاول قوم النطيحة
بمعنى الناطحة لان الشاتان قد يتناطحان فيموتان وقال قوم لو ذكر الشاة
نفسا والشاة النطيح كما يقال كف خضيب ولحية دهين ولما لم يذكر لحقت
الهاء لئلا يشكل الامر اذ ذكر اريد ام مؤنثا قال ابن عباس والسدى وقتادة
والسدى وقتادة والضحاك الشاة سبا طح الشاة فيموتان والشاة ينطحها البقر
والغنم قالع وكلما مات ضغطا فهو نطيح وقرا ابو ميسرة والمنطوحة
وقوله تعالى وما اكل السبع يريد ما افترسه ذو ناب واظفار من الحيوان
كالاسد والنمر والثعلب والذئب والضبع ونحوه فهذه كلها سباع ومن
العرب من يوقف اسم السبع على الاسد وكانت العرب اذا اخذ السبع شاة فقتلها
ثم خلصت منه اكلوها وكذلك ان اكل بعضها قاله قتادة وغيره وقرا الحسن والعناض
وطلحة بن سليمان وابو حيوة وما اكل السبع بسكون الباء وهى لغة لاهل نجد وقرا بذلك
عاصم فى رواية ابى بكر عنه وقرا عبد الله بن مسعود واكيله السبع وقرا عبد الله بن عباس
واكيل السبع واختلف العلماء فى قوله تعالى الا ما ذكيتم فقال ابن عباس والحسن ابن
ابن ابى الحسن وعلى بن ابى طالب وقتادة وابراهيم النخعى وطاوس وعبيد بن عمير والضحاك
وابن زيد وجمهور العلماء الاستثناء هو من هذه المذكورات فما ادرك منها يطرف
بعين او يمضع برجل او يحرك ذنبا وبالجملة ما يتحققوا به لم يفض نفسه بل له حياة فانه
يذكى على سنة الذكاة ويوكل وما فاضت نفسه وهو فى حكم الميتة بالوجع ونحوه على ما
كانت الجاهلية يعتقد وقال مالك رحمه الله مرة بهذا القول وقال ايضا وهو
المشهور عنه وعن اصحابه من اهل المدينة ان قوله تعالى الا ما ذكيتم اى من هذه
المذكورات فى وقت يصح فيه ذكاتها وهو ما لم ينفذ منه مقاتلها ويتحققوا بها لا
يعيش ومتى صار فى هذا الحد فهى فى حكم الميتة قالع وقال بعض المفسرين ان الاستثناء
فى قول الجمهور متصل وفى قول مالك منقطع لان المعنى لكن عندنا الا ما ذكيتم من غير هذه

فكلوه

فكلوه حتى قال بعضهم ان المعنى عنده الا ما ذكيتم من غير هذه فكلوه وفى هذا عندى تطويل
الاستثناء على قول مالك متصل لكنه مخالف فى الحال التى تصح فيها ذكاة هذه المذكورات
وقال الطبرى ان الاستثناء عند مالك من التحريم لا من المحرمات قالع وفى هذه العبارة
تجوز كثير وحينئذ يلتئم المعنى والذكاة فى كلام العرب الذبح قاله ثعلب قال ابن سليمان
قال ابن سيده والعرب تقول ذكاة الجنين ذكاة امه قالع وهذا انما هو حديث وذكى الحيوان
ذبحه ومنه قول الشاعر يذكيها الاسل ومما احتج به المالكية لقول مالك ان ما تيقن
انه يموت من هذه الحوادث فهو فى حكم الميتة انه لو لم يحرم هذه المخالف التى قد تيقن
موتها الا بان يموت لكان ذكر الميتة اولا يغنى عنها فرجحه المخالف ان قال انما ذكرت بسبب
ان العرب كانت تعتقد ان هذه الحوادث كالذكاة فلو لم يذكرها غير الميتة لظنت انها ميتة
الوجع حسب ما كانت عليه والله اعلم قوله تعالى وما ذبح على النصب الى قوله انما علمكم
الله قوله وما ذبح عطف على المحرمات المذكورات والنصب جمع واحده نصاب وقيل
هو اسم مفرد وجمعه انصاب وهى حجارة تنصب كان منها حول الكعبة ثلثمائة وستون
وكان اهل الجاهلية يعظمونها ويذبحون عليها لالهتهم ولها انصاب تلطخ بالدما وتوضع
وتوضع عليها اللحوم قطعا قطعا لياكل منها الناس قال مجاهد وقتادة وغيرهما النصب
حجارة كان اهل الجاهلية يذبحون عليها وقال ابن عباس ويسلون عليها قال ابن جريج النصب
ليست باصنام الصنم يصور وينقش وهذه حجارة تنصب قالع وقد كانت للعرب فى بلادها
انصاب حجارة يعتقدونها ويحجون بها انصاب مكة ومنها الحجر المسمى بسعد وغيره قال ابن جريج
كانت العرب تذبح بمكة وينضحون بالدم ما اقتبل من البيت ويشرحون اللحم ويضعونه على
الحجارة فلما جاء الاسلام قال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق ان يعظم هذا
البيت بهذه الفعال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكره ذلك فانزل الله تعالى لن ينال
الله لحومها ولا دماؤها ونزلت وما ذبح على النصب قالع المعنى والنية فيها تعظيم النصب
قال مجاهد وكان اهل مكة يبدلون ما شاءوا من تلك الحجارة اذا وجدوا اعجب اليهم منها قال ابن زيد
وما ذبح على النصب وما اهل به لغير الله شئ واحد قالع وما ذبح على النصب جزء مما اهل به
لغير الله لكن خص بالذكر بعد جنسه لشهرة الامر وشرف الموضع وتعظيم النفوس له وقد
يقال للصنم ايضا نصب ونصب لانه ينصب وروى ان الحسن قرا وما ذبح على النصب
بفتح النون وسكون الصاد وقال على الصنم وقرا طلحة بن مصرف على النصب بفتح النون
والصاد وروى عنه انه قرا بضم النون والصاد كقراءة الجمهور وقوله تعالى وان تستقسموا
بالازلام حرم به تعالى طلب القسم وهو النصب والقسم بفتح القاف وهو المصدر والازلام
وهى سهام واحدها زلم وهو بضم الزاى وبفتحها وازلام العرب ثلثة انواع منها الثلاثة
الثلاثة التى كان يتخذها كل انسان لنفسه على احدها افعل وعلى الاخر لا يفعل والثالث
مهمل لا شئ عليه فيجعلها ايضا فى خريطة معه فاذا اراد فعل شئ ادخل يده وهى
متشابهة فاخرج احدها وائتمر فانتهى بحسب ما يخرج له وان خرج القدح الذى لا شئ فيه
اعاد الضرب وهذه هى التى ضرب بها سراقة بن مالك بن جعشم حين اتبع النبى صلى الله
عليه وسلم وابا بكر وقت الهجرة والنوع الثانى سبعة قداح كانت عند هبل فى جوف
الكعبة فيها احكام العرب وما يدور بين الناس من النوازل فى احدها العقل فى امر
الديات وفى اخر منكم وفى اخر من غيركم وفى اخر ملصق وفى سائرها احكام المياه وغير ذلك
وهى التى ضرب بها على بنى عبد المطلب اذ كان هو نذر نحر احدهم اذا كملوا عشرة وهو
الحديث الطويل الذى فى سير ابن اسحق وهذه السبعة ايضا متخذة عند كل كاهن من
كهان العرب وحكامهم على نحو ما كانت فى الكعبة عند هبل والنوع الثالث هو قداح
الميسر وهى عشرة سبعة منها فيها حظوظ لها عدد ها حظوط وثلثة اغفال
وكانوا يضربون بها مقامرة ففيها لهو وللبطالين ولعب وكان عقلاء هم يقصدون
بها اطعام المساكين والمعدوم فى زمن الشتاء وعدم التحرف وكان من العرب من
يستقسم بها لنفسه طلب الكسب والمقامرة وقد شرحت امرها باوعب من هذا
فى سورة البقرة فى تفسير الميسر فالاستقسام بهذا كله هو طلب القسم والنصيب
وهو من اكل المال بالباطل وهو حرام وكل مقامرة بحمام او نرد او شطرنج او بغير ذلك
من هذه الالعاب وهو استقسام بما هو فى معنى الازلام حرام كله وقوله تعالى ذلكم
فسق اشارة الى الاستقسام بالازلام والفسق الخروج من مكان محتوحا مع يقال فسقت

الوطبة خرجت من تشترها والفارة من جحرها واستعملت اللفظة في الشرع في من يخرج من
احياء الامر الشرعي وجمعه واحاطته وقوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم معناه
عند ابن عباس من ان يرجعوا الى دينهم وقال السدي وعطا وظاهر امر النبي صلى الله عليه
وسلم واصحابه وظهور دينه يقتضي ان ياس الكفار يقتضي عندا لرجوع الى دينهم قد كان
وقع منذ زمان وانما الياس عندي من اضمحلال امر الاسلام وفساد جمعه لان هذا امر كان
يرجاه من بقي من الكفار الا ترى الى قول اخي صفوان ابن امية في قوم هوازن حين ان كشف
المسلمون وظنها هزيمة الا بطل السحر اليوم الى غير هذا من الامثلة وهذه الاية نزلت في حجة
الوداع وقيل في يوم عرفة يوم الجمعة قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكن المشركون يومئذ
الاخشين القلة ولم يحضر الموسم لسثرو في ذلك اليوم انمحى اثر الشرك من مشاعر الحج ويحتمل
قوله تعالى اليوم ان يكون اشارة الى اليوم بعينه لا سيما في قول الجمهور عمر بن الخطاب وغيره
انها نزلت في عشية عرفة يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الموقف على ناقته وليس
في الموسم ويحتمل ان يكون اشارة الى الزمن والوقت اي في هذا الاوان يئس الكفار من دينكم وقوله
تعالى الذين كفروا ايعم مشركي العرب وغيرهم من الروم والفرس وغير ذلك وهذا يقوي ان الناس
انما هو من انحلال امر الاسلام وذهاب شركته ويقوي ان الاشارة باليوم انما هي الى الاوان
الذي فاجئه يوم عرفة ولا مشرك بالموسم ويعضد هذا قوله تعالى فلا تخشوهم واخشوني
وانما نهى المؤمنين عن خشية جميع انواع الكفار وامر بخشيته تعالى التي هي راس كل عبادة كما قال
صلى الله تعالى عليه وسلم ومفتاح كل خير وروى عن ابي عمرو انه قرأ يئس بغير همز وهو قراءة ابي
جعفر وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت يحتمل الاشارة باليوم ما قد ذكرناه وهذا
الاكمال عند الجمهور هو الاظهار واستيعاب عظم الفرايض والتحليل والتحريم قالوا وقد نزل
بعد ذلك قران ونزلت اية الربا ونزلت اية الكلالة الى غير ذلك وانما كمل عظم الدين وامر
الحج ان حجوا وليس معهم مشرك وقال ابن عباس والسدي هو اكمال تام ولم ينزل على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك اليوم تحليل ولا تحريم ولا فرض وحكى الطبري عن بعض من قال هذا القول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعش بعد نزول هذه الاية الا احدى وثمانين ليلة قال
ع والظاهر انه عاش عليه السلام اكثر بايام يسيرة وروي ان هذه الاية لما نزلت في يوم
الحج الاكبر وقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى عمر بن الخطاب فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا اكمل فانه لم يكمل
شيء الا نقص فقال له النبي عليه السلام صدقت وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
له يهودي انه في كتابكم يقرونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له
عمر اي اية هي فقال اليوم اكملت لكم دينكم فقال له عمر قد علمنا ذلك اليوم نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة يوم الجمعة قال ع في ذلك اليوم عيدان لاهل الاسلام
الى يوم القيمة وقال داود بن ابي هند الشعبي ان اليهود تقول كيف لم تحفظ العرب هذا اليوم
الذي اكمل الله لها دينها فيه فقال له الشعبي وما حفظته قال داود فقلت فاي يوم هو
قال يوم عرفة قال عيسى بن جارية الانصاري كنا جلوسا في الديوان فقال لنا نصراني مثل ما
قال اليهودي لعمر بن الخطاب فما اجابه منا احد فلقيت محمد بن كعب القرظي فاخبرته فقال
هلا احتجوه قال عمر بن الخطاب انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف على
الجبل يوم عرفة قال ع وذكر عكرمة عن عمر بن الخطاب انه قال نزلت سورة المائدة بالمدينة
يوم الاثنين وقال الربيع بن انس نزلت سورة المائدة في مسير رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى حجة الوداع وهذا كله يقتضي ان السورة مدنية بعد الهجرة واتمام النعمة
هو في ظهور الاسلام ونور العقائد وكمال الدين وسعة الاحوال وغير ذلك
مما انتظمته هذه النعمة في ظهور الملة اكثر عبه الى دخول الجنة والخلود في
رحمة الله هذه كلها نعم الله المتممة قلنا وقوله تعالى ورضيت لكم
الاسلام دينا يحتمل الرجاء في هذا الموضع ان يكون بمعنى الارادة ويحتمل
ان يكون صفة فعل عبارة عن اظهار الله اياه لان الرضا من الصفات
المترددة عن صفات الذات وصفات الافعال والله تعالى قد اراد لنا
الاسلام ورضيه لنا وثم اشيا يريد الله تعالى وقوعها ولا يرضاها و
الاسلام في هذه الاية هو الذي في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وهو الذي يفسر في سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو الايمان والا

مشركي

والاعمال

والاعمال والشعب وقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة يعني في دعته ضرورة الى اكل الميتة
وسائر تلك المحرمات وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تحل الميتة للناس فقال
اذا لم يصطبحوا ولم يغتبقوا ولم يحتفئوا بقلا قال ع فهذه مثال في حال العدم الماكول
حتى يؤدي ذلك الى ذهاب القوى والحياة وقرا ابن محيصن فمن اضطر بادغام الضاد في الطا
اطّر وليس بالقياس ولكن العرب استعملته في الفاظ قليلة استعمالا كثيرا وقد تقدم القول
في احكام الاضطرار وفي نظير هذه الاية في سورة البقرة المخمصة المجاعة التي تخمص فيها
البطون اي يضمر والخمص ضمور البطن فالخلقة منه حسنة في النسا ومنه يقال خمصانة
وبطن خميص ومنه اخمص القدم ويستعمل ذلك كثيرا في الجوع والغرث ومنه قول الاعشى
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا اي منطويات على
الجوع قد اضمر بطونهن وقوله تعالى غير متجانف لاثم هو بمعنى غير باغ ولا عاد وقد تقدم تفسيره
وفقهه في سورة البقرة والجنف الميل وقرا ابو عبد الرحمن ويحيى بن وثاب وابراهيم النخعي غير
متجنف دون الف وهي ابلغ في المعنى من متجانف لان شد العين يقتضي مبالغة وتوغلا
في المعنى وثبوتا لحكمه ويتفاعل انما هي محاكاة الشيء والتقريب منه الا ترى انك اذا قلت
تمايل الغصن فان ذلك يقتضي تاودا ومقاربة ميل واذا قلت مال فقد ثبت حكم الميل وكذلك
تصاون وتصون وتعاقل وتعقل وقوله تعالى فان الله غفور رحيم نائب مناب ولا يخرج
عليه الى ما يتضمن من زيادة الوعد وترجية النفوس وفي الكلام محذوف يدل عليه المذكور
تقديره فاكل من هذه المحرمات المذكورات وسبب نزول قوله تعالى يسئلونك ماذا احل
لهم ان جبريل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد في البيت كلبا فلم يدخل
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادخل فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتل الكلاب فقتلت حتى بلغت العوالي فجاء عاصم بن عدي وسعد بن خيثمة
وعويم بن ساعدة فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الكلاب قال ع وروى
هذا السبب ابو رافع مولى النبي عليه السلام وهو كان المتولي لقتل الكلاب وحكاه ايضا عكرمة
ومحمد بن كعب القرظي موقوفا عليهما وظاهر الاية ان سائلا سال عما احل للناس من المطاعم
لان قوله تعالى قل احل لكم الطيبات ليس الجواب على ما يحل لنا من اتخاذ الكلاب اللهم الا ان يكون
هذا من باب اجابة السائل باكثر مما سال عنه وهذا موجود كثير من النبي صلى الله عليه وسلم
كجوابه في لباس المحرم وغير ذلك وهو صلى الله عليه وسلم مبين للشرع فانما يجاوب مادا اطناب
التعليم لامته والطيبات الحلال هذا هو المعنى عند مالك وغيره ولا يراعي مستلذا كان
ام لا وقال الشافعي الطيبات الحلال المستلذ وكل مستقذر كالوزغ والخنافس وغيرهما
وهي من الخبائث حرام وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح تقديره وصيد ما علمتم او في اتخاذ
ما علمتم واعلى مراتب التعليم ان يشلى الحيوان فينشلي ويدعا فيجيب ويزجر بعد ظفره
بالصيد فينزجر وان يكون لا ياكل من صيده فاذا كان كلب بهذه الصفات ولم يكن اسود
بهيما فاجمعت الامة على صحة الصيد به بشرط ان يكون بتعليم مسلم وتصيد به مسلم هنا انعقد
الاجماع فاذا انخرم شيء مما ذكرنا دخل الخلاف فان كان الذي تصاد به غير كلب كالفهد وما
اشبهه وكالبازي والصقر ونحوهما من الطير فجمهور الامة على ان كل ما تصاد بعد تعلم
وهو جارح اي كاسب يقال جرح فلان واجترح اذا كسب ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي كسبتم من حسنة وسيئة وكان ابن عمر يقول انما يصاد بالكلاب فاما ما صيد
من البزاة وغيرها من الطير فما ادركت ذكاته فذكه فهو حلال لك والا فلا تطعمه هكذا
حكى ابن المنذر قال وسئل ابو جعفر عن البازي والصقر يحل صيده قال لا الا ان تدرك ذكاته
واستثنى قوم البزاة فجوزوا صيدها بحديث عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن صيد البازي فقال اذا امسك عليك فكل وقال الضحاك والسدي وما علمتم
من الجوارح مكلبين هي الكلاب خاصة فان كان الكلب اسود بهيما وكره صيده الحسن
وابن ابي الحسن وقتادة وابراهيم النخعي وقال احمد بن حنبل ما اعرف احدا يرخص فيه اذا كان
بهيما وبه قال ابن راهويه فاما عوام اهل العلم بالمدينة والكوفة فيرون جواز كل صيد
كلب معلم واما ان اكل الكلب من الصيد فقال ابن عباس وابو هريرة والشعبي وابراهيم
النخعي وسعيد بن جبير وعطا بن ابي رباح وقتادة وعكرمة والشافعي واحمد واسحق وابو ثور
والنعمان واصحابه لا يوكل ما بقي لانه انما امسك على نفسه ولم يمسك على ربه ويعضد هذا
القول قول النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم في كل معلم واذا اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه

وتاول هؤلاء قوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم اى الامساك التام ومتى اكل فلم يمسك على
الصايد وقال سعد ابن ابى وقاص وعبد الله بن عمر وابو هريرة ايضا وسلمان الفارسى
اذا اكل الجارح اكل ما بقى وان لم يبق الا بعضه وهذا قول مالك وجميع اصحابه فيما علمت و
تاولوا قوله تعالى مما امسكن عليكم على عموم الامساك فمتى حصل الامساك وهو فى بعضه
حل اكلها وروى عن النخعى واصحاب الراى والثورى وحماد بن ابى سليمان انهم رخصوا
فيما اكل البازى منه خاصة فى البازى قال ابو محمد كانه لا يمكن فيه اكثر من ذلك لان
حد تعلمه ان يدعى فيجيب وان يشلى فيستشلى واذا كان الجارح يشرب من دم
الصيد فجمهور الناس على ان ذلك الصيد يوكل قال عطا ليس شرب الدم باكل وكره اكل
ذلك الصيد الشعبى وسفيان الثورى قال ع وليس فى الحيوان من يقبل التعلم التام
الا الكلب شادا واكثرها تاكل من الصيد ولذلك لم يرد ذلك مالك من شروط التعلم
واما الطير فقال ربيعة ما اجاب منها اذا دعى فهو المعلم الضارى قال ع لان اكثر الحيوان
بطبعه ينسلى وقال اصحاب ابو حنيفة اذا اصاد الكلب وامسك ثلاث مرات ولاء
فقد حصل منه التعليم قال ابن المنذر وكان التعين لا يجد فى ذلك عددا وقال غيرهم
اذا فعل ذلك مرة واحدة فقد حصل معلما واذا كان الكلب فعلم يهوديا او نصرانى
فكره الصيد به الحسن البصرى واما كلب المجوسى وبازه وصقره فكره الصيد بها جابر
ابن عبد الله والحسن وعطا ومجاهد وابراهيم النخعى والثورى واسحق بن راهويه
ومالك والشافعى وابو حنيفة واصحابهم على اباحة الصيد بكلابهم اذا كان الصايد
مسلما قالوا وذلك مثل شفرته قالوا واما اذا كان الصايد من اهل الكتاب فجمهور
الامة على جواز صيده غير مالك فانه لم يجوز صيد اليهودى ولا النصرانى وفرق بين ذلك
وبين ذبيحته وتلا قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم قال فلم يذكر الله بهذا اليهود
والنصارى وقال ابن وهب واشهب صيد اليهودى والنصرانى حلال كذبيحته وفى
كتاب محمد ولا يجوز صيد الصابى ولا ذبيحته وهم قوم من اليهود والنصارى لا دين لهم
واما ان كان الصايد مجوسيا فمنع من اكل صيده مالك والشافعى وابو حنيفة واصحابهم
وعطا وابن جبير والنخعى والليث بن سعد وجمهور الناس وقال ابو ثور فيها قولين احدهما
كقول هؤلاء والاخر ان المجوس اهل كتاب وان صيدهم جائز وقرا جمهور الناس وما
علمتم بفتح العين واللام وقرا ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام اى
من امر الجوارح والصيد بها والجوارح الكواسب على ما تقدم وحكى ابن المنذر عن قوم
انهم قالوا الجوارح ماخوذ من الجراح اى الحيوان الذى له ناب وظفر ومخلب يجرح به صيده
قال ع وهذا قول ضعيف اهل اللغة على خلافه وقرا جمهور الناس مكلبين بفتح الكاف
وشد اللام والمكلب معلم الكلاب ومضريها ويقال لمن يعلم غير كلب مكلب لانه يرد ذلك الحيوان
كالكلب وقرا الحسن وابو زيد مكلبين بسكون الكاف وتخفيف اللام ومعناه اصحاب
كلاب يقال امشى الرجل كثرت ماشيته واكلب كثرت كلابه وقال بعض المفسرين المكلب
بفتح الكاف وشد اللام صاحب الكلاب قال ع وليس هذا بمحرر والله اعلم تاويل وقوله
تعالى فكلوا مما امسكن عليكم الى قوله من الخاسرين اى تعلمونهن من الحيلة فى الاصطياد
والتانى لتحصيل الحيوان وهذا جزء مما علم الله الانسان فمن للتبعيض ويحتمل ان يكون لابتداء
الغاية وانث الضمير فى تعلمونهن مراعاة للفظ الجوارح اذ هو جمع جارحة وقوله تعالى مما
امسكن عليكم يحتمل ان يريد مما امسكن فلم ياكلن منها شيئا ويحتمل ان يريد مما امسكن
وان اكلن بعض الصيد وبحسب هذا الاحتمال اختلف العلماء فى جواز اكل الصيد اذا اكل منه
الجارح وقد تقدم ذلك وقوله تعالى واذكروا اسم الله عليه امر بالتسمية عند الارسال
على الصيد وفقه الصيد والذبح فى معنى التسمية واحد فقال بعض العلماء هذا الامر
على الوجوب ومتى ترك المرسل والذابح التسمية عمدا او نسيانا لم يوكل وممن روى
عنه كراهية ما لم يسم الله عليه نسيانا الشعبى وابن سيرين ونافع وابو ثور وراى
بعض العلماء هذا الامر بالتسمية على الندب والى ذلك يجنح اشهب فى قوله وان ترك
التسمية مستخفا لم يوكل وان تركها عامدا لا ابدى قد ذكرنا لكنه غير
متهاون بامر الشريعة فانها يؤكل ومذهب مالك رحمه الله وجمهور اهل
العلم ان التسمية واجبة مع الذكر ساقطة مع النسيان فمن تركها عامدا
فقد افسد الذبيحة والصيد ومن تركها ناسيا سمى عند الاكل وكانت الذبيحة جايزة

واستحب

واستحب اكثر اهل العلم ان لا يذكر فى التسمية غير الله تعالى وان لفظها بسم الله والله
اكبر وقال قوم ان صلى مع ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فذلك جائز ثم امر بالتقوى على
الجملة والاشارة القريبة هى الى ما تضمنته هذه الايات من الاوامر وسرعة الحساب
هى من حيث هو تبارك وتعالى قد احاط بكل شىء علما ولا يحتاج الى محاولة عد ويحاسب
جميع الخلايق دفعة واحدة ويحتمل الاية ان يكون وعيدا بيوم القيمة كانه قال ان
حساب الله لكم سريع اتيانه اذ يوم القيمة قريب ويحتمل انه يريد بالحساب المجازات
وكانه توعد فى الدنيا بمجازات سريعة قريبة ان لم يتق الله وقوله تعالى اليوم احل لكم
الطيبات اشارة الى الزمان والاوان والخطاب للمؤمنين وقد تقدم القول فى الطيبات
وقوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ابتداء وخبر وحل معناه حلال و
الطعام فى هذه الاية الذبايح كذا قال اهل التفسير وذلك ان الطعام الذى لا محاولة فيه كالبر
والفاكهة ونحوه لا يضر فيه ولا يحرم عينه تملك احد والطعام الذى يقع فيه محاولة على
ضربين فمنه ما محاولته صنعة لا تعلق للدين بها كالخبز الدقيق وعصر الزيت ونحوه وهذا
ان تجنب من الذمى فعلى جهة التقذر والضرب الثانى هى التذكية التى هى محتاجة الى
الدين والنية فلما كان القياس ان لا تجوز ذبايحهم كما نقول انهم لا صلاة لهم ولا صوم
ولا عبادة مقبولة رخص الله تعالى فى ذبايحهم على هذه الامة واخرجها النص عن
القياس ثم ان العلماء اختلفوا فى لفظ طعام فقال الجمهور هى الذبيحة كلها وتذكية الذمى
عاملة لنا فى كل الذبيحة ما حل له منها وما حرم عليه لانه مذكى وقالت جماعة من اهل
العلم انما احل لنا طعامهم من الذبيحة اى الحلال لهم لان ما لا يحل لهم لا تعمل فيه تذكيتهم
فمنعت هذه الطائفة الطريف والشحوم المحضة من ذبايح اهل الكتاب وهذا الخلاف
موجود فى مذهب مالك رحمه الله واختلف العلماء فى لفظة اوتوا فقالت فرقة انما احلت
لنا ذبايح بنى اسرائيل والنصارى الذين نزل عليهم التورية والانجيل فمنعت هذه الفرقة
ذبايح نصارى تغلب من العرب وذبايح كل دخيل فى هذين الدينين وكان على رضى الله
عنه ينهى عن ذبايح نصارى بنى تغلب ويقول لانهم لم يتمسكوا بشى من النصرانية
الا بشرب الخمر قال ع فهذا ليس بنهى ذبايح النصارى المحققين منهم وقال جمهور
الامة وابن عباس والحسن وعكرمة وابن المسيب والشعبى وعطا وابن شهاب والحكم وحماد
وقتادة ومالك وغيرهم ان ذبيحة كل نصرانى حلال سوى كان من بنى تغلب او غيرهم وكذا
وكذلك اليهود وتاولوا قول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى وطعامكم
حل لهم اى ذبايحكم فهذه رخصة للمسلمين لا لاهل الكتاب لما كان الامر يقتضى ان شيا
قد تشرعنا فيه بالتذكية ينبغى لنا ان نحميه منهم رخص الله تعالى فى ذلك رفعا للمشقة
بحسب التجاور وقوله تعالى والمحصنات من المؤمنات عطف على الطعام المحلل والاحصان
فى كلام العرب فى تصريف الشرع ماخوذ من المنعة ومنه الحصن وهو مترتب باربعة
اشيا الاسلام والعفة والنكاح والحرية فيمتنع فى هذا الموضع ان يكون الاسلام لانه قد نص
انهن من الكتاب ويمتنع ان يكون النكاح لان ذات الزوج لا تحل ولم يبق الا الحرية والعفة
واللفظة تحتملها واختلف اهل العلم بحسب هذا الاحتمال فقال مالك رحمه الله ومجاهد
وعمر بن الخطاب وجماعة من اهل العلم المحصنات فى هذه الاية الحرائر فمنعوا نكاح الامة الكتابية
وقالت جماعة من اهل العلم فى هذه الاية العفايف منهم مجاهد ايضا والشعبى وغيرهم
فجوزوا نكاح الامة الكتابية وبه قال سفيان والسدى وقال الشعبى احصان الذمية
ان لا تزنى وان تغتسل من الجنابة وقال ابن ميسرة مملوكات اهل الكتاب بمنزلة حرائرهم
هم العفايف منهن نكاحهن حلال قال ع ومنع بعض العلماء جواز غير العفيفة بهذه
وقال الحسن ابن ابى الحسن اذا اطلع الرجل من امراة على فاحشة فليفارقها وفرق ابن عباس
بين نساء اهل الحرب ونساء اهل الذمة فقال من اهل الكتاب من يحل لنا وهم كل من
اعطى الجزية ومنهم من لا يحل لنا وهم اهل الحرب وكره مالك رحمه الله نكاح اهل الحرب
مخافة ضياع الولد او تغيير دينه والاجور فى هذه الاية المهور واجمع اهل العلم من لفظة
آتيتموهن انه لا ينبغى ان يدخل زوج بزوجته الا بعد ان تبذل من المهر ما يستحلها به و
من جوز ان يدخل دون ان يبذل ذلك فراى انه بحكم الارتباط والالتزام فى حكم المؤدى
ومحصنين متزوجين على السنة والاحصان فى هذا الموضع هو بالنكاح والمسافح
المزانى والسفاح الزنا والمسافحة هى المراة التى لا ترد يدا لامس وتزنى مع كل احد وهو

وهن اصحاب الربات فى الجاهلية والمحادثة ان تكون الزانيات قد وقف كل واحد نفسه
على حاجته وقد تقدم نظير هذه الاية وفسرها وعب من هذا وقوله تعالى ومن يكفر
بالايمان فقد حبط عمله محتمل ان يكون المعنى على ان الكفر هو بنفس لا يمان وفى هذا مجاز
واستعارة لان الايمان لا يتصور كفر به انما الكفر بالامور التى حقها ان تقع الايمان بها
وما فى الاية بين وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة الى قوله لعلكم تشكرون
لا تختلف ان هذه الاية هى التى قالت عايشة رضى الله عنها فيها فنزلت اية التيمم وهى
اية الوضو لكن من حيث كان الوضو متقررا عندهم مستعملا وكان الاية لم تزدهم
الا تلاوة وانما اعطتهم الفايد والرخصة فى التيمم واستدل على حصول الوضو بقول عايشة
واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ودواية النساء اما نزلت
معها او بعدها تيسير وكانت قصة التيمم فى سفر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة
المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق وفيها كان هبوب الريح فيما روى وفيها كان قول عبد الله
بن ابى سلول لين رجعنا الى المدينة القصة بطولها وفيها وقع حديث الاول ولما كانت تحاول
الصلوة فى الاغلب انما هى لقيام جاءت العبارة اذا قمتم واختلف الناس فى القومة التى اريد
مع قوله اذا قمتم فقالت طائفة هذا اللفظ عام فى كل قيام سوى كان المرء على طهور او محدثا
فانه ينبغى له قام الى الصلوة ان يتوضا وروى ان على بن ابى طالب كان فعل ذلك ويقرا
الاية وروى نحوه عن عكرمة وقال ابن سيرين كان الخلفاء يتوضاون لكل صلوة وروى
ان عمر بن الخطاب توضا وضوء فيه تجوز ثم قال هذا وضوء من لم يحدث وقال عبد الله بن
حنظلة بن عامر الغسيل ان النبى صلى الله عليه وسلم امره لوضوء عند كل صلوة فسق ذلك
عليه فامر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث قال ع وكان كثير من الصحابة منهم ابن عمر
وغيره يتوضاون لكل صلوة استداعا الى فضيلة وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعل ثم جمع بين صلاتين توضوء واحد فى حديث سويد ابن النعمان وفى غير موطن الى ان
جميع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد ارادة البيان لامته وروى ابن عمر ان
النبى صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له عشر حسنات وقال انما رغبت فيها
وقالت فرقة نزلت هذه الاية رخصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعمل عملا الا
وهو على وضوء ولا يكلم احدا ولا يرد سلاما وغير ذلك فاعلمه الله بهذه الاية انما هو عند
القيام الى الصلوة فقط دون سائر الاعمال قال ذلك علقمة بن الفغوا زهو من الصحابة
وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وقال زيد بن اسلم والسدى معنى
الاية اذا قمتم الى الصلوة من المضاجع يعنى النوم قال ع والقصد بهذا التاويل ان يعم
الاحداث بالذكر ولا سيما النوم الذى هو مختلف فيه هل هو فى نفسه حدوث وفى الاية
على هذا التاويل تقديم وتاخير تقديره يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة من النوم او
جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء يعنى الملامسة الصغرى فاغسلوا فتمت
احكام المحدث حدثا الصغر ثم قال وان كنتم جنبا فاطهروا فهذا حكم نوع اخر ثم قال
للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وقال
بهذا التاويل محمد بن مسلمة من اصحاب مالك رحمه الله وغيره وقال جمهور اهل العلم
معنى الاية اذا قمتم الى الصلوة محدثين وليس فى الاية على هذا تقديم وتاخير بل يترتب
فى الاية حكم واجد الماء الى قوله فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى فى قوله محدثين
ثم ذكر بعد ذلك بقوله وان كنتم مرضى الى اخر الاية حكم عادم الماء من النوعين جميعا
وكانت الملامسة هى الجماع ولا بد ان ذكر الجنب العادم الماء كما ذكر الواحد وهذا هو
تاويل الشافعى وغيره وعليه يجى اقوال الصحابة كسعد بن ابى وقاص وابن عباس وابى موسى الاشعرى
الاشعرى وغيرهم وقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم الغسل فى اللغة ايجاد الماء فى المغسول
مع امرار شىء عليه كاليد او ما قام مقامه منها وهو يتفاضل بحسب الانغماس فى الماء
او التقليل منه وغسل الوجه فى الوضوء هو نقل الماء اليه وامرار اليد عليه والوجه
ما واجه الناظر وقابله وحده فى الطول منابت الشعر فوق الجبهة الى اخر الذقن
وعرضه من الاذن الى الاذن وفى ذى اللحية ثلاثة اقوال فقيل من
وعبر بعض الناس الى تحت الذقن واختلف فى ذى اللحية فقيل حده من اللحية الى ما
قابل اخر الذقن وقيل حده منها اخر الشعر واختلف العلماء فى تخليل اللحية على قولين
وروى تخليلها عن النبى صلى الله عليه وسلم من حديث انس ذكره الطبرى واختلف فى حد
عرضا فهو فى المرأ والامر الا من الاذن الى الاذن وفى ذى اللحية ثلاثة اقوال فقيل من

الشعر الى الشعر يعنى شعر العارضين وقيل من الاذن الى الاذن ويدخل البياض الذى بين العارض
والاذن فى الوجه وقيل يغسل ذلك البياض استحبابا واختلف فى الاذنين فقيل هما من
الراس وقال الزهرى من الوجه وقيل هما عضو قائم بنفسه ليسا من الوجه ولا من الراس
وقيل ما اقبل منهما من الوجه وما ادبر فهو من الراس واختلف فى المضمضة والاستنشاق
فجمهور الامة يرونها سنة ولا يدخل هذا الباطنان عندهم فى الوجه وقال مجاهد
الاستنشاق شطر الوضوء وقال حماد بن سليمان وقتادة وعطا والزهرى وابن ابى ليلى
وابن راهويه من ترك المضمضة والاستنشاق فى الوضوء اعاد الصلوة وقال
احمد بن حنبل يعيد من ترك الاستنشاق ولا يعيد من ترك المضمضة
والناس كلهم على ان داخل العين لا يلزم غسله الا ما روى عن عبد الله
ابن عمر انه كان ينضح الماء فى عينيه وقوله تعالى وايديكم الى المرافق اليد فى
اللغة يقع على العضو الذى هو من المنكب الى اطراف الاصابع ولذلك
كان ابو هريرة يغسل فى الوضوء احيانا ليطيل الغرة وحد الله تعالى موضع
الغسل منه بقوله الى المرافق تعالى فى واحدها مرفق ومرفق بفتح الفاء وكسر الميم اشهر واختلف
العلماء هل يدخل المرافق فى الغسل ام لا فقالت طائفة لا يدخل لان الى غاية تحول ما قبلها
وما بعدها وقالت طائفة يدخل المرافق فى الغسل لان ما بعد الى اذا كان من نوع ما قبلها
فهو داخل فيه ومثل ابو العباس المبرد فى ذلك بان يقول اشتريت الفدان الى حاشيته
او بان يقول اشتريت الفدان الى الدار وبقوله اتموا الصيام الى الليل قال ع وتحرير العبارة
فى هذا المعنى ان يقال اذا كان ما بعد الى ليس مما قبلها فالحد اول المذكور بعدها واذا كان
ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطى ان الحد اخر المذكور بعدها فلذلك يترجح
دخول المرفق فى الغسل والروايتان محفوظتان عن مالك رضى الله عنه وروى عنه
اشهب ان المرفقين غير داخلين فى الحد وروى عنه انهما داخلان وقوله تعالى وامسحوا
برؤسكم المسح ان يمر على الشىء شىء مبلول بالماء ومنه مسح الراس ان يوجد ما باليدين
ثم يرسل ثم يمسح الراس بما تعلق باليدين واختلف فى مسح الراس فى مواضع منها هيئة
المسح فقالت طائفة منها مالك والشافعى وجماعة من الصحابة والتابعين يبدا بمقدم
راسه ثم يذهب بهما الى قفاه ثم يردهما الى مقدمه وقالت فرقة يبدا من موخر الراس
حتى يجى الى المقدم ثم يرد الى الموخر وقالت فرقة يبدا من وسط الراس فيجى بيديه نحو
الوجه ثم يرد فيصب باطن الشعر فاذا انتهى الى وسط الراس امر يديه كذلك على
ظاهر موخر شعر الراس ثم يرد فيصب باطنه ويقف عند وسط الراس وقالت فرقة
يمسح راسه من هنا وهنا على غير نظام ولا مبدا محدود حتى يعمه قال ع وهذا كله قول
بالعموم واختلف فى رد اليدين على شعر الراس هل هو فرض او سنة بعد الاجماع على
ان المسح فى الاولى فرض بالقران فالجمهور على انه سنة وقيل هو فرض ومن مواضع
الخلاف فى مسح الراس قدر ما يمسح فقالت جماعة الواجب من مسح الراس عمومه
ثم اختلفوا فى الهيات على ما ذكرناه وقال محمد بن مسلمة ان مسح ثلثى الراس وترك الثلث
اجزا وقال ابو الفرج المالكى روى عن مالك انه ان مسح الثلث اجزا لانه
كثير فى امور الشرع وقال اشهب ان مسح الناصية اجزا قال ع وكل من حفظ
عنه اجزا بعض الراس فانما يرى ذلك البعض فى مقدم الراس وذلك انه قد روى
فى ذلك احاديث فى بعضها ذكر الناصية وفى بعضها ذكر مقدم الراس ايضا روى عن عمر
عن ابراهيم والشعبى قالا اى نواحى راسك مسحت اجزاك وكان سلمة بن الاكوع يمسح
مقدم راسه وروى عن ابن عمر انه مسح اليافوخ فقط وقال اصحاب الراى مسح ثلاث
اصابع اجزاه وان كان الممسوح اقل مما يمر عليه ثلث اصابع لم يجز وقال قوم يجزى من مسح
الراس ان يمسح مسحة باصبع وقال الحسن ابن ابى الحسن ان لم تصب المراة الا شعرة واحدة
اجزاها وحكى الطبرى وغيره عن سفيان الثورى ان الرجل اذا مسح شعرة واحدة اجزاه
ومن مواضع الخلاف فى مسح الراس ما العضو الذى يمسح به فالاجماع على استحسان المسح
باليدين جميعا وعلى الاجزاء ان مسح بواحدة واختلف فى من مسح باصبع واحدة حتى
عم ما يرى انه يجزئه من الراس فالمشهور ان ذلك يجزى وقيل لا يجزى قال ع ويترجح
انه لا يجزى لانه خروج عن سنة المسح وكانه لعب الا ان يكون ذلك عن ضرورة
مرض فينبغى ان لا يختلف فى الاجزاء ومن مواضع الخلاف عدد المسحات فالجمهور

على مرة واحدة ويجزي ذلك عند الشافعي وثلثا احب اليه وروى عن ابن سيرين انه مسح
راسه مرتين وروي عن انس انه قال يمسح الراس ثلثا وقاله سعيد بن جبير وعطا وميسرة
والبا في قوله برؤسكم مؤكدة زائدة عند من يرى عموم الراس فالمعنى عنده وامسحوا
روسكم وهي للالصاق او للتبعيض عند من يرى اجزا بعض الراس كان المعنى اوحدوا مسحا
بروسكم فمن مسح شعرة فقد فعل ذلك ثم اتبعوا في المقادير التي حدوها اثارا روا
فيسلك بحسب اجتهاد العلماء رحمة الله عليهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه
وارجلكم خفضا وقرا نافع وابن عامر والكسائي ارجلكم نصبا وروى ابو بكر عن عاصم
الخفض وروى عنه حفص النصب وقرا الحسن والاعمش وارجلكم بالرفع المعنى فاغسلوها
ورويت عن نافع وبحسب هذا اختلف الصحابة والتابعون فكل من قرا بالنصب جعل العامل
اغسلوا وبنى على ان الفرض في الرجلين الغسل بالماء دون المسح وهذا هو الجمهور وعليه
علم فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو اللازم من قول النبي عليه السلام وقد راى
قوما يتوضون واعقابهم تلوح فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار ومن قرا
بالخفض جعل العامل اقرب العاملين واختلفوا فقالت فرقة منهم الفرض في الرجلين
المسح لا الغسل وروى عن ابن عباس انه قال الوضو غسلتان ومسحتان وروى
عن الحجاج انه خطب بالاهواز فذكر الوضو فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا
برؤسكم وارجلكم وانه ليس شي من ابن ادم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما
وظهورهما وعراقيبهما فسمع ذلك انس بن مالك فقال صدق الله وكذب الحجاج قال الله
تعالى فامسحوا برؤسكم وارجلكم قال وكان انس اذا مسح رجليه بلهما وروى عن انس
انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وكان عكرمة يمسح رجليه وقال ليس في الرجلين
غسل انما نزل فيهما المسح وقال الشعبي نزل جبريل بالمسح ثم قال الا ترى ان التيمم يمسح فيه
ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وروى عن ابن جعفر انه قال امسح على راسك وقدميك
وقال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين وكل من ذكرنا فقراته وارجلكم بكسر اللام و
بذلك قرا علقمة والاعمش والضحاك وغيرهم وذكر الطبري تحت ترجمة القول وذهب
قوم ممن يقرا بكسر اللام الى ان المسح في الرجلين هو الغسل وروي عن ابي زيد ان
العرب يسمي الغسل الخفيف مسحا ويقولون تمسحت للصلاه بمعنى غسلت اعضاه وقال
ابو عبيدة وغيره في تفسير قوله تعالى فطفق مسحا انه الضرب ويقال مسح على علاوته اذا
ضربه قال ابو على فهذا القوي على ان المراد بالمسح من الرجلين الغسل ومن الدليل على ان مسح الرجلين
يراد به الغسل ان الحد قد وقع فيهما بالى كما وقع في الايدي فهي مغسولة ولم يقع في الممسوح حد
قال ع ويعترض على هذا الت ويل بان الحد في الوجه وكان الوضو مغسولين حدا حدهما و
ممسوحين حد حدهما وقال الطبري ان مسح الرجلين هو بايصال الماء اليهما ثم يمسح بيديه بعد
ذلك فيكون المرء غاسلا ماسحا قال ولذلك كره اكثر العلما للمتوضي ان يدخل رجليه في الماء
دون ان يمر بيديه **قال ع** وقد جوز ذلك قوم منهم الحسن البصري وبعض فقهاء الامصار
وجمهور الامة من الصحابة والتابعين على ان الفرض في الرجلين الغسل وان المسح لا يجزي
وروى ذلك عن الضحاك وهو يقرا بكسر اللام والكلام في قوله الى الكعبين كما تقدم في قوله
الى المرافق واختلف اللغويون في الكعبين فالجمهور على انهما العظمان الناتيان في
جنبتي الرجل وهذان هما حدا الوضو باجماع فيما علمت واختلف هل يدخلان في الغسل
ام لا كما تقدم في المرفق وقال قوم الكعب هو العظم الذي في وجه القدم حيث يجمع شراك
النعل **قال ع** ولا اعلم احدا جعل حد الوضو الى هذا ولكن عبد الوهاب في التلقين
جاء في ذلك بلفظ فيه تخليط وايهام قال الشافعي رحمه الله لا اعلم مخالفا في ان الكعبين
هما العظمان في مجمع مفصل الساق وروى الطبري عن يونس عن اشهب عن مالك قال
الكعبان اللذان يجب الوضو اليهما هما العظمان الملتصقان بالساق المحاذيان
للعقب وليس الكعب بالظاهر في وجه القدم **قال ع** ويظهر ذلك في الاية في قوله في
الايدي الى المرافق اذ في كل يد مرفق ولو كان كذلك الا في الرجل لعلنا الى الكعوب فلما كان في كل
رجل كعبان خصا بالذكر والفاظ الاية تقتضي الموالاة بين الاعضاء واختلف
العلماء في ذلك فقال ابن ابي سلمة وابن وهب ذلك من فروض الوضو في الذكر والنسيان
وقال ابن عبد الحكم ليس بفرض مع الذكر وقال مالك هو فرض مع الذكر ساقط مع النسيان
وكذلك يتضمن الفاظ الاية الترتيب واختلف فيه فقال الابهري الترتيب سنة وظاهر

المذهب

المذهب ان التنكيس للناسي يجزي واختلف في العامد فقيل يجزي ويرتب في المستقبل وقال
بكر القاضي وغيره لا يجزي لانه عابث **وقوله تعالى** وان كنتم جنبا ماخوذ من الجنب لانه مس
جنبه جنب امراة في الملصق ومن المجاورة والقرب قيل والجار الجنب يحتمل
الجنب ان يكون من البعد ذا البعد يسمي جنابة ومنه تجنبت الشي اذا تباعدت عنه
فكانه جانب الطهارة وعلى هذا يحتمل ان يكون الجار الجنب هو البعيد الجوار و
يكون مقابلا للصاحب بالجنب **فاطهروا** امر بالاغتسال بالماء ولذلك
راى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وابن مسعود وغيرهما ان الجنب لا يتيمم البتة
بل يدع الصلوة حتى يجد الماء وقال الجمهور من الناس هذه العبارة هي لواجد الماء
وقد ذكر الجنب ايضا بعد في احكام عادم الماء بقوله تعالى او لامستم النساء اذ الملامسة
هنا الجماع والطهور بالماء صفته ان يعم الجسد بالماء ويمر اليد مع ذلك عليه هذا هو مشهور
المذهب وروى محمد بن مروان الظاهري وغيره عن مالك انه يجزي في غسل الجنابة
ان ينغمس الرجل في الماء دون التدلك وقد تقدم في سورة النساء قوله عز وجل وان كنتم
مرضى الى قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وقراة من قرا من الغائط
وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج الارادة صفة ذات وجاء الفعل
مستقبلا للحوادث التي تظهر عن الارادة فانها يجيء موقعه من تطهير المؤمنين
واتمام النعم عليهم وتعديه اراد وما تصرف منه بهذه اللام عرف في كلام العرب
ومنه قول الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لي ليلى بكل سبيل قال سيبويه و
سالت الخليل رحمه الله عن هذا فقال المعنى ارادتي لانسى ومن ذلك قول قيس بن سعد
اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود ويحتمل ان يكون في الكلام
مفعول محذوف يتعلق اللام به وما قال الخليل لسيبويه احصر واحسن ويعترض هذا
الاحتمال في المفعول المحذوف بان من تصير زيادة في الواجب وينفصل بان قوة النفي الذي
في صدر الكلام تسوغ الزيادة من ولو لم يكن النفي واقعا على الفعل لوقع على الحرج
ولهذا نظائر والحرج الضيق والحرجة الشجر الملتف المتضايق ومنه قيل يوم بدر في ابي
جهل انه كان في مثل الحرجة من الرماح ويجري مع معنى هذه الاية قول النبي صلى الله عليه
وسلم دين الله يسر وقوله بعثت بالحنيفية السمحة وجاء لفظ الاية على العموم والشي
المذكور بقرب هو امر التيمم والرخصة فيه وزوال الحرج في تحمل الماء ابدا ولذلك قال
اسيد ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر **وقوله تعالى** ولكن ليطهركم الاية اعلام
بما لا يوازى بشكر من عظيم تفضله تبارك وتعالى ولعلكم ترجي في حق البشر وقرا سعيد
ابن المسيب يطهركم بسكون الطاء وتخفيف الهاء **قوله تعالى** واذكروا نعمة الله عليكم
الى قوله خبير بما تعملون الخطاب بقوله واذكروا الى اخر الاية للمؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم
ونعمة الله اسم جنس يجمع الاسلام وجمع الكلمة وعز الحياة وغنى المال وحسن الماآل هذه
كلها نعم هذه الاية **والميثاق** المذكور هو ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في شعاب العقبة
وسعة الرضوان وكل موطن قال الناس فيه سمعنا واطعنا هذا هو قول ابن عباس والسدي
وجماعة من المفسرين وقال مجاهد الميثاق المذكور هو الماخوذ على النسم حين استخرجوا
من ظهر ادم والقول الاول ارجح واليق بنمط الكلام ثم امر تعالى المومنين بالقيام دابا
متكررا بالقسط وهو العدل وقد تقدم نظير هذا في سورة النسا وتقدم في صدر هذه
السورة نظير قوله ولا يجرمنكم شنان وما في الاية بين متكرر والله الموفق لما يحب ويرضى
قوله تعالى وعد الله الذين امنوا الى قوله وعلى الله فليتوكل المومنون هذه اية وعد
للمومنين استر الذنوب عليهم وبالجنة فهي الاجر العظيم ووعد يتعدى الى مفعولين
ويجوز الاقتصار على احدهما ولذلك هو في هذه الاية فالمفعول الثاني مقدر بنفسه ويدل
عليه قوله لهم مغفرة ثم عقب ذلك بذكر حال الكفار لسبق الغرق **وقوله تعالى** يا ايها الذين
امنوا خطاب للنبي عليه السلام وامته والنعمة هي للعاملة فاذ وهي نعمة مخصوصة وهم
الرجل بالشي ليس اراد فعله ومنه قول الشاعر هل ينفعنك اليوم اذ همت بهم
كثرة ما توصي وتعقاد الرتم ومنه قول الاخر هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت
على عثمان تبكي حلائله واختلف الناس في سبب هذه الاية وما النازلة التي وقع فيها
الهم ببسط اليد والكف من الله تعالى فقال الجمهور ان سبب هذه الاية ان اهل
بئر معونة كان القوم كان من القوم عمرو بن امية الضمري ورجل اخر معه فلقيا رجلين

المدينة رجلين من سليم وكانا احدا عهدا من النبي صلى الله عليه وسلم وانصرفا فسايرهما
عمرو ثم انتميا فانتسبا الى بني عامر رهط عامر بن الطفيل وهو كان الجاني على المسلمين
في بئر معاونة فقتلهما عمرو وصاحبه وانما سلبهما النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لقد قتلتما مسلمين لاودينهما ثم شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع
الدية فذهب يوما الى بني النظير يستعينهم في الدية ومعه ابو بكر وعمر وعلي فكلمهم
فقالوا نعم يا ابا القاسم انزل حتى نصنع لك طعاما وحط في معونتك فنزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجلس حذاء جدار فتامروا بينهم في قتله وقالوا ما طمعتم بمحمد قط اقرب
مراما منه اليوم فقال بعضهم لبعض من رجل يظهر على الحائط فيصب عليه حجرا
يشدخه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش فيما روي فجاء جبريل واخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكان وتوجه الى المدينة فنزلت الاية في ذلك
وفي الخبر زوائد لا تخص الاية فقد ذكره ابن اسحق وغيره وهذا القول يترجح بما ياتي بعد
من الايات في وصف غدر بني اسرائيل ونقضهم المواثيق وقالت جماعة من العلماء سبب الاية
فعل الاعرابي في غزوة ذات الرقاع وهي غزوة النبي عليه السلام بني محارب بن خصفة بن
قيس بن عيلان وذلك انه لما نزل بواد كثير العضاه فتفرق الناس في الظلال وتركت للنبي
صلى الله عليه وسلم سمرة ظليلة فعلق سيفه بها ونام فجاء رجل من محارب فاخترط السيف
فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم والسيف صلت في يده فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتخافني
قال لا فقال له ومن يمنعك مني قال الله فشام السيف في غمده وجلس ففي البخاري ان النبي
صلى الله عليه وسلم دعا الناس فاجتمعوا وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يعاقبه وذكر الواقدي وابن ابي حاتم عن ابيه انه اسلم وذكر قوم انه ضرب براسه
في ساق الشجرة حتى مات فنزلت الاية بسبب ذلك وفي البخاري في غزوة ذات الرقاع ان
اسم الرجل غورث بن الحارث بالغين المنقوطة وحكى بعض الناس ان اسمه دعثور بن
الحارث وحكى الطبري ان الاية نزلت بسبب قوم من اليهود ارادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم
في طعام فاشعره الله بذلك ثم ادخل الطبري تحت هذه الترجمة عن ابن عباس خلافا مما
ترجم به ان قوما من اليهود صنعوا للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه طعاما ليقتلوهم
اذا اتوا الطعام قال ع فيشبه ان ابن عباس انما وصف قصة بني النظير المتقدمة
وقال قتادة سبب الاية ما همت به محارب وبنو ثعلبة يوم ذات الرقاع من الحمل
على المسلمين في صلوة العصر فاشعر الله تعالى بذلك ونزلت صلوة الخوف فذلك كف
ايديهم عن المسلمين وحكى ابن فورك عن الحسن ان الاية نزلت بسبب ان قريشا بعثت
الى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ليغتاله ويقتله فاطلعه الله على ذلك وكفاه شره
قال ع والمحفوظ في هذا هو نهوض عمير بن وهب لهذا المعنى بعد اتفاقه على ذلك مع صفوان
ابن امية والحديث بكماله في سير ابن هشام وذكر قوم من المفسرين واشار اليه الزجاج
ان الاية نزلت في معنى قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فكانه تعالى عدد على المؤمنين
نعمته في ان اظهرهم وكشف بذلك ايدي الكفار عنهم التي كانوا هموا بسطها الى المؤمنين
قال ع ويحسن على هذا القول ان يكون الاية نزلت عقيب غزوة الخندق
وحين هزم الله الاحزاب وكفى المؤمنين القتال وباقي الاية امر
بالتقوى والتوكل قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا الى قوله سواء السبيل هذه الاية المتضمنة الخبر
عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوي ان الاية المتقدمة في كف الايدي انما كانت
في بني النضير واختلف المفسرون في كيفية بعثة هؤلاء النقباء بعد
الاجماع على ان النقيب كبير القوم القائم باموره الذي ينقب عنها
وعن مصالحهم فيها والنقاب الرجل العظيم الذي هو في الناس كلهم
على هذه الطريقة ومنه قيل في عمر انه كان لنقيبا فالنقباء الضمان الزمام
من نذاحم وقال قوم النقباء الامناء على قومهم وهذا كله قريب بعضه من
بعض والنقيب اكبر مكانة من العريف قال قتادة وغيره هؤلاء النقباء
قوم كبار من كل سبط تكفل كل واحد بسبطه بان يؤمنوا ويتقوا الله
يقال قال ع ونحو هذا كان النقباء ليلة العقبة مع محمد عليه السلام
وهي العقبة الثالثة بايع فيها سبعون رجلا وامراتان فاختار رسول الله

صلى الله عليه وسلم من السبعين اثني عشر رجلا وسماهم النقباء وقال الربيع والسدي وغيرهما
انما بعث النقباء من بني اسرائيل امناء على الاطلاع على الجبارين والسبر لقوتهم ومنعتهم
فساروا ليختبروا حالهم فلقيهم رجل من الجبارين فاخذهم جميعا فجعلهم في حجزته قال ع في قصص
طويل ضعيف مقتضاه انهم اطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة وظنوا انهم لا قبل لهم بهم
فتعاقدوا بينهم على ان يخفوا ذلك عن بني اسرائيل وان يعلموا به موسى عليه السلام ليرى
فيه امر ربه فلما انصرفوا الى بني اسرائيل خان منهم عشرة فعرفوا قراباتهم ومن وثقوه
على سرهم ففشا الخبر حتى اعوج امر بني اسرائيل وقالوا اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون واستدل الطبري عن ابن عباس قال النقباء من بني اسرائيل بعثهم موسى نظروا الى
مدينة الجبارين فذهبوا فنظروا فجاء بحبة من فاكهتهم وقر رجل فقالوا اقدروا قدر قوة
قوم هذه فاكهتهم فكان ذلك سبب فتنة بني اسرائيل ونكولهم وذكر النقاش ان معنى
قوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي ملكا وان الاية تعدد نعمة الله عليهم في ان
بعث لاصلاحهم هذا العدد من الملوك قال ع وما وفى منهم الا خمسة داود عليه السلام
وابنه سليمان وطالوت وحزقيا وابنه وكفر السبعة وبدلوا وقتلوا الانبياء وخرج
خلالا لاثني عشر اثنان وثلثون جبارا كلهم ياخذ الملك بالسيف ويعبث فيهم و
الضمير في معكم لبني اسرائيل جميعا ولهم كانت هذه المقالة وقال الربيع بل الضمير للاثني
عشر ولهم كانت هذه المقالة قال ع والقول الاول ارجح ومعكم معناه بنصري واحاطتي و
تاييدي واللام في قوله لئن هي المؤذنة بمجيء لام القسم ولام القسم هي قوله لاكفرن والدليل
على ان هذه اللام انما هي مؤذنة انها قد يستغنى عنها احيانا ويتم الكلام دونها ولو كانت
لام قسم لم يترتب ذلك واقامة الصلوة توفية شروطها والزكوة هنا شيء من المال كان
مفروضا عليهم فيما قال بعض المفسرين ويحتمل ان يكون المعنى واعطيتم من انفسكم كل ما
فيه زكاة لكم حسب ما ندبتم اليه وقدم هذه على الايمان تشريفا للصلوة والزكوة واذ
قد علم وتقرر انه لا ينفع عمل الا بالايمان وقرا الحسن ابن ابي الحسن برسلي ساكنة السين
في كل القران وعزرتموهم معناه وقرتموهم وعظمتموهم ونصرتموهم ومنه قول الشاعر وكم من
ماجد لهم كريم ومن ليث يعزر في الندي وقرا عاصم الجحدري وعزرتموهم خفيفة الزاي
حيث وقع وقرا في سورة الفتح وتعزروه بفتح التاء وسكون العين وضم الزاي وقد تقدم
في سورة البقرة تفسير الاقراض وتكفير السيئات تغطيتها بالمحو والاذهاب فهي
استعارة وسواء السبيل وسطه ومنه سواء الجحيم ومنه قول الاعرابي قد انقطع سوائي
واوساط الطرق هي المعظم اللاحب منها وسائر ما في الاية بين والله اعلم قوله عز وجل
فبما نقضهم ميثاقهم الاية يحتمل ان يكون ما زائدة والتقدير فبنقضهم ويحتمل ان يكون
اسما نكرة ابدل منه النقض على بدل المعرفة من النكرة التقدير فبفعل هو نقضهم للميثاق
هذا هو المعنى في هذا التاويل وقد تقدم في النساء نظير هذا ولعناهم معناه ابعدناهم
من الخير جملة وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وابن عامر قاسية بالالف وقرا
حمزة والكسائي قسية دون الف وزنها فعيلة فحجة الاول قوله تعالى فويل للقاسية
قلوبهم وقوله ثم قست قلوبكم والقسوة غلظ القلب ونبوه عن الرقة والموعظة وصلابته
حتى لا ينفعل لخير ومن قرا قسية فهو من هذا المعنى فعيلة بمعنى فاعلة كشاهد وشهيد
وغير ذلك من الامثلة وحكى الطبري عن قوم انهم قالوا قسية ليست من معنى القسوة وانما هي
كالقسي من الدراهم وهي التي خالطها غش وتدليس فكذا القلوب لم يصف للخير بل
خالطها الكفر والفساد ومن ذلك قول ابي زبيد لها صواهل في صم السلام كما صاح القسيات
في ايدي الصياريف ومنه قول الاخر وما زود ابني غير سحق عمامة وخمس مي منها قسي وزائف
قال ابو علي هذه اللفظة معربة وليس باصل في كلام العرب واختلف العلماء في معنى قوله يحرفون
الكلم فقال قوم منهم ابن عباس تحريفهم هو بالتاويل ولا قدرة لهم على تبديل الالفاظ في التورية
ولا متمكن لهم ذلك ويدل على ذلك بقاء اية الرجم واحتياجهم الى ان تضع القارئ يده
عليها وقالت فرقة بل حرفوا الكلام وبدلوه ايضا وفعلوا الامرين جميعا بحسب ما امكنهم
قال ع والفاظ القران يحتمل المعنيين فقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الاية
يقتضي التبديل ولا شك انهم فعلوا الامرين وقرا جمهور الناس الكلم بفتح الكاف وكسر اللام
وقرا ابو عبد الرحمن وابراهيم النخعي الكلام بالالف وقرا ابو رجاء الكلم بكسر الكاف و
سكون اللام وقوله تعالى ونسوا حظا مما ذكروا به نص على سوء فعلهم بانفسهم اي

قدكان لهم حظ عظيم فيما ذكروا به فنسوه وتركوه ثم اخبر تعالى نبيه عليه السلام انه لا يزال فى مستقبل الزمان تطلع على خائنة منهم وغائل وامور فاسده واختلف الناس فى معنى خائنة فى هذا الموضع فقالت فرقة خائنة مصدر كالعافيه وكقوله تعالى فاهلكوا بالطاغيه فالمعنى على خيانة وقال اخرون معناه على فرقة خائنة وهى اسم فاعل صفة لمؤنث وقال اخرون المعنى على خائن فزيدت الها للمبالغة كعلامة ونسابه ومنه قول الشاعر حدثت نفسك بالوفاء ولم يكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقرا الاعمش على خيانة منهم ثم استثنى تبارك وتعالى منهم القليل فيحتمل ان يكون الاستثناء فى الاشخاص ويحتمل ان يكون فى الافعال وقوله تعالى فاعف عنهم واصفح منسوخ بما فى براة من الامر بقتالهم حتى يؤدوا الجزية وباقى الاية وعد على الاحسان قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى الى قوله ويعفوا عن كثير من متعلقة باخذنا التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم ويحتمل ان يكون قوله ومن معطوفا على قوله خائنة منهم ويكون قوله اخذنا ميثاقهم ابتداء خبر عنهم والاول ارجح وعلق قولهم كونهم نصارى بقولهم ودعواهم من حيث هو اسم شرعى يقتضى نصر دين الله وسموا به انفسهم دون استحقاق ولا مشابهة من فعلهم وقولهم فجاءت هذه العبارة موبخة لهم مزحزحة عن طريق نصر دين الله وانبيائه وقوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء معناه اثبتناها بينهم والصقناها والاغراء ماخوذ من الغرا الذى يلصق والضمير فى بينهم يحتمل ان يعود على اليهود والنصارى لان العداوة بينهم موجودة مستمرة ويحتمل ان يعود على النصارى فقط لانها امة متقاتلة بينها التغير الى يوم القيمة ثم توعدهم الله تعالى بعقاب الاخرة اذا ساوهم الغرا اذا نتج نصرهم واذا كرمنه بعضهم انما هو تعزير وتوبيخ متقدم للعذاب اذ صنعهم كفر يوجب الخلود فى النار وقوله تعالى يا اهل الكتاب لفظ يعم اليهود والنصارى ولكن نوازل الاخفا كالرجم وغيره انما حفظت لليهود لانهم كانوا مجاورى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مهاجره وقال محمد بن كعب القرظى اول ما نزل من هذه السوره بعرفه فى حجة الوداع والله اعلم وقوله تعالى رسولنا يعنى محمدا عليه السلام وفى الاية دلالة على صحة نبوته لان اعلامه بخفى ما فى كتبهم وهو امى لا يقرا ولا صحبت القراة دليل على ان ذلك انما ياتيه من عند الله تبارك وتعالى وانتهى النوازل التى اخفوها واظهرها الله على لسان نبيه امر الرجم وحديثه مشهور ومن ذلك صفات محمد صلى الله عليه وسلم الى غير ذلك وقوله تعالى ومن الكتاب يعنى من التورية ويعفوا عن كثير معناه ويترك كثيرا لا يفضحكم فيه ابقاء عليكم وهذا المتروك هو فى معنى افتخارهم ووصفهم ايام الله قبلهم ونحو ذلك مما لا يعنى فى ملة الاسلام فضحهم فيه وتكذيبهم والفاعل فى يعفوا هو محمد عليه السلام ويحتمل ان يستند الفعل الى الله تعالى واذا كان من النبى صلى الله عليه وسلم العفو فبامر ربه وان كان من الله فعلى لسان نبيه فالاحتمال قريب بعضها من بعض والله اعلم قوله تعالى قد جاءكم من الله نور الى قوله والله على كل شى قدير قوله نور وكتاب مبين يحتمل ان يريد محمدا عليه السلام والقران وهذا ظاهر الالفاظ ويحتمل ان يريد موسى عليه السلام والتورية اى لو اتبعتموها حق الاتباع لامنتم بمحمد عليه السلام اذ هى امره بذلك مبشرة وقرا عبيد بن عمير والزهرى وسلام وحميد ومسلم بن جندب به الله بضم الهاء حيث وقع واتبع رضوانه معناه بالتكسب والنية والاقبال عليه والسبل الطرق والقراة فى رضوان بضم الراء وكسرها وهما لغتان وقد تقدم ذكر ذلك وقرا ابن شهاب والحسن ابن ابى الحسن سبل ساكنة البا والسلام فى هذه الاية يحتمل ان يكون اسما من اسماء الله تعالى فالمعنى طرق الله التى امر بها عباده وشرعها لهم ويحتمل ان يكون مصدرا كالسلامة والمعنى طرق النجاة والسلامة من النار وقوله تعالى ويخرجهم يعنى المتبعين الرضوان فالضمير على من لا على لفظها والظلمات الكفر والنور الايمان وقوله اى بتمكينه من اقوال الايمان وافعاله وبعلمه فعلهم لذلك والتزامهم اياه وهذا هو حد الاذن العلم بالشى والتمكين منه باذنه وقد شرحه فى سورة البقرة والصراط المستقيم هو دين الله تعالى وتوحيده وما تركت عليه من شرعه ثم اخبر تعالى بكفر النصارى القائلين بان الله هو المسيح وهذه فرقة من النصارى فى كل فرقهم على اختلاف اقوالهم تجعل للمسيح حظا من الالوهية وقد تقدم القول فى لفظة المسيح فى سورة ال عمران ثم رد عليهم تعالى بقوله لنبيه قل فمن يملك اى لا مالك ولا راد لارادة الله تعالى

فى المسيح

فى المسيح ولا فى غيره مهلكا مما يقتضى العقول معه ان من تنفذ الارادة فيه ليس باله ثم قرر تعالى ملكه فى السموات والارض وما بينهما فحصل المسيح عليه السلام اقل اجرام ملك الله تعالى وقوله تعالى يخلق ما يشاء اشارة الى خلقه المسيح فى رحم مريم من غير والد بل اختراعا كادم عليه السلام وقد تقدم فى ال عمران الفرق بين قوله تعالى فى قصة زكريا يفعل ما يشاء وفى قصة مريم يخلق ما يشاء وقوله تعالى والله على كل شى قدير عموم معناه الخصوص فيما عدا الذات والشى فى اللغة هو الموجود والله الموفق قوله عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الى قوله على كل شى قدير فى الكلام لف والحال يجال المستمع على تفريقه بذهنه وذلك ان ظاهر اللفظ ان جميع اليهود والنصارى يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وليس الامر كذلك بل كل فرقة تقول خاصة نحن ابناء الله واحباؤه والبنوة فى قولهم هذا بنوة الحنان والرافة وذكروا ان الله تعالى اوحى الى بنى اسرائيل ان اول اولادك اولاد بكرى فضلوا بذلك وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه ولو صح ما روى لكان معناه بكرا فى البشر فى التشريف او النبوة ونحوه واحباؤه جمع حبيب وكانت هذه المقالة منهم عندما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الايمان به وخوفهم العذاب فقالوا نحن لا نخاف ما تقول لانا ابناء الله واحباؤه وذكر ذلك ابن عباس وقد كانوا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم فى غير ما موطن يدخل النار بقسم بها اربعين يوما ثم تخلفونا فيها فرد الله عليهم بقولهم فقال لمحمد عليه السلام قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى لو كانت منزلتكم منه فوق منازل البشر لما عذبكم وانتم قد اقررتم انه يعذبكم قال ع وهذا على ان هذا التعذيب هو شان الاخرة وقد يحتمل الاية ان يكون المراد ما كان الله تعالى يعذبهم به فى الدنيا وذلك ان بنى اسرائيل كانوا اذا اصاب الرجل منهم خطيئة اصبح مكتوبا على بابه ذكر دينه وذكر عقوبته فينفذ ذلك عليه فهذا التعذيب فى الدنيا على الذنوب ينافى انهم ابناء واحباء ثم ترك الكلام الاول واضرب عنه غير مفسد له ودخل فى غيره فى تقرير كونهم بشرا كسائر الناس والخلق اكرمهم اتقاهم يهدى من يشاء للايمان فيغفر له ويورط من يشاء فى الكفر فيعذبه وله ملك السموات والارض وما بينهما فله بحق الملك ان يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه واليه مصير العالم بالحشر والمعاد وقوله تعالى يا اهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى والرسول فى قوله رسولنا محمد عليه السلام وقوله تعالى على فترة من الرسل اى على انقطاع من مجيئهم مدة ما والفترة سكون بعد حركة فى جرم ويستعار ذلك فى المعانى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لكل عمل شره ولكل سره ومره وقال الشاعر وانى لتعرونى لذكراك فترة معناه سكون بعد اضطراب واختلف الناس فى قدر الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام فقال قتادة خمس مائة عام وستون عاما وقال الضحاك اربع مائة سنة وبضع وثلثون سنة وفى الصحيح الفترة بينهما ستمائة سنة وهذه الاية نزلت بسبب قول اليهود ما انزل الله على بشر بعد موسى قاله ابن عباس وقوله تعالى ان تقولوا مفعول من اجله المعنى حذار ان يقولوا محتجين يوم القيمة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم وقامت الحجة عليكم والله على كل شى قدير وهو الهادى والمضل والمنعم والمعذب لا رب غيره قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم الى قوله فانا داخلون المعنى واذكر لهم يا محمد على جهة اعلامهم بغيب كتبهم ليتحققوا نبوتك وينتظم فى ذلك ذكر نعم الله عليهم وتلقيهم تلك النعم بالكفر وقلة الطاعة والانابة وقرا ابن محيصن يا قوم وكذلك حيث وقع فى القران وروى ذلك عن ابن كثير ونعمة الله هنا اسم الجنس ثم عد عيون تلك النعم والانبياء الذين جعل فيهم امرهم مشهور من لدن اسرائيل الى زمان عيسى عليه السلام والانبياء حاطه ومنقذون من النار وشرف فى الدنيا والاخرة وقوله وجعلكم ملوكا يحتمل معان احدها ان تعدد عليهم ملك من ملك من بنى اسرائيل لان الملوك شرف فى الدنيا وحاطه من نوائبها والمعنى الاخر ان يريد استنقذكم من القبط الذين كانوا يستخدمونكم فصرتم احرارا تملكون فهم ملوك بهذا الوجه وبنحو هذا فسر السدى وغيره وقال قتادة انما قال وجعلكم ملوكا لانا كنا نتحدث انهم اول من خدمه احد من بنى ادم قال ع وهذا ضعيف لان القبط كانوا يستخدمون بنى اسرائيل وظاهر امر بنى ادم ان بعضهم كان يسخر بعضا مذ ما تناسلوا وكثروا وانما اختلفت الامم فى معنى التملك فقط وقال عبد الله بن عمرو بن العاص والحسن ابن ابى الحسن وجماعة من اهل العلم من كان له مسكن لا يدخل عليه فيه الا باذن فهو ملك وقوله تعالى

وانا كم ما لم يؤت احدا من العالمين قال فيه ابو مالك وسعيد بن جبير الخطاب لامة محمد عليه
السلام وهذا ضعيف وقال جمهور المفسرين الخطاب هو من موسى عليه السلام لقومه ثم
اختلف المفسرون ما هذا الذى اوتوا ولم يؤت احد مثله فقال مجاهد المن والسلوى
والحجر والغمام وقال غيره كثرة الانبياء **قال ع** وعلى هذا فى كثرة الانبياء فالعالمون على
العموم والاطلاق وعلى القول بان المؤتى هو ايات موسى فالعالمون مقيد بالزمان الذى
الذى كانوا فيه لان امة محمد صلى الله عليه وسلم قد اوتيت من ايات محمد عليه السلام اكثر
من ذلك قد ظلل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغمامة قبل مبعثه وكلمته الحجارة والبهائم
واقبلت اليه الشجرة وحن الجذع ونبع الماء من بين اصابعه وشبع كثير من الناس
من قليل الطعام ببركته وانشق له القمر وعاد العود سيفا ورجع الحجر المعترض
فى الخندق رملا انهيلا **قال ع** وهذه المقالة من موسى عليه السلام توطئة
لنفوسهم حتى يعززوا وياخذوا الامر بدخول ارض الجبارين بقوة ويسعد فى ذلك
نفوذ من اعزه الله ورفع من شانه **والمقدسة** معناه المطهرة وقال مجاهد
معناه المبارك اى المباركة **قال ع** والبركة تطهير من القحوط والجوع ونحوه
واختلف الناس فى تعيينها فقال ابن عباس ومجاهد هى الطور وما حوله
وقال قتادة هى الشام وقال ابن زيد هى اريحا وقاله السدى وابن عطا ايضا
وقال قوم هى الغوطة وفلسطين وبعض الاردن قال الطبرى ولا يختلف
انها بين الفرات وعريش مصر **قال ع** وتظاهرت الروايات ان دمشق هى
قاعدة الجبارين **وقوله تعالى** التى كتب الله لكم معناه التى كتب الله فى قضائه
وقدره انها لكم ترثونها ويسكنونها مالككم لها ولكن فتنتكم فى دخولها
بعرض قتال من فيها عليكم تمحيصا وتجربة ثم حذرهم موسى الارتداد على الادبار
وذلك القهقرى ويحتمل ان يكون تولية الدبر ايضا والرجوع فى الطريق الذى جىء منه والخاسر
والخاسر الذى نقص حظه ثم ذكر عز وجل عن بنى اسرائيل انهم تعنتوا ونكصوا
فقالوا ان فيها قوما جبارين والجبار فعال من الجبر كانه لقوته وغشمه وبطشه يجبر
الناس على ارادته والنخل الجبارة العالية التى لا تنال بيد وكان من خبر الجبارين
انهم كانوا اهل قوة فلما بعث اليهم موسى الاثنى عشر نقيبا مطلعين على امر
الجبارين واحوالهم راوا لهم قوة وبطشا وتخيلوا ان لا طاقة لهم بها فجازوا بنى اسرائيل
ونقضوا العهد فى ان اخبروهم بحال الجبارين حسب ما قدمناه فى ذكر بعث النقبا
ولم يف منهم الا يوشع بن نون وكالب بن يوقنا عليهم السلام ثم ان بنى اسرائيل
كعوا وجبنوا وقالوا لو كوننا عبيد القبط اسهل علينا من قتال هؤلاء وهم كثير
منهم ان تقدموا رجلا على انفسهم الى ارض مصر مرتدين على الاعقاب ونسوا ان الله
تعالى اذا ايد الضعيف عليه القوى واخبروا موسى انهم لن يدخلوا الارض ما دام الجبابرة
الجبارون فيها وطلبوا منه ان يخرج الله الجبارين بحسب عبد الله وحلل يدخل بنى
اسرائيل **قوله عز وجل** قال رجلان من الذين يخافون الى قوله على القوم الفاسقين
قرا ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد يخافون بضم الياء وقرا الجمهور يخافون بفتح
الياء وقال اكثر المفسرين الرجلان يوشع بن نون وهو ابن اخت موسى بن لخت موسى
وكالب بن يوقنا ويقال فيه كلاب ويقال كالوث شامليه ويقال اسم ابيه يوقنا وهو
صهر موسى على اخيه قال الطبرى اسم زوجته مريم بنت عمران ومعنى يخافون اى الله
وانعم عليهما بالايمان الصحيح وربط الجاش والثبوت فى الحق وقال قوم يخافون العدو
ولكن انعم الله عليهما بالايمان والثبوت مع خوفهما ويقوى التاويل الاول ان فى
قراة ابن مسعود قال رجلان من الذين يخافون الله انعم الله عليهما واما من قرا بالياء المضمومة
فلقراته ثلثة معان احدها ما روى ان الرجلين كانا من الجبارين فامنا لموسى
واتبعاه فكانا من الذين يخافون لكن انعم الله عليهما بالايمان لموسى فقالا نحن اعلم
بقومنا والمعنى الثانى انهما يوشع وكالوث لكنهما من الذين يوقرون ويسمع كلامهم
ويهابون لقراهم وفضلهم فهم يخافون بهذا الوجه والمعنى الثالث ان يكون
الفعل من اخاف والمعنى من الذين يخافون بامر الله ونواهيه ووعيده وزجره فيكون
ذلك مدحا لهم على نحو المدح فى قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى **وقوله
تعالى** انعم الله عليهما صفة للرجلين والباب هو باب الجبارين مدينة فيما ذكر المفسرون

والمعنى

والمعنى اجتهدوا وكافحوا حتى يدخلوا الباب **وقوله تعالى** فانكم غالبون ظن منهما ورجاء وقياس
اى انكم بذلك تعتون فى اعضادهم يقع الرعب فى قلوبهم فيغلبونهم وفى قراة ابن مسعود
عليهما ويلكم ادخلوا وقولهما وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين يقتضى انهما استرابا
بايمانهم حين راوا يعصون الرسل ويجبنون مع وعد الله لهم بالنصر ثم ان بنى اسرائيل
لجوا فى عصيانهم وسمعوا من العشرة النقبا الجواسيس الذين خوفوهم من الجبارين
ووصفوا لهم قوة الجبارين وعظم خلقهم فصمموا على خلاف امر الله وقالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون
وهذه عبارة تقتضى كفرا وذهب بعض الناس الى ان المعنى اذهب انت وربك يعينك
وان الكلام معصية وان الكلام معصية لا كفر **قال ع** وقولهم فقاتلا يقطع بهذا التاويل
وذكر النقاش عن بعض المفسرين ان المراد بالرب ها هنا هرون لانه كان اسن
من موسى فكان مطيعا فى بنى اسرائيل محببا لسعة خلقه ورحب صدره وكانهم
قالوا اذهب انت وكبيرك **قال ع** وهذا تاويل بعيد وهارون انما كان وزيرا
لموسى وتابعا له فى معنى الرسالة ولكنه تخلص لبنى اسرائيل من الكفر وذكر الطبرى
عن قتادة انه قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عزم على قتال
قريش فى عام الحديبية خرج فجمع العسكر وكلم الناس فى ذلك فقال له المقداد
ابن الاسود لسنا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا
ها هنا قاعدون ولكنا نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون وذكر
النقاش ان الانصار قالت هذه المقالة للنبى صلى الله عليه وسلم **قال ع** وجميع هذا فيه غلط
قتادة رحمه الله فى وقت النازلة وغلط النقاش فى قايل المقالة والكلام انما وقع
فى غزوة بدر حين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذفران فكلم الناس وقال لهم اشيروا
على ايها الناس فقال له المقداد هذه المقالة فى كلام طويل ذكر ذلك ابن اسحق وغيره
ثم تكلم من الانصار سعد بن معاذ بنحو هذا المعنى ولكن سبقه المقداد الى التمثيل بالاية
قال ع وتمثيل المقداد بها وتعبير النبى صلى الله عليه وسلم لذلك يقتضى ان الرب انما اريد به الله
تعالى وتولسا ايضا فى ايمان بنى اسرائيل لان المقداد قد قال فاذهب انت وربك فقاتلا
وليس لكلامه معنى الا ان الله يعينك ويقاتل معك ملائكته وينصره فعسى ان بنى اسرائيل ارادت
ذلك اى اذهب انت يحرجهم الله بنصره وقدره من المدينة وحينئذ يدخلها لكن قبحت عبارتهم
لاقتران النكول بها وحسنت عبارة المقداد لاقتران الطاعة والاقدام بها ولما بلغ موسى
عليه السلام قولهم وراى عصيانهم تبرا الى الله منهم وقال داعيا عليهم رب انى
لا املك الا نفسى واخى يعنى هارون وقوله واخى يحتمل ان يكون اعرابه رفعا على الابتداء و
التقدير واخى لا يملك الا نفسه واما على العطف على الضمير الذى فى املك تقديره
لا املك انا ويحتمل ان يكون اعرابه نصبا على العطف على نفسى وذلك ان هارون كان
يطيع موسى فلذلك احترز انه يملكه وقرا الحسن الا نفسى واخى بفتح الياء فيهما **وقوله**
فافرق بيننا دعا حرج قال السدى هى عجل عجلها موسى وقال ابن عباس والضحاك
وغيرهما افصل بيننا وبينهم بحكم وافتح فالمعنى احكم بحكم يفرق هذا الاختلاف ويلم
الشعث **قال ع** وعلى هذا التاويل ليس فى الدعاء عجلة وقال قوم المعنى فافرق بيننا وبينهم
فى الاخرة حتى يكون منزلة المطيع مفارقة لمنزلة العاصى الفاسق ويحتمل الدعاء ان يكون
معناه فرق بيننا وبينهم بمعنى ان يكون ابعد با وجوههم وفرق بيننا وبينهم حتى لا نسمع
سفههم وبهذا الوجه تجىء العجلة فى الدعاء وقرا عبيد بن عمير فافرق بكسر الراء **قال** فانها
محرمة عليهم المعنى قال الله واضمر العامل فى هذه الافعال كلها اختصار الدلالة معنى
الكلام على المراد وحرم الله تعالى على جميع بنى اسرائيل دخول تلك المدينة اربعين
سنة وتركهم خلالها يتيهون فى الارض اى فى ارض تلك النازلة وهى فحص التيه
وهو على ما يحكى طول ثلثين ميلا فى ارض ستة فراسخ وهو ما بين مصر والشام وروى
انه لم يبق ان ما يكل من قال انا لن ندخلها ابدا ولم يدخل المدينة احد من ذلك الجيل
الا يوشع وكالوث ويروى ان هرون عليه السلام مات فى فحص التيه فى خلال هذه
المدة ولم يختلف فى هذا ويروى ان موسى عليه السلام مات فيه بعد هارون بثمانية
اعوام وقيل بستة اشهر ونصف وان يوشع نبى بعد كمال الاربعين سنة وخرج
ببنى اسرائيل وقاتل الجبارين وفتح المدينة وفى تلك الحرب وقفت له الشمس ساعة

حتى استمر هوم الجبارين وروى ان موسى عليه السلام عاش حتى كملت الاربعون
وخرج بالناس وجازت الجبارين ويوشع وكالب على مقدمته وانه فتح المدينة وقتل بيده
عوج بن عناق ويقال كان في طول موسى عشرة اذرع وفي طول عصاه عشرة اذرع
ونزا من الارض الى السماء عشرة اذرع وحينئذ لحق كعب عوج فضربه بعصاه في كعبه
فخر صريعا ويروى ان عوجا اقتطع صخرة ليطرحها على عسكر بني اسرائيل فبعث الله
هدهدا ليحز الماس فاداره على الصخرة فتقورت ودخلت في عنق عوج وضربه موسى
فمات وحكى الطبري ان طول عوج ثمان مائة ذراع وحكى ابن عباس قال لما خر عوج كان جسرا
على النيل سنة **قال ع** والتدليس في تلك الاقطار وهذا كله ضعيف والله اعلم وحكى الزجاج
عن قوم ان موسى وهارون لم يكونا في التيه والعامل في اربعين يحتمل ان يكون محرمة اي
حرمت عليهم اربعين سنة ويتيهون في الارض هذه المدة ثم يفتح عليهم ادرك ذلك
من ادركه ومات قبله من مات وخطاه ابو اسحق ويكون العامل محرمة وذلك منه تحامل
ويحتمل ان يكون العامل يتيهون مضمرا يدل عليه يتيهون المتاخر ويكون قوله انها محرمة
اخبارا مستمرا تلقوا منه ان المخاطبين لا يدخلونها ابدا وانهم مع ذلك يتيهون في الارض
اربعين سنة يموت فيها من مات **قال ع** والخطاب على هذا التاويل اصعب موقعا و
احضر ناسا وروى ان من كان جاوز عشرين سنة لم يعش الى الخروج من التيه وان
من كان دون العشرين عاشوا **قال ع** كانه لم يعش المكلفون واشار الى ذلك الزجاج والتيه
الذهاب في الارض الى غير مقصد معلوم ويروى ان بني اسرائيل كانوا يدخلون بالليل
ويسيروا الليل كله اجمع في تحليق ونحوه من التردد وقلة استقامة السير حتى اذا اصبحوا
وجدوا احملتهم في الموضع الذي كانوا فيه اول الليل قال مجاهد وغيره كانوا يسيرون
النهار احيانا والليل احيانا فيمسون حيث اصبحوا ويصبحون حيث امسوا وذلك
في مقدار ستة فراسخ **قال ع** ويحتمل ان يكون تيههم بافتراق الكلمة وقلة اجتماع
الراي وان الله تعالى رماهم بالاختلاف وعلموا انها قد حرمت عليهم اربعين
سنة فتفرقت منازلهم في ذلك الفحص واقاموا ينتقلون من موضع الى موضع على
غير نظام واجتماع حتى كملت هذه المدة واذن الله بخروجهم وهذا تيه ممكن
محتمل على عرف البشر والاخر الذي ذكره مجاهد انما هو خرق عادة وعجب من قدرة الله
تعالى وفي ذلك التيه ظلل عليهم الغمام ورزقوا المن والسلوى الى غير ذلك مما روى
من ملابسهم وقد مضى ذلك في سورة البقرة **وقوله تعالى** فلا تاس على القوم الفاسقين
معناه لا تحزن يقال اسي الرجل ياسى اسا اذا حزن ومنه قول امرئ القيس وقوفا بها
صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل وقول متمم بن نويرة فقلت لها ان الاسى
يبعث الاسى دعوني فهذا كله قبر مالك والخطاب بهذه الاية لموسى عليه السلام قال
ابن عباس ندم موسى على دعائه وغلى قومه وحزن عليهم فقال الله له فلا تاس على القوم
الفاسقين وقال قوم من المفسرين الخطاب بهذه الالفاظ لمحمد عليه السلام والمراد با
لفاسقين معاصروه اي هذه افعال اسلافهم فلا تحزن انت بسبب افعالهم الخبيثة
معك وردهم عليك فانها سجية خبيثة موروثة عندهم **قوله عز وجل** واتل عليهم
نبا ابني ادم بالحق الى قوله وذلك جزاء الظالمين اتل معناه اسرد واسمعهم اياه
وهذا من علوم الكتب الاول التي لا تعلق لمحمد عليه السلام بها الا من طريق
الوحي وهي من دلائل نبوته والضمير في عليهم ظاهر امره انه يراد به بنو اسرائيل لوجهين
احدهما ان المحاورة فيما تقدم انما هي في شانهم واقامة الحجة عليهم بسبب همهم ببسط
اليد الى محمد عليه السلام والثاني ان علم نبا ابني ادم انما هو عندهم وفي غامض
كتبهم وعليهم تقوم الحجة في ايراده والنبا الخبر وابنا ادم هما في قول جمهور المفسرين
وهما قابيل وهابيل وقال الحسن بن ابي الحسن البصري ابنا ادم ليسا من صلبه ولم
يكن القرابين الا في بني اسرائيل **قال ع** وهذا وهم وكيف يجهل صور الدفن احد من
بني اسرائيل حتى يقتدي بالغراب والصحيح قول الجمهور وروى ان نفوسهم انكم
القربان انما كان باختيار وتطوعها وكان قابيل صاحب زرع فعمد الى ارذل ما
عنده وادناه فقربه وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى افضل كباشه فقربه
وكانت العادة حينئذ ان يقرب المقرب قربانه ويقوم فيصلي ويسجد فان نزلت
نار واكلت القربان فذلك دليل القبول والا كان تركه دليل عدم القبول فلما

قرب

قرب هذان كما ذكرت نزلت النار فاخذت كبش هابيل فرفعته وسترته عن العيون
وتركت زرع قابيل قال سعيد بن جبير وغيره وكان ذلك الكبش يرتع في الجنة
حتى اهبط الى ابن ادم هذا في فداء ابنه قال ساق هذا القصص فحسد قابيل
هابيل وقال له اتمشي على الارض يراك الناس افضل مني وكان قابيل اسن
ولد ادم وروى ان ادم سافر الى مكة ليرى الكعبة وترك قابيل وصيا
على بنيه فجرت هذه القصة في عقبه وروت جماعة من المفسرين منهم ابن مسعود ان
سبب هذا التقريب ان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى وكان الذكر يزوج انثى
البطن الاخر ولا تحل له اخته توامته فولدت مع قابيل اخت جميلة ومع هابيل اخت
ليست كذلك فلما اراد ادم تزويجها قال قابيل انا احق باختي فامره ادم فلم ياتمر فاتفقوا
على التقريب وروى ان ادم حضر ذلك فتقبل قربان هابيل ووجب ان ياخذ اخت قابيل
فحينئذ قال له لاقتلنك وقول هابيل انما يتقبل الله من المتقين كلام قبله محذوف تقديره
ولم تقتلني وانا لم اجن شيئا ولا ذنب لي في قبول الله قرباني اما اني اتقيته وكنت على لاحب
الحق وانما يتقبل الله من المتقين **قال ع** واجماع اهل السنة في معنى الالفاظ هذه
انها اتقاء الشرك فمن اتقاه وهو موحد فاعماله التي يصدق فيها نيته مقبولة واما المتقي
للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة علم ذلك باخبار الله
تعالى لا ان ذلك يجب على الله عقلا وقال عدي بن ثابت وغيره قربان متقي هذه الامة
الصلوة واختلف الناس لم قال هابيل ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك فقال مجاهد
كان الغرض عليهم حينئذ ان لا يسل احد سيفا وان لا يمنع من اريد قتله وقال عبد الله
ابن عمرو وجمهور الناس كان هابيل اشد قوة من قابيل ولكن تحرج **قال ع** وهذا هو الاظهر
ومن هنا يقوى ان قابيل انما هو عاص لا كافر لانه لو كان كافرا لم يكن للتحرج هاهنا وجه
فانما وجه التحرج من هذا ان المتحرج ياتي ان يقاتل موحدا ويرضى بان يظلم ليجازى في الاخرة
ونحو هذا فعل عثمان بن عفان رضي الله ومنه قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك الاية ليست هذه
الاية بارادة محبة وشهوة وانما هي تخيير في شرين كما يقول العرب في الشر خيار فالمعنى ان
قتلتني وسبق بذلك قدر فاختياري ان اكون مظلوما سينتصر الله لي في الاخرة **وتبوء**
معناه تمضي متحملا **وقوله تعالى** باثمي واثمك قيل معناه باثم قتلي وسائر اثامك التي اوجبت
الا يتقبل منك وقيل المعنى باثم قتلي واثمك في العداء علي مع وفي العداء وارادة القتل اثم ولو لم
يقع القتل وقيل المعنى باثمي ان لو اردت قتلك وقتلتك واثم نفسي في قتالي وقتلي **قال ع** وهذا
هو الاثم الذي يعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على
قتل صاحبه وكان هابيل اراد اي لست بحريص على قتلك فالاثم الذي كان يلحقني لو كنت
حريصا على قتلك اريد ان تحمله انت مع اثمك في قتلي وقيل المعنى باثمي الذي يختص فيما فرض
لي ان يوخذ من سيئاتي فيطرح عليك بسبب ظلمك لي وتبوء باثمي في قتلي فهذا تاويل يعضده
قول النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بالظالم والمظلوم يوم القيامة فيوجد من حسنات الظالم
فيزاد في حسنات المظلوم حتى ينتصف فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات المظلوم
فطرح عليه **وقوله تعالى** وذلك جزاء الظالمين يحتمل ان يكون من قول هابيل لاخيه ويحتمل
ان يكون اخبارا من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم **قوله عز وجل** فطوعت له نفسه
قتل اخيه الى قوله من النادمين قراءة الجمهور فطوعت والمعنى ان القتل في ذاته مستصعب
عظيم على النفوس فردته هذه النفس اللحوحة الامارة بالسوء طائعا منقادا حتى واقعه صاحب
هذه النفس وقرا الحسن بن ابي الحسن والجراح والحسن بن عمران وابو واقد وطاوعت
والمعنى كان القتل يدعو الى نفسه بسبب الحقد والحسد الذي اصاب قابيل وكانت النفس تاباه
ذلك وتصعب عليها وكل جهة تريد ان يطيعها الاخرى الى ان تفاقم الامر وطاوعت النفس
القتل فواقعته وروى انه التمس الغرة في قتله مدة حتى وجده قائما في غنمه فشدخ راسه
بحجر وروى انه لم يدر كيف يقتله فجاء ابليس بطائر او حيوان غيره فجعل يشدخ راسه
بين حجرين ليقتدي به قابيل ففعل وروى انه لما انصرف قابيل الى ادم قال له اين هابيل قال
لا ادري كانك وكلتني بحفظه فقال له ادم افعلتها والله ان دمه ليبادي ونهى من الارض
اللهم العن ايضا شربت دم هابيل فروى انه حينئذ ما شربت ارض دما ثم ان ادم صلى الله
عليه وسلم بقي مائة عام لم يبتسم حتى جاءه ملك الموت عليه السلام فقال له حياك الله يا ادم

وساك قال ادم عليه السلام ما ساك قال اضحكك وروى ان ادم عليه السلام قال حينئذ
تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة
الوجه المليح هكذا هو الشعر بنصب بشاشة وحذف التنوين وروى عن مجاهد
انه قال علقت احدى رجلى القابيل بساقها الى فخذها من يومئذ يوم القيمة ووجهه
الى الشمس حيث ما دارت عليه فى الصيف حظيرة من نار وعليه فى الشتا حظيرة من
ثلج قال ع فان صح هذا فهو من خسرانه الذى تضمنه قوله تعالى فاصبح من الخاسرين
ومن خسرانه ما روى عن عبد الله بن عمرو انه قال انا لنجد ابن ادم القاتل يقاسم اهل
النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم ومن خسرانه ما صح وثبت عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها وذلك انه اول
من سن القتل وقوله تعالى فاصبح عبارة عن جميع اوقاته اقيم بعض الزمن مقام كله
وخص الصباح بذلك لانه بداء النهار والانبعاث الى الدهر ومظنة النشاط ومنه قول الربيع
ابن ضبع اصبحت لا احمل السلاح البت ومنه قول سعد بن ابى وقاص ثم اصبحت بعد ذى
الى الاسلام الى غير ذلك من استعمال العرب لما ذكرناه وقوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث
فى الارض الاية روى فى معناه ان قابيل جعل اخاه فى جراب ومشى به يحمله على عنقه مائة
مائة عام وقيل سنة واحدة وقيل بل اصبح فى ثانى يوم قتله يطلب اخفاءه ام اخيه
فلم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابا حيا الى غراب ميت فجعل يبحث فى الارض ويلقى التراب
على الغراب الميت وروى ان الله تعالى بعث غرابين فاقتتلا حتى قتل احدهما الاخر ثم
جعل القاتل يبحث ويوارى الميت وروى ان الله تعالى بعث غرابا واحدا فجعل يبحث
ويلقى التراب على هابيل وظاهر هذه الاية ان هابيل هو اول ميت من بنى ادم ولذلك
جهلت سنة المواراة وكذلك حكى الطبرى عن ابن اسحق عن بعض اهل العلم بما فى
الكتب الاول ويبحث معناه يفتش التراب بمنقاره ويفتشه ومن هذا سميت سورة
براءة البحوث لانها فتشت عن المنافقين ومن ذلك قول الشاعر ان الناس غطونى
تغطيت عنهم وان بحثونى كان فيهم مباحث وفى المثل لا تكن كالباحث عن
السفرة والضمير فى قوله تعالى سوءة اخيه يحتمل ان يكون عائدا على قابيل ويراد بالاخ
هابيل ويحتمل ان يعود على الغراب الباحث ويراد بالاخ الغراب الميت والاول اشهر
فى التاويل والسوءة للعورة وخصت بالذكر مع ان المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام
بها ولان سترها اوكد ويحتمل ان يراد بالسوءة هذه الحالة التى تسوء الناظر واضعت
الى المقتول من حيث نزلت به النازلة لا على جهة الغض منه بل الغض لاحق للقاتل
وهو الذى اتى بالسوءة وقرا الجمهور فاوارى بنصب الياء وقرا طلحة بن مصرف والفياض
ابن غزوان فاوارى بسكون الياء وهى لغة لتوالى الحركات ولما راى قابيل فعل الغراب
تنبه على فعل ما تصنع باخيه وراى قصور نفسه وجهل البشر بالامور فقال يا ويلتا اعجزت
الاية واحتقر نفسه ولذلك وقرا الجمهور يا ويلتى والاصل يا ويلتى لكن من العرب من يبدل
من الياء ويفتح لذلك فيقولون يا ويلتا ويا غلاما ويقف بعضهم على هاء السكت فيقول
يا ويلتاه وقراءة الحسن ابن ابى الحسن يا ويلتى ونداء الويل هو على معنى احضرى وهذا
اوانك وهذا هو الباب فى قوله يا حسرة على العباد وفى قولهم يا عجبا وما جرى مجراه
من نداء هذه الامور التى لا تعقل فهى معان وقرا الجمهور اعجزت بفتح الجيم وقرا ابن مسعود
والحسن والفياض وطلحة بن سليمان اعجزت بكسر الجيم وهى لغة ثم ان قابيل وارى اخاه وندم
على ما كان منه من معصية الله فى قتله حيث لا ينفعه الندم واختلف العلماء فى قابيل
هل هو من الكفار او من العصاة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
ضرب لكم ابنى ادم مثلا فخذوا من خيرهما ودعوا الشر قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا
على بنى اسرائيل الى قوله المسرفون جمهور الناس على ان قوله من اجل ذلك متعلق بقوله كتبنا
اى بسبب هذه النازلة ومن جراها كتبنا وقال قوم بل هو متعلق بقوله من النادمين اى
ندم من اجل ما وقع والوقف على هذا على ذلك والناس على ان الوقف من النادمين ويقال
اجل الامر اجلا واجلا اذا جناه وجره ومنه قول خوات واهل خباء صالح ذات بينهم
قد احتربوا فى عاجل انا اجله ويقال فعلت ذلك من اجلك بفتح الهمزة ومن اجلك بكسرها
وقرا ابو جعفر بن القعقاع من اجل ذلك وبوصل الالف وكسر النون مثلها وهذا على ان
القى حركة الهمزة على النون كما قالوا كم الملك بكسر الميم وفصل الالف ومن ابرهيم بكسر النون

وكتبنا

وكتبنا معناه كتب بامرنا فكتب منزله عليهم تضمنت فرض ذلك وخص الله تعالى بنى
اسرائيل بالذكر دون نفسك منهم اذ كان قتل النفس فيهم محظورا لوجهين احدهما
فيما روى ان بنى اسرائيل اول امة نزل الوعيد عليهم فى قتل الانفس فى كتاب
وغلظ الامر عليهم بحسب طغيانهم وسفكهم الدماء والاخر لتلوح مذمتهم
فى ان كتب عليهم هذا وهم مع ذلك لا يرعوون ولا ينتهون بل هموا بقتل النبى صلى الله عليه
وسلم ظلما فخصوا بالذكر لحصول هم مخالفين لما كتب عليهم وقوله تعالى بغير نفس
معناه ان يقتل نفسا فيستحق القتل وقد حرم الله تعالى نفس المؤمن الا باحدى ثلاث
خصال كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس ظلما وتعديا وههنا يندرج
المحارب والفساد فى الارض يجمع الزنا والارتداد والحرابة وقرا الحسن او فسادا فى
الارض بالنصب على فعل محذوف تقديره او ياتى فسادا او ترك او يحدث فسادا و
حذفت الفعل الناصب لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا
اضطرب قول المفسرين فى ترتيب هذا التشبيه فروى عن ابن عباس انه قال المعنى
من قتل نبيا او اماما عدلا فكانما قتل الناس جميعا ومن احياه بان شد عضده و
نصره فكانما احيا الناس جميعا قال ع وهذا قول لا تعطيه الالفاظ وروى عن
ابن عباس انه قال ايضا المعنى من قتل نفسا واحدة وانتهك حرمتها فهو مثل من
قتل الناس جميعا ومن ترك قتل نفس واحدة وصان حرمتها مخافتى واستحياها
ان يقتلها فهو كمن احيا الناس جميعا وقال عبد الله بن عباس ايضا المعنى فكانما قتل
الناس جميعا عند المقتول ومن احياها واستنقذها عن هلكة فكانما احيا الناس
جميعا اذ يصلى النار بذلك ومن سلم من قتلها فكانما سلم من قتل الناس
وقال مجاهد الذى يقتل النفس المؤمنة متعمدا جعل الله جزاءه جهنم
وغضب عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما يقول لو قتل الناس جميعا لم يزد
على ذلك ومن لم يقتل احدا فقد حيى الناس منه وقال ابن زيد المعنى ان من
قتل نفسا قتل منه من القود والقصاص ما يلزم من قتل الناس جميعا
وقال ومن احياها اى من عفا عمن وجب له قتله وقال الحسن ايضا
اى هو العفو بعد القدرة وقال مجاهد ومن احياها انقذها من حرق
او غرق وقال قوم كان المؤمنون كلهم يطلبون القاتل كما لو قتل الناس جميعا
قال ع وهذا قول متداع ولم يتخلص التشبيه الى طرق فى شىء من هذه الاقوال
والذى اقول ان التشبيه بين قاتل النفس وقاتل الكل لا يطرد من جميع الجهات
لكن التشبيه قد يحصل من ثلاث جهات احداها القود فانه واحد والثانية الوعيد
فقد توعد الله تعالى قاتل النفس بالخلود فى النار وتلك غاية العذاب فان فرضناه يخرج
من النار بعد بسبب التوحيد وكذلك قاتل الجميع ان لو ايد ذلك والثالث انتهاك الحرمة
فان نفسا واحدة فى ذلك وجميع الانفس سواء والمنتهك ملحوظ بعد متهتك الجميع ومثال
ذلك رجلان حلفا على شجرتين ان لا يطعما من ثمرهما شيئا فطعم احدهما واحدة من ثمر
شجرته وطعم الاخر ثمر شجرته كلها فقد استوى فى الحنث وقوله تعالى ومن احياها فيه
تجوز لانها عبارة عن الترك والابعاد والا فالاحياء حقيقة الذى هو الاختراع انما
هو لله تعالى وانما سمى هذا الاحياء بمنزلة قول نمرود انا احيى سمى الترك احياء ومحيى النفس
لمحيى الجميع فى حفظ الحرمة واستحقاق الحمد ثم اخبر تعالى عن بنى اسرائيل انهم جاءتهم
الرسل بالبينات فى هذا وفى سواه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى كل عصر يسرفون
ويتجاوزون الحد وفى هذه اشارة الى فعل اليهود فى همهم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم
وغيره الى سائر ذلك من اعمالهم قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
الى قوله غفور رحيم اقتضى المعنى فى هذه الاية كون انما حاصرة للحصر التام واختلف الناس
فى سبب الاية فروى عن ابن عباس والضحاك انها نزلت بسبب قوم من اهل الكتاب كان
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل و
افسدوا فى الارض وان يكون النازلة فى بنى قريظة حين هموا بقتل النبى صلى الله عليه
وسلم وقال الحسن وعكرمة نزلت الاية فى المشركين قال ع وفى هذا ضعف لان توبة المشرك
نافعة بعد القدرة عليه وعلى كل حال وقال الحسن ابن انس بن مالك وجرير بن عبد الله
وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير وعبد الله بن عمر وغيرهم ان الاية نزلت فى قوم من عكل

وعرينة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا ثم انهم مرضوا واستوخموا المدينة فامرهم صلى
الله عليه وسلم ان يكونوا في لقاح الصدقة وقال اشربوا من البانها وابوالها فخرجوا فيها فلما
صحوا قتلوا الرعاء واستاقوا الابل فجاء الصريخ فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فامر
فنودي في الناس يا خيل الله اركبي فركب النبي صلى الله عليه وسلم على اثرهم فاخذوا وقال
جرير بن عبد الله بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى ادركناهم
وقد اشرفوا على بلادهم فجئنا بهم النبي صلى الله عليه وسلم قال جميع الرواة فقطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم ويروى وسمل وتركهم في جانب
الحرة يستسقون فلا يسقون وفي حديث جابر فكانوا يقولون الماء ويقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم النار وفي بعض الروايات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احرقهم
بالنار بعدما قتلهم وقال ابو قلابة هؤلاء كفروا وقتلوا واخذوا الاموال وحاربوا الله
ورسوله وحكى الطبري عن بعض اهل العلم ان هذه الاية نسخت فعل النبي صلى الله عليه
وسلم بالعرنيين ووقفت الامور على هذه الحدود وقال بعضهم وجعلها الله عتابا
للنبي صلى الله عليه وسلم على سمل الاعين وحكى عن جماعة من اهل العلم ان هذه
الاية ليست ناسخة لذلك الفعل وقع في مرتدين قال ع لا سيما وفي بعض الطرق
انهم سملوا الاعين الرعاة قالوا وهذه الاية هي في المحارب وحكى الطبري عن السدي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم تسمل اعين العرنيين وانما اراد ذلك فنزلت الاية
ناهية عن ذلك قال ع وهذا قول ضعيف يخالفه الروايات المتظاهرة ولا اختلاف
بين اهل العلم ان حكم هذه الاية مترتب في المحاربين من اهل الاسلام واختلفوا فيمن
هو الذي يستحق اسم الحرابة فقال مالك ابن انس المحارب عندنا من حمل على الناس السلاح
في مصر او في برية فكابرهم عن انفسهم واموالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة
وقال بهذا القول جماعة من اهل العلم وقال ابو حنيفة واصحابه وجماعة من اهل العلم
لا يكون المحارب الا القاطع على الناس في خارج الامصار فاما في المصر فلا قال ع يريدون
القاطع في المصر يلزمه حد ما اجترح من قتل وسرقة او غصب ونحو ذلك واخافة
للحرابة رتب ادناها اخافة الطريق فقط لكنها توجب صفة الحرابة ثم بعد ذلك
ان ياخذ المال مع الاخافة ثم بعد ذلك ان يقتل مع الاخافة ثم بعد ذلك ان يجمع ذلك
كل فقال مالك وجماعة من العلماء في اي رتبة كان المحارب من هذه الرتب والامام
مخير فيه فان يعاقبه بما راى من هذه العقوبات واستحسن في من لا يقتل بالسير العقوبات
قال ع لا سيما ان كانت زلة ولم يكن صاحب سرقة معروفة واما ان قتل فلا بد من قتله وقال
ابن عباس والحسن وابو مجلز وقتادة وغيرهم من العلماء بل لكل رتبة من الحرابة رتبة
من العقوبات فمن اخاف الطريق فقط فعقوبته النفي ومن اخذ المال ولم يقتل فعقوبته
القطع من خلاف ومن قتل دون اخذ مال فعقوبته القتل ومن جمع الكل قتل وصلب
وحجة هذا القول ان الحرابة لا يخرج عن الايمان ودم المؤمن حرام الا باحدى ثلاث ارتداد
او زنا بعد احصان او قتل نفس والمحارب اذا لم يقتل فلا سبيل الى قتله وروي عن ابن
عباس ايضا والحسن ايضا وسعيد بن المسيب وغيرهم مثل قول مالك ان الامام مخير ومن
حجة هذا القول ان ما كان في القران او فانه للتخيير كقوله تعالى ففدية من صيام او صدقة
او نسك وكاية كفارة اليمين واية جزاء الصيد قال ع ورجح الطبري القول الاخر
وهو احوط للمفتي ولدم المحارب وقول مالك اسد للذائعة واحفظ للناس والمخيف
في حكم القاتل ومع ذلك فمالك يرى فيه الاخذ بايسر العقوبات استحسانا وذكر الطبري
عن انس بن مالك انه قال سال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن المحارب
فقال من اخاف السبيل واخذ المال فاقطع يده للاخذ ورجله للاخافة ومن قتل فاقتله
ومن جمع ذلك فاصلبه قال ع وبقي النفي للمخيف فقط وقوله يحاربون الله ورسوله
تغليظ جعل ارتكاب نهيه محاربة وقيل التقدير يحاربون عباد الله ففي الكلام حذف
مضاف وقوله تعالى ويسعون في الارض فسادا تبيين للحرابة اي ويسعون بحرابتهم
ويحتمل ان يكون المعنى ويسعون فسادا مضافا الى الحرابة والرابط الى هذه الحدود انما هو
الحرابة وقرا الجمهور يقتلوا او يصلبوا او تقطع بالتشديد في هذه الافعال للمبالغة والتكثير
والتكثير هنا انما هو من جهة العدد في الذين توقع بهم كالتذبيح في بني اسرائيل في قراءة من
قرا يذبحون وقرا الحسن ومجاهد وابن محيصن يقتلوا يصلبوا تقطع بالتخفيف في الافعال

الثلثة واما قتل المحارب فبالسيف ضربة في العنق واما صلبه فجمهور العلماء على
انه يقتل ثم يصلب نكالا لغيره وهذا قول الشافعي وجمهور من العلماء على انه يصلب
حيا ويقتل بالطعن على الخشبة وروي هذا عن مالك وهو الاظهر من الاية
وهو الانحاظ في النكال واما القطع فاليد اليمنى من الرسغ والرجل الشمال من
المفصل وروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال يقطع اليد من الاصابع
ويبقى الكف والرجل من نصف القدم ويبقى العقب واختلف العلماء في
النفي فقال السدي هو ان يطلب ابدا بالخيل والرجل حتى يوخذ فيقام عليه
حد الله ويخرج من دار الاسلام وروي عن ابن عباس انه قال نفيه ان يطلب
وقال انس ابن مالك وروي ذلك عن الليث ومالك ابن انس غير ان مالكا قال
لا يضطر مسلم الى دخول دار الشرك وقالت طائفة من العلماء منهم عمر بن عبد
العزيز النفي في المحارب بان ينفوا من بلد الى غيره مما هو قاص بعيد وقال الشافعي
ينفيه من عمله وقال ابو الزناد كان النفي قديما الى دهلك وباضع وهما من اقصى اليمن
وقال ابو حنيفة واصحابه وجماعة النفي في المحاربين السجن فذلك اخراجهم من الارض
قال ع والظاهر ان الارض التي تنفى اليها هي ارض النازلة وقد جنب الناس قديما
الارض التي اصابوا فيها الذنوب ومنه حديث الذي ناء بصدره نحو الارض المقدسة
وينبغي للامام ان كان هذا المحارب المنفي مخوف الجانب يظن انه يعود الى حرابة وافساده
ان يسجنه في البلد الذي يغرب اليه وان كان غير مخوف الجانب ترك مسرحا وهذا هو
صريح مذهب مالك ان يغرب ويسجن حيث يغرب وهو الاغلب في انه مخوف
ورجحه الطبري وهو الراجح لان نفيه من ارض النازلة هو نص الاية او الاسلام
وسجنه هو بحسب الخوف ومنه فاذا تاب وفهمت حالته سرح وقوله تعالى ذلك لهم
خزي اشارة الى هذه الحدود التي توقع بهم وغلظ الله الوعيد في ذنب الحرابة
بان اخبر ان لهم في الاخرة عذاب عظيم مع العقوبة في الدنيا وهذا خارج عن
المعاصي التي في حديث عبادة بن الصامت في قوله عليه السلام فمن اصاب من ذلك
شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة قال ع ويحتمل ان يكون الخزي لمن عوقب وعذاب
الاخرة لمن سلم في الدنيا ويجري هذا الذنب مجرى غيره وهذا الوعيد مشروط الا
الانفاد بالمشيئة اما ان الخوف يغلب عليهم بحسب الوعيد وعظم الذنب والخزي
في هذه الاية الفضيحة والذل والمقت وقوله تعالى الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا
عليهم استثناء الله عز وجل التائب قبل ان تقدروا عليه واخبر بسقوط حقوق الله
تعالى عنه بقوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم واختلف الناس في معنى الاية فقال
قتادة والزهري في كتاب الاشراف ذلك لاهل الشرك قال ع من حيث رايا الوعيد
بعد العقاب وهذا ضعيف والعلماء على ان الاية في المؤمنين وان المحارب اذا تاب
قبل القدرة عليه فقد سقط حكم الحرابة ولا نظر للامام فيه الا كما ينظر في سائر المسلمين
فان طلبه احد بدم نظر فيه واقاد منه اذا كان الطالب وليا وكذلك يتبع بما وجد
عنده من مال الغير وبقيمة ما استهلك من الاموال هذا قول مالك والشافعي واصحاب
الراي ذكره ابن المنذر وقال قوم من الصحابة والتابعين انه لا يطلب في الاموال الا
بما وجد عنده بعينه واما ما استهلك فلا يطلب به وذكر الطبري ذلك عن مالك من
رواية الوليد بن مسلم عنه وهو الظاهر من فعل علي رضي الله عنه كحارثة بن بدر
الغداني فانه كان محاربا ثم تاب قبل القدرة عليه فحكم له بسقوط الاموال والدم
عنه وكتب بذلك كتابا منشورا وحكى الطبري عن عروة بن الزبير انه قال لا يقبل توبة
المحارب ولو قبلت لاجترؤوا وكان فسادا كبيرا ولكن لو فر الى العدو ثم جاء تائبا لم
ار عليه عقوبة قال ع لا ادري هل اراد ارتداد ام لا وقال الاوزاعي نحوه الا انه
قال اذا لحق بدار الحرب فارتد عن الاسلام او بقي عليه ثم جاء تائبا من قبل ان يقدر عليه
قبلت توبته قال ع والصحيح من هذا كله مذهب الفقهاء الذي قررته انفا ان حكم الحرابة
يسقط ويبقى كسائر المسلمين واختلف الناس اذا كان المال اقل مما يقطع فيه السارق فقال
مالك ذلك كالكثير وقال الشافعي واصحاب الراي لا يقطع من المحاربين الا من اخذ ما يقطع
فيه السارق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الى
قوله ولهم عذاب مقيم هذه الاية وعظ من الله تعالى يعقب ذكر العقوبات النازلة بالمحاربين

وهذا من ابلغ الوعظ لانه يرد على النفوس وهي خائفه وجله وعادة البشر اذا راى وسمع امرا
مستحقا مسمع الكبارة ان يرق ويخشع نجاء الوعظ فى هذا الحال **وابتغوا** معناه اطلبوا
والوسيلة القربة وسبب النجح فى المراد ومن ذلك قول عنتره لامراته ان الرجال لهم
اليك وسيلة ان ياخذوك تكحلي وتخضبي واما الوسيلة المطلوبة لمحمد صلى الله عليه وسلم
فهي ايضا من هذا لان الدعاء له بالوسيلة والفضيلة انما هو ان يوتاهما فى الدنيا
ويتصف بهما ويكون ثمرة ذلك التشفيع فى المقام المحمود وهذه اللفظة قول الشاعر اذا غفل
الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل انشده الطبري **وقوله تعالى**
وجاهدوا فى سبيله خص الجهاد بالذكر لوجهين احدهما ساهته فى اعمال البر وانه قاعدة
الاسلام وقد دخل بالمعنى فى قوله وابتغوا اليه الوسيلة ولكن خصه تشريفا والوجه الاخر
انها العبارة التى تصلح لكل منهى عن المحاربة فهو معد لها من حاله وسنه وقوته وشرة
نفسه فليس بينه وبين ان ينقلب الجهاد الا توفيق الله واللام فى قوله ليفتدوا لام كى
وقرا جمهور الناس تقبل بضم التاء والقاف على ما لم يسم فاعله وقرا ابن يدر قطب
تقبل بفتحها على معنى ما تقبل الله تعالى **وقوله** يريدون اخبار عن انهم يتمنون هذا
فى قلوبهم وفى غير انه انهم ينطقون عن هذه الارادة وقال الحسن ابن ابى الحسن اذا فارت
قارت النار قربوا من حاشيتها فحينئذ يريدون الخروج ويطمعون به وذلك قوله
يريدون ان يخرجوا من النار **قال ع** وقد تاول قوم هذه الارادة انها بمعنى يكادون
على هذا القصص الذى حكى الحسن وهذا لا ينبغى ان يتاول الا فيما لا يتاتى منه الا
الارادة الحقيقية كقوله يريد ان ينقض واما فى ارادة بنى آدم فلا الا تجوز كبير
وقرا جمهور الناس يخرجوا بفتح اليا وضم الراء وقرا يحيى بن وثاب وابراهيم النخعي يخرجوا بضم
الياء وفتح الراء واخبر تعالى عن هؤلاء الكفار انهم ليسوا بخارجين من النار بل عذابهم
فيها مقيم متابد وحكى الطبري عن نافع بن الازرق الخارجي انه قال لابن عباس يا اعمى البصر
اعمى القلب بن عم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها
فقال له ابن عباس ويحك اقرا ما فوقها هذه الاية فى الكفار **قوله عز وجل** والسارق
والسارقة الى قوله على كل شي قدير قرا جمهور القرا والسارق والسارقة بالرفع وقرا عيسى
ابن عمر وابراهيم بن ابى عبلة والسارق والسارقة بالنصب قال سيبويه رحمه الله الوجه فى كلام
العرب النصب كما يقول زيدا اضربه ولكن ابت العامة الا الرفع يعني عامة القرا وجلهم
قال سيبويه والرفع فى هذا وفى قوله الزانية والزاني وفى قول الله واللذان ياتيانها
منكم هو على معنى فيما فرض عليكم والفا فى قوله فاقطعوا ردت المستعمل غير مستقبل
لان قوله فيما فرض عليكم السارق انما حقها وظاهرها الاستقبال لكن المعنى المقصود ليس
الا فى قوله فاقطعوا فهذه الفا هى التى ربطت الكلام الثانى بالاول واظهرت
ان الاول غير مستقبل قال ابو العباس المبرد وهو قول جماعة من البصريين اختار ان يكون
والسارق والسارقة رفعا بالابتداء لان القصد ليس الى واحد بعينه فليس هو مثل
قولك زيدا فاضربه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده وهذا القول هو المختار **قال ع** انزل
سيبويه النوع السارق منزلة سيبويه الشخص المعين وقرا عبد الله بن مسعود وابراهيم
النخعي السارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم وقال الخفاف وجدت فى مصحف ابى بن
كعب والسرق والسرقة هكذا ضبط بضم السين المشددة وفتح الراء المشددة فيهما
هكذا ضبطهما ابو عمرو **قال ع** ويشبه ان يكون هذه تصحيفا من الضابط لان قراءة
الجماعة اذا كتب السارق بغير الف وافقت فى الخط هذه واحد ملك العرب نوع بحسب
قرائنه فمنه الغضب وقرينته علم المغضوب منه وقت الغضب او علم مشاهد غيره ومنه
الخيانة وقرينتها ان الخائن قد طرق له الى المال بتصرف ما ومنه السرقة وقرائنها ان يوخذ
مال لم يطرق اليه على غير علم من المسروق ماله وفى خفا من جميع الناس فيما يرى السارق
وهذا الذى يجب عليه القطع وحده من بين اخذ الاموال بحيث هذا المرع وقلة العدد
وخاطب الله تعالى اليس على لسان نبيه بان قال القطع لا يكون الا بقراين منها الاخراج
من حرز ومنها القدر المسروق على اختلاف اهل العلم فيه ومنها ان يعلم السارق بتحريم
السرقة وان تكون السرقة فيما يحل ملكه فلفظ السارق فى الاية عموم معناه الخصوص
فاما القدر المسروق فقالت طائفة لا قطع الا فى ربع دينار فصاعدا قال به عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب وعايشه وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي والليث والشافعي

وابوثور

وابوثور وفيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القطع فى ربع دينار فصاعدا و
قال مالك يقطع اليد فى ربع دينار او فى ثلثة دراهم وان سرق درهمين وهي ربع دينار
لانحطاط الصرف لم يقطع وكذلك العروض لا يقطع فيها الا ان تبلغ ثلثة دراهم قل
الصرف او كثر وقال اسحق بن راهويه واحمد بن حنبل اذا كانت قيمة السلعة ربع دينار
او ثلثة دراهم قطع قل الصرف او كثر وفى القطع قول رابع وهو لا قطع الا فى خمسة دراهم
او قيمتها روي عن ابن عمر به قال سليمان بن يسار وابن ابى ليلى وابن شبرمه
ومنه قول انس بن مالك قطع ابو بكر فى مجن قيمته خمسة دراهم **قال ع**
ولا حجة فى هذا على ان الخمسة حد وقال ابو حنيفه واصحابه وعطا لا قطع
فى اقل من عشرة دراهم وقال ابو هريره وابو سعيد الخدري لا يقطع اليد
فى اقل من اربعة دراهم وقال عثمان البتي يقطع اليد فى درهم فما فوقه و
حكى الطبري ان عبد الله بن الزبير قطع فى درهم وروي عن الحسن ابن ابى
الحسن انه قال يقطع اليد فى كل ما له قيمته قل او كثر على ظاهر الاية وقد حكى الطبري
عن ابن عباس وهو قول اهل الظاهر وقول الخوارج وروي عن الحسن ايضا
انه قال تذاكرنا القطع فى كم يكون على عهد زياد فاتفق رايناعلى درهمين
واكثر العلماء على ان التوبة لا يسقط عن السارق القطع وروي عن الشافعي
انه اذا تاب قبل ان يقدر عليه ويمتد اليه بالادكار فان القطع يسقط عنه قياسا
على المحارب وجمهور الناس على ان القطع لا يكون الا على من اخرج من حرز وقال الحسن ابن ابى
الحسن اذا جمع الثياب فى البيت قطع وان لم يخرجها **وقوله تعالى** فاقطعوا ايديهما جمع الايدي
من حيث كان لكل سارق يمين واحده وهي المعرضه للقطع فى السرقة اولا وجادت للسراق
ايد وللسارقات ايد فكانه قال اقطعوا ايمان النوعين فالتثنية فى الضمير انما هي للنوعين
وقال الزجاج عن بعض النحويين انما جعلت تثنية ما فى الانسان واحد منه جمعا كقوله
صغت قلوبكما لان اكثر اعضائه فيه منه اثنان فحمل ما كان فيه الواحد على مثال ذلك
قال ابو اسحق وحقيقة هذا الباب ان ما كان فى الشي منه واحد لم يثن ولفظ به على
لفظ الجمع لان الاضافة تبينه فاذا قلت اشبعت بطونهما علم ان الاثنين بطنين **قال ع**
وكانهم كرهوا اجتماع تثنيتين فى كلمة واختلف العلماء فى ترتيب القطع فمذهب مالك رحمه الله
وجمهور الناس ان يقطع اليمنى من يد السارق ثم ان عاد قطعت رجله اليسرى ثم ان
عاد قطعت يده اليسرى ثم ان عاد قطعت رجله اليمنى ثم ان عاد عزر وحبس وقال
على ابن ابى طالب والزهري وحماد بن سليمان واحمد بن حنبل يقطع يده اليمنى ثم ان
سرق قطعت رجله اليسرى ثم ان سرق عزر وحبس وروي عن عطا ابن ابى رباح
لا يقطع فى السرقة الا اليد اليمنى فقط ثم ان سرق عزر وحبس **قال ع** وهذا تمسك
بظاهر الاية والقول شاذ فيلزم على ظاهر الاية ان يقطع اليد ثم اليد ومذهب جمهور
الفقهاء ان القطع فى اليد من الرسغ وفى الرجل من المفصل وروي عن على بن ابى طالب
ان القطع فى اليد من اصابع اليد وفى الرجل من نصف القدم وقوله جزاء بما كسبا نصبه
على المصدر وقال الزجاج مفعول من اجله وكذلك نكالا من الله والنكال العذاب والنكل
القيد وسائر معنى الاية بين وفيه عن بعض الاعراب حكاية **قوله عز وجل** فمن تاب من بعد
ظلمه واصلح الى قوله لم يا تؤك المعنى عند جمهور العلماء ان من تاب من السرقة فندم على
ما مضى واقلع فى المستانف ورد الظلامة ان امكنه ذلك والا انفاقها فى
سبيل الله واصلح ايضا فى سائر عمله وارتفع الى فوق فان الله يتوب عليه ويذهب
عنه حكم السرقة فيما بينه وبين الله وهو فى المشيئة من حول الوعد وليس يسقط عنه
التوبة حكم الدنيا من القطع ان اعترف او شهد عليه وقال مجاهد التوبة والاصلاح
هي ان يقام عليه الحد **قال ع** وهذا تشديد وقد جعل الله للخروج من الذنوب بابين
احدهما الحد والاخرى التوبة وقال الشافعي اذا تاب السارق قبل ان يلتبس الحكام بحده
فتوبته ترفع عنه حكم القطع قياسا على توبة المحارب وقوله تعالى الم تعلم ان الله الاية
توقيف وتنبيه على العلة الموجبة لانفاد هذه الاوامر فى المحاربين والسرقة والا
والاخبار بهذا التعذيب لقوم والتوبة على اخرين وهي ملكه تعالى بجميع الاشياء
فهو بحق الملك لا معقب لحكمه ولا معترض عليه **وقوله تعالى** يا ايها الرسول الاية
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لنفسه بسبب ما كان يلقى من طوائف المنافقين

وبني اسرائل والمعنى قد وعدنا بالنصر والظهور عليهم فلا يحزنك ما يقع منهم فحلا لنفاقهم
وقرا بعض القراء يحزنك بفتح الياء وضم الزاي يقول العرب حزن الرجل بكسر الزاي وحزنته
بفتحها وقرا بعض القراء يحزنك بضم الياء وكسر الزاي لان العرب من يقول احزنت الرجل
بمعنى حزنته وجعلته ذا حزن وقرا الناس يسارعون وقرا الحسن النحوي يسرعون
دون الف ومعنى المسارعة في الكفر المبادرة الى نصره واقامة الحجة والسعي في اطفاء
الاسلام به واختلف المفسرون في ترتيب معنى الاية وفيمن المراد بقوله من الذين قالوا
امنا بافواههم وفي سبب نزول الاية فاما بسبب نزولها مروي عن ابي هريرة وجماعة
انهم قالوا نزلت هذه الاية بسبب الرجم قالع وذلك ان يهوديا زنى بيهودية وكان
في التورية رجم الزناة وكان بنوا اسرائيل قد غيروا ذلك وردوه جلدا وتحميما للوجوه لانهم
لم يقيموا الرجم على اشرافهم واقاموه على صغارهم في القدر فاستقبحوا ذلك واحدثوا حكما
سووا فيه بين الشريف والمشروف فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
زنا رجل من اليهود بامرأة فروي ان ذلك كان في المدينة وروي انه كان في غير المدينة
في يهود الحجاز وبعثوا الى يهود المدينة والى حلفائهم من المنافقين ان يسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن النازلة وطمعوا بذلك ان يوافقهم على الجلد والتحميم فتشهر
امرهم ذلك فلما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك نهض في جمل من اصحابه
الى بيت المدارس فجمع الاحبار هنالك وسالهم عما في التورية فقالوا انا لا نجد فيها
الرجم فانتشرها فتشرب ووضع احدهم يده على اية الرجم فقال له عبد الله بن سلام
ارفع يدك فرفع فاذا اية الرجم فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجم فيهما وانفذه
قالع وفي هذا الحديث اختلاف الفاظ وروايات كثيرة منها انه روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر عليه بيهودي ويهودية زنيا وقد جلدا وحمما فقال اهكذا
تعلمون يا معشر يهود فقالوا نعم فقال لا انتم مشى الى بيت المدارس وفضحهم وحكم
في دينهم بالرجم وقال لاكونن اول من احيى حكم التورية حين اماتوه وروي ان الزانيين
لم يكونا بالمدينة وان يهود فدك هما الذين قالوا ليهود المدينة استفتوا محمدا فان
افتاكم بالرجم فاحذروا الرجم قاله الشعبي وغيره وقال قتادة بن دعامة وغيره سبب
الاية ان ذكر اليهود ان بني النضير كانوا قد عودا بني قريظة فكان النضري اذا قتله
قريظي قتل به وانما قتل نضري قرظيا اعطى الدية وقيل كانت دية القرظي على نصف دية
النضري فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة طلبت قريظة الاستواء
انهم ابناء عم وجعلوا الحد فطلبت الحكومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال النضيري بعضها لبعض ان حكم بما كنا عليه فخذوه والا فاحذروا قالع وهذه النوازل
وهذه النوازل كلها وقعت ووقع غيرها بما يضارعها ويحسن ان يكون سببا لله
لفضيحة اليهود في تحريفهم الكلم وقد وقع في بعض الطرق في حديث ابي هريرة انه قال
في قصة الرجم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت مدارسهم وقمنا معه
وهذا ان الامر كان في اخر مدة النبي صلى الله عليه وسلم لان ابا هريرة اسلم عام خيبر
في اخر سنة ست من الهجرة وقد كانت النضير اجليت وقريظة وقريش قتلت واليهود
بالمدينة لا شيء فكيف كان لهم بيت مدارس في ذلك الوقت وان كان لهم بيت
في ذلك الوقت فان كان لهم بيت على حال ذلة فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحتاج مع ظهور دينه الى محاجتهم تلك المحاجة وظاهر حديث بيت المدارس
انه كان في صدر الهجرة اللهم الا ان يكون ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم
مع عزة كلمته من حيث اراد ان يخرج حكمهم من ايدي احبارهم بالحجة عليهم من كتابهم
فلذلك مشى الى بيت مدارسهم مع قدرته عليهم وهذا عندي يبعد لانهم كانوا
ذلك الوقت يحزبونه ولا كانت لهم حال يسئل عنها صلى الله عليه وسلم واما اختلاف
الناس فيمن المراد بقوله الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم وقال السدي نزلت في رجل من الانصار زعموا انه ابو لبابة بن عبد
المنذر اشارت اليه قريظة يوم حصرهم ما الامر وعلى ما ننزل من الحكم فاشار
الى حلقه بمعنى انه الذبح قالع وهذا ضعيف وابو لبابة من فضلاء الصحابة
وهو وان اساء بتلك الاشارة فانه قال فوالله ما زالت قدماي حتى علمت اني
خنت الله ورسوله ثم جاء الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فربط

نعسه لسارية من سواري المسجد واقسم ان لا يبرح كذلك حتى يتوب الله و
ويرضى رسول الله عنه فانما كانت تلك الاشارة غلته زلة حملها عليها اشفاق
ما كانت بينه وبينه مودة ومشاركة قديمة رضي الله عنه وعن جميع الصحابة
وقال الشعبي وغيره نزلت الاية في قوم من اليهود ارادوا سؤال النبي صلى الله
عليه وسلم في امر رجل منهم قتل اخر فكلفوا السؤال رجلا من المسلمين
وقالوا ان افتى بالدية قبلنا قوله وان افتى بالقود لم نقبل قالع وهذا نحو ما
تقدم عن قتادة في امر قتل النضير وقريظة وقال عبد الله بن كثير ومجاهد
وغيرهم قوله تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم يراد
به المنافقون وقوله تعالى بعد ذلك سماعون للكذب يراد به اليهود واما
ترتيب معنى الاية بحسب هذه الاقوال فيحتمل ان يكون المعنى يا ايها الرسول
لا يحزنك المسارعون في الكفر من المنافقين ومن اليهود ويكون قوله سماعون خبر ابتداء
مضمر ويحتمل ان يكون لا يحزنك المسارعون في الكفر من اليهود ووصفهم بانهم
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم الزاما منه ذلك لهم من حيث حرفوا توراتهم
وبدلوا احكامها فهم يقولون بافواههم نحن مؤمنون بالتوراة وبموسى وقلوبهم
غير مؤمنة من حيث بدلوها وجحدوا ما فيها من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك مما هو كفر بهم ويؤيد هذا التاويل قوله تعالى بعد هذا وما اولئك بالمؤمنين
ويجي على هذا التاويل قوله ومن الذين هادوا كانه قال ومنهم لكن صرح بذكر اليهود
من حيث الطائفة السماعة غير الطائفة التي يدرك التورية على علم منها وقرا جمهور
الناس سماعون وقرا الضحاك سماعين ووجهها عندي نصب على الذم على ترتيب
من يقول لا يحزنك المسارعون من هؤلاء ومن هؤلاء سماعين واما المعنى في قوله
سماعون للكذب فيحتمل ان يكون صفة للكذب ولبني اسرائيل لان جميعهم يسمع الكذب
بعضهم من بعض ويقبلونه ولذلك جاءت عبارة سماعهم في صيغة المبالغة اذ المراد
انهم يقبلون ويستزيدون من ذلك المسموع وقوله تعالى للكذب يحتمل ان يكون سريد
سماعون للكذب ويحتمل ان يريد سماعون منك اقوالك من اجل ان يكذبوا عليك وينقلوا
حديثك ويزيدوا مع الكلمة اضعافها كذبا وقرا الحسن وعيسى بن عمر للكذب بكسر
الكاف وسكون الذال وقوله تعالى سماعون لقوم اخرين يحتمل ان يريد يسمعون منهم
وذكر الطبري عن جابر ان المراد بالقوم الاخرين يهود فدك وقيل يهود خيبر وقيل
اهل الزانيين وقيل اهل الخصام في القتل والدية وهؤلاء القوم الاخرون هم الموصوفون
بانهم لم ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون معنى سماعون لقوم معنى
جواسيس مسترقين الكلام لينقلوه لقوم اخرين وهذا مما يمكن ان يتصف به المنافقون
ويهود المدينة وقيل لسفين بن عيينة هل جرى للجاسوس ذكر في كتاب الله تعالى
فقال نعم وتلا هذه الاية سماعون لقوم اخرين وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد
مواضعه الى قوله فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم قرا جمهور الناس الكلم بفتح
الكاف وكسر اللام وقرا بعض الناس الكلم بكسر الكاف وسكون اللام وهي لغة ضعيفة
في كلمة وكلمة وقوله تعالى يحرفون الكلم صفة لليهود في معنى ما حرفوا من التورية او
ذلك اخطر مما حرفوا فيه ويحتمل ان يكون صفة لهم وللمنافقين فيما يحرفونه من الاقوال
عند كذبهم لان مبادي كذبهم لا بد ان يكون من اشيا قيلت او فعلت وهذا هو
الكذب المزين الذي اقرب قبوله واما الكذب الذي لا ير قلبا بتدا فقليل الاثر في
النفس وقوله تعالى من بعد مواضعه اي من بعد ان يضع مواضعه وقرت به وجوهه
القديمة والاشارة بهذا قيل هي الى التحميم والجلد في الزنا وقيل هي الى قبول الدية في امر
القتيل وقيل الى القاعدة النضير على قريظة وهذا بحسب الخلاف المتقدم في الاية
ثم قال تعالى لنبيه على جهة قطع الرجاء فيهم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له
من الله شيئا اي لا يتبع نفسك امرهم والفتنة هنا المحنة بالكفر والتعذيب في
الاخرة ثم اخبر تعالى عنهم انهم الذين سبق لهم في علم الله ان لا يطهر قلوبهم
وان يكونوا مدنسين بالكفر ثم قرر تعالى لهم الخزي في الدنيا والمعنى بالذلة و
المسكنة التي انضربت عليهم في اقطار الارض وفي كل امة وقدر لهم العذاب
في الاخرة بكفرهم وقوله تعالى سماعون للكذب اذ كان الاول في بني اسرائيل فهذا تكرار

تاكيد ومبالغة وان كان الاول في المنافقين وهذا خبر ايضا عن بني اسرائيل وقوله تعالى
اكالون للسحت فعالون مبالغة بناء اي يتكرر اكلهم له ويكثر والسحت كلما لا يحل
كسبه من المال وقرا نافع بن عامر وعاصم وحمزه السحت ساكنة الحاء حقيقة وقرا
ابن كثير وابو عمرو الكسائي السحت مضمومة الحاء مثقله وروى خارجة بن مصعب
عن نافع السحت بفتح السين وسكون الحاء واللفظة ماخوذة من قولهم سحت واسحت
اذا استاصل واذهب فمن الثلاثي قوله تعالى فيسحتكم بعذاب ومن الرباعي قول
الفرزدق الا مسحتا او مجلف والسحت والسحت لغتان بضم السين وتخفيف
الحاء وتثقيلها في اسم الشي المسحوت والسحت بفتح السين وسكون الحاء المصدر يعني به
المسحوت كما سمي الصيد صيدا في قوله عز وجل لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وكما سمي
المرهون رهنا وهذا كثير قال ع فسمي المال الحرام سحتا لانه يذهب ويستاصله اليوم
كما قال صلى الله عليه وسلم من جمع مالا من نهاوش اذهبه الله في نهابر وقال مكي سمي المال
الحرام سحتا من حيث يسحت اديانهم قال ع وهذا مردود لان السيئات لا يحيط الحسنات
اللهم الا ان يقدر انه يشغل عن الطاعات وهو يسحتها من حيث لا يعمل واما
طاعة حاصلة ولا يقال هنا فيها وقال المهدوي سمي اجر الحجام سحتا لانه يسحت
مروة اخذه قال ع وهذا اشبه قال الطبري اصل السحت كلب الجوع يقال فلان
مسحوت المعدة اذا كان لا يلقى ابدا الا جايعا يذهب ما في معدته فكان الذي
يرتشي به من الشره مثل ما بالجايع لا يشبع ابدا قال ع وذلك بان الرشوة مسحت
فالمعنى هو كما قدمناه في عبارة الطبري بعض اضطراب لان مسحوت المعدة ماخوذ
من الاستيصال وللذهاب وليس كلب الجوع اصلا للسحت والسحت الذي عني ان
اليهود ياكلونه هو الرشا في الاحكام والاوقات التي توكل وقد اكلها بقول الاباطيل
وجدع القامة ونحو هذا قال ابو هريرة وعلي بن ابي طالب مهر البغي سحت وعسب
الفحل سحت وكسب الحجام سحت وثمن الكلب والخمر سحت وقال ابن مسعود السحت ان
يهدي اليك من تقبل عينه في حاجة او حقه فيقبل لعبد الله ما كنا نعد السحت الا الرشوة
في الحكم قال ذلك الكفر وقد روي عن ابن مسعود وجماعة كثيرة ان السحت هو الرشوة
في الحكم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به
قيل يا رسول الله وما السحت قال الرشوة في الحكم قال ع وكلما ذكر في معنى السحت
هو اسلمه ومن اعظمها الرشوة في الحكم والاجرة على قتل النفس وهو لفظ يعم كل كسب
لا يحل وقوله تعالى فان جاؤوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخير النبي صلى الله عليه وسلم
وحكام امته بعده في ان يحكم بينهم اذا تراضوا في نوازلهم وقال عكرمة والحسن
هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وقال ابن عباس ومجاهد
نسخ من المائدة ايتان قوله تعالى ولا القلائد نسختها اية السيف وقوله او اعرض عنهم
نسختها وان احكم بينهم بما انزل الله قال ع وقال كثير من العلماء هي محكمة وتخيير الحكام
باق وهذا هو الاظهر ان شاء الله وفقه هذه الاية ان هذه الامة فيما علمت مجمعة
على ان حكام المسلمين يحكم بين اهل الذمة في التظالم ويتسلط عليهم في تغييره
وتنفر عن صورته كيف وقع فيغير ذلك ومن التظالم حبس السلع المبيعة
وغصب المال وغير ذلك واما نوازل الاحكام التي لا ظلم فيها من احدهم
للاخر فانما هي دعاء ومحتملة وطلب مما يحل وطلب التحرج من الاثم
في الاخرة وهي التي الحاكم فيها مخير واذا رضي به الخصمان فلا بد
فلا بد مع ذلك من رضى الاساقفة والاحبار قاله ابن القسم والعتبية
والعتبية قال واما ان رضي الاساقفة دون الخصمين او الخصمان
دون الاساقفة وليس له ان يحكم قال ع وانظر ان رضي الاساقفة
لا اشكال انه له عندهم دون ان يرضى الخصمان فانما يحل الخلاف
وانظر اذا رضي الخصمان ولم يقع من الاحبار نكير فحكم الحاكم ثم
اراد الاحبار رد ذلك الحكم وهل يستوي النوازل في هذا كالرجم
في زانين والقضاء في مال يصير من احدهما الى الاخر وانظر اذا رضي
الخصمان هل على الحاكم ان يستعلم ما عند الاحبار او يقع بان لم يقع
منهم معارضة ومالك رحمه الله يستحب لحاكم المسلمين الاعراض عنهم

وتركهم

وتركهم الى دينهم وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما فان جاد ليعني اهل نازلة الراسين
قال ع ثم ان الاية يتينا ول سائر النوازل قوله عز وجل وان تعرض عنهم فلن يضروك
شيئا الى قوله فاولئك هم الكافرون امن الله تعالى نبيه من ضررهم وكيدهم اذا اعرض
عنهم وحقر ذلك في نكتانهم والمعنى انك منصور به ظاهر الامر على كل حال وهذا
نحو قوله تعالى للمؤمنين لن يضروكم الا اذى ثم قال وان حكمت اي وان اخترت ان
تحكم بينهم في نازلة فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل يقال قسط الرجل اذا عدل
وقسط اذا جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ومحبة الله
للمقسطين ما يظهر عليهم من نعمة ثم ذكر الله تعالى بعد تحكيمهم للنبي صلى الله
عليه وسلم بالاخلاص منهم وبحسن ان القياس الصحيح انهم لا يحكمونه الا رغبة
في مثله في هواهم وانحطاطه في سهولتهم وذلك انه قال وكيف يحكمونك بينه
صادقة وهم قد خالفوا حكم الكتاب الذي يصدقون به وسوء الاتي به وتولوا
عن حكم الله فيها فانت بان لا يؤمنوا بك ولا يصدقونك احرى بان يخالفوا حكمك و
قوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد كون حكم الله في التورية في الرجم وما اشبهه من
من الامور التي خالفوا فيها امر الله وقوله وما اولئك بالمومنين يعني بالتورية وبموسى
وهذا الزام لان من خالف حكم كتاب الله فدعوه الايمان به قلقة وهذه الاية تقوي
ان قوله في صدر الاية من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم انه يراد به
اليهود وقوله تعالى انا انزلنا التورية الاية قال قتادة ذكر لنا ان رسول الله عليه
السلام كان يقول لما انزلت هذه الاية نحن اليوم نحكم على اليهود وعلى من سواهم
من اهل الاديان والهدى اي الارشاد في الاعتقاد والشرائع والنور ما يستضاء به
من اوامرها ونواهيها والنبيون الذين اسلموا هو شريعة من بعد موسى بن عمران
الى امة محمد عليه السلام هذا نمطها هذه الجماعة المذكورة في هذه الاية واسلموا
معناه اخلصوا وجوههم ومقاصدهم لله وقوله الذين هادوا متعلق بيحكم اي
يحكمون بمقتضى التورية لبني اسرائيل وعليهم وقوله والربانيون عطف على النبيون اي يحكم
بها الربانيون وهم العلماء وفي البخاري الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل
كباره وقيل الرباني منسوب الى الرب اي عنده العلم انه وبدينه وزيدت النون
في رباني مبالغة كما قالوا منظراني ومخبراني وفي العظيم الرقبة رقباني والاحبار ايضا
العلماء واحدهم حبر بكسر الحاء ويقال بفتحها وكثر استعمال الفتح فيه للفرق بينه
بين الحبر الذي يكتب به وقال السدي المراد هنا بالربانيين والاحبار الذين يحكمون
بالتورية ابنا صوريا كان احدهما ربانيا والاخر حبرا وكانا قد اعطيا النبي
صلى الله عليه وسلم عهدا ان لا يسالهما عن شيء من امر التورية الا اخبراه
به فسالهما عن امر الرجم فاخبراه به على وجهه فنزلت الاية مشيرة اليهما
قال ع وفي هذا نظر والرواية الصحيحة ان ابني صوريا وغيرهما جحدوا
امر الرجم وفضحهم فيه عبد الله بن سلام وانما اللفظ عام في كل حبر
مستقيم فيما مضى من الزمان واما في مدة محمد صلى الله عليه وسلم فلو وجد
لاسلم فلم يسم حبرا ولا ربانيا وقوله تعالى بما استحفظوا اي بحسب
استحفاظ الله تعالى اياهم امر التورية واخذه العهد عليهم في العمل و
القول بها وعرفهم ما فيها فصاروا عليه شهداء وهؤلاء ضيعوا لما
استحفظوا حتى تبدلت التورية والقران بخلاف هذا لقوله تعالى وانا له لحافظون
والحمد لله وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني كناية ما فعل علماء بني اسرائيل
وقوله تعالى ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا نهي عن جميع المكاسب الخبيثة بالعلم
والتحيل للدنيا بالدين وهذا المعنى بعينه يتناول علماء هذه الامة وحكامها
ويحتمل ان يكون قوله فلا تخشوا الناس الى اخر الاية خطابا لامة محمد صلى الله عليه
وسلم واختلف العلماء في المراد بقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون فقالت جماعة المراد اليهود بالكافرين والظالمين والفاسقين وروي
في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق البراء بن عازب وقالت جماعة
عظيمة من اهل العلم الاية متناولة كل من لم يحكم بما انزل الله ولكنه في امراء هذه الامة
كفر معصية لا يخرجه عن الايمان وقيل لحذيفة اليمان انزلت هذه الاية في بني اسرائيل

فقال نعم الاحد لكم بنوا اسرائيل انكان لكم حلوه ولهم كل مرة ولتسلكن طريقهم قدا
اشراك وقال الشعبي نزلت الكافرون في المسلمين والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى قالع ولا اعلم بهذا التخصيص وجها الا ان صح فيه حديث من النبي
صلى الله عليه وسلم اما انه ان داعي من ذكر مع كل خبر من هذه الثلثة فلا يترتب
لها ما ذكر في المسلمين الا انهم خوطبوا بقوله فلا تخشون الناس وقال ابراهيم
النخعي نزلت هذه الاية في بني اسرائيل ثم رضي بهذه الاسعه قوله عز وجل
وكتبنا عليهم فيها الى قوله فاولئك هم الظالمون الكتب في هذه الاية هو
حقيقة كتب في الالواح وهو معنى كتب فرض والرام والضمير في عليهم لبني
اسرائيل وفيها للتورية وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ان النفس بالنفس
بنصب النفس على اسم ان وعطف ما بعد ذلك منصوبا على النفس ويرفعون
والجروح قصاص على انها جملة مقطوعة وقرا نافع وحمزة وعاصم بنصب ذلك كله وقصاص
خبر ان وروى الواقدي عن نافع انه رفع والجروح وقرا الكسائي ان النفس
بالنفس نصبا ورفع ما بعد ذلك فمن نصب والعين جعل عطف الواو مشتركا في عمل
ان ولم يقطع الكلام مما قبله ورفع والعين فيحتمل ذلك من الاعراب ان يكون قطع ما
قبل وصار عطف الواو عطف جملة كلام لا عطف تشرك في عامل ويحتمل ان يكون
الواو عاطفة على المعنى لان معنى وكتبنا ان النفس بالنفس قلنا لهم النفس بالنفس
ومثله لما كان المعنى في قوله تعالى يطاف عليهم بكاس من معين يمنحون كاسا من
معين عطف وحورا عينا على ذلك ويحتمل ان يعطف قوله والعين على الذكر المستتر
في الظرف الذي هو الخبر وان لم يوكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما اكد
في قوله تعالى وقبيله من حيث لا ترونهم وقد جاء مثله غير موكد في قوله تعالى
ما اشركنا ولا اباونا قالع وتسويه في هذه الاية ان العطف سايغ دون توكيد
بضمير منفصل لان الكلام طال بلا في قوله ولا اباونا فكانت لا عوضا من التوكيد
كما طال الكلام في قوله حصر القاضي اليوم امراتان قال ابو علي انما يستقيم ان يكون
عوضا من الضمير الواقع قبل حرف العطف فهناك يكون عوضا من الضمير الواقع
قبل حرف العطف واما اذا وقع بعد حرف العطف لا يسد مسد الضمير الا ترى انك
قلت حضر امراته القاضي اليوم لم يغن طول الكلام من غير الموضع الذي ينبغي ان يقع
فيه قالع وكلام سيبويه متجه على النظر النحوي وان كان الطول قبل حرف العطف
اتم فانه بعد حرف العطف موثر لا سيما في هذه الاية لان لا ربطت المعنى
لا ربط المعنى اذ قد تقدمها نفي ونفت هي الضاعن الاباء فيمكن العطف
قالع ومن رفع والجروح فعطفه مما قبله فان ذلك يحتمل هذه الوجوه الثلثة
التي احتملها رفع والعين ويجوز ان يستانف الجروح ليس على انه مما كتب عليهم
في التورية ولكن على استيناف ايجاب وابتداء شريعة ويقوى انه من المكتوب
عليهم نصبه وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا
ان النفس بالنفس بتخفيف ان ورفع النفس ثم رفع ما بعدها الى اخر الاية
وقرا ابي بن كعب بنصب النفس وما بعدها ثم قرا وان الجروح قصاص
بزيادة ان الخفيفة ورفع الجروح ومعنى هذه الاية الخبر بان الله تعالى كتب
فرضا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا يجب في ذلك اخذ نفسه ثم هذه الاعضا
والمذكورة كذلك ثم استمر هذا الحكم في هذه الامة بما علم من شرع النبي
صلى الله عليه وسلم واحكامه ومن عليه اجماع الناس وذهب قوم من العلما
الى تعميم قوله ان النفس بالنفس فقتلوا الحر بالعبد والمسلم بالذمي والجمهور على انه عموم
يراد به الخصوص في المتماثلين وهذا مذهب مالك وفي الحديث عن النبي صلى
الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر وقال ابن عباس رضي الله عنه رخص الله
بهذه الامة ووسع عليهم بالدية ولم يجعل لبني اسرائيل دية فيما نزل على موسى
وكتب عليهم قالع وفي هذه الاية بيان لفساد فعل بني اسرائيل في تعزز بعضهم
على بعض وكون بني النضير على الضعف في الدية من بني قريظة او على ان
لا يقاد بينهم بل يقنع بالدية ففضحهم الله تعالى بهذه الاية واعلم انهم
حافظوا كتابهم وحكى الطبري عن ابن عباس كان بين حيين من الانصار

قتال

قتال فضارب بينهم قتلى وكان لاحدهما طول على الاخر في النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل الحر بالحر والعبد بالعبد قال الثوري وبلغني عن ابن عباس انه قال ثم نسخها
النفس بالنفس قالع وكذلك قوله تعالى والجروح قصاص هو عموم يراد به الخصوص
في جراح القود وهي التي لا يخاف منها على النفس واما ما خيف منه كالمامومة وكسر الفخذ
فلا قصاص فيها والقصاص ماخوذ من قص الاثر وهو اتباعه فكان الجاني يقتص
اثره ويتبع فيما سنه فيقتل كما قتل وقوله فمن تصدق به فهو كفارة له يحتمل ثلثة
معان احدها ان يكون من المجروح او ولي القتل ويعود الضمير في قوله له عليه ايضا
ويكون المعنى ان من تصدق بجرحه او دم وليه فعفا عن حقه في ذلك فان ذلك العفو
كفارة عن ذنوبه يعظم الله اجره بذلك ويكفر عنه وقال بهذا التاويل عبد الله
ابن عمر وجابر بن زيد وابو الدرداء وذكر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ما من مسلم يصاب بشي من جسده فيهبه الا رفعه الله بذلك درجة وحط
عنه خطيئة وذكر مكي حديثا من طريق الشعبي انه يحط من ذنوبه بقدر ما
عفا عنه من الدية والله اعلم وقال ايضا قتادة والحسن والمعنى الثاني ان يكون
من المجروح او ولي القتل والضمير يعود على الجارح او القاتل واذا تصدق المجروح
على الجارح بجرحه وصفح عنه فذلك العفو كفارة للجارح عن ذلك الدية وكما ان
القصاص كفارة فكذلك العفو كفارة واما اجر العافي فعلى الله تعالى وعاد
الضمير على من لم يتقدم له ذكر لان المعنى يقتضيه قال بهذا التاويل ابن عباس
وابو اسحق السبيعي ومجاهد وابراهيم وعامر الشعبي وزيد بن اسلم والمعنى الثالث
ان يكون من الجارح او القاتل والضمير في له يعود عليه ايضا والمعنى اذا جنى جان فجهل
وخفي امره فتصدق هو بان عرف بذلك ومكن الحق من نفسه فذلك الفعل كفارة
لذنبه وذهب القائلون بهذا التاويل الى الاحتجاج بان مجاهد قال اذا اصاب
رجل رجلا ولم يعلم المصاب من اصابه فاعترف له المصيب وهو كفارة
للمصيب وروى ان عروة بن الزبير اصاب عين انسان عند الركن وهم يستلمون
فلم يدر المصاب من اصابه فقال له عروة انا اصبتك وانا عروة بن الزبير
فان كان بعينك باس فانا بها قالع ولفظة ان تصدق على هذا التاويل
يحتمل ان يكون من الصدقة او من الصدق وذكر مكي يعني علي بن ابي طالب
وغيره ان قوما تاولوا الاية ان المعنى والجروح قصاص فمن اعطى
دية الجرح وتصدق بذلك وهو كفارة له اذا رضيت منه وقبلت
قالع وهذا تاويل قلق وقد تقدم القول على قوله تعالى ومن لم
يحكم بما انزل الله الاية وفي مصحف ابي بن كعب ومن يتصدق به
فانه كفارة له قوله عز وجل وقفينا على اثارهم الى قوله ومهيمنا عليه
قفينا تشبيه كان مجي عيسى كان في قفا مجي النبيين وذهابهم
والضمير في اثارهم للنبيين المذكورين في قوله يحكم بها النبيون و
مصدقا حال موكدة والتورية بين يدي عيسى لانها جاءت قبله
كما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدي الساعة وقد تقدم
القول على هذا المعنى في غير موضع والانجيل اسم اعجمي ذهب به مذهب
الاشتقاق من نجل استخرج واظهر والناس على قراته بكسر الهمزة الا الحسن
ابن ابي الحسن فانه قرا الانجيل بفتح الهمزة وقد تقدم القول في ذلك في اول
سورة ال عمران والهدى الارشاد والدعا الى توحيد الله واحيا احكامه والنور
ما فيه مما يستضاء به ومصدقا حال مؤكدة مقطوعة على موضع الجملة التي هي
فيه هدى فانها جملة في موضع الحال وقال مكي وغيره مصدقا معطوف على الاول
قالع وفي هذا قلق من جهة اتساق المعاني وقرا الناس هدى وموعظة
بالنصب وذلك عطف على مصدقا وقرا الضحاك وهدى وموعظة بالرفع وذلك
متجه وخص المتقون بالذكر لانهم المقصود به في علم الله وان كان الجميع يدعا
ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة وقرا ابي بن كعب وان ليحكم بزيادة
ان وقرا حمزة وحده وليحكم بكسر اللام وفتح الميم على لام كي ونصب الفعل بها
والمعنى واتيناه الانجيل ليتضمن الهدى والتصديق والنور وليحكم اهله بما

انزل الله فيه وقرا باقى السبعة وليحكم بسكون اللام التى هى لام الامر وجزم الفعل و
معنى امرهم بالحكم اى هكذا يجب عليهم وحسن عقيب ذلك التوثيق على وعيد من
خالف ما انزل الله ومن القرا من بكسر لام الامر ويجزم الفعل وقد تقدم نظير
باقى الاية وتقدير هذه الصفات لمن لم يحكم بما انزل الله هو على جهة التاكيد وتعديد
واصوب ما يقال فيها انها تعم كل مومن وكل كافر فيجى كل ذلك فى الكافر على اتم وجوهه
وفى المومن على معنى كفر المعصية وظلمها وفسقها واحمد تعالى بعد نزول هذه
القران وقوله بالحق يحتمل ان يريد انه انزله بان حق ذلك لا على انه وجب على الله ولكن
حق فى نفسه وانزل الله تعالى صدوحا لعباده **وقوله تعالى** من الكتاب يريد من الكتب
المنزل له وهو اسم جنس واختلفت عبارة المفسرين فى معنى مهيمن فقال ابن عباس
مهيمنا شاهدا وقال ايضا موتمنا وقال ابن زيد معناه مصدقا وقال الحسن ابن ابى الحسن
امينا وحكى الزجاج رقيبا ولفظ المهيمن اخص من هذه الالفاظ والمهيمن على الشى
هو المعنى بامره الشاهد على حقايقه الحافظ بحاصله ولا يدخل فيه ما ليس منه و
الله تعالى هو المهيمن على مخلوقاته وعباده والوصى مهيمن على محجورته واموالهم
والرئيس مهيمن على رعيته واحوالهم والقران جعله الله مهيمنا على الكتب يشهد
بما فيها من الحقايق وعلى ما نسبه المحرفون اليها فصحح الحقايق وسطل التحريف وهذا
هو شاهد ومصدق وامين ومهيمن بناء اسم فاعل قال ابو عبيد ولم يجى فى كلام
العرب على هذا البناء الا اربعة احرف وهى مسيطر ومبيطر ومهيمن ومحيمر
وذكر ابو القاسم الزجاج فى شرحه لصدر ادب الكتاب ومسفر يقال سفر الرجل
اذا سار من الحان الى الشام ومن افق الى افق وسفر ايضا لعب السفر وهى لعبة
يلعب بها الصبيان وقال مجاهد قوله تعالى ومهيمنا يعنى محمدا صلى الله عليه
وسلم موتمنا على القران وقوله تعالى مهيمنا على هذا حال من الكاف فى قوله
اليك وهذا تاويل بعيد من المفهوم **قالع** وغلط الطبرى فى هذه على مجا
مجاهد فانه فسر تاويله على قراة الناس مهيمنا بكسر الميم الثانية فبعد التاويل
ومجاهد رحمه الله انما قرا هو وابن محيصن ومهيمنا عليه بفتح الميم الثانية
فهو بناء اسم المفعول وهو حال من الكتاب معطوف على قوله مصدقا
وعلى هذا يتجه ان المومن عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم وعليه فى موضع
رفع على تقدير انه مفعول ما لم يسم فاعله هذا على تقدير قراة مجاهد وكذلك
مشى مكى وتوغل فى الطريق الطبرى فى هذا الموضع قال ابو العباس محمد بن يزيد
المبرد مهيمن اصله موتمن ابدلت همزته هاء كما قالوا ارقت الماء وهرقته
قال الزجاج وهذا على طريق الغريبة وهو موافق لما جاء فى التفسير من ان
معنى مهيمنا مومن وحكى ابن قتيبة هذا الذى قال المبرد فى بعض كتبه فحكى النقاش
ان ذلك بلغ ثعلبا فقال ما قال ابن قتيبة ردى وقال هذا باطل والوثوب على القران
شديد وهو ما سمع الحديث من قوى ولا ضعيف وانما جمع الكتب انتهى كلام ثعلب
قالع ويقال من مهيمن هيمن الرجل على الشى اذا حفظه وحاطه وصار رقيبا عليه
امينا ويحتمل ان يكون مصدقا ومهيمنا حالين من الكاف فى اليك ولا يحص ذلك
قراة مجاهد وحده كما زعم مكى **وقوله تعالى** فاحكم بينهم بما انزل الله ولا
تتبع اهواءهم الى قوله تختلفون قال بعض العلماء هذه ناسخة لقوله او اعرض
عنهم وقد تقدم ذكر ذلك بقول الجمهور انه ليس بنسخ وان المعنى وان
اخترت ان تحكم بينهم فاحكم بينهم بما انزل الله ثم حذر تعالى نبيه
من اتباع اهوائهم اى شهواتهم وارادتهم التى هى هوا وسول النفس
والنفس امارة بالسوء ذهواها مرد لا محالة وحسن هنا وحول عن فى
قوله عما جاءك واختلف المتاولون فى قوله تعالى وكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا فقال على بن ابى طالب وقتاده وجمهور المتكلمين المعنى لكل امة
منكم شرعة ومنهاجا اى لليهود شرعة ومنهاج وللنصارى كذلك
وللمسلمين كذلك **قالع** وهذا عندهم فى الاحكام واما فى المعتقد فا
فالدين واحد لجميع العالم توحيد وايمان بالبعث والتصديق بالرسل وقد
ذكر الله تعالى فى كتابه عددا من الانبياء شرايعهم مختلفة ثم قال

لنبيه صلى

لنبيه صلى الله عليه وسلم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فهذا عند العلماء فى المعتقدات
فقط واما احكام الشرايع وهذه الاية هى القاضية لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
قالع والتاويل الاول عليه الناس ويحتمل ان يكون المراد بقوله لكل جعلنا منكم الاسم
كما قدمنا ويحتمل ان يكون المراد الانبياء لا سيما وقد تقدم ذكرهم وذكر ما انزل
عليهم ويجى الاية مع هذا الاحتمال فى الانبياء بسببها لمحمد صلى الله عليه وسلم اى
فاحفظ شرعتك ومنهاجك لئلا يستزلك اليهود وغيرهم فى شى منه والمتاولون
على ان الشرعة والمنهاج فى هذه الاية لفظان بمعنى واحد وذلك ان الشرعة والشريعة
هى الطريق الى الماء وغيره مما يورد كثيرا فمن ذلك قول الشاعر وفى الشرايع من جيلان
مقتنص باكى الثاب خفى الصوت منزوب اراد فى الطريق للمياه ومنه الشارع
ومنه سكك المدن ومنه قول الناس وفيها يشرع الباب والمنهاج ايضا ومنه
قول الشاعر من يك فى شك وهذا نهج ماء روا وطريق فهج اراد واصحابنا والمنهج
بناء مبالغة من ذلك وقال ابن عباس وغيره شرعة ومنهاجا معناه سبيلا وسنة
قالع ويحتمل لفظ الاية ان يريد بالشرعة الاحكام وبالمنهاج المعتقدات وهو واحد
فى جميعهم وفى هذا الاحتمال بعد والقراة على شرعة بكسر الشين وقرا ابراهيم النخعى
ويحيى بن وثاب شرعة بفتح الشين ثم اخبر تعالى انه لو شاء لجعل العالم امة واحدة ولكنه
لم يشا لانه اراد اختبارهم وابتلاءهم فيما اتاهم من الكتاب والشرايع كذا قال ابن جريج
وغيره فليبلوهم الان بحلوا فى امتثال الاوامر وهوا بسبب الخيرات فلذلك امرهم
باحسن الاشياء عاقبة لهم ثم حرضهم تعالى بالموعظة والتذكير بالمعاد فى قوله تعالى
الى الله مرجعكم جميعا والمعنى فالبدار البدار **وقوله تعالى** فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
معناه يظهر الثواب والعقاب فيخبرون به اخبار ايقاع والا فقد انبانا الله فى
الدنيا بالحق فيما اختلفت الامم فيه **قالع** وهذه الاية بارعة الفصاحة جمعت
المعانى الكثيرة فى الالفاظ اليسيرة وكل كتاب الله كذلك الا انا بقصور افهامنا
افهامنا يتبين لنا فى بعض اكثر مما يتبين فى بعض والله اعلم بتاويله **قوله
عز وجل** وان احكم بينهم بما انزل الله الى قوله لقوم يوقنون وان احكم عطف
على الكتاب فى قوله وانزلنا اليك الكتاب وقال مكى هو معطوف على الحق فى قوله وانزلنا اليك
الكتاب بالحق والوجهان حسنان ويقرا بضم النون من وان احكم مراعاة للضمة فى عين
الفعل المضارع ويقرا بكسرها على اصل نون فى التقاء الساكنين وهذه الاية ناسخة عند
قوم للتخيير الذى فى قوله او اعرض عنهم وقد تقدم ذكر ذلك ثم نهاه تعالى عن اتباع اهوا
بنى اسرائيل اذ هى مضلة والهوى فى الاغلب انما يجى عبارة عما لا خير فيه وقد يجى
احيانا مقيدا بما فيه خير من ذلك قول عمر بن الخطاب فى قصة رايه وراى ابى بكر فى
اسرى بدر فهوى رسول الله راى ابى بكر ومنه قول عمر بن عبد العزيز وقد قيل
له ما الذ الاشيا عندك فقال حق وافق هوى والهوى مقصور وزنه فعل ويجمع
على اهوا والهوا ممدود ويجمع على اهوية ثم حذرهم تعالى من جهتهم ان يفتنوه اى تصرفه
قوة بامتحانهم وابتلائهم عن شى مما انزل الله عليه من الاحكام لانهم كانوا
يريدون ان يخدعوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا اسرا احكم لنا فى نازلة كذا
كذا ونتبعك على دينك وقوله تعالى فان تولوا قبله محذوف من الكلام يدل عليه
الظاهر لا تتبع واحذر فان حكموك مع ذلك فنعما ذلك وان تولوا فاعلم ويحتمل
ان يقدر هذا المحذوف المعادل بعد قوله الفاسقون وقوله تعالى فاعلم الاية وعد
للنبى عليه وسلم فيهم وقد انجزه بقصة بنى قينقاع وقصة قريظة والنضير واجلا اهل
خيبر وفدك وغيرهم وخص تعالى اصابتهم ببعض الذنوب دون كلها لان هذا
الوعيد انما هو فى الدنيا وذنوبهم فيها نوعان نوع يخصهم كشرب الخمر
وزناهم ورشاهم ونحو ذلك ونوع يتعدى الى النبى والمؤمنين كممالاتهم للكفار
واقوالهم فى الدين فهذا النوع هو الذى توعدهم الله بالنسل وبه هلكوا وبه
توعدهم الله فى الدنيا فلذلك خصص البعض دون الكل وانما يعذبون
فى الكل فى الاخرة **وقوله تعالى** وان كثيرا من الناس اشارة اليهم لكن جاءت
العبارة تعمهم وغيرهم لتشد سواهم ممن كان على فسق ونفاق وتولى عن النبى
صلى الله عليه وسلم فترى انه تحت الوعيد واختلف القرا فى قوله تعالى افحكم

الجاهلية يبغون فقرأ الجمهور بنصب الميم على اعمال فعل تلى الالف لاستفهام
منسوخ هذا الظاهر بعد وقرأ يحيى بن وثاب والسلمي والاعرج وابو رجاء
الحكم برفع الميم قال ابن مجاهد وهي خطأ قال ابو الفتح وابن جني ليس كذلك
ولكنه وجه غيره اقوى منه وقد جاء في الشعر قال ابو النجم قد اصبحت ام الخيار
تدعي على ذنبا كله لم اصنع برفع كل قالع وهكذا الرواية وبها يتم المعنى الصحيح
لانه اراد التبري من جميع الذنب ولو نصب كل لكان ظاهر قوله انه صنع بعضه
وهذا هو حذف الضمير من الخبر وهو قبيح التقدير يبغونه ولم اصنعه وانما
يحذف الضمير كثيرا من الصلة كقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا و
كما يقول مررت بالذي اكرمت ويحذف اقل من ذلك من الصفة وحذفه
من الخبر قبيح كما جاء في بيت ابي النجم ويتجه بيته بوجهين احدهما انه ليس في
صدر قوله الف استفهام تطلب الفعل كما هي في قوله تعالى الحكم والثاني
ان في البيت عوضا من الهاء المحذوفة ولذلك حذف الاطلاق على الياء
الذي في اصنعي وتضعيف قراءة من قرأ الحكم بالرفع لان الفعل بعد لا ضمير
فيه ولا عوض من الضمير والف الاستفهام التي تطلب الفعل ويختار معها
النصب وان لفظ بالضمير حاضرة وانما يتجه القراءة على ان يكون التقدم
الحكم الجاهلية حكم يبغون ولا يجعل يبغون خبرا بل يجعله صفة خبر
موصوف محذوف ونظيره قوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم تقديره
قوم يحرفون الكلم فحذف الموصوف واقاموا الصفة مقامه ومثله
قول الشاعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش
اكدح وقرأ سليمان بن مهران الحكم بفتح الحاء والكاف والميم وهو اسم
جنس وجاز اضافة اسم الجنس هنا على نحو قولهم منعت العراق قفيزها
ودرهمها ومصر اردبها وله نظائر قالع وكانه قال افاحكام
الجاهلية يبغون اشارة الى الكهان الذين كانوا ياخذون الحلوان
ويحكمون بحسبه وبحسب الشهوات ثم ترجع هذه القراءة بالمعنى
الى الاول لان التقدير احكم حكام الجاهلية يبغون وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء
على الخطاب لهم اي قل لهم وباقي السبعة يبغون بالياء من تحت ويبغون معناه
يطلبون ويريدون وقوله ومن احسن من الله حكما تقديره لا احد احسن منه
حكما تبارك وتعالى وحسن دخول اللام في قوله لقوم يوقنون من حيث المعنى
تبيين ذلك ويظهر لقوم يوقنون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى الى قوله نادمين نهى الله تعالى بهذه الاية المؤمنين عن
اتخاذ اليهود والنصارى اولياء في النصرة والخلطة المؤدية الى الامتزاج و
المعاضدة وحكم هذه الاية باق وكل من اكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظه
من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى فانه منهم واما معاملة اليهودي و
النصراني من غير مخالطة ولا ملابسة فلا تدخل في النهي وقد عامل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يهوديا ورهنه درعه واختلف المفسرون في سبب هذه الاية فقال
عطية بن سعد والزهري وابن اسحق وغيرهم سببها انه لما انقضت بدر وشجر
امر بني قينقاع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم وقام دونهم عبد الله بن
ابي سلول وكان حليفا لهم وكان لعبادة بن الصامت من حلفهم مثل ما لعبد الله
فلما راى عبادة منزع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ارتكبته يهود من المشاقة
لله ولرسوله جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ابرأ الى الله
من حلف يهود وولائهم ولا اوالي الا الله ورسوله وقال عبد الله بن ابي اما انا
فلا ابرأ من ولاء يهود فاني لا بد لي منهم فاني رجل اخاف الدوائر وحكى ابن اسحق
في السير انه قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخل يده في جيب درعه وقال
يا محمد احسن في موالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل يدك من الدرع
فقال لا والله حتى تهبهم لي لانهم ثلثمائة دارع واربعمائة حاسر فادعك تحصدهم
في غداة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهبتهم لك ونزلت الاية في ذلك
وقال السدي سبب نزولها انه لما نزل بالمسلمين امر احد فزع منهم قوم وقال بعضهم

لبعض

لبعض ناخذ من اليهود عصما ليعاضدونا ان المت بنا قاصمة من قريش او سائر العرب
ونزلت وقال عكرمة سببها امر ابي لبابة بن عبد المنذر واشارته الى قريظة انه الذبح
حين استفهموه عن رايه في نزولهم على حكم سعد بن معاذ قالع وكل هذه الاقوال محتمل
واوقات هذه النوازل مختلفة وقرأ ابي بن كعب وابن عباس لا تتخذوا اليهود والنصارى
اربابا بعضهم وقوله تعالى بعضهم اولياء جملة مقطوعة من النهي تتضمن التفرقة
بينهم وبين المؤمنين وقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم انحاء على عبد الله بن ابي وكل من اتصف
بهذه الصفة من موالاتهم ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم بالكفر واستحقاق
النقمة والخلود في النار ومن تولاهم بافعاله من العضد ونحوه دون معتقد ولا اخلال
فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه وبهذه الاية جوز ابن عباس وغيره
ذبائح النصارى من العرب وقال ومن يتولهم منكم فانه منهم فقال من دخل في دين قوم
فهو منهم وسئل ابن سيرين رحمه الله عن رجل اراد بيع داره من نصارى يتخذونها
كنيسة فتلا هذه الاية وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين عموم فاما
ان يراد به الخصوص فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن ولا يهتدي واما ان يراد
تخصيص مدة الظلم والتلبس بفعله فان الظلم لا هدى فيه والظالم من حيث
هو ظالم فليس بمهتد في ظلمه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض الاية مخاطبة لمحمد
صلى الله عليه وسلم والاشارة الى عبد الله بن ابي سلول ومن تبعه من المنافقين
على مذهبه في حماية بني قينقاع ويدخل في الاية كل من كان من مؤمني الخزرج يتابعه
جهالة وعصبة وهذا الصنف له حظ من مرض القلب وقراءة جمهور الناس ترى
بالتاء من فوق وان جعلت راي عين فيسارعون حال وفيها الفائدة المقصودة وان
جعلت راي قلب فيسارعون في موضع المفعول الثاني ويقولون حال وقرأ ابراهيم
النخعي ويحيى بن وثاب فيرى بالياء من تحت والفاعل على هذه القراءة محذوف و
ذلك ان تقدر فيرى الله او فيرى الراي والذين مفعول ويحتمل ان يكون الذين فاعل
والمعنى ان يسارعوا فحذفت لذا مجازا ويسارعون فيهم معناه في نصرتهم وباسهم
وتجميل ذكرهم وقوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لفظ محفوظ عن
عبد الله ابن ابي ولا محالة انه قاله بقوله منافقون كثير والاية تعطي ذلك و
دائرة معناه نازلة من الزمان وحادثة من الحوادث تحوجنا الى موالينا من
اليهود وتسمى هذه الامور دوائر على قديم الزمان من حيث الليل والنهار في
دوران فكان الحادث يدور بدوران الزمان حتى ينزل ومنه قول الله تبارك
وتعالى ويتربص بكم الدوائر ومنه قول الشاعر والدهر بالانسان دواري
وقول الاخر ويعلم ان النائبات تدور وقول الاخر يرد عنك القدر المقدور
او دائرات الدهر ان تدور ويعضده قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الزمان
قد استدار قالع وفعل عبد الله بن ابي في هذه النازلة لم يكن ظاهره مغالبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان يظهر للنبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يستبقيهم لنصرته ولان ذلك هو الراي وقوله اني امرؤ اخشى الدوائر اي من القرب
وممن يحارب المدينة واهلها وكان يبطن في ذلك كله التحرر من النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين والقت في اعضادهم وذلك هو الذي اسر هو في نفسه ومن تبعه
على نفاقه ممن تفصح لبعضهم الى بعض وقوله تعالى فعسى الله مخاطبة للنبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ووعد لهم وعسى من الله تعالى واجبة واختلف
المتاولون في معنى الفتح في هذه الاية فقال قتادة يعني به القضاء في هذه النوازل
والفتاح القاضي فكان هذا الوعد بما نزل ببني قينقاع بعد ذلك وبقريظة والنضير
وقال السدي يعني به فتح مكة قالع وظاهر الفتح في هذه الاية ظهور رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعلو كلمته اي فسدوا الاستعانة عن اليهود ويرى المنافق ان الله
لم يوجد سبيلا الى ما كانوا يؤملون فيهم من المعونة على امر محمد صلى الله عليه وسلم
والدفع في صدر نبوته فندم حسدا على ما حصل فيه من محادة الشرع وتحمل ثوب
المقت من الله تعالى ومن رسوله عليه السلام والمؤمنين كذلك كالذي وقع
وظهر بعد وقوله تعالى او امر من عنده قال السدي المراد ضرب الجزية ويظهر ان
هذا التفسير انما هو لان الفتح الموعود به هو ما يتركب على سعي النبي صلى الله عليه

وسلم واصحابه وتشهد جدهم وعملهم فوعد الله تعالى اما بفتح بمقتضى تلك الافعال واما
بامر من عنده تهلك اعداء الشرع وهو ايضا فتح لا يقع للبشر فيه تسبب **وقوله تعالى** فتصبحوا
معناه يكونون كذلك طول دهرهم وخص الاصباح بالذكر لان الانسان في ليله متفكر
فعند الصباح يرى بحالة التي اقتضتها فكره اوامراضه ونحو ذلك قول الشاعر اصبحت
لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا الى غير هذا من الامثلة والذي اسروه
هو ما ذكرناه من التمرس بالنبي صلى الله عليه وسلم واعلاد اليهود للسوة عليه
يوما ما وقرا ابن الزبير فتصبح الفساق على ما اسروا في انفسهم نادمين
قوله عز وجل ويقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
الى قوله واسع عليم اختلف القرا في هذه الاية فقرا ابن كثير وابن عامر
ونافع يقول بغير واو عطف وبرفع اللام وكذلك ثبت في مصاحف المدينة
ومكة وقرا حمزه والكساى وعاصم ويقول باثبات الواو وبرفع اللام
وكذلك ثبت في مصاحف اهل المشرق وقرا ابو عمرو وحده ويقول باثبات
الواو ونصب اللام قال ابو علي وروى علي ابن نصر عن ابي عمرو النصب والرفع
في اللام فاما قراة ابن كثير ونافع فمتعاضده مع قراة حمزه والكساى لان الواو ليست
عاطفة مفرد على مفرد مشتركة في العامل وانما هي عاطفة جملة على جملة وفاصلة
بينهما والجملتان متصلتان بغير واو اذ في الجملة الثانية ذكر من الجملة المعطوف
عليها اذ الذين يسارعون وقالوا نخشى ويصبحون نادمين هم الذين قيل فيهم اهولاء
الذين اقسموا بالله فلما كان الجملتان هكذا حسن العطف بالواو وبغير واو كما ان قوله
سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان في واحد
من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفي بذلك عن الواو وعلى هذا قوله تعالى اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون ولو دخلت الواو فقيل وهم فيها خالدون كان حسنا **قال ع** ولكن
بلاغة الفصاحة في الايجاز ويدل على حسن دخول الواو قوله تعالى ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم فحذف الواو من قوله تعالى وهولاء الذين امنوا كانها من هذه
الاية والحاقها داخلة في قوله وثامنهم **قال ع** وذهب كثير من المفسرين
الى ان هذا القول من المومنين انما هو اذا جاء الفتح وحصلت ندامة المنافقين
وفضحهم الله تعالى فحينئذ يقول المومنون اهولاء الذين اقسموا الاية ويحتمل
ان يكون الاية حكاية لقول المومنين في وقت قول الذين في قلوبهم مرض نخشى ان تصيبنا
دائرة وعند افعالهم ما فعلوا في حكاية بني قينقاع وظهر فيها سرهم وفهم منهم ان
تمسكهم بهم انما هو ارصاد لله ولرسوله بمعنى النبي والمومنون وترك النبي صلى الله عليه
وسلم بني قينقاع لعبد الله بن ابي رغبة في المصلحة والالفة وبحكم اظهار عبد الله ان ذلك
هو الراى من نفسه وان الدوائر التي تخاف انما هو بالحرب للمدينة وعلم المومنون
وكل يظن ان عبد الله في ذلك بخلاف ما ابدا فصار ذلك موطنا يحسن ان يقول
فالمومنون اهولاء الذين اقسموا بالله الاية واما قراة ابي عمرو ويقول بنصب اللام
فلا يتجه معها ان يكون قول المومنين الا عند الفتح وظهور ندامة المنافقين وفضيحتهم
لان الواو عاطفة فعل على فعل مشتركة في العامل وتوجه عطف ويقول مطرد على
ثلثة اوجه احدها على المعنى وذلك ان قوله فعسى الله الاية انما المعنى فيه فعسى ان ياتي
الله بالفتح بعطف قوله ويقول على ياتي اعتمادا على المعنى والا فلا يجوز ان يقال عسى
الله ان يقول المومنون فهكذا قوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن
على الجزم الذي يقتضيه المعنى في قوله فاصدق والوجه الثاني ان يكون قوله ان ياتي بالفتح
بدلا من اسم الله عز وجل كما ابدل على الضمير في قوله تعالى فما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره ثم يعطف ويقول على ان ياتي لانه حينئذ كان قبل عسى ان ياتي والوجه
الثالث ان يعطف قوله ويقول على فتصبحوا اذ هو فعل منصوب بالفاء في جواب
التمني اذ قوله عسى تمني وترج في حق البشر وفي هذا الوجه نظر وكذلك عندي في
منعهم جواز عسى الله ان يقول المومنون نظر اذ الله تعالى نصيرهم يقولون
بنصره واظهار دينه فينبغي ان يجوز ذلك اعتمادا على المعنى **وقوله تعالى** جهد ايمانهم
نصب جهد على المصدر المؤكد والمعنى اهولاء هم المقسمون باجتهاد منهم في ايمانهم
في الايمان انهم معكم ثم قد ظهر الان منهم من موالاة اليهود وخذل الشريعة

ما يكذب

ما يكذب ايمانهم ويحتمل قوله تعالى حبطت اعمالهم ان يكون اخبارا من الله تعالى ويحتمل ان يكون
من قول المومنين على جهة الاخبار بما يحصل في اعتقادهم اذ راوا المنافقين في هذه
الاحوال ويحتمل ان يكون قوله حبطت على جهة الدعاء امرا من الله تعالى عليهم واما
من المومنين وحبط العمل اذا بطل بعد ما كان حاصلا وقد تعالى حبط في عمل الكفار
وان كان لم يتحصل على جهة التشبيه وقرا جمهور الناس حبطت بكسر الباء وقرا ابو
واقد والجراح بفتحها وهي لغة **وقوله تعالى** اذلة على المومنين معناه متذللين
من قبل انفسهم غير متكبرين وهذا كقوله تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم
وقوله صلى الله عليه وسلم المومن هين لين وفي قراة ابن مسعود اذلة على المومنين
غلظا على الكافرين وقوله تعالى ولا يخافون لومة لائم اشارة الى الرد على المنافقين
فانهم كانوا يعتقدون بملازمة الاحلاف والمعارف من الكفار ويراعون امرهم وقوله
تعالى ذلك فضل الله الاشارة بذلك الى كون القوم يحبون الله ويحبهم وقد تقدم القول
غير مرة في معنى محبة الله للعبد وانها اظهار النعم المنبية عن رضاه عنهم والباسهم
اياها **وواسع** معناه ذو سعة فيما يملك ويعطي ويسعم به **قوله عز وجل** انما وليكم
الله ورسوله والذين امنوا الى قوله واتقوا الله ان كنتم مومنين الخطاب بقوله انما وليكم
الله الاية للقوم الذين قيل لهم لا يتخذوا اليهود والنصارى اولياء وانما في هذه الاية
حاصرة يعطي ذلك المعنى وولي اسم جنس وقرا ابن مسعود انما مولاكم الله وقوله
والذين امنوا اي ومن امن من الناس حقيقة لا نفاقا وهم الذين يقيمون الصلوة المفروضة
بجميع شروطها ويوتون الزكوة وهي هنا لفظ عام للزكوة المفروضة وللتطوع بالصدقة
ولكل افعال البر اذ هي منميه الحسنات مطهرة للمرء من دنس الذنوب فالمومنون
يوتون من ذلك كل بقدر استطاعة وقرا ابن مسعود ~~الذين~~ امنوا والذين
يقيمون بواو **وقوله تعالى** وهم راكعون جملة معطوفة على جملة ومعناها
وصفهم ابن كثير الصلوة وخص بالركوع بالذكر لكونه من اعظم اركان الصلوة
وهي هيئة تواضع فعبر به عن جميع الصلوة كما قال والركع السجود وهو عبارة
عن المصلين وهذا قول الجمهور المفسرين ولكن اتفق ان علي بن
ابي طالب اعطى صدقة وهو راكع قال السدي هذه الاية في جميع المومنين ولكن
علي بن ابي طالب مر به سائل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه وروى في ذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيته وقد نزلت الاية عليه فوجد مسكينا فقال
له هل اعطاك احد شيئا فقال نعم اعطاني ذلك الرجل الذي يصلي خاتما من
فضة واعطانيه وهو راكع فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الرجل الذي
اشار اليه علي بن ابي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر وتلا هذه الاية
على الناس **قال ع** وقال مجاهد رحمة الله عليه نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب
تصدق وهو راكع وفي هذا القول نظر والصحيح ما قدمناه من تاويل الجمهور
وقد قيل لابي جعفر انزلت الاية في علي فقال علي من المومنين والواو على هذا القول
في قوله وهم واو حال وقال قوم نزلت الاية من اولها بسبب عبادة بن الصامت
وبراءته من بني قينقاع وقال ابن الكلبي نزلت بسبب قوم اسلموا من اهل الكتاب
فجاؤا فقالوا يا رسول الله بيوتنا بعيدة ولا متحدث لنا الا مسجدك وقد اقسم قومنا
ان لا يخالطونا ولا يوالونا فنزلت الاية مونسة لهم ثم اخبر الله تعالى ان
من يتول الله ورسوله والمومنين فانه غالب كل من ناواه وجاءت العبارة
عامة ان حزب الله هم الغالبون اختصارا لان هذا المتولي من حزب
الله وحزب الله غالب فهذا الذي يتولى الله ورسول الله والمومنين غالب
ومن يراد بها الجنس لا مفرد بعينه والحزب الصاعة والمنتمون الى
صاحب الحرب والمعا ونون فيما يحزب ومنه قول عايشه في حمسه
فكانت تحاور في امر الاول فهلكت فيمن هلك ثم بين الله تعالى للمومنين
عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء وسمهم لهم برسم يحمل النفوس
على بغضهم وذلك اتخاذهم دين المومنين هزوا ولعبا والهزو
السخرية والازدرا ويقرا الهزو بضم الهاء والهمز وهزوا بسكون
الزاي والهمز ويوقف عليه هزا بتشديد الزاي المفتوحة وهزوا

سكون الزاي وواو منونة وبهمزة وراء مفتوحة منونة ثم بين الله تعالى جنس
هؤلاء انهم من اهل الكتاب اليهود والنصارى واختلف القرا في اعراب
الكفار فقرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكفار نصبا وقرا ابو عمرو
والكسائي خفضا وروى حسين الجعفي عن ابي عمرو النصب قال ابو علي حجة من قرا
بالخفض حمل الكلام على اقرب العاملين وهي لغة التنزيل قال ع ويدخل الكفار
في قراءة الخفض فيمن اتخذ دين المؤمنين هزوا وقد ثبت استهزا الكفار في قوله انا
كفيناك المستهزئين وثبت استهزا اهل الكتاب في لفظ هذه الاية وثبت استهزاء
المنافقين في قولهم لشياطينهم انا معكم انما نحن مستهزئون ومن قرا والكفار
بالنصب جعل على الفعل الذي هو لا تتخذوه ويخرج الكفار من ان يتضمن لفظ
هذه الاية استهزاءهم وقرا ابي بن كعب ومن الكفار بزيادة من فهذه تؤيد
قراءة الخفض وكذلك في قراءة ابن مسعود من قبلكم ومن الذين اشركوا وفرقنا
لانه بين الكفار وبين الذين اوتوا الكتاب من حيث الغالب في اسم الكفر ان
يقع على المشركين بالله اشراك عبادة اوثان لانهم ابعد شيئا وفي الكفر وقد
قال تعالى جاهد الكفار والمنافقين ففرق بينهم اراده البيان والجميع
كفار وكان هذا لان عبادة الاوثان فهم كفار من كل جهة وهذه الفرق تلحق
بهم في حكم الكفار وتخالفهم في رتب فاهل الكتاب يومنون بالله وببعض الانبيا
والمنافقون يؤمنون بالسنتهم ثم امر تعالى بتقواه وسد النفوس بقوله ان كنتم
مؤمنين اي حق مومنين قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة الى قوله عن سواء
السبيل هذه الاية انحا على اليهود وتبيين لسوا فعلهم فانهم كانوا اذا سمعوا
قيام المومنين الى الصلوة قال بعضهم لبعض قد قاموا لا قاموا الى غير هذا من
الالفاظ التي يستخفون بها وقت الاذان وغيره وكل ما ذكر من ذلك انما هو مثال
وقد ذكر السدي انه كان رجل من النصارى بالمدينة وكان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الله الكاذب فما زال كذلك حتى سقط
مصباح في بيته ليلة واحرقه واحترق النصراني لعنه الله ثم ذكر تعالى ان
فعلهم انما هو لعدم عقولهم وانما علموها اذ لم ينصرف كما ينبغي لها فكانها
لم توجد ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لاهل الكتاب هل تنقمون
منا ومعناه هل تعدون علينا ذنبا او نقيصة يقال نقم بفتح القاف ينقم بكسرها
وعلى هذه اللغة قرا الجمهور ويقال نقم بكسر القاف ينقم بفتحها وعلى هذه اللغة
قرا الجمهور ويقال نقم بكسر القاف ينقم بفتحها وعلى هذه اللغة قرا ابو حيوة وابن ابي عبلة
وقرا ابو ابراهيم والنخعي وهذه الاية من المحاورة البليغة الوجيزة ومثلها قوله تعالى
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا ونظير هذا الغرض في الاستثناء قول النابغة ولا
عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقرا الجمهور انزل بضم
الهمزة وكذلك في الثاني وقرا ابو نهيك انزل بفتح الهمزة والزاي فيهما وقوله وان اكثركم
فاسقون هذا عند اكثر المتاولين معطوف على قوله ان امنا فيدخل كونهم فاسقين
فيما نقموه وهذا لا يتجه معناه وروى عن الحسن بن ابي الحسن انه قال في ذلك
لفسقهم نقموا علينا الايمان قال ع وهذا الكلام صحيح في نفسه لكنه غير معين في تقويم
معنى الالفاظ وانما يتجه على ان يكون معنى المحاورة هل تنقمون منا الا مجموع
هذا الحال في انا مؤمنون وانتم فاسقون ويكون وان اكثركم فاسقون مما قرره
المخاطب لهم وهذا كما تقول لمن يخاصمك هل تنقم مني الا ان صدقت انا وكذبت
انت وهو لا يقر بانه كاذب ولا ينقم ذلك لكن معنى كلامك هل تنقم الا مجموع هذه
الحال وقال بعض المتاولين قوله وان اكثركم معطوف على ما كانه قال الا ان امنا
بالله وبانه وان اكثركم قال ع وهذا مستقيم المعنى لان ايمان المؤمنين بان
اهل الكتاب المستمرين على الكفر بمحمد فسقة هو مما ينقمونه وذكر تعالى الاكثر منهم
من حيث فيهم من امن واهتدى وقوله تعالى هل انبئكم قرا الجمهور بفتح النون
وشد الباء وقرا ابن ابي وثاب والنخعي انبئكم بسكون النون وتخفيف
الباء من انبا وقرا اكثر الناس مثوبة بضم الباء وسكون الواو وقرا ابن ابي
بريدة والاعرج ونبيح وابن عمران مثوبة بسكون الباء وفتح الواو وقال ابو الفتح

هذا مما خرج على اصله شاذا عن نظائره ومثله قول العرب الفاكهة مقودة الى الاذى
بسكون القاف وفتح الواو والعاشر مثابة ومقادة واما مثوبة بضم الثاء فاصلها مثوبة
وزنها مفعلة بضم العين نقلت حركة الواو الى الثاء وكانت قبل مثووبة مثل مقولة
والمعنى في القرابين مرجعا عند الله اي في الحشر مقطن القيامة يقول العرب ثاب يثوب
اذا رجع ومنه قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ومشى المفسرون
في هذه الاية على ان الذين امران يقول لهم هل انبئكم هو اليهود والكفار المتخذون
ديننا هزوا ولعبا وقال ذلك الطبري ولم يسند في ذلك متقدما
والاية تحتمل ان يكون القول للمؤمنين اي قل يا محمد للمؤمنين هل انبئكم بشر من حال هؤلاء
الفاسقين في وقت الرجوع الى الله اولئك اسلاف هم الذين لعنهم الله وغضب
عليهم فيكون الاشارة بذلك الى حالهم من كون اكثرهم فاسقين ويحتمل الاية ان
يكون القول للحاضرين من بني اسرائيل وتكون الاشارة بذلك الى الحال الحاضرة من
كون اكثرهم فاسقين ويكون قوله شر واضل صفتي تفضيل بين شيئين لهما
اشتراك في الشر والضلال ويحتمل الاية ان يكون القول للحاضرين من بني اسرائيل
والاشارة بذلك الى ايمان المؤمنين وجميع حالهم وتوجه التفضيل بشر واضل
على ان الاشتراك في الشر والضلال هو من معتقد اليهود فاما في الحقيقة
فلا شر ولا اضلال عند المومنين فلا شركة لهم في ذلك مع اليهود والكفار و
يكون على هذا الاضمار قوله من لعنه الله الاية يراد به جميع بني اسرائيل الاسلاف
والاخلاف لان الخلف ندم ونعم بعد ما ت السلف اذ كان الخلف غير مراجع
ولا نادم لما كان عليه سلفه هو في حكمه وفي قراءة ابي بن كعب وعبد الله بن مسعود
وغضب الله عليهم وجعلهم قردة وخنازير فلاتين واللعنة الابعاد عن الخير
وقوله وجعل بمعنى صير وقال ابو علي في كتاب الحجة هي بمعنى خلق قال ع وهذه منزعة
اعتزالية لان قوله وعبد الطاغوت تقديره ومن عبد الطاغوت والمعتزلة
لا ترى ان الله عز وجل في نصر احدا عابد الطاغوت وقد تقدم تنصيص
مسخهم قردة في سورة البقرة واما مسخهم خنازير فروي ان ذلك بسبب امره
بسبب امراة كانت مومنة من بني اسرائيل وكفر ملك منهم في مدينة من مدنهم
وكفر معه اهل مملكته فدعت المراة قوما الى نصر الدين فاجابوها فخرجت بهم
فهزموا ثم فعلت ذلك ثانية وثالثة في كل مرة يهزم جمعها فيئست وباتت مهمومة
فلما اصبحت وجدت اهل تلك المدينة يسعون في نواحيها خنازير فقالت الان اعلم
ان الله اعز دينه وامر دينه قال عمر بن كثير بن افلح مولى ابي ايوب الانصاري
ما كان مسخ بني اسرائيل الا على يدي تلك المراة وقوله تعالى وعبد الطاغوت
تقديره ومن عبد الطاغوت وذلك عطف على قوله من لعنه الله او معمول لجعل
وفي هذا يقول ابو علي ان جعل بمعنى خلق واختلفت القراة في هذا الحرف
فقرا حمزة وحده عبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت
وذلك ان عبد لفظ مبالغة كيقظ وندس فهو لفظ مفرد يراد به الجنس وبني بناء
الصفات لان عبدا في الاصل صفة وان كان استعمل استعمال الاسماء وذلك
لا يخرجه عن حكم الصفة فلذلك لم يمتنع ان يبنى منه بناء الصفات وقرا بهذه
القراءة الاعمش ويحيى بن وثاب ومنه قول الشاعر ابني لبينى ان امكم امة وان
اباكم عبد ذكره الطبري وغيره بضم الباء وقرا الباقون وعبد بفتح الباء والعين
على الفعل الماضي واعماله في الطاغوت على اسناد الفعل الماضي الى ضمير جمع و
قرا ابن مسعود فيما روى عبد الغفار عن علقمة عنه وعبد الطاغوت
بفتح العين وضم الباء ورفع التاء من الطاغوت وذلك ان عبد كالخلق والامر
المعتاد المعروف فهو في معنى فعه وشرف وظرف وقرا ابن عباس وابراهيم
ابن ابي عبلة وعبد الطاغوت بفتح العين والباء واكثر الباء تخفيفا ومثله قول الاخر
الزاجر قام ولاها فسقوها صرخدا اراد ولاتها فحذف تخفيفا وقرا الحسن
ابن ابي الحسن في رواية عباد عنه وعبد الطاغوت بفتح العين وسكون الباء وكسر
التاء من الطاغوت وهذا على انه اسم جنس مفرد يراد به جميع وروى عن الحسن
غير طريق عباد انه قرا بفتح العين والدال وسكون الباء ونصب التاء من الطا

من الطاغوت وهذا يتجه على وجهين احدهما انه اراد وعبد الطاغوت فحذف التنوين
كما حذف في قول الشاعر ولا ذاكر الله الا قليلا والوجه الاخر ان يريد عبد الذي هو
فعل ماض وسكن الباء على نحو ما هي غير الفعل مسكنة في قول الشاعر وما كل مغبون
ولو سلف صفقه فان اللام من سلف ساكنة ونحو هذا قراءة ابو السماك ويعنوا
انما والوا السكون العين فهذه قراءات العين فيها مفتوحة وقرا ابو واقد الاعرابي
في رواية العباس بن الفضل بحثه وعباد الطاغوت بضم العين وشد الباء المفتوحة
والف بعدها وفتح الدال وكسر التاء من الطاغوت واذلك جمع عابد وقرا عون العقيلي
عون العقيلي فيما روى عنه العباس بن الفضل ايضا وعابد الطاغوت على وزن
فاعل والدال مرفوعة قال ابو عمرو وتقديره وهم عابد الطاغوت **قال ع** وهو اسم جنس
وروى عكرمة عن ابن عباس وعابد والطاغوت بضمتين جمع وقد قال بعض الرواة في هذه
الرواية انها تجوز لا قراءة وقرا ابن بريدة وعابد الطاغوت بفتح العين والدال وكسر
الباء والتاء وقرا بعض البصريين وعباد الطاغوت بكسر العين وفتح الباء والدال
والف بينهما وكسر التاء قال ابو الفتح فيحتمل ان يكون ذلك جمع عابد كقائم وقيام
وصائم وصيام وقد يجوز ان يكون جمع عبد وقلما يأتي عباد مضافا الى غير الله و
انشد سيبويه اتوعدني بقومك يا ابن حجل اشابات يخالون العبادا قال ابو الفتح
يريد عباد آدم عليه السلام ولو اراد عباد الله فليس بشيء يسب به احد وجميع الخلق
عباد الله **قال ع** وهذا التعليق بادم شاذ بعيد والاعتراض فيه باق وليس هذا مما
يخل ان الشاعر قصده وانما اراد العبيد فساقه القافية الى العباد اذ يقال لما
لمن يملك ملكة ما وقد ذكر ان عون الحيرة انما سموا العباد لانهم دخلوا
في طاعة كسرى فدانتهم مملكته وذكر الطبري عن بريدة الاسلمي انه كان يقرا
وعابد الشيطان بفتح العين والدال وكسر الباء والف قبلها وذكر الشيطان
بدل الطاغوت فهذه قراءة فيها الف وقرا ابن عباس فيما روى عنه عكرمة و
قراها مجاهد ويحيى بن وثاب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال و
كسر الدال وذلك جمع عبد كرهن ورهن وسقف وسقف وقال احمد بن يحيى ثعلب
هو جمع عابد كشارف وشرف ومنه قول القينة الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات
بالفناء وقرا ابو الحسن الاخفش جمع عبيد وانشد انسب العبد الى اباءه اسود
الجلدة من قوم عبد وقرا الاعمش وغيره وعبد الطاغوت بضم العين وشد الباء
المفتوحة وفتح الدال وكسر التاء وذلك على جمع عابد كضارب وضرب وقرا ابراهيم
النخعي وابو جعفر بن القعقاع والاعمش في رواية هارون وعبد الطاغوت
بضم العين وكسر الباء وفتح الدال وضم التاء كما تقول ضرب زيد وضعف الطبري
هذه القراءة وهي متوجهة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قرا وعبدت
الطاغوت كما تقول ضربت المراة وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود وعبد
الطاغوت بضم العين وفتح الباء والدال وكسر التاء وهذا ايضا بناء مبالغة
اسم مفرد يراد به هنا الجمع بنى لحطم ولبد وروى عكرمة عن ابن عباس وعبد
الطاغوت على وزن فعل بضم الفاء وشد العين المفتوحة وفتح اللام الطاغوت
نصبا وهذه تخرج على انه اراد وعبدا منونا ثم حذف التنوين للالتقاء كما تقول
كما قال ولا ذاكر الله الا قليلا وقد تقدم نظيره والطاغوت كل ما عبد من دون الله
من وثن اذا دمي وصي ذلك او شيطان وقد استوعبت تفسيره في سورة البقرة **ومكانا**
يحتمل ان يريد في الاخرة والمكان على وجهه اي المحل اذ محلهم جهنم وان يريد في الدنيا
فهي استعارة للمكانة والحالة وسواء السبيل وسطه ومنه قول العرب تمت حتى انقطع
سواي ومنه قوله تعالى في سواء الجحيم وحظ الاستقامة في السبيل اذ هو متمكن غاية
التمكن في الاوساط ولذلك خص سواء بالذكر ومن لفظ السواء قيل خط الاستواء
قوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا امنا الى قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا الضمير في جاؤكم لليهود المعاصرين لمحمد عليه السلام و
خاصة للمنافقين منهم نص على ذلك ابن عباس وقتادة والسدي ثم اخبر تعالى
لهم دخلوا فيهم كفار وخرجوا وهم كذلك لم ينفعهم الموعظة ولا نفع فيهم
التذكير **وقوله** وهم يخلص من احتمال العبارة ان يدخل قوم بالكفر ثم يؤمنوا و

يخرج

ويخرج قوم كفرة وكان سطق على الجميع وهم قد دخلوا بالكفر وقد خرجوا به فازال
الاحتمال قوله تعالى وهم قد خرجوا به اي هم باعيانهم قد فضحهم بقوله والله
اعلم بما كانوا يكتمون من الكفر **وقوله** لنبيه عليه السلام وترى يحتمل ان
يكون من رؤية البصر ويحتمل ان يكون من رؤية القلب ويكون المفعول الثاني
يسارعون وعلى الاحتمال الاول يسارعون حال وفي الاثم معناه في موجبات
الاثم اذ الاثم انما هو المتعلق بصاحب المعصية والسيئة الى يصير اليها
اذا وقع الذنب وهو من هؤلاء بكفرهم **والعدوان** مصدر من عدا الرجل
اذا ظلم وتجاوز الحد والسحت هو الرشا وسائر مكسبهم الخبيث واللام
في لبئس لام قسم وقرا ابو حيوة والعدوان بكسر العين **وقوله** لولا ينهاهم
هم الربانيون والاحبار تحضيض في ضمنه توبيخ لهم اذ تركوا ذلك وهم
قال الطبري كان العلماء يقولون ما في القران اية هي اشد توبيخا من هذه الاية ولا اخوف
عليهم منها وقال الضحاك بن مزاحم ما في القران اية اخوف عندي منها انا لا ننهى وقال
نحو هذا ابن عباس وقال الجراح وابو واقد الربانيون بكسر الراء واحدهم ربي اما منسوب
الى علم الرب واما من يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وزيدت النون في نسبته
مبالغة كشعراني ومنظراني ومخبراني وقال الحسن الربانيون علماء الانجيل والحبر عالم
التورية وقوله في الربانيين شاذ بعيد والاحبار واحدهم حبر وكسر الحاء وفتحها وهم
العلماء الذين لا يعنون لاصلاح الناس ولا يكلفون ذلك والرباني هو العالم المدبر المصلح
وقوله عن قولهم الاثم واكلهم السحت ظاهره ان الاثم يراد به الكفر ويحتمل ان يراد به
سائر اموالهم المنكرة في النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقرا ابن عباس بئس بغير
لام قسم ما كانوا يصنعون **وقوله** وقالت اليهود يد الله مغلولة الاية هي تعديد كثيرة
من اقوالهم وكفرهم اي لمن يقول هذه العظمة فلا يستكثر عليه ان ينافق عليك يا محمد
ويسعى في رد امر الله الذي اوحاه اليك وقال ابن عباس وجماعة من المتاولين معنى
قولهم البخل وذلك انهم لحقتهم سنة وجهد وقالوا هذه العبارة يعنون بها ان الله
بخل عليهم بالرزق والتوسعة وهذا المعنى يشبه ما في قوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك فانما المراد لا تبخل وقوله عليه السلام مثل البخيل والمتصدق
الحديث وذكر الطبري والنقاش ان هذه الاية نزلت في فنحاص اليهودي وانه قالها وقال
الحسن ابن ابي الحسن قولهم يد الله مغلولة انما يريدون عن عذابهم فهي على هذا في المعنى
نحو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقال السدي اراد بذلك ان يده مغلولة حتى يرد
علينا ملكنا **قال ع** فكانهم عنوا ان قوته تعالى نقصت ولذلك غلبوا على ملكهم
وظاهر مذهب اليهود لعنهم الله في هذه المقالة التجسيم ولذلك يعطي كثير
من اقوالهم **وقوله** غلت ايديهم دعاء عليهم ويحتمل ان يكون خبرا ويصح على كل
الاحتمال ان يكون في الدنيا وان يراد بها الاخرة واذا كان خبرا عن الدنيا فالمعنى
غلت ايديهم عن الخير والانفاق في سبيل الله ونحوه واذا كان خبرا عن الاخرة فالمعنى
غلت في نار جهنم اي حتم هذا عليهم ونفذ به القضاء كما حتمت عليهم اللعنة لقولهم هذا وبما
جرى مجراه وقرا ابو السماك ويعنوا السكون العين وذلك قصد للتخفيف لاستثقال
الهبوط من ضمه الى كسرة **وقوله عز وجل** بل يداه مبسوطتان العقيدة في هذا المعنى
نفي التشبيه عن الله وانه تعالى ليس بجسم ولا له جارحة ولا تشبه ولا تكييف ولا
يتحيز ولا تحله الحوادث تعالى عما يقول المبطلون ثم اختلف العلماء فيما ينبغي ان يعتقد
في قوله بل يداه مبسوطتان وفي قوله بيدي وعملته وعملته ايدينا ويد الله فوق ايديهم
ويصنع على عيني وتجري باعيننا فاصبر باعيننا كل شيء هالك الا وجهه ونحو هذا فقال فريق
من العلماء منهم الشعبي وابن المسيب وسفيان نؤمن بهذه الاشياء ونقرها كما
نصها الله ولا نعني لتفسيرها ولا يشتق النظر فيها **قال ع** وهذا قول يضطرب لان
القائلين به مجمعون على انها امور ليست على ظاهرها في كلام العرب فاذا فعلوا
هذا فقد نظروا وصار السكوت عن الامر بعد هذا مما يوهم العوام ويشبه الجهلة
وقال جمهور الامة بل تفسر هذه الامور على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة وغير ذلك من
افانين كلام العرب فقالوا في العين والاعين انها عبارة عن العلم والادراك كما يقال
فلان من فلان بمراى ومسمع اذا كان يعني بامره وان كان غائبا عنها وقالوا في الوجه

انه عبارة عن الذات وصفاتها وقالوا في اليد واليدين انها يأتي مرة بمعنى القدرة كما يقول
العرب لا يد لي بكذا ومرة بمعنى النعمة كما يقال لفلان عند فلان يد وتكون بمعنى الملك كما يقول
يد فلان على ارضه وهذا المعاني اذا وردت عن الله عبر عنها باليد والايدي واليدين
استعمالا لفصاحة العرب ولما في ذلك من الايجاز هذا مذهب ابي المعالي والحذاق
وقال قوم من العلماء منهم القاضي الطيب هذه كلها صفات زائدة عن الذات ثابتة
لله دون ان يكون في ذلك تشبيه ولا تحديد وذكر هذا القول الطبري وغيره وقال
ابن عباس في هذه الاية يداه نعمتاه ثم اختلف في تعيين النعمتين فقيل نعمة الدنيا والاخرة
وقيل النعمة الظاهرة والنعمة الباطنة وقيل نعمة المطر ونعمة النبات قال ع والظاهر
ان قوله يداه مبسوطتان عبارة عن انعامه على عباده وعبر عنه بيدين جريا على طريقة
العرب في قولهم فلان ينفق بكلتي يديه ومنه قول الاعشى يداك يدا مجد فكف مفيدة
وكف اذا ما ضن بالمال ينفق ويؤيد ان اليدين هنا بمعنى الانعام قرينة الانفاق
قال ابو عمرو الداني وقرأ ابو عبد الله بل يداه بسطتان يقال يد بسطة اي مطلقة
وروي بسطان وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم الاية اعلام لنبيه بان هؤلاء
اليهود من العتو والبعد عن الحق بحيث اذا سمعوا هذه الاسرار التي لهم والاقوال
التي لا يعلمها غيرهم يزيدك عليك طغيانا وكفروا وكان نحو قولهم ان يؤمنوا اذ يعلمون
انك لا تعرفها الا من قبل الله لكنهم من العتو بحيث يزيدهم ذلك طغيانا وخص الله تعالى
ذكر الكثير اذ منهم من امن بالله ومن لا يطغى كل الطغيان وقوله والقينا بينهم
العداوة والبغضاء معطوف على قوله وقالت اليهود فهي قصص يعطف بعضها على بعض
والعداوة اخص من البغضاء لان كل عدو فهو يبغض وقد يبغض من ليس بعدو
وكان العداوة شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب والبغضاء قد لا يجاوز النفوس
وقد القى الله الامرين على بني اسرائيل وقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله
استعارة بليغة بنى عن فض جموعهم وتشتيت ارائهم وتفريق كلمتهم والاية يحتمل
ان يكون اخبارا عن حال اسلافهم اي منذ عصوا وعتوا وهدا الله ملكهم وشأنهم
بهذا الامور بهم لا يرتفع لهم رأيه الى يوم القيامة ولا يقاتلون جميعا الا في قرى
محصنة هذا قول الربيع والسدي وغيرهما وقال مجاهد معنى الاية كلما اوقدوا نارا للحرب
محمد اطفأها الله فالاية على هذا تبشير لمحمد والمؤمنين واشارة الى حاضريه من اليهود
وقوله تعالى ويسعون معنى السعي في هذه الاية العمل والفعل وقد يجيء السعي بمعنى الانتقال
عن القدم وذلك قوله فاسعوا الى ذكر الله وان كان مالك قد قال في الموطأ تعالى فا
سعوا الى ذكر الله العمل والفعل ولكن غيره من اهل العلم حمله على الاقدام وهو
الظاهر بقرينة ضيق الوقت وبالتعدية بالى ويؤيده قراءة عمر بن الخطاب فامضوا
وقوله تعالى والله لا يحب المفسدين اي لا يظهر عليهم من افعاله في الدنيا
والاخرة ما يقتضي المحبة قوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الاية
هذه الاية يحتمل ان يراد بها معاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاظهر انه
يراد بها الاسلاف والمعاصرون داخلون في هذه الاحوال بالمعنى والغرض الاخبار
عن اولئك الذين اطفأ الله نيرانهم واذلهم بمعاصيهم لو امنوا بالله وكتابه
واتقوا في امتثال اوامره ونواهيه لكفرت سيئاتهم اي سترت واذهبت ولادخلوا
الجنة ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية اي اظهروا احكامهما فهي كاقامة
السوق واقامة الصلوة وذلك كله تشبيه بالقائم من الناس اي هي اظهر
بهيئات المرء وقوله تعالى والانجيل يقتضي دخول النصارى في لفظ اهل الكتاب في هذه
الاية قوله وما انزل اليهم من ربهم معناه من وحي وسنن على السنة الانبياء
واختلف المفسرون في معنى من فوقهم ومن تحت ارجلهم فقال ابن
عباس وقتاده ومجاهد والسدي والمعنى لاعطتهم السماء مطرها وبركتها
والارض نباتها بفضل الله وحكى الطبري والزجاج وغيرهما ان الكلام
استعارة ايضا ومبالغة في التوسعة كما يقال فلان قد عمه الخير من
قرنه الى قدمه وذكر النقاش ان المعنى لاكلوا من فوقهم من رزق الجنة
ومن تحت ارجلهما اي من رزق الدنيا اذ هو من نبات الارض وقوله
تعالى منهم امة مقتصدة اي معتدلة والقصد والاقتصاد الاعتدا

الاعتدال والرفق والتوسط الحسن في الاقوال والافعال قال الطبري معنى الاية ان من بني
اسرائيل من هو مقتصد في عيسى عليه السلام يقولون هو من عند الله ورسوله وروح
منه والاكثر منهم غلا فيه فقال بعضهم اله وعلى هذا مشى الروم ومن دخل اخر
في ملة عيسى وقال بعضهم وهو الاكثر من بني اسرائيل هو ادعى بغير رشده فكفر
الطرفان فقال مجاهد المقتصد مسلمة اهل الكتاب قديما وحديثا قال ع وعلى هذا
يخرج قول الطبري ولا يقول في عيسى انه عبد ورسول الا مسلم وقال ابن زيد هم اهل طاعة
اهل طاعة الله من اهل الكتاب وهذا هو المترجح وقد ذكر الزجاج وغيره انه يعني
بالمقتصدة الطوائف التي لم تناصب الانبياء مناصبة المهتلين المجاهرين
قال ع وانما يتوجه ان يوصف بالاقتصاد بالاضافة الى المتمردة كما يقال في ابي
البحتري ابن هشام انه من المقتصدة بالاضافة الى ابي جهل ثم وصف الله
الكثير منهم بسوء العمل عموما وذهب الطبري الى ان ذلك في تكذيبهم الانبياء
وكفر اليهود بعيسى والجميع من اهل الكتابين بمحمد صلى الله عليه وسلم وساء في هذه
الاية هي المتصرفة كما يقول ساء الامر يسوء وقد يستعمل ساء استعمال نعم وبئس كقوله
ساء مثلا فتلك غير هذه تحتاج في هذه التي في قوله ساء مثلا من الاضمار والتقدير
الى ما يحتاج في نعم وبئس وقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ الاية امر من الله ورسوله
بالتبليغ على الاستيفاء والكمال لانه كان قد بلغ وانما امر في هذه الاية بان لا يتوقف
عن شيء مخافة احد وذلك ان رسالته صلى الله عليه وسلم تضمنت الطعن
على انواع الكفرة وبيان فساد حالهم وكان يلقى منهم عنتا وربما خافهم
احيانا قبل نزول هذه الاية فقال الله له بلغ ما انزل اليك من ربك كاملا اي كاملا
متمما ثم توعده تعالى بقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي انك ان تركت شيئا
فكانك قد تركت الكل وصار ما بلغت غير معتد به فقوله وان لم تفعل معناه وان لم
تستوف ونحو هذا قول الشاعر سئلت فلم تمنع ولم تعط نائلا فسيان لا ذم عليك
ولا حمد اي ولم تعط بعد نائلا والا فيكاد يدب اللبس وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
فما بلغت رسالته على الافراد وقرأوا في الانعام حيث يجعل رسالته على الجمع و
كذلك في الاعراف برسالاتي وقرأ ابن كثير في المواضع الثلاثة بافراد الرسالة وقرأ نافع
رسالاته بالجمع وكذلك في الانعام وافرد في الاعراف وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية
ابي بكر بجمع الرسالة في المواضع الثلاثة وروى حفص عن عاصم الافراد في العقود
والانعام والجمع في الاعراف فمن افرد الرسالة فلان الشرع كله شيء واحد وجملة بعضها
من بعض ومن جمع فمن حيث الشرع معان كثيرة وورد دفعا في ازمان مختلفة و
قد قالت عائشة ام المؤمنين من زعم ان محمدا كتم شيئا من الوحي فقد اعظم الفرية والله
يقول يا ايها الرسول بلغ وقال عبد الله بن شقيق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقبه
اصحابه يحرسونه فلما نزلت والله يعصمك من الناس خرج فقال يا ايها الناس الحقوا بملاحقكم
فان الله قد عصمني وقال محمد بن كعب القرظي نزلت والله يعصمك من الناس
بسبب الاعرابي الذي اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله به قال ع
هو غورث بن الحارث والقصة في غزوة ذات الرقاع وقال ابن جريج كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يهاب قريشا فلما نزلت هذه الاية الى قوله والله يعصمك من
الناس استلقى وقال من شاء فليخذلني مرتين او ثلثا ويعصمك معناه يحفظك
ويجعل عليك وقاية ومنه قوله تعالى يعصمني من الماء ومنه قول الشاعر فقلت عليكم
مالكا ان مالكا سيعصمكم اذ كان في الناس عاصم وهذه العصمة في الاية هي من المخاوف
التي يمكن ان يوقف عن شيء من التبليغ كالقتل والاسر والاذى في الجسم ونحوه واما
من الكفرة ونحوها فليست في الاية وقوله تعالى لا يهدي القوم الكافرين اما
على الخصوص فيمن سبق في علم الله انه لا يؤمن واما على العموم على ان لا هداية في الكفر
ولا يهدي الله الكافر في سبيل كفره ثم امر تعالى نبيه محمدا عليه السلام ان يقول لاهل
الكتاب الحاضرين معه لستم على شيء اي على شيء مستقيم حتى تقيموا التورية والانجيل وفي
اقامة هذين الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما انزل اليكم يعني به
القرآن قاله ابن عباس وغيره فقد اخبر تعالى نبيه انه سيطغى كثير منهم بسبب
نبوة محمد عليه السلام ويزيده نزول القرآن والشرع كفرا وحسدا ثم سلاه عنهم

وحقرهم بقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين اى لا تحزن اذ لم يومنوا ولا تاسف عليهم والاسى
الحزن تقال اسى الرجل ياسى اذا حزن ومنه قول الراجز وانحلبت عيناه من فرط
الاسى واسند الطبرى الى ابن عباس قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع
ابن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الضيف ورافع بن حرملة فقالوا يا محمد
الست تزعم انك على ملة ابراهيم وانك تومن بالتورية وبنبوة موسى وان جميع ذلك
حق قال بلى ولكنكم احدثتم وغيرتم وكتمتم فقالوا انا ناخذ بما في ايدينا فانه الحق
ولا نصدقك ولا نتبعك فنزلت هذه الاية بسبب ذلك قل يا اهل الكتاب الاية
قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا الاية الذين آمنوا لفظ عام لكل مؤمن
من ملة محمد ومن غيرها من الامم وكان الفاظ الاية خص بها الناس كلهم وثبت
الطوائف على اختلافها وهذا تاويل جمهور المفسرين قال الزجاج المراد بقوله الذين
امنوا المنافقون فالمعنى ان الذين امنوا بافواههم ولم تومن قلوبهم وكان الفظ
الاية عدت الطوائف التي يمكن ان ينتقل عن الايمان ثم نفى عنهم الخوف والحزن
بشرط انتقالهم الى الايمان بالله واليوم الاخر وعلى التاويل الاول يكون قوله من
امن في خير المومنين بمعنى ثبت واستمر وقد تقدم تفسير هادوا وتفسير النصارى
في سورة البقرة واختلف القرا في اعراب الصابئين في هذه الاية فقرأ
الجمهور والصابئون بالرفع وعليه مصاحف القراء السبعة وقرا
عثمان بن عفان وعائشة وابي ابن كعب وسعيد بن جبير والجحدرى
والصابئين وهذه قراءة بينة الاعراب وقرا الحسن بن ابي الحسن
والزهرى والصابون بكسر البا وضم البا دون همز وقد تقدم
ذلك في سورة البقرة واما قراة الجمهور والصابئون فمذهب سيبويه
والخليل ونحاة البصره انه من المقدم الذي معناه التاخير وهو
المراد به كانه قال ان الذين امنوا والذين هادوا من امن بالله و
اليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون
والنصارى كذلك وانشد الزجاج في نظير ذلك والا فاعلموا انا وانتم
بغاة ما بقينا في شقاق فقوله وانتم مقدم في اللفظ مؤخر في المعنى
اى وانتم كذلك وحكى الزجاج عن الكسائى والفرا عنهما قالا والصابئون
والصابئون عطف على الذين اذ الاصل في الذين الرفع واذا نصبت
ضعيف وخطاه الزجاج هذا القول وقال ان اقوى النواصب وحكى ايضا
عن الكسائى انه قال والصابئون عطف على الضمير في هادوا والتقدير هادوا هم
والصابئون فهذا قول يرده المعنى لانه يقتضي ان الصابئين هادوا وقيل ان المعنى
نعم وما بعدها مرفوع بالابتداء وروى عن بعضهم انه قرا والصابون بالهمز
واتصال هذه الاية بالتى قبلها هو ان قيل لهم ليس الحق في نفسه على ما تزعمون من
انكم ابناء الله واحباؤه بل لستم على شيء مستقيم حتى تؤمنوا وتقيموا الكتب
المنزلة ثم استانف الاخبار عن الحق في نفسه بانه من امن من كل العالم فهو الفائز
الذى لا خوف عليه وقوله تعالى لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الاية استيناف
خبر بفعل اوائلهم وما نقضوا من العهود واجترحوا من الجرائم اى ان العصاة
المعصية وهولاء يا محمد من اولئك فليس بنبخ فعلهم ببدع وكلما طرفه والعامل
فيه كذبوا ويقتلون وقوله تعالى بما لا تهوى انفسهم يقتضى ان هواهم كان غير
الحق وهو ظاهر هوى النفس متى اطلق فمتى قيد بالخير ساغ ذلك ومنه قول عمر في قصة
اسرى بدر فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر رضي الله عنه ولم يهو
ما قلت انا وقوله فريقا كذبوا معناه كذبوه فقط يريد الفريق من الرسل ولم يقتلوه
وفريقا من الرسل كذبوه وقتلوه فاكتفى بذكر القتل اذ هو يستغرق التكذيب
قوله عز وجل وحسبوا ان لا تكون فتنة الى قوله من انصار المعنى في هذه الاية
وظن هؤلاء الكفرة والعصاة من بنى اسرائيل ان لا تكون فتنة من الله ابتلاهم
واخذ في الدنيا وتمحيص فلجوا في شهواتهم وعموا فيها اذ لم يبصروا الحق شبهوا بالصم
ونحو هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم حبك للشىء يعمى ويصم وقوله تعالى ثم تاب الله
عليهم اى رجع بهم الى الطاعة والحق وقوله ثم تاب عليهم قال جماعة من المفسرين هذه

التوبة هي ردهم الى بيت المقدس بعد الاخراج الاول ورد ملكهم وحالهم ثم عموا وصموا
بعد ذلك حتى اخرجوا الخرجة الثانية ولم يجبروا ابدا وقالت جماعة ثم تاب الله عليهم
بعث عيسى عليه السلام اليهم وقالت جماعة توبته تعالى عليهم بعث محمد صلى الله
عليه وسلم اليهم وخص بهذا المعنى كثيرا منهم لان قليلا منهم قد امن ثم توعدهم
تعالى بقوله والله بصير بما تعملون وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر الا تكون
بنصب النون وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى ان لا تكون برفع النون ولم يختلفوا
في رفع فتنة لان كان هنا هي التامة بمعنى يقع فوجه قراءة النصب ان تكون ان هي
الخفيفة الناصبة ووجه قراءة الرفع ان يكون المخففة من الثقيلة وحسن دخولها
لان لا قد وطأت ان تليها الفعل وقامت مقام الضمير المحذوف عوضا منه ولا بد
في مثل هذا من عوض مثل قولك علمت ان قد تقوم زيد وقوله تعالى علم ان سيكون
منكم مرضى وقولك علمت ان سوف يقوم زيد وان لا يكون فيه وقوله تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى حسن فيه ان لا يكون عوض لان ليس بفعل حقيقى
والافعال ثلثة اضرب ضرب يجرى مجرى بعثت نحو علمت وحدثت فهذا
الضرب تلته ان الثقيلة التي تناسبه في الثبوت وحصول الوقوع وضرب في الضد
نحو طمعت ورجوت وخفت وهو مصرح بان لم يقع فهذا الضرب تليه ان الخفيفة
اذ هي تناسبه لقوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتى ويخافون ان يتخطف
ان يتخطفكم وفان خفتم ان لا يقيما حدود الله وفخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
واشفقتم ان تقدموا ونحو هذا وضرب ثالث الى الاول مرة والى الثانى احيانا نحو ظننت
وحسبت وزعمت فيجرى رجا واطمع من حيث الظن والزعم والحسبة امور غير ثابتة
ولا مستقرة وقد ينزل منزلة العلم من حيث يستعمل استعماله كقوله الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم وقوله تعالى انى ظننت انى ملاق حسابيه وقرا جمهور الناس عموا وصموا
بفتح العين والصاد وقرا ابن وثاب والنخعى عموا بضم العين والميم مخففة وصموا بضم
الصاد وهذا هو على ان تجرى مجرى زكم الرجل وازكمه الله وحم واحمه الله
ولا يقال زكمه الله ولا احمه الله فكذلك يجئ هذا عمى الرجل واعماه غيره وصم واصمه
غيره ولا يقال عميته ولا صميته وقوله تعالى ثم تاب الله عليهم اى رجع بهم الى الطاعة
والحق من فصاحة هذا اللفظ اسناد هذا الفعل الشريف الى الله تعالى واسناد العمى
والصمم اللذين هما عبارة عن الضلال اليهم وقوله تعالى كثير منهم يرتفع من احدى
ثلاث جهات اما على البدل من الواو في قوله عموا وصموا واما على جمع الفعل وان تقدم
على لغة من قال اكلونى البراغيث واما ان يكون كثير خبر ابتداء مضمر ثم اخبر تعالى
اخبارا مؤكدا بلام القسم عن كفر القائلين ان الله هو المسيح بن مريم وهذا هو قول
اليعقوبية من النصارى ثم اخبر تعالى عن قول المسيح لهم وتبليغه كيف كان فقال
وقال المسيح يا بنى اسرائيل الاية وهذه المعانى قول المسيح بالفاظ لغته وهى بعينها
موجودة في تبليغ محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الى
غير ذلك من الايات واخبرهم عيسى في قوله ان الله هو ربه وربهم فضلوهم وكفروا
بسبب ما راوا على يديه من الايات والماوى هو المحل الذى يسكنه المرء ويرجع اليه
وقوله تعالى وما للظالمين من انصار يحتمل ان يكون من قول عيسى عليه السلام لبنى اسرائيل
ويحتمل ان يكون اخبارا مستانفا لمحمد عليه السلام وقد تقدم القول في تفسير لفظ المسيح
وقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الى قوله انى يوفكون هذه الاية اخبار
مؤكد للذى قبله وهو عن هذه الفرقة الناطقة بالتثليث وهى فيما يقال الملكية وهم فرق
منهم النسطورية وغيرهم ذلك ولا معنى لذكر اقوالهم في كتاب تفسير انما الحق انهم على
اختلاف اقوالهم كفار من حيث جعلوا في الالهية عددا ومن حيث جعلوا لعيسى عليه السلام
حكما الهيا وقوله تعالى ثالث ثلاثة لا يجوز فيه الا الاضافة وخفض ثلاثة لان المعنى
احد ثلاثة فان قلت من قد ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز لك ان يضيف كما تقدم
وجاز ان لا تضيف وتنصب ثلاثة على معنى زيد ربع ثلاثة وقوله تعالى وما من اله الا
اله واحد خبر صادع بالحق وهو الخالق المبدع المتصف بالصفات العلى تعالى عما
يقول المبطلون ثم توعد هؤلاء القائلين هذه العظيمة بمس العذاب وذلك وعيد
بعذاب الدنيا من القتل والسبى وبعذاب الاخرة بعد لا يفلت احد منهم ثم

رفو جل وعلا بهم بتخصيصه اياهم على التوبة وطلب المغفرة ثم وصف نفسه بالغفران
والرحمة استجلابا للتائبين وتانيسا ليكونوا على ثقة من الانتفاع سويهم ثم اخبر
تعالى عن حقيقة امر المسيح وانه رسول الله بشر كالرسل المتقدمة قبله وجلت معناه
مضت وتقدمت وصارت في خلا من الارض وقرا حطاب بن عبد الله الرقاشي
قد خلت من قبله رسل بتنكير الرسل وكذلك قرا وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل بالتنكير وقد مضى القول على وجه هذه القراة هناك **وقوله
تعالى** وامه صديقة صفة بناء مبالغة من الصدق ويحتمل ان يكون من
التصديق وانما سمي ابو بكر الصديق لتصديقه وهذه الصفة لمريم يدفع
قول من قال هي نبية وقد يوجد في صحيح الحديث قصص قوم كلمتهم الملائكة
في غير ماض في قصة الثلثة الاقرع والاعمى والابرص وغيرهم ولا يكون
هنالك نبوة فكذلك امر مريم **وقوله تعالى** كانا ياكلان الطعام تنبيه على
نقص البشرية على حال من الاحتياج الى الغذا ينبغي معها الالوهية و
ذكر مكي والمهدوي وغيرهما انها عبارة عن الاحتياج الى الغائط وهذا
قول تشبع ولا ضرورة يدفع اليه حتى يقصد هذا المعنى بالذكر وانما هي
عبارة عن الاحتياج الى التعدي ولا محالة ان النظر اذا تامل يذهب
لوازم التعدي وحكم ذلك وغيره ثم امر تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
وفي الضمن امته بالنظر في ضلال هولاء القوم وبعدهم عن سنن الحق وان
الايات بين لهم وتبين غاية الوضوح ثم هم مع ذلك يصرفون الى تحريفهم
دواعيهم ويرد بهم نفسهم عن الحق **وكيف** في هذه الاية ليست سوالا
عن حال لكنهم عبارة عن حال شانها ان يسال عنها وهذا كقولك كيف
يثبت فلان صديق **وانى** معناه من اي جهة قال سيبويه معناها كيف
ومن اين **وانى يوفكون** يوفكون بيان معناه يصرفون ومنه قوله تعالى
يوفك عنه من افك والارض المافوكة التي صرفت عن ارسالها المطر
في الحقيقة هو المطروف ولكن قيل ارض مافوكة لما كان المطر افوكا عنها
قوله عز وجل قل اتعبدون من دون الله الى قوله وكانوا يعتدون امر الله
تعالى نبيه ان يوقفهم على عبادتهم شخصا من البشر لا يملك ان يضرهم
ولا ينفعهم ومن دون دون فلان وما جا من هذه اللفظة فانها
الى من ليس في الشان له التي فيها القول وتفسيرها بغير امر غير مطرد والضر
بفتح الضاد المصدر وبضمها الاسم وهو عدم الخير **والسميع** هنا اشارة الى الاصيل
اقوالهم والعليم بشباتهم وقال بعض المفسرين هاتان الصفتان مبنيتان على قصور
البشر اي والله تعالى هو السميع بالاطلاق لا عيسى ولا غيره فهم مقرون
ان عيسى قد كان مدة لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم وقال نحوه مكي ثم امر الله تعالى
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان ينهاهم عن الغلو في دينهم والغلو تجاوز الحد
غلا السهم اذا تجاوز الغرض المقصود واستوفى سومه من الاطراد وتلك المسافة
هي غلوته ولما كان قوله لا تغلوا بمعنى لا تقولوا ولا تلتزموا نصب غير وليس معنى
هذه الاية خيرا من دينكم الذي انتم عليه الغلو ولكن معناه في دينكم الذي ينبغي
ان يكون لكم لان كل انسان فهو مطلوب بالدين الحق حري ان يتبعه ويلتزمه و
هذه المخاطبة للنصارى الذين غلوا في عيسى والقوم الذين نهى النصارى عن اتباع
اهوائهم بنو اسرائيل ومعنى الاية لا تتبعوا انتم اهواءكم كما اتبع اولئك اهواءهم
فالمعنى لا تتبعوا طرائقهم والذي دعا الى هذا التاويل ان النصارى في غلوهم
ليسوا على هوى بني اسرائيل بل هم في الضد في الاقوال وانما اجتمعوا في اتباع نوع
الهوى فالاية بمنزلة قولك من تلومه على عوج هذه طريقة فلان بمثل باخر
قد اعوج نوعا اخر من الاعوجاج وان اختلفت نوازله ووصف تعالى اليهود
بانهم ضلوا قديما واضلوا كثيرا من اتباعهم ثم اكد الامر بتكرار قوله تعالى
وضلوا عن سواء السبيل وذهب بعض المتاولين الى ان المعنى يا اهل الكتاب
من النصارى لا تتبعوا اهوا هولاء اليهود الذين ضلوا من قبل اي ضل اسلاف
اسلافهم وهم قبل مجي محمد صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا من المنافقين

وضلوا

وضلوا عن سواء السبيل الان بعد وضوح الحق **وقوله تعالى** لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
الاية وقد تقرر في غير موضع من القران ما جرى في مدة موسى عليه السلام من كفر بعضهم
وعتوهم وكذلك امرهم مع محمد عليه السلام كان مشاهدا في وقت نزول القران فخصت
هذه الاية امة عيسى وداود اعلاما بانهم قد لعنوا في الكتب الاربعة وانهم قد
لعنوا على لسان غير موسى ومحمد عليهما السلام وقال ابن عباس رحمه الله لعنوا
بكل لسان لعنوا على عهد موسى في التورية وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد
عيسى في الانجيل وعلى عهد محمد في القران وروى ابن جريج انه اقترن بلعنتهم
على لسان داود ان مسخوا خنازير وذلك ان داود عليه السلام مر على نفر وهم
في بيت فقال من في البيت قالوا خنازير على معنى الاحتجاب فقال اللهم اجعلهم
خنازير فكانوا خنازير ثم دعا عيسى على من افترى عليه وعلى امه ان يكونوا قردة وقال مجاهد
وقتادة بل مسخوا في زمن داود قردة وفي زمن عيسى خنازير وحكى الزجاج نحوه **قال ع** وذكر
المسخ ليس مما يعطيه الفاظ الاية وانما يعطي الفاظها انهم لعنهم الله وابعدهم من رحمته
واعلم بذلك العباد المومنين على لسان داود النبي في زمنه وعلى لسان عيسى في زمنه
وروي عن ابن عباس انه قال لعن على لسان داود اصحاب السبت الذين كفروا بالمائدة
وقوله تعالى ذلك اشارة الى لعنتهم وباقي الاية بين **قوله عز وجل** كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه الى قوله فاسقون ذم الله تعالى هذه الفرقة الملعونة بانهم كانوا لا يتناهون
لا يتناهون عن منكر فعلوه اي انهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وان نهى منهم ناه
فعن غير جد بل كان لا يمتنع الممسك منهم عن مواصلة العاصي ومواكلته وخلطته
وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من بني اسرائيل
كان اذا راى اخاه على ذنب نهاه عنه تعذيرا فاذا كان من الغد لم يمنعه ما راى منه
ان يكون اكيله وخليطه فلما راى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض و
لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى وقال ابن مسعود وكان رسول الله عليه
وسلم متكيا فجلس فقال لا والله حتى تاخذوا على يدي الظالم فتاطروه على الحق اطرا **قال ع**
والاجماع على ان النهي عن المنكر واجب لمن اطاقه ونهى بمعروف وامن الضرر عليه و
على المسلمين فان تعذر على احد النهي لشي من هذه الوجوه ففرض عليه الانكار بقلبه
وان لا يخالط ذا المنكر وقال الحذاق اهل العلم ليس من شروط النهي ان يكون سليما
من المعصية بل ينهى العصاة بعضهم لبعض وقال بعض الاصوليين فرض على الذين
يتعاطون الكوس ان ينهى بعضهم بعضا واستدل قائل هذه المقالة بهذه الاية
لان قوله تعالى لا يتناهون وفعلوه يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي
وقوله تعالى لبئس ما كانوا يفعلون اللام لام قسم وجعل الزجاج ما مصدرية وقال
التقدير لبئس شيئا فعلهم **قال ع** وفي نظر لو قال غيره ما نكرة موصوفة التقدير لبئس الذي
كانوا يفعلون فعلا **وقوله تعالى** لمحمد عليه السلام ترى كثيرا منهم يحتمل ان يكون روية
قلب وعلى هذا فيحتمل ان يريد من الاسلاف المذكورين اي تريد الان اذا اخبرناك ويحتمل
ان يريد من معاصري محمد عليه السلام لانه كان يرى ذلك من امورهم ودلائل حالهم ويحتمل
ان يكون الروية روية عين فلا يريد الا معاصري محمد عليه السلام وقوله تعالى لبئس ما
قدمت لهم انفسهم اي قدمته للاخرة واجترحته ثم فسر ذلك قوله تعالى ان سخط الله
عليهم فان سخط في موضع رفع بدل لما ويحتمل ان يكون التقدير هو ان سخط الله عليهم
وقال الزجاج في موضع نصب على تقدير فان سخط الله عليهم **وقوله تعالى** والنبي ان كان
المراد الاسلاف فالنبي داود وعيسى وان كان المراد معاصري محمد صلى الله عليه
وسلم والذين كفروا هم عبدة الاوثان وخص الكثير منهم بالفسق اذ قليل منهم امن
وذهب بعض المفسرين الى ان قوله تعالى ترى كثيرا منهم كلام منقطع من ذكر
بني اسرائيل وانه يعني به المنافقين وقال مجاهد وكانوا يومنون بالله الاية يعني بها
المنافقون **قوله عز وجل** لتجدن اشد الناس عداوة الى قوله من الشاهدين اللام
لام الابتداء في قوله لتجدن وقال الزجاج هي لام قسم ودخلت هذه النون الثقيلة
ليفصل بين الحال والاستقبال **قال ع** وهذا خبر مطلق منسحب على الزمن كله
وهذا هو الامر حتى الان وذلك ان اليهود مرنوا على تكذيب الانبياء وقتلهم
ودربوا العتو والمعاصي ومردوا على استشعار اللعنة وضرب الذلة والمسكنة

وهم قد يحب عداوتهم وكثر حسدهم فهم اشد الناس عداوة للمؤمنين وكذلك المشركين
عبدة الاوثان من العرب والنيران من المجوس لان الايمان اماهم كفر وعروشهم
نسل وبين انهم ليسوا على شيء من اول امرهم فلم يبق لهم بعثه فكدا وتهم شديدة
والنصارى اهل كتاب يقضي لهم شرعا بان اوللكرامهم صحيح لولا انهم ضلوا فهم
يعتقدون انهم لم يضلوا وان هذه الملة لم تنسخ شرعهم ويعظمون من اهل
الاسلام من استشعروا منه صحة دين ويستهينون من فهموا منه الفسق فهم
ان حاربوا فانما حربهم انفة ولبسلا ان شرعهم باحدهم بذلك وان سالموا فسلمهم
صاف ونعين على هذا انهم امة شريعة الخلق لهم الوفا والخلال الاربع التي ذكر
عمرو بن العاص في صحيح مسلم وتامل ان النبي صلى الله عليه وسلم سر حين غلبت الروم فارس
وذلك لكونهم اهل كتاب ولم يرد عليه السلام ان يسم ظهور الروم وانما سر بغلبة
اهل الكتاب لاهل عبادة النار وانصاف الى ذلك ان غلب العدوا الاصغر
والخضدت شوكة العدو الاكبر المخوف على الاسلام واليهود لعنهم الله ليسوا على
شيء من هذا الخلق بل ان شانهم الخبث واللي بالالسنة وفي خلال احسانك الى سعتك هو
الغوائل الا الشاذ القليل منهم ممن عسى ان يخصص بادب وامور غير ما علم اولا ولم يصف
الله تعالى النصارى بانهم اهل ود وانما وصفهم بانهم اقرب من اليهود والمشركين
فهم اقرب مودة بالشبه الى مساعدين وفي قوله انا نصارى اشارة الى ان المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم من النصارى ليسوا على حقيقة النصرانية بل كونهم نصارى
قول منهم وزعم وقوله تعالى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا معناه ذلك
بان منهم اهل خشية وانقطاع الى الله تعالى وعبادة فانهم لم يكونوا على هدى فهم يميلون
الى اهل العبادة والخشية وليس عند اليهود ولا كان قط اهل ديارات وصوامع و
انقطاع عن الدنيا بل هم يعظمون لها متطاولون في البيات واسود الدنيا حتى كانهم
لا يؤمنون بالآخرة فلذلك لا يرى منهم زاهد فيقال قس بفتح القاف وبكسرها
وقسيس هو اسم اعجمي عرب والقس في كلام العرب النميمة وليس من هذا واما الرهبان
فجمع راهب وهو تسمية عربية ومن الرهب الخوف ومن الشاهد على ان الرهبان
جمع قول الشاعر رهبان مدين لو راوك تنزلوا والعصم من شعف العقول القادر
النادر وقد قيل الرهبان اسم مفرد والدليل عليه قول الشاعر لو عاينت رهبان
دير في القلل لحدر الرهبان يمشي ونزل قال ع ويروى ونزل يا لناس من الرلل وهذه
الرواية ابلغ في بمعنى عليه هذه المراة على دهن هذا الراهب ووصف الله تعالى
النصارى بانهم لا يستكبرون وهنا امر موجود فيهم حتى الآن واليهودي متى
وجد عزوا ملغى وتكبر وانما اذلهم الله واضرعهم ودا سهم كلكل الشريعة
ودين الاسلام اعلاه الله وذكر سعيد بن جبير ومجاهد وابن عباس ان هذه
الايات نزلت بسبب وفد بعثهم النجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم ليروه ويعرفوا حاله
فقرا النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا وآمنوا ورجعوا الى النجاشي فآمن
ولم يزل مؤمنا حتى مات فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ع وروي ان
نعش النجاشي كشف للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يراه من موضعه بالمدينة وجاء
الخبر بعد مدة ان النجاشي دفن في اليوم الذي صلى عليه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر السدي انهم كانوا اثني عشر سبعة قسيسين وخمسة رهبانا وقال ابو صالح
كانوا سبعة وستين رجلا وقال سعيد بن جبير كانوا سبعين عليهم ثياب
الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي الخير فالخير وذكر السدي
ان النجاشي خرج منهاجرا فمات في الطريق قال ع وهذا ضعيف لم يذكره احد من
العلماء بالسيرة وقال قتادة نزلت هذه الاية في قوم كانوا مؤمنين ثم آمنوا بمحمد
عليه السلام قال ع وفرق الطبري بين هذين القولين وهما واحد وروى سلمان
الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بان منهم صديقين ورهبانا وقوله
تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم الاية الضمير في سمعوا ظاهره
العموم ومعناه الخصوص فيمن آمن من هؤلاء القادمين من ارض الحبشة اذهم
عرفوا الحق وقالوا آمنا وليس كل النصارى يفعل ذلك وصدر الاية في قرب
المودة عام فيهم ولا يتوجه ان يكون صدر الاية خاصا فيمن آمن لان

من آمن

من امن وهو من الذين امنوا وليس يقال فيه قالوا انا نصارى ولا يقال في مؤمنين
ذلك بان منهم قسيسين ولا يقال انهم اقرب مودة بل من امن فهو من اهل
مودة محضة وانما وقع التخصيص من قوله تعالى واذا سمعوا وجاء الضمير
عاما اذ قد يحد للجماعة تفعل واحد منها وفي هذا استدعاء النصارى
ولطف من الله تعالى بهم وقد يوجد فيض الدموع غالبا فيهم وان لم يؤمنوا
وروى ان وفدا من نجران قدموا على ابي بكر الصديق في شيء من امورهم
فامر من يقرا القرآن بحضرتهم فبكوا بكاء شديدا فقال ابو بكر هكذا
كنا ولكن قست القلوب وروى ان راهبا من رهبان ديارات الشام نظر
الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عبادتهم وجدهم
في قتال العدو وهم متعجب من حالهم وبكا وقال ما كان الذين نشروا بالمناشير
على دين عيسى اصبر من هؤلاء ولا اجد في دينهم قال ع والقوم الذين وصفوا
بانهم عرفوا الحق هم الذين بعثهم النجاشي ليروا النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعوا
ما عنده فلما راوا وقرئ عليهم القرآن وهو المراد بقوله تعالى ما انزل الى
الرسول فاضت اعينهم بالدمع وخشية الله ورقة القلوب والرؤية في الاية
رؤية عين وتفيض حال من الاعين ويقولون حال ايضا وامنا معناه صدقنا ان
هذا رسولك والمسموع كتابك والشاهدون محمد وامته قاله ابن عباس وابن
جريج وغيرهما وقال الطبري لو قال قائل معنى ذلك مع الشاهدين بتوحيدك
من جميع العالم من تقدم ومن تاخر لكان ذلك صوابا قال ع هذا معنى قول الطبري
وهو كلام صحيح وكان ابن عباس خصص امة محمد بقوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس الاية قوله عز وجل وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق الى قوله ان الله لا يحب المعتدين قولهم وما لنا
توقيف لانفسهم او محاجة لمن عارضهم من الكفار وقال لهم اسلمتم
وعجلتم والوا واي شيء يصد بنا عن الايمان وقد لاح الصواب وجاء الحق المبين
وما لنا ابتداء وخبر ولا نؤمن في موضع الحال ولكنها حال هي القصد وفيها
الفائدة كما يقول جاء زيد راكبا وانت قد سئلت هل جاء ماشيا او راكبا وفي مصحف
ابن مسعود وما لنا لا نؤمن بالله وما انزل الينا ربنا ونطمع تقديره ونحن نطمع
فالواو عاطفة جملة على جملة لا عاطفة فعل على فعل والقوم الصالحون محمد واصحابه قاله
ابن زيد وغيره من المفسرين ثم ذكر الله تعالى ما اثابهم به من النعيم على ايمانهم واخباتهم
ثم ذكر حال الكافرين المكذبين وانهم قرنا الجحيم والمعنى قد علم من غير ما اية من كتاب
الله انه امر ان دائم لازم ابدي وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم الاية قال ابو مالك وعكرمة وابراهيم النخعي وابو قلابة وقتادة
والسدي وعبد الله بن عباس وغيرهم انها نزلت بسبب جماعة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغت بهم المواعظ خوف الله تعالى ان حرم بعضهم النساء
وبعضهم النوم بالليل والطيب وهم بعضهم بالاختصا وكان منهم علي بن ابي طالب
وعثمان بن مظعون وقال عكرمة ومنهم ابن مسعود والمقداد وسالم مولى ابي
حذيفة وقال قتادة رفضوا النساء واللحم وارادوا ان يتخذوا الصوامع وقال
ابن عباس ساخذوا الشفار ليقطعوا اسد اكثرهم فطول السدي في قصة الحولاء امراة
عثمان بن مظعون مع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واخبارها بانه لم يلم بها فلما
اعلم رسول الله بحالهم قال اما انا فاقوم وانام واصوم وافطر وآتي النساء وانال
الطيب فمن رغب عن سنتي فليس مني قال الطبري وكان فيما يتلى من رغب
عن سنتك فليس من امتك وقد ضل عن سواء السبيل وقال ابن زيد سبب هذه الاية
ان عبد الله بن رواحة ضافه ضيف فانقلب ابن رواحة وضيفه لم يتعش فقال
لزوجته ما عشيته فقالت كان الطعام قليلا فانتظرتك فقال حبست ضيفي من اجلي
طعامك علي حرام ان ذقته فقالت وهو علي حرام ان ذقته ان لم تذقه وقال الضيف
وهو علي حرام ان ذقته ان لم يذوقوه فلما راى ابن رواحة قال قربي طعامك بسم
الله كلوا فاكلوا جميعا ثم غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنت ونزلت هذه الاية واسند الطبري الى ابن

ابن عباس ان الاية نزلت بسبب رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
اذا اصبت من اللحم انتشرت شهوتي فحرمت اللحم فانزل الله هذه الاية قالع والطيبات
في هذه الاية المستلذات بدليل اضافتها الى ما احل وبقرينة ما ذكر بسبب الاية
واختلف المتاولون في معنى قوله لا تعتدوا فقال السدي وعكرمة وغيرهما هو نهي
عن هذه الامور المذكورة من تحريم ما احل الله وشرع ما لم ياذن به فقوله لا تعتدوا
تاكيد لقوله لا تحرموا وقال الحسن بن ابي الحسن المعنى ولا تعتدوا فتحلوا ما حرم الله
فالنهيان على هذا تضمنا للطرفين كانه قال لا تشددوا فتحرموا حلالا ولا ترخصوا
فتحلوا حراما وقد تقدم القول في معنى لا يحب المعتدين غير مرة قوله تعالى وكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا الى قوله لعلكم تشكرون كلوا في هذه الاية عبارة عن
تمتعوا بالاكل والشرب واللباس والركوب ونحو ذلك وخص الاكل بالذكر لانه اعظم
المقصود واخص الانتفاعات بالانسان والرزق عند اهل السنة ما صح الانتفاع به
وقالت المعتزلة الرزق كلما صح تمليكه والحرام ليس برزق لانه لا يصح تملكه ويرد عليهم
بانه يلزمهم ان اكل الحرام ليس برزق من الله تعالى وقد خرج بعض السلف ان الحرام
رزق من قوله تعالى كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور قال الكد
تذكر المغفرة مشيرا الى ان الرزق قد يكون فيه حرام ورد ابو المعالي في الارشاد
على المعتزلة بانهم اذا قالوا الرزق ما تملك فيلزمهم ان ما ملك فليس برزق وملك
الله لعلى الانشاء لا يصح ان يقال فيه انه رزق له قالع وهذا الذي الزم غير لازم
فقاله وبالاية بين وقد تقدم القول في سورة البقرة في نظير قوله تعالى لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم وقوله تعالى بما عقدتم معناه شددتم وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو عقدتم مشددة القاف وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي عقدتم
خفيفة القاف وقرا ابن عامر عاقدتم بالالف على وزن فاعلتم قال ابو علي من شدد
القاف احتمل امرين احدهما ان يكون لتكثير الفعل لانه خاطب جماعة والاخر ان
يكون عقد مثل ضعف لا يراد به التكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل من اثنين
ومن قرا بالتخفيف جاز ان يراد به الكثير من الفعل والقليل وعقد اليمين
كعقد الحبل والعهد وقال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج و
شدوا فوقه الكربا ومن قرا عاقدتم فيحتمل ضربين احدهما ان يكون كطارقت النعل
وعاقبت اللص والاخر ان يراد به فاعلت الذي يقتضي فاعلين كان المعنى يواخذكم
بما عاقدتم عليه الايمان وتعدى عاقد بعلى لما كان في معنى عاهد قال الله تعالى ومن
اوفى بما عاهد عليه الله وهذا كما عديت ناديتم بالى وبابها ان يقول ناديت زيدا
وناديناه من جانب الطور الايمن لكن لما كانت بمعنى دعوت الى كذا وقوله تعالى
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله عديت نادى بالى ثم يتسع في قوله عاقدتم عليه
الايمان فيحذف الجار ويصل الفعل الى المفعول ثم يحذف من الصلة الضمير
الذي يعود على الموصول وتقديره لا يواخذكم بما عاقدتم الايمان كما حذف من قوله
تعالى فاصدع بما تؤمر والايمان جمع يمين وهي الالية سميت يمينا لما كان عرفهم
ان يصفقوا بايمانهم على بعض عند الالية وقوله تعالى فكفارته معناه فالشي
الساتر على اثم الحنث في اليمين اطعام والضمير على الصناعة النحوية عايد على ما ويحتمل
ما في هذا الموضع ان يكون بمعنى الذي ويحتمل ان يكون مصدرية وهو عايد على المعنى
الذي ذكرناه على اثم الحنث ولم يجر له ذكر صريح لكن المعنى يقتضيه واطعام عشرة
مساكين معناه اشباعهم مرة قال الحسن بن ابي الحسن ان جمعهم اشبعهم
اشباعة واحدة وان اعطاهم اعطاهم مكوكا مكوكا وحكم هؤلاء ان لا يتكرر
واحد منهم في كفارة يمين واحدة وسوى اطعموا فرادى او جماعة في حين
واحد فلا يجزي في شيء من ذلك وان اطعم صبي فيعطي حظ كثير ولا يجوز ان يطعم
عبد او لا ذو رحم يلزم نفقته وان كان ممن لا يلزم المكفر نفقته فقد قال مالك
لا يعجبني ان اطعمه ولكن ان فعل وكان فقيرا اجزاه ولا يجوز ان يطعم
منها غني وان اطعم جهلا معناه ففي المدونة وغير كتاب الله لا يجزي وفي
الاسدية انه يجزي واختلف الناس في معنى قوله من اوسط فراى مالك
وجماعة معه هذا التوسط في القدر وراى ذلك جماعة في الصنف والوجه

ان يعم

ان يعم بلفظ الوسط القدر والصنف فراى مالك ان يطعم المسكين بالمدينة مدا
بمد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك رطل وثلث من دقيق وهذا لضيق المعيشة
بالمدينة وراى في غيرها ان يتوسع وذلك استحسن الغدا والعشا وافتى
ابن وهب بمصر بمد ونصف واشهب بمد وثلث قال ابن المواز ومد وثلث
وسط من عيش اهل الامصار في الغدا والعشا قال ابن حبيب ولا يجزي
الخبز قفارا ولكن بادام زيت او لبن ونحوه وفي شرح ابن مزين ان الخبز
القفار يجزي وراى من يقول ان التوسط كذا هو في الصنف ان يكون الرجل المكفر يحر
ادى ما ياكل الناس في البلد ويحط عن الاعلى ويكفر بالوسط من ذلك ومذهب
المدونة ان يراعي المكفر عيش البلد وفي كتاب ابن المواز ان المراعى عيشه في اهله
الخاص به وكان الاية على التاويل الاول معناها من اوسط ما تطعمون ايها الناس
اهليكم في الجملة من مدينة او صقع وعلى التاويل الثاني معناها من اوسط ما يطعم
شخص اهله وقرا الجمهور اهليكم وهو جمع اهل على السلامة وقرا جعفر بن محمد
من اوسط ما تطعمون اهاليكم وهذا جمع مكسر قال ابو الفتح اهال بمنزلة ليال
كان واحدها اهلاة وليلاة والعرب يقول اهل واهلة ومنه قول الشاعر واهلة
ود قد تبريت ودهم ويقال ليلة وليلات وانشد ابن الاعرابي في كل ما يوم
وكل ليلاة حتى يقول من راه اذ راه يا ويحه من جمل ما اشقاه من جمل وقرا
الجمهور وكسوتهم بكسر الكاف يراد به كسوة الثياب وقرا سعيد بن المسيب وابو
عبد الرحمن وابراهيم النخعي وكسوتهم بضم الكاف وقرا سعيد بن جبير ومحمد بن
السميقع وكاسوتهم من الاسوة قال ابو الفتح كانه قال او بما يكفي مثلهم فهو
حذف المضاف بتقدير او لكفاية اسوتهم قال وان شئت جعلت الاسوة هي
الكفاية فلم يحتج الى حذف المضاف قالع وفي هذا نظر فالقراة مخالفة لخط
المصحف ومعناها على خلاف ما تاول اهل العلم ان الحانث في اليمين بالله تعالى
مخير في الاطعام او الكسوة او العتق والعلماء على ان العتق افضل ذلك ثم الكسوة
ثم الاطعام وبدا الله تعالى عباده بالايسر فالايسر ورب مرة ومسغبة تكون
فيها الاطعام افضل من العتق لكن ذلك شاذ غير معهود والحكم للاغلب واختلف العلماء
في حد الكسوة فراعى قوم نفس اللفظة فاذا كان الحانث المكفر كاسيا والمسكين مكسوا
حصل الاجزا وهذه رتبة يحصل بثوب واحد اي ثوب كان بعد اجماع الناس ان
القلنسوة بنفسها لا تجزئ في كفارة اليمين وقال مجاهد يجزي في كفارة اليمين ثوب واحد
فازار وقال الكسائي الحسن الكسوة ثوب لكل مسكين وقاله طاوس وقال منصور
الكسوة ثوب قميص او رداء او ازار وقاله ابو جعفر وعطا وابن عباس قال وقد تجزي
العباة في الكفارة وكذلك الشملة وقال الحسن ابن ابي الحسن تجزي العمامة في كفارة اليمين
وقال مجاهد يجزي كل شي الا التبان وروي عن سلمان رضي الله عنه انه قال نعم الثوب التبان
اسنده الطبري وقال الحكم بن عتيبة تجزي عمامة تلف بها راسه وراعى قوم معهود
الزي والكسوة المتعارفة فقال بعضهم لا يجزي الثوب الواحد الا اذا كان جامعا
مما قد يتزيا به كالكسا والملحفة وقال ابراهيم النخعي يجزي الثوب الجامع وليس القميص
والدرع والخمار ثوبا جامعا قالع قد يكون القميص الكامل جامعا وزنار وقال
بعضهم الكسوة في الكفارة ازار وقميص ورداء قاله ابن عمر وروي عن الحسن
وابن سيرين وابن موسى الاشعري الكسوة في الكفارة ثوبان لكل مسكين وعلق
مالك الحكم بما يجزي في الصلوة وهذا احسن نظر فقال يجزي في الرجل ثوب واحد
وقال ابن حبيب يكسا قميصا او ازارا يبلغ ان تلتف به مشتملا وكلام ابن حبيب
تفسير قال مالك تكسا المراة درعا وخمارا قال ابن القاسم في العتبية وان كسا
صغار الايتام فدرع وخمار كالكبيرة والكفارة واحدة لا تنقص منها الصغير قال
عنه ابن المواز ولا يعجبني كسوة المراضع قال فاما من امر بالصلوة فكسوة قميصا وتجزيه
قال ابن المواز من رابه بكسوة رجل والا لم تجز قال اشهب يعطى الانثى اذا لم يبلغ الصلوة
ثوب رجل ويجزي وقاله ابن الماجشون وقوله تعالى او تحرير رقبة التحرير الاخراج من
الرق وتستعمل في الاسر والمشقات وتعب الدنيا ونحوها فمنه قوله تعالى عن ام مريم
اني نذرت لك ما في بطني محررا اي من شغوب الدنيا ونحوها ومن ذلك قول الفرزدق

[stain] عنه انى حرم [stain] لعطية بن [stain] قال اى حررتكم من الفجا وخص الرقبة
اذ هو العضو الذي يكون فيه الغل والتوثق غالبا من الحيوان فهو موضع الملك
فاضيف اليه واختلف الناس في صفة المعتق في الكفارة ينبغي كيف ان يكون فقال جماعة
من العلماء هذه رقبة مطلقة لم تعتد بايمان فيجوز في كفارة اليمين عتق الكافر فهذا مذهب
الطبري وجماعة من العلماء وقالت فرقة كل مطلق في القران من هذا فهو راجع الى المقيد
اى لعتق الرقبة في القتل الخطا فلا يجزي في شي من الكفارات كافر وهذا قول مالك
وجماعة معه وقال مالك لا يجزي اعمى ولا ابرص ولا مجنون وقاله ابن هشام [stain]
وجماعة وفي الاعور قولان في المذهب وكذا في الاصم وفي الخصي ومن العلماء من راى
ان جميع هذا يجزي وفرق النخعي فجوز عتق من يعمل اشغاله وخدمته ومنع عتق
من لا يعمل كالاعمى والمقعد والاشل اليدين وقال رحمه الله والاعجمي عندي [stain]
عن قصر النفقة وغيره احب الي قال سحنون يريد بعد ان يجيب الى الاسلام فان
كان الاعجمي لم يجب الا انه ممن يجبر على الاسلام كان كبيرا من المجوس والصغير
الحربيين الكتابيين فقال ابن القاسم يجزي عتقه وان لم يسلم وقال اشهب [stain]
حتى يسلم ولا يجزي عند مالك من فيه شعبة حرية كالمدبر وام الولد ونحوه **وقوله**
تعالى فمن لم يجد معناه في ملكه احد هذه الثلثة من الاطعام او الكسوة او الرقبة
واختلف العلماء في حد هذا العادم الواجد الذي يحل له الصيام فقال الشافعي و
جماعة من العلماء اذا كان المكفر لا يملك الا قوته وقوت عياله يومه وليلته فله ان يصوم
فان كان عنده زائدا على ذلك ما يطعم منه عشرة مساكين لزمه الاطعام وهذا ايضا
هو مذهب مالك واصحابه قال مالك في المدونة لا يجزي الصيام وهو يقدر على احد
الوجوه الثلثة وروى عن ابن القاسم ان من يفضل له نفعه يوم فانه لا يصوم قال ابن
المواز لا يصوم الحانث حتى لا يجد الا قوته او يكون في بلد لا يعطف عليه فيه قال ابن القاسم
في كتاب ابن مزين ان كان للحانث فضل عن قوت يومه اطعم الا ان يخاف الجوع ويكون
في بلد لا يعطف عليه وقال سعيد بن جبير ان لم يكن له الا ثلثة دراهم اطعم وقال قتادة
اذا لم يكن له الا قدر ما يكفي به فصام وقال الحسن ابن ابي الحسن اذا كان له درهمان
اطعم قاله الطبري وقال اخرون جاير لمن لم يكن عنده ماثتا درهم ان يصوم وهو
ممن لا يجد وقال اخرون جاير لمن لم يكن عنده فضل على راس ماله الذي يتصرف
به في معاملته ان يصوم وقرا ابي بن كعب فصيام ثلثة ايام متتابعات وكذلك
قرا ابن مسعود وابراهيم النخعي وقال بذلك جماعة من العلماء منهم مجاهد وغيره
وقال مالك وغيره ان تابع فحسن وان فرق اجزاه وقوله تعالى ذلك كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اشارة الى ما ذكر من الاشياء الثلثة وقوله تعالى اذا حلفتم معناه ثم
اردتم الحنث او وقعتم فيه وباقي الاية وصاته وتوقيف على النعمة والبيان والله
اعلم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله البلاغ المبين
الخطاب للمومنين جمعا لان هذه الاشيا هي شهوات وعادات قد تلبس بها في
الجاهلية وغلبت على النفوس وكان بقي منها في نفوس كثير من المومنين فاما الخمر
وكانت لم تحرم بعد واما الميسر ففيه قمار ولذة ما للمقارع من النفوس ويقطع ايضا
بوجه ما واما الانصاب وهي حجارة تذكون عندها العسكل [stain] وقيل هي
الاصنام المعتودة كانوا يذبحون لها ويعبدونها في الجاهلية وان كانت المرادة
في هذه الاية الحجارة التي تذبح عندها فقط فذلك لانه كان في نفس ضعفة المومنين
شي من تعظيم تلك الحجارة وهذا كما قالت امراة الطفيل بن عمرو الدوسي لزوجها اتخاف
على الصبية من ذي الشرى شيئا وذو الشرى صنم لدوس وان كان المراد في هذه
الاية الاصنام فانما قرنت بهذه الامور ليبين النقص في هذه اذ يقرن بالاصنام
ولا تناول انه بقي في نفس مومن شي من تعظيم الاصنام والتلبس بها [stain]
اجتنبوا واما الازلام التلاثة فهي التي كان اكثر الناس يتخذونها في [stain]
نعم وفي الاخر غفل وهي التي حبسها سراقة بن جعشم حين اتبع النبي صلى الله عليه وسلم
في وقت الهجرة فكانوا يعظمونها وبقي منها في بعض النفوس شي ومن هذا القبيل
هو الزجر بالطير واخذ الفال في الكتب ونحوه مما تصنعه الناس اليوم وقد يقال للسهم
الميسر ازلام والزلام السهم وكان من الازلام ايضا ما يكون عند الكهان وجها

سهام

سهام عند الاصنام وهي التي ضربت بها على عبد الله بن عبد المطلب ابي النبي
صلى الله عليه وسلم وكان عند قريش في الكعبة ازلام فيها احكام ذكرها ابن
اسحاق وغيره فاخبر الله تعالى ان هذه الاشيا رجس قال ابن زيد الرجس الشر
قال ع الرجس مكروه ذميم وقد يقال للعذاب وقال ابن عباس في هذه الاية
رجس سخط وقد يقال للنتن والعذرة وكل الاقذار رجس والرجز العذاب
لا غير والركس العذرة لا غير والرجس يقال للامرين وامر تعالى باجتناب هذه
الامور واقترنت بصيغة الامر في قوله تعالى اجتنبوه نصوص القران ونصوص
الاحاديث واجماع الامة وقد تقدم تفسير لفظة الخمر ومعناها وتفسير
الميسر في سورة البقرة وتقدم تفسير الانصاب والازلام والاستقسام بالازلام
في صدر هذه السورة فحصل الاجتناب في رتبة التحريم فبهذا حرمت
الخمر بظاهر القران ونص الحديث في اجماع الامة واختلف الناس في سبب
نزول هذه الاية فقال ابو ميسرة نزلت بسبب عمر بن الخطاب فانه ذكر للنبي
عيوب الخمر وما ينزل بالناس من اجلها ودعا الى الله في تحريمها وقال
اللهم بين لنا فيها بيانا شافيا فنزلت هذه الايات فقال عمر انتهينا انتهينا
وقال مصعب بن سعد بن ابي وقاص عن ابيه سعد وقال صنع رجل
من الانصار طعاما فدعانا فشربنا الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الانصار
وقريش فقال كل فريق نحن خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد
ففزره وكان سعد افزر الانف قال سعد ففي ذلك نزلت هذه الاية الى اخرها وقال ابن عباس
نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الانصار شربوا حتى اذا ثملوا عربدوا فلما صحوا جعل كل واحد
منهم يرى الاثر بوجهه ولحيته وجسده فيقول هذا فعل فلان بي فحدث بينهم
في ذلك ضغائن فنزلت هذه الايات في ذلك **قال ع** وامر الخمر انما كان بتدريج ونوازل
كثيرة منها قصة حمزة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد
لابي ومنها قراءة ابن عوف في صلوة المغرب قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الاية ثم لم تزل النوازل تحذر الناس منها
حتى نزلت هذه الاية فحرمت بالمدينة وخمر العنب فيها قليل انما كان خمرهم من خمسة اشيا
من العسل والتمر والزبيب والحنطة والشعير واكثر الامة على ان ما اسكر كثيره فقليله
حرام ولابي حنيفة وبعض فقهاء الكوفة اباحة ما لا يسكر كثير من غير خمر العنب وهو
مذهب مردود وقد خرج قوم تحريم الخمر من وصفها برجس وقد وصف الله تعالى في اية
الخنزير الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير بانها رجس فيجي من ذلك كل رجس حرام **قال ع**
والاجتناب ان تجعل الشي جانبا وناحية ثم اعلم الله تعالى عباده ان الشيطان انما يريد ان
يوقع العداوة بسبب الخمر وما تعدى عليها من المومنين وبسبب الميسر اذ كانوا يقامرون
على الاموال والاهل حتى ربما بقي المقمور حزينا فقيرا فتحدث من ذلك ضغائن وعداوة
فان لم تصل الامر الى حد العداوة كانت بغضا ولا تحسن عاقبة قوم متباغضين
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد
الله اخوانا وباجتماع النفوس والكلمة يحمي الدين وتجاهد العدو والعداوة تنقص عرى الدين
وتهدم عماد الحماية وكذلك ايضا يريد الشيطان ان يصد المومنين عن ذكر الله وعن الصلوة
ويشغلهم عنها بشهوات والخمر والميسر وانها لكلها من اعظم الاية في ذلك وفي قوله تعالى
وهل انتم منتهون وعيد فضمن التوقيف زائدا على معنى انتهوا ولما كان في الكلام معنى
انتهوا حسن ان يعطف عليه واطيعوا وكرر واطيعوا في ذكر الرسول تاكيدا ثم حذر
في مخالفة الامر وتوعد من تولى بعذاب الاخرة اي انما على الرسول ان يبلغ وعلى المرسل
ان يعاقب او يثيب بحسب ما يعصى او يطاع **قوله عز وجل** ليس على الذين امنوا و
عملوا الصالحات جناح الى قوله فله عذاب اليم سبب هذه الاية فيما قال ابن عباس والبراء بن
عازب وانس بن مالك انه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة يا رسول الله كيف بمن مات
وهو يشربها وياكل الميسر ونحو هذا من القول فنزلت هذه الاية **قال ع** وهذا
نظير سوالهم عمن مات من القبلة الاولى فنزلت وما كان الله ليضيع ايمانكم ولما كان من
امر القبلة خطيرا ومعلما من معالم الدين الذي تخيل قوم نقص من فاته وكذلك
لما حصلت الخمر والميسر في هذا الحد العظيم من الذم اشفق قوم وتخيلوا نقص من مات

على هذه المقدمات واعلم الله تعالى عباده ان الذم والجناح انما يلحق من جهة
المعاصي اولئك الذين ماتوا قبل التحريم لم يعصوا في ارتكاب محرم تعديل كانت هذه
الاشيا مكروهة لم ينص عليها بتحريم والشرع هو الذي قبحها وحسن قبحها
والجناح الاثم والحرج وهو كل الحكم الذي يتصف به فاعل المعصية والسيئة التي ترتب
للعاصي **وطعموا** معناه ذاقوا فصار نصا في رتب الاكل والشرب وقد يستعار النوم
وغيره وحقيقته في حاسة الذوق والتكرار في قوله اتقوا يقتضي في كل واحدة زيادة
على التي قبلها وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات وذهب بعض المفسرين الى ان يعين
المراد بهذا التكرار فقال قوم الرتبة الاولى هي اتقا الشرك والكبائر والايمان على
كماله وعمل الصالحات والرتبة الثانية هي الثبوت والدوام على الحالة المذكورة
والرتبة الثالثة هي الانتهاء في التقوى الى امتثال ما ليس بعوض من النوافل في
الصلوة والصدقة وغير ذلك وهو الاحسان وقال قوم الرتبة الاولى لماضي
الزمان والثانية للحال والثالثة للاستقبال وقال قوم الاتقا الاول هو في الشرك
والتزام الشرع والثاني في الكبائر والثالث في الصغائر **قال ع** وليست هذه الاية
وقفا على عمل الصالحات كلها والتقوى كل التقوى بل هي لكل مومن وان كان عاصيا
احيانا اذا كان قد عمل من هذه الحال الممدوحة ما استحق به ان يوصف بانه مومن
عامل الصالحات متوفي غالب امره محسن فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم
ما لم يحرم عليه وقد تاول هذه الاية قدامة ابن مظعون الجمحي من الصحابة
رضي الله عنه وهو ممن هاجر الى ارض الحبشة مع اخويه عثمان وعبد الله ثم
هاجر الى المدينة وشهد بدرا وعمر وكان ختن عمر بن الخطاب خال عبد الله
وحفصة ولاه عمر بن الخطاب على البحرين ثم عزله لان الجارود الاسدي عند
القيس قدم على عمر بن الخطاب ليشهد عليه شرب الخمر فقال عمر ومن يشهد
معك قال ابو هريرة فجاء ابو هريرة فقال له عمر ثم تشهد قال لم اره يشرب
الخمر ولكن رايته سكران يقي فقال له عمر لقد تنطعت في الشهادة ثم
كتب عمر الى قدامة ان يقدم عليه فقدم فقال الجارود لعمر اقسم على هذا
كتاب الله فقال عمر اخصم انت ام شهيد قال بل شهيد قال لقد اديت شهادتك
شهادتك فصمت الجارود ثم غدا على عمر فقال له اقسم على قدامة كتاب الله
فقال له عمر ما اراك الا خصما وما شهد معك الا رجل واحد فقال الجارود
اني اشهدك الله فقال لتمسكن لسانك او لاسوءنك فقال الجارود
ما هذا يا عمر والله بالحق ان يشرب من عمل الخمر ويستوي فقال ابو هريره
ان كنت تشك في شهادتنا فارسل الى ابنة الوليد فسلها وهي امراة
قدامة فبعث عمر الى هند بنت الوليد يستدعيها فاقامت الشهادة على
زوجها فقال عمر لقدامة اني حادك فقال لو شربت كما يقولون لم يكن
لك ان تحدني قال عمر لم قال لان الله تعالى يقول ليس على الذين امنوا وعملوا
الصالحات جناح الاية وقال عمر اخطات التاويل انك اذا اتقيت الله اجتنبت
ما حرم عليك ثم امر عمر بحده وكان مريضا فقال له قوم من الصحابة لا نرى
ان تحده ما دام مريضا فاصبح يوما وقد عزم على حده قال لاصحابه ما ترون
تجلد قدامة قالوا لا نرى ذلك ما دام وجعا فقال لهم عمر لان يلقى الله عز
وجل وهو تحت السياط احب الي من ان القاه وهو في عنقي وامر بقدامة
فجلد فغاضب قدامة عمر وهجره الى ان حج عمر فحج معه قدامة مغاضبا له فلما كان
بالسقيا واتكا بامر عمر ثم استيقظ فقال عجلوا علي بقدامة فقد اتاني ات
في النوم فقال سالم قدامة فانه اخوك فبعث في قدامة فابى ان ياتي فقال النوم
فقال عمر جروه الي فلما جاء كلمه عمر واستغفر له واصطلحا قال ايوب
ابن ابي تميمة لم يحد احد من اهل بدر في الخمر غيره **قوله عز وجل** يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد الاية اي ليختبرنكم لنرى
طاعتكم من معصيتكم وخبركم من عجزكم عن الصيد وكان الصيد احد
معايش العرب العاربة وشايعا عند الجميع منهم مستعملا جدا فابتلا
هم الله فيه مع الاحرام والحرم كما ابتلى بني اسرائيل في ان لا يعتدوا في

السبب

في السبب ومن يحتمل ان يكون للتبعيض فالمعنى من صيد البر دون البحر ذهب اليه
الطبري وغيره ويحتمل ان يكون للتبعيض في حال الحرمة اذ قد يزول الاحرام و
يفارق الحرم وصيد بعض هذه الاحوال بعض الصيد على العموم ويجوز ان يكون
من لبيان الجنس قال الزجاج وهذا كما يقول لامتحنك بشيء من الرزق وكما
قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان **وقوله تعالى** بشيء يقتضي تبعيضا ما
وقد قال كثير من الفقهاء ان البا في قوله وامسحوا برؤوسكم اعطت تبعيضا ما
وقرا ابن وثاب والنخعي يناله بالياء منقوط من تحت وقال مجاهد الايدي تنال
الفراخ والبيض وما لا يستطيع ان يفر والرماح تنال كبار الصيد **قال ع** والظاهر
ان الله تعالى خص الايدي بالذكر لانها عظم المتصرف في الاصطياد وهي الة الالات
ومنها يدخل الجوارح والحبالات وما عمل باليد من فخاخ وشباك وخص الرماح
بالذكر لانها عظم ما يجرح به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه واحتج بعض الناس
على ان الصيد للاخذ لا للمثير بهذه الاية لان المثير لم ينل بيده ولا برمحه بعد شيا
وقوله تعالى ليعلم معناه لتستمد علمه عليه وهو موجود اذ قد علمه تعالى ذلك
في الازل وقرا الزهري ليعلم الله بضم اليا وكسر اللام اي ليعلم عباده بالغيب
قال الطبري معناه في الدنيا حيث لا يرى العبد ربه فهو غائب عنه والظاهر ان
المعنى بالغيب من الناس اي في الخلوة فمن خاف الله انتهى عن الصيد من ذات
نفسه وقد خفي له لو صاد ثم توعد تعالى من اعتدى بعد هذا النهي الذي ياتي وهو
الذي اراد بقوله ليبلونكم واشار اليه قوله والعذاب الاليم هو عذاب الاخرة
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم الى قوله والله
عزيز ذو انتقام الخطاب لجميع المومنين وهذا النهي هو الابتلا الذي اعلم به قوله
ليبلونكم والصيد مصدر عومل معاملة الاسما فاوقع على الحيوان المصيد ولفظ الصيد
هنا عام ومعناه الخصوص فيما عدا الحيوان الذي اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتله في الحرم ثبت عنه انه قال خمس فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحداه والفارة
والعقرب والكلب العقور ويوقف مع ظاهر الحديث هذا الحديث سفيان الثوري
والشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه فلم يبح للمحرم قتل شيء سوى ما ذكر
وقاس مالك على الكلب العقور كل ما كلب على الناس وعقرهم وراه داخلا في اللفظ
فقال للمحرم ان يقتل الاسد والنمر والفهد والذيب وكل السباع العادية مبتديا بها
فاما الهر والثعلب والضبع فلا يعدو بها المحرم وان فعل فدى وقال اصحاب الراي
ان بدا المحرم للصيد المحرم السبع فله ان يقتله وان ابتداه المحرم فعليه قيمته
وقال مجاهد والنخعي لا تقتل المحرم من السباع الا ما عدى عليه وقال ابن عمر ما حل
بك من السباع فحل به واما فراخ السباع الصغار قبل ان تفترس فقال مالك في المدونة
لا ينبغي للمحرم قتلها قال اشهب في كتاب محمد فان فعل فعليه الجزاء وقال ايضا اشهب
وابن القاسم لا جزاء عليه وثبت عن عمر بن الخطاب انه امر المحرم بقتل الحيات واجمع
الناس على اباحة قتلها وثبت عن عمر رضي الله عنه اباحة قتل الزنبور لانه في حكم
العقور وقال مالك يطعم قاتله شيئا وكذلك قال مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل
ونحوه وقال اصحاب الراي لا شيء على قاتل هذه كلها واما سباع الطير فقال مالك لا يقتلها
المحرم وان فعل فدى وقال ابن القاسم في كتاب محمد واحب الي ان لا يقتل الغراب
والحداة حتى يوذياه ولكن ان فعل فلا شيء عليه **قال ع** وذوات السموم كلها في حكم
الحية كالافعى والرتيلا وما عدا ما ذكرناه مما نهى الله عن قتله في الحرمة بالبلد
وبالحال وفرض على من قتله الجزا **وقوله تعالى** حرم جمع حرام وهو الذي يدخل في الحرم
او في الاحرام او حرام يقال للذكر والانثى والاثنين والجميع واختلف العلماء في معنى
قوله تعالى متعمدا فقال مجاهد وابن جريج والحسن وابن زيد معناه متعمدا للقتل
ناسيا لاحرامه وهذا هو الذي يكفر وكذلك الخطاء المحض يكفر واما ان قتل متعمدا
ذاكرا لاحرامه وهذا احل واعظم من ان يكفر وقال مجاهد قد حل ولا رخصة له
وقاله ابن جريج وحكى المهدوي وغيره انه بطل حجه وقال ابن زيد هذا يوكل الى نقمة الله
وقال جماعة من اهل العلم منهم ابن عباس ومالك وعطا وسعيد بن جبير والزهري
وطاووس وغيرهم المتعمد هو القاصد للقتل الذاكر لاحرامه وهو يكفر وكذلك الناسي

والقاتل خطاء يكفران قال الزهرى نزل القرآن بالعمد وجرت السنه فى قتله خطاء
ونسيانا انهما يكفران فقال بعض الناس لا يلزم القاتل خطاء كفارة وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عباس وابن عامر فجزاء مثل باضافة الجزا الى مثل وحفصها وقرا حمزة
والكسائى وعاصم فجزا بالرفع والتنوين مثل رفعا فاما القراة الاولى فمعناها فعليه
جزاء ما قتل اى قضاؤه وغرمه ودخلت لفظة مثل هنا كما يقول انا اكرم مثلك
وانت يقصد بقولك انا اكرمك ونظير هذا قوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه
الى قوله كمن مثله التقدير كمن هو قالع ويحتمل قوله فجزاء مثل ان يكون المعنى فعليه
ان يجزى مثل ما وقعت الاضافة الى المثل الذى يجزى به اتساعا واما القراة الثانية
فمعناها فالواجب عليه او فاللازم له جزاء مثل ما قتل ومثل على هذه القراءة صفة
لجزاء اى فجزاء مماثل وقوله تعالى من النعم صفة لجزاء على القراتين كليهما وقرا
ابن مسعود فجزاؤه مثل ما باظهار ها يحتمل ان يعود على الصيد او على الصائد
العايد وقرا ابو عبد الرحمن فجزاء بالرفع والتنوين مثل بالنصب قال ابو الفتح مثل
منصوبة بنفس الجزاء اى فعليه ان يجزى مثل ما قتل واختلف العلماء فى صفة المماثلة
كيف يكون فذهب الجمهور الى ان الحكمين ينظران الى ~~الحيوان~~ الى مثل الحيوان المقتول
فى الخلقة وعظم المراى فيجعلون ذلك من النعم جزاؤه قال الضحاك بن مزاحم
والسدى وجماعة من الفقهاء فى النعامة وجماعة الوحش ونحوه غيره بدنة
وفى الوعل والايل ونحوه بقرة وفى الظبى ونحوه كبش وفى الارنب ونحوه ثلاثة
من الغنم وفى اليربوع حمل صغير وما كان من جرادة ونحوها ففيها قبضة طعام
وما كان من طير فيقوم ثمنها طعاما فان شاء تصدق به وان شاء صام لكل صاع
يوما وان اصاب بيض نعام فانه يحمل الفحل على عدد ما اصاب من بكاره الابل فما نتج
منها اهداه الى البيت وما فسد منها فلا شىء عليه فيه قالع حكم عمر على قبيصة بن جابر
فى الظبى بشاة وحكم هو معه وعبد الرحمن بن عوف قال قبيصة فقلت له يا امير
المؤمنين ان امره اهون من ان يدع واحد الحكم معك قال فضربنى بالدرة حتى
سابقته عدوا ثم قال اقتلت الصيد وانت محرم ثم تغمص الفتوى قالع وهذه
القصة فى الموطا بغير هذه الالفاظ وكذلك يروى انها نزلت بصاحب لقبيصة بن جابر
لا بقبيصة وقبيصة هو راويها فيها والله اعلم واما الارنب واليربوع ونحوهما فالحكم
فيها عند مالك ان يقوم طعاما فان شاء تصدق به وان شاء صام بدل كل مد يوما و
كذلك عنده الصيام فى كفارة الجزاء انما هو كل يوم بدل مد وهو عند قوم بدل صاع
وعند قوم بدل مدين وفى حمام غير مكة عند مالك شاة فى الحمامة وفى الحمام غيره حكومة و
ليست لحمام الحرم واما بيض النعام وسائر الطير ففى البيضة عند مالك عشر ثمن امه قال
ابن القاسم وسوى كان فيها فرخ اولم تكن ما لم يستهل الفرخ صارخا بعد الكسر فان
استهل ففى ذلك الجزاء كاملا الجزاء كسر ذلك الطير قال ابن المواز بحكومة عدلين وقال
ابن وهب ان كان فى بيضة النعامة فما دونها فرخ بعشر ثمن امه وان لم يكن
فصيام يوم او مد لكل مسكين وذهب فرقة من اهل العلم منهم النخعى الى ان المماثلة
انما هى فى القيمة يقوم الصيد المقتول ثم يشترى بقيمته ندا من الانعام ثم يهدى
ورد الطبرى وغيره على هذا القول والنعم لفظ يقع على الابل والبقر والغنم اذا
اجتمعت هذه الاصناف فان انفرد كل صنف لم يقل نعم الا الابل وحدها
وقرا الحسن من النعم بسكون العين وهى لغة والجزاء انما يجب بقتل الصيد
لا بنفس اخذه بحكم لفظ الاية وذلك فى المدونة ظاهر من مسالة الذى
اصطاد طائرا فنتف ريشه ثم حبسه حتى نسل ريشه فطار قال لا جزاء
عليه وقصر القرآن هذه النازلة على حكمين عدلين عالمين بحكم النازلة
وبالتقدير فيها وحكم عمر بن عوف فامر اباجرير البجلى ان ياتى برجلين من
العدول فحكما عليه فى عنز من الظبا احوانها قال وقاست عبد الرحمن
وسعدا فحكما على تيسا واعفر ودعا بن عمر بن صفوان ليحكم معه فى
جزاء وعلى هذا جمهور الناس وفقهاء الامصار قال ابن وهب فى العتبية
من السنة ان يخير الحكمان من اصاب الصيد كما خيره الله فى ان يخرج هديا
بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما فان اختار

الهدى

الهدى حكما عليه بما يريانه نظيرا لما اصاب ما بينهما وبين ان يكون عدل ذلك شاة لانها
اذنى الهدى فما لم يبلغ شاة حكما فيه بالطعام ثم خير فى ان يطعمه او يصوم وان كان لما
اصاب نظير من النعم فانه يقوم صيده طعاما لا دراهم قال وان قوموه دراهم واشترى بها
طعاما رجوت ان يكون واسعا والاول اصوب فان شاء اصعمه وان شاء صام مكان كل مد يوما
وان زاد ذلك على شهرين او ثلثة وقال يحيى بن عمر من اصحابنا انما يقال كم من رجل يشبع من
هذا الصيد فيعرف العدد ثم يقال كم من الطعام يشبع هذا العدد فان شا اخرج ذلك الطعام
وان شاء صام عدد امداده قالع وهذا قول حسن احتاط فيه لانه قد يكون فيها الصيد
من الطعام قليل فيها النظر يكفوا الاطعام ومن اهل العلم من لا يتجاوز فى صيام الجزا
شهران قالوا لانها اعلا الكفارات بالصيام وقوله تعالى هديا بالغ الكعبة يقتضى هذه
اللفظان تخص بهذا الهدى حتى يبلغ وذكرت الكعبة لانها ام الحرم وراس الحرمة والحرم
كله منحر لهذا الهدى فما وقف به بعرفة من هذا الجزا فينحر بمنى وما لم يوقف به فينحر بمكة
وفى سائر بقاع الحرم يشترط ان يدخل من الحل لابد ان يجمع فيه بين حل وحرم حتى يكون
بالغا الكعبة وقرا عبد الرحمن الاعرج هديا بالغ الكعبة بكسر الدال وتشديد اليا وهديا
نصب على الحال من الضمير فى به وقيل على المصدر فبالغ نكرة فى الحقيقة لم تزل الاضافة عنه
الشاع فتقديره بالغا الكعبة حذف تنوينه تخفيفا وقرا ابن كثير وعاصم وابو عمرو وحمزة
والكسائى او كفارة منونا طعام مساكين برفع طعام واضافته الى جمع المساكين و
قرا نافع وابن عامر برفع الكفارة دون تنوين وحفض الطعام على الاضافة ومساكين
بالجمع قال ابو على اعراب طعام فى قراة من رفعه انه عطف بيان لان الطعام هو الكفارة
ولم يضف الكفارة الى الطعام لانها ليست للطعام انما هى بقتل الصيد قالع وهذا الكلام
كله مبنى على ان الكفارة هى الطعام وفى هذا نظر لان الكفارة هى بعطيه الذنب باعطا
الطعام فالكفارة غير الطعام لكنها به فيصحه فى رفع الطعام البدل المحض ويحمله قراة
من اضاف الكفارة الى الطعام على انها اضافة تخصيص اذ كفارة هذا القتل قد يكون
كفارة هدى او كفارة طعام او كفارة صيام وقرا الاعرج وعيسى بن عمر او كفارة بالرفع
والتنوين طعام بالرفع دون تنوين مسكين على الافراد وهو اسم الجنس وقال مالك وجماعة
من العلماء القاتل مخير فى الرتب الثلاث وان كان غنيا وهذا عندهم مقتضى او وقال
ابن عباس وجماعة لا ينتقل المكفر من الهدى الى الطعام الا اذا لم يجد هديا وكذ
وذلك لا يصوم الا اذا لم يجد ما يطعم وقال ابراهيم النخعى وحماد بن ابى سلمة قالوا
والمعنى او كفارة طعام ان لم يجد الهدى ومالك وجماعة معه يرى ان القوم انما
هو الصيد المقتول يقوم بالطعام كما تقدم وقال العراقيون انما تقوم الجزا طعاما
فمن قتل ظبيا قوم الظبى عند مالك وقوم عدله من الكباش وغير ذلك عند ابى حنيفة
وغيره وحكى الطبرى عن ابن عباس انه قال اذا اصاب المحرم الصيد حكم عليه
جزاؤه من النعم فان وجد جزاؤه ذبحه فتصدق به وان لم يجد قوم الجزا دراهم
ثم قومت الدراهم حنطة ثم صام مكان كل نصف صاع يوما قال فانما اريد
بذكر الطعام معرفة امر الصوم ومن لم يجد طعاما فانه يجد جزا واسنده ايضا عن
السدى قالع ويعرض هذا القول بظاهر لفظ الاية فانه ينافره والهدى لا يكون الا
فى الحرم كما ذكرنا قبل واختلف الناس فى الطعام فقال جماعة من العلماء الا
طعام والصيام حيث شاء المكفر من البلاد وقال عطا بن ابى رباح وغيره الهدى
والاطعام بمكة والصوم حيث شئت وقوله تعالى وعدل ذلك صياما قرا الجمهور
بفتح العين ومعناه نظير الشىء بالموازنة والمقدار المعنوى وقرا ابن عباس
وطلحة بن مصرف والجحدرى او عدل بكسر العين قال ابو عمرو الدانى ورواه ابن
عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس العدل بالفتح قدر الشىء
من غير جنسه وعدله بالكسر قدره من جنسه ونسبها مكى الى الكسائى وهو وهم
والصحيح عن الكسائى انهما لغتان فى المثل وهذه المنسوبة عبارته معترضة وانما
قصد قائلها ان العدل بكسر العين موازنة على الحقيقة كعدلى البعير وعدله
قدره من شىء اخر موازنة معنوية كما يقال فى رجل من قريش هذا عدله من الذهب
ولا يحجه بها كسر العين فيما حفظت والاشارة بذلك فى قوله او عدل ذلك يحتمل
ان يكون الى الطعام وعلى هذا يبنى قول من قال من الفقهاء الاطعام التى تصام

هي على عدد الامداد والاصوع وانتصافها حسب الخلاف الذي قد ذكرته في ذلك و
يحتمل ان يكون الاشارة بذلك الى الصيد المقتول وعلى هذا يجي قول من قال من العلماء
الصوم في قتل الصيد انما هو على قدر المقتول قال ابن عباس ان قتل المحرم ظبيا فعليه
شاة تذبح بمكة وان لم يجدها فاطعام ستة مساكين فان لم يجد فصيام ثلثة ايام وان قتل
ايلا فعليه بقرة فان لم يجد اطعم عشرين مسكينا فان لم يجد صام عشرين يوما
وان قتل نعامة او حمار وحش فعليه بدنة فان لم يجد اطعم ثلثين مسكينا فان لم
يجد صام ثلثين يوما قال ع فتقدم لابن عباس قول غير هذا آنفا حكاهما
عنه الطبري ايضا مسندين ولا ينكر ان يكون له في هيئة التكفير قولان وقال
سعيد بن جبير في تفسير قوله عز وجل او عدل ذلك صياما قال الصوم ثلثة ايام و
قوله تعالى ليذوق وبال امره الذوق هاهنا مستعار كما قال تعالى ذق انك انت
العزيز الكريم وكما قال الله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكما قال ابو سفيان
ذق عقق وكما قال ابو سفيان وحقيقة الذوق انما هي في حاسة اللسان
وهي في هذا كله مستعارة فيما يوس بالنفس والوبال سوء العاقبة والمرعى
الوبيل هو الذي يتاذى بعد اكله وعبر باسوء عن جميع حاله من قتل وتكفير حكم عليه
ومضى ماله او تعبه بالصيام واختلف المتاولون في معنى قوله عفا الله عما سلف
وقال عطا بن ابي رباح وجماعة معه معناه عفا الله عما سلف في جاهليتكم من
قتلكم الصيد في الحرمة ومن عاد الآن في الاسلام ان كان مستحلا فينتقم الله
منه في الآخرة ويكفر في ظاهر الحكم وان كان عاصيا فالنقمة هي في الزام الكفارة فقط
قالوا وكلما عاد المحرم فهو يكفر قال ع ويخاف المتورعون ان يبقى النقمة مع التكفير
وهذا هو قول الفقهاء مالك ونظرائه واصحابه وقال ابن عباس المحرم اذا قتل
مرارا ناسيا لاحرامه فانه يكفر في كل مرة فاما المتعمد العالم باحرامه فانه يكفر اول
مرة وعفا الله عن ذنبه مع التكفير فان عاد ثانية ولا يحكم ويقال له ينتقم الله منكم
كما قال الله تعالى وقال بهذا القول شريح القاضي وابراهيم النخعي ومجاهد وقال سعيد
بن جبير رخص في قتل الصيد مرة فمن عاد لم يدعه الله حتى ينتقم منه قال ع وهذا
القول منه وعظا بالآية وهو مع ذلك يرى ان يحكم عليه في العودة ويكفر لكنه
خشي مع ذلك حق النقمة وقال ابن زيد معنى الآية عفا الله عما سلف لكم ايها المؤمنون
ايها المؤمنون من قتل الصيد قبل هذا النهي والتحريم قال واما من عاد فقتل الصيد
وهو عالم بالحرمة متعمد للقتل فهذا لا يحكم عليه وهو موكول الى نقمة الله ومعنى
قوله تعالى متعمدا في صدر الآية اي متعمدا للقتل ناسيا للحرمة وقد تقدم ذكر هذا
الفصل قال الطبري وقال قوم هذه الآية مخصوصة في شخص بعينه واسند الى زيد
ابي المعلى ان رجلا اصاب صيدا وهو محرم فتجوز له عنه ثم عاد فارسل الله عليه نارا
فاحرقته فذلك قوله ومن عاد فينتقم الله منه وقوله والله عزيز ذو انتقام صفة عز
صفتين يقتضي خوف من له بصيرة ومن خاف ازدجر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل قوله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه الى
قوله غفور رحيم هذا حكم بتحليل صيد البحر وهو كل ما صيد من حيتانه والتحليل
هو للمحرم والحلال والصيد هنا ايضا يراد به المصيد واضيف الى البحر لما كان منه
بسبب والبحر الماء الكثير ملحا كان او عذبا وكل نهر كثير بحر واختلف
الناس في معنى قوله وطعامه فقال ابو بكر الصديق وجماعة كثيرة
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم هو ما قذف به وما طفا عليه
لان ذلك طعام لا صيد ويقال رجل ابن عمر عن حيتان طرحها
البحر فنهاه عنها ثم قرا المصحف فقال لنافع الحقه فمره ياكلها
فانها طعام البحر وهذا التاويل ينظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابن عباس وسعيد بن جبير
وابراهيم النخعي وجماعة طعامه ما ملح منه وبقي ذلك وتلك
صنائع تحل وترده طعاما واما الصيد فالغريض وقال قوم
طعامه ملحه الذي ينعقد من مائه وساير ما فيه من نبات ونحوه
وكره مالك خنزير الماء وقال مالك انتم تقولون له خنزير الماء

ومذهبه

ومذهبه اباحته وقول ابي بكر وعمر هو الارجح من الاقوال وهو مذهب مالك وقرا ابن عباس
وعبد الله بن الحارث وطعمه متاعا بضم الطاء وسكون العين دون الف ومتاعا نصب
على المصدر والمعنى متعكم به متاعا تنتفعون به وتاتدمون ولكم يريد حاضري البحر
ومدنه وللسيارة المسافرين وقال مجاهد اهل القرى هم المخاطبون والسيارة
من اهل الامصار وغير تلك القرى يجلبونه الى الامصار واختلف العلماء في مقتضى
قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فحمله بعضهم على العموم من جميع
جهاته فقالوا ان المحرم لا يحل له ان يصيد ولا ان يامر بصيد ولا ان ياكل صيد
اصيد من اجله ولا من اجل غيره ولحم الصيد باي وجه كان حرام على المحرم
وروي ان عثمان حج وحج معه علي بن ابي طالب فاتي عثمان بلحم صيد صاده حلال
حلال فاكل منه ولم ياكل علي فقال عثمان والله ما صدنا ولا امرنا ولا اشرنا فقال
علي وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وروي ان عثمان استعمل على العروض ابا
سفيان بن الحارث فصاد يعاقيب فجعلها في حظيرة فمر به عثمان فطبخهن وقدمهن
اليه فجاء علي فنهاهم عن الاكل وذكر نحو ما تقدم قال ثم لما كانوا بمكة اتى عثمان فقيل له
هل لك في علي اهدي له صفيف حمار فهو ياكل منه فارسل اليه عثمان فسأله عن اكل الصفيف
فقال له اما انت فقد اكلت واما انا فلا فقال له علي انه صيد عام اول وانا حلال فليس علي
باكله باس وصيد ذلك يعني وانا محرم وذبحهن وانا محرم وروي مثل قول علي عن ابن عباس
وابن عمر وطاوس وسعيد بن جبير وكان عمر بن الخطاب لا يرى باسا للمحرم ان ياكل
لحم الصيد الذي صاده الحلال مثلا ولنفسه وسئل ابو هريرة عن هذه النازلة
فافتى بالاباحة ثم اخبر عمر بن الخطاب فقال له لو افتيت بغير هذا لاوجعت راسك بهذه
الدرة وسال ابو الشعثا ابن عمر عن هذه المسالة فقال كان عمر ياكله قال قلت فانت
قال كان عمر خيرا مني ويروى عن ابن عباس انه قال ما صيد او ذبح وانت حلال فهو
لك حلال وما صيد او ذبح وانت حرام فهو عليك حرام قال ع وهذا مثل قول علي بن
ابي طالب وروي عن عطاء عن كعب قال اقبلت في ناس محرمين فوجدنا لحم حمار
وحش فسالوني عن اكله فافتيتهم باكله فقدمنا على عمر فاخبروه بذلك فقال
قد امرته عليكم حتى ترجعوا وقال بمثل قول عمر بن الخطاب عثمان بن عفان والزبير
ابن العوام وهو الصحيح لان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من لحم الحمار الذي صاده
ابو قتادة وهو حلال والنبي محرم قال الطبري وقال اخرون انما حرم على المحرم ان
يصيد فاما ان يشتري الصيد من مالك فيذبحه فياكله فذلك غير محرم ثم ذكر ان ابا
سلمة بن عبد الرحمن اشترى قطا وهو بالفرج فاكله فعاب ذلك عليه الناس ومالك
للمحرم ان ياكل ما صاده الحلال وذبحه اذا كان لم يصده من اجل المحرم فان صيد من اجله
فلا ياكله وكذلك قال الشافعي ثم اختلفا فيما اذا اكل فقال مالك عليه الجزاء وقال الشافعي
لا جزاء عليه وقرا ابن عباس وحرم بفتح الحاء والراء صيد منصوبا ما دمتم حرما بفتح
الحاء المعنى وحرم الله عليكم وحرما يقع للجميع والواحد كرضا وما اشبهه والمعنى
ما دمتم محرمين وهي بالمعنى كقراءة الجماعة بضم الحاء والراء ولا يختلف في ان ما
لا زوال له من الماء انه صيد بحر وفيما لا زوال له من البر انه صيد بر واختلف فيما يكون
في احدهما وقد يعيش ويحيا في الآخر فقال مالك وابو مجلز وعطاء وسعيد بن جبير
وغيرهم كلما يعيش في البر وله فيه حياة وهو من صيد البر ان قتله المحرم وداه
وراى ابو مجلز في ذلك الضفادع والسلاحف والسرطان قال ع ومن هذه
انواع لا زوال لها من الماء فهي لا محالة من صيد البحر وعلى هذا خرج مذهب مالك
في الضفادع في المدونة فانه قال الضفادع من صيد البحر وروي عن عطاء بن
ابي رباح خلاف ما ذكرناه وهو انه راعى اكثر عيش الحيوان سئل عن ابن الماء
اصيد بر ام بحر فقال حيث يكون اكثر فهو منه وحيث يفرخ وهو منه قال ع والصواب
في ابن الماء انه صيد بر يرعى وياكل الحب وقوله تعالى واتقوا الله تنبيه وتحسيسه
عقب هذا التحليل والتحريم ثم ذكر تعالى بامر الحشر والقيامة مبالغة في التحذير ولما كان
في هذه الآية تعظيم الحرم والحرمة بالاحرام من اجل الكعبة وانها بيت الله وعنصر
هذه الفضائل ذكر انه تعالى في قوله تعالى جعل الله الكعبة الآية ما سنه في الناس
هداهم اليه وحمل عليه الجاهلية الجهلاء من التزامهم ان الكعبة قوام والهدي

قوام والقلائد قوام اى امر يقوم للناس بالتامين وحمل الحرب كما تفعل الملوك الذين هم
قوام العالم فكما كانت تلك الامة لا ملك لها جعل الله هذه الاشيا كالملك لها
واعلم تعالى ان التزام الناس لذلك هو مما شرعه وارتضاه ويدل على مقدار هذه
الامور فى نفوسهم ان النبى صلى الله عليه وسلم لما بعثت اليه قريش اوس بن الحلس
الحلس فراه النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا رجل يعظم الحرمة والقوة
بالبدن مسعره فلما راها الحليس عظم ذلك عليه وقال ما ينبغى ان يصد
هؤلاء ورجع عن رسالتهم وجعل فى هذه الاية بمعنى صير والكعبة بيت مكة
وسمى كعبة لتربيعه قال اهل اللغة كل بيت مربع فهو مكعب وكعبة ومنه قول
الاسود بن يعفر اهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الكعبات من
سنداد قالوا كانت فيهم بيوت مربعة وفى كتاب سير ابن اسحق انه كان فى
خثعم بيت يسمونه كعبة اليمانية وقال قوم سميت كعبة لنتوها ونتوها عن الارض
ومنه كعب ثدى الجارية ومنه كعب القدم ومنه كعوب القناة وقياما معناه امر
يقوم للناس بالامنة والمنافع كملك الملك قوام الرعية وقيامها يقال ذلك بالياء
كالصيام ونحوه وذلك بحقه الياء فيستعمل اشيا من ذوات الواو بها كرعاية وقد
يستعمل القوام على الاصل قال الزجاج قوام دنيا وقوام دين وقيام وذهب بعض المتاولين
الى ان معنى قوله تعالى قياما للناس اى موضع وجوب قيام بالمناسك والتعبدات
وضبط النفوس فى الشهر الحرام ومع الهدى والقلائد وقرا ابو عمرو وحده قيما دون
الف وهذا اما على انه مصدر كالشبع ونحوه واعل فلم يجر مجرى عوض وحول
من حيث اعل فعله وقد يعل الجميع لاعتلال الاحاد فاجرى ان يعل المصادر
لاعتلال افعالها ويحتمل ان يحذف الالف وهى مرادة وحكم هذا ان يجى فى
شعر وقرا الجحدرى قيما بفتح القاف وشد الياء المكسورة والشهر هنا اسم
جنس والمراد الاشهر الثلثة باجماع من العرب وشهر مضر وهو رجب الاصم سمى
بذلك لانه كان لا يسمع فيه صوت الحديد وسموه منصل الاسنة لانهم كانوا ينزعون
فيه اسنة الرماح وهو شهر قريش وله يقول عوف بن الاحوص وشهر بنى امية
والهدايا اذ استقت مضرجها الدماء وسماه النبى صلى الله عليه وسلم شهر
الله اى شهر ال الله وكان يقال لاهل الحرم ال الله ويحتمل ان يسمى شهر الله لان الله
سنه وشدده اذ كان كثير من العرب لا يراه واما الهدى وكان اماناً لمن يسوقه
لانه يعلم انه فى عبادة ما لم يات بحرب واما القلائد فكذلك كان الرجل اذا خرج
يريد الحج يتقلد من لحا السمر اوغيره وكان ذلك امانا له وكان الامر فى نفوسهم
عظيما حتى كانوا لا يتقدم من ليس بمحرم ان يتقلد شيا خوفا من الله وكذلك كانوا
اذا انصرفوا تقلدوا من سمر الحرم وقوله تعالى للناس لفظ عام ورد ان بعض
المفسرين اراد العرب قال ع ولا وجه لهذا التخصيص وقال سعيد بن جبير
جعل الله هذه الامور للناس وهم لا يرجون جنة ولا يخافون نارا ثم شدد
ذلك بالاسلام وقوله تعالى ذلك اشارة الى ان جعل هذه الامور قياما
والمعنى فعل ذلك ليعلموا ان الله يعلم تفاصيل امور السموات والارض
ويعلم مصالحكم ايها الناس قبل وبعد فانظروا لطفه بالعباد على حال
كفرهم وقوله تعالى بكل شى عليم عام عموما تاما كليا فى الجزئيات ودقائق
الموجودات كما قال تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها والقول
بغير هذا الحاد فى الدين وكفر ثم خوف الله تعالى عباده ورجاهم بقوله اعلموا ان الله
الاية وهكذا هو الامر فى نفسه وجديران يكون العبد خائفا عاملا بسبب الخوف
متقيا مستانسا بحسن الرجا والله اعلم قوله عز وجل ما على الرسول الا البلاغ
البلاغ الى قوله ثم اصبحوا بها كافرين ما على الرسول الا البلاغ اخبار للمؤمنين
فلا يتصور ان يقال هى اية موادعة منسوخة بايات القتال اية السيف بل هذه
حال من امن وشهد شهادة الحق فانه اذا قد عصم من الرسول ماله ودمه
فليس على الرسول فى جهة اكثر من التبليغ والله تعالى بعد ذلك يعلم ما ينطوى
عليه صدره وهو المجازى بحسب ذلك ثوابا وعقابا والبلاغ مصدره
من بلغ تبلغ والاية معناها الوعيد للمؤمنين ان انحرفوا ولم يمتثلوا ما بلغ اليهم

وقوله

وقوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب الاية لفظ عام فى جميع الامور يتصور
فى المكاسب وعدد الناس والمعارف من العلوم ونحوها فالخبيث من هذا كله لا يفلح
ولا ينجب ولا يحسن له عاقبة والطيب ولو قل نافع جميل العاقبة ونظير هذه الاية
قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا
والخبيث هو الفساد الباطن فى الاشيا حتى يظن بها الصلاح وهى بخلاف
ذلك وكذا هو فى الانسان وقد يراد بلفظ خبيث فى الانسان فساد نسبه وهذا
لفظ يلزم قائله على هذا القصد الحد وقوله تعالى فاتقوا الله يا اولى الالباب تنبيه على
لزوم الطيب فى العقد والعمل وخص اولوا الالباب بالذكر لانهم المتقدمون فى معرفة
هذه الامور والذين لا ينبغى لهم اهمالها مع البابهم وادراكهم وكان الاشارة بهذه
الالباب التى لب التجربة التى يزيد على لب التكليف والفطنة المستنبطة بالحكمة
والنظر البعيد وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء الاية
اختلف الرواة فى سببها فقالت فرقة منهم انس بن مالك وغيره نزلت بسبب
سؤال عبد الله بن حذافة السهمى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر مغضبا فقال لا تسالونى اليوم عن شى الا اخبرتكم به فقام رجل فقال اين انا
يا رسول الله فقال فى النار فقام عبد الله بن حذافة وكان يطعن فى نسبه فقال
من ابى قال ابوك حذافة قال ع وفى الحديث مما لم يذكر الطبرى فقام اخر فقال
من ابى فقال ابوك سالم مولى شيبة فقام عمر بن الخطاب فجثى على ركبتيه فقال رضينا
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا نعوذ بالله من الفتن وبكا الناس من
غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الاية بسبب هذه الاسولة
قال ع وصعود رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر مغضبا انما كان بسبب سؤالات
الاعراب والجهال والمنافقين فكان منهم من يقول اين ناقتى وللاخر يقول ما الذى
فى سفرى هذا ونحو هذا مما هو جهالة واستخفاف وتعنت وقال على بن ابى طالب وابو
هريرة وابو امامة الباهلى وابن عباس ويختلف لفظهم اختلاف والمعنى واحد خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس كتب عليكم الحج فقرا ولله على الناس حج
البيت من استطاع اليه سبيلا وقال على فقالوا يا رسول الله افى كل عام فسكت واعادوا
قال لا ولو قلت نعم لوجبت فقال عكاشة بن محصن وقال مرة وقال محصن الاسدى
فقال يا رسول الله افى كل عام وقال غيره فقام رجل من بنى اسد وقال بعضهم فقام اعرابى
فسكت رسول الله ثم قام من السائل فقال فلان فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو
وجبت لم تطيقوا ولم تلتزموه لهلكتم فنزلت هذه الاية بسبب ذلك ويقوى
هذا حديث سعد بن ابى وقاص ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم
المسلمين على المسلمين جرما من سال عن شى لم يحرم فحرم من اجل مسالته
وروى عن ابن عباس انه قال نزلت هذه الاية بسبب قوم سالوا عن البحيرة
عن البحيرة والسائبة والوصيلة ونحو هذا من احكام الجاهلية وقاله سعيد بن
جبير قال ع وروى انه تعالى لما بين فى هذه الاية امر الكعبة والهدى والقلائد
واعلم ان حرمتها هى التى جعلها الله اذ هى امور نافعة قديمة من الدين ابراهيم
عليه السلام ذهب ناس من العرب الى السؤال عن سائر احكام الجاهلية ليروا
هل يلحق بذلك ام لا اذ كانوا قد اعتقدوا الجميع سنة لا يفرقون بين ما هو عن عبد
الله وما هو من تلقاء الشياطين والمغيرين لدين ابراهيم واسمعيل كعمرو بن يحيى
وغيره وفى عمرو بن يحيى قال عليه السلام رايته يجر قصبه فى النار وكان اول
من سيب السوائب قال ع والظاهر من الروايات ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحت عليه الاعراب والجهال بانواع من السؤالات حسب ما ذكرناه
فزجر الله عن ذلك بهذه الاية واشيا اسم لجمع شى اصله عند الخليل وسيبويه
شياء مثل فعلاء وفعلت الى لفعا لثقل اجتماع الهمزتين وقال ابو حاتم اشيا
وزنه افعال وهو جمع شى وترك الصرف فيه سماع وقال الكسائى لم ينصرف اشياء
لشبه اخرها باخر حمراء ولكثرة استعمالها والعرب يقول اشياوات كما تقول
حمراوات ويلزم على هذا ان لا ينصرف اسماء لانهم يقولون اسماوات وقال
الاخفش اشيا اصلها اشيئا على وزن افعلاء استثقل اجتماع الهمزتين فابدلت

الاولى بانكسار ما قبلها ثم حذفت اليا استخفافا ويلزم على هذا ان يكون واحد
الاشيا اشيى مثل هين واهون وقرا جمهور الناس ان يبدا بضم اليا وفتح الدال
وبنا الفعل للمفعول وقرا مجاهد ان يبدا بفتح اليا وبضم الدال على بنا الفعل
وقرا الشعبي باليا من اسفل مفتوحة وضم الدال يسوكم باليا من اسفل اي
يبده الله لكم وقوله تعالى وان تسالوا عنها الاية قال ابن عباس ان تسالوا عن
اشياء في ضمن الاخبار عنها مساة لكم اما لتكليف شرعي لزمكم واما لخبر
يسوكم كما قيل للذي قال اين انا ولكن اذا انزل القران بشي وابتداكم ربكم بامر
فحينئذ ان سالتم ربكم عن بعضه له وساه بين لكم وابدا قال ع والضمير في قوله
عنها عايد على نوعها لا على الاولى التي نهى عن السوال عنها اهـ وقال ابو ثعلبة
الخشني ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشيا فلا تنتهكوها وحد
حدودا لا تعتدوها وعفا من غير نسيان عن اشياء فلا تبحثوا عنها وكان
عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم مما احل فاستحلوا وما حرم فاجتنبوا
وترك بين ذلك اشيا لم يحللها ولم يحرمها فذلك عفو من الله عفاه ثم يتلو
هذه الاية قال ع ويحتمل قوله تعالى وان تسالوا عنها الاية ان يكون في معنى الوعيد
كانه قال لا تسالوا وان سالتم لقيتم عن ذلك وصعوبة لانكم تكلفون و
تستعجلون علم ما يسوكم كالذي قيل له انه في النار وقوله عفا الله عنها معناه
تركها ولم يعرف بها وهذه اللفظة التي هي عفا يويد ان الاشيا التي ذكرت هي في
تكليفات الشرع هي التي ذكرت وينظر الى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
عفا لكم عن صدقة الخيل وغفور حليم صفتان تناسب العفو وترك المباحثة
والسماحة في الامور وقرا عامة القرا قد سالها بفتح السين وقرا ابراهيم النخعي
سالها بكسر السين والمراد بهذه القراءة الامالة وذلك على لغة من قال سلت
تسال وحكى عن العرب هما يتساولان نهذا يعطي ان هذه اللغة هي من الواو ولان
الهمزة فالامالة انما اريدت وشاع ذلك لانكسار ما قبل اللام في سلت كما
جازت الامالة في خاف لمجي الكسرة في خفت ومعنى هذه الاية ان هذه
السوالات التي هي تعنتات وطلب شطط واقتراحات ومباحثات قد سالها
قبلكم الامم ثم كفروا بها قال الطبري كقوم صالح في سوالهم الناقة وكبني
اسرائيل في سوالهم المائدة قال السدي كقريش في سوالهم ان يجعل الله لهم
الصفا ذهبا قال ع وانما يتجه في قريش مثال سوالهم اية فلما انشق لهم القمر
كفروا وهذا المعنى انما يقال لمن سال النبي صلى الله عليه وسلم اين ناقتي
وكما قال الاعرابي ما في بطن ناقتي هذه فاما من سال عن الحج افي كل عام هو فلا
يقرر فيه قد سالها قوم الاية بهذه الامثلة بل كان الامم قديما طلبت
التعمق في الدين من انبيائها ام لم يقعوا كلفت قوله عز وجل ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة الى قوله فنبئكم بما كنتم تعملون لما سال قوم عن هذه الا
الاحكام التي كانت في الجاهلية هل تلحق بحكم الله في تعظيم الكعبة و
الحرم اخبر تعالى في هذه الاية انه لم يجعل منها شيا ولا سنه لعبادة ولكن
الكفار فعلوا ذلك اذ كان منهم ورؤسهم كعمرو بن يحيى وغيره
يفترون على الله الكذب ويقولون هذه قربة الى الله وامر يرضيه و
اكثرهم يعني الاتباع لا يعقلون بل يتبعون هذه الامور تقليدا
وضلالا بغير حجة وجعل في هذه الاية لا يتجه ان يكون بمعنى خلق لان
الله تعالى خلق هذه الاشيا كلها ولا هي بمعنى صير لعدم المفعول الثاني
وانما هي بمعنى ما سن وما شرع فتعدت تعدي هذا التي بمعناها الى
مفعول واحد والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة وبحر شق كانوا اذا نتجت
الناقة عشرة ابطن شقوا اذنها بنصفين طولا فهي مبحورة وتركت ترعى
وترد الما ولا ينتفع منها بشي ويحرم لحمها اذا ماتت على النسا ويحلل
للرجال وقال ابن عباس كانوا يفعلون ذلك بها اذا نتجت خمسة بطون
وقال مسروق اذا ولدت خمسا او سبعا شقوا اذنها قال ع ويظهر مما روي
في هذا ان العرب كانت تختلف في المبلغ الذي تبحر عنده اذان النوق فكل

سنة وهي كلها ضلال وقال ابن سيدة ويقال البحيرة هي التي خليت بلا راع ويقال
الناقة الغزيرة بحيرة قال ع اري ان البحيرة تصح وتشمس وتغزر لبنها
فيشبه الغزيرات بالبحر وعلى هذا يجي قول ابن مقبل فيه من الاحرج المرباع
قرقرة هدر الديافي وسط الهجمة البحر فانما يريد النوق العظام وان لم تكن
مشقوقة الاذان وروى الشعبي عن ابن الاحوص عن ابيه قال دخلت على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لي ارايت ابلك الست تنتجها مسلمة اذانها فتاخذ
الموسى فتقطع اذانها فتقول هذه بحيرة وتقطع جلودها فتقول هذه حرم فتحرمها
عليك وعلى اهلك قال نعم قال فانما اتاك الله لك حل وساعد الله اشد وموسى الله احد والسائبة
هي الناقة تسيب للالهة والناقة ايضا اذا ما تابعت بين عشرة اناث ليس فيها ذكر
سيبت وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكثم بن الجون الخزاعي يا اكثم رايت
عمرو بن يحيى بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رايت اشبه به منك قال اكثم اتخشى
شبهه يا رسول الله قال لا لانك مومن وهو كافر هو اول من غير دين اسمعيل
عليه السلام ونصب الاوثان وسيب السوائب وكانت السوائب ايضا في العرب
كالقربة عند المرض او البر منه والقدوم من السفر فاذا نزل باحدهم امر يشكر الله
عليه تقرب بان يسيب ناقة ولا ينتفع منها بلبن ولا ظهر ولا غيره ويرون ذلك
كعتق بني ادم ذكره السدي وغيره وكانت العرب تعتقد ان من عرض لهذه النوق
فاخذها او انتفع منها بشي فانه يلحقه عقوبة من الله والوصيلة قال اكثر
الناس في الغنم قالوا اذا ولدت الشاة ثلثة بطون او خمسا فان كان اخرها جديا
ذبحوه لبيت الالهة وان كانت عناقا استحيوها وان كان جدي وعناق استحيوهما
وقالوا هذه العناق استحيت اخاها فمنعته من ان يذبح وعلى ان الوصيلة في الغنم
جاءت الروايات عن اكثر الناس وروي عن سعيد بن المسيب انها من الابل كانت
الناقة اذا ابتكرت بانثى ثم ثنت باخرى قالوا وصلت اثنين وكانوا يجدعونها
لطواغيتهم او يذبحونها شك الطبري في احدى واما الحامي فانه الفحل من الابل
اذا ضرب في عشر سنين وقيل اذا ولد من صلبه عشر وقيل اذا ولد من ولد ولده
قالوا حمى ظهره فسيبوه لم تركب ولا يحمل عليه شي وقال علقمة لمن ساله في هذه الاشيا
ما تريد الى شي كان من عمل اهل الجاهلية وقد ذهب وقال نحوه ابن زيد قال ع وجملة ما
يظهر من هذه الامور ان الله قد جعل هذه الانعام رفقا بعباده ونعمة عددها
عليهم ومنفعة بالغة وكان اهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع ويذهبون نعمة الله
فيها ويبطلون المصلحة التي للعباد في تلك الابل وبهذا فارقت هذه الامور الاحباس
والاوقاف فان المالك الذي له ان يهب او يتصدق له ان يصرف المنفعة في اي طريق
شاء من طرق البر ولم يسد الطريق اليها جملة كما فعل بالبحيرة والسائبة وقال ابو حنيفة
واصحابه لا يجوز الاحباس والاوقاف وقاسوا على البحيرة والسائبة والفرق بين ولو
عمد رجل الى ضيعة له فقال هذه تكون حبسا لا يجبى ثمرها ولا تزرع ارضها ولا
ينتفع منها بنفع لجاز ان يشبه هذا بالبحيرة والسائبة واما الحبس البين طريقه
واستمرار الانتفاع به فليس من هذا وحسبك بان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لعمر بن الخطاب في مال له اجعله حبسا لا يباع اصله وحبس اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى ولكن الذين كفروا الاية قد تقدم ان المفترين هم
المبتدعون وان الذين لا يعقلون هم الاتباع وكذلك نص الشعبي وغيره وهو
الذي يقتضيه نص الاية وقال محمد بن ابي موسى الذين كفروا وافتروا هم اهل
الكتاب والذين لا يعقلون هم اهل الاوثان قال ع وهذا التفسير من انتزاع الفاظ
اخر الاية عما تقدمها وان تبطلها من المعنى وعما تاخر ايضا من قوله واذا قيل لهم
والاول من التاويلين ارجح والضمير في قوله قيل لهم عايد على الكفار المسمي
هذه الاشيا وتعالوا تدا بيرهنا اصله ثم استعمل حيث البر وحيث ضده
الى ما انزل الله يعني القران الذي فيه التحريم الصحيح وحسبنا معناه كفانا قوله
اولو كان اباؤهم الف التوقيف دخلت على واو العطف كانهم عطفوا
بهذه الجملة على الاولى والتزموا تشنيع القول فانما التوقيف توبيخ لهم كانهم يقولون
بعده نعم ولو كانوا كذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الاية

اختلف الناس في تاويلها فقال ابو امية الشعباني سالت ابا ثعلبة الخشني عن هذه
الاية فقال لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا رايت دنيا موثرة وشحا مطاعا وا
عجاب كل ذي راي برايه فعليك بخويصة نفسك ودعوا مهم فان وراكم اياما
اجر العامل فيها كاجر خمسين منكم قالع وهذا هو التاويل الذي لا نظر لاحد معه
لانه مستوف للصلاح صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم ويظهر من كلام ابي
بكر الصديق انه بلغه ان بعض الناس تاول هذه الاية انها لا يلزم معها امر بمعروف
ولا نهي عن منكر فصعد المنبر فقال ايها الناس لا تغتروا بقول الله عليكم انفسكم
فيقول احدكم علي نفسي والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم
شراركم فليسومنكم سوء العذاب وروي عن ابن مسعود انه قال ليس هذا
بزمان هذه الاية قولوا الحق ما قبل منكم فاذا رد عليكم فعليكم انفسكم وقيل
لابن عمر في بعض اوقات الفتن لو تركت القول في هذه الايام فلم تامر ولم تنه
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لنا ليبلغ الشاهد الغائب ونحن شهدنا
فيلزمنا ان نبلغكم وسياتي زمان اذا قيل فيه الحق لم يقبل وجملة ما علمت اهل
العلم في هذا ان الامر بالمعروف متعين متى رجي القبول او رجي رد الظالم ولو بعنف
ما لم يخف الامر ضررا يلحقه في خاصته او فتنة يدخلها على المسلمين
اما بشق عصا واما بضرر يلحق طائفة من الناس فاذا خيف هذا فعليكم
انفسكم محكم واجب ان يوقف عنده وقال سعيد بن جبير معنى هذه الاية يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم فالتزموا شرعكم بما فيه من جهاد وامر بمعروف وغيره ولا يضركم
ضلال اهل الكتاب اذا اهتديتم وقال ابن زيد معنى الاية يا ايها الذين امنوا من
ابناء اولئك الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوائب عليكم انفسكم في الاستقامة على
الدين ولا يضركم ضلال الاسلاف اذا اهتديتم قال وكان الرجل اذا اسلم
قال له الكفار سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت فنزلت الاية بسبب
ذلك قالع ولم يقل احد فيما علمت انها انه موادعة للكفار وكذلك ينبغي ان
لا يعارض بها شيء مما امر الله تعالى به في غير ما اية من القيام بالقسط والامر
بالمعروف قال المهدوي وقد قيل هي منسوخة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
قالع وهذا ضعيف ولا يعلم قائله وقال بعض الناس نزلت بسبب ارتداد بعض
المومنين وافتتانهم كابن ابي سرح وغيره فقيل للمؤمنين لا يضركم ضلالهم
وقرا جمهور الناس يضركم بضم الضاد والراء مشددة وقرا الحسن ابن ابي الحسن
بضم الضاد وسكون الراء وقرا ابراهيم لا يضركم بكسر الضاد وهي لغات كلها
ضار يضير وضار يضور ويضير وقوله تعالى الى الله مرجعكم الاية تذكير
بالحشر وما بعده وذلك مسل عن امور الدنيا مكروهها ومحبوبها وروي
عن بعض الصالحين انه قال ما من يوم الا ويجيء الشيطان ويقول ما تاكل
وما تلبس وما تسكن فاقول له اكل الموت والبس الكفن واسكن القبر قالع
فمن فكر في مرجعه الى الله عز وجل فهذا حاله والله اعلم قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الى قوله انا اذا لمن الاثمين قال مكي هذه
الايات عند اهل المعاني اعرابا ومعنى وحكما قالع وهذا كلام من لم يقع
له التلخيص في تفسيرها وذلك بين من كتابه وبالله نستعين لا نعلم خلافا ان
هذه الاية نزلت بسبب ان تميما الداري وعدي بن بدا كانا نصرانيين سافرا
من المدينة يريدان الشام لتجارتهما قال ابو الواقدي وهما اخوان وقدم المدينة
ايضا ابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص يريد الشام تاجرا فخرجوا رفاقة فمرض
ابن ابي مارية في الطريق قال الواقدي فكتب وصيته بيده ودسها في متاعه
واوصى الى تميم وعدي ان يؤديا رحله فاتيا المدينة بعد مدة برحله فدفعاه
ووجد اولياؤه من بني سهم وصيته مكتوبة ففقدوا اشياء قد كتبها
فسالوهما عنها فقالا ما ندري هذا الذي قبضناه له ورفعاهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية الاولى فاستحلفهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد العصر فبقي الامر مدة ثم عثر بمكة من متاعه على اناء عظيم

من فضة

من فضة مخوص بالذهب فقيل لمن وجد عنده فقالوا ابتعناه من تميم الداري و
عدي ابن بدا فارتفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية الاخرى
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من اولياء الميت ان يحلفا قال ال
واقدي فحلف عبد الله بن عمرو ابن العاص والمطلب بن ابي وداعة
واستحقا وروى ابن عباس عن تميم الداري انه قال برئ الناس من هذه
الايات غيري وغير عدي بن بدا وذكر القصة الا انه قال وكان معه
جام من فضة يريد به الملك فاخذته انا وعدي فبعناه بالف وقسمنا
ثمنه فلما اسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تاثمت
من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر فاديت اليهم خمس مائة فوثبوا الى عدي
فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف عمرو بن العاص ورجل اخر معه
ونزعت من عدي خمس مائة قالع يختلف الفاظ هذه القصة في الدواوين
وما ذكرته هو عمود الامر ولم يصح لعدي صحبة فيما علمت ولا ثبت اسلامه وقد
صنفه في الصحابة بعض المتاخرين وضعف امره ولا وجه عندي لذكره في الصحابة
واما معنى الاية من اولها الى اخرها وهو ان الله تعالى اخبر المومنين ان حكمه
في الشهادة على الموصي اذا حضره الموت ان تكون شهادة عدلين فان كان
في سفر وهو الضرب في الارض ولم يكن معه من المومنين احد فليشهد شاهدين
ممن حضره من اهل الكفر فاذا قدما واديا الشهادة على وصيته حلفا بعد
الصلوة انهما ما كذبا ولا بدلا وان ما شهدا به حق ما كتما فيه شهادة الله
وحكم بشهادتهما فان عثر بعد ذلك على انهما كذبا او خانا ونحو هذا مما هو
اثم حلف رجلان من اولياء الموصي في السفر وغرم الشاهدان ما ظهر
عليهما هذا معنى الاية على مذهب ابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب
ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وابي مجلز وابراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن
سيرين ومجاهد وابن عباس وغيرهم يقولون معنى قوله منكم من المومنين ومعنى
من غيركم من الكفار قال بعضهم وذلك ان الاية نزلت ولا مومن الا بالمدينة وكانوا
يسافرون في التجارة صحبة اهل الكتاب وعبدة الاوثان وانواع الكفرة واختلفت
هذه الجماعة المذكورة فمذهب ابي موسى الاشعري وشريح وغيرهما ان الاية محكمة
واسند الطبري الى الشعبي ان رجلا حضرته المنية بدقوقا ولم يجد احدا من المومنين
يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الى الكوفة واتيا ابا موسى
الاشعري فاخبراه وقدما بتركته فقال ابو موسى هذا امر لم يكن بعد الذي كان
في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم احلفهما بعد صلوة العصر وامضى شهادتهما
واسند الطبري عن شريح انه كان لا يجيز شهادة النصراني واليهودي على مسلم
الا في الوصية ولا يجوز ايضا في الوصية الا اذا كانوا في السفر ومذهب جماعة
ممن ذكرنا انها منسوخة بقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وبما استند اليه اجماع
جمهور الناس على ان شهادة الكافر لا تجوز وتاول الاية جماعة من اهل العلم على غير
هذا كله قال الحسن ابن ابي الحسن قوله تعالى منكم يريد من عشيرتكم وقرابتكم او اخران
من غيركم يريد من غير القرابة والعشيرة وقال بهذا عكرمة مولى ابن عباس
وابن شهاب قالوا امر الله باشهاد عدلين من القرابة اذ هم احوط بحال الوصية
وادرى بصورة العدل فيها فان كان الامر في سفر ولم يحضر قرابة اشهد
اجنبيان فاذا شهدا فان لم يقع ارتياب مضت الشهادة وان ارتيب انهما
مالا بالوصية الى احد او زادا او نقصا حلفا بعد صلاة العصر ومضت شهادتهما
فان عثر بعد ذلك على تبديل منهما واستحقاق اثم حلف وليان من القرابة
وبطلت شهادة الاولين وقال بعض الناس الاية منسوخة ولا يحلف شاهد
ويذكر هذا عن مالك والشافعي وكافة الفقهاء وذكر الطبري ان هذا
التحالف الذي في الاية انما هو بحسب التداعي وذلك ان الشاهدين الاولين
انما يحلفان اذا ارتيب واذا ارتيب فقد ترتب عليهما دعوى فيلزمهما
اليمين لكن هذا الارتياب انما يكون في خيانة منهما فان عثر بعد على انهما
استحقا اثما نظر فان كان الامر بينا بحرما دون يمين وليين وان كان يشاهد

وان كان يشاهد واحدا وبدلا لا يقتضي حياتهما وما اشبه ذلك مما هو كالشاهد
حمل على الظالم وحلف المدعيان مع ما قام لهما من شاهدا ودليل قال ع فهذا
هو الاختلاف في معنى الاية وصورة حكمها ولا يرجع لان الى الاعراب والكلام
على لفظة لفظة من الاية ولنقصد القول المعيد لان الناس خلطوا في تفسير
هذه الاية وذكر ذلك والرد عليه يطول وفي سنن الحق الذي سلكناه الاتقان
الاذهان بالقبول مقنع والله المستعان قوله تعالى شهادة بينكم قال قوم
الشهادة هنا بمعنى الحضور وقال الطبري بمعنى اليمين وليست بالتي يودى
قال ع وهذا كله ضعيف والصواب انها الشهادة التي يحفظ ليودي
ورفعها بالابتداء والخبر في قوله اثنان قال ابو على التقدير شهادة بينكم في وصيتكم
شهادة اثنين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقدره غيره
لو لا كانه قال فاقيم بينكم الشهادة اثنان واضيفت الشهادة الى بين اتساعا
والظرف يعامل معاملة الاسماء كما قال تعالى لقد تقطع بينكم وقرا الاعرج
والشعبي والحسن شهادة بالتنوين بينكم بالنصب واعراب هكذه القراة على نوع
اعراب قراة السبعة وروى عن الاعرج وابي حيوة شهادة بالنصب والتنوين
بينكم نصبا قال ابو الفتح التقدير ليقم شهادة بينكم اثنان وقوله تعالى
اذا حضر احدكم الموت معناه اذا قارب الحضور والا فاذا حضر الموت
لم يشهد ميت هذا كقوله تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ بالله وكقوله
اذا طلقتم النساء فطلقوهن وهذا كثير والعامل في اذا المصدر الذي
هو شهادة وهذا على ان يجعل اذا بمنزلة حين لا يحتاج الى جواب ذلك ان يجعل
اذا في هذه الاية المحتاجة الى الجواب لكن استغنى عن جوابها بما تقدم في
قوله شهادة بينكم اذ المعنى اذا حضر احدكم الموت فينبغي ان يشهد وقوله حين
الوصية ظرف زمان والعامل فيه حضر وان شئت جعلته بدلا قال ابو على
ولك ان يعلقه بالموت ولا يجوز ان يعمل فيها شهادة لانها اذا عملت في ظرف
من الزمان لم يعمل في ظرف اخر منه وقوله تعالى ذوى عدل صفة صفة لقوله
اثنان ومنكم صفة لاخران وضربتم في الارض معناه سافرتم للتجارة تقول
ضربت في الارض اى سافرت للتجارة وضربت في الارض ذهبت فيها لقضاء حاجة
الانسان وهذا السفر كان الذي يمكن ان يعدم فيه المؤمن ومؤمنين ولذلك
خص بالذكر لان سفر الجهاد لا يكاد يعدم فيه مؤمنين قال ابو على قوله تحبسونهما
صفة لاخران واعترض بين الموصوف والصفة بقوله ان انتم الى الموت وافاد
الاعتراض ان العدول الى اخرين من غير الملة والقراة حسب اختلاف العلماء في ذلك
انما يكون في صورة السفر وحلول الموت فيه واستغنى عن جواب ان لما تقدم من
قوله واخران من غيركم قال جمهور من العلماء الصلوة هنا صلوة العصر لانه
وقت اجتماع الناس وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيمن حلف على سلعته
وامر باللعان فيه وقال ابن عباس انما هي بعد صلوة الذميين واما العصر
فلا حرمة لها عندهما والفاء في قوله فيقسمان عاطفة جملة كلام على جملة لان
المعنى في قوله من بعد الصلوة قال ابو على وان شئت الفاء لعطف جملة على جملة
ولكن يجعله جزاء كقول ذي الرمة وانسان عيني يحسر الماء مرة فيبدوا
وتارة يجم فيغرق تقديره عندهم اذا حسر بدا وكذلك اذا حبستموهما
اقسما ان ارتبتم شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين الاية وسنلم يفسح
ارتياب ولا اختلاف ولا يمين اما انه يظهر من حكم ابي موسى في تحليف
الذميين انه باليمين تكمل شهادتهما وتنفذ الوصية لاهلها وان لم يرتب
وهذه الرتبة عند من لا يرى الاية منسوخة يترتب في الخيانة وفي الاتهام
بالميل الى بعض الموصى لهم دون بعض ويقع بعد ذلك اليمين عنده واما
من يرى الاية منسوخة ولا يقع تحليف الا ان يكون الارتياب في خيانة
او تعدٍ بوجه من وجوه التعدي فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى
على منكر لا على انه تكميل الشهادة والضمير في قوله تعالى لا نشتري به ثمنا
قليلا عائدا على القسم ويحتمل ان يعود على اسم الله قال ابو على يعود على

تحريف الشهادة وقوله تعالى لا نشتري جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان بالله
لان اقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان وتقديره ثمنا اى ذا ثمن لان الثمن
لا يشترى وكذلك قوله اشتروا بايات الله ثمنا قليلا اى ذا ثمن ولا يجوز
ان يكون نشترى في هذه الاية بمعنى نبيع لان المعنى يبطله وان كان ذلك موجودا
في اللغة في غير هذا الموضع وخص ذوو القربى بالذكر لان العرف ميل الناس
الى قراباتهم واستسهالهم في حيث نفعهم ما لا يستسهل وقوله تعالى ولا نكتم
شهادة الله اضاف الشهادة اليه من حيث هو الامر باقامتها الناهي
من كتمانها وقرا الحسن والشعبي ولا نكتم بجزم الميم وقرا على بن ابى طالب
رضى الله عنه ونعيم بن ميسرة والشعبي بخلاف عنه شهادة بالتنوين
الله بالنصب من كتم كان الكلام ولا نكتم الله شهادة وقال الزهرى يحتمل ان
يكون المعنى ولا نكتم شهادة ثم حذفت الواو ونصب الفعل ايجانا وروى يحيى
ابن ادم عن ابى بكر ابن عباس شهادة بالتنوين الله نقطع الف دون مد وحفض
الهاء وروت انها عن الشعبي وعنه انه كان يقف على الهاء من الشهادة بالسكون
ثم يقطع الالف المكتوبة من غير مد كما تقدم عنه انه كان يقرا الله عد الالف
للاستفهام في الوجهين اعني بالسكون الهاء من الشهادة وتحريكها منونة منصو
وروت هذه التي هي تنوين الشهادة ومد الف الاستفهام بعد وعن على بن
ابي طالب قال ابو الفتح اما تسكين هاء شهادة والوقف عليها واستيناف القسم
فوجه حسن لان استيناف القسم في اول الكلام او قوله واشد هيبة من ان
يدرج في عرض القول وقرا عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن حبيب والحسن البصري
فيما ذكر ابو عمرو الداني شهادة بالنصب والتنوين الله بالمد في همزة الاستفهام
التي هي عوض من حرف القسم اما مد الف الاستفهام ايضا دخلت لتوقيف
وتعديد لنفوس المقسمين او من خاطبوه وقرا ابن محيصن اللاثمين بالادغام
وقوله تعالى فان عثر استعارة لما يقع على علمه بعد خفاية اتفاقا وبعد ان
لم يرج ولم يقصد وهذا كما يقال على الخبير سقطت ووقفت على كذا قال ابو
على فلان اثم هنا اسم الشى الماخوذ لان اخذه اثم ياخذه فسمى اثما كما سمى ما يوخذ بغير حق
مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما احد منك وكذلك سمى هذا الماخوذ باسم المصدر
قال ع والذي يظهر ان الاثم هنا على بابه وهو الحكم اللاحق لهما والنسبة التي
يحصلان فيها بعد موافقتهما التحريف للشهادة او لاحد ما ليس لهما او
نحو ذلك واستحقا معناه استوجباه من الله وكانا اهلا له وهذا استحقاق
على بابه انه استيجاب حقيقة ولو كان الاثم للشى الماخوذ لم يقل فيه
استحقا لانهما ظلما وخانا فيه فانما استحقا منزلة السوء وحكم العصيان
وذلك هو الاثم وقوله تعالى فاخران يقومان مقامهما اى اذا اعثر على
فسادهما فاوليان باليمين واقامة القضية اخران من القوم الذين هم
ولاة الميت واستحق عليهم حظهم وحضورهما وساهما وما سبب من هذه
التقديرات وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر والكسائي استحق
مضمومة التاء والاوليان على التثنية لاولى وروى مرة عن ابن كثير استحق
بفتح التاء الاوليان على التثنية وكذلك روى حفص عن عاصم وقرا حمزة
وعاصم في رواية ابي بكر استحق بضم التاء الاولين على جمع اول وقرا الحسن
ابن ابي الحسن استحق بفتح التاء الاولان على تثنية اول وقرا ابن سيرين الاولين
على تثنية اول ونصبهما على تقدير الاولين فالاولين في الرتبة الاولى والقربى
قال ابو على في قراة ابن كثير ومن معه لا يخلو ارتفاع الاوليان من ان يكون على
الابتداء وقد اخر كانه في التقدير الاوليان بامر الميت اخران يقومان فيجئ الكلام
كقولهم تميمي انا او يكون خبر ابتداء محذوف كانه قال فاخران يقومان مقامهما
هما الاوليان او يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحق
واجاز ابو الحسن فيه شيئا اخر وهو ان يكون الاوليان صفة لاخران لانه لما وصف
خصص فوصف من اجل الاختصاص الذي صار له قال ع ثم قال ابو على بعد كلامه

هذا فاما ما يستند اليه استحق فلا يخلوا من ان يكون الانصبا او الوصية او الاثم
وسمى الماخوذ اثما كما يقال لما يوخذ من المظلوم مظلمة ولذلك جاز ان يسند اليه
استحق ثم قال بعد كلام فان قلت هل يجوز ان يسند استحق الاوليان فالقول ان
ذلك لا يجوز لان المستحق انما يكون للوصية او نساميها واما الاوليان بالميت فلا يجوز
ان ليستحقا فيسند استحق اليهما قالع وفي هذا الكلام نظر ويجوز عندى ان
يسند استحق الى اوليان وذلك ان ابا على حمل لفظ الاستحقاق على انه حقيقى
فلم يجوزه الا حيث يصح الاستحقاق الحقيقى في النازلة وانما يستحق حقيقة النصب
ونحوه ولفظة الاستحقاق في الاية انما هي مستعارة وليست بمعنى استحقا اثما فان
الاستحقاق هنا حقيقة وفي قوله استحق مستعار لانه لا وجه هذا الاستحقاق
الا الغلبة وعلى الحال تحكم انفراد هذا الميت وعدمه لقرابته او لاهل دينه فاستحق
هنا كما يقول لظالم بظلمك هذا قد استحق على مالى ومنزلى نطلمه فتشبهه بالمستحق
حقيقة ان تصور تصوره ويملك بملكه وكذلك يقال فلان قد استحق ومنه شغل
كذا اذا كان ذلك الامر قد عليه على اوقاته وهكذا هي استحق في الاية على كل حال
وان اسندت الى الاوصا ونحوه لان قوله استحق صلة للذين والذين واقع على
الصنف الناقص للشاهدين الجابرين فالشاهدان ما استحقا قط في هذه
النازلة له شيا حقيقة استحقاق وانما تصور تصوره المستحق قلنا ان نقدر
الاوليان ابتدا وقبل اخر فيستند استحق على هذا الى المال ان النصب ونحوه على
جهة الاستعارة وكذلك اذا كان الاوليان خبر ابتداء ولذلك على البدل من
الضمير في يقومان وعلى الصفة على مذهب ابي الحسن ولنا ان نقدر الكلام
بمعنى من الجماعة التي غابت وكان حقها والمستعى ان تحضروليها فلما غابت والعود هذا
الموصى استحقت هذه الحال وهذان الشاهدان من غير اهل الدين الولاية وامر الاولين
على هذه الجماعة ثم بنى الفعل للمفعول وعلى هذا المعنى ايجازا ويقوى هذا الغرض ان
تعدى الفعل بعلى لما كان باقتدار وحمد هاته الحال ولا يقال استحق منه لوقته
الا في الاستحقاق الحقيقى على وجهه واما استحق عليه فيقال في الحمل والعليه والا
والاستحقاق المستعار والضمير عليهم عايد على كل حال في هذه القراة على
الجماعة التي بنا قصن شاهدى الزور على ما نبه الان ان شا الله تعالى في غير هذه
القراة واما رواية قراه عن ابن كثير استحق بفتح التا فيحتمل ان يكون الاوليان
ابتداء او خبر ابتداء ويكون المعنى من الجمع او الفسل الذى استحق القصة على
هذا الصنف الشاهد بالزور والضمير في عليهم عايد على الصنف الشاهد
الزور قالع وفي هذا التاويل تحويم وتحليق وصعه في الدين وعليه بسى
كلام ابي على في كتاب الحجة ويحتمل ان يكون المعنى من الذين استحق عليهم
القيام والصواب من التاويل والمراد ان الضمير في عليهم عايد على الذين
والاوليا رفع باستحق وذلك مخرج على ثلثة معان احدها ان يكون المراد
من الذين استحق عليهم مالهم وتركتهم شاهدا زور وسمى شاهدى
الزور اوليين من حيث جعلتهما الحال الاولين الاولى كذلك اعصيتهم
عدم الناس او في بهذا الميت وبتركته فجاز انيهما والمعنى الثانى ان
يكون المراد من الجماعة الذين حق عليهم ان يكون منهم الاوليان
فاستحق بمعنى حق ووجب كما تقول هذا اسا قد استحق بمعنى حق لعجب
واستعجب ونحوه والمعنى الثالث انه يجعل استحق بمعنى ينبغى وكان الكلام
فاخران من القوم الذى حضرا وليان منهم فاستحقا عليهم حقهم
اى استحقا لهم ونسعيا فيه ثم استوحباه باعاتهما وقربانهما ونحو هذا
المعنى الذى يعطيه التعدى بعلى قول الشاعر اسعى على حى بنى مالك كل امره
في شانه ساع وكذلك في الحديث كنت ارعى عليهم الغنم في بعض طرق
حديث الثلثة الذين ذكر احدهم بره بابويه حين الحطب عليهم الصخرة واما
قراة حمزة فمعناها من الذين استحق عليهم امرهم اذ غلبوا عليهم
ثم وصفهم بانهم اولون اى في الذكر في هذه الاية وذلك في قوله تعا

واسان ذوا عدل منكم ثم من بعد ذلك قال او اخران من غيركم وقوله تعالى فيقسمان
بالله يعنى الاخرين اللذين يقومان مقام شاهدى التحريف وقولهما الشهادتنا اى
لما اخبرنا نحن به وذكرناه من قص القصة اذ ونما ذكرناه او لا وحرفا فيه وما اعتدنا
نحن قولنا هذا وما ردنا عن الحد وقولهما انا اذا لمن الظالمين نص في صفة الاستعظام
والاستفتاح للظلم والظلم وضع الشئ في غير موضعه قوله عز وجل ذلك ادنى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها الى قوله انك انت علام الغيوب الاشارة بذلك هي الى جميع ما حدا
الله قبل من حبس الشاهدين من بعد الصلوة لليمين ثم ان عثر على جورهما ردت اليمين
وعرما فذلك كله يقرب اعتدال هذا الصنف فيما عسى ان يترك من النوازل لانهم
يخافون التحليف المغلظ بعقب الصلوة ثم يخافون الفضيحة ورد اليمين هذا
قول ابن عباس وابن طعفر من كلام السدى ان الاشارة بذلك انما هي الى الحبس
من بعد الصلوة فقط ثم نحن قوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان نانكا او قال عن
الاية وجمع الضمير في ياتوا ويخافوا اذ المراد صنف ونوع من الناس واو في هذه
الاية على تاويل السدى بمنزلة قولك تحتى يا زيدا او يستحطى كانك تريد والا استحطى
وكذلك معنى الاية ولذا ذكان ياتوا بالشهادة على وجهها وان لا يخافوا فوارد الا
الايمان واما على مذهب ابن عباس فالمعنى ذلك الحكم كله اقرب الى ان ياتوا
واقرب الى ان يخافوا على وجهها معناه على جهتها القديمة التى
لم تبدل ولا حرفت ثم امر الله تعالى بالتقوى التى هي الاعتصام بالله وبالسمع
لهذه الاوامر المبيحة واخبر انه لا يهدى القوم الفاسقين من حيث هم فاسقون
والا فهو تعالى يهديهم اذا تابوا ويحتمل ان يكون لفظ الفاسقين عاما والمراد
الخصوص فيمن لا يتوب وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ذهب قوم من المفسرين
الى ان العامل في يوم ما تقدم من قوله لا يهدى وذلك ضعيف من وصف الامر
وبراعتها انما هو ان يكون هذا الكلام مستانفا والعامل مقدرا اما اذكروا واما
تذكروا واما احذروا مما حسن اختصاره لعلم السامع به والاشارة بهذا اليوم الى
يوم القيمة وخص الرسل بالذكر لانهم قادة الخلق وفي ضمن جمعهم جمع الخلايق وهم
المكلمون اولا وماذا اجبتم معناه ماذا اجابت الامم من ايمان او كفر او طاعة
او عصيان وهذا السوال للرسل انما هو ليقوم الحجة على الامم ويبتدا حسابهم
عن الواضح المستبين بكل منظور واختلف الناس في معنى قولهم لا علم لنا فقال الطبرى
ذهلوا عن الجواب لهول المطلع ذكر عن الحسن انه قال قالوا لا علم لنا من هول ذلك
اليوم وعن السدى انه قال نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول فقالوا لا علم لنا ثم
نزلوا منزلا اخر شهدوا على قومهم وعن مجاهد انه قال يفزعون فيقولون لا علم لنا
قالع وضعف بعض الناس هذا المنزع بقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر والانبيا
في ابتدا هول القيامة وحاله جوانا الصراط يقولون سلم سلم حسب الحديث وحالهم
اعظم وفضل الله اعظم اكبر من ان يذهل عقولهم حتى يقولوا ما ليس تنفيس
نحقه بحق في نفسه وقال ابن عباس لا علم لنا الا علما انت اعلم به منا قالع وهذا
حسن كان المعنى لا علم لنا يكفى وينتهى الى الغاية وقال ابن جريج معنى ماذا اجبتم
ماذا عملوا بعدكم وماذا احدثوا ولذلك قالوا لا علم لنا قالع وهذا معنى حسن في نفسه
ويؤيده قوله تعالى انك انت علام الغيوب لكن لفظة اجبتم لا يساعد قول ابن جريج
الا على كره وقول ابن عباس اصوب هذه المناحى لانه يخرج على التسليم لله تعالى ورد
الامر اليه اذ قوله ماذا اجبتم لا علم عندهم في جوابه الا ما شوفهوا به مدة حياتهم
وينقصهم ما في قلوب المستافهين من نفاق ونحوه وكذلك سعيهم ما كان
بعدهم من امتهم والله تعالى يعلم جميع ذلك على التفصيل والكمال فراوا التسليم له
والخضوع لعلمه المحيط المحيط وقرا ابو حيوة اجبتم بفتح الهمزه قوله عز وجل اذ قال
الله يا عيسى بن مريم الى قوله ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون العامل في اذ فعلا
مضمرا تقديره اذكر يا محمد اذ وقال هنا بمعنى يقول لان ظاهر هذا القول انه في القيمة
تقدمه لقوله اانت قلت للناس وذلك كله احكام لتوبيخ الذين يتحصلون كافرين بالله
في ادعائهم الهية عيسى ويحتمل ان يكون اذ بدلا من قوله يوم يجمع الله ونعمة الله على
عيسى هي بالنبوة وساير ما ذكر وما علم مما لا يحصى وعدد ن عليه النعمه على امه اذ هي

نعمة صداثرة اليه نسبة كانت وقرأ جمهور الناس ايدتك بشد اليا وقرأ مجاهد وابن
محيصن ايدتك على وزن فاعلتك ويظهر ان الاصل في القراءتين ايدتك على وزن افعلتك
ثم اختلف الاعلال والمعنى فيهما قويتك من الايد وقال عبد المطلب الحمد لله الاعز الاكرم
ايدنا يوم زحوف الاشرم وروح القدس هو جبريل عليه السلام **وقوله في المهد** حال كائنا
قال الصعدا وكهلا حال ايضا معطوفة على الاولى ومثله قوله تعالى دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما والكهولة من الاربعين الى الخمسين وقيل هي من ثلثة وثلثين **والكتاب** في هذه
الاية مصدر كتب يكتب اي علمتك الخط ويحتمل ان يريد اسم جنس في صحف ابراهيم
وغير ذلك ثم خص بعد ذلك التورية والانجيل بالذكر تشريفا والحكمة هي الفهم والادراك
في امور الشرع وقد وهب الله الانبياء منها ما هم مخصوصون معصومون لا ينطقون
عن هوى **وقوله تعالى** واذ في هذه الاية حيث ما تكررت وهي عطف على الاولى التي
عملت فيها نعمتي وتخلق معناه تقدر وتهيي تقديرا مستويا متقنا ومنه قول الشاعر
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري اي تهيي وتقدر تقديرا يعمل
ويكمل ولا يفعل ومنه قول الاخر من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة وكانت
عيسى عليه السلام تصور مرة لطين امثال الخفاش فيتنفخ فيها امام الناس
فتحيا وتطير باذن الله وقد تقدم هذا القصص في ال عمران وقرأ جمهور الناس
كهيئة بالهمز وهي مصدر من قولهم هاء الشيء يهاء اذا ترتب واستقر على ارجحن
وقال اللحياني ويقال يهاء وقرأ الزهري كهيّة بتشديد اليا من غير همز وقراء
ابو جعفر بن القعقاع كهيئة الطاير والاذن في هذه الاية كيف تكررت معناه التمكين
مع العلم بما يصنع وما يقصد من دعاء الناس الى الايمان **قوله تعالى** فتنفخ فيها
هو النفخ المعروف من البشر وما جعل الله الامر هكذا الا ليظهر تلبس عيسى
بالمعجزة فصدورها عنه وهذا كطرح موسى العصا وكتب محمد صلى الله عليه وسلم
القرآن وهذا احد شروط المعجزات وقوله فيها ضمير مؤنث وجاء ذلك في آل عمران
فتنفخ فيه بضمير مذكر وقد اضطرب المفسرون فيه قال مكي هو في آل عمران عايد
على الطاير وفي المائدة عايد على الهيئة قال ويصح هاء كسرهنا قال غيره الضمير
الضمير المذكر عايد على الطين **قال ع** ولا يصح عود هذا الضمير لا على
الطير ولا على الطين ولا على الهيئة لان الطير والطين الذي يحمل الطين
على هيئته لا ينفخ فيه البته وكذلك لا ينفخ في هيئته الخاصة بحسبه وهي
المذكورة في الاية وكذلك الطين المذكور في الاية انما هو الطين العام
ولا ينفخ فيه وانما النفخ في الصور المخصوصة منه التي اشبها يد عيسى
عليه السلام فالوجه ان يقال في عود الضمير المؤنث عايد على ما
يقتضيه الاية ضرورة وذلك ان في قوله واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير يقتضي صورا او اجساما او اشكالا وكذلك الضمير المذكور يعود
على المخلوق الذي يقتضيه تخلق ولك ان تعيده على ما يدل عليه الكاف
في معنى المثل لان المعنى واذ تخلق من الطين مثل هيئة ولك ان تعيد
الضمير على الكاف نفسه فيمن يجوز ان يكون اسما في غير شعر ويكون
الكاف في موضع نصب صفة للمصدر المراد تقديره واذ تخلق خلقا
من الطين كهيئة الطير وقرأ عبد الله بن عباس كهيئة الطير فتنفخها
فيكون وقرأ الجمهور فيكون التاء من فوق وقرأ عيسى بن عمر فيها فيكون
بالياء من تحت وقرأ نافع وحده فيكون طايرا وقرأ الباقون طيرا بغير الف
والقراءتان مستفيضتان في الناس والطير جمع طاير كتاجر وتجر وصاحب
وصحب وراكب وركب والطاير اسم مفرد والمعنى على قراءة نافع فيكون
كل قطعة من تلك المخلوقات طايرا **قال ع** ولو قال قائل ان الطاير قد يكون
جمعا كالحامل والباقر فيكون على هذا معنى القراءتين واحدا لكان القياس
ذلك ويقوى ذلك ما حكاه ابو الحسن من قولهم طايره فيكون من باب
شعير وشعيرة وتمر وتمرة وقد تقدم القول في الاكمه والابرص وفي
قصص احيائه الموتى في آل عمران ويخرج الموتى معناه من قبورهم
وكف بني اسرائيل عنه عليه السلام هو رفعه حين احاطوا به في البيت

مع الحواريين هو من اول ما منعه الله منهم هو ان كف الى تلك النازلة الاخيرة وهنالك
ظهر عظم الكف **والبينات** معجزاته والحملة وجميع ما جاء به وقرأ ابن كثير وعاصم
هنا وفي هود والصف الا سحر بغير الف وقرأ حمزة والكسائي في المواضع الاربعة
ساحر بالالف فمن قرأ سحر جعل الاشارة الى البينات والحدث وما جاء به ومن قرأ
ساحر جعل الاشارة الى المسحور اذ هو عندهم ذو سحر وهذا مطرد في القرآن كله
حيث ما ورد هذا الخلاف **قوله عز وجل** واذ اوحيت الى الحواريين الى قوله من
الشاهدين قوله تعالى واذ اوحيت هو من جملة تعديد النعمة على عيسى واوحيت في
هذا التوقيع اما ان يكون وحي الهام او وحي امر كما قال الشاعر اوحى لها القرار فاستقرت
وبالجملة التي معنى فيه خفيا او صله تعالى الى نفوسهم كيف شاء والرسول في هذه الاية
عيسى وقول الحواريين واشهد يحتمل ان يكون مخاطبة منهم لله تعالى ويحتمل ان يكون
لعيسى وقد تقدم تفسير لفظ الحواريين في آل عمران وقوله تعالى اذ قال الحواريون الاية
اعتراض اثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيمة تضمن الاعتراض اخبار محمد
صلى الله عليه وسلم وامته بنازلة الحواريين في الاية في المائدة اذ هي مثال نافع لكل
امة مع نبيها يعتدى بمحاسنها ويزدجر عما تقدمه من طلب الايات ونحوه وقرأ
جمهور الناس هل يستطيع ربك بالياء ورفع الباء من ربك وهي قراءة السبعة
جاشي الكسائي وهذا ليس لانهم شكوا في قدرة الله على هذا الامر لكنه بمعنى
هل يفعل تعالى هذا وهل يقع منه اجابة اليه وهذا كما قال لعبد الله بن زيد هل
تستطيع ان تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ فالمعنى هل يخف عليك
وهل يعقله اما ان في اللفظ شناعة بسببها قال عيسى عليه السلام اتقوا الله ان كنتم
مؤمنين وبسببها مال فريق من الصحابة وغيرهم الى هذه القراءة فقرأ معاذ بن جبل وعلي
ابن ابي طالب وابن عباس وعايشة وسعيد بن جبير هل تستطيع ربك بالتاء بالنصب
المعنى هل تستطيع سؤال ربك قالت عايشة رضي الله عنها كان الحواريون اعرف بالله
من ان يقولوا هل يستطيع ربك **قال ع** نزهتهم عايشة عن شناعة اللفظ والا
فليس يلزم بهم منه جهل بالله على ما قد تبين آنفا وتمثل هذه القراءة قراءة الكسائي
وزاد انه ادغم اللام في التاء قال ابو علي وذلك حسن وان في قوله ان ينزل على هذه
القراءة متعلقة بالمصدر المحذوف الذي هو سؤال وان مفعول به اذ هو في حكم
المذكور في اللفظ وان كان محذوفا منه اذ لا يتم المعنى الا به **قال ع** وقد يمكن ان
يستغني عن تقدير سؤال على ان يكون المعنى هل تستطيع ان ينزل ربك بدعائك او
ما ربك عنده ونحو هذا فيرد ك المعنى ولا بد في المعتقد بما يدل عليه ما ذكر من اللفظ
والمائدة فاعلة من ماد اذا تحرك هذا قول الزجاج او من ماد اذا مار واطعم
كما قال رؤبة يهدي رؤوس المترفين الانداد الى امير المؤمنين الممتاد اي الذي
يستطعم ويمتاد منه وقول عيسى عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
تقديرهم كما تقول افعل كذا وكذا ان كنت رجلا ولا خلاف احفظه في ان
الحواريين كانوا مؤمنين وهذا هو ظاهر الاية وقال قوم قال الحواريون هذه المقالة
في صدر الامر قبل علمهم انه يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى ويظهر من قوله عليه
اتقوا الله ان كان لقولهم وذلك على قراءة من قرأ استطيع بالياء من اسفل متوجه
على امرين احدهما كشناعة اللفظ والاخر ان كان طلب الايات والتعرض بسخط
الله بها والسؤات ليست مبنية على ان تعب واما على القراءة الاخرى فلم ينكر
عليهم الا الاقتراح وقلة طمأنينتهم الى ما قد ظهر من اياته فلما خاطبهم
عليه السلام بهذه المقالة صرحوا بالمذاهب التي حملتهم على طلب المائدة فقالوا
نريد ان ناكل منها فنتشرف في العالم **قال ع** لان هذا الاكل ليس الغرض منه شبع
البطن وتطمين قلوبنا معناه تسكن فكرنا في امرك بالمعاينة لامر نازل من السما
باعيننا ونعلم علم الضرورة والمشاهدة ان قد صدقتنا ولا يعرضنا الشبه التي
تعرض في علم الاستدلال **قال ع** وهذا يترجح قول من قال كان هذا قبل علمهم
باياته ويدل ايضا على ذلك ان وحي الله اليهم ان امنوا انما كان في صدر الامر
وعند ذلك قالوا هذه المقالة ثم امنوا ورأوا الايات واستووا
فصبروا وهلك من كفر وقرأ سعيد بن جبير ويعلم بالياء مضمومة على ما لم

بسم فاعله وقولهم وتكون عليها من الشاهدين معناه من الشاهدين بهذه الاية الناقلين
لها الى غيرها الداعين الى هذا الشرع بسببها قال ع وروي ان الذي نحا بهم هذا المنحا
من الاقتراح هو ان عيسى قال لهم مرة هل لكم في صيام ثلثين يوما لله ثم ان سالتموه
حاجة قضاها فلما صاموها قالوا انا سعلكم يا معلم الخير ان حق من عمل عملا ان يطعم
فهل يستطيع ربك فارادوا ان يكون المائدة عند ذلك الصوم قوله عز وجل
قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا الى قوله من العالمين ذكر الله تعالى عن عيسى
عليه السلام انه اجابهم الى دعا الله في امر المائدة فروى انه لبس جبة شعر ورداء شعر
وقام يصلي ويبكي ويدعوا واللهم عند سيبويه اصلها يا الله فجعلت الميمات بدلا من
يا وربنا منادا اخر ولا يكون صفة لان اللهم يجري مجرى الاصوات من اصل
من اجل ما لحقه من التغيير وقرأ الجمهور تكون لنا على الصفة للمائدة وقرأ ابن مسعود
والاعمش تكون على جواب انزل والعيد المجتمع واليوم المشهود وعرفه ان يقال فيما
يستدير بالسنة او بالشهر والجمعة ونحوه وهو من عاد يعود فاصله الواو ولكن
لزمته اليا من اجل كسرة العين وقرأ جمهور الناس لاولنا واخرنا وقرأ زيد ثابت
وابن محيصن والسدي لاولنا واخرنا واختلف المتاولون في معنى ذلك فقال السدي
وقتادة وابن جريج وسفيان لاولنا ومعناه لاول الامة ومن بعدهم حتى لاخرها
تتخذون ذلك اليوم عيدا وروي عن ابن عباس ان المعنى يكون مجتمعا لجميعنا اولنا
واخرنا قال واكل من المائدة حين وضعت والناس كما اكل احدهم قال ع وللعيد
على هذا الايراد لا يراد به المستدير وقوله تعالى وانه منك اي وعلامة على صدق
وتشريعي فاجاب الله تعالى دعوة عيسى عليه السلام وقال اني منزلها عليكم ثم
سوط عليهم شرط المتعارف في الامم انه من كفر بعد انه الاقتراح عذب اشد عذاب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم اني منزلها عليكم بفتح النون وتشديد الزاي وقرأ الباقون
منزلها بسكون النون والقرأتان متجهتان نزل وانزل بمعنى واحد وقرأ
الاعمش وطلحة بن مصرف قال الله تعالى اني سانزل واختلف الناس في نزول المائدة
فقال الحسن ابن ابي الحسن ومجاهد انهم لما سمعوا الشرط في تعذيب من كفر استعفوها
فلم ينزل قال مجاهد هو مثل ضربه الله للناس لئلا يسالوه هذه الايات وقال جمهور
المفسرين نزلت المائدة ثم اختلفت الروايات في كيفية ذلك فروي السعي
عن ابي عبد الرحمن السلمي قال نزلت المائدة خبزا وسمكا وقال عطية المائدة
هي سمكة فيها طعم كل طعام وقال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك ياكلون
منه اينما نزلوا اذا شاوا وقاله وهب بن منبه وقال اسحق بن عبد الله نزلت المائدة
عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات قال فرفع منها بعضهم فرفعت قال عمار
ابن يسار سالوا عيسى عليه السلام مائدة تكون عليها طعام لا ينفد فقيل
لهم فانها مقيمة فيكم ما لم تخبوا وتخونوا فان فعلتم عذبتم فما مضى
يوم حتى خانوا وخانوا فمسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس في المائدة ايضا كان
طعام ينزل عليهم حيث ما نزلوا وقال عمار بن يسار نزلت المائدة عليها
ثمار من ثمار الجنة وقال ميسرة كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت
عليها الايدي بكل الطعام الا اللحم قال ع واكثر الناس في قصص هذه الاية
بما رايت اختصاره لعدم سنده وقال قوم لا يصح ان لا ينزل المائدة لان الله
قد اخبر انه منزلها قال ع وهذا غير لازم لان الخبر مقرون بشرط يتضمنه
قوله فمن يكفر بعد منكم وشايع ما قال الحسن اما ان الجمهور على انها نزلت
وكفرت جماعة منهم فمسخهم الله خنازير قاله قتادة وعمر وقال عبد الله
ابن عمر اشد الناس عذابا يوم القيمة من كفر بعد انزال المائدة من اصحاب
المائدة والمنافقون وال فرعون وتذكران شمعون راس الحواريين عليهم
السلام قال لعيسى عليه السلام حين راى طعام المائدة يا روح الله امن
طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال عيسى عليه السلام الم ينهكم
الله عن هذه السوالات هذا طعام ليس من طعام الدنيا ولا من طعام
الاخرة بل هو بالقدرة البالغة قال الله له ان فكان وقيل انه كان على المائدة
بقول سوى الثوم والكراث والبصل وقيل كان عليها زيتون وتمر وحب رمان

والله اعلم

والله اعلم قوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم الى قوله وانت على كل شيء شهيد
اختلف المفسرون في وقت وقوع هذا القول فقال السدي وغيره لما رفع الله
عيسى عليه السلام قالت النصارى ما قالت وزعموا ان عيسى امرهم بذلك فساله
الله تعالى حينئذ عن قولهم فقال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق قال ع
فيجي قال على هذا متمكنة في المعنى ويجي قوله اخرا وان تغفر لهم اي بالتوبة من الكفر
من الكفر لان هذا قاله عيسى عليه السلام وهم احيا في الدنيا وقال ابن عباس
وقتاده وجمهور الناس هذا القول من الله تعالى انما هو في يوم القيمة يقوله
الله له على رؤس الخلايق فيرى الكفار تبريه منهم ويعلمون ان ما كانوا فيه
باطل قال ع فقال على هذا التاويل بمعنى يقول وترك الماضي موضع المستقبل
دلالة على كون الامر وثبوته وقوله تعالى اخرا وان تغفر لهم معناه ان عذبت
العالم كله فبحقك وان غفرت وسبق ذلك في علمك فلانك اهل ذلك لا معقب لحكمك
ولا منازع لك فيقول عيسى عليه السلام هذا على جهة التسليم والتبري عنهم مع
علمهم بانهم كفرة قد حتم عليهم العذاب وليس المعنى انه لابد موات بفعل احد
هذين الامرين قال هذا القول مع علمه بان الله لا يغفر ان يشرك به وفائده هذا
التوقيف على قول من قال انه في يوم القيمة يظهر والرد على الكفرة في عبادة عيسى
عليه السلام وهو توقيف ليتقرر منه بيان ضلال الضالين وسبحانك
معناه تنزيها لك عن ان يقال هذا وينطق به وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما
ليس لي بحق الاية نفي يعضده دليل العقل فهذا ممتنع عقلا ان يكون لبشر محدث ان
يدعي الالهية وقد يجي هذه الصيغة فيما لا ينبغي ولا يحسن مع امكانه ومنه قول
الصديق ما كان لابن ابي قحافة ان يصلي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال ان كنت قلته ثم وفق الله تعالى عيسى لهذه الحجة البالغة وقوله تعالى تعلم ما في نفسي
باحاطة علم الله به وخص النفس بالذكر لانها مظنة الكتم والانطواء على المعلومات
والمعنى ان الله يعلم ما في نفس عيسى عليه السلام ويعلم كل امره مما عسى ان يكون في
نفسه وقوله تعالى واعلم ما في نفسك معناه ولا اعلم ما عندك من المعلومات وما
احطت به وذكر النفس هنا مقابلة لفظية في اللسان العربي يقتضيها الايجاز
وهذا ينظر من طرف خفي الى قوله تعالى ومكروا ومكر الله وقوله تعالى الله يستهزئ بهم
فتسمية العقوبة باسم الذنب انما قادها طلب المقابلة اللفظية اذ هي من فصيح
الكلام وبارع العبارة ثم اقر عيسى لله تعالى انه علام الغيوب المعنى ولا علم لي بالغيب
الغيب فكيف يكون الالوهيه ثم اخبر عما صنع في الدنيا وقال في تبليغه وهو انه لم
يتعد امر الله في انه امرهم بعبادته واقر بربوبيته وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله ربي
وربكم مفسرة لا موضع لها من الاعراب ويصح ان يكون بدلا من ما ويصح ان يكون في
موضع خفض على تقدير بان اعبدوا الله ويصح ان يكون بدلا من الضمير في به ثم اخبر
عليه السلام انه كان شهيدا ما دام فيهم في الدنيا ناظرا فيه وقوله فلما توفيتني
اي قبضتني اليك بالرفع والتصيير في السماء والرقيب الحفيظ المراعي قوله تعالى
ان تعذبهم فانهم عبادك هذه الاية على قول من قال ان توقيف عيسى عليه السلام
كان على اثر رفعه مستفهمة المعنى لانه قال عنهم هذه المقالة وهم احيا في
الدنيا وهؤلاء بدري ما يوافون وهي على قول من قال ان التوقيف هو يوم القيمة
بمعنى ان سبقت لهم كلمة العذاب كما سبقت فهم عبادك يصنع بحق الملك
ما شئت لا اعتراض عليك في قدرتك وان تغفر لهم اي لو غفرت لهم بسوء كما
غفرت بغيرهم فانك انت العزيز الحكيم في افعالك لا تعارض على حال فكانه قال ان تكن
لك في الناس معذبون فهم عبادك وان تكن مغفور لهم فعزتك وحكمتك
يقتضي هذا كله وهذا عندي هو القول الارجح ويتقوى بما بعده وذلك ان عيسى
عليه السلام لما قدر ان الله تعالى له ان يفعل في عباده ما شا من تعذيب و
مغفرة الجهل الله عز وجل لعباده ما كانت الانبيا عليهم السلام يخبرهم به
كانه يقول هذا امر قد فرغ منه وقد خلص للرحمة من خلص وللعذاب من
خلص فقال تبارك وتعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فدخل تحت
هذه العبارة كل مؤمن بالله تعالى وكل ما كان انفى فهو داخل في العبارة ثم

جاءت هذه العبارة مشيرة الى عيسى عليه السلام في حاله تلك وصدقه فيما قال فحصل له
بذلك في الموقف سرور عظيم وان كان اللفظ يعمه وسواه وذكر تعالى ما اعد لهم
برحمته وطوله الى قوله ذلك الفوز العظيم وقرأ نافع وحده هذا يوم بنصب الميم وقرأ
الباقون بالرفع على خبر المبتدا الذي هو هذا ويوم مضاف الى ينفع والمبتداء
والخبر في موضع نصب بانه مفعول القول اذ القول يعمل في الجمل واما قراءة نافع فيحتمل
وجهين احدهما ان يكون يوم ظرفا للقول كان التقدير قال الله هذا القول والخبر
اليوم قال ع وهذا عندي معنى يزيل وصف الاية وبهاء اللفظ والمعنى الثاني
ان يكون ما بعد قال الحكاية عما قبلها من قول العيسى واشاره اليه وخبر هذا محذوف
ايجازا وكان التقدير قال الله هذا المقتضي يقع او يحدث يوم ينفع الصادقين
قال ع والخطاب على هذا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولامته وهذا اشبه من الذي قبله
والنازع المتوجه قراءة الجماعة قال ابو علي ولا يجوز ان يكون يوم في موضع رفع على قراءة نافع
لان هذا الفعل الذي اضيف اليه معرب وانما يكتسي البناء من المضاف اليه اذا كان
المضاف اليه مبنيا نحو من عذاب يومئذ ولا يشبه الاية قول الشاعر على حين عاتبت
المشيب على الصبا وقلت الما اصح والشيب وازع لان الماضي الذي في البيت مبني والمضارع
الذي في الاية معرب وقرأ الحسن بن العباس الشامي هذا يوم بالرفع والتنوين
وقوله تعالى لله ملك السموات والارض يحتمل ان يكون مما يقال يوم القيمة ويحتمل
انه مقطوع من ذلك مخاطب به محمد صلى الله عليه وسلم وامته وعلى الوجهين
ففيه عضد لما قال عيسى ان تعذب الناس فانهم عبادك على ما تقدم من تاويل الجمهور والله
اعلم بالتاويل ظاهرا وباطنا سورة الانعام بسم الله الرحمن الرحيم
قيل هي مكية كلها وقال ابن عباس نزلت بمكة ليلا جملة الا ست ايات وهي قوله قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم وقوله وما قدروا الله حق قدره وقوله ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا او قال اوحي الي وقوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت وقوله والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقوله والذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه وقال الكلبي الانعام كلها مكية الا ايتين نزلتا بالمدينة في فنحاص اليهودي
وهي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى مع تو[ا]بطها بهذه الاية وذلك ان فنحاصا
قال ما انزل الله على بشر من شيء وقال ابن عباس نزلت سورة الانعام وحولها
سبعون الف ملك لهم زجل يجأرون بالتسبيح قال كعب فاتحة التورية فاتحة الانعام
الحمد لله الى يعدلون وخاتمة التورية خاتمة هود وما ربك بغافل عما يعملون وقيل
خاتمتها الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الى قوله تكبيرا وقال عمر بن الخطاب الانعام
من نجائب القران وقال علي بن ابي طالب من قرأ سورة الانعام فقد انتهى في رضا ربه
قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور الى
قوله يمترون هذا تصريح بان الله هو الذي يستحق الحمد باجمعه لان الالف واللام
في الحمد لاستغراق الجنس فهو تعالى له الاوصاف السنية والعلم والقدرة والاحاطة
والانعام وهو اهل للمحامد على ضروبها وله الحمد الذي يستغرق الشكر المختص
بانه على النعم ولما ورد هذا الاخبار تبعه ذكر بعض اوصافه الموجبة للحمد وهو الخلق
للسموات والارض قوام الناس ولذا فهم والارض ها هنا للجنس
فافرادها في اللفظ بمنزلة جمعها والبادي من هذا الترتيب ان السما خلقت
من قبل الارض وقد حكاه الطبري عن قتاده وليس كذلك لان الواو لا ترتب المعاني
والذي بين من مجموع اي القران ان الله خلق الارض فلم يدحها ثم استوى
الى السماء فخلقها ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل ها هنا بمعنى خلق
لا يجوز غير ذلك وتامل لم خصت السموات والارض بخلق والظلمات والنور
بجعل وقال الطبري جعل هذه هي التي تتصرف في طرف الكلام كما يقول جعلت
افعل كذا كانه قال وجعل الظلمة والنور قال ع وهذا غير جيد لان
جعل اذا كان على هذا النحو فلا بد ان يرتبط معها فعل اخر كما يرتبط
في افعال المقاربة كقولك كاد زيد يموت وجعل زيد يجيء ويذهب واما اذا
لم يرتبط معها فعل فلا يصح ان تكون تلك التي ذكر الطبري وقال السدي
وقتاده والجمهور من المفسرين الظلمات الليل والنور النهار وقالت

فرقة الظلمات الكفر والنور الايمان قال ع وهذا على جهة التشبيه صحيح وعلى ما
يفهمه عباد الاوثان غير جيد لانه اخراج لفظ بين في اللغة عن ظاهره الحقيقي
الى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القران منه والنور ايضا
هنا للجنس فافراده بمثابة جمعه وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
ثم دالة على قبح الذين كفروا لان المعنى ان خلقه السموات والارض وغيرها قد تقرروا بانه قد سطعت واتضحت بذلك وتبين
ثم بعد هذا كله عدلوا بربهم وهذا كما يقول يا فلان اعطيتك واكرمتك واحسنت اليك
ثم تشتمني اي بعد مهلة من وقوع هذا كله ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم
التوبيخ كلزومه بثم والذين كفروا في هذا الموضع هم كل من عبد شيئا سوى الله تعالى
قال قتادة هم اهل الشرك خاصة ومن خصص مرة صراحية من المفسرين في ذلك بعضا دون بعض
فلم يصب الا ان السابق من حال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاشارة الى عبدة الاوثان من العرب
لمجاورتهم له ولفظ الاية ايضا يشير الى المانوية ويقال المنانية العابدين النور القائلين ان
الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام وقول ابن ابزى ان المراد اهل الكتاب بعيد
ويعدلون معناه يسوون ويمثلون وعدل الشيء قرينه ومثله والمانوية مجوس
وورد في مصنف ابي داود حديث وهو القدرية مجوس هذه الامة ومعناه
الاغلاظ عليهم والذم لهم في تشبيههم بالمجوس وموضع الشبه هو ان المجوس تقول الافعال
خيرها خلق النور وشرها خلق الظلمة فجعلوا خالقا غير الله والقدرية يقول الانسان
يخلق افعاله فجعلوا خالقا غير الله وذهب ابو المعالي الى ان التشبيه بالمجوس انما هو لقول
القدرية ان الخير من الله وان الشر ليس منه ولا يريده وانما قلنا في الحديث انه تغليظ
لانه صرح انهم من الامة ولو جعلهم مجوسا حقيقة لم يضفهم الى الامة فهذا كله ان لو
صح الحديث والله الموفق وقوله تعالى هو الذي خلقكم من طين الاية قال مجاهد وقتاده
والضحاك وغيرهم المعنى خلق آدم من طين والبشر منه فلذلك قال خلقكم من طين وحكى
المهدوي عن فرقة انها قالت بل المعنى ان النطفة التي يخلق منها الانسان اصلها من طين
ثم يقلبها الله نطفة وذكره مكي والزهراوي والقول الاول اليق بالشريعة لان القول
الثاني انما ترتب على قول من يقول ان الطين يرجع بعد التولد والاستحالات الكثيرة
نطفة وذلك مردود عند الاصوليين واختلف المفسرون في هذين الاجلين فقال الحسن
ابن ابي الحسن وقتاده والضحاك اجلا اجل الانسان من لدن ولادته الى موته والاجل
المسمى عنده من وقت موته وحشره ووصفه بمسمى عنده لانه استاثر بعلم وقت القيامة وقال
ابن عباس اجلا الدنيا واجل مسمى عنده الاخرة وقال مجاهد اجلا الاخرة واجل مسمى
الدنيا بعكس الذي قبله وقال ابن عباس ايضا اجلا وفاة الانسان بالنوم واجل
مسمى وفاته بالموت وقال ابن زيد الاجل الاول هو اجل وقت الميثاق على بني ادم
حين استخرجهم من ظهر ادم وبقي اجل واحد مسمى في هذه الحيوة الدنيا وحكى
المهدوي عن فرقة اجلا ما عرف الناس من اجال الاهلة والسنين والكوائن واجل مسمى
ما عرف من قيام الساعة وحكى ايضا عن فرقة اجل مسمى ما عرفناه من انه لا نبي بعد محمد
هذه الاية فانها تحتمل معنيين فان جعلت بمعنى حدث وكب ورجعت الى سابق علمه وقدره
فيقولان ذلك ولا بد قبل خلقه ادم ويخرج ثم من معهودها في ترتيب زمني وقوع القصتين
وتبقى لها ترتيب زمني الاخبار عنه كانه قال اخبركم انه خلقكم من طين ثم اخبركم وزح
ذلك الى صفة فعل فيصح ان يكون خلق ادم من طين فلا طها كهذا الاجلة ابدانه و
تكون ثم على بابها في ترتيب زمني وقوع القصتين ويمترون معناه تشكون
والمرية الشك قوله ثم انتم على نحو قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون في التوبيخ على سوء
الفعل بعد مهلة من وضوح الحجج قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض
الى قوله يستهزءون قاعدة الكلام في هذه الاية ان حلول الله في الاماكن مستحيل
وكذلك مماسته للاجرام او محاذاته لها او تحيزه في جهة لامتناع جواز التحيز عليه تبارك وتعالى
فاذا تقرر هذا فبين ان قوله في السموات والارض ليس على حد قولنا زيد في الدار
بل هو على وجه من التاويل اخر فقالت فرقة ذلك على تقدير صفة محذوفة في اللفظ
ثابتة في المعنى كانه قال وهو الله المعبود في السموات والارض وعبر بعضهم
بان قدر وهو الله المدبر الامر في السموات والارض وقال الزجاج وفي متعلقه
بما تضمنه اسم الله تعالى من المعاني كما يقال امير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب

قال ع وهذا عندي افضل الاقوال واكثرها احراز الفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه
انه اراد ان يدل على خلقه واثار قدرته واحاطته ايضا واستيلائه ونحو هذه الصفات
فجمع هذه كلها في قوله وهو الله الذي له هذه كلها في السموات وفي الارض كانه قال وهو
الخالق الرازق المحيي المحيط في السموات وفي الارض كما يقول زيد السلطان في الشام والعراق
فلو قصدت ذات زيد لعلت محالا واذا كان مقصد قولك زيد الناقض المبرم الذي
يعزل ويولي في الشام والعراق فاقمت السلطان مقام هذه كان فصيحا صحيحا فكذلك
في الاية اقام لفظة الله مقام تلك الصفات المذكورة وقالت فرقة وهو الله ابتداء
وخبر وتم الكلام عنده ثم ابتداء مستانف وتعلق قوله في السموات بمفعول كانه
قال وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والارض ولا يجوز مع هذا التعلق
ان يكون هو ضمير امر وشان لانه تعالى يرتفع الله بالابتداء ويعلم في موضع الخبر
وتدفرق في السموات وفي الارض بين الابتداء والخبر وهو ظرف غريب من الحكم ويلزم
قايل هذه المقالة ان يكون المخاطبة بالكاف في قوله سركم وجهركم لجميع المخلوقين
الانس والملائكة لان الانس لا سر لهم ولا جهر لهم في السماء فيترتب الكلام على هذا القول
وهو الله يا جميع المخلوقين يعلم جهركم وسركم في السموات والارض وقالت هو ضمير الامر
والشان والله في السموات ابتداء وخبر ثم الكلام عنده ثم ابتداء كانه قال يعلم في الارض يعلم
سركم وجهركم وهذا القول قد يخلص من لزوم مخاطبة الملائكة فهو مخلص من شبهة
الكون في السماء بتقدير حذف المعبود او المدبر على ما تقدم **وقوله تعالى** يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون خبر تضمنه تحذير وزجر وتكسبون لفظ عام لجميع الاعتقادات
والاقوال والافعال **وقوله تعالى** وما تاتيهم الاية ما نافية ومن الاولى هي الزائدة
والافعال التي تدخل على الاجناس بعد النفي وكانها تستغرق الجنس ومن الثانية هي
للتبعيض **والاية** العلامة والدلالة والحجة وقد تقدم القول في وزنها في صدر الكتاب
وتضمنت هذه الاية مذمة هؤلاء الذين يعدلون بالله سواه بانهم يعرضون عن
كل اية ترد عليهم ثم اقتضت الفاء في قوله فقد ان اعراضهم عن الايات قد
اعقب ان كذبوا بالحق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به ثم توعدهم بان
تاتيهم عقاب استهزائهم وما بمعنى الذي وتصح ان تكون مصدرية وفي الكلام حذف
مضاف تقديره تاتيهم مضمن انباء القران الذي كانوا به يستهزئون وان جعلت
ما مصدرية فالتقدير تاتيهم نبا كونهم مستهزئين اي عقاب يخبرون انه
على ذلك الاستهزاء وهذه العقوبات التي توعدوا بها تعم عقوبات الدنيا كبدر
وغيرها ويعم عقوبات الاخرة والله الموفق **قوله عز وجل** الم يروا كم اهلكنا من قبلهم
من قرن الاية هذا احض على العبرة والرؤية هنا رؤية القلب وكم في موضع نصب
باهلكنا والقرن الامة المقترنة في مدة من الزمن ومنه قوله عليه السلام خير الناس
قرني الحديث واختلف الناس في مدة القرن كم هي فالاكثر على انها مائة سنة ويرجح
ذلك الحديث الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ليلتكم هذه
فان على راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قال ابن عمر
يريد انها تخرم ذلك القرن وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله
ابن بسر تعيش قرنا فعاش مائة سنة وقيل القرن ثمانون سنة وقيل سبعون
وقيل ستون وتمسك هؤلاء بالمعترك وحكى النقاش اربعين وحكى الزهري في
ذلك انه عن النبي صلى الله عليه وسلم وحكى النقاش ايضا ثلاثين وحكى عشرين وحكى
ثمانية عشر وهذا كله ضعيف وهذه طبقات وليست بقرون وانما القرن ان
يكون وفاة الاشياخ ثم ولادة الاطفال ويظهر ذلك من قوله وانشانا من بعدهم
قرنا اخرين والى مراعاة الطبقات وانقراض الناس بها اشار ابن الماجشون
في الواضحة في تجريح شهادة السماع في تقادم خمسة عشر عاما فصاعدا وقيل
القرن الوس نفسه وهو على حذف مضاف تقديره من اهل قرن والضمير في
مكناهم عائد على القرن والمخاطبة في لكم هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر
الناس كانه قال ما لم نمكن لكم يا اهل هذا العصر وهذا اخبار ما فيه ويحتمل
ان يقدر في الاية معنى القول لهؤلاء الكفرة كانه قال يا محمد قل لهم الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم واذا اخبرت انك

قلت

قلت لغائب او قيل له او امرت ان يقال له ذلك في فصيح كلام العرب ان يحكى الالفاظ
المقولة بعينها فيجيء بلفظ المخاطبة ولك ان ياتي بالمعنى في الالفاظ ذكر غائب دون
مخاطبة والسماء المطر ومنه قول الشاعر اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا
غضابا ومدرارا بناء تكثير كذا رومنات ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة
لان الاية انما مساقها تعديد النعم والافظاهرها يحتمل النعمة ويحتمل الاهلاك
ويحتمل ان يراد السماء المعروفة على تقدير وارسلنا مطر السماء لان مدرارا لا يوصف
به الا المطر **فاهلكناهم** معناه فعصوا فاهلكناهم وانشانا اخترعنا وخلقنا
وجمع اخرين حملا على المعنى **قوله عز وجل** ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الى
قوله ما يلبسون لما اخبر تعالى بانهم كذبوا بكل ما جاءهم من انه اتبع ذلك اخبارا فيه
مبالغة مضمنة انهم لو جاءهم اشنع مما جاء لكذبوا ايضا والمعنى لو نزلنا بمراى
منهم عليك كتابا اي كلاما مكتوبا في قرطاس اي في صحيفة ويقال قرطاس بضم
القاف فلمسوه بايديهم يريد بانهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب
لعاندوا فيه وبالغوا في كفرهم وقالوا هو سحر مبين ويشبه ان الاية لاقتراح ابن ابي
امية وتعنته اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا اومن بك حتى تصعد الى السماء ثم ينزل
بكتاب فيه من رب العزة الى عبد الله بن ابي امية يامرني بتصديقك وما
اراني مع هذا كنت اصدقك ثم اسلم بعد ذلك عبد الله وقيل شهد انا
لطائف **وقوله تعالى** وقالوا لولا انزل عليه ملك الاية حكاية عمن تشطط
من العرب بان طلب ان ينزل ملك يصدق محمدا في نبوته ويعلم عن الله عز وجل
انه حق فرد الله تعالى عليهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر قال مجاهد يريد
لقامت القيامة **قال ع** وهذا ضعيف وقال قتادة والسدي وابن عباس
في الكلام حذف تقديره ولو انزلنا ملكا وكذبوه لقضي الامر بعذابهم فلم ينظروا
حسب ما سلف في كل اية اقترحت من امة وكذبت بعد ان اظهرت اليها وهذا
قول حسن وقالت فرقة المعنى لقضي الامر اي لماتوا من هول رؤية الملك في
صورته ويؤيد هذا التاويل ما بعده من قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا فان اهل التاويل يجمعون ان ذلك لانهم لم يكونوا يطيقون رؤية
الملك في صورته فاذا تقرر انهم لم يطيقون رؤية الملك في صورته فالاولى في
قوله لقضي الامر اي لماتوا من هول رؤيته **وينظرون** معناه يؤخرون والنظرة
التاخير **وقوله تعالى** ولو جعلناه الاية المعنى انا لو جعلناه ملكا لجعلناه
ولا بد في خلق رجل لانهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة وابن زيد **قال ع** ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين
اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون في حرب النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين
فسمعا حس الملائكة وقائلا يقول في السحاب اقدم حيزوم فمات احدهما لهول ذلك
وكيف برؤية ملك في خلقته ولا يعارض هذا برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل وغيره في صورهم لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطي قوة غير هذه كلها **وقوله
تعالى** وللبسنا عليهم اي ولخلطنا عليهم ما يخلطون به على انفسهم وعلى
ضعفتهم اي لفعلنا لهم في ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم الى ان يلبسوا به وذلك
لا يحسن ويحتمل الكلام مقصدا اخر اي للبسنا عليهم كما يلبسون على ضعفتهم
لكنا نهيناهم عن التلبيس وكيف يفعله بهم ويقال لبس الرجل الامر يلبسه
اذا خلطه وقرا ابن محيصن وللبسنا بلام واحدة وشد الباء وذكر بعض الناس
في هذه الاية انها في اهل الكتاب وسياق الكلام ومعانيه يقتضي انها في كفار العرب
قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك الى قوله المكذبين قرئ ولقد استهزئ
بضم الدال مراعاة للضمة بعد الساكن الذي بعد الدال وقرئ بكسر الدال على عرف
الالتقاء وهذه تسلية للنبي عليه السلام بالاسوة في الرسل وتقوية لنفسه على محاجة
المشركين واخبار يتضمن وعيد مكاسبه والمستهزئين به وحاق معناه نزل واحاط
وهي مخصوصة في الشر يقال حاق يحيق حيقا وحياقة ومنه قول الشاعر فاوطا جرد
الخيل عقر ديارهم وحاق بهم من باس ضبة حائق وقال قوم اصل حاق حقق بدلت
الواو الواحدة كما بدلت النون في تظنن **قال ع** وهذا ضعيف وما في قوله ما كانوا

يصح ان يكون بمعنى الذى ويصح ان يكون مع الفعل بتاويل المصدر كانه قال استهزاؤهم وهذه
كناية عن العقوبة كما يهدد انسانا فيقول سيحصل عملك المعنى عاقبته وسخروا معناه
استهزؤا وقوله تعالى قل سيروا فى الارض الاية حض على الاعتبار بامر من مضى ممن فعل
مثل فعلهم وقال كان ولم يقل كانت لان تانيث العاقبة ليس بحقيقى وهو بمعنى الاخر
والمال ومعنى الاية سيروا واتعظوا بمن سار لان تحصيل العبرة بامر من مضى انما
يستند الى حسن العين قوله عز وجل قل لمن ما فى السموات والارض الى قوله وهو السميع
العليم قال بعض اهل التاويل فى الكلام حذف تقديره فاذا لحيروا فلم يجيبوا قل لله
وقالت فرقة المعنى انه امر بهذا السؤال فكانهم لما لم يحسوا ولم يتمعوا اسالوا فقيل
لهم قل لله والصحيح ان الله امر محمدا عليه السلام ان يقطعهم بهذه الحجة الساطعة و
البرهان القطعى الذى لا مدافعة فيه عند ولا عند اخذ ليعتقد هذا المعتقد
الذى بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجه عليه وجاء ذلك بلفظ استفهام وتقدير
فى قوله قل لمن ما فى السموات والارض والوجه فى المحاجه اذا سال الانسان خصمه
عن امر لا مدافعة للخصم فيه ان يسبقه بعد التقدير اليه مبادرة الى الحجة كما يقول لمن
يريد غلبته بانه يحتج بها عليه كيف قال الله فى كذا ثم يسبقه انت الى الاية فيصيها
عليه فكانه عليه السلام قال لهم يا ايها الكافرون العادلون بربهم لمن ما فى السموات
والارض ثم سبقهم فقال لله اى لا مدافعة فى هذا عندكم ولا عند احد ثم
ابتدا مخبر عنه تعالى فقال كتب على نفسه الرحمة معناه قضاها وانفذها وفى هذا
المعنى احاديث جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم يتضمن كتب الرحمة ومعلوم من غير ما
موضع من الشريعة ان ذلك للمومنين فى الاخرة ولجميع الناس فى الدنيا منها ان الله
تعالى خلق مائة رحمة فوضع منها واحدة فى الارض فيها يتعاطف البهايم ويرفع الوحش
رجلها لتطا ولدها وبها يتعاطف الطير والحيتان وعنده تسعة وتسعون رحمة
فاذا كان يوم القيمة ضم تلك الرحمة مع التسعة والتسعين وبثها فى عباده قال
ع فالشقى من لم تسعه هذه الرحمات نعوذ بالله نعضل منه ومنها حديث اخر
ان الله كتب عنده كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى وروى
بالت ومعنا سبقت وانشد عليه ثابت بن قاسم ابى كلب ان عمى الللذ
ابا الاملول وفكا الاعلالا ويتضمن هذه الاخبار عن الله تعالى بانه كتب
الرحمة تانيسا للكفار وبغيا من باسهم لرحمة الله اذا تابوا وان تاب توبتهم
مفتوح وقال الزجاج الرحمة هنا امهال الكفار وتعميرهم ليتوبوا وحكى المهدوى
ان جماعة من النحويين قالت ليجمعنكم هو تفسير الرحمة تقديره انه يجمعكم فيكون
ليجمعنكم فى موضع نصب على البدل من الرحمة وهو مثل قوله ثم بدا لهم من بعد
ما راوا الايات ليسجننه المعنى ان يسجنوه قال ع يلزم على هذا التاويل ان يدخل
النون الثقيلة فى الايجاب وهو مردود وانما يدخل فى الامر والنهى وباختصاص
من الواجب فى القسم وقالت فرقة وهو الاظهر ان اللام لام قسم والكلام مستانف
ويخرج ذلك فى لسحبه وقالت فرقة الى بمعنى فى وقيل هى على بابها غاية وهو الارجح ولا
ريب فيه لا شك فيه اى هو فى نفسه وذاته لا ريب فيه وقوله تعالى الذين خسروا
انفسهم الاية قيل ان الذين ينادى وهذا فاسد قال ع لان حرف النداء لا يسقط
مع المبهمات وقيل هو نعت للمكذبين الذين تقدم ذكرهم وقيل هو بدل من الضمير
فى ليجمعنكم قال المبرد لا يجوز ذلك لانه ابدال من كاف المخاطبة وذلك لا يجوز كما
لا يجوز مررت بك زيد قال ع وقوله فى الاية ليجمعنكم مخالف لهذا المثال لان الفائدة
فى البدل مترقبة من الثانى واذا قلت مررت بك زيد فلا فائدة فيه قوله ليجمعنكم
يصلح لمخاطبته الناس كافة فيعدها ابدال الذين من الضمير انهم هم المختصون
بالخطاب هنا وخصوا على جهة الوعيد ويتضح فيها الوعيد اذا جعلنا اللام للقسم
وهو القول الصحيح ويجى هذا بدل البعض من الكل قال الزجاج الذين رفع بالابتداء وخبره
فهم لا يؤمنون وهذا قول حسن والفاسد قول وهو جواب على القول بان الذين رفع
بالابتداء لان معنى الشرط حاصل تقديره من خسر نفسه وهو لا يؤمن وعلى القول
بان الذين بدل من الضمير هى عاطفة جملة على جملة وخسروا معناه غبنوا انفسهم
بان وجب عليهم عذاب الله وسخطه ومنه قول الشاعر لا يا خذ الرشوة فى حكمه

ولاسالى

ولاسالى عين الخاسر وقوله تعالى وله ما سكن وله عطف على قوله لله واللام للملك
وما بمعنى الذى وسكن هى من السكنى ونحوه اى ما ثبت وتقرر قاله السدى وغيره
وقالت فرقة هو من السكون وقال بعضهم لان الساكن من الاشياء اكثر من المتحرك
الى غير هذا من القول الذى هو تخليط والمقصد فى الاية عموم كل شى وذلك لا يترتب
الا ان يكون سكن بمعنى استقر وثبت والا فالمتحرك من الاشيا المخلوقات
اكثر من السواكن الا ترى الى الفلك والشمس والقمر والنجوم السابحة والمدركة
وانواع الحيوان والليل والنهار حاصران الزمان وهو السميع العليم هذه صفتان يليق
بمط الاية من قبل ان ذكر ما قبل من الاقوال الردية عن الكفرة العادلين فهو سميع
لها عليم بمواقعها مجاز عليها ففى الضمير وعيد قوله عز وجل قل اغير الله اتخذ
وليا الى قوله الفوز المبين قال الطبرى وغيره امر ان يقول هذه المقالة للكفرة الذين
دعوه الى عبادة اوثانهم فتجى الاية على هذا جوابا لكلامهم قال ع وهذا التاويل
يحتاج الى سند فى ان هذا نزل جوابا والا فظاهر الاية لا يتضمنه والفصيح هو انه لما قرر معه
ان الله تعالى له ما فى السموات وله ما سكن فى الليل والنهار والله سميع عليم امر ان
يقول لهم على جهة التوبيخ والتوقيف اغير الذى هذه صفاته اتخذ وليا بمعنى هذا خطا
لو فعلته بين ويعطى قوة الكلام ان من فعله من سائر الناس من بين الخطا واتخذ عامل
فى قوله غير وفى قوله وليا بمقدم احد المفعولين والولى لفظ عام لمعبود وغير ذلك من
الاسباب الواصلة بين العبد وربه ثم اخذ فى صفات الله عز وجل فقال فاطر السموات
والارض بخفض الراء نعت لله عز وجل وفطر معناه ابتدع وخلق وانشاء وفطر ايضا
شق وهل ترى من فطور اى من شقوق ومن هذا الفطار للسماء وفى هذه الجهة ايضا يمكن
قولهم فطر ناب البعير اذا خرج لانه يشق اللثة وقال ابن عباس ما كنت اعرف معنى
فاطر السموات حتى اختصم الى اعرابيان فى بير فقال احدهما انا فطرتها اى احترعتها
وانشاتها قال ع فحمله ابن عباس على هذه الجهة يصح حمله على الجهة الاخرى لانه
شق الارض السمرحتين وقرا ابن ابى عبلة فاطر برفع الراء على خبر ابتداء مضمر او على
الابتداء ويطعم ولا يطعم المقصود به يرزق ولا يرزق وخص الاطعام من انواع
الرزق لمس الحاجة اليه وشهرته واختصاصه بالانسان وقرا يمان العمانى وابن ابى
عبلة يطعم بضم الياء وكسر العين فى الثانى مثل الاول يعنى الوثن انه لا يطعم وقرا
مجاهد وسعيد بن جبير والاعمش وابو حمزة وعمرو بن عبيد وابو عمرو بن العلا فى رواية
عنه فى الثانى بفتح الياء على مستقبل طعم وهى صفة يتضمن معنى التنزيه اى لا ياكل
ولا يشبه المخلوقين وقوله تعالى قل انى امرت الى قوله عظيم قال المفسرون المعنى اول من
اسلم من هذه الامة بهذه الشريعة ولا يتضمن الكلام الا ذلك قالت طائفة فى الكلام
حذف تقديره وقيل لى ولا تكونن من المشركين قال ع وتلخيص الكلام فى هذا انه عليه
السلام امر فقيل له كن اول من اسلم ولا تكونن من المشركين فلما امر فى الاية ان يقول
ما امر به جاء ببعض ذلك على المعنى لا اللفظة وبعضه على اللفظة بعينه واللفظه
عصيت عامة فى انواع المعاصى ولكنها هاهنا انما يشير الى الشرك الذى قد نهى عنه
واليوم العظيم هو يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم من يصرف
عنه بضم الياء والمفعول الذى يسند اليه الفعل هو الضمير العايد على العذاب فهو مقدر
وقرا حمزة والكسائى وعاصم ايضا من يصرف فيسند الفعل الى الضمير العايد الى ربى
ويعمل فى ضمير العذاب المذكور انفا ولكنه مفعول محذوف وحكى انه ظهر فى قراة عبد
الله وهى من يصرفه عنه يومئذ وفى قراة ابى بن كعب من يصرفه الله عنه وقيل انها
من يصرف الله عنه قال ابو على وحذف هذا الضمير لا يحسن كما لا يحسن حذف الضمير
من الصلة لقوله عز وجل اهذا الذى بعث الله رسولا وكقوله وسلام على عباده الذين
اصطفى معناه بعثه واصطفاهم فحسن هذا الطول كما علله سيبويه ولا يحسن
هذا لعدم العلة قال بعض الناس القراة بفتح الياء من يصرف احسن لانه يناسب
فقد رحمه وكان الاولى على القراة الاخرى فقد رحم ليتناسب الفعلان قال ع
وهذا توجيه لفظى تعلقه خفيف واما بالمعنى فالقراتان واحد ورجح قوم قراة ضم
الياء لانها اقل اضمارا واشار ابو على الى تحسين القراة بفتح الياء بما ذكرناه واما
مكى ابن ابى طالب فخلط فى كتاب الهداية فى ترجيح القراة بفتح الياء ومثل فى احتجاجه بامثلة

فاسدة والدال المعمر ورحمه عامل فى الضمير المتصل وهو ضمير من ومستند الى ضمير العائد الى بحى
وقوله وذلك اشارة الى صرف العذاب والى الرحمة والفوز والنجاة قوله عز وجل وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الى قوله وهو الحكيم الخبير يمسسك معناه يصيبك
وينلك وحقيقة المس هى بلاقى جسمين فكان الانسان والضر يتماسان والضر
بضم الضاد سوء الحال فى الجسم وغيره والضر بفتح الضاد ضد النفع وناب الضر
فى هذه الاية منا ناب الشر وان كان الشر اعم منه فقابل الخير وهذا من الفصاحة عدول
عن قانون التكلف والصنعة فان باب التكليف ومرصع الكلام ان يكون الشى
مقترنا بالذى يختص به بنوع من انواع الاختصاص موافقة ومضادة فمن ذلك قوله
تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى فجعل الجوع مع العرى وبابه
ان يكون مع الظما ومنه قول امرئ القيس كانى لم اركب جوادا للذة ولم اسطى كاعبا
كاعبا ذات خلخال ولم اسبا الزق الروى ولم اقل لخيلى كرى كرة بعد اجفال وهذا
كثير قال السدى الضر هو المرض والخير العافية قال ع وهذا مثال ومعنى الاية
الاخبار عن ان الاشياء كلها بيد الله ان ضر فلا كاشف لضره غيره وان اصاب
بخير وكذلك ايضا لا راد له ولا مانع منه هذا تقدير الكلام ولكن وضع بدل هذا
المقدر لفظا اعم منه يشبو عمله وعينه وهو قوله وهو على كل شى قدير ودل ظاهر
الكلام على المقدر لانه وقوله على كل شى قدير عموم وقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده
الاية اى المستولى المقتدر وفوق نصب على الظرف لا فى المكان بل فى المعنى
الذى يضمنه لفظ القاهر كما تقول زيد فوق عمرو فى المنزلة وحقيقة فوق فى الاماكن
الاماكن وهى فى المعانى مستعارة شبه بها من هو ارفع رتبة فى معنى ما لما كانت
فى الاماكن ~~وهى فى المعانى مستعارة~~ منى حقيقة عن الارفع وحكى المهدوى انها بتقدير
الحال كانه قال وهو القاهر غالبا قال ع وهذا لا يسلم من الاعتراض ايضا والاول
عندى اصوب والعباد بمعنى العبيد وهما جمعان للعبد اما انا نجد ورود لفظة
العباد فى القران وغيره فى غير تفخيم وتحكيم او ترفيع او كرامة وورود لفظة العبيد
فى تحقيرا واستضعاف وقصد ذم الا ترى قول امرئ القيس قولا لدودان عبيد العصا
ولا يستقيم هنا عباد العصا وكذلك الذين سموا العباد ايضا لا يستقيم ان يقال لهم
العبيد لانهم الخم من ذلك وكذلك قول حمزة هل انتم الا عبيد لاى لا يستقيم فيه عباد
والحكيم بمعنى المحكم والخبير دالة على مبالغة وهما صفتان متناسبان لنظم الاية قوله
عز وجل قل اى شى اكبر شهادة الى قوله مما يشركون اى استفهام وهى معرفة مع ابهامها
وانما كان ذلك لانها يلزم الاضافة ولانها يتضمن علم جزء من المستفهم عنه غير
معين لانك اذا قلت اى الرجلين جاءك فقد كنت تعلم ان احدهما جاءك غير معين
فاخرج هذان الوجهان اى عن عموم الابهام فالحرث ويتضمن هذه الاية
ان الله تعالى يقال عليه شى كما يقال موجود ولكن ليس كمثله شى وشهادة نصب على التمييز
ويصح على المفعول بان يحمل اكبر على التشبيه بالصفة المشبهة باسم الفاعل وهذه الاية
مثل قوله قل لمن ما فى السموات والارض قل لله فان استفهم على جهة التوقيف
والتعريف ثم بادر الى الجواب اذ لا يتصور فيه مدافعة لمن يخاصمه ويتظلم منه
من اقدر من فى البلد ثم يبادر فيقول السلطان وهو يحول بيننا ونحو هذا
من الامثلة فتقدير الاية انه قال لهم اى شى اكبر شهادة الله اكبر شهادة فهو شهيد
بينى وبينكم فالله رفع بالابتداء وخبره مضمر يدل عليه ظاهر الكلام كما قدمنا
وشهيد خبر ابتداء مضمر وقال مجاهد المعنى ان الله قال لنبيه قل لهم اى شى اكبر
شهادة فقل لهم الله شهيد بينى وبينكم لما عموا عن الجواب فشهيد على هذا التاويل
خبر لله وليس فى هذا التاويل مبادرة من السائل الى الجواب المراد بقوله شهيد بينى
وبينكم اى فى تبليغى وكفركم وقرات فرقة واوحى الى هذا على الفعل الماضى ونصب القران
فى اوحى ضمير عائد على الله تعالى من قوله قل الله وقرات فرقة واوحى على بناء الفعل
للمفعول القران رفعا لانذركم معناه لاخوفكم به العقاب والاخرة ومن بلغ
عطف على الكاف والميم فى قوله لانذركم وبلغ معناه على قول الجمهور وبلغه
القران اى لانذركم والذى بلغه ففى بلغ ضمير محذوف لانه فى صلة من
حذف لطول الكلام وقالت فرقة ومن بلغ الحكم ففى بلغ فى هذا التاويل ضمير

مقدر

مقدر راجع الى من وروى فى معنى التاويل الاول احاديث منها ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال يا ايها الناس بلغوا عنى ولو اية فانه من بلغ عنى اية من كتاب الله فقد
بلغه امر الله اخذه ام تركه ونحو هذا من الاحاديث كقوله من بلغ هذا القران
فانا نذيره وقرات فرقة ائنكم بزيادة الف بين الهمزة الاولى والثانية
المسهلة عوملت بعد التسهيل المعاملة قبل التسهيل وقرات فرقة ائنكم بهمزتين
الثانية مسهلة دون الف بينهما وقرات فرقة ائنكم استثقلت اجتماع الهمزتين
فزادت الفا بين الهمزتين وقرات فرقة انكم بالايجاب دون تقرير وهذه
الاية مقصدها التوبيخ وتسفيه الراى واخرى صفة للالهة وصفة جمع
ما لا يعقل يجرى فى الافراد مجرى الواحدة المونثة كقوله تعالى ماٰرب اخرى
وكذلك مخاطبة جميع ما لا يعقل كقوله يا جبال اوبى معه ونحو هذا ولما كانت هذه
الالهة حجارة وحيوانا اجريت هذا المجرى ثم امره الله ان يعلن بالتبرى من شهادتهم
والاعلان بالتوحيد لله عز وجل والتبرى من اشراكهم دانتى الحاب الحق فيه النون
التى يلحق الفعل ليسلم حركتها عند اتصال الضمير بها فى قوله ضربنى ونحوه وظاهر
الاية انها فى عبدة الاصنام وذكر الطبرى انه قد ورد من وجه لم يثبت صحته
انها نزلت فى قوم من اليهود واسند الى ابن عباس قال جاء النحام بن زيد وقردم
ابن كعب وبحرى ابن عمرو فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله الها غيره فقال لا اله الا الله
بذلك امرت قرات الاية منهم قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه الى قوله
انه لا يفلح الظالمون الذين رفع بالابتداء وخبره يعرفونه والكتاب هنا التورية
والانجيل وهو لفظ مفرد يدل على الجنس والضمير فى يعرفونه عائد فى بعض الاقوال
على التوحيد لقرب قوله قل انما هو اله واحد وهذا استشهاد فى ذلك على كفرة قريش
والعرب اهل الكتاب والذين خسروا على هذا التاويل منقطع مرفوع بالابتداء وليس من صفة الذين
الاول لانه لا يصح ان يستشهد باهل الكتاب ويذمون فى اية اخرى قال ع وقد يصح ذلك لاختلاف
ما استشهد فيه بهم وما ذموا فيه وان الذم والاستشهاد ليس من جهة واحدة
وقال قتادة والسدى وابن جريج الضمير عايد فى يعرفونه على محمد صلى الله عليه وسلم
ورسالته وذلك على ما فى قوله واوحى الى هذا القران لانذركم به وكانه قال واهل الكتاب
يعرفون ذلك من انذارى والوحى الى وتاول هذا التاويل عمر بن الخطاب يدل على ذلك قوله
لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه بمكة انكم يعرفونه كما يعرفون ابناءكم فكيف
هذه المعرفة فقال عبد الله بن سلام نعم اعرفه بالصفة التى وصفه الله فى التورية
ولا شك فيه واما ابنى ولا ادرى ما احدث امه قال ع وتاويل ابن سلام المعرفة بالابن
يحقق صحته لنسبه وغرض الاية انما هو الوقوف على صورته فلا يخطى الاب فيها وقالت
فرقة الضمير فى يعرفونه على القران المذكور قبل قال ع ويصح ان يعيد الضمير على هذه كلها
اختصاص كانه وصف اشياء كثيرة ثم قال اهل الكتاب يعرفونه اى ما قلنا وما قصصنا
وقوله تعالى الذين خسروا الاية يصح ان يكون الذين نعت تابع للذين قبل والفاعل
هذا من قوله فهم عاطفة جملة على جملة وهذا يحسن على تاويل من راى فى الاية
تبلها ان اهل الكتاب متوعدون مذمومون لا مستشهد بهم ويصح ان يكون الذين
رفعا بالابتداء على استيناف الكلام وخبره فهم لا يؤمنون والفاء على هذا جواب
وخسروا معناه غبنوا وقد تقدم وروى ان كل عبد له منزل فى الجنة ومنزل فى النار
فالمؤمنون ينزلون منازل اهل الكفر فى الجنة والكافرون ينزلون منازل اهل الجنة فى النار
فهنا هى الخسارة بينه والربح للاخرين وقوله تعالى ومن اظلم الاية من استفهام متضمنة
التوقيف والتقرير اى لا احد اظلم ممن افترى وافترى معناه اختلق والمكذب بالاية
مفترى كذب ولكنهما نحوان من الكفر فلذلك نصا مفسرين والايات العلامات و
المعجزات ونحو ذلك ثم اوجب تعالى انه لا يفلح الظالمون والفلاح بلوغ الامل والارادة
والنجح ومنه قول عبيد افلح بما شيت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب قوله
عز وجل ويوم نحشرهم جميعا الى قوله ما كانوا يفترون قالت فرقة لا يفلح الظالمون
كلام تام معناه لا يفلحون جملة ثم استانف فقال واذكر يوم نحشرهم وقال الطبرى
المعنى لا يفلح الظالمون اليوم فى الدنيا ويوم نحشرهم عطف على الظرف المقدر والكلام
متصل وقرات طائفة يحشرهم ويقول بالنون وقرا حميد ويعقوب فيهما باليا وقرا

عاصم هنا وفي يونس وفي السلتين نحشرهم ويقول بالنون وقرأ في باقي القرآن بالياء وقرأ ابو
هريرة ويحشرهم بكسر الشين فيجيء الفعل على هذا حشر يحشر ويحشر واضاف الشركاء اليهم
لانه شركة في الحقيقة بين الاصنام وبين شيء وانما وقع عليها اسم الشريك بمجرد تسمية الكفرة
فاضيف اليهم لهذه النسبة ويزعمون معناه يدعون انهم لله والزعم القول الاميل
الى الباطل والكذب في اكثر كلامهم وقد يقال زعم بمعنى ذكر دون ميل الى الكذب وعلى هذا
الحد يقول سيبويه زعم الخليل ولكن ذلك انما يستعمل في الشيء الغريب الذي يبقى عهدته على
قائله وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الاية قرأ ابن كثير في رواية شبل عنه وعاصم في رواية
حفص على الخبر وابن عامر يكن فتنتهم بالرفع الا ان قالوا في موضع على الخبر التقدير الا قولهم
وهذا مستقيم لانه انث العلامة في الفعل اذ اسنده الى مؤنث وهي الفتنة وقرأ نافع وابو
عمرو وعاصم في رواية ابي بكر وابن كثير ايضا تكن فتنتهم بالنصب واسم كان ان قالوا وفي
هذه القراءة تانيث ان قالوا وساغ ذلك من حيث كان الفتنة في المعنى قال ابو علي وهذا
كقوله فله عشر امثالها فانث الامثال لما كانت الحسنات بالمعنى وقرأ حمزة والكسائي
يكن بالياء فتنتهم بالنصب واسم كان الا ان قالوا وهذا مستقيم لانه ذكر علامة الفعل
حين اسنده الى مذكر قال الزهراوي وقرأت فرقة يكن فتنتهم برفع الفتنة وفي هذه
اسناد فعل مذكر العلامة الى مؤنث وجاز ذلك بالمعنى لان الفتنة بمعنى الاحتساب
او المودة في الشيء او الاعجاب به كما يقول فتنت بكذا ويحتمل الاية هنا هذا المعنى
وقرأ ابي بن كعب وابن مسعود والاعمش وما كان فتنتهم وقرأ طلحة بن مصرف
ثم ما كان فتنتهم والفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة يقال بمعنى حب الشيء
والاعجاب به كما تقول فتنت بكذا ويحتمل الاية هنا هذا المعنى اي لم يكن حبهم
للاصنام والاعجاب بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها الا
التبري منها والانكار لها وفي هذا توبيخ لهم كما يقول لرجل يدعي مودة اخر ثم
انحرف عنه وعاداه يا فلان لم تكن مودتك لفلان الا ان شتمته انت وعاديته
ويقال الفتنة في كلام العرب بمعنى الاختبار كما قال الله عز وجل لموسى وفتناك
فتونا وكقوله ولقد فتنا سليمان ويحتمل الاية هنا هذا المعنى لان سؤالهم عن
الشركاء وتوقيفهم اختبار فالمعنى ثم لم يكن اختبارنا لهم اذ لم نفد ولا اثمر الا انكار
انكارهم الاشراك وتجيء الفتنة في اللغة في معان غير هذين لا مدخل لها في الاية
ومن قال ان اصل الفتنة الاختبار من فتنت الذهب في النار ثم يستعار بعد
ذلك في غير ذلك فقد اخطأ لان الاسم لا يحكم عليه بمعنى الاستعارة حتى يقطع
باستحالة حقيقته في الموضع الذي استعير له كقول ذي الرمة ولف الثريا في ملاءته
الفجر ونحوه والفتنة لا يستحيل ان تكون حقيقة في كل موضع قيلت عليه وقرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر والله ربنا خفض على النعت لاسم الله وقرأ
حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء ويجوز فيه نصب المدح وقرأ
عكرمة وسلام بن مسكين والله ربنا بالرفع الاسمين وهذا على تقدير تقديم
وتاخير كانهم قالوا ما كنا مشركين والله ربنا وما كنا مشركين معناه جحود
اشراكهم في الدنيا وروي انهم اذا رأوا اخراج من في النار من اهل الايمان ضجوا
فيوقفون ويقال لهم اين شركاؤكم فيكون طاعة منهم ان يفعل بهم ما فعل
باهل الايمان واتى رجل ابن عباس فقال سمعت الله يقول والله ربنا ما كنا مشركين
وفي اخرى ولا يكتمون الله حديثا فقال ابن عباس لما رأوا انه لا يدخل الجنة الا مؤمن
قالوا تعالوا فلنجحد فقالوا ما كنا مشركين فختم الله على افواههم وتكلمت جوارحهم
ولا يكتمون الله حديثا قال ع وعبر بعض المفسرين عن الفتنة هنا بان قال
معذرتهم قاله قتادة وقال آخرون كلامهم قاله الضحاك وقيل غير هذا مما هو كله
في ضمن ما ذكرناه وقوله تعالى انظر كيف كذبوا الاية الخطاب لمحمد صلى الله عليه
وسلم والنظر نظر القلب وقال كذبوا في امر لم يقع اذ هي حكاية عن يوم القيامة
فلا اشكال في استعمال الماضي منها موضع المستقبل وتفيد باستعمال الماضي
تحقيقا ما في الفعل واثباتا له وهذا مهيع في اللغة ومنه قول الربيع بن ضبع
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا يريد ان نفر وضل عنهم
معناه ذهبت افتراؤهم في الدنيا وكذبهم بادعائهم لله تعالى الشركاء قوله

عز وجل

عز وجل ومنهم من يستمع اليك الاية الضمير في قوله ومنهم عائد على الكفار الذين
تضمنهم قبل قوله ويوم نحشرهم جميعا وافرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من
واكنة جمع كنان وهو الغطاء الجامع ومنه كنانة السهم والكن ومنه قوله تعالى بيض
مكنون ومنه قول الشاعر اذا ما انتضوها في الوغى من اكنة حسبت بروق الغيث ها
جت غيومها وفعال وافعلة مهيع في كلامهم وان يفقهوه نصب على المفعول من اجله اي
كراهية ان يفقهوه وقيل المعنى ان لا يفقهوه ويلزم هذا القول اضمار حرف النفي ويفقهوه
معناه يفهموه يقال فقه الرجل بكسر القاف اذا فهم الشيء وفقه بضمها اذا صار
فقيها له ملكة وفقهه اذا غلبه في الفقه غيره والوقر الثقل في السمع يقال وقرت اذنه
ووقرت بكسر القاف وفتحها ومنه قول الشاعر وكلام سيء قد وقرت اذني منه وما بي من صمم
وقد سمع اذن موقورة فالفعل على هذا وقرت وقرأ طلحة بن مصرف وقرا بكسر الواو وكانه ذهب
الى ان اذانهم وقرت بالصمم كما توقر الدابة بالحمل وهي قراءة شاذة وهي عبارة عما جعل
الله في نفوس هؤلاء القوم من الغلط والبعد عن قبول الخير لا انهم لم يكونوا سامعين
لاقواله وقوله تعالى فان يروا كل اية لا يؤمنوا بها الاية الرؤية هنا رؤية عين يريد
كانشقاق القمر وشبهه قال ع ومقصد هذه الاية انهم في [illegible] وحاولوا
رد الحق بالدعوى المجردة والواو في قوله وجعلنا واو الحال والباب ان يصرح
معها بقد وقد تجيء احيانا مقدرة وايضاح ذلك انه تعالى قال ومن هؤلاء
الكفرة من يستمع وهو من الغباوة وجد قلبه كنان واذنه صما وهو
يرى الايات ولا يؤمن بها لكنه مع بلوغه الغاية من هذا المقصود اذا جاء
للمجادلة قابل بدعوى مجردة والمجادلة المقابلة بالاحتجاج مأخوذ من
الجدل وهذا في قولهم اشارة الى القرآن والاساطير جمع اسطار كاقوال
واقاويل ونحوه واسطار جمع سطر وسطر وقيل الاساطير جمع اسطارة
وهي الترهات وقيل جمع اسطورة كاعجوبة واضحوكة وقيل هو اسم جمع لا واحد له من
لفظه كعباديد وشماطيط والمعنى الاخبار الاولين وقصصهم واحاديثهم التي تسطر
وتحكى ولا تحقق التواريخ وانما شبهها الكفار باحاديث النضر بن الحارث وعبد
الله بن ابي امية عن رستم واسفنديار ومجادلة الكفار كانت مرادتهم نور الله
باقوالهم المبطلة وقد ذكر عن ابن عباس انه سئل من ذلك قولهم انكم ايها المتبعون
محمدا تاكلون ما قتلتم بذبحكم ولا تاكلون ما قتل الله ونحو هذا من التخليط الذي
لا يتركب منه حجة قال ع وهذا جدال في حكم والذي في الاية انما هو جدال في
مدافعة القرآن ولا معنى للاية عندي بامر الذبح قوله عز وجل وهم ينهون
عنه وينأون عنه الاية الضمير في قوله وهم عائد على المذكورين قبل والضمير
في قوله عنه قال قتادة ومجاهد يعود على القرآن المتقدم ذكره في قوله ان يفقهوه
وقال ابن عباس وابن الحنفية والضحاك هو عائد على محمد عليه السلام والمعنى انهم
ينهون غيرهم ويبعدون هم بانفسهم والنأي البعد وان يهلكون الا انفسهم
بالكفر الذي يدخلهم جهنم وقال ابن عباس ايضا والقاسم وحبيب ابن ثابت
وعطاء بن دينار المراد بقوله وهم ينهون ابو طالب ومن كان معه على حماية
رسول الله عليه السلام وعلى الدوام في الكفر والمعنى وهم ينهون عنه من يريد
اذايته وينأون عنه بايمانهم واتباعهم يفعلون الشيء وخلافه ويتعلق على
هذا القول رد قوله فهم على جماعة الكفار المتقدم ذكرها لان جميعهم لم يكن ينهى
عن اذاية النبي صلى الله عليه وسلم قال ع ويخرج ذلك ويحسن ان يقدر القصد ذكر ما
ينبغي على فريق فريق من الجماعة التي هي كلها مجمعة على الكفر فخرجت العبارة على فريق
من الجماعة بلفظ يعم الجماعة لان التوبيخ على هذه الصورة اغلظ عليهم كما تقول اذا شغب
على جماعة فيها زناة وسرقة وشربة خمر هؤلاء يزنون ويسرقون ويشربون الخمر
وحقيقة كلامك ان بعضهم يفعل هذا فكانه قال ومن هؤلاء الكفرة من يستمع
وهم ينهون عن اذايته ولا يؤمنون به اي منهم من يفعل ذلك وما يشعرون
معناه ما يعلمون علم حس وهو مأخوذ من الشعار الذي يلي بدن الانسان
والشعار مأخوذ من الشعر ونفي الشعور مذمة بالغة اذ البهائم تشعر وتحس
فاذا قلت فلان لا يشعر فقد نفيت عنه التقى العام الذي يقتضي انه لا يعلم و

ولا المحسوسات قال وقراء الحسن ويناون عنه القيت حركتها الهمزة على النون على التسهل
القياسي وقوله ولو ترى الاية المخاطبة فيها لمحمد صلى الله عليه وسلم وجواب لو محذوف
تقديره في اخر الاية لرايت هولاء ومشقات ونحو هذا وحذف جوابها في مثل هذا ابلغ
لان المخاطب يترك مع غاية تخيله ووقعت اذ في موضع اذا التي هي لما يستقبل وجاز ذلك
لان الامر المتقن وقوعه يعبر عنه كما يعبر عن الماضي الوقوع ووقفوا معناه حبسوا ولفظ
هذا الفعل متعديا وغير متعد سواء يقول وقفت انا ووقفت غيري يعني عبدك
قال الزهراوي وقد يفرق بينهما في المصدر ففي المتعدي وقفته وقفا وفي غير المتعدي
وقفت وقوفا قال ابو عمرو بن العلا لم اسمع في شي من كلام العرب اوقفت فلانا الا اني لو
لقيت رجلا واقفا فقلت له ما اوقفك هاهنا لكن عندي حسنا ويحتمل قوله ووقفوا
على النار ان يكون دخولها وكان وقوفهم عليها اي فيها قاله الطبري ويحتمل ان يكون
اشرفوا عليها وعاينوها وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع ايضا والكسائي وعاصم في رواية
ابي بكر ولا نكذب ونكون بالرفع في كلها وذلك على نية الاستيناف والقطع في
قوله لا نكذب ونكون اي يا ليتنا نرد ونحن على كل حال لا نكذب ونكون فاخبروا عن
انفسهم بهذا ولهذا الاختيار صح تكذيبهم بعد هذا ورجح هذا سيبويه وشبهه بقول
دعني ولا اعود اي وانا لا اعود على كل حال ويخرج ذلك على قول اخر وهو ان يكون ولا نكذب
ونكون داخلا في التمني على حد ما دخلت فيه نرد كانهم قالوا يا ليتنا نرد وليتنا ولا
نكذب وليتنا نكون ويعترض هذا التاويل بان من تمنى شيئا لا يقال انه كاذب وانما
نكذب من اخبر قال وينفصل عن هذا الاعتراض ان يكون قوله وانهم لكاذبون حكاية عن
حالهم في الدنيا كلاما مقطوعا مما قبله وتوجه اخر وهو ان التمني اذا كانت سجيته
وحاقه مخالفة لما تمنى بعيده منه يصح ان يكون ان يقال له كذبت على تجوز وذلك ان
من تمنى شيئا فتمنيه يتضمن اخبارا ان تلك الاشياء تصلح له وتصلح لها فيقع الكذب
في ذلك الاخبار الذي تتضمنه التمني ومثال ذلك ان يقول رجل شرير ليتني احج و
اجاهد واقوم الليل فجائز ان يقال له على تجوز كذبت اي انت لا تصلح لهذا ولا يصلح لك
وروي عن ابي عمرو انه ادغم بان كذب في الباء التي بعدها وقرا ابن عامر وحمزه
وعاصم في رواية حفص ولا نكذب ونكون بنصب الفعلين وذلك كما ينصب الفاء
في جواب التمني قالوا وفي ذلك والواو بمنزلة الفاء وهذا على تقدير ذكره مصدر الفعل
الاول كانهم قالوا يا ليته كان لنا رد وعدم تكذيب وكون من المومنين وقرا
ابن عامر في رواية هشام عن عامر عن اصحابه عن ابن عامر ولا نكذب بالرفع ونكون
بالنصب ويتوجه ذلك على ما تقدم وفي مصحف عبد الله بن مسعود يا ليتنا نرد
فلا نكذب بايات ربنا فنكون بالفاء وفي قراة ابي يا ليتنا نرد فلا نكذب
بايات ربنا ابدا وحكى ابو عمرو قال في قراة ابي بايات ربنا ونحن نكذب وقوله
نرد في هذه الاقوال كلها معناه الى الدنيا وحكى الطبري تاويلا اخر وهو
يا ليتنا نرد الى الاخرة اي نبعث ونوقف على النار التي وقفنا عليها مكذبين
ليت ذلك ونحن في حالة لا نكذب فالمعنى يا ليتنا نوقف هذا الوقوف
غير مكذبين بايات ربنا كائنين من المومنين قال ع وهذا التاويل
يضعف من غير وجه ويبطله قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
ولا يصح ايضا التكذيب في هذا التمني لانه تمني ما قد مضى وانما يصح
التكذيب الذي ذكرناه قبل هذا على تجوز في تمني المستقبلات قوله عز
وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون الى قوله بما كنتم تكفرون الضمير
في لهم عائد على ما ذكر في قوله وقفوا وقالوا وهذا الكلام يتضمن انهم كانوا
يخفون شيئا ما في الدنيا فظهر لهم في يوم القيمة او ظهر لهم وباله وعاقبته
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحكى الزهراوي عن فرقة
انها قالت الاية في المنافقين لانهم كانوا يخفون الكفر فبدا لهم وبالهم
يوم القيمة قال ع ويعلق العبارة على هذا التاويل لانه قال وقفوا يريد
جماعة الكفار والكلام لا يعطي هذا الاشتمال قال الزهراوي وقيل
ان الكفار كانوا اذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا واخفوا
ذلك الخوف لئلا تشعر به اتباعهم فيظهر لهم ذلك يوم القيمة قال ع

ويصح

ويصح ان يكون الاخبار عن هول ما لقوه والتعظيم لما شقوا به فعبر عن ذلك بانهم ظهرت
لهم مستورات في الدنيا من معاص وغير ذلك فكيف الظن على هذا بما كانوا يعلنون
به من كفر ونحوه وينظر الى هذا التاويل قوله تعالى في تعظيم شان يوم القيامة يوم
تبلى السرائر ويصح ان يقدر الشي الذي كانوا يخفونه في الدنيا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم واقراره وذلك انهم كانوا يخفون ذلك في الدنيا بان يحقروه عند من يرد
عليهم ويصفوه بغير صفته ويتلقوا الناس على الطرق فيقولون له هو ساحر
هو يفرق بين الاقارب يريدون بذلك اخفاء امره وابطاله فمعنى الاية على هذا بل
بدا لهم القيمة امرك وصدقك وتحذيرك واخبارك بعقاب من الكفر الذي كانوا
يخفونه في الدنيا ويكون الاخفاء على ما وصفنا وقال الزجاج المعنى ظهر للذين اتبعوا
الغواة ما كان الغواة يخفون من امر البعث قال ع فالضمير ان على هذا النسا لشي واحد
وحكى المهدوي عن الحسن نحو هذا وقرا يحيى بن وثاب والنخعي والاعمش ولو ردوا
بكسر الراء على نقل حركة الدال من رددوا اليها وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا اخبار
عن امر لا يكون كيف كان لا يوجد وهذا النوع مما استاثر الله بعلمه فان اعلم بشي
منه علم والا لم يتكلم فيه وقوله تعالى وانهم لكاذبون اما ان يكون متصلا بالكلام و
يكون التكذيب في اخبارهم على معنى ان الامر في نفسه بخلاف ما قصدوا لانهم قصدوا
الكذب او يكون الكذب في التمني على التجوز الذي ذكرناه واما ان يكون منقطعا اخبارا
مستانفا عما هم عليه في وقت مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والاول اصوب وقوله
تعالى ان هي الا حيوتنا الدنيا الاية على هذا التاويل ابتداء كلام واخبار عنهم
بهذه المقالة ويحسن مع هذا ان يكون قوله قبل وانهم لكاذبون مستانفا مقطوعا خبرا
عن حالهم في الدنيا التي من قولهم فيها ان هي الا حياتنا الدنيا وغير ذلك وان نافية ومعنى
التكذيب بالحشر والعودة الى الله عز وجل وقال ابن زيد قوله وقالوا معطوف على
قوله لعادوا واي لما نهوا عنه من الكفر وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا قال ع وتوقيفا الله
لهم في الاية بعدها على النعت والاشارة اليه في قوله اليس هذا بالحق يرد هذا التاويل
وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم معنى هذا كما تقدم انفا من حذف جواب لو وقوله
على ربهم معناه على حكمه وامره وفي الكلام ولا بد حذف مضاف وقوله هذا اشارة
الى النعت الذي كذبوا به في الدنيا وبلى هي التي تقتضي الاقرار بما استفهم عنه منفيا
ولا يقتضي نفيه وجحده ونعم تصلح للاقرار به كما ورد ذلك في قول الانصار للنبي
صلى الله عليه وسلم حين عاتبهم بذلك في الخطبة عقب غزوة حنين وتصلح ايضا
نعم لجحده فلذلك لا تستعمل وانما قول الزجاج وغيره انها يقتضي جحده وانهم لو كانوا قالوا
نعم عند قوله الست بربكم لكفروا فقول خطا والله المستعان وقولهم بلى وربنا
ايمان ايمان ولكنه حين لا ينفع وقوله تعالى ذوقوا استعارة بليغة والمعنى
باشروه مباشرة الذايق اذ هي من اشد المباشرات قوله عز وجل قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله الاية هذا استيناف اخبار عن خسارة المكذبين يتضمن تعظيم
المصاب الذي حل بهم ويستعمل الخسارة في مثل هذه الاية لانه من احد الكفر
وسعه وكانه قد اعطى الايمان واطرحه واستهبت صفقة احد واعطا والاشارة
بهذه الاية الى الذين قالوا انما هي حياتنا الدنيا فقوله بلقاء الله معناه بالرجوع
الى الله والى حكامه وقدرته كما يقول لقي فلان اعماله اي لقي عواقبها وما لها والسا
والساعة يوم القيمة وادخل عليها تعريف العهد دون تقدم ذكرها لشهرتها
واستقرارها في النفوس وذياع ذكرها وايضا فقد يضمنها قوله تعالى بلقاء الله
وبغته معناه فجاة تقول بغتني الامر اي فجاني ومنه قول الشاعر ولكنهم بانوا
ولم احش بعله وافظع شي حين يفجاك البعث ونصبها على المصدر في موضع الحال كما
تقول قتلته صبرا ولا يجيز سيبويه القياس عليه لا يقول جاء فلان سرعة ونحوه
وبدا الحسرة على تعظيم الامر وتشنعه وكان الذي ينادي بالحسرة والعجب او السرور
او الويل اقول اقربي واحضري وهذا وقتك وزمنك وفي ذلك يعطي الامر على نفس
المتكلم وعلى سامعه ان كان ثم سامع وهذا التعظيم على النفس والسامع هو المقصود
ايضا بنداء الجمادات كقولك يا دار ويا ربع وفي نداء ما لا يعقل كقولهم يا جمل
وفرطنا معناه قصرنا مع القدره على ترك التقصير هذه حقيقة التفريط

والضمير في قوله فيها عايد على الساعة اى في التقدمة لها وهذا قول الحسن وقال الطبرى
يعود على الصفقة التى يتضمنها ذكر الخسارة في اول الاية ويحتمل ان يعود الضمير على
الدنيا اذ المعنى بفضها ويجى الظرفية امكن بمنزلة زيد في الدار وعوده على الساعة
انما معناه في امورها والاستعداد لها بمنزلة زيد في العلم مستقل **وقوله تعالى**
وهم يحملون اوزارهم الاية الواو واو الحال والاوزار جمع وزر بكسر الواو وهو
الثقل من الذنوب تقول منه وزر يزر اذا حمل قال الله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى ويقول وزر الرجل وهو موزور وقال ابو عبيد والعامة يقول
ما زور واما اذا اقترن ذلك بما جور فان العرب يقول ما زور وقد قال صلى الله
عليه وسلم لنساء لقيه مقبلات من المقابر ارجعن ما زورات غير ماجورات
قال ابو علي وغيره هذا للاتباع اللفظي والوزر هنا تجوز وتشبيه بثقل الاحمال
وقوى التشبيه بان جعله على الظهور اذ هو في العادة موضع حمل الاثقال ومن
قال انه من الوزر وهو الجبل الذي يلجا اليه ومنه الوزير وهو المعين فهي مقالة
غير بينة وقال الطبرى وغيره هذا على جهة الحقيقة وروى في ذلك خبر ان
المومن تلقاه عمله في احسن صورة وافوحها فتسلم عليه ويقول له طال ما ركبتك
في الدنيا وانت تركبني اليوم قال فيحمله مثل العمل وان الكافر يلقاه عمله في اقبح صورة
انتنها فتسمه ويقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا بشهواتك
فانا اركبك اليوم قال فيحمل مثال عمله الخبيث اوزاره على ظهره **وقوله تعالى**
الا سا ما يزرون اخبار عن سو ما يمون متضمن التعظيم لذلك والاشارة
فهذا كقوله صلى الله عليه وسلم للمتسلفين السا هذا الكتاب وقوله الاعمل
فانما اراد الاشارة والتسهيل وهذا كله يتضمنه الاوانما ساء ما يزرون
فهو خبر مجرد كقول الشاعر رضيت خطة خسف غير طائل مشا هدا رضى يا
قليس علاما وساء فعل ماض وما فاعلة به كما يقول ساءني امر كذا ويحتمل
ان يجري ساء هنا مجرى بئس ويقدر لها ما يقدر لبئس اذ قد جا في كتاب
الله تعالى ساء مثلا القوم **قوله عز وجل** وما الحياة الدنيا الا لعب
ولهو الاية هذا ابتدا خبر عن حال الدنيا فالمعنى انها اذا كانت فانية
منقضية لا طائل لها اشبهت اللعب واللهو الذي لا طائل لهما اذا انقضى وقرا سبعة
من القراء وللدار بلامين والاخرة نعت للدار وقرا ابن عامر وحده ولدار بلام
واحدة وكذلك وقع في مصاحف الشام واضافة الدار الى الاخرة وهذا نحو مسجد الجامع
اى مسجد اليوم الجامع فكذلك هذه الدار الحياة الاخرة وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائى وابو بكر عن عاصم يعقلون على ارادة الغائب بالياء وقرا نافع وابن عامر
وحفص عن عاصم على ارادة المخاطبين بالتاء وكذلك في الاعراف وفي اخر يوسف
ووافقهم ابو بكر في اخر يوسف واما افلا تعقلون في يونس فقراة نافع وابن ذكوان
بتاء وهذه الاية تتضمن الرد على قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وهو المقصود بها
ويصح ان يكون قوله افلا تعقلون على معنى فقل لهم يا محمد اذ الحال على هذه الصفة
افلا تعقلون **وقوله تعالى** قد نعلم الاية قد الملازمة للفعل حرف يجي مع التوقع اما عند
المتكلم واما عند المستمع او مقدارا عنده فاذا كان الفعل خالصا للاستقبال
كان التوقع من المتكلم كقولك قد يقوم زيد وقد ينزل المطر في شهر كذا واذا كان
الفعل ماضيا او فعل حال بمعنى المضي مثل هذه الاية فان التوقع ليس من المتكلم بل وجب
ما اخبر به وانما كان التوقع عند السامع فيخبره المتكلم باحد المتوقعين ونعلم يتضمن
اذا كانت من الله عز وجل استمرار العلم وقدمه وهي تعم الماضي والحال
والاستقبال ودخلت لو للمبالغة في التاكيد وقرا نافع وحده ليحزنك من احزان
وقرا الباقون ليحزنك من حزنت الرجل وقرا ابو رجا ليحزنك بكسر اللام والزاى وجزم
النون وقرا الاعمش انه بفتح الهمزة يحزنك بغير لام قال ابو علي الفارسي يقول العرب
حزن الرجل بكسر الزاى يحزن حزنا وحزنته انا وحكى عن الخليل ان قولهم حزنته ليس هو
بغير حزن على نحو دخل وادخلته ولكنه بمعنى جعلت فيه حزنا كما يقول كحلته
ودهنته قال الخليل ولو اردت بغير حزن لقلت احزنته وحكى ابو زيد الانصارى
في كتاب حيلة عن العرب احزنت الرجل قال ابو علي وحزنت الرجل اكثر استعمالا عندهم

من حزنته فمن قرا ليحزنك بضم الياء وكسر الزاى فهو على القياس في التعبير ومن قرا بفتح الياء
وضم الزاى فهو على كثرة الاستعمال والذي يقولون لفظ يعم جميع اقوالهم التى تتضمن الرد
على النبي صلى الله عليه وسلم والدفع في صدر نبوته كقول بعضهم انه كذاب ومفتر ساحر وكاهن
وقول بعضهم انه مجنون مسحور وقول بعضهم انه رئى من الجن ونحو هذا وقرا ابن كثير
وابن عامر وابو عمرو وعاصم وحمزة يكذبونك بتشديد الذال وفتح الكاف وقراها ابن عباس
وردها على قارى قراها عليه يكذبونك بضم اليا وقال انهم كانوا يسمونه الامين وقرا
نافع والكسائى بسكون الكاف وتخفيف الذال وقراها علي بن ابي طالب وهما قراتان
مشهورتان صحيحتان واختلف المتاولون في معناهما فقالت فرقة هما بمعنى واحد كما
يقول سقيت واسقيت وقللت واقللت وكثرت واكثرت وحكى الكسائى ان العرب يقول كذبت
الرجل اذا نسبت الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به دون ان ينسبه
اليه ويقول العرب ايضا اكذبت الرجل اذا وجدته كاذبا كما يقول احمدت الرجل اذا وجدته
محمودا فالمعنى على قراءة من قرا يكذبونك بتشديد الذال اى لا يحزن فانهم لا يكذبونك
تكذيبا يضرك اذ ليست بخلاف في نحقيقك فتكذيبهم كلا تكذيب ويحتمل ان يريد فانهم
لا يكذبونك على هذه الاخبار عنهم انهم لا يكذبونك وانهم يعلمون صدقه ونبوته
ولكنهم يجحدون عنادا منهم وظلما والاية على هذا لاينا ولجميع الكفار بل لمحض الطائفة
التى حكي عنها انها كانت تقول انا لنعلم ان محمدا صادق ولكن اذا امنا به فضلتنا بنو هاشم
بالنبوة فنحن لا نؤمن به ابدا رويت هذه المقالة عن ابي جهل ومن جرى مجراه وحكى
النقاش ان الاية نزلت في الحارث بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف فانه كان يكذب في العلانية
ويصدق في السر ويقول نخاف ان تخطفنا العرب ونحن اكلة راس والمعنى على قراءة من
يكذبونك بتخفيف الذال يحتمل ما ذكرناه اولا اى يكذبونك اى لا يجدونك كاذبا في حقيقتك
ويحتمل هذين الوجهين اللذين ذكرت في التشديد وايات الله علامات وسواهد نبيه
صلى الله عليه وسلم ويجحدون حقيقته في كلام العرب الانكار بعد معرفة وهو ضد
الاقرار ومعناه على تاويل من راى الاية في المعاندين مترتب على حقيقته وهو
قول قتاده والسدى وغيرهما وعلى قول من راى الاية في الكفار قاطبة دون
تخصيص اهل العناد يكون في اللفظ تجوز وذلك انهم لما انكروا نبوته وراموا تكذيبه
بالدعوى التى لا يعضدها حجة عبر عن انكارهم باقبح وجوه الانكار وهو الجحد تغليظا
عليهم وتقبيحا لفعلهم اذ معجزاته واياته نيرة يلزم كل مفطور ان يعلمها ويقرها
قال ع وجميع ما في هذه التاويلات من نفي التكذيب انما هو عن اعتقاداتهم واما
اقوال جميعهم فمكذبة اما له واما الذي جاء به **قال ع** وكفر العناد جائز الوقوع
بمقتضى النظر وظواهر القران يعطيه كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
وغيره وذهب المتكلمين الى المنع من جوازه وذهبوا الى ان المعرفة يقتضى
الايمان والجحد يقتضى الكفر ولا سبيل الى اجتماعهما وتاولوا ظاهر القران وقالوا
في قوله وجحدوا بها انها في ايات التورية التى بدلوها كاية الرجم وغيرها **قال ع** ودفع
ما يتصور ويعقل من جواز كفر العناد على هذه الطريقة صعب الا ان كفر العناد من العارف
بالله وبالنبوة بعيد لانه لا داعية الى كفر العناد الا الحسد ومن عرف الله والنبوة وان
محمدا محمله ملك من السماء فلا سبيل الى نفي الحسد مع ذلك اما انه جائز فقد راى
ابو جهل على راس النبي صلى الله عليه وسلم فحلا عظيما من الابل فذعر بانى جهل ولكنه
كفر بعد ذلك واسند الطبرى ان جبريل عليه السلام وجد النبي صلى الله عليه وسلم
حزينا فسأله فقال كذبني هؤلاء فقال انهم لا يكذبونك بل يعلمون انك صادق ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون والذي عندي في كفر حيي بن اخطب ومن جرى مجراه
انهم كانوا يرون صفات النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفونها او اكثرها ثم يرون
من اياته زائدا على ما عندهم فيتعلقون في مغالطة انفسهم بكل شبهة وبما
ضعف سببه ويحالجون ظنونهم فيقولون مرة هو ذاك ومرة عساه ليس هو ثم
يضاف الى هذا حسدهم وفقدهم الرياسة فيتبرد ويتمكن اعراضهم وكفر
هم فهم على هذا وان عرفوا اشيا وعاندوا فيها فقد قطعوا في ذلك بانفسهم
عن الوصول الى غاية المعرفة وبقوا في ظلمة الجهل فهم جاهلون باشيا
معاندون في اشيا غيرها وانا استبعد العناد مع المعرفة التامة **قوله**

عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك الى قوله فلا تكونن من الجاهلين هذه الاية
تضمنت عرض الاسوة التي ينبغي الاقتدا بها على محمد صلى الله عليه وسلم ووجيته
ان ياتيه مثل ما اتاهم من النصر اذا امتثل ما امتثلوه من الصبر قال الضحاك بن جريج
عز الله بهذه الاية نبيه وروى عن ابن عامر انه قرا واوذوا بغير واو بعد الهمزة ثم
قرر بعد ذلك الرجا بقوله ولا مبدل لكلمات الله اي لا راد لامره وكلماته سابقات
بما يكون ولا مكذب لما اخبر به فكان المعنى فاصبر كما صبروا وانتظر ما ياتي وثق
بهذه الاخبار فانه لا مبدل لها والقصد هنا هذا الخبر وجاء اللفظ عاما جميع كلمات
الله السابقات واما كلام الله في التورية والانجيل فذهب ابن عباس انه لا مبدل
لها وانما حرفها اليهود بالتاويل لا بتبديل حروف والفاظ وجوز كثير من العلماء ان
يكونوا بدلوا الالفاظ لانهم استحفظوها وهو الاظهر واما القران فان الله يضمن
حفظه فلا يجوز فيه التبديل قال تعالى وانا له لحافظون وقال في ذلك بما استحفظوا
من كتاب الله **وقوله تعالى** ولقد جاءك من نبا المرسلين اي فيما نزلناه وقصصناه
عليك ما يقتضي هذا الذي اخبرناك به وفاعل جاءك مضمر على ما ذهب اليه الطبري
والرماني وتقديره ولقد جاءك نبا او انباء **قال ع** والصواب عندي في المعنى ان يقدر
جلاء او بيان وقال ابو علي الفارسي قوله من نبا المرسلين في موضع رفع بجاء
ودخل حرف الجر على الفاعل وهذا على مذهب الاخفش في تجويزه دخول من
في الواجب ووجه قول الرماني ان من لا ترد في الواجب **وقوله تعالى** وان كان كبر
عليك الاية هذه الاية فيها الزام الحجة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقسيم الاحوال عليه
حتى يتبين ان لا وجه الا الصبر والمعنى لامر الله والمعنى ان كنت تعظم تكذيبهم
وكفرهم ويلتزم الحزن عليه فان كنت يقدر على دخول سرب في اعماق الارض او على
ارتقاء سلم في السماء فدونك وشانك به اي انك لا تقدر على شي من هذا ولا بد لك
من التزام الصبر واحتمال المشقة ومعاناتهم بالايات التي تعينها الله للناظرين
اذ هو لا اله الا هو لم يرد ان يجمعهم على الهدى وانما اراد ان ينصب من الايات
ما يهتدي بالنظر فيه قوم ويضل اخرون اذ خلقهم على الفطرة وهدى
السبيل وسبقت رحمته غضبه وله ذلك بحق ملكه فلا تكونن من الجاهلين اي في
ان تاسف على امر اراده الله وامضاه وعلم المصلحة فيه **قال ع** هذا اسلوب معنى
الاية واسم كان يصح ان يكون الامر والشان وكبر اعراضهم خبرها ويصح ان يكون
اعراضهم هو اسم كان ويقدر في كبر ضمير ويكون كبر في موضع الخبر الاول من الوجهين
اقيس والنفق السرب في الارض ومنه نافقا اليربوع والسلم الشي الذي يصعد
عليه ويرتقى ويمكن ان تشتق اسمه من السلامة لانه سببها وجمعه سلاليم ومنه
قول الشاعر لا يحجز المرء احجا الجبال ولا يسلى له في السماء وان السلاليم **وياتيهم
باية** اي بعلامة ويريد اما في فعل كذلك اي لا تكون الاية لبس دخولك في الارض
او في السماء واما في ان ياتيهم باية من احدى الجهتين وحذف جواب الشرط قيل
في قوله ان استطعت الحاز لعلم السامع به تقديره فافعل او ونحو مما تقدم **ولجمعهم**
يحتمل اما بان يخلقهم مؤمنين واما بعد ان يكسبهم الايمان بعد كفرهم بان يشرح
صدورهم **والهدى** الارشاد وهذه الاية ترد على القدرية المفوضة الذين
يقولون ان القدرة لا يقتضي ان يؤمن الكافر وانما ياتيه الانسان من جميع افعاله لا خلق
لله فيه تعالى الله عن قولهم **ومن الجاهلين** يحتمل ان لا يعلم ان الله لو شا لجمعهم
ويحتمل ان يهتم بوجود كفرهم الذي قدره الله واراده ويذهب بك نفسك اي ما لم
يقدره الله به كيف نظهر تباين ما بين قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تكونن
من الجاهلين وبين قوله لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وقد تقرر ان محمدا افضل الانبياء قال مكي والمهدوي الخطاب بقوله فلا تكونن
من الجاهلين له صلى الله عليه وسلم والمراد امته به وهذا ضعيف لا يعطيه
اللفظ وقال قوم وقرن نوح لسنه وشيبه وقال قوم الحمل جاء للحمل على محمد عليه
السلام لقربه من الله تعالى ومكانته عنده كما يحمل المعاتب على قرينه اكثر
من حمل على الاجانب **قال ع** فالوجه الذي عندي في الاية هو ان ذلك لم يجي بحسب
التبيين وانما جاء بحسب الامرين اللذين وقع النهي عنهما والعتاب فيهما وبين ان

ان الامر

ان الامر الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم اكبر قدرا واخطر مرافقة من الذي وقع فيه
نوح عليه السلام **قوله عز وجل** انما يستجيب الذين يسمعون الى قوله ثم اليه يحشرون
هذا من النمط المتقدم في التسلية اي لا تحفل بمن اعرض فانما يستجيب لداعي
الايمان الذين يفهمون الايات ويتلقون البراهين بالقبول فعبر عن ذلك كله
بيسمعون اذ هو طريق العلم بالنبوة والايات المعجزة وهذه لفظة يستعملها
الصوفية اذا بلغت الموعظة من احد مسمعا شافيا قالوا سمع ثم قال تعالى والموتى
يريد الكفار فعبر عنهم ضد ما عبر عن المؤمنين وبالصفة التي تشبه حالهم في العمى
عن نور الله والصمم عن وعي كلماته قاله مجاهد وقتادة والحسن ويبعثهم الله على
معنيين فالحسن معناه يبعثهم بان يؤمنوا حين توفقهم **قال ع** فيجيء الاستعارة
في هذا التاويل في الوجهين في تسميتهم موتى وفي تسمية ايمانهم وهدايتهم بعثا
والواو على هذا مشتركة في العامل عطفت الموتى على الذين ويبعثهم في موضع الحال
وكان معنى الاية انما يستجيب الذين يرشدون حين يسمعون ويؤمنون والكفار حين
يرشدهم الله بمشيئته فلا تتاسف انت ولا تستعجل ما لم تقدر وقرا الحسن ثم اليه
يرجعون فتناسبت الاية وقال مجاهد وقتادة والموتى يريد الكفار اي هم بمثابة الموتى
حين لا يرون هدى ولا يسمعون فيعون يبعثهم الله اي يحشرهم يوم القيامة
ثم اليه اي الى سطوته وعقابه يرجعون وقرات هذه الطائفة يرجعون
بياء والواو على هذا عاطفة جملة كلام على جملة والموتى مبتدا ويبعثهم خبره
فكان معنى الاية انما يستجيب الذين يسمعون فيعون والكفار سيبعثهم
الله ويردهم على عقابه فالاية على هذا متضمنة الوعيد للكفار والعائد
على الذين هو الضمير في يسمعون والضمير في قالوا عائد على الكفار ولولا
تحضيض بمعنى هلا كما قال الشاعر تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني
ضوطرى لولا الكمي المقنعا ومعنى الاية هلا انزل على محمد بيان واضح لا يقع معه توقف
من احد كملك يشهد له او كنز او غير ذلك من تشططهم المحفوظ في هذا فامر صلى الله
عليه وسلم بالرد عليهم بان الله عز وجل القادر على انزال تلك الاية ولكن اكثرهم
لا يعلمون انها لو نزلت ولم يؤمنوا لعوجلوا بالعذاب ويحتمل ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان الله تعالى انما جعل الانذار في ايات معرضة للنظر والتامل ليهتدي قوم
ويضل اخرون **وقوله تعالى** وما من دابة في الارض الاية المعنى التنبيه على ان ايات
الله الموجودة في انواع مخلوقاته اي قل لهم ان الله تعالى قادر على ان ينزل اية الا انكم
لا تعلمون وجه الحكمة في ان لا ينزل اية تبهره وانما تحيل على الايات المنصوبة لمن
فكر واعتبر كالدواب والطير التي قد حصرت جميع الحيوان وهي امم اي جماعات مماثلة
للناس في الخلق والرزق والحياة والموت والبعث ويحتمل ان يريد بالمماثلة انها
في كونها امما لا غير تريد بقولك مررت برجل مثلك انه رجل ويصح ويتخرج ذلك من الاوصاف
الا ان الفائدة في هذه الاية انما يقع بان تكون المماثلة في اوصاف غير كونها امما قال
الطبري وغيره والمماثلة في انها يهتدي باعمالها ويحاسب وتقتص لبعضها من بعض
كما روي في الاحاديث اي فاذا كان هذا يفعل بالبهائم فانتم احرى اذ انتم مكلفون
عقلاء وروى ابو ذر انه انتطحت عنزان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اتعلمون ما انتطحتا قلنا لا قال فان الله يعلم وسيقضي بينهما وقد قال مكي المماثلة في انها
يعرف الله ويعبده وهذا قول خلف ودابة وزنها فاعلة وهي صفة وضعت
موضع الاسم كما قالوا الاجرع والابرق وازيل منه معنى الصفة وليس بالصفة
الغالبة في قولنا وقرات طائفة فلا طائر عطف على اللفظ وقرا ابراهيم ابن ابي
عبلة وطائر بالرفع عطفا على المعنى وقرات فرقة ولا طير وهو جمع طائر **وقوله** بجناحيه
بجناحيه تاكيد وبيان وازالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة فقد يقال
طائر السعد والنحس وقال تعالى الزمناه طائره في عنقه اي عمله ويقال طار لفلان
طائر كذا اي سهمه في المقتسمات فقوله بجناحيه اخراج للطائر عن هذا كله وقرا علقمة
وابن هرمز ما فرطنا في الكتاب بتخفيف الراء والمعنى واحد وقال النقاش معنى فرطنا
مخففة اخرنا كما قالوا فرط الله عنك المرض اي ازاله والاول اصوب والتفريط
التقصير في الشيء مع القدرة على ترك التقصير **والكتاب** القران وهو الذي

يقتضيه نظام العرب المعنى فى هذه الاية وقيل اللوح المحفوظ ومن مشى على هذا القول عام
فى جميع الاشياء وعلى القول بانه القران خاص فى الاشياء التى فيها منافع المخاطبين وطرائق
هداياتهم **ويحشرون** قالت فرقة حشر البهايم موتها وقالت فرقة حشرها بعثها واحتجوا
واحتجوا بالاحاديث المتضمنة ان الله تعالى يقتص للجما من القرنا ومن قال انما هى كناية عن العدل
وليست بحقيقة فهو قول مردود ينحو الى القول بالرموز ونحوها **قوله عز وجل**
والذين كذبوا باياتنا الى قوله ما تشركون كانه قال تعالى وما من دابة
وطاير ولا شئ الا وفيه اية منصوبة على وحدانية الله تعالى ولكن الذين كذبوا باياتنا
صم بكم لا يسمعون ذلك ولا يعقلونه وظاهر الاية انها تعم كل مكذب وقال
النقاش نزلت فى بنى عبد الدار **قال ع** ثم انسحبت على سواهم ثم بين ان ذلك حكم
من الله عز وجل لمشيئته فى خلقه فقال مبتديا بالكلام من يشا الله يضلله
شرط وجوابه وقوله فى الظلمات سوف عن عمى وفى الظلمات اهون عبارة وافصح
واوقع فى النفس **والصراط** الطريق الواضح **وقوله تعالى** قل ارايتكم الاية ابتدا احتجاج
على الكفار الجاهلين لله شركاء والمعنى ارايتم اذا خفتم عذاب الله او خفتم هلاكا
او خفتم الساعة اتدعون اصنامكم وتلجاون اليها فى كشف ذلك ان كنتم صادقين
فى قولكم انها الهة بل تدعون الله الخالق الرازق فيكشف ما خفتموه ان شاء
وتنسون اصنامكم اى تتركونهم فعبر عن الترك باعظم وجوهه الذى هو مع الترك
ذهول واغفال فكيف يجعل الها من هذه حاله فى الشدايد والازمات وقرا ابن
كثير وعاصم وابو عمرو وابن عامر وحمزة ارايتكم بالف مهموزة على الاصل لان الهمزة
عين الفعل وقرا نافع بتخفيف الهمزة بين بين على عرف التخفيف وقياسه وروى
عنه انه قراها بالف ساكنة وحذف الهمزة وهذا تخفيف على غير قياس والكاف
فى ارايتك زيدا وارايتكم ليست باسم فانما هى مجردة للخطاب كما هى فى ذلك انصرك
زيدا ونحوه ويدل على ذلك ان ارايت بمعنى العلم انما يدخل على الابتداء والخبر والاول
من مفعوليها والثانى بعينه والكاف فى ارايتك زيدا ليست المفعول الثانى كقوله
تعالى ارايتك هذا الذى كرمت على فاذا لم تكن اسما صح انها مجردة للخطاب واذا
تجردت للخطاب صح ان التاء ليست للخطاب كما هى فى انت لان علامتى خطاب
لا تجتمع على كلمة واحدة كما لا يجتمع علامتا تانيث ولا علامتا استفهام فلما تحركت
التاء من الخطاب وبقيت علامة الفاعل فقط استغنى عن اظهار تعيين الجمع
فيها والتانيث لظهور ذلك فى الكاف وبقيت التاء على حد واحد فى الافراد والتثنية
والجمع والتانيث وروى عن بعض بنى كلاب انه قال اتعلمتك ان احدا كان اشعر
من ذى الرمة فهذه الكاف صلة للخطاب **واتاكم عذاب الله** معناه اتاكم خوفه
وامارته واوايله مثل الحدث والماساة والامراض ونحوها التى يخاف منها الهلاك
ويدعوا الى هذا التاويل انا لو قدرنا اتيان العذاب وحلوله لم يترتب ان يقول بعد
ذلك فيكشف ما تدعون لان ما قد صح حلوله ومضى على البشر ويحتمل ان يراد بالساعة
فى هذه الاية ساعة موت الانسان **وقوله تعالى** بل اياه تدعون الاية المعنى بل لا تلجاكم
الا الى الله واصنامكم مطرحة منسية وما بمعنى الذى تدعون اليه من اجله ويصح ان
يكون ظرفية ويصح ان تكون مصدرية على حذف فى الكلام قال الزجاج هو مثل قوله واسال
القرية والضمير فى اليه يحتمل ان يعود الى الله تعالى بتقدير فيكشف ما تدعون الله
اليه وان شاء استثنى لان المحنة على ما بتقدير فيكشف ما تدعون الله اليه
لان المحنة اذا اطلت عليهم فدعوا الله فى كشفها فصرفها فهو لا اله الا هو كاشف
ان شاء ومصيت ان شاء لا يجب عليه شئ ويقدم معنى تنسون واياه اسم مضمر
اجرى مجرى المظهرات فى انه يضاف ابدا وقيل هو سبهم وليس بالقوى لان
الاسماء المبهمة مضمنة الاشارة الى حاضر نحو قولك ذلك وتلك وهؤلاء
واياليس فيه معنى الاشارة **قوله تعالى** ولقد ارسلنا الى امم من قبلك الى قوله
والحمد لله رب العالمين فى الكلام حذف يدل عليه الظاهر تقديره فكذبوا فاخذنا
هم معناه لازمناهم وتابعنا هم الشئ بعد الشئ والباساء المصائب فى الاموال
والضراء فى الابدان هذا قول الاكثر وقيل قد يوضع كل واحد بدل الاخر ويؤدب
الله تعالى عباده بالباساء والضراء ومن هنا ادب العباد نفوسهم بالباساء

فى تفريق

فى تفريق الاموال والضراء فى الحمل على البدن من جوع وعرى والترجى فى لعل فى هذا الموضع
انما هو على معتقد البشر اى لو راى احد ذلك الفعل لرجا تضرعهم لتشبه
والتضرع التذلل والاستكانة وفى مثل ان الحمى اضرعتنى لك ومعنى الاية توعد الكفار
وضرب المثل لهم ولولا تحضيض وهى التى تلى الفعل بمعنى هلا وهذا على جهة المعاتبة
لذنب غائب واظهار للسوء فعله مع تحسر ما عليه والمعنى اذ جاءهم اوايل البأس
وعلاماته وهو تردد البأساء والضراء وقست معناه صلبت وهى عبارة عن
الكفر ونسب التزيين الى الشيطان وقد قال الله تعالى فى اية اخرى لذلك زينا لكل امة
عملهم لان تشبيب الشيطان ووسوسته تجلب حسن الكفر فى قلوبهم وذلك
المجلوب لله بخلقه فان نسب الى الله فبانه خالقه والى الشيطان فانه مسبب **وقوله تعالى**
فلما نسوا الاية عبر عن الترك بالنسيان اذ ابلغ وجوه الترك الذى يكون معه نسيان
وزوال المتروك عن الذهن وقرا ابن عباس فيما روى عنه فتحنا بتشديد التاء
وكل شئ معناه مما كان سد عليهم بالبأساء والضراء من النعم الدنيوية وهو
عموم معناه خصوص **وفرحوا** معناه نظروا واسروا واعجبوا وظنوا ان ذلك
لا يبيد وانه دال على رضى الله تعالى عنهم وهو استدراج من الله تعالى وقد روى
عن بعض العلماء انه قال رحم الله عبدا تدبر هذه الاية حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذنا
هم بغتة وقال محمد بن النضر الحارثى امهل هؤلاء القوم عشرين سنة وروى عقبة
ابن عامر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم الله يعطى العباد ما يشاؤون على
معاصيهم فذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا الاية كلها واخذناهم فى هذا الموضع
استاصلناهم وسطونا بهم وبغتة معناه فجاة والعامل فيه اخذناهم وهو
مصدر فى موضع الحال لا يقاس عليه عند سيبويه **والمبلس** الحزين الباهت اليائس
اليائس من الخير الذى لا يحير جوابا لشدة ما نزل به من سوء الحال **وقوله تعالى** فقطع
دابر القوم الاية الدابر اخر الامر الذى يدبره اى ياتى من خلفه ومنه قول الشاعر
فاهلكوا بعذاب خص دابرهم فما استطاعوا له دفعا ولا انتصروا ومنه
قول الاخر وقد عممت علينا بعيض ولغيها باتى وحيد قد تقطع دابرى و
هذه كناية عن استئصال شانهم ومحو اثارهم كانهم وردوا العذاب حتى
ورد اخرهم الذى دبرهم وقرا عكرمة فقطع بفتح القاف والطاء دابر بالنصب
وحسن الحمد عقيب هذه الاية لجمال الافعال المتقدمة فان ارسال الرسل واللطف فى الاخذ
بالبأساء والضراء ليتضرع اليه فيرحم وينعم وقطع فى اخر الامر دابر الظالمين وذلك
حسن فى نفسه ونعمة على المؤمنين فحسن الحمد بعقب هذه الافعال ويحمد الله ينبغى
ان يختم كل فعل وكل مقالة لا رب غيره **قوله عز وجل** قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم الى قوله بما كانوا يفسقون هذا ابتدا احتجاج على الكفار واخذ الله معناه
اذهبه وانتزعه بقدرته ووحد السمع لانه مصدر مفرد يدل على جمع والضمير فى به
عائد على الماخوذ وقيل على الهدى الذى يتضمنه المعنى وقرا الاعرج وغيره به انظر
بضم الهاء ورواها المسيبى وابو قرة عن نافع ويصدفون معناه يعرضون وينفرون
ومنه قول الشاعر اذا ذكرن حديثا قلن احسنه وهن عن كل سوء يتقى صدف قال
النقاش فى الاية دليل على تفضيل السمع على البصر لتقدمه هنا ثم احتج لذلك بقوله
تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وبغير ذلك والاستفهام فى قوله من اله معناه
التوقيف اى ليس ثم اله سواه فما بال تعلقكم بالاصنام وتمسككم بها وهى
لا تدفع ضررا والايات فى بالحجج وتصريف الايات هو نصب العبر ومجى ايات القران بالانذار
والاعذار والبشارة ونحوه وقوله تعالى قل ارايتكم الاية وعيد وتهديد وبغتة
معناه لا يتقدم عندكم منها علم وجهرة معناه تبدو لكم مخايله وسببه ثم
تتوالى حتى تهلك قال الحسن ابن ابى الحسن بغتة ليلا وجهرة نهارا وقال مجاهد
بغتة فجاة امنين وجهرة وهم ينظرون وقرا ابن محيصن هل يهلك على بناء
الفعل للفاعل والمعنى هل يهلك الا انتم لان الظلم قد تعين فيكم وهل
ظاهرها الاستفهام ومعناها هنا التسوية المتضمنة للنفى ولا تكون التسوية بها
الا فى النفى وتكون بالالف فى نفى وايجاب **وقوله تعالى** وما نرسل المرسلين الاية المعنى
انما نرسل الانبياء المخصوصين بالرسالة ليبشروا بانعامنا ورحمتنا لمن

امن وتبدروا بعد ابنا وعقابنا لمن كذب وكفر وليسا نرسلهم لنقترح عليهم
الايات ونتابع اهوا شذوذ كل متعسف متعمق ثم وعد من سلك طريق البشارة
فامن واصلح في امتثال الطاعات واوعد الذين سلكوا طريق وكذب بايات الله
وفسق اي خرج عن الحد في كفره وعصيانه وقال ابن زيد كل فسق في القران فمعناه الكذب
ذكره عنه الطبري مسندا ويمسهم اي يباشرهم ويلصق بهم وقرا الحسن
وعكرمة العذاب بما على ادغام الباء في الباء وروي عن ابي عمرو وقرا يحيى
ابن وثاب والاعمش يفسقون بكسر السين وهي لغة **وقوله تعالى** قل لا اقول لكم
عندي خزائن الله الى قوله لعلهم يتقون هذا من الرد على القائلين لولا انزل
عليه اية والطالبين ان ينزل عليه ملك او تكون له جنة او كنز ونحو هذا والمعنى
ليست بهذه الصفات فيلزمني ان احسكم باقتراحاتكم **وقوله** ولا اقول لكم عندي
خزائن الله يحتمل معنيين اظهرهما ان يريد اني لا اشير لشيء عنده من خزائن الله
ولا من قدرته ولا يعلم شيئا مما غيب عنه والاخر انه ليس بالله فكانه قال لا اقول لكم
اني اتصف باوصاف الاله في ان عندي خزائنه واني اعلم الغيب وهذا قول
الطبري ويعطي قوة اللفظ في هذه الاية ان الملك افضل من البشر وليس ذلك
بلازم من هذا الموضع وانما الذي يلزم منه ان الملك اعظم موقعا في نفوسهم
واقرب الى الله والتفصيل يعطيه المعنى عطا حقا وهو ظاهر من ايات اخر
وهي مسئلة خلاف **وقوله** وما يوحى يريد من القران وسائر ما ياتي به الملك اي
وفي ذلك عبر وايات لمن تامل ونظر **وقوله تعالى** الاية اي قل لهم هل يستوي
الناظر المفكر في الايات مع المعرض الكافر المهمل النظر فالاعمى والبصير مثلان للمؤمن
والكافر اي نكروا انتم وانتظروا وجاء الامر بالفكرة في عبارة العرض والتحضيض
وانذر عطف على قل والنبي صلى الله عليه وسلم مامور بانذار جميع الخلائق
وانما وقع التخصيص هنا بحسب المعنى الذي قصد وذلك فيما تقدم من الايات
نوع من الناس لا يغلب عن هؤلاء الكفرة الذين قال منهم ايضا انذرتهم
ام لم تنذرهم لا يومنون فكانه قيل له هنا هؤلاء الكفرة المعرضين كذا ودعهم
وراءهم لانفسهم وانذر بالقران هؤلاء الاخر الذين هم مظنة الايمان
واهل الانتفاع ولم يرد انه لا ينذر سواهم بل الانذار العام ثابت متعين
والضمير في به عائد على ما يوحى **ويخافون** واعلى بابها في الخوف اي الذين يخافون
ما يخفوه ان يحشروا ويستعدون لذلك اي الذين يخافون ما يحققونه من ان
يحشروا ويستعدون ورب متحقق لشيء متخوف وهو لقلة النظر والحزم لا يحاله
لا يخافه ولا يابه ولا يستعد له **قال ع** وقال الطبري وقيل يخافون هنا بمعنى
يعلمون ان يحشروا الى ربهم يعم بنفس اللفظ كل مؤمن بالبعث من مسلم ويهودي
ونصراني **وقوله تعالى** ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع يحتمل معنيين قال
جعلناه داخلا في الخوف في موضع نصب على الحال اي يخافون ان يحشروا في حال
من لا ولي له ولا شفيع فهي مختصة بالمؤمنين المسلمين لان اليهود والنصارى
يزعمون ان لهم شفعاء وانهم ابناء الله ونحو هذا من الاباطيل وان جعلنا قوله
ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع اخبارا من الله عن صفة الحال يومئذ
فهي عامة للمسلمين واهل الكتاب ولعلهم يتقون ترج على حسب ما يرى
البشر ويعطيه تطرهم **قوله عز وجل** ولا تطرد الذين يدعون ربهم الى قوله بالشا
بالشاكرين المراد بالذين ضعفة المؤمنين في ذلك الوقت في امور الدنيا كبلال
وعمار وابن ام معبد ومرثد الغنوي وخباب وصهيب وصبيح وذي الشمالين
والمقداد ونحوهم وسبب الاية ان الكفار قال بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم
نحن لسروتنا واقدارنا لا يمكننا ان نختلط بهؤلاء فلو طردتهم لاتبعناك وجا
لسناك وورد في ذلك حديث عن ابن مسعود وقيل انما قال هذه المقالة ابو طالب
على جهة النصح للنبي صلى الله عليه وسلم قال له لو ازلت هؤلاء لاتبعك اشراف
قومك وروي ان ملا قريش اجتمعوا الى ابي طالب في ذلك وظاهر الامر انهم ارادوا
بذلك الامر الخديعة فصوب هذا الراي من ابي طالب عمر بن الخطاب وغيره من
المومنين فنزلت الاية وقال ابن عباس ان بعض الكفار انما طلب ان يؤخر هؤلاء عن

عن الصف الاول

عن الصف الاول في الصلوة ويكونهم في موضعهم ويومنون اذا طردوا هؤلاء من الصف
الاول فنزلت الاية اسند الطبري الى خباب بن الارت ان الاقرع بن حابس ومن شابهه
من اشراف العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا منك مجلسا لا يخالطنا فيه
العبيد والحلفاء يعرفونه فصلنا واكتب لنا كتابا ففهم النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فنزلت الاية **قال ع** وهذا تاويل بعيد في نزول الاية لان الاية مكية وهؤلاء
الاشراف لم يفدوا الا في المدينة وقد يمكن ان يقع هذا القول منهم ولكنه
ان وقع فبعد نزول الاية بمدة اللهم الا ان تكون الاية مدنية قال خباب ابن
الارت ثم نزلت واذا جاءك الذين يومنون باياتنا الاية فكنا ناتيه فيقول لنا
السلام عليكم ويقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله فاصبر نفسك
فاصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية فكان يقعد معنا فاذا
بلغ الوقت الذي يقوم فيه قمنا وتركناه حتى يقوم **ويدعون ربهم بالغداة
والعشي** قال المراد به صلوة مكة التي كانت مرتين في اليوم بكرة وعشيا
وقيل بل قوله بالغداة والعشي عبارة عن استمرار الفعل وان الزمن معمور
به كما تقول الحمد لله بكرة وعشيا واصيلا فانما تريد الحمد لله في كل وقت والمراد
على هذا التاويل هو الصلوات الخمس قاله ابن عباس وابراهيم وقيل الدعاء وذكر
الله واللفظة على وجهها وقال بعض القصاص انه الاجتماع اليهم بكرة وعشيا
فانكر ذلك ابن المسيب وعبد الرحمن بن ابي عمرة وغيرهما وقالوا انما الاية في
الصلوات في الجماعة وقيل قراءة القران وتعلمه قاله ابو جعفر الطبري وقيل العبادة
قاله الضحاك وقرا ابو عبد الرحمن ومالك بن دينار والحسن ونصر بن عاصم وابن
عامر بالغداة والعشي وروي عن ابي عبد الرحمن بالغدوة بغير هاء وقرا
ابن ابي عبلة بالغدوات والعشيات بالالف فيهما على الجمع وغدوة معرفة
لانها جعلت علما للوقت من ذلك اليوم وجاز ادخال الالف واللام عليها كما
حكى ابو زيد امنته سنة غير مصروف والعشية بعد العشية لام المعرفة ما استعمل
معرفة وجه على ما حكاه الخليل انه يقال لقيته اليوم غدوة منونا ولان فيها
مع تعريف اليوم امكان تقدير الشياع ذكره ابو علي الفارسي ووجهه في هذا
الموضع معناه جهته التزلف اليه كما يقول خرج فلان في وجه كذا اي في مقصد
وجهه وما عليك من حسابهم من شيء معناه لم يكلف شيئا غير دعائهم فتتقدم انت
وتوحي ويظهر ان يكون الضمير في حسابهم وعليهم للكفار الذين ارادوا طرد
المؤمنين اي ما عليك منهم امنوا او كفروا فتطرد هؤلاء رعيا لذلك والضمير
في تطردهم عائد على الضعفة من المؤمنين ويؤيد هذا التاويل ان ما بعد الفاء ابدا
سبب ما قبلها وذلك لا يبين اذا كانت الضمائر كلها للمؤمنين وحكى الطبري ان
الحساب هنا انما هو في رزق الدنيا اي لا ترزقهم ولا يرزقونك **قال ع** فعلى
هذا تجيء الضمائر كلها للمؤمنين وذكر المهدوي عن الحسن انه قال من حساب
عملهم كما قال الجمهور ومن الاولى للتبعيض والثانية زائدة مؤكدة **وقوله تعالى**
فتطردهم جواب النفي في قوله ما عليك **وقوله تعالى** فتكون جواب النهي في قوله ولا تطرد
وتكون من الظالمين معناه الذين يضعون الشيء في غير مواضعه **وقوله تعالى** وكذلك
فتنا بعضهم ببعض الاية فتنا معناه في هذه الاية ابتلينا فابتلاء المؤمنين بالمشركين
هو ما يلقون منهم من الاذى وابتلاء المشركين بالمؤمنين هو ان يرى الرجل الشريف
من المشركين قوما لا شرف لهم قد عظمهم هذا الدين وجعل لهم عند نبيه
قدرا ومنزلة والاشارة بذلك الى ما ذكر من طلبهم ان يطرد الضعفة وليقولوا
معناه ليصير امرهم بحكم القدر فهي لام الصيرورة كما قال تعالى فالتقطه ال
فرعون ليكون لهم عدوا اي ليصير ماله ان يكون لهم عدوا وقول المشركين على هذا
هذا التاويل اهؤلاء من الله عليهم من بيننا هو على جهة الاستخفاف
والهزء ويحتمل الكلام معنى اخر وهو ان يكون اللام في ليقولوا على بابها في لام كي
وتكون المقالة منهم استفهاما لانفسهم ومباحثة لها ويكون سببا لايمان
من سبق ايمانه منهم فمعنى الاية على هذا التاويل وكذلك ابتلينا اشراف الكفار
وضعفاء المؤمنين ليتعجبوا في نفوسهم من ذلك ويكون سبب نظر لمن هدى

قالع والتاويل الاول اسبق والثاني يخرج ومن على كلا الوجهين انما هي على معتقد المؤمنين
اي هولاء من الله عليهم بزعمهم اي ارذ منهم منه وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين
اي بانهم المستحقون او المتعجبون على التاويل الاخر ليس الامر امر استحقاق ولا يعجب
فالله اعلم بمن شكر نعمته وبالمواضع التي ينبغي ان توضع فيها فجا اعلامهم بذلك
في لفظ التقدير اذ ذاك بين لا يمكنهم فيه معانده قوله عز وجل واذا جاءك
الذين يومنون باياتنا الاية قال جمهور المفسرين الذين يرادبهم الذين عرض طردهم
فنهى الله عز وجل عن طردهم وشفع ذلك بان امر بان يسلم النبي صلى الله عليه وسلم
عليهم ويونسهم وقال عكرمة وعبد الرحمن بن زيد الذين يرادبهم القوم من المؤمنين
الذين صوبوا راي ابي طالب في طرد الضعفه فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يسلم عليهم ويعلمهم ان الله يغفر لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره
واسند الطبري عن ماهان انه قال نزلت الاية في قوم من المؤمنين استفتوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم في ذنوب سلفت منهم فنزلت الاية بسببهم قالع وهي
على هذا تعم جميع المؤمنين دون ان يشير الى فرقة وقال الفضيل بن عياض قال قوم
للنبي صلى الله عليه وسلم انا قد اصبنا ذنوبا فاستغفر لنا فاعرض عنهم فنزلت
الاية وقوله تعالى باياتنا يعم جميع ايات القران وايضا علامات النبوة وكلها وسلام
عليكم ابتداء والتقدير سلام ثابت او واجب عليكم والمعنى امنة لكم من عذاب الله
في الدنيا والاخرة وقيل المعنى ان الله يسلم عليكم قالع وهذا معنى لا يقتضيه لفظ
الاية حكاه المهدوي ولفظه لفظ الخبر وهو في معنى الدعاء وهذا من المواضع التي جاز
فيها الابتداء بالنكرة اذ قد تخصصت وكتب بمعنى اوجب والله تعالى لا يجب عليه
شيء عقلا الا اذ اعلمنا انه قد حتم بشيء ما فذلك واجب وفي اي هذا الكتاب اختلف
قيل في اللوح المحفوظ وقيل في كتاب غيره لقوله صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري ان
الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وقرا عاصم وابن عامر
انه بفتح الهمزة الاولى والثانية فانه الاولى بدل من الرحمة وانه الثانية خبر ابتداء
مضمر تقديره فامره انه غفور رحيم وهذا مذهب سيبويه وقال النحاس هي عطف
على الاولى وتكريرها لطول الكلام قال ابو علي لا يجوز لان من لا تخلو اما ان يكون
موصوله بمعنى الذي فتحتاج الى خبر او تكون شرطية فتحتاج الى جواب فاذا جعلنا
فانه تكريرا للاولى وعطفا عليها فبقي المبتدا بلا خبر والشرط بلا جواب وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي انه بفتح الهمزة في الاولى والثانية وهذا على جهة التفسير للرحمة
في الاولى والقطع فيها وفي الثانية اما موضع الخبر او موضع الجواب الشرط وحكم ما بعد
الفاء انما هو الابتداء وقرا نافع بفتح الاولى وكسر الثانية وهذا على ان انه بدل من الرحمة
واستانف بعد الفاء وقرات فرقة بكسر الاولى وفتح الثانية حكاه الزهراوي عن الاعرج
والظنه وهما لان سيبويه حكى عن الاعرج مثل قراءة نافع وقال ابو عمرو الداني قراءة الاعرج
ضد قراءة نافع والجهالة في هذا الموضع تعم التي تضاد العلم والتي تشبه بها وذلك ان
المتعمد لفعل الشيء الذي قد نهي عنه يسمى معصيته تلك جهالة اذ قد فعل ما يفعله
الذي لم يتقدم له علم قال مجاهد من الجهالة ان لا يعلم حلالا من حرام ومن جهالته
ان يركب الامر ومن هذا الذي لا يضاد العلم قول النبي صلى الله عليه وسلم في
استعاذته او اجهل او يجهل علي ومنه قول الشاعر الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا والجهالة المشبهة ليست بعذر في الشرع جملة والجهالة
الحقيقة تعذر بها في بعض ما يخف من الذنوب ولا تعذر بها في كثيرة والتوبة الرجوع
وصحتها مشروطة باستدامة الاصلاح بعدها في الشيء الذي تيب منه
والاشارة بقوله وكذلك الى ما تقدم من النهي عن طرد المؤمنين وبيان
فساد منزع العاصين لذلك وتفصيل الايات تبيينها واظهارها
وشرحها واللام في قوله ولتستبين متعلقة بفعل مضمر تقديره ولتستبين
سبيل المجرمين فصلناها وقراءة نافع ولتستبين بالتاء على خطاب النبي صلى الله
عليه وسلم سبيل بالنصب حكاه مكي عن المشكل له وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وحفص عن عاصم ولتستبين سبيل المجرمين برفع السبيل و
تانيثها وقرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي وليستبين سبيل

برفع

برفع السبيل وتذكيرها وعرب الحجاز تونث السبيل وتميم واهل نجد يذكرها وخص سبيل
المجرمين بانهم الذين اباروا ما تقدم من الاقوال وهم اهم في هذا الموضع لانها ايات
رد عليهم وايضا فتبين سبيلهم يتضمن بيان سبيل المؤمنين وتاول ابن زيد
ان قوله المجرمين المعني به الامرين من يطرد الضعفه قوله تعالى قل اني نهيت ان
اعبد الذين يدعون من دون الله الى قوله والله اعلم بالظالمين امر الله نبيه عليه
السلام ان يجاهدهم بالتبري مما هم فيه وان اعبد هو بتاويل المصدر التقدير عن عبادتهم
ثم حذف الخافض فتسلط الفعل ثم وضع ان اعبد موضع المصدر وعين عن الاصنام
عن الاصنام بالذين على زعم الكفار حين انزلوها منزلة من يعقل وتدعون
معناه تعبدون ويحتمل ان يريد يدعون في اموركم وذلك من معنى العبادة واعتقادها
الهة وقرا الجمهور الناس قد ضللت بفتح اللام وقرا يحيى بن وثاب وابو عبد الرحمن
السلمي وطلحة بن مصرف ضللت بكسرها وهما لغتان واذا في هذا الموضع متوسطة
وما بعدها معتمد على ما قبلها وهي غير عاملة الا انها تتضمن معنى الشرط فهي
بتقدير ان فعلت ذلك والهوا جمع هوى وهو الارادة والمحبة من المودات
من الامور وهذا غالب استعمال الهوى وقد تقدم وقوله تعالى قل اني على بينة
من ربي الاية عماد في الصحاح ما بينه لهم والمعنى قل اني على امر بين فحذف الموصوف
ثم دخلت ها المبالغة في بينة مجردة للتانيث وتكون بمعنى البيان كما قال الوحي
منحي عن بينة والمراد بالاية انها المكذبون في اعتقادي ويقيني وما حصل ويقيني
من العلم على بينة من ربي وكذبتم به الضمير في به عائد على هي في تقديرها المبالغة
او على البيان التي هي بينة بمعناه في تاويل الاخر وعلى الرب وقيل على القران
وهو وان لم يتقدم له ذكر جلي وانه بعض البيان الذي حصل الاعتقاد واليقين
للنبي صلى الله عليه وسلم فيصح عود الضمير عليه قالع والنبي صلى الله عليه وسلم
امور غير القران وقع له العلم من جهتها كتكلم الحجارة له ورويته الملك قبل
الوحي وغير ذلك وقال بعض المفسرين وقيل المراد بها العذاب وهذا يترجح من وجهين
احدهما من جهة المعنى وذلك ان قوله وكذبتم به يتضمن انكم واقعتم ما تستوجبون به
العذاب الا انه ليس عندي والاخر من جهة اللفظ وهو الاستعمال التي لم يات
في القران استعجالهم الا العذاب لا اقتراحهم الايات لم يكن باستعجال وقوله
ان الحكم الا لله اي القضاء والانفاذ يقضي الحق اي يخبر به والمعنى يقص القصص
الحق وهذه قراءة ابن كثير وعاصم ونافع وابن عباس وقراءة ابو عمرو وحمزة يقضي
الحق اي يبعده ويرجح هذه القراءة قوله وهو خير الفاصلين لان الفصل مناسب
القضاء وقد جاء ايضا الفصل والتفصيل مع القصص وفي مصحف عبد الله بن
مسعود وهو اسرع الفاصلين قال ابو عمرو الداني وقرا عبد الله وابي ويحيى بن وثاب
وابراهيم النخعي وطلحة والاعمش يقضي بالحق بزيادة الجر وقرا مجاهد وسعيد بن
جبير يقضي الحق وهو خير الفاصلين وقوله تعالى قل لو ان عندي الاية المعنى
لو كان عندي الايات المقترحات العذاب على التاويل الاخر لقضي الامر اي لوقع
الانفصال وتم التنازع لظهور الاية المقترحة او لنزول العذاب بحسب التاويلين
وحكى الزهراوي او المعنى لقامت القيامة ورواه النقاش عن عكرمة وقال
بعض الناس معنى لقضي الامر اي لذبح الموت قال وهذا قول ضعيف جدا لان قائله
سمع هذا المعنى في قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وذبح الموت هنا لا يتعلمه
الى هذا الموضع دون شبه واسند الطبري هذا القول الى ابن جريج غير معهد بهذه
السورة والظن بابن جريج انه انما فسر الذي في يوم الحسرة والله اعلم بالظالمين
يتضمن الوعيد والتهديد قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب الى قوله بما كنتم
تعملون مفاتح جمع مفتاح وهذه استعارة عبارة عن التوصل الى الغيوب
كما يتوصل في الشاهد بالمفتاح الى الغيب عن الانسان ولو كان جمع مفتاح
يقال مفاتيح ويظهر ايضا ان مفتاح جمع مفتح بفتح الميم اي مواضع تفتح عن
المغيبات ويويد هذا قول السدي وغيره مفاتح الغيب خزائن الغيب فاما
مفتح بالكسر وهو بمعنى مفتاح قال الزهراوي ومفتح افصح وقال الغزالي
وغيره الاشارة بمفاتح الغيب هي الخمسة التي في اخر سورة لقمان ان الله عنده

علم الساعة الاية لانها يعم جميع الاشياء التي لم توجد بعد ثم قوى البيان بقوله ويعلم
ما في البر والبحر تنبيها على اعظم المخلوقات المجاورة للبشر وقوله تعالى من ورقة
على حقيقة في ورق النباتات ومن زايدة والا يعلمها يريد على الاطلاق وقبل السقوط
وبعده ومعه ولا حبة في ظلمات الارض يريد في اشد حال التعب وهذه كلها وان كان
داخلا في قوله وعنده مفاتح الغيب عند من راها في الخمس وغيرها ففيه البيان والايضاح
والتنبيه على هذه الغير اذا كانت هذه المحقرات معلومة فغيرها من الجلايل احرى
ولا رطب ولا يابس عطف على اللفظ وقرا الحسن وابن ابي اسحق ولا رطب ولا
يابس بالرفع عطفا على الموضع لان التقدير وما تسقط ورقة والا في كتاب مبين قيل يعني به
كتابا على الحقيقة ووجه الفائدة فيه امتحان ما يكتبه الحفظة وذلك انه روي ان
الحفظة يدفعون ما كتبوه ويعارضونه هذا الكتاب المشار اليه ليتحققوا صحة ما كتبوه
وقيل المراد بقوله الا في كتاب علم الله عز وجل المحيط بكل شيء وحكى النقاش عن جعفر
ابن محمد قولا ان الورقة يراد بها السقوط من اولاد بني ادم والحبة يراد بها الذي
لم يسقط فالرطب يراد به الحي واليابس يراد به الميت وهذا قول جار على طريقة
الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه قوله تعالى وهو الذي
يتوفاكم الاية فيها ايضاح الايات المنصوبة للنظر وفيها ضرب مثال للبعث من
القبور لان هذا ايضا اماتة وبعث على نحو ما والتوفي هو استيفاء العدد قال
الشاعر ان بني الادرم ليسوا من احد ولا توفاهم قريش في العدد وصارت اللفظة
عرفا في الموت وهي في النوم على بعض التجوز وجرحتم معناه كسبتم ومنه جوارح
الصيد اي كواسبه ومنه جوارح البدن لانها كواسب النفس ويحتمل ان يكون
جرحتم هنا من الجرح كان الذنب جرح في الدين والعرب يقول وجرح اللسان كجرح اليد
وروي عن ابن مسعود او سلمان ومالك بن دينار انه قال ان هذه الذنوب
جراحات فمنها شوى ومنها مقتلة الا وان الشرك بالله مقتلة ويبعثكم
يريد به الايقاظ والضمير في فيه عايد على النهار قاله مجاهد وقتادة والسدي
وذكر النوم مع الليل واليقظة مع النهار بحسب الاغلب وان كان النوم يقع
بالنهار واليقظة فنادر ويحتمل ان يعود الضمير اي يوقظكم في التوافي اي في حلاله
وبيضا عنه قاله عبد الله بن كثير وقيل يعود على الليل وهكذا تلق في اللفظة وهو
في المعنى نحو من الذي قبله وقرا طلحة بن مصرف وابو رجا ليقضي اجلا مسمى
والمراد بالاجل اجال بني ادم ثم اليه مرجعكم يريد بالبعث والنشور ثم ينبئكم
اي يعلمكم اعلام توقيف ومحاسبة قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده
الاية القاهر ان احد صفة فعل مظهر القهر بالصواعق والرياح العذاب
فيصح ان يجعل فوق ظرفية للجهة لان هذه الاشياء انما تعاهدها العباد من
فوقهم وان احد القاهر صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز
ان يكون للجهة وانما هي لعلو القدر والشان على حد ما تقول الياقوت فوق الحديد
ويرسل عليكم معناه بينهم فيكم وحفظة جمع حافظ مثل كاتب وكتبة والمراد
بذلك الملايكة الموكلون بكتب الاعمال وروي انهم الملايكة الذين قال فيهم النبي صلى الله
عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار وقاله السدي وقتادة
وقال بعض المفسرين حفظة يحفظون الانسان من كل شيء حتى ياتي اجله والاول
اظهر وكلهم غير حمزة قرا توفته رسلنا على لفظ تانيث الجمع كقوله عز وجل ولقد
كذبت رسل وقرا حمزة توفاه رسلنا ووجهه ان التانيث غير حقيقي وظاهر الفعل
انه ماض كقوله تعالى وقال نسوة ويحتمل ان يكون بمعنى يتوفاه فتكون العلامة
مؤنثة واما لحمزة من حيث خط المصحف بغير الف وكانها انما كتبت على الامالة
وقرا الاعمش يتوفاه رسلنا بزيادة ياء في اوله والتذكير وقوله تعالى رسلنا يريد
على ما ذكر ابن عباس وجميع اهل التاويل ملايكة مقربين بملك الموت يعاونونه
ويامرون له وقرا الاعرج يفرطون بالتخفيف ومعناه يجاوزون الحد مما امروا به
قال ابو الفتح فكما ان المعنى في قراءة العامة يقصرون فكذلك هو في هذه لا يزيدون
على ما امروا به ورجع اللفظ في قوله ثم ردوا من الحضرة الى الغيبة والضمير
في ردوا عايد على المتقدم ذكرهم ويظهر ان يعود ذكرهم على العباد فهو اعلام بعد

الكل

برد الكل وجاءت المخاطبة بالكاف في قوله عليكم فقربا للموعظة من نفوس السامعين
وقوله ومولاهم لفظ عام لانواع الولاية التي تكون بين الله وبين عبيده من الرزق و
النصرة والمحاسبة والملك وغير ذلك وقوله الحق نعت لمولاهم ومعناه الذي ليس
بباطل ولا بمجاز وقرا الحسن ابن ابي الحسن والاعمش الحق بالنصب وهو على المدح
ويصح على المصدر الا له الحكم ابتداء كلام متضمن التنبيه وهو نفس التنبيه و
الحكم تعريفه للجنس اي جميع انواع التصرفات في العباد واسرع الحاسبين
متوجه على ان الله تعالى حسابه لعبيده صادر عن علمه بهم فلا يحتاج في ذلك الى
عداد ولا تكلف سبحانه لا رب غيره وقيل لعلي بن ابي طالب كيف يحاسب الله
العباد في يوم واحد قال كما يرزقهم في الدنيا في يوم واحد قوله عز وجل قل من
ينجيكم من ظلمات البر الاية هذا تماد في توبيخ العادلين بالله الاوثان وتوقيفهم
على سوء الفعل في عبادتهم الاصنام وتركهم الذي ينجي من المهلكات ويلجا اليه
في الشدايد ومن استفهام رفع بالابتداء وقرا عاصم وحمزة والكسائي من
ينجيكم قل الله ينجيكم فيهما بتشديد الجيم وفتح النون وقرا ابو عمرو في رواية علي بن
نصر عنه وحميد بن قيس ويعقوب ينجيكم بتخفيف الجيم وسكون النون وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالتشديد في الاولى والتخفيف في الثانية فجمعوا
بين التعدية بالالف والتعدية بالتضعيف كما جاء ذلك في قوله تعالى فمهل
الكافرين امهلهم رويدا وظلمات البر والبحر يراد بهما شدايدهما فهو لفظ
عام استغرق ما كان من الشدايد وظلمة حقيقته وما كان بغير ظلمة والعرب
تقول عام اسود ويوم مظلم ويوم ذي كواكب ونحو هذا يريدون به الشدة قال
قتادة المعنى من كرب البر والبحر وقاله الزجاج وتدعونه في موضع الحال وتضرعا
نصب على المصدر والعامل فيه تدعونه والتضرع صفة بادية على الانسان
وخفية معناه الاختفاء والستر وكان نسق القول تدعونه جهرا وسرا هذه
العبارة بمعان زايدة وقرا الجميع غير عاصم وخفية بضم الخاء وقرا عاصم
في رواية ابي بكر وخفية بكسر الخاء وقرا الاعمش وخيفة من الخوف وقرا
الحجازيون واهل الشام انجيتنا وقرا الكوفيون انجانا على ذكر الغائب واما ل
حمزة والكسائي الجيم ومن الشاكرين اي على الحقيقة والشكر على الحقيقة
يتضمن الايمان وحكى الطبري في قوله ظلمات انه ضلال الطرق في الظلمات
ونحوه وحكى المهدوي انه ظلام الليل والغيم والبحر قال ع وهذا التخصيص كله
لا وجه له وانما هو لفظ عام لانواع الشدايد في المعنى وخص لفظ الظلمات
بالذكر لما تقرر في النفوس من هول الظلمة وقوله تعالى قل الله ينجيكم منها الاية
سبق في المجادلة الى الجواب اذ لا محيد عنه ومن كل كرب لفظ عام ايضا ليتضح
العموم الذي في الظلمات ويصح ان يتاول من قوله ومن كل كرب تخصيص الظلمات
الظلمات قبل ونص عليها لهولها وعطف في هذا الموضع بثم للمهلة الى
تبيين قبح فعلهم اي ثم بعد معرفتكم هذا كله وتحققكم له انتم تشركون
قوله عز وجل قل هو القادر الى قوله وسوف تعلمون هذا الخبر
يتضمن الوعيد والاظهر من نسق الايات ان هذا الخطاب للكفار الذين
تقدم ذكرهم وهو مذهب الطبري وقال ابي ابن كعب وابو العالية وجماعة
معهما هي للمؤمنين فهم المراد وقال ابي ابن كعب هي اربع خلال وكلهن
واقع قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخمس وعشرين سنة ثم لبسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض
وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال الحسن ابن ابي الحسن
بعضها للكفار وسايرها للمؤمنين بعث العذاب من فوق ومن تحت
للكفار وسايرها للمؤمنين وهذا الاختلاف انما هو بحسب ما
يظهر من فوق ومن تحت للكفار وسايرها للمؤمنين وهذا الاختلاف
انما هو بحسب ما يظهر من الامة بعد نبيها ولما تهمها المشركين وروي
من حديث جابر وخالد الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
نزلت ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال اعوذ بوجهك فلما نزلت و

ويلبسكم شيعا ويذيق بعضكم فوق بعض قال هذه اهون او ايسر فاحتج
بهذا ان من قال انها نزلت في المؤمنين قال الطبري وغيره ممتنع ان يكون
النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ لامته من هذه الاشياء التي توعد بها الكفار
ويهون الثالثة لانها بالمعنى هي التي دعا بها فمنع حسب حديث الموطا وغيره
وقال ابن مسعود انها اسوء الثلاث وهذا عندي على جهة الاغلاظ
في الموعظة والحق انها ايسرها كما قال عليه السلام **وقوله تعالى** من فوقكم
ومن تحت ارجلكم لفظ عام للمنطبقين على الانسان وقال السدي عن
ابي مالك من فوقكم الرجم ومن تحت ارجلكم الخسف وقاله سعيد بن جبير
ومجاهد وقال ابن عباس من فوقكم ولاة الجور ومن تحت ارجلكم
سفلة السوء وخدمة السوء **قال ع** وهذه كلها امثلة لا انها هي المقصود
اذ هذه وغيرها من القحوط والغرق وغير ذلك داخل في عموم اللفظ
ويلبسكم على قراءة الشيعة ومعناه يخلطكم شيعا فرقا اشيع بعضها
لبعض كاللبس الخلط وقال المفسرون هو الافتراق والاهوآء والقتال بين
الامة وقرا ابو عبد الله المدني يلبسكم بضم الياء من اللبس فهي على هذا
استعارة من اللباس والمعنى او يلبسكم الفتنة شيعا وشيعا منصوب
على الحال اي متشيعين ويحتمل ان يكون شيعا مفعولا كان الناس يلبس
بعضهم بعضا وقد قال الشاعر لبست اناسا فافنيتهم فهذه عبارة
عن الخلطة والمقاساة والباس القتل وما اشبهه من المكاره ونذيق
استعارة اذ هي من اجل حواس الاحساس وهي استعارة مستعملة في كثير
من كلام العرب وفي القرآن وقرأ الاعمش ونذيق بنون الجماعة فهي نون
العظمة في جهة الله تعالى ويقول اذقت فلانا العلقم يريد كراهة شي
صنعته به ونحو هذا وفي قوله انظر كيف نصرف لهم الآيات استرجاع
لهم وان كان لفظها لفظ تعجيب للنبي ومضمنها ان هذه الآيات و
والدلائل انما هي لاستصرافهم عن طريق غيهم والفقه الفهم و
الضمير في به عائد على القرآن الذي فيه جاء تصريف الآيات قاله السدي
وهذا هو الظاهر وقيل يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لقرب مخاطبته
بعد ذلك بالكاف في قوله قومك ويحتمل ان يعود الضمير على الوعيد الذي تضمنت
الآية ونحا اليه الطبري وقرأ ابن ابي عبلة وكذبت به قومك بزيادة تا وقوله بوكيل
معناه موح الجاحدكم بالايمان والهدى والوكيل بمعنى الحفيظ والمحاسب
وهذا كان قبل نزول الجهاد والامر بالقتال ثم نسخ وقيل لا نسخ في هذا اذ هو
خبر **قال ع** والنسخ فيه متوجه لان اللازم من اللفظ لست الآن وليس فيه ما
لا يكون في المستانف وقوله لكل نبا مستقر اي غاية يعرف عندها صدقه من كذبه
وسوف تعلمون تهديد محض ووعيد **قوله عز وجل** واذا رايت الذين
يخوضون في آياتنا الآية لفظ هذا الخطاب مجرد للنبي صلى الله عليه وسلم
وحده واختلف في معناه فقيل ان المؤمنين داخلون في الخطاب معه **قال ع** وهذا
هو الصحيح لان علة النهي وهي سماع الخوض في آيات الله تعالى تشملهم واياه وقيل بل
المعنى ايضا انما اريد به النبي صلى الله عليه وسلم وحده لان قيامه على المشركين كان
يشق عليهم وفراقهم له على معاصيهم ولم يكن المؤمنون عندهم كذلك فامر النبي
صلى الله عليه وسلم ان ينابذهم بالقيام اذا استهزءوا وخاضوا ليتادبوا
بذلك ويدعوا الخوض والاستهزاء وهذا التاويل يتركب على كلام ابن جريج والخوض
اصله في الماء ثم يستعمل بعد في غمرات الاشياء التي هي مجاهل تشبيها بغمرات
الماء واما شرط وتلتزمها النون الثقيلة في الاغلب وقد لا يلزم كما قال واما تصك
عدو في سباراة الى غير ذلك من الامثلة وقرأ ابن عامر وحده ينسينك بتشديد السين
وفتح النون والمعنى واحد الا ان التشديد اكثر مبالغة والذكرى والذكر واحد في المعنى
وانما هو تانيث لفظي ووصفهم هنا بالظالمين متمكن لانهم وضعوا الشي في غير
موضعه والاعراض في هذه الآية بمعنى المفاعلة على حقيقة الاعراض واكمل وجوهه
ويدل على ذلك قوله فلا تقعد وقوله تعالى وما على الذين يتقون المراد بالذين هم المؤمنون

والضمير

والضمير في حسابهم عائد على الذين يخوضون وقال ان المؤمنين داخلون في قوله فاعرض
عنهم قال النبي صلى الله عليه وسلم داخل في هذا القصد بالذين يتقون والمعنى عندهم
ما روي ان المؤمنين قالوا لما نزلت فلا تقعد معهم اذا كنا لا نقرب المشركين
ولا نسمع كلامهم فلا يمكننا طواف ولا قضاء عبادة في الحرم فنزلت لذلك وما على الذين
يتقون **قال ع** فالاباحة في هذا هي في القدر الذي يحتاج اليه من التصرف بين
المشركين في عبادة ونحوه وقال بعض من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم تدخل
في الذين يتقون وان المؤمنين داخلون في الخطاب الاول ان هذه الآية الاخيرة ليست
اباحة بوجه وانما معناه لا تقعدوا معهم ولا تقربوهم حتى يسمعوا استهزاءهم
وخوضهم وليس نهيكم عن القعود لان عليكم شيئا من حسابهم وانما هي ذكرى
لكم ويحتمل المعنى ان يكون لهم لعلهم اذا جانبوهم يتقون بالامساك عن
الاستهزاء واما من قال ان الخطاب الاول مجرد للنبي صلى الله عليه وسلم
لثقل مقارفته مغضبا على الكفار فانه قال في هذه الآية الثانية انها مختصة
بالمؤمنين ومعناها الاباحة فكانه قال فلا تقعد معهم يا محمد واما المؤمنون
فلا شي عليهم من حسابهم فان قعدوا فليذكروهم لعلهم يتقون الله في ترك ما هم
فيه **قال ع** وهذا القول اشار اليه النقاش ولم يوضحه وفيه عندي نظر وقال
قائل هذه المقالة ان هذه الاباحة للمؤمنين نسخت باية النساء قوله تعالى وقد نزل
عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وكذلك ايضا من قال اولا ان الاباحة كانت
بحسب العبادات يقول ان هذه الآية في النساء ناسخة لذلك اذ هي مدنية فتامله
والاشارة بقوله وقد نزل اليها بنفسها ولا يجب ان يكون الناسخ غيرها **وذكرى**
وعلى هذا القول يحتمل ان يكون ذكروهم ذكرى ويحتمل ولكن اعرضوا امتثالا عرضتم
في غير وقت العبادة ذكرى وذكرى على كل قول ان يكون في موضع نصب باضمار
فعل او رفع باضمار مبتدا وينبغي للمؤمن ان يمتثل حكم هذه الآية مع الملحدين
واهل الجدل والخوض وحكى الطبري عن ابي جعفر انه قال لا تجالسوا اهل الخصومات
فانهم الذين يخوضون في آيات الله **قوله عز وجل** وذر الذين اتخذوا دينهم
الى قوله بما كانوا يكفرون هذا امر بالمتاركة وكان ذلك بحسب قلة اتباع
الاسلام حينئذ وقال قتادة ثم نسخ ذلك وما جرى مجراه بالقتال وقال مجاهد
الآية انما هي للتهديد والوعيد فهي كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وليس فيها
نسخ لانها متضمنة خبرا وهو التهديد **وقوله تعالى** لعبا ولهوا يريد اذ يعتقدون
اذ يعتقدون ان لا بعث فهم يتصدقون بشهواتهم تصرف اللاعب اللاهي
وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم من الغرور وهو الاطماع بما لا يتحصل فاغتروا
بنعم الله ورزقه وامهاله وطمعهم ذلك فيما لا يتحصل من رحمته **قال ع**
ويتخرج في غرتهم هنا وجه آخر من الغر بفتح الغين اي ملات افواههم واشبعتهم
ومنه قول الشاعر ولما التقينا بالحنية غرني بمعروفه حتى خرجت افوق ومنه
غر الطائر فرخه ولا يتجه هذا المعنى في تفسير غر في كل موضع واضاف الدين
اليهم على معنى انهم جعلوا اللهو واللعب دينا ويحتمل ان يكون المعنى اتخذوا دينهم
الذي كان ينبغي لهم لعبا ولهوا والضمير في به عائد على الدين وقيل القرآن **وان تبسل**
في موضع المفعول اي لئلا تبسل او كراهية ان تبسل ومعناه تسلم قاله الحسن وعكرمة
وقال قتادة تحبس وترتهن وقال ابن عباس تفضح وقال ابن زيد تؤخذ وهذه كلها
متقاربة بالمعنى ومنه قول الشنفرى هنالك لا ارجو حياة تسرني سجيس الليالي
مبسلا بالجرائر وقال بعض الناس هو ماخوذ من البسل اي الحرام كقول الشاعر
بكرت تلومك بعد وهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي **قال ع** وهذا بعيد
ونفس يدل على الجنس ومعنى الآية ذكر بالقرآن والدين وادع اليه لئلا تبسل
نفس التارك للايمان بما كسبت من الكفر واوثرته من رفض الاسلام **وقوله تعالى**
ليس لها من دون الله في موضع الحال ومن لابتداء الغاية ويجوز ان تكون زائدة
ودون ظرف مكان وهي لفظة يقال باشتراك وهي في الآية الدالة على زوال من
اضيفت اليه من تلك القول كما قيل في المثل توام دون عبيده الردم والولي

والشفيع هما طريقا الحماية والغوث فى جميع الامور وان تعدل كل عدل اى وان
تعط كل عطاء وان عظم فتجعلها عدلا لها لا يقبل منها وحكى الطبرى عن قايل
ان المعنى وان تعدل من العدل المضاد للجور ورد عليه وضعفه بالاجماع
على ان توبة الكافر مقبولة قال ع ولا يلزم هذا الرد لان الامر انما هو يوم
القيمة ولا يقبل فيه توبة ولا عمل والقول نص لابى عبيدة والعدل لغة الكفاء
مماثل الشى من غير جنسه وقيل العدل بالكسر المثل فالعدل بالفتح القيمة
واولئك اشارة الى الجنس المدلول عليه بقوله نفس وابسلوا
بمعنى اسلموا بما اجترحوه من الكفر والحميم الماء الحار ومنه الحمام والحمة
ومنه قول اى دون الاالحميم فانه ينتضح واليم فعيل بمعنى مفعل
اى مولم قوله عز وجل قل اندعوا من دون الله الى قوله لرب العالمين
المعنى قل فى احتجاجك ان اطيع رايكم فى ان ادعوا من دون الله ولدعا
يعم العبادة وغيرها لان من جعل شيا موضع دعائه فاياه يعبد
وعليه يتوكل ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعنى الاصنام اذ هى جمادات
حجارة وخشب ونحوه وضر الاصنام فى الدين لا يفهمه الكفار فلذلك
انما الضر الذى يفهمونه من نزول المحارة الدنياوية ونرد على اعقابنا
تشبيه وذلك ان المرد ودعلى العقب هو ان يكون الانسان يمشى قدما
وهى المشية الجيدة فيرد يمشى القهقرى وهى المشية الدنية واستعمل المثل
بها لمن رجع من خير الى شر ووقعت فى هذه الاية فى تمثيل الراجع من الهدى
الى عبادة الاصنام وهدانا بمعنى ارشدنا وقال الطبرى وغيره الرد
على العقب يستعمل فيمن امل امرا فخاب امله قال ع وهنا قول قلق وقوله تعالى
كالذى استهوته الاية الكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره
ردا كرد الذى واستهوته استفعلته بمعنى استدعت هواه واماله قال
ابو عبيدة ويحتمل هوية وهو جرم وركوب راسه فى النزوع اليهم والهوى
من هوى يهوى يستعمل فى السقوط من علو الى سفل ومنه قول الشاعر هوى
ابنى من ذى شرف فنزلت رجله ويده وهذا المعنى لا مدخل له فى هذه الاية
الا ان يتناول اللفظ معنى الفة الشياطين فى هوه وقد ذهب اليه ابو على
وقال هوى بمعنى هوى كما ان استنزل بمعنى ازل قال ع والتحرير ان العرب يقول هوى الرجل
واهواه غيره واستهواه بمعنى طلب منه ان يهوى هويا وطلب منه ان يهوى
شيا ويستعمل الهوى ايضا فى ركوب الراس فى النزوع الى الشى ومنه قوله تعالى فاجعل
افئدة من الناس تهوى اليهم ومنه قول شاعر الجن تهوى الى مكة تبغى الهدى
ما مومن الجن كانجاسها وهذا المعنى هو الذى يليق بالاية وقرا الجمهور استهوته
الشيطان وقرا الحسن استهوته الشياطون قال بعض المفسرين هو لحن وليس
كذلك بل هو شاذ قبيح وانما هو محمول على قولهم سنون وارضون الا ان هذه فى جمع
مسلم وشياطون فى جمع مكسر فهذا موضع الشذوذ وقرا حمزة استهواه واماله
الالف وقرا ابو عبد الرحمن السلمى وطلحة والاعمش استهويه الشيطان بالياء
وافراد الشيطان وذكر الكسائى انها كذلك فى مصحف ابن مسعود وقوله فى
الارض يحكم بان استهوته انما هو بمعنى استدعت هويه الذى هو الجد فى النزوع
وحيران فى موضع الحال ومونثه حيرى وهو لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة ومعناه
ضالا متحيرا وهو حال من الضمير فى استهوته والعامل فيه استهوته ويجوز ان
يكون من الذى والعامل فيه الرد المقدر بعد الكاف وقوله استهوته يقتضى انه
كان على طريق فاستدعته منه قال ع فمساق هذا المثل كانه قال ايصلح ان يكون بعد
الهدى نعبد الاصنام فيكون ذلك منا ارتدادا على العقب فيكون كرجل على طريق
واضح فاستهوته عنه الشياطين فخرج عنه الى دعوتهم فبقى حايرا وقوله تعالى
له اصحاب يحتمل ان يريد له اصحاب على الطريق الذى خرج منه فتشبيهه بالاصحاب
على هذا المومنون الذين يدعون من ارتد الى الرجوع الى الهدى وهذا تاويل مجاهد
وابن عباس ويحتمل ان يريد له اصحاب اى من الشياطين الدعاة اولا يدعونه
الى الهدى بزعمهم وبما يوهمونه فتشبيه بالاصحاب على هذا الكفرة الذين يشون

ومن ارتد

ومن ارتد عن الاسلام على ارتداده وروى هذا التاويل عن ابن عباس ايضا وائتنا
من الاتيان بمعنى المجى وفى مصحف عبد الله الى الهدى بينا وهذه تويد تاويل من
تاول الهدى حقيقة اخبارا من الله وحكى مكى وغيره ان المراد بالذى فى هذه الاية
عبد الرحمن ابن ابى بكر الصديق وبالاصحاب ابوه وامه قال ع وهذا ضعيف لان
فى الصحيح ان عايشة رضى الله عنها لما سمعت قول قائل ان قوله تعالى والذى قال لوالديه
اف لكما نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر قالت كذبوا والله ما نزل فينا من القران شى الا
براءتى قال ع حدثنى ابى قال سمعت الفقيه ابا عبد الله المعروف بالنحوى المجاور بمكة
يقول من نازع احدا من الملحدة فانما ينبغى ان ينازعه ويرد عليه من القران
والحديث فيكون كمن يدعوا الى الهدى بقوله ائتنا ومن ينازعهم بالجدل ويحلق
عليهم به فكانه بعد عن الطريق الواضح اكثر ليرد هذا الزايغ فيخاف عليه ان يضل
قال ع وهذا انتزاع جيد حسن جدا وقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى من قال
ان الاصحاب هم الشياطين المستهوئين وتاول الى الهدى بزعمهم قال ان قوله قل ان
هدى الله رد عليهم فى زعمهم فليس ما زعموه صحيحا وليس بهدى بل هو فى نفسه
كفر وضلال وانما الهدى هدى الله وهو الايمان ومن قال ان الاصحاب هم على الطريق
المدعو اليها وان المومنين الداعين للمرتدين شبهوا بهم وان الهدى هو هدى
على حقيقته يجئ على قوله قل ان هدى الله هو الهدى بمعنى ان دعاء الاصحاب وان
كان الى الهدى فليس من دعائهم يقع الهداية وانما يهدى بذلك الدعاء من هداه
الله تعالى بهداه وامرنا لنسلم اللام لام كى ومعها ان مقدرة ويقدر مفعول
لامرنا مضمر تقديره وامرنا بالاخلاص وبالايمان ونحو هذا فتقدير الجملة كلها
ايضا وامرنا بالاخلاص لان نسلم ومذهب سيبويه فى هذه ان لنسلم هو موضع
المفعول وان قولك امرت لاقوم وامرت لان اقوم يجرى بان سوا ومنه قول الشاعر
اريد لانسى ذكرها الى غير ذلك من الامثلة ونسلم يعم الدين والاستسلام
قوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه الى قوله وهو الحكيم الخبير وان اقيموا يتجه
ان يكون بتاويل واقامة وهو عطف على المفعول المقدر فى امرنا وقيل هو معطوف
على قوله لنسلم تقديره لان نسلم وان اقيموا قال ع وهو قول الزجاج واللفظ
يمانعه وذلك لان قوله لان نسلم معرب وقوله وان اقيموا مبنى وعطف المبنى على المعرب
لا يجوز لان العطف يقتضى التشريك فى العامل الا اللهم الا ان يجعل العطف
فى ان وحدها وذلك قلق وانما يتخرج على ان يقدر قوله وان اقيموا بمعنى وليقيم
ثم خرجت بلفظ الامر ويقول على المعنى لما فى ذلك من جزالة اللفظ فجاز العطف
على ان يلغى حكم اللفظ ويعول على المعنى ونسبة هذا ما حكاه يونس عن العرب
ادخلوا الاول فالاول برفع لفظ الاول فانما هو ثان يقدر ادخلوا بمعنى ليدخل
الاول فالاول والا فليس يجوز الا ادخلوا الاول فالاول بالنصب وقال الزجاج
ايضا يحتمل ان يكون وان اقيموا معطوفا على ائتنا قال ع وفيه بعد والضمير فى قوله
واتقوه عايد على رب العالمين وهو ابتداء وما بعده خبره وهو لفظ خبر يتضمن
التنبيه والتخويف وقوله تعالى وهو الذى خلق الاية خلق ابتدع واخرج من العدم
الى الوجود وبالحق اى لم يخلقها لغير معنى بل لمعان معتبرة وحقايق بينة منها ما
يحسه البشر من الاستدلال بها على الصانع ونزول الارزاق وغير ذلك وقيل
المعنى بان يحق له ان يفعل ذلك وقيل بالحق معناه بكلامه فى قوله للمخلوقات كن
وفى قوله ائتيا طوعا او كرها قال ع وتحرير هذا القول ان المخلوقات انما ايجادها
بالقدرة لا بالكلام واقتران كن بحالة ايجاد المخلوق وفائدته اظهار العزة
والعظمة ونفوذ الاوامر واعلان الفصل من الفعال ومثال ذلك فى الشاهد
ان يضرب انسان شيا فيكسره فيقول فى حال كسره بلسانه انكسر فان ذلك انفاذ
عزم واظهار قصد ولله المثل الاعلى لا تشبيه ولا حرف ولا صوت ولا تغير
امرنا واحدة كلمح البصر وكان معنى الاية على هذا القول وهو الذى خلق السموات
والارض بقوله كن المقترنة بالقدرة التى بها يقع ايجاد المخلوق بعد
عدمه فعبر عن ذلك بالحق ويوم يقول نصب على الظرف وهو متعلق بمعمول فعل
مضمر تقديره واذكر الخلق والاعادة يوم يقول الله للاجساد كن معادة ثم

يحتمل ان يتم الكلام هنا ثم يبتدأ ما حبا دانه يكون قوله الحق الذي كان في الدنيا اخبارًا
بالاعادة ويحتمل ان يكون تمام الكلام في قوله فيكون ويكون قوله الحق ابتداء وخبر
او على الاحتمال الذي قبل بقوله فاعلا قال الزجاج قوله ويوم معطوف على الضمير
من قوله واتقوه والتقدير هنا على هذا القول واتقوا العقاب والاهوال و
الشدائد يوم وقيل ان الكلام معطوف على يوم خلق السموات فالتقدير
على هذا وهو الذي خلق السموات والارض والمعادات الحشر ولا يجوز ان يعمل
هذه الافعال لا يقدرك اذكروا ولا اتقوا ولا خلق في يوم لان اسما الزمان
اذا تنسب مع الافعال ولا يجوز ان ينتصب الا على الظرف ولا يجوز ان
يتعلق يوم بقوله قوله الحق لان المصدر لا يعمل فيما تقدمه وقد اطلق
قوم ان العامل اذكروا وخلق ويحتمل ان تريد بقول معنى المضي كانه
قال وهو الذي خلق السموات والارض بالحق يوم يقول بمعنى قال لهما كن
فيوم ظرف معطوف على موضع قوله بالحق اذ هو في موضع نصب ويجي
تمام الكلام في قوله فيكون ويجي قوله الحق ابتداء وخبرا ويحتمل ان يتم الكلام
في كن ويبتداء فيكون قوله الحق ويكون تامة بمعنى يظهر والحق صفة للقول
وقوله فاعل وقراء الحسن بضم القاف وله الملك ابتداء وخبر يوم ينفخ في
الصور يوم بدل من الاول على ان يقول مستقلا لا على تقدير مضيه وقيل
بل يتعلق بما تضمن الملك من معنى الفعل وبتقدير ثابت او مستقر يوم و
في الصور قال ابو عبيدة هو جمع صورة فالمعنى يوم يعاد العوالم وقال الجمهور
هو الصور القرن الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ينفخ فيه للصعق ثم
للبعث ووجه الطبري لقوله صلى الله عليه وسلم ان اسرافيل قد التقم الصور
وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وقرا الحسن في الصور بفتح الواو وهكذا يؤيد
التاويل الاول وحكاها عمرو بن عبيد عن عياض عالم رفع باضمار مبتداء وقيل نعت
للذي وقرا الحسن والاعمش عالم بالخفض على النعت للضمير الذي في له او على البدل
منه لقوله له الملك وقيل رويت عن عاصم وقيل ارتفع عالم بفعل مضمر من لفظ الفعل
المبني للمفعول تقديره ينفخ فيه عالم وهذا على ما انشد سيبويه ليبك يزيد ضارع
لخصومة واخر ممن طوحته الطوائح التقدير ليبكيه ضارع وحكى الطبري هذا
التاويل الذي يشبه ليبك يزيد عن ابن عباس ونظيرها من القران قراة من
قرا زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم بضم الزاي ورفع الشركاء
وروى عبد الوارث عن ابي عمرو يوم ننفخ في الصور بنون العظمة والغيب
والشهادة معناه ما غاب عنا وما حضر وهذا يعم جميع الموجودات قوله
عز وجل واذ قال ابراهيم لابيه ازر الاية العامل في اذ فعل مضمر تقديره اذكر
او قص قال الطبري نبه الله محمدا صلى الله عليه وسلم على الاقتداء بابراهيم في
محاجته قومه اذ كانوا اهل اصنام وكان قوم محمد اهل اصنام قال ع وليس يلزم
هذا من لفظ الاية بل لازم اما ان يجمع ما نحن منه مثل هذا عرضة للاقتداء وقراء
السبعة وجمهور الناس آزر بفتح الهمزة التي قبل الالف وفتح الزاي والراء قال
السدي وابن اسحق وسعيد بن جبير عبد العزيز هو اسم لابي ابراهيم عليه السلام
قال ع وقد ثبت ان اسمه تارخ فله على هذا القول اسمان كيعقوب واسرائيل وهو
في الاعراب على هذا بدل من الاب المضاف الى الضمير في موضع خفض وهو اسم علم
وقال مجاهد بل هو اسم صنم وهو في موضع نصب بفعل مضمر تقديره اتتخذ آزر
اتتخذ اصناما قال ع وفي هذا ضعف وقال بعضهم وقيل بل هو صفة ومعناه
المعوج او المخطي قال ع ويعترض هذا بان آزر اذا كان صفة فهو نكرة ولا يجوز
ان ينعت المعرفة بالنكرة ويوجه ذلك على تحامل بان يقال زيدت فيه الالف واللام
وان لم يلفظ بهما والى هذا اشار الزجاج لانه قدر ذلك فقال لابيه المخطي
وبان يقال ان ذلك مقطوع منصوب بفعل تقديره ادم المعوج او المخطي
ولا يبقى فيه الصفة بهذه الحال قال ع وهذا ضعيف وقيل نصبه على الحال
كانه قال واذ قال ابراهيم لابيه وهو في حال عوج وخطاء وقرا ابي بن كعب
وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم بضم الراء على النداء ويصح ان يكون

مع هذا

مع هذا آزر اسم ابي ابراهيم ويصح ان يكون بمعنى المعوج والمخطي وقال الضحاك آزر بمعنى
شيخ ولا يصح مع هذه القراة ان يكون آزر صفة وفي مصحف ابي آزر بثبوت حرف
النداء اتخذت اصناما بالفعل الماضي وقرا ابن عباس فيما روي عنه ايضا ازر
تتخذ بالف الاستفهام وفتح الهمزة من ازر وسكون الزاي ونصب الراء وتنوينها
واسقاط الالف الاستفهامية من تتخذ ومعنى هذه القراة اعضدا وقوة ومظاهرة
على الله تتخذ وهو من نحو قوله تعالى اشدد به ازري وقرا ابو اسمعيل رجل من اهل
الشام بكسر الهمزة من هذا الترتيب ذكرها ابو الفتح ومعناها انها مبدلة من واو
كوسادة واسادة وكانه قال اوزرا وماثما تتخذ اصناما ونصبه على هذا بفعل
مضمر ورويت ايضا عن ابن عباس وقرا الاعمش ازرا تتخذ بكسر الهمزة وسكون
الزاي دون الف توقيف واصناما الهة مفعولان وذكر ان آزر ابا ابراهيم
كان نجارا محسنا ومهندسا وكان نمرود يتعلق بالهندسة والنجوم فحظي آزر
عنده لذلك وكان على خطة عمل الاصنام يعمل بامره وتدبيره ويطبع هو في الصنم
بختم معلوم عنده وحينئذ يعمل ذلك الصنم فلما نشا ابراهيم ابنه على الصفة التي
تاتي بعد كان ابوه يكلفه بيعها فكان ابراهيم ينادي عليها من يشتري ما يضره
وما لا ينفعه ويستخف بها ويجعلها في الماء منكوسة ويقول اشرب فلما شهر
امره بذلك واخذ في الدعاء الى الله قال لابيه هذه المقالة واريك في هذا الموضع
يشترك فيها البصر والقلب لانها رؤية قلب ومعرفة وهي متركبة على رؤية
بصر وتبيين معنى واضح ظاهر وهو من ارى ان الشي اذا ظهر ليس بالفعل المتعدي
المنقول من راى من بين قال ع ويصح ان يكون المنقول ويكون المفعول المقدر تقديره في
ضلال مبين كفركم وقيل كان آزر رجلا من اهل كوثا من سواد الكوفة قال النقاش
وبها ولد ابراهيم عليه السلام وقيل انه كان من اهل حران قوله تعالى وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الاية هذه المقدمة يقتضي هداية ابراهيم
عليه السلام والاشارة بذلك هنا هي الى تلك الهداية اي وكما هديناه الى الدعاء
الى الله وانكار الكفر اريناه ملكوت ونري لفظها الاستقبال ومعناها
المضي وحكى المهدوي ان المعنى كما هديناك يا محمد وكذلك نري ابراهيم
قال ع وهذا بعيد اذ اللفظ لا يعطيه ونري هنا متعدية الى مفعولين لا غير
وهي اما من رؤية البصر واما من رؤية التي هي بمعنى عرف ولو كانت ارى بمعنى
اعلم وجعلنا اعلم منقولة من علم التي تتعدى الى مفعولين لوجب ان تتعدى ارى
الى ثلثة مفعولين وليس كذلك ولا يصح ان يقال ان الثالث محذوف لانه لا يجوز
حذفه اذ هو الخبر في الجملة التي يدخل عليها علمت في هذا الموضع وانما هي من علم
بمعنى عرف ثم نقلت بالهمزة فتعدت الى مفعولين ثم جعلت ارى بمنزلتها
في هذه الحال وهذه الرؤية قيل هي رؤية البصر وروي في ذلك ان الله عز وجل
فرج لابراهيم السموات حتى راى ببصره الملكوت الاعلى والملكوت الاسفل فان صح
هذا المنقول ففيه تخصيص لابراهيم عليه السلام بما لم يدركه غيره قبله ولا بعده
وهذا قول مجاهد قال فرجت له السماوات والارضون فراى مكانه في الجنة
وبه قال سعيد بن جبير وسلمان الفارسي وقيل هي رؤية بصر في ظاهر الملكوت
وقع له معها من الاعتبار ورؤية التفكر للقلب ما لم يقع لاحد من اهل زمنه
الذين بعثهم اليه قاله ابن عباس وغيره ففي هذا تخصيص ما على جهة التقييد
باهل زمنه وقيل هي رؤية قلب راى بها ملكوت السموات والارض بفكرته
ونظره وذلك ولا بد منه متركب على ما ترتب من رؤيته ببصره وادراكه في
الجملة بحواسه قال ع وهذان القولان الاخيران يناسبان الاية لان الغاية التي نصبت
له انما هي ان يوقن ويكون من جملة موقنين كثيرة والاشارة لا محالة الى من قبله من
الانبياء ومن بعده والمعنى يقع له ولغيره بالرؤية في ظاهر الملكوت والاستدلال
به على الصانع والخالق لا اله الا هو وملكوت بناء مبالغة كجبروت ورحموت
ورهبوت وقال عكرمة هو ملكوثى باليونانية او بالنبطية وقرا ملكوث
بالثاء المثلثة وقرا ابو السمال ملكوت باسكان اللام وهي لغة وملكوت معنى
الملك والعرب يقول لفلان ملكوت اليمين اي ملكه واللام في ليكون متعلقة

بفعل مؤخر تقديره وليكون من الموقنين اريناه والموقن للعالم بالشئ علما لا يمكن
ان يطرا له فيه شك وقال الضحاك ومجاهد ايضا ان الاشارة هنا لملكوت
السموات هي الى الكواكب والشمس والقمر وهذا راجع وداخل فيما قدمناه من
انها روية بصر فنظر في الملكوت وروى عن ابن عباس في تفسير وليكون
من الموقنين قال جلى له الامور سرها وعلانيتها فلم يخف عليه شئ من
اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله انك لا
تستطيع هذا فرده الله لا يرى اعمالهم **قوله عز وجل** فلما جن عليه الليل
راى كوكبا الاية هذه الفاء في قوله فلما رابطة جمل ما بعدها بما
قبلها وهي ترجح ان المراد بالملكوت هو هذا التفصيل الذي في هذه
وجن الليل ستر وغطا بظلمته ويقال اجن والاول اكثر ونسبه ان يكون
الجن والمجن والجنة والجنين وهو البغي مشتق من جن اذا ستر ولفظ هذه
القصة يحتمل ان يكون وقعت له في حياته وقيل بلوغه كما ذهب اليه
ابن عباس فانه قال راى كوكبا فعبده وقال لهذا كثير ان النازلة قبل البلوغ
والتكليف ويحتمل ان يكون وقعت بعد بلوغه وكونه مكلفا وحكى الطبري
هذا عن فرقة وقالت انه استفهم على جهة التوقيف بغير الف وهذا
كقول الشاعر رموني وقالوا يا خويلد لم ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم
يريد اهم هم وقول الاخر لعمرك ما ادري وان كنت داريا بسبعين سهم
او بثمان يريد ابسبع **قال ع** والبيت الاول لا حجة فيه وقد حكيت
نمرود حكايات ذلك الزمن وان له منجمون ان مولودا يولد في كذا في سنة كذا
فيه يكون خراب الملك على يديه فجعل يتبع الحبالى ويوكل بهن حراسا فمن
وضعت انثى تركت ومن وضعت ذكرا حمل الى الملك فذبحه وان ام ابراهيم
حملت وكانت شابة قوية فسترت حملها فلما قربت ولادتها بعثت تارح ابا
ابراهيم الى سفر وتحيلت احتيله اليه ثم خرجت الى الغار فولدت فيه ابراهيم
وتركته في الغار وقد هيأت عليه وكانت تتفقده فتجده يتغذى بان يمص
اصابعه فيخرج له منها عسل وسمن ونحو هذا وحكي بل كان يغذيه ملك
وحكي بل كانت تاتيه بالبان النساء اللاتي ذبح ابناؤهن وبقيت ام ابراهيم
ما شاء غيره والملك في خلال ذلك يحس بولادته ويشدد في طلبه فمكث في الغار
عشرة اعوام وقيل خمس عشرة سنة وانه نظر اول ما عقل من الغار فراى الكوكب
وجرت قصة الاية **قال ع** وجلبت هذه القصص بغاية الاقتصار في اللفظ
وقصدت استيفاء المعاني التي تخص الاية ويضعف عندي ان يكون هذه القصة
في الغار لقوله في اخرها اني بري مما تشركون وهي الفاظ يقتضي محاجة وردا على قوم
وحاله في الغار بعيد عن مثل هذا المعنى اللهم الا ان يتاول في ذلك انه قالها بينه
وبين نفسه اي قال في نفسه بمعنى العبارة عنه يا قوم اني بري مما تشركون وهذا مثل
قول الشاعر ثم اسى وقال في التفكير ان الحياة اليوم في الكرور ومع هذا فالمخاطبة
تبعده ولو قال يا قوم اني بري من الاشراك لصح هذا التاويل وقوي فان قلنا بانه وقعت
له القصة في الغار في حال الصبوة وعدم التكليف على ما ذهب اليه بعض المفسرين
ويحتمله اللفظ فذلك ينقسم على وجهين اما ان يجعل قوله هذا ربي تصميما واعتقادا
وهذا باطل لان التصميم على الكفر لم يقع من الانبياء عليهم السلام واما ان يجعل
تعريضا للنظر والاستدلال كانه قال هو المنير الذي ربي ان عضدت ذلك الدلائل
ويجيء ابراهيم عليه السلام كما قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ووجدك
ضالا فهدى اي مهمل المعتقد وان قلنا ان القصة وقعت له في حال كبره وهو
مكلف فلا يجوز ان يقول هذا ربي مصمما ولا معرضا للنظر لانها رتبة جهل او
شك وهو عليه السلام مبرا معصوم من ذلك كله فلم يبق الا ان يقولها على جهة التقرير
لقومه والتوبيخ لهم واقامة الحجة عليهم في عبادة الاصنام كانه قال لهم هذا المنير ربي
او هذا ربي وهو يريد على زعمكم كما قال عز وجل اين شركائي فالمعنى على
زعمكم ثم عرض ابراهيم عليه السلام عليهم من حركته وافوله امارة الحدوث
وانه لا يصلح ان يكون ربا ثم في اخر اعظم منه واحرى كذلك ثم راى الشمس كذلك فكانه

قال

قال فاذا بان في هذه المنيرات الرفيعة انها لا تصلح للربوبية فاصنامكم التي هي حشب
وحجارة اخرى ان يبين ذلك فيها ويعضد عندي هذا التاويل قوله اني بري مما تشركون
ومثل لهم بهذه الامور لانهم كانوا اصحاب علم نجوم ونظر في الافلاك وهذا
الامر كله انما وقع في ليلة واحدة راى الكوكب وهو الزهرة في قول قتادة وقال السدي
هو المشتري جانحا للغروب فلما افل بزغ القمر وهو اول طلوعه فسرى الليل اجمع
فلما بزغت الشمس زال ضوء القمر قبلها لانتشار الصباح وخفي نوره ودنا
ايضا من مغربه فسمى ذلك افولا لقربه من الافول التام على تجوز في التسمية ثم
بزغت الشمس على ذلك وهذا الترتيب يستقيم في الليلة الخامسة عشر من الشهر
الى ليلة عشرين وليس يترتب في ليلة واحدة كما اجمع اهل التفسير الا في هذه
الليالي وبذلك التجوز في افول القمر وافل في كلام العرب معناه غاب يقال
اين افلت عنا يا فلان وقيل معناه ذهب **قال ع** وهذا خلاف في عبارة فقط
قال ذو الرمة مصابيح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالافلات الدوالك
وقال الا فلين بجمع النون لما قصد قصد الارباب ونحو ذلك وعلى هذا يخرج
في الشمس هذا ربي وذكر الاشارة اليها لما قصد قصد رب وقرا ابن كثير وعاصم
في رواية ابي بكر وابن عامر راى بفتح الهمزة وقرا نافع بين الفتح والكسر وقرا
عاصم في رواية ابي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي بكسرهما وقرا ابو عمرو بن العلا
بفتح الراء وكسر الهمزة **وقوله تعالى** فلما راى القمر بازغا الاية البزوغ في هذه
الانوار اول الطلوع وقد تقدم القول فيما تدعو اليه الفاظ الاية وما في كون
هذا الترتيب في ليلة واحدة من التجوز في افول القمر لان افوله لو قدرناه مغيبه
في المغرب لكان ذلك بعد بزوغ الشمس وجميع ما قلناه يعطيه الاعتبار
ويهدي كم رشد وهذا القول مؤيد قول من قال النازلة في حال الصغر والقوم الضالون
عنده لعلو دات كالاصنام وغيرها وان كان الضلال اعم من هذا فهذا المقصود
في هذا الموضع **قوله عز وجل** فلما راى الشمس بازغة الى قوله افلا تتذكرون لما قصد
قصد رب قال هذا فذكر اي هذا المراى والمنير ونحو هذا فلما افلت الشمس
لم يبق شي يمثل لهم به وظهرت حجته وقوي بذلك على منابذتهم والتبري من اشراكهم
وقوله اني بري مما تشركون يؤيد قول من قال النازلة على حال النظر والتكليف
وجهت وجهي اي اقبلت بقصدي وعبادتي وتوحيدي وايماني وغير ذلك
مما يعمه المعنى المعبر عنه بوجهي وفطر معناه ابتدع في اجرام وحنيفا معناه
مستقيما والحنف الميل في كلام العرب واصله في الاشخاص وهو في المعاني
مستعار فالمعوج في الاجرام احنف على الحقيقة اي مائل والمستقيم فيها احنف
على تجوز كانه مائل عن كل جهة اي القوام وحاجه مفاعلة من الحجة قال ابن
اجعوني الحجة في توحيد الله وقرات فرقة الحاجوني باظهار التنوين وهو الاصل
وقرا ابن كثير وابن عمرو وعاصم وحمزة والكسائي اتحاجوني بادغام النون
الاولى في الثانية وقرا نافع وابن عامر اتحاجوني بحذف النون الواحدة فقيل
هي الثانية وقيل هي الاولى وتدل على ذلك انها بقيت مكسورة قال ابو علي
الفارسي لا يجوز ان يحذف الاولى لانها للاعراب وانما حذفت الثانية التي
هي توطية الياء المتكلم كما حذفت في قول الشاعر يسوء الغاليات اذا فليني
وكسرت بعد ذلك الاولى البابسه لمجاورتها الياء وقد هدان اي ارشدني
الى معرفته وتوحيده وامال الكسائي هدان والامالة في ذلك حسنة واذا
جازت الامالة في عدا وعدا وهما من ذوات الواو فهي في هدان التي هي
من ذوات الياء اجود واحسن وحكي ان الكفار قالوا لابراهيم خف ان
تصيبك الهتنا ببرص او داء لاذايتك لها وتنقصك فقال لهم لست
اخاف الذي تشركون به لانه لا قدرة له ولا غنا عنده وما في هذا الموضع
بمعنى الذي والضمير في به يحتمل ان يعود على الله عز وجل فيكون على هذا في
قوله تشركون ضمير عائد على ما تقدم الكلام ولا اخاف للاصنام التي
تشركونها بالله في الربوبية ويحتمل ان يعود الضمير على ما فلا يحتاج الى غيره
كان التقدير ما تشركون به وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء ليس من الاول

وشيا منصوب بيشا ولما كانت قوة الكلام انه لا يخاف ضررا استثنى مشية
الله تعالى في ان يريده بضر وعلما نصب على التمييز وهو مصدر بمعنى الفاعل
كما يقول العرب تصببت زيد عرقا المعنى تصبب عرق زيد وكذلك المعنى هنا
وسع علم ربي كل شيء افلا تتذكرون توقيف وتنبيه واظهار لموضع التفصير
منهم قوله عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم الى قوله حكيم عليم هذه الاية
الى تعلمون هي كلها من قول ابراهيم عليه السلام لقومه وهي حجته القاطعة
لهم المعنى وكيف اخاف الاصنام التي لا خطب لها وهي حجارة وخشب اذا
انا سددتها ولم اعظمها ولا تخافون انتم الله عز وجل وقد اشركتم به في الربوبية
اشياء لم ينزل بها عليكم حجة والسلطان الحجة ثم استفهم على جهة التقرير
فاي الفريقين مني ومنكم لا يليق بالامن اي من لم يشرك بالقادر العالم
احق ان يامن قوله تعالى الذين امنوا الاية الذين رفع بالابتداء
ويلبسوا يخلطوا والظلم في هذا الشرك تظاهرت بذلك الاحاديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم وبحضر جماعة من الصحابة لما نزلت هذه الاية
اشفق الصحابة فقالوا واينا لم يظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما قال لقمن ان الشرك لظلم عظيم ورادوي ان عمر بن الخطاب قرا في المصحف
فلما اتى عليها عظمت عليه فلبس رداه ومر الى ابي بن كعب فقال يا ابا
المنذر وساله عليها فقال انه الشرك يا امير المؤمنين فسري عن عمر
وجرى لزيد بن صوحان مع سلمان نحو ما جرى لعمر مع ابي بن كعب وقرا
مجاهد ولم يلبسوا ايمانهم بشرك وقرا عكرمة يلبسوا بضم اليا وا الامن
رفع بالابتداء وخبره في المجرور والجملة خبرا ولئك وهم مهتدون اي
راشدون وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه المراد بهذه الاية ابراهيم
خاصة وقال عكرمة نزلت في مهاجري اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاصة وقالت فرقة هي من قول ابراهيم عليه السلام لقومه فهي من الحجة التي اوتيها
وقال ابن جريج هي من قول قوم ابراهيم ونحو هذه من الحجة ايضا ان اقروا بالحق وهم
قد ظلموا بالاشراك وقال ابن اسحق وابن زيد وغيرهما بل ذلك قول من الله ابتداء
حكم فصل حكم عام لوقت محاجة ابراهيم وغيره ولكل مؤمن تقدم او تاخر قال ع
وهذا هو البين الفصيح الذي يرتبط به معنى الاية ويحسن وصفها وهو خبر
من الله عز وجل وتلك اشارة الى هذه الحجة المتقدمة وهي رفع بالابتداء وحجتنا
خبره واتيناها في موضع الحال ويجوز ان يكون حجتنا بدلا من تلك واتيناها
خبر تلك وابراهيم مفعول باتيناها والضمير مفعول ايضا باتيناها فتقدم وعلى
متعلقة بقوله بحجتنا وفي ذلك فصل كثير ويجوز ان يتعلق باتيناها على المعنى
اذ المعنى اظهرناها لابراهيم على قومه ونحو هذا وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو وابن عامر درجات من باضافة الدرجات الى من وقرا عاصم وحمزة والكسائي
برفع درجات من نشاء بالتنوين قال ع وهما ماخوذان من الكلام والمعنى المقصود
بهما واحد ودرجات على قراءة من نون نصب على الظرف وحكيم عليم صفتان
يليق بهذا الموضع اذ هو موضع مشية واختيار فيحتاج ذلك الى العلم والاحكام
والدرجات اصلها في الاجسام ثم يستعمل في المراتب والمنازل المعقولة قوله
عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب الى قوله على العالمين ووهبنا عطف على
اتينا واسحق ابنه من سارة ويعقوب هو ابن اسحق وكلا ونوحا منصوبان
على المفعول متقدمان على الفعل وقوله من قبل لتقدمه صلى الله عليه وسلم
وقوله ومن ذريته المعنى وهدينا من ذريته والضمير في ذريته قال الزجاج
ان يعود على ابراهيم ويعرض هذا بذكر لوط وهو ليس من ذرية ابراهيم
بل هو ابن اخيه وقيل ابن اخته ويخرج ذلك عند من يرى الخال ابا وقيل
يعود الضمير على نوح وهذا هو الجيد وداود يقال هو ابن ايشا وسليمان
ابنه وايوب هو فيما يقال ايوب بن موص بن رازح بن عيصو ابن اسحق
ابن ابراهيم ويوسف بن يعقوب بن اسحق وموسى وهرون ابنا عمران
ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ونصب داود ويحتمل ان يكون

بوهبنا

بوهبنا ويحتمل ان يكون بهدينا وهذه الاسماء كلها فيها العجمة والتعريف
فهي غير مصروفة وموسى ذرية عند سيبويه مفعل فعلى هذا ينصرف في النكرة
وقيل وزنه فعلى فعلى هذا لا ينصرف معرفة ولا نكرة وكذلك نجزي المحسنين وعد من
الله لمن احسن في عمله وترغيب في الاحسان وزكريا هو فيما يقال زكريا بن ادن
ابن بركيا وعيسى بن مريم بنت عمران ابن اشهم بن امون بن حزقيا والياس
هو ابن نسا ابن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وروي عن عبد الله بن مسعود
انه قال ادريس هو الياس ورد ذلك الطبري وغيره بان ادريس هو جد نوح تظاهرت
بذلك الروايات وزكرياء قرات طائفة بالمد وطائفة بالقصر وقرا ابن عامر باختلاف
عنه والحسن وقتادة بتسهيل الهمزة من الياس وفي هذه الاية ان عيسى عليه السلام
من ذرية نوح عليه السلام وابراهيم بحسب الاختلاف في عود الضمير من ذريته
وهو ابن ابنته وبهذا استدل في الاحكاس على ان ولد البنت من الذرية واسمعيل
هو اكبر ولدي ابراهيم عليهما السلام وهو من هاجر واليسع قال ابن زيد اسلم وهو
يوشع بن نون وقال غيره هو يوشع ابن اخطوب بن العجوز وقرا جمهور الناس واليسع
وقرا حمزة والكسائي والليسع كان الالف واللام دخلت على فيعل قال ابو علي الفارسي
فالالف واللام في اليسع زائدة لا يؤثر معنى التعريف لانها ليست للعهد كالرجل
والغلام ولا للجنس كالانسان والبهائم ولا في صفة غالبة كالعباس والحارث
لان ذلك يلزم عنه ان يكون اليسع فعلا وحينئذ يجري صفة واذا كان فعلا وجب
ان يلزمه الفاعل ووجب ان يحلا اذ هي جملة ولو كان كذلك لم يجر دخول اللام له اذ اللام
لا تدخل على الفعل فلم يبق الا ان يكون الالف واللام زائدة كما هي زائدة في قولهم
الخمسة عشر وفي قول الشاعر يا ليت ام العمر كانت صاحبي بالعين غير منقوطة وفي
قوله وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله واما اليسع فالالف
فالالف فيه بمنزلتها في الحارث والعباس لانه من ابنية الصفات لكنه بمنزلة
اليسع في انه خارج عما هي عليه الاسماء الاعجمية اذ لم يجي فيها شيء فيه لام تعريف
فهما من الاسماء الاعجمية الا انهما مخالفان للاسماء الاعجمية فيما ذكر قال ع
واما اليزيد فانه سمي به ازيل منه معنى الفعل وافردت فيه الاسمية فحصل علما وزيدت
فيه الالف واللام اتباعا للفظ الوليد ويونس هو ابن متى ويقال يونس
ويونس ويونس وكذلك يوسف ويوسف ويوسف وبكسر النون من يونس
والسين من يوسف قرا الحسن وابن مصرف وابن وثاب وعيسى ابن عمرو
والاعمش في جميع القران والعالمين معناه عالمي زمانهم قوله عز وجل
ومن اباءهم واخوانهم وذرياتهم الى قوله ان هو الا ذكرى للعالمين
المعنى وهدينا من اباءهم وذرياتهم واخوانهم جماعات فمن للتبعيض
والمراد من امن منهم نبيا كان او غير نبي ويدخل عيسى عليه السلام في
ضمن قوله ومن اباءهم ولهذا قال محمد بن كعب الخال اب والخالة ام واجتبيناهم
معناه اخترناهم وارشدناهم وضممناهم الى خاصتنا وارشدناهم الى الايمان
والفوز برضى الله عز وجل قال مجاهد معناه اخلصناهم والذرية الابنا
وينطلق على جميع البشر ذرية لانهم ابناء قال قوم ان الذرية يقع على
الاباء لقوله تعالى واية لهم انا حملنا ذرياتهم يراد به نوع البشر وقوله تعالى
هدى الله الاية اشارة الى النعمة في قوله واجتبيناهم واضافة الهدى
الى الله تعالى اضافة ملك وحبط معناه تلف وذهب للسوء غلب عليه
واولئك اشارة الى من تقدم ذكره والكتاب يراد به المصحف والتورية والانجيل
والزبور والحكم يراد به اللب والفطنة والفقه في دين الله وهؤلاء اشارة
الى كفار قريش الجاحدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والى كل كافر في ذلك العصر قاله
قتادة وابن عباس والسدي وغيرهم وقوما يراد به مؤمني اهل المدينة قاله ابن عباس
وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم فالاية على هذا التاويل وان كان القصد
في نزولها هذين الصنفين وهي تعم الكفرة والمؤمنين الى يوم القيامة وقال قتادة
ايضا والحسن ابن ابي الحسن المراد بالقوم من تقدم ذكره من الانبياء والمؤمنين
وقال ابو رجا المراد الملائكة والباء في بها متعلقة بقوله كافرين زائدة للتاكيد

وقوله تعالى اولئك الذين هدى الله الاية الظاهر في الاشارة باولئك انها الى المذكورين
قبل الى الانبياء ومن معهم من المؤمنين المهديين ومعنا الاقتدا اتباع الاثر في
القول والفعل والسيرة وانما يصح اقتداؤه بجميعهم في العقود والايمان
والتوحيد الذى ليس بينهم فيه اختلاف واما اعمال الشرايع فمختلفة وقد
قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويحتمل ان يكون الاشارة باولئك
الى قوله قوما قالع وذلك يترتب على بعض التاويلات في المراد بالقوم وتعلق على
بعضها قال القاضي ابن كتاب وبلات واختلف الناس هل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل مبعثه متعبدا بشرع من كان قبله فقالت طائفة كان متعبدا
واختلف بشرع من فقالت فرقة بشرع ابراهيم عليه السلام وفرقة بشرع موسى
وفرقة بشرع عيسى عليهما السلام وقالت طائفة بالوقف وقالت طائفة لم يكن
متعبدا بشرع من كان قبله وهو الذى يترجح قالع ولا يحمل قول القاضي على انه
لم يكن متعبدا بشرع من كان قبله في توحيد ومعتقد لا باحد شرعا بين
ان الكفار الذين كانوا قبل النبي عليه السلام كابويه وغيرهما في النار ولا يدخل
الله احدا النار الا بعد ان كلف وذلك قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وغير ذلك وقاعدة المتكلمين ان الفعل لا يوجب ولا يحلق وانما يوجب
الشرع فالوجه في هذا ان يقال ان آدم عليه السلام فمن بعده دعا الى توحيد
الله دعاء عاما واستمر ذلك على العالم فواجب على الآدمي البالغ ان يبحث على
الشرع الامر بتوحيد الله وينظر في الادلة المنصوبة على ذلك بحسب ايجاب الشرع
اليه طرقها ويؤمن ولا يعبد غير الله تعالى فمن فرضناه لم يجد سبيلا الى العلم
بشرع امر بتوحيد الله وهو مع ذلك لم يكفر ولا عبد صنما بل تخلى فاولئك اهل
الفترات الذين اطلق عليهم اهل العلم انهم في الجنة وهم بمنزلة الاطفال
الاطفال والمجانين ومن قصر في النظر والبحث فعبد صنما وكفر فهذا
تارك للواجب عليه مستوجب للعقاب بالنار فالنبي عليه السلام
قبل المبعث ومن كان معه من الناس ايضا وقيل مخاطبون على
السنة الانبياء قبل بتوحيد الله عز وجل وغير مخاطبين بفروع
شرائعهم اذ هي مختلفة واذ لم يدعهم اليها نبي واما بعد بعث
النبي صلى الله عليه وسلم فهل هو وامته مخاطبون بشرع من تقدم
فقالت فرقة لسنا مخاطبين بشيء من ذلك وقالت فرقة نحن مخاطبون بشرع
من قبلنا قالع ومن قال من هذه الطائفة ان محمدا وامته مخاطبون بكل
شرائع من تقدم على الاطلاق فقد احال لان احكام الشرايع ياتي مختلفة
وانما يتحدف قول من قال فيها انا متعبدون بما صح نقله شرايع من قبلنا
ولم يختلف فيه الشرايع وبالاخذ مما اختلفت فيه لانه الناسخ للمتقدم
ويرتبط في صحة نقل ذلك الى ما وقع في القران وفي حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حكاية احكام سالفة كقوله تعالى وجد بيدك
ضغثا فاضرب به ولا تحنث وكقوله اقم الصلوة لذكرى والحكاية تزويج
شعيب ابنته لموسى عليه السلام وحديث النبي صلى الله عليه وسلم
في قصة سليمان بين المراتين في الولد ونحو ذلك ولا يقتضي قولهما كتب
من حولنا ان نتعبد بذلك واما وجوب ان نتعبد فقد لازم لوجد ولا
يعلق عندى اشتاف في ذلك من ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم
شرع لامته ان تصلي الناسي صلوته اذا ذكرها ثم مثل في ذلك لا
على طريق التعليل بقوله عز وجل لموسى اقم الصلوة لذكرى فيقول نحن
هذا الى غير ذلك من النوازل ويقول انكما شرع عندنا ذلك المثال
في نسيان الصلوة كذلك تشرع هذه الامثلة كلها قالع وهذا قياس
ضعيف ولو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اقم الصلوة لذكرى
على جهة التعليل كانت الحجة به قوية ولا يصح ان يقال يصح عندنا نقل ما
في الشرايع من جهة من اسلم منهم كعبد الله بن سلام وغيره صحة نقلها
ولذلك ما شرعه الحواريون ولا سبيل الى صحة شرع عيسى عليه السلام
له

له وقرا ابن كثير واهل مكة ونافع وابو عمرو واهل المدينة وعاصم اقتده بها السـ
السكت ساكنة في الوقف وفي الوصل وقرا حمزة والكسائي اقتد مل بحذف الهاء
في الوصل واثباتها في الوقف وهذا هو القياس وهي تشبه الف الوصل فانها
يقطع في الابتداء وتوصل غير مبتدا بها فكذلك هذه تثبت في الوقف
وتحذف في الوصل وقرا ابن عامر اقتده بكسر الهاء دون بلوغ الياء قال ابن
مجاهد وهذا غلط لانها هاء وقف لا تعرب على حال قال ابو على ووجه ذلك
ان يكون ضمير المصدر كانه قال اقتد الاقتدا وقرا ابن ذكوان على هذا اقتده
باشباع الياء بعد الهاء وقالت فرقة ان كسر الهاء انما هو في هاء السكت
كما قد تسكن هاء الضمير احيانا قالع وهذا ضعيف ولا يجوز عليه القراءة
باشباع الياء وقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه الاية المعنى قل يا محمد لهؤلاء
الكفرة المعاندين لا اسئلكم على دعاى اياكم بالقران الى عبادة الله وتوحيده اجرة
استكثر بها واختص بدنيا بها ان القران الا موعظة وذكرى ودعا لجميع العالمين
والله اعلم قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره الى قوله في خوضهم يلعبون
الضمير في قدروا وقالوا قيل يراد به العرب قاله مجاهد وغيره وقيل يراد به بنو اسرائيل
قاله ابن عباس وقيل رجل مخصوص منهم يقال له مالك بن الصيف قاله سعيد بن
جبير وقيل فنحاص قاله السدى وقدروا هو من توفية القدر والمنزلة فهي عامة
تدخل تحتها من لم يعرف ومن لم يعظم وغير ذلك عبر عن تعليله بقولهم ما انزل الله
يقتضى بانهم جهلوا ولم يعرفوا الله حق معرفته اذ احالوا عليه بعثة الرسل وحق
نصب على المصدر ومن قال ان المراد كفار العرب فيجي الاحتجاج عليهم مستقيما
لانهم يلتزمون صحة نزول الكتاب على موسى عليه السلام وروى ان مالك بن
الصيف كان سمينا فجاء يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدك الله الست تقرا فيما انزل الله على موسى ان الله
يبغض الحبر السمين فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شيء الاية على قول
من قال نزلت في قول بني اسرائيل يلزم ان يكون مدنية وكذلك حكى النقاش انها
مدنية وقرا الحسن وعيسى الثقفي وغيرهما وما قدروا بتشديد الدال حق قدره
بفتح الدال وقرا الجمهور في الاولى بالتخفيف وفي الثانية باسكانه وقوله تعالى
قل من انزل الكتاب الاية امر الله تعالى ان يسقفهم على جهة التقرير على موضع
الحجة والمراد بالكتاب التوراة ونورا وهدى اسمان في موضع الحال بمعنى
نيرا وهاديا فان جعلناه حالا من الكتاب فالعامل فيه انزل وان جعلناه
حالا من الضمير في جاء فالعامل فيه جاء وقرا جمهور الناس يجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء من فوق في الافعال الثلاثة فمن راى الاحتجاج
على بني اسرائيل استقامت له هذه القراءة وتناسبت مع قوله وعلمتم ما لم تعلموا
ومن راى ان الاحتجاج انما هو على كفار العرب فيضطرب في هذه القراءة اذ لا
يمكن دفعها الا ان يقول انه خرج من مخاطبة قريش في استفهامهم و
تقريرهم الى مخاطبة بني اسرائيل بتوبيخهم وتقبيح افعالهم قالع وهذا
مع بعده اسهل من دفع القراءة فكانه قال هذا التاويل قال لقريش من انزل
الكتاب على موسى ثم اعرض على بني اسرائيل فقال لهم خلال الكلام تجعلونه
لهم يا بني اسرائيل قراطيس وقرا ابن كثير وابو عمرو يجعلونها قراطيس يبدونها
ويخفون كثيرا بالياء في الافعال الثلاثة فمن راى ان الاحتجاج على قريش راه
اخبارا امر الله عز وجل بما فعلته اليهود في الكتاب ويحتمل ان يكون الاخبار
بذلك لقريش او للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وما اخبره النبي صلى الله عليه
وسلم باقامته متكفلة ذلك وقراطيس جمع قرطاس اي بطائق واوراق
والمعنى يجعلونها ذا قراطيس من حيث يكتب بها وتوبيخهم بالابداء والا
والاخفاء هو على اخفائهم آيات محمد عليه السلام والاخبار سنونه وجميع
ما عليهم فيه حجة وقوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد وغيره
هي مخاطبة للعرب فالمعنى على هذا ذكر منه الله من عليهم بذلك اعلمتم يا
معشر العرب من الهدايات والتوحيد والارشاد الى الحق ما لم تكونوا عالمين به

ولا اباؤكم قال ع وقوله علمتم ما لم تعلموا يصلح على هذا لمخاطبة من انتفع بالتعليم
ومن لم ينتفع ويصح الامتنان بتعليم الصنفين وليس من شرط من علم ان يتعلم
ولابد اما ان التعليم الكامل هو الذي يقع معه التعلم وقالت فرقة بل هي مخاطبة
لبني اسرائيل والمعنى على هذا يترتب على وجهين احدهما ان يقصد به الامتنان
عليهم وعلى ابائهم بان علموا من دين الله وهداياته ما لم يكونوا عالمين به
لان اباء المخاطبين من بني اسرائيل كانوا علموا ايضا وعلم بعضهم وليس
ذلك في اباء العرب والوجه الاخر ان يكون ذمهم اي وعلمتم انتم واباؤكم ما لم
تعلموه بعد التعليم ولا انتفعتم به لاعراضكم وضلالكم ثم امره تعالى بالمبادرة
الى موضع الحجة اي قل الله هو الذي انزل الكتاب على موسى ويحتمل ان يكون المعنى
فان جهلوا وتحيروا او سالوا ونحو هذا فقل الله ثم امره بترك من كفر
واعرض وهذه اية منسوخة باية القتال ان تاولت موادعة ويحتمل
ان لا يدخلها نسخ اذا جعلت تتضمن تهديدا ووعيدا مجردا من موادعة و
الخوض الذهاب فيما لا يتبين حقائقه واصله في الماء ثم يستعمل في الامور
المشكلة الملتبسة ويلعبون في موضع الحال قوله عز وجل وهذا كتاب
انزلنا ومبارك الاية قوله هذا اشارة الى القران ومبارك صفة و
مصدق كذلك وحذف التنوين من مصدق للاضافة وهي اضافة غير
محضة لم يتعرف بها ولذلك شاع ان يكون وصفا للنكرة والذي في موضع المفعول
والعامل فيه مصدق ولا يصح ان يكون مصدق مع حذف التنوين منه يتسلط
على الذي وتعد بحذف التنوين لالتقا وانما جاء ذلك شاذا في الشعر في قوله فالفيته
غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا ولا يقاس عليه وبين يديه هي حال التورية
والانجيل لان ما تقدم هو بين يدي ما تاخر وقالت فرقة الذي بين يديه هي
القيامة قال ع وهذا غير صحيح لان القران هو بين يدي القيامة وقرا الجمهور
ولتنذر ام القرى اي انت يا محمد وقرا ابو بكر وعاصم ولينذر بالياء اي القران
بمواعظه واوامره واللام في لتنذر متعلقة بفعل متاخر تقديره و
لتنذر ام القرى ومن حولها اي انزلناه لذلك وام القرى مكة سميت
بذلك بوجوه اربعة منها انها منشا الدين والشرع ومنها ما روي ان
الارض منها دحيت ومنها انها وسط الارض كالنقطة للقرى ومنها
ما لحق عن الشرع من انها قبلة كل قرية فهي لهذا كله ام وسائر القرى
بنات وتقدير الاية لتنذر اهل ام القرى ومن حولها يريد سائر الارض
وحولها ظرف والعامل فيه فعل مضمر تقديره ومن استقر حولها ثم ابتداء
تبارك وتعالى بمدح قوم وصفهم واخبر عنهم انهم مومنون بالاخرة
والبعث والنشور ويومنون بالقران ويصدقون بحقيقته ثم قوي عز وجل
مدحهم بانهم يحافظون على صلوتهم التي هي قاعدة العبادات وام
الطاعة وقرا الحسن ابن ابي الحسن وابو بكر عن عاصم صلواتهم بالجمع
ومن قرا بالافراد فانه مفرد يدل على الجمع واذا انضافت الصلوة الى الضمير
لم يلتبس الا بالالف ولا تكتب بالمصحف بواو الا اذا لم تضف الى الضمير
قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى قوله يستكبرون هذه
الفاظ عامة بكل من واقع شيئا مما يدخل تحت هذه الالفاظ فهو داخل
في الظلم الذي قد عظمه الله عز وجل لقوله ومن اظلم اي لا احد اظلم
وقال قتادة وغيره المراد بهذه الاية ان مسيلمة والاسود العنسي
وذكروا رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للسوارين وقال السدي المراد بها
عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
الوحي وكان اخا عثمان بن عفان من الرضاعة فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما
فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابن ابي سرح اكتب فقال عبد الله بن سعد من تلقاء نفسه فتبارك الله

احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها هكذا انزلت
فتوهم عبد الله ولحق بمكة مرتدا وقال انا انزل مثل ما انزل الله وروي
عنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ربما امل عليه والله غفور
رحيم فبدلها والله سميع عليم فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك سواء و
نحو هذا وقال عكرمة اولها في مسيلمة والاخرى عبد الله بن سعد بن ابي
سرح وذكر الزهراوي والمهدوي ان الاية نزلت في النضر بن الحارث
لانه عارض القران بقوله والزارعات زرعا والخابزات خبزا الى غير
ذلك من السخافات قال ع فخصص المتاولون في هذه الايات ذكر من
ان كانوا اسباب نزولها ثم هي الى يوم القيامة يتناول من تعرض
شيئا من معانيها كطليحة الاسدي والمختار بن ابي عبيد وسواهما وقرا
الجمهور سانزل مثل ما انزل الله بتخفيف النون وقرا ابو حيوة سانزل
بتخفيف النون وتشديد الزاي وقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون الاية
هي جواب لو محذوف تقديره لرايت عجبا او هولا ونحو هذا وحذف هذا
الجواب ابلغ من نصه لان السامع اذا لم تنص له الجواب يترك مع غاية تخيله
والظالمون لفظ لمن واقع ما تقدم ذكره او غير ذلك من انواع الظلم الذي
هو كفر والغمرات جمع غمرة وهي المصيبة المذهلة المبهمة وهي مشبهة بغمرة
الماء ومنه قول الشاعر ولا ينجي من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار والملائكة يريد
ملائكة قبض الروح وباسطوا ايديهم كناية عن مدها بالمكروه كما قال تعالى حكاية
عن ابني ادم لئن بسطت الي يدك لتقتلني وهذا المكروه لا محالة اوائل عذاب الله
وامارته قال ابن عباس يضربون وجوههم وادبارهم واما البسط بمجرد
قبض النفس فانه يشترك فيه الصالحون والكفرة وقيل ان المراد بسط الايدي
في جهنم والغمرات كذلك لكنهم لا يقضى عليهم فيموتوا وقوله اخرجوا انفسكم حكاية
لما تقوله الملائكة والتقدير يقولون اخرجوا انفسكم من هذه المصيبات والمحن
وخلصوها ان كان ما زعمتموه حقا في الدنيا وفي ذلك توبيخ وتوقيف على سالف
فعلهم القبيح وقال الحسن هذا التوبيخ على هذا الوجه هو في جهنم ويحتمل ان يكون
ذلك على معنى الزجر والاهانة كما يقول الرجل لمن يقهره بنفسه على امر ما افعل كذا
لذلك الامر الذي يتناوله بنفسه منه على جهة الاهانة وادخال الرعب عليه
وقوله تعالى اليوم تجزون عذاب الهون الاية هو حكاية عن قول الملائكة
للكفرة عند قبض ارواحهم والهون الهوان ومنه قول ابن الاصبع العدواني
فما اذني براعية يرعى المخاض ولا اغضي على الهون وقرا عبد الله ابن مسعود وعكرمة
عذاب الهوان بالالف وقوله تعالى تقولون على الله غير الحق لفظا جامع لكل انواع من
الكفر ولكنه يظهر منه ومن قوله وكنتم عن اياته تستكبرون الايحا على قرب ذكره
من هؤلاء الذين ادعوا الوحي وان ينزلوا مثل ما انزل الله فانها افعال بين فيها
غير الحق على الله وبين فيها الاستكبار قوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الاية
هذه حكاية عما يقال لهم بعد قبض ارواحهم فاما عند خروجهم من الاجساد
واما يوم القيمة كل ذلك محتمل وفرادى معناه افرادا والالف في اخره الف
تانيث ومنه قول الشاعر ترى النعرات الزرق تحت لبانه فرادى ومثنى اصعقتها
صواهله وقرا ابو حيوة فرادا منونا على وزن فعال وهي لغة تميم وفرادى
قيل هو جمع فرد بفتح الراء وقيل جمع فرد بسكون الراء والقصد بالاية توقيف
الكفار على انفرادهم وقلة النصر واحتياجهم الى الله عز وجل بفقد الحول
والشفعا فيكون قوله كما خلقناكم اول مرة تشبيها بالانفراد الاول في وقت الخلقة
ويتوجه معنى اخر وهو ان يتضمن قوله كما خلقناكم زيادة معان على الانفراد
كانه قال ولقد جئتمونا فرادى وبا حوال كذا والاشارة على هذا كما هي الى ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم في صفة من يحشر انهم يحشرون حفاة عراة غرلا
وخولناكم معناه اعطيناكم وكان ابو عمرو بن العلاء ينشد بيت زهير هنالك
ان يستخولوا المال يخولوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا وراء ظهوركم اشارة
الى الدنيا لانهم يتركون ذلك موجودا وقوله تعالى وما نرى معكم الاية توقيف

على الخطا في عبادة الاصنام وتعظيمها قال الطبري وروي ان هذه الايات نزلت
في النضر بن الحارث لانه قال شفعت لي اللات والعزى قال ع ومن كان من العرب يعتقد
انها تقرب الى الله زلفى وتشفع وترى زلفها الى الله وشركها بهذا الوجه فمخاطبته
بهذه الاية متمكنة وهكذا كان الاكثر ومن كان منهم لا يقر بان له غيرها فليس
هو في هذه الاية وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بينكم بالرفع و
قرا نافع والكسائي بينكم بالنصب اما الرفع فعلى وجوه اولاها انه الظرف استعمل
اسما واسند اليه الفعل كما استعملوه اسما في قوله تعالى ومن بيننا وبينك حجاب
وكقولهم فيما حكى سيبويه احمر بين العينين ورجح هذا القول ابو علي الفارسي
والوجه الاخر ان بعض المفسرين منهم الزهراوي حكى ايضا والمهدوي
وابو الفتح وسواهم حكوا ان البين في اللغة يقال على الافتراق وعلى الوصل
فكانه قال لقد تقطع وصلكم قال ع وفي هذا عندي اعتراض لان ذلك
لم يرو مسموعا عن العرب وانما انتزع من الاية والاية محتملة قال الخليل
في العين والبين الوصل لقوله عز وجل لقد تقطع بينكم فعلل بسوق الاية
والاية معترضة لغير ذلك اما ان ابا الفتح يرى ان البين الوصل قال و
قد اتقن ذلك بعض المحدثين بقوله قد استصف البين من البين والوجه الثالث
من وجوه الرفع ان يكون البين على اصله في الفرقة من بان يبين اذا بعد
ويكون في قوله تقطع مجاز على نحو ما يقال في الامر البعيد في المسافة تقطعت
الفجاج بين كذا وكذا عبارة عن بعد ذلك ويكون المقصد لقد تقطعت
المسافة بينكم لطولها فعبر عن ذلك بالبين الذي هو الفرقة واما وجه
قراءة النصب فان يكون ظرفا وان يكون الفعل مستندا الى شيء محذوف
تقديره لقد تقطع الاتصال والارتباط بينكم او نحو هذا قال ع وهذا
وجه واضح وعليه فسره الناس مجاهد والسدي وغيرهما ووجه اخر يراه
ابو الحسن الاخفش وهو ان يكون الفعل مستندا الى الظرف ويبقى الظرف
على حال نصبه وهو في النية مرفوع ومثله عنده قوله وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك وقرا ابن مسعود ومجاهد والاعمش تقطع ما بينكم
بزيادة ما وصل بمعناه تلف وذهب وما كنتم تزعمون يريد دعواهم
انها تشفع وتشارك في الالوهية قوله عز وجل ان الله فالق الحب
والنوى الاية هذا ابتداء تنبيه على العبرة والنظر ويتصل المعنى
بما قبله لان القصد ان الله لا هذه الاصنام وقال مجاهد وابو مالك هذه
اشارة الى الشق الذي في حبة البر ونواة التمر والعبرة على القول هنا
مخصوصة في بعض الحب وبعض النوى وليس لذلك وجه وقال الضحاك وقتادة
والسدي وغيرهم هي اشارة الى فعل الله في ان يشق جميع الحب عن جميع النبات
الذي يكون منه ويشق النوى عن جميع الاشجار الكائنة منه قال ع وهذا هو
الظاهر الذي يعطي العبرة التامة فسبحان الخلاق العليم وقال الضحاك
فالق بمعنى خالق وقال السدي وابو مالك يخرج الحي من الميت اشارة الى
اخراج النبات الاخضر والشجر الاخضر من الحب اليابس والنوى اليابس
فكانه جعل الخضرة والنضارة حياة واليبس موتا وقوله ومخرج الميت
من الحي اشارة الى اخراج الحب اليابس من النبات والشجر وقال ابن عباس
وغيره بل ذلك كله اشارة الى اخراج الانسان الحي من النطفة الميتة واخراج
النطفة الميتة من الانسان الحي وكذلك سائر الحيوان والطير من البيض
والحوت وجميع الحيوان قال ع وهذا القول ارجح وانما تعلق قائل القول
الاول بتناسب تاويلهم مع قوله فالق الحب والنوى وهما على هذا التا
ويل الراجح معنيان متناسبان فيهما معتبر وقال الحسن المعنى يخرج
المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى ذلكم الله ابتداء
وخبر متضمن التنبيه فانى تؤفكون اي تصرفون وتصدون وفالق
الاصباح اي شاقه ومظهره والفلق الصبح وقرا الجمهور فالق
الاصباح بكسر الهمزة وقرا الحسن ابن ابي الحسن وعيسى ابن عمر

وابو رجا

وابو رجا فالق الاصباح بفتح الهمزة جمع صبح وقرات فرقة فالق الاصباح بحذف
التنوين من فالق لالتقاء الساكنين ونصب الاصباح فانه منصوب يقال
ارادوا فالق الاصباح بتنوين القاف وهذه رواية شاذة واما جوزه
سيبويه مثل هذا في الشعر وانشد عليه فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا
قليلا وحكى النقاش عن المبرد جواز ذلك في الكلام وقرا ابو حيوة وابراهيم
النخعي ويحيى بن وثاب فلق الاصباح بفعل ماض وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وابن عامر وجاعل الليل وقرا عاصم وحمزة والكسائي وجعل الليل وهذا
لما كان فالق بمعنى المضي فكان اللفظ فلق الاصباح وجعل ويؤيد ذلك نصب
الشمس والقمر وقرا الجمهور سكنا وروي عن يعقوب ساكنا قال ابو عمرو
الداني ولا يصح ذلك عنه ونصبه بفعل مضمر اذا قرانا وجاعل لانه بمعنى
المضي وتقدير الفعل المضمر وجاعل الليل يجعله سكنا وهذا مثل قولك
هذا معطي زيد امس درهما والذي حكى ابو علي في هذا انه ينتصب بما في
الكلام من معنى يعطي وقرا ابو حيوة والشمس والقمر بالخفض عطفا على
لفظ الليل وحسبانا جمع حساب كشهبان في جمع شهاب اي يجري بحساب
هذا قول ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد وقال مجاهد في صحيح البخاري
المراد بحسبان الرحى وهو الدولاب والعود الذي عليه دورانه قوله
عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم الاية هذه المخاطبة تعم المؤمنين
والكافرين فالحجة بها على الكافرين قائمة والعبرة بها للمؤمنين ممكنة
معترضة وجعل هنا بمعنى خلق لدخولها على مفعول واحد وقد يمكن
ان يكون بمعنى صير ويقدر المفعول الثاني في لتهتدوا لانه يقدر وهو الذي
جعل لكم النجوم هداية وفي ظلمات هي هنا على حقيقتها في ظلمة الليل بقرينة
النجوم التي لا تكون الا بالليل ويصح ان يكون الظلمات هاهنا الشدائد
في المواضع الذي يتفق ان يهتدوا فيها بالشمس وذكر الله تعالى النجوم
في ثلاثة مواضع في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وقوله تعالى
وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها فالواجب ان تعتقد ان ما عدا هذه الوجوه من قول اهل
التاثير باطل واختلاق على الله تعالى وكفر به وفصلنا معناه بينا
وقسمنا والايات الدلائل ولقوم يعلمون تخصيص لهم بالذكر وتنبيه
منه لتحصيلهم الايات وهم معرضون عنها وقوله تعالى وهو الذي
انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع الاية انشا ابتداء لفعل
الشيء ومن نفس واحدة يريد ادم عليه السلام وقرا نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائي فمستقر بفتح القاف على انه موضع الاستقرار
وقرا ابن كثير وابو عمرو فمستقر بكسر القاف على انه اسم فاعل واجمعوا
على فتح الدال من مستودع بان يقدر موضع استيداع وان يقدر
ايضا مفعولا ولا يصح ذلك في مستقر لان استقر لا يتعدى فتبنى منه
مفعولا اما انه روى هرون الاعور عن ابي عمرو ومستودع بكسر الدال
فمن قرا على انها موضع استقرار واستيداع علقها تقديره فلكم مستقر
ومستودع ومن قرا فمستقر ومستودع على اسم الفاعل فمستقر واسم المفعول
فمستودع علقها بمحذوف تقديره فمنكم مستقر ومستودع واضطرب
المتاولون في معنى هذا الاستقرار والاستيداع فقال الجمهور مستقر
في الرحم ومستودع في ظهور الاباء حتى يقضي الله بخروجهم وقال ابن عون
مسست المنزل ابراهيم النخعي وهو مريض فقالوا قد توفي فاخبرني بعضهم
ان عبد الرحمن ابن الاسود ساله عن مستقر ومستودع فقال مستقر
في الرحم ومستودع في الصلب وقال الحسن ابن ابي الحسن مستقر في القبور
ومستودع في الدنيا وقال ابن عباس المستقر الارض والمستودع عند
الرحمن وقال ابن عباس ايضا وابن جبير المستودع في الصلب والمستقر
في الاخرة والذي يقتضيه النظر ان ابن ادم هو مستودع في ظهر ابيه و

وليس يستقر فيه استقرارا مطلقا لانه ينتقل لا محالة ثم ينتقل الى الرحم ثم ينتقل
الى الدنيا ثم ينتقل الى المحشر ثم ينتقل الى الجنة والنار فيستقر في احدهما
استقرارا مطلقا وليس فيها مستودعا لانه لا انتقال له بعد وهو في كل
شي دايم بين هذين الظرفين مستقر بالاضافة الى التي قبلها ومستودع
بالاضافة الى التي بعدها لان لفظ الوديعة يقتضي فيها نقله ولا بد
يفقهون معناه يفهمون وقد تقدم تفسير مثل هذا آنفا والله اعلم
قوله عز وجل وهو الذي انزل من السما ما الى قوله يومنون السما في هذا
الموضع السحاب وكلما اظلك فهو سما وما اصله موه تحركت الواو وانفتح
ما قبلها فقلبت الفا فجا ماه فبدلت الها بالهمزة لخلد الهمزة لان الالف
ضعيفان مهموسان وقوله تعالى نبات كل شي قال بعض المفسرين اي مما ينبت والهاء
وحسن اطلاق العموم في كل شي لان ذكر النبات قبل قد قيل المقصد وقال الطبري المراد
بكل شي كل ما ينمو من جميع الحيوانات والنبات والمعادن وغير ذلك لان ذلك كله
يتغذى وينمو بنزول الما من السماء والضمير في منه يعود على النبات وفي الثاني
يعود على الخضر وخضرا بمعنى اخضر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا خضرة
حلوة بمعنى خضر قالع وكان خضرا انما ياتي ابدا بمعنى النضارة وليس للون فيه
مدخل واخضر انما يمكنه في اللون وهو في النضارة تجوز وقوله تعالى حبا
متراكبا يعم جميع السنابل وما شاكلها كالصنوبر والرمان وغيرهما من جميع النبات
وقوله تعالى ومن النخل من طلعها قنوان دانية ابتداء وخبر مقدم والجملة
في موضع المفعول بتخرج والطلع اول ما يخرج من النخل في اكمامه وقنوان
جمع قنو وهو العذق بكسر العين وهي الكباسة والعرجون عوده الذي ينتظم
فيه التمر وقرا الاعرج قنوان بفتح القاف قال ابو الفتح ينبغي ان يكون اسما للجمع
غير مكسر لان فعلان ليس من امثلة الجمع قال المهدوي وروي عن الاعرج
ضم القاف وذلك على ان جمع قنو بضم القاف قال الفرا وهي لغة قيس واهل
الحجاز والكسر اشهر في العرب وقنو يكنى قنوان ويجمع قنوان منصرفة النون
ودانية معناه قريبة من المتناول قاله ابن عباس والبرا بن عازب والضحاك وقيل
وسله بعضها من بعض وقرا الجمهور جنات بنصب جنات عطفا على قوله
نبات وقرا الاعمش ومحمد بن ابي ليلى ورويت عن ابي بكر عن عاصم وجنات بالرفع
على تقدير ولكم جنات او نحو هذا قال الطبري هو عطف على قنوان قالع وقوله
ضعيف والزيتون والرمان بالنصب اجماعا عطفا على قوله حبا ومشتبها
وغير متشابه قال قتادة معناه يتشابه في الورق ويتباين في التمر قال الطبري
جايز ان يتشابه في التمر ويتباين في الطعم ويحتمل ان يريد يتشابه في الطعم
ويتباين في النظر وهذه الاحوال موجودة في الاعتبار في انواع الثمرات
وقوله تعالى انظروا هو نظر بصر يتركب عليه فكرة قلب وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر ونافع وعاصم الى ثمره بفتح الثا والميم وهو جمع ثمرة كبقرة وبقر وشجرة
وشجر وقرا يحيى بن وثاب ومجاهد الى ثمره بضم الثا والميم قالوا وهي اضافة المال
قالع كان المعنى انظروا الى الاموال التي يحصل منه وهي قراة حمزة والكساي
قال ابو علي والاحسن فيه ان يكون جمع ثمرة كخشبة وخشب واكمة واكم ومنه
قول الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ونظيره في المعتل لابة ولوب وناقة
ونوق وساحة وسوح ويجوز ان يكون جمع جمع فيقول ثمرة وثمار وثمر مثل حمار
وحمر وقرات فرقة الى ثمره بضم الثاء واسكان الميم كانها ذهبت الحطلب
الخفة في تكسير الميم والثمر في اللغة جنى الشجر وما يطلع وان سمى الشجر ثمارا
فيتجوز وقال جمهور الناس في قراة وينعه بفتح اليا وهو مصدر ينع
يينع اذا نضج يقال ينع يينع وبالنضج فسر ابن عباس هذه الاية ومنه قول
الحجاج اني ارى رؤوسا قد اينعت وقد يستعمل ينع بمعنى استقل واخضر
ناضرا ومنه قول الشاعر في قبا رجولد سكوة حفها الرسول قد ينعا وقيل
ينعه انه جمع يانع مثل تاجر وتجر وراكب وركب ذكره الطبري وقرا ابن
محيصن وقتادة والضحاك وينعه بضم اليا اي نضجه وقرا ابن ابي عبلة والي

ويانعه

ويانعه وقوله ان في ذلكم لايات اي علامات ودلائل حسنة وتذكير وقد تقدم تفسير مثله قوله
عز وجل وجعلوا لله شركا الجن الى قوله وهو على كل شي وكيل جعلوا بمعنى
صيروا والجن مفعول وشركا مفعول ثان مقدم ويصح ان يكون شركا مفعولا اول
ولله في موضع المفعول الثاني والجن بدل من قوله شركا وهذه الاية مسندة الى
العادلين بالله والقائلين بان ليس بعلم الغيب العابدين للجن وكانت طوائف
من العرب يفعل ذلك وتستجير بجن الفلوات في اسفارها ونحوها واما الذين
خرقوا البنين فاليهود في ذكر عزير ايضا والنصارى في ذكر المسيح واما ذاكروا البنات
فالعرب الذين قالوا الملايكة بنات الله فكان الضمير في جعلوا وخرقوا لجميع الكفار
اذ فعل بعضهم هذا وبعضهم هذا ونحو هذا فسر السدي وابن زيد وقرا شعيب
ابن ابي حمزة شركا الجن بخفض النون وقرا يزيد بن قطيب الجن والجن بالخفض
والرفع على تقديرهم الجن وقرا الجمهور وخلقهم على معنى وهو خلقهم وفي
مصحف عبد الله بن مسعود وهو خلقهم والضمير في خلقهم يحتمل العودة
على الجاعلين ويحتملها على المجعولين وقرا يحيى بن يعمر وخلقهم بسكون اللام
عطفا على الجن اي وجعلوا خلقهم الذي يختونه اصناما شركا لله وفي السبعة
سوى نافع وخرقوا بتخفيف الرا بمعنى اختلقوا وقرا نافع وخرقوا بتشديد الرا
على المبالغة وقرا ابن عمر وابن عباس وحرفوا بالفا من التحريف كذا قال ابو الفتح
وقال ابو عمرو الداني قرا ابن عباس وحرفوا خفيفة الرا وابن عمر وحرفوا مشددة
وقوله تعالى بغير علم نص على قبح تقحمهم المجهلة وافترائهم الباطل على عمى سبحانه
اي تنزه عن وصفهم الفاسد المستحيل عليه تبارك وتعالى وبديع بمعنى مبدع
ومخترع وخالق فهو بناء اسم فاعل كما جاء سميع بمعنى مسمع واني بمعنى كيف
ومن اين وهي استفهام في معنى التوقيف والتقرير وقرا جمهور الناس ولم تكن
بالتا على تانيث الفعل وقرا ابراهيم النخعي باليا على تذكيرها وتذكير كان
واخواتها مع تانيث اسمها اسهل من ذلك في سائر الافعال فقولك كان
في الدار هند اسوغ من قام في الدار هند وحسن القراة الفصل بالظرف
الذي هو الخبر وصفه في القراة المذكورة ان يكون في تكن ضمير اسم الله
تعالى له وتكون الجملة التي هي له صاحبة ان يكون في تكن ضمير الامر والشان
وتكون الجملة بعده تفسيرا له وخبرا وهذه الاية رد على الكفار بقياس
الغايب على الشاهد وقوله تعالى وخلق كل شي لفظ عام لكل ما يجوز ان
يدخل تحته ولا يجوز ان يدخل تحته صفات الله تعالى وكلامه فليس هو
عموما مخصصا على ما ذهب اليه قوم لان عموم المخصص هو ان يتناول العموم
شيئا ثم يخرجه التخصيص وهذا لم يتناول قط هذه التي ذكرناها وانما
هذا بمنزلة قول الانسان قتلت كل فارس وافحمت كل خصم فلم يدخل
القايل قط في هذا العموم الظاهر من لفظه واما قوله وهو بكل شي عليم
فهذا عموم على الاطلاق لان الله عز وجل يعلم كل شي لا رب غيره ولا
معبود سواه ولما تقررت الحجج وثابت الوحدانية جا قوله ذلكم الله
ربكم الاية يتضمن تقريرا وحكما اجلالا واعلاما انه حفيظ رقيب وعلى كل
قول وفعل وفي هذا الاعلام تحذير وتخويف قوله عز وجل لا تدركه
الابصار الى قوله لقوم يعلمون اجمع اهل السنة ان الله تعالى يرى يوم القيمة
القيمة يراه المومنون فقال ابن وهب عن مالك بن انس والوجه ان
يبين ذلك عقلا ثم يستدل بورود السمع بوقوع ذلك الجايز واختصار
تبيين ذلك ان يعتبر بعلمنا بالله عز وجل فمن حيث جاز ان نعلمه لا في مكان
ولا متحيزا ولا متقابلا ولم يتعلق علمنا باكثر من الوجود جاز ان نراه
غير مقابل ولا محاذي ولا مكيفا ولا محدودا وكان الامام ابو عبد الله النحوي
يقول مسالة العلم حلقت لحى المعتزلة ثم ورد الشرع بذلك وهو قوله
تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وتعديه النظر بالى انما هو في كلام
العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت اليه المعتزلة وذكر
هذا المذهب لمالك فقال اين هم عن قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ

لمحجوبون قالع فقال بدليل الخطاب ذكره النقاش ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
فيما صح عنه وتواتر وكثير نقله انكم ترون ربكم يوم القيمة كما يرون القمر ليلة
البدر ونحوه من الاحاديث على اختلاف ترتيب الفاظها وذهبت المعتزلة الى المنع
من جواز روية الله عز وجل في القيمة واستحال ذلك بارا فجردة وتمسكوا بقوله
تعالى لا تدركه الابصار وانفصل اهل السنة عن تمسكهم بان الاية مخصوصة
في الدنيا وروية الاخرة ثابتة باخبارها وانفصال اخر وهو ان يفرق بين معنى
الادراك ومعنى الروية ويقول انه عز وجل يراه الابصار ولا تدركه وذلك
ان الادراك يتضمن الاحكوك بالشئ والوصول الى غماقه وحوزه من جميع
الجهات وذلك كله محال في وصاف الله تعالى والروية لا يفتقر الى ان يحيط
الراى بالمرى ويبلغ غايته وعلى هذا الترتيب ترتب العكس في قوله وهو
يدرك الابصار ويحسن معناه ونحو هذا روى عن ابن عباس وقتاده وعطيه
العوفي في قوانين الروية والادراك واما الطبرى ففرق بين الروية والادراك
واحتج بقول بني اسرائل انا لمدركون فقال انهم راوهم ولم يدركوهم قالع و
هذا كله خطاء لان هذا الادراك ليس بادراك البصر بل هو مستعار منه
او باشتراك قال وقال بعضهم ان المومنين يرون الله تعالى بحاسه سادسه
تخلق يوم القيمة ويبقى هذه الاية في معنى الادراك بالابصار عامة سليمة قال
قال وقال بعضهم ان هذه الاية مخصوصة بالكافر اى انه لا يدركه ابصارهم
لانهم محجوبون عنه قالع وهذه الاقوال كلها ضعيفة ودعاوى لا تستند الى
قران ولا حديث واللطيف المتلطف في خلقه واختراعه وايقاع تخلقه و
عباده والخبير المختبر بباطن امورهم وظاهرها والبصاير جمع بصيرة وهو ما
يتفقف عن تحصيل العقل للاشياء المنظور فيها بالاعتبار فكانه قال في القران
قد جاءكم والايات طرايق ابصار الحق والمعينه عليه والبصيرة للقلب مستعارة
من ابصار العين والبصيرة ايضا من المعتقد المحصل في قول الشاعر راحوا
بصايرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدوا بها عتد واى وقال بعض الناس في هذا
البيت البصيرة طريقة الدم والشاعر انما يصف جماعة مستوا سعيه في طلب
دم فقيروا وجعلوا الامور وراء ظهورهم وقوله تعالى من ابصر ومن عمي عبارة
مستعارة فيمن اهتدى ومن ضل وقوله وما انا عليكم بحفيظ كان في اول الامر
وقبل ظهور الاسلام ثم بعد ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حفيظا
على العالم احدا اما فالاسلام او السيف وقوله تعالى وكذلك نصرف الايات
وليقولوا درست الاية الكاف في قوله كذلك في موضع نصب بنصرف اى مثل ما بينا
البصاير وغير ذلك تصرف الايات اى نرددها ونوضحها وقرات طايفة وليقولوا
درست بسكون اللام على جهة الامر الذى يتضمن التوبيخ والوعيد وقرا الجمهور و
ليقولوا بكسر اللام على انها لام كي وهي على هذا لام الصيرورة كقوله تعالى فالتقطه
ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اى لما صار امرهم الى ذلك وقرا نافع وعاصم
وحمزة والكساى درست اى يا محمد درست في الكتب القديمة ما تجيانه و
قرا ابن كثير وابو عمرو دارست اى انت يا محمد دارست غيرك في هذه الاشياء
اى قارانه وناظرته وهذه اشارة منهم الى سلمان وغيره من الاعاجم واليهود وقرا
ابن عامر وجماعة من السبعة درست باسناد الفعل الى الايات كانهم اشاروا
الى انها ترددت على اسماعهم حتى يكتب في نفوسهم وامحت قال ابو علي واللام في
ليقولوا على هذه القراة بمعنى لئلا يقولوا اى صرفت الايات واحكمت لئلا يقولوا
هذه اساطير قديمة قد تليت وتكررت على الاسماع واللام على سائر القرات لام
الصيرورة وقرات فرقة دارست كانهم ارادوا دارستك يا محمد اى الجماعة التي
اشرنا اليها قبل من سلمان واليهود وقرات فرقة درست بضم الراء وكانها في
معنى درست اى تليت وقرا قتاده درست بضم الدال وكسر الراء وهي قراة ابن
عباس بخلاف عنه ورويت عن الحسن قال ابو الفتح في درست ضمير الايات
ويحتمل ان يريد عفت وتوسيت وقرا ابي بن كعب درس وهي في مصحف
عبد الله قال المهدوى وفي مصاحف عبد الله ايضا درس ورويت عن الحسن

وقرات

وقرات فرقة درس بتشديد الراء على المبالغة في درس وهذه الثلثة الاخيرة
مخالفة لخط المصحف واللام في قوله وليقولوا متعلقان بفعل متاخر تقديره
صرفناها وقرا ابي بن كعب وابن مسعود والاعمش ونبيله ما اى الله
تعالى وذهب بعض الكوفيين الى ان لا مضمرة بعد ان المقدرة في قوله
وليقولوا فتقدير الكلام عندهم ولئلا يقولوا كما اضمروها في قوله يبين الله
لكم قالع وهذا قلق ولا يجيز البصريون اضمار لا في موضع من المواضع
قوله عز وجل اتبع ما اوحي اليك من ربك الى قوله بما كانوا يعملون هذا الامر
هذان امران للنبي صلى الله عليه وسلم تضمنهما الاقتصار على اتباع الوحي
وموادعة الكفار وذلك كان في اول الاسلام ثم نسخ الاعراض عنهم بالقتال
والسوق الى الدين طوعا او كرها وقوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا في ظاهرها
رد على المعتزلة القائلين انه ليس عند الله لطف يومن به الكافر وان الانسان
والكافر في الجملة يخلق افعاله وهي مضمنة ان اشراكهم وغيره وقف على مشية الله
عز وجل وقوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا كان في اول الاسلام وكذلك
قوله وما انت عليهم بوكيل وقوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله
عدوا بغير علم الاية مخاطبة للمومنين والنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
وسببها ان كفار قريش قالوا لابي طالب اما ان ينهى محمدا واصحابه عن سب
الهتنا والغض منها واما ان نسب الهه ونهجوه فنزلت الاية وحكمها
على كل حال باق في الامة فمتى كان الكافر في منعة وخيف ان يسب الاسلام
او النبي صلى الله عليه وسلم او الله عز وجل فلا يحل لمسلم ان يسب دينهم
ولا صلبانهم ولا يتعرض الى ما يؤدي الى ذلك او نحوه وعبر عن الاصنام
وهي لا يعقل بالذين وذلك على معتقد فيها وفي هذه الاية ضرب من الموادعة
وقرا جمهور الناس عدوا بفتح العين وسكون الدال على المصدر وقرا الحسن
ابن ابي الحسن وابو رجا وقتاده ويعقوب وسلام وعبد الله بن يزيد عدوا
بضم العين والدال وتشديد الواو وهذا ايضا على المصدر وهو من الاعتداء
وقرا بعض المكيين عدوا بفتح العين وضم الدال نصب على الحال اى في حال عداوة
لله وهو لفظ مفرد يدل على الجمع وقوله بغير علم بيان لمعنى الاعتداء المتقدم وقوله
تعالى كذلك زينا اشارة الى ما زين الله لهؤلاء عبدة الاصنام من التمسك
باصنامهم والذب عنها وتزيين الله عمل الامم هو ما يخلقه ويخترعه
في النفوس من المحبة للخير او الشر والاتباع لطرقه وتزيين الشيطن هو ما
يقذفه في النفوس من الوسوسة وخطرات الشر وقوله تعالى ثم الى ربهم
مرجعهم يتضمن وعدا جميلا للمحسنين ووعيدا ثقيلا للمسيئين وقوله
تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم الى قوله يعمهون الضمير في قوله واقسموا عايد
على المشركين المتقدم ذكرهم وجهد نصب على المصدر والعامل فيها اقسموا على
مذهب سيبويه لانه في معناه وعلى مذهب ابى العباس المبرد فعل من لفظه
واللام في قوله لئن لام موطئة للقسم مؤذنة به وانما اللام الملتقية للقسم
فهي قوله ليومنن واية يريد علامة وحكي ان الكفار لما نزلت ان نشا
ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اقسموا جهد
ايمانهم انها ان نزلت امنوا فنزلت هذه الاية وحكى انهم اقترحوا
ان يعود الصفا ذهبا واقسموا على ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدعوا في ذلك فجاءه جبرئيل فقال له ان شئت اصبح ذهبا وان لم يؤمنوا
هلكوا عن اخرهم معاجلة كما فعل بالامم اذا لم تؤمن بالايات المقترحة
وان شئت اخروا حتى يتوب تائبهم فقال عليه السلام بل حتى يتوب تائبهم ونزلت الاية
وقرا ابن مصرف ليومنن بفتح الميم والنون الاولى وبنون خفيفة ثم قال
تعالى قل لهم يا محمد على جهة الرد والتخطية انما الايات بيد الله وعنده
ليست عندي فتقترح على ثم قال تعالى وما يشعركم فاختلف المتاولون
فيمن المخاطب بقوله وما يشعركم ومن المستفهم بما التي يعود عليها الضمير
الفاعل في يشعركم فقال مجاهد وابن زيد المخاطب بذلك الكفار وقال الفرا

وغيره المخاطب به المومنون وما يشعركم معناه وما يعلمكم وما يدريكم وقرا قوم
بسكون الراء وهي على التخفيف ويحسنها ان الخروج من كسرة الى ضمة وقرا ابن
كثير وابو عمرو وعاصم في رواية داود بن الاعماذ انها بكسر الالف على القطع
واستيناف الاخبار فمن قرا تومنون بالتاء وهي قراة ابن عامر وحمزة فاستقامت
له المخاطبة اولا واخرا للكفار ومن قرا يومنون بالياء وهي قراة ابن كثير ونافع
والكسائي يحتمل ان يخاطب اولا واخرا المومنين ويحتمل ان يخاطب به الكفار ثم
يستانف الاخبار عنهم للمومنين ومفعول يشعركم الثاني محذوف ويختلف
تقديره بحسب كل تاويل وقرا نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي وابن
عامر انها بفتح الالف فمنهم من جعلها ان التي تدخل على الجمل وياتي بعد الافعال
كعلمت وظننت او عمل فيها يشعركم والتزم بعضهم ان لا زايده في قوله لا يومنون
وان معنى الكلام وما يشعركم انها اذا جاءت يومنون ويومنون فزيدت لا كما
زيدت في قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون لان المعنى وحرام على
قرية مهلكة رجوعهم وكما جاءت زائدة في قول الشاعر اي جودة لا البخل
واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله وقال الزجاج اراد اي جودة البخل
وكما جاءت زائدة في قول الشاعر افعنك لا برق كان وميضه غاب تسنمه
حرام منعت ودعا الى التزام هذا حفظ المعنى لانها لو لم تكن زائدة لعاد
الكلام عذرا للكفار وفسد المراد بالاية وضعف الزجاج وغيره زيادة
لا وقال هو غلط ومنهم من جعل انها بمعنى لعلها وحكاه سيبويه عن
الخليل وهو تاويل لا يحتاج معه الى تقدير زيادة لا وقال هو غلط ومنهم من
جعل انها بمعنى لعلها وحكى الكسائي انها كذلك في مصحف ابي بن كعب وما
ادراكم لعلها انها اذا جاءت الاية ومن هذا المعنى قول الشاعر قلت لشيبان
ادن من لقائه لدا بعدي القوم من شرائه فهذه كلها بمعنى لعل وضعف ابو علي
هذا بان التوقع الذي فيه لا لا يناسب الاية بعد التي حكمت بانهم لا يومنون
ويرجح عندي في الاية ان يكون على بابها وان يكون المعنى قل انما الايات عند الله
لانها اذا جاءت لا يومنون وهو لا ياتي بها لاصرارهم على كفرهم ويكون الاية
نظير قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اي بالايات
المقترحة قالع ويترتب على هذا التاويل ان يكون ما نافية وقد اى ذلك ابو علي
فتامل ويرجح عنده ايضا ان يكون لا زائدة وبسط شواهده في ذلك وحكى
بعض المفسرين ان في اخر الاية يستغنى به عن زيادة لا وعن تاويلها بمعنى لعل
وتقدم عندهم انها اذا جاءت لا يومنون او يومنون قالع وهذا قول ضعيف
لا يعضده لفظ الاية ولا يقتضيه ويحتمل الاية ان يكون المعنى يتضمن الاخبار
انهم لا يومنون وما يشعركم بهذه الحقيقة اي لا شعور لكم بها
وهي حق في نفسها وهم لا يومنون اي لو جاءت وما استفهام على هذا التاويل
وفي مصحف ابن مسعود وما يشعركم اذا جاءتهم انهم يومنون بسقوط انها
وقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم المعنى على ما قالت فرقة ونقلب
افئدتهم وابصارهم في النار وفي لهيبها في الاخرة لما لم يومنوا في الدنيا
ثم استانف على هذا ونذرهم في الدنيا في طغيانهم يعمهون وقالت فرقة المراد
بالتقلب التحويل عن الحق والهدى والترك في الضلالة والكفر ومعنى الاية
ان هولاء الذين اقسموا انهم يومنون ان جاءت اية نحن نقلب افئدتهم
وابصارهم ان لو جاءت ولا يومنون بها كما لم يومنوا اول مرة بما دعوا اليه
من عبادة الله عز وجل فاخبر الله على هذا التاويل بصورة فعله بهم
وقرا ابن رجاء ويذرهم بالياء فيهما كناية عن الله تبارك وتعالى
وقرا ايضا فيما روي عنه مغيرة وتقلب بفتح التاء واللام بمعنى وتقلب
افئدتهم وابصارهم بالرفع فيهما ويذرهم بالياء وجزم الراء وقالت فرقة
قوله كما في هذه الاية انما هي بمعنى المجازاة اي لما لم يومنوا اول مرة
نجازيهم بان نقلب افئدتهم عن الهدى ونطبع على قلوبهم فكانه قال
ونحن نقلب افئدتهم عن الهدى ايضا وابصارهم جزاء لما لم يومنوا اول مرة

بما دعوا

بما دعوا اليه من الشرع والضمير في به يحتمل ان يعود على الله عز وجل وعلى
القران او على النبي صلى الله عليه وسلم ونذرهم معناه نتركهم وقرا الاعمش
والهمداني ويذرهم بالياء وجزم الراء على وجه التخفيف والطغيان
التخبط في الشر والافراط فيما يتناوله المرء والعمه التردد والحيرة
قوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله وما يفترون
اخبر الله تعالى في هذه انه لو اتى بجميع ما اقترحوه من انزال الملائكة واحيا
سلفهم حسبما كان من اقتراح بعضهم انه يحيي قصي يخبر بصدق محمد
او يجمع عليهم كل شي يعقل ان يحشر عليهم ما امنوا الا بالمشية
واللطف الذي يخلقه ويخترعه في نفس من شاء لا رب غيره وهذا
يتضمن الرد على المعتزلة في قولهم بالايات التي تضطر الكفار الى الايمان
وقال ابن جريج نزلت هذه الاية في المستهزئين قالع وهذا لا يثبت الا بسند
وقرا نافع وابن عامر وغيرهما قبلا بكسر القاف وفتح الباء ومعناه مواجهة
ومعاينة قاله ابن عباس وغيره ونصبه على الحال وقال المبرد المعنى ناحية
كما تقول لي قبل فلان دين قالع فنصبه على هذا هو على الظرف وقرا عاصم
وحمزة والكسائي وغيرهم قبلا بضم القاف والباء وكذلك قرا ابن كثير
وابو عمرو هنا وقرا في العذاب قبلا مكسورة القاف واختلف في معناه
فقال عبد الله بن زيد ومجاهد وابو زيد قبل جمع قبيل اي صنفا صنفا
ونوعا نوعا كما يجمع قضيب على قضب وغيره وقال الزجاج والفراء جمع
هو جمع قبيل وهو الكفيل اي وحشرنا عليهم كل شي كفلا بصدق محمد
وذكره الفارسي وضعفه وقال بعضهم قبل بضم القاف بمعنى قبل
بكسر القاف اي مواجهة كما يقول قبل ودبر ومنه قوله تعالى قد من قبل
ومنه قراة ابن عمر لقبل عدتهن اي لاستقبالها ومواجهتها في الزمن
وقرا الحسن وابو رجاء وابو حيوة قبلا بضم القاف وسكون الباء وقرا
ابي والاعمش قبيلا بفتح القاف وكسر الباء بزيادة ياء مع فتح القاف والنصب
والنصب في جميع هذا على الحال وقوله تعالى ولكن اكثرهم يجهلون الضمير
عائد على الكفار المتقدم ذكرهم والمعنى يجهلون ان الاية تقتضي ايمانهم
ولا بد فيقتضي اللفظ ان الاقل لا يجهل فكان فيهم من يعتقد ان الاية
لو جاءت لم يومن الا ان يشاء الله ذلك **وقوله تعالى** وكذلك جعلنا لكل نبي
الاية يتضمن تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وعرض القدوة عليه اي ان
هذا القول الذي امتحنت به يا محمد من الاعداء قد امتحن به غيرك من الانبيا
ليبتلي الله اولوا العزم منهم وعدوا مفرد في معنى الجمع ونصبه على المفعول
الاول لجعلنا والمفعول الثاني في قوله لكل نبي وشياطين والثاني عدوا
ويصح ان يكون المفعول الاول شياطين والثاني عدوا وقوله شياطين الانس
والجن يريد المتمردين من النوعين الذين هم من سيم السو كالشياطين وهذا
قول جماعة من المفسرين ويويده حديث ابي ذر انه صلى يوما فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعوذ يا ابا ذر من شيطان الانس والجن قال وان من
الانس لشياطين قال نعم وقال السدي وعكرمة المراد الشياطين الموكلون بالانس
والشياطين الموكلون بمومني الجن وزعما ان للجن شياطين موكلين بغوايتهم وانهم
يوحون الى شياطين الانس بالشر والوسوسة يتعلمها بعضهم من بعض
فالاول لا شياطين من الانس قالع وهذا قول لا يستند الى خبر ولا الى نظر ويوحي
معناه يلقيه في خفية فهو كالمناجاة والسرار وزخرف القول معناه محسنه
ومزينه بالاباطيل قاله عكرمة ومجاهد والزخرفة الذي ذلك انما يستعمل في الشر
وغرورا نصب على المصدر ومعناه انهم يغرون به المضللين ويوهمونهم
انهم على شي والامر بخلافه والضمير في قوله فعلوه عائد على اعتقادهم العداوة
ويحتمل على الوحي الذي يتضمنه يوحي وقوله فذرهم وما يفترون لفظ يتضمن
الامر بالموادعة منسوخ باية القتال قال قتادة كل ذر في كتاب الله تعالى
منسوخ بالقتال يفترون معناه يختلقون ويسفون وهو من الفرية تشبيها

بغري الادبم قوله عز وجل ولتصغى اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة الى قوله
من الممترين ولتصغى معناه لتميل يقال صغا يصغا واصلي بكسر الغين لكنه
رده حرف الحلق الفتح ويقال صغى يصغى يصغوا واصغى يصغى وافئدة جمع فواد ويقترفون
معناه يواقعون ويجترحون وهي مستعملة في اكثر ذلك في الشر والذنوب
ونحوه والقرا على كسر اللام في ثلثة الافعال على انها لام كي فاما ان يكون
معطوفة على غرورا واما ان يكون متعلقه بفعل موخر تقديره فعلوا ذلك
وجعلنا ذلك فهي لام صيرورة قاله الزجاج ولا يحتمل ان يكون هذه اللامات
على هذه القراة لام الامر وضمنها الوعيد وسقى الالف في لتصغى على نحو ما جاء
من ذلك في قول الشاعر الم ياتيك الى غير ذلك مما قد قري به وقال ابو الفتح
قراها الحسن بالتسكين في الثلثة وهي لام كي وهي معطوفة على قوله
غرورا التقدير لاجل الغرور ولتصغى واسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال
وروى قالع ويظهر ان يحمل قراة الحسن بسكون اللامات للامر به على انها
لام الامر المضمن والوعيد والتهديد والخط على هذه القراة ولتصغى ذكر
ابو عمرو الداني ان تسكينه في اللامات الثلث وكذلك قال ابو
الفتح وذكر ابو الحسن انما سكن الثانية والثالثة قالع ويتخرج
ان يسكن اللام في ولتصغى على ما ذكرناه في قراة الجماعة قال ابو عمرو وقراه
الحسن انما هي ولتصغى بكسر العين وقراه ابراهيم النخعي لتصغى بضم الياء
وكسر العين من اصغى يصغى وكذلك قرا الجراح ابن عبد الله وقوله تعالى
مفصلا نصب على البيان والتمييز ومفصلا معناه مزال الاشكال لقد فصلنا
باية وهذه الاية وان كان معناها يعم في ان الله لا ينبغي سواه حكما في كل شي وفي
قصة فانما يحتاج في الكلام واسبا في المعاني ان ينظر الى القصة فيما تقدم تكون
شيا القول تعالى افغير الله ابتغي حكما فبقي والله اعلم حكمه عليهم بان لا يومنوا
ولو بعث اليهم كل الايات وحكمه بان جعل للانبيا اعدا من الجن والانس
وحكما ابلغ من حاكم اذ هي صيغة للعدل من الحكام والحاكم جار على الفعل فقد
يقال للجار او حكما نصب على البيان او الحال وبهذه الاية خاصمت الخوارج
عليا عليه السلام في تكفيره بالتحكيم ولا حجة بها لان الله تعالى حكم الصيد
وبين الزوجين فتحكيم المومنين حكمه تعالى وقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق يتضمن الاستشهاد بمومنيهم والطعن والتنبيه
على مشركيهم وحسدتهم وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد
والباقون بالتخفيف والكتاب اولا هو القران وثانيا اسم جنس التوريه و
الانجيل والزبور والصحف ووصفه اهل الكتاب بالعلم عموم بمعنى الخصوص
وانما يريد علماوهم واحبارهم وقوله ولا تكونن من الممترين تثبيت ومبالغة
وطعن على الممترين قوله عز وجل وتمت كلمة ربك الى قوله وهو اعلم بالمهتدين
تمت في هذا الموضع بمعنى استمرت وصحت في الازل صدقا وعدلا وليس بتمام
من نقص ومثله ما وقع في كتاب السير من قوله وتم حمزة على اسلامه في الحديث
مع ابي جهل والكلمات ما نزل على عباده وقرا عاصم وحمزة والكسائي كلمة
بالافراد هنا وفي يونس في الموضعين هنا وفي حم المومن وقرا نافع وابن
عامر جميع ذلك كلمات بالجمع وذهب الطبري الى انه القران كما يقال كلمة فلان
في قصيدة الشعر والخطبة البليغة قالع وهذا عندي بعيد معترض وانما القصد
العبارة عن نفوذ قوله تعالى صدقا فيما يقتضيه ويتضمنه من خبر وعدلا فيما
يتضمنه من حكم وهما مصدران في موضع الحال قال الطبري نصبا على التمييز وهذا
غير صواب ولا مبدل لكلماته معناه في معانيها فان من احد بان حرفه بحذف
ما اخبره او من ان امره لا ينفذ والمثال من هذا ان الله تعالى قال لنبيه
عليه السلام فان رجعك الله الى طائفة منهم الاية فقال المنافقون للنبي
عليه السلام وللمومنين ذرونا نتبعكم فقال تعالى لنبيه عليه السلام
يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل اي في قوله
قل لن تخرجوا لان مضمنه الخبر بان لا يباح لهم خروج واما الالفاظ فقد بدلها

بنو اسرائيل وعنى بها هذا مذهب جماعة من العلما وروى عن ابن عباس انهم انما
بدلوا بالتاويل والاول ارجح وفي حرف ابي ابن كعب لا مبدل لكلمات الله وقوله تعالى
وان تطع اكثر من في الارض المعنى فامض يا محمد لما امرت به واعدل لسالكعالد
ان تطع اكثر من في الارض يضلوك وذكر اكثر لان اكثر اهل الارض حينئذ كان
اكثرهم كافرين ولم يكن المومنون الا قلة وقال ابن عباس الارض هنا الدنيا
وحكى ان سبب هذه الاية ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امر الذبائح فقالوا انأكل مما نقتل ونترك ما قتل الله تعالى فنزلت الاية
ثم وصفهم عز وجل بانهم انما يتبعون يعتقدون ظنونهم ويتبعون
عرضهم والخرص الحزر والظن وقرا جمهور الناس وقرا الحسن ابن ابي الحسن
يضل بضم الياء ورواه احمد بن ابي شريح يضل بفتح الياء وعن الكسائي ومن
في قوله من يضل في موضع نصب بفعل مضمر تقديره يعلم من وقيل في موضع رفع
كانه قال اي يضل عن سبيله ذكره ابو الفتح وضعفه ابو علي وقيل في موضع
حفص باضمار الجر كانه قال بمن يضل عن سبيله وهذا ضعيف قال
ابو الفتح هذا هو المراد فحذفت باء الجر ووصل اعلم بنفسه قال ولا يجوز
ان يكون اعلم مضافا الى من لان افعل بعض ما يضاف وهذه الاية بمعنى في
ضمنه وعيد المطلين ووعيد للمهتدين قوله عز وجل فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه الى قوله اعلم بالمهتدين القصد بهذه الاية النهي عما ذبح للنصب
وغيرها وعن الميتة وانواعها فجاءت العبارة امرا بما يضاد ما قصد
النهي عنه ولا قصد في الاية الى ما نسي المومن فيه التسمية او تعمدها بالترك
وقال عطا هذه الاية امر بذكر اسم الله تعالى على الشراب والطعام والذبح
وكل مطعوم وقوله تعالى ان كنتم باياته مومنين اي ان كنتم باحكامه واوامره
اخذين فان الايمان بها يتضمن ويقتضي الاخذ بها والانقياد لها وقوله تعالى
وما لكم ان لا تاكلوا ما استفهام يتضمن التقرير وتقدير هذا الكلام واي شي
لكم في ان لا تاكلوا فان في موضع خفض بتقدير حرف الجر ويصح ان يكون في موضع
نصب على ان لا يقدر حرف جر ويكون الناصب معنى الفعل الذي في قوله ما لكم
تقديره ما يمنعكم وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي وقد تبين لكم الحلال من الحرام
وازيد عنكم اللبس والشك وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وقد فصل لكم ما
حرم عليكم على بناء الفعل للمفعول في الفعلين وقرا ابو بكر عن عاصم وحمزة
والكسائي وقد فصل على اسناد الفعل الى الفاعل لكم ما حرم على اسناد الفعل
للفاعل وفتح الصاد وتخفيفها ما حرم على اسناد الفعل الى المفعول وقرا
عطية العوفي فقد فصل على بناء الفعل للفاعل وفتح الصاد وتخفيفها
ما حرم على بناء الفعل للمفعول والمعنى قد فصل الحرام من الحلال وانتزعه
بالتبيين وما في قوله الا ما اضطررتم اليه يريد بها من جميع ما حرم كالميتة
وغيرها وهي في موضع نصب بالاستثناء والاستثناء منقطع وقوله تعالى
وان كثيرا يريد الكفرة المجادلين في المطاعم بما ذكرناه من قولهم
تاكلون ما تذبحون ولا تاكلون ما ذبح الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ليضلون
بفتح الياء على معنى اسناد الضلال اليهم في هذه السورة وفي يونس ربنا
ليضلوا وفي سورة ابراهيم اندادا ليضلوا وفي الحج ثاني عطفه ليضل وفي لقمان
ليضل عن سبيل الله بغير علم وفي الزمر اندادا ليضل وقرا نافع وابن عامر
كذلك في هذه ويونس وفي الاربعة التي بعدها بضم الياء على معنى
اسناد اضلال غيرهم اليهم فهذه ابلغ في ذمهم لان كل مضل ضال
وليس كل ضال مضلا وقرا عاصم وحمزة والكسائي في المواضع الستة
بضم الياء ثم بين تعالى في ضلالهم انه على اقبح الوجوه وانه بالهوى لا
بالنظر والتامل وبغير علم معناه في غير نظر فان من يضل بنظر
ما عذر بعض عذر في انه اجتهد ثم توعدهم تعالى بقوله ان ربك اعلم
بالمعتدين قوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه الاية هذا
نهي عام من ظاهره لان الاثم يعم الاحكام والنسب اللاحقة للعصاه

عن جميع المعاصي والظاهر والباطن يستوفيان جميع المعاني وقد ذهب
المتاولون الى ان الاية من ذلك في مخصص فقال السدي ظاهره الزنا الذي
كانت العرب يفعله وباطنه اتخاذ الاخدان وقال سعيد بن جبير الظاهر
ما نص الله على تحريمه من النساء بقوله حرمت عليكم الاية وقوله ولا تنكحوا
ما نكح اباوكم من النساء الاية والباطن الزنا وقال ابن زيد الظاهر
التعدي والباطن الزنا قال ع يريدون التعدي الذي كانت العرب
يفعله في طوافها وقال قوم الظاهر الاعمال والباطن المعتقد قال ع
وهذا حسن لانه عام ثم توعد تعالى كسبة الاثم بالمجازاة على ما اكتسبوه
من ذلك ويحملوا ثقله والاقتراف الاكتساب قوله عز وجل ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه الاية النهي عن الميتة يعني المقصود بهذه الاية
النهي عن الميتة اذ هي جواب لقول المشركين يتركون ما قتل الله والنهي
ايضا عما ذبح للانصاب ومع ذلك فلفظها يعم ما تركت التسمية عليه
من ذبائح الاسلام وبهذا العموم تعلق محمد بن سيرين وعبد الله بن زيد
الخطمي والشعبي وغيرهم مما تركت التسمية عليه نسيانا وعمدا لم يوكل
وقالت طائفة عظيمة من اهل العلم يوكل ما ذبح ولم يسم عليه نسيانا
ولا يوكل ما لم يسم عليه عمدا وهذا قول الجمهور وحكى الزهراوي عن مالك
انه قال توكل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمدا ونسيانا وعن ربيعة
ايضا قال عبد الوهاب التسمية سنة فاذا تركها الذابح ناسيا اكلت
الذبيحة في قول مالك واصحابه واذا تركها عمدا فقال مالك لا توكل على
التحريم وحمل بعضهم على الكراهة وقال اشهب توكل ذبيحة تارك التسمية
عمدا الا ان يكون مستخفا وقال نحوه الطبري وذبائح اهل الكتاب عند
جمهور العلماء في حكم ما ذكر اسم الله عليه من حيث لهم دين وشرع
وقال قوم نسخ من هذه الاية ذبائح اهل الكتاب قاله عكرمة والحسن
ابن ابي الحسن والضمير في انه من قوله فانه لفسق عائد على الاكل الذي
تضمنه الفعل في قوله فلا تاكلوا ويحتمل ان يعود على ترك الذكر الذي تضمنه
قوله لم يذكر والفسق الخروج عن الطاعة عرفه في الشرع وقوله تعالى وان
الشياطين قال عكرمة عنى بالشياطين في هذه الاية مردة الانس من مجوس
فارس وذلك بانهم كانوا يوالون قريشا على عداوة النبي صلى الله عليه
وسلم فخاطبوهم منبهين على الحجة التي ذكرنا في امر الذبائح من قولهم تاكلون
ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله فذلك من مخاطبتهم هو الوحي الذي عنى و
الاولياء قريش والمجادلة هي تلك الحجة وقال ابن عباس وعبد الله بن كثير بل الشياطين
الجن واللفظة على وجهها وكفرة الجن اولياء لكفرة قريش ووحيهم اليهم
كان بالوسوسة حتى الهموهم تلك الحجة على السنة الكهان وقال ابو زميل كنت
عند عبد الله بن عباس فجاءه رجل فقال ان ابا اسحق يعني المختار زعم انه اوحي اليه
الليلة فقال ابن عباس صدق فنفرت وقرا ابن عباس ان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم ثم نهى الله عن طاعتهم بلفظ يتضمن الوعيد وعرض اصعب مثال
من ان يشبه المومنين بمشرك وحكى الطبري عن ابن عباس قولا ان الذين
جادلوا بتلك الحجة هم قوم من اليهود قال ع وهذا ضعيف لان اليهود لا تاكل
الميتة اما ان ذلك يتجه منهم على جهة المغالطة كانهم يحتجون عن العرب
قوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه الى قوله وما يشعرون تقدم في ذكر
هذه الايات السالفة ذكر قوم من المومنين امروا بترك ظاهر الاثم وباطنه
وغير ذلك وذكر قوم كافرين يضلون باهوائهم وغير ذلك فمثل الله عز وجل
في الطائفتين بان شبه الذين امنوا بعد كفرهم باموات احيوا وهذا معنى
قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وشبه الكافرين وحيرة جهلهم بقوم
في ظلمات يترددون فيها ولا يمكنهم الخروج منها ليبين الله عز وجل
الفرق بين الطائفتين والفرق بين المنزلتين وقرا جمهور الناس اومن بفتح
الواو فهي الف استفهام دخلت على واو عطف جملة على جملة ومن بمعنى الذي

وقرا طلحة

وقرا طلحة بن مصرف افمن بالفاء والمعنى قريب من الواو والفاء في قوله فاحييناه
عاطفة ونورا امكن ما يعني به الايمان ويمشي به ويراد بجميع التصرف في الافعال
والاقوال قال ابو علي ويحتمل ان يراد النور الذي يوتى المومن يوم القيمة وفي الكلام
متعلق بيمشي ويصح ان يتعلق بكان ميتا وقوله تعالى كمن مثله بمنزلة كمن هو والكاف
في قوله كذلك زين متعلقة بمحذوف يدل ظاهر الكلام عليه تقديره وكما
احيينا المومنين وجعلنا لهم نورا كذلك زين للكافرين ويحتمل ان يتعلق
بقوله كمن مثله اي كهذه الحال هو التزيين وقرا نافع وحده ميتا بكسر الياء
وشدها وقرا الباقون ميتا بسكون الياء قال ابو علي التخفيف كالتشديد
والياء المحذوفة هي الثانية المنقلبة عن واو اعلت بالحذف كما اعلت بالقلب
بالقلب وقالت طائفة ان هذه الالفاظ التي مثل بها وان كانت تعم كل مومن
وكل كافر فانما نزلت في مخصوصين فقال الضحاك المومن الذي كان ميتا فاحيي
عمر بن الخطاب وحكى المهدوي عن بعضهم انه حمزة بن عبد المطلب
وقال عكرمة عمار بن ياسر قال الزجاج في التفسير انه يعني به النبي صلى الله عليه
وسلم قال ع واتفقوا على ان الذي في الظلمات ابو جهل بن هشام والحالة
وحال امثاله الاشارة والتشبيه بقوله وكذلك جعلنا في كل قرية وهذه الاية
يتضمن انذارا بفساد حال الكفرة المتقدم ذكرهم لانه مقتضى حال من تقدمهم
من نظرائهم وقال عكرمة نزلت هذه الاية في المستهزئين قال ع يعني ان
التمثيل لهم وجعلنا في هذه الاية بمعنى صيرنا فهي تتعدى الى مفعولين
فالمفعول الاول مجرميها والثاني اكابر وفي الكلام هنا تقديم وتاخير تقديره
وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وقد تقدم الاهم لعله كبرهم اجرموا
ويصح ان يكون المفعول الاول اكابر ومجرميها مضاف والمفعول الثاني
في كل قرية وليمكروا بنصب لام الصيرورة والاكابر جمع اكبر كما الافاضل
جمع افضل ويقال اكابرة كما قالوا احمر واحامرة ومنه قول الشاعر ان الاحامرة
الثلثة اهلكت مالي وكنت بهن قدما مولعا يريد الخمر واللحم والزعفران
والمكر التحيل بالباطل والخديعة ونحوها وقوله وما يمكرون الا بانفسهم
يريد الرجوع ووبال ذلك عليهم وما يشعرون اي وما يعلمون وهي لفظة
ماخوذة من الشعار وهو الذي يلي البدن فكان الذي يشعر بشي عنده
ان يعلم على حسد وفي ذلك مبالغة في صفة جهله اذ البهائم تعلم علوم
الحس واما هذه الاية فانها نفي فيها الشعور في نازلة مخصوصة
قوله عز وجل واذا جاءتهم اية الى قوله على الذين لا يومنون هذه
الاية ذم للكفار وتوعد لهم بقوله واذا جاءتهم علامة والدليل
على صحة الشرع سخطوا وتشحوا وقالوا انما نعلوا ما اتوا بما يجي
اما الموتى فرد الله عز وجل بقوله الله يعلم حيث يجعل رسالاته اي فيمن
اصطفاه وانتجبه لا فيمن كفر وجعل يتسطط على الله قال الزجاج
قال بعضهم الابلغ في تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعث مطاعين
في قومهم واعلم يتعلق العمل والعامل في حيث فعل تقديره يعلم حيث
ثم توعد تعالى بان هولاء المجرمين الاكابر في الدنيا سيصيبهم
عند الله صغار وذلة وعند متعلقة بسيصيب ويصح يتعلق بصغار
لانه مصدر وقال الزجاج صغار ثابت عند الله وقالوا ان ابو علي هو متعلق
بصغار دون تقدير ثابت ولا شي غيره وقوله تعالى فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام الاية من شرط ويشرح جواب الشرط
والاية نص في ان الله تبارك وتعالى يريد هدى المومن وضلال الكافر
وهذا عند اهل السنة بالارادة القديمة التي هي صفة ذاته تعالى
والهدى في هذه الاية هو خلق الايمان وتحسينه واعداد القلب لقبوله
وتحصيله والهدى لفظة مشتركة ياتي بمعنى الامر كقوله عز وجل وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وياتي بمعنى ارشاد المومنين الى مسالك الجنان
والطرق والاعمال المفضية اليها كقوله عز وجل فلن يضل اعمالهم سيهديهم

ويصلح بالهم الى غير ذلك الا انها في هذه الاية وفي قوله ومن يهدي الله فهو
المهتدى وفي قوله انك لا تهدى من احببت لا يتجه حملها الا على طرق الايمان
واجتراعه الى الوجوه الاجر من الهدى يدفعها قراين الكلام مما قبل وبعد
وقوله يشرح صدره الفاظ مستعارة هاهنا اذ الشرح التوسعة والبسط
في الاجسام واذا كان الجرم مشروحا موسعا كان معدا لتحلله فتشبه
توطية القلب وتنويره وتطهيره واعداده للقبول بالشرح اي يشرح
والتوسيع وشبه قبوله وتحصيله للايمان بالحلول في الجرم المشروح فالصدر
عبارة عن القلب وهو المقصود اذ الايمان من خصاله وكذلك الاسلام
عبارة عن الايمان اذ الاسلام اعم منه وانما المقصود هنا الايمان
فقط بدليل تزيينه الشرح والهدى الهدى حب ولكنه عبر بالاسلام
اذ هو اعم وادمن الاعمال وامتثال العبادات وفي يشرح ضمير عايد على
الهدى واعوده على الله عز وجل ابين قالع والقول بان الضمير عايد على
الهدى قول يركب عليه مذهب القدرية في خلق الافعال وينبغي ان يعتقد
ضعفه وان الضمير انما هو عايد على اسم الله عز وجل قالوا هذا يعضده اللفظ
والمعنى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول
الله كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر
وانفسح قالوا وهل لذلك علامة يا رسول الله قال نعم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الفوت
والقول في قوله ومن يرد ان يضله كالقول في قوله فمن يرد الله ان يهديه
وقوله يجعل صدره ضيقا حرجا الفاظ مستعارة تضاد شرح الصدر
للاسلام ويجعل في هذا الموضع تكون بمعنى يحكم له بهذا الحكم كما يقول
هذا يجعل البصرة مصرا اي يحكم لها بحكمها وهذا المعنى يفوت
من صيره وذكر ابو علي الفارسي قال ايضا يصح ان يكون جعل
بمعنى سمى كقوله وجعلوا الملائكة اناثا اي سموهم قال ووجه الاية
يحتمل هذا المعنى قالع وهذا الوجه تضعف من هذه الاية وقرا
جمهور الناس والسبعة سوى ابن كثير ضيقا بكسر الياء وتشديدها
وقرا ابن كثير بسكون الياء وكذلك في الفرقان قال ابو علي وهما
بمنزلة الميت والميت قال الطبري وبمنزلة الهين والهين قال ويصح
ان يكون الضيق مصدرا من قولك ضاق الامر يضيق ضيقا وضيقا
وحكي عن الكسائي انه قال الضيق بتشديد الضاد وكسرها في الاجرام
والعاس والضيق بفتح الضاد في الامور والمعاني وقرا نافع وعاصم
في رواية ابي بكر حرجا بكسر الراء قال ابو علي فمن فتح الراء كان وصفا
بالمصدر كما يقول رجل فمن يكنا وذنف ومن كسر الراء فهو كدنف
وقمن وفرق وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قراها يوما ففتح
الراء وقراها بعض الصحابة بكسر الراء فقال ابغوني رجلا من كنانة وليكن
راعيا وليكن من بني مدلج فلما جاءه قال له يا فتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة
التي تكون من الاشجار لا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك
قلب المنافق لا يصل اليه شي من الخير وقوله كانما يصعد في السما كان هذا
الضيق الصدر يحاول الصعود في السماء متى حاول الايمان او فكر فيه ويجد
صعوبته عليه كصعوبة الصعود في السماء قال بهذا التاويل ابن جريج وعطا
الخراساني والسدي وقال ابن جبير المعنى لا يجد مسلكا الا صعدا من شدة
التضايق وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يصعد بادغام
التاء من يتصعد في الصاد وقرا عاصم في رواية ابي بكر تصاعد في ادغام
التاء من يتصاعد في السماء يريد من سفل الى علو في الهوا قال ابو علي ولم
يرد في السما بعينها وانما هو كما قال سيبويه والقيد ودوا الطويل في غير سما
يريد في غير ارتفاع صعدا قال ومن هذا قوله عز وجل قد نرى تقلب
وجهك في السماء في جهات الجو قالع وهذا على غير راي من تاول التقلب

الوجه انه الدعا الى الله في الهداية الى سبله فان مع الدعا يستقيم ان يقلب
وجهه في السماء المظلمة حسب عادة الداعين اذ قد القوا مجي النعم والالاء
من تلك الجهة ويحتمل الاية ان يكون التشبيه بالمصاعد في عقبة كوود كانه
يصعد بها في الهوا ويصعد معناه يعلو او يصعد معناه يتكلف من ذلك ما
يشق عليه ومنه قول عمر بن الخطاب ما تصعد في شي ما تصعد في خطبة النكاح
الى غير ذلك من الشواهد ويصعد في المعنى مثل تصاعد وقوله تعالى يجعل الرجس
على الذين لا يومنون اي وكما كان الهدى كله من الله والضلال بارادة الله و
مشيته كذلك يجعل الرجس قال اهل اللغة الرجس ياتي بمعنى العذاب ويأتي
بمعنى النجس وحكى الطبري عن مجاهد انه قال الرجس كل ما لا خير فيه وقال بعض
الكوفيين الرجس والنجس لغتان بمعنى ويجعل في هذا الموضع يحسن ان يكون
بمعنى يلقي كما يقول جعلت متاعك بعضه على بعض وكما قال تعالى ويجعل
الخبيث بعضه على بعض قالع وهذا المعنى في جعل حكاه ابو علي الفارسي ويحسن
ان يكون يجعل في هذا الموضع بمعنى صير ويكون المفعول الثاني في ضمن على الذين
لا يومنون كانه قال فرين الذين او كريم الذين ونحو ذلك قوله تعالى وهذا صراط
ربك مستقيما الاية هذه اشارة الى القران والشرع الذي جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم قال ابن عباس والصراط الطريق واضافة الصراط الى الرب
تعالى على جهة انه من عنده وبامره ومستقيما حال مؤكدة وليست كالحال في قوله
جاء زيد راكبا بل هذه المؤكدة تتضمن المعنى المقصود وفصلنا معناه بينا وشرحنا
واوضحنا وقوله تعالى لقوم يذكرون اي للمومنين الذين يعدون انفسهم للنظر
ويسلكون طريق الاهتداء والضمير في قوله لهم عايد على القوم المتذكرين والسلام
يتجه فيه معنيان احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالى فاضاف الدار
اليه اذ هي ملكه وخلقه والثاني انه المصدر بمعنى السلامة كما يقول السلام
عليك وكقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام وقوله تعالى عند ربهم يريد في الاخرة
بعد الحشر وهو وليهم اي ولي الانعام عليهم وبما كانوا يعملون اي بسبب ما كانوا
يقدمون من الخير ويفعلون من الطاعة والبر قوله عز وجل ويوم يحشرهم جميعا
الى قوله بما كانوا يكسبون يوم نصب بفعل مضمر تقديره واذكر يوم ويحتمل ان يكون
العامل وليهم والعطف على موضع قوله بما كانوا والضمير في يحشرهم عايد على
الطائفتين الذين يجعل الله الرجس عليهم وهم جميع الكفرة جنا وانسيا والذين
لهم دار السلام جنا وانسا ويدل على ذلك التاكيد العام بقوله جميعا وقرا حفص
عن عاصم يحشرهم بالياء وقرا الباقون بالنون وكل متجه ثم ذكر عز وجل ما يقال
للجن الكفرة وفي الكلام حذف مضمر يدل عليه ظاهر الكلام تقديره يقول يا معشر
الجن وقوله قد استكثرتم معناه اهلكتم من الانس يريد في اضلالهم واغوائهم
قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال الكفار من الانس وهم اولياء الجن على جهة
الاعتذار عن الجن ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع قالع وذلك في وجوه كثيرة حكى
الطبري ان الانس كانت تستعيذ بالجن في الاودية ومواضع الخوف وكانت الجن
تتعاظم على الانس وتسودها كما يفعل الولي والكاهن والمحرر بالمستحرا اذ كان
العربي اذا نزل واديا ينادي يا رب الوادي اني استجير بك هذه الليلة ثم يرى
ان سلامته انما هي بحفظ جني ذلك الوادي وهذا استمتاع بعضهم ببعض قالع
وهذا مثال في الاستمتاع ولو تتبع لتبين له وجوه اخر كلها دنياوية
وبلوغ الاجل المؤجل قال السدي وهو الموت الذي انتهى الكل منهم اليه وقيل
هو الحشر وقيل هو الغاية التي انتهى جميعهم اليها من الاستمتاع كانهم اشاروا
الى ان ذلك بقضائك وقدرك اذ لكل اجل كتاب وقرا الحسن وبلغنا اجلنا
بكسر اللام مشددة وقوله تعالى قال النار مثواكم الاية اخبار من الله تعالى
عما يقول لهم يوم القيمة اثر كلامهم المتقدم وجاء الفعل بلفظ المضي وهو
في الحقيقة مستقبل لصحة وقوعه وهذا كثير في القران وفصيح الكلام ومثوا
ومثويكم اي موضع ثوائكم كمقامكم الذي هو موضع الاقامة هذا قول
الزجاج وغيره قال ابو علي فالافعال المثوى عندي مصدر لا موضع وذلك

لعمله فالحال التي هي خالدين والموضع للبسرفيه معنى يكون عاملا والتقدير
النار ذات ثوابكم والاستثناء في قوله الا ما شاء الله قال فرقة ما بمعنى من
فالمراد الا من شاء ممن آمن في الدنيا بعد ان كان من هولاء الكفرة **قالع**
ولما كان هولاء صنفا ساعت في العبارة عنهم ما وللفرا اقوال وترجمون
قوله عز وجل قل فلله الحجة البالغة الى قوله يعدلون ثم اعقب تعالى
امره لنبيه عليه السلام بتوقيف المشركين على موضع عجزهم بامره اياه بان
يقول مبينا مفصحا فلله الحجة البالغة يريد البالغة غاية المقصد في الامر
الذي يحتج فيه ثم اعلم انه لو شاء لهدى العالم باسره **قالع** وهذه الاية ترد
على المعتزلة في قولهم ان الهداية والايمان انما هي من عمل العبد لا من امر الله
فان قالوا معنى لهداكم لاضطركم الى الهدى فسد ذلك بمعتقدهم الذي يريد
الله من عباده وليس عليه ليس بالذي يضطر اليه العبد وحكم وهلم معناه
هات وهي حسد متعدية وقد يكون بمعنى اقبل فهي حسنة لا تتعدى وبعض
العرب يجعلها اسما للفعل كرويد فيخاطب بها الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث على حد واحد وبعض العرب يجعلها فعلا فيركب عليها الضماير
فيقول هلم يا زيد وهلموا ايها الناس وهلمي يا هند ونحو هذا وذكرا
للعين ابو علي في الاغفال وقال ابو عبيدة اللغة الاولى لاهل العالية و
الثانية لاهل نجد وقال سيبويه والخليل اصلها ها لم وقال بعضهم اصلها
ها لم وحذفت الالف لالتقاء الساكنين فجاء هلم فحذف من قال اصلها
ها لم وادغم من قال هلم على غير قياس ومعنى هذه الاية قل هاتوا شهداكم
على تحريم الله ما زعمتم انه حرمه ثم قال الله لنبيه عليه السلام فان شهدوا
اي ان افترى لهما احد وزور شهادة او خبرا من نبوة ونحو ذلك فجنب
انت ذلك ولا تشهد معهم وفي قوله ولا تشهد معهم قوة وصف شهادتهم
بنهاية الزور ولا تتبع اهواءهم يريد لا تنحط في شهوات الكفرة وتوافقهم
على محابهم والذين لا يومنون عطف نعت على نعت كما يقول جاءني زيد
الكريم والعاقل هذا مذهب عظما الناس وقال النقاش نزلت في الدهرية
من الزنادقة وهم بربهم يعدلون اي يجعلون اندادا يسوونهم به وان كانت
في الزنادقة فعدلهم غير هذا **قوله عز وجل** قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الاية هذا امر من الله عز وجل لنبيه عليه السلام ان يدعو جميع الخلق الى سماع
ما حرم الله بشرع الاسلام المبعوث به الى الاسود والاحمر وتعالوا
معناه اقبلوا واصله من العلو وكان المدعو لما كان اسفل من الداعي
استعملت فيه ترفيع المدعو وتعالوا هو مطاوع عالى اذ تفاعل مطاوع
فاعل واتل معناه اسرد والنص من التلاوة التي هي اتباع بعض الحروف
بعضا وما نصب بقوله اتل وهي بمعنى الذي وقال الزجاج يصح ان يكون قوله
اتل متعلقا عن العمل وما نصب بحرم **قالع** وهذا قلق وان في قوله ان
لا تشركوا يصح ان يكون في موضع رفع التقدير الامر ان او ذلك ان يصح
ويصح ان يكون في موضع على البدل من ما قاله مكي وغيره **قالع** والمعنى يبطله
فتامله ويصح ان يكون مفعولا من اجله التقدير ارادة ان لا تشركوا
ثم شيا الا ان هذا التاويل يخرج ان لا تشركوا من المتلو ويجعله شيا
لتلاوة المحرمات ولا تشركوا ويصح ان يكون منصوبا بان ويتوجه ان
يكون محروما بالنهي وهو الصحيح في المعنى المقصود وان قد توصل
بما نصبه وقد توصل بالفعل المجزوم بالامر والنهي وشيا عام يراد
به كل مفرد من دون الله واحسانا نصب على المصدر وناصبه فعل
مضمر من لفظه تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا والمحرمات ينقل
من هذه المذكورات بالمعنى وهي الاشراك والعقوق وقرب الفواحش
وقتل النفس وقال كعب الاحبار هذه الايات هي مفتتح التورية
بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الاية
وقال ابن عباس هي المحكمات التي ذكر الله في آل عمران اجتمعت

عليها

٢

عليها شرايع الخلق ولم ينسخ قط في ملة وقد قيل انها العشر الكلمات المنزلة على
موسى وان اعرض من قال ان تشركوا منصوب بان يعطف البحر وما ت عليه فذلك
موجود كثيرا في كلام العرب وانشد الطبري محتجا لذلك حج واوصى سليمان لا تعبد
الانوى ولا تكلم احدا ولا يزل شرابها مبردا وقوله تعالى ولا تقتلوا
قال لا بمعنى سوا والمراد سوى ما يشاء من زيادة في العذاب ويحكيه الزجاج
وقال الطبري يرى ان المستثنى هي المدة التي بين حشرهم الى دخولهم النار
قالع وشاع هذا من حيث العبارة كقوله النار مثويكم لا يختص بصيغتها
مستقبل الزمان دون غيره وقال الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول في هذا
الاستثناء انه يبلغ حال هولاء في علم الله ثم اسند اليه انه قال ان هذه الاية
انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا **قالع** ولا
وا الاجماع على التخليد الابدي في الكفار ولا يصح هذا عن ابن عباس **قالع** ويتجه
عندي في هذا الاستثناء ان يكون مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وامته
وليس مما يقال يوم القيمة والمستثنى هو من كان من الكفرة يومئذ يدخل في
علم الله كانه لما اخبرهم انه يقال للكفار النار مثواكم استثنى لهم من يمكن
ان يومن ممن يرونه يومئذ كافرا ويقع ما على صفة من يعقل ويويد هذا
التاويل ايضا قوله ان ربك حكيم عليم اي بمن يمكن ان يومن منهم
وحكيم عليم صفتان متناسبتان في هذه الاية لان تخليد هولاء الكفرة في النار
فعل صادر عن حكمة وعلم بمواقع الاشياء وقوله تعالى وكذلك نولي قال قتادة
نولي معناه نجعل بعضهم ولي بعض في الكفر والظلم **قالع** وهذا التاويل يويده
ما تقدم من ذكر الجن والانس واستمتاع بعضهم ببعض وقال قتادة ايضا
معنى نولي نتبع بعضهم بعضا في دخول النار اي نجعل بعضهم يلي بعضا
وقال ابن زيد معناه نسلط بعض الظالمين على بعض ونجعلهم اولياء النقمة
قالع وهذا التاويل لا يويده الفاظ الاية المتقدمة اما انه حفظ في
استعمال الصحابة والتابعين من ذلك ما روي ان عبد الله ابن الزبير لما
بلغه ان عبد الملك بن مروان قاتل عمرو بن سعيد الاشدق صعد المنبر
فقال ان فم الذبان قد قاتل قتل الشيطان وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا بما كانوا يكسبون والله اعلم **قوله عز وجل** يا معشر الجن والانس
الى قوله وما ربك بغافل عما يعملون قوله يا معشر الجن والانس داخل في القول
يوم الحشر والضمير في منكم قال ابن جريج وغيره عم بظاهره الطائفتان والمراد
الواحدة تجوزا وهذا موجود في كلام العرب ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللولو
والمرجان وذلك انما يخرج من الاجاج وقال الضحاك الضمير عايد على الطائفتين
وفي الجن رسل منهم **قالع** وهذا ضعيف وقال ابن عباس الضمير عايد على الطائفتين
ولكن رسل الجن هم رسل الانس وهم رسل الله بواسطة اذ هم رسل رسله وهم
النذر **ويقصون** من القصص وقرا عبد الرحمن الاعرج الم تاتكم بالتاء على تانيث
لفظ الرسل وقولهم شهدنا اقرار منهم بالكفر واعتراف اي شهدنا على انفسنا
بالتقصير وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا التفاتة فصيحة تضمنت ان كفرهم
كان بان ادم الوجوه لهم وهو الاغترار بالذي لا يواقفه عاقل ويحتمل غرتهم
ان يكون بمعنى اشبعتهم واطغتهم بحلواتها كما يقال غر الطاير فرخه وقوله
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يظهر بينه وبين ما في القران من
الايات التي تقتضي انكار المشركين الاشراك مناقضة والجمع بينهما هو اما
بانها طوايف واما بانها طايفة واحدة في مواطن شتى واما ان يريد
بقوله ها هنا وشهدوا على انفسهم شهادة الايدي والارجل والجلود
بعد انكارهم بالالسنة واللفظ هنا يبعد من هذا وقوله تعالى ان لم يكن الاية
ذلك يصح ان يكون في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره ذلك الامر
ويصح ان يكون في موضع نصب تقديره فعلنا وان مفعول من اجله والقرى
المدن والمراد اهل القرى ونظم يتوجه فيه معنيان احدهما ان الله عز
وجل لم يكن ليهلك المدن دون نذارة فتكون ظالما اذ لم ينذرهم والله ليس

بظلام للعبيد والاحالة الله عز وجل لم يهلك اهل القرى بظلم اذا ظلموا دون
ان ينذرهم وهذا هو البين القوى وذكر الطبري رحمه الله التاويلين وقوله تعالى
ولكل درجات الاية اخبار من الله عز وجل ان المؤمنين في الاخرة على درجات
من التفاضل بحسب اعمالهم وبفضل الله تعالى عليهم والمشركين ايضا
على درجات من العذاب قال ع ولكن كل مؤمن قد رضى بما اعطى غاية الرضى وقرا
الجماعة سوى ابن عامر يعملون على لفظ كل وقرا ابن عامر وحده تعملون على المخاطبة
بالتاء قوله تعالى وربك الغنى ذو الرحمة الى قوله لا يفلح الظالمون الغنى صفة
ذات الله عز وجل لانه تبارك وتعالى لا يفتقر الى شى من جهة من الجهات
ثم تليت هذه الصفة بقوله ذو الرحمة فاردف الاستغناء بالتفضل وهذا اجمل
ما سيق ثم عقب بهذه الالفاظ المضمنة الوعيد المحذرة من بطش الله عز
وجل في التعجيل بذلك وانا سامع المهلة ومرور الجديدين وكذلك عادة الله
في الخلق وانما الاستخلاف فكما اوجد الله هذا العالم الادمى بالنشاه من
ذرية قوم متقدمين اصلهم ادم عليه السلام وقرات الجماعة ذرية بضم
الذال وشد الياء المكسورة وقراها زيد بن ثابت بكسر الذال وكذلك في سورة
ال عمران وحكى ابو حاتم عن ابان بن عثمان انه قرا ذرية بفتح الذال وتخفيف
الياء المكسورة وحكى عنه ابو الزناد انه قرا على المنبر ذرية بفتح الذال
وسكون الراء على وزن فعلة قال فسالته فقال اقرانيها زيد بن ثابت
ومن في قوله من ذرية للتبعيض وذهب الطبري الى انها بمعنى قولك اخذت
من ثوبي دينارا بمعنى عنه وعوضه وتوعدون من اوعد من الوعيد بقرينة
وما انتم بمعجزين وللاشارة الى هذا الوعيد المتقدم خصوصا واما ان يكون
العموم مطلقا فذلك يتضمن انفاذ الوعيد والعقاب بمرد ذلك ومعجزين
معناه ناجين هربا اى يعجزون طالبيهم ثم امر الله عز وجل نبيه عليه
السلام ان يتوعدهم بقوله اعملوا اى يشترون عاقبة عملكم الفاسدة
وصيغة افعل هنا هى بمعنى الوعيد والتهديد وعلى مكانتكم معناه على حالكم
وطريقتكم وقرا ابو بكر عن عاصم على مكاناتكم بجمع المكانة في كل القران
وقرا الجميع بالافراد في كل القران ومن يتوجه ان يكون بمعنى الذى فيكون
في موضع نصب بتعلمون وتوجيه ان يكون استفهاما فهو في موضع رفع بالابتدا والخبر
في قوله تكون له وعاقبة الدار اى مال الاخرة ويحتمل ان يراد مال الدنيا بالنظر
والظهور وفي الاية اعلام بغيب ثم جزم الحكم بانه لا يفلح الظالمون اى لا ينجح
سعيهم وقرا حمزة والكسائى من يكون له عاقبة الدار بالياء هاهنا وفي القصص
على تذكير معنى العاقبة قوله عز وجل وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا الاية الضمير في قوله وجعلوا عايد على كفار العرب العادلين بربهم
الاوثان الذين تقدم الرد عليهم من اول السورة وذرا معناه خلق وانشا
وبث في الارض يقال ذرا الله الخلق يذراهم ذرءا وذروا اى خلقهم
وقوله جعلوا من كذا وكذا نصيبا تضمن بقاء نصيب اخر ليس بداخل في
حكم الاول ثم بينه بقوله تعالى فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا ثم اعرضهم
اسناد القول بان ذلك منهم ونقول والزعم في كلام العرب اقرب الى غير
اليقين والحق يقال زعم بفتح الزاى وهى قراة الجماعة وزعم بضمها وبه
قرا الكسائى وحده في هذه الاية وزعم بكسر الزاى ولا احفظ احدا قرا به
والحرث في هذه الاية يريد به الزرع والاشجار وما يكون من الارض
وقوله شركائنا يريد به الاصنام والاوثان وسموهم شركاء على
معتقدهم فيهم انهم يساهمونهم في الخير والشر ويكسبونهم
وسبب نزول هذه الاية ان العرب كانت تجعل من غلاتها وزروعها
وزروعها وثمارها وانعامها جزءا تسميه لله وجزءا تسميه لاصنامها
وكانت عادتها التحفى والاهتبال بنصيب الاصنام اكثر منها
بنصيب الله اذ كانوا يعتقدون ان الاصنام بهم فقر وليس ذلك
بالله فكانوا اذا جمعوا الزرع فهبت الريح فحملت من الذى لله الى

الذى

الذى لشركائهم اقروه واذا حملت الريح من الذى لشركائهم الى الذى لله ردوه واذا
تفجر من سقى ما جعلوا لله في نصيب شركائهم تركوه وان كان بالعكس سدوه
واذا لم يصيبوا في نصيب شركائهم شيئا قالوا لا بد للالهة من نفقة فيجعلون
نصيب الله في ذلك قال هذا المعنى ابن عباس ومجاهد والسدى وغيرهم
انهم كانوا يفعلون هذا ونحوه من الفعل وكذلك في الانعام وكانوا اذا
اصابتهم السنة اكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم وقوله تعالى
فما كان لشركائهم الاية قال الجمهور المعنى ما تقدم ويبين المراد بقوله فلا يصل وقوله فصل
ما قدمنا ذكره من حماية نصيب الهتهم في هبوب الريح وغير ذلك وقال ابن زيد
انما ذلك في انهم كانوا اذا ذبحوا لله ذكروا الهتهم واذا ذبحوا لالهتهم
فكانه قال فلا يصل الى ذكر الله وقال فهو يصل الى ذكر شركائهم وما في موضع
رفع كانه قال ساء الذى يحكمون ولا يتجه عندى هنا ان يجرى ساء مجرى نعم
وبئس لان المفسر هنا مضمر ولا بد من اظهاره باتفاق من النحاة وانما اتجه
ان يجرى مجرى بئس في قوله ساء مثلا القوم لان المفسر ظاهر في الكلام والله اعلم
قوله عز وجل وكذلك زين لكثير من المشركين الاية الكثير في هذه الاية
يراد به من كان يئد من مشركى العرب والشركاء هنا الشياطين الامرون
بذلك المزينون له والحاملون عليه ايضا من بنى ادم الناقلون له عصرا بعد
عصر اذ كلهم مشتركون في قبح هذا الفعل وفي تباعته في الاخرة ومقصد هذه الاية
الذم للواد والانحاء على فعله واختلفت القراءات فقرات الجماعة سوى ابن عامر
وكذلك زين بفتح الزاى قتل بالنصب اولادهم بكسر الدال شركاؤهم وهذه ابين
قراءة وحكى سيبويه انه قرات فرقة وكذلك زين بضم الزاى قتل بالرفع اولادهم
بكسر الدال شركاؤهم وهذا ابين قراءة وحكى سيبويه انه قرات فرقة وكذلك زين
بضم الزاى قتل بالرفع اولادهم بكسر الدال شركاؤهم بالرفع قال ع وهى قراءة ابى عبد
الرحمن السلمى والحسن وابى عبد الملك قاضى الجند صاحب ابن عامر كانه قال
زينه شركاؤهم قال سيبويه وهذا كما قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة
ومختبط مما تطيح الطوائح كانه قال يبكيه ضارع لخصومة واجاز قطرب ان
يكون الشركاء في هذه القراءة ارتفعوا بالقتل كان المصدر اضيف الى المفعول ثم
ذكر بعده الفاعل كانه قال ان قتل اولادهم شركاؤهم كما يقول حببت الى ركوب
الفرس زيد اى ان ركب الفرس زيد قال ع والفصيح اذا اضيف مصدر الى مفعول
ان لا يذكر الفاعل وايضا فالجمهور في هذه الاية على ان الشركاء مزينون لا قاتلون
والتوحيد الذى ذكر سيبويه هو الصحيح ومنه قوله عز وجل على قراءة من قرا
يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال بفتح الباء المشددة اى يسبحه رجال
وقرا ابن عامر وكذلك زين بضم الزاى قتل بالرفع اولادهم بنصب الدال
شركائهم بخفض الشركاء وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب وذلك
انه اضاف القتل الى الفاعل وهو الشركاء ثم فصل بين المضاف والمضاف
اليه بالمفعول ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظروف في مثل هذا
الا في الشعر كقوله كما خط الكتاب بكف يوما يهودى يقارب او يزيل
فكيف بالمفعول في افصح الكلام ولكن وجهها على ضعفها انها وردت
شاذة في بيت انشده ابو الحسن الاخفش وهو فزججتها بمزجة زج القلوص
ابى مزاده وفي بيت الطرماح وهو قوله يطفن بحوزى المراتع لم يرع بواديه من
قرع القسى الكناين والشركاء على هذه القراءة هم الذين يتناولون واد البنات
الغير فهم يقاتلون والصحيح من المعنى انهم المزينون لا القاتلون وذلك مضمن
قراءة اهل الشام ورويت عن ابن عامر زين بكسر الزاى وسكون الياء على
الرتبة المتقدمة من الجماعة وقرات بعض الفصل بالمفعول وحكى الزهراوى
انه قرات فرقة من اهل الشام وكذلك زين بضم الزاى قتل بالرفع اولادهم
بكسر الدال الشركاء بالخفض والشركاء على هذه القراءة هم الاولاد الموؤدون
لانهم شركاء في النسب والمواريث فكان وصفهم بانهم شركاء
يتضمن حرمة لهم وفيها بيان لفساد الفعل اذ هو قتل من له حرمة ليردوهم

معناه ليهلكوهم من الردى وليلبسوا معناه ليخلطوا والجماعة بكسر الباء وقرأ
ابراهيم النخعي وليلبسوا بفتح الباء قال ابو الفتح هو استعارة من اللباس عبارة عن
شدة المخالطة وهذان الفعلان يؤيدان اول قراءة في سيئا وكذلك زين وقوله
تعالى ولو شاء الله ما فعلوه يقتضي ان لا شي الا بمشية الله عز وجل وفيها رد
على من قال بان المرء يخلق افعاله وقوله تعالى فذرهم وعيد محض يفترون معناه
يختلقون من الكذب في شرعهم بذلك واعتقادهم انها مباحة لهم • قوله
عز وجل وقالوا هذه انعام وحرث حجر هذه الاية تتضمن تعديد ما شرعوه
لانفسهم والزموه على جهة القربة كذبا منهم على الله وافتراء عليه فوصف
تعالى انهم عمدوا الى بعض انعامهم وهي الابل والبقر والغنم او الابل بانفرادها
واما غيرها اذا انفرد فلا يقال له انعام والى بعض زروعهم وثمارهم
وسمى ذلك حرثا اذ عن الحرث يكون وقالوا هذه حجر اي حرام وقرأ جمهور الناس حجر
بكسر الحاء وسكون الجيم وقرأ قتادة والحسن والاعرج حجر بضم الحاء وسكون الجيم
وقرأ ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو
ابن دينار حرج بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم وسكونها والاولى والثانية
بمعنى الحجر وهو المنع والتحريم والاخيرة من الحرج وهو التضييق والتحريم وكانت
هذه الاية على ما قال ابن زيد محللة للرجال ومحرمة على النساء وقيل كانت وقفا
لمطعم سدنة بيوت الاصنام وخدمتها حكاه المهدوي فذلك المراد
بقوله الا من نشاء وقوله بزعمهم اي بقولهم الذي هو اقرب الى الباطل منه الى الحق
وزعمهم هنا هو في قولهم حجر وتحريمهم بذلك ما لم يحرم الله تعالى وقرأ
ابن ابي عبلة بزعمهم بفتح الزاء والعين وكذلك في الذي وتقديم وانعام حرمت
ظهورها كانت للعرب سنن اذا فعلت الناقة كذا من جودة النسل والمواصلة
بين ايات ونحوها حرم ظهرها فلم يركب واذا فعل الفحل كذا وكذا حرم ظهره
فعدد الله عليهم ذلك على جهة الرد عليهم اذ شرعوا ذلك من آرائهم
وكذبهم وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل كانت لهم سنة في انعام
ما الا نحج عليها فكانت يركب في كل وجه الا في الحج فذلك قوله لا يذكرون اسم الله
عليها هذا قول جماعة من المفسرين وروي ذلك عن ابي وائل وقالت فرقة
بل ذلك في الذبائح يريد بانهم جعلوا لالهتهم نصيبا منها لا يذكرون الله
على ذبحها وقوله افتراء مصدر نصب على المفعول من اجله او على اضمار فعل
تقديره يفترون ذلك وسيجزيهم وعيد بمعارضة الاخرة والضمير في عليه
عائد على اسم الله ويفترون اي يكذبون ويختلقون • قوله عز وجل وقالوا
ما في بطون هذه الانعام الاية هذه الاية تتضمن تعديد مذاهبهم الفاسدة
وكانت سنتهم في بعض الانعام ان يحرموا ما ولدت على نسائهم ويخصونه
لذكورهم والها في خالصة هي للمبالغة كما هي في رواية وغيرها وهذا كما يقول
فلان خالصتي وان كان حالها المبالغة ان يلحق بناء مبالغة كعلامة و
نسابة وبصيرة ونحوه وقيل هي لتانيث الانعام انما في بطون هذه الانعام ايضا
وقيل على تانيث لفظ ما لانها واقعة في هذا الموضع موقع قولك جماعة وحمله
وقرأ جمهور القراء والناس خالصة بالرفع وقرأ عبد الله بن مسعود وابن
جبير وابن ابي عبلة والاعمش خالص دون هاء ورفع هاتين القراءتين
على خبر الابتداء وقرأ ابن عباس بخلاف والاعرج وقتادة وسفيان بن
حسين خالصة بالنصب وقرأ سعيد بن جبير فيما ذكر ابو الفتح خالصا ونصب
هاتين القراءتين على الحال من الضمير الذي في قوله في بطون وذلك ان تقدير الكلام
وقالوا ما استقر هو في بطون هذه الانعام فحذف الفعل وحمل المجرور
الضمير والحال من الضمير والعامل فيها بمعنى الاستقرار قال ابو الفتح ويصح
ان يكون حالا لاكما على مذهب ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها
وقرأ ابن عباس ايضا وابو حيوة والزهري خالصة باضافة خالص الى
ضمير يعود على ما ومعناه ما خلص وخرج حيا والخبر على قراءة من نصب
خالصة في قوله لذكورنا والمعنى المراد بما في قوله ما في بطون قال السدي

حي

حي لاخيه وقال ابن عباس ايضا وقتادة والشعبي هو اللبن قال الطبري
واللفظ يعمهما وقوله ومحرم يدل على ان الها في خالصة للمبالغة ولو كانت
للتانيث لقال ومحرمة والازواج يريد به جماعة النساء الذي هي بعد ان يكون
ازواجا قاله مجاهد وحكى الطبري عن ابن زيد ان المراد بازواجنا البنات
قال ع وهذا يبعد تعلقه على المعنى وقوله تعالى وان يكن ميتة كانت
من سنتهم ان ما خرج من الاجنة ميتا من تلك الانعام الموقوفة وهو
حلال للرجال والنساء جميعا وكذلك ما مات من الانعام الموقوفة في
نفسها وقرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة بالرفع فلحق علامة التانيث
لما كان الفاعل في اللفظ مؤنثا واسند الفعل الى الميتة كما فعل ابن كثير
وقرأ عاصم في رواية ابي بكر عنه تكن بالتاء ميتة بالنصب فانث وان كان
المتقدم مذكرا لانه حمل على المعنى فالتقدير وان تكن النسمة او نحوها
ميتة بالنصب ذكروا الفعل لانهم اسندوه الى ضمير ما تقدم من قوله
ما في بطون هذه الانعام وهو مذكر ونصب الميتة على الخبر قال ابو عمرو
ابن العلاء ويقوي هذه القراءة قوله وهم فيه شركاء وقرأ ابن يزيد القعقاع
وان يكن ميتة وقرأ عبد الله بن مسعود وهم فيه سواء ثم اعقب تعالى
الوعيد لهم على ما وصفوا به من القربات الى الله وشرعوه من الباطل
والاول انه حكيم في عذابهم على ذلك عليم بعلل ما يقوله من ذلك وكثيره
قوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم الى قوله انه لا يحب المسرفين
هذا لفظ يتضمن التشنيع بقبح فعلهم والتعجب من سوء حالهم في
واد البنات وحجرهم في ذا دهم الانعام والحرث قال عكرمة
وكان الوأد في ربيعة ومضر قال ع وكان جمهور العرب لا يفعله ثم ان فاعليه
كان منهم من يفعله خوف العيلة والاقتار وكان منهم من يفعله مخافة
السبا وقرأ ابن عامر وابن كثير قتلوا بتشديد التاء على المبالغة وقرأ غيرهما
الباقون قتلوا بتخفيفها وما رزقهم الله هي تلك الانعام والمعلوف التي
توقف بغير شرع ولا مثوبة في معاد بل بافتراء على الله والكذب قد ضلوا
اخبار عنهم بالحيرة وهو من التعجب بمنزلة قوله قد خسروا وما كانوا يريد
في هذه الفعلة ويحتمل ان يريد وما كانوا قبل ضلالهم بهذه الفعلة
مهتدين ولكنهم زادوا بهذه الفعلة ضلالا وقوله تعالى وهو الذي
انشا جنات معروشات الاية هذا تنبيه على مواضع الاعتبار وانشا
معناه اخترع وخلق والجنة ماخوذة من جن اذا استتر ومعروشات
قال ابن عباس ذلك في ثمار العنب منها ما عرش وسمك ومنها ما لم يعرش
وقال السدي المعروشات ما عرش كهيئة الكرم وغيره البساتين وقيل المعروش
هو ما يعترشه بنو ادم من انواع الشجر وغير المعروش ما حدث في الجبال والشعر
ونحو ذلك وقيل المعروش ما خلق بحائط وغير المعروش ما لم يخلق ومختلفا
نصب على الحال على تقدير حصول الاختلاف في ثمرها لانها في حين الانشاء لا ثمرة
فيها فهي حال مقدرة يجيء بعد الانشاء ومتشابها يريد في المنظر وغير متشابه
يريد في المطعم قاله ابن جريج وغيره وقوله كلوا من ثمره نص الاباحة وهو متضمن
الاشارة الى النعم بذلك ويقرأ من ثمره بضم الثاء وقد تقدم وآتوا حقه يوم
حصاده قالت طائفة من اهل العلم هي في الزكاة المفروضة منهم ابن عباس
وانس بن مالك والحسن بن ابي الحسن وطاوس وجابر بن زيد وسعيد بن
المسيب وقتادة ومحمد بن الحنفية والضحاك وزيد بن اسلم وابنه وقاله مالك
ابن انس قال ع وهذا قول معترض بان السورة مكية وهذه الاية على قول
الجمهور غير مستثناة وحكى الزجاج انه قيل في هذه الاية انها نزلت بالمدينة
ويعترض ايضا بانه لا زكوة فيما ذكر من الرمان وجميع ما هو في معناه وقال ابن
الحنفية ايضا وعطا ومجاهد وغيرهم من اهل العلم بل قوله وآتوا حقه ندب
الى اعطاء حقوق من المال غير الزكوة والسنة ان يعطي الرجل من زرعه عند
الحصاد وعند الدرو وعند تكديسه في البيدر فاذا صفا وكال اخرج الزكوة

وقال الربيع بن انس حقه اباحة لفظ السبيل وقالت طائفة كان هذا حكم صدقات المسلمين حتى نزلت الزكوة المفروضة فنسختها وروى هذا عن ابن عباس وابن الحنفية وابراهيم والحسن وقال السدى هذه السورة مكية نسختها الزكوة فقال له سفيان عمن قال عن العلماء قال ع والنسخ غير مترتب فى هذه الاية واية الزكوة لا تعارض بل تنسى هذه على الندب وتلك على الفرض وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وقرا حمزة وابو عمرو وابن عامر حصاده بفتح الحاء وهما لغتان فى المصدر وقوله ولا تسرفوا الاية من قال ان الاية فى الزكوة المفروضة جعل هذا النهى عن الاسراف اما للناس عن التمتع عن ادائها لان ذلك اسراف من الفعل وقاله سعيد بن المسيب واما للولاة عن التسلط عن الناس والاذاية لهم فذلك اسراف من الفعل وقاله ابن زيد ومن جعل الاية على جهة الندب الى حقوق غير الزكوة ترتب له النهى عن الاسراف فى تلك الحقوق لما فى ذلك من الاجحاف بالمال واضاعته وروى ان الاية نزلت بسبب ان ثابت بن قيس بن شماس جصد علة له فقال والله لا ياتى اليوم احد الا اطعمته فامسى وليس عنده ثمرة فنزلت هذه الاية قال ابو العالية كانوا يعطون شيا عند الحصاد ثم تباروا فيه واسرفوا فنزلت الاية ومن قال انها منسوخة ترتب له النهى فى وقت حكم الاية قوله عز وجل ومن الانعام حمولة وفرشا الى قوله ان كنتم صادقين حمولة عطف على جنات معروشات التقدير وانشا لكم من الانعام حمولة والحمولة ما يحمل الاثقال من الابل والبقر عند من عادته ان يحمل عليها والهاء فى الحمولة للمبالغة وقال الطبرى هو اسم جمع من لفظه والفرش ما لا يحمل ثقلا كالغنم وصغار البقر والابل هكذا هو المروى عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وغيرهم يقال له الفرش والفريش وذهب بعض الناس الى ان تسميته فرشا انما هو لوطائه وانه مما يمتهن ويسوطا ايضا ويتمكن من التصرف فيه اذ قرب جسمه من الارض وروى عن ابن عباس انه قال الحمولة الابل والبغال والحمير ذكره الطبرى قال ع وهذا منه تفسير لنفس اللفظ لا من حيث هى فى هذه الاية ولا مدخل فى الاية لغير الانعام وانما خصت بالذكر من جهة ما شرعت فيها العرب وقوله تعالى كلوا مما رزقكم الله نص اباحة ولذا له ما سنه الكفرة من البحيرة والسائبة وغير ذلك ثم تابع النهى عن تلك السنن التى هى الا انها بقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان وهى جمع خطوة اى لا تمشوا فى طريقه المضلة وقد تقدم فى البقرة اختلاف القرا فى خطوات ومن شاذها قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه والاعرج وعمرو بن عبيد خطوات بضم الخاء والطاء وبالهمزة قال ابو الفتح هو جمع خطاة من الخطاء ومن الشاذ قراءة ابى السماك خطوات بالواو دون همز وهو جمع خطوة وهو ذرع ما بين قدمى الماشى ثم علل النهى عن ذلك بتقرير عداوة الشيطان لابن ادم وقوله تعالى ثمانية اختلف فى نصبها فقال الاخفش على بن سليمان بفعل مضمر تقديره كلوا لحم ثمانية ازواج فحذف الفعل والمضاف فاقيم المضاف اليه مقامه وقيل نصبت على البدل من ما فى قوله كلوا مما رزقكم الله وقيل نصبت على الحال وقيل نصبت على البدل من قوله حمولة وفرشا وهذا اصوب الاقوال واجراها مع معنى الاية وقال الكسائى نصبها انشا والزوج الذكر والزوج الانثى كل واحد منهما زوج صاحبه وهى اربعة انواع فيجى ثمانية ازواج والضان جمع ضائن وضائنة وقرا طلحة بن مصرف وعيسى بن عمر والحسن من الضان بفتح الهمزة وقرا نافع وعاصم وحمزة والكسائى ومن المعز بسكون العين وهو جمع ماعز وماعزة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ومن المعز بفتح العين فضان ومعز كراكب وركب وتاجر وتجر وضان ومعز كخادم وخدم وتبع وقرا ابان ابن عثمان من الضان اثنان على الابتداء والخبر المقدم وقيل فى جمع ماعز معز ومعز ومعين ومعزى وامعوز نحو وقوله قل الذكرين هذا تقسيم على الكفار

حتى تبين كذبهم على الله تعالى اى لا بد ان يكون حرم الذكرين فيلزمكم تحريم الذكور او الانثيين فيلزمكم تحريم جميع الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فيلزمكم تحريم الجميع وانتم لم تلتزموا شيئا توجيه هذا التقسيم وفى هذه السوال تقريع وتوبيخ ثم اتبع تقريرهم وتعريفهم بقوله نبئونى بعلم اى اخبرونى بعلم اى من جهة نبوة او كتاب من كتب الله ان كنتم صادقين وان شرط وجوابه فى نبئونى وجاز تقديم جواب هذا الشرط لما كانت ان لا يظهر لها عمل فى الماضى ولو كانت ظاهرة العمل لما جاز تقديم الجواب قوله عز وجل ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين الى قوله لا يهدى القوم الظالمين القول فى هذه الاية فى المعنى وترتيب التقسيم كالقول المتقدم فى قوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين وكانه قال انتم الذين تدعون ان الله حرم خصايص من هذه الانعام لا تخلوا تحريمه من ان يكون فى الذكرين او فى الانثيين او مما اشتملت عليه ارحام الانثيين لكنه لم يحرم لا هذا ولا هذا فلم يبق الا انه لم يقع تحريم وقوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا استفهام على جهة التوبيخ اذ لم يبق لهم الا ادعاء المحال وان يقولوا انهم شاهدوا وصية الله لهم بهذا وشهداء جمع شهيد ثم تضمن قوله فمن اظلم ذكر حال مفترى الكذب على الله وتفويرا فرط ظلمه وقال السدى كان الذين يحرموا وسيبوا يقولون الله امرنا بهذا بين الله تعالى انه مقصدهم بالافتراء لانه لو افترى احد فرية لغير معنى لكان ظلما عظيما فكيف اذا قصد بها اضلال امة وقد يحتمل ان يكون اللام فى ليضل لام صيرورة ثم حرم الحكم لا رب غيره بانه لا يهدى القوم الظالمين وقد تبين تخصيصه مما يقتضيه الشرع ان الله لا يهدى ظلمة كثيرة بالتوبة قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحى الى الاية امر من الله عز وجل بان يشرع للناس جميعا ويبين عما اوحى الله اليه وهذه الاية نزلت بمكة ولم يكن فى الشريعة فى ذلك الوقت شى محرم غير هذه الاشيا ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيد فى المحرمات كالمنخنقة وما بعدها فانها وان كانت فى حكم الميتة وكان فى النظر احتمال ان تلحق بالمذكيات لانها باسباب وليس حتف الانفس فلما بين النص الحاقها بالميتة كانت زيادة فى المحرمات ثم نزل النص على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تحريم الخمر بوحى غير متلو وبتحريم كل ذى ناب من السباع فهذه كلها زيادات فى التحريم ولفظة التحريم اذا وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم كانها صالحة ان تنتهى بالشى المذكور غاية الحظر والمنع وصالحة بحسب اللغة ان تقف دون الغاية فى حيز الكراهة ونحوها فما قرنت به قرينة التسليم من الصحابة المتاولين واجمع عليه الكل منهم ولم يضطرب فيه الفاظ الاحاديث وامضاه الناس على الادلة وجب بالشرع ان يكون تحريمه قد وصل الغاية من الحظر والمنع ولحق بالخنزير والميتة وهذه صفة تحريم الخمر وما اقترنت به قرينة اضطراب الفاظ الحديث واختلاف الائمة فيه مع علمهم بالاحاديث كقوله عليه السلام كل ذى ناب من السباع حرام وروى عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكل ذى ناب من السباع ثم اختلفت الصحابة ومن بعدهم فى تحريم ذلك فجاز لهذه الوجوه لمن ينظر ان يحمل لفظ التحريم على المنع الذى هو الكراهية ونحوها وما اقترنت به قرينة التاويل كتحريمه عليه السلام لحوم الحمر الانسية فتاول بعض الصحابة الحاضرين لانها نجس وتاول بعضهم ان ذلك لئلا تفنى حمولة الناس وتاول بعضهم التحريم المحض وثبت فى الامة الاختلاف فى تحريمها فجاز لمن ينظر من العلما ان يحمل لفظ التحريم بحسب اجتهاده وقياسه على كراهية ونحوها وروى عن ابن عامر انه قرا فيما اوحى الى بالفتح وقرا الجمهور يطعمه بفتح الياء وقرا ابو جعفر محمد بن على عليهما السلام يطعم بتشديد الطاء وكسر العين وقرا محمد بن الحنفية وعايشة واصحاب عبد الله طعمه فعلا ماضيا وقرا

نافع والكسائي وابو عمرو وعاصم الا ان يكون بالياء ميتة على تقدير الا ان يكون
المطعوم وقرا ابن كثير وحمزة وابو عمرو وايضا الا ان تكون ميتة بالتاء
من فوق ميتة على تقدير الا ان تكون المطعومة وقرا ابن عامر وحده
وذكرها مكي عن ابي جعفر الا ان يكون بالتاء ميتة بالرفع على ان يجعل يكون
بمعنى يقع ويحتاج على هذه القراءة ان يعطف ودما على موضع ان يكون
لانها في موضع نصب بالاستثناء والمسفوح الجاري الذي يسيل و
جعل الله هذا فرقا بين القليل والكثير والمسفوح السايل من الدم والدمع
وغيره ومنه قول الشاعر وهو طرفة اذا ما عاده منا نساء سفحن الدمع
من بعد الرنين وقال امرؤ القيس وان شفائي عبرة ان سفحتها الدم
المختلط باللحم والدم الجارح في عرق اللحم وما شاكل هذا حلال والدم
غير المسفوح عفو غير هذا وهو معفو عنه وقيل لا يحل في القدر يعلوها
الحمرة من الدم فقال انما حرم الله المسفوح وقالت نحوه عائشة وغيرها
وعليه اجماع العلماء وقليل الدم حرام لانه اذا زايل انسفح
والرجس النتن والحرام يوصف بذلك الاجرام والمعاني كما قال
عليه السلام دعوها فانها منتنة الحديث وكذلك قيل في الازلام
والخمر رجس والرجز ايضا العذاب لغة بمعنى الرجس وقوله او فسقا
يريد ذبايحهم التي كانوا يحصون بها اصنامهم وقوله تعالى فمن
اضطر الاية اباح الله فيها مع الضرورة ركوب المحظور دون بغي
واختلف الناس فيم جاء فقالت فرقة دون ان تبتغي الانسان في اكله
فياكل ما يقيم به رمقه وينتهي الى حد الشبع وفوقه وقالت فرقة بل دون
ان تبتغي في ان يكون سفره في قطع طريق او قتل نفس او يكون تصرفه في
معصية فان ذلك لا رخصة له و٣ سامن لم يكن بهذه الاحوال فاضطر
فله ان يشبع ويتزود وهذا مشهور قول مالك بن انس وقال بالاول
الذي هو الاقتصار على الرمق عبد الملك بن حبيب وقوله تعالى فان
ربك غفور رحيم اباحة يعطيها قوة اللفظ قوله عز وجل وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية لما ذكر الله ما حرم على امة محمد صلى الله عليه
وسلم اعقب ذلك بذكر ما حرم على اليهود لما في ذلك من تكذيبهم في قولهم
ان الله لم يحرم علينا شيئا وانما حرمنا على انفسنا ما حرمه اسرائيل على نفسه
وقد تقدم القول في سورة البقرة في هادوا ومعنى تسميتهم يهودا وكل
ذي ظفر يراد به الابل والنعام والاوز ونحوه من الحيوان الذي هو غير
منفرج الاصابع او له ظفر وقال ابو زيد المراد الابل خاصة وهذا ضعيف
التخصيص وذكر النقاش عن ثعلب ان كل ما لا يصيد فهو ذو ظفر
وما لا يصيد فهو ذو مخلب قال ع وهذا غير مطرد لان الاسد ذو ظفر
وقرا جمهور الناس ظفر بضم الظاء والفاء وقرا الحسن والاعرج
ظفر بسكون الفاء وقرا ابو السمال ظفر بكسر الظاء وسكون
الفاء واخبر الله عز وجل في هذه الاية بتحريم الشحوم على بني اسرائيل وهي الثروب
وشحم الكلى وما كان شحما خالصا خارجا عن الاستثناء الذي في الاية
واختلف العلماء في تحريم ذلك على المسلمين من ذبايح اليهود فحكى ابن
المنذر في الاشراف عن مالك وغيره منع اكل الشحوم من ذبايح اليهود
وهو ظاهر لفظ المدونة قال ع وهذا على القول في قوله عز وجل وطعام
الذين اوتوا الكتاب حل لكم بانه المطعوم من ذبايحهم وما لا يحل لهم
فلا تقع عليه ذكاة بل هو كالدم في ذبايح المسلمين وعلى هذا القول يجي قول
مالك في المدونة فيما ذبحه اليهود مما لا يحل لهم كالجمل والارنب انه لا يوكل
وروي عن مالك كراهية الشحم من ذبايح اهل الكتاب دون تحريم واباح
بعض الناس الشحم من ذبايح اهل الكتاب وذبحهم لما هو عليهم حرام
اذ امرهم بذلك او نحوه قال ع وهذا يجي على ان يجعل قوله وطعام الذين
اوتوا الكتاب حل لكم يراد به الذبايح فمتى وقع الذبح على صفته وقعت الاباحة

وهذا

وهذا قول ضعيف لانه جرد لفظة وطعام من معنى ان يكون مطعوما لاهل الكتاب
وخلصها لمعنى الذبايح وذلك حرج لا يوجد واما الطريف فحرمه قوم وكرهه
قوم واباحه قوم وخففه مالك في المدونة ثم رجع الى منعه وقال ابن حبيب
ما كان محرما عليهم وعلمنا ذلك من كتابنا فلا يحل لنا من ذبايحهم وما لم نعلم
تحريمه الا من اقوالهم فهو غير محرم علينا من ذبايحهم وقوله الا ما حملت
ظهورهما يريد ما اختلط باللحم في الظهر والاجناب ونحوه قال السدي وابو
صالح الاليات مما حملت ظهورهما او الحوايا قيل جمع حوية على وزن فعيلة
فوزن حوايا على هذا فعايل كسفينة وسفاين وقيل جمع حاوية على وزن
فاعلة فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب وقيل جمع حاويا فوزنه على هذا
ايضا فواعل كقاصعا وقواصع وانما الحوايا على الوزن الاول فاصلها حواي
فاجتمع ياان فبدلت الاولى همزة فجاء حواي فقلبت الياء الاخيرة الفا فانفتحت
لذلك الهمزة ثم بدلت ياء واما الوزنين الاخيرين فاصل حوايا حواو فبدلت
الواو الثانية همزة والحوية ما يحوي في البطن واستدار مع المصارين
والحشوة ونحوها وقال مجاهد وقتادة وابن عباس والسدي وابن زيد
الحوايا المباعر وقال بعضهم هي المرابض التي يكون فيها الامعاء وهي بنات اللبن
وقوله تعالى او ما اختلط بعظم يريد في ساير الشخص والحوايا معطوف
على ما في قوله الا ما فهي في موضع نصب عطفا على المنصوب بالاستثناء وقال
الكساي الحوايا معطوفة على الشحوم قال ع وعلى هذا تدخل الحوايا في التحريم
وهذا قول لا تعضده اللفظ ولا المعنى بل يدفعانه وقوله تعالى ذلك في موضع
رفع وجزيناهم ببغيهم يقتضي ان هذا التحريم انما كان عقوبة لهم على ذنبهم
وبغيهم واستعصايهم على الانبياء وقوله تعالى وانا لصادقون اخبار
يتضمن التعريض بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا شيئا وانما اقتدينا
باسرائيل فيما حرم على نفسه ويتضمن ادحاض قولهم ورده عليهم قوله
عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة الاية يريد فان كذبوك
فيما اخبرت به ان الله حرمه عليهم وقالوا لم يحرم الله علينا شيئا وانما حرمنا
ما حرم اسرائيل على نفسه قال السدي وهذه كانت مقالتهم فقل يا محمد على جهة
التعجب من حالهم والتعظيم لقولهم في تكذيبهم لك مع علمهم بحقيقة
ما قلت ربكم ذو رحمة واسعة اذ لا يعاجلكم بالعقوبة مع شدة جرمكم قال ع
وهذا كما يقول عند رؤية معصية او امر منهي ما احلم الله وانت تريد الامهال
على مثل ذلك ففي قوله ربكم ذو رحمة واسعة قوة وصفهم بغاية الاجرام
وشدة الطغيان ثم اعقب هذه المقالة بوعيد في قوله ولا يرد باسه عن
القوم المجرمين كانه قال ولا تغتروا ايضا بسعة رحمته فان له باسا لا يرد
عن المجرمين اما في الدنيا واما في الاخرة وهذه الايات وما جاء نسقها
من ايات مكية من تقع حكيها واخبر الله نبيه ان المشركين سيحتجون بصواب
ما هم عليه من شركهم وتدينهم لتحريمهم تلك الاشيا بانها لله تعالى
وتقريره من حالهم وانه لو شاء غير ذلك لما تركهم على تلك الحالة
قال ع وبين ان المشركين لا حجة لهم فيما ذكروه لانا نحن نقول ان الله
عز وجل لو شا ما اشركوا ولكنه شاء اشراكهم واقدرهم على اكتساب
الاشراك والمعاصي ونحوه والاستعمال به ثم علق الثواب والعقاب
على تلك الاشيا والاكتسابات وهو الذي يقتضيه ظواهر القران
في قوله جزاء بما كانوا يكسبون ونحو ذلك ويلزمهم على احتجاجهم
ان يكون كل طريقه وكل نحلة صوابا اذ كلها لو شاء الله لم يكن قال ع
وقال بعض المفسرين انما هذه المقالة من المشركين على جهة الاستهزا
على جهة الاستهزاء وهذا ضعيف وتعلقت المعتزلة بهذه الاية
فقالت ان الله قد ذم لهم هذه المقالة وانما ذمها لان الكفر هم
ليس بمشية الله بل هو خلق لهم قال ع وليس الامر على ما قالوا وانما
ذم الله ظن المشركين ان ما شاه الله لا يقع عليه عقاب وانما

انه دم توهمهم لولا المشية لم يكفروا ثم قال كذلك كذب الذين من قبلهم
وفي الكلام حذف يدل عليه ما سبق الكلام قال سيقول المشركون كذا وكذا
وليس في ذلك حجة لهم ولا شي يقتضي تكذيبك ولكن كذلك كذب الذين
من قبلهم بنحو هذه الشبهة من ظنهم ان ترك الله لهم دليل على رضاه
بحالهم وفي قوله حتى ذاقوا باسنا وعيد بين وليس في الاية رد منصوص على
قولهم لو شا الله ما اشركنا وانما ترك الرد عليهم لانه مقدر في الكلام
لوضوحه وبيانه وقوله ولا اباونا معطوف على الضمير المرفوع في اشركنا
ولا يرد قياسا بخلاف المخفوض لكن سيبويه قبح العطف على الضمير المرفوع
ووجه قبحه انه لما بني الفعل عليه صار كحرف من الفعل فقبح العطف عليه
لشبهه بالحرف وكذلك كقولك قمت وزيد لان تاكيده تبين فيه معنى
الاسمية ويذهب عنه شبه الحرف وحسن عند سيبويه ايضا العطف
في قوله ما اشركنا ولا اباونا لما طال الكلام بلا وكان معنى الاسمية اتضح
واقتضت لا ما يعطف بعدها وقوله تعالى قل هل عندكم من علم الاية المعنى
قل يا محمد للكفرة هل عندكم من علم من قبل الله فتبينوه حتى تقوم به الحجة ومن
في قوله من علم زائدة موكدة وجازت زيادتها لان الاستفهام داخل
في غير الواجب ان يتبعون الا الظن اي لا شي عندكم الا الظن وهو اكذب
الحديث وقراءة جمهور الناس تتبعون على المخاطبة وقرا النخعي وابن وثاب
ان يتبعون بالياء على الحكاية عنهم قالع وهذه قراة شاذة تضعفها
قوله وان انتم الا تخرصون معناه تقدرون وتظنون وترجمون تقتلوا
اولادكم الاية نهي عن عادة العرب في واد البنات والولد يعم الذكر والانثى من
البنين والاملاق الفقر وعدم المال قاله ابن عباس وغيره ويقال املق الرجل
اذا افتقر قالع ويشبه ان يكون املق اي لم يبق له الا الملق كما قالوا اترب
واترب اذا لم يبق له الا التراب وارمل اذا لم يبق له الا الرمل والملق الحجارة
السود واحدتها ملقة وذكر منذر بن سعيد ان الاملاق الانفاق يقال
املق ماله بمعنى انفقه وذكر ان عليا قال لامراته املقي من مالك ما شئت
وذكر النقاش عن محمد الترمذي انه السرف في الانفاق وحكى ايضا النقاش
عن مورج انه قال الاملاق الجوع بلغة لخم وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش نهي
عام عن جميع الفواحش وهي المعاصي ما ظهر منها وما بطن حالتان يستوفيان
انواع ما جعلت له من الاشيا وذهب بعض المفسرين الى ان القصد بهذه
الاية اشيا مخصصات فقال السدي وابن عباس ما ظهر هو زنا الحوانيت
الشهيرة وما بطن هو اتخاذ الاخدان وكانوا يستقبحون الشهير وحده فحرم
الجميع منه وقال الضحاك ما ظهر هو الخمر وما بطن هو الزنا وقال مجاهد ما ظهر
هو نكاح حلايل الابا ونحو ذلك وما بطن هو الزنا الى غير ذلك من تخصيص
لا تقوم عليه حجة بل هو دعوى مجردة وقوله تعالى ولا تقتلوا الاية متضمنة
تحريم قتل النفس المسلمة والمعاهد ومعنى الاية الا بالحق الذي يوجب قتلها
وقد بينته الشريعة وهو الكفر بالله وقتل النفس والزنا بعد الاحصان
والحرابة وما تشعب منه وذلكم اشارة الى هذه المحرمات والوصية
الامر المؤكد المقرر ومنه قول الاعشى اجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الاله
حين اوصى واشهدا وقوله لعلكم ترجع بالاضافة الى البشر اي من سمع هذه الوصية
ترجى وقوع اثر العقل بعدها والتمييز بالمنافع والمضار في الدين قوله
تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده الاية هذا
نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف وفيه سد الذريعة ثم استثنى
ما يحسن وهو السعي في نمائه وقال مجاهد التي هي احسن التجارة
فيه فمن كان من الناظرين له مال يعيش به فالاحسن اذا ثمر مال اليتيم
ان لا ياخذ منه نفقة ولا اجرة ولا غيرها ومن كان من الناظرين لا مال له
ولا يتفق له نظر الا بان ينفق على نفسه من ربح نظره والا دعته الضرورة
الى ترك مال اليتيم دون نظر فالاحسن ان ينظر وياكل بالمعروف قاله ابن زيد

والاشد

والاشد جمع شد وجمع شدة وهو هنا الحزم والنظر في الامور وحسن التصرف
فيها قالع وليس هذا بالاشد المعروف بلوغ الاربعين بل هذا يكون مع صغر
السن في ناس كثير وتلك الاشد هي التجارب والعقل المحنك ولكن قد خلطها
المفسرون فقال ربيعة والشعبي ومالك فيما روي عنه وابو حنيفة بلوغ الاشد
البلوغ مع ان لا يثبت سفه وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقالت فرقة ثلاث
وثلاثون سنة وحكى الزجاج عن فرقة ثماني عشرة سنة وضعفه ورجح البلوغ
مع الرشد وحكى النقاش ان الاشد هنا من خمسة عشر الى ثلاثين والفقه
ما رجح الزجاج وهو قول مالك وقال مالك الاشد وزوال السفه مع البلوغ
قالع وهذا اصح الاقوال واليقها بهذا الموضع وقوله تعالى واوفوا الكيل
والميزان امر بالاعتدال في الاخذ والاعطاء والقسط العدل وقوله تعالى
لا نكلف نفسا الا وسعها يقتضي ان هذه الاوامر انما هي فيما يقع تحت
قدرة البشر من التحفظ والتحرز لا انه مطالب بغاية العدل في نفس
الشي المتصرف فيه قال الطبري لما كان الذي يعطي ناقصا يتكلف
في ذلك مشقة والذي يعطي زايدا يتكلف ايضا مثل ذلك رفع الله
عز وجل بالامر بالمعدلة حتى لا يتكلف واحد منهما مشقة وقوله
واذا قلتم فاعدلوا يتضمن الشهادات والاحكام والتوسط بين
الناس وغير ذلك اي ولو كان مثل الحق على قراباتكم وقوله وبعهد الله
اوفوا يحتمل ان يراد به جميع ذلك من جميع ما انعقد بين الانسانين وايضا
واضاف ذلك العهد الى الله من حيث قد امر بحفظه والوفاء به وقوله
لعلكم تذكرون تحسينا وقرا ابن كثير وابو عمرو تذكرون بالتشديد وكذلك يذكرون
ويذكر الانسان وما جرى من ذلك مشددا كله وقرا نافع وعاصم في رواية
ابي بكر وابن عامر كل ذلك بالتشديد الى قوله ان لا يذكر الانسان فانهم
خففوها وروى ابان وحفص عن عاصم تذكرون خفيفة الذال في كل
القران وقرا حمزة والكسائي تذكرون بتخفيف الذال اذا كان الفعل بالتا
واذا كان الفعل بالياء قراه بالتشديد وقرا حمزة وحده في سورة الفرقان
لمن اراد ان يذكر بسكون الذال وتخفيف الكاف وقرا ذلك الكسائي
ايضا بشدهما وفتحهما وقوله عز وجل وان هذا صراطي مستقيما الاية
الاشارة بهذا الى الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بجملته
وقال الطبري الاشارة الى هذه الوصايا التي تقدمت من قوله تعالى قل تعالوا
قرا ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو وان هذا بفتح الهمزة وتشديد النون
صراطي بسكون الياء وقرا الكسائي وحمزة وان بكسر الالف وتشديد
النون وقرا عبد الله بن ابي اسحق وابن عامر وان بفتح الالف وسكون
النون صراطي مفتوحة الياء فاما من فتح الالف فالمعنى عنده كانه قال
ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه اي اتبعوه لكونه هكذا وتكون الواو على
هذا انما عطفت جملة على جملة ويصح غير هذا ان يعطف ان على ان لا تشركوا
وكان المحرم من هذا اتباع السبيل والسكت على الصراط الاقوم ومن قرا
بتخفيف النون عطف على قوله ان لا تشركوا ومذهب سيبويه انها المخففة
من الثقيلة وان التقدير وانه هذا صراطي ومن قرا بكسر الالف وتشديد
النون فكانه استانف الكلام وقطعه من الاول وفي مصحف ابن مسعود وهذا
صراطي بحذف ان وقال ابن مسعود ان الله جعل طريقا مستقيما طرفه محمد
عليه السلام وشرعه ونهايته الجنة وتتشعب منه طرق فمن سلك الجادة
نجا ومن خرج الى تلك الطرق افضت به الى النار وقال ايضا خط
لنا رسول الله خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط
وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها
ثم قرا الاية قالع وهذه الاية تعم اهل الاهواء والبدع والشذوذ في
الفروع وغير ذلك من اهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام هذه كلها
عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد وقد تقدم القول في ذلكم وصاكم به

وفي قوله لعلكم ومن حيث كانت المحرمات الاول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جا العبارة لعلكم تعقلون والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم تتذكره و ركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضايل وتلك درجة السوي **قوله عز وجل** ثم اتينا موسى الكتاب الاية انما مهلتها في ترتيب القول الذي امر به محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ثم مما قضيناه ان اتينا موسى الكتاب ويدعوا الى ذلك ان موسى عليه السلام متقدم بالزمان على محمد صلى الله عليه وسلم وتلاوة ما حرم الله تعالى والكتاب التورية **وتماما** نصب على المصدر **وقوله على الذي احسن** مختلف فيه قالت فرقة معناه ان الذي بمعنى الذين واحسن فعل ماض صلة الذين وكان الكلام واتينا موسى الكتاب تفصيلا على المحسنين من اهل ملته واتماما للنعمة عندهم هذا تاويل مجاهد وفي مصحف عبد الله تماما على الذين احسنوا وهذا يؤيد ذلك التاويل وقالت فرقة الذي غير موصوله والمعنى تماما على ما احسن هو من عبادة ربه ايضا والاصطلاح بامور نبوته يريد موسى عليه السلام هذا تاويل الربيع وقتاده وقالت فرقة المعنى تماما اي تفضلا وكمالا على النعمة احسن الله فيه الى عباده من الثواب والنعم وغير ذلك فالذي ايضا في هذا التاويل غير موصولة وهذا تاويل ابن زيد وقرا يحيى بن يعمر وابن ابي اسحق تماما على الذي احسن بضم النون فجعلها صفة تفصيلة ورفعها على خبر ابتداء مضمر تقديره على الذي هو احسن وضعف ابو الفتح هذه القراة لقبح حذف المبتداء العايد وقال بعض نحوي الكوفة يصح ان يكون احسن صفة للذي من حيث قارب المعرفة اذ لا تدخله الالف واللام كما يقول العرب مررت بالذي هو خير منك لا يجوز مررت بالذي عالم وخطا الزجاج هذا القول الكوفي **وتفصيلا** يريد بيانا وتقسيما **ولعلكم** ترج بالاضافة الى البشر والكفار دبهم اي بالبعث الذي الايمان به نهاية تصديق الانبيا صلوات الله عليهم اذ لا يلزمه العقول بذواتها وانما تثبت بالسمع نحو العقول له الفعل **قوله عز وجل** وهذا كتاب انزلناه مبارك الايات هذا اشارة الى القران ومبارك وصف عا فيه من الموسعات وازاله احكام الجاهلية وتحريماتها وجمع كلمة العرب وصلة ابدى سعة وفتح الله على المومنين به ومعناه منمى جيه بكوه والتركه الزياده والنمو فاتبعوه دعا الى الدين واتقوا الاظهر فيه انه امر بالتقوى العامة في جميع الاشيا بقرينة قوله لعلكم ترحمون وان في قوله ان تقولوا في موضع نصب والعامل فيه انزلناه والتقدير وهذا كتاب انزلناه كراهية ان وهذا اصح الاقوال واصطها للمعنى المقصود وقيل العامل فان قوله واتقوا فكانه قال واتقوا ان تقولوا وهذا تاويل يخرج على معنى واتقوا ان تقولوا كذا لانه لا حجة لكم فيه ولكن يعرض فيه قلق فقوله لكسا ذلك لعلكم ترحمون وفي التاويل الاول تتسق نظم لفظ الاية والطائفتان اليهود والنصارى باجماع من المتاولين والدراسة القراة والتعلم وان في قوله وان كنا مخففة من الثقيلة واللام في قوله الغافلين لام توكيد هذا مذهب البصريين وحكى سيبويه عن بعض العرب انهم يخففونها ويعملونها على عملها ومنه قرا اهل المدينة وان كلا واما المشهور وانها اذا خففت جسم حرف ابتداء لا تعمل واما على مذهب الكوفيين فان في هذه الاية بمعنى ما النافية واللام بمعنى الا فكانه وما كنا عن دراستهم الا غافلين ومعنى هذه الاية ازالة الحجة عن ايدي قريش وساير العرب بانهم لم يكن لهم كتاب وكانه قال وهذا القران يا معشر العرب انزل حجة عليكم لئلا تقولوا انما انزلت التورية والانجيل بغير لساننا على غيرنا ونحن لم نعرف ذلك فهذا كتاب بلسانكم ومع رجل منكم **وقوله تعالى او تقولوا** جملة معطوفة على الجملة الاولى وهي في غرضها من الاحتجاج على الكفار وقطع تعلقهم في الاخرة بان الكتاب انما انزلت على غيرهم وانهم غفل عن الدراسة والنظر والشرع وانهم لو نزل عليهم الكتاب لكانوا اسرع الى الهدى من الناس

كلهم

كلهم فقيل لهم قد جاءكم بيان من الله وهدى ورحمة ولما تقرر ان البينة قد جات والحجة قد قامت حسن بعد ذلك ان يقع التقرير بقوله فمن اشد ظلما ممن كذب بهذه الايات البينات وصدف معناه حاد وراغ واعرض وقرا يحيى بن وثاب وابن ابي عبلة كذب بالتخفيف والجمهور بالتشديد سيجزي الذين وعيد وقرات فرقة يصدفون بكسر الدال وفرقة بضمها **قوله عز وجل** هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة الاية الضمير الذي في ينظرون هو للطائفة التي قيل لها قبل فقد جاءكم بينة من ربكم وهم العادلون بربهم من العرب الذين مضت اكثر السورة في جدالهم ولا ينظرون معناه ينتظرون والملائكة هنا يراد بها ملائكة الموت الذين يصحبون عزرائيل المخصوص بقبض الارواح قاله مجاهد وقتادة وابن جريج ويحتمل ان يريد الملائكة الذين يتصرفون في قيام الساعة وقرا حمزة والكسائي الا ان ياتيهم بالياء الباقون بالتاء من فوق **وقوله تعالى** او ياتي ربكم قال الطبري موقف الحساب يوم القيمة واسند ذلك الى قتاده وجماعة من المتاولين وحكى الزجاج ان المراد بقوله او ياتي ربك اي العذاب الذي تسلط الله في الدنيا على من يشا من عباده كالصيحات والرجفات والخسف ونحوه **قال ع** وهذا الكلام على كلا التاويلين انما هو بحذف المضاف تقديره امر ربك او بطش ربك او حسابات ربك والاولى بالاتيان المفهوم من اللغة مستحيل في حق الله تعالى الا ترى ان الله تعالى يقول فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فهذا اتيان قد وقع وهو المجاز وحذف المضاف **وقوله تعالى** او ياتي بعض ايات ربك اما ظاهر اللفظ لو وقعنا معه فيقتضي انه توعدهم بالتشهير القطيع من اشراط الساعة دون ان يخص من ذلك شرطا يريد بذلك الابهام الذي بين التسامع اقوى تخيلة اكن لما قال بعد ذلك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها وثبتت الاثار في الصحيحين البخاري ومسلم ان الاية التي معها هذا الشرط هي طلوع الشمس من المغرب قوي الاحتمال بقوله او ياتي بعض ايات ربك انما هي طلوع الشمس من مغربها وقال جمهور التاويل مجاهد وقتاده والسدي وغيرهم ويقوى ان الاشارة الى غرغرة الانسان عند الموت او ما يكون في معناها لمن لا يغرغر ففي الحديث ان توبة العبد يقبل ما لم يغرغر وهذا اجماع لان من غرغر وعاين فهو في عداد الموتى وكون المرء في هذه الحال من ايات الله عز وجل وهذا على من يرى الملائكة المتصرفين في قيام الساعة **قال ع** فقصد بهذه الاية تهديد الكافرين باحوال لا يخلون منها كانه قال هل ينظرون مع اقامتهم على الكفر الا الموت الذي لهم بعده اشد العذاب والاحداث المعهودة لله عز وجل او الاية التي ترفع التوبة وتعلم بقرب القيامة **قال ع** ويصح ان يريد بقوله او ياتي بعض ايات ربك جميع ما يقطع ايضا بوقوعه من اشراط الساعة ثم خصص بعد ذلك بقوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية التي ترفع التوبة معها وقد بينت الاحاديث انها طلوع الشمس من مغربها وقرا زهير الفرقبي يوم ياتي بالرفع وهو على الابتداء والخبر في الجملة التي لا ينفع الى اخر الاية والعايد في الجملة محذوف لطول الكلام وقرا ابن سيرين وعبد الله بن عمرو وابو العالية لا تنفع بالتاء لان الايمان لما اضيف الى مونث او لما نزل منزلة التوبة وقال جمهور اهل التاويل كما تقدم الاية التي لا ينفع التوبة من الشرك او من المعاصي بعدها هي طلوع الشمس من المغرب وروي عن ابن مسعود انها احدى ثلاث اما طلوع الشمس واما من مغربها واما خروج الدابة واما ياجوج وماجوج **قال ع** وهذا فيه نظر لان الاحاديث ترده وتخصص الشمس وروي في الحديث ان الشمس تجري كل يوم حتى تسجد تحت العرش وتستاذن فيوذن لها في الطلوع من المشرق حتى اذا اراد الله عز وجل سد باب التوبة امرها بالطلوع من مغربها قال ابن مسعود وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم فتطلع هي والقمر كالعيرين القرينين

ويقوى النظر ايضا ان الوعيد هي الاية التي ترتفع معها التوبة وقوله او كسبت في ايمانها
خيرا يريد جميع اعمال البر فرضها ونفلها وهذا الفصل هو للعصاة المؤمنين كما
قوله لم تكن امنت من قبل هو للكفار والاية المشار اليها يقطع توبة للصنفين
وقرا ابو هريرة او كسبت في ايمانها صالحا وقوله تعالى قل انتظروا الاية لفظ يتضمن
الوعيد اي تستترون من نحو كلامه ويتضح ما اخبره قوله عز وجل ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا الى قوله وهم لا يظلمون قال ابن عباس والضحاك
وقتادة المراد بالذين اليهود والنصارى اي فرقوا دين ابراهيم الحنيفية
واضيف الدين اليهم من حيث كان ينبغي ان يلزموه اذ هو دين الله الذي
الزمه العباد فهو دين جميع الناس بهذا الوجه ووصفهم بالشيع اذ كل
طائفة منهم لها فرق واختلافات ففي الاية حض لامة محمد صلى الله عليه
وسلم على الائتلاف وقلة الاختلاف وقال ابو الاحوص وام سلمة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم الاية في اهل البدع والاهواء والفتن ومن جرى مجراهم
من امة محمد صلى الله عليه وسلم اي فرقوا دين الاسلام وقرا علي بن ابي طالب
وحمزة والكسائي فارقوا ومعناه تركوا ثم بين قوله وكانوا شيعا انهم
فرقوه ايضا والشيع جمع شيعة وهي الفرقة على مقصد ما يتشايعون عليه
وقوله تعالى لست منهم في شيء اي لا تشفع لهم ولا لهم بك تعلق وهذا
على الاطلاق في الكفار وعلى جهة المبالغة في العصاة والمتنطعين في الشرع
لان لهم حظا من تفريق الدين وقوله انما امرهم الى الله الاية وعيد محض والقرينة
المتقدمة تقتضي ان امرهم الى الله الاية فيه وعيد كما ان القرينة في قوله تعالى
فمن جاءه موعظة من ربه الاية يعطي ان في ذلك الامر رجاء وامره في اقبال
والى الخير وقرا النخعي والاعمش وابو صالح فرقوا بتخفيف الراء وقرا السدي هذه
اية لم يؤمر فيها بقتال وهي منسوخة بالقتال قال ع وهذا كلام غير متقن
فان الاية خبر لا يدخله نسخ ولكنها تضمنت بالمعنى امرا بموادعة وبسبه
ان يقال ان النسخ وقع في ذلك المعنى الذي قد تقرر في اية اخرى قوله تعالى
من جاء بالحسنة الاية قال ابو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر هذه الاية
نزلت في الاعراب الذين امنوا بعد الهجرة فضاعف الله حسناتهم للحسنة عشرة
وكان المهاجرون قد ضوعف لهم الحسنة سبع مائة قال ع وهذا تاويل
يحتاج الى سند يقطع العذر فقالت فرقة هذه الاية لجميع الامة اي ان الله
يضاعف الحسنة بعشرة ثم بعد هذا المضمون قد يزيد من يشاء وقد يزيد
ايضا على بعض الاعمال كنفقة الجهاد وقال ابن مسعود ومجاهد والقاسم
ابن ابي بزة وغيرهم الحسنة هنا لا اله الا الله والسيئة الكفر قال ع وهذه
الغاية الطرفين وقالت فرقة ذلك لفظ عام في جميع الحسنات والسيئات
وهذا هو الظاهر وانث لفظ العشر لان الامثال هنا هي بالمعنى حسنات
ويحتمل ان الامثال انثت لما اضيفت الى مؤنث وهو الضمير كما قال الشاعر
مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم فانث وقرا الحسن
وسعيد بن جبير وعيسى بن عمر والاعمش ويعقوب فله عشر بالتنوين وامثالها بالرفع
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاعمال ست موجبة وموجبة
ومضعفة ومضعفة ومثل ومثل ولا اله الا الله يوجب الجنة والشرك
يوجب النار ونفقة الجهاد يضعف سبع مائة ضعف والنفقة على الاهل
حسنتها بعشرة والسيئة جزاؤها مثلها ومن هم بحسنة فلم تعملها كتبت
له حسنة مثلها وقوله تعالى لا يظلمون اي لا يوضع في جزائهم شيء في غير
موضعه وتقدير الاية من جاء بالحسنة فله ثواب عشر امثالها والمماثلة بين
الحسنة والثواب مترتبة اذا تدبرت قال الطبري في قوله تعالى من جاء بالحسنة
الاية يريد من الذين فرقوا دينهم اي من جاء منهم تائبا فله الحسنة قال ع والقصد
بالاية الى العموم في جميع العالم اليق باللفظ قوله عز وجل قل انني هداني
ربي الى صراط مستقيم الاية امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالاعلان
بشريعته والانتساك منها من سواها من اضاليلهم ووصف الشريعة بما هي

علية

عليه من الحسن والفضل والاستقامة وهداني معناه ارشدني بخلق الهدى في قلبي
والرب المالك ولفظه مصدر من قولك ربه يربه وانما هو مثل عدل ورضي فانه
مصدر وصف به واصله ذو الرب ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه
فقيل الرب والصراط الطريق ودينا منصوب بهداني المقدر الذي يدل عليه
هداني الاول وهذا الضمير انما فصل وحده دون ان يحتاج الى اضمار الهادي هدى
يصل بنفسه الى مفعوله الثاني وبحرف الجر فهو فعل متردد وقيل نصب دينا
بفعل مضمر تقديره عرفني دينا وقيل تقديره فاتبعوا دينا او فالزموا دينا وقيل
نصب على البدل من صراط على الموضع لان تقديره هداني ربي صراطا مستقيما
وقيما نعت للدين ومعنى مستقيما معتدلا وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو قيما بفتح
القاف وكسر الياء وشدها واصله قيوم عللت كتعليل سيد وميت وقرا عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي قيما بكسر القاف وفتح الياء على وزن فعل وكان
الاصل ان يجيء فيه قوما كعوض وحول الا انه شذ كشذوذ قولهم جياد في موضع
جمع وثيرة في جمع ثور ومثله بدل من الدين والملة الشريعة وحنيفا نصب
على الحال من ابراهيم والحنف في كلام العرب الميل فقد يكون الميل الى فساد كحنف
الرجل وقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا على قراءة من قرا بالحاء غير موطئة
ونحو ذلك وقد يكون الحنف الميل الى الصلاح كقوله صلى الله عليه وسلم الحنيفية
السمحة والدين الحنيف ونحوه وقال ابن قتيبة الحنف الاستقامة وانما
سمي الاحنف في الرجل على جهة التفاول له وما كان من المشركين نفي
للنقيصة عنه عليه السلام وقوله تعالى قل ان صلاتي ونسكي الاية امر من
الله عز وجل بان يعلن بان مقصده في صلوته وطاعاته من ذبيحة وغيرها
وتصرفه مدة حياته وحاله من الاخلاص والايمان عند مماته انما هو لله عز
وجل وارادة وجهه وطلب رضاه وفي اعلان النبي صلى الله عليه وسلم
بهذه المقالة يلزم المؤمنين التاسي به حتى يلتزموا في جميع اعمالهم قصد
وجه عز وجل ويحتمل ان يريد بهذه المقالة ان صلاته ونسكه وحياته
ومونته بيد الله عز وجل وله تصرفه في جميع ذلك كيف شاء وانه قد هداني
من ذلك الى صراط مستقيم ويكون قوله وبذلك امرت على هذا
التاويل راجعا الى قوله لا شريك له فقط او راجعا الى القول على
التاويل الاول يرجع على جميع ما ذكر من صلاة وغيرها اي امرت بان
اقصد وجه الله في ذلك وان التزم العمل به وقرا الجمهور ونسكي
بضم النون والسين وقرا ابو حيوة والحسن باسكان السين وقالت
فرقة النسك في هذه الاية الذبائح قال ع ويحسن تخصيص الذبيحة بالذكر
بالذكر في هذه الاية انها نازلة قد تقدم ذكرها والجدل فيها في السورة
وقالت فرقة النسك في هذه الاية جميع اعمال الطاعات من قولك نسك
فلان فهو ناسك اذا تعبد وقرا السبعة سوى نافع ومحياي ومماتي
بفتح الياء من محياي وسكونها من مماتي وقرا نافع وحده ومحياي
بسكون الياء من محياي قال ابو علي الفارسي وهي شاذة في القياس
لانها جمعت بين ساكنين وشاذة في الاستعمال ووجهها انه سمع
من العرب التقت حلقتا البطان ولفلان ثلث المال الخليل وروى ابو خالد
عن نافع ومحياي بكسر الياء وقرا ابن ابي اسحق وعيسى والجحدري ومحي وهي
لغة هذيل ومنه قول ابي ذويب سبقوا هوي واعنقوا لهواهم فتخرموا
ولكل جنب مصرع وقرا عيسى بن عمر صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي بفتح الياء
فيهن وروي عن عاصم وقوله تعالى وانا اول المسلمين اي هذه الامة قال
النقاش من اهل مكة قال ع والمعنى واحد بل الاول اعم واحسن وقرات
فرقة وانا باشباع الالف من غير اشباع وهذا كله في الوصل قال ع وترك
الاشباع احسن لانها الف وقف فاذا اتصل الكلام استغني عنها لا سيما
الى ولتها همزة قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء الاية
حكى النقاش انه روي ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع يا محمد

الذ دينا واعبد آلهتنا واترك ما انت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها
في دنياك واخرتك فنزلت هذه الاية وهي استفهام يقتضي التقرير والتوقيف والتوبيخ
والمعنى معنا ما اطلب وكان قال افتحسن عندكم ان اطلب الها غير الله الذي هو رب
كل شيء وما ذكرتم من كفالتكم لا يتم لان الامر ليس كما تظنونه وانما كسبت كل شيء
من الشر والاثم عليها وحدتها ولا تزر اي تحمل وازرة اي حاملة
وزر اخرى اي حمل اخرى وثقلها والوزر اصله الثقل ثم استعمل في الاثم
لانه مقص الظهر تجوزا واستعارة يقال منه وزر الرجل يزر فهو وازر
ووزر يوزر فهو موزون وقوله ثم الى ربكم مرجعكم تهديد ووعيد فينبئكم اي فيعلمكم
اي ان العقاب على الاعوجاج مبين لموضع الحق وقوله بما كنتم فيه تختلفون يريد
على ما حكى بعض المتاولين من امركم في قول بعضكم هو ساحر وبعضكم افتراه
وبعضكم اكتسبه ونحو هذا قال ع وهذا التاويل يحسن في هذا الموضع وان
اللفظ يعم جميع انواع الاختلافات من الاديان والملل والمذاهب وغير ذلك
وخلائف جمع خليفة اي يخلف بعضكم بعضا قال ع وهذا يتصور في جميع
الامم وسائر اصناف الناس لانه من اتى خليفه لمن مضى ولكنه يحسن في امة
محمد عليه السلام ان تسمى اهلها بجملتها خلائف الامم وليس لهم من يخلفهم
اذ هم اخر الامم وعليهم قيام الساعة وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله ويروى لهم اخرها واكرمها
على الله قوله ورفع بعضكم الاية لفظ عام في المال والقوة والجاه وجودة النفس
والاذلال وغير ذلك وكل ذلك انما هو ليختبر الله الخلق يرى المحسن من المسيء ولما اخبر
الله عز وجل بهذا فسح الناس بعد ان امهل وحضهم على الاشتياق الى الخيرات
توعد ووعد تخويفا منه وترجية فقال ان ربك سريع العقاب وسرعة عقابه اما
بأخذاته في الدنيا واما بعقابه في الاخرة وحسن ان يوصف عقاب الاخرة
سريع لما كان متحققا مضمون الاتيان والوقوع فكل ات يحكم عليه بالقرب
ويوصف به وانه لغفور رحيم ترجية لمن اذنب واراد التوبة وهذا في كتاب الله
كثير اقران الوعيد بالوعد لطفا من الله تعالى بعباده كمل تفسير السورة والحمد
لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الاعراف

هي مكية كلها قال الضحاك وغيره وقال مقاتل هي مكية الا قوله واسئلهم عن القرية
الى قوله من ظهورهم ذرياتهم فان هذه الايات مدنية قوله عز وجل المص
كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون تقدم
القول في تفسير الحروف المقطعة التي في اوائل السور وذكر اختلاف المتاولين
فيها ويختص هذا الموضع زائدا على تلك الاقوال بما قاله السدي ان المص
هجا اسم الله الذي هو المصور ويقول زيد بن علي ان معناه انا الله الفاصل
قوله تعالى كتاب انزل اليك الاية قال الفرا وغيره رفع على الخبر للحروف فكان
قال هذا الحروف كتاب انزل اليك ورد الزجاج على هذا القول بما لا طائل
فيه وقال غيره كتاب رفع على خبر ابتداء مضمر تقديره هذا كتاب انزل اليك
في موضع الصفة لكتاب ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبرم او
يستصحب من هذا الكتاب او يسير اسبابه حرجا ولفظ النهي هو للحرج و
معناه للنبي صلى الله عليه وسلم واصل الحرج الضيق ومنه الحرج الشجر
الملتف الذي هو قد تضايق والحرج هنا يعم الشك والخوف والهم
وكل ما يضيق الصدر وبحسب الحرج تفسير الحرج ها هنا وتفسيره بالشك
قلق والضمير في منه عائد على الكتاب اي بسبب اسبابه ومن ها هنا
لابتداء الغاية وقيل يعود على التبليغ الذي يتضمنه معنى الاية
وقيل على الانذار قال ابو محمد وهذا التخصيص كله لا وجه له اذ اللفظ
يعم جميع الجهات التي هي من سبب الكتاب ومن اجله وذلك المستغرق
التبليغ والانذار وتعرض المشركين وتكذيب المكذبين وغير ذلك قوله
فلا يكن في صدرك حرج من اعتراض في اثناء الكلام ولذلك قال بعض

الناس ان فيه تقديما وتاخيرا وقوله لتنذر به الكلام متعلقة بانزل قوله وذكرى
معناه تذكرة وارشاد وذكرى في موضع رفع عطفا على قوله كتاب تقديره
هذه الحروف كتاب وذكرى وقيل رفع على جهة العطف على صفة الكتاب
فالتقدير هذه الحروف كتاب منزل اليك وذكرى فهي عطف على منزل
داخلة على صفة الكتاب وقيل ذكرى في موضع نصب بفعل مضمر تقديره
لتنذر به وتذكر ذكرى للمؤمنين وقيل نصبها على المصدر وقيل ذكرى في موضع
خفض عطفا على قوله لتنذر اي لانذارك وذكرى قوله اتبعوا الاية قال الطبري
وحكاه التقدير قل اتبعوا فحذف القول لدلالة الانذار المتقدم الذكر عليه
وقالت فرقة قوله اتبعوا امر من الله للنبي صلى الله عليه وسلم وامته قال ابو
محمد والظاهر ان يكون امرا لجميع الناس اي اتبعوا ملة الاسلام
والقران وقرا الجحدري ابتغوا ما انزل من الابتغاء وقرا مجاهد ولا تبتغوا
من الابتغاء ايضا قوله اولياء يريد كل ما عبد واتبع من دون الله كالشياطين
كالاصنام والاحبار والكهان والنار والكواكب وغير ذلك والضمير
في قوله من دونه راجع على ربكم هذا اظهر وجوهه وابينها وقيل يعود
على ما من قوله اتبعوا ما وقيل يعود على الكتاب المتقدم الذكر وقليلا نعت لمصدر
نصب بفعل مضمر وقال مكي هو منصوب بالفعل الذي بعده قال الفارسي وما في
قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي مصدرية وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم في رواية ابي بكر يذكرون بتشديد الذال والكاف وقرا حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص يذكرون بتخفيف الذال وتشديد الكاف وقرا ابن عامر
يتذكرون بالياء كناية عن غيب وروي عنه انه قرا تتذكرون بتاءين على
مخاطبة حاضرين قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا
او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم
بعلم وما كنا غائبين كم في موضع رفع بالابتداء والخبر اهلكنا ويصح ان يكون
الخبر في قوله فجاءها باسنا واهلكناها صفة ويصح ان يكون في موضع نصب بفعل
مقدر بعدها تقديره وكم اهلكنا من قرية اهلكناها وقدر الفعل بعدها
وهي خبرية تشبيها لها بالاستفهامية في ان لها في كل حال صدر الكلام وقالت
فرقة المراد وكم من اهل قرية وحذف واقام المضاف اليه مقام المضاف و
قالت فرقة انما عبر بالقرية لانها اعظم في العقوبة اذا هلك البشر وقوتهم
وقد بين في اخر الاية بقوله او هم ان البشر داخلون في الهلاك فالاية على هذا التاويل
يتضمن هلاك القرية واهلها جميعا وعلى التاويل الاول يتضمن هلاك الاهل
ولا تعرض لذكر القرية والمراد بالاية التكثير وقرا ابن ابي عبلة وكم من قرية
اهلكناهم فجاءهم باسنا قوله فجاءها يعطي ظاهره ان المجيء بعد الاهلاك وذلك
مستحيل فلم يبق الا ان يعدل ظاهر هذا التعقيب فقيل الفاء قد تجيء بمنزلة
الواو ولا يعطي رتبة قال ابو محمد وهذا ضعيف وقيل عبر عن ارادة الاهلاك
بالاهلاك قال مكي في المشكل مثل قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله
قال ابو محمد وهذا يتجه في تاويل من قال الفاء في هذه الاية لتعقيب القول
وقيل المعنى اهلكناها بالخذلان وقلة التوفيق فجاءها باسنا بعد ذلك
قال الفرا وحكاه الطبري ان الهلاك هو مجيء الباس ومجيء الباس هو الاهلاك
فلما تلازما لم يبال ايهما قدم في الرتبة وقيل ان الفاء لترتيب القول فقط
فكانه اخبر عن قرى كثيرة اهلكناهم قال فكان من امرها مجيء الباس وبياتا
نصب على المصدر في موضع الحال وقائلون من القائلة وانما خص وقتي الدعة
والسكون لان مجيء العذاب فيهما اقطع واهول لما فيه من البغت والفجاة
واو في هذا الموضع كما يقول الناس في فلان صنفان حامل ودائم فكانه قال
جاءهم باسنا فرقتين مائتين او قائلين وهذا هو الذي يسمى اللف وهو اجمال
في اللفظ بفرقة ذهن المخاطب دون كلفة والباس العذاب وقيل المراد
او وهم قائلون فكره اجتماع حرفي العطف فحذفت الواو وهذا تكلف لان

معنى الكف باق قوله فما كان دعواهم الاية تبين في هذه الاية غاية البيان ان المراد
في الاية قيلهم اهل القرى والدعوى في كلام العرب لمعنيين احدهما الدعا قال
الخليل يقول اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله عز وجل فما زالت
تلك دعواهم ومنه قول الشاعر وان مدلت رجل دعوتك اشتفي بدعواك
من مدل بها فيهون والثاني الادعاء فقال الطبري هي في هذا الموضع بمعنى الدعا
ويتوجه ان يكون ايضا بمعنى الادعاء لان من ناله مكروه او حزبه حادث فمن شانه
ان يدعو كما ذهب اليه المفسرون في فعل هولاء المذكورين في هذه الاية ومن
شانه ايضا ان يدعي معاذير واشيا تحسن حاله وتعم حجته في زعمه فيتجه ان
يكون هولاء ممن يدعي معاذير ونحوها فاخبر الله عنهم انهم لم تكن لهم دعوى
ثم استثنى عن الاول كانه قال لم يكن دعا او ادعا الا الاقرار والاعتراف اي
هذا كان بدل الادعاء او الدعاء ويحتمل الا ان يكون المعنى فما زالت كلمتهم دعواهم
التي كانت في حال كفرهم الا الى الاعتراف ونحو من الاية قول الشاعر وقد شهدت
قيس فما كان نصرها قتيبة الا عضها بالاباهم واعترافهم وقولهم انا كنا
ظالمين هو في المدة ما بين ظهور العذاب الى اتيانه على انفسهم الى ذلك مهلة
بحسب نوع العذاب تتسع لهذه المقالة وغيرها وروى ابن مسعود عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما هلك قوم حتى يعذروا من انفسهم
وفسر عبد الملك بن حبيب هذا الحديث بهذه الاية ودعواهم خبر كان واسمها
الا ان قالوا وقيل بالعكس قوله تعالى فلنسئلن الاية وعد من الله لجميع العالم
اخبر انه ليسئل الامم اجمع عما بلغ اليهم عنه وعن جميع اعمالهم ويسئل النبيين
عما بلغوا قال ابو محمد وقد نفى السوال في ايات وذلك هو سوال الاستفهام
الحقيقي وقد اثبت في ايات لهذه الاية وهذا هو سوال التقرير فان الله
تعالى قد احاط علما بكل ذلك قبل السوال فاما الانبياء صلوات الله وسلامه
على جميعهم والمومنون فيعقبهم جوابهم رحمة وكرامة واما الكفار و
من نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذابا وتوبيخا
لمن انكر منهم فقص عليه بعلم وقرا ابن مسعود وابن عباس فلنسئلن الذين
ارسلنا اليهم قبلك رسلنا ولنسئلن المرسلين قوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم
اي فلنسردن عليهم اعمالهم قصة قصة بعلم اي بتحقيقه وبعين قال ابن عباس
يوضع الكتاب يوم القيمة فيتكلم بما كانوا يعملون قال القاضي ويشبه ان يكون
الكلام هنا استعارة اذ كل شي فيه مقيد وما كنا غائبين اي ما كنا بعلم جميع
تصرفاتهم كالغائب عن الشي الذي لا يعرف له حالا قوله عز وجل والوزن
يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون الوزن مصدر
وزن يزن ورفعه بالابتداء والحق خبره ويومئذ ظرف منتصب بالوزن
ويصح ان يكون يومئذ خبر الابتداء والحق نعت للوزن والتقدير والوزن الحق
ثابت او ظاهر يومئذ ويومئذ اشارة الى يوم القيمة والفصل بين الخلايق
واختلف الناس في معنى الوزن والموازين فقالت فرقة ان الله تعالى
اراد ان يعلم عباده ان الحساب والنظر يوم القيمة هو في غاية التحرير
ونهاية العدل فمثل لهم في ذلك بالوزن والميزان اذ لا يعرف البشر
امرا اكثر تحريرا منه فاستعير للعدل وتحرير النظر لفظة الوزن والميزان
كما استعار ذلك ابو طالب في قوله بميزان قسط لا يخس شعيرة
له حاكم من نفسه غير عايل وروي هذا القول عن مجاهد والضحاك
وغيره وكذلك استعير على توهم الثقل والخفة لكثرة الحسنات
وقلتها وقال جمهور الامة ان الله عز وجل اراد ان يعرض لعباده
يوم القيمة تحرير النظر وغاية العدل بامر قد عرفوه في الدنيا وعهدته
افهامهم فميزان القيمة له عمود وكفتان على هيئة موازين الدنيا
قال حذيفة اليمان رضي الله عنه صاحب الموازين يوم القيمة
جبريل عليه السلام وقالوا هذا الذي اقتضاه لفظ القرآن ولم يرده

نظر

نظر قال ابو محمد وهذا القول اصح من الاول من جهات اولها ان ظواهر
كتاب الله عز وجل يقتضيه وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ينطق به
من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة وقد قال له يا رسول الله اين
اجدك في القيمة فقال النبي عند الحوض وان لم تجدني فعند الميزان ولو لم
يكن الميزان مرئيا محسوسا لما احاله صلى الله عليه وسلم على الطلب عنده
وجهة اخرى ان النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب
لا يفسد شي منه ولا تختل صحته واذا كان الامر كذلك فلم نخرج من حقيقة اللفظ
الى المجاز دون علة وجه ثالث وهو ان القول في الميزان هو من عقايد
الشرع الذي لم يعرف الا سمعا وان فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا اقوال
الملحدة والزنادقة في الميزان والصراط والجنة والنار والحشر ونحو ذلك
انما هي الفاظ يراد بها غير الظاهر قال ابو محمد فينبغي ان يجري في هذه الالفاظ
الى حملها على حقايقها واما الثقل والخفة فان الاثار تظاهرت بان صحايف
الحسنات والسيئات توضع في كفتي الميزان فيحدث الله في الجهة التي يريد ثقلا وخفة
على نحو احداثه في ذلك في جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت نزول الوحي عليه
ففي الصحيح من حديث زيد بن ثابت انه قال كنت اكتب حين نزلت غير اولي الضرر وفخذ
النبي صلى الله عليه وسلم على فخذي حتى كادت ان ترض فخذي وفي الحديث انه كان اذا
اوحي اليه وهو على ناقته بركت به عجزا عن حمل الثقل الحادث فيه ولا بد لنا ان نعلم ان
الثقل الحادث مع الحسنات انما يتعلق بجسم اذ العرض لا يقوم بالعرض فجايز ان يحدث
الثقل في الصحايف وهو اقربها الى الظن وجايز ان يحدث في غير ذلك من الاجسام
المجاورة لتلك الحال والحدوث في الصحايف ذهب ابو المعالي وورد في خبر الميزان
اثار عن الحان وما بعدهم رضي الله عنهم في هيئته وطوله واحواله لم تصح
بالاسناد فلم نر للاطالة بها وجها وقال الحسن فيما روي عنه بلغني ان لكل احد
في القيمة ميزانا على حدته قال ابو محمد وهذا قول مردود والناس على خلافه وانما
لكل احد وزن يختص به والميزان واحد وروي عن مجاهد في قوله ثقلت موازينه
ان الموازين لفظ الميزان والمفلحون في اللغة المدركون لبغيتهم الناجحون في طلبهم
ومنه قول عبيد افلح بما شئت فقد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب فاما
قول الشاعر والصبح والمسا فقد قيل انه بمعنى البقا قال القاضي والبقا بلوغ
بغيته والمعنيان متقاربان ووزن الله سبحانه اعمال العباد مع علمه
بدقايق الاشيا وجلايلها نظير كتبه اعمالهم في صحايفهم واستنساخ
ذلك ونظير استنطاقه جوارحهم بالشهادة عليهم اقامة للحجة وايضا
جاء وقد تقرر في الشرع ان عمل التوحيد ترجح ميزان من وزنت في اعماله
ولا بد فان قال قائل كيف يثقل موازين العصاة من المومنين بالتوحيد ويصح
لهم حكم الفلاح ثم يدخل طائفة منهم النار وذلك شقا لا محالة فقالت
طائفة انه يوزن اعمالهم دون التوحيد فتخف الحسنات فيدخلون النار
ثم عند اخراجهم يوزن التوحيد فتثقل الحسنات فيدخلون الجنة وايضا فمعرفة العاصي
انه غير مخلد فلاح وان تقدمه شقا على جهة التاديب قوله تعالى ومن خفت موازينه
الاية المعنى من خفت كفة حسناته فثقلت وخسروا انفسهم اي بالهلاك
والخلود في النار وتلك غاية الخسارة قوله بما كانوا اي جزا بذلك كما يقول اكرمتك
بما اكرمتني وما في هذا الموضع مصدرية والايات هنا البراهين والاوامر
والنواهي يظلمون اي يضعونها غير موضعها بالكفر والتكذيب قوله عز وجل
ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد
خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن
من الساجدين الخطاب لجميع الناس والمراد ان النوع بجملته ممكن في الارض والمعايش
جمع معيشة وهي لفظة يعم الماكول الذي يعاش به والتحرف الذي يؤدي اليه وقرا
الجمهور معايش بكسر الياء دون همز وقرا الاعرج وغيره معائش بالهمز
كمدائن وسفائن ورواه خارجة عن نافع وروى عن ورش معايش باسكان
الياء بمن قرا معايش بتصحيح الياء وهو الاصوب لانها جمع معيشة ووزنها

مفعلة ويحتمل ان يكون مفعلة بضم العين قالهما سيبويه وقال الفرا مفعلة من
بفتح العين فالياء في معيشة اصلية واعلت معيشة لموافقتها الفعل الذي
هو يعيش في البناء اي في المتحرك والساكن وصحت معايش في جميع التكسير لزوال
الموافقة المذكورة في اللفظ ولان التكسير معنا لا يكون في الفعل انما يختص به
الاسماء ومن قرا معائش فعلى التخفيف من معايش ومن قراها معائش
فاعلها فذلك غلط فاما توجيهه فعلى تشبيه الاصل بالزايد لان معيشة
تشبه في اللفظ صحيفة كما يقال صحايف قيل معايش وانما همزت في
صحايف ونظايرها لان الياء زايدة لانها لا اصل لها في الحركة
وانما وزنها فعيلة ساكنة فلما اضطر الى تحريكها في الجمع بدلت همزا
جلد منها قليلا نصب بتشكرون ويحتمل ان يكون ما زايدة ويحتمل ان يكون
مع الفعل بتاويل المصدر وقليلا نعت لمصدر محذوف تقديره شكرا قليلا
سدادا وسدا قليلا تشكرون قوله ولقد خلقناكم الاية هذه الاية معناه
التنبيه على مواضع العبرة والتعجب من غريب الصنع واشد النعمة فبدا بالخلق
الذي هو الايجاد بعد العدم بالتصوير في هذه التنبيه المخصوصة للبشر
والاقلم يعد المخلوق قط من صورة واضطرب الناس في ترتيب هذه
الاية لان ظاهرها يقتضي ان الخلق والتصوير لبني ادم قبل القول
للملائكة ان يسجدوا وقد صحت الشريعة ان الامر لم يكن كذلك
فقالت فرقة المراد بقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ادم بنفسه وان
كان الخطاب لبنيه وذلك لما كان سبب وجود بنيه بما افعل فيه صح
مع تجوز ان يقال انه فعل في بنيه وقال مجاهد المعنى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم في صلب ادم في وقت استخراج ذرية ادم من ظهره امثال
الذر في صورة البشر قال ابو محمد ويترتب في هذين القولين ان يكون
ثم على بابها في الترتيب والمهلة وقال عكرمة والاعمش المراد
خلقناكم في ظهور الابا وصورناكم في بطون الامهات وقال ابن
عباس والربيع بن انس اما خلقناكم فادم واما صورناكم فذريته في
بطون الامهات وقال قتادة والضحاك وقال معمر بن راشد عن بعض
اهل العلم بل ذلك كله في بطون الامهات من خلق وتصوير قال ابو محمد
وقالت هذه الفرقة ان ثم لترتيب الاخبار بهذه الجمل لا لترتيب الجمل
في انفسها وقال الاخفش ثم في هذه الاية بمعنى الواو ورد عليه نحويو البصرة
وملائكة وزنها اما مفاعلة واما فعائل بحسب الاشتقاق الذي قد مضى
ذكره في سورة البقرة وهنالك ذكرها بمعنى السجود والمراد به ومعنى
ابليس وكيف كان قبل المعصية واما قوله في هذه الاية الا ابليس فقال
الزجاج هو استثناء ليس من الاول ولكن ابليس امر بالسجود بدليل
قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقال غير الزجاج الاستثناء من الاول
لانا لو جعلنا منقطعا على قول من قال ان ابليس لم يكن من الملائكة
لوجب ان ابليس لم يؤمر بالسجود الا ان يقول قايل هذه المقالة ان امر ابليس
بالسجود كان بوجه اخر غير قوله اسجدوا وذلك من الضعف وقرا ابو جعفر
ابن القعقاع للملائكة اسجدوا بضم الهاء وهي قراءة ضعيفة ووجهها
انه حذف همزة اسجدوا والقا حركتها على الهاء وذلك لا يجد لانها همزة محذوف
معه جملها حركته اي شي يلقي والالقاء انما يكون في الوصل قوله عز وجل
قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين
قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن
لهم صراطك المستقيم ما استفهام فالمقصد به التوبيخ والتقريع ولا في قوله
الا تسجد زايدة والمعنى ما منعك ان تسجد وهي كلا في قول الشاعر
ابى جوده لا البخل واستعجلت نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله وهذا على احد
الاقوال في هذا البيت وقيل لا فيه زائدة وقال الزجاج مفعول والبخل بدل منها

وحكى

وحكى الطبري عن يونس عن ابي عمرو بن العلاء ان الرواية فيه لا البخل بخفض اللام
لان لا قد تتضمن جودا اذ قالها من امر يمنع الحقوق والبخل عن الواجبات ومن
الابيات التي جاءت فيها لا زايدة قول الشاعر افعنك لا برق كان وميضه
غاب تسنمه ضرام مثقب وقيل في الاية ليست لا زايدة وانما المعنى ما منعك
فاحوجك الا تسجد وقيل لما كان ما منعك بمعنى من امرك ومن قال لك حين
ان يقول بعدها الا تسجد قال ابو محمد رحمه الله وجملة هذا الغرض ان يقدر
في الكلام فعل يحسن حمل النفي عليه كانه قال ما حملك او اوجدك واضطرك
وجواب ابليس اللعين ليس على ما سئل عنه لكن جاء بكلام يتضمن الجواب والحجة عليه
فكانه قال منعني فضلي اذ انا خير منه حين خلقتني من نار وخلقته من طين وروي
عن ابن عباس انه قال لا اسجد وانا خير منه واكبر سنا واقوى خلقا يقول ان النار
اقوى من الطين وظن ابليس ان النار افضل من الطين وليس كذلك بل هي
في درجة واحدة من حيث هي جماد مخلوق فلما ظن ابليس ان صعود النار
وخفتها يقتضي فضلا على سكون الطين وبلادته قاس ان ما خلق منها افضل
مما خلق من الطين فاخطا قياسه وذهب عليه ان الروح الذي نفخ في ادم ليس
من طين قال الطبري وذهب عليه ما في النار من الطيش والخفة والاضطراب
وفي الطين من الوقار والاناة والحلم والتثبت قال ابو محمد وفي كلام الطبري
نظر وروي عن الحسن وابن سيرين انهما قالا اول من قاس ابليس وما
عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس قال ابو محمد يعنيان القياس الخطا ولا دليل من
لفظهما عليه ولا يتاول عليهما انكار القياس وانما خرج كلامهما نهيا عما كان
في زمنهما من مقاييس الخوارج وغيرهم فارادا حمل الناس على الجادة قوله قال
فاهبط منها الاية امر من الله عز وجل لابليس بالهبوط في وقت عصيانه في
السجود فيظهر من هذا انه انما هبط اولا واخرج من الجنة وصار في السماء
لان الاخبار تظاهرت انه اغوى ادم وحوا من خارج الجنة ثم امر اخرا
بالهبوط من السماء مع ادم وحوا والحية قال ابو محمد وهذا كله بحسب الفاظ
القصة والله اعلم قوله فما يكون لك معناه فما يصح لك وليس يقتضي هذا اللفظ
ان التكبر له في غيرها على ما ذهب اليه بعض المفسرين بل تضمنت الاية
ان الله اخبر ابليس ان الكبرياء لا تتم له ولا تصح له في الجنة مع نهيه له ولغيره
عن الكبرياء في كل موضع واما لو اخذنا فما يكون على معنى فما يحسن وما يجمل
كما يقول لرجل ما كان لك الافضل قرابتك لغة معنى الا غلظ على ابليس قوله
انك من الصاغرين حكم عليه بضد المعصية التي عصى بها وهي الكبرياء فعوقب
بالحمل عليه بخلاف شهوته وامله والصغار الذل قاله السدي ثم سال ابليس
ربه ان يؤخره الى يوم البعث طمعا ان لا يموت اذ علم ان الموت ينقطع بعد
البعث ومعنا انظرني اخرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم قال
اكثر الناس الوقت المعلوم هو النفخة الاولى في الصور التي يصعق لها من في
السموات ومن في الارض من المخلوقين وقالت فرقة بل احاله على وقت معلوم
عنده عز وجل ومده يوم موت ابليس وحضور اجله دون ان يعين له
ذلك وانما نزله في غما الجهل به لتعمه نكد ما عاش قال ابو محمد وقال بعض
اهل هذه المقالة ان ابليس قبله الملائكة يوم بدر ورووا في ذلك اثرا
ضعيفا قال ابو محمد الاول من هذه الاقوال اشهر واظهر في الشرع ومعنى
من المنظرين من الطائفة التي تاخرت اعمالها كثيرا حتى جاءت اجالها
على اختلاف اوقاتها بعد عمر تلك الفرقة انظار وان لم يكونوا الاحاسمة
الدهر قوله فبما يحتمل ان يريد به القسم كما يقول فبالله لافعلن ويحتمل ان يريد
به معنى المجازاة كما يقول باكرامك ابا زيد لاكرمنك قال القاضي وهذا اليق
المعاني بالقصة ويحتمل ان يريد فمع اغوائك لي ومع ما انا عليه من هذه الحالة
لاجلدن ولاقعدن ولا تعرض لمعنى المجازات ويحتمل ان يريد بقوله فبما الاستفهام
عن السبب عن اغوائه ثم قطع ذلك فابتدا الاخبار عن قعوده لهم ولهذا
فسر الطبري اثبات لفظة واغويتني قال الجمهور معناه اضللتني من الغي وعلى

هذا المعنى قال محمد بن كعب القرظي فيما حكى الطبري قاتل الله القدرية لابليس اعلم بالله
منهم يريد في انه علم ان الله يهدي ويضل وقال الحسن اغويتني لعنتني
وقيل معناه خيبتني قال ابو محمد وهذا كله تفسير باشياء ليست اغواء
وقالت فرقة اغويتني معناه اهلكتني حكى ذلك الطبري وتنظيره وقالوا هو من قولهم
غوي الفصيل يغوى غوى اذا انقطع عنه اللبن فمات وانشد معطفة
الاثناء ليس فصيلها برازيها درا والا يمت غوى قال وحكى عن بعض طي
اصبح فلان غاويا اي مريضا قوله لاقعدن لهم الاية يريد على صراطك او في
صراطك وحذف كما يفعل في الظروف ونحوه قول الشاعر لدن بهز الكف
يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب قال مجاهد هنا صراطك
المستقيم يريد الحق وقال عون بن عبد الله يريد طريق مكة قال ابو محمد
وهذا تخصيص ضعيف انما المعنى لاتعرضن لهم في طريق عدوي وعبادتك
ومنهج النجاة فلاصدنهم عنه ومن قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان
قعد لابن ادم باطرقه نهاه عن الاسلام وقال تترك دين آبائك فعصاه
فاسلم فنهاه عن الهجرة وقال تدع اهلك وبلدك فعصاه فهاجر فنهاه
عن الجهاد وقال تقتل وتترك ولدك فعصاه فجاهد فله الجنة قوله
عز وجل ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك
منهم لاملان جهنم منكم اجمعين هذا تولد من ابليس انه نجد في اغواء
بني ادم وهذا لا يمكن حين علم ابليس ان الله يجعل في الارض خليفة و
علم انه ادم والا فلا طريق له الى علم انسال ادم من الفاظ الاية الايات
قال ابو محمد ومقصد هذه الاية ان ابليس اخبر عن نفسه انه ياتي
اضلال بني ادم من كل جهة وعلى كل طريق يفسد عليهم ما امكن من معتقد
وتنسيه صالح اعمال الاخرة وتغريه بقبيح اعمال الدنيا فعبر عن ذلك
بالفاظ تقتضي الاحاطة بهم وفي اللفظ تجوز وهكذا قول جماعة من المفسرين
وقال ابن عباس فيما روى عنه ابو ذر يقول ومن بين ايديهم الاخرة ومن خلفهم
الدنيا وعن ايمانهم الحق وعن شمائلهم الباطل وقال ابن عباس ايضا
فيما روى عنه ومن بين ايديهم هي الدنيا ومن خلفهم هي الاخرة وعن
ايمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات وقال مجاهد ومن بين ايديهم
وعن ايمانهم معناه حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث
لا يبصرون قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين اخبر انه سعايته تفعل ذلك
ظنا وتوسما في خلقة ادم حين راى خلقته من اشيا مختلفة فعلم انه
ستكون لهم شيم تقتضي طاعته كالغل والحسد والشهوات ونحو ذلك قال ابن عباس
وقتادة الا ان ابليس لم يقل انه ياتي ابن ادم من فوقهم ولا جعل الله له سبيلا الى
ان يحول بينهم وبين رحمة الله وعفوه ومنه وما ظنه ابليس صدقه الله عز وجل
ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين فجعل
اكثر العالم كفرة ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث يقول الله
يوم القيامة يا ادم اخرج بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف
تسع مائة وتسع وتسعين الى النار وواحد الى الجنة ونحوه مما يخص امة محمد صلى
الله عليه وسلم ما انتم في الامم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود وقال ابو محمد
وقوله كالشعرة يحتمل ان يريد شعرة واحدة وهو بعيد لان تناسب الحديث الاول
يرده ويحتمل ان يريد الشعر التي هي للجنس والقصد ان يشبههم بثور اسود قد
انبت في خلاله شعر الجنس والقصد ويحتمل ان يريد اللمع من الشعرة الابيض وهذا
فيه بعد وشاكرين معناه مومنين لان ابن ادم لا يشكر نعمة الله الا بان يومن
قاله ابن عباس وغيره قوله قال اخرج منها الضمير في منها عائد على الجنة ومذءوما
معناه معيبا يقال ذامه اذا عابه ومنه الذام وهو العيب وفي المثل لن يعدم
الحساد ذاما اي عيبا وسهلت فيه الهمزة ومنه قول قيس بن الخطيم رددت ابن تديه
يريد مدحته وحكى الطبري انه يروا هذا البيت ممسكا وعشى عليها عشيا

فلما

فلما الحلب قطعت سعي اذمها قال ابو محمد رحمه الله والرواية المشهورة اذيمها ومن
الشاهد في اللفظة قول الكميت وهم الاقربون من كل خير وهم الابعدون من كل ذام
ومن الشاهد في مدحورا قول الشاعر دحرت بني الحصيب الى قديد وقد كانوا ذوي
اشر وفخر وقرا الزهراوي وابو جعفر والاعمش في هذه الاية مذوما على
التسهيل ومدحورا معناه مقصيا مبعدا وقرات فرقة لمن تبعك بفتح اللام وهي
على هذا لام القسم المخرج الكلام من الشك الى القسم وقرا عاصم الجحدري والاعمش
لمن تبعك بكسر اللام والمعنى لاجل من تبعك لاملان جهنم منكم اجمعين فادخله
في الوعيد معهم بحكم هذه الكاف في منكم قوله عز وجل ويا ادم اسكن انت وزوجك
الجنة فكلا منها حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين اذا
امر الانسان بشي هو متلبس به فانما المقصد بذلك ان يستمر على حالته ويتمادى
بحسبته وقوله قال لادم اسكن هو من هذا الباب واكد الضمير الذي في
قوله اسكن بقوله انت لحينئذ جاز العطف عليه وهو ضمير لا يجوز اظهاره
ولا ترتب والعطف على الضمير الملفوظ به لا يجوز الا بعد تاكيد كقولك
قمت انت وزيد لان الضمير بمنزلة حرف من الفعل وهذا الضمير الذي في اسكن
اضعف من الملفوظ به فاحرى الا يصح العطف عليه الا بعد التاكيد قوله
فكلا من اكل فاصله اءكلا فحذفت فاء الفعل لاجتماع المثلين واستغنا عن
اللاخر لما تحرك ما بعدها وحسن حذف فاء الفعل ايضا لانهم استثقلوا الحركة
على حرف علة وهذا باب كل فعل اوله همزة ووزنه فعل كاخذ وامر ونحو وكان القياس
لا يحذف فاء الفعل ولكن ورد استعمالهم هكذا ويقال قرب يقرب وهذه
الشجرة الظاهر انه اشار الى شخص شجرة واحدة من نوع واراد هل ويحتمل
ان يشير الى شجرة معينة وهو يريد النوع بجملته وعبر باسم الواحدة كما يقول
اصاب الناس الدينار والدرهم وانت تريد النوع قال ابو محمد وعلى احتمالين
فادم صلى الله عليه وسلم في وقت اكله فعل ما نهي عنه قال جمهور المتاولين
وبذلك اغواه ابليس لعنه الله بقوله انك لم تنه الا لئلا تخلد او تكون
ملكا فيبطل بهذا قول من قال ان آدم اخطا متاولا لان ظن النهي متعلق
لشخص شجرة فاكل من النوع فلم يعذر بالخطا قال ابو محمد وذلك ان هذا القائل
انما يفرض ادم معتقدا ان النهي انما يعلق بشجرة معينة فكيف يقال له هذا
مع هذا الاعتقاد انك لم تنه الا لئلا تخلد ثم يقصد هو طلب الخلود في
ارتكاب غير ما نهي عنه ولا فرق بين اكلهما يعتقد اذ لم ينه عنه وبين اكله
سائر المباحات له قال ابو محمد والهاء الاخيرة في هذه بدل من الياء في هذي
ابدلت في الوقف ثم ثبتت في الوصل هاء حملا على الوقف وليس في الكلام
هاء تانيث قبلها كسرة الا هذه وقرا ابن محيصن هذي الشجرة على الاصل
قوله فتكونا نصب في جواب النهي قال ابو محمد ويعلق الناس هذه الاية في مسالة
الحظر والاباحة وذلك ان مسالة الحظر والاباحة يكلم الناس فيها على ضربين
فاما الفقهاء فدعاهم الى الكلام فيها انها تنزل نوازل لا توجد في كتاب الله
عز وجل ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا في اجماع ويعتم وجه
استقرائها من احد هذه الثلثة وقياسها على ما فيها فيرجع الناظر
بعد ذلك ينظر على اي جهة يحملها من الاجازة والمنع فقال بعضهم
اول مسئلة يحملها على الحظر ياخذ فيه بالشدة ونستبري لانفسنا
اذ الله سبحانه قد بين لنا الى حاجة جميع ما نحتاج بيانه واحل ما اراد
تحليله فلم يترك ذكر هذه النازلة الا عن قصد فاخبر ما نحن عليها
لا يقتضيها الشرع وقال بعضهم بل نحملها على الاباحة ان الله عز
وجل قد احل لنا دنيانا وحرم علينا ما شاء تحريمه ولم يهمل النص على
نازلة الا وقد تركنا في جملة المباح وبعيد ان يريد في شي التحريم ولا يذكره
لنا ويدعنا في عماية الجهالة به فانما نحملها على الاباحة حتى ينظر الحظر
وقال بعضهم لا نحمل ذلك على الوقف ابدا ولا نحكم فيه بحظر ولا
اباحة بل يطلب فيه النظر والقياس ابدا وذلك انا نجد الله عز

وجل يقول في كتابه حرم عليكم في مواضع واحل لكم في مواضع فدل ذلك على
ان كل نازلة يحتاج لك شرع وامر ما مخصوصا بها واما مشتملا عليها
وعلى غيرها ولو كانت الاشيا على الحظر لما قال في شي حرم عليكم ولو كانت
الاباحة لما قال في شي احل لكم قال ابو محمد وهذا ابين الاقوال ولم يتعرض
الفقها في هذه المسئلة ان النظر في تحسين العقل وتقبيحه وانما تمسكوا
في اقوالهم هذا باسباب الشريع وذهبوا الى انتزاع مذاهبهم منها واما
الضرب الثاني من كلام الناس في الحظر والاباحة فان المعتزلة ومن قال
بقولهم ان العقل يحسن ويقبح نظروا في المسئلة وهذه الجهة فقالوا
نفرض زمنا لا شرع فيه ورجلا نشا في برية ولم يحس قط بشرع ولا بامر
ولا بنهي او نقدر ادم صلى الله عليه وسلم وقت اهباطه الى الارض
وقد ترك وعقله فكل ان يوم ويتهيى كيف كانت الاشيا عليه او كيف
يقتضي العقل في الزمن والرجل المفروضين فقال بعضهم الذي يحسن
في العقل ان يكون محظورة كلها حتى يرد الاذن باستباحتها و
ذلك ان استباحتها تعد على ملك الغير واذا قبح ذلك في الشاهد
فهو لحق لقد اعظم حرمة وذهب بعض هذا الفرق الى الاستثنا
التنفس والحركة من هذا الحظر وقالوا ان هذه لا يمكن غيرها قال ابو محمد
ويمكن ان يقدر الاضطرار اليها اباحة لها وقال بعضهم بل يحسن
في العقل ان يكون مباحة اذ الحكم في ملك الغني يوجد لا ضرر عليه فيه
كالاستظلال بالجدران ونحوه مباح فاذا كان هذا هكذا في الشاهد
جائزا فهو في عظم قدرة الله وجوده اجود لا ضرر في تصرفنا نحن
في ملكه ولا يتعلق بحقه شي من ذلك وقال اهل الحق والسنة في هذا النحو
من النظر بل الامر في نفسه على الوقف ولا يوجب العقل بمجرده تحسينا بدانه
ولا يجد حكم الحسن والقبيح الا بالشرع وقال بعضهم والعقل لم يخل قط
من شرع فلا معنى للخوض في هذه المسئلة والعرض ما لم يقع وذهبوا الى
الاحتجاج بان ادم صلى الله عليه وسلم قد توجهت عليه الاوامر والنواهي
في الجنة بقوله تعالى له خرج الروح في جسده فعطس قل الحمد لله يا ادم وبقوله
اسكن وكل واحد يقرب ونحو هذا وقال القاضي ابن الباقلاني في التقريب
والارشاد ان الفقهاء الذي قالوا بالحظر والاباحة لم يقصدوا اللوث
مع المعتزلة في غوايتهم ولكنهم بالوهم كلاما سلفا فاموها فاستحسنوه
دون ان يشعروا بما يؤول اليه من الفساد في القول بتحسين العقل وتقبيحه
قال ابو محمد وفي هذا الكلام حمل على فقهاء الشرع واستنقاص لهم
والصواب ان لا يظن بهم هذا الخلل وانما تمسكوا على ان لهم تعلق
حكم الحظر او الاباحة من الشرع وهم مع ذلك لا يحمل عليهم انهم
يدفعون الحق في ان العقل لا يحسن ولا يقبح دون الشرع وقد تقدم
في سورة البقرة ذكر الاختلاف في الشجرة وتعيينها قوله عز وجل
فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما
اني لكما لمن الناصحين الوسوسة الحديث في اختفا همسا وفرارا من الصوت
والوسواس صوت الحلي فشبه الهمس به وسمي القا الشيطان في نفس ادم
وسوسة اذ هي ابلغ السرار واخفاه هذا في حال الشيطان معنا الان
واما مع ادم فيمكن ان يكون وسوسة بمجاورة خفية او بالقا في نفس
ومن ذلك قول روبة وسوس يدعوا جاهدا رب الفلق فهذه عبارة
عن كلام خفي والشيطان يراد به ابليس نفسه واختلفت نقلة القصص
في صورة وسوسته فيروى انه كان يدخل الجنة في فم الحية مستخفيا
بزعمه فيمكن من الوسوسة وروي ان ادم وحوا كانا يخرجان خارج
الجنة فيمكن ابليس منهما وروي ان الله اقدره على الالقا في نفوسهما
فاغواهما وهو في الارض قال ابو محمد وهذا قول ضعيف يرده لفظ القران

واللام

واللام في ليبدي هي على قول كثير من المؤلفين لام الصيرورة والعاقبة وهذا بحسب ادم
وحوا وبحسب ابليس في هذه العقوبة المخصوصة لانه لم يكن له علم بها فيقصدها
قال ابو محمد ويمكن ان يكون لام كي على بابها بحسب قصد ابليس الى حط مرتبتهما
والقايهما في العقوبة غير مخصصة وما ووري معناه ما ستر من قولك واري
يواري اذا ستر وظاهر هذا اللفظ انها مفاعلة من واحد ويمكن ان يقدر
من اثنين لان الشيء الذي يواري يواريا هو ايضا من جهته وقرا ابن وثاب
ما وري بواو واحدة وقال قوم ان هذه اللفظة في هذه الاية ماخوذة من
ورا قال ابو محمد وهذا قول يرده التصريف والسوءة الفرج والدبر و
يشبه ان سميا بذلك لان منظره يسوء وقرا الحسن ومجاهد من سوتهما بالافراد
وتسهيل الهمزة وشد الواو وقرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصاح
والحسن والزهري من سواتهما بتسهيل الهمزة وتشديد الواو وحكاها سيبويه
لغة قال ابو الفتح ووجهها حذف الهمزة والقا حركتها على الواو فيقولون سوة
ومنهم من يشدد الواو وقالت طايفة ان هذه العبارة انما قصد بها انهما
كشفت لهما معايبهما وما يسوءهما ولم يقصد بها العورة قال ابو محمد وهذا
قول كان اللفظ الا ونحتمله الا ان ذكر خصف الورق يرده الا ان يقدر الضمير
في عليهما عائدا على بدنيهما او تمزقت عليهما ثياب الجنة فيصح القول المذكور قوله
وقال ما نهاكما الاية هذا القول الذي حكي عن ابليس يدخله من التاويل ما دخل
الوسوسة فممكن ان يقول هذا مخاطبة وحوارا ويمكن ان يقولها بالقا في النفس
ووحيا والا ان تقديره عند سيبويه والبصريين الا كراهية ان وتقديره عند
الان لا على اضمار لا قال ابو محمد ويرجح قول البصريين ان اضمار الاسما احسن من
اضمار الحروف وقرا جمهور الناس ملكين بفتح اللام وقرا ابن عباس ويحيى بن ابي
كثير والضحاك ملكين بكسر اللام ويؤيد هذه القراءة قوله في اية اخرى وملك
لا يبلى قال ابو محمد وقال بعض الناس يخرج من هذه الالفاظ ان الملائكة افضل
من البشر وهي مسئلة اختلف الناس فيها وتمسك كل فريق بظواهر الشريعة
والفضل بيد الله وقال ابن فورك لا حجة في هذه الاية لانه يحتمل ان يريد ملكين
ان لا يكون لهما شهوة في طعام وقاسمهما اي حلف لهما بالله وهي مفاعلة اذ قبول
المحلوف له واقباله على معنى اليمين كالقسم وتقريره وان كان بادي الراي يعطي انها
من واحد ومثله قول الهذلي وقاسمهما بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما
نشورها وروي في القصص ان ادم قال في جملة اعتذاره عند ربه ما ظننت يا رب
ان احدا يحلف حانثا فقال بعض العلماء خدع الشيطان ادم بالله عز وجل
ما يخدع ونحن من خدعنا بالله انخدعنا له وروي نحوه عن قتادة واللام في قوله
لكما متعلقة بالناصحين فقال بعض الناس مكي وغيره ذلك على ان يكون الالف
واللام لتعريف الجنس لا بمعنى الذي لانها اذا كانت بمعنى الذي كان قوله لكما داخلا
في الصلة فلا يجوز تقديمه واظن ان ابا علي الفارسي خرج جواز تقديمه
وهي بمعنى الذي والظاهر انه ان جعلت بمعنى الذي كانت اللام في قوله لكما
متعلقة بمحذوف تقديره اني ناصح لكما من الناصحين وقال ابو العالية
في بعض القراءة وقاسمهما بالله قوله عز وجل فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة
بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين فدلاهما بغرور يريد بغرهما بقوله وخدعهما بمكره قال
ابو محمد ويشبه عندي ان يكون بهذه استعارة من الرجل يدلي الخر من هوة
بحبل قد ارم او يستضعف بغيره فاذا تدلى به وتورس عليه انقطع به
وهلك فيشبه الذي يغرهما بالكلام حتى يصدقه فيقع في مصيبة بالذي
يدلي من هوة بسبب ضعيف وعلق حكم العقوبة بالذوق الذي هو
اول الاكل وبه ترتيب النهي وفي اية اخرى فاكلا منها قوله فبدت لهما
سواتهما قيل تمزقت عنهما ثياب الجنة فلاهما وتطايرت شرما منهما

وقال وهب بن منبه كان عليهما نور يستر عورة كل واحد منهما فانقشع بالمعصية
ذلك النور وقال ابن عباس وقتادة كان عليهما ظفر كاسٍ فلما عصيا يقلص
عنهما فبدت سوآتهما وبقي منه على الاصابع قدر ما يتذكران به المعصية
فيجددان الندم وطفقا معناه اخذا وجعلا وهو فعل لا يختص بوقت
كبات وظل ويخصفان معناه يلصقانها ويضمان بعضها الى بعض و
المخصف الاشفا وضم الورق بعضها الى بعض بالخرز منه والخياطة وقرا الجمهور
الناس يخصفان من خصف وقرا عبد الله بن بريده يخصفان من خصف بتشديد
الصاد وقرا الزهري يخصفان من اخصف وقرا الحسن فيما روى عنه محبوب
يخصفان بفتح الياء والخاء وكسر الصاد وشدها وروت عن ابن بريده
وعن يعقوب واصلها يختصفان كما يقول سمعت الحديث واستمعته فادغمت
التاء في الصاد ونقلت حركتها الى الخاء وكذلك الاصل في القراءات بكسر الخاء
بعد هذه لكن لما سكنت التاء وادغمت في الصاد اجتمع ساكنان فكسرت الخاء
على عرف التقاء الساكنين وقرا الحسن والاعرج ومجاهد يخصفان بفتح الياء
وكسر الخاء وكسر الصاد وتشديدها وقد تقدم تعليلها قال ابن عباس
ان الورق الذي خصفا منه ورق التين وروى ابي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ادم صلى الله عليه وسلم كان يمشي في الجنة كانه نخلة سحوق
فلما واقع المعصية وبدت له حاله فر على وجهه فاخذت شجرة بشعر راسه
يقال انها الزيتونة فقال لها ارسليني فقالت ما انا بمرسلتك فناداه ربه
امني تفر يا ادم قال لا يا رب ولكن استحييتك قال اما كان لك فيما منحتك
من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب ولكن وعزتك ما ظننت
ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
الا كدا قوله وناداهما الاية قال الجمهور ان هذا النداء نداء وحي بواسطة
ويؤيد ذلك ما تلقي من الشرع ان موسى عليه السلام هو الذي خصص
من العالم بالكلام وايضا في حديث الشفاعة ان بني ادم المؤمنين
يقولون لموسى يوم القيمة انت نصك الله بكلامه واصطفاك برسالته
اذهب فاشفع للناس وهذا ظاهره انه مخصص وقالت فرقة بل هو نداء
بتكليم قال ابو محمد وحجة هذا المذهب انه وقع في اول ورقة من تاريخ ابن ابي
خيثمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ادم فقال نبي مكلم وايضا
فان موسى خصص من بين البشر الساكنين في الارض واما ادم اذ كان في الجنة
فكان في غير رسم سكان الارض فليس في تكليمه ما يفسد تخصيص موسى عليه
السلام ويؤيد انه نداء وحي اشتراك حوا فيه ولم يرو قط ان الله عز وجل
كلم حوا ويتاول قوله صلى الله عليه وسلم نبي مكلم انه بمعنى موصل اليه كلام
الله تعالى قوله الم انهكما سؤال تقرير يتضمن التوبيخ قوله تلكما يريد بحسب
ظاهر اللفظ انه انما اشار الى شخص شجرة قوله واقل لكما اشارة الى الاية
التي في سورة طه في قوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال ابو محمد وهذا هو
العهد الذي نسيه ادم عليه السلام على مذهب من يجعل النسيان
على بابه وقرا ابي بن كعب الم تنهيا عن تلكما الشجرة وقيل لكما وقولهما
ربنا ظلمنا انفسنا اعتراف من ادم وحوا عليهما الصلوة والسلام
وطلب التوبة والستر والتغمد بالرحمة فطلب ادم هذا وطلب ابليس النظرة
ولم يطلب التوبة فوكل الى رايه قال الضحاك هذه الاية هي الكلمات التي تلقاها
ادم من ربه قوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض
مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى
ذلك خير ذلك وايات الله لعلهم يذكرون المخاطبة بقوله اهبطوا قال
ابو صالح والسدي والطبري وغيرهم هي لادم وحوا وابليس والحية وقالت
فرقة هي مخاطبة لادم وذريته وابليس وذريته قال ابو محمد رحمه الله تعالى
وهذا ضعيف لعدمهم في ذلك الوقت فان قيل خاطبهم وامرهم بشرط الوجود

فذلك

فذلك يبعد في هذه النازلة لان الامر بشرط الوجود انما يصح اذا ترتب على المامور
بعد وجوده وصح معناه عليه كالصلوة والصوم ونحو ذلك واما هنا فان معنى
الشرط لا يتصور في بني ادم بعد وجودهم ولا يتعلق بهم من الامر به شي واما قوله
في اية اخرى اهبطا فهي مخاطبة لادم وابليس بدليل بيانه العداوة بينهما
وعدو مفرد بمعنى الجمع يقول قوم عدو وقوم صديق ومنه قول الشاعر لعمري
لئن كنتم على النأي والغنا بكم مثل ما بي انكم لصديق وعداوة الحيات معروفة
وروى قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن
وقال عبد الله بن عمرو من تركهن فليس منا وقالت عايشة من ترك حية
خشية من ثارها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قال ابو محمد
وانما يعترض في امرهن حديث الفتى في غزوة الخندق وقول النبي صلى الله عليه
عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فمن راى من الحيات شيئا في بيته فليحرج
عليه ثلثا فان راه بعد ذلك فليقتله فانما هو كافر قوله مستقر لفظ عام
لزمن الحياة ولزمن الاقامة في القبور وزمن الحياة فسره ابو العالية وقال هي
كقوله هو الذي جعل لكم الارض فراشا وبالاقامة في القبور فسره ابن عباس
واللفظ يعمهما فهي كقوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا واما
المتاع فهو بحسب شخص في زمن الحياة. اللهم الا ان يقدر سكنى القبور
متاعا بوجه ما والمتاع التمتع والنيل من الفوائد والى حين وهو بحسب
الحكم قيام الساعة وبحسب مفرد بلوغ الاجل والموت والحين في كلام العرب
الوقت غير معين وروى ان ادم اهبط بالهند وحوا بجدة وغاب عنها وعرف
حقيقة امرها بعرفة ولقيها بجمع واهبط ابليس بميسان وقيل بالبصرة وقيل
بمصر فباض فيها وفرخ قال ابن عمر وبسط ابليس فيها عبقريه وذكر صالح مولى
التوامة قال في بعض الكتب لما اهبط ابليس قال رب اين مسكني قال مسكنك الحمام
ومجلسك الاسواق ولهو المزامير وطعامك ما لم يذكر عليه اسمي وشرابك
المسكر ورسلك الشهوات وحبائلك النسا واهبطت الحية باصبهان وروى
انها كانت ذات قوائم كالبعير فعوقبت بان ردت تنساب على بطنها وروى
ان ادم لما اهبط الى شقا الدنيا علم صنع الحديد ثم علم الحرث فحرث وسقا و
حصد ودرا وطحن وعجن وخبز وطبخ واكل فلم يبلغ الى ذلك حتى بلغ من الجهد
ما شا الله وروى ان حوا قيل لها يا حوا كما ادميت الشجرة فانت تدمين
في كل شهر وانت لا تحملين الا كرها ولا تضعين الا كرها قال فرنت حوا عند
ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك قال ابو محمد وفي هذه القصة من
الانبا كثير اختصرتها اولا يقتضيها اللفظ قوله قال فيها تحيون الاية
حكم من الله عز وجل امضاه وجعله حتما في رقاب العباد تحيون في الارض
وتموتون فيها ويبعثون منها الى الحشر احيا كما انشانا اول خلق نعيده وقرا
ابن كثير ونافع وعاصم وابو عمرو يخرجون بضم الياء وفتح الراء هنا وفي الروم
وكذلك تخرجون ولذلك حيث تكرر الا في الروم اذا انتم تخرجون وفي سال
سائل يوم يخرجون فان هذين بفتح الياء والتاء وضم الراء ولم يختلف الناس
فيهما وقرا حمزة والكسائي في الاعراف ومنها تخرجون بفتح التاء وضم الراء
وفتح ابن عامر التاء في الاعراف وضمها في الباقي قوله يا بني ادم الاية هذا
خطاب لجميع الامم وقت النبي صلى الله عليه وسلم والسبب والمراد قريش و
من كان من العرب يتعرى في طوافه في البيت ذكر النقاش تعيينا وجماعة وبني
عامر بن صعصعة وبني مدلج وعامر بن الحارث ابني عبد مناف فانها كانت
عادتهم عبادة ولاوثنا وذلك غاية العار والعصيان قال مجاهد
بهم نزلت هذه الاربع ايات قوله انزلنا عليكم الاية يحتمل ان يريد التدريج
اي لما انزل المطر فكان عنه جميع ما يلبس قال عن اللباس انزلنا وهذا
نحو قول الشاعر يصف مطرا اقبل في المستن من سحابه اسنمة الابال في ربابه
اي بالمال ويحتمل ان يريد خلقنا فجاءت العبارة بانزلنا كقوله وانزلنا
الحديد وقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وايضا فخلق الله

الله

وافعاله انما هي من علو في القدرة والمنزلة ولباساً عام في جميع ما يلبس
ويواري لستر وفي حرف ابي رضي الله عنه سواتكم وزينة ولبس التقوى
وفي مصحف ابن مسعود ولباس التقوى خير لكم ويروى عنه ذلك
وسقطت ذلك الاولى وقرا سكن النحوي ولبوس التقوى بالواو مرفوعة
السين وقرا الجمهور من الناس وريشا وقرا الحسن وزر بن حبيش و
عاصم فيما روي عنه وابو عمرو ايضا وابن عباس وابن عبد الرحمن ومجاهد
وابو رجا وزيد بن علي وعلي بن الحسين وقتاده ورياشا قال ابو الفتح وهي
قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو حاتم رواها عنه عثمان
ابن عفان رضي الله عنه وهما عبارتان عن سعة الرزق ورفاهية العيش
ووجود الملبس والتمتع وفسره قوم بالاثاث وفسره ابن عباس بالمال
وكذلك قال السدي والضحاك وقال ابن زيد الريش الجمال وقيل الرياش
جمع ريش كسر وبيار ودئب وذئاب ونصب ونصاب وشعب وشعاب
وقيل الرياش مصدر من راشه الله يريشه اذا انعم عليه والريش مصدر
ايضا من ذلك وفي الحديث رجل راشه الله مالا قال ابو محمد ويشبه ان
هذا كله من معنى ريش الطائر وريش السهم اذ هو لباسه وسترته وعونه
على التعود وراشه الله ماخوذ من ذلك الا ترى انها تقترن سري ومن
ذلك قول الشاعر فريشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يريش
ولا يبري وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس وقيل هو مبتدا وذلك
مبتدا اخر وخير خبر ذلك والجملة خبر الاول وقيل هو مبتدا وخبره خير و
ذلك بدلا او عطف بيان او صفة وهذا انبل الاقوال ذكره ابو علي في
الحجة قوله ذلك من ايات الله اشارة الى جميع ما انزل الله من اللباس و
الريش وحكى النقاش ان الاشارة الى لباس التقوى اي هو في العبد اية اي
علامة وامارة من الله انه قد رضي عنه ورحمه ولعلهم ترج بحسبهم
ومبلغهم من المعرفة وقال ابن جريج لباس التقوى الايمان وقال معبد الجهني
هو الحياء وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقال ايضا هو السمت الحسن
في الوجه وقاله عثمان بن عفان على المنبر وقال عروة بن الزبير هو خشية الله
وقال ابن زيد ستر العورة وقيل لباس التقوى الصوف وكل ما فيه تواضع لله
وقال الحسن هو الورع والسمت الحسن في الدنيا وقال ابن عباس لباس التقوى
العفة وقال زيد بن علي لباس التقوى بالسلاح والة الجهاد قال ابو محمد وهذه
كلها مثل وهي من لباس التقوى ويتصور الصفة التي حكاها ابو علي في قوله ذلك
ان الاسما توصف بمعنى الاشارة كما يقول جاني زيد هذا كانك قلت جاني
زيد المشار اليه فعلى هذا الحد يوصف الاسما بالمبهمات واما قوله فيه عطف
بيان وبدل فهما واحد في اللفظ واما الفرق بينهما في المعنى والمقصد وذلك انك
تريد في البدل كانك ازلت الاول واعملت العامل في الثاني على نية التكرار للعامل
وتريد منه في عطف البيان كانك ابقيت الاول ثم ثنيته بعينه في ذكر الثاني
وانما يتبين الفرق بين البدل وعطف البيان في مسالة النداء اذا قلت يا عبد
الله زيد فالبدل في هذه المسالة هو على هذا الحد برفع زيد لانك تقدر ازالة
عبد الله واضافة يا الى زيد ولو عطف عطف البيان لقلت يا عبد الله
زيدا لانك ارقت بيانه ولم يقدر ازالة الاول وينشد هذا البيت اني
واسطار سطرن سطرا لقائل يا نصر نصر نصرا ويا نصر نصر نصرا الاول
على عطف البيان والثاني على البدل قوله عز وجل يا بني ادم لا يفتننكم
الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما
انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اوليا للذين
لا يومنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها
قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون هذه المخاطبة
لجميع العالم والمقصود بها في هذا الوقت من كان يطوف من العرب بالبيت
عرياً فقيل كان ذلك من عادة قريش وقال قتاده والضحاك كان ذلك

٢٤٩

في عادة قبيلة من اليمن وقيل كانت العرب يطوف عراة الا الحمس ومن والاها قال ابو
محمد وهذا هو الصحيح لان قريشا لما سنوا بعد عام الفيل سننا عظموا بها
حرمتهم كانت هذه من ذلك فكان العربي اما ان تعيره احد من الحمس ثوبا
فيطوف به واما ان يتعرى واما ان يطوف في ثيابه ثم يلقيها وتمادى الامر حتى
صار عند العرب قربة فكانت العرب يقول يطوف عراة كما خرجنا من بطون
امهاتنا ولا يطوف في ثياب قد قد دنسناها بالذنوب ويطاف في ثيابه
فكانت سنتهم كما ذكرنا ان ترمي تلك الثياب ولا ينتفع بها وتسمى تلك الثياب
ومنه قول الشاعر كفى حزنا كري عليه كانه لقا بين ايدي الطائفين
حريم وكانت المراة تطوف عريانة حتى كانت احداهن يقول اليوم
يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنهاهم الله عز وجل
عن جميع ذلك ونودي بمكة في سنة تسع لا يحج بعد العام مشرك
فلا يطوف بالبيت عريان والفتنة في هذه الاية الاستهواء والغلبة
على النفس وظاهر قوله لا يفتننكم نهي للشيطان والمعنى نهيهم انفسهم
عن الاستماع له والطاعة لامره كما قالوا لا اريتك ها هنا وظاهر اللفظ
نهي للمتكلم نفسه ومعناه نهي الاخر عن الاقامة بحيث يراه واضاف الاخراج
في هذه الاية الى ابليس وذلك تجوز بسبب انه كان ساعيا في ذلك وسببا له ويقال
للاب اب وللام ابه وعلى هذا قيل ابوان وينزع في موضع الحال من الضمير في اخرج
وتقدم الخلاف في اللباس من قول من قال الاظفار ومن قال النور ومن قال
ثياب الجنة وقال مجاهد هي استعارة وانما اراد لباس التقا والمنزلة قال
ابو محمد وهذا ضعيف قوله انه يريكم زيادة في التحذير واعلام بان الله تعالى
قد مكن الشيطان من بني ادم في هذا القدر وبحسب ذلك يجب ان يكون التحرز
بطاعة الله تعالى قال ابو محمد والشيطان موجود قد قررته الشريعة وهو جسم
وقبيله يريد نوعه وصنفه وذريته وحيث مبنية على الضم ومن العرب من
يبنيها على الفتح وذلك لانها لا تدل على موضع بعينه قال الزجاج ما بعد حيث صلة
لها وليست بمضافة اليه قال ابو علي هذا غير مستقيم وليست حيث بموصولة
اذ ليس ثم عائد في الموصولات وهي مضافة الى ما بعدها ثم اخبر انه صير الشياطين
اولياء اي صحابة ومداخلة للكفرة الذين لا ايمان لهم وحكى الزهراوي
ان جعل هنا بمعنى وصف قال ابو محمد وهي نزعة اعتزالية قوله واذا فعلوا وما
بعده داخل في صفة الذين لا يومنون ليقع التوبيخ بصفة قوم جعلوا مثالا
للمؤمنين اذا اشبه فعلهم فعل الممثل بهم ويصح ان يكون هذه الاية
مقطوعة من التي قبلها ابتداء اخبار عن كفار العرب والفاحشة في هذه
الاية وان كان اللفظ عاما هي كشف العورة عند الطواف وروي عن الزهري
انه قال ان في ذلك نزلت هذه الاية وقاله ابن عباس ومجاهد وكان بعض قول
الكفار ان الله امر بهذه السنن التي لنا وشرعها فرد الله عليهم بقوله
قل ان الله لا يامر بالفحشاء ثم وبخهم على كذبهم ووقفهم على قولهم ما لا علم
لهم به ولا رواية لهم فيه بل هي دعوى واختلاق قوله عز وجل قل امر ربي
بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم
تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يتضمن قوله قل امر ربي بالقسط
اقسطوا ولذلك عطف عليه قوله واقيموا حملا على المعنى والقسط العدل والحق
واختلف المتاولون في قوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فقيل اراد الى الكعبة
قاله مجاهد والسدي والمقصد على هذا شرع القبلة والامر بالتزامها وقيل
اراد الامر باحضار النية لله سبحانه في كل صلوة والقصد نحوه كما يقول
وجهت وجهي لله قاله الربيع قال ابو محمد فلا يوخذ الوجه على انه الجارحة بل هو
المقصد والمنزع وقيل المراد بهذا اللفظ اباحة الصلوة في كل موضع
من الارض اي حيث ما كنتم فهو مسجد لكم يلزمكم عند الصلوة اقامة وجوهكم
فيه لله عز وجل قالت قوم سببها ان قوما كانوا لا يصلون الا في مساجدهم

في قبلتهم فاذا حضرت الصلوة في غير ذلك من المساجد لم يصلوا فيها قوله مخلصين
حال من الضمير في وادعوه والدين مفعول لمخلصين قال الحسن بن ابي الحسن وقتادة
وابن عباس ومجاهد المراد بقوله كما بداكم تعودون الاعلام بالبعث اي كما
اوجدكم واخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت فالوقف على هذا التاويل
تعودون وفريقا نصب بهدى والثاني نصب بفعل تقديره وعذب فريقا او واقل
فريقا حق عليهم وقال ابن عباس ايضا وابو العالية ومحمد بن كعب ومجاهد
ايضا وسعيد بن جبير والسدي وجابر بن عبد الله وروي معناه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم المراد بقوله كما بداكم تعودون الاعلام بان اهل الشقا و
الكفر في الدنيا فانه كتب عليهم هم اهل الشقا في الاخرة واهل السعادات
والايمان الذي كتب لهم في الدنيا هم اهلها في الاخرة ولا يتبدل من الامور
والقيدها التي احكمها ودبرها وانفذها شيء فالوقف في هذا التاويل
في قوله تعودون غير حسن وفريقا على هذا التاويل نصب على الحال والثاني
عطف على الاول وفي قراءة ابي ابن كعب تعودون فريقين فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة والضمير في انهم عائد على الفريق الذين حق عليهم
الضلالة واوليا معناه انصارا واصحابا واخوانا ويحسبون معناه يظنون
يقول حسبت احسب حسابا وحسبانا ومحسبة قال الطبري وهذه الاية دليل
على خطاء قول من زعم ان الله لا يعذب احدا على معصية ركبها او ضلالة
اعتقدها الا ان ياتيها على علم منه بموضع الصواب وقرا العباس بن الفضل
وسهل بن شعيب وعيسى بن عمر انهم اتخذوا بفتح الالف **قوله عز وجل**
يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل
هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم
يعلمون هذا خطاب عام لجميع العالم وامروا بهذه الاشيا بحسب عصيان
حاضري ذلك الوقت من مشركي العرب فيها والزينة هنا الثياب الساترة قاله
مجاهد والسدي وقال طاوس الشملة من الزينة قال ابو محمد ويدخل فيها
ما كان من الطيب للجمعة والسواك بدل الثياب وكل ما وجد استحسانه
في الشريعة ولم يقصد به مستعمله الخيلاء وعند كل مسجد يريد عند كل موضع
سجود فهي اشارة الى الصلوات وستر العورة فيها هذا هو مهم الامر
ويدخل مع الصلاة مواطن الخير كلها ومع ستر العورة ما ذكرناه من
الطيب للجمعة وغير ذلك وذكر مكي حديثا في معنى خذوا زينتكم صلوا
في النعال وما احسبه يصح قوله وكلوا واشربوا نهي عما كانوا التزموه
من تحريم اللحم والودك في ايام الموسم قاله السدي وابن زيد ويدخل مع
ذلك ايضا البحيرة والسائبة ونحو ذلك وقد نص على ذلك قتادة
وقال ان البحيرة وما جانسها هي المراد بقوله والطيبات من الرزق قوله
ولا تسرفوا معناه ولا تفرطوا قال اهل التاويل يريد ولا تسرفوا
بان تحرموا ما لم يحرم الله عز وجل قال ابن عباس ليس في الحلال
سرف انما السرف في ارتكاب المعاصي قال ابو محمد يريد في الحلال
القصد واللفظة يقتضي النهي عن السرف مطلقا فمن تلبس بفعل حرام
فتاول تلبسه به حصل من المسرفين فتوجه النهي عليه ومن تلبس
بفعل مباح فان مشى فيه على القصد واوساط الامور فحسن وان
افرط حتى دخل الضرر حصل ايضا من المسرفين وتوجه النهي عليه
مثل ذلك ان يفرط الانسان في شراء ثياب ونحوها ويستنفد في ذلك
جل ماله او يعطي ماله اجمع ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك ونحوه
فالله عز وجل لا يحب شيئا من ذلك وقد نهت الشريعة عنه وكذلك
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموصي عند الثلث وقال بعض
العلماء لو حط الناس الى الربع لقول النبي صلى الله عليه وسلم والثلث كثير
وقد قال ابن عباس في هذه الاية احل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا

اوبخيله وامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يسألهم عمن حرم
ما احل الله على جهة التوبيخ والتقرير وليس يقتضي هذا السؤال جوابا وانما المراد
منه التوقيف على سوء الفعل وذكر بعض الناس ان السؤال والجواب جا في هذه
الاية من جهة واحدة وتخيل قوله قل هي للذين امنوا جوابا قال ابو محمد وهذا
نظر فاسد ليس ذلك بجواب السؤال ولا يقتضي هذا النوع من الاسولة جوابا و
زينة الله هي ما حسنته الشريعة وقررته وزينة الدنيا هي كلما اقتضته الشهوة
وطلب العلو في الارض كالمال والبنين وهي الزينة التي فضل الشرع عليها
والطيبات قال الجمهور يريد المحللات وقال الشافعي وغيره يريد المستلذات
قال ابو محمد الا ان ذلك ولا بد يشترط ان يكون من الحلال وانما قاد الشافعي
الى هذا تحريمه المستقذرات كالوزغ ونحوها فانه يقول هي من الخبائث
محرمة قوله قل هي للذين امنوا الاية قرا نافع وحده خالصة بالرفع والباقون
خالصة بالنصب والاية تتاول على معنيين احدهما ان يخبر ان هذه الطيبات
الموجودات في الدنيا هي خالصة يوم القيمة للمومنين في الدنيا وخلوصها
انهم لا يعاقبون عليها ولا يعذبون بقوله في الحيوة الدنيا متعلق بامنوا
والى هذا يشير تفسير سعيد بن جبير فانه قال قل هي للذين امنوا في الحيوة
الدنيا ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم اثمها وقوله خالصة بالرفع
خبر هي وللذين تبيين للخلوص ويصح ان يكون يخبر ان هذه الطيبات الموجودات
هي في الدنيا للذين امنوا وان كانت ايضا لغيرهم معهم وهي يوم القيمة
خالصة لهم اي لا يشركهم احد في استعمالها في الاخرة وهذا قول ابن عباس
والضحاك والحسن وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد بقوله في الحيوة الدنيا
على هذا التاويل متعلق بالمحذوف والمقدر في قوله للذين امنوا كانه قال هي
خالصة او مشتركة او ثابتة في الحيوة الدنيا للذين امنوا وخالصة بالرفع
خبر بعد خبر او خبر ابتداء مقدر تقديره وهي خالصة يوم القيمة [illegible] العهد
على هذا يريد به استمرار الكون في الجنة واما نصب خالصة فعلى الحال من
الذكر الذي في قوله للذين امنوا التقدير هي ثابتة او مستقرة للذين امنوا
في حال الخلوص لهم والعامل فيها ما في اللام من معنى الفعل في قوله للذين
قال ابو علي في الحجة ويصح ان يتعلق قوله في الحيوة الدنيا بقوله حرم ولا يصح ان يتعلق
بزينة لانها مصدرة قد وصف ويصح ان يتعلق بقوله اخرج لعباده ويجوز
ذلك وان فصل بين الصلة والموصول بقوله قل هي للذين امنوا لان ذلك كلام
يشد القصة وليس باجنبي منها جدا كما جاء ذلك في قوله والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا داخل في الصلة
والمتعلق ما اخرج هو قول الاخفش ويصح ان يتعلق بقوله والطيبات ويصح
ان يتعلق بقوله من الرزق ويصح ان يتعلق بقوله امنوا قال ابو محمد رحمه الله وهذه
الاجزا اصح الاقوال على التاويل الاول فيما رسمناه هنا واما على التاويل الاخر
فيضعف معنى الاية بهذه المتعلقات التي ذكر ابو علي وانما يظهر ان يتعلق
بالمحذوف المقدر في قوله للذين قوله كذلك تقدم الكلام اي كما فصلنا هذه
الاشيا المتقدمة الذكر وكذلك وعلى تلك الصورة نفصل الايات اي نبين الايات
اي نبين الامارات والعلامات والهدايات لقوم لهم علم يفهمون به ونفصل
معناه نقسم لان بيان الامور المشتبهات انما هو في تقسيمها بالفصول
قوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم
والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لما تقدم انكار ما حرمه الكفار بارائهم اتبعه ذكر ما
حرم الله وتقريره والفواحش ما فحش وشنع واصله من القبح في النظر ومن قول
امرئ القيس وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته ولا بمعطل

استعمل فيما جا من الخلق والفاظ الهوج والرفث وفي الحديث ليس بفحاش في صفة
محمد صلى الله عليه وسلم ومنه قوله لسلمة ابن سلامة ابن وقش افحشت على الرجل
وفي حديث السير ومنه قول الحريري في كشف عورته وقصير القميص فاحش عند بيته
ولذلك استعمل ما شنع وقبح في النفوس والقبح والحسن في المعاني انما يتعلقا
انما يتلقا من جهة الشرع والفاحش كذلك بقوله هنا الفواحش انما هي اشارة
الى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع اخر فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وان كان
العقل لا ينكره كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه قوله ما ظهر وما بطن
يجمع النوع كله لانه تقسيم لا يخرج عنه شي وهو لفظ عام في جميع الفواحش
وذهب مجاهد الى تخصيص ذلك بان قال ما ظهر الطواف عريانا والباطن
الزنا وقيل غير هذا مما ياتي على طريق المثال وما يدل من الفواحش هو بدل بعض
من كل ومجموع القسمين ياتي بدل الشي من الشي وهو هو والاثم ايضا لفظ
عام لجميع الافعال والاقوال التي يتعلق بمرتكبها اثم هذا قول الجمهور وقال
بعض الناس هي الخمر فاحتج على ذلك قول الشاعر شربت الاثم حتى طار عقلي
قال ابو محمد وهذا قول مردود لان هذه السورة مكية ولم يعن الشريعة بتحريم
الخمر الا بالمدينة بعد احد لان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم اصطبحوا
يوم احد وماتوا شهدا وهي في اجوافهم وايضا فبيت الشعر يقال انه
مصنوع وان صح فهو على حذف مضاف وكان ظاهر القران على هذا القول
تحريم الخمر من قوله ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير وهو في هذه الاية
قد حرم فياتي من هذا ان الخمر اثم والاثم قد حرم فالخمر محرمة قال ابو محمد ولكن
لا يصح هذا لان قوله فيهما اثم لفظ محتمل اراد به انه يلحق الخمر من فساد العقل
والافترا وقتل النفس وغير ذلك آثام فكانه قال في الخمر هذه الاثام اي بسببها
ومعها وهذه الاشيا محرمة لا محالة واخرجت الخمر من التحريم على هذا ولم يترتب
القياس الذي ذهب اليه قائل ما ذكرناه ويعضد هذا انا وجدنا الصحابة
رضي الله عنهم يشربون الخمر بعد نزول قوله تعالى قل فيهما اثم كبير وفي بعض
الاحاديث فتركها قوم للاثم الذي فيها وشربها قوم للمنافع قال ابو محمد وانما
حرم الخمر بظواهر القران ونصوص الاحاديث واجماع الامة والبغي التعدي
وتجاوز الحد كان الانسان مستديا بذلك او مقتصرا فاذا جاوز الحد في الاقتصار
فهو باغ قوله بغير الحق زيادة بيان وليس يتصور بغي بحق لان ما كان بحق لا يسمى
بغيا وان تشركوا بالله الاية المراد بها الاصنام والاوثان وكلما عبد
من دون الله والسلطان البرهان والحجة وان تقولوا الاية من تحريم
البحيرة والسائبة ونحوه قوله ولكل امة اجل الاية يتضمن الوعيد
والتهديد والمعنى ولكل امة اي فرقة وجماعة وهي لفظة تستعمل
في الكثير من الناس اجل موقت لمجي العذاب اذا كفروا وخالفوا امر
ربهم فانتم ايتها الامة كذلك قاله الطبري وغيره وقرا الحسن فاذا
اجالهم بالجمع وهي قراة ابن سيرين قال ابو الفتح هنا هو الاظهر
لان لكل انسان اجلا فاما الافراد فلانه جنس واضافته الى الجماعة
حسنت الافراد ومثل قول الشاعر في حلقكم عظم وقد شجينا وقوله
ساعة لفظ عنى به الجزء القليل من الزمن والمراد جميع اجزايه اي
لا يستاخرون ساعة ولا اقل منها ولا اكثر وهذا نحو قوله تعالى ان الله
لا يظلم مثقال ذرة فانما هي عبارة يقام الجزء فيه مقام الكل قال ابو محمد
وكانه يظهر بين هذه الاية وبين قوله تعالى ويوخركم الى اجل مسمى تعارض
لان تلك تقتضي الوعيد بتاخر ان امنوا والوعيد بما حل ان كفروا قال
ابو محمد والحق بمذهب اهل السنة لان كل احد انما هو باجل واحد لا يتاخر
عنه ولا يتقدم وقوم نوح كان منهم من سبق في علم الله تعالى انه يكفر
فيعاجل وذلك هو اجله المحتوم ومنهم من يومن فيتاخر الى اجله المحتوم
نوح تعيين الطايفتين فندب الكل الى طريق النجاة وهو يعلم ان الطايفة
انها تعاجل وتوخر باجلها وكانه يقول فان امنتم علمنا انكم ممن قضى

قضى الله

قضى الله له بالايمان والاجل الموخر وان كفرتم علمنا انكم ممن قضى له بالاجل المعجل
والكفر قال ابو محمد وعلى هذا الحد هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم العالم الى
طريق الجنة وقد علم ان منهم من يكفر فيدخل النار وكذلك هو امر الاسير
يقال له اما ان تومن فنترك والا قتلت قوله يا بني ادم الخطاب في هذه الاية
لجميع العالم وان الشرطية دخلت عليها ما موكده وكذلك جاز دخول النون
الثقيلة على الفعل واذا لم يكن ما لم يجز دخول النون الثقيلة وقرا ابن
ابي كعب والاعرج ياتينكم على لفظ الرسل وجاء يقصون على المعنى وكان
هذا الخطاب لجميع الامم قديمها وحديثها هو متمكن لهم ومتحصل منه
لحاضري محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا حكم الله في العالم هذا نشاه
وياتينكم مستقبل وضع موضع ماض ليفهم ان الاتيان باق وقت الخطاب
لتقوى الاشارة بصحة النبوة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا على مراعاة و
قت نزول الاية واسند الطبري رحمه الله الى سيار السلمي قال ان الله عز
وجل جعل ادم وذريته في لعنة فقال يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم الاية
قال ثم نظر الى الرسل فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم فان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون ثم بثهم قال ابو محمد ولا محالة
ان هذه المخاطبة في الازل وقال المراد بالرسل محمد صلى الله عليه وسلم قال
ابو محمد من حيث لا نبي بعده فكان المخاطبين هم المراد ببني ادم لا غيرا ذ غيرهم لم ينله
الخطاب ذكره النقاش ويقصون معناه يسردون ويوردون والايات
لفظ جامع لايات الكتب المنزلة والمعاملات التي تقترن بالانبياء قوله
فمن اتقى واصلح يصح ان يكون من شرطية وجوابه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وهذه الجملة هي في جواب الشرط الاول الذي هو اما ياتينكم ويصح ان يكون من في قوله
فمن اتقى موصولة وكانه قصد بالكلام تقسيم الناس فجعل القسم الاول فمن اتقى
والقسم الثاني والذين كذبوا باياتنا وجاء هذا التقسيم بجملته جوابا للشرط
في قوله اما ياتينكم فكانه قال ان اتتكم رسل فالمتقون لا خوف عليهم والمكذبون
اصحاب النار اي هذا هو الثمرة وفايدة الرسالة فمن اظلم ممن افترى على الله الكذب
اي ليس ثم نفع للمفتري ولا غرض دنياوي فالاية تبرية لمحمد صلى الله عليه وسلم
من الافترا وتوبيخ للمفترين والكفار ولا في قوله لا خوف بمعنى ليس وقرا
ابن محيصن لا خوف دون تنوين ووجهه اما ان يحذف التنوين لكراهة
الاستعمال واما حملا على حذف تبع لا وهي تبرية ناصبة شبه حالة الرفع في البناء
بحالة النصب وقيل ان المراد فلا الخوف ثم حذفت الالف واللام وبقيت الفا
على حالها لتدل على المحذوف ونفي الخوف والحزن يعم جميع انواع مكارة النفس
وانكارها وليسه ان يكون الخوف لما يستقبل من الامور والحزن لما مضى
قبلها والذين كذبوا باياتنا واستكبروا هذه حالتان يعم جميع من صد عن
رسالة الرسول اما ان يكذب بحسب اعتقاده انه كذب واما ان يستكبر فيكذب
وان كان غير مصمم في اعتقاده على الكذب قال ابو محمد وهذا نحو الكفر عنادا

قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم
نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون
من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذه
اية وعيد واستفهام على جهة التقرير اي لا احد اظلم منه وافترى معناه اختلق وهذه
وان كانت متصلة بما قبلها اي كيف يجعلون الرسل مفترين ولا احد اظلم ممن افترى
ولا حظ للرسل الا ان يرحم من اهتدى ويعذب من كفر فهي ايضا مشيرة بالمعنى
الى كل مفتر والى من تقدم ذكره من الذين قالوا والله امرنا بها قوله وكذب باياتنا اشارة
الى جميع الكفرة قوله من الكتاب قال الحسن والسدي وابو صالح معناه من المقرر
في اللوح المحفوظ فالكتاب عبارة عن اللوح المحفوظ وقد تقرر في الشرع ان حظهم
فيه العذاب والسخط وقال ابن عباس وابن جبير ومجاهد قوله من الكتاب يريد
من الشقا والسعادة التي كتبت له وعليه قال ابو محمد ويويد هذا القول الحديث
المشهور الذي يتضمن ان الملك ياتي اذا خلق الجنين في الرحم فيكتب رزقه واجله

وسقي او سعيد وقال ابن عباس ايضا ومجاهد وقتاده والضحاك الكتاب يراد به
الذى يكتبه الملائكة من اعمال الخليقة من خير او شر فينال هؤلاء نصيبهم من ذلك
وهو الكفر والمعاصي وقال ابن عباس ايضا ومجاهد والضحاك من الكتاب يراد به القرآن
وحظهم فيه ان وجوههم تسود يوم القيمة وقال الربيع ابن انس ومحمد بن كعب
وابن زيد المعنى بالنصيب ما سبق لهم في ام الكتاب من رزق وعمر وخير وشر
في الدنيا ورجح الطبري هذا واحتج له بقوله بعد ذلك حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
اي عند انقضاء ذلك فكان معنى الاية على هذا التاويل اولئك يتمتعون ويتصرفون
في الدنيا بقدر ما كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسلنا لموتهم وهذا تاويل جماعة
في مجيء الرسل للتوفي وعلى هذا يترتب ترجيح الطبري الذى تقدم وقالت فرقة رسلنا
يريد بهم ملائكة العذاب يوم القيمة ويتوفونهم معناه يستوفونهم عددا
في السوق الى جهنم قال ابو محمد ويترتب هذا التاويل مع التاويلات المتقدمة
في قوله نصيبهم من الكتاب لان النصيب على تلك التاويلات انما ينالهم في الاخرة
وقد مضى مجيء الرسل بالموت وقوله حكاية عن الرسل اين ما كنتم تدعون استفهام
تقرير وتوبيخ وتوقيف على خزي وهي اشارة الى الاصنام والاوثان وكل ما
عبد من دون الله وتدعون معناه تعبدون وتؤملون وقولهم ضلوا معناه
هلكوا وتلفوا وفقدوا ثم ابتدا الخبر عن المشركين بقوله وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين وهذه الاية وما شاكلها تعارض في الظاهر قوله تعالى حكاية عنهم
والله ربنا ما كنا مشركين واجتماعها اما ان يكون في طوائف مختلفة او في اوقات
مختلفة يقولون في حال كذا وفي حال كذا **قوله عز وجل** قال ادخلوا في امم قد خلت
من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم
علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون هذه حكاية ما يقوله الله سبحانه
لهم يوم القيمة بواسطة ملائكة العذاب وعبر عن يقول بقال لتحقق وقوع ذلك
وصدق القصة وهذا كثير قوله تعالى في امم متعلق بادخلوا ويحتمل ان يتعلق
بمحذوف تقديره كائنين او ثابتين في امم فيكون في موضع الحال من الضمير في ادخلوا
وقيل في بمعنى مع وقيل هي على بابها وهي اصوب قوله قد خلت صفة لامم قوله في
النار يصح تعلقه بادخلوا ويصح ان يتعلق بامم اي في امم ثابتة او مستقرة
في النار ويصح تعلقه بالذكر الذى في خلت ومعنى قد خلت على هذا التعلق اي قد
تقدمت ومضى عليها الزمن وعرفها فيما يتطاول من الاباد وقد يستعمل
وان لم يطل الوقت اذ اصلها فيمن مات من الناس اي صار الى خلاء من
الارض وعلى التعليقين الاولين لقوله في النار فانما خلت حكاية عن حال الدنيا
اي ادخلوا في النار في جملة الامم السابقة لكم في الدنيا الكافرة وقدم ذكر الجن
لانهم اعرق في الكفر وابليس اصل الضلال والاغواء وهذه الاية نص في ان كفرة
الجن في النار والذى يقتضيه النظر ان مؤمنيهم في الجنة لانهم عقلاء
مكلفون مبعوث اليهم امنوا وصدقوا وقد بوب البخاري رحمه الله
باب في ذكر الجن وثوابهم وعقابهم وذكر عبد الجليل ان مؤمني الجن
يكونون ترابا كالبهائم وذكر في ذلك حديثا مجهولا وما اراه يصح والله
اعلم والاخوة في هذه الاية اخوة الملة والشريعة قال السدي يتلاعن
اخراها واولها واداركوا معناه تلاحقوا ونزلوا تفاعلوا اصله تداركوا
ادغم فجلبت الف الوصل وقرا ابو عمرو اداركوا بقطع الف الوصل قال
ابو الفتح هذا مشكل ولا يجوز ان يقطعها ارتجالا فذلك انما يجيء
شاذا في ضرورة الشعر في الاسم ايضا لكنه وقف مثل وقفة المستذكر ثم
ابتداء فقطع وقرا مجاهد بقطع الالف وسكون الدال ادركوا
بفتح الراء وبحذف الالف بعد الدال بمعنى ادرك بعضهم بعضا و
قرا حميد ادركوا بضم الهمزة وكسر الراء اي ادخلوا في ادراكها وقال
مكي في قراءة مجاهد انها ادّركوا بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء قال

واصلها

واصلها اذتركوا وزنها افتعلوا وقرا ابن مسعود والاعمش تداركوا
ورويت عن ابي عمرو وقرا الجمهور حتى اذا اداركوا بحذف الف اذا لالتقاء
الساكنين قوله قالت اخراهم الاية معناه قالت الامة الاخيرة التي قد وجدت
ضلالات مستقرة وسننا كاذبة مستعملة للاولى التي شرعت ذلك و
وافترت على الله وسلكت سبيل الضلال ابتداء ربنا هؤلاء اضلونا
اي طرقوا طرق الضلال وسببوا اضلالنا فاتهم عذابا ضعفا اي فاتنا
زائدا على عذابنا اذ هم كافرون ومسببون كفرنا ويقول اضعفت كذا
اذا جعلته مثليه الاول واللام في قوله لاولاهم لاخراهم لام سبب اذ القول
انما هو للرب ثم قال عز وجل مخبرا لهم لكل ضعف اي العذاب مشدد
على الاول والاخر ولكن لا تعلمون اي المقادير وصور التضعيف وهذا
رد لكلام هؤلاء اذ ليس لهم كرامة فيظهر اسعافهم واما المعنى الذى
دعوا فيه فقاطعه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه حاصل وان كل من سن
كفرا او معصية فعليه كفل من جهته كل من عمل بذلك بعده ومنه حديث
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى
الضلالة الا كان عليه وزره ووزر من اتبعه لا ينقص ذلك من
اوزارهم شيئا الحديث ذكره الليث بن سعد في اخر الجزء الرابع من حديثه
وذكره مالك في الموطا غير مسند موصل ومنه قوله ما تقتل نفس ظلما الا
كان على ابن ادم الاول كفل منها اما ان هؤلاء عينوا في دعائهم الضعف
وقد يكون الكفل اقل واكثر وعن ابن مسعود ان الضعف هنا الافاعي
والحيات وقرا جميع السبعة غير عاصم في رواية ابي بكر ولكن لا تعلمون بالتاء
ويحتمل ان يكون ذلك مخاطبة لهذه الامة الاخيرة متصلة بقوله لهم لكل ضعف
ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وقرا عاصم وحده في رواية
ابي بكر ولكن لا يعلمون وروى حفص عن عاصم مثل قراءة الجماعة وهي مخاطبة
لامة محمد واخبار عن الامة الاخيرة التي طلبت ان يشدد العذاب على اوليهما
ويحتمل ان يكون خبرا عن الطائفتين حملا على لفظة كل اي لا يعلم احد منهم
قدر ما اعد لهم من عذاب الله قوله وقالت اولاهم لاخراهم الاية المعنى وقالت
الامة الاولى المبتدعة للامة الاخيرة المتبعة انتم لا فضل لكم علينا ولم تز
دجروا حين جاءكم الهدى والرسل فجاهدتم في كفركم وتركتم النظر واستوت
حالنا وحالكم فذوقوا العذاب باجرامكم هذا قول السدي وابي مجلز وغيرهما فقوله
فذوقوا على هذا من كلام الامم المتقدمة للامة الاخيرة وقيل قوله فذوقوا
من كلام الله عز وجل لجميعهم وقال مجاهد معنى قوله من فضل اي من التخفيف
قال ابو محمد معناه اي لما قال الله لكل ضعف قال الاولون للاخرين لم
تبلغوا املا في ان يكون عذابكم اخف من عذابنا ولا فضلتم بالاسعاف
والنص عليه **قوله عز وجل** ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح
لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي
المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون هذه اية عام في جميع انواع الكفرة قديمهم وحديثهم
وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر لا تفتح بضم التاء الاولى وتشديد الثانية
وقرا ابو عمرو تفتح بضم التاء وسكون الفاء وفتح التاء الثانية وتخفيفها وقرا
حمزة والكسائي يفتح بالياء من اسفل وتخفيف التاء وقرا ابو حيوة وابو
ابراهيم يفتح بالياء وفتح الفاء وشد التاء ومعنى الاية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا
دعاء فهي عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله قاله ابن عباس وغيره وذكر الطبري
في كيفية قبض روح المؤمن والكافر اثارا اختصرتها اذ ليست بلازمة في الاية
وللين اسانيدها ما يتضامن نفى الله عنهم دخول الجنة وعلقه بكون محال
لا يكون ابدا وهو ان يدخل الجمل في ثقب الابرة حيث يدخل الخيط والجمل كما
عهد والسم كما عهد وقرا جمهور المسلمين الجمل واحد الجمال وقال الحسن هو

الجمل هو الذي تقوم بالمربد ومرة لما اكثروا عليه قال هو الاشتر وهو الجمل بالفارسية
ومرة قال هو الجمل ولد الناقة وقاله ابن مسعود قال ابو محمد وهذه عبارات
تدل على حرج على السائل لارتياب السائلين لا شك باللفظة من اجل القراءات
المختلفة وذكر الطبري عن مجاهد عن ابن مسعود انه كان يقرا حتى يلج الجمل
الاصفر وقرا ابن عباس وابو السماك الجمل بسكون الميم وعكرمة ومجاهد وابن
جبير والشعبي ومالك بن الشخير وابو رجا الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل
السفينة وقرا سالم الافطس وابن جبير وابن عباس ايضا الجمل بتخفيف
الميم من الجمل وقالوا هو حبل السفن وروى الكسائي ان الذي رووا بتثقيل الميم
عن ابن عباس كان اعجميا فشدد الميم لعجمته قال ابو محمد لكثرة اصحاب ابن
عباس على القراءة المذكورة وقرا سعيد بن جبير فيما روى عنه الجمل بضم الجيم
وسكون الميم وقرا ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم والميم والسم الثقب من
الابرة وغيرها يقال سم وسم وسم بفتح السين وكسرها وضمها وقرا الجمهور
بفتح السين وقرا ابن سيرين بضمها وقرا ابو حيوة بضمها وبكسرها و
روي عنه الوجهان والخياط والمخيط الابرة وقرا ابن مسعود في سم المخيط
بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء وقرا طلحة في سم المخيط بفتح الميم وكذلك
اي على هذه الصفة وبمثل هذا الحتم وغيره نجزي الكفرة واهل الجرايم على
الله قوله لهم من جهنم مهاد الاية المعنى ان جهنم فراش لهم ومسكن ومضجع
يمهدونه وهي لهم غواش جمع غاشية وهي ما يغشى الانسان اي يغطيه ويستره
من جهة فوق قال الضحاك المهاد الفراش والغواش اللحاف ودخل التنوين
في غواش عند سيبويه لنقصانه عن بناء مفاعل فلما زال البناء المانع من الصرف
بان حذفت الياء خففا لا للالتقاء بل كما حذفت من قوله والليل اذا يسر وذلك
ما كنا نبغ ومن قول الشاعر تم لا يفر زال الامتناع وهذا قولهم دلدل
بالتنوين وهم يريدون الدلالة لما زال البناء قال الزجاج والتنوين في غواش
عند سيبويه عوض من الياء المفتوحة ورد ابو علي ان يكون هذا مذهب سيبويه
ويجوز الوقف بياء وبغير ياء والاختيار بغير ياء قوله والذين امنوا وعملوا
الصالحات الاية هذه اية وعد مخبرة ان جميع المومنين هم اصحاب الجنة وهم
الخلد فيها ثم اعترض بما القول يعقب الصفة التي شرطها في المومنين
باعتراض يخفف الشرط ويرجي في رحمة الله ويعلم ان دينه يسر وهذه الاية
نص في ان الشريعة لا يتقرر من تكاليفها شي لا يطاق وقد تقدم القول في جواز تكليف
ما لا يطاق وفي وقوعه بمعزل عن الاعادة والوسع معنى الطاقة وهو القدر
الذي يتسع له قدر البشر **قوله عز وجل** ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري
من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون هذا اخبار من الله عز وجل انه ينقي قلوب ساكني الجنة من الغل
والحقد وذلك ان صاحب الغل متعذب به ولا عذاب في الجنة وروي في الحديث
الغل على باب الجنة كمبارك الابل قد نزعه الله من قلوب المومنين قال ابو محمد
ومعنى هذا الحديث اذا حمل على حقيقته ان الله عز وجل يخلق جوهرا يحمله حيث
يرى كمبارك الابل لان الغل عرض لا يقوم بنفسه وان قيل ان هذه استعارة
وعبر عن سقوطه عن نفوسهم بهذه الالفاظ على جهة التمثيل كما يقول فلان
اذا دخل على الامير يترك نخوته بالباب للقاء فله وجه والاول اصوب
واجماع الشرع في اشياء كثيرة مثل قوله تعالى يوتى بالموت كانه كبش
املح وغير ذلك وروى الحسن عن علي بن ابي طالب انه قال فينا والله
اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
وروى عنه ايضا انه قال فينا والله نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل
وذكر قتادة ان عليا رضي الله عنه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل
قال ابو محمد وهذا هو المعنى الصحيح فان الاية عام في اهل الجنة والغل

الحقد والاحنة الخفية في النفس وجمع غلال ومنه الغلول اخذ في خفا و
سلب الانغلال في الشي ومنه المغل بالاحانة ومنه قول علقمة بن عبدة
سلك القصى النهدي غلتها وفيه من نوى قران معموم وقوله تجري
من تحتهم الانهار لان ما كان لاطيا بالارض فهو تحت منتصا اخذا
في سماء وهدانا بمعنى ارشدنا والاشارة هنا بهذا يحتمل ان يكون الى الايمان
والاعمال الصالحة المودية الى دخول الجنة ويحتمل ان يكون الى الجنة نفسها
اي ارشدنا الى طرقها ونحمل واحدا من الوجهين امثلة في القرآن وقرا ابن
عامر وحده ما كنا لنهتدي بسقوط الواو من قوله وما كنا وكذلك هي في
مصاحف اهل الشام قال ابو علي وجه سقوط الواو ان الكلام متصل مرتبط
بما قبله ولما راوا وتصديق ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى وعاينوا
انجاز المواعيد قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق فقضوا بان ذلك حق قضا
من يحسن وكانوا في الدنيا يقصون بان ذلك حق قضا من يستدل ونودوا
اي قيل لهم بصياح وهذا النداء من قبل الله عز وجل وان يحتمل ان يكون
مفسرة لمعنى النداء بمعنى اي ويحتمل ان يكون مخففة من الثقيلة وفيها ضمير
مستتر تقديره انه تلكم الجنة ونحو هذا قول الاعشى في شيلة كسيوف الهند
قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل بعدي انه هالك ومنه قول الاخر اكا شره
ويعلم ان تكلانا على ما شاء صاحبه حريص وتلكم الجنة ابتداء وصفة واورثتمو
واورثتموها الخبر وتلكم اشارة فيها غيبة هما ما لانهم كانوا وعدوا بها في الدنيا
فالاشارة الى تلكم هذه الجنة وحذفت هذه واما قبل ان يدخلوها واما بعد
الدخول وهم مجتمعون في موضع منها فكل غائب عن منزلته قوله بما كنتم تعملون
لا على طريق وجوب ذلك على الله لكن بقرينة رحمته وتغمده والاعمال امارة
من الله وطريق الى قوة الرجا ودخول الجنة انما هو بمجرد رحمة الله والقسم
فيها على قدر العمل واورثتموها مشيرة الى الاقسام وقرا ابن كثير ونافع
وعاصم وابن عامر اورثتموها ولذلك في الزخرف وقرا ابو عمرو وحمزة و
الكسائي اورثتموها بادغام الثاء في التاء ولذلك في الزخرف **قوله عز وجل**
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن موذن بينهم ان لعنة الله
على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة
كافرون هذا اخبار من الله عز وجل عما يكون منهم وعبر عن معان مستقبلة
بصيغة ماضية وهذا حسن فيما يتحقق وقوعه وهذا النداء من اهل
الجنة لاهل النار تقريع وتوبيخ وزيادة في الكرب وهو بان يشرفوا عليهم
ويخلق الادراك في الاسماع والابصار وقرا جمهور الناس نعم بفتح العين
وقرا الكسائي نعم بكسر العين وروي عن عمر بن الخطاب وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقراها ابن وثاب والاعمش قال الاخفش هما لغتان
ولم يحك سيبويه الكسر وقال نعم عدة وتصديق اي مرة هذا ومرة هذا وفي
الكتاب اي حاتم عن الكسائي عن شيخ من ولد الزبير قال ما كنت اسمع اشياخ
قريش يقولون الا نعم بكسر العين ثم فقدتها بعدتن وعن قتادة عن رجل
من خثعم قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انت تزعم انك نبي قال نعم
بكسر العين وعن ابي عثمان النهدي قال سال عمر عن شي فقالوا نعم فقال عمر
رضي الله عنه النعم الابل والبقر قولوا نعم طال الغنم قال ابو حاتم وهذه اللغة
لا تعرف اليوم بالحرمين قوله فاذن الاية قال ابو علي الفارسي والطبري وغيرهما
اذن موذن بمعنى اعلم معلم قال سيبويه اذنت اعلام بتصويت وقال ابن كثير
في رواية قنبل ونافع وابو عمرو وعاصم ونافع ان لعنت الله بتخفيف ان من الثقيلة
ورفع اللعنة وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابن كثير في رواية البزي وسهل
ان لعنت الله بتثقيل ان ونصب اللعنة وقلبهم وقرا التي في النور ان لعنة الله
وان غضب بتشديد النون عن نافع فانه قراهما ان لعنة الله وان غضب الله
مخففين وروى عصمة عن الاعمش موذن بينهم ان بكسر الالف على اضمار قال

قال ابو محمد لما كان الاذان قولاً وانه طلبون في هذه الاية الكافرون ثم ابتداء
صفتهم بافعالهم في الدنيا ليكون علامة ان اهل هذه الصفة هم المراد
يوم القيمة بقوله ان لعنة الله على الظالمين ويصدون معناه يعرضون في السبل
الطرق والمنهج ويذكر ويونث وتانيثها اكثر وتبغونها معناه يطلبونها
او يطلبون لها فان قدرته يطلبونها عوجا نصب على الحال ويصح ان يكون
من الضمير العايد على السبيل اى معوجة ويصح ان يكون من ضمير الجماعة في
تبغونها اى معوجين وان قدرت تبغونها يطلبون لها وهو ظاهر تأويل الطبري
فعوجا مفعول بتبغون والعوج بكسر العين في الامور والمعاني والعوج بفتح العين
في الاجرام والمنتصبات **قوله عز وجل** وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم
يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما
اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون الضمير في قوله وبينهما عايد على الجنة
والنار ويحتمل على الجمعين اذ يتضمنهما قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار والحجاب هو السور الذي ذكره عز وجل في قوله فضرب بينهم بسور له
باب قاله ابن عباس وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال ابن
عباس ايضا هو تل بين الجنة والنار وذكر الزهراوي حديثا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان احدا جبل يحبنا ونحبه وانه يوم القيمة يمثل بين الجنة
والنار يحتبس عليه اقوام يعرفون كلا بسيماهم هم ان شا الله من اهل الجنة
وذكر حديثا اخر عن صفوان بن سليم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان احدا على ركن من اركان الجنة والاعراف جمع عرف وهو المرتفع من الارض
ومنه قول الشاعر كلٌّ كناز لحمه نياف كالجبل الموفي على الاعراف ومنه قول
الشماخ فظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز ومنه
عرف الفرس وعرف الديك لعلوهما وقال السدي سمى الاعراف اعرافا لان
اصحابه يعرفون الناس قال ابو محمد هذه عجمة وانما المراد على اعراف ذلك الحجاب
اى اعاليها قوله رجال قال ابو مجلز لاحق بن حميد هم ملائكة ولفظ رجال
مستعارة لهم لما كانوا في تماثيل رجال قال هم ذكور ليسوا اناثا قال ابو
محمد وقد سمى الله رجالا في الجن وقال الجمهور هم رجال من البشر ثم اختلفوا
فقال مجاهد هم قوم صالحون فقهاء علماء وحكى الزهراوي انهم عدول القيمة
الذين يشهدون على الناس باعمالهم وهم من كل امة وقال الزجاج وقال قوم
هم انبياء وقال المهدوي هم الشهداء وقال شرحبيل بن سعد هم المستشهدون
في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لاباءهم وذكر الطبري في ذلك حديثا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى عقوقهم واستشهادهم
وقال ابن مسعود والشعبي وحذيفة بن اليماني وابن عباس وابن جبير
والضحاك هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم قال ابو محمد ويقع في
مسند خيثمة بن سليمان في اخر الجزء الخامس عشر حديث عن جابر بن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الموازين يوم القيمة
فيوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال
صوابه دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه
دخل النار قيل يا رسول الله لمن استوت حسناته وسيئاته قال اولئك
اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وقال حذيفة بن اليماني
ايضا هم قوم ابطات بهم صغايرهم الى اخر الناس قال ابو محمد واللازم
من الاية ان على اعراف ذلك السور او على مواضع مرتفعة عن الفريقين
حيث شا الله تعالى رجالا من اهل الجنة يتاخر دخولهم ويقع لهم
ما وصف من الاعتبار في الفريقين ويعرفون كلا بسيماهم اى بعلامتهم
وهي بياض الوجوه وحسنها في اهل الجنة وسوادها وقبحها في اهل النار
الى غير ذلك في حيز هؤلاء وحيز هؤلاء والسيما العلامة وهو من وسم

ومنه

وفيه قلب يقال سيما مقصور وسيما ممدود وسيمياء بكسر الميم وزيادة ياء ووزنها
فعلى مع كونها من وسم وقيل هي من سوم اذا اعلم فوزنها على هذا فعلى وندا
وسم اصحاب الجنة يحتمل ان يكون واصحاب الجنة لم يدخلوها بعد فيكون ايضا قوله
لم يدخلوها وهم يطمعون محتملا ان نعنى به اهل الجنة وتأويل ابي مجلز ان جعل
اصحاب الاعراف ملائكة ويحتمل ان نعنى به اهل الاعراف ويحتمل ان يكون ندا
وهم اهل الجنة بالسلام وهم قد دخلوها فلا يحتمل حينئذ قوله لم يدخلوها
وهم يطمعون الا اهل الاعراف فقط وبتأويل السدي وقتادة وابن مسعود
والحسن وقال واحد ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لخير اراده بهم
قال ابو محمد وهذا هو الاظهر الاليق ولا نظر لاحد مع قول النبي صلى الله عليه
وسلم وهم يطمعون هي جملة مقطوعة اخبر انهم لم يدخلوها وهم طامعون
بدخولها فكان الجملة حال من الضمير في نادوا وقرا ابو رويش النحوي لم يدخلوها
وهم طامعون وقرا اياد بن لقيط وهم ساخطون وذكر بعض الناس قولا
وهو ان يقدر قوله وهم يطمعون في موضع الحال من ضمير الجماعة في يدخلوها
ويكون المعنى لم يدخلوها في حال طمع بها بل كانوا في حال ياس وخوف لكن
عمهم عفو الله عز وجل وقال ابن مسعود انما طمع اصحاب الاعراف لان النور
الذي كان في ايديهم لم يطفا حين يطفا كل ما في ايدي المنافقين والضمير في قوله
ابصارهم عايد على اصحاب الاعراف فهم يسلمون على اصحاب الجنة واذا نظروا
الى النار واهلها دعوا الله في التخلص منها قاله ابن عباس وجماعة من العلما
وقال ابو مجلز الضمير لاهل الجنة وهم ان يدخلوها بعد وقوله صرفت معطية ما عمالك
من هول المطلع قوله رجالا يريد من اهل النار ويحتمل ان يكون هذا الندا
واهل النار في النار فيكون معرفتهم بعلامات معروفة بانهم اولئك الذين
عرفوا في الدنيا ويحتمل ان يكون هذا الندا وهم يحملون الى النار فيكون السيما
التي عرفوا بها انهم اهل النار تسويد الوجوه وتشويه الخلق وقال ابو مجلز الملايكة
تنادي رجالا في النار وقال غيره بل الادميون ينادون في النار اي اهل النار
وقيل ان ما في قوله ما اغنى عنكم استفهام بمعنى التقرير والتوبيخ وقيل ما نافية
والاول اصوب وجمعكم لفظ يعم جموع الاجناد والخول وجمع المال لان المراد
بالرجال انهم جبارون ملوك يقررون يوم القيمة على معنى الاهانة والخزي
وما الثانية مصدرية وقرات فرقة تستكثرون بالثاء مثلثة من الكثرة **قوله
عز وجل** اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا
ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم وما كانوا باياتنا
يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يومنون
قال ابو مجلز اهل الاعراف هم الملائكة وهم القائلون اهؤلاء اشارة
الى اهل الجنة قال ابو محمد وكذلك يجي قول من قال اهل الاعراف انبيا وشهداء
وقال غيره اهل الاعراف بشر مذنبون قوله اهؤلاء من كلام ملك يامر الله
سبحانه اشارة الى اهل الاعراف ومخاطبة لاهل النار وهذا قول ابن عباس
وقال النقاش لما وبخوهم بقولهم ما اغنى عنكم اقسم اهل النار ان اهل الاعراف
داخلون النار معهم فنادتهم الملائكة اهؤلاء ثم نادت اصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة وقال بعض المتاولين الاشارة بهؤلاء هم اهل الجنة
والمخاطبون هم اهل الاعراف والذين خوطبوا هم اهل النار والمعنى اهؤلاء
الضعفاء في الدنيا الذين حلفتم ان الله لا يعبا بهم قيل لهم ادخلوا الجنة
وقد تقدم ما قال النقاش من ان القسم في الاخرة هو على اهل الاعراف وقرا
الحسن وابن هرمز ادخلوا الجنة بفتح الالف وكسر الخاء معنى ادخلوا انفسكم
او على ان يكون مخاطبة للملائكة ثم ترجع المخاطبة بعد الى البشر في عليكم
وقرا عكرمة مولى ابن عباس دخلوا الجنة على الاخبار بفعل ماض وقرا طلحة
بن مصرف وابن وثاب والنخعي ادخلوا الجنة خبر مبني للمفعول قال ابو محمد

وترتيب كل قراءة وهذا على الاقوال في المخاطب والمخاطب قوله تعالى اهؤلاء يمكن
ما يستناول فاختصره ايجازا ولذلك ما في الاية من الرجوع من مخاطبة فريق
الى مخاطبة غيره قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون معناه لا تخافون ما ياتي ولا
تحزنون على ما فات وذكر الطبري عن طريق حذيفة ان اهل الاعراف يرغبون
في الشفاعة فياتون ادم فيدفعهم الى نوح ثم يتدافعهم الانبياء صلوات
الله وسلامه على جميعهم حتى ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم
فيشفع فيدخلون الجنة فيلقون في نهر فيبيضون ويسمون مساكين الجنة
قال سالم مولى ابي حذيفة ليت اني من اهل الاعراف قوله ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة الاية لفظ الندا يتضمن ان اهل النار وقع لهم علم بان اهل
الجنة يسمعون نداهم وجائز ان يكون ذلك وهم يرونهم بادراك يجعل الله
لهم على بعد السفل من العلو وجائز ان يكون ذلك وبينهم السور والحجاب المتقدم
الذكر وروى ان ذلك الندا هو عند اطلاع اهل الجنة عليهم وان في قوله
ان افيضوا مفسرة بمعنى اي وفاض الماء اذا سال وانماع وافاضه غيره
قوله او مما رزقكم الله اشارة الى الطعام قاله السدي فيقول لهم اهل الجنة
ان الله حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين والاشنع على الكافرين
في هذه المقالة ان يكون وبعضهم يرى بعضا فانه اخزى واكمل للنفس و
اجابة اهل الجنة بهذا الحكم هو عن امر الله تعالى وذكر الزهراوي انه
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة الصدقة
بالماء يعني عند الحاجة اليه اذ هو الذ مشروب وانعشه للنفس واستسقاه
الشعبي عند مصعب فقال له اي الاشربة تحب فقال اهونها موجودا
واعزها مفقودا فقال مصعب يا غلام هات الماء قوله الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا الاية اضيف الدين اليهم من حيث قولهم انه يلتزموه
اذ هو دين الله من حيث امره ودين جميع الناس من حيث امروا به وغرتهم
الحيوة الدنيا يحتمل ان يكون من كلام اهل الجنة ويكون ابتداء كلام الله
من قوله فاليوم ويحتمل ان يكون الكلام من اوله من كلام الله ومعنى قوله اتخذوا
دينهم لهوا اي بالاعراض والاستهزاء بمن يدعوهم الى الاسلام وغرتهم
الحيوة الدنيا اي خدعتهم زخرفها واعتقادهم انها الغاية القصوى
ويحتمل ان يكون اللفظ من الغر وهو ملء الفم اي اشبعتهم وابطرتهم
واما قوله فاليوم ننساهم فهو من اخبار الله عما يفعل بهم والنسيان في
هذه الاية هو بمعنى الترك اي نتركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا
اليوم قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين وقال قتادة نسوا من الخير
ولم ينسوا من الشر وان قدر النسيان بمعنى الذهول من الكفرة فهو في
جهة ذكر الله تسمية العقوبة باسم الذنب قوله وما كانوا عطف على ما من
قوله كما نسوا ويحتمل ان يقدر ما الثانية زائدة ويكون قوله وكانوا عطفا
على قوله نسوا قوله ولقد جئناهم بكتاب الاية ذكر الاعذار اليهم اثر ذكر ما
يفعل بهم واللام في لقد لام قسم والضمير في جئناهم لمن تقدم ذكره وقال
يحيى بن سلام الكلام في يجحدون وهذا الضمير لمكذبي النبي صلى الله عليه وسلم
ابتداء كلام اخر والمراد بالكتاب القران العزيز قال ابو محمد ويحتمل ان يكون اسم
جنس في جميع الكتاب المنزل على تاويل من رد الضمير في جئناهم لمن تقدم ذكره
وقرأ جمهور الناس فصلناه من تفصيل الايات وتبيينها وقرا ابن محيصن
فضلناه بضاد منقوطة وعلى علم معناه على بصيرة واستحقاق لذلك قوله
وهدى ورحمة مصدران في موضع الحال قوله عز وجل هل ينظرون الا
تاويله يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا
بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا
نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل
النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق

والامر تبارك

والامر تبارك الله رب العالمين ينظرون معناه ينتظرون والتاويل في هذا
الموضع بمعنى المال والعاقبة قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس
تاويله ماله يوم القيمة وقال السدي ذلك في الدنيا وقعة يوم بدر وغيرها
ويوم القيمة ايضا والمراد هل ينتظر هؤلاء الكفار الا مال الحال في هذا الذي
وما دعوا اليه وما صدروا هم عنه وهم يعتقدون ماله جملة لهم فاخبر الله
ان ماله يوم ياتي يقع معه ندمهم ويقولون تاسفا على ما فاتهم من الايمان
لقد صدقت الرسل وجاؤوا بالحق فالتاويل على هذا ماخوذ من آل يؤول وقال
الخطابي اولت الشيء رددته الى اوله فاللفظة ماخوذة من الاول حكاه النقاش
قال ابو محمد وقيل اولت معناه طلبت اولى الوجوه والمعاني ونسوه معناه
في الاية يحسن ان يكون النسيان من اوله الاية بمعنى الترك ويقرون بالحق و
يستفهمون عن وجوه الخلاص في وقت لا مستعتب لهم فيه وقرات فرقة
او نرد برفع الفعل على تقدير او هل نرد وبنصب فنعمل في جواب هذا الاستفهام
الاخير وقرا الحسن بن ابي الحسن او نرد فنعمل بالرفع فيهما على عطف فنعمل وقرا
ابن ابي اسحق وابو حيوة او نرد فنعمل ونصب نرد في هذه القراءة اما على العطف
على قوله فيشفعوا واما على ما حكاه الفراء من ان او تكون بمعنى حتى كنحو قول امرئ القيس
او نموت فنعذرا ونحى المعنى ان الشفاعة تكون في ان نرد وثم اخبر تعالى
عن خسارتهم انفسهم واضمحلال افترائهم على الله وكذبهم في جعل الاصنام
الهة قوله ان ربكم الله الاية خطاب عام يقتضي التوحيد والحجة عليه بدلائله
والرب اصله في اللغة المصلح من رب يرب وهو عم في جهة ذكر الله تعالى
المالك والسيد وغير ذلك من استعمالات العرب ولا يقال الرب معرفا الا لله
وانما يقال في البشر باضافة وروى بكار بن الشقر ان ربكم الله بنصب الهاء
قوله في ستة ايام حكى الطبري عن مجاهد ان اليوم كالف سنة وهذا كله والساعة
اليسيرة سوا في قدرة الله عز وجل واما وجه الحكمة في ذلك فمما انفرد الله
تعالى بعلمه كسائر احوال الشرائع وما ذهب اليه من اراد ان يوجه هذا كالمهدوي
وغيره تخرص وجاء في التفسير وفي الاحاديث ان الله تعالى ابتدا الخلق يوم الاحد
فكملت المخلوقات يوم الجمعة ثم بقي دون خلق يوم السبت فمن ذلك اتخذته اليهود
راحتها وعلى هذا توالت التفاسير الطبري وغيره ولليهود لعنهم الله في هذا
كلام سوء تعالى الله عما يصفون ووقع حديث في كتاب مسلم بن الحجاج وفي كتاب
الدلائل لثابت السرقسطي ان الله تعالى خلق التربة يوم السبت وذكره مكي في
الهداية قوله ثم استوى على العرش معناه عند ابي المعالي وغيره من حذاق المتكلمين
بالملك والسلطان وخص العرش بالذكر تشريفا له اذ هو اعظم المخلوقات وقال
سفيان الثوري فعل فعلا في العرش سماه استوى قال ابو محمد والعرش مخلوق معين
جسم ما هذا الذي قررته الشريعة وبلغني عن ابي الفضل النحوي انه قال العرش
مصدر عرش يعرش عرشا والمراد بقوله استوى على العرش هذا قال ابو محمد وهذا خروج
كثير عما فهم من الشرع في غير ما حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا
ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر يغشي من اغشى وقرا عاصم في رواية ابي بكر
وحمزة والكسائي يغشي بالتشديد من غشى وهما طريقان في تعدية غشي الى مفعول
ثان وقرا حميد يغشى بفتح الياء والشين ونصب الليل ورفع النهار وكذا قال
ابو الفتح وقال ابو عمرو الداني رفع الليل ونصب النهار قال ابو محمد وابو الفتح
اثبت وحثيثا معناه سريعا ويطلبه حثيثا حال من الليل بحسب اللفظ
على قراءة الجماعة ومن النهار بحسب المعنى واما على قراءة حميد فمن النهار في الوجهين
جميعا ويحتمل ان يكون حالا منهما ومثله قوله تعالى فاتت به قومها تحمله فيصح
ان يكون تحمله حالا منهما وان يكون حالا منه وان يكون منها ومسخرات في موضع
الحال وقرا ابن عامر وحده من السبعة والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع
في جميعها ونصب الباقون هذه الحروف كلها وقرا ابان بن تغلب والشمس والقمر
بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع والا استفتاح كلام فاستفتح بها في هذا
الموضع هذا الخبر الصادق المرشد قال ابو محمد واخذ المفسرون الخلق بمعنى

المخلوقات اى هى له كلها وملكه واختراعه واخذ الامر مصدرا من امر يامر وعلى
هذا قال النقاش ان الاية ترد على القايلين بخلق القران لانه فرق فيها من المخلوقات
وبين الكلام اذ الامر كلام عز وجل وقال ابو محمد ويحتمل ان توخذ لفظه الخلق
على المصدر من خلق يخلق خلقا اى له هذه الصفة اذ هو الموجد للاشياء بعد
العدم ويوخذ الامر على انه واحد الامور لانه يدل على الجنس فيكون بمنزلة قوله
واليه ترجع الامور كله ولمنزله قوله والى الله ترجع الامور فاما اذا اخذت اللفظتان
هذ كلام رجاع عن مسيل الكلام قال ابو محمد ولما تقدم في الاية خلق وبامره تاكد
في اخرها ان له الخلق والامر بالمصدر ان حسب تقدمهما وكيف ما تاولت الاية
فالجميع لله واسند الطبرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من زعم ان الله
تعالى جعل للاحد من العباد شيا من الامر فقد كفر بما انزل الله لقوله تعالى
الا له الخلق والامر قال النقاش ذكر الله للانسان فى القران فى ثمانية عشر
موضعا فى جميعها انه مخلوق وذكر القران فى اربعة وخمسين موضعا ليس فى واحد
منهما اشارة الى انه مخلوق وقال الشعبى الخلق عبارة عن الدنيا والامر عبارة
عن الاخرة وتبارك معناه عظم وتعالى وكثرت بركاته ولا يوصف بها
الا الله تعالى وتبارك لا ينصرف فى كلام العرب لا يقال يتبارك وهذا منصوص
عليه لاهل اللسان قال ابو محمد وعلة ذلك ان تبارك لما لم يوصف بها غير الله
لم يقتض مستقبلا اذ الله تعالى قد تبارك فى الازل وقد غلط بها ابو على القالى
فقيل له كيف المستقبل من تبارك فقال يتبارك فوقف على ان العرب لم تقله
والرب السيد المصلح والعالمين جمع عالم قوله عز وجل ادعوا ربكم تضرعا
وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين هذا امر بالدعاء وتعبد به
ثم قرن عز وجل بالامر به صفات تحسن معه وقوله تضرعا معناه بخشوع
واستكانة والتضرع لفظه يقتضى الجهر لان التضرع انما يكون باشارات جوارح
وهيات اعضاء تقترن بالطلب وخفية يريد فى النفس خاصة وقد اثنى الله
عز وجل على ذلك فى قوله اذ نادى ربه نداء خفيا ونحو هذا قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير الذكر الخفى والشريعة مقررة ان السر فيما لم يفترض من
اعمال البر اعظم اجرا من الجهر وقال بعض العلماء التضرع والخفية فى معنى السر
جميعا فكان التضرع فعل القلب ذكر هذا المعنى الحسن بن ابى الحسن وقال لقد
ادركنا اقواما ما كان على الارض عمل يقدرون ان يكون سرا فيكون جهرا ابدا
ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء فلا يسمع لهم صوت الا هو الا الهمس
بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى باستكانة
واعتقاد ذلك فى القلوب وقرا جميع السبعة وخفية بضم الخاء وقرا عاصم
فى رواية ابى بكر هنا وفى الانعام وخفية بكسرها وهما لغتان وقد قيل ان خفية
بكسر الخاء بمعنى الخوف والرهبة ويظهر ذلك من كلام ابى على وقرات فرقة وخفية
من الخوف اى ادعوه باستكانة وخوف وذكرها اى سيده فى المحكم ولم ينسبها
وقال ابو حاتم قراها الاعمش فيما زعموا قوله انه لا يحب المعتدين يريد فى الدعاء وان
كان اللفظ عاما قال هنا هى الاشارة والاعتداء فى الدعاء على وجوه منها الجهر
الكثير والصياح كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم وقد رفعوا اصواتهم
بالتكبير ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ومنها ان
يدعو الانسان ان يكون له منزلة نبى او يدعو فى محال ونحو هذا من الشطط ومنها
ان يدعو طالبا معصية وغير ذلك وفى هذه الامثلة كفاية وقرا ابن ابى عبلة
ان الله لا يحب المعتدين والمعتدى هو مجاوز الحد ومرتكب الحظر وقد يتفاضل
بحسب ما اعتدى فيه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون
قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
قوله ولا تفسدوا فى الارض الاية الفاظ عامة تتضمن كل افساد قل او كثر
بعد صلاح قل او كثر والقصد بالنهى هو على العموم وتخصيص شى دون شى

فى هذا الحكم

فى هذا الحكم لا يجوز الا على جهة المثال قال الضحاك معناه لا تغوروا الماء
المعين ولا تقطعوا الشجر المثمر ضرارا وقد ورد قطع الدنانير والدراهم
من الفساد وقد قيل تجارة الحكام من الفساد فى الارض وقال بعض الناس
المراد ولا تشركوا فى الارض بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل وتقرير
الشرايع ووضوح ملة محمد صلى الله عليه وسلم وقائل هذه المقالة قصد
الى اكبر فساد بعد اعظم صلاح فخصه بالذكر قوله وادعوه خوفا وطمعا
امر بان يكون الانسان فى حالة ترقب وتحرز وتاميل لله حتى يكون الرجاء
والخوف كالجناحين للطائر يحملانه فى طريق استقامته وان انفرد احدهما
هلك الانسان وقد قال كثير من العلماء ينبغى ان يغلب الخوف الرجاء طول
الحياة فاذا جاء الموت غلب الرجاء وقد راى كثير من العلماء ان يكون
الخوف اغلب على المرء بكثير وهذا كله طريق احتياط ومنه تمنى الحسن البصرى
ان يكون الرجل الذى هو اخر من يدخل الجنة وتمنى سالم مولى ابى حذيفة ان يكون
من اصحاب الاعراف لان مذهبه انهم مذنبون ثم النص قوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين فانها اية وعد فيها تقييد بقوله من المحسنين واختلف الناس
فى وجه حذف من قريب فى صفة الرحمة على اقوال منها انه على جهة النسب
اى ذات قرب ومنها انه لما كان تانيثها غير حقيقى جرت مجرى كف خضيب
ولحية دهين ومنها انها بمعنى مذكر فذكر الوصف كذلك واختلف اهل
هذا القول فى تقدير المذكر الذى هى بدل منه فقالت فرقة الغفران والعفو
وقالت فرقة المطر وقيل غير ذلك وقال الفراء لفظ القريب اذا استعملت
فى النسب والقرابة فهى مع المؤنث بتاء ولا بد واذا استعملت فى قرب المسافة
قال ابو محمد والزمن فقد تجى مع المؤنث وقد تجى بغير تاء وهذا منه ومن هذا
قول الشاعر عشية لا عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيد
فجمع فى هذا البيت بين الوجهين قال ابو محمد هذا قول الفراء فى كتاب وقد مر
فى بعض كتب التفسير مغيرا ورد الزجاج على هذا القول وقال ابو عبيدة قريب
فى الاية ليس بصفة للرحمة وانما هو ظرف لها وموضع فتجى كذا فى المؤنث
والاثنين والجميع وكذلك بعيد فاذا جعلوها صفة بمعنى مقتربة قالوا قريبة
وقريبتان وقريبات وذكر الطبرى ان قوله قريب انما يراد به مفارقة الارواح
للاجساد اى عند ذلك تنالهم الرحمة قوله عز وجل وهو الذى يرسل الرياح
بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا
به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات
لقوم يشكرون هذه اية اعتبار واستدلال وقرا ابو عمرو ونافع الرياح بالجمع
بشرا بضم النون والشين قال ابو حاتم وهى قراءة الحسن وابى عبد الرحمن وابى
رجاء واختلف عنهم والاعرج وابن جعفر ونافع وابو عمرو وعيسى بن عمر وابى
يحيى وابى نوفل الاعرابيين وقرا ابن كثير الريح واحدة بشرا بضمها ايضا
وقرا ابن عامر الرياح جمعا بشرا بضم النون وسكون الشين قال ابو حاتم وروى
عن الحسن وابى عبد الرحمن وابى رجاء وقتادة وابى عمرو والكسائى وحمزة
الريح واحدة نشرا بفتح النون وسكون الشين قال ابو حاتم وهى قراءة ابن مسعود
وابن عباس وزر بن حبيش وابن وثاب وابراهيم وطلحة والاعمش ومسروق بن
الاجدع وقال ابن جنى قراءة مسروق بفتح النون والشين وقرا عاصم الرياح جماعة
بشرا بالباء المضمومة والشين الساكنة وروى عنه بشرا بضم الباء والشين
وقراها ابن عباس والسلمى وابن ابى عبلة وقرا محمد بن السميفع وابن قطيب
بشرى على وزن فعلى بضم الباء وروت عن ابى يحيى وابى نوفل وقرا ابن عبد
الرحمن السلمى بشرا بفتح الباء وسكون الشين قال الزهراوى وروت هذه عن
عاصم ومن جمع الريح فى هذه الاية فهو اسعد وذلك ان الرياح حيث وقعت
فى القران فهى مقترنة بالرحمة كقوله تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
وقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا

واكثر ذكر الريح مفرد انما هو بقرينة عذاب كقوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم
الريح العقيم وقوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية وقوله بل هو ما استعجلتم به ريح
فيها عذاب اليم يجي هذا المنحى يحيى بن نعمر وابو عمرو بن العلاء وعاصم وفي الحديث ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا هبت الريح يقول اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا قال ابو محمد والمعنى في هذا كله بين وذلك ان ريح السقيا والمطر
انما هي منتشرة لينة تجي من ها هنا ومن ها هنا ويتفرق فيحسن من حيث هو
منفصل الاجزاء متغايرة اطيب يسيرا ان يقال لها رياح ويوصف الكثرة
وريح الصر والعذاب عاصفة صرصر جسد واحد شديد المر مهلكة بقوتها
وبما يحمله احيانا من الصر المحرق فيحسن من حيث هي شديدة الانفعال ان تسمى ريحا
مفردة ولذلك افردت الريح في قوله تعالى وجرين بهم بريح طيبة من حيث جرى
السفن انما هي بريح متصلة كانها شي واحد فافردت لذلك ووصفت بالطيب
ازالة للاشتراك بينها وبين الريح المكروهة ولذلك ريح سليمان انما كانت
تجري بامره او يعصف في قوله فهي متصلة وبعد فمن قرا في هذه الاية الريح بالافراد
فانما يريد به اسم الجنس وايضا فتقييدها بنشرا يزيل الاشتراك والارسال
في الريح هو بمعنى الاجرا والاطلاق والاسالة ومنه الحديث لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة والريح يجمع في القليل ارواح وفي الكثير
رياح لان العين من الريح اذا انقلبت في الواحد بالكسر الذي قبلها وكذلك في الجمع
الكثير وصحت في القليل لانه لا شي فيه يوجب الاعلال واما نشرا بضم النون
والشين فيحتمل ان يكون ناشر على النسب اي ذات نشر من الطي او نشور من الحيوة
ويحتمل نشرا ان يكون جمع نشور بفتح النون وضم الشين كرسول ورسل وصبور
وصبر وشكور وشكر ويحتمل ان يكون نشور كالمفعول بمعنى منشور كركوب بمعنى
مركوب ويحتمل ان يكون من ابنية اسم الفاعل لانها تنشر السحاب واما مثال
الاول في قولنا ناشر ونشر وشاهد وشهد ونازل ونزل كما قال الشاعر
او تنزلون فانا معشر نزل وقاتل وقتل ومنه قول الاعشى انا لامثالكم يا قومنا
قتل واما من والنشر ابضم النون وسكون الشين فانما خففت الشين من قوله
نشرا واما من والنشر بفتح النون وسكون الشين فهو مصدر في موضع الحال
من الريح ويحتمل في المعنى ان يراد به من النشر الذي هو خلاف الطي كان بقا الريح
دون هبوب طي ويحتمل ان يكون من النشر الذي هو الاحيا كما قال الاعشى
يا عجبا للميت الناشر واما من والنشر بفتح النون والشين وهي قراة شاذة فهو
اسم وهو على النسب قال ابو الفتح اي ذوات نشر والنشر ان ينتشر الغنم بالليل
فترعا فشبه السحاب في انتشاره وعمومه بذلك واما بشرا بضم البا والشين
فجمع بشير كنذير ونذر وبشرا بسكون الشين مخفف منه وبشرا بفتح البا
وسكون الشين مصدر وبشرى مصدر ايضا في موضع الحال والرحمة في هذه
الاية المطر وبين يدي اي امام رحمته وقدامها وهي هنا استعارة وهي حقيقة
فيما بين يدي الانسان من الاجرام واقلت معناه رفعت من الارض واستقلت
بها ومنه القلة وكان المقل يرد ما رجح قليلا اذا قدر عليه وثقالا معناه
من الماء والعرب يصف السحاب بالثقل والريح ومنه قول قيس بن الخطيم
باحسن منها ولا مزنة دلوح تكشف ادجانها والريح تسوق السحاب من وراها
فهو سوق حقيقة والضمير في سقناه عايد على السحاب واسند الفعل الى ضمير
اسم الله تعالى من حيث هو انعام وصفة البلد بالموت استعارة بسبب شعثه
وجدوبته وتصريح نباته وقرا ابو عمرو وعاصم والاعمش لبلد ميت بسكون اليا
وشددها الباقون والضمير في قوله فانزلنا به يحتمل ان يعود على السحاب ويحتمل
ان يعود على البلد ويحتمل ان يعود على الماء وهو اظهرها وقال السدي في تفسير
هذه الاية ان الله تعالى يرسل الريح فياتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السما
والارض حيث يلتقيان فيخرجه من ثم ثم تنشره فيبسطه في السماء ثم يفتح ابواب
السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد قال ابو محمد وهذا التفصيل
لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كذلك يخرج الموتى يحتمل

مقصدين

مقصدين احدهما ان يراد بهذه القدرة العظيمة في انزال الماء واخراج الثمرات
من الارض الجدبة القدرة على احياء الموتى من الاجداث وهذه مثالها
ويحتمل ان يراد ان هكذا يصنع بالاموات من نزول المطر عليهم حتى يحيوا به
فيكون الكلام مخبرا لا تمثيلا وهذا التاويل انما يستند الى الحديث الذي ذكره
الطبري عن ابي هريرة ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر عليهم
من ماء تحت العرش يقال له ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع
فاذا كملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم تلقا عليهم نومة فينامون
فاذا نفخ في الصور الثانية قاموا وهم يجدون طعم النوم فيقولون
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون قوله تعالى والبلد الطيب الاية اية متممة للمعنى الاول
في الاية قبلها معرفة بعادة الله في انبات الارضين فمن اراد ان يجعلها
مثالا لقلب المومن وقلب الكافر فذلك مترتب لكن الفاظ الاية لا تقتضي
ان المثال قصد بذلك والتمثيل بذلك حكاه الطبري عن ابن عباس ومجاهد
وقتادة والسدي وقال النحاس هو مثال للفهم والبلد الطيب هو الجيد
التراب والكريم الارض وخص باذن ربه مدحا وتشريفا وهذا كما يقول
لمن تغض منه انت كما شاء الله فهي عبارة تعطي مبالغة في مدح او ذم
ومن هذا قوله تعالى فله ما سلف وامره الى الله على بعض التاويلات و
والخبيث هو السباخ ونحوها من ردي الارض وقرا ابن ابي عبلة وابو
حيوة وعيسى بن عمر يخرج نباته بضم اليا وكسر الراء ونصب التاء
والبلد العسير القليل ومنه قول الشاعر لا تنجز الوعد ان وعدت وان
اعطيت اعطيت تافها نكدا ونكد الرجل اذا سيل الحافا واجل ومنه
قول الشاعر واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد وقرا جمهور
الناس وجميع السبعة نكدا بفتح النون وكسر الكاف وقرا طلحة بن مصرف
نكدا بفتح النون وتخفيف وقرا ابو جعفر بن القعقاع نكدا بفتح النون والكاف
وقال الزجاج وهي قراة اهل المدينة كذلك نصرف الايات اي هكذا نبين
الامور ونتشكرون معناه يومنون ويثنون بالا الله
قوله عز وجل
لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال
مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اللام لام القسم
قال الطبري اقسم الله تعالى انه ارسل نوحا وقالت فرقة من المفسرين سمي
نوحا لانه كان ينوح على نفسه قال ابو محمد وهذا ضعيف قال سيبويه نوح
وهود ولوط اسماء اعجمية الا انها خفيفة فلذلك صرفت وهذه نذارة
من نوح لقومه دعاهم الى عبادة الله وحده ورفض الهتهم المسماة ودا
وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وغيرها مما لم ينته وقرا الكسائي وحده غيره
بالكسر ردا على النعت للاله وهي قراة يحيى بن وثاب والاعمش وابي جعفر
وقرا الباقون غيره بالرفع وقرا حمزة والكسائي هل من خالق غير الله خفضا
وقرا الباقون غيره رفعا والرفع في قراة الجماعة هنا على البدل من قوله من
اله لان موضع قوله من اله رفع وهو الذي رجح الفارسي ويجوز ان يكون نعتا
على الموضع لان التقدير ما لكم اله غيره وتقدر غير بالا فتعرب باعراب ما يقع
بعد الا وقرا عيسى بن عمر غيره بالنصب على الاستثناء قال ابو حاتم وذلك ضعيف
من اجل النفي المتقدم قوله عذاب يوم يحتمل ان يريد به عذاب الدنيا ويحتمل
ان يريد به عذاب الاخرة والملا الجماعة الشريفة قال الطبري الاشراف فيهم
وحكاه النقاش عن ثعلب في الملا والرهط والنفر والقوم وقيل انهم ماخوذ
ماخوذون من انهم يملؤن النفس والعين ويحتمل ان يكون من انهم اذا تمالوا
على امر تم وقال سلمة بن سلامة بن وقش الانصاري عند قفول النبي صلى الله
عليه وسلم من غزوة بدر انما قتلنا عجايز صلعا فقال له رسول الله صلى الله

عليه وسلم اولئك الملاء من قريش لو حضرت انفا لهم لاحتقرت فعلك والملاء صفة
غالبة وجمعه املاء وليس من باب رهط وان كان اسمين للجمع لان رهط لا واحد له
من لفظه وملاء يوخذ من لفظة من مالى قال احمد بن يحيى المالى الرجل الجليل الذى
يملاء العين بجهرته فيجئ لعازب وخادم ورايح فان اسماء جموعها عزب وخدم
وروح وان كانت اللفظة من لمالى القوم على كذا فهى ايضا مفارقة باب رهط
ومنه قول على رضى الله عنه ما قتلت عثمان ولا مالات فى دمه وقرا ابن عباس
الملو بواو وكذلك هى فى مصاحف الشام وقولهم لنراك يحتمل ان يجعل من
روية البصر ويحتمل ان يجعل من روية القلب وهو الاظهر وفى ضلال اى فى
اتلاف وجهالة بما تسلك وقوله لهم جوابا عن هذه ليس بى ضلالة مبالغة
فى حسن الادب والاعراض عن الجفا منهم وتناول رفق وسعة صدر
حسب ما يقتضيه خلق النبوة قوله ولكنى رسول يعرض لمن يريد النظر والبحث
والتامل فى المعجزة قال ابو محمد ويقدر ولا بد ان نوحا وكل نبى مبعوث الى الخلق
صلوات الله وسلامه على جميعهم كانت لهم معجزة تخرق العادة فمنهم من عرفنا
معجزته ومنهم من يعرف وقرا السبعة سوا ابى عمرو ابلغكم بتشديد اللام وفتح
الباء وقرا ابو عمرو وحده ابلغكم بسكون الباء وتخفيف اللام وقوله واعلم من الله
ما لا تعلمون وان كان لفظا عاما فى كل ما علمه فالمقصود منه هنا المعلومات
المخوفات عليهم لا سيما وهم لم يسمعوا قط بامة عذبت فاللفظ مضمن الوعيد
قوله عز وجل او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا
ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين هذه الف استفهام دخلت على واو
العاطفة والاستفهام هنا بمعنى التقرير والتوبيخ وعجبتم الذين وقع انما
كان على جهة الاستبعاد والاستحالة هذا هو الظاهر من قصتهم قوله على قيل
هو بمعنى مع وقيل هو على حذف مضاف تقديره على لسان رجل منكم قال ابو محمد
ويحتمل ان يكون المجئ بنفسه فى هذا الموضع يصل بعلى اذ كل ما ياتى من الله تعالى
فله حكم النزول فكان جاءكم معناه نزل نحن معه ان يقال على رجل واللام فى
لينذركم لام كى قوله ولعلكم ترحمون ترج بحسب حال نوح ومعتقده لان هذا الخبر
انما هو من تلقاء نوح قوله فكذبوه الاية اخبر الله تعالى انهم بعد تلطفه بهم
كذبوه فانجاه الله والمومنين به فى السفينة وهى الفلك والفلك لفظ واحد
للجمع والمفرد وليس على حد جنب ونحوه لكن فلك للواحد كثير على فلك للجمع مضمة
الفاء للواحد ليست هى فى الجميع وفعل بناء تكسير مثل سد واسد ويدل على
ذلك قولهم فى التثنية فلكان وفى التفسير ان الذين كانوا مع نوح فى السفينة
قيل ثمانون وقيل عشرة فيهم اولاده يافث وسام وحام وفى كثير من كتب الحديث
الترمذى وغيره ان جميع الخلق الان من ذرية نوح عليه السلام وقاله الزهراوى
فى كتاب النقاش وفى القران ذرية من حملنا مع نوح قال ابو محمد فيحتمل ان
يكون سائر العشرة او الاربعين حسب الخلاف حفدة لنوح ومن ذريته
فيجمع الحديث والاية ويحتمل ان يكون من كان فى السفينة غير بنيه لم ينسل وقد
روى ذلك والا فكان بين الحديث والاية تعارض وقوله كذبوا باياتنا
يقتضى ان نوحا كانت له ايات ومعجزات قوله عمين وزنه فعلين وهو
وزن عم وزنه فعل يريد عمى البصائر وروى عن ابن عباس ان نوحا
بعث ابن اربعين سنة قال ابن الكلبى بعد ادم بثمان مائة سنة
وجاء بتحريم البنات والاخوات والامهات والخالات والعمات
وقال وهب بن منبه بعث نوح وهو ابن اربع مائة سنة وقيل بعث
ابن ثلث مائة سنة وقيل ابن خمسين سنة وروى انه عمر بعد الغرق
ستين سنة وروى ان الطوفان كان سنة الف وست مائة من عمره
صلى الله عليه وسلم واتانا فى حديث الشفاعة وغيره ان نوحا اول نبى
بعث الى الناس واتانا ايضا ان ادريس قبل نوح ومن اباته وذلك يجمع
بان يكون بعثة نوح مشتهرة لاصلاح الناس وحملهم بالعذاب والاهلاك

على الايمان

على الايمان فالمراد انه اول نبى بعث على هذه الصفة **قوله عز وجل** والى عاد اخاهم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملاء الذين
كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بى
سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح
امين عاد اسم الحى واخاهم نصب بارسلنا فهو معطوف على نوح وهذه ايضا
نذارة من هود عليه السلام لقومه وتقدم الخلاف فى قراءة غيره قوله افلا
تتقون استعطاف الى التقى والايمان قوله قال الملاء الاية تقدم القول فى مثل
هذه المقالة انفا والسفاهة مصدر عبر به عن الحال المطلطلة الرقيقة التى لا اثبات
لها ولا جودة والسفه فى الثوب خفة نسجه ومنه قول الشاعر مشين كما اهتزت
رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وقولهم لنظنك هو ظن على بابه لانهم
لم يكن عندهم الا ظنون وتخرص وتقدم الخلاف فى قراءة ابلغكم قوله امين يحتمل
ان يريد على الوحى والذكر النازل من قبل الله عز وجل ويحتمل ان يريد انه
امين عليهم وعلى غيبهم وعلى ارادة الخير لهم والعرب يقول لفلان الفلان
ناصح الجيب امين الغيب ويحتمل ان يريد به امين مما لهم من اى خوفهم ذات امن
لكم من الكذب والغش **قوله عز وجل** او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة
فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قد تقدم القول فى مثل قوله
او عجبتم والذكر لفظ عام للمواعظ والاوامر والنواهى قوله واذكروا الاية تعديد
النعم عليهم وخلفاء جمع خليف كظريف وظرفاء وخليفة جمع خلايف و
العرب يقول خليفة وخلايف وانشد ابو على فانزل زايل توحد خليفة
وما خليف اى وهب بموجود قال السدى وابن اسحق المعنى جعلكم سكان
الارض بعد قوم نوح قوله وزادكم فى الخلق بسطة اى فى خلقه والبسطة
الكمال فى الطول والعرض وقيل زادكم على اهل عصركم قال الطبرى المعنى
زادكم على قوم نوح وقاله قتادة قال ابو محمد واللفظ يقتضى ان الزيادة
هى جميع العالم وهو الذى يقتضى ما يذكر عنهم وروى ان طول الرجل منهم
كان مائة ذراع وطول اقصرهم ستون ونحو هذا والالاء جمع الى على مثل
معى وانشد الزجاج ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى
وقيل واحد الالاء الى على مثال قفا وقيل واحدها الى على مثال حسى وهى النعم
والمنة وتفلحون معناه تدركون البغية والامال قال الطبرى وعاد هؤلاء
فيما حدث ابن اسحق من ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت
مساكنهم الشحر من ارض اليمن وما والى حضرموت الى عمان قال السدى
وكانوا بالاحقاف وهى الرمال وكانت بلادهم اخصب بلاد فردها الله
صحارى وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان قبر هود صلى الله عليه وسلم
هنالك فى كثيب احمر تخالطه مدرة ذات اراك وسدر وكانوا قد فشوا فى جميع
الارض وملكوا كثيرا بقوتهم وعددهم وظلموا الناس وكانوا ثلثة عشر
قبيلة وكانوا اصحاب اوثان منها ما يسمى صدا ومنها صمود ومنها الهنا
فبعث الله هودا اليهم من افضلهم واوسطهم نسبا فدعاهم الى توحيد الله
سبحانه والى ترك الظلم قال ابن اسحق لم يامرهم فيما يذكر بغير ذلك فكذبوه و
عتوا واستمر ذلك بينهم الى ان اراد الله انفاذ وعيده امسك عنهم المطر
ثلث سنين فشقوا بذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا دهمهم امر فزعوا
الى المسجد الحرام بمكة فدعوا الله فيه تعظيما له مومنهم وكافرهم واهل مكة
يومئذ العماليق وسيدهم رجل يسمى معوية بن بكر فاجتمعت عاد على ان تجهز
منهم وفدا الى مكة يستسقون الله لهم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال
وعثيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان هذا مومنا يكتم
ايمانه وجلهمة بن الخيبرى فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا
على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واقاموا عنده

مهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتا معاوية ولما راى معاوية اقامتهم
وقد بعثتهم عاد للغوث اشفق على عاد وكان ابن اختهم امه كلهدة بنت
الخيبرى اخت جلهمه وقال هكذا خوالى وشق عليه ان يامر اضيافه بالانصراف
فشكا ذلك الى قينته فقالت له اصنع شعرا نغنى به عسى ان تنبههم فقال الا يا
قيل ويحك قم فهينهم لعل الله يصحينا غماما فتسقى ارض عاد ان عاداً
قد امسوا لا يبينون الكلاما من العطش الشديد فليس نرجو به الشيخ الكبير
ولا الغلاما وقد كانت نساؤهم بخير فقد امست نساؤهم عياما وان الوحش
ياتيهم جهاراً ولا تخشى لعادى سهاما وانتم هاهنا فيما
اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية
والسلاما فغنت به الجرادتان فلما سمعه القوم قال بعضهم يا قوم انما بعثكم
قومكم لما حل بهم فادخلوا هذا الحرم وادعوا لعل الله يغيثكم فخرجوا لذلك
فقال لهم مرثد بن سعد انكم والله ما تسقون بدعائكم ولكنكم ان اطعتم
نبيكم وامنتم به سقيتم واظهر يومئذ ايمانه فخالفه الوفد وقالوا لمعاوية بن
وابيه بكر احبسا عنا مرثدا ولا يدخل معنا الحرم فانه قد اتبع هودا ومضوا
الى مكة فاستسقى قيل بن عتر وقال يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا
فانا قد هلكنا فانشا الله سحائب ثلثاً بيضا وحمراً وسودا ثم ناداهم
مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحاب فقال قيل قد
اخترت السوداء فانها اكثرها ماءً فنودى اخترت رمادا رمددا لا تبقى من عاد
احدا لا والدا ولا ولداً الا جعلتهم همدا وساق الله السحابة السوداء التى اختارها
قيل الى عاد حتى خرجت عليهم من وادٍ لهم يقال له المغيث فلما راوها قالوا هذا
عارض ممطرنا حتى عرفت انها ريح امراة من عاد يقال لها مهدد فصاحت وصعقت
فلما افاقت قيل لها ما رايت قالت رايت ريحا كشهب النار الحرقة امامها رجال
يقودونها فسخرها الله عليهم ثمانية ايام حسوما وسبع ليال والحسوم الدائمة
فلم تدع من عاد احدا الا اهلكت فاعتزل هود عليه السلام ومن معه من المومنين
فى حظيرة ما نصيبه من الريح الا ما يلتذ به قال ابو محمد وهذا قصص وقع فى
تفسير الطبرى مطولاً وفيه اختلاف فاقتضت عيون ذلك بحسب الايجاز وفى
خبرهم ان الريح كانت تدمغهم بالحجارة وترفع الظعينة عليها المراة حتى تلقيها
فى البحر وفى خبرهم ان اقوياءهم كان يسد بنفسه مهب الريح حتى تغلبه فتلقيه فى
البحر فيقوم اخر مكانه حتى تهلك الجميع وقال زيد ابن اسلم بلغنى ان ظبعا
رئت اولادها فى حجاج عين رجل منهم وفى خبرهم ان الله سبحانه بعث لما
هلكت عاد طيرا وقيل اسدا فنقلت جيفهم حتى طرحها فى البحر فذلك قوله
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وفى بعض ما روى من شانهم ان الريح لم تبعث
قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فذلك قوله اهلكوا
بريح صرصر عاتية وروى ان هودا عليه السلام لما هلكت عاد نزل بمن معه
الى مكة فكانوا بها حتى ماتوا فالله اعلم اى ذلك كان قوله قالوا اجئتنا الاية
ظاهر قولهم وحده انهم انكروا ان يتركوا اصنامهم ويفردون العبادة لله
مع اقرارهم بالاله الخالق المبتدع ويحتمل ان يكونوا منكرين لله ويكون قولهم
نعبد الله وحده اى على قولك يا هود ودعواك والتاويل الاول اظهر فيهم
وفى عبادة الاوثان كلهم ولا يجحد ربوبية الله تعالى من الكفرة الا من
افرطت غباوته كاربد بن ربيعة او الا من دعاها لنفسه كفرعون ونمرود
وقولهم فاتنا يقتضيهم على التكذيب واصغاءهم الامر النبوة واستعجال
العقوبة وتمكن قولهم تعدنا لما كان هذه الوعد مصرحا به فى الشر
ولو كانت ذكر الوعد مطلقا لم يجئ الا فى الخير قوله عز وجل قال قد وقع
عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم
واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين
فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما
كانوا مومنين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله

غيره

غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله
ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم اعلمهم بان القضاء قد نفذ وحل عليهم الرجس
وهو السخط والعذاب يقال رجس ورجز بمعنى واحد قاله ابو عمرو بن العلاء وقال الكسائى
اذا اسنة كانت بنحو محيط فكان عليهم رجسها وعذابها وقد ياتى الرجس
ايضا بمعنى النتن والقذر فيقال فى الرجيع رجس وركس وهذا الرجس هو مستعار
للمحرمات اى ينبغى ان تجتنب كما تجتنب النتن ونحو فى المعنى قول النبى صلى الله
عليه وسلم فى خبر جهجاه الغفارى وسنان بن وبرة الانصارى حين دعوا
بدعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة وقوله تعالى اتجادلوننى الاية يريد انهم
يخاصمونه فى ان تسميتها الهة فالجدل انما وقع فى التسميات لا فى المسميات لكنه ورد
فى القران ما تعبدون من دونه الا اسماء الاية فهنا لا يريد الا ذوات الاصنام
فالاسم هنا يراد به المسمى نفسه قال ابو محمد ومن راى ان الجدل فى هذه الاية
انما وقع فى انفس الاصنام وعبادتها تاول هذا التاويل والاسم قد
يرد فى كلام العرب بمعنى التسمية وهذا بابه الذى يستعمل به النحويين وقد
يراد به المسمى ويدل عليه ما قارنه من القول من ذلك قوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى وقوله تبارك اسم ربك على ان هذا يتاول ومنه
قول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما على تاويلات فى البيت وقد مضت
المسئلة فى صدر الكتاب والسلطان البرهان قوله فانتظروا الاية اية وعد
اية وعيد وتهديد والضمير فى قوله انجيناه عائد على هود اى اخرجه الله
سالما ناجيا مع من اتبعه من المومنين برحمة الله وفضله وخرج هود
ومن امن معه حتى نزلوا مكة فاقاموا بها حتى ماتوا وقطعنا دابر الذين
كذبوا باياتنا استعارة تستعمل فيمن تفاصل بالهلاك والدابر الذى
يدبر القوم وياتى من خلفهم فاذا انتهى القطع والاستيصال الى ذلك
فلم يبق احد قوله كذبوا باياتنا دال على المعجزة وان لم يتعين لنا قوله والى
ثمود الاية هو ثمود بن غاثر بن ارم بن سام بن نوح الخوجد ليس بن غاثر
وقرا يحيى بن وثاب والى ثمود بكسر الدال وتنوينه فى جميع القران وصرفه
على اسم الحى وترك صرفه على اسم القبيلة قاله الزجاج وقال الله تعالى الا ان
ثمودا كفروا ربهم المعنى وارسلنا الى ثمود اخاهم فهو عطف على نوح
والاخوة هنا اخوة القرابة وقال الزجاج يحتمل ان يكون اخوة الادمية
وسمى اخاهم لما بعث اليهم وهم قوم عرب وهود وصالح عربيان
وكذلك اسمعيل وشعيب صلوات الله وسلامه على جميعهم
كذا قال الناس وفى امر اسمعيل عليه السلام نظر وصالح عليه
السلام هو صالح بن عبيد بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح كذا قال
مكى وقال وهب بعثه الله حين راهق الحلم ولما هلك قومه ارتحل بمن
معه الى مكة فاقاموا بها حتى ماتوا فقبورهم بين دار الندوة والحجر
قوله بينة صفة حذف الموصوف واقيمت مقامه قال سيبويه
وذلك قبيح فى النكرة ان تحذف وتقام صفتها مقامها لكن اذا
كانت الصفة كثيرة الاستعمال لشبهه وهى المقصود فى الاخبار
والاهم زال القبح كما يقولون جاءنى عبد لبنى فلان وان يريد رجل جاءنى
رجل عبد لان عبد اصح فكذلك قوله هنا بينة المعنى اية او حجة
او موعظة بينة وقال بعض الناس ان صالحا جاء بالناقة من تلقاء
نفسه وقالت فرقة وهى الجمهور بل كانت مقترحة قال ابو محمد و
هذا اليق بما ورد فى الاثار من امرهم وروى ان بعضهم قال
يا صالح ان كنت صادقا فادع ربك ان يخرج لنا من هذه الهضبة
وفى بعض الروايات من هذه الصخرة لصخرة بالحجر يقال لها الكاثبة
ناقة عشراء فدعا الله فتمخضت تلك الهضبة وتنفضت وانشقت
عن ناقة عظيمة وروى انها كانت حاملا فولدت سقبها المشهور
وروى انه خرج معها فصيلها من الصخرة وروى ان جملا من جمال

ثمود صربها فولدت فصيلها المشهور وقيل ناقة الله تشريفا لها وتخصيصا
وهي اضافة خلق الى خالق وقال الزجاج وقيل انه اخذ ناقة من سائر النوق
وجعل الله لها شربا يوما ولهم شرب يوم وكانت الاية في شربها
وحلبها قال ابو محمد وحكى النقاش عن الحسن انه قال هي ناقة اعترضها
من ابلهم ولم يكن تحلب والذي عليه الناس اقوا واصح من هذا قال المفسرون
وكانت خلقا عظيما ياتي الى الما بين جبلين فيزحمهما من العظم وقاسمت ثمود
في الما يوما بيوم فكانت ترد يومها فيستوفي ما بيرهم شربا ويحلبونها ما
شاوا من لبن ثم تمكث يوما وترد بعد ذلك غبا فاستمر ذلك ما شاء الله
حتى ملتها ثمود وقالت ما يصنع باللبن الما احب الينا منه وكان سبب الملل
فيما روى انها كانت تصيف في بطن الوادي وادي الحجر وتشتو في ظاهره
فكانت مواشيهم تفر منها فتصيف في ظهر الوادي للقيظ وتشتو في
باطنه للزمهرير فسدت لذلك فمالوا على ملل الناقة فقال لهم صالح مرة ان
هذا الشهر يولد فيه مولود يكون هلاككم على يديه فولد لعشرة نفر فذبح
التسعة اولادهم وبقي العاشر وهو سالف ابو قدار ونشا قدار احمر ازرق
فكان التسعة اذا راوه قالوا لو عاش بنونا كانوا مثل هذا فاحفظهم ان
قتلوا اولادهم بكلام صالح فاجمعوا على قتله فخرجوا وكمنوا في غار
ليبيتوه منه وتقاسموا لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك
اهله فسقط الغار عليهم فماتوا فهم الرهط التسعة الذين ذكر الله في كتابه
وروى ان التسعة الرهط الذين ذكر الله في كتابه قدار بن سالف ومصدع
بن مهرج ضما الى انفسهما سبعة نفر وعزموا على عقر الناقة وروى ان السبب
في ذلك ان امراتين من ثمود من اعدا صالح جعلتا لقدار ومصدع انفسهما
واموالهما على ان يعقرا الناقة وكانتا من اهل الجمال وقيل ان قدار شرب
الخمر مع قوم فطلبوا ما يمزجون به الخمر فلم يجدوه لشرب الناقة فعزموا على عقرها
حينئذ فخرجوا وجلسوا على طريقها وكمن لها قدار خلف صخر فلما دنت منه رماها
بالحربة ثم سقطت فنحرها ثم اتبعوا الفصيل فهرب منهم حتى علا على ربوة
ودعا ثلاث مرات واستغاث فلحقوه وعقروه ومن بعض الروايات انهم
وجدوا الفصيل على راسه من الارض فارادوه فارتفعت به حتى حلقت به
في السما فلم يقدروا عليه ودعا الفصيل مستغيثا الى الله فاوحى الله الى صالح
ان مرهم فليتمتعوا في دارهم ثلاثة ايام وحكى النقاش عن الحسن انه قال ان الله
سبحانه انطق الفصيل فنادى اين امي فقال لهم صالح ان العذاب واقع بكم في اليوم
الرابع من عقر الناقة وروى انه عقرت يوم الاربعا وقال لهم صالح تحمر وجوهكم
غدا وتصفر في الثاني وتسود في الثالث ونزل العذاب في الرابع يوم الاحد
فلما ظهرت العلامات التي قال لهم استيقنوا واستعدوا ولطخوا ابدانهم بالمر
وحفروا القبور وتحنطوا فاخذتهم الصيحة وخرج صالح ومن امن معه حتى
نزل رملة فلسطين قال ابو محمد وهذا القصص فتضمنه كثيرا ورده الطبري
وغيره الايجاز وقال ابو موسى الاشعري اتيت بلاد ثمود فذرعت مصدر
الناقة فوجدته ستين ذراعا قال ابو محمد وبلاد ثمود هي بين الشام والمدينة
وهي التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين في غزوة
تبوك فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم اعتجر بعمامته واسرع السير صلى الله
عليه وسلم وروى ان المسافة التي اهلكت الصيحة اهلها هي ثمانية عشر
ميلا وهي بلاد الحجر ومن ابعاها الجناب وحسما الى وادي القرى وما حوله و
قيل في قدار انه ولد زنا من رجل يقال له ضيان ولد على فراش سالف فنسب اليه
ذكره قتادة وغيره وذكر الطبري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبر
فقال اتعرفون ما هذا فقالوا لا قال هذا قبر ابي رغال الذي هو ابو ثقيف
كان من ثمود فاصاب قومه البلا وهو بالحرم فسلم فلما خرج من الحرم اصابه ما
اصابهم فدفن هنا وجعل معه غصن من ذهب فابتدر القوم باسيافهم

فحفروا

فحفروا حتى اخرجوا الغصن قال ابو محمد وهذا الخبر يرد ما في السير من ان ابا رغال
هو دليل الفيل وحبشته الى مكة والله اعلم قوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبواكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال
بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملا الذين استكبروا
من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوا انا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون
بواكم معناه مكنكم وهي مستعملة في المكان وظروفه يقول تبوا فلان منزلا حسنا
ومنه قوله تعالى تبوئ المومنين مقاعد للقتال وقال الاعشى فما بوا الرحمن بيتك
منزلا الا بشرقي اجياد الصفا والمحرم والقصور جمع قصر وهي الدور التي قصرت
على بقاع من الارض مخصوصة بخلاف بيوت العمود وقصرت عن الناس قصرا تاما
والنحت النجر والقشر في الشي الصلب كالحجر والعود ونحوه قال الحسن ابن ابي الحسن
تنحتون بفتح الحا وقرا جمهور الناس بكسرها وبالتا من فوق وقرا ابن مصرف
بالياء من اسفل وكسر الحا وقرا ابو مالك بالياء من اسفل وفتح الحا وكانوا ينحتون
الجبال لطول اعمارهم وتعثوا معناه تفسدوا يقال عثا يعثي وعثا يعثوا وعثي
يعثى كنسي ينسى وعليها لفظ الاية وقرا الاعمش تعثوا بكسر التا ومفسدين
حال وتقدم القول في الملا وقرا ابن عامر وحده في هذا الموضع وقال الملا بواو
عاطفة وهي محذوفة عند الجميع والذين استكبروا هم الاشراف والعظما الكفرة
واستكبروا يحتمل ان يكون معناه طلبوا هيئة لنفوسهم من الكبر ويكون بمعنى
كبروا واكثروا المال والجاه وعظمهم فيكون على هذا كبر واستكبر بمعنى عجب
واستعجب والاول هو باب استفعل كاستوقد واسترفد والذين استضعفوا
هم العامة والاغفال في الدنيا وهم اتباع الرسل وقولهم اتعلمون استفهام
على معنى الاستهزاء والاستخفاف فاجاب المومنون بالتصديق والصرامة
في دين الله فحملت الانفة الاشراف على مناقضة المومنين في مقالتهم
واستمروا على كفرهم قوله عز وجل فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة
فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين قوله فعقروا يقتضي
تشريكهم اجمعين في الضمير ان عقر الناقة كان على ايدي بعضهم و
اصفاق وكذلك روي ان قدارا لم يعقرها حتى كان يستشير الرجال
والنسا والصبيان فلما اجمعوا تعاطى فعقر وعتوا معناه خشنوا
وصلبوا ولم يذعنوا للامر والشرع وصمموا على تكذيبه واستعجلوا
النقمة بقولهم ائتنا بما تعدنا وحسن الوعد في هذا الموضع لما تقيد بانه
في عذاب قال ابو حاتم قرا عيسى وعاصم ايتنا بهمز واشباع ضم وقرا
بتخفيف الهمزة كانها يا في اللفظ ابو عمرو والاعمش والرجفة ما تؤثره
الصيحة او الطامة التي يرجف بها الانسان وهو ان يتزعزع ويتحرك
ويضطرب غير تعد ومنه قول خديجة رضي الله عنها فرجع بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرجف فواده ومنه قول الاخطل اما تريني حناني الشيب
من كبر كالنسر ارجف والانسان مهدود ومنه ارجاف النفوس بكثرة
الاخبار اي تحريكها وروي ان صيحة ثمود كان فيها من صوت كل شي هائل
الصوت وكانت مفرطة شققت قلوبهم فجثوا على صدورهم والجاثم
اللاطي بالارض على صدره مع قبض ساقيه كما يرقد الارنب والطير فانهم
حقروها على وجوهها ومنه قول جرير عرفت المنتاى وعرفت منها
مطايا القدر كالحدا الجثوم وقال بعض المفسرين معناه حمما محترقين
كالرماد الجاثم قال ابو محمد وحيث وجد الرماد الجاثم في شعر فانما هي
مستعار لهيئة الرماد قبل همود او تفرقة وذهب صاحب هذا القول
الى ان الصيحة اقترن بها صواعق محرقة واخبر الله تعالى بفعل صالح في
توليه عنهم في وقت عقرهم الناقة وقولهم ايتنا بما تعدنا وذلك قبل نزول

العذاب وكذلك روى انه صلى الله عليه وسلم خرج من بين اظهرهم قبل نزول العذاب
وهو الذى يقتضيه مخاطبته لهم واما لفظ الاية فيحتمل ان خاطبهم وهم موتى على جهة
التفجع عليهم وذكر حالهم او غير ذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اهل قليب بدر قال الطبرى وقيل لم يهلك امة ونبيها معها وروى انه ارتحل
بمن معه حتى جاء مكة فاقام بها حتى مات ولفظ التولى يقتضى الياس من خيرهم
واليقين فى اهلاكهم قوله لا تحبون الناصحين عبارة عن تغليبهم الشهوات
على الرأى اذ كلام الناصح صعب مضاد لشهوة نفس الذى ينصح ولذلك يقول
العرب امر مبكياتك لا امر مضحكاتك قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم
مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين لوطا عليه السلام نبى بعثه الله تعالى الى امة
تسمى سدوم وروى انه ابن اخى ابراهيم عليه السلام ونصبه اما بارسلنا المتقدم
فى الانبياء واما بفعل مضمر تقديره واذكر لوطا واستفهامه لهم هو على جهة التوقيف
والتوبيخ والتشنيع والفاحشة هنا اتيان الرجال فى الادبار وروى انهم لم يكن هذه
المعصية فى امة قبلهم قال ابو محمد وان كان لفظ الاية يقتضى هذا فقد كانت الاية
يحتمل ان يراد بها ما سبقكم احد الى لزومها وتشهيرها وروى انهم كانوا
ياتى بعضهم بعضا وروى انهم انما كانوا ياتون الغرباء قاله الحسن البصرى قال عمرو
ابن دينار ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط وحكى النقاش ان ابليس كان اصل
عملهم بان دعاهم الى نفسه وقال بعض العلماء عامل اللواط كالزانى وقال مالك
يرجم احصن او لم يحصن وحرق ابو بكر الصديق رضى الله عنه رجلا وسمى الفجاءة
حين عمل عمل قوم لوط وقرا نافع والكسائى وحفص عن عاصم انكم على الخبر كانه فسر
الفاحشة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابى بكر وحمزة ائنكم باستفهام
اخر وهذا لان الاول استفهام عن امر مجمل والثانى عن مفسر الا ان حمزة وعاصم
قرا بهمزتين ولم يهمز ابو عمرو وابن كثير الا واحدة وشهوة نصب على المصدر
من قولك شهيت الشىء اشهاه والمعنى تدعون الغرض المقصود بالوطء وهو ابتغاء
ما كتب الله من الولد وتفردون من الشهوة فقط قوله بل انتم اضراب عن
عن الاخبار عنهم او تقريرهم على المعصية وترك لذلك الا ان الحكم عليهم
بانهم قوم تجاوزوا الحد وارتكبوا الخطر والاسراف الزيادة المفسدة وقرا
الجمهور جواب بالنصب وقرا الحسن ابن ابى الحسن جواب بالرفع ولم يكن مراجعة
قومه باحتجاج منهم ولا بمدافعة عقلية وانما كانت بكفر وصرامة وخذ
لان بحث فى قولهم اخرجوهم وتعليلهم الاخراج بتطهر المخرجين والضمير عائد على
لوط واهله وان كان لم يجر لهم ذكر فان المعنى يقتضيهم وروى انه لم يكن معه
غير امته وعلى هذا يغنى فى الضمير هو واتباعه ويتطهرون معناه يتنزهون
عن حالنا وعادتنا قال مجاهد معناه يتطهرون عن ادبار الرجال والنساء
قال قتادة عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم والخلاف اهله حسب ما تقدم
واستثنى الله سبحانه امراة لوط من الناجين واخبر انها هلكت
والغابر الباقى هذا المشهور فى اللغة ومنه غبر الحيض كما قال ابو كبير الهذلى
ومبرا من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء معضل وغبر اللبن فى الضرع اى
بقيته فقال بعض المفسرين كانت والغابرين فى العذاب والعذاب مع الباقين
ممن لم ينج وقال ابو عبيدة معناه ذكرها الله تعالى بانها كانت ممن امن وبقى من
عصرهم الى عصر غيرهم فكانت غابرة الجان هلكت مع قومها قال ابو محمد
فكان قوله الا امراته الغابرة فى انها لم تنج ثم ابتداء وصفها بعد ذلك بصفة
لا يتعلق بها النجاة ولا الهلكة والاول اظهر وقد يجى الغابر بمعنى الماضى
وكذلك حكى اهل اللغة غبر بمعنى بقى وبمعنى مضى واما قول الاعشى
عض بما ابقى المواسى له من امه فى الزمن الغابر فالظاهر انه اراد الماضى وذلك
بالنسبة الى وقت النجاة ويحتمل ان يريد فى الزمن الباقى وذلك بالنسبة الحكم

هو غابر

هو غابر بعد الابقاء ويحتمل ان يعلق فى الزمن بعض فيكون الغابر الباقى على الاطلاق
والاول اظهر قوله وامطرنا عليهم الاية نص على امطار وتظاهرت الايات فى غير
هذه السورة انه بحجارة وروى ان الله تعالى بعث جبريل عليه الصلوة والسلام فاقتلعها
بجناحيه وهى ست مدن وقيل خمس وقيل اربع فرفعها حتى سمع اهل السماء نهاق الحمير
وصراخ الديكة ثم عكسها ورد اعلاها اسفلها وارسلها الى الارض وتبعتهم
الحجارة مع هذا فاهلكت من كان منهم فى سفر او خارجا عن الموضع المرتفع
وقالت امراة لوط لما سمعت الرجة واقوماه والتفتت فاصابتها صخرة فقتلتها
قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا
فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين قيل فى مدين انه اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة
وقيل هم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل وروى ان لوطا هو جد شعيب لامه وقال
مكى كان زوج بنت لوط ومن راى مدين اسم رجل لم يصرفه لانه معرفة اعجمى
ومن راه اسما للقبيلة او الارض فهو اجرى ان لا يصرف قوله اخاهم منصوب
بقوله ارسلنا فى اول القصص وهذا يؤيد ان لوطا به انتصب وان اللفظ
مستمر وهذه الاخوة فى القرابة وقد تقدم القول فى غيره وغيره والبينة اشارة
الى معجزته وان كنا نحن لم ينص لنا عليها وقرا الحسن ابن ابى الحسن قد جاءتكم
اية من ربكم بينة قوله فاوفوا الكيل امرهم بالاستقامة فى الاعطاء وهو بالمعنى
فى الاخذ والاعطاء وكانت هذه المعصية قد فشت فيهم فى ذلك الزمان وفحشت
مع كفرهم الذى نالتهم الرجفة بسببه وتبخسوا معناه تظلموا ومنه قولهم تحسبها
حمقاء وهى باخس اى ظالمة خادعة واشياءهم يريد اموالهم وامتعاتهم مما يكال
او يوزن قوله ولا تفسدوا لفظ عام دقيق الفساد وجليله وكذلك الاصلاح عام و
المفسرون نصوا على ان الاشارة الى الكفر بالفساد والى النبوات والشرايع بالا
بالاصلاح قوله ذلكم خير لكم اى نافع عند الله مكتسب فوزه ورضوانه بشرط الايمان
والتوحيد والا فلا يقع دون ايمان قوله ولا تقعدوا بكل صراط قال السدى هذا نهى
عن العشارين والمتقبلين ونحوه من اخذ اموال الناس بالباطل والصراط
الطريق وذلك انهم كانوا يكثرون من هذا لانه من قبيل بخسهم ونقصهم الكيل وقال
ابو هريرة هو نهى عن السلب وقطع الطريق وكان ذلك من فعلهم وروى فى ذلك
حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد وما تقدم قبل من النهى فى شان
المال فى الموازين والاكيال والبخس يؤيد هذين القولين وشبههما وفى هذا كله توعد للناس
ان لم يتركوا اموالهم وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدى ايضا قوله ولا
ولا تقعدوا نهى لهم عما كانوا يفعلونه من رد الناس عن شعيب وذلك انهم كانوا
يقعدون على الطرقات المفضية الى شعيب صلى الله عليه وسلم فيتوعدون
من اراد المجى اليه ويصدونه يقولون انه كذاب فلا تذهب اليه على نحو ما كانت
قريش يفعله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد وما بعد هذا من الفاظ
الاية يشبه هذا القول قوله وتصدون الاية المعنى وتعسون من امن وتصدونه
عن طريق الهدى وسبيل الله المفضية الى الرحمة والضمير فى به يحتمل ان يعود على اسم
الله وان يعود على شعيب فى قول من راى القعود على الطرق للرد عن شعيب وان يعود
على السبيل فى لغة من يذكر السبيل وتقدم القول فى مثل قوله تبغونها عوجا
فى صدر السورة وقال ابو عبيده والزجاج كسر العين فى المعانى وفتحها فى
الاجرام ثم عدد عليهم نعمة الله سبحانه وانه كثرهم بعد قلة عدد وقيل
اغناهم بعد فقر فالمعنى على هذا اذ كنتم قليلا وكثركم قدرتكم ثم حذرهم
ومثل لهم بما امتحن من الامم السالفة قوله عز وجل وان كان طائفة
منكم امنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا
شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال اولو كنا

كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون
لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين المعنى وان كنتم
يا قوم قد اختلفتم علي ونتبعتم بكفركم امري فامنت طائفة وكفرت
طائفة فاصبروا ايها الكفرة حتى ياتي حكم الله بيني وبينكم ففي قوله فاصبروا
قوة التهديد والوعيد هذا ظاهر الكلام وان المخاطبة بجميع الاية
للكفار وحكى منذر بن سعيد عن ابن عباس ان الخطاب بقوله فاصبروا
للمومنين على معنى الوعد لهم وقاله مقاتل بن حيان قال النقاش وقال مقاتل
ابن سليمان المعنى فاصبروا يا معشر الكفار قال ابو محمد وهذا قول الجماعة
وتقدم القول في معنى الملا ومعنى الاستكبار وقولهم لنخرجنك يا شعيب
تهديد بالنفي والقرية المدينة الجامع للناس لانها تقرت اي اجتمعت
وقولهم او لتعودن معناه او لتصيرن وعاد تجي في الكلام على وجهين
احدهما عاد الشيء الى حال قد كان فيها قبل ذلك وهي على هذا الجهة لا تتعدى
فان عديت فبحرف ومنه قول الشاعر ان عادت العقرب عدنا لها وكانت
النعل لها حاضرة ومنه قول الاخر الا ليت ايام الشباب جديد وعصرا تولى
يا بثين يعود ومنه قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه قول الشاعر
فان تكن الايام احسن مرة بعد عادت لهن ذنوب والوجه الثاني ان يكون بمعنى
صار وعامل عملها ولا يتضمن ان الحال قد كانت متقدمة ومن هذه قول الشاعر
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ومنه قول الاخر
وعاد راسي كالثغامه ومنه قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم على ان هذه محتملة
فقوله في الاية او لتعودن وشعيب صلى الله عليه وسلم لم يكن قط كافرا يقتضي
انها بمعنى صار واما في جهة المومنين بعد كفرهم فيترتب المعنى الاخر ويخرج
عنه شعيب الا ان يريد واعودته الى حال سكوته قبل ان يبعث قوله ولو كنا
كارهين توقيف منه لهم على شنعة المعصية وطلب ان يقروا بالسنتهم باكراه
المومنين بالنفي على الاخراج ظلما وعشما والظاهر في قوله قد افترينا على الله كذبا
ان عدنا في ملتكم انه خبر منه اي لقد كنا نواقع عظيما ونفتري على الله الكذب في
الرجوع الى الكفر ويحتمل ان يكون على جهة القسم الذي هو في صيغة الدعا مثل قول
الشاعر بقيت وفرا وكما يقول افتريت على الله ان كلمت فلانا وافترينا معناه
شققنا بالقول واختلقنا ومنه قول عايشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى
ربه فقد اعظم على الله الفرية ونجاة شعيب من ملتهم كانت منذ اول امره ونجاة
من كان معه كانت بعد موافقة الكفر قوله الا ان يشاء الله يحتمل ان يريد الا ان
يسبق علينا في ذلك من الله سابق سوء وينفذ منه قضا لا يرد قال الامام ابو
محمد والمومنون هم المجوزون لذلك وشعيب عليه السلام قد عصمته النبوة وهذا
اظهر ما يحتمل القول ويحتمل ان يريد استثنا ما يمكن ان يتعبد الله به المومنين مما
يفعله الكفار من القربات فلما قال لهم انا لا نعود في ملتكم ثم خشي ان يتعبد الله
لشيء من افعال الكفرة فيعارض ملحد بذلك ويقول هذه عودة الى ملتنا استثنا
مشية الله فيما يمكن ان يتعبد به ويحتمل ان يريد بذلك معنى الاستبعاد كما يقول
لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط وقد علم امتناع نهي الحاله
على مستحيل قال ابو محمد وهذا تاويل انما هو للمعتزلة الذين يريدون ان
الكفر والايمان ليستا بمشية من الله فلا يترتب هذا التاويل الا عندهم وهذا
تاويل حكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه وقيل ان هذا الاستثنا انما هو تستر
وتادب قال ابو محمد ويتعلق هذا التاويل من جهة استقبال الاستثنا
ولو كان الكلام ان شاء الله قوي هذا التاويل قوله وسع ربنا كل شيء علما معناه
وسع علم ربنا كل شيء كما يقول تصبب زيد عرقا اي تصبب عرق زيد ووسع
بمعنى احاط قوله افتح معناه احكم والفاتح والفتاح القاضي بلغة حمير وقيل
بلغة مراد وقال بعضهم
الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني
وقال الحسن ابن ابي الحسن ان كل نبي اراد الله هلاك قومه امره بالدعا عليهم

ثم

ثم يجاب له فاهلكهم وقال ابن عباس ما كنت اعرف معنى هذه اللفظة حتى سمعت بنت ذي
يزن يقول لزوجها تعال افاتحك اي احاكمك قوله على الله توكلنا استسلام لله وتمسك
بلطفه وذلك يويد هذا التاويل الاول في قوله الا ان شا الله قوله عز وجل وقال الملا الذين
كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسا على قوم كافرين هذه المقالة قالها
الملا لتباعهم وسائر الناس الذين يقلدونهم والرجفة الزلزلة الشديدة التي
ينالها الانسان اهتزاز وان يعاد واضطراب قال ابو محمد ويحتمل ان فرقة
من قوم شعيب هلكت بالرجفة وفرقة بالظلة ويحتمل ان الظلة والرجفة كانتا في
حين واحد وروي ان الله تعالى بعث شعيبا الى اهل مدين والى اصحاب الايكة وقيل
هما طائفتان وقيل واحدة وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن فدعاهم
فكذبوه فجرت بينهم هذه المقالات المتقدمة فلما عتوا وطالت بهم المدة فتح الله
عليهم بابا من ابواب جهنم فاهلكهم الحر منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء
ثم انه بعث سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها فتنادوا عليكم
الظلة فلما اجتمعوا تحت الظلة وهي تلك السحابة انطبقت عليهم فاهلكتهم
قال الطبري فبلغني ان رجلا من اهل مدين يقال له عمرو بن جلها لما راها قال
يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا علم سمير وعمران بن شداد اني اراغيم يا قوم قد
طلعت تدعو بصوت على صمان الوادي وانه لن تروا فيها ضحى غد الا الرقيم
يمشي بين الجاد وسمير وعمران كاهنا هم والرقيم كلبهم وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء
كقوله لقومه ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب قال ابو محمد
يريد حسن مراجعته وجمال تلطفه وحكى الطبري عن ابي عبد الله البجلي انه قال
ابو جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت اسما ملوك مدين وكان
الملك يوم الظلة كلمن فقالت اخته ترثيه كلمن قد هد ركني هلكه
وسط المحله سيد القوم اتاه الحتف نارا وسط ظله جعلت نارا عليهم
دارهم كالمضمحله قال ابو محمد وهذه حكاية يظنون بها والله اعلم
وقد تقدم معنى جاثمين وقوله كان لم يغنوا فيها لفظة فيها قوة الاخبار
عن هلاكهم ونزول النقمة بهم والتنبيه على العبرة بهم ونحو هذا قول الشاعر
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ويغنوا معناه يقيموا ويسكنوا قال ابو محمد
وغنيت في المكان انما يقال في الاقامة التي هي مقترنة بتنعم وعيش
مرضي هذا الذي استقريت من الاشعار التي ذكرت العرب فيها هذه
اللفظة فمن ذلك قول الشاعر وقد نغنى بها ونرى عصورا بها يقتدننا الخرد الخدالا
ومنه قول الاخر ولقد يغنى بها جيرانك الممسكوا منك بعهد ووصال انشده
الطبري ومنه قول الاخر الا حي من اجل الحبيب المغانيا ومنه قول مهلهل
غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيهم بنو معد حلولا ويشبه ان يكون اللفظ
من الاستغنا واما قوله كان لم تغن بالامس فيشبه هذا المعنى لان المراد كان لم يكن
ناعمة نضره مستقلة ولا توجد فيما علمت الا مقترنة بهذا المعنى واما قول الشاعر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فمعناه
استغنينا بذلك ورضيناه مع ان هذه اللفظة مقترنة بمكان قوله يا قوم لقد
ابلغتكم الاية كلام يقتضي ان شعيبا وجد في نفسه من هلاك قومه حزنا واشفاقا
اذ كان امل فيهم غير ذلك فلما وجد ذلك طلب ان يثير في نفسه سبب التسلي
عنهم والقسوة عليهم فجعل يعدد معاصيهم واعراضهم الذي استوجبوا
ان لا يتاسف عليهم فذكر انه بلغ الرسالة ونصح والمعنى فاعرضوا وكذبوا
ثم قال لنفسه لما نظرت في هذا وفكرت فيه فكيف اسا على هولاء الكفرة
ويحتمل ان يقول هذه المقالة على نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم لاهل قليب بدر
وقال مكي سار شعيب بمن معه الى مكة حتى ماتوا بها وانما معناه احزن

وقرا ابن وثاب وطلحه بن مصرف والاعمش ايسى بكسر الهمزة وهى لغة كما يقال اخاك
وايمن وقال عبد الله بن عمر لاخاله وقال ابنه عبد الله بن عبد الله بن عمر فى كتاب الحج
لايمن وجميع ذلك فى البخارى وهذه اللفظة تطرد فى العلامات الثلث همزة
المتكلم ونون الجماعة وتاء المخاطب ولايجوز ذلك فى ياء الغائب كذا قال سيبويه
واما قولهم وجل يجل لعله من غير هذا الباب قوله عز وجل وما ارسلنا فى قرية
من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان
الحسنة السيئة حتى عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة
وهم لايشعرون ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما
والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون هذه الاية خبر من الله عز وجل
انه ما بعث نبيا فى مدينة وهى القرية الا اخذ اهلها المكذبين له بالباساء وهى
المصائب فى المال والهموم وعوارض الزمن والضراء وهى المصائب فى البدن
كالامراض ونحوها هذا قول ابن مسعود وكثير من اهل اللغة وحكى عن السدى
ما يقتضى ان اللفظين يتداخل فيقال كل واحدة على المعنيين ولعلهم
ترجى بحسب اعتقاد البشر وظنونهم يتضرعون اى يتذللون الى الايمان
وهكذا قولهم الحمى اضرعتنى لك ثم قال تعالى بعد انفاذ الحكم فى الاولين
بدل الخلف ولبقيه الاول مكان السيئة وهى الباساء والضراء الحسنة
وهى السراء والنعمه وهذا بحسب ما عند الناس والا فقد يجى الامر كما قال
الشاعر قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم
قال ابو محمد وهذا انما يصح مع النظر الى الدار الاخرة والجزا فيها والنعمة المطلقة
هى التى لاعقوبة عليها والبلوى المطلقه هى التى لاثواب عليها وحتى عفوا معناه
حتى كثروا يقال عفا النبات والريش يعفوا اذا كثر نباته ومن هذا المعنى قول
الشاعر ولاكنا بعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وعليه قوله صلى الله
عليه وسلم احفوا الشوارب واعفوا اللحا وعفا ايضا فى اللغة بمعنى درس
وبلى فقال بعض الناس هى من الالفاظ التى يستعمل للضدين واما قول زهير على اثار
من ذهب العفا فيحتمل ثلث معان الدعا بالدروس والاخبار به والدعا بالنمو
والنبات كما يقال لجادته الديم وسقته الغيث ولما بدل لحالهم بالخير لطفا بهم
ونموا اذا اى الخلف بعد ذلك للكفر الذى هم فيه ان اصابه الضراء والسراء انما هى
بالاتفاق وليست بقصد كما يخبر النبى واعتقدوا ان ما اصابهم من ذلك انما
هو كالاتفاق الذى كان لاباءهم فجعلوه مثالا اى قد اصاب هذا اباءنا فلا ينبغى
لنا ان ننكره فاخبر الله تعالى انه اخذ هذه الطوايف التى هذا معتقدها
قوله بغتة اى فجاة واحدة اسف وبطشا للشقا السابق لهم فى قديم علمه
والسرا السرور والخيرة وهم لايشعرون معناه وهم مكذبون بالعذاب
لايحسون بشى منه ولا يستشعرونه باستدلال ولا غيره قوله ولو ان اهل
القرى الاية المعنى فى هذه الاية انهم لو كانوا ممن سبق فى علم الله ان يكتسبوا الايمان
والطاعات ويتصفوا بالتقى لتبع ذلك من فضل الله ورحمته وانعامه ما
ذكر من بركات المطر والنبات ولكنهم لما كانوا ممن سبق كفرهم وتكذيبهم تبع
ذلك اخذ الله تعالى لهم بما اجترموه وكل مقدور والثواب والعقاب
متعلق بتكسب البشر وبسببه اسندت الافعال اليهم فى قوله امنوا واتقوا
وفى كذبوا وقرا الستة من القرا السبعة لفتحنا بتخفيف التاء وهى قراءة الناس
وقرا ابن عامر وحده وعيسى الثقفى وابو عبد الرحمن لفتحنا بتشديد التاء
وفتح البركات انزالها على الناس ومنه قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
ومنه قالت الصوفية الفتوح والبركات النمو والزيادات ومن السماء لجهة
المطر والريح والشمس ومن الارض لجهة الانبات والحفظ لما ينبت هذا هو
الذى يدركه نظر البشر ولله خدام غير ذلك لايحصى عددهم وما فى علم الله
اكثر قوله عز وجل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون
اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها

ان لونشاء

ان لونشاء اصبناهم بذنوبهم فنطبع على قلوبهم فهم لايسمعون هذه الاية يتضمن الوعيد
للكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لما اخبر عما فعل فى الامم السالفة قال
ومن يومن هولاء ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك وهذا استفهام على جهة التوقيف
والباس العذاب بياتا نصب على الظرف اى وقت مبيتهم بالليل ويحتمل ان يكون
هذا فى موضع الحال وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر اوامن بسكون الواو واظهار
الهمزتين وقرا ورش عن نافع اوامن بفتح الواو والقا حركة الهمزة الثانية
عليها وهذه القراة فى معنى الاول ولكن سهلت وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة
والكسائى اوامن بفتح الواو واظهار الهمزتين ومعنى هذه القراة انه دخل الف
الاستفهام على حرف العطف ومعنى القراة الاولى انه عطف باو التى هى لاحد الشيئين
المعنى افامنوا هذا او هذا وهذا كما يقول جاء زيد او عمرو وليست هذه او التى
هى للاضراب عن الاول كما يقول انا اقوم او اجلس وانت تقصد الاضراب عن
القيام والاثبات للجلوس وتقريره وقولنا التى هى لاحد الشيئين يعم الاباحة والتخيير
فى قولك جالس الحسن او ابن سيرين او قولك جالس الحسن وجالس ابن سيرين
قوله يلعبون يريد فى غاية الغفلة والاعراض ومكر الله هى اضافة مخلوق الى الخالق
كما يقول ناقة الله وبيت الله والمراد فعل يعاقب به مكرة الكفرة واضيف الى الله
لما كان عقوبته الذنب فان العرب يسمى العقوبة على اى جهة كانت باسم الذنب الذى
وقعت عليه العقوبة وهذا نص فى قوله ومكروا ومكر الله وهذا الموضع ايضا كان
كفرهم بعد الرسالة وظهور دعوة الله مكرا وخديعة واستخفافا وقيل عومل
فى مثل هذا وغيره اللفظ دون المعنى فى مثل قوله الله يستهزئ بهم وان الله
لا يمل حتى تملوا وغير ذلك قوله اولم يهد الاية هذه الف تقرير دخلت على واو
العطف ويهدى معناه يبين والهدى الصباح والبدو على ذلك حتى
استبينت الهدى والبيد هاجمة يسجن فى الال غلفا ويصلينا ويحتمل ان يكون
المبين الله سبحانه ويحتمل ان يكون المبين قوله لونشاء اى علمهم بذلك وقال ابن
عباس ومجاهد وابن زيد يهدى معناه يتبين وهذه ايضا اية وعيد اى الم
يظهر لوارثى الارض بعد اولئك الذين تقدم ذكرهم وما حل بهم انا نقدر لو شئنا ان
نصيبهم ما اصابهم اهلاك بسبب معاصيهم كما فعل بمن تقدم وكنا نطبع اى نختم
عليها بالشقاوة وفى هذه العبارة ذكر القوم الذين قصد ذكرهم وتعديد النعمة
عليهم فيما ورثوا والوعظ بحال من السلف من المهلكين ونطبع عطف على
الماضى اذ المراد به الاستقبال ويحتمل ان يكون ونطبع منقطعا اخبارا عن
وقوع الطبع الا انه متوعد به ويبقا التوعد بالاهلاك الذى هو بعذاب
كالصيحة والغرق ونحوه وقرا ابو عمرو ونطبع على بادغام العين فى العين واشمام
الضمة ذكره ابو حاتم قوله عز وجل تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد
جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين تلك ابتداء والقرى قال قوم هو نعت والخبر نقص ويريد
هنا ان القصد انما هو الاخبار بالقصص قال ابو محمد والظاهر عندى ان
القرى هو خبر الابتداء وفى ذلك معنى التعظيم لها ولمهلكها وهذا كما قيل
فى ذلك الكتاب انه ابتداء وخبر وكما قال صلى الله عليه وسلم اولئك الملاء
وكقول اى الصلت تلك المكارم وهذا كثير وكان فى اللفظ معنى التحسر على القرى
المذكورة والمعنى نقص عليك من انباء الماضين لتفسير العبر وتعلم المثلات التى
اوقعها الله بالماضين ثم ابتدا الخبر عن جميعهم بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل قال ابو محمد وهذا الكلام يحتمل اربع وجوه من
التاويل احدها ان يريد ان الرسول جاء لكل فريق منهم فكذبوه لاول امره ثم
استبانت حجته وظهرت الايات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته فلجوا
فى كفرهم ولم يومنوا بما سبق به تكذيبهم من قبل وكانهم وصفهم على هذا التاويل
باللجاج فى الكفر والصرامة عليه ويويد هذا التاويل قوله كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين ويحتمل فى هذا الوجه ان يكون المعنى فما كانوا ليومنوا الى ما كانوا

لوقعهم الله الى الايمان بسبب انهم كذبوا من قبل فكان تكذيبهم سببا لان يمنعوا الايمان
بعد والثاني من الوجوه ان يريد فما كان اخرهم في الزمن والعصر ليهتدي ويومن
مما كذب به اولهم في الزمن والعصر بل كفر كلهم ومشى بعضهم على سنن بعض
في الكفر قال ابو محمد اشار الى هذا القول النقاش فكان الضمير في قوله كانوا ليومنوا تختص
بالاخرين والضمير في قوله كذبوا تختص بالقدما منهم والثالث من الوجوه يحتمل
ان يريد فما كانوا هولاء المذكورون باجمعهم لو ردوا الى الدنيا ومكنوا من
العودة ليومنوا بما كذبوا به في حال حياتهم ودعا الرسول لهم قاله مجاهد
وقرنه بقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذه ايضا صفة بليغ
في اللجاج والثبوت على الكفر بل هي غاية في ذلك والرابع من الوجوه انه يحتمل
ان يريد وصفهم بانهم لم يومنوا بما قد سبق في علم الله انهم مكذبون
فجعل سابق القدر عليهم ثم شابه تكذيبهم بانفسهم لا سيما وقد خرج
تكذيبهم الى الوجود في وقت مجي الرسل وذكر هذا التاويل المفسرون
وقرنوه بان الله ختم عليهم التكذيب وقت اخذ الميثاق وهو قول ابي بن كعب
قوله تعالى وما وجدنا الاية اخبر تعالى انه لم يجد لاكثرهم ثبوتا على العهد
الذي اخذه الله تعالى على ذرية ادم وقت استخراجهم من ظهره قاله
ابو العالية عن ابي بن كعب ويحتمل ان يكون الكلام عبارة عن انهم
لم يصرفوا عقولهم في الايات المنصوبة ولا شكروا نعم الله ولا قادتهم معجزات
الانبيا عليهم افضل الصلوة دالة لان هذه الامور عهد في رقاب
العقلا كالعهود ينبغي ان يوفى بها وايضا فمن لدن ادم صلى الله عليه وسلم
تقرر العهد الذي هو بمعنى الوصية وبه فسر الحسن هذه الاية فيجي المعنى
وما وجدنا لاكثرهم التزام عهد وقبول وصاة ذكره المهدوي ومن في
هذه الاية زائدة الا انها تعطي استغراق جنس العهد ولا تزاد الا بعد النفي
وان هي المخففة من الثقيلة عند سيبويه واللام في قوله لفاسقين للفرق بين ان
المخففة وغيرها وان هي عند الفرا بمعنى ما واللام بمعنى الا والتقدير عنده
وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين **قوله عز وجل** ثم بعثنا من بعدهم موسى
باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على
الله الا الحق قد جيتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جيت
باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقا عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ونزع يده فاذا هي بيضا للناظرين الضمير في قوله من بعدهم عايد على الانبيا
المتقدم ذكرهم وعلى اممهم والايات في هذه الاية عام في التسع وغيرها وقوله
ظلموا بها المعنى فظلموا انفسهم فيها وبسببها وظلموا ايضا مظهرها
ومتبعي مظهرها وقيل لما نزلت ظلموا منزلة كفروا وجحدوا عديت بالبا
كما قال قد قتل الله زيادا عني فانزل قتل منزلة صرف ثم حذر الله من
عاقبة المفسدين الظالمين وجعلهم مثالا يتوعد به كفرة عصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفرعون اسم كل ملك لمصر في ذلك الزمان
مخاطبة موسى له باعظم اسمائه واحبها اليه اذ كان من الفراعنة كالنماردة
في يونان وقيصر في الروم وكسرى في فارس والنجاشي في الحبشة وروي
ان موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل
الرحمن وروي ان اسم فرعون موسى الوليد بن مصعب وقيل هو فرعون يوسف
وانه عمر نيفا واربع مائة سنة قال ابو محمد ومن قال ان يوسف المبعوث الذي
اشار اليه موسى في قوله ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات هو غير يوسف
الصديق فليس يحتاج الى نظر ومن قال انه يوسف الصديق فيعارضه ما يظهر
من قصة يوسف وذلك انه ملك مصر بعد عزيزها فكيف يستقيم ان يعيش
عزيزها الى مدة موسى فينفصل بان العزيز ليس بفرعون الملك انما كان
حاجبا له وقرا نافع وحده علي باضافة على اليه وقرا الباقون على بسكون اليا
قال الفارسي معنى هذه القراة ان على وضعت موضع البا كانه قال حقيق

بان لا اقول

بان لا اقول على الله الا الحق كما وضعت البا موضع على في قوله ولا تقعدوا بكل صراط
توعدون فتوصل الى المعنى بهذه وبهذه وكما يجي على ايضا بمعنى عن ومنه قول
الشاعر في صفة قوسه ارمي عليها وهي فرع اجمع وهي ثلث اذرع واصبع قال
ابو محمد وحقيق على هذا معناه جدير وخليق وقال الطبري قال قوم حقيق معناه
حريص فلذلك وصلت بعلى وفي هذا القول بعد وقال قوم حقيق صفة لرسول تم عندها
الكلام وعلى خبر مقدم وان لا اقول ابتدا تقدم خبره واعراب ان على قراة من
سكن اليا حفص وعلى قراة من فتحها مشددة رفع وقال الكسائي في قراة عبد الله
حقيق بان لا اقول وقال ابو عمرو وفي قراة عبد الله حقيق ان لا اقول وبه قرا الاعمش
وهذه المخاطبة اذا تاملت غاية في التلطف ونهاية في القول اللين الذي امر صلى
الله عليه وسلم به قوله تعالى قد جيتكم ببينة الاية البينة هنا اشارة الى جميع اياته
وهي على المعجزة منها ادل وهذا من موسى عرض نبوته ومن فرعون استدعا
خرق العادة الدالة على الصدق وظاهر الاية وغيرها ان موسى لم تبعث شريعته
الا على بني اسرائيل فقط ولم يدع فرعون وقومه الا على ارسال بني اسرائيل وذكره
لعله يخشى ويزكى ويوحد كما يذكر كل كافر اذ دخل نبي داع الى التوحيد وان لم يكن
اخذا به ومقاتلا عليه واما ان دعاه الى ان يومن ويلتزم جميع الشرع فلم يرد
هذا نصا والامر محتمل وبالجملة ظهر فرق ما بين بني اسرائيل وبين فرعون و
القبط الا ان بقية القبط وهم الاكثر لم يرجع اليهم موسى ابدا ولا عارضهم
وكان القبط مثل عبدة البقر وغيرهم وانما احتاج الى مجاورة فرعون لتملكه
على بني اسرائيل قوله فالقا عصاه الاية روي ان موسى قلق به وبمجاورته فرعون
فقال خذوه لاعوانه فالقى موسى العصى فصارت ثعبانا وحملت بفرعون فهرب
منها وقال السدي انه احدث وقال لموسى كفه عني فكفه وقال نحوه سعيد بن جبير
واذا ظرف مكان في هذا الموضع عند المبرد من حيث كانت خبرا عن جثة والصحيح
الذي عليه الناس انها ظرف زمان في كل موضع ويقال ان الثعبان وضع اسفل
لحييه في الارض واعلاه في اعلى شرفات القصر والثعبان الحية الذكر وهو اهول
واجرى قاله الضحاك وقال قتادة صارت حية اشعر ذكرا وقال ابن عباس غرزت
ذنبها في الارض ورفعت صدرها الى فرعون قوله مبين معناه لا تخييل فيه بل
هو بين انه حقيقة وهو من ابان بمعنى بان او من ابان الشي غيره من بان قوله ونزع
يده معناه من جيبه او من كمه حسب الخلاف في ذلك قوله تعالى فاذا هي بيضا قال
مجاهد كاللبن او اشد بياضا وروي انها كانت تظهر منيرة شفافة كالشمس
تاتلق وكان موسى صلى الله عليه وسلم ادم احمر الى السواد ثم كان يردها فيرجع
الى لون بدنه قال ابو محمد وهاتان الايتان عرضهما موسى للمعارضة ودعا
الى الله بهما وخرق العادة بهما وتحدى الناس الى الدين بهما فاذا جعلنا
التحدي والدعا الى الدين مطلقا فيهما تحديا واذا جعلنا التحدي
الدعا بعد العجز عن معارضة المعجزة وظهور ذلك فينفرد حينئذ العصا
بذلك لان المعارضة والعجز فيهما وقعا قال ابو محمد ويقال التحدي هو الدعا
الى الاتيان بمثل المعجزة فهذا نحو ثالث وعليه يكون تحدى موسى بالايتين
جميعا لان الظاهر من امره انه عرضهما معا وان كان لم ينص على الدعا
الى الاتيان بمثلهما وروي عن فرقد السبخي ان فم الحية كان ينفتح اربعين
ذراعا **قوله عز وجل** قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل
في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وجا السحرة فرعون قالوا ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا
اعين الناس واسترهبوهم وجاو بسحر عظيم الساحر كان عندهم في
ذلك الزمن اعلى المراتب واعظم الرجال ولكن وصفهم موسى بذلك
مع مدافعتهم له عن النبوة لكم عظيم وحطوا ذلك قصدوا اذ لم يمكنهم
الكثر وقولهم يريد ان يخرجكم الاية يعنون بانه يحكم فلم ينقل رعيتكم بني اسرائيل

فيقتضي ذلك الى خراب دياركم اذ اذهب الخدمة والعمرة وايضا فلا محالة انهم خافوا
ان يقاتلهم فجالت ظنونهم كل محال وقال النقاش كانوا ياخذون من بني اسرايل
خرجا كالجزية فراوا ان ملكهم يذهب بزوال ذلك قوله فماذا تامرون الظاهر انه
من كلام الملا بعضهم لبعض وقيل انه من كلام فرعون لهم وروي كردم
عن نافع تامرونِ بكسر النون وكذلك في الشعرا وما استفهام وذا بمعنى الذي
فهما ابتدا وخبر وفي تامرون ضمير عايد على الذي تقديره تامرون به ويجوز ان
يجعل ماذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بتامرون ولا يضمر فيه على هذا قال
الطبري والسحر ماخوذ من سحر المطر الارض اذا جادها حتى يتلف نباتها
ويقلعه من اصوله فهو يسحرها سحرا والارض مسحورة قال ابو محمد وانما سحر
المطر الطين اذا افسده حتى لا يمكن فيه عمل والسحر الاخذة التي تاخذ العين
حتى ترى الامر غير ما هو وربما سحر الذهن ومنه قول ذي الرمة وساحرات السراب
من المرامي يرقص في نواشرها الاروم اراد ان يخيل بنفسه للعيون ثم
اشار الملا على فرعون بان يوخر موسى وهارون ويدع النظر في امرهما ويجمع السحرة
من كل مكان حتى يكون غلبة موسى بحجة واضحة معلومة بينة وقرا ابن كثير ارجئهو
بواو بعد الهاء المضمومة وبالهمزة قبل الهاء وقرا ابو عمرو ارجئه بالهمز
دون واو بعدها وقرا نافع وحده في رواية قالون ارجه بكسر الهاء ويحتمل
ان يكون المعنى اخره فسهل الهمزة ويحتمل ان تكون من الرجا بمعنى اطمعه ورجه
قاله المبرد وقرا ورش عن نافع ارجهي بياء بعد كسرة الها وقرا ابن عامر ارجئه
بكسر الهاء وبهمزة قبلها قال الفارسي وهذا غلط وقرا عاصم والكساي
ارجه بضم الهاء دون همز وروى ابان عن عاصم ارجه بسكون الها وهي لغة
يقف على هاء الكناية اذا تحرك ما قبلها ومنه قول الشاعر انحا على الدهر
رجلا ويدا يقسم لا اصلح الا مسدا فيصلح اليوم ويفسده غدا وقال الاخر
لما راى ان لا دعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع وحكى النقاش
انه لم يكن يجالسه ولو عيته وانما كانوا اشرافا ولذلك اشاروا بالارجا
ولم يشيروا بالقتل وقالوا ان قتلته دخلت على الناس شبهة ولكن اغلبه
بالحجة والمداين جمع مدينة ووزنها فعيلة من مدن او مفعلة من دان يدين
وعلى هذا تهمز مداين او لا تهمز وحاشرين معناه جامعين قال المفسرون
هم الشرط وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر بكل ساحر وقرا
حمزة والكساي بكل سحار على بناء المبالغة وكذلك في سورة يونس واجمعوا
على سحار في سورة الشعرا وقال قتادة معنى الارجا الذي اشاروا اليه السجن
والحبس قوله وجاء السحرة الاية ها هنا محذوفات يقتضيها ظاهر الكلام وهي
انه بعث الى السحرة وامرهم بالمجيء وقال ابن عباس انه بعث غلمانا تعلموا بالفرما وقرا
ابن كثير ونافع وعاصم في رواية حفص ان لنا لاجرا على جهة الخبر وقراها في الشعراء
ان لنا ممدودة مفتوحة الالف عن عاصم فانه لا يمدها قال ابو علي ويجوز ان يكون
على جهة الاستفهام وحذف الفه وقد قيل ذلك في قوله ان عبدت بني اسرايل
ومنه قول الشاعر افرح ان ارزا الكرام وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكساي
هنا وفي الشعراء ان بالف الاستفهام قبل ان وقرات فرقة اين دون مد
وقرا ابو عمرو هنا وفي الشعرا آين والاجر هنا الاجرة فا ترجوها ان غلبوا فانعم
فرعون لهم بها وزادهم المنزلة والجاه ومعنى المقربين مني وروي ان السحرة الذين
جاوا فرعون كانوا خمسة عشر الفا قاله ابن اسحق وقال ابن جريج كانوا تسع مائة و
ذكر النقاش انهم كانوا اثنين وسبعين رجلا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا
قال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي مائتي الف ونيفا قال ابو محمد
وهذه اقوال ليس لها سند يوقف عنده وقال كعب الاحبار اثني عشر الفا
وقال السدي كانوا بضعا وثلثين الفا رجل مع كل رجل حبل وعصي وقال ابو ثمامة
كانوا سبعة عشر الفا قوله قالوا يا موسى الاية ان في قوله اما ان في موضع نصب
اي اما ان تفعل الالقا ويحتمل ان يكون في موضع رفع اي اما هو الالقاء وخير
السحرة موسى في ان يتقدم في الالقا او يتاخر قال ابو محمد وهذا فعل المدل الواثق

تنفسه

تنفسه والظاهر ان المتقدم في التخييلات والمخارق الملح لان مد بهتها يمضي بالنفوس
فليظهر الله امر نبوة موسى قوي نفسه وتيقنه ووثق بالحق فاعطاهم التقدم
فلينشطوا وسروا حتى اظهر الله الحق وابطل سعيهم قوله سحروا اعين الناس
نص في ان لهم فعلا ما زايدا على ما يحدثونه من النواريق والايثار في العصا
وساير الاجسام التي يتصرفون فيها صناعتهم واسترهبوهم بمعنى ارهبوهم
اي فزعوهم فكان فعلهم اقتضى واستدعا الرهبة من الناس ووصف الله تعالى
سحرهم بالعظم ومعنى ذلك من كثرته وروي انهم جلبوا ثلث مائة وستين بعيرا
موقرة بالحبال والعصا فلما القوها تحركت وملات الوادي يركب بعضها بعضا
فاستهول الناس واسترهبوهم قال الزجاج قيل انهم جعلوا فيها الزيبق فكانت
لا تستقر قوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما
يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا
منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لا
ثم لاصلبنكم اجمعين ان في موضع نصب باوحينا اي بان الق ويحتمل ان تكون
مفسرة بمعنى اي فلا يكون لها موضع من الاعراب وروي ان موسى صلى الله
عليه وسلم لما كان يوم الجمع خرج متوكيا على عصاه ويده في يد اخيه وقد
صف السحرة عدد عظيم حسب ما ذكر فلما القوا واسترهبوا اوحى الله
اليه فالقا فاذا هو ثعبان عظيم فعظم حتى كان كالجبل وقيل انه طال
حتى جاز النيل وقيل كان الجمع بالاسكندرية وطال حتى جاز مدينة البحيرة
وقيل كان الجمع بمصر وانه طال حتى جاز مدينتي القلزم قال ابو محمد هذا قول
بعيد من الصواب مفرط الاغراق لا ينبغي ان يلتفت اليه وروي ان السحرة لما القوا والقا
موسى جعلوا يرقون وجعلت حبالهم وعصيهم تعظم وجعلت عصى موسى
تعظم حتى سدت الافق وابتلعت الكل ورجعت بعد ذلك عصى فعندها امن
السحرة وروي ان عصى موسى كانت عصى ادم صلى الله عليهما وسلم وكانت من
الجنة وقيل كانت من العين الذي في وسط ورق الريحان وقيل كانت غصنين
من الخيزري وقيل كانت لها شعبتان وقيل كانت عصى الانبيا مختزنة عند شعيب
فلما استرعى موسى قال له اذهب فخذ عصى فذهب الى البيت فطارت هذه
الى يده فامره شعيب بردها واخذ غيرها ففعل فطارت هي الى يده فاخبر
بذلك شعيبا فتركها له وقال ابن عباس ان ملكا من الملايكة دفع العصى الى موسى
في طريق مدين وتلقف معناه تبتلع وتزدرد وما يافكون معناه ما صوروا
فيه افكهم وكذبهم وقرا جمهور الناس تلقف وقرا عاصم في رواية حفص
تلقف بسكون اللام وفتح القاف وقرا ابن كثير في بعض ما روي عنه هي
تلقف بتشديد التا على ادغام التا في التا من تتلقف وهذه القراة لا تترتب
الا في الوصل واما في الابتداء بالفعل فلا يمكن وقرا سعيد بن جبير تلقم بالميم اي
تبتلع كاللقم وروي ان الثعبان استوفا تلك الحبال والعصي اكلا واعدمها
الله سبحانه ومد موسى يده الى فمه فعاد عصا كما كان فعلم السحرة حينئذ ان
ذلك ليس من عند البشر فخروا سجدا مؤمنين بالله ورسوله قوله فوقع الحق الاية
وقع معناه نزل ووجد والحق يريد به سطوع البرهان وظهور الاعجاز
واستمر التحدي الى الدين على جميع العالم وما كانوا يعملون لفظ يعم سحر السحرة
وسعي فرعون وشيعته والضمير في قوله فغلبوا عايد على جميعهم من سحرة فرعون
وشيعته وفي قوله وانقلبوا صاغرين ان قدرنا انقلاب الجمع يصحهم الله به
لانهم امنوا واستشهدوا رضي الله عنهم قوله والقي السحرة ساجدين
الايات لما راى السحرة من عظم القدرة ما تيقنوا به نبوة موسى امنوا بقلوبهم
واضاف الى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله تعالى
فخروا سجدا لله عز وجل متطارحين وامنوا نطقا بالسنتهم وتبيينهم الرب
بذكر موسى وهارون زوال عن ذنوبه فرعون وما كان يوهم فيه الجهال من انه

رب الناس وهارون اخو موسى اسن منه بثلث سنين وقول فرعون قبل ان آذن لكم
دليل على وهن امره لانه انما جعل ذنبهم مفارقة الاذن ولم يجعله نفس
الايمان الا بشرط وقرا عاصم في رواية حفص عنه في كل القران امنتم
على الخبر وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر امنتم بهمزة ومدة على الاستفهام وكذلك
في طه والشعراء وقرا حمزة والكساي في الثلثة المواضع ءامنتم بهمزتين
الثانية ممدودة ورواها الاعمش عن ابي بكر عن عاصم وقرا ابن كثير
في رواية ابي الاخريط عنه وامنتم وهي على الف الاستفهام الا انه سهلها
واوا فاجرى المنفصل مجرى المتصل في قولهم تودة تودة وقرا قنبل عن
القواس وامنتم وهي على القرايتين باهمزتين امنتم الا انه سهل الف الاستفهام
واوا وترك الف افعلتم على ما هي عليه والضمير في به يحتمل ان يعود على اسم
الله تعالى ويحتمل ان يعود على موسى عليه السلام وعنفهم فرعون على
الايمان قبل اذنه ثم الزمهم ان هذا كان عن اتفاق منهم وروي في ذلك عن
ابن عباس وابن مسعود ان موسى اجتمع مع رايس السحرة واسمه شمعون
فقال له موسى ارايت ان غلبتكم اتؤمنون بي فقال نعم فعلم بذلك فرعون
فكذلك قال ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ثم قال للسحرة لاقطعن ايديكم
الاية فرجع فرعون في مقالته هذه الى الحذلان والغشم وعادة ملوك السوء
اذا غولبوا وقرا حميد المكي وابن محيصن ومجاهد لاقطعن بفتح الهمزة
والطاء واسكان القاف ولاصلبن بفتح الهمزة واسكان الصاد وضم اللام
وروي بكسرها ومن خلاف معناه يمنى ويسرى قال ابو محمد والظاهر
من هذه الايات ان فرعون توعد وليس في القران نص على انه انفذ ذلك
واوقعه ولكن روي انه صلب بعضهم وقطع وقال ابن عباس فرعون
اول من صلب وقطع من خلاف وقال ابن عباس وغيره فيهم اصبحوا سحرة
وامسوا شهداء واما التوعد فلجميعهم قوله عز وجل قالوا انا الى ربنا
منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ
علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون هذا تسليم من مؤمني السحرة و
اتكال على الله وثقة بما عنده وقرا جمهور الناس تنقم بكسر القاف وقرا
ابو حيوة وابو البرهسم وابن ابي عبلة والحسن بن ابي الحسن تنقم بفتحها وهما
لغتان قال ابو حاتم الوجه في القراءة كسر القاف وكل العلماء انشد بيت
الرقيات ما نقموا من بني امية بفتح القاف معناه ما تعد علينا ذنبا
تؤاخذنا به وقولهم افرغ علينا صبرا معناه عمنا كما يعم الماء
من افرغ عليه وهي هنا مستعارة وقال ابن عباس لما امنت السحرة
اتبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل وحكى النقاش عن مقاتل
انه مكث موسى بمصر بعد ايمان السحرة عاما ونحوه يريهم الايات وقول الملا
لفرعون اتذر موسى مقالة تتضمن اغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على
قتلهما وتغيير ما بهم حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون ومعنا اتذر
اتترك وقرا جمهور الناس ويذرك بفتح الراء ونصبه على معنيين احدهما
ان يفسدوا وان يذرك فهو والصرف فكانهم قالوا اتذره وان يذرك اي
اتتركه ويتركك والمعنى الاخر ان يعطف على قوله ليفسدوا وقرا نعيم بن ميسرة
والحسن بخلاف عنه ويذرك بالرفع عطفا على قولهم اتذر وقرا الاشهب
العقيلي ويذرك باسكان الراء وهذا على التخفيف من يذرك وقرا انس بن
مالك ونذرك بالنون ورفع الفعل على معنى توعد منهم وعلى معنى اخبار
ان الامر يؤل الى هذا وقرا ابي ابن كعب وعبد الله في الارض وقد تركوك
ان تعبدوا والهتك قال ابو حاتم وقرا الاعمش وقد تركوك والهتك وقرا
السبعة وجمهور من العلماء والهتك على الجمع قال ابو محمد وهذا على ما
روي ان فرعون كان في زمنه للناس الهة من بقر واصنام وغير ذلك وكان

فرعون قد شرع ذلك وجعل نفسه الاله الاعلى بقوله على هذا انا ربكم الاعلى
انما هو بمناسبة بينه وبين من سواه من المعبودات وقيل ان فرعون كان
يعبد حجرا كان يعلقه في صدره كيا قوتة او نحوها قال الحسن كان لفرعون
حنانة معلقة في عنقه يعبدها ويسجد لها وقال سليمان التيمي بلغني انه
كان يعبد البقر ذكره ابو حاتم وقرا ابن عباس وعلي بن ابي طالب وابن
مسعود وانس بن مالك رضي الله عنهم وجماعة غيرهم والاهتك اي
وعبادتك والتذللك وزعم هذه الفرقة ان فرعون لم يبح عبادة شي
سواه وانه في قوله الاعلى انما اراد الاعظم والاكبر دون مناسبة قال ابن
عباس كان فرعون يعبد ولا يعبد وقرا ابن كثير سنقتل بالتخفيف ويقتلون
بالتشديد وخففهما جميعا نافع وقرا ابو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكساي
يقتلون وسنقتل بالتشديد فيهما على المبالغة والمعنى سنستمر على ما كنا عليه
من تعذيبهم وقطعهم قوله وانا فوقهم قاهرون يريد في المنزلة والتمكن من
الدنيا وقاهرون يقتضي تحقير امرهم اي هم اقل من ان نهتم بهم قوله عز وجل
قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما
جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف
تعملون ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون
لما قال فرعون سنقتل ابناءهم وتوعدهم قال موسى عليه السلام لبني اسرائيل
يثبتهم ويعدهم عن الله استعينوا بالله واصبروا وظاهر هذا الكلام كله
وعد بغيب فكان قوته يقتضي انه من عند الله وليس في اللفظ شي من ذلك
والارض ارض الدنيا وهو الاظهر وقيل المراد بها ارض الجنة واما في الثانية
فارض الدنيا لا غير وقرات فرقة يورثها بفتح الواو وقرا السبعة يورثها ساكنة
الواو وخفيفة الراء مكسورة وروى حفص عن عاصم وهي قراءة الحسن يورثها
بتشديد الراء على المبالغة والصبر في هذه الاية يعم الانتظار الذي هو عبادة والصبر
في المناجزات والباس وقولهم من قبل ان تاتينا يعنون به الذبح الذي كان في المدة
التي كان فرعون يخوف فيها ان يولد المولود الذي يخرب ملكه والذي من بعد
مجيئه يعنون به وعيد فرعون وساير ما كان خلال تلك المدة من الاخافة لهم
وقال السدي وابن عباس رضي الله عنهما انها قالت بنو اسرائيل هذه المقالة
حين اتبعهم فرعون واضطرهم الى البحر فضاقت صدورهم وراوا بحرا امامهم
وعدوا كثيفا وراءهم فقالوا هذه المقالة قال ابو محمد وبالجملة فهو كلام يجري
مع المعهود من بني اسرائيل من اضطرابهم على انبيائهم وقلة يقينهم وصبرهم
على الدين واستعطاف موسى لهم بقوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ووعده
لهم بالاستخلاف في الارض يدل على انه يستدعي نفوسا نافرة ويقوى هذا الظن
في جهة بني اسرائيل سلوكهم هذا السبيل في غير قصة وحكى النقاش انهم قالوا ذلك
بمصر حين كلفهم فرعون من العمل ما لا يطيقونه وروي انهم كان يكلفهم
عمل الطوب ويمنعهم التبن ليشتق عليهم عملهم وقوله فينظر كيف تعملون
تنبيه وحض على الاستقامة وان تدل هذا الوعد انه من عند الله فيتخرج عليه
قول الحسن ابن ابي الحسن عسى من الله واجبة وقد استخلفوا في مصر في زمن داود
وسليمان وقد فتحوا بيت المقدس مع يوشع قوله ولقد اخذنا ال فرعون
الاية خبر انه اخذ ال فرعون في تلك المدة التي كان موسى يدعوهم فيها بالسنين
وهي الجدوب والقحوط وهذه سيرة الله في الامم وكذلك فعل بقريش والسنة
في كلام العرب القحط ومنه قول ليلى والناس مسنتون وسنة وعضة وما جرى
مجراها من الاسماء المنقوصة تجمع بالواو والنون ليس على جهة جمع السلامة
لكن على جهة العوض مما نقص وكذلك ارض توهموا فيها نقصها التانيث
لانه كان حقها ان يكون ارضة وا ما حره اخرون فلان التضعيف ايضا
يعمل توهمه مثل النقص وكسر السين من سنون وسنين وزيادة الالف
في اخرين دليل على انه ليس بجمع سلامة قوله ونقص من الثمرات روي ان النخلة

كانت للنحل الا ثمرة واحدة وقال النحوي رجاء بن حيوة واراد الله بهذا ان ينتبهوا
ويزدجروا عما هم عليه من الكفر اذ احوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند
الله سبحانه **قوله عز وجل** فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا
به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين كان
القصد في اصابتهم بالقحط والنقص في الثمرات ان ينيبوا ويرجعوا فاذا بهم
قد ضلوا وجعلوها تشاؤما بموسى فكانوا اذا اتفق لهم اتفاق حسن في غلات
ونحوها قالوا هذا لنا وبسببنا وعلى الحقيقة لنا واذا نالهم ضر قالوا هذا بسبب موسى
وشؤمه قاله مجاهد وغيره وقرأ جمهور الناس بالياء وشد الطاء والياء الاخيرة
يطيروا وقرأ عيسى بن عمر وطلحة بن مصرف بالتاء وتخفيف الطاء تطيروا وقرأ مجاهد
تشاءموا بموسى بالتاء من فوق وبلفظ الشؤم قوله الا انما طائرهم عند الله معناه
حظهم ونصيبهم قاله ابن عباس وهو مأخوذ من زجر الطير فسمي ما عند الله من
القدر للانسان طائرا لما كان الانسان يعتقد ان كل ما يصيبه انما هو بحسب ما يراه
في الطائر فهي لفظة مستعارة وقرأ جمهور الناس طائرهم وقرأ الحسن ابن ابي الحسن
طيرهم وقال اكثرهم وجميعهم لا يعلم لان القليل علم كالرجل المؤمن وكآسية
امرأة فرعون اما ان يراد الجميع ويجوز في العبارة لاجل الامكان ويحتمل ان يكون
الضمير في قوله طائرهم لجميع العالم ويجيء تخصيص الاكثر على ظاهره ويحتمل ان يريد
ولكن اكثرهم لا يعلمون ليس قريبا ان يعلمه لانغمارهم في الجهل وعلى هذا
فهم قليل معه لان يعلم او وقع الله ومهما اصلها عند الخليل ما ما فبدلت الالف
الاولى هاء وقال سيبويه هي مه ما خلطتا وهي حرف واحد لمعنى واحد وقال
غيره معناها مه اي كف وما جزاء ذكره الزجاج وهذه الاية تتضمن طغيانهم
وعتوهم وقطعهم على انفسهم بالكفر البحت قوله فارسلنا عليهم الطوفان
قال الاخفش الطوفان جمع طوفانة وهذه عقوبات وانواع من العذاب بعثها
الله عليهم ليزدجروا ويسلموا والطوفان مصدر من قولك طاف يطوف
وهو عام في كل شيء يطوف الا ان استعمال العرب له كثر في الماء والمطر الشديد
ومنه قول الشاعر غير الجدة من عرفانه خرق الريح وطوفان المطر ومنه قول ابي النجم ومد
طوفان فبث مددا شهرا شآبيب وشهرا بردا وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد
ان الطوفان في هذه الاية هو المطر الشديد اصابهم وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم
وضيق عليهم وقيل طم فيض النيل عليهم وروي في كيفيته قصص كثير وقالت
عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطوفان المراد
في هذه الاية هو الموت وقال ابن عباس في ما روي عنه هو مصدر بكمي عنا به
شيما طاف الله بهم والجراد معروف قال الاخفش هو جمع جرادة للمذكر والمؤنث
فان اردت الفصل قلت رأيت جرادة ذكرا وروي ان الله سبحانه لما والى عليهم
المطر غرقت ارضهم وامتنعوا الزراعة فقالوا يا موسى ادع في كشف هذا عنا
ونحن نؤمن فدعا فرفع الله عنهم فانبتت الارض نباتا حسنا فطغوا وقالوا
ما نود انا لم نمطر وما هذا الا احسان من الله الينا فبعث الله حينئذ الجراد
فاكل جميع ما انبتت الارض وروى ابن وهب عن مالك انه قال روي انه
اكل ابوابهم واكل الحديد والمسامير وضيق عليهم غاية الضيق وترك
الله من نباتهم ما يقوم به الرمق فقالوا يا موسى ادع في كشف الجراد ونحن نؤمن
فدعا الله فكشف فرجعوا الى كفرهم ورأوا ان ما قام رمقهم قد كفاهم
فبعث الله القمل وهو الدبا صغار الجراد الذي نبت ولا يطير قاله
ابن مسعود ومجاهد وقتادة وقيل الحمنان وهو صغار القردان
وقيل هو البراغيث وقال ابن عباس القمل السوس الذي يخرج من الحنطة
وقيل القمل الدبيب وحديث انه حيوان صغير جدا اسود وانه بارض
مصر حتى الان وقال حبيب بن ابي ثابت القمل الجعلان وقرأ الحسن
القمل بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا بينة القمل المعروف

وروى

وروي ان موسى مشى بعصاه الى كثيب اهيل فضربه فانتشر كله قملا في مصر ثم
انهم قالوا ادع في كشف هذا فدعا ورجعوا الى طغيانهم وكفرهم فبعث الله
سبحانه عليهم الضفادع فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم واذا هم الرجل
ان يتكلم وثب الضفدع في فمه قال ابن جبير كان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع
وقال ابن عباس كانت الضفادع برية فلما ارسلت على آل فرعون سمعت واطاعت
فجعلت تقذف انفسها في القدر وهي تغلي فاثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فقالوا
يا موسى ادع في كشف هذا فدعا فكشف فرجعوا الى كفرهم وعتوهم فبعث الله سبحانه
عليهم الدم فرجع ماؤهم الذي يستقونه ويحصل عندهم دما فروي ان الرجل
منهم كان يستقي من البئر فاذا ارتفع اليه الدلو عاد دما وروي انه كان
يستقي القبطي والاسرائيلي باناء واحد فاذا خرج الماء كان الذي يلي القبطي دما
والذي يلي الاسرائيلي ماء الى نحو هذا وشبهه من العذاب بالدم المنقلب
عن الماء هذا قول جماعة من المتأولين وقال زيد بن اسلم انما سلط الله عليهم
الرعاف فهذا معنى قوله والدم قوله ايات مفصلات التفصيل اصله في الاجرام
ازالة الاتصال فهو تفريق شيئين فاذا استعمل في المعاني يراد به انه فرق بينها
وازيل اشتباكها واشكالها فيجيء من ذلك بيانها وقالت فرقة من المفسرين مفصلات
يراد به مفرقات بالزمن والمعنى انه كان العذاب يرتفع ثم تبقون مدة شهر
او نحو ثمانية ايام ثم يرد الاخر فالمراد ان هذه الانواع من العذاب لم تجئ جملة
ولا متصلة ثم وصفهم الله تعالى بالاستكبار عن الايمان والايات
وانهم كان لهم اجترام على الله تعالى وعلى عباده **قوله عز وجل** ولما وقع عليهم
الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا
هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها
غافلين الرجز العذاب والظاهر من الاية ان المراد بالرجز هنا العذاب المتقدم
الذكر من الطوفان والجراد وغيره وقال قوم من المفسرين ان الاشارة هنا
بالرجز انما هي الى طاعون انزله الله بهم مات منهم في ليلة سبعون الفا من القبط
وروي في ذلك ان موسى عليه السلام امر بني اسرائيل ان تذبحوا كبشا كبشا
وتضمخوا ابوابهم بالدم لتكون ذلك فرقا بينهم وبين القبط في نزول العذاب
قال ابو محمد وهذا ضعيف وهذه الاخبار وما شاكلها انما تؤخذ من روايات
بني اسرائيل فلذلك ضعفت وقوله بما عهد عندك يريدون بما ملك وما سبق
اليه فهي تعم جميع الوسائل كما بين الله وبين موسى من طاعة من موسى ونعمة من الله
تبارك وتعالى ويحتمل ان يكون ذلك منهم على جهة القسم على موسى ويحتمل المعنى
ادع لنا ربك ما تأتيه بما عهد عندك ويحتمل ان كان شعر ان بين الله وبين موسى
في امرهم عهدا ما ان يكون الاشارة اليه والاول اعم والزم والاخر يحتاج الى رواية
وقولهم لئن كشفت اي بدعائك لنؤمنن ولنرسلن قسم وجوابه وهذا عهد
من فرعون وملائه الذي اليهم الحل والعقد ولهم ضمير الجمع في قوله لنؤمنن و
الفاظ هذه الاية يعطي الفرق بين القبط وبين الاسرائيل في رسالة موسى لانه
لو كان ارسل اليهم به على حد ايمان بني اسرائيل لما ارسلوا بني اسرائيل ولا ما زوا
بينهم بل يأتوا يشاركون فيه بني اسرائيل وروي انه لما انكشف العذاب
قال فرعون لموسى اذهب ببني اسرائيل حيث شئت فخالفه بعض ملائه فرجع
ونكث واخبر الله عز وجل انه لما كشف عنهم العذاب نكثوا عهدهم
الذي اعطوه موسى واذا هنا للمفاجأة والى متعلقة بكشفنا والاجل
يراد به غاية كل واحد منهم بما يخصه من الهلاك والموت هذا اللازم من اللفظ
كما يقول اخرت كذا الى وقت وانت لا تريد وقتا بعينه وقال يحيى بن سلام الاجل
هنا الغرق قال ابو محمد وانما قال هذا القول لانه رأى جمهور هذه الطائفة قد
اتفق ان هلكت غرقا فاعتقد ان الاشارة هنا بالاجل انما هي الى الغرق وهذا
ليس بلازم لانه لا بد انه مات منهم قبل الغرق عالم وهم ممن اخر وكشف عنهم
العذاب الى اجل بلغه ودخل في هذه الاية فاين الغرق من هؤلاء واين هو ممن بقي

بمصر ولم يغرق وذكر بعض الناس ان معنى الكلام فلما كشفنا عنهم الرجز المؤجل
الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون وتحصول هذا التاويل ان العذاب كان مؤجلا
والمعنى الاول افصح لانه يضم توعدنا ما وقرا ابو ابراهيم وابو حيوة ينكثون بكسر
الكاف والنكث نقض ما ابرم ويستعمل في الاجسام وفي المعاني وقرا ابن محيصن
ومجاهد وابن جبير الرجز بضم الراء في جميع القران قال ابو حاتم الا ان ابن محيصن
كسر حرفين رجز الشيطان والرجز فاهجر قال ابو محمد وانهما بمعنى اخر عبا به الرجس
والنتن الذى يجب التطهر منه في اليم البحر ومنه قول ذى الرمة داويه ودحاليل
كانهما يم تراطن في حافاته الروم والباقي قوله بانهم باء النسبت ووصف الكفار
بالغفلة وهم قد كذبوا وردوا في صدر الايات من حيث غفلوا عما تضمنه الايات
من الهدى والنجاة ففى ذلك غفلوا قوله عز وجل واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة
ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما
كانوا يعرشون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم
قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون قوله الذين كانوا
يستضعفون كناية عن بنى اسرائيل لاستعباد فرعون لهم وغلبته
وغلبته عليهم وقوله مشارق الارض ومغاربها التي قال الحسن وقتاده
وغيرهما يريد ارض الشام وقال ابو جعفر النحاس يراد ارض مصر وهو قول الحسن
في كتب النقاش وقالت فرقة يريد الارض كلها قال ابو محمد وهذا يتجه اما
على المجاز لانه ملكهم بلادا كثيرة واما على الحقيقة في انه ملك ذريتهم وهم
سليمان بن داود ولكن الذى يليق بالاية وروى فيها انه ملك ابناء المستضعفين
باعيانهم مشارق الارض ومغاربها لا سيما بوصف الارض اليها التي بارك
بارك فيها ولا يتصف هذه الصفة وينفرد لها اكثر من غيرها الا ارض الشام
لما بها من الماء والشجر والنعم والفوائد وحكى الطبرى عن قائل لم يسمه وذكر الزهراوى
انه الفراء ان مشارق الارض ومغاربها نصب على الظرف اى يستضعفون
في مشارق الارض ومغاربها وان قوله التي باركنا فيها معمول لاورثنا وصحه
وضعفه الطبرى وذلك هو قول متجه والتى في موضع خفض نعت للارض ويجوز
ان يكون في موضع نصب نعت لمشارق ومغارب قوله وتمت كلمة ربك الحسنى
اى ما سبق لهم في علمه وكلامه في الازل من النجاة من عدوهم والظهور عليه
قال مجاهد وقال المهدوى هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض وقيل هي قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم الاية وروى عن ابي عمرو وكلمات
ويعرشون قال ابن عباس ومجاهد معناه يبنون وعرش البيت سقفه والعرش
البناء والسقف وقال الحسن هي في الكروم وما اشبهها وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو وحمزه والكسائي وحفص عن عاصم بكسر الراء وقرا الباقون وابن
عامر وعاصم فيما روى عنه والحسن وابو رجاء ومجاهد بضمها وكذلك في سورة
النحل وهما لغتان وقرا ابن ابى عبلة يعرشون ويعكفون بضم الياء فيهما وفتح
الفاء مشددة الراء والكاف مكسورتين قال ابو محمد رايت للحسن
البصرى انه احتج بقوله وتمت كلمة ربك الى اخر الاية على انه لا ينبغى ان يخرج
على ملوك السوء عما ينبغى ان يصبر عليهم فان الله تعالى يدمرهم ورايت
لغيره انه قال اذا قابل الناس البلاء بمثله وكلهم الله اليه واذا تلقوه
بالصبر وانتظار الفرج اتى الله بالفرج وروى هذا القول ايضا عن الحسن
وقرا جمهور الناس وجاوزنا وقرا الحسن ابن ابى الحسن وجوزنا ذكره ابو
حاتم والمهدوى والمعنى قطعناه بهم وجزعناه وهذه الاية ابتدا وخبر
عنهم قال النقاش جازوا البحر يوم عاشورا واعطى موسى التورية يوم النحر
القابل بين الامرين احد عشر شهرا وروى ان قطعهم كان من ضفة البحر
الى ضفته المنا وحذوها للاولى وروى انه قطع من الضفة الى موضع اخر منها
قال ابو محمد فاما ان يكون ذلك بوحى من الله وامر ليعظم امره في فرعون
وقومه وهذا هو الظاهر واما بحسب اجتهاد موسى في التخلص بان يكون

من الموضعين

من الموضعين او عادو حايلات ووقع في كتاب النقاش انه نيل مصر قال ابو محمد وهذا
خطا لا يساعده رواية ولا يحتمله لفظ الا على تحامل وانما هو بحر القلزم والقوم المشار
اليهم في الاية قيل هم الكنعانيون وقال قتاده وقال ابو عمران الجونى هم قوم من لخم
وجذام والقوم في كلام العرب الرجال خاصة ومنه قول زهير وما ادرى وسوف
اخال ادرى اقوم ال حصن ام نساء ومنه قوله لا يسخر قوم من قوم ثم قال
ولا نساء من نساء وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم وابن عامر
يعكفون بضم الكاف وقرا حمزه والكسائي وابو عمرو في رواية عبد الوارث
عنه يعكفون بكسرها وهما لغتان والعكوف الملازمة بالشخص لامر
ما والاكباب عليه ومنه الاعتكاف في المساجد ومنه قول الاخر عكف النبيط
يلعبون الفنزجا والاصنام في هذه الاية قيل كانت بقرا على الحقيقة وقال
ابن جريج كانت تماثيل بقر من حجارة وعيدان ونحوه وذلك كان اول فتنة العجل
قال ابو محمد والظاهر من مقالة بنى اسرائيل لموسى اجعل لنا الها انهم استحسنوا
ما راوه من الهة اولئك القوم فارادوا ان يكون ذلك في شرع موسى وفي جملة ما
يتقرب به الى الله تعالى والا فبعيد ان يقولوا لموسى اجعل لنا صنما نفرده بالعبادة
ونكفر بربك فعرفهم موسى ان هذا جهل منهم اوسالوا امرا حراما فيه الاشراك
في العبادة ومنه يتطرق الى افراد الاصنام بالعبادة والكفر بالله عز وجل وعلى
هذا الذى قلت يقع التشابه الذى نصه النبي صلى الله عليه وسلم في قول ابى
واقد الليثى له في غزوة حنين اذ مروا على دوح سدرة خضراء عظيمة اجعل
لنا يا رسول الله ذات انواط كما لهم ذات انواط وكانت ذات انواط سرحة
بعض المشركين يعلقون اسلحتهم ولها يوم يجتمعون اليها فيه فاراد ابو
واقد وغيره ان يشرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام فراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ذريعة الى عبادة تلك السرحة فانكر وقال
الله اكبر قلتم والله كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم الهة لتتبعن سنن
من قبلكم الحديث قال ابو محمد ولم يقصد ابو واقد رضى الله عنه بمقالته فسادا
وقال بعض الناس كان ذلك من بنى اسرائيل كفرا ولفظة الاله يقتضى ذلك وهذا
محتمل وما ذكرته اولا اصح عندى والله اعلم قوله عز وجل ان هؤلاء متبر ما هم
فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين
واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اعلمهم موسى عن الله جل ذكره بفساد حال
اولئك القوم ليزول ما استحسنوه من حالهم فقال ان هؤلاء اشارة الى اولئك
القوم متبر اى مهلك مدمر ردى العاقبة قال السدى وابن زيد والتبار الهلاك
الهلاك وسوء العقبى وانا متبر اى مكسور وكسارته تبر ومنه تبر الذهب
لانه كسارة قوله ما هم فيه لفظ يعم جميع حالهم وباطل معناه فاسد
ذاهب مضمحل قوله قال اغير الله الاية امر الله موسى صلى الله عليه وسلم ان
يوقفهم ويقررهم على هذه المقالة ويحتمل ان يكون القول من تلقائه وابغيكم
معناه اطلب لكم من بغيت الشىء اذا طلبته وغير منصوبة بفعل مضمر هذا هو
الظاهر ويحتمل ان ينتصب على الحال كان تقدير الكلام قل ابغيكم الها غير الله فهى
في مكان الصفة فلما قدمت نصب على الحال والعالمين لفظ عام يراد به تخصيص
عالم زمانهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم افضل منهم باجماع لقوله
كنتم خير امة اللهم الا ان يريد بالفضل منهم كثرة الانبيا فانهم فضلوا في ذلك
على العالمين بالاطلاق ثم عدد عليهم في هذه الاية النعم التي يجب اجلها
الا يكفروا به ولا يرغبوا في عبادة غيره وقرات فرقة نجيناكم وقرا جمهور الناس
انجينا وقد تقدم وروى عن ابن عامر واذ انجاكم اى انجاكم الله وكذلك هي من
مصاحف الشام ويسومونكم يحملونكم ويكلفونكم يقول سامه خطة خسف ونحو
هذا ومساومة البيع ينظر الى هذا فان كل واحد من المتساومين يكلف صاحبه
ارادته ثم فسر سوء العذاب بقوله يقتلون ويستحيون وبلاء في هذا الموضع
معناه الاختبار والامتحان قوله ذلكم اشارة الى العذاب ويحتمل ان يشير الى التنجية

فكانه قال وفى تنجيتكم امتحان لكم واختبار هل يكون مسلم وفاء بحسب النعمة قال ابو محمد
والتاويل الاول اظهر وقالت فرقة هذه الاية خاطب بها موسى من حضره من بنى اسرائل
وقال الطبرى خوطب بهذه الاية من كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقريعا لهم بما فعل باوايلهم وبما جاوزوا به قال ابو محمد والاول اظهر وابين
قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه
اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هارون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى قرا ابو عمرو وابى ابن كعب وابو رجا وابو
جعفر وسبه ووعدنا وقد تقدم فى البقرة واخبر الله تعالى موسى صلى الله عليه وسلم
ان سهيا لمناجاته ثلثين ليلة ثم زاد فى الاجل بعد ذلك عشر ليال فيذكر ان موسى اعلم
بنى اسرائل بمغيبه ثلثين ليلة فلما زاده العشر فى حال مغيبه دون ان تعلم بنو اسرائل
ذلك وحبست نفوسهم للزيادة على ما اخبرهم فقال لهم السامرى ان موسى قد هلك
وليس براجع واضلهم بالعجل فاتبعوه قاله كله ابن جريج وقيل بل اخبرهم بمغيبه اربعين
ليلة وكذلك اعلمه الله تعالى وهو المراد بهذه الاية قاله الحسن وهو مثل قوله فصيام
ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وانهم عد الايام والليال
فلما تم اربعون من الدهر قالوا اخلف موسى فضلوا قال مجاهد ان الثلثين هى عشر
ذى القعده وان العشر هى عشر ذى الحجه وقاله ابن عباس ومسروق وروى ان الثلثين
انما وعد بان يصومها وسهيا فيها للمناجاه ويستعد وان مده المناجاه هى
العشر وقيل بل مده المناجاه الاربعون واقبال موسى على الامر والتزامه يحسن
لفظ المواعده وحيث ورد ان المواعده اربعون ليلة فذلك اخبار بجملة الامر
وهو فى هذه الاية اخبار بتفصيله كيف وقع واربعين فى هذه الاية وما بعدها
فى موضع الحال ويصح ان يكون اربعين ظرفا من حيث هى عدد ازمنه وفى مصحف ابى بن
كعب وتممناها بغير الف وتشديد الميم وذكر الزجاج عن بعضهم قال لما صام
ثلثين يوما انكر خلوف فمه فاستاك بعود خروب فقالت الملئكة انا كنا نستنشق
من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك فزيدت عليه عشر ليال وثلثين نصب
على تقدير اجلناه ثلثين او مناجاه ثلثين وليست منتصبة على الظرف لان
المواعده لم تقع فى الثلثين ثم ردد الامر بقوله فتم ميقات ربه اربعين وقيل ليبين
ان العشر لم تكن ساعات وبالجملة فتاكيد وايضاح قوله وقال موسى لاخيه الاية
المعنى وقال موسى حين اراد المضى للمناجاة والمغيب فيها اخلفنى معناه
ان خليفتى وهذا استخلاف فى حياة كالوكالة تنقضى بعزل الموكل او موته
لا يقتضى انه متماد بعد وفاة فينحل على هذا ما تعلق به الامامية فى قولهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف عليا بقوله انت منى بمنزلة هارون
من موسى وقال موسى اخلفنى فركبت على هذا ان عليا خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما ذكرناه يحل هذا القياس وامره فى هذه الاية
بالاصلاح ثم من الطرف الاخر فى ان لا تتبع سبيل مفسد قال ابن جريج كان
من الاصلاح ان يزجر السامرى ويغير عليه ثم اخبر الله سبحانه عن موسى
انه لما جاء الى الموضع الذى حد له وفى الوقت الذى عين له وكلمه ربه قال
تمنيا منه رب ارنى انظر اليك وقرا الجمهور ارنى بكسر الراء وقرا ابو عمرو
وابن كثير ارنى بسكون والمعنى فى قوله كلمه انه خلق له ادراكا يسمع به
الكلام القايم بالذات القديم الذى هو صفة ذات وقال ابن عباس
وسعيد بن جبير ادنا الله موسى حتى سمع صريف الاقلام فى اللوح
وكلام الله عز وجل لا يشبه شيئا من الكلام الذى للمخلوقين ولا فى
جهة من الجهات وكما هو موجود لا كالموجودات معلوم لا كالمعلومات
كذلك كلامه لا يشبه الكلام الذى وعلامة الحدوث والواو عاطفة كلمه
على جاء ويحتمل ان تكون واو الحال والاول ابين وقال وهب بن منبه كلم الله
موسى فى الف مقام كان نرى نور على وجهه ثلثة ايام اثر كل مقام و
ما قرب موسى النساء مذ كلمه الله تعالى وجواب لما فى قوله قال والمعنى انه لما كلمه

وخصه

وخصه بهذه المرتبة طمحت همته الى رتبة الروية وتشوق الى ذلك سال ربه ان يريه
نفسه قاله السدى وابو بكر الهذلى وقال الربيع قربناه نجيا حتى سمع صريف الاقلام
وروية الله عند الاشعرية واهل السنة جايزة عقلا لانه من حيث هو موجود
تصح رويته قالوا لان الروية للشئ لا يتعلق بصفة من صفاته اكثر من الوجود الا
ان الشريعة قررت روية الله سبحانه فى الاخرة نصا ومنعت من ذلك فى الدنيا
بظواهر من الشرع فموسى عليه السلام لم يسئل ربه محالا وانما سال جايزا وقد
قال تعالى لنوح عليه السلام فلا تسئلنى ما ليس لك به علم الاية فلو سال موسى محالا
لكان فى الكلام زجر ما وتبيين قوله لن ترانى نص من الله على منع الروية فى الدنيا
ولن تنفى الفعل المستقبل ولو بقينا مع هذا النفى مجردة لقضينا انه لا يراه موسى
ابدا ولا فى الاخرة لكن ورد من جهة اخرى بالحديث المتواتر ان اهل الايمان
يرون الله تعالى يوم القيمة فموسى صلى الله عليه وسلم احرى بروية وقال
مجاهد وغيره ان الله عز وجل قال له يا موسى لن ترانى ولكن سنتجلى
للجبل الذى هو اقوى منك واشد فان استقر واطاق الصبر لهيبتى
فتمكنك انت رويتى قال ابو محمد لعل هذا انما جعل الله له الجبل مثالا
وقالت فرقة انما المعنى سابدى لك على الجبل فان استقر لعظمتى فسوف ترانى
وروى فى كيفية وقوف موسى وانتظاره الروية قصص طويل اختصرته لبعده
وكثره مواضع الاعتراض فيه قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين قال يا موسى انى
اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين
وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وامر
قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين قال المتاولون المتكلمون كالقاضى
ابو بكر بن الباقلانى وغيره ان الله سبحانه خلق للجبال حياة وحسا وادراكا ثم
تجلى له اى ظهر وبدا سلطانه فاندك الجبل لشدة المطلع فلما راى موسى ما
بالجبل صعق وهذا المعنى هو المروى عن ابن عباس واسند الطبرى عن
حماد بن زيد عن ثابت عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا فلما
تجلى ربه للجبل جعله دكا قال فوضع الابهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ
الجبل فقال حميد لثابت يقول هذا فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد
وقال يقوله صلى الله عليه وسلم ويقوله انس واكتمه انا وقالت فرقة المعنى
فلما تجلى الله للجبل بقدرته وسلطانه اندك الجبل قال ابو محمد وهذا التاويل
يتمسك به المعتزلة تمسكا شديدا لقولهم ان روية الله سبحانه غير جايزة وقايله
من اهل السنة انما يقوله مع اعتقاده جواز الروية ولكنه يقول انه اليق بالفاظ
الاية من ان يجعل الاية ان للجبل حلول ادراك وحياة وقال الزجاج من قال
ان التقدير فلما تجلى امر ربه للجبل فقد اخطا ولا يعرف اهل اللغة ذلك ورد
ابو على فى الاغفال عليه والدك الانسحاق والتفتيت وقرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابن مسعود وانس بن مالك والحسن وابو جعفر ومجاهد وشيبه
وابن كثير وابو عمرو وعاصم ونافع وابن عامر دكا وقرا حمزه والكساى وابن عباس
والربيع بن خثيم وغيرهم دكاء على وزن حمراء والدكاء الناقة التى لا سنام لها
فالمعنى جعله ارضا دكاء تشبيها بالناقة وروى انه ذهب الجبل بجملته وقيل
ذهب اعلاه وبقى اكثره وروى ان الجبل بقيت وانسحق حتى صار غبارا تذروه
الرياح وقال سفيان روى انه ساخ فى الارض وافضا الى البحر الذى تحت الارضين
قال ابن الكلبى فهو يهوى فيه الى يوم القيمة وروى انه انكسر ست فرق فوقعت منها
ثلث بمكة ثبير وغار ثور وحرا وثلث بالمدينة احد وورقان ورضوى قاله
النقاش وقال ابو بكر الهذلى ساخ فى الارض فلا يظهر الى يوم القيمة وصعقا معناه
مغشيا عليه كحال من تصيبه الصعقة وهى الصيحة المفرطة قال الخليل وهى الوقعة
الشديدة من صوت الرعد قاله ابن زيد وجماعة المفسرين وقال قتادة كان موتا
قال الزجاج وهذا ضعيف ولفظة افاق يقتضى غير هذا قوله سبحانك اى تنزيها
لك كذا فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تبت اليك معناه من ان اسئلك

الرؤية في الدنيا وانت لا تسمها قال ابو محمد ويحتمل عندي كانه لفظ قاله صلى الله عليه
وسلم لشدة هول ما اطلع ولم يعن به التوبة من شي معين ولكنه لفظة يصلح
كذلك المقام وقال ابو محمد والذي يتحرز منه اهل السنة ان يكون توبة من
سؤال المحال كما زعمت المعتزلة وقرا نافع وانا باثبات الالف في الادراج
قال الزهراوي والاوضح فيها في الادراج واثباتها لغة شاذة خارجة عن القياس
قوله اول اما ان يريد من قومه بني اسرائيل وهو قول ابن عباس ومجاهد او من
اهل زمانه ان كان الكفر قد طبق الافاق واما ان يريد اول المؤمنين فانك لا ترا
في الدنيا قاله ابو العالية ثم ان الله سبحانه قدر موسى على الاية عنده على جهة
الاخبار وقنعه بها وامره بالشكر عليها فكانه قال ولا تتعدها الى غيرها
واصطفى معناه اصتفي وهو افتعل من صفا يصفو فقلبت التاء طاء
لمكان الصاد ومعناه تخيرتك وخصصتك ولا يستعمل الا في الخير لا يقال
اصطفاه لشر قوله على الناس عام والمراد الخصوص فيمن شارك موسى في
الارسال فان الانبيا كلهم المرسلين مشاركين له بما هم رسل والظاهر من شريعة
ان موسى مخصص بالكلام وان كان قد روي في تكليم الله غيره اشيا من
اعظمها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ادم فقال هو نبي مكلم
قال ابو محمد الا ان ذلك قد تاول بانه كان في الجنة فيحفظ على هذا تخصيص موسى
ويصح ان يكون قوله على الناس عموما مطلقا في مجموع الدرجتين الرسالة والكلام
وقرا حمزه والكساي وابو عمرو وعاصم وابن عامر برسالاتي على الجمع اذ الذي
ارسل به ضروب وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلمي وقرا الاعمش برسالاتي
وبكلمي وحكى عنه المهدوي وتكليمي على وزن تفعيل قوله فخذ ما اتيتك وكن
من الشاكرين تاديب وتقنيع وحمل على جادة السلامة ومثال لكل احد في
كل حالة فان جميع النعم من عنده بمقدار وكل الامور بمراى من الله تعالى ومسمع
قوله وكتبنا له الاية الضمير في له عايد على موسى والالف واللام في الالواح عوض
من الضمير الذي يقدر وصل بين الالواح وموسى تقديره في الواحه وهذا كقوله
تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماواه وقيل كانت الالواح اثنين وقيل سبعة وقال
مجاهد وابن عباس كانت الالواح من زمردة وقال ابن جبير من ياقوت احمر
وقال ابو العالية من زبرجد وقال ابو العالية ايضا من برد وقال الحسن من خشب
قوله من كل شي لفظه عموم والمراد به كل شي ينفع في معنى الشرع ويحتاج اليه
في المصلحة قوله لكل شي مثله قال ابن جبير ما امروا به ونهوا عنه وقال مجاهد
وقال السدي الحلال والحرام قوله بقوة معناه بجد وصبر عليها واحتمال لمونتها
قاله ابن عباس والسدي وقال الربيع بن انس بقوة بطاعة وقال ابن عباس
امر موسى ان ياخذ باشد مما امر به قومه وخذ اصله اخذ فحذفت الهمزة التي هي فا الفعل
على غير قياس فاستغني عن الاولى قوله باحسنها يحتمل معنيين احدهما التفضيل
كانه قال اذا فيها مباحان فياخذون الاحسن منهما كالعفو والقصاص
والانتصار والصبر قال ابو محمد هنا على القولان افعل في التفضيل لا يقال
الا لما لهما اشتراك في الفضل فيه واما على القول الاخر فعدى اذ بالاحسن المامور
بالاضافة الى المنهي عنه لانه احسن منه وكذلك الناسخ بالاضافة الى المنسوخ ونحو هذا
وذهب الى هذا المعنى الطبري قال ابو محمد ويتركد هذا التاويل انه خلل الفرائض
وهي لا يدخل في التاويل الاول وقد يمكن ان يتصور اشتراك في تجنس من المامور
والمنهي عنه ولو بجنس الملاذ وشهوات النفس الامارة والمعنى الاخر الذي
يحتمل قوله باحسنها ان يريد باحسن وصف الشريعة بجملتها فكانه قال قد جعلنا
لكن شريعة هي احسن كما يقول الله اكبر دون مقايسة ثم قال لهم ياخذوا باحسنها
الذي شرعناه لهم وفي هذا التاويل اعتراضات وقرا جمهور الناس ساريكم
وقرا حسن ابن ابي الحسن ساوريكم قال ابو الفتح ظاهر هذه القراة مردود و
هو ابو سعيد الماثور فصاحة فوجهها ان المراد اريكم ثم اشبعت ضمة الهمزة
ومطلت حتى تشلت عنها واو ويحسن احتمال الواو في هذا الموضع انه موضع
وعيد واغلاظ فمكن الصوت فيه وقرا قسامة بن زهير ساوريكم قاله ابو حاتم

ونسبها

ونسبها المهدوي الى ابن عباس وثبت الواو في خط المصحف فكذلك اشكل
هذا الاختلاف ملوانا لا تناول الا انها مرويات فامرها قراها ساوريكم فالمعنى
عنده ساعرض عليكم واجعلكم تحسبون لتعتبروا حال دار الفاسقين والرؤية
هنا رؤية العين الا ان المعنى يتضمن الوعد والوعيد للفاسقين ويدل على انها
رؤية العين تعدى فعلها وتعدى بالهمزة الى مفعولين ولو كان من رؤية
القلب لتعدى بالهمزة الى ثلث مفعولين ولو قال قايل المفعول الثالث تضمنه
المعنى فهو مقدر اي مدمرة او خربة او مستقرة على قول من قال هي جهنم قيل له لا يجوز
حذف هذا المفعول ولا الاقتصار دونه لانها داخلة على الابتداء والخبر ولو جوز
لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله سبحانه وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومقاتل وقتاده في كتاب النقاش دار الفاسقين مصر والمراد آل فرعون وقال
قتادة ايضا دار الفاسقين الشام والمراد العمالقة الذين امر موسى عليه السلام
بقتالهم وقال مجاهد والحسن دار الفاسقين جهنم والمراد الكفرة بموسى عامة
وقال النقاش عن الكلبي دار الفاسقين دور ثمود وعاد والامم الخالية استقصها
عليكم فتروها قوله عز وجل ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا
يعملون المعنى سامنع وامد وقال سفيان ابن عتيبة الايات هنا كل كتاب منزل
قال القاضي فالمعنى عن فهمها وتصديقها وقال ابن جريج الايات العلامات المنصوبة
الدالة على الوحدانية قال ابو محمد فالمعنى عن النظر فيها والتفكر والاستدلال بها واللفظ
يعم الوجهين والمتكبرون بغير حق في الارض هم الكفرة والمعنى في هذه الاية ساجعل
الصرف عن الايات عقوبة للمتكبرين على تكبرهم قوله وان يروا الاية حتم من الله
تعالى على الطايفة التي قدر الا يومنوا وقرا الجمهور يروا بفتح الياء قراها ابن كثير
ونافع وعاصم وابو جعفر وشيبة وشبل وابن وثاب وطلحة بن مصرف وسائر السبعة
وقراها مضمومة الياء مالك بن دينار وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو
وعاصم وابن عامر الرشد وقرا ابن عامر في بعض ما روي عنه وابن
ابي هاشم الرشد بضم الراء والشين وقرا حمزه والكساي الرشد بفتحهما
وقرا ابن عبد الرحمن فيما ذكر ابو حاتم الرشاد وجمهور الناس
على ان الرشد بضم الراء وسكون الشين والرشد بفتحهما بمعنى واحد
وقال ابو عمرو بن العلا الرشد بضم الراء الصلاح في النظر والرشد
بفتحهما الدين واما قراة ابن عامر بضمهما فاتبعت الضمة الضمة وقرا ابن
ابي عبلة لا يتخذوها ويتخذوها على تانيث السبيل والسبيل يذكر و
يؤنث قوله ذلك اشارة الى الصرف اي صرفناهم عن اياتنا وعوقبنا لهم بمعنى
بكفرهم وتكذيبهم وغفلتهم عن النظر في الايات والتوقف عند الحجج
ويحتمل ان يكون ذلك خبر ابتدا تقديره الامر ذلك ويحتمل ان يكون
في موضع نصب بفعل تقديره فعلنا ذلك قوله والذين كذبوا الاية هل الاية
موكلة لكي ليلهم ووعيدهم في حملة المكذبين واما الاخرة لفظ يتضمن
تهديدا اي هنالك يفسخ لهم حالهم وحبطت معناه سقطت وفسدت
واهل الحبط فيما قد تقدم صلاحه ولكنه قد يستعمل في الذي كان هذا اول
امره فاسدا اذ مال العملين واحد قوله هل يجزون استفهام بمعنى التقرير
اي استوجبون بسوء فعلهم الا عقوبة وساغ ان يستعمل حبطت
هنا اذ كانت اعمالهم في معتقداتهم واما بحسب ما هي عليه في
نفسها ففاسدة منذ اول امره ومن هذه اللفظة قول النبي صلى الله
عليه وسلم ان فيما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم اي فساد العرض الاكل
بعد الصلاح الذي كان اولا وقرا ابن عباس وابو السمال حبط بفتح الباء
قوله عز وجل واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم

وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يغفر لنا ربنا ويرحمنا لنكونن من الخاسرين اتخذ
اصلها ايتخذ وزنه افتعل من تخذ هذا قول ابي علي الفارسي والضمير في بعده
عايد على موسى اي بعد مضيه الى المناجاة واضاف الحلي الى بني اسرائيل وان كان
مستعارا من القبط اذ كانوا قد تملكوه اما بان نفلوه كما روي وحكى يحيى بن سلام
عن الحسن انه قال استعار بنو اسرائيل حلي القبط ليوم الزينة فلما امر موسى
ان يسري بهم ليلا تعذر عليهم رد العواري وايضا خشوا ان يفتضح سرهم ثم
ان الله نفلهم اياه ويحتمل ان يضاف الحلي الى بني اسرائيل من حيث تصرفت ايديهم
فيه عرق الى فرعون ويروى ان السامري واسمه موسى بن ظفر ونسب الى قرية تسمى
سامرة قال لهارون حين ذهب موسى الى المناجاة يا هارون ان بني اسرائيل قد
بددوا الحلي الذي قد استعير من القبط ويصرفوا فيه وانفقوا منه فلو جمعته
حتى يرى فيه موسى رايه قال فجمعه هارون فلما اجتمع قال السامري انت اولى الناس
بان يختزن عندك فاخذه السامري وكان صايغا فصاغ منه صورة عجل وهو
ولد البقرة جسدا اي جثة وجمادا وقيل كان جسدا بلا راس وهذا تعلق بان الجسد
في اللغة ما عدا الراس وقيل ان الله جعل له لحما ودما قال ابو محمد وهذا ضعيف
لان الاثار في ان موسى عليه السلام برده بالمبارد تكذب ذلك والخوار صوت
البقر وروي ان هذا العجل انما خار مرة واحدة وذلك بحيلة صناعية
من السامري او سحر تركب له من قبضة القبضة من اثر الرسول او بان الله تعالى
اخار العجل ليفتن بني اسرائيل وقرات فرقة له جوار بالجيم وهو الصياح قال ابو حاتم
وشدة الصوت وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وابو عمرو والحسن وابو جعفر
وشيبة من حليهم بضم الحاء وكسر اللام وهو جمع حلي مثل ثدي وثدي واصله حلوي
قلبت الواو ياء وادغمت فجاء حلي فكسرت اللام لتناسب الياء وقرا حمزة والكسائي
من حليهم بكسر الحاء على ما قدمناه من التعليل قال ابو حاتم الا انهم كسروا الحاء اتباعا
لكسرة اللام قال ابو علي وقوي التغيير الذي دخل الجمع على هذا التغيير الاخير قال ومما
يولد كسر الفا في هذا النحو من الجمع قولهم قسي قال ابو حاتم ونمر وقرا ها كذلك
يحيى بن وثاب وطلحة والاعمش واصحاب عبد الله وقرا يعقوب الحضرمي من حليهم
بفتح الحاء وسكون اللام فاما ان يكون مفردا يراد به الجمع واما ان يكون جمع حلية
كتمرة وتمر ومعنى الحلي ما يتحلى به من حجارة وذهب وفضة ثم بين الله تعالى سوء
نظرهم وقرر فساد اعتقادهم بقوله الم يروا انه لا يكلمهم وذلك ان الصامت
الجماد لا يتصف بالالهية والذي لا يرشد الى خير ولا يكشف غما كذلك والضمير
في اتخذوه عايد على العجل قوله وكانوا اخبار عن جميع احوالهم ماضيا وحالا ومستقبلا
ويحتمل ان يكون الواو واو الحال وتقدم في البقرة اتخاذ العجل وبسط تلك الحال
بما اغنى عن اعادته هنا وقرا جمهور الناس بكسر القاف وضم السين وسقط
في ايديهم وقرات فرقة بفتح السين والقاف حكاه الزجاج وقرا ابن ابي
عبلة اسقط وهي لغة حكاها الطبري بالهمزة المضمومة وسين ساكنة
والعرب تقول لمن كان ساعيا لوجه وطالبا غاية ما فعرضه ما غاية وصده
عن وجهته واوقفه موقف العجز عن بغيته وتيقن انه قد عجز سقط
في يد فلان وقال ابو عبيدة يقال لمن قدم على امر وعجز عنه سقط في يده قال
ابو محمد والندم عندي عرض يعرض صاحب الحال وقد لا يعرضه فليس الندم
باصل في هذا اما ان اكثر اصحاب هذه الحال يصحبهم الندم وكذلك صحب
بني اسرائيل المذكورين في الاية والوجه الذي يصل بين هذه الالفاظ وبين
المعنى الذي ذكرناه هو السعي والتصرف او الرفاع يسقط في يد المشار اليه
فصار في يده لا يجاوزها ولا يكون لها خارجها تاثير وقال الزجاج المعنى
ان الندم سقط في ايديهم ويحتمل ان الخسران او الخيبة سقط في ايديهم
قال ابو محمد وعلى هذا كله يلزم ان يكون سقط يتعدى فان سقط يتضمن
مفعولا وهو ها هنا المصدر الذي هو الاسقاط كما يقال ذهب بزيد
وفي هذا عندي نظر واما قراءة من قرا اسقط على بناء الفعل للفاعل
او اسقط على التعدية بالهمزة فبين في الاستغناء عن التعدي ويحتمل

ان يقال

ان يقال سقط في يديه على معنى التشبيه بالاسير الذي يلتف يداه فكان صاحب هذه
الحال يستاسر ويقع ظهور الغلبة عليه في يده او كان المرء يسقط الغلب
والقهر في يده وحدثت عن ابي مروان بن سراج انه كان يقول قول العرب سقط في
يده مما اعيا في معناه وقال الجرجاني هذا مما كثر استعماله مثل ما كثر استعمال
قوله تعالى فضربنا على اذانهم قال ابو محمد وفي هذا الكلام ضعف والسقاط
في كلام العرب كثرة الخطا والندم عليه ومنه قول سويد بن ابي كاهل كيف
ترجون سقاطي بعد ما لفع الراس شيب وصلع وقول بني اسرائيل لئن لم يرحمنا
ربنا انما كان بعد رجوع موسى وتغييره عليهم ورؤيتهم انهم قد خرجوا عن
الدين ووقعوا في الكفر وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم والحسن
والاعرج وابو جعفر وشيبة بن نصاح ومجاهد وغيرهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
بالياء في يرحمنا واسناد الفعل الى الرب ويغفر لنا بالياء وقرا حمزة والكسائي
والشعبي وابن وثاب والجحدري وطلحة بن مصرف والاعمش ترحمنا ربنا بالتاء
في ترحمنا ونصب لفظة ربنا على جهة البدل وتغفر بالتاء من فوق وفي مصحف
ابي قالوا ربنا لئن لم ترحمنا وتغفر لنا الاية قوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح
واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين يريد رجع من المناجاة
ويروى انه لما قرب من محل بني اسرائيل سمع اصواتهم فقال هذه اصوات قوم لاهين
فلما تحقق عكوفهم على عبادة العجل داخله الغضب والاسف والقى الالواح قاله
ابن اسحق وقال الطبري اخبره الله قبل رجوعه انهم قد فتنوا بالعجل فلذلك رجع وهو غاضب
والاسف قد يكون بمعنى الغضب الشديد واكثر ما يكون بمعنى الحزن والمعنيان مترتبان
ها هنا وما المتصلة ببئس مصدرية هذا قول الثاني وفيه خلاف قد تقدم
في البقرة اي بئس خلافكم لي بعدي ويقال خلفه بخير او بشر اذا فعله بمن ترك من بعده
ويقال عجل فلان الامر اذا سبق فيه بقوله اعجلتم معناه اسابقتم قضاء ربكم واستعجلتم
اتياني قبل الوقت الذي قدر به قوله والقى الالواح الاية قال سعيد بن جبير عن ابن عباس
كان سبب القائه الالواح غضبه على قومه في عبادتهم العجل وغضبه على اخيه في اهمال
امرهم وقال قتادة ان صح عنه هل كان ذلك لما راى فيها من تفضيل امة محمد صلى الله
عليه وسلم فرغب ان يكون ذلك لامته فلما علم انه لغيرها غضب قال ابو محمد وهذا قول
ردي لا ينبغي ان يوصف موسى عليه السلام به والاول هو الصحيح وبالجملة فكان في خلق
موسى عليه السلام ضيق وذلك مستقرا في غير موضع وروي انهما كانت لوحان وجمع
اذ التثنية جمع وروي انها كانت وقر سبعين بعيرا يقرا منها الجزء في سنة قال ابو محمد
وهذا ضعيف مفرط وقاله الربيع بن انس وقال ابن عباس ان موسى لما القاها
تكسرت فرفع اكثرها الذي فيه تفصيل كل شيء وبقي الذي نسخته الهدى والرحمة و
هو الذي اخذ بعد ذلك وقد تقدم القول من اي شيء كانت الالواح واخذه براس
اخيه ولحيته من الخلق المذكور وهذا ظاهر اللفظ وروي ان ذلك انما كان ليسار
يخشى هارون ان يتوهم الناظر اليهما انه لغضب فلذلك نهاه ورغب اليه قال ابو
محمد وهذا ضعيف في الاول هو الصحيح لقوله فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب
قولي قوله ابن ام استعطاف برحم الكهم اذ هو الصق القرابات وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وحفص عن عاصم ابن ام بفتح الميم فقال الكوفيون اصله ابن اما
فحذفت تخفيفا وقال سيبويه هما اسمان بنيا على الفتح كاسم واحد كخمسة عشر
ونحوه وقرا ابن عامر وعاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي ابن ام بكسر الميم
فكان الاصل امي فحذف الياء اما على حذف حد بهم من لا اباك ولا ادريك
تخفيفا واما كانهم جعلوا الاول والاخر اسما واحدا ثم اضافوا كقولك يا احد
عشر اقبلوا قاله سيبويه وهذا اقيس من الحذف تخفيفا والمعنى ثم اضافوا الى
ياء المتكلم ثم حذفوا الياء من ام على لغة من يقول يا غلام فحذفها من المنادى
ولم يقدر تجعل الاول والاخر اسما واحدا لما صح حذفها لان الام ليست بمنادى
واستضعفوني معناه اعتقدوا اني ضعيف قوله كادوا معناه قاربوا ولم

يفعلوا وقرأ جمهور الناس فلا تشمت بي الاعداء بضم التاء وكسر الميم ونصب الاعداء
وقرأ مجاهد فيما حكاه ابو حاتم فلا تشمت بي بفتح التاء من فوق والميم ورفع الاعداء اي
لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله انت بي وقرأ حميد بن قيس تشمت بتاء مفتوحة و
ميم مكسورة ورفع الاعداء حكاها ابو حاتم وقرأ مجاهد ايضا فيما حكاه ابو الفتح فلا
تشمت بي الاعداء بفتح التاء من فوق والميم ونصب الاعداء هذا على ان تعدى
شمت يشمت وقد روى ذلك قال ابو الفتح المعنى فلا تشمت بي انت يا رب وجاز هذا
كما قال تعالى يستهزئ بهم ونحو ذلك ثم عاد الى المراد فاضمر فعلا نصب به الاعداء
كانه قال لا تشمت بي الاعداء كقراءة الجماعة قال ابو محمد وفي كلام ابي الفتح هنا تكلف
وحكى المهدوي عن ابن محيصن تشمت بفتح اليا وكسر الميم الاعداء بالنصب والشماتة
فرح العدو بمصاب عدوه قوله عز وجل قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك
وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة
الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان
ربك من بعدها لغفور رحيم استغفر موسى من فعله مع اخيه ومن عجلته في القاء الالواح
واستغفر لاخيه من فعله في الصبر لبني اسرائيل ويمكن ان الاستغفار كان لغير
هذا مما لا نعلمه والله اعلم قوله ان الذين اتخذوا العجل الاية مخاطبة من الله تعالى
لموسى عليه السلام لقوله سينالهم ووقع ذلك النيل في عهد موسى عليه السلام
والغضب والذلة هو امرهم بقتل انفسهم هذا هو الظاهر وقال بعض المفسرين
الذلة الجزية ووجه هذا القول ان الغضب والذلة بقيت في عقب هؤلاء المقصودين
بها اولا وكان المراد سينال اعقابهم وقال ابن جريج الاشارة في قوله الذين الى من
مات من عبدة العجل قبل التوبة بقتل الانفس والى من فر فلم يكن حاضرا وقت القتل
قال ابو محمد والغضب على هذا والذلة هو عذاب الاخرة والغضب من الله سبحانه
ان اخذ بمعنى الارادة فهو صفة ذات وان اخذ بمعنى العقوبة واحلال النقمة
فهو صفة فعل وكذلك قوله نجزي المفترين المراد اولا اولئك الذين افتروا على الله
في عبادة العجل ويكون قوة اللفظ يعم كل مفتر الى يوم القيمة وقد قال سفيان
ابن عيينة وابو قلابة وغيرهما كل صاحب بدعة او فرية ذليل واستدلوا بالاية
قوله والذين عملوا السيئات الاية تضمنت هذه الاية الوعد بان الله تعالى يغفر
للتائبين والاشارة الى من تاب من بني اسرائيل وفي الاية ترتيب الايمان بعد التوبة
والمعنى في ذلك انه اراد وامنوا ان التوبة نافع لهم منجي فتمسكوا بها فهذا ايمان
خاص بعد الايمان على الاطلاق ويحتمل ان يريد بقوله وامنوا اي وعملوا عمل
المؤمنين حتى وافوا على ذلك ويحتمل ان يريد التاكيد فذكر التوبة والايمان اذ هما
متلازمان الا ان التوبة على هذا يكون من كفر ولا بد فيجي تابوا وامنوا بمعنى واحد
وهذا لا يترتب في توبة المعاصي فان الايمان متقدم لتلك ولا بد وهو وتوبة الكفر
متلازمان ان ربك ايجاب ووعد مرج قال ابو محمد ويحتمل قوله تابوا وامنوا ان يكون
لم يقصد رتبة الفعلين على عرف الواو في انها لا توجب رتبة ويكون امنوا
بمعنى وهم مؤمنين قبل وبعد فكانه قال ومن صفتهم انهم امنوا قوله عز وجل
ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما
اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء
انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين معنى هذه الاية
ان موسى صلى الله عليه وسلم لما سكت غضبه اخذ الالواح التي كان القى
وقد تقدم ما روى انه رفع اكثرها او ذهب في التكسير قوله سكت لفظة
مستعارة شبه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته
قال ولين رحيب تقول العرب سال الوادي يومين ثم سكت وقال الزجاج
وغيره مصدر قولك سكت الغضب سكت ومصدر قولك سكت الرجل
سكوتا وهذا يقتضي انه فعل على حدة ليس من سكوت الناس وقيل ان في المعنى
قلبا والمراد ولما سكت موسى عن الغضب فهو من باب ادخلت فمي في الحجر

وادخلت

وادخلت القلنسوة في راسي وفي هذا ايضا استعارة او الغضب ليس يتكلم
فيوصف بالسكوت وقرأ معاوية بن قرة ولما سكن وفي مصحف حفصة ولما
اسكت وفي مصحف ابن مسعود ولما صبر عن موسى الغضب قال النقاش
وفي مصحف ابي ولما انشق عن موسى الغضب قوله وفي نسختها معناه و
فيما ينسخ منها ويقرأ اللام في قوله لربهم يحتمل وجوها مذهب المبرد انها
تتعلق بمصدر كانه قال الذين رهبتهم لربهم ويحتمل انه لما تقدم المفعول
ضعف الفعل فقوي على التعدي باللام ويحتمل ان يكون المعنى هم لاجل طاعة
ربهم او خوف ربهم يرهبون العقاب والوعيد ونحو هذا قوله واختار موسى
قومه الاية معنى هذه الاية ان موسى صلى الله عليه وسلم اختار من قومه هذه
العدة ليذهب بهم الى موضع عبادة وابتهال ودعا فيكون منه ومنهم
اعتذار الى الله سبحانه في خطاء بني اسرائيل في عبادة العجل وطلب لكمال العفو
عمن بقي منهم وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان اختيارهم انما كان
بسبب قول بني اسرائيل ان موسى قتل هارون حين ذهب معه ولم يرجع فاختار
هؤلاء ليذهبوا فيكلمهم هارون بانه مات باجله قوله لميقاتنا يؤيد القول
الاول وينافي هذا القول لانها يقتضي ان ذلك كان عن توقيف من الله سبحانه
وعده في الوقت والموضع وتقدير الكلام واختار موسى من قومه فلما حذف
الخافض تعدى الفعل فنصب وهذا كثير في كلام العرب واختلف العلماء في سبب
الرجفة التي حلت بهم فقيل كانت عقوبة لهم على سكوتهم واغضائهم على عبادة العجل وقيل
كانت على عبادة العجل بانفسهم وخفي ذلك عن موسى في وقت الخيار حتى اعلمه الله قاله
السدي وقيل كانت عقوبة لانهم لما دنوا وعلموا ان موسى يسمع كلام الله قالوا ارنا ربك
فاخذتهم الرجفة وقيل كانت عقوبة لتشططهم في الدعاء بان قالوا اللهم اعطنا
ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فاخذتهم الرجفة وقيل انما اخذتهم
لما سمعوا كلام هارون وهو ميت وذلك ان موسى وهارون ذهبا الى
التعبد او نحوه فمات هارون فدفنه موسى وجاء فقالت له بنو اسرائيل اين هارون
فقال مات فقالوا بل انت قتلته لانك حسدتنا على حسن خلقه وعشرته فاختار
السبعين لينهضوا معه حتى يروا برهان ما قال لهم فلما وصلوا قال له موسى يا
هارون اقتلت ام مت فناداه من القبر بل مت فاخذت القوم الرجفة
قال ابو محمد وروي انهم ماتوا في رجفتهم هذه ويحتمل ان يكون مثل الاغما
ونحوه والرجفة الاهتزاز والتقلقل لهول العظيم فلما راى موسى ذلك اسف
عليهم وعلم ان امر بني اسرائيل سيتشعب عليه اذا لم يات بالقوم فجعل يستعطف
ربه اي يا رب لو اهلكتهم قبل هذه الحال واياي لكان اخف علي وهذا
وقت هلاكهم فيه مفسد علي مؤذ لي ثم استفهم على جهة الرغبة والتضرع و
التذلل ويحتمل قوله رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي يريد وقت اغضائهم
على عبادة العجل اي وقت عبادتهم على القول بذلك وفي نفسه هو وقت قتل القبطي
اي فانت قد سترت وعفوت حينئذ فكيف الان اذ رجوعي دونهم فساد لبني اسرائيل
فيجي الكلام على هذا فيه استعطاف وعلى التاويل الاول محض الادلال بالحجة في سعة
استعطاف واذا قلنا ان سبب الرجفة طلبهم الرؤية كان الضمير في قوله اهلكتنا له
وللسبعين والسفهاء اشارة الى العبدة من بني اسرائيل وكذلك اذا كان سببها
قول بني اسرائيل له قتلت هارون واذا كان سبب الرجفة طلبهم على الرؤية
او تشططهم في الدعاء او في عبادتهم بانفسهم العجل فالضمير في قوله اهلكنا
يريد به نفسه وبني اسرائيل اي بالتفرق والكفر والعصيان يكون هلاكهم
ويكون قوله السفهاء اشارة الى السبعين وروي ان السبعين لم يكن فيهم
من زاد على الاربعين ولا من قصر عن العشرين وروي عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انهم احيوا وجعلوا انبياء كلهم وقالت فرقة ان موسى صلى الله عليه
وسلم لما اعلمه الله ان السبعين عبدوا العجل تعجب وقال ان هي الا فتنتك تضل بها
من تشاء اي الامور تبدل بفعل ما تريد وقيل ان الله تعالى لما اعلم موسى بعبادة
بني اسرائيل للعجل وبصفته قال موسى اي رب ومن اخاره قال انا فقال موسى فانت

اضللتهمان هي الا فتنتك ويحتمل ان يشير بهم الى قولهم ارنا الله اذ كانت فتنته من
الله وجبت الرجفة وفي هذه الاية رد على المعتزلة واغفر معناه استر وقوله
عز وجل واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي
اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شي فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكوة
والذين هم باياتنا يومنون اكتب معناه اثبت واقض والكتب مستعمل في كلما
يخلد وحسنة لفظة عام في كل ما يحسن في الدنيا من عافية وغنى وطاعة لله و
غير ذلك وحسنة الاخرة الجنة لا حسنة دونها وهدنا بضم الها معناه تبنا وقرا
ابو وجره هدنا بكسر الها ومعناه حركنا انفسنا وجذبنا بالطاعتك وهو ماخوذ
من هاد يهيد اذا حرك قوله قال عذابي الاية قال الله سبحانه ان الرجفة التي انزلت
بالقوم هي عذابي اصيب به من شيت ثم اخبر عن رحمته ويحتمل وهو الاظهر ان الكلام
قصد الخبر عن عذابه وعن رحمته من اول ما ابتداء ويندرج امر اصحاب الرجفة
في عموم قوله عذابي اصيب به من اشاء وقرا الحسن ابن ابي الحسن وطاوس وعمرو بن فايد
من اساء من الاساءة اي من عمل غير صالح وللمعتزلة بهذه القراة تعلق من جهتين
احداهما انفاذ الوعيد والاخرى خلق المرا افعاله وان اساء لا فعل فيه لله وهذا
من التعلقات احتمال يتفصل عنه كما سفصل عن سائر الظواهر الا ان القراة
ما طعنوا في التحفظ من هذه القراة وقال ابو عمرو الداني لا تصح هذه القراة عن الحسن
وطاوس وعمرو بن فايد هو رجل سو وذكر ابو حاتم ان سفيان بن عيينه قرا مرة
واستحسنها فقام اليه عبد الرحمن المقري وصاح به واسمعه لم ادر ولم افطن
لما يقول اهل البدع وهذا افراط من المقريين وحملهم على ذلك شحهم على الدين
وظنهم ان الانفصال عن تعلق المعتزلة متعذر ثم وصف سبحانه رحمته بانها
وسعت كل شي فقال بعض العلماء هو عموم في الرحمة وخصوص في قوله كل شي والمراد
من قد سبق في علم الله ان رحمه دون من سواهم وقال بعضهم هو عموم في رحمة الله لان
الكافر والمومن والحيوان كل يتقلب في رحمة الله سبحانه الدنياوية وقالت فرقة قوله
ورحمتي يراد بها التوبة وهي خاصة على هذا في الرحمة وفي الاشيا لان المراد من قد تقدم
من قد يقع منه التوبة وقال نوف البكالي ان ابليس لما سمع قول الله تعالى ورحمتي وسعت
كل شي طمع في رحمة الله فلما سمع فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكوة يئس ابليس
وبقيت اليهود والنصارى فلما عادت الصفة تبين ان المراد امة محمد صلى الله
عليه وسلم ويئس اليهود والنصارى من الاية وقال نحو قتاده قوله فساكتبها اي
اقدرها واقضيها وقال نوف البكالي ان موسى صلى الله عليه وسلم قال يا رب جعلت
وفادتي لامة محمد وقال نوف البكالي فاحمدوا الله الذي جعل وفادة بني اسرائيل لكم
قوله يتقون في هذه الاية قالت فرقة معناه يتقون الشرك وقالت فرقة يتقون المعاصي
قال ابو محمد ومن قال الشرك لا غير خرج الى قول المرجية ويرد عليه من الاية شرط الاعمال
شرط الاعمال بقوله ويوتون الزكوة ومن قال المعاصي ولا بد خرج الى قول المعتزلة و
الصواب ان يكون اللفظ عاما ولكن ليس بان نقول ولا بد من اتقا المعاصي
بل بان يقول ان يواقع المعاصي في مشية الله عز وجل ومعنى يتقون يجعلون بينهم
وبين المتقا وقاية وحجابا فذكر الله تعالى الرتبة العالية ليتسابق السامعون
اليها قوله ويوتون الزكوة الظاهر من قوله يوتون انها الزكوة المختصة بالمال و
خصصها هنا بالذكر تشريفا لها وجعلها مثالا لجميع الطاعات وقال ابن عباس
كما روى عنه معناه ويوتون الاعمال التي يزكون بها انفسهم قوله عز
وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين
امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون
هذه الالفاظ خرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في
قوله فساكتبها للذين يتقون وخلصت هذه العده لامة محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس وابن جبير وغيرهما ويتبعون معناه في شرعه
ودينه والرسول والنبي اسمان لمعنيين فان الرسول اخص من النبي

هذا

هذا في الادميين لاشتراك الملك في لفظ الرسول والنبي ماخوذ من النبأ
وقيل لما كان طريقا الى رحمة الله سبحانه وسببا شبه بالنبي الذي هو الطريق
وانشدوا لاصبح رتما دقاق الحصى مكان النبي من الكاثب واصله الهمز لكنه خففت
كذا قال سيبويه وذلك تخفيفهم خابية وهي من خبا واستعمل تخفيفه
حتى قد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنبزوا اسمي وتقدم
الرسول اهتماما بمعنى الرسالة عند المخاطبين بالقران والا فمعنى النبوة هو
المقدم وكذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء بن عازب حين قال امنت
بكتابك الذي انزلت ورسولك الذي ارسلت فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ونبيك الذي ارسلت لسوب الكلام كما ترتب الامر في نفسه لانه نبي
ثم ارسل وايضا ففي العبارة المردوده تكرار الرسالة وهو معنى واحد والامي
بضم الهمزه قيل نسب الى ام القرا وهي مكة قال ابو محمد واللفظ على هذا مختصة بالنبي
صلى الله عليه وسلم وغير مضمنة معنى عدم الكتابة وقيل هو منسوب لعدمه الكتابة
والحساب الى الام اي هو على حال الصدر عن الام في عدم الكتابة وقالت فرقة
هو منسوب الى الامة وهذا ايضا مضمن عدم الكتابة لان الامة بجملتها غير كاتبه
حتى تحدث فيها الكتابة كسائر الصنايع وقرا بعض القرا فيما ذكر ابو حاتم الامي
بفتح الهمزة وهو منسوب الى الام وهو القصد اي لان هذا النبي مقصد للناس وموضع
ام يومونه بافعالهم وبشرعهم قال ابن جني ويحتمل هذه القراة ان يريد الامي بغير
تغيير النسب والضمير في قوله يجدونه لبني اسرائيل والها منه صلى الله عليه وسلم والمراد
صفته ونعته وروي ان الله سبحانه قال لموسى قل لبني اسرائيل اجعل لكم الارض مسجدا و
طهورا واجعل السكينة في قلوبهم معكم في بيوتكم واجعلكم يقرون التورية عن ظهر
قلوبكم فاخبر موسى بني اسرائيل فقالوا انما نريد ان نصلي في الكنائس وان يكون
السكينة كما كانت في التابوت والا نقرا التورية الا نظرا فقيل له فساكتبها
للذين يتقون يعني امه محمد صلى الله عليه وسلم وروي عن عبد الله عمرو في البخاري
وغيره ان في التورية من صفة النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفوا و
يصفح ولن اقبضه حتى اقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فيقيم به قلوبا
غلفا واذانا صما واعينا عميا وفي البخاري فيفتح عيونا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا ونص كعب الاحبار نحو هذه الالفاظ الا انه قال قلوبا غلوفا واذانا صموما
قال الطبري وهي لغة حميرية وقد رويت غلوفيا وصموميا قال ابو محمد واظن هذا
وهما او عجمة قوله يامرهم بالمعروف الاية يحتمل ان يريد به ابتداء وصف الله سبحانه
لنبيه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يجعله متعلقا بيجدونه في موضع الحال على
تجوز اي يجدونه في التورية امرا بشرط وجوده فالمعنى الاول لا يقتضي انهم علموا
من التورية انه يامرهم وينهاهم ويحل ويحرم والمعنى الثاني يقتضي ذلك فالمعنى
الثاني على هذا ذم لهم ونحا الى هذا ابو اسحق الزجاجي وقال ابو علي في الاعفال
يامرهم عندي تفسير لما كتب من ذكره كما ان قوله تعالى خلقه من تراب تفسير
للمثل ولا يجوز ان يكون حالا من الضمير في يجدونه لان الضمير للذكر والاسم
والذكر والاسم لا يامران قال ابو محمد وما قدمته من التجوز وشرط الوجود
يقرب ما منع منه ابو علي وانظر والمعروف ما عرف بالشرع وكل معروف من جهة
المروة فهو معروف بالشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم محاسن الاخلاق
والمنكر مقابله والطيبات قال فيها بعض المفسرين انها اشارة الى البحيرة ونحوها
ومذهب مالك انها المحللات فكانه وصفها بالطيب اذ هي لفظة تضمن
مدحا وتشريفا وبحسب هذا يقول في الخبائث انها المحرمات وكذلك قال ابن
عباس الخبائث هي لحم الخنزير والربا وغيره وعلى هذا احل مالك المتقذرات
كالحيات والخنافس والعقارب ونحوها وذهب الشافعي رحمه الله ان الطيبات
هي من جهة الطعم الا ان اللفظة عنده ليست على عمومها لان عمومها بهذا
الوجه من الطعم يقتضي تحليل الخمر والخنزير بل يراها مختصة فيما حلله الشرع

ويروى الخبائث لفظاً عاماً في المحرمات بالشرع وفي المستقذرات فيحرم العقارب
والخنافس والوزغ وما جرى هذا المجرى والناس على هذين القولين الا
ان في تعيين الخبائث اختلافاً ليس هذا موضع تقضيه قوله ويضع الاية كان
قياسه ان يكون يضع بكسر الضاد لكن رده حرف الحلق الى فتح الضاد قاله ابو
حاتم وادغم ابو عمرو ويضع عنهم العين في العين واشمها الى هوا شبهها ابو
جعفر وشيبة ونافع وقرا طلحة ويذهب عنهم اصرهم والاصر الثقل وبه فسرها
قتادة وابن جبير ومجاهد والاصر ايضا العهد وبه فسر ابن عباس والضحاك
والحسن وغيره وقد جمعت هذه الاية المعنيين فان بني اسرائيل كان اخذ عليهم عهد
ان يقوموا باعمال ثقال فوضع عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك العهد
وثقل تلك الاعمال وحكى ابو حاتم عن ابن جبير الاصر شدة العبادة وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والناس اصرهم وقرا ابن عامر وحده و
ايوب السختياني ويعلى بن حكيم وابو سراج الهذلي وابو جعفر اصارهم بالجمع
لما كانت الاعمال كثيرة كانت اثقالها متغايرة ومن وحد الاصر فانما هو
مفرد اسم جنس يراد به الجمع قال ابو حاتم في كتاب بعض العلماء اصرهم واحد مفتوح
الهمزة عن نافع وعيسى والزيات وذلك غلط وذكرها مكي عن ابي بكر عن عاصم
وقال هي لغة والاغلال التي كانت عليهم عبارة مستعارة ايضا لتلك الاثقال
لقطع الجلد من اثر البول وان لا دية ولا بد من قتل القاتل وترك الاشتغال
يوم السبت فانه روي ان موسى صلى الله عليه وسلم راى يوم السبت رجلا يحمل
قصبا فضرب عنقه هذا قول جمهور المفسرين وهذا مثل قولك طوق فلان كذا
ان الزمه ومنه قول الشاعر اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامه اي لزمك
عارها ومن هذا المعنى قول الهذلي فليس كعهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت
بالرقاب السلاسل وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل سوى الحق شيئا فاستراح
العواذل مريدا وامر الاسلام ولوازم الايمان الذي قيد الفتك كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد انما المراد هنا بالاغلال قول الله تعالى
في اليهود غلت ايديهم لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم زالت عنه الدعوة
وتغليلها ثم اخبر عز وجل عن حال المومنين به فقال فالذين امنوا به الاية
وقرا الجحدري ابن سليمان التيمي وقتاده وعيسى عزروه بالتخفيف وجمهور
الناس على التشديد في الزاي ومعناه في القولين وقروه والتعزير والنصر
مشاهدة خاصة للصحابة واتباع النور تشترك فيه معهم المومنون الى
يوم القيمة والنور كناية عن جملة الشرع قوله معه حذف مضاف والتقدير
مع بعثته اونبوته اونحو هذا وشبه الشرع او الهدى بالنور اذ القلوب
تستضي به كما تستضي البصر بالنور والمفلحون معناه الفائزون ببغيتهم
وهذا اعم معاني الفلاح فان من بقي فقد فاز بغيته قوله عز وجل قل يا ايها
الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو
يحيي ويميت فامنوا به ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعنا
هم اثنتي عشرة اسباطا امما هذا امر من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم باشهار الدعوة والحض على الدخول في الشرع وذلك انه لما رجا
الامة المتبعة للنبي الامي الذي كتب لهم رحمته عقب ذلك بدعا الناس
الى الاتباع الذي يحصل معه تلك المنازل وهذه الاية خاصة بمحمد صلى الله عليه
وسلم من المرسل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة والى
الجن قاله الحسن ويقتضيه الاحاديث وكل نبي انما بعث الى فرقة دون العموم ثم
انه لما اعلن بالرسالة من عند الله اردف بصفة الله التي تقتضي الاذعان
له وهي انه ملك السموات والارض الخلق والابداع والاحياء والاماتة لا اله
الا هو ولا معبود سواه قوله فامنوا به الاية هو الحض على اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم قوله الذي يومن يريد الذي يصدق بالله وكلماته والكلمات هنا
الايات المنزلة من عنده كالتورية والانجيل وقرا جمهور الناس كلماته بالجمع وقرا

عيسى

عيسى بن عمر كلمته بالافراد الذي يراد به الجمع وقرا الاعمش الذي يؤمن بالله واياته بدل
كلماته ومجاهد والسدي المراد بكلماته ان كلمة عيسى بن مريم قوله لعلكم تهتدون
اي على طمعكم وبحسب ما ترونه قوله واتبعوه لفظ عام يدخل تحته جميع الزامات
الشريعة جعلنا الله من متبعيه على ما يلزم بمنه ورحمته قوله ومن قوم موسى
الاية يهدون معناه يرشدون انفسهم وهذا الكلام يحتمل ان يريد به وصف
المؤمنين المتقين من بني اسرائيل على عهد موسى وما والاه من الزمن ويحتمل
ان يريد الجماعة التي امنت بمحمد صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل على جهة الاستجلاب
للايمان جميعهم ويحتمل ما روي من ان بني اسرائيل لما يقطعوا مرت امة منهم واعتزلت
ودخلت تحت الارض فمشت في سرب تحت الارض سنة ونصا حتى خرجوا وراء المصر
فهم هنالك حلت وادس شهد يقيمون الشرع ويهدون بالحق قاله السدي وابن جريج
وروى بعضه عن ابن عباس قال ابو محمد وهذا حديث بعيد وقرا جمهور الناس وقطعناهم
بشد الطاء وقرا ابو حيوة وابن ابي عبلة وقطعناهم بتخفيف الطا ورواها ابان
عن عاصم ومعناه فرقناهم من القطع وقرا جمهور الناس عشرة بسكون الشين
وهي لغة الحجاز وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وطلحة بن سليمان بخلاف عشرة بفتح الشين
وقرات هذه الجماعة ايضا وطلحة بن مصرف وابو حيوة عشرة بكسر الشين وهي لغة
تميم وقال ابو حاتم والعجب ان تميما يخففون ما كان من هذا الوزن وان اهل الحجاز
يشبعون وتناقضوا في هذا الحرف فواه اسباطا بدل من اثنتي والتمييز الذي
بين العدد محذوف مقدر حتى عشرة فرقة او قطعة اسباطا واما ان يزول
عن التمييز ويقدر وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة ثم ابدل اسباطا والاول احسن
وابين ولا يجوز ان يكون اسباطا تمييزا لان التمييز لا يكون الا مفردا نكرة واضافا
السبط مذكر وقد عد مونثا على ان هذه العلة لو انفردت لما منعت التمييز اذ السبط
بمعنى الامة قال الطبري وقال بعض الكوفيين لما كان السبط بمعنى الامة في التانيث
وهو مثل قول الشاعر فان كلابا هذه عشر ابطن وانت بري من قبائلها العشر
قال ابو محمد واغفل هذا الكوفي جمع الاسباط وان ما ذهب اليه انما كان يجوز
لو كان الكلام اثنتي عشرة سبطا والسبط في ولد اسحق كالقبيلة في ولد اسمعيل وقد
قال الزجاج وغيره ان السبط من السبط وهو شجر قال ابو محمد وانما الاظهر فيه انه
عبراني عرب قوله عز وجل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب
بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم
الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون قد تقدم في سورة البقرة امر الحجر والاستسقا
واين كان وامر التظليل وانزال المن والسلوى وذكرنا ذلك بما يغني عن اعادته
هاهنا وانبجست بمعنى انفجرت الا ان الانبجاس اخف من الانفجار وقرا
الاعمش وعيسى الهمداني كلوا من طيبات ما رزقتكم بتوحيد الضمير
قوله عز وجل واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم
وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل
الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت
اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك
نبلوهم بما كانوا يفسقون المعنى واذكر اذ قيل لهم والمراد من سلف
من بني اسرائيل وذلك انهم لما خرجوا من التيه قيل لهم اسكنوا هذه القرية
والقرية في كلام العرب المدينة مجتمع المنازل والاشارة هنا الى بيت المقدس
قاله الطبري وقيل الى اريحا وحيث شئتم اي هي ونعيمها لكم مباحة وقرا السبعة
والحسن وابو رجا ومجاهد وغيرهم حطة بالرفع وقرا الحسن ابن ابي الحسن
حطة بالنصب الرفع على خبر ابتداء تقديره طلبنا حطة والنصب على المصدر
اي حط ذنوبنا حطة وهذا على انهم كلفوا قول لفظة معناها حطة وقد قال قوم
انما كلفوا قولا حسنا مضمنه الايمان وشكر الله ليكون حطة لذنوبهم والكلام
على هذا كله قد تقدم وتوفية هذا مذكورة في سورة البقرة وقرا ابن كثير

وعاصم وحمزة والكسائي نغفر بالنون لكم خطيئاتكم بالتاء مهموزة على الجمع وقرا ابو عمرو
نغفر بالنون لكم خطاياكم نحو قضاياكم وهي قراءة الحسن والاعمش وقرا نافع تغفر
بتاء مضمومة خطيئاتكم بالهمز وضم التاء على الجمع ورواها محبوب عن ابي عمرو وقرا
وقراها نافع بتاء مضمومة لكم خطيئتكم واحدة مهموزة مرفوعة قال ابو حاتم وقراها
الاعرج وفرقة تغفر بفتح التاء على معنى ان الخطيئة تغفر اذ هي سبب للغفران وبدل
معناه غير اللفظ دون ان يذهب بجميعه وابدل اذا ذهب به وجاء بلفظ آخر
والاشارة بالقول الى قول بني اسرائيل حبة في شعرة او حنطة في شعيرة والرجز العذاب
ارسل عليهم طاعون يقال مات به في يوم واحد سبعون الفا وتقدم ايضا استيعاب
تفسير هذه الاية قوله واسئلهم الاية قال بعض المتاولين ان اليهود المعارضين
المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان بني اسرائيل لم يكن لهم عصيات
ولا معاندة لما امروا به فنزلت هذه الاية موبخة لهم ومقررة ما كان من فعل
آبائهم اهل هذه القرية فسؤالهم انما كان على جهة التوبيخ والقرية هنا مدين
قاله ابن عباس وقيل ايلة قاله ابن عباس وعبد الله بن كثير وعكرمة والسدي والثوري
وقال قتادة هي هنا مقنا بالقاف ساكنة وقال ابن زيد مقناه ساحل مدين
ويقال فيها معني بالعين مفتوحة ونون مشددة ويقال هي طبرية قاله الزهري وحاضرة
يحتمل ان يريد معنى الحضون اي البحر فيها حاضر ويحتمل ان يريد معنى الحضارة على
جهة التعظيم لها اي هي الحاضرة في مدن البحر واذ يعدون معناه اذ يخالفون الشرع
من عدا يعدو وقرا شهر بن حوشب وابو الحفيد يعدون قال ابو الفتح اراد يعتدون
فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحها الى العين فصار يعدون بفتح العين وشد
الدال المضمومة والاعتدا منهم في السبت هو نفس العمل والاشتغال كان
صيدا او غيره الا انه كان في هذه النازلة بالصيد وكان الله ابتلاهم في امر
الحوت بان تغيب عنهم سائر الجمعة فاذا كان يوم السبت جاءهم في الماء شارعا
اي مقبلا اليهم مصطفا كما يقول اشرعت الرماح اذا مدت مصطفة وهذا يمكن
ان يقع من الحوت بارسال من الله كارسال السحاب او بوحي والهام كالوحي الى النحل
او باشعار في ذلك اليوم على نحو ما يشعر الله الدواب يوم الجمعة بامر الساعة حسب ما
يقتضيه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة حتى تطلع
الشمس فرقا من الساعة ويحتمل ان يكون ذلك من الحوت شعورا بالسلامة في ذلك
اليوم على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة قال رواه القصص فيقرب الحوت ويكثر حتى يمكن
اخذه باليد فاذا كان ليلة الاحد غاب بجملته وقيل غابت كثرته ولم يبق منه الا القليل
الذي يتعب صيده قاله قتادة ففتنهم ذلك واضر بهم فتطرقوا الى المعصية بان
حفروا حفرا يخرج اليها بالبحر على اخدود فاذا جاء الحوت يوم السبت وحصل
في الحفرة القوا في الاحد وحجروا منعوه الخروج الى البحر فاذا كان الاحد اخذوه
فكان هذا اول التطرق وروى اشهب عن مالك انه قال زعم ابن رومان انهم كانوا
ياخذ الرجل خيطا ويصنع فيه وهقة والقاها في ذنب الحوت وفي الطرف الاخر
من الخيط وتد مضروب وتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راو من صنع
هذا لا يبتلى حتى كثر صيد الحوت ومشي به في الاسواق واعلن الفسقة بصيده و
قالوا ذهبت حرمة السبت فقامت فرقة من بني اسرائيل ونهت وجاهرت
بالنهي واعتزلت والعامل في قوله ويوم لا يسبتون قوله لا تاتيهم وخوطب بمقدم
وقرا عمر بن عبد العزيز حيتانهم يوم اسباتهم وقرا نافع وابو عمرو والحسن وابو جعفر
والناس يسبتون بكسر الباء وقرا عيسى بن عمر وعاصم بخلاف يسبتون بضم الباء
وقرا الحسن ابن ابي الحسن وعاصم بخلاف يسبتون من اسبت اذا دخل في
السبت ومعنى قوله كذلك الاشارة الى امر الحوت وفتنتهم هذا على من وقف على تاتيهم
ومن وقف على كذلك فالاشارة الى كثرة الحياة شرعا اي فما اتى منها فهي قليل ونبلوهم
اي نمتحنهم بفسقهم وعصيانهم قال ابو محمد وفي قصص هذه الاية رواية وتطويل
اختصرته واقتصرت منه على ما لا يفهم الفاظ الاية الا به قوله عز وجل واذ قالت
امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء

واخذنا

واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين قال جمهور المفسرين ان بني اسرائيل افترقت ثلث فرق فرقة
عصت وصادت وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت وفرقة اعتزلت ولم تعص
ولم تنه وان هذه الفرقة لما رات مجاهرة الناهية وطغيان العاصية وعتوها قالت
للناهية لم تعظون الاية يريدون العاصية الله مهلكهم او معذبهم على غلبة
الظن وما عهد من فعل الله حينئذ بالامم العاصية فقالت الناهية موعظتنا معذرة
الى الله ثم اختلف بعد هذا فقالت فرقة ان الطائفة التي لم تعص ولم تنه هلكت
مع العاصية عقوبة على ترك النهي قاله ابن عباس وقال ايضا ما ادري ما فعل بهم
وقالت فرقة بل نجت مع الناهية لانها لم تعص ولا رضيت قاله عكرمة والحسن وغيرهما
وقال الكلبي فيما اسند عنه الطبري ان بني اسرائيل لم تفترق الا فرقتين فرقة عصت
وجاهرت وفرقة نهت واعتزلت وقالت للعاصية ان الله مهلككم ومعذبكم فقالت
امة من العاصين للناهين على جهة الاستهزاء لم تعظون قوما قد علمتم ان الله
مهلكهم او معذبهم قال ابو محمد والقول الاول اصوب وتزيده الضماير
في قوله الى ربكم ولعلهم فهذه المخاطبة يقتضي مخاطبا ومخاطبا ومكنيا عنه
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي معذرة بالرفع
اي موعظتنا معذرة اي اقامة عذر وقرا عاصم في بعض ما روي عنه
وعيسى بن عمر وطلحة بن مصرف معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة قال ابو علي
حجتها ان سيبويه قال لو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا النصب قال
ابو محمد الرجل القايل في هذا المثال معتذر عن نفسه وليس كذلك الناهون من
بني اسرائيل فتامل ومعنى مهلكهم في الدنيا او معذبهم في الاخرة قوله ولعلهم
يقتضي الترجي المحض لانه من قول ادميين والضمير في قوله نسوا للمنهيين
وهو ترك سمي نسيانا مبالغة اذ اقوى منازل الترك ان ينسى المتروك
وما في قوله ما ذكروا بمعنى الذي ويحتمل ان يراد به الذكر نفسه ويحتمل ان يراد به
ما كان فيه الذكر والسوء لفظ عام في جميع المعاصي الا ان الذي يختص منها
بحسب قصص الاية صيد الحوت والذين ظلموا هم العاصون قوله بعذاب بئيس
معناه مؤلم موجع شديد وقرا نافع واهل المدينة وابو جعفر وشيبة وغيرهم
بيس بكسر الباء وسكون الياء وكسر السين وتنوينها وهذا على انه فعل سمي به
كقوله صلى الله عليه وسلم انهاكم عن قيل وقال وقرا الحسن ابن ابي الحسن بيس كما
يقول بيس الرجل وضعفها ابو حاتم قال ابو عمرو وروى عن الحسن بئس بالهمزة
بين الباء والسين وقرا نافع فيما روى عنه خارجة بيس بفتح الباء وسكون الياء
وكسر السين منونة وروى مالك بن دينار عن نصر بن عاصم بيس بفتح الباء والياء
منونة على مثال جمل وجبل وقرا ابو عبد الرحمن المقري بيئس بفتح الباء وهمزة مكسورة
وسين مكسورة منونة على وزن فيعل ومنه قول عبد الله بن قيس الرقيات
ليتني الفارقية في خلوة من غيرها بيئس قال ابو عمرو الداني هي قراءة نصر بن عاصم
وطلحة بن مصرف وروى عن نصر بئس بيا مكسورة من غير همزة قال الزهراوي
وروى عن الاعمش بئس الباء مفتوحة والهمزة مكسورة مشددة والسين
مكسورة منونة وقرات فرقة بئس كالتي قبل الا في فتح السين ذكرها ابو عمرو
الداني عما حكى يعقوب وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ونافع في رواية
ابي قرة عنه وعاصم في رواية حفص عنه بئيس بياء بعد الهمزة المكسورة
والسين المنونة على وزن فعيل وهذا وصف بالمصدر لقولهم عذير الحي
والنذير والنكير ونحو ذلك وهي قراءة الاعرج ومجاهد واهل الحجاز وراى
عبد الرحمن ونصر بن عاصم والاعمش وهي التي رجح ابو حاتم ومنه قول ذي
الاصبع العدواني حنقا علي ولا ارى لي منهما شرا بئيسا وقراها اهل مكة
بئس كالاولى الا كسر الياء على وزن فعيل قال ابو حاتم هما لغتان وقرا عاصم
في رواية ابي بكر عنه بيئس بفتح الباء وسكون الياء وفتح الهمزة على وزن فيعل
ومعناه شديد ومنه قول امرئ القيس بن عابس الكندي كلاهما كان رئيسا
بيئسا يضرب في يوم الهياج القونسا فهي صفة كصيغم وحيدر وهي قراءة الاعمش

وقرا عيسى بن عمر والاعمش بخلاف عنه بيئس كالتي قبل الا انه كسر الهمزة على وزن
فيعل وهذا شاذ لانه لا يوجد فيعل في الصحيح وانما يوجد في المعتل مثل
سيد وميت وقال الزهراوي روى احد عن عاصم بيس على مثال بيت وهذا على
انه من البوس لا اصل له في الهمز قال ابو علي زعم عصمة ان الحسن والاعمش قرا
ابيس بكسر الباء والهمزة ساكنة والياء مفتوحة على مثال احديم وضعفها
ابو حاتم وقرا ابن عامر من السبعة بئس بكسر الباء وسكون الهمزة وتنوين
السين المكسورة وقرات فرقة بايس بفتح الباء وسكون الالف وقرا ابن رجاء
بائس على وزن فاعل وقرات فرقة بيئس بفتح الباء والياء والسين على وزن
فعل وقرا مالك بن دينار باس بفتح الباء والسين وسكون الهمزة على وزن فعل
عن مصروف وقرات فرقة باس مصروفا وحكى ابو حاتم بيس قال ابو الفتح هي
قراة نصر عن عاصم وحكى الزهراوي عن ابن كثير واهل مكة بيس بكسر الباء وبهمز همزا
خفيفا قال ابو محمد ولم يبين هل الهمزة ساكنة او مكسورة قوله بما كانوا
يفسقون اي لاهل ذلك وعقوبة عليه والعتو الاستعصاء وقلة الطواعية
قوله قلنا لهم يحتمل ان يكون قولا بلفظ من ملك اسمعهم ذلك فكان اذهب
في الاغراب والهول والاصغار ويحتمل ان يكون عبارة عن القدرة المكونة
لهم قردة وخاسئين مبعدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن
صياد اخسا وكما يقال للكلب اخسا فخاسئين خبر بعد خبر هذا اختيار ابي الفتح
وضعف الصفة وكذلك هو لان القصد ليس التشبيه بقردة مبعدات قال ابو محمد
ويجوز ان يكون خاسئين حالا من الضمير في كونوا والصفة ايضا متوجهة مع ضعفها
وروى ان الشاب منهم مسخوا قردة والرجال مسخوا خنازير وروى ان مسخهم
كان بعد المعصية في صيد الحوت لعامين وقال ابن الكلبي ان اهلاكهم كان في زمان
داود وروى ان الناهين قسموا المدينة بينهم وبين العاصين بجدار فلما اصبحوا
ليلة اهلك العاصون لم تفتح مدينة العاصين حتى ارتفع النهار فاستراب الناهون
كذلك وطلع احد الناس اعلى السور فراهم ممسوخين قردة تتواثب فصاح فدخلوا عليهم
يعرف الرجل قرابته ويعرف القرد ايضا كذلك وينضمون الى قراباتهم فيتحسرون قال
الزجاج وقال قوم يجوز ان يكون هذه القردة من نسلهم قال ابو محمد وتعلق هؤلاء
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امة من الامم فقدت وما اراها الا الفار
اذا قرب لها لبن الابل لم يشرب وبقوله صلى الله عليه وسلم في الضب وقصص هذا
الامر اكثر من هذا لكن اختصرته واقتصرت على عيونه قوله عز وجل واذ تاذن ربك
ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه
لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك و
بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون تاذن هي التي تقتضي التلبس
اذن اي علم ومكن واذن اي اعلم مثل كرم واكرم وتكرم الان بعلم وما جرى مجرى هذا
الفعل اذا كان مستندا الى اسم الله عز وجل لم يلحقه معنى التلبس الذي يلحق المحدثين
فانما يترتب بمعنى علم صفة لا تكتسب بل هي قائمة بالذات والى هذا المعنى ينحو الشاعر
بقوله تعلم انت اللعين لانه لم يامره بالتعلم الذي يقتضي جهالة وانما اراد ان يوقفه على قوة
علمه ومنه قول زهير فعلم ان شر الناس حي ينادا في شعارهم يسار فمعنى هذه
الاية واذ علم الله ليبعثن ويقتضي قوة الكلام ان ذلك العلم منه مقترن بانفاذ وامضا
كما يقول في امر قد عزمت عليه غاية العزم علم الله لا فعلن كذا نحا اليه ابو علي الفارسي وقال الطبري
وغيره تاذن معناه اعلم وهو قلق من جهة التصريف اذ نسبة تاذن الى الفاعل غير نسبة اعلم
وبين ذلك من التعدي وغيره وقال مجاهد تاذن معناه قال وروى عنه ان معناه امر وقالت فرقة
معناه تالى وقال ابو محمد وقادهم الى هذا القول دخول اللام في الجواب واما اللفظة فبعيدة
عن هذا والضمير في عليهم لمن بقي من بني اسرائيل لا للضمير في منهم قوله من يسومهم قال سعيد بن
جبير هي اشارة الى العذاب وقال ابن عباس هي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ابو محمد والصحيح انها عامة في كل من حال اليهود معه هذه الحال ويسومهم معناه يكلفهم
ويحملهم وسوء العذاب الظاهر منه انها الجزية والاذلال وقد حتم الله عليهم بهذا وحط ملكهم
فليس في الارض دولة ليهودي وقال ابن المسيب يستحب ان يتعب اليهود في الجزية ولقد حدثت

ان طائفة

ان طائفة من الروم املقت في صقعها فباعت اليهود المجاورة لهم الساكنة معهم وتملكوهم
ثم حسن في اخر هذه الاية تضمنها الايقاع لهم والوعيد الذي عينه على سرعة عقاب الله
ويخوف بذلك تخويفا عاما لجميع الناس ثم رجا بعد ذلك لطفا منه تبارك وتعالى وقطعناهم
معناه فرقناهم في الارض قال الطبري عن جماعة من المفسرين ليس في الارض بقعة
الا وفيها معشر من اليهود والظاهر في المشار اليه في هذه الاية انهم الذين بعد
سليمان بعد زوال ملكهم والظاهر انه قبل مدة عيسى لانه لم يكن لهم صالح بعد
كفرهم بعيسى صلى الله عليه وسلم وفي التواريخ في هذا الفصل روايات مضطربة
والصالحون ودون ذلك الفاظ محتملة فان اريد بها صلاح الايمان فدون بمعنى غير
يراد بها الكفرة وان اريد بالصلاح العبادة والخير وتوابع الايمان فدون ذلك يحتمل
ان يكون بالمؤمنين وبلوناهم معناه امتحناهم والحسنات الصحة والرخاء ونحو هذا
مما هو بحسب راي ابن ادم ونظره والسيئات مقابلات هذه قوله لعلهم اي بحسب
انكم لو شاهدتم ذلك والمعنى لعلهم يرجعون الى الطاعة ويتوبون من المعصية
قوله عز وجل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون
سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا
على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين خلف معناه حدث خلفهم
وبعدهم وخلف باسكان اللام يستعمل في الاشهر في الذم ومنه قول لبيد ذهب
الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب وقد يستعمل في المدح ومنه
قول حسان لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع والخلف بفتح
اللام يستعمل في الاشهر في المدح قال ابو عبيدة والزجاج وقد يستعمل في الذم ايضا
ومنه قول الشاعر الا ذلك الخلف الاعور وقال مجاهد المراد بالخلف هاهنا
النصارى وضعفه الطبري وقرا جمهور الناس ورثوا الكتاب وقرا الحسن بن ابي
الحسن البصري ورثوا الكتاب بضم الواو وتشديد الراء قوله ياخذون عرض هذا
الادنى اشارة الى الرشا والمكاسب الخبيثة والعرض ما يعرض ويعن ولا يثبت
والادنى اشارة الى عيش الدنيا قوله ويقولون سيغفر لنا ذم لهم باغترارهم
وقولهم سيغفر مع علمهم بما في كتاب الله من الوعيد على المعاصي واصرارهم عليها وانهم
بحال اذا امكنتهم ثانية ارتكبوها فهو لا العجزة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فهو لا قطعوا بالمغفرة وهم مصرون
انما يقول سيغفر لنا من اقلع وندم وقوله الم يؤخذ عليهم الاية تشديد في لزوم
قول الحق على الله في الشرع والاحكام بين الناس وان لا يميل الرشا بالحكام الى
الباطل والكتاب يراد به التوراة وميثاق فيها الشدائد التي فيها في هذا المعنى
قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق يمكن ان يريد بذلك قولهم الباطل في حكومة
مما يقع بين ايديهم ويمكن ان يريد قولهم سيغفر لنا وهم قد علموا الحق في نهي الله
عن ذلك وقرا جمهور الناس يقولوا بياء من تحت وقرا الجحدري تقولوا بتاء من فوق
وقوله ودرسوا معطوف على قوله الم يؤخذ لانه بمعنى المضي مقدرا اليس قد اخذ عليهم
ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه وبهذين الفعلين تقوم الحجة عليهم في قولهم الباطل و
قرا ابو عبد الرحمن السلمي وادارسوا ما فيه وقال الطبري وغيره قوله ودرسوا معطوف
على قوله ورثوا الكتاب قال ابو محمد وفي هذا نظر لبعد المعطوف عليه ولان قوله ودرسوا
يزول منه معنى اقامة الحجة بالتقرير الذي في قوله الم يؤخذ ثم وعظ وذكر تبارك وتعالى
بقوله والدار الاخرة خير للذين يتقون وقرا جمهور الناس افلا تعقلون بالتاء من فوق وقرا
ابو عمرو واهل مكة يعقلون بالياء من اسفل قوله والذين عطف على قوله للذين يتقون
وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص وابو عمرو والناس يمسكون
بفتح الميم وشد السين وقرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابو العالية وعاصم وحده
في رواية ابي بكر يمسكون بسكون الميم وتخفيف السين وكلهم خفف ولا تمسكوا بعصم
الكوافر الا ابا عمرو فانه قرا تمسكوا بفتح الميم وشد السين وقرا الاعمش والذين استمسكوا
وفي حرف ابي والذين مسكوا يقال امسك ومسك وتمسك بمعنى واحد قال كعب بن زهير
فما تمسك بالعهد الذي زعمت الا كما تمسك الماء الغرابيل اما ان شد السين يحرك مع التعدي

بالياء قوله عز وجل وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم
وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا
عن هذا غافلين نتقنا معناه اقتلعنا ورفعنا فكان النتق اقتلاع الشيء يقول
العرب نتقت الزبدة من فم القربة ومنه قول الشاعر ونتقوا أحلامنا الأثاقلا والناتق
الرحم التي تقتلع الولد من الرجل ومنه قول النابغة لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم دحقت
عليك بناتق مذكار وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بتزويج
الأبكار فإنهن أنتق أرحاما وأطيب أفواها الحديث وقد جاء في القرآن بدل هذه اللفظة
في هذه القصة بعينها رفعنا لكن نتقنا وفوقهم أعطت الرفع بزيادة قرينة هي أن
الجبل اقتلعته الملائكة وأمر الله إياه وروي أن موسى صلى الله عليه وسلم لما جاءهم
بالتورية فقال عن الله سبحانه هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فإن فيه بيان ما أحل
الله لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم قالوا انشر علينا ما فيه فإن كانت فرائضها
يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا فراجعهم موسى فراجعوه
ثلثا فأوحى الله إلى الجبل فانقلع وارتفع فوق رؤوسهم فقال لهم موسى ألا ترون ما يقول
ربي لئن لم تقبلوا التورية بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال الحسن البصري فلما رأوا إلى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا أن
يسقط عليه فكذلك ليس في الأرض يهودي يسجد إلا على حاجبه الأيسر يقولون هذه السجدة
التي رفعت عنا بها العقوبة والظلة ما أظل ومنه في ظلل من الغمام ومنه عذاب يوم الظلة
ومنه قول أسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأت البارحة
فغشي الدار مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك
السكينة تنزلت للقرآن فإن قيل فإذا كان الجبل ظلة فما معنى كأنه فالجواب أن البشر إنما
اعتادوا هذه الأجرام الأرضية ظللا إذا كانت على عمد فلما كان الجبل على غير عمد قيل كأنه
ظلة أي كأنه على عمد وظنوا قال المفسرون معناه أيقنوا قال أبو محمد وليس الأمر عندي
كذلك بل هو موضع غلبة الظن مع بقاء الرجاء وكيف يوقنون بوقوعه وموسى صلى الله
عليه وسلم يقول إن لوحي به إنما هو بشرط أن لا تقبلوا التورية وإنما يستعمل الظن
في اليقين متى كان ذلك المتيقن لم يخرج إلى الحواس وقد بين هذا فيما سلف من هذا
الكتاب ثم قيل لهم في وقت ارتفاع الجبل خذوا ما آتيناكم بقوة فأخذوها والتزموا
جميع ما تضمنت من شدة ورخاء فأقروا وقرأ جمهور الناس واذكروا وقرأ الأعمش
فيما حكى أبو الفتح عنه واذكروا ولعلكم على ترجيهم وهذا تشدد عليهم في حفظها
والتهمم بأمرها قوله وإذ أخذ ربك الآية التقدير واذكر إذ أخذ قوله من ظهورهم
قال النحاة هو بدل اشتمال من قوله من بني آدم وألفاظ هذه الآية تقتضي أن الأخذ
إنما كان من بني آدم من ظهورهم وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظة وتواترت الأحا
الأحاديث في تفسير هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عمر بن الخطاب
وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيرهما أن الله لما خلق آدم وفي بعض الروايات لما
أهبط آدم إلى الأرض بدهنا من أرض الهند قال ابن عباس وفي بعضها أن ذلك
بنعمان وهي عرفة وما يليها قال أيضا ابن عباس وغيره مسح على ظهره وفي بعض الروايات
بيمينه وفي بعضها ضرب منكبه فاستخرج منها أي من المسحة أو الضربة نسم بنيه ففي بعض
الروايات كالذر وفي بعضها كالخردل وقال محمد بن كعب إنها الأرواح جعلت لها مثالات
وروي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أخذوا من ظهره
كما يؤخذ بالمشط من الرأس وجعل الله لهم عقولا كنملة سليمان وأخذ عليهم العهد بأنه
ربهم وأن لا إله غيره وأقروا بذلك والتزموه وأعلمهم أنه سيبعث الرسل إليهم بذكره
وأعليه يشهد بعضهم على بعض قال أبي بن كعب وأشهد عليهم السموات السبع فليس
من أحد يولد إلى يوم القيمة إلا وقد أخذ عليه العهد في ذلك اليوم والقيام قال السدي
أعطى الكفار العهد يومئذ كارهين على وجه التقية قال أبو محمد هذه تحج جميع الروايات المطولة
وكانت ألفاظ هذه الأحاديث لا تلتئم مع ألفاظ هذه الآية وقد أكثر الناس في روم الجمع
بينهما وقال قوم إن الآية مشيرة إلى هذا الكتاب الذي في الدنيا وأخذ بمعنى أوجد على المعهود
وأن الإشهاد هو عند بلوغ المكلف وهو قد أعطي الفهم ونصبت له الصنعة الدالة على

علي الصانع

على الصانع ونحا إلى هذا المعنى الزجاج وهو معنى تحتمله الألفاظ لكن يرد عليه تفسير عمر بن
الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما الآية بالحديث المذكور ورفعهما ذلك عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول الجرجاني في هذه المسئلة ومدار كلامه على أن
المسح وإخراج الذرية هو من ظهر آدم حسب الحديث وقيل في الآية أخذ من ظهورهم
إذ الإخراج من ظهر آدم الذي هو الأصل إخراج من ظهور ذريته الذين هم الفرع إذ الفرع
والأصل شيء واحد إلى كلام كثير لا يثبت للنقد وقال غيره إن جميع ما في الحديث من مسح
بيمينه وضرب منكبه ونحو هذا إنما هي عبارة عن إيجاد تلك النسم واليمين عبارة
عن القدرة أو يكون الماسح ملكا بأمر الله عز وجل فيتضمن الحديث صدر القصة وإيجاد
النسم من آدم وهذه زيادة على ما في الآية ثم تضمنت الآية ما جرى بعد هذا
من أخذ العهد والنسم حضور موجودون وهي بمعنيين أحدهما أن يكون أخذا عاما
في عهد وميثاق بقدرته بعد قوله ذرياتهم ويكون قوله من ظهورهم إتيانا بجنس البنوة
إذ المراد من الجميع المتناسل وشركه في لفظ بني آدم بنوة الصلب وبنوة بالجنان
والسبعة ويكون قوله ذرياتهم بدلا من بني آدم والمعنى الآخر أنه لما كانت قبل النسم
هنالك لها نسبة إلى التي هي من ظهرها كان تعين تلك النسبة كأنه أخذ من الظهر
إذ يستخرج منه في المستأنف فالمعنى وإذ عينوا بهذه النسبة وعرفوا بها فذلك
أخذ ما وأخذ على هذا ما سلف ذرياتهم وليس بمعنى مسح وأوجد بل قد تقدم إيجادهم
كما تقدم الحديث المذكور فالحديث مزيد معنى على الآية وهو ذكر آدم وأول إيجاد النسم
كيف كان وقال الطرطوسي إن هذا العهد يلزم البشر وإن كانوا لا يذكرونه في هذه الحياة
كما يلزم الطلاق من شهد عليه به وهو قد نسيه إلى غير هذا مما ليس بتفسير ولا من طريقه
وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ذرياتهم جمع جمع وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي
ذريتهم والإفراد هنا جمع وتقدم القول على لفظة الذرية في سورة آل عمران وروي
في قصص هذه الآية أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا بين ذلك النسم
أمثال السرج وأن آدم صلى الله عليه وسلم رأى داود فأعجبه فقال من هذا فقيل
نبي من ذريتك فقال كم عمره فقيل ستون سنة فقال زيدوه من عمري أربعين فزيدت
قال وكان عمر آدم ألفا فلما أكمل تسع مائة وستين جاءه ملك الموت فقال له آدم بقي لي أربعون
سنة فرجع ملك الموت إلى ربه فأخبره فقال له قل له إنك أعطيتها لابنك داود فتوفنا
بعد أن خاصم في الأربعين قال الضحاك بن مزاحم من مات صغيرا فهو على العهد الأول ومن
بلغ فقد أخذه العهد الثاني يعني الذي في هذه الحياة المعقولة الآن وحكى الزجاج عن قوم
أنهم قالوا إن هذه الآية عبارة عن أن كل نسمة إذا ولدت فبلغت فنظرها في الأدلة
المنصوبة عهد عليها في أن تؤمن وتعرف بالله وقد تقدم ذكر هذا القول وهو قول
ضعيف منكب عن الأحاديث المأثورة مطرح لها قوله شهدنا يحتمل أن يكون من قول
بعض النسم لبعض أي شهدنا عليكم لئلا يقولوا يوم القيمة غفلنا عن معرفة الله والإيمان
به فيكون مقالة من هؤلاء لهؤلاء ذكره الطبري وعلى هذا لا يحسن الوقف على قوله بلى ويحتمل
أن يكون قوله شهدنا من قول الملائكة فيحسن الوقف على قوله بلى قال السدي المعنى قال الله وملائكته
شهدنا ورواه عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ السبعة غير أبي عمرو
أن تقولوا على مخاطبة حاضرين وقرأ أبو عمرو وحده أن يقولوا على الحكاية عن غائبين
وهي قراءة ابن عباس وابن جبير وابن محيصن والقراءتان سائغتان بحسب المعنيين المذكورين
وأن في موضع نصب على تقدير مخافة أن قوله عز وجل أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان
من الغاوين قال أبو محمد المعنى في هذه الآيات أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم
رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان إحداهما
كنا غافلين والأخرى كنا تباعا لأسلافنا فكيف نهلك والذنب إنما هو لمن طرق
لنا وأضلنا فوقعت شهادة بعضهم على بعض وشهادة الملائكة عليهم لينقطع
لهم هذه الحجج والاختلاف في تقولوا أن تقولوا بحسب الأول قوله وكذلك نفصل الآيات
تقديره وكما فعلنا هذه الأمور وأنفذنا هذه المقادير فكذلك نفصل الآيات و
نبينها لمن عاصرك وبعثت إليه لعلهم على ترجيهم وترجيكم وبحسب نظر البشر

يرجعون الى طاعة الله ويدخلون في توحيده وعبادته وقرأت فرقة يفصل عليهم قوله واتل عليهم الاية اتل معناه قص واسرد والضمير في عليهم عائد على حاضري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار وغيرهم واختلف المتأولون في الذي اوتي الايات فقال عبد الله بن مسعود وغيره هو رجل من بني اسرائيل بعثه موسى صلى الله عليه وسلم الى ملك مدين داعياً الى الله تعالى والى الشريعة وعلمه من آيات الله ما يمكن ان يدعو به واليه فلما وصل رشاه الملك واعطاه على ان ترك دين موسى وتابع الملك على دينه ففعل وفتن الملك الناس واضلهم وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم وقيل بلعام بن عابر وقيل ابن ابر وقيل غير هذا فيما ذكر تطويل وكان في جملة الجبارين الذين غزاهم موسى فلما قرب منهم موسى لجأوا الى بلعام وكان صالحاً مستجاب الدعوة وقيل كان عنده علم من صحف ابراهيم ونحوها وقال مجاهد كان رشح للنبوة واعطيها فرشاه قومه على ان يسكت ففعل قال ابو محمد وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد ومن اعطي النبوة فقد اعطي العصمة ولا بد ثبت هذا بالشرع وقد نص معنى ما قلته ابو المعالي في كتاب الشامل وقيل كان يعلم اسم الله الاعظم قاله ابن عباس ايضا وهذا الخلاف هو في المراد بقوله آياتنا فقال له قومه ادع الله على موسى وعسكره فقال لهم وكيف ادعوا على نبي اسرائيل فما زالوا به حتى فسق فخرج حتى اشرف على جبل يرى منه عسكر موسى وكان قد قال لقومه لا افعل حتى استأمر ربي ففعل فنهي عن ذلك فقال لهم قد نهيت فما زالوا به حتى قال سأستأمر ثانية ففعل فسكت عنه فاخبرهم فقالوا له ان الله لم يدع نهيك الا وقد اراد ذلك فخرج حتى اشرف على العسكر فجعل يدعو على موسى فتحول لسانه بالدعاء لموسى والدعاء على قومه فقالوا له ما تقول فقال اني لا املك هذا وعلم انه قد اخطأ فروي انه خرج لسانه على صدره فقال لقومه اني قد هلكت ولكن لم يبق لكم الا الحيلة فاخرجوا النساء الى عسكر موسى على جهة التجر وغيره ومروهن الا تمتنع امرأة من رجل فانهم اذا زنوا هلكوا ففعلوا فخرج النساء فزنا بهن رجال بني اسرائيل وجاء فنحاص بن العيزار بعدها دون فانتظم بن حا امرأة ورجلا من بني اسرائيل ورفعهما على الرمح فوقع في بني اسرائيل الطاعون فمات منهم في ساعة سبعون الفاً ثم ذكر المعتمر عن ابيه ان موسى قتل بعد ذلك الرجل المنسلخ من آيات الله قال المهدوي روي انه دعا على موسى ان لا يدخل مدينة الجبارين فاجيب ودعا عليه موسى ان ينسى اسم الله الاعظم فاجيب قال الزجاج وقيل ان الانسان المنافق اهل الكتاب قال ابو محمد وصواب هذا ان يقال الكفار اهل الكتاب لانه لم يكن منهم منافق انما كانوا مجاهرين وهذه القصة روايات كثيرة اختصرتها لتعذر صحتها واقتصرت منها على ما يخص الفاظ الآية وقالت فرقة المشار اليه في الآية رجل كان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات فترك ان يدعو بهن في مصالح العباد فدعا بواحدة ان يرجع امرأته اجمل النساء فكان ذلك فلما رأت نفسها كذلك العصه واحتقرته فدعا عليها ثانية فمسخت كلبة فشفعت لها بنوها عنده فانصرفت الى حالها الاول فذهبت الدعوات وقال عبد الله بن عمرو بن العاص المشار اليه في الآية امية بن ابي الصلت وكان قد اوتي علماً وروي انه جاء يريد الاسلام فوصل الى بدر بعد الوقعة بيوم او نحوه فقال من قتل هؤلاء فقيل محمد فقال لا حاجة لي بدين من قتل هؤلاء فارتد ورجع وقال الآن حلت لي الخمر وقال قد حرمها على نفسه لمن حتى لحق بقوم من ملوك حمير فنادمهم حتى مات وانسلخ عبارة عن البراءة منها والانفصال والبعد كالمنسلخ من الثياب واتبعه صيره تابعاً كذا قال الطبري اما للضلالة رسمها لروا ما لنفسه وقرأ الجمهور فاتبعه بقطع الالف وسكون التاء وهي راجحة لانها تتضمن انه لحقه وصار معه وكذلك فاتبعه شهاب وفاتبعه فرعون وقرأ الحسن فيما روى عنه هارون فاتبعه بوصل الالف وشد التاء وكذلك طلحة بن مصرف بخلاف وكذلك الخلاف عن الحسن على معنى لازمه واتبعه بالاغواء حتى اغواه ومن الغاوين اي من الضالين

قوله عز وجل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا

بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يقول الله ولو شئنا لرفعناه بها قالت فرقة معناه لاخذناه كما تقول رفع الظالم اي اهلك والضمير في بها عائد على المعصية في الانسلاخ وابتدأ وصف حاله بقوله تعالى ولكنه اخلد الى الارض فهي عبارة عن امهاله واملاء الله له وقال ابن ابي نجيح رفعناه معناه توفيناه قبل ان يقع في المعصية ورفعناه عنها والضمير على هذا عائد على الآيات ثم ابتداء وصف حاله وقال ابن عباس وجماعة معنى لرفعناه اي لشرفنا ذكره ورفعنا منزلته لدينا بهذه الآيات التي آتيناه ولكنه اخلد الى الارض فالكلام متصل ذكر فيه السبب الذي من اجله لم يرفع ولم يشرف كما فعل بغيره ممن اوتي هدى واخلد معناه لازم وتقاعس وثبت والمخلد الذي ثبت شبابه فلا تغشاه الشيب ومنه الخلد ومنه قول زهير لمن الديار غشيتها بالفدفد كالوحي في حجر المسيل المخلد قوله الى الارض يحتمل ان يريد الى شهواتها ولذاتها وما فيها من الملاذ قاله السدي وغيره ويحتمل ان يريد بها العبارة عن الاسفل والاخس كما يقال فلان في الحضيض ويتأيد بذلك من جهة المعنى المعقول وذلك ان الارض وما ارتكن فيها هي الدنيا وكل ما عليها فان من اخلد اليه يعدم حظ الآخرة الباقية قوله فمثله كمثل الكلب قال السدي وغيره ان هذا الرجل عوقب في الدنيا بانه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صورة وهيئة وقال الجمهور انما شبه به في انه كان ضالا قبل ان يؤتى الآيات ثم اوتيها فكان ايضا ضالا لم تنفعه فهو كالكلب لانه لا يفارق اللهث في حال حمل المشقة عليه وتركه دون حمل عليه فالمعنى فالشيء الذي تتصوره النفوس من حاله هو كالذي تصوره من حال الكلب وبهذا التقدير يحسن دخول الكاف على مثل واللهث تنفس بسرعة وتحريك اعضاء الفم معه وامتداد اللسان واكثر ما يعتري ذلك مع الحر والتعب وهو في الفرس ضبح وخلقة الكلب انه يلهث على كل حال وذكر الطبري ان معنى ان تحمل عليه ان تطرده وحكاه عن مجاهد وابن عباس قال ابو محمد وذلك داخل في جملة المشقة التي ذكرنا قوله ذلك مثل القوم اي هذا المثل يا محمد مثل هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل ان تأتيهم بالهدى والرسالة ثم جئتهم بذلك فبقوا على ضلالهم ولم ينتفعوا بذلك فمثلهم كمثل الكلب قوله فاقصص القصص اي اسرد عليهم ما تعلمون انه من الغيوب التي لا يعلمها الا اهل الكتب الماضية ولست منهم لعلهم يتفكرون في ذلك ويؤمنون قوله ساء مثلا قال الزجاج التقدير ساء مثلا مثل القوم لان الذي بعد بئس ونعم انما يفسر من نوعه كما يقول بئس رجلا زيد ولما حذف مثل اقيم القوم مقامه والرفع في ذلك بالابتداء والخبر فيما تقدم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم ورفع المثل على هذه القراءة بساء ولا تجري ساء مجرى بئس الا اذا كان ما بعدها منصوبا قال ابو عمرو الداني قرأ الجحدري مثل بكسر الميم ورفع اللام وقرأ الاعمش مثل بفتح الميم ورفع اللام قال ابو محمد وهذا خلاف ما ذكر ابو حاتم فانه قال قرأ الجحدري والاعمش ساء مثل بالرفع وحكمت هذه الآيات التي تضمنت ضلال اقوام والقول فيه بان ذلك كله من عند الله الهداية منه وبخلقه واختراعه وكذلك الاضلال وفي الآية تعجيب من حال المذكورين ومن اضل بعد حتم عليه بالخذلان والثواب والعقاب متعلق بكسب ابن آدم قوله ولقد ذرأنا الآية خبر من الله تعالى انه خلق لسكنى جهنم والاحتراق بها كثيرا وفي ضمنه وعيد للكفار وذرأنا معناه خلق واوجد مع بث ونشر وقالت فرقة اللام في قوله لجهنم هي لام العاقبة اي ليكون امرهم ومآلهم لجهنم قال ابو محمد وهذا ليس بصحيح ولام العاقبة انما تتصور اذا كان فعل الفاعل لم يقصد به ما يصير الامر اليه وهذه اللام مثل التي في قول الشاعر يا ام نزوة نفي اللوم واعترفن فكل والدة للمنية تلد واما هنا فالفعل قصد به ما يصير الامر اليه من سكناهم جهنم وحكى الطبري عن سعيد بن جبير انه قال اولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم ثم اسند فيه حديثا من طريق عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله كثيرا وان كان ليس بنص في ان الكفار اكثر من المؤمنين فهو ناظر الى ذلك الى قول النبي صلى الله عليه وسلم قال الله لآدم اخرج بعث النار فاخرج من كل الف تسعة وتسعين وتسع مائة

قوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها

وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وصفت هذه الصفة بالكافرة
المعرضين عن النظر في آيات الله فان قلوبهم لا يفقهون والفقه الفهم واعين لا تبصر واذان
لا تسمع وليس الغرض من ذلك نفي هذه الادراكات عن حواسهم جملة وانما الغرض نفيها
في جهة ما كما يقول فلان اصم عن الخنا ومنه قول مسكين الدارمي اعمى اذا ما جارتي
خرجت حتى يواري جارتي الستر واصم عما كان بينهما عمدا وما بالسمع من وقر
ومنه قول الاخر وعوراء الكلام صممت عنه ولو اني اشاء بها سميع وبادرة وزعت النفس
عنها وقد بقيت من الغضب المظلوع ومنه قول الاخر في وصاه من يدخل الى دار
الملك وادخل اذا ما دخلت اعمى واخرج اذا ما خرجت اخرس فكان هولاء القوم
لما لم ينفعهم النظر بالقلب ولا بالعين ولا ما سمعوه من الايات والمواعظ استوجبوا
الوصف بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون وقال مجاهد هذا بان قال لهم
قلوب لا يفقهون بها شيا من امر الاخرة واعين لا يبصرون بها الهدى واذان لا يسمعون بها
الحق واولئك اشارة الى من تقدم ذكره من الكفرة وشبههم كالانعام في ان الانعام
لا يفقه قلوبها الاشيا ولا تعقل انها مس وكذلك ما تبصره لا يتحصل لها كما يجب
وكذلك هولاء ما يبصرونه ويسمعونه لا يتحصل لهم منه علم على ما هو به حين ابصر ونسمع
ثم حكم عليهم بانهم اضل لان الانعام تلك هي بنيتها وخلقتها ان لا يفقه في شيء ولا الهام
سبيل الى غير ذلك وهولاء هم مقرون الى الفهم وقد خلقت لهم قوى يصرفونها وعطوا
طرقا والنظر لهم بغفلتهم واعراضهم يلحقون انفسهم بالانعام فهم اضل على هذا
ثم بين بقوله اولئك هم الغافلون الطريق الذي به صاروا اضل من الانعام وهو الغفلة
والتقصير وله ولله الاسما الحسنى الاية السبب في هذه الاية على ما روي ان ابا جهل سمع
بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا فيذكر الله في قراءته ومرة يقرا فيذكر
الرحمن وغير ذلك فقال محمد يزعم ان الاله واحد وهو انما يعبد الهة كثيرة فنزلت هذه الاية
والاسماء هنا بمعنى المسميات اجماعا من المتاولين لا يمكن غيره والحسنى مصدر
وصف به ويجوز ان يقدر الحسنى فعلى مونثة احسن فافرد وصف جمع ما لا يعقل كما قال
مارب اخرى وكما قال يا جبال اوبي معه وهذا كثير وحسن الاسماء انما يتجه بتحسين
الشرع لاطلاقها والنص عليها وانضاف الى ذلك ايضا انها انما تضمنت معاني حسانا
شريفة واختلف الناس في الاسم الذي يقتضي مدحا خالصا ولا يتعلق به شبهة ولا اشتراك
الا انه لم يرد منصوصا هل يطلق ويسمى الله به فنص ابن الباقلاني على جواز ذلك ونص ابو
الحسن الاشعري على منع ذلك والفقهاء والجمهور على المنع وهو الصواب الا يسمى الله الا
باسم قد اطلقته الشريعة وقد وقفت عليه ايضا فان هذه الشريطة التي في جواز اطلاقه
من ان يكون مدحا خالصا لا شبهة فيه ولا اشتراك امر لا يحسنه الا الاقل من
اهل العلم فاذا ابيح ذلك تسور عليه من يظن بنفسه الاحسان وهو لا يحسن
فادخل في اسماء الله ما لا يجوز اجماعا واختلف ايضا في الافعال التي في القران
مثل قوله الله يستهزئ بهم ومكر الله ونحو ذلك هل يطلق منها اسم الفاعل
فقالت فرقة لا يطلق ذلك بوجه وجوزت فرقة ان يقال ذلك مقيدا بسببه
فيقال الله مستهزئ بالكافرين وماكر بالذين يمكرون بالدين واما اطلاق ذلك دون
تقييد فممنوع اجماعا وبالقول الاول اقول ولا ضرورة تدفع الى القول الثاني لان صيغ
الفعل الواردة في كتاب الله تعالى ومن اسماء الله ما ورد في القران ومنها ما ورد في
الحديث وتواتر وهذا هو الذي ينبغي ان يعتمد عليه وقد ورد في الترمذي حديث عن
ابي هريرة ونص فيه تسعة وتسعين اسما وفي بعضها شذوذ وذلك الحديث
ليس بالمتواتر وانما المتواتر منه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين
اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة ومعنى احصاها عدها وحفظها
وتضمن ذلك الايمان بها والتعظيم لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها وهذا حديث
البخاري والمتحصل منه ان لله تعالى هذه الاسماء مباحا اطلاقها وورد في بعض
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حنان يا منان ولم يقع هذان الاسمان في تسمية
الترمذي قوله فادعوه بها اباحة اطلاقها قوله وذروا الذين قال ابن زيد معناه اتركوا
هم ولا تحاجوهم ولا تعرضوا لهم فالاية على هذا منسوخة بالقتال وقيل معناه الوعيد كقوله
تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويقال الحد ولحد بمعنى جار

ومال

ومال والحرف والحد اشهر ومنه قول الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد قال ابو علي ولا يكاد
يسوغ الاحد ومنه القران ومن يرد فيه بالحاد ومنه لحد القبر المائل الى احد شقيه وقرا
ابو عمرو وابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر يلحدون بضم الياء وكسر الحاء وكذلك في النحل
والسجدة وقرا حمزة الاحرف الثلثة يلحدون بفتح الياء والحاء وكذلك ابن وثاب وطلحة
وعيسى والاعمش ومعنى الالحاد في اسماء الله عز وجل ان تسموا اللات نظيرا لاسم الله تعالى
قاله ابن عباس والعزى نظيرا العزيز قاله مجاهد ويسمون الله ابا ويسمون اوثانهم ونحو
اربابا ونحو هذا قوله سيجزون ما كانوا يعملون وعيد محض بعذاب الاخرة وذهب الكسائي
الى الفرق بين الحد والحد فزعم ان الحد بمعنى مال والحرف والحد بمعنى ركن وانضوى
قال الطبري وكان الكسائي يقرا جميع ما في القران بضم الياء وكسر الحاء الا التي في النحل
فانه كان يقرؤها بفتح الياء والحاء ويزعم انها بمعنى الركون والانضواء وكذلك ذكره
عنه ابو علي قوله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا
باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا
ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون
هذه اية يتضمن الخبر عن قوم مخالفين لمن تقدم ذكرهم فانهم اهل ايمان واستقامة
وهداية وظاهر هذه الاية يقتضي كل مومن كان من لدن ادم صلى الله عليه وسلم الى قيام
الساعة قال النحاس فلم يخل الدنيا في وقت من الاوقات من داع يدعو الى الحق قال ابو محمد سواهم
بعد صوته او كان خاملا وروي عن كثير من المفسرين انها في امة محمد صلى الله عليه وسلم وروي
في ذلك حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الاية لكم وقد تقدم مثلها لقوم موسى
قوله والذين كذبوا باياتنا الاية وعيد والاشارة الى الكفار وسنستدرجهم معناه سنسوقهم
شيا بعد شيء ودرجة بعد درجة بالنعم عليهم والامهال لهم حتى يغتروا ويظنوا انهم لا ينالهم
عقاب قوله من حيث لا يعلمون معناه من حيث لا يعلمون انه استدراج لهم وهذه عقوبة
من الله على التكذيب بالايات لما حتم الله عليهم بالعذاب املى لهم ليزدادوا اثما وقرا
ابن وثاب والنخعي سيستدرجهم بالياء قوله املي معناه اوخر ملاوة من الدهر اي مدة
وفيها ثلث لغات فتح الميم وضمها وكسرها وقرا عبد الحميد عن ابن عامر ان كيدي على معنى لاجل
ان كيدي وقرا الجمهور وسائر السبعة ان كيدي على القطع والاستيناف ومتين معناه
قوي قال الشاعر لا ان علينا واجب لا نضيعه متين قواه غير منتكث الحبل وروي ابن اسحق
في هذا البيت امين قواه وهو من المتن الذي يحمل عليه لقوته ومنه قول الشاعر وهو امرؤ القيس
لها متنتان خظاتا كما اكب على ساعديه النمر وهما حسا الظهر ومنه قول الاخر عذلت
عدول الياس وافتح تستلي افانين من الهوب شد ممانت ومنه قول امرؤ القيس ويحدي
على صم صلاب ملوطس شديدات عقد لينات متان ومنه الحديث في غزوة بني المصطلق
فمتن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس اي سار بهم سيرا شديدا لتقطع الحديث
يقول ابن ابي ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم الاية تقرير
مقارنة توبيخ الكفار والوقف على قوله اولم يتفكروا ثم ابتداء القول بنفي ما ذكروه فقال ما
بصاحبهم من جنة اي بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المعنى اولم يتفكروا انه
ما بصاحبهم من جنة وسبب نزول هذه الاية فيما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد
ليلا على الصفا فجعل يدعو قبايل قريش يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم ويدعوهم الى الله فقال
بعض الكفار حين اصبحوا هذا مجنون بات يصوت حتى الصباح فنفى الله عز وجل ما قالوه من ذلك
في هذا الموطن المذكور وفي غيره فان الجنون بعض ما رموه حتى اظهر الله سبحانه نوره صلى الله
عليه وسلم ثم اخبر انه نذير اي محذر من العذاب ولفظ النذير اذا جاء مطلقا انما هو في الشر
وقد يستعمل في الخير مقيدا به ويظهر من وصف الاية انها باعثة لهم على الفكرة في امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه ليس به جنة ثم احالهم بعد هذه الاية على النظر ثم بين المنظور
فيه لذلك احال هنا على الفكرة ثم بين المتفكر فيه قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض الاية هذا ايضا توبيخ للكفار وتقرير والنظر هنا بالقلب عبرة وفكرا وملكوت
بناء عظمة ومبالغة قوله وما خلق الله من شيء لفظ يعم جميع ما ينظر فيه ويستدل به من
الصيغة الدالة على الصانع من نفس الانسان وحواسه ومواضع رزقه والى واقع على
الموجودات قوله وان عسى عطف على قوله في ملكوت وان الثانية في موضع رفع بعسى والمعنى

توقيفهم على ان لم يقع لهم نظر في شي من هذا ولا فاية قربت اجالهم فما توافقات او ان
الاستدراك ووجب عليهم المحذور ثم وقفهم باى حديث او امر يقع ايمانهم و
تصديقهم اذا لم يقع بامر فيه نجاتهم ودخولهم الجنة ونحو هذا المعنى قول الشاعر وعن
اى نفس بعد نفسي اقاتل والضمير في قوله بعده يراد به القران وقيل المراد به محمد صلى الله عليه
وسلم وقصته وامره اجمع وقيل هو عايد على الاجل اى بعد الاجل اذ لا عمل بعد الموت قوله عز
وجل من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسئلونك عن الساعة
ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض
لا تاتيكم الا بغتة ويسئلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس
لا يعلمون هذا شرط وجواب مضمنه اليأس منهم والمقت لهم لان المراد ان هذا قد
نزل بهم وانهم مثال لهذا وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والحسن وابو جعفر والاعرج وشيبة
وابو عبد الرحمن وقتاده ونذرهم بالنون ورفع الراء وكذلك عاصم في رواية ابي بكر وروى
عن حفص ويذرهم بالياء والرفع وقراها اهل مكة وهذا على اضمار مبتدا ونحن نذرهم
او على قطع الفعل واستيناف القول وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو وفيما ذكر ابو حاتم
بالياء والجزم وقرا كذلك طلحة بن مصرف والاعمش ويذرهم بالياء والجزم عطفا على موضع
الفا وما بعدها من قوله فلا هادى له لانه موضع جزم ومثله قول ابي داود فابلوني بليتكم
لعلي اصالحكم واستدرجكم نوبا ومنه قول الاخر انا سلكت فانني لكم كالشجى وعلى
انتقاصك في الحياة فازداد قال ابو علي ومثله في الحمل على الموضع قوله تعالى لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين لانك لو لم تلحق الفا لقلت اصدق وروى
خارجة عن نافع نذرهم بالنون والجزم والطغيان الافراط في الشي وكانه مستعمل في غير الصلاح
والعمه الحيرة قوله يسئلونك عن الساعة الاية قال قتادة بن دعامة المراد يسئلونك كفار قريش
وذلك ان قريشا قالوا يا محمد انا قرابتك فاخبرنا بوقت الساعة قال ابن عباس المراد بالاية
اليهود وذلك ان جبل بن ابي قشير وسمويل بن زيد قالا له ان كنت نبيا فاخبرنا بوقت
الساعة فانا نعرفها فان صدقت امنا بك والساعة القيمة موت كل من كان يومئذ حيا
وبعث الجميع هو كل يقع عليه اسم الساعة واسم القيمة وايان معناه متى وهو سوال عن زمان
وتتضمنها المعنى بنيت وقرا جمهور الناس ايان بفتح الهمزة وقرا السلمي ايان بكسر الهمزة
ولسما ان يكون اصلها اى ان وهي مبنية على الفتح وقال الشاعر ايان نقضي حاجتي ايانا
اما ترى لفعلها ايانا قال ابو الفتح ووزن ايان بفتح الهمزة فعلان وبكسرها فعلان والنون
فيها زائدة ومرساها رفع بالابتداء والخبر ايان ومذهب المبرد ان مرساها مرتفع باضمار
فعل ومعناه مثبتها ومنتهاها ماخوذ من ارسى يرسي ثم امر الله سبحانه بالرد اليه
والتسليم لعلمه ويجليها معناه يظهرها والجلا البينة الشهود وهو مراد زهير بقوله
يمين ونفار او جلاء قوله ثقلت في السموات والارض قال السدي ومعمر عن بعض اهل
التاويل معناه ثقل ان يعلم وقت على حقيقة وقتها قال الحسن ابن ابي الحسن معناه ثقلت
هيبتها والفزع منها على اهل السموات والارض كما يقول خيف العدو في بلد
كذا وكذا وقال قتادة وابن جريج معناه ثقلت على اهل السموات والارض لينفطر
السموات وتبدل الارض وتنسف الجبال ثم اخبر تعالى خبرا يدخل فيه الكل انها لا تاتي
الا بغتة اى فجاة دون ان يتقدم منها علم بوقتها عند احد من الناس وبغتة
مصدر في موضع الحال قوله يسئلونك كانك حفي عنها الاية قال ابن عباس
ومجاهد وقتاده المعنى يسئلونك عنها كانك حفي اى متحف ومهتبل وهذا
نحو الى ما قالت قريش انا قرابتك فاخبرنا وقال مجاهد ايضا والضحاك وابن زيد
معناه كانك حفي في المسئلة عنها والاشتغال بها حتى حصلت علمها وقرا ابن عباس
فيما ذكر ابو حاتم كانك حفي بها وحفي معناه مهتبل مجتهد في السوال مبالغ في الاقبال
على ما يسال عنه وقد يجي خفي وصفا للسوال ومنه قول الشاعر فلما التقينا بين
السيف بيننا لسايل عنها حفي سوالها ومن المعنى الاول الذي يجي فيه حفي
وصفا للسايل قول الاخر سوال حفي عن اخيه كانه تذكرة وسنان او متواسن
ثم امر ثانية بان يسند العلم تاكيدا للامر وتهمما به اذ هي من الغيوب الخمسة
التي في قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية وقيل العلم الاول علم قيامها والثاني
علم كنهها وحالها ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال الطبري معناه لا يعلمون ان

هذا

هذا امر لا يعلمه الا الله بل يظن اكثرهم انه مما يعلمه البشر قوله عز وجل قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما
لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين هذا امر بان يبالغ في الاستسلام ويتجرد من
المشاركة في قدرة الله تعالى وغيبه وان يصف نفسه لهولاء السائلين بصفة من
كان لها فهو جدير ان لا يعلم غيبا ولا يدعيه فاخبر انه لا يملك من منافع نفسه ومضارها
الا ما هيا الله وشا ويسر وهذا الاستثناء منقطع واخبر انه لو كان يعلم الغيب
لعمل بحسب ما ياتي ولاستعد لكل شي استعداد من يعلم قدر ما يستعد له وهذا
لفظ عام في كل شي وقد خصص الناس هذا فقال ابن جريج ومجاهد لو كنت اعلم اجلي
لاستكثرت من العمل الصالح وقالت فرقة اوقات النصر لتوخيتها وحكى مكي عن ابن عباس
المعنى لو كنت اعلم السنة المجدبة لاعددت لها من المخصبة قال ابو محمد والفاظ الاية تعم
هذا وغيره قوله وما مسني السوء يحتمل وجهين وبكليهما قيل احدهما ان ما معطوفة
على قوله لاستكثرت اى ولما مسني السوء والثاني ان يكون الكلام مقطوعا تم في قوله
لاستكثرت من الخير وابتداء يخبر بنفي السوء عنه وهو الجنون الذي رموه به وقال
مورج السدوسي السوء الجنون بلغة هذيل ثم اخبر بجملة ما هو عليه من النذارة والبشارة
والقوم يؤمنون يحتمل معنيين احدهما ان يريد انه نذير وبشير لقوم يطلب منهم
الايمان ويدعون اليه وهو لا الناس اجمع والثاني ان يخبر انه نذير وتم الكلام ويبتدي
يخبر انه بشير للمؤمنين به وعلى هذا وعد لمن حصل ايمانه قوله هو الذي خلقكم من نفس
واحدة الاية قال جمهور المفسرين المراد بالنفس الواحدة ادم وبقوله وجعل منها زوجها
حوا وقوله منها يريد ما تقدم ذكره من ادم نام فاستخرجت قصرى اضلاعه وخلقت
منها حوا قوله ليسكن اليها اى ليانس ويطمئن وهذا كله في الجنة ثم ابتدا بحاله اخرى هي
في الدنيا بعد هبوطهما قال فلما تغشيها اى غشيها وهي كناية عن الجماع والحمل الخفيف
هو المني الذي تحمله المراة في فرجها وقرا جمهور الناس حملا بفتح الحاء وقرا حماد بن سلمة
عن ابن كثير حملا بكسر الحاء قوله فمرت به اى استمرت قال ايوب سالت الحسن عن فمرت به
فقال لو كنت امرا عربيا لعرفت ما هي انما المعنى فاستمرت به قال ابو محمد وقدره قوم
على القلب كان المراد فاستمرها كما يقول ادخلت القلنسوة في راسي وقرا يحيى بن يعمر
وقرا يحيى بن يعمر وابن عباس فيما ذكر النقاش فمرت بتخفيف الراء ومعناه فشكت
مما اصابها هل هو حمل او مرض ونحو هذا وقرا ابن عباس فاستمرت به وقرا ابن مسعود
فاستمرت بحملها وقرا عبد الله بن عمرو بن العاص فمارت به معناه اى جاءت
وذهبت وتصرفت كما يقول مارت الريح مورا واثقلت دخلت في الثقل كما يقول
اصبح وامسى اى صارت ذا ثقل كما يقول اتمر الرجل واللبن اى صار ذا تمر ولبن ونحوه
والضمير في دعوا على ادم وحوا وروى في قصص هذه الاية ان حوا لما حملت اول حمل
لم تدر ما هو وهذا يقوي قراءة من قرا فمرت به بتخفيف الراء فجزعت لذلك فوجد ابليس
اليها السبيل فقال لها ما تدريك ما في جوفك ولعله خنزير او حية او بهيمة في الجملة
وما يدريك من اين يخرج انشق له بطنك فتموتين او على فمك او انفك ولكن اطيعيني
وسميته عبد الحارث قال ابو محمد والحارث اسم ابليس فاخلصه لك واجعله بشرا مثلك
فان انت لم تفعلي قتلته لك قال فاخبرت حوا ادم فقال لها ذلك صاحبنا الذي
اغوانا في الجنة لا تطيعيه فلما ولدت سمياه عبد الله فمات الغلام وروي ان الله
سلط ابليس على قتله فحملت باخر ففعل بها مثل ذلك فحملت بالثالث فلما ولدته اطاعا
ابليس فسمياه عبد الحارث حرصا على حياته فهذا هو الشرك الذي جعلا لله اى في التسمية
فقط وصالحا قال الحسن معناه غلاما قال ابن عباس وهو الاظهر بشرا سويا سليما ونصبه
على المفعول الثاني وفي المشكل لمكي انه نعت لمصدر اى اتيانا صالحا وقال قوم ان المعنى في
هذه الاية التبيين عن حال الكافرين فعدد النعم التي تعم الكافرين وغيرهم من الناس ثم
قرن ذلك بفعل المشركين الشي تقامت عليهم الحجة ووجب العقاب وذلك انه قال مخاطبا
لجميع الناس هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها يريد ادم وحوا اى واستمرت
حالكم واحدا واحدا كذلك فهذه نعمة يختص كل احد بجزء منها ثم جا قوله فلما تغشيها الى اخر

الاية وصفا بحال الناس واحدا واحدا اى هكذا يفعلون فاذا اتاهم الله الولد صالحا
سليما كما اراده صرفاه عن الفطرة الى الشرك فهذا حال المشركين الذين قامت الحجة فيه
باقترانه مع النعمة العام وقال الحسن بن ابى الحسن فيما حكى عن الطبرى ففى هذه الاية
وهو الذى خلقكم من نفس واحدة اشارة الى الروح الذى ينفخ فى كل احد قال ابو محمد اى خلقكم
من جنس واحد وجعل الاناث منه ثم جاء قوله فلما تغشيها الى اخر الاية وصفا لحال الناس
واحدا واحدا على ما تقدم من الترتيب الذى فى القول قبل قوله عز وجل فلما اتاهما صالحا
جعلا لله شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون من قال ان الاية المتقدمة هى فى ادم وحوا ان
الضمير فى قوله اتاهم عايد عليهما قال ان الشرك الذى جعلاه هو فى الطاعة اى
اطاعا ابليس فى التسمية بعبد الحارث كما كانا فى غير ذلك مطيعين لله واسند الطبرى
فى ذلك حديثا من طريق سمرة بن جندب ويحتمل ان يكون الشرك فى ان جعلاه عبوديته
بالاسم لغيره وقال الطبرى والسدى فى قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون انه كلام منفصل
ليس من الاول وان خبر ادم وحوا عليهما الصلوة والسلام تم فى قوله اتاهما وان هذا كلام
يراد به مشركى العرب قال ابو محمد وهذا تحكم لا تساعده اللفظ ويتجه ان يقال تعالى الله عن
ذلك اليسير المتوهم من الشرك فى عبودية الاسم وتبقى الكلام فى جهة ابوينا ادم وحوا
عليهما الصلوة والسلام وجاء الضمير فى يشركون ضمير جمع لان ابليس مدبر معهما
اسمية الولد عبد الحارث ومن قال ان الاية المتقدمة انما الغرض منها تعديد نعم الازواج وفى
تسهيل النسل فى الولادة ثم ذكر سوء فعل المشركين يعقب ذلك قال فى هذه الاية الاخرة
انها على ذلك الاسلوب وان قوله فتعالى الله عما يشركون المراد بالضمير فيه المشركون والمعنى
فى هذه الاية فلما اتى الله هذين الانسانين صالحا اى سليما ذهبا به الى الكفر وجعلا
لله شركاء واخرجاه عن الفطرة ولفظة الشرك يقتضى نصيبين المعنى وجعلا لله فيه
ذا شرك لان ابليس او اصنام المشركين هى المجعولة والاصل ان الكل لله تعالى وبهذا
حكى الزجاج اعتراض من قال ينبغى ان يكون الكلام جعلا لغيره شركا وقرا نافع وعاصم
فى رواية ابى بكر شركا بكسر الشين وسكون الراء على المصدر وهى قراءة ابن عباس وابى
جعفر وشيبة وعكرمة ومجاهد وعاصم وابان بن تغلب وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائى وحفص عن عاصم شركاء على الجمع وهى بينة على هذا التاويل الاخير وقلقة
على قول من يقول ان الاية الاولى فى ادم وحوا وفى مصحف ابى بن كعب فلما اتاهما صالحا
اشركا فيه وذكر الطبرى فى قصص ادم وحوا وابليس فى التسمية بعبد الحارث وفى صورة
مخاطبته اشياء طويلة من ما يقتضى الاختصار ذكرها وقرا الحسن ونافع وابو جعفر وابو
عمرو وعاصم عما تشركون اتشركون بالتاء من تحت فيهما وقرا ابو عبد الرحمن عما تشركون
بالتاء من فوق اتشركون ما لا يخلق الاية وروى بعض من قال ان الايات فى ادم وحوا
ان ابليس جاء الى ادم وقد مات له ولد اسمه عبد الله وقال ان شئتما ان يعيش لكما الولد
فسمياه عبد شمس قولا لله الولد فسمياه كذلك فاياه عنى بقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا
وهم يخلقون على هذا عايد على ادم وحوا والابن المسمى عبد شمس ومن قال بالقول الاخر
قال ان هذه فى مشركى الكفار الذين يشركون الاصنام فى العبادة واياها المراد
فى قوله تعالى ما لا يخلق وعبر عنها بهم كانها تعقل على اعتقاد الكفار فيها وبحسب
اسمائها ويخلقون معناه ينحتون ويصنعون ويحتمل على قراءة ايشركون بالياء من تحت
ان يكون المعنى وهؤلاء المشركون يخلقون اى فكان حقهم ان يعتبروا بانهم مخلوقون
فيجعلون الههم خالقهم لا من لا يخلق شيئا قوله ولا يستطيعون الاية هذه تخرج
على تاويل من قال ان المراد ادم وحوا والشمس على ما تقدم ولكن بقلق وتعسف
من المتاول فى المعنى وانما تتسق هذه الايات ويروق نظمها ويتناصر معناها
على التاويل الاخر المعنى ولا ينصرون انفسهم من امر الله وارادته ومن لا يدفع
عن نفسه فاحرى ان لا يدفع عن غيره قوله وان تدعوهم الى الهدى الاية من قال
ان الايات فى ادم صلى الله عليه وسلم قال ان هذه المخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم
وامته مستانفة فى امر الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم ولهم الهاء والميم
من تدعوهم ومن قال بالقول الاخر قال ان هذه مخاطبة للمؤمنين والكفار على قراءة من

قرا

قرا ايشركون بالياء من تحت وللكفار فقط على قراءة من قرا بالتاء من فوق على جهة التوقيف
اى ان هذه حال الاصنام معلم ان دعوتموهم لم يجيبوكم اذ ليس لهم حواس و
لا ادراكات وقرا نافع وحده لا يتبعوكم بسكون التاء وفتح الباء وقرا الباقون
لا يتبعوكم بشد التاء المفتوحة وكسر الباء والمعنى واحد وفى قوله ادعوتموهم
ام انتم عطف الاسم على الفعل اذ التقدير ام صمتم ومثل هذا قول الشاعر سواء
عليك الفقر ام بت ليلة باهل القباب من نمير بن عامر قوله عز وجل ان الذين
تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها
ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان وليى الله
الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قرا جمهور الناس ان الذين يدعون من دون
الله عباد امثالكم بتثقيل ان ورفع عباد وهى مخاطبة للكفار فى تحقير شان اصنامهم
عندهم اى ان هذه الاصنام مخلوقة محدثة اذ هى اجساد واجرام متعبدة اى متملكة
وقال مقاتل ان المراد بهذه الاية كانه من العرب من خزاعة كانت تعبد الملائكة فاعلم
الله انهم عباد امثالهم وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
بتخفيف ان من ان على ان يكون بمعنى ما ونصب قوله عبادا وامثالكم والمعنى فى
هذه القراة تحقير شان الاصنام ونفى مماثلتهم للبشر بل هم اقل واحقر اذ هى جمادات
لا يفهم ولا تعقل وسيبويه يرى ان ان اذا كانت بمعنى ما فانها تضعف عن رتبتها ما
فى الخبر مرفوعا ويكون هى داخلة على الابتداء والخبر لا تنصبه فكان الوجه عندى فى
هذه القراة ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم وابو العباس المبرد يجيز
ان يعمل عمل ما فى نصب الخبر وزعم الكسائى ان ان بمعنى ما لا تجئ الا وبعدها الا كقوله
تعالى ان الكافرون الا فى غرور ثم بين تعالى الحجة بقوله فادعوهم اى فاختبروا فان
لم يجيبوا فهم كما وصفنا قوله الهم ارجل الاية الغرض من هذه الاية الهم حواس الحى
واوصافه فاذا قالوا لا حكموا بانها جمادات جامدات هذه التفصيلات كذلك المجمل
الذى اريد التقرير عليه فاذا وقع الاقرار بتفصيلات القضية لزم الاقرار بعمومها
وكان بيانها اقوى ولم يتق بها استرابة قال الزهراوى المعنى ثم افضل منهم بهذه
الجوارح النافعة فكيف تعبدونهم قال ابو محمد ويتقوى بهذا التاويل قراءة سعيد بن جبير
ان يقتضى ان الاوثان ليست عبادا كالبشر وقوله فى الاية ام ام اضراب بكل واحدة عن الجمل
المتقدمة لها وليست ام المعادلة للالف فى قولك اعندك زيد ام عمرو لان المعادلة
انما هى فى السؤال عن شيئين احدهما حاصل فاذا وقع التقرير فى شيئين كلاهما منفى فام
اضراب عن الجملة الاول قال ابو محمد هذا عندى فرق معنوى واما من جهة اللفظ والصناعة
النحوية فهى هى وقرا نافع والحسن والاعرج يبطشون بكسر الطاء وقرا نافع ايضا وابو جعفر
وشيبة يبطشون بضمها ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعجزهم بقوله قل ادعوا
شركاءكم اى استحدوهم واستنفروهم الى اضرارى وكيدى ولا تؤخرونى المعنى فان
كانوا الهة فسيطهر فعلكم وسماهم شركاءهم من حيث لهم نسبة اليهم بتسميتهم
اياهم الهة وشركاء لله وقرا ابو عمرو ونافع كيدونى باثبات الياء فى الوصل وقرا ابن
كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى كيدون بحذف الياء فى الوصل والوقف قال
ابو على اذا اشبه الكلام المنفصل او كان اشبه القافية وهم يحذفون الياء فى القافية
كثيرا فقد اترنوا ذلك كثيرا كما قال الاعشى فهل يمنعنى ارتياد البلاد من حذر الموت
ان ياتين وقد حذفوا الياء التى هى لام الامر كما قال الشاعر كحلس الاجلاس فى منزل سديه
كانه ذى المصل قوله فلا تنظرون اى لا تؤخرون ومنه قوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله
تعالى ان وليى الله الاية كما احالهم على الاستنجاد بالهتهم فى ضرره واراهم ان الله هو القادر
على كل شى عقب ذلك بالاسناد الى الله والتوكل عليه والاعلام بانه وليه وناصره
وقرا جمهور القرا والناس ان وليى بياء مكسورة مشددة واخرى مفتوحة وقرا ابو عمرو
فيما روى عنه ان ولى الله بياء واحدة مشددة ورفع الله قال ابو على لا يخلو هذه القراءة من
ان يدغم الياء التى هى لام الفعل فى ياء الاضافة او يحذف الياء التى هى لام الفعل ويدغم ياء
فعيل فى ياء الاضافة ولا يجوز ان يدغم الياء التى هى لام الفعل فى ياء الاضافة لانه اذا فعل
ذلك انفك الادغام الاول فليس الا انه حذف لام الفعل وادغم ياء فعيل فى ياء الاضافة

خذ العفو وامر بالعرف

وقرا ابن مسعود الذى نزل الكتاب بالحق وهو يتولى الصالحين وقرا الجحدرى فيما ذكر ابو عمرو
الدانى ان ولى الله على الاضافة وفسر ذلك بان المراد جبريل صلى الله عليه وسلم ذكر النقاش
غير منسوبة ابو حاتم وضعفها وان كانت الفاظ هذه الاية يدوم هذا المعنى وتصلح له
فان ما قبلها وما بعدها يدافع ذلك **قوله عز وجل** والذين يدعون من دونه لا يستطيعون
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك
من الشيطان فاستعذ بالله انه سميع عليم الضمير فى قوله من دونه عايد على اسم الله تعالى
وهذا الضمير مصرح بما ذكرناه من ضعف قراءة من قرا ان ولى الله انه جبريل صلى الله عليه وسلم
وهذه الاية ايضا بيان بحال تلك الاصنام وفسادها وعجزها عن نصره وانفسها فضلا عن
غيرها قوله وان تدعوهم الاية قالت فرقة المخاطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وامته والها
والميم فى قوله تدعوهم للكفار ووصفهم بانهم لا يسمعون ولا يبصرون اذ لم يتحصل
لهم عن النظر والاسماع فايدة ولا حظوا منه بطايل قاله السدى ومجاهد وقال الطبرى المراد
بالضمير المذكور الاصنام ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابلة وما فيها من تخييل
النظر كما يقول دار فلان ينظر الى دار فلان ومعنى الاية على هذا تبيين جمودية الاصنام
وصغر شانها وذهب بعض المعتزلة الى الاحتجاج بهذه الاية على ان العباد ينظرون
الى ربهم ولا يرونه ولا حجة لهم فى الاية لان النظر فى الاصنام مجاز محض قال ابو محمد وانما
يكون القول فى هذا ونرد ذلك الايات فيه لان امر الاصنام وتعظيمها كان متمكنا من
نفوس العرب فى ذلك الزمن ومستوليا على عقولها فاوعب القول فى ذلك لطفا من الله
تعالى بهم قوله خذ العفو الاية وصية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يعم جميع امته
واخذ بجميع مكارم الاخلاق قال الجمهور معنى قوله خذ العفو معناه اقبل من الناس فى
اخلاقهم واقوالهم ومعاشرتهم ما اتوا عفوا دون تكلف فالعفو هنا الفضل والصفو
الذى تهيا دون تحرج قاله عبد الله بن الزبير فى مصنف البخارى وقاله مجاهد وعروة و
منه قول حاتم الطاى خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب
وقال ابن عباس والضحاك والسدى هذه الاية فى الاموال وقيل هى قبل فرض الزكاة امر بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياخذ ما سهل من اموال الناس وعفا اى فضل وزاد من قولهم عفا البنات والشعر اى
كثر ثم نزلت الزكاة وحدودها فنسخت هذه الاية وذكر مكى عن مجاهد ان خذ العفو معناه
خذ الزكاة المفروضة قال ابو محمد وهذا شاذ قوله وامر بالعرف معناه بكل ما عرفته النفوس مما
لا ترده الشريعة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما هذا العرف الذى امرت به قال
لا ادرى حتى اسال العالم فرجع الى ربه فساله ثم جاءه فقال يا محمد هو ان تعطى من حرمك وتصل
من قطعك وتعفو عمن ظلمك قال ابو محمد فهذه نصب عامات والمراد فما دون هذا من فعل
الخير وقرا عيسى الثقفى فيما ذكر ابو حاتم بالعرف بضم المراد بالعرف بمعنى المعروف قوله واعرض عن
الجاهلين حكم مترتب محكم مستمر فى الناس ما بقوا هذا قول الجمهور من العلماء وقال ابن زيد
فى قوله خذ العفو الى الجاهلين انما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك مداراة لكفار
قريش ثم نسخ ذلك باية القتال قال ابو محمد وحديث الحر بن قيس حين ادخل عمه عيينة بن حصن
على عمر دليل على انها محكمة مستمرة لان الحر احتج بها على عمر فقررها ووقف عندها قوله واما
ينزغنك الاية وصية من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم تعم امته رجلا رجلا والنزغ
حركة فيها فساد وقلما تستعمل الا فى فعل الشيطان لان حركته مسرعة مفسدة ومنه
قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يشير احدكم على اخيه بالسلاح لا ينزغ الشيطان فى يده المعنى
فى هذه الاية فاما تلمن بحال من الشيطان فاستعذ بالله ونزغ الشيطان عام فى الغضب
وتحسين المعاصى واكتساب الغوايل وغير ذلك وفى مصنف الترمذى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان للملك لمة وللشيطان لمة قال ابو محمد وعن هاتين اللمتين هى الخواطر من
من الخير والشر فالاخذ بالواجب يلقى لمة الملك بالاستدامة والامتثال ولمة الشيطان
بالرفض والاستعاذة بالله فاستعاذة معناه طلب ان يعاذ وعاذ معناه
لاذ وانضوا واستجار وسميع فى هذه الاية يصلح من الاستعاذة ويصلح ايضا مع ما
يقوله الكفار من الاقاويل فيغضب الشيطان كذلك وعليم كذلك وبهذه الاية
تعلق ابن القاسم فى قوله ان الاستعاذة عند القراءة اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم **قوله عز وجل** ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان

تذكروا

تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تاتهم باية قالوا
لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون اتقوا هاهنا عام فى اتقاء الشرك واتقاء المعاصى بدليل ان اللفظ انما جاءت فى
مدح لهم فلا وجه لقصرها على اتقاء الشرك وحده وايضا فالمتقى العايد قد تمسه طائفة الشيطان
اذ ليست العصمة الا للانبياء وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة طائف وقرا ابن كثير وابو عمرو
والكسائى طيف وقرا سعيد بن جبير طيف واللفظة اما من طاف يطوف واما من طاف
يطيف بفتح الياء وهى ثابتة عند العرب وانشد ابو عبيدة ذلك انى الم بك الخيال يطيف
ويطافه لك ذكرى وشغوف فطايف اسم فاعل كقايل من قال يقول او كبايع من باع يبيع
وطيف اسم فاعل كميت من مات يموت او كبيع ولين من باع يبيع ولان يلين وطيف ايضا
يكون مخففا من طيف كميت من ميت واذا قدرنا اللفظة من طاف يطيف فطيف
مصدر والى هذا مال ابو على الفارسى وجعل الطايف كالخاطر والطيف كالخطرة وقال
الكسائى الطيف اللمم والطايف ما طاف حول الانسان قال ابو محمد وكيف هذا وقد
قال الاعشى وتصبح عن غب السرى وكانها الم بها من طايف الجن اولق ومعنى الاية
اذا مسهم غضب وزين الشيطان معه ما لا ينبغى قوله تذكروا اشارة الى الاستعاذة
المامور بها قبل والى ما لله من الاوامر والنواهى فى النازلة التى يقع تعرض الشيطان فيها وقرا
ابن الزبير من الشيطان تاملوا فاذا هم وفى مصحف ابى بن كعب اذا طاف من الشيطان طائف
تاملوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمرة من جمر الجن اما ترون حمرة العين
وانتفاخ العروق فاذا كان ذلك فالارض الارض قوله مبصرون من البصيرة اى فاذا هم قد تبينوا
الحق ومالوا اليه قوله واخوانهم يمدونهم الاية فى هذه الضماير احتمالات قال الزجاج هذه الاية
متصلة فى المعنى بقوله ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون قال ابو محمد فى هذا
نظر وقال الجمهور ان الاية مقدرة موضعها الا ان الضمير فى قوله واخوانهم عايد على الشيطان
والضمير فى قوله يمدونهم عايد على الكفار وهم المراد بالاخوان والشيطان فى الاية قبل هذه للجنس
فلذلك عاد عليهم هاهنا ضمير جمع فالتقدير على هذا التاويل واخوان الشيطان يمدونهم
الشياطين فى الغى وعلى هذا فسر الطبرى وقال قتادة ان الضميرين فى الها والميم للكفار وقال
ابو محمد فيجى الاية على هذا مضادة للتى قبلها اى ان المتقين حالهم كذا وكذا وهؤلاء الكفار
يمدونهم اخوانهم من الشياطين ثم لا يقصرون قوله فى الغى يحتمل ان يتعلق بقوله يمدونهم
وعليه يترتب التاويل الذى ذكرناه اولا عن الجمهور ويحتمل ان يتعلق بالاخوان فعلى هذا يحتمل
ان يعود الضميران جميعا على الكفار كما ذكرناه عن قتادة ويحتمل ان يعودا جميعا على
الشياطين ويكون المعنى واخوان الشياطين فى الغى بخلاف الاخوة فى الله يمدونهم الشياطين
اى بطاعتهم لهم وقبولهم منهم ولا يترتب هذا التاويل على ان يتعلق فى الغى بالامداد
لان الانس لا يعدون الشياطين والمراد بهذه الاية وصف حالة الكفار مع الشياطين
كما وصف حالة المتقين معهم قبل وقرا جميع السبعة غير نافع يمدونهم من مددت
وقرا نافع وحده يمدونهم بضم الياء من امددت فقال ابو عبيدة وغيره مد الشى اذا كانت
الزيادة من جنسه وامده غيره شى اخر قال ابو محمد وهذا غير مطرد وقال الجمهور هما بمعنى
واحد الا ان المستعمل فى المحبوب امد منه قوله انما نمدهم به من مال وبنين وقوله وامددناهم
بفاكهة وقوله اتمدوننى بمال والمستعمل فى المكروه مد منه قوله ويمدهم فى طغيانهم ومد
الشيطان للكفرة فى الغى هو التزيين لهم والاغواء المتتابع فمن قرا فى هذه الاية يمدونهم
بضم الميم فهو المنهاج المستعمل ومن قرا يمدونهم فهو مقيد بقوله فى الغى كما يجوز ان يقيد
البشارة فيقول بشرته بشر وقرا الجحدرى يمادونهم قوله ثم لا يقصرون عايد على الجمع
اى هؤلاء لا يقصرون فى الطاعة للشيطان والكفر بالله عز وجل وقرا جمهور الناس
يقصرون من اقصر وقرا ابن ابى عبلة وعيسى بن عمر يقصرون من قصر قوله واذا لم تاتهم
باية سببها فيما روى ان الوحى كان تتاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا فكان
الكفار يقولون هلا اجتبيتها ومعنى اللفظة فى كلام العرب تخيرتها واصطفيتها وقال
ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن زيد وغيرهم المراد بهذه اللفظة هلا اخترتها واختلقتها
من قبلك ومن عند نفسك والمعنى اذ كلامك كله كذلك على ما كانت قريش تزعم وقال ابن عباس
ايضا والضحاك هلا يلقيتها من الله وتخيرتها عليك اذ تزعم انك نبى وان منزلتك
عنده منزلة رسالة فامره الله سبحانه ان يجيب بالتسليم لله سبحانه وان الامر فى الوحى

اليه نتر له متى شا لا معقب بحكمه فى ذلك فقال قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى ثم اشار
بقوله هذا الى القرآن ثم وصفه بانه بصائر اى علامات هدى وانوار تضى القلوب
وقالت فرقة المعنى هذا ذو بصائر ويصح الكلام دون ان نقدر حذف مضاف لان
المشار اليه بهذا انما هو سور وآيات وحكم وجازت الاشارة اليه بهذا من حيث اسمه
مذكر وجاز وصفه ببصائر من حيث هو سور وآيات وهدى ورحمة لقوم يومنون
اى هولاء خاصة وقال الطبرى واما من لا يومن فهو عليه عمى عقوبة من الله عز وجل
قوله عز وجل واذا قرى القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى
نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ذكر الطبرى
وغيره ان سبب هذه الآية هو ان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كانوا بمكة يتكلمون فى
المكتوبة بحوائجهم ويصيحون عند آيات الرحمة والعذاب ويقول احدهم اذا اتاهم كم صليتم
وكم بقى فحسبونه ونحو هذا فنزلت الآية امرا لهم بالاستماع والانصات فى الصلوة
واما قول من قال انها فى الخطبة فضعيف لان الآية مكية والخطبة لم يكن الا بعد هجرة
محمد صلى الله عليه وسلم من مكة وكذلك ما ذكر الزهرى انها نزلت بسبب فتى من
الانصار كان يقرأ فى الصلوة والنبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فاما الاستماع و
الانصات عن الكلام فى الصلوة فاجماع واما الانصات والامساك عن القراءة فقالت
فرقة يمسك الماموم عن القراءة جملة والامام جهرا وسرا وقالت فرقة يقرأ الماموم
اذا اسر الامام ويمسك اذا جهر وقالت فرقة يمسك الماموم فى جهر الامام عن قراءة السورة
ويقرأ فاتحة الكتاب قال ابو محمد ومع هذا القول احاديث صحاح عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فهذه الآية واجبة الحكم فى الصلوة ان ينصت عن الحديث وما عدا القراءة
وواجبة الحكم ايضا فى الخطبة من السنة لا من هذه الآية ويجب من الآية الانصات
اذا قرأ الخطيب القرآن اثناء الخطبة وحكم هذه الآية فى غير الصلوة على الندب اعنى فى نفس
الانصات والاستماع اذا سمع الانسان قراءة كتاب الله سبحانه واما ما تضمنه الالفاظ
وتعطيه من توقير القرآن وتعظيمه فواجب فى كل حال والانصات السكوت ولعلكم
على ترجى البشر قال ابو محمد ولم يستوعب اختلاف العلماء فى القراءة خلف الامام
اذ الفاظ الآية لا تعرض لذلك لكن لما عن ذلك فى ذكر السبب ذكرنا منه نبذه
وذكر الطبرى عن سعيد انه قال فى قوله عز وجل واذا قرى القرآن فاستمعوا له
وانصتوا قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من
الصلوة قال ابو محمد وهذا قول جمع فيه ما اوجبته هذه الآية وغيرها من السنة فى
الانصات قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
وقوله واذكر ربك فى نفسك الآية مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم تعم جميع امته وهو
امر من الله سبحانه بذكره وتسبيحه وتحميده والثناء عليه بمحامده والجمهور على ان
الذكر لا يكون فى النفس ولا يراعى الا بحركة اللسان ويدل على ذلك من هذه الآية قوله ودون
الجهر من القول فهذه مرتبة السر والمخافتة باللفظ وتضرعا معناه تذللا وخضوعا
وخيفة اصلها خوفة بدلت الواو ياء لاجل الكسرة التى قبلها قوله بالغدو والآصال
معناه دابا وفى كل يوم وفى اطراف النهار وقالت فرقة هذه الآية كانت فى صلوة المسلمين
قبل فرض الصلوة الخمس وقال قتادة الغدو صلوة الصبح والآصال صلوة العصر والآصال
جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو العشى وقيل الآصال جمع اصيل دون توسط كايمان فى جمع يمين
واصال ايضا يجمع اصائيل فهو جمع جمع الجمع وقرأ ابو مجلز والايصال مصدرا كالاصباح
والامساء ومعناه اذا دخلت فى الاصيل وفى الطبرى قال ابو وائل لغلامه هل اصلنا
بعد ولا تكن من الغافلين تنبيه ولما قال الله سبحانه ولا تكن من الغافلين جعل بعد
ذلك مثالا من اجتهاد والذكر والسعى على الجد فى طاعة الله سبحانه قوله تعالى الذين
يريد الملائكة قوله انما يريد فى المنزلة والتشريف والقرب فى المكان لا فى المكان فهم بذلك
عنده ثم وصف تعالى حالهم من تواضعهم وادمانهم العبادة والتسبيح والسجود
وفى الحديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم او
راكع او ساجد وهذا موضع سجدة قال النخعى فى كتاب النقاش ان شئت ركعت وان شئت
سجدت كمل تفسير سورة الاعراف والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله

على محمد وآله وسلم تسليما **تفسير سورة الانفال وهى مدنية كلها** كذا قال اكثر الناس
وقال مقاتل هى مدنية غير آية واحدة وهى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية كلها
وهذه الآية نزلت فى قصة وقعت بمكة ويمكن ان تنزل الآية فى ذلك بالمدينة ولا خلاف
فى هذه السورة انها نزلت فى يوم بدر وامر غنائمه **قوله عز وجل** يسئلونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان
كنتم مؤمنين النفل والنفل والنافلة فى كلام العرب الزيادة على الواجب وسميت الغنيمة
نفلا لانها زائدة على القيام بالجهاد وحماية الحوزة والدعا الى الله عز وجل ومنه
قول لبيد ان تقوى ربنا خير نفل اى خير غنيمة وقول عنترة انا اذا احمر الوغى نروى
القنا ونعف عند مقاسم الانفال والسؤال فى كلام العرب يجى لاقتضاء معنى فى نفس
المسؤول وقد يجى لاقتضاء مال ونحوه والاكثر فى هذه الآية ان السؤال انما هو
عن حكم الانفال فهو من الضرب الاول وقالت فرقة سالوه الانفال نفسها ان تعطيهم
اياها واحتجوا فى ذلك بقراءة سعد بن ابى وقاص وعبد الله بن مسعود وعلى بن الحسين
وابى جعفر محمد بن على وزيد بن على وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف وعكرمة والضحاك
وعطاء يسئلونك الانفال وقالوا فى قراءة من قرأ عن انها بمعنى من فهذا الضرب
الثانى من السؤال واختلف الناس فى المراد بالانفال فى هذه الآية فقال ابن
عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وعطاء وابن زيد هى الغنائم مجملة
قالوا وذلك ان سبب الآية ما جرى يوم بدر وهو ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم افترقوا ثلث فرق ففرقة اقامت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش الذى صنع له
وحمته وانسته وفرقة احاطت بعسكر العدو واسلابهم لما انكشفوا وفرقة اتبعوا
العدو فقتلوا واسروا قال ابن عباس فى كتاب الطبرى وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد حرض الناس قبل ذلك وقال من قتل قتيلا او اسر اسيرا فله سلبه كذا وكذا فتسارع
فتيان الشبان وبقى الشيوخ عند الرايات فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رات كل
فرقة الفضل لنفسها وقالت نحن اولى بالمغنم وساءت اخلاقهم فى ذلك فنزلت الآية
بان الغنائم لله والرسول فكفوا وقسمه حينئذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على السواء
واسند الطبرى وغيره عن ابى امامة الباهلى قال سالت عبادة ابن الصامت عن
الانفال فقال فينا نزلت اهل بدر حين اختلفنا وساءت اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا
فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء
قال ابو محمد يريد عن سواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واصلاح
ذات البين ومما جرى ايضا يوم بدر وفصل انه سبب ما اسنده الطبرى عن سعد بن ابى وقاص
رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه وكان
يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا السيف
قد شفانى الله به من المشركين فاعطنيه فقال ليس هذا لى ولا لك فاطرحه فى القبض فطرحته
ورجعت وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى قال فما جاوزت الا قريبا حتى نزلت
عليه سورة الانفال فقال اذهب وخذ سيفك فانك سالتنى السيف وليس لى وانه
قد صار لى فهو لك قال ابو محمد وفى بعض طرق هذا الحديث قال سعد فقلت لما قال لى ضعه فى
القبض انى اخاف ان تعطيه من لم يبل بلائى قال فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى قال فقلت
اخاف ان يكون نزل فى شى فقال ان السيف قد صار لى فاعطانيه ونزلت يسئلونك عن الانفال
واسند الطبرى ايضا عن ابى اسيد مالك بن ربيعة رضى الله عنه قال اصبت سيف ابن عائذ
يوم بدر وكان يسمى المرزبان فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ان يردوا ما فى ايديهم
من النفل اقبلت به فالقيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيئا يسئله فعرفه الارقم
المخزومى فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه اياه قال ابو محمد فيجى من مجموع هذه
الآثار ان نفوس اهل بدر ربما نوزعت ووقع فيها ما يقع فى نفوس البشر من ارادة الاثرة لا سيما
من ابلى فانزل الله عز وجل الآية فرضى المسلمون وسلموا فاصلح الله ذات بينهم ورد عليهم
غنائمهم وقال بعض اهل التاويل عكرمة ومجاهد كان هذا الحكم من الله سبحانه لرفع الشغب
ثم نسخ بقوله واعلموا انما غنمتم الآية وقال ابن زيد لم يقع فى الآية نسخ وانما اخبر ان الغنائم لله
من حيث هى ملكه ورزقه وللرسول من حيث هو مبين حكم الله والصادع فيها ليقع
التسليم فيها من الناس وحكم القسمة نازل خلال ذلك ولا شك ان الغنائم وغيرها

والدنيا باسرها هي لله سبحانه وللرسول صلى الله عليه وسلم قال ابو محمد وقال ابن عباس ايضا الانفال
في هذه الاية ما يعطيه الامام لمن راه من سيف او فرس او نحوه وهذا ايضا نحسن مع الاية
ومع ما ذكرناه من اثار يوم بدر وقال علي بن صالح بن حي والحسن فيما حكى المهدوي الانفال في
الاية ما يجيء به السرايا خاصة قال ابو محمد وهذا القول بعيد عن الاية عن ملتئم مع الاسباب
المذكورة بل يجيء رجاعن يوم بدر وقال مجاهد الانفال في الاية الخمس قال المهاجرون
لم تخرج منا هذا الخمس فقال الله تعالى هو لله وللرسول وهذا ايضا قول قليل التناسب مع
الاية وقال ابن عباس وعطا ايضا الانفال في الاية ما شذ من اموال المشركين الى المسلمين
كالفرس العاير والعبد الابق هو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شا وقال
ابن عباس ايضا الانفال في الاية ما اصيب من اموال المشركين بعد قسمة القسمة
هو لله ورسوله قال ابو محمد وهذان القولان لا يخرج بهما الاية عن الاسباب التي رويت
في يوم بدر ولا تختص الاية بيوم بدر على هذا وكان هاتين القالين انما هو فيما نال
الجيش دون قتال وبعد تمام الحرب وارتفاع الخوف واولى هذه الاقوال واصحها القول
الاول الذي تظاهرت الروايات باسبابه وناسبه الوقت الذي نزلت الاية فيه وحكى النقاش
عن الشعبي انه قال الانفال الاسارى قال ابو محمد وهذا انما هو على جهة المثال كلما يغنم
ويحسن في تفسير هذه الاية ان نذكر شيئا من اختلاف العلماء في تنفيل الامام لمن راه من اهل
النجدة والغنا وما يجوز من ذلك وما يمتنع وما لهم في السلب من الاختلاف فقالت فرقة
لا نفل بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقال الجمهور النفل باق الى قيام القيمة ينفل امير الجيش
ما راه لمن راه لكن بحسب الاجتهاد وللمصلحة للمسلمين ليحض الناس على النجدة و
ينشطهم الى مكافحة العدو والاجتهاد في الحرب ثم اختلفوا فقال ابن عباس وابن القاسم
عن مالك في المدونة انما تنفل الامام من الخمس لا من جملة الغنيمة وينفل في اول مغنم وفي
اخره بحسب اجتهاده وقالت فرقة انما ينفل الامام قبل القتال واما اذا جمعت الغنايم
فلا نفل قال ابو محمد وهذا انما يكون على هذا القول بان يقول الامام من قتل قتيلا فله كذا او
او يقول للسرية ان وصلتم الى موضع كذا فلكم كذا وقال الشافعي وابن حنبل لا نفل الا
بعد الغنيمة قبل التخميس وقال ابراهيم النخعي ينفل الامام ما شاء قبل التخميس وبعده وقال انس
ابن مالك ورجا بن حيوة ومكحول والقاسم وجماعة منهم الاوزاعي واحمد واسحق وعدي
بن عدي لا نفل الا بعد اخراج الخمس ثم ينفل الامام من اربعة الاخماس ثم يقسم الباقي
بين الناس وقال ابن المسيب انما ينفل الامام من خمس الخمس وقال مالك لا يجوز
ان يقول الامير من هدم كذا من الحصن فله كذا ومن بلغ الى موضع كذا فله كذا ولا
احب لاحد ان يسفك دما على مثل هذا قال سحنون فان ترك ذلك لزمه لانه
مبايع وقال مالك رحمه الله لا يجوز ان يقول الامام لسرية ما اخذتم فلكم ثلثه قال
سحنون يريد ابتداء فان ترك مضا لهم انصباؤهم في الباقي وقال سحنون اذا
قال الامام لسرية اذا اخذتم فلا خمس عليكم فيه فهذا لا يجوز فان ترك رددته
لان هذا حكم شاذ لا يجوز ولا يمضي ويستحب على مذهب مالك ان نفل الامام
ان ينفل ما يظهر كالعمامة والفرس والسيف وقد منع بعض العلماء ان ينفل الامام
ذهبا او فضة او لؤلؤا ونحو هذا وقال بعضهم النفل جائز من كل شيء واما السلب
فقال مالك الاسلاب من المغنم تقسم على جميع الجيش الا ان تشترط الامام وقال غيره
وقال الليث والاوزاعي والشافعي واحمد وابو ثور وابو عبيد وابن المنذر السلب
حكم للقاتل بحكم النبي صلى الله عليه وسلم قال الشافعي واحمد وابو عبيد وابن المنذر
قاله الامام او لم يقله وقال مالك كذا قال الامام من قتل قتيلا فله سلبه فذلك لازم ولكن على قدر
اجتهاد الامام وبحسب الاحوال والضيقات واستمراح الامام وقال الشافعي وابن حنبل
يخرج الاسلاب من الغنيمة ثم يخمس بعد ذلك وتعطا الاسلاب للقتلة وقال اسحق
بن راهويه ان كان السلب يسيرا فهو للقاتل وان كان كثيرا خمس وفعل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه مع البراء بن مالك حين بارز المرزبان فقتله فكانت قيمة منطقته
وسواره ثلثين الفا فخمس ذلك وروي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
هو حديث عوف بن مالك الاشجعي في مصنف ابي داود وقال مكحول السلب مغنم
وفيه الخمس وروي نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابو محمد يريد يخمس على القاتل
وحده وقال جمهور الفقهاء لا يعطى القاتل السلب الا ان تقوم البينة على قتله

قال

قال اكثرهم ويجزئ شاهد واحد بحكم حديث قتادة وقال الاوزاعي يعطاه بمجرد دعواه قال
ابو محمد وهذا ضعيف وقال الشافعي لا يعطا القاتل الا اذا كان قتله مقبلا مشيحا مبارزا
واما ان قتل منهزما فلا وقال ابو ثور وابن المنذر صاحب الاشراف للقاتل السلب منهزما
كان القتيل وغير منهزم قال ابو محمد وهذا اصح لحديث سلمة بن الاكوع في اتباعه ربيئة الكفار
في غزوة خيبر واخذه بخطام لغيره وقتله اياه وهو محارب فاعطاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم سلبه وقال ابن حنبل لا يكون السلب للقاتل الا في المبارزة فقط واختلفوا في السلب
فاما السلاح وكلما يحتاج للقتال فلا احفظ فيه خلافا انه من السلب وفرسه ان قاتل عليه
وصرح عنه وقال احمد بن حنبل في الفرس ليس من السلب وكذلك ان كان في هميانه او منطقته
دنانير او جوهر او نحو هذا مما بعده فلا احفظ خلافا انه ليس من السلب واختلف
فيما تتزين به للحرب ويهول فيها به كالتاج والسوارين والافراط والمناطق المثقلة
بالذهب والاحجار فقال الاوزاعي ذلك كله من السلب وقالت فرقة ليس من السلب
وهذا مروي عن سحنون رحمه الله الا المنطقة فانها عنده في السلب قال ابن حبيب
في الواضحة والسوارات من السلب ورجح الشافعي رحمه الله هل هذا كلها من السلب
لم لا قال ابو محمد واذا قال الامام من قتل قتيلا فله سلبه فقتل ذمي قتيلا فالمشهور
ان لا شيء له وعلى قول اشهب رحمه الله يرضخ من اهل الذمة من الغنيمة يلزم ان يعطى
السلب وان قتل الامام بيده قتيلا بعد هذه المقالة فله سلبه قال ابو محمد واما
الصفي فكان خاصا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى فاتقوا الله معناه في الكلام
اجعل بينك وبين المحذور وقاية وقوله واصلحوا ذات بينكم تصريح بانه شجر بينهم
اختلاف او مالت النفوس التشاح وذات في هذا الموضع يراد به نفس الشيء وحقيقته
والذي يفهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات وذات ذلك
هي المامور باصلاحها اي نفسه وعينه فحض الله على اصلاح تلك الاجزاء فاذا صلحت
تلك حصل ما يعمها وهو البين الذي لهم وقد يستعمل لفظة الذات على انها لربه
ما تضاف اليه وان لم يكن عينه ونفسه وذلك في قوله عليم بذات الصدور وذات
الشوكة فانها هاهنا مونثة قولهم الذيب مغبوط بذي بطنه وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه انما هو بطن بنت خارجة ويحتمل ذات البين ويكون هذه وقد يقال الذات
ايضا بمعنى اخر وان كان يقرب من هذا وهو قولهم فعلت كذا ذات يوم ومنه قول الشاعر
لا تنبح الكلب فيها غير واحدة ذات العشاء ولا تسري افاعيها وذكر الطبري عن بعضهم
انه قال ذات بينكم الحال التي لبينكم كما ذات العشاء الساعة التي فيها العشاء قال ابو محمد
ورجحه الطبري وهو قول بين الانتقاص وقال الزجاج البين هاهنا الوصل ومثله
قوله لقد تقطع بينكم قال ابو محمد وهذا كله منطو قوله واطيعوا الله ورسوله لفظ عام وسببه
الامر بالوقوف عند ما ينفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغنايم قوله تعالى ان كنتم
مومنين اي كامل الايمان كما يقول لرجل ان كنت رجلا فافعل كذا اي ان كنت كامل الرجولة
وجواب الشرط في قوله المتقدم واطيعوا هذا عند سيبويه ومذهب ابي العباس
ان الجواب محذوف متاخر يدل عليه المتقدم تقديره ان كنتم مومنين اطيعوا
ومذهبه في هذا ان لا يتقدم الجواب الشرط قوله عز وجل انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين
يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا لهم درجات
عند ربهم ومغفرة ورزق كريم انما لفظ لا تفارقه المبالغة والتاكيد حيث
وقع ونصلح مع ذلك للحصر فاذا دخل في نص وساعد معناها على الانحصار صح
ذلك وترتب كقوله انما الهكم اله واحد وغير ذلك من الامثلة واذا كانت القصة
لا تساعد للانحصار بقيت انما للمبالغة والتاكيد فقط كقوله صلى الله عليه وسلم
انما الربا في النسية وكقولك انما الشجاع عنترة واما من قال انما هي لبيان
الموصوف فهي عبارة قلقة اذ بيان الموصوف يكون في مجرد الاخبار دون انما
قوله انما المومنون ظاهرها انها للمبالغة والتاكيد فقط اي الكاملون ووجلت
معناه فزعت ورقت وخافت وبهذه المعاني فسرت العلماء وقرا ابن مسعود
فرقت وقرا ابي ابن كعب فزعت يقال وجل يوجل وياجل وييجل وهي شاذة
وبيجل بكسر الياء الاولى ووجه هذه انهم لما ابدلوا الواو ياء لم يكن كذلك وجه

قياس فكسروا الياء الاولى كيجي بدل الواو ياء لعله حكى هذه اللغات الاربع سيبويه
وتليت معناه سردت وقويت والايات هنا القرآن المتلو وزيادة الايمان
على وجوه كلها خارج عن نفس التصديق منها ان المؤمن اذا كان لم يسمع حكما من
احكام الله في القران فنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعه فآمن به زاد ايمانا الى
سائر ما قد آمن به اذ لكل حكم تصديق خاص وهذا يترتب فيمن بلغ ما لم يكن عنده
من الشرع الى يوم القيمه ويترتب زيادة الايمان بزيادة الدلايل ولهذا قال
مالك الايمان يزيد ولا ينقص ويترتب بزيادة الاعمال المبرة على قول من رالفظه الايمان
واقعة على التصديق والطاعات وهؤلاء يقولون يزيد وينقص قوله وعلى ربهم
يتوكلون عبارة جامع لمصالح الدنيا والاخرة اذا اعتبرت وعمل بحسبها فان
يمتثل الانسان ما امر به ويبلغ في ذلك اقصى جهله دون عجز وينتظر بعد ما
تكفل له به من نصر او رزق او غيره وهذه اوصاف جميلة وصف الله بها فضلا
المومنين فجعلها للامة تستبق اليها الافاضل ثم اتبع ذلك وعدهم ورسمهم باقامة
الصلوة ومدحهم بها حضا على ذلك قوله ومما رزقناهم ينفقون قال الجماعة من المفسرين
هي الزكوة قال ابو محمد وانما حملهم على ذلك اقتران الكلام باقامة الصلوة والا فهو
لفظ عام في الزكوة ونوافل الخير وصلوة المتحفين ولفظ ابن عباس في هذا المعنى
محتمل قوله اولئك هم المومنون يزيد كل المؤمنين وحقا مصدر مؤكد كذا نص عليه
سيبويه وهو المصدر غير المستقل والعامل فيه احق ذلك حقا قوله درجات ظاهره
وهو قول الجمهور ان المراد مراتب الجنه ومنازلها ودرجاتها على قدر اعمالهم وحكى
الطبري عن مجاهد انها درجات اعمال الدنيا قوله ورزق كريم يريد به ماكل
الجنة ومشاربها وكريم صفة يقتضي رفع المذام كقوله ثوب كريم وحسب كريم
قوله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون
يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين اختلف الناس في الشيء الذي
يتعلق به الكاف من قوله كما حسب ما تبين من الاقوال التي انا ذاكرها بعد بحول الله
والذي يلتئم به المعنى ويحسن سرد الالفاظ قولان وانا اما ابدا بهما قال الفرا
التقدير امض لامرك في الغنايم ونفل من شئت وان كرهوا كما اخرجك ربك هذا
نص قوله في هداية مكي والعبارة بقوله امض لوجهك ونفل من شئت غير محرر
وتحرير هذا المعنى عندي ان يقال ان هذا الكاف شبهت هذه القصة التي هي
اخراجه من بيته بالقصة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الانفال كانهم سالوا عن النفل
وتشاجروا فاخرج الله ذلك عنهم فكانت فيه الخيرة كما كرهوا في هذه القصة انبعاث
النبي صلى الله عليه وسلم فاخرج الله من بيته فكانت في ذلك الخيرة فتشاجرهم في النفل
بمثابة كراهيتهم هاهنا الخروج وحكم الله في النفل بانه لله وللرسول دونهم
هو بمثابة اخراجه صلى الله عليه وسلم من بيته ثم كانت الخيرة في القصتين فيما صنع الله
وعلى هذا التاويل يمكن ان يكون قوله يجادلونك كلاما مستانفا يراد به الكفار اي
يجادلونك في شريعة الاسلام من بعد ما تبين الحق فيها كانما يساقون الى الموت
في الدعاء الى الايمان قال ابو محمد وهذا الذي ذكرت من ان يجادلونك في الكفار
منصوص والقول الثاني قال مجاهد والكسائي وغيرهما المعنى في هذه الاية كما
اخرجك ربك من بيتك على كراهية من فريق منهم كذلك يجادلونك في قتال كفار
مكة وتودون غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك انما تفعل ما امرت به
لا ما يريدون هم قال ابو محمد والتقدير على هذا التاويل يجادلونك في الحق مجادلة ككراهيتهم
اخراج ربك اياك من بيتك فالمجادلة على هذا التاويل بمثابة الكراهية وكذا وقع التشبيه
في المعنى وقايل هذه المقالة يقول ان المجادلين هم المؤمنون وقايل المقالة الاولى
يقول ان المجادلين هم المشركون فهذان قولان مطردان يتم بهما المعنى ويحسن وصف
اللفظة وقال الاخفش الكاف نعت لحقا والتقدير هم المؤمنون حقا كما اخرجك
قال ابو محمد والمعنى على هذا التاويل كما تراه لا يتناسق وقيل الكاف في موضع رفع
والتقدير كما اخرجك ربك فاتقوا الله كانه ابتداء وخبر قال ابو محمد وهذا المعنى وضعه

هذا المفسر

٢٨٦

هذا المفسر وليس من الفاظ الاية في ورود ولا صدد وقال ابو عبيده هو قسم اي لهم
درجات ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك بتقدير والذي اخرجك فالكاف
في معنى الواو وما بمعنى الذي وقال الزجاج الكاف في موضع نصب والتقدير الانفال
ثابتة لك كما اخرجك ربك وقيل الكاف في موضع رفع والتقدير لهم درجات
عند ربهم ومغفرة ورزق كريم هذا وعد حق كما اخرجك وقيل المعنى واصلحوا
ذات بينكم ذلك خير لكم كما اخرجك فالكاف نعت لخبر ابتداء محذوف وقيل
التقدير قل الانفال لله والرسول كما اخرجك ربك وهذا نحو اول قول ذكرته وقال
عكرمة التقدير واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين كما اخرجك ربك اي الطاعة
خير لكم كما كان اخراجك خيرا لكم قوله من بيتك يريد من المدينة يثرب قاله
جمهور المفسرين وقال ابن بكير المعنى كما اخراجك من مكة وقت الهجرة وقرا
عبد الله بن مسعود في الحق بعد ما بين بضم الباء من غير تا والضمير في قوله يجادلونك
قيل هو للمؤمنين وقيل للمشركين فمن قال للمؤمنين جعل الحق قتال المشركين قريش
ومن قال للمشركين جعل الحق شريعة الاسلام قوله الى الموت اي في سوقهم الى القتال على
ان المجادلين المؤمنون اي في دعايهم الى الشرع على انهم المشركون قوله وهم ينظرون
حال تزيد في تبين المسوق ويقتضي شدة حاله قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم الاية في هذه الاية قصص حسن انا اختصره اذ هو مستوعب في كتب سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن هشام واختصاره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بلغه وقيل اوحي اليه ان ابا سفيان بن حرب قد اقبل من الشام بالعير التي فيها تجارة
قريش واموالها قال لاصحابه ان عير قريش قد عنت لكم فاخرجوا اليها لعل الله
ان ينفلكموها قال فانبعث معه من خف وثقل قوم وكرهوا الخروج واسرع رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يلوي على من تعذر ولا ينتظر من غاب ظهره فسار في ثلثمائة
وثلثة عشر من اصحابه من بين مهاجري وانصاري رضي الله عنهم اجمعين وقد ظن
الناس باجمعهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى حربا فلم يكثر استعدادهم
وكان ابو سفيان في خلال ذلك يستقصي ويحذر فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة يستنفر اهلها ففعل ضمضم فخرج
اهل مكة في الف رجل او نحو ذلك فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خروجهم
اوحى الله اليه وحيا غير متلو يعده احدى الطائفتين فعرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصحابه بذلك فسروا وودوا ان تكون لهم العير التي لا قتال معها فلما
علم ابو سفيان بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه اخذ طريق الساحل وابعد
وفات ولم يبق الا لقاء اهل مكة واشار بعض الكفار على بعض بالانصراف وقالوا
هذه عيرنا قد نجت فلننصرف فحرش ابو جهل ولج حتى كان امر الوقعة وقال بعض المؤمنين
نحن لم نخرج لقتال ولم نستعد له فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وهو
بواد يسمى دفران وقال اشيروا علي ايها الناس فقام ابو بكر فتكلم واحسن رضي الله عنه
وحرض على لقاء العدو فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فقام عمر
رضي الله عنه بمثل ذلك فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة فتكلم
المقداد الكندي فقال لا نقول لك يا رسول الله اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون ولكن نقول انا معكما مقاتلون والله لو اردت بنا برك الغماد قال ابو محمد
وهي مدينة الحبشة لقاتلنا معك من دونها فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكلامه ودعا له بخير ثم قال اشيروا علي ايها الناس فكلمه سعد بن معاذ وقيل
سعد بن عبادة قال ابو محمد ويمكن انهما جميعا تكلما في ذلك اليوم فقال يا رسول
الله كانك تريد يا معشر الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل
فقال انا قد آمنا بك واتبعناك فامض لامر الله فوالله لو خضت بنا هذا البحر
لخضناه معك فقال النبي صلى الله عليه وسلم امضوا على بركة الله فكاني انظر
الى مصارع القوم فالتقوا وكانت وقعة بدر وقال مسلمة بن محارب واذ يعدكم الله
بجزم الدال قال ابو الفتح ذلك لتوالي الحركات وقرا ابن محيصن واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين بوصل الالف من احدى ووصلها بالحاء والشوكة عبارة عن السلاح
والحدة ومنه قول الاعور ان العرفج قد ادمى وقرا ابو عمرو فيما حكى ابو حاتم الشوكة

تكون بادغام التاء فى التاء ومعنى الاية وتودون العير وتابون قتال الكفار قوله ويريد الله
ويريد الله الاية المعنى ويريد الله ان يظهر الاسلام وتعلو دعوة الشرع وقرا ابى جعفر
وشيبة ونافع بخلاف عنهم بكلمة على الافراد الذى يراد به الجمع والمعنى فى قوله بكلماته
اما ان يريد باوامره للملائكة والنصر وبجميع ما يظهر الاسلام ان يكون واما ان يريد
كلماته التى سبقت فى الازل والمعنى قريب فى الدابر الذى يدبر القوم اى يات فى اخرهم
واذا قطع فقد اتى على اخرهم بشرط ان سنة الاهلاك من اولهم وهى عبارة فى كل
من اتى الهلاك عليه قوله عز وجل ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين وما
جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله
عزيز حكيم ليحق الحق اى ليظهر ما يجب اظهاره وهو الاسلام ويبطل الباطل اى الكفر
ولو كره اى وكره هيئتهم واتفقة فهى جملة فى موضع الحال قوله اذ تستغيثون الاية
اذ متعلقة بفعل تقديره واذكروا اذ وهو الفعل الاول الذى عمل فى قوله واذ يعدكم
وقال الطبرى هى متعلقة بيحق ويبطل قال ابو محمد ويصح ان يعمل فيها يعدكم فان الوعد
كان فى وقت الاستغاثة وقرا ابو عمرو بادغام الذال فى التاء واستحسنها ابو حاتم
ويستغيثون يطلبون الغوث وليس تبيين من الفاظ هذه الاية ان المؤمنين
علموا قبل القتال ان الملائكة معهم فاذا استجاب يمكن ان يقع فى عينة بقال
وقد روى انهم علموا ذلك قبل القتال ومعنى التانيس والتقوية القلوب يقتضى
ذلك وقرا جمهور الناس انى بفتح الالف وقرا ابو عمرو فى بعض ما روى عنه
وعيسى بن عمر بخلاف انى بكسر الالف اى قال انى ممدكم اى مكثركم ومقويكم
من امددت وقرا جمهور الناس بالف وقرا عاصم الجحدرى بالف على مثال
فلس وافلس وهى جمع الف والاشارة بهذا الى الالاف المذكورة فى العمران
وقرا عاصم الجحدرى ايضا بالاف ومردفين متبعين ويحتمل ان يراد بالمردفين
المومنين اى اردفوا بالملائكة فردفين على هذا حال من الضمير فى قوله ممدكم
ويحتمل ان يراد به الملائكة اى اردف بعضهم بعضا وهذه القراءة بفتح
الدال هى قراءة نافع وجماعة من اهل المدينة وغيرهم وقرا سائر السبعة غير
نافع مردفين بكسر الدال وهى قراءة الحسن ومجاهد والمعنى فيها تابع بعضهم
بعضا وروى عن ابن عباس خلف كل ملك ملك وهذا معنى التابع يقال
ردف واردف اذا اتبع وجاء بعد الشىء ويحتمل ان يراد مردفين للمؤمنين
ويحتمل ان يراد مردفين بعضهم بعضا ومن قال مردفين بمعنى ان كل ملك اردف ملكا
وراءه فقول ضعيف لم يات بمقتضاه رواية وقرا رجل من اهل مكة رواه
عنه الخليل مردفين بفتح الراء وكسر الدال وشدها وروى عن الخليل انها
بضم الراء كالتى قبلها فى غير ذلك وقرا بعض الناس بكسر الراء مثلها فى غير ذلك
حكى ذلك ابو عمرو عن سيبويه وحكاه ابو حاتم قال كانه يال مردفين فادغم
واتبع الحركة ويحسن مع هذه القراءة كسر الميم ولا احفظه قراءة وانشد الطبرى
شاهدا على ان اردف بمعنى جاء تابعا قول الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظنت
بال فاطمة الظنونا والثريا تطلع قبل الجوزاء وروى فى الاشهر ان الملائكة قاتلت
يوم بدر واختلف فى غيره من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما تقاتل
يوم بدر وانما وقفت وحضرت وهذا ضعيف وحكى الطبرى عن على بن ابى طالب
رضى الله عنه انه قال نزل جبريل عليه الصلوة والسلام فى الف ملك على ميمنة النبى
صلى الله عليه وسلم وفيها ابو بكر ونزل ميكائيل فى الف ملك فى الميسرة وانا فيها
وقال ابن عباس كانا فى خمسمائة خمسمائة وقال الزجاج قال بعضهم ان الملائكة
خمسة الاف وقال بعضهم تسعة الاف وفى هذا المعنى احاديث هى غير مستوعبة
فى كتب السيرة قوله وما جعله الله الاية الضمير فى جعله عائد على الوعد قال ابو محمد
وهذا عندى امكن الاقوال من جهة المعنى وقال الزجاج ان الضمير عائد على المدد
ويحتمل ان يعود على الامداد وهذا يحسن مع قول من يقول ان الملائكة لم تقاتل
وانما انست بحضورها مع المسلمين وهذا عندى ضعيف ترده الاحاديث الواردة
بقتال الملائكة وما راى من ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن مسعود

وغيره

وغيره ويحتمل ان يعود على الارداف وهو قول الطبرى وهذا ايضا يجرى مجرى القول
الذى قبله ويحتمل ان يعود على الالف وهذا ايضا كذلك لان البشرى بالشىء انما
هى بما لم يقع بعد والبشرى مصدر من بشرت والطمانينة السكون والاستقرار
قوله وما النصر الا من عند الله توقيف على ان الامر كله لله وان يكسب المرء لا يغنى
اذا لم يساعده القدر وان كان مطلوبا بالجد كما ظاهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين درعين وهذه القصة كلها من قتل الكفار وغلبة المؤمنين لهم تليق
بها من صفات الله سبحانه العزة والحكمة اذا تأمل ذلك قوله عز وجل اذ يغشيكم
النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز
الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم
فثبتوا الذين آمنوا سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان العامل فى اذ هو العامل الذى عمل فى قوله واذ يعدكم بتقدير تكراره
لان الاشتراك فى العامل الاول نفسه لا يكون الا بحرف العطف وانما المقصد انه
يعدد نعمه على المومنين فى يوم بدر فقال واذكروا اذ فعلنا لكم كذا اذ فعلنا كذا اذ
فعلنا كذا وقال الطبرى العامل فى اذ قوله ولتطمئن قال ابو محمد وهذا مع احتماله
فيه ضعيف ولو جعل العامل فى اذ شيئا قريبا مما قبلها لكان الاولى فى ذلك
ان يعمل فى اذ حكيم لان القاء النعاس عليهم وجعله امنة حكمة من الله سبحانه
وقرا نافع يغشيكم بضم الياء وسكون الغين وهى قراءة الاعرج وابى جعفر وابن نصاح
وقرا عاصم وحمزة وابن عامر والكسائى يغشيكم بفتح الغين وشد الشين المكسورة وهى
قراءة عروة بن الزبير والحسن وابى رجاء وعكرمة وغيرهم وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم
بفتح الياء والف بعد الشين وهى قراءة مجاهد وابن محيصن واهل مكة النعاس بالرفع
وحجة من قرا يغشاكم اجماعهم فى اية احد على يغشى طائفة منكم وحجة من قرا
يغشيكم اى يحى الكلام متسقا مع ينزل ومعنى يغشيكم يغطيكم به ويفرغه عليكم
وهذه استعارة والنعاس اخف النوم وهو الذى قد يطيب الانسان
وهو واقف وماش وينص على ذلك قصص هذه الاية انه انما كان بهم خفق
بالرؤس وقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا تعنس احدكم فى صلوته الحديث وينص
على ذلك قول الشاعر وسنان اقصده النعاس فرنقت فى عينه سنة
وليس بنائم وقوله امنة مصدر من امن الرجل يامن امنا وامنة
وامانا والهاء فيها لتانيث المصدر كما هى فى المساءة والمشقة وقرا ابن محيصن
امنة بسكون الميم وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال النعاس عند حضور القتال
علامة امن من العدو وهو من الله وهو فى الصلوة من الشيطان قال ابو محمد وهذا
انما طريقه الوحى فهو لا محالة يسنده قوله وينزل عليكم من السماء ماء الاية تعديد
ايضا لهذه النعمة فى المطر قال بعض المفسرين وحكاه الطبرى عن ابن عباس
وغيره وقال الزجاج ان الكفار يوم بدر سبقوا المؤمنين الى ماء بدر فنزلوا عليه
وبقى المؤمنون لا ماء لهم فوحشت نفوسهم وعطشوا واجنبوا وصلوا كذلك
فقال بعضهم فى نفوسهم بالقاء الشيطان اليهم تزعم ان اولياء الله وفينا
رسوله وحالنا هذه والمشركون على الماء فانزل الله سبحانه المطر فى ليلة بدر
السابعة عشر من رمضان حتى سالت الاودية فشرب الناس وتطهروا
وسقوا الظهر وتدمثت السبخة التى كانت بينهم وبين المشركين حتى ثبتت فيها
اقدام المسلمين وقت القتال وكانت قبل المطر تسوخ فيها الارجل فلما نزل
الطش تلبدت قالوا فهذا معنى قوله ليطهركم به اى من الجنابة ويذهب عنكم
رجز الشيطان اى عذابه لكم بوساوسه المتقدمة الذكر والرجز العذاب وقرا
ابو العالية رجس بالسين اى وساوسه التى تمقت وتتقذر وقرا ابن محيصن رجز
بضم الراء وقرا عيسى بن عمر ويذهب بجزم الباء وليربط على قلوبكم اى بتنشيطها
وازالة الكسل عنها وتشجيعها على العدو ومنه قولهم رابط الجاش اى ثابت
عند جاشها فى الحرب ويثبت به الاقدام اى فى الرمل الدهش التى كان المشى
فيها صعبا قال ابو محمد والصحيح من القول وهو الذى فى سير ابن اسحق وغيرها ان
المومنين سبقوا الى الماء ببدر وفى هذا وقع كلام حباب بن المنذر الانصارى

حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اول ماء فقال له حباب يوحي يا رسول الله
هذا المنزل فليس لنا ان نتقدمه ولا نتاخر عنه ام هو عند الراي والمكيدة الحديث
المستوعب في السير قال ابو محمد ولكن نزول المطر كان قبل وصولهم الماء وذلك
ان القوم من المؤمنين لحقتهم في سفرهم الجنابات وعدموا الماء قريب بدر
فصلوا كذلك فوقع في نفوسهم من ذلك ووسوس الشيطان لهم في ذلك مع
تخويفه لهم من كثرة العدو وقلتهم وهذا قبل الترائي بالاعين وايضا
فكان بينهم وبين ماء بدر مسافة طويلة من رمل دهس لين تسوخ فيه الارجل
وكانوا يتوقعون ان يسبقهم الكفار الى ماء بدر ويحرصون ان يسبقوهم
اليه فانزل الله تلك المطرة فسالت الاودية فاغتسلوا وطهرهم الله
وذهب رجز الشيطان وتدمست الطريق فتلبدت تلك الرملة فسهل المشي
فيها وامكنهم الاسراع حتى سبقوا الى الماء ووقع في السير ان ما اصاب
المشركين من ذلك المطر بعينه صعب عليهم طريقهم فسر المؤمنون وتبينوا
من فعل الله ذلك بهم قصد المعونة لهم فكانت نفوسهم واجتمعت وتشجعت
فذلك الربط على قلوبهم وتثبيت الاقدام منهم على الرملة اللينة فامكنهم الله
من لحاق الماء قبل المشركين قال ابو محمد هذا احد ما يحتمل قوله ويثبت به الاقدام
والضمير في به عايد على هذا الاحتمال عايد على الماء ويحتمل ان يعود الضمير في به على ربط
القلوب فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب وبين ان
الرابط الجاش تثبت قدمه عند مكافحة الهول قال ابو محمد ونزول الماء كان في الزمن
قبل تغشية النعاس ولم يترتب كذلك في الاية اذ القصد فيها تعديد النعمة فقط
وحكى ابو الفتح ان الشعبي قرا وينزل عليكم من السماء ماء ساكنة الالف ليطهركم به
قال وهي بمعنى الذي قال ابو محمد وهذا ضعيف وقرا ابن المسيب ليطهركم به
بسكون الطاء قوله اذ يوحي الاية العامل في اذ العامل الاول على ما تقدم فيما قبلها
ولو قدرناه قريبا لكان قوله ويثبت على تاويل عود الضمير على الربط واما على عوده
على الماء فيعلق اذ بيعمل ويثبت في اذ ووحي الله سبحانه الى الملائكة اما بالهام او
بارسال بعضهم الى بعض وقرا عيسى بن عمر بخلاف عنه اني معكم بكسر الالف
على استيناف ايجاب القصة وقرا جمهور الناس اني بفتح الالف على انها معمولة
ليوحي ووجه الكسر ان الوحي في معنى القول قوله فثبتوا الذين امنوا يحتمل ان يكون
بالقتال معهم على ما روي ويحتمل بالحضور في حربهم والتانيس لهم بذلك
ويحتمل ان يريد فثبتوهم باقوال مونسة مقوية للقلب وروي في ذلك ان بعض
الملائكة في صورة الادميين فكان احدهم يقول للذي يليه من المؤمنين لقد
بلغني ان الكفار قالوا لئن حمل المسلمون علينا لنكشفن ويقول اخر ما ارى الظفر
والظفر الا لنا ويقول الاخر اقدم يا فلان ونحو هذا من الاقوال المثبتة قال ابو محمد
ويحتمل ايضا ان يكون التثبيت الذي امر به ما يلقيه الملك في قلب الانسان
بلمته من توهم الظفر واحتقار الكفار ويجري عليه من خواطر تشجيع ويقوي
هذا التاويل يطابقه قوله تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اذ كان
بالقاء الرعب يطابق التثبيت على اي صورة كان التثبيت ولكنه اشبهه
بهذا اذ هي من جنس واحد قال ابو محمد وعلى هذا التاويل يجيء قوله سالقي في
قلوب الذين كفروا الرعب مخاطبة للملائكة ثم يجيء قوله فاضربوا فوق الاعناق
لفظة تلفظ الامر ومعناه الخبر عن صورة الحال كما تقول اذا وصفت حربا لمن
تخاطبه لقينا القوم وهزمناهم فاضرب بسيفك حيث شئت واقتل وخذ
سيرك اي هذه كانت صفة الحال قال ابو محمد ويحتمل ان يكون سالقي الى اخر الاية
خبرا يخاطب المؤمنين عما يفعله بالكفار في المستقبل كما فعله في الماضي ثم امرهم
بضرب الرقاب والبنان تشجيعا لهم وحضا على نصرة الدين وقرا الاعرج الرعب
بضم العين والناس على تسكينها واختلف الناس في قوله فوق الاعناق فقال
الاخفش فوق زايدة وحكاه الطبري عن عطية ان المعنى فاضربوا الاعناق وقال غيره
هي بمعنى على وقال عكرمة مولى ابن عباس هي على بابها واراد الرؤوس اذ هي فوق الاعناق
قال المبرد وفي هذا اباحة ضرب الكفار في الوجه قال ابو محمد وهذا التاويل انبلها

ويحتمل

ويحتمل عندي ان يريد بقوله فوق الاعناق وصف ابلغ ضربات العنق واحكمها
وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون عظم الراس في المفصل وينظر
الى هذا المعنى قول دريد بن الصمة السلمي حين قال له خذ سيفي وارفع به عن العظم
واخفض عن الدماغ بهذا كنت اضرب اعناق الابطال ومنه قول الشاعر
جعلت السيف بين الجيد منه وبين اسيل خديه عذارا فيجي على هذا فوق
الاعناق متمكنا وقال ابن قتيبة فوق في هذه الاية بمعنى دون وهذا خطا بين وانما
دخل عليه اللبس من قوله تعالى بعوضة فما فوقها اي فما دونها قال ابو محمد وليست
فوق هنا بمنزلة دون وانما المراد فما فوقها في القلة والصغر فاشبه المعنى دون
والبنان قالت فرقة هي المفاصل حيث كانت من الاعضاء فالمعنى على هذا واضربوا منهم
في كل موضع وقالت فرقة البنان الاصابع وهذا هو القول الصحيح فعلى هذا التاويل و
ان كان الضرب في كل موضع مباحا فانما قصد ابلغ المواضع لان المقاتل اذا قطع بنانه
استاتر ولم ينتفع بشيء من اعضائه في كفاحه وقتاله قوله عز وجل ذلك بانهم
شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان
للكافرين عذاب النار يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم
الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب
من الله وماواه جهنم وبئس المصير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنون
داخلون فيه فالمعنى والضمير في بانهم عايد على الذين كفروا وشاقوا معناه خالفوا ونابذوا
ونابذوا وقطعوا وهو ماخوذ من الشق وهو القطع والفصل بين شيئين وهذه مفاعلة
فكان الله تعالى لما شرع شرعا وامر باوامر وكذبوا هم وصدوا تباعد ما بينهم
وانفصل وانشق والشق ماخوذ من هذا لانه مع شقه الاخر تباعدا وانفصالا
وعبر المفسرون عن قوله شاقوا اي صاروا في شق غير شقه قال ابو محمد وهذا وان كان
معناه صحيحا فتحرير الاشتقاق انما هو ما ذكرناه والمثال الاول انما هو الشق بفتح
الشين واجمعوا على الاظهار في يشاقق اتباعا لخط المصحف قوله فان الله شديد العقاب
جواب للشرط تضمن وعيدا وتهديدا قوله ذلكم فذوقوه المخاطبة للكفار اي ذلكم
الضرب والقتل وما اوقع الله سبحانه وتعالى بهم يوم بدر فكانه قال الامر ذلكم فذوقوه
وكذلك قدره سيبويه وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلكم في موضع نصب كقوله زيدا
فاضربه وقرا جمهور الناس وان بفتح الالف فاما على تقدير وحتم ان فيقدر ابتدا
محذوف يكون ان خبره واما على تقدير واعلموا ان فهي على هذا في موضع نصب وروى
سليمان عن الحسن ابن ابي الحسن وان على القطع والاستيناف قوله يا ايها الذين
امنوا الاية زحفا يراد به متقابلي الصفوف والاشخاص ويزحف بعضهم
الى بعض واصل الزحف الاندفاع على الالية ثم سمي كل ماش الى اخر في الحرب رويدا
زاحفا اي في مشية من التماهل والتباطي بها تمشي الزاحف من الزحف
الذي هو اندفاع قولهم كبار العرب وما جرى مجراه في بعدا لانقياد بما زال
الزحفين من التباطي في المشي قول الشاعر كانهن بايدي القوم في لبد طير
يكشف عن جون مزاحيف ومنه قول الفرزدق على عمايمنا تلقى وارحلنا
على مزاحيف ترجى مخها رير ومنه قول الاخر لمن المطايا سيرهن تزحف
ومن الزحف بمعنى التدافع قول الهذلي كان مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح
اثار السياط وامر الله عز وجل في هذه الاية ان لا يولي المومنون امام الكفار
وهذا الامر مقيد بالشريطة المنصوصة في مثلي المؤمنين فاذا لقيت فيه
من المومنين فئة هي ضعف المؤمنة من المشركين فالفرض ان لا يفروا
امامهم والفرار هنالك كثيرة موبقة بظاهر القران والحديث واجماع الاكثر
من الامة والذي يراعى العدد حسب ما في كتاب الله سبحانه وهذا قول جمهور
الامة وقالت فرقة منهم ابن الماجشون في الواضحة يراعى ايضا الضعف
والقوة والعدة فيجوز على قولهم ان يفر مائة فارس امام مائة فارس اذا علموا
ان عند المشركين من العدة والنجدة والبسالة ضعف ما عندهم واما على
قول الجمهور فلا يحل فرار مائة الا مما زاد على
مائتين والعبارة بالدبر في هذه الاية متمكنة الفصاحة لانها بشعة على الفار

ذا منزلة و قرا الجمهور دبره بضم الباء وقرا الحسن ابن ابي الحسن دبره بسكون البا
واختلف المتاولون في المشار اليه بقوله يومئذ فقالت فرقة الاشارة الى يوم بدر وما
وليه وفي ذلك اليوم وقع الوعيد بالغضب على من فر ونسخ بعد ذلك حكم الاية باية
الضعف وبقي الفرار من الزحف ليس بكبيرة وقد فر الناس يوم احد فعفا الله
عنهم وقال الله فيهم يوم حنين ثم وليتم مدبرين ولم يقع على ذلك تعنيف قال ابو محمد
وقال الجمهور من الامة الاشارة بيومئذ الى اللقاء الذي يتضمنه قوله اذا لقيتم وحكم
الاية باق الى يوم القيمة بشرط الضعف الذي بينه الله في اية اخرى وليس في الاية
نسخ واما يوم احد فانما فر الناس من اكثر من ضعفيهم ومع ذلك عنفوا لكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وفرارهم عنه واما يوم حنين فكذلك من فر انما
انكشف امام الكثرة ويحتمل ان عفو الله عن من فر يوم احد كان عفوا عن كبيرة
ومتحرفا لقتال اراد به الذي يرى ان فعله ذلك انكى للعدو واعود عليه بالكر ونصبه على
الحال وكذلك نصب متحيزا واما الاستثناء فهو من المولين الذين يتضمنهم
من قال قوم الاستثناء هو من انواع القول قال ابو محمد ولو كان ذلك لوجب
ان يكون الا متحرفا ومتحيزا والفئة هاهنا الجماعة من الناس الحاضرة للحرب هذا
على قول الجمهور في ان الفرار من الزحف كبيرة واما على القول الاخر فيكون الفئة
المدينة والامام وجماعة المسلمين حيث كانوا وروي هذا القول عن عمر
رضي الله عنه وانه قال انا فئتكم ايها المسلمون قال ابو محمد وهذا منه على جهة الحيطة
على المؤمنين اذ كانوا في ذلك الزمن يثبتون لاضعافهم مرارا وفي مسند
ابن ابي شيبة من طريق عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجماعة فرت في سرية
من سراياه انا فئة المسلمين حين قدموا عليه وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا الموبقات وعد فيها الفرار
من الزحف وبا بمعنى نهض متحملا للثقل المذكور في الكلام غضبا كان او نحوه والغضب
من صفات الله عز وجل اذا اخذ بمعنى الارادة فهي صفة ذات واذا اخذ بمعنى
اظهار افعال الغاضب على العبد فهي صفة فعل وهذا المعنى اشبه بهذه الاية والماوى
الموضع الذي ماوي اليه الانسان قوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم
ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين هذه مخاطبة للمؤمنين اعلمهم الله بهاات
القتل من المؤمنين ليس هم مستبدين بالقتال لان القتل بالاقدار عليه والخلق و
الاختراع في جميع حالات القاتل انما هي لله تعالى ليس للقاتل فيها شيء وانما يشارك بتكسبه
وقصده وهذه الالفاظ ترد على من يقول بان افعال العباد خلق لهم وسبب هذه
الاية فيما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صدروا عن بدر ذكر
كل واحد منهم ما فعل فقال قتلت كذا وفعلت كذا فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت
الاية قوله وما رميت اذ رميت الاية يراد به ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله
يومئذ وذلك انه اخذ قبضات من حصى وتراب فرمى به في وجوه القوم وتلقاهم ثلث
رميات فانهزموا عند اخر رمية ويروى انه يوم بدر قال شاهت الوجوه وهذا الفعل
ايضا كانت يوم حنين بلا خلاف وروي ان التراب الذي رمى به لم يبق كافر الا دخل
في عينيه منه شيء وروي انه انما رمى بسهم احجار فكانت الهزيمة مع الحجر الثالث قال ابو محمد
فيحتمل قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ما قلناه في قوله فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وذلك منصوص في الطبري وغيره وهو خارج في كلام العرب على معنى وما
رميت الرمي الكافي اذ رميت ونحوه قول العباس بن مرداس فلم اعط شيئا ولم امنع اي
لم اعط شيئا مرضيا ويحتمل ان يريد وما رميت الرعب في قلوبهم اذ رميت حصاياك
ولكن الله رمى وهذا منصوص ايضا في المهدوي وغيره ويحتمل ان يريد وما اغنى اذ رميت
حصايك ولكن الله رمى اي اعانك واظفرك بالعدو والعرب يقول في الدعاء رمى الله
لك اي اعانك وصنع لك وحكى هذا ابو عبيدة في كتاب المجاز وقرات فرقة ولكن
بتشديد النون وفرقة ولكن بتخفيفها ورفع الهاء من الله وليبلي اي ليصيبهم ببلاء
حسن فظاهر وصفه بالحسن يقتضي انه اراد الغنيمة والظفر والعزة وقيل اراد
الشهادة بالاستشهدوا يوم بدر وهم اربعة عشر رجلا منهم عبيدة بن الحارث

المطلب

D 25727

A
519